Copyright © King Saud University

ز ٣٠٠٠

٢١٩
م٠ ف

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية . (ط)
القسطلانى ، أحمد بن محمد بن أبى بكر- ٩٢٣هـ
خط نسخ حسن ، لعله من القرن الحادى عشر الهجرى .
السيرة النبوية
٢ج فى ١مج (٥١٠ق) ، ٣١ س ، ٢٩٫٣×٢٠٫٣ سم
نسخة حسنة ، بها أكل أرضة كثيرة وأثر رطوبة
الأعلام ١ : ٢٢١ ، كشف الظنون ٢ : ١٨٩٦-

١٨٩٧

Copyright © King Saud University

ز ٣٠٠

٥٤٠

١/٢١٠٥
٢٩٧/١١/٢٤

مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات
اسم الكتاب: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ... ٣
اسم المؤلف: احمد بن محمد بن ابي بكر بن عبد الملك القسطلاني
تاريخ: لعله القرن الحادي عشر الهجري
عدد: جزءان في مجلد في ٥١٠ ق ٢٩×٢٠سم
ملاحظات:
٢١٩
٢٠ ق

Copyright © King Saud University

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد و[آله]
الحمد لله الذي اطلع في سما الازل شمس انوار معارف النبوة المحمدية واشرق من افق
الرسالة مظاهر تجلي الصفات الاحدية احمده على ان وضع اساس نبوته على سو[ابق] ازليته
ورفع دعايم رسالته على لواحق ابديته واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له [illegible]
المتفرد في فردانيته بالعظمة والجلال الواحد المتوحد في وحدانيته باستحقاق الكمال [illegible]
واشهد ان سيدنا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله اشرف نوع الانسان وانسان عين
الاعيان المتخلص من خالص خلاصة ولد عدنان الممنوح ببدايع الآيات في الخصوص
بعموم الرسالة وغرايب المعجزات السر الجامع الفرقاني والمخصص بمواهب القرب من النوع
الانساني مورد الحقايق الازلية ومصدرها وجامع جوامع مفرداتها ومنبع [illegible] ومظهرها
اذ احصرت في حظاير قدسها وحضرها بحضرة الله المعمور الذي اتحد لذاته [illegible] ومعلم
نطاق الحقايق [illegible] مدد امداد نقطة الاكوان ومنبع ينابيع الحكم والعرفان الفيض
من بحر مداد الوفا على القابل من اهل المعارف والاصطفا حيث خاطب ذاته الانسية
بالمنح الانفسية فقال

فانت رسول الله اعظم كاين ⁂ وانت لكل الخلق بالحق مرسل
عليك مدار الخلق اذ انت قطبه ⁂ وانت منار الحق تعلو وتعدل
فؤادك بيت الله دار علومه ⁂ وباب عليه منه للحق يدخل
ينابيع علم الله منه تفجرت ⁂ ففي كل حي منه لله منهل
منحت بفيض الفضل كل مفضل ⁂ فكل له فضل به منك يفضل
نظمت نثار الانبيا فتاجهم ⁂ لديك بانواع الكمال مكلل
فيا مدد الامداد نقطة خطه ⁂ ويا ذروة الاطلاق اذ يتسلسل
محال يحول القلب عنك وانني ⁂ وحقك [illegible] يحول
عليك صلاة الله منه تواصلت ⁂ صلاة [illegible] لا تنفصل

اجبار [illegible] سكان سدرة المنتهى بجلالة [illegible] وحنو [illegible] روسا الانبيا الى
مجاهرة كمالك وتلفتت لغاياتك انفس الملا الاعلى الى [illegible] وتطاولت اعناق العقول
الى اعين لحظاته فعرج به الى المستوى الاقدس واطلعه على السر الاقدس في حالة
الجامعة بحضرات حظيرة قدسه الواسعة فوقفت اشخاص الانبيا في حرم الرحمة
اقدام الخدمة وقامت اشباح الملايكة في معارج الجلال على ارجل الاجلال وهامت ارواح
العشاق بنغمات الاشواق الى [illegible] مشتاق [illegible]
وصوت كما ناح الحمام بايكة ⁂ او لاح برق في الدجا خفاق
شوق اليه لا يزال مديد ⁂ بجمعه لجميعه عشاقه
النفاق [illegible] شاهد [illegible] تشقق مرائر الاشقيا المنافقين و[illegible]

اوله [illegible] فكان انشقاق [illegible] قلوب الحاسدين

الجذع فتصدع فانصدعت قلوب الاغبيا المنافقين وبرقت من مشكاة بعثته بوارق
طوالع الحقايق وانقادت لدعوته العامة خاصة خلاصة الخلايق ولم يزل يجاهد في الله
حق جهاده [illegible] عزماته وينظم شتات الاسلام بعد افتراق جماعاته حتى كملت كلمات دينه وحجته البا[لغة]
وتمت على سائر امته الامية نعمته السابغة وخير فاختار الرفيق الاعلى واثر الاخرة على
الاولى فنقله الله تعالى قادما على قدم السلامة الى دار السلام وفردوس الكرامة وبواه اسنى
مراقي التكريم في دار المقامة ومنحه اعلا مواهب الشرف في اليوم المشهود فهو الشاهد
المشهود ذو المحمود بالمحامد التي يلهمها الحامد المحمود ذو المنزلة العلية والدرجة السنية
في حظاير القدس الاقدسية والمشاهد الانفسية واصل الله عليه فواضل الصلوات
وشرايف التسليم ونوامي البركات وعلى آله الاطهار واصحابه الابرار صلاة وسلاما
لا ينقطع عنها [illegible] امد ولا يحصرها العد ابد الابد وبعد فهذه لطيفة من
لطايف نفحات العواطف الرحمانية ومنحة من منح مواهب العطا الربانية تنبي عن
نبذة من كمال شرف نبينا محمد عليه افضل الصلوات واتم التسليم واسنى الصلات
وسبق نبوته في الازمان الازلية وثبوت رسالته في الغايات الاحدية والتبشير
باحمديته في الاعصر الخالية والتذكير بمحمديته في الامم الماضية واشراق بوارق
لوامع انوار آيات ولادته التي سار ضوء فجرها في سائر بريته ودار بدر فخرها في اقطار ملته
و[illegible] لطايف رضاعه وحضانته وينابيع سر مسراه وبعثته وهجرته وعوارف
معارف عبوديته الباري عرف شذاها في آفاق قلوب اهل ولايته ونفايس انفاس حوالم
الزكية ورغايب حقايق سيرته العلية الى حين نقلته لحضرة قدسه الاحدية
وتشريفه بسوابق الآيات وتكريمه بكرايم المعجزات وترفيعه في اي التنزيل برفعة
ذكره وعلو خطره وتعظيم محاسن شمايله وخلايقه وتخصيصه بعموم رسالته ووجوب
محبته واتباع طرايقه وسيادته الجامعة لجوامع السؤدد في مشاهد مشاهد المرسلين
وتفضيله بالشفاعة العظمى العامة لعموم الاولين والاخرين الى غير ذلك من عجايب
آياته ومنحه وغرايب اعلام نبوته ومجده اوردتها حججا قاهرة على الملحدين وذكرى نافعة
للموحدين وتنشيطا لعزايم المهتدين ولم اكن من العلما اهلا لذلك ولم ار نفسي فيما هنالك
لصعوبة هذا المسلك ومشقة السير في طريق لم يكن لمثلي ان يسلك وانما هو نكتة سر
في كتاب الشفا بحضرة التخصيص والاصطفا في مكتب التاديب والتعليم في
مشهد مشاهد المؤانسة والتكريم مستجليا في مجالي تجليات الانوار الاحدية محاسن
صفات خلقته وعظيم حالاته الولية ساريا بسيرته في منهاج ملته الى ساحة
الاسنى راتعا في رياض روضة سنته النزيهة الحنفي مستمدا من فتح الباري فيض فضله
الساري فحيي صيب هذه المنح من مصون حقايقه وابرز لي ما اكنه من مكنون
رقايقه فانفتحت بالفتح الجامع عين بصيرة الاستبصار وتنزهت الناظر في رياض

Copyright © King Saud University

ارتياض رقايق الاسرار فاستجليت من ابكار مخدرات السنة النبوية من كل صورة معناها
واقتبست من تلالؤ مصباح مشكاة المعارف من كل بارقة اضواها وانتشقت من كل عبقة
صونية شذاها واجتنيت من افنان لطايف تاويل اي الكتاب العزيز من كل ثمرة منتهاها
ولا زالت في جنات لطايف هذه المنح اغدو واروح في غبوق وصبوح حتى انهلت غمايم
المعاني على ارض رياض المباني فاينعت ازهارها وتكللت بنفايس جواهر العلوم ادواحها
وطابت لمجتني رقايق الحقايق ثمارها وتدفقت حياض بدايع الفاظها بزلال جوامع
كلمها فما خطب خطيب قلوب ابنا الحروب على منبر الغرام الا غدوة بدعوة الكمال
محاسن الحبيب الاوانس فترنحت بسلاف راح الارتياح نفايس الارواح وتمايلت بمطربات
الحان الحنين الى جمال المحبوب كرام الاشباح وترنم مترنم الصفا بحضرة خلاصة اولي النهى منشدا

حضر الحبيب وغاب عنه رقيبه ... حتى نعم زال عنه كئيبه
داوى بوادي الوصل من اوصابه ... طوبى لقلبي والحبيب طبيبه
صدق المحب حبيبه في حبه ... لما صدق الحب منه حبيبه
لباه لب فواده فاجابه ... لما دعاه الى الغرام وجيبه
وبجامع الاهوا يجمع حبه ... ولحسنه خطب القلوب خطيبه

فاسمعك هذه المواهب اذان قلوب اولي الالباب تلفتت عيون اعيانهم لتلخيص خلاصة
جوهر هذا الخطاب في سفر يسفر عن وجه المنح النبوية منيع النقاب فلطالما اطلقت عنان الفا
الى تحصيل ما يهم وتشطير مطالبهم خاصة جواب الصواب مودعا ما كان مستودعا في
غيابات الغيب في هذا الكتاب مستعينا في ذلك بالقوي الوهاب حتى اتاح الله لي ذلك.
وتم ما هنالك فاوضحت ما خفي من الدليل وسهلت ما توعر من السبيل وسميته
المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ورتبته على عشرة مقاصد تسهيلا للسالك والقاصد

المقصد الاول في تشريف الله تعالى له عليه الصلاة والسلام بسبق نبوته في سابق ازليته
ونشره منشور رسالته في مجلس مؤانسته وكتبه توقيع عنايته في حظاير قدس كرامته
وطهارة نسبه وبراهين اعلام ايات حمله وولادته ورضاعه وحضانته ودقايق حقايق
بعثته وهجرته ولطايف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته مرتبا على السنين
من حين نشاته الى وقت وفاته ونقلته لرياض روضته المقصد الثاني في ذكر اسمايه
الشريفة المنبية عن كمال الخلافة المنيفة واولاده الكرام الطاهرين وازواجه الطاهرات
امهات المومنين واعمامه وعماته واخوته من الرضاعة وجداته وخدمه ومواليه
وحرسه وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام في الشرايع والاحكام ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من
الانام وسلاحه ودوابه والوافدين اليه صلى الله عليه وسلم وفيه عشرة فصول
المقصد الثالث فيما فضله الله تعالى به من كمال خلقته وجمال صورته وكرمه به سبحانه
وتعالى به من الاخلاق الزكية وشرفه به من الاوصاف المرضية وما تدعو ضرورة

حياته اليه والى الصلاة والسلام عليه وفيه ثلاثة فصول المقصد الرابع في معجزاته
الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته وما اختص به من خصايص اياته وبدايع كراماته
وفيه فصلان المقصد الخامس في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصايص المعراج والاسرا
وتعميمه بعموم لطايف التكريم في حضرة القريب بالمكالمة والمشاهدة والايات الكبرى
المقصد السادس فيما ورد في اي التنزيل من تعظيم قدره ورفعة ذكره وشهادته تعالى
له بصدق نبوته وثبوت بعثته وقسمه تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه الجليل
ومكانته ووجوب طاعته واتباع سنته واخذه تعالى له الميثاق على ساير النبيين
فضلا ومنة ان ادركوه ليومنن به ولينصرنه والتنويه به في الكتب السالفة كالتوراة
والانجيل بانه صاحب الرسالة والتبجيل وفيه عشرة انواع المقصد السابع في وجوب
محبته واتباع سنته والاهتدا بهديه وطريقته وفرض محبة اله واصحابه وقرابته
وعترته وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه وفيه ثلاثة فصول
المقصد الثامن في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض والعاهات وتعبيره الرويا
وانبايه بالانبا المغيبات وفيه ثلاثة فصول المقصد التاسع في لطيفة من حقايق
عباداته ويشتمل على سبعة انواع المقصد العاشر في اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته
ونقلته اليه وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله في الاخرة بفضايل
الاوليات الجامعة لمزايا التكريم والدرجات العليات وتشريفه بخصايص الزلفى في
مشهد مشاهد الانبيا والمرسلين وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود وانفراده بالسودد
في مجمع جامع الاولين والاخرين وترقيه في جنة عدن ارقى مدارج السعادة وتعاليه في
يوم المزيد اعلى معالي الحسنى والزيادة وفيه ثلاثة فصول والله تعالى اجل حمده وعز مجده
اسال بوجاهة وجه الوجيه وتنبيه النبيه ان يعيدني في هذا الكتاب العزيز بمدد
الاقبال والقبول ويبلغني ومن كتبه او قراه او سمعه من العواطف النبوية لطايف
المسول ونهاية المامول وعلى الله قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل

المقصد الاول
في تشريف الله تعالى له عليه الصلاة والسلام بسبق نبوته في سابق ازليته ونشره
منشور رسالته في مجلس مؤانسته وكتبه توقيع عنايته في حظاير قدس كرامته
وطهارة نسبه وبراهين اعلام ايات حمله وولادته ورضاعه وحضانته ودقايق
حقايق بعثته وهجرته ولطايف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته مرتبا على
السنين من حين نشاته الى وقت وفاته ونقلته لرياض روضته اعلم يا ذا العقل
السليم والمتصف باوصاف الكمال والتتميم وفقني الله واياك بالهداية الى الصراط المستقيم
انه لما تعلقت ارادة الحق تعالى بايجاد خلقه وتقدير رزقه ابرز الحقيقة المحمدية
من الانوار الصمدية في الحضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها
على صورة حكمه كما سبق في سابق ارادته وعلمه ثم اعلمه بنبوته وبشره برسالته

هذا وادم لم يكن الا كان بين الروح والجسد ثم انبجست منه صلى الله عليه وسلم عيون
الارواح فظهر بالملا الاعلى وهو بالمنظر الاجلا فكان لهم المورد الاحلا فهو صلى الله عليه وسلم
الجنس العالي على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس ولما انتهى الزمان بالاسم
الباطن في حقه صلى الله عليه وسلم الى وجود جسمه وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان الى
الاسم الظاهر فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بكليته جسما وروحا فهو صلى الله عليه وسلم وان
تاخرت طينته فقد عرفت قيمته فهو خزانة السر وموضع نفوذ الامر فلا ينفذ امر الا منه
ولا ينقل خير الا عنه ◦ الا بابي من كان ملكا وسيدا ◦ وادم بين الماء والطين واقف

فذاك الرسول الابطحي محمد ◦ له في العلا مجد تليد وطارف
اتى بزمان السعد في اخر المدى ◦ وكان له في كل عصر مواقف
اتى لانكسار الدهر يجبر صدعه ◦ فاثنت عليه الالسن وعوارف
اذا رام امرا لا يكون خلافه ◦ وليس لذاك الامر في الكون صارف

خرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله تعالى كتب مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان
عرشه على الماء ومن جملة ما كتب في الذكر وهو ام الكتاب ان محمدا خاتم النبيين وعن العرباض بن
سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اني عند الله لخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته رواه
احمد والبيهقي والحاكم وقال صحيح الاسناد وقوله لمنجدل في طينته يعني طريحا ملقى على الارض
قبل نفخ الروح فيه وعن ميسرة الضبي قال قلت يا رسول الله متى كنت نبيا قال وادم بين الروح
والجسد هذا اللفظ رواية الامام احمد ورواه البخاري في تاريخه وابو نعيم في الحلية وصححه الحاكم
واما ما اشتهر على الالسنة بلفظ كنت نبيا وادم بين الماء والطين فقال شيخنا الحافظ ابو
الخير السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة لم نقف عليه بهذا اللفظ انتهى وقال
الحافظ ابن رجب في اللطايف وبعضهم يرويه متى كتبت من الكتابة انتهى قلت كذا اد
رويناه في جزء من حديث ابي عمرو اسماعيل بن نجيد ولفظه متى كتبت نبيا قال كنت نبيا
وادم بين الروح والجسد فتحصل من هذه الروايات مع رواية العرباض بن سارية على وجوب نبوته وثبوتها
وظهورها في الخارج فان الكتابة تستعمل فيما هو واجب قال تعالى كتب عليكم الصيام وكتب الله لاغلبن
انا ورسلي وعن ابي هريرة انهم قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وادم بين الروح والجسد
رواه الترمذي وقال حديث حسن ورويناه في جزء من امالي ابي سهل القطان عن سهل بن صالح
الهمداني قال سالت ابا جعفر محمد بن علي كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم الانبياء وهو
اخر من بعث قال ان الله تعالى لما اخذ من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست
بربكم كان محمد صلى الله عليه وسلم اول من قال بلى ولذلك صار يتقدم الانبياء وهو اخر من بعث فان قيل
ان النبوة وصف لا بد ان يكون الموصوف به موجودا وانما يكون بعد بلوغ اربعين سنة
ايضا فكيف يوصف به قبل وجوده وارساله اجاب الغزالي في كتابه النفخ والتسوية عن

هذا او عن قوله عليه الصلاة والسلام انا اول الانبياء خلقا واخرهم بعثا بان المراد بالخلق هنا
التقدير دون الايجاد فانه قبل ان ولدته امه لم يكن موجودا مخلوقا ولكن الغايات والكمالات
سابقة في التقدير لاحقة في الوجود قال وهو معنى قولهم اول الفكرة اخر العمل واخر العمل
اول الفكرة وبيانه ان المهندس المقدر للدار اول ما يمثل في نفسه صورة الدار فتحصل
في نفسه دار كاملة البناء واخر ما يوجد من اعماله هي الدار الكاملة فالدار الكاملة هي اول
الاشياء في حقه تقديرا واخرها وجودا لان ما قبلها من ضرب اللبنات وبناء الحيطان وتركيب
الجذوع وسيلة الى غاية وكمال وهي الدار فالغاية هي الدار ولاجلها تقوم الالات والاعمال
قال واما قوله عليه الصلاة والسلام كنت نبيا فاشارة لما ذكرناه وانه كان نبيا في التقدير
قبل تمام خلقة ادم عليه الصلاة والسلام لانه لم ينشا خلق ادم الا لينتزع من ذريته محمد
صلى الله عليه وسلم ويستصفى تدريجا الى ان يبلغ كمال الصفا قال ولا تفهم هذه الحقيقة
الا بان تعلم ان للدار وجودين وجودا في ذهن المهندس ودماغه وانه ينظر الى صورة الدار
الدار خارج الذهن في الاعيان والوجود الذهني سبب الوجود الخارج العيني فهو سابق
لا محالة وكذلك فاعلم ان الله تعالى يقدر ثم يوجد على وفق التقدير ثانيا انتهى وهو
متعقب بقول الشيخ تقي الدين السبكي انه قد جاء ان الله خلق الارواح قبل الاجساد فقد
تكون الاشارة بقوله كنت نبيا الى روحه الشريفة او الى حقيقته من الحقائق والحقايق
تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن امده الله بنور الهي ثم ان تلك الحقايق
يوتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم
قد تكون من خلق ادم اتاها الله ذلك الوصف بان يكون خلقها مهياة لذلك وافاضه
عليها من ذلك الوقت فصار نبيا وكتب اسمه على العرش واخبر عنه بالرسالة ليعلم ملايكته
وغيرهم كرامته عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تاخر جسده
الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليها من الحضرة
الالهية وانما يتاخر البعث والتبليغ وكل ما له من جهة الله تعالى ومن جهة تاهل ذاته الشريفة
وحقيقته معجل لا تاخر فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة وانما
المتاخر تكونه وتنقله الى ان ظهر صلى الله عليه وسلم وقد علم من هذا ان من فسره بعلم الله
بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علم الله تعالى محيط بجميع الاشياء ووصف
النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي ان يفهم منه انه امر ثابت له في ذلك
الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية
بانه نبي وادم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء يعلم الله تعالى نبوتهم في ذلك
الوقت وقبله فلا بد من خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم لاجلها اخبر بهذا
الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله تعالى وعن الشعبي قال رجل يا رسول
الله متى استنبئت قال وادم بين الروح والجسد حين اخذ مني الميثاق رواه ابن سعد

Copyright King Saud University

من رواية جابر الجعفي فيما ذكره ابن رجب فهذا يدل على انه من حين صور آدم طينا استخرج منه محمد
صلى الله عليه وسلم ونبي واخذ منه الميثاق ثم اعيد الى ظهر آدم حتى يخرج وقت خروجه الذي
قدر الله خروجه فيه فهو اولهم خلقا لا يقال خلق آدم قبله لان آدم كان حينئذ مواتا لا روح
فيه ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حيا حين استخرج ونبي واخذ منه الميثاق فهو اول النبيين
خلقا وآخرهم بعثا وقد قيل ان استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه كما دل عليه اكثر الاحاديث
والذي تقرر هنا انه استخرج ونبي قبل نفخ الروح في آدم عليه الصلاة والسلام واجاب بعضهم
بانه صلى الله عليه وسلم خص باستخراجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح فان محمدا صلى الله عليه وسلم هو
المقصود من خلق النوع الانساني وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده والاحاديث
السابقة صريحة في ذلك والله اعلم وروي عن علي بن ابي طالب انه قال لم يبعث الله تعالى نبيا
من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن
به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه وهو مروي عن ابن عباس ايضا ذكرهما العماد
ابن كثير في تفسيره وقيل ان الله تعالى لما خلق نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم امره ان
ينظر الى انوار الانبياء عليهم الصلاة والسلام فغشيهم من نوره ما انطقهم الله به وقالوا يا ربنا
من غشينا نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله ان آمنتم به جعلتكم انبياء قالوا آمنا به
وبنبوته فقال الله تعالى اشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الى قوله وانا
معكم من الشاهدين قال الشيخ تقي الدين السبكي في هذه الآية الشريفة من التنويه بالنبي
صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى وفيه مع ذلك انه على تقدير مجيئه في زمانهم
يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيامة بل تناول
من قبلهم ايضا ويتبين بذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ثم قال
فاذا عرف هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء ولهذا اظهر ذلك في الآخرة جميع الانبياء تحت
لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم كذلك ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح
وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به
ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم انتهى وسيأتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في المقصد
السادس وذكر العارف الرباني عبد الله بن ابي جمرة في كتابه بهجة النفوس ومن
قبله ابن سبع في شفاء الصدور وغيره عن كعب الاحبار قال لما اراد الله تعالى ان يخلق محمدا صلى الله
عليه وسلم امر جبريل عليه الصلاة والسلام ان يأتيه بالطينة التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها
فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرفيع الاعلى فقبض قبضة رسول الله صلى الله
عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم في معين انهار الجنة حتى صارت
كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي وفي السموات والارض
والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمدا وفضله قبل ان تعرف آدم عليه الصلاة

والسلام وقيل لما خاطب الله السماء والارض بقوله ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
اجاب موضع الكعبة الشريفة ومن السماء ما يحاذيها وقد قال ابن عباس اصل طينة رسول
الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة فقال بعض العلماء هذا يشعر بان ما اجاب
من الارض الا ذرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت الارض فصار
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاصل في التكوين والكائنات تبع له وقيل لذلك سمي
اميا لان مكة ام القرى وذرته ام الخليقة فان قلت تربة الشخص مدفنه فكان مقتضى
هذا ان يكون مدفنه عليه الصلاة والسلام بمكة حيث كانت تربته منها فقد اجاب
عنه صاحب عوارف المعارف افاض الله علينا من عوارفه وتعطف علينا بعواطفه بانه
قيل ان الماء لما تموج رمى الزبد الى النواحي فوقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم الى
ما يحاذي تربته بالمدينة وكان النبي صلى الله عليه وسلم مكيا مدنيا حنينه الى مكة وتربته
بالمدينة انتهى المولد الشريف لابن ظفر بكر ويروى انه لما خلق الله تعالى آدم الهمه
ان قال يا رب لم كنيتني ابا محمد قال الله تعالى يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور
محمد في سرادق العرش فقال يا رب ما هذا النور قال نور نبي من ذريتك اسمه في السماء
احمد وفي الارض محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا ارضا ويشهد لهذا ما رواه الحاكم في
صحيحه ان آدم عليه الصلاة والسلام رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وان
الله تعالى قال لآدم لولا محمد ما خلقتك ولله در من قال

وكان لدى الفردوس في زمن الرضا ❁ واثواب شمل الانس محكمة السدا
يشاهد في عدن ضياء مشعشعا ❁ يزيد على الانوار في الضوء والهدى
فقال الهي ما الضياء الذي ارى ❁ جنود السما تغشو اليه ترددا
فقال نبي خير من وطئ الثرى ❁ وافضل من في الخير راح او اغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا ❁ والبسته قبل النبيين سوددا

مذهب الاشاعرة ان افعال الله تعالى ليست معللة بالاغراض فكيف تكون خلقة
محمد صلى الله عليه وسلم علة في خلق آدم عليه الصلاة والسلام اجيب بان الظاهر من الادلة
تعليل بعض الافعال بالحكم والمصالح التي هي غايات ومنافع لافعاله تعالى لا بواعث على
اقدامه ولا علل مقتضية لفاعليته لان ذلك محال في حقه تعالى لما فيه من استكماله
بغيره والنصوص شاهدة بذلك كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي
قرنت الخلق بالعبادة اي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة فالتعليل لفظي لا حقيقي لان الله
تعالى قادر على ايصال المنفعة الى الغير من غير واسطة انتهى وروى عبد الرزاق بسنده
عن جابر بن عبد الله الانصاري قال قلت يا رسول الله بابي انت وامي اخبرني عن اول شيء
خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره
فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم

Copyright King Saud University

مطلب النور المحمدي

ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سما ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي فلما اراد الله ان يخلق الخلق
قسم ذلك النور اربعة اجزا فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش
ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزا فخلق من الجزء الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث
باقي الملايكة ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزا فخلق من الاول السموات ومن الثاني الارضين
ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزا فخلق من الاول نور ابصار المومنين ومن
الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد لا اله الا الله
محمد رسول الله الحديث ومن اختلف هل القلم اول المخلوقات بعد النور المحمدي فقال الحافظ
ابو يعلي الهمداني الاصح ان العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر الله مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض
بخمسين الف سنة وكان عرشه على الما فهذا صريح ان التقدير وقع بعد خلق العرش والتقدير
وقع عند اول خلق القلم لحديث عبادة ابن الصامت مرفوعا اول ما خلق الله القلم قال له اكتب
قال يا رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شي رواه احمد والترمذي وصححه وروا ايضا من
حديث ابي رزين العقيلي مرفوعا ان الماخلق قبل العرش وروي السدي باسانيد متعددة
ان الله لم يخلق شيا مما خلق قبل الما فيجمع بينه وبين ما قبله بان اولية القلم بالنسبة الى
ما عدا النور المحمدي والما والعرش انتهى وقيل الاولية في كل بالاضافة الى جنسه اي اول
ما خلق الله من الانوار نوري وكذا في باقيها وفي احكام ابن القطان فيما ذكره ابن مرزوق
عن علي بن الحسين عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدي
ربي قبل خلق ادم فجعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبينه فيغلب على ساير نوره
ثم رفعه الله تعالى على سرير مملكته وحمله على اكتاف ملايكته وامرهم فطافوا به في السموات
ليري عجايب ملكوته قال جعفر بن محمد مكثت الروح في راس ادم مائة عام وفي صدره
مائة عام وفي ساقيه وقدميه مائة عام ثم علمه الله تعالى اسما جميع المخلوقات ثم امر الملايكة
بالسجود له فسجدوا الا ابليس فطرده الله تعالى وابعده واخزاه وكان السجود سجود
تعظيم وتحية لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له فالمسجود له بالحقيقة هو الله
تعالى وادم كالقبلة وروي عن جعفر الصادق انه قال كان اول من سجد لادم جبريل
ثم ميكاييل ثم اسرافيل ثم عزرايل ثم الملايكة المقربون وعن ابي الحسن النقاش اول من سجد
اسرافيل قال ولذا اجوزي بتولية اللوح المحفوظ وعن ابن عباس كان يوم الجمعة من
وقت الزوال الى العصر ثم خلق الله تعالى له حوا زوجته من ضلع من اضلاعه
اليسرى وهو نايم وسميت حوا لانها خلقت من حي فلما استيقظ وراها سكن اليها ومد
يده لها فقالت الملايكة مه يا ادم قال ولم وقد خلقها الله لي فقالوا حتى تؤدي مهرها
قال وما مهرها قالوا تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ذكره ابن الجوزي
في كتابه سلوة الاحزان انه لما رام القرب منها طلبت منه المهر فقال يا رب وماذا اعطيها

اي امتنع عن ذلك يا ادم

مطلب ان القلم بعد العرش والما وقيل العرش والما على الاول

بلغ

مطلب مهر حوى الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم

فقال

فقال يا ادم صلي على حبيبي محمد ابن عبد الله عشرين مرة ففعل ثم ان الله تعالى اباح لهما نعيم الجنة
ونهاهما عن شجرة الحنطة وقيل شجرة العنب وقيل شجرة التين فحسدهما ابليس فهو
اول من حسد وتكبر فاتى الى باب الجنة فاحتال حتى دخل الجنة واتى الى ادم وحوا فوقف
وناح نياحة احزنتهما فهو اول من ناح فقالا ما يبكيك قال عليكما تموتان وتفقدان النعيم
الا ادلكما على شجرة الخلد فكلا منها وحلف لهما انه ناصح فهو اول من حلف كاذبا واول من
غش فاكلت حوا منها ثم زينت لادم حتى اكل وظنا ان احدا لا يتجاسر ان يحلف بالله كاذبا
فقال الله تعالى يا ادم الم يكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يا رب
وعزتك ولكن ظننت ان احدا لا يحلف بك كاذبا قال الله وعزتي وجلالي لاهبطنك الى الارض
لا تنال العيش الا كدا فاهبط من الجنة وعن ابن عباس قال الله تعالى يا ادم ما حملك على
ما صنعت قال زينته لي حوى قال فاني اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها وادميتها
في الشهر مرتين وقال وهب ابن منبه لما اهبط ادم الى الارض مكث يبكي ثلاث مائة سنة لا يرقا
له دمع وقال المسعودي لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع ادم اكثر حين اخرجه
الله من الجنة وقال مجاهد بكى ادم مائة عام لا يرفع راسه الى السما وانبت الله من دموعه
العود الرطب والزنجبيل والصندل وانواع الطيب وبكت حوى حتى انبت الله من دموعها
القرنفل والافاوية يا بني ادم انظروا كيف بكى ابوكم على تعلة واحدة ثلاث مائة سنة فكيف
بكم يا ارباب الكبائر العظيمة فاعتبروا يا اولي الابصار كان كلما راى الملايكة تصعد وتهبط
ازداد شوقا الى الاوطان وتذكر العهد والجيران يا اصحاب الذنوب احذروا زلة يقول
فيها الحبيب هذا فراق بيني وبينك فيا ذا العقل السليم انظر كيف جلس ابوك ادم على
سرير المملكة فمد يده الى لقمة نهي عنها فاخرج من الجنة فاحذروا يا بنيه عواقب المعاصي
فانظر من نزلت به وحطته عن مرتبته فائدة هذه النعلة التي اهبط بها
ادم من الجنة ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبيا وان كان صغيرة فلم جرى عليه
ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة وغير ذلك اجاب الزمخشري بانها ما كانت الا
صغيرة مغمورة باعمال قلبيه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الطاعات واعظم الاعمال
وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا
له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقا المآثم تنبيه انظروا كم لله من لطف وحكمة في اهباط ادم
من الجنة الى الارض لولا نزوله لما ظهر جهاد المجاهدين واجتهاد العابدين المجتهدين
ولا صعدت زفرات انفاس التائبين ولا نزلت قطرات دموع المذنبين يا ادم ان كنت
اهبطت الى الارض من دار القرب فاني قريب اجيب دعوة الداعي ان كان حصل لك
بالاخراج من الجنة كسر فانا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي ان كان فاتك في السما زجل
المسبحين فقد تعوضت في الارض انين المذنبين انين المذنبين احب الينا من
تسبيحهم زجل المسبحين ربما تشوبه الافتخار وانين المذنبين يزينه الانكسار والوليم

مطلب الجواب عما فعله ادم من اكل الشجرة وان ذلك صغيرة تكفر عنه اي اسرت فلذلك

اي لا ينقطع

Copyright King Saud University

لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجا بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم وسعلى من
اذا لطف بعبده في المحن قلبها منحًا واذا خذل عبدا لم ينفعه كثرة اجتهاده وكان عليه
وبالا لقي آدم محنة والقى عليه ما تقبل به توبته وطرد ابليس اللعين بعد طول
خدمته فصار عمله هبا منثورا قال اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم
الدين اذا وضع عدله على عبد لم تبق له حسنة واذا بسط فضله على عبد لم تبق له
سيئة انظر لما ظهرت فضايل آدم عليه الصلاة والسلام على الخلايق بالعلم وكان العلم لا يكمل
الا بالعمل بمقتضاه والجنة ليست دار عمل ومجاهدة انما هي دار نعيم ومشاهدة قيل له
يا آدم اهبط الى الارض للجهاد وصابر جنود الهوى بالجد والاجتهاد فكانك بالعيش الماضي
وقد عاد على اكمل من ذلك المعتاد لما اظهر ابليس عليه اللعنة الحسد وسعى في الاذى
حتى كان سببا في اخراج السيد آدم من الجنة وما فهم اللعين ان آدم اذا خرج من الجنة كملت
فضايله ثم عاد الى الجنة على اكمل من الحال الاول قاله وفيه اشارة كانه تعالى يقول لو غفرت
في الجنة لما تبين كرمي بان اغفر لنفس واحدة بل اخرج الى الدنيا واتي بالوف من العصاة
حتى اغفر له ولهم ليتبين جودي وكرمي وايضا علم الله تعالى ان في صلبه الاولاد والجنة
ليست دار توالد وايضا ليخرج من ظهره في الدنيا من لا نصيب له في الجنة ... الجنة
ان شا الله اقطاعنا وقد وصل منشور الاقطاع مع جبريل عليه الصلاة والسلام الى نبينا صلى
الله عليه وسلم وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار انما يخرج
الاقطاع عمن خرج عن الطاعة نسال الله التوفيق وقد اختلف في الجنة التي سكنها آدم
فقيل هي جنة الخلد وقيل غيرها جعلها الله دار ابتلا لان جنة الخلد انما يدخلها يوم
القيامة وبانها دار جزا وثواب لا دار تكليف وامر ونهي ودار سلامة لا دار ابتلا وامتحان ودار
قرار لا دار انتقال واحتج القايلون بانها جنة الخلد بان الدخول العارض قد يقع قبل يوم
القيامة وقد دخلها نبينا عليه الصلاة والسلام ليلة الاسرا وبان ما ذكروه من ان الجنة
لا يوجد فيها ما وجده آدم من الحزن والنصب فانما هو اذا دخلها المومنون يوم القيامة
كما يدل عليه سياق الايات كلها فان نفي ذلك مقرون بدخول المومنين اياها والله اعلم
انتهى وروي انه لما اخرج آدم من الجنة راى مكتوبا على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة اسم
محمد صلى الله عليه وسلم مقرونا باسم الله تعالى فقال يا رب هذا محمد من هو فقال الله هذا ولدك
الذي لولاه ما خلقتك فقال يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودي يا آدم
لو تشفعت الينا بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك وعن عمر ابن الخطاب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب اسالك بحق محمد لما
غفرت لي فقال الله يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال لانك يا رب لما خلقتني بيدك
ونفخت في من روحك رفعت راسي فرايت على قوايم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد
رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت

يا آدم انه

يا آدم انه احب الخلق الي واذ سالتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه البيهقي
في دلايله من حديث عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقال تفرد به عبد الرحمن وصححه الحاكم
وصححه وذكره الطبراني وزاد فيه وهو اخر الانبيا من ذريتك وفي حديث سلمان عند
ابن عساكر قال هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول ان كنت
اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا اكرم علي منك ولقد خلقت
الدنيا واهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا ولله در سيدي علي بن سهل محمد وفا
الوفوي حيث قال في قصيدته التي اولها

سكن الفواد فعش هنيا يا جسد ... هذا النعيم هو المقيم الى الابد
روح الوجود حياة من هو واجد ... لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم ... هم اعين هو نورها لما ورد
لو ابصر الشيطان طلعة نوره ... في وجه آدم كان اول من سجد
او لو راى النمرود نور جماله ... عبد الجليل مع الخليل ولا عند
لكن جمال الله جل فلا يرى ... الا بتخصيص من الله الصمد
ما بشر من سكن الجوانح سطوة ... انا قد ملات من الساعينا ويد
عين الوجود معنى الصفا سر الندا ... نور الهدى روح التهاني حسن الرشد
هو للصلاة من السلام المرتقي ... الجامع المخصوص ما دام الابد

ولما خلق الله تعالى حوا لتسكن الى آدم ويسكن اليها فحين صار لديها فاضت بركاته عليها
فولدت له في تلك الاعوام الخمسة اربعين ولدا في عشرين بطنا ووضعت شيثا وحده
كرامة لمن اطلع الله تعالى بالنبوة سعده ولما توفي آدم كان شيث عليه الصلاة والسلام
وصيا على ولده ثم اوصى شيث ولده بوصية آدم ان لا يضع هذا النور الا في المطهرات
من النسا ولم تزل هذه الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان ادى الله النور
الى عبد المطلب وولده عبد الله وطهر الله سبحانه هذا النسب الشريف من سفاح
الجاهلية كما ورد عنه عليه الصلاة والسلام في الاحاديث المرضية قال ابن عباس فيما
رواه البيهقي في سننه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح الجا
هلية شي ما ولدني الا نكاح الاسلام والسفاح بكسر السين المهملة الزنا والمراد به هاهنا ان المراة
تسافح رجلا مدة ثم يتزوجها بعد ذلك وروى ابن سعد وابن عساكر عن هشام بن
محمد بن السايب الكلبي عن ابيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة ام فما
وجدت فيهن سفاحا ولا شيا مما كان في امر الجاهلية وعن علي بن ابي طالب ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدني
ابي وامي لم يصبني من سفاح اهل الجاهلية شي رواه الطبراني في الاوسط وابو نعيم
وابن عساكر وروى ابو نعيم عن ابن عباس مرفوعا لم يلتق ابواي قط على سفاح لم يزل

Copyright © King Saud University

الا ينقلني من الاصلاب الطيبة الي الارحام الطاهرة مصفًا مهذبًا لا تتشعب شعبتان
الا كنت في خيرها وعنه في قوله تعالي وتقلبك في الساجدين قال من نبي الي نبي حتي اخرجك
نبيا رواه البزار وعنه ايضا في الاية قال مازال النبي صلي الله عليه وسلم يتقلب في اصلاب الانبيا
حتي ولدته امه رواه ابو نعيم وعن جعفر الصادق بن محمد عن ابيه في قوله تعالي لقد
جاكم رسول من انفسكم عزيز قال لم يصبه شي من ولادة الجاهلية قال وقال النبي صلي الله
عليه وسلم خرجت من نكاح غير سفاح وعن انس قال قرا صلي الله عليه وسلم لقد جاكم رسول
من انفسكم بفتح الفا وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابآي من لدن آدم سفاح
كلنا نكاح رواه ابن مردويه وفي الدلايل لابي نعيم عن عايشة عنه صلي الله عليه وسلم
عن جبريل قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب
افضل من بني هاشم وكذا اخرجه الطبراني في الاوسط قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر لوايح
الصحة ظاهرة علي صفحات هذا المتن وفي البخاري عن ابي هريرة عنه صلي الله عليه
وسلم بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتي كنت من القرن الذي كنت فيه وفي مسلم
عن واثلة ابن الاسقع قال صلي الله عليه وسلم ان الله اصطفي كنانة من [illegible] اسمعيل
واصطفي قريشا من كنانة واصطفي من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم رواه
الترمذي وعن العباس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق
فجعلني في خير الفريقين ثم تخير القبايل فجعلني في خير القبيلة ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم
بيتا رواه الترمذي هكذا مفردا به وقال حديث حسن اي لخيرهم روحا وذاتا وخيرهم
بيتا اي اصلا وفي حديث رواه الطبراني عن ابن عمر قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم
بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختارني من العرب فلم ازل خيارا من
خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم واعلم
انه عليه الصلاة والسلام لم يشركه في ولادته من ابويه اخ ولا اخت لانتهاء صفوتهما
اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله تعالي للنبوة غاية ولتمام
الشرف نهاية وانت خبير اذا اختبرت حال نسبه وعلمت طهارة مولده تيقنت
انه سلالة آبا كرام فهو صلي الله عليه وسلم النبي العربي الابطحي الحرمي الهاشمي القرشي
نخبة بني هاشم المختار المنتخب من خير بطون العرب واعرقها في النسب واشرفها في الحسب
وانضرها عودا واطولها عمودا واطيبها ارومة واعزها جرثومة وافصحها لسانا واوضحها
بيانا وارجحها ميزانا واصحها ايمانا واعزها نفرا واكرمها معشرا من قبل ابيه وامه
ومن اكرم بلاد الله علي الله وعلي عباده فهو محمد بن عبد الله الذبيح ابن عبد المطلب
واسمه شيبة الحمد في قول ابن اسحق وهو الصحيح وقيل سمي به لانه ولد وفي راسه
شيبة وقيل اسمه عامر وهو قول ابن قتيبة وتابعه عليه المجد الشيرازي
ابو الحارث بابن له اكبر ولده قيل وانما قيل له عبد المطلب لان اباه هاشما

قال

قال لاخيه المطلب وهو بمكة حين حضرته الوفاة ادرك عبدك بيثرب فمن ثم سمي عبد المطلب
وقيل ان عمه المطلب جا به الي مكة رديفه وهو بهيئة بذة فكان يسال عنه فيقول
هو عبدي حيا ان يقول هو ابن اخي فلما ادخله واحسن من حاله اظهر انه ابن اخيه فلذلك
قيل له عبد المطلب وهو اول من خضب بالسواد من العرب وعاش مائة واربعين
سنة ابن هاشم واسمه عمرو وانما قيل له هاشم لانه كان يهشم الثريد لقومه في الجدب
ابن عبد مناف واسمه المغيرة ابن قصي تصغير قصي اي بعيد لانه بعد عن عشيرته
في بلاد قضاعة حين احتملته امه فاطمة واسمه مجمع قال الشاعر
ابوكم قصي كان يدعي مجمعا به جمع الله القبايل من فهر
زيد وقال الشافعي كما حكاه عنه الحاكم ابو احمد يزيد ابن كلاب وهو اما منقول
من المصدر الذي في معني المكالبة نحو كالبت العدو مكالبة واما من الكلاب جمع كلب
لانهم يريدون الكثرة كما يسموا سباعا وسيل اعرابي لم تسموا ابناكم بشر الاسما نحو
كلب وذيب وعبيدكم باحسن الاسما نحو مرزوق ورباح فقال انما نسمي ابنانا
لاعدا[illegible] وعبيدنا لانفسنا يريدون ان الابنا عدة للاعدا وسهام في نحورهم فلذا
[illegible] سما واسم كلاب حكيم وقيل عروة ابن مرة ابن كعب وهو اول من جمع يوم
العروبة وكانت تجمع اليه قريش في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلي
الله عليه وسلم ويعلمهم بانه من ولده ويامرهم باتباعه والايمان به وينشد في ذلك
ابياتا منها قوله يا ليتني شاهد نجوا دعوته حين العشيرة تبغي الحق خذلانا
ابن لوي تصغير اللاي وهو الثور ابن غالب ابن فهر واسمه قريش واليه تنسب قريش
فما كان فوقه فكناني لا قرشي ابن مالك ابن النضر واسمه قيس ابن كنانة ابن خزيمة تصغير
خزمة ابن مدركة ابن الياس بكسر الهمزة في قول ابن الانباري وبفتحها في قول
قاسم ابن ثابت ضد الرجا واللام فيه للتعريف والهمزة للوصل قاله السهيلي وهذا
اصح وهو اول من اهدي البدن الي البيت الحرام ويذكر انه كان يسمع في صلبه تلبية
النبي صلي الله عليه وسلم بالحج ابن مضر وهو اول من سن الحدي للابل وكان من احسن الناس
صوتا ابن نزار بكسر النون من النزر وهو القليل قيل لانه لما ولد ونظر ابوه الي نور
محمد صلي الله عليه وسلم بين عينيه فرح فرحا شديدا واطعم وقال ان هذا كله نزر في قليل
لحق هذا المولود فسمي نزارا لذلك ابن معد ابن عدنان قال ابن دحية اجمع العلماء
والاجماع حجة علي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم انما انتسب الي عدنان ولم يتجاوزه انتهي
ولله در القايل ونسبة عز هاشم من اصولها ومحمدها المرضي الكريم محمد
حمت رتبة عليا اعظم بقدرها ولم تسم الا بالنبي محمد
وكم اب قد علا بابن ذري شرف كما علت برسول الله عدنان
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلي الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يتجاوز معد

Copyright King Saud University

ابن عدنان ثم عك ويقول كذب النسابون مرتين او ثلاثا رواه في مسند الفردوس
لكن قال السهيلي الاصح في هذا الحديث انه من قول ابن مسعود وقال غيره كان ابن
مسعود اذا قرا قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب
ونفى الله علمها عن العباد وروي عن عمر انه قال انما ننتسب الى عدنان وما فوق ذلك
لا ندري ما هو وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون
ابا لا يعرفون وقال عروة بن الزبير ما وجدنا احدا يعرف بعد معد بن عدنان وسئل
مالك رحمه الله تعالى عن الرجل يرفع نسبه الى ادم فكره ذلك وقال من اخبره ذلك
وكذا اروي عنه في رفع نسب الانبيا عليهم الصلاة والسلام فالذي ينبغي لنا الاعراض
عما فوق عدنان لما فيه من التخليط والتغيير للالفاظ وعواصة تلك الاسامي قلة
الفايدة وقد ذكر الحافظ ابو سعد النيسابوري عن ابي بكر بن مريم عن سعيد بن
عمرو الانصاري عن ابيه عن كعب الاحبار ان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما صار الى عبد المطلب وادرك نام يوما في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسي حلة
البها والجمال فبقي متحيرا لا يدري من فعل به ذلك فاخذه ابوه بيده ثم انطلق به
الى كهنة قريش فاخبرهم بذلك فقالوا له اعلم ان اله السموات قد اذن لهذا الغلام ان
يتزوج فزوجه قيلة فولدت له الحارث ثم ماتت فزوجه بعدها هند بنت عمرو
وكان عبد المطلب يفوح منه رايحة المسك الاذفر ونور رسول الله صلى الله عليه وسلم
يضي في غرته وكانت قريش اذا اصابها قحط تاخذ بيد عبد المطلب فتخرج به الى جبل
ثبير فيتقربون به الى الله تعالى ويسالونه ان يسقيهم الغيث فكان الله يغيثهم
ويسقيهم ببركة نور محمد صلى الله عليه وسلم غيثا عظيما ولما قدم ابرهة ملك اليمن
من قبل اصحمة النجاشي لهدم بيت الله الحرام وبلغ عبد المطلب ذلك قال يا معشر
قريش لا يصل الى هدم البيت لان لهذا البيت ربا يحميه ويحفظه ثم جا ابرهة فاستاق ابل
قريش وغنمها وكان لعبد المطلب فيها اربعماية ناقة ثم ركب عبد المطلب في قريش حتى
طلع جبل ثبير فاستدارت دايرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبينه كالهلال
واشتد شعاعها على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبد المطلب الى ذلك قال يا معشر قريش
ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا النور مني الا ان يكون الظفر لنا
فرجعوا متفرقين ثم ان ابرهة ارسل رجلا من قومه ليهزم الجيش فلما دخل مكة ونظر
الى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور
الثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا
انه لما حضر عبد المطلب عند ابرهة امر بسايس فيله الابيض العظيم الذي كان
للملك ابرهة كالسجد ساير الفيلة ان يحضره بين يديه فلما نظر الفيل الى وجه عبد

Copyright © King Saud University

النعهود

المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وانطق الله تعالى الفيل الى وجه عبد المطلب فقال
السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب كذا في المنتقى ولما دخل جيش ابرهة
ومعهم الفيل لهدم الكعبة الشريفة برك الفيل فضربوه في راسه ضربا شديدا ليقوم
فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام ثم ارسل الله عليهم طيرا ابابيل من البحر مع كل طاير
منها ثلاثة احجار حجر في منقاره وحجران في رجليه كامثال العدس لا تصيب احدا منهم الا
اهلكته فخرجوا هاربين يبتدرون الطريق واصيب ابرهة في جسده بدا ء فتساقطت
انامله انملة انملة وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى انصدع قلبه والى
هذه القصة اشار سبحانه وتعالى بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم الم تر كيف فعل
ربك باصحاب الفيل السورة الى اخرها فان قلت لم قال الله تعالى له عليه الصلاة والسلام
الم تر كيف مع ان هذه القصة كانت قبل البعثة بزمان طويل فالجواب ان المراد من
الروية هنا العلم والتذكر وهو اشارة الى ان الخبر به متواتر فكان العلم الحاصل به ضروريا
مساويا في القوة للروية وقد كانت هذه القصة دالة على شرف سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم وتاسيسا لنبوته وارهاصا لها واعزازا لقومه بما ظهر عليهم
من الايات حتى دانت لهم العرب واعتقدت شرفهم وفضلهم على ساير الناس بحماية
الله عز وجل لهم ودفعه عنهم مكر ابرهة الذي لم يكن لساير العرب بقتاله قدرة
وكان ذلك كله ارهاصا لنبوته عليه الصلاة والسلام قال الرازي مذهبنا انه يجوز
تقدم المعجزة على زمن البعثة تاسيسا قال ولذلك كانت الغمامة تظله عليه
الصلاة والسلام يعني قبل بعثته وخالفه العلامة السيد في شرح المواقف تبعا
لغيره فاشترط في المعجزات ان لا تتقدم على الدعوى بل تكون مقارنة لها كما سياتي ان شا الله تعالى
في المقصد الرابع فان قلت ان الحجاج خرب الكعبة ولم يحدث شي من ذلك فالجواب ان ذلك
وقع ارهاصا لامر نبينا صلى الله عليه وسلم والارهاص انما يحتاج اليه قبل قدومه فلما ظهر
عليه الصلاة والسلام وتاكدت نبوته بالدلايل القطعية فلا حاجة الى شي من ذلك والله اعلم
ولما فرج الله عن عبد المطلب ورجع ابرهة خايبا بينما هو يوما نايم في الحجر اذ راى
مناما عظيما فانتبه فزعا مرعوبا واتى كهنة قريش وقص عليهم روياه فقالت له الكهنة
ان صدقت روياك ليخرجن من ظهرك من يومن به اهل السموات والارض وليكونن
في الناس علما مبينا فتزوج فاطمة فحملت في ذلك الوقت بعبد الله الذبيح وقصته في
ذبحه مشهورة مخرجة عند الرواة مسطورة وكان سببها حفر ابيه عبد المطلب
زمزم لان الجرهمي عمرو بن الحارث لما احدث قومه بحرم الله الحوادث وقيض الله لهم
من اخرجهم من مكة فعمد عمرو الى نفايس فجعلها في زمزم وبالغ في طمها وفر الى اليمن
بقومه فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة الى ان رفعت عنها الحجب برويا
منام راها عبد المطلب دلته على حفرها بامارات عليها فمنعته قريش من ذلك ثم

Copyright © King Saud University

اتاه من السقيا من اداوه فاشتد بذلك بلواه ومعه ولده الحرث ولم يكن له ولد سواه
فنذر لئن جاء عشرة بنين وصاروا له اعوانا ليذبحن احدهم لله قربانا ثم احتفر عبد
المطلب زمزم فكانت له فخرا وعزا فلما تكامل بنوه عشرة وقرت عينه بهم نام ليلة عند
الكعبة المطهرة فراي في المنام قايلا يقول يا عبد المطلب اوف بنذر رب هذا
البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وامر بذبح كبش واطعمه للفقرا والمساكين ثم نام
فراي ان قرب ما هو اكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فراي ان
قرب ما هو اكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا واطعمه للمساكين ثم نام فنودي ان قرب
ما هو اكبر من ذلك فقال وما اكبر من ذلك فقال قرب احد اولادك الذي نذرته
فاغتم غما شديدا وجمع اولاده واخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفا فقالوا نحن نطيعك
فمن تذبح منا فقال لياخذ كل واحد منكم قدحا والقدح سهم بغير نصل ثم ليكتب فيه
اسمه ثم ائتوني به ففعلوا واخذ واقداحهم ودخلوا على هبل وكان في جوف الكعبة وكانوا
يعظمونه ويضربون بالقداح عنده فيستقسمون بها اي يرتضون بما يخرج
لهم ثم يضرب بها القيم الذي لها قال فدفع عبد المطلب الى ذلك القيم القداح وقام
يدعو الله تعالى فخرج على عبد الله وكان احب ولده اليه فقبض عبد المطلب على
يد ولده عبد الله واخذ الشفرة ثم اقبل على اساف ونايلة صنمين عند الكعبة
ليذبحه ويذبح عندهما النسايك فقام اليه سادة قريش فقالوا اما تريد ان تصنع فقال
اوفي بنذري فقالوا لا ندعك ان تذبحه حتى تعذر فيه الى ربك ولين فعلت هذا
لا يزال الرجل ياتي بابنه فيذبحه ويكون سنة وقالوا له انطلق الى فلانة الكاهنة
قيل اسمها قطبة كما ذكره الحافظ عبد الغني في كتاب المبهمات وذكر ابن اسحق
ان اسمها سجاح فلعلها ان تامرك بامر فيه فرج لكم فانطلقوا حتى اتوها بخيبر فقص
عليها عبد المطلب القصة فقالت كم الدية فيكم قالوا عشرة من الابل فقالت
ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها
بالقداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الابل ثم اضربوا ايضا هكذا حتى
يرضى ربكم فاذا خرجت على الابل فانحروها فقد رضي ربكم وتخلص صاحبكم فرجع القوم
الى مكة وقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو فخرجت القداح
على ولده ولم يزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل
فنحرت الابل وتركت لا يصد عنها انسان ولا طاير ولا سبع ولهذا روي عند الزمخشري
في الكشاف انه صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وروى الحاكم في المستدرك عن
معاوية ابن ابي سفيان كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي فقال
يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والما يابسا هلك المال وضاع العيال فعد علي مما
افا الله عليك يا ابن الذبيحين قال فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه الحديث

وإني

وإني سمعته قريبا ان شا الله تعالى يعني بالذبيحين عبد الله واسماعيل بن ابراهيم وان كان
قد ذهب بعض العلما الى ان الذبيح اسحق فان صح هذا فالعرب تجعل العم ابا قال الله تعالى
اخبارا عن بني يعقوب عليهم الصلاة والسلام ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب الموت اذ قال
لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابايك ابراهيم واسماعيل واسحق
فجعل اسماعيل ابا وهو عم ودين حديث معاوية الموعود بسمعته قريبا قال معاوية ان
عبد المطلب لما امر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الامر بها ان ينحر بعض
ولده فاخرجهم فاسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله فاراد ذبحه فمنعه اخواله من بني مخزوم
وقالوا ارض ربك وافد ابنك ففداه بماية ناقة فهو الذبيح الاول واسماعيل الذبيح الثاني
قال ابن القيم ومما يدل على ان الذبيح اسماعيل انه لا ريب ان الذبح كان بمكة ولذلك
جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيرا
بشان اسماعيل وامه واقامة لذكر الله تعالى ومعلوم ان اسماعيل وامه هما اللذان
كانا بمكة دون اسحق وامه ثم قال ولو كان الذبيح بالشام كما يزعم اهل الكتاب ومن
تلقى عنهم لكانت القرابين بالشام لا بمكة وايضا فان الله سمى الذبيح حليما لانه لا احلم ممن
اسلم نفسه للذبح طاعة لربه ولما ذكر اسحق سماه عليما وايضا فان الله اجرى العادة
البشرية ان بكر الاولاد احب الى الوالدين ممن بعده وابراهيم لما سال ربه الولد
ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله تعالى قد اتخذه خليلا والخلة منصب
يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة وان لا يشارك فيها فلما اخذ الولد شعبة من قلب
الوالد جاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل فامر بذبح المحبوب فلما اقدم على
ذبحه وكانت محبة الله اعظم عنده من محبة الولد خلصت الخلة حينيذ من شوايب
المشاركة فلم يبق في الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما هي في العزم وتوطين النفس
وقد حصل المقصود فنسخ الامر وفدي الذبيح وصدق الخليل الرويا انتهى قال
بعضهم ان الذبيح هديت اسماعيل نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا واتى به التفسير والتاويل
ومما ذكره المعافا ابن زكريا ان عمر بن عبد العزيز سال رجلا اسلم من علما اليهود اي
ابني ابراهيم امر بذبحه فقال والله يا امير المومنين ان اليهود ليعلمون انه اسماعيل ولكنهم
يحسدونكم معشر العرب ان يكون اباكم للفضل الذي ذكره الله عنه فهم يجحدون
ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم انتهى فانظر ايها الخليل ما في هذه القصة
من السر الجليل وهو ان الله تعالى يري عباده الجبر بعد الكسر واللطف بعد الشدة
فانه كان عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحشة والغربة والتسليم الى ذبح
الولد الت الى ما الت اليه من جعل اثارهما ومواطي اقدامهما مناسك لعباده
المومنين ومتعبدات لهم الى يوم الدين وهذه سنة الله تعالى فيمن يريد رفعه

من خلقه بعد استضعافه وذله وانكساره وصبره وتلقيه القضا بالرضا قال الله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ذلك فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم وقد استشكل بعض الناس ان عبد المطلب نذر ذبح بنيه اذا بلغوا عشرة وقد كان تزوج هالة بنت وهيب ام ابنه حمزة بعد وفايه بنذره فحمزة والعباس انما ولدا بعد الوفا بنذره وانما كان اولاده عشرة قال السهيلي ولا اشكال في هذا فان جماعة من العلما قالوا كان اعمامه عليه الصلاة والسلام اثني عشر فان صح هذا فلا اشكال في الخبر وان صح قول من قال كانوا عشرة لا يزيدون فالولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لا مجازا فكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفى بنذره ووقع ايضا في بعض السير ان عبد الله كان اصغر بني ابيه عبد المطلب وهو غير معروف ولعل الرواية اصغر بني امه والا فحمزة كان اصغر من عبد الله والعباس اصغر من حمزة وروي عن العباس انه قال اذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن ثلاثة اعوام او نحوها فجي به حتى نظرت اليه وجعلن النسوة يقلن لي قبل اخاك فقبلته فكيف يصح ان يكون عبد الله هو الاصغر لكن رواه البكاي وللرواية وجه وهو ان يكون اصغر ولد ابيه حين اراد ذبحه ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس ولما انصرف عبد الله مع ابيه من نحر الابل مر على امراة من بني اسد ابن عبد العزى وهي عند الكعبة واسمها قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية ويقال رقيقة بنت نوفل فقالت له حين نظرت الى وجهه وكان احسن رجل رأي في قريش لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع علي الان لما رأت في وجهه من نور النبوة ورجت ان تحمل بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فقال لها انا مع ابي ولا استطيع خلافه ولا فراقه وقيل اجابها بقوله

اما الحرام فالممات دونه • والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالامر الذي تبغينه • يحمي الكريم عرضه ودينه

وعند ابي نعيم والخرايطي وابن عساكر من طريق عطا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما خرج عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من تبالة متهودة قد قرات الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرات نور النبوة في وجه عبد الله فقالت وذكر نحوه ثم خرج عبد المطلب حتى اتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته امنة وهي يومئذ افضل امراة من قريش نسبا وموضعا فزعموا انه دخل عليها حين ملكها مكانه فوقع عليها يوم الاثنين ايام منى في شعب ابي طالب عند الجمرة فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها فاتى المراة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها ما لك لا تعرضين علي اليوم ما عرضت بالامس فقالت فارقك النور الذي كان معك بالامس فليس لي بك اليوم حاجة

انما اردت ان يكون النور في فابى الله الا ان يجعله حيث شا ولما حملت امنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر لحمله عجايب ووجد لايجاده غرايب نذكر وانه لما استقرت نطفته الزكية ودرته المحمدية في صدفة امنة القرشية نودي في الملكوت ومعالم الجبروت ان عطروا جوامع القدس الاسنى وبخروا جهات الشرف الاعلى وافرشوا سجادات العبادات في صفف الصفا لصوفية الملايكة المقربين اهل الصدق والوفا فقد انتقل النور المكنون الى بطن امنة ذات العقل الباهر والفخر المصون قد خصها الله تعالى القريب المجيب بهذا السيد المصطفى الحبيب لانها افضل قومها حسبا وانجب وازكاهم اصلا وفرعا واطيب

وقال سهل بن عبد الله التستري فيما رواه الخطيب البغدادي الحافظ لما اراد الله تعالى خلق محمد صلى الله عليه وسلم في بطن امه امنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة امر الله تعالى في تلك الليلة رضوان خازن الجنان ان يفتح الفردوس ونادى مناد في السموات والارض الا ان النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبي الهادي في هذه الليلة يستقر في بطن امه الذي فيه يتم خلقه ويخرج الى الناس بشيرا ونذيرا وفي رواية كعب الاحبار انه نودي تلك الليلة في السما وصفاحها والارض وبقاعها ان النور المكنون الذي منه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقر الليلة في بطن امنة فيا طوبى لها ثم يا طوبى لها واصبحت يومئذ اصنام الدنيا منكوسة وكانت قريش في جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار وجاءهم الرفد من كل جانب فسميت تلك السنة التي حمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح والابتهاج وطوبى الطيب والحسنى والخير والخيرة قاله في القاموس وقال غيره فرح وقرة عين وقال الضحاك غبطة وقال عكرمة نعم وفي الحديث طوبى للشام فان الملايكة باسطة اجنحتها عليها فالمراد بها هنا فعلى من الطيب وغيره ما ذكر لا الجنة ولا الشجرة وفي حديث ابن اسحق ان امنة كانت تحدث انها اتيت حين حملت به صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وقالت ما شعرت باني حملت به ولا وجدت له ثقلا ولا وحما كما تجد النسا الا اني انكرت رفع حيضتي واتاني ات وانا بين النايمة واليقظانة فقال هل شعرت بانك حملت بسيد الانام ثم امهلني حتى اذا دنت ولادتي اتاني فقال لي قولي اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا اخرجه ابو نعيم وغيره عن ابن اسحق وعلقي عليه هذه التميمة قالت فانتبهت وعند راسي صحيفة من ذهب مكتوب فيها هذه النسخة اعيذه بالواحد • من شر كل حاسد • وكل خلق رايد • من قايم وقاعد • عن السبيل حايد • على الفساد جاهد • من نافث او عاقد • وكل خلق مارد • ياخذ بالمراصد • في طرق الموارد • قال الحافظ عبد الرحيم العراقي هكذا ذكر هذه الابيات بعض اهل السير وجعلها من حديث ابن عباس ولا اصل لها انتهى نعم عند البيهقي من حديث ابن اسحاق اعيذه بالواحد من شر كل حاسد من كل بر عاهد وكل عبد رايد يرود غير رايد

احدهم

عطف على ازكاهم

اي بعد وضعه

فانه عبد الحميد الماجد حتى اراه قد اتا المشاهد وعن شداد بن اوس ان رجلا من
بني عامر سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حقيقة امرك قال بدو شاني اني دعوة
ابراهيم وبشرى اخي عيسى واني بكر امي وانها حملت بي كاثقل ما تحمل النسا وجعلت تشتكي
الى صواحباتها ثقل ما تجد ثم ان امي رات في منامها ان الذي في بطنها نور الحديث وفيه
ان امه عليه الصلاة والسلام وجدت الثقل في حمله وفي سائر الاحاديث انها لم تجد ثقلا
وجمع ابو نعيم الحافظ بينهما بان الثقل به كان في ابتدا علوقها والخفة عند استمرار
الحمل بها فيكون على الحالين خارجا عن المعتاد المعروف انتهى وخرج ابو نعيم عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال كان من دلالة حمل امنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل
دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم
ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج اهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا اصبح
منكوسا ومرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك اهل البحار يبشر بعضهم
بعضا وله في كل شهر من شهور حمله ندا في الارض وندا في السما ان ابشروا فقد آن
ان يظهر ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ميمونا مباركا الحديث وهو شديد الضعف
وعن غيره لم يبق في تلك الليلة دار الا اشرقت ولا مكان الا دخله النور ولا دابة الا نطقت
وعن ابي زكريا يحيى بن عائذ بقي صلى الله عليه وسلم في بطن امه تسعة اشهر كملا لا تشكو
وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النسا وكانت تقول والله ما رايت
من حمل هو اخف منه ولا اعظم بركة منه ولم يتم لها من حملها شهران توفي عبد الله وقيل
توفي وهو في المهد قاله الدولابي وعن ابن ابي خيثمة وهو ابن شهرين وقيل وهو
ابن سبعة وقيل وهو ابن ثمانية وعشرين شهرا والراجح المشهور الاول وكان عبد الله
قد رجع ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ومروا بالمدينة يثرب فتخلف عند
اخواله بني عدي بن النجار فاقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم اصحابه مكة سالهم عبد
المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا فبعث اليه الحارث فوجده قد توفي ودفن
في دار النابغة وقيل دفن بالابوا وقالت امنة زوجته ترثيه

عفا جانب البطحا من ال هاشم ** وجاور لحدا خارجا في الغماغم
دعته المنايا دعوة فاجابها ** وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره ** تعاوره اصحابه في التزاحم
فان تك غالته المنايا وريبها ** فقد كان معطا كثير التراحم

ويذكر عن ابن عباس انه لما توفي عبد الله قالت الملائكة الهنا وسيدنا بقي نبيك يتيما
فقال الله تعالى انا له حافظ ونصير وقيل لجعفر الصادق لم يتم النبي صلى الله عليه
وسلم من ابويه قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق نقله عنه ابو حيان في البحر وروى
ابو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت ابي وكان من اوعية العلم قال لما حضرت

ولادة

ولادة امنة قال الله تعالى لملائكته افتحوا ابواب السما كلها وابواب الجنان كلها
والبست الشمس يومئذ نورا عظيما وكان قد اذن الله تعالى تلك السنة لنسا
الدنيا يحملن ذكورا كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم الحديث وهو مطعون فيه
وذكر ابو سعيد عبد الملك النيسابوري في كتابه الكبير كما نقله عنه صاحب
كتاب السعادة والبشرى عن كعب في حديثه الطويل ورواه ابو نعيم من حديث
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كانت امنة تحدث وتقول اتاني آت حين مر
بي من حملي ستة اشهر في المنام فقال لي يا امنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه
فسميه محمدا واكتمي شانك قالت ثم لما اخذني ما ياخذ النسا ولم يعلم بي احد لا ذكر ولا انثى
واني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه فسمعت وجبة عظيمة وامرا
عظيما هالني ثم رايت كان جناح طير ابيض قد مسح على فوادي فذهب عني الرعب
وكل وجع اجده ثم التفت واذا انا بشربة بيضا فتناولتها فاصابني نور عال
ثم رايت نسوة كالنخل طولا كانهن من بنات عبد مناف يحدقن بي فبينا انا
اتعجب واقول واغوثاه من اين علمن بي قال في غير هذه الرواية فقلن لي نحن اسية
امراة فرعون ومريم ابنة عمران وهولا من الحور العين واشتد بي الامر وانا اسمع
الوجبة في كل ساعة اعظم واهول مما تقدم فبينا انا كذلك اذا انا بديباج ابيض
قد مد بين السما والارض واذا قايل يقول خذاه عن اعين الناس قالت ورايت
رجالا قد وقفوا في الهوا بايديهم اباريق من فضة ثم نظرت فاذا انا بقطعة من
الطير قد اقبلت حتى غطت حجري مناقيرها من الزمرد واجنحتها من الياقوت
فكشف الله عن بصري فرايت مشارق الارض ومغاربها ورايت ثلاثة اعلام
مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذني المخاض فوضعت
محمدا صلى الله عليه وسلم فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السما
كالمتضرع المبتهل ثم رايت سحابة بيضا قد اقبلت من السما حتى غشيته فغيبته
عني فسمعت مناديا ينادي طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار
ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون انه سمي فيها الماحي لا يبقى شي من الشرك
الا محي في زمنه ثم تجلت عنه في اسرع وقت الحديث وهو مما تكلم فيه وروى
الخطيب البغدادي بسنده كما ذكره صاحب السعادة والبشرى ايضا ان امنة
قالت لما وضعته عليه الصلاة والسلام رايت سحابة عظيمة لها نور اسمع فيها صهيل
الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عني فسمعت مناديا ينادي
طوفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم جميع الارض واعرضوه على كل روحاني من الجن
والانس والملايكة والطيور والوحوش واعطوه خلق ادم ومعرفة شيث وشجاعة نوح
وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل ورضى اسحق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب

Copyright King Saud University

وشدة موسى وصبر ايوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال
ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمسوه في اخلاق النبيين قالت ثم انجلت
عني فاذا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيا شديدا ينبع من تلك الحريرة
ماء واذا قايل يقول بخ بخ قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها لم يبق خلق
من اهلها الا دخل طايعا في قبضته قالت ثم نظرت اليه واذا به كالقمر ليلة البدر
وريحه يسطع كالمسك الاذفر واذا بثلاثة نفر في يد احدهم ابريق من فضة وفي
يد الثاني طست من زمرد اخضر وفي يد الثالث حريرة بيضا فنشرها فاخرج منها خاتما
تحار ابصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الابريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم
ولفه بالحريرة ثم احتمله فادخله بين اجنحته ساعة ثم رده اليّ وروى الحافظ
ابو بكر بن عايذ في كتابه المولد كما نقله عنه الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح بردة
المديح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما ولد صلى الله عليه وسلم قال في اذنه رضوان
خازن الجنان ابشر يا محمد فما بقي لنبي علم الا وقد اعطيته فانت اكثرهم علما واشجعهم
قلبا وروى محمد بن سعد من حديث جماعة منهم عطا وابن عباس رضي الله تعالى عنهم
ان امنة بنت وهب قالت لما فصل مني تعني النبي صلى الله عليه وسلم خرج معه نور اضاء له
ما بين المشرق والمغرب ثم وقع الى الارض معتمدا على يديه ثم اخذ قبضة من التراب
فقبضها ورفع راسه الى السما وروى الطبراني انه لما وقع الى الارض وقع مقبوضة
اصابع يده مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وروى عن عثمان بن ابي العاص عن امه ام
عثمان الثقفية واسمها فاطمة بنت عبد الله قالت لما حضرت ولادة رسول الله
صلى الله عليه وسلم رايت البيت حين وقع قد امتلا نورا ورايت النجوم تدنو
حتى ظننت انها ستقع علي رواه البيهقي واخرج احمد والبزار والطبراني والحاكم
والبيهقي عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اني عبد الله وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وساخبركم عن ذلك اني
دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى ورويا امي التي رات وكذلك امهات الانبياء يرين
وان ام رسول الله صلى الله عليه وسلم رات حين وضعته نورا اضاءت له قصور الشام حتى
قال الحافظ ابن حجر صححه ابن حبان والحاكم واخرج ابو نعيم عن عطا بن يسار عن ام
سلمة عن امنة قالت رايت ليلة وضعته نورا اضاءت له قصور الشام حتى رايتها واخرج
ايضا عن بريدة عن مرضعته في بني سعد ان امنة قالت رايت كانه خرج من
فرجي شهاب اضاءت له الارض حتى رايت قصور الشام وعن هام بن يحيى عن اسحاق
ابن عبد الله ان ام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجي
نور اضاءت له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر رواه ابن سعد والى هذا
اشار العباس بن عبد المطلب في شعره حين قال

وانت لما ولدت اشرقت الارض * وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور * وسبل الرشاد نخترق

قال في اللطائف وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ان ما يجي به من النور الذي
اهتدى به اهل الارض وزال به ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات
الى النور باذنه الاية ولما اضاءت قصور بصرى بالنور الذي خرج معه فهو
اشارة الى ما خص الشام من نور نبوته فانها دار ملكه كما ذكر كعب ان في الكتب السالفة
محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجره بيثرب وملكه بالشام فمن مكة بدت نبوة
نبينا عليه الصلاة والسلام والى الشام انتهى ملكه ولهذا اسري به صلى الله عليه وسلم
الى الشام الى بيت المقدس كما هاجر قبله ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى الشام وبها
ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وهي ارض المحشر والمنشر وخرج احمد
وابو داود وابن حبان والحاكم في صحيحيهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
عليكم بالشام فانها خيرة الله من ارضه يجتبي اليها خيرته من عباده انتهى ملخصا
واخرج ابو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف عن امه الشفا قالت لما ولدت امنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل فسمعت قايلا يقول رحمك الله قالت
الشفا فاضا لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الروم قالت ثم
البسته واضجعته فلم انشب ان غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عني
فسمعت قايلا يقول اين ذهبت به قال الى المشرق قالت فلم يزل الحديث مني
على بال حتى ابتعثه الله وكنت في اول الناس اسلاما ومن عجايب ولادته صلى الله
عليه وسلم ما اخرجه البيهقي وابو نعيم عن حسان بن ثابت قال اني لغلام ابن
سبع سنين او ثمان اعقل ما رايت وسمعت اذا يهودي يصرخ ذات غداة
يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وانا اسمع قالوا ويلك ما لك قال طلع نجم احمد الذي
ولد به في هذه الليلة وعن عايشة قالت كان يهودي قد سكن مكة فلما كانت
الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل
ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال انظروا فانه ولد في هذه الليلة نبي هذه
الامة بين كتفيه علامة فانصرفوا فسالوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب
غلام فذهب اليهودي معهم الى امه فاخرجته لهم فلما راى اليهودي العلامة خر
مغشيا عليه وقال ذهبت النبوة من بني اسرايل يا معشر قريش اما والله
ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب رواه يعقوب ابن
سفيان باسناد حسن كما قاله في فتح الباري ومن عجايب ولادته ايضا ما روي
من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط اربعة عشر شرافة من شرفاته وغيض بحيرة

طبريه وخمود نار فارس وكان لها الف عام اخمد كما رواه البيهقي وابو نعيم والخرائطي
في الهواتف وابن عساكر وفي سقوط الاربعة عشر شرافة اشارة الى انه يملك منهم
ملوك وملكات بعدد الشرفات وقد ملك منهم في اربع سنين عشرة ذكره ابن ظفر
وزاد ابن سيد الناس وملك الباقون الى خلافة عثمن رضي الله عنه ومن ذلك ايضا
ما وقع من زيادة حراسة السما بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم من استراق
السمع ولقد احسن السفراطيسي حيث قال

ضاءت لمولده الافاق واتصلت ... بشرى الهواتف في الاشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قواعده ... وانقض منكسر الارجاء ذا ميل
ونار فارس لم توقد وما خمدت ... مذ الف عام ونهر القوم لم يسل
خرت لمبعثه الاوثان وانبعثت ... ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل

الاصنام

وولد صلى الله عليه وسلم معذورا اي مختونا مسرورا اي مقطوع السرة كما روي
من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم عند ابن عساكر وروى الطبراني
في الاوسط وابو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق عن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سوءتي وصححه الضيا في المختارة
وعن ابن عمر قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا مختونا رواه ابن عساكر وقال
الحاكم في المستدرك تواترت الاخبار انه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا انتهى وتعقبه
الحافظ الذهبي فقال لا اعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا واجيب باحتمال ان يكون
اراد بتواتر الاخبار اشتهارها وكثرتها في السير لا من طريق السند المصطلح عليه عند ائمة
الحديث ولكن قد حكى الحافظ زين الدين العراقي ان الكمال بن العديم ضعف
احاديث كونه ولد مختونا فقال انه لا يثبت في هذا شي من ذلك وانكره عليه وبه صرح
ابن القيم ثم قال ليس هذا من خصائصه فان كثيرا من الناس ولد مختونا وحكى الحافظ
ابن حجر ان العرب تزعم ان الغلام اذا ولد في القمر فسخت قلفته اي اتسعت فيصير
كالمختون وفي الوشاح لابن دريد قال ابن الكلبي بلغنا ان ادم خلق مختونا واثنى عشر
نبيا من بعده خلقوا مختونين اخرهم محمد صلى الله عليه وسلم شيث وادريس
ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وسليمان وشعيب ويحيى وهود وصالح
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وفي هذه العبارة تجوز لان الختان هو القطع
وهو غير ظاهر لان الله تعالى يوجد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع فيحمل الكلام
باعتبار انه على صفة المقطوع وقد حصل من الخلاف في ختانه ثلاثة اقوال احدها
انه ولد مختونا كما تقدم الثاني انه ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه وصنع
له مادبة وسماه محمدا رواه الوليد بن مسلم بسنده الى ابن عباس وحكاه ابن عبد
البر في التمهيد الثالث انه ختن عند حليمة كما ذكره ابن القيم والدمياطي ومغلطاي

وقال

وقالا ان جبريل عليه الصلاة والسلام ختنه حين طهر قلبه وكذا اخرجه الطبراني
في الاوسط وابو نعيم من حديث ابي بكرة قال الذهبي وهذا منكر واعلم ان الختان هو
قطع القلفة التي تغطي الحشفة من الرجل وقطع بعض الجلدة التي في اعلا الفرج
من المراة ويسمى ختان الرجل اعذارا بالعين المهملة والذال المعجمة والرا وختان
المراة خفاضا بالخا المعجمة والفا والضاد المعجمة ايضا واختلف العلما هل هو
واجب فذهب الشعبي الى انه سنة وليس بواجب وهو قول مالك وابي حنيفة
وبعض اصحاب الشافعي وذهب الشافعي الى وجوبه وهو مقتضى قول سحنون
من المالكية وذهب بعض اصحاب الشافعي انه واجب في حق الرجال سنة
في حق النسا واحتج من قال انه سنة بحديث ابي المليح بن اسامة عن ابيه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال الختان سنة للرجال مكرمة للنسا رواه احمد في
مسنده والبيهقي واجاب من اوجبه بانه ليس المراد بالسنة هنا خلاف الواجب
بل المراد به الطريقة واحتجوا على وجوبه بقوله تعالى ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا
وثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اختتن ابرهيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم
وبما روى ابو داود من قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي اسلم الق عنك شعر
الكفر واختتن واحتج القفال لوجوبه بان بقا القلفة يحبس النجاسة ويمنع صحة
الصلاة فيجب ازالتها وقال الفخر الرازي الحكمة في الختان ان الحشفة قوية
الحس فما دامت مستورة بالقلفة تقوى اللذة عند المباشرة فاذا انقطعت
القلفة تصلبت الحشفة فضعفت اللذة وهو اللايق بشريعتنا تقليلا
للذة لا تعطيلها كما تفعل المانوية فذلك افراط وابقا القلفة
تفريط فالعدل الختان انتهى فاذا قلنا بوجوب الختان فمحل الوجوب
بعد البلوغ على الصحيح من مذهبنا لما روى البخاري في صحيحه عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه سئل مثل من انت حين قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال وانا يوميذ مختون وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك وقال
بعض اصحابنا يجب على الولي ان يختن الصبي قبل البلوغ والله اعلم
وقد اختلف في عام ولادته صلى الله عليه وسلم فالاكثرون على انه عام الفيل وبه
قال ابن عباس ومن العلما من حكى الاتفاق عليه وقال كل قول يخالفه
وهم والمشهور انه ولد بعد الفيل بخمسين يوما واليه ذهب السهيلي
في جماعة وقيل بعده بخمس وخمسين يوما وحكاه الدمياطي في اخرين وقيل
بشهر وقيل باربعين يوما وقيل بعد الفيل بعشر سنين وقيل قبل الفيل
بخمس عشرة سنة وقيل غير ذلك والمشهور انه بعد الفيل لان قصة

الفيل كانت توطية لنبوته وتقدمة لظهوره وبعثته والا فاصحاب الفيل كما قاله ابن القيم كانوا
نصارى اهل كتاب وكان دينهم خيرا من دين اهل مكة اذ ذاك لانهم كانوا عبادا اوثان فنصرهم
الله على اهل الكتاب نصرا لا صنع للبشر فيه ارهاصا وتقدمة للنبي الذي خرج من مكة
وتعظيما للبلد الحرام واختلف ايضا في الشهر الذي ولد فيه والمشهور انه ولد في شهر ربيع
الاول وهو قول جمهور العلماء ونقل ابن الجوزي الاتفاق عليه وفيه نظر فقد قيل في
صفر وقيل في ربيع الاخر وقيل في رجب ولا يصح وقيل في شهر رمضان وروي عن ابن عمر
باسناد لا يصح وهو موافق لمن قال انه امه حملت به في ايام التشريق واغرب من قال
ولد في عاشورا وكذا اختلف ايضا في اي يوم من الشهر فقيل انه غير معين منه فقيل
لليلتين خلتا منه وقيل لثمان خلت منه قال الشيخ قطب الدين القسطلاني وهو
اختيار اكثر اهل الحديث ونقل عن ابن عباس وجبير ابن مطعم وهو اختيار اكثر من له معرفة
بهذا الشان واختاره الحميدي وشيخه ابن حزم وحكى القضاعي في عيون المعارف اجماع
اهل التاريخ على ذلك عليه ورواه التجاري الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم وكان
عارفا بالنسب وايام العرب اخذ ذلك عن ابيه جبير وقيل لعشر وقيل لاثني عشرة
وعليه عمل اهل مكة في زيارة موضع مولده في هذا الوقت وقيل لسبع عشرة وقيل
لثمان عشرة وقيل لثمان بقين منه وقيل ان هذين القولين غير صحيح عمن حكيا عنه
بالكلية والمشهور انه ولد ثاني عشر ربيع الاول وهو قول ابن اسحاق وغيره وانما
كان في شهر ربيع على الصحيح ولم يكن في المحرم ولا في رجب ولا في رمضان ولا غيرها
من الاشهر ذوات الشرف لانه صلى الله عليه وسلم لا يتشرف بالزمان وانما يتشرف
الزمان به كالاماكن فلو ولد في شهر من الشهور المذكورة لتوهم انه تشرف بها فجعل الله
مولده في غيرها ليظهر عنايته به وكرامته عليه واذا كان يوم الجمعة الذي خلق فيه ادم
عليه الصلاة والسلام خص بساعة لا يصادفها عبد مسلم يسال الله فيها خيرا الا
اعطاه اياه فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيد المرسلين ولم يجعل الله تعالى في يوم
الاثنين يوم مولده عليه الصلاة والسلام من التكليف بالعبادات ما جعل في يوم الجمعة
المخلوق فيه ادم من الجمعة والخطبة وغير ذلك اكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم بالتخفيف
عن امته بسبب عناية وجوده قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ومن جملة
ذلك عدم التكليف واختلف ايضا في الوقت الذي ولد فيه والمشهور انه يوم
الاثنين فعن قتادة الانصاري انه صلى الله عليه وسلم سيل عن صيام يوم الاثنين
فقال ذاك يوم ولدت فيه وانزلت علي فيه النبوة رواه مسلم وهذا يدل على انه
صلى الله عليه وسلم ولد نهارا وفي المسند عن ابن عباس قال ولد صلى الله عليه وسلم
يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين
ودخل المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين انتهى وكذا فتح مكة ونزول

سورة

سورة المايدة يوم الاثنين وقيل روي انه ولد عند طلوع الفجر فعن عبد الله بن
عمرو بن العاصي قال كان بمر الظهران راهب يسمى عيصى من اهل الشام وكان
يقول يوشك ان يولد فيكم يا اهل مكة مولود تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه
وكان لا يولد بمكة مولود الا يسال عنه فلما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى اتى عيصا فناداه فاشرف عليه فقال
له عيصى كن اباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت احدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث
يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين قال ولد الليلة مع الصبح مولود قال فاسميتم
قال محمدا قال والله لقد كنت اشتهي ان يكون هذا المولود فيكم اهل هذا البيت
بثلاث خصال نعرفه فقد اتى عليهن منها انه طلع نجمه البارحة وانه ولد اليوم
وان اسمه محمد رواه ابو جعفر بن ابي شيبة وخرجه ابو نعيم في الدلايل
بسند فيه ضعف وقيل كان مولده صلى الله عليه وسلم عند طلوع الغفر
وهو ثلاثة انجم صغار ينزلها القمر وهو منزل مولد النبيين ووافق ذلك
من الشهور الشمسية نيسان وهو برج الحمل وكان لعشرين مضت منه
وقيل ولد ليلا فعن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت كان بمكة يهودي
يتجر فيها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلمه قال ولد الليلة
نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كانهن عرف
فرس فخرجوا باليهودي حتى ادخلوه على امه فقالوا اخرجي لنا ابنك فاخرجته
وكشفوا عن ظهره فراى تلك الشامة فوقع اليهودي مغشيا عليه فلما افاق
قالوا ما لك ويلك قال ذهبت والله النبوة من بني اسرايل رواه الحاكم قال
الشيخ بدر الدين الزركشي الصحيح ان ولادته صلى الله عليه وسلم كانت نهارا
قال واما ما روي من تدلي النجوم فضعفه ابن دحية لاقتضايه ان الولادة ليلا
قال وهذا لا يصلح ان يكون تعليلا فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان
تسقط النجوم نهارا انتهى فان قلت اذا قلنا بانه صلى الله عليه وسلم ولد ليلا
فايما افضل ليلة القدر او ليلة مولده صلى الله عليه وسلم اجيب بان ليلة
مولده عليه الصلاة والسلام افضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة احدها ان
ليلة المولد ليلة ظهوره عليه الصلاة والسلام وليلة القدر معطاة له وما
شرف بظهور ذات المشرف من اجل اشرف مما شرف بسبب ما اعطيه ولا
نزاع في ذلك فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار افضل الثاني ان ليلة القدر شرفت
بنزول الملايكة فيها وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم ومن شرفت
به ليلة المولد افضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الاصح المرتضى فيكون ليلة

Copyright King Saud University

المولد افضل الثالث ان ليلة القدر وقع التفضيل فيها على امة محمد صلى الله عليه
وسلم وليلة المولد الشريف وقع التفضيل فيها على سائر الموجودات فهو الذي بعثه الله
رحمة للعالمين فعمت به النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد اعم نفعا وكانت
افضل فيا شهرا ما اشرفه واوفر حرمة لياليه كانها لآلي في العقود ويا وجها ما اشرفه
من مولود ضحيان من جعل مولده للقلوب ربيعا وحسنه بديعا

يقول لنا لسان شرح الحال منه ‡ وقول الحق يعذب للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي ‡ ربيع في ربيع في ربيع

واختلف ايضا في مدة الحمل به صلى الله عليه وسلم فقيل تسعة اشهر وقيل عشرة وقيل
ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة وولد صلى الله عليه وسلم في الدار التي كانت لمحمد
ابن يوسف اخي الحجاج ويقال بالشعب ويقال بالردم ويقال بعسفان وارضعته
صلى الله عليه وسلم ثويبة عتيقة ابي لهب اعتقها حين بشرته بولادته عليه
الصلاة والسلام صلى الله عليه وسلم وقد رؤي ابو لهب بعد موته في النوم فقيل له
ما حالك فقال في النار الا انه خفف عني كل ليلة اثنين وامص من بين اصبعي هاتين
ماء واشار برأس اصبعيه وان ذلك باعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صلى
الله عليه وسلم وبارضاعها له قال ابن الجزري فاذا كان هذا ابو لهب الكافر
الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم
به فما حال المسلم الموحد من امته صلى الله عليه وسلم يبشر بمولده ويبذل ما تصل اليه
قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم لعمري انما يكون جزاؤه من الله الكريم ان
يدخله بفضله العميم جنات النعيم ولا زال اهل الاسلام يحتفلون بشهر مولده عليه
الصلاة والسلام ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بانواع الصدقات ويظهرون السرور
ويزيدون في المبرات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم
ومما جرب من خواصه انه امان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام فرحم
الله امرا اتخذ ليالي شهر مولده المبارك اعيادا ليكون اشد علة على من في قلبه مرض وعناد
ولقد اطنب ابن الحاج في المدخل في الانكار على ما احدثه الناس من البدع والاهواء والغناء
بالآلات المحرمة عند عمل المولد الشريف فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل ويسلك بنا
سبيل السنة فانه حسبنا ونعم الوكيل وقد ذكروا انه لما ولد صلى الله عليه وسلم قيل من يكفل
هذه الدرة اليتيمة التي لا يوجد لمثلها قيمة قالت الطيور نحن نكفله ونغتنم خدمته
العظيمة وقالت الوحوش نحن اولى بذلك ننال شرفه وتعظيمه فنادى لسان القدرة
ان يا جميع المخلوقات ان الله تعالى قد كتب في سابق حكمته القديمة ان نبيه الكريم
يكون رضيعا لحليمة الحليمة قالت حليمة فيما رواه ابن اسحق وابن راهويه وابو
يعلى والطبراني والبيهقي وابو نعيم قدمت مكة في نسوة من بني سعد ابن بكر

نلتمس الرضعاء في سنة شهباء فقدمت على اتان لي ومعي صبي لنا وشارف لنا والله
ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا ذلك اجمع مع صبينا ذاك ولا نجد في ثديي ما يغنيه ولا
في شارفنا ما يغذيه فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة الا وقد عرض عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قيل يتيم تركناه فوالله ما بقي من صواحبي امرأة الا اخذت رضيعا
غيري فلما لم اجد غيره قلت لزوجي والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحبي ليس
معي رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فاذا به مدرج في ثوب
صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقد على قفاه
يغط فاشفقت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت
يدي على صدره فتبسم ضاحكا ففتح عينيه ينظر الي فخرج من عينيه نور حتى
دخل خلال السماء وانا انظر فقبلته بين عينيه واعطيته ثديي الايمن فاقبل
عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فابى وكانت تلك حاله بعد قال اهل العلم اعلمه
الله تعالى ان له شريكا فالهمه العدل قالت فروي وروي اخوه ثم اخذته فما
هو الا ان جئت به رحلي فقام صاحبي تعني زوجها الى شارفنا تلك فاذا بها حافل فحلب
ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فقال صاحبي يا حليمة اني لاراك قد
اخذت نسمة مباركة الم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين اخذناه فلم
يزل الله يزيدنا خيرا قال في رواية ذكرها ابن ظفر بالمنطق المفهوم فلما نظر
صاحبي الى هذا قال لي اسكتي واكتمي امرك فمن ليلة ولد هذا الغلام اصبحت الاحبار
قياما على اقدامها لا يهنأها عيش النهار ولا نوم الليل قالت حليمة فودع الناس
بعضهم بعضا وودعت انا ام النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركبت اتاني واخذت محمدا صلى
الله عليه وسلم بين يدي قالت فنظرت الى الاتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث
سجدات ورفعت راسها الى السماء ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا
معي وصار الناس يتعجبون مني ويقلن النساء وهن وراءي يا بنت ابي ذؤيب اهذه
اتانك التي كنت عليها وانت جائية معنا تخفضك طورا وترفعك اخرى فاقول تالله
انها هي فيتعجبن منها ويقلن ان لها لشأنا عظيما قالت فكنت اسمع اتاني تنطق
وتقول والله ان لي لشأنا ثم شأنا بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني بعد هزالي
ويحكن يا نساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من على ظهري على ظهري خاتم
النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين قالت
حليمة فيما ذكره ابن اسحق وغيره ثم قدمنا منازل بني سعد ولا اعلم ارضا من ارض
الله اجدب منها وكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به شباعا لبنا فنحلب ونشرب
وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون
لرعيانهم اسرحوا حيث يسرح راعي غنم بنت ابي ذؤيب فتروح اغنامهم جياعا ما تبض

Copyright King Saud University

بفطرة لبن ويتروح اغنامي شباعا لبنا فلله درها من بركة كثرت بها مواشي حليمة ونمت
وارتفع قدرها به وسمت ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة وتفوز منه بالحسنى
وزيادة لقد بلغت بالهاشمي حليمة * مقاما علا في ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها واخصب ربعها * وقد عم هذا السعد كل بني سعد
قال ابن الطباخ رايت في كتاب الترقيص لابي عبد الله محمد بن المعلا الازدي ان من
شعر حليمة مما كانت ترقص به النبي صلى الله عليه وسلم يا رب اذ اعطيته فابقه
واعله الى العلا وارقه * وادحض اباطيل العدا بحقه
واخرج غيره وكانت الشيما اخته من الرضاعة تحضنه وترقصه وتقول هذا اخي لم
تلده امي وليس من نسل ابي وعمي * فديته من مخول معمي فانمه اللهم فيما تنمي
واخرج البيهقي والصابوني في المائتين والخطيب وابن عساكر في تاريخيهما وابن
طغربك السياقي في النطق المفهوم عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا
رسول الله دعاني للدخول في دينك امارة لنبوتك رايتك في المهد تناغي القمر
وتشير اليه باصبعك فحيث اشرت اليه مال قال اني كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكا
واسمع وجبته حين يسجد تحت العرش قال البيهقي تفرد به احمد بن ابراهيم الحبلي وهو مجهول
وقال الصابوني هذا حديث غريب الاسناد والمتن وهو في المعجزات حسن والمناغاة
المحادثة وقد ناغت الام صبيها لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة وفي فتح الباري
عن سيرة الواقدي انه صلى الله عليه وسلم تكلم في اوايل ما ولد وذكر ابن سبع في الخصايص
ان مهده كان يتحرك بتحريك الملايكة واخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت
حليمة تحدث انها اول ما فطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فقال الله اكبر كبيرا
والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا فلما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم
الحديث وفيه روى ابن سعد وابو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة
لا تدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه فخرج مع اخته الشيما في الظهيرة الى البهم فخرجت
حليمة تطلبه حتى تجده مع اخته فقالت في هذا الحر فقالت اخته يا امه ما وجد اخي حرا
رايت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع الحديث
وكان صلى الله عليه وسلم يشب شبابا لا يشبه الغلمان قالت حليمة فلما فصلته قدمنا
به على امه ونحن احرص شي على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا امه وقلنا لو تركتيه
عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وبا مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به
فوالله انه لبعد مقدمنا بشهرين او ثلاثة مع اخيه من الرضاعة في بهم لنا خلف
بيوتنا جا اخوه يشتد فقال ذاك اخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه
وشقا بطنه فخرجت انا وابوه نشتد نحوه فنجده قايما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه
وقال له اي بني ما شانك قال جاني رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاني فشقا بطني

ثم استخرجا منه شيا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمة لقد
خشيت ان يكون ابني قد اصيب فانطلقي نرده الى اهله قبل ان يظهر به ما نتخوف
قالت حليمة فاحتملناه حتى قدمنا به الى امه فقالت ما ردكما به فقد كنتما حريصين
عليه قلنا نخشى عليه الاتلاف والاحداث فقالت ما ذاك بكما فاصدقاني شانكما فلم
تدعنا حتى اخبرناها خبره قال اخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان
عليه سبيل وانه لكاين لابني هذا شان فدعاه عنكما وفي حديث شداد ابن اوس
عن رجل من بني عامر عند ابي يعلى وابي نعيم وابن عساكر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كنت مسترضعا في بني ليث ابن بكر فبينا انا ذات يوم في بطن
واد مع اتراب لي من الصبيان اذا انا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملآن ثلجا
فاخذوني من بين اصحابي وانطلق الصبيان هرابا مسرعين الى الحي فعمد احدهم
فاضجعني على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدري الى منتهى
عانتي وانا انظر اليه لم اجد لذلك مسا ثم اخرج احشا بطني ثم غسلها بذلك
الثلج فانعم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح ثم ادخل يده في
جوفي واخرج قلبي وانا انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سودا فرمى بها ثم قال
بيده يمنة ويسرة كانه يتناول شيا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه
فختم به قلبي فامتلا نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد
ذلك الخاتم في قلبي دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فامر يده بين مفرق صدري
الى منتهى عانتي فالتام ذلك الشق باذن الله تعالى ثم اخذ بيدي فانهضني
من مكاني انهاضا لطيفا ثم قال للاول زنه بعشرة من امته فوزنوني بهم
فرجحتهم ثم قال زنه بماية من امته فرجحتهم قال زنه بالف فرجحتهم فقال دعوه
فلو وزنتموه بامته كلها لرجحهم ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين
عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك
الحديث وفي رواية ابن عباس عند البيهقي قالت حليمة اذا انا بابني ضمرة يعدو
فزعا وجبينه يرشح باكيا ينادي يا ابه يا اماه الحقا محمدا فما تلحقاه الا ميتا اتاه رجل فاختطفه
من اوساطنا وعلا به ذروة الجبل حتى شق صدره الى عانته وفيه انه عليه الصلاة
والسلام قال اتاني رهط ثلاثة بيد احدهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست
من زمردة خضرا الحديث فان قلت هل غسل قلبه الشريف في الطست خاص به
او فعل بغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام اجيب بانه ورد في خبر التابوت
والسكينة انه كان فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب الانبيا ذكره الطبري
وعزاه العماد بن كثير في تفسيره لرواية السدي عن ابي مالك عن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما فان قلت ما الحكمة في ختم قلبه المقدس اجيب بانه اشارة الى ختم

Copyright King Saud University

الرسالة به وهذا اسلم ان كان الخاتم خاصا به اما اذا ورد انه ليس خاصا به بل بكل نبي وسياتي
ان شا الله تعالى قريبا اما في الخاتم الشريف من المباحث فيكون الحكمة انه علامة يمتاز بها عن
غيره ممن ليس بنبي والمراد بالوزن في قوله زنه بعشرة الى اخره الوزن الاعتباري فيكون
المراد به الرجحان في الفضل وهو كذلك وفايدة فعل الملكين ذلك ليعلم الرسول عليه
الصلاة والسلام ذلك حتى يخبر به غيره ويعتقد اذ هو من الامور الاعتقادية
وقد وقع شق صدره الشريف مرة اخرى عند مجي جبريل له بالوحي في غار حراء
ومرة اخرى عند الاسرا به وسياتي كل في موضعه ان شا الله تعالى وثبت الشق ايضا
وهو ابن عشر او نحوها مع قصة له مع عبد المطلب وروى ابو نعيم في الدلايل وروى
خامسة ولا يثبت والحكمة في شق صدره الشريف في حال صباه واستخراج العلقة
منه تطهيره عن حالات الصبي حتى يتصف في سن الصبا باوصاف الرجولية وكذلك
نشا على اكمل الاحوال من العصمة صلى الله عليه وسلم وقد روي انه ختم بخاتم النبوة
بين كتفيه وكان ينم مسكا وانه مثل زر الحجلة ذكره البخاري وفي مسلم جمع عليه خيلان
كانها الثاليل السود عند نغض كتفه ويروى عضو وفي تقيد النيسري وفي كتاب
ابي نعيم الايمن وفي مسلم ايضا كبيضة الحمامة وفي صحيح الحاكم شعر مجتمع وفي
البيهقي امثال السلعة وفي الشمايل بضعة ناشزة وفي حديث عمرو بن اخطب كشي يختم به
وفي تاريخ ابن عساكر مثل البندقة وفي الترمذي ودلايل البيهقي كالتفاحة وفي الروض
كاثر المحجمة القابضة على اللحم وفي تاريخ ابن ابي خيثمة شامة خضرا محتفرة في اللحم
وفيه ايضا شامة سودا تضرب الى الصفرة حولها شعرات متراكبات كانها عرف
الفرس وفي تاريخ القضاعي ثلاث شعرات مجتمعات وفي كتاب الترمذي الحكيم كبيضة
حمام مكتوب في باطنها الله وحده لا شريك له وفي ظاهرها توجه حيث كنت فانك
المنصور وفي كتاب المولد لابن عايذ كان نورا يتلالا وفي سيرة ابن ابي عاصم كعذرة
كعذرة الحمام قال ابو ايوب يعني قرطمة الحمامة وفي تاريخ نيسابور مثل البندقة من
لحم مكتوب فيه باللحم محمد رسول الله وعن عايشة كتمة صغيرة تضرب الى
الدهمة وكان مما يلي الفقار قالت فلمسته حين توفي فوجدته قد رفع حكى هذا
كله الحافظ مغلطاي لكن قال في منح الباري ما ذكره من ان الخاتم كاثر الحجم او الخضرا كان
كالشامة السودا او مكتوب عليها محمد رسول الله او سر فانك منصور لم يثبت منها
شي قال ولا يغتر بما وقع في صحيح ابن حبان فانه غفل حيث صح ذلك وقال شيخه
الهيثمي في مجرد الظان بعد ان اورد الحديث ولفظه مثل البندقة من اللحم عليه
مكتوب محمد رسول الله قال الهيثمي اختلط على بعض الرواة خاتم النبوة
بالخاتم الذي كان يختم به وبخط الحافظ ابن حجر على الهامش البعض المذكور هو اسحق
ابن ابراهيم قاضي سمرقند وهو ضعيف وقوله زر الحجلة بالزاي والراء والحجلة

لعله للشامة السودا او ...

بالحا

بالحا المهملة والجيم قال النووي هي واحدة الحجال وهي بيت كالقبة لها ازرار كبار وعرى
هذا هو الصواب وقال بعضهم المراد بالحجلة الطاير المعروف وزرها بيضها واشار
اليه الترمذي وانكره عليه العلما وقوله جمع بضم الجيم واسكان الميم اي كجمع الكف
وهو صورته بعد ان تجمع الاصابع وتضمها وقوله خيلان بكسر الخا المعجمة واسكان التحتانية بعدان
جمع خال وهو الشامة على الجسد وقوله نغض بالنون والغين والضاد المعجمتين
قال النووي النغض والنغض والناغض اعلا الكتف وقيل هو العظم الرقيق على الذي
طرفه وقيل ما يظهر منه عند التحرك وسمي ناغضا لتحركه وقوله بضعة ناشزة بز
بالمعجمة والزاي اي قطعة لحم مرتفعة على جسده وبيضة الحمامة معروفة انتهى
والثاليل بالمثلثة جمع ثولول وهو حب يعلو ظاهر الجسد واحدته كالحمصة
فما دونها وفي القاموس وقرطمة الحمام بكسر القاف نقطتان على اصل منقاره وقال
بعض العلما اختلف اقوال الرواة في خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف بل كل شبهه
بما سنح له وكلها الفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم ومن قال شعر فلان الشعر حوله
متراكم عليه كما في الرواية الاخرى وقال القرطبي الاحاديث الثابتة تدل على
ان خاتم النبوة كان شيا بارزا احمر عند كتفه الايسر اذا قلل قدر بيضة الحمامة واذا
كثر جمع اليد وقال القاضي عياض وهذه الروايات متقاربة متفقة على انه شاخص حض
في جسده قدر بيضة الحمامة وزر الحجلة واما رواية جمع الكف فظاهرها المخالفة
فتتاول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناها على هيئة جمع الكف لكنه اصغر
منه في قدر بيضة الحمامة وقال وهذا الخاتم هو اثر شق الملكين بين كتفيه قال
النووي هذا الذي قاله ضعيف باطل لان شق الملكين انما كان في صدره وبطنه بل
ويشهد له قول انس رضي الله عنه عند مسلم ياتي في ذكر قلبه الشريف من
الفصل الثالث ان شا الله تعالى فلقد كنت ارى اثر المخيط في صدره لكن يجاب
بان في حديث عتبة بن عبد السلمي عند احمد والطبراني ان الملكين لما شقا صدره
قال احدهما للاخر خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة فلما ثبت ان خاتم النبوة
كان بين كتفيه حمل القاضي عياض ذلك على ان الشق لما وقع في صدره ثم خيط
حتى التام كما كان ووقع الختم بين كتفيه كان ذلك اثر الختم وفهم النووي وغيره منه ابدالخاتم
ان قوله بين كتفيه متعلق بالشق وليس كذلك بل هو متعلق باثر الختم ويؤيده
فليس ما قاله القاضي عياض بباطل انتهى وقال السهيلي والصحيح ان
خاتم النبوة كان عند نغض كتفه الايسر واختلف هل ولد وهو به او وضع بعد
ولادته على قولين وقد وقع التصريح بوقت وضع الخاتم وكيف وضع ومن وضعه في
حديث ابي ذر عند البزار وغيره قال قلت يا رسول الله كيف علمت انك نبي وبما
علمت حتى استيقنت قال اتاني اثنان وفي رواية ملكان وانا ببطحا مكة فوقع احدهما

Copyright King Saud University

بالارض وكان الاخر بين السما والارض فقال احدهما لصاحبه اهو هو قال هو هو قال
فزنه برجل الحديث وفيه ثم قال احدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني فاخرج قلبي ثم
فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال احدهما لصاحبه اغسل بطنه
غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء ثم قال احدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطني وجعل
الخاتم بين كتفي كما هو الان وولياعني وكاني ارى الامر معاينة وحكى ابي نعيم في الدلايل انه
صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت امه ان الملك غمسه في الما الذي انبعه ثلاث غمسات
ثم اخرج صرة من حرير ابيض فاذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة المكنونة تضي كالزهرة
وقيل ولد به والله اعلم واخرج الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه قال لم يبعث الله
نبيا الا وقد كان عليه شامة النبوة في يده اليمنى الا ان يكون نبينا صلى الله عليه وسلم
فان شامة النبوة كانت بين كتفيه وعلى هذا فيكون وضع الخاتم بين كتفيه بازاء
قلبه مما اختص به عن ساير الانبيا والله اعلم ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربع سنين وقيل خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل تسع وقيل اثنى عشر سنة وشهرا
وعشرة ايام ماتت امه بالابوا وقيل بشعب ابي ذب بالحجون وفي القاموس ودار رايعة
بمكة فيها مدفن امنة ام النبي صلى الله عليه وسلم واخرج ابن سعد عن ابن عباس
وعن الزهري وعن عاصم بن عمر بن قتادة دخل حديث بعضهم في حديث بعض
قالوا لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به امه الى اخواله
بني عدي ابن النجار بالمدينة تزورهم ومعها ام ايمن فنزلت به دار النابغة فاقامت
به عندهم شهرا وكان صلى الله عليه وسلم يذكر امورا كانت في مقامه ذلك ونظر الى
الدار فقال هاهنا نزلت بي امي واحسنت العوم في بير بني عدي بن النجار وكان
قوم من اليهود يختلفون ينظرون الي قالت ام ايمن فسمعت احدهم يقول هو نبي
هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ثم رجعت به امه الى
مكة فلما كانت بالابوا توفيت وروى ابو نعيم من طريق الزهري عن اسما بنت رهم
عن امها قالت شهدت امنة ام النبي صلى الله عليه وسلم غلام يفع له خمس سنين عند
راسها فنظرت الى وجهه ثم قالت

بارك الله فيك من غلام ... يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام ... فودي غداة الضرب بالسهام
بماية من ابل سوام ... ان صح ما ابصرت في المنام
فانت مبعوث الى الانام ... من عند ذي الجلال والاكرام
تبعث في الحل وفي الحرام ... تبعث في التحقيق والاسلام
دين ابيك البر ابراهام ... فالله انهاك عن الاصنام
ان لا تواليها مع الاقوام

كل حي ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وانا ميتة وذكري باق وقد تركت خيرا

ودلدت

وولدت طهرا ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك
نبكي الفتاة البرة الامينة ... ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد الله والقرينة ... ام نبي الله ذي السكينة
وصاحب المنبر بالمدينة ... صارت لدى حفرتها رهينة

مطلب زيارته صلى الله عليه وسلم قبر امه بالحجون وانها امنت به بعد موتها

وقد ورد ان امنة امنت به صلى الله عليه وسلم بعد موتها روى الطبراني بسند
عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فاقام به ما شا
ربه ثم رجع مسرورا قال سالت ربي عز وجل فاحيا لي امي فامنت بي ثم ردها رواه
ابو حفص ابن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ له بلفظ قالت عايشة حج بنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم
فبكيت لبكايه ثم انه نزل فقال يا حميرا استمسكي فاستندت الى جنب البعير فمكث
مليا ثم عاد الي وهو فرح متبسم فقال ذهبت لقبر امي فسالت ربي ان يحييها فاحياها
فامنت بي وكذا روي من حديث عايشة ايضا احيا ابويه صلى الله عليه وسلم
حتى امنا به اورده السهيلي وكذا الخطيب في السابق واللاحق وقال السهيلي ان في
اسناده مجاهيل وقال ابن كثير انه حديث منكر جدا وسنده مجهول وقال ابن
دحية هذا الحديث الموضوع يرده القران والاجماع انتهى وقد نص بعض العلما بان ابويه
صلى الله عليه وسلم ناجيان وليسا في النار تمسكا بهذا الحديث وغيره وتعقبه
عالم اخر بانه لم ير احدا صرح بان الايمان بعد انقطاع العمل بالموت ينفع صاحبه
فان ادعى احد الخصوصية فعليه الدليل انتهى وقد سبقه لذلك ابو
الخطاب ابن دحية وعبارته من مات كافرا لم ينفعه الايمان بعد الرجعة بل لو
امن عند المعاينة لم ينفعه ذلك فكيف بعد الاعادة انتهى وتعقبه القرطبي
في التذكرة بان فضايله صلى الله عليه وسلم وخصايصه لم تزل تتوالى وتتابع الى حين
مماته فيكون هذا مما فضله الله به واكرمه قال وليس احياوهما وايمانهما ممتنعا عقلا
ولا شرعا فقد ورد في الكتاب العزيز احيا قتيل بني اسراييل واخباره بقاتله وكان عيسى
عليه الصلاة والسلام يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم احيا الله على يديه جماعة
من الموتى واذا ثبت هذا فلا يمتنع ايمانهما بعد احيايهما ويكون ذلك زيادة في كرامته
وفضيلته ثم قال وقوله من مات كافرا الى اخر كلامه مردود بما روي في الخبر ان الله
تعالى رد الشمس على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مغيبها ذكره الطحاوي وقال انه حديث
ثابت فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه لا يتجدد به الوقت لما ردها عليه فكذلك
يكون احيا ابوي النبي صلى الله عليه وسلم نافعا لايمانهما وتصديقهما بالنبي صلى الله
عليه وسلم انتهى وقد طعن بعضهم في حديث رد الشمس كما سياتي ان شا الله تعالى
في مقصد المعجزات وقد تمسك القايل بنجاتهما ايضا بانهما ماتا قبل البعثة في زمن

جزم
قال

الفترة ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال وقد
اطبقت الائمة الاشاعرة من اهل الكلام والاصول والشافعية من الفقهاء على ان
من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا انتهى وقال الامام فخر الدين الرازي في كتابه
اسرار التنزيل ما نصه قيل ان آزر لم يكن والد ابراهيم بل كان عمه واحتجوا عليه
بوجوه منها ان اباء الانبياء ما كانوا كفارا ويدل عليه وجوه منها قوله تعالى الذي
يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قيل معناه انه كان ينقل نوره من ساجد الى
ساجد قال ففيه دلالة على ان جميع اباء محمد صلى الله عليه وسلم كانوا مسلمين قوله صلى
الله عليه وسلم لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال تعالى انما
المشركون نجس فوجب ان لا يكون احد من اجداده مشركا كذا قال وتعقب بانه
لا دلالة في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين على ما ادعاه فقد ذكر البيضاوي في تفسيره
وغيره ان معنى الاية وترددك في تصفح احوال المجتهدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام
الليل طاف عليه الصلاة والسلام تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا
على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله تعالى وقد
ورد النص بان ابا ابراهيم عليه الصلاة والسلام مات على الكفر كما صرح به البيضاوي
وغيره قال تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه واما قوله انه كان عمه فعدول
عن الظاهر من غير دليل انتهى ونقل الامام ابو حيان في البحر عند تفسير قوله
تعالى وتقلبك في الساجدين ان الرافضة هم القائلون ان اباء النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا مؤمنين مستدلين بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين وبقوله صلى الله عليه وسلم
لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الحديث انتهى وروى ابن جرير عن علقمة بن مرثد
عن سليمان بن بريدة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى رسم قبر
فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله انا رأينا ما صنعت قال
اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن
لي فما رئي باكيا اكثر من يومئذ وروى ابن ابي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن مسعود ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما الى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس الى قبر منها فناجاه
طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فدعاه ثم
دعانا فقال ما ابكاكم قلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذي جلست عنده قبر
امنة واني استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي واني استاذنته في الدعاء لها فلم ياذن
لي وانزل علي ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى
فاخذني ما ياخذ الولد للوالد وروى الطبراني من حديث ابن عباس وفيه استاذنت
ربي ان استغفر لامي فلم ياذن لي واستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور
فانها تذكر الاخرة قال القاضي عياض بكاؤه صلى الله عليه وسلم على ما فاتها من

ادراك

ادراك ايامه والايمان به وفي مسلم ايضا ان رجلا قال يا رسول الله اين ابي قال في النار
فلما قفى دعاه فقال ان ابي واباك في النار قال النووي فيه ان من مات على الكفر فهو
في النار ولا تنفعه قرابة المقربين وفيه ان من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب
من عبادة الاوثان فهو في النار وليس في هذا مواخذة قبل بلوغ الدعوة فان هؤلاء
كانت قد بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره من الانبياء وقال الامام فخر الدين من مات
مشركا فهو في النار وان مات قبل البعثة لان المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية
دين ابراهيم واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه وليس معهم حجة من الله به ولم يزل
معلوما من دين الرسل كلهم من اولهم الى اخرهم قبح الشرك والوعيد عليه في النار
واخبار عقوبات الله لاهله متداولة بين الامم قرنا بعد قرن فلله الحجة البالغة
على المشركين في كل وقت وحين ولو لم يكن الا ما فطر الله به عباده عليه من توحيد
ربوبيته وانه يستحيل في كل فطرة وعقل ان يكون معه اله اخر وان كان سبحانه
لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها فلم تزل دعوة الرسل الى التوحيد في الارض
معلومة لاهلها فالمشرك مستحق للعذاب في النار لمخالفته دعوة الرسل وهو مخلد
فيها دائما كخلود اهل الجنة في الجنة انتهى وقد تعقب العلامة ابو عبد الله الابي
من المالكية فيما وضعه على صحيح مسلم قول النووي للماضي وفيه ان من مات في
الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان في النار الى اخره قال معناه قال
ما في كلامه من التنافي فان من بلغتهم الدعوة ليسوا باهل فترة لان اهل الفترة هم
الامم الكائنة بين ازمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول ولم يدركوا ولا ادركوا الثاني
كالاعراب الذين لم يرسل اليهم عيسى عليه الصلاة والسلام ولا لحقوا النبي صلى الله عليه وسلم
والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين كالفترة بين نوح وهود لكن الفقهاء
اذا تكلموا في الفترة فانما يعنون التي بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام وذكر
البخاري عن سلمان انها كانت ستمائة سنة ولما دلت القواطع على انه لا تعذيب حتى
تقوم الحجة علمنا انهم غير معذبين فان قلت قد صحت احاديث بتعذيب اهل
الفترة كحديث رايت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار ورايت صاحب المحجن في
النار وهو الذي يسرق الحاج بمحجنه فاذا ابصر به قال انما تعلق بمحجني اجيب
باجوبة احدها انها اخبار احاد فلا تعارض القطع الثاني قصر التعذيب على هؤلاء
والله اعلم بالسبب الثالث قصر التعذيب المذكور في هذه الاحاديث على من بدل
وغير من اهل الفترة بما لا يعذر به من الضلال كعبادة الاوثان وتغيير الشرائع
فان اهل الفترة ثلاثة اقسام الاول من ادرك التوحيد ببصيرته ثم من هؤلاء من لم
يدخل في شريعة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل ومنهم من دخل في شريعة
حق قائمة الرسم كتبع وقومه من حمير واهل نجران وورقة بن نوفل وعمه عثمان

Copyright King Saud University

ابن الحويرث القسم الثاني من اهل الفترة وهم من بدل وغير فاشرك ولم يوحد وشرع
لنفسه فحلل وحرم وهم الاكثر كعمرو بن لحي اول من سن للعرب عبادة الاصنام وشرع
الاحكام فبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحام وتبعته العرب في
ذلك وغيره مما يطول ذكره القسم الثالث من اهل الفترة وهم من لم يشرك ولم يوحد ولا
دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقي عمره على حال الغفلة
عن هذا كله وفي الجاهلية من كان على ذلك واذا انقسم اهل الفترة الى الثلاثة الاقسام
فيحمل من صح تعذيبه على اهل القسم الثاني لكفرهم بما تعبدوا به من الخبائث والله
تعالى قد سمى جميع هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القران كلما حكى حال احد سجل عليهم
بالكفر والشرك كقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة قال تعالى ولكن الذين
كفروا الاية والقسم الثالث هم اهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين واما القسم الاول كقس
ابن ساعدة وزيد بن عمرو ونحوهما فقال عليه الصلاة والسلام في كل منهما انه يبعث امة وحده
واما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه واهل نجران فحكمهم حكم اهل الدين دخلوا فيه ما لم يلحق احد
منهم الاسلام الناسخ لكل دين انتهى ملخصا وسياتي ما قيل في ورقة في حديث المبعث ان شاء الله
تعالى فهذا ما تيسر من البحث في مسئلة والديه صلى الله عليه وسلم وقد كان الاولى ترك
ذلك والتماحنا اليه ما وقع في المباحثة فيه بين علماء العصر ولقد احسن الحافظ شمس الدين
ابن ناصر الدين بن الدمشقي حيث قال

حبا الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفا
فاحيا امه وكذا اباه ... لايمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ... وان كان الحديث به ضعيفا

من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يوذي النبي صلى الله عليه وسلم لان
العرف جار بانه اذا ذكر ابو الشخص بما ينقصه او وصف بوصف به وذلك الوصف
فيه نقص تأذى ولده بذكره ذلك له عند المخاطبة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا توذوا
الاحياء بسب الاموات رواه الطبراني في الصغير ولا ريب ان اذاه عليه الصلاة والسلام
كفر يقتل فاعله ان لم يتب عندنا وسياتي مباحث ذلك في الخصائص ان شاء الله تعالى
من مقصد المعجزات ولقد لطف بعض العلماء في الاستدلال لايمانهما فلله تعالى
بنبيه على قصده الجميل قال الحافظ ابن حجر في بعض كتبه والظن بآله صلى الله
عليه وسلم يعني الذين ماتوا قبل البعثة انهم يطيعون عند الامتحان اكراما له صلى الله
عليه وسلم لتقر عينه وقال في الاصابة ونحن نرجو ان يدخل عبد المطلب في
جملة من يدخلها طائعا فينجو الا ابا طالب فانه ادرك البعثة ولم يومن وقد كانت
ام ايمن بركة دايته وحاضنته بعد موت امه وكان صلى الله عليه وسلم يقول
لها انت امي بعد امي ومات جده عبد المطلب كافله وله ثمان سنين وقيل

ثمان

ثمان سنين وشهر وعشرة ايام وقيل تسع وقيل عشر وقيل ست وقيل ثلاث وفيه نظر
وله عشر ومائة سنة وقيل مائة واربعون سنة وكفله ابو طالب واسمه عبد مناف
وكان عبد المطلب قد اوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله وقد اخرج ابن عساكر
عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط
الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجن
تجلت عنه سحابة قتماء وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ
باصبعه وما في السماء قزعة فاقبل السحاب من هاهنا وهاهنا واغدق واغدودق
وانفجر له الوادي واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل
يلوذ به الهلاك من ال هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل

والثمال بكسر المثلثة الملجا والغياث وقيل المطعم في الشدة وعصمة للارامل اي
يمنعهم من الضياع والحاجة والارامل المساكين من رجال ونساء ويقال لكل واحد
من الفريقين على انفراده ارامل وهو بالنساء اخص واكثر استعمالا والواحد ارمل وارملة
وهذا البيت من ابيات في قصيدة لابي طالب ذكرها ابن اسحق بطولها وهي اكثر من ثمانين
بيتا قالها لما تمالات قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه من يريد الاسلام اولها

لما رايت القوم لا ود عندهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد جاهرونا بالعداوة والاذى ... وقد طاوعوا امر العدو المزايل
اعبد مناف انتم خير قومكم ... فلا تشركوا في امركم كل واغل
خليلي ما اذني لاول عاذل ... بصغواء في حق ولا عند باطل
ولا شك ان الله رافع امره ... ومعليه في الدنيا ويوم التجادل
كما قد راى في اليوم والامس جده ... ووالده رؤياهما خير آفل
فقد خفت ان لم يصلح الله امركم ... تكونوا كما كانت احاديث وائل
اعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء او ملح بباطل
وثور ومن ارسى ثبيرا مكانه ... وراق ليرقى في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت في بطن مكة ... وبالله ان الله ليس بغافل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ... ولما نطاعن حوله ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن ابنائنا والحلائل

ومعنى نناضل نجادل ونخاصم وندافع ونبزى بضم النون وسكون الموحدة اخره زاي
اي نقهر ونغلب عليه قال ابن التين ان في شعر ابي طالب هذا دليلا على انه كان
يعرف نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة لما اخبره به بحيرا وغيره من شانه
وتعقبه الحافظ ابو الفضل ابن حجر بان ابن اسحق ذكر ان انشاء ابي طالب لهذا الشعر

Copyright ... University

كان بعد البعثة ومعرفة ابي طالب بنبوته صلى الله عليه وسلم جاءت في كثير من الاخبار وتمسك بها
الشيعة في انه كان مسلما قال ورايت لعلي بن حمزة البصري جزءا جمع فيه شعر ابي طالب
وزعم انه كان مسلما وانه مات على الاسلام وان الحشوية تزعم انه مات كافرا واستدل
لدعواه بما لا دلالة فيه انتهى ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة
سنة خرج مع عمه ابي طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب واسمه
جرجيس فعرفه بصفته فقال وهو آخذ بيده هذا سيد العالمين هذا يبعثه
الله رحمة للعالمين فقيل له وما علمك بذلك فقال انكم حين اشرفتم به من العقبة
لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبي واني اعرفه بخاتم النبوة في غضروف
كتفه مثل التفاحة وانا نجده في كتبنا وسال ابا طالب ان يرده خوفا عليه من
اليهود الحديث رواه ابن ابي شيبة وفيه انه صلى الله عليه وسلم اقبل وعليه
غمامة تظله وبحيرا بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء
مقصورة قال الذهبي في تجريد الصحابة راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل البعث وآمن به وذكره ابن منده وابو نعيم في الصحابة وهذا ينبني على تعريفهم
الصحابي بمن راه صلى الله عليه وسلم هل المراد حال النبوة او اعم من ذلك حتى يدخل
من راه قبل النبوة ومات قبلها على دين الحنيفية وهو محل نظر وسياتي البحث فيه
ان شاء الله تعالى في المقصد السابع وخرج الترمذي وحسنه الحاكم وصححه ان في هذه
السفرة اقبل سبعة من الروم يقصدون قتله عليه الصلاة والسلام فاستقبلهم بحيرا
فقال ما جاء بكم قالوا ان هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليها باناس
فقال افرايتم امرا اراد الله ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده قالوا لا قال
فبايعوه واقاموا معه ورده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا فان ابا بكر اذ ذاك لم يكن
متاهلا ولا اشترى بلالا وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة الحديث رجاله ثقات
وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة فتحمل على انها مدرجة فيه منقطعة من حديث
آخر وهما من احد رواته وفي حديث عند البيهقي وابي نعيم ان بحيرا وهو في صومعته
في الركب حين اقبلوا وغمامة بيضاء تظله من بين القوم ثم اقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة
قريبا منه فنظر الى الغمامة حين اظلت الشجرة وتهصرت اغصان الشجرة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها الحديث وفيه ان بحيرا قام فاحتضنه وانه
جعل يساله عن اشياء من حاله من نومه وهيئته واموره ويخبره رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ورأى خاتم النبوة بين كتفيه
على موضعه من صفته التي عنده ونقل ان اخته الشيماء بنت حليمة راته في الظهيرة
وغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت رواه ابو نعيم وابن عساكر وقوله في
القايل اي قال من القيلولة لا من القول يوما ظللته غمامة هي في الحقيقة تحت ظل القايل

ونقل

ونقل الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض اهل المعرفة انه صلى الله عليه وسلم كان
معتدل الحرارة والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد وانه كان في ظل غمامة من اعتدال الله
كذا نقله رحمه الله تعالى واخرج ابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم
وهو ابن ثمان عشرة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وهم يريدون
الشام في تجارة حتى نزل منزلا فيه سدرة فقعد في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب
يقال له بحيرا يساله عن شيء فقال له من الرجل الذي في ظل الشجرة قال محمد
ابن عبد الله بن عبد المطلب قال هذا والله نبي ما استظل تحتها بعد عيسى
الا محمد صلى الله عليه وسلم ووقع في قلب ابي بكر الصديق فلما بعث النبي
صلى الله عليه وسلم اتبعه قال الحافظ ابو الفضل بن حجر في الاصابة ان صحت
هذه القصة فهي سفرة اخرى بعد سفرة ابي طالب انتهى ثم خرج صلى الله عليه
وسلم ثانيا ومعه ميسرة غلام خديجة ابنة خويلد بنت اسد في تجارة لها حتى بلغ
سوق بصرى وقيل سوق حباشة بتهامة وله اذ ذاك خمس وعشرون سنة
لاربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة فنزل تحت ظل شجرة فقال نسطورا الراهب
ما نزل تحت ظل هذه الشجرة الا نبي وفي رواية بعد عيسى وكان ميسرة يرى في الهاجرة
ملكين يظلانه من الشمس ولما رجعوا الى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية
لها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره وملكان يظلان عليه
رواه ابو نعيم وتزوج صلى الله عليه وسلم خديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة
وعشرين يوما وقيل كان سنه احدى وعشرين سنة وقيل ثلاثين سنة وكانت
تدعى في الجاهلية بالطاهرة وكانت تحت ابي هالة بن زرارة التميمي فولدت له
هندا وكان لها حين تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم من العمر اربعون سنة وبعض
اخرى وكانت عرضت نفسها عليه فذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل
على خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها عليه الصلاة والسلام واصدقها عشرين
بكرة وحضر ابو بكر ورؤساء مضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من
ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته
وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان
ابن اخي محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به فان كان في المال قل فان
المال ظل زائل وامر حائل ومحمد من قد عرفتم وقد خطب خديجة بنت خويلد
وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا وهو والله بعد هذا له نبأ
عظيم وخطر جليل تزوجها الضئضئ الاصل وحضنة بيته اي الكافلين له
والقائمين بخدمته وسواس حرمه اي متولوا امره وقد ذكر الدولابي وغيره

Copyright King Saud University

ان النبي صلى الله عليه وسلم اصدق خديجة اثني عشر اوقية ذهبا ونشا قال ابن اسحق
من وجه اباها هو بلد قالوا وكل اوقية اربعون درهما والنش نصف اوقية **ولما**
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة خافت قريش ان تنهدم
الكعبة من السيول فامروا باقوم بموحدة قالق فقاف مضمومة فواو ساكنة
فميم النجار النبطي مولى سعيد بن العاصي وصانع المنبر الشريف بان يبني الكعبة
المعظمة وحضر صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة وكانوا يضعون ازرهم
على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم فلبط به بالموحدة
كعني اي سقط من قيام كما في القاموس ونودي عورتك فكان ذلك اول ما نودي
فقال له ابو طالب او العباس يا ابن اخي اجعل ازارك على راسك فقال ما اصابني
ما اصابني الا من التعري **ولما** بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة
وقيل اربعين يوما وقيل وعشرة ايام وقيل وشهرين يوم الاثنين لسبع عشرة
خلت من شهر رمضان وقيل لسبع وقيل لاربع وعشرين ليلة وقال ابو عبد الله
يوم الاثنين لثمان من ربيع الاول سنة احدى واربعين من الفيل وقيل في اول
ربيع **بعثه** الله رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الثقلين اجمعين ويشهد لبعثته
يوم الاثنين ما رواه مسلم عن ابي قتادة انه صلى الله عليه وسلم سئل عن
يوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه انزل علي **وقال** ابن القيم في الهدي النبوي
واحتج القائلون بانه كان في رمضان بقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه
القرآن قالوا اول ما اكرمه الله بنبوته انزل عليه القرآن **وقال** الاخرون انما
انزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر الى بيت العزة ثم نزل نجوما بحسب
الوقائع في ثلث وعشرين سنة **وقيل** كان ابتدا المبعث في رجب وروى البخاري
في التعبير من حديث عايشة اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الوحي الرويا الصادقة في النوم فكان لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح وكان
ياتي حرا فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع
الى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجاه الحق وهو في غار حرا فجاءه الملك فيه فقال
اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا
فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ الجهد ثم ارسلني فقال اقرا
باسم ربك الذي خلق خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف
بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع
فقال يا خديجة ما لي واخبرها الخبر ثم قال وقد خشيت على نفسي فقالت له كلا ابشر
فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري
الضيف وتعين على نوايب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل

ابن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة اخي ابيها وكان امرا تنصر في
الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب بالعبرانية من الانجيل ما شا
الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة اي ابن عم اسمع من ابن اخيك
فقال ورقة ما ترى فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم ما راى فقال له ورقة
هذا الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني فيها جذعا اكون حيا حين يخرجك
قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم فقال ورقة نعم لم
يات رجل قط بما جيت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا موزرا ثم لم
ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا
حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من روس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل
كي يلقي نفسه منه تبدا له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك
جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى
بذروة جبل تبدا له جبريل فقال له مثل ذلك **وقد** تكلم العلما في معنى قوله
صلى الله عليه وسلم لخديجة قد خشيت على مذهب الاسماعيلي الى ان هذه الخشية
كانت منه قبل ان يحصل له العلم الضروري بان الذي جاءه ملك من عند الله
وكان اشق شي عليه ان يقال عليه مجنون وقيل ان خشيته كانت من قومه ان
يقتلوه ولا غرو فانه بشر يخشى من القتل والاذية كما يخشى البشر **وقوله** ما انا
بقاري اي اني امي فلا اقرا الكتب وقال القاضي عياض وغيره انما ابتدي صلى الله
عليه وسلم بالرويا لئلا يفجاه الملك ويانيه صريح النبوة بغتة فلا يحتملها قوى
البشرية فبدى باوايل خصال النبوة وتباشير الكرامة انتهى **فان قلت** فلم كرر قوله
ما انا بقاري ثلاثا اجاب ابو شامة كما في فتح الباري بان يحمل قوله اولا ما انا بقاري
على الامتناع وثانيا على الاخبار بالنفي المحض وثالثا على الاستفهام والحكمة في
الغط ثلاثا شغله عن الالتفات لشي اخر واظهار الشدة والجد في الامر تنبيها
على ثقل الذي سيلقى اليه وقيل ايضا ذلك لنفي التخيل والوسوسة لانها ليسا
من صفات الجسم فلما وقع ذلك بجسمه علم انه من امر الله **فان قلت** من اين عرف
صلى الله عليه وسلم ان جبريل ملك من عند الله وليس من الجن **فالجواب**
من وجهين احدهما ان الله اظهر على يدي جبريل عليه الصلاة والسلام معجزات
عرفه بها كما اظهر الله تعالى على يد محمد صلى الله عليه وسلم معجزات عرفناه بها
وثانيهما ان الله تعالى خلق في محمد صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بان جبريل
من عند الله ملك لا جني ولا شيطان كما ان الله تعالى خلق في جبريل علما ضروريا
بان المتكلم معه هو الله تعالى وان المرسل له ربه تعالى لا غيره **وقوله** ورقة
يا ليتني فيها جذعا الضمير للنبوة اي ليتني كنت شابا عند ظهورها حتى

Copyright King Saud University

ابالغ في نصرتها وحمايتها واصل الجذع من اسنان الدواب وهو ما كان منها شابا فتيا واخرج
البيهقي من طريق العلا بن جارية الثقفي عن بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين اراد الله كرامته وابتدايه بالنبوة كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه وسمع منه
فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يرى الا الشجر
وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة السلام عليك يا رسول الله الحديث وعن
جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحرا شهرا فلما قضيت جواري هبطت
فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيا ونظرت عن شمالي فلم ار شيا ونظرت خلفي فلم ار شيا فرفعت
راسي فرايت شيا فلم اثبت له فاتيت خديجة فقلت دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا
فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر الاية وذلك قبل ان تفرض الصلاة رواه البخاري ومسلم
والترمذي ولم يكن جواره صلى الله عليه وسلم لطلب النبوة لانها اجل من ان تنال بالطلب
والاكتساب وانما هي موهبة من الله تعالى وخصوصية يخص بها من يشا من عباده والله اعلم
حيث يجعل رسالاته ولم تكن الرجفة خوفا من جبريل عليه الصلاة والسلام فانه صلى الله
عليه وسلم اجل من ذلك واثبت جنانا وانما هي غبطة بحاله واقباله على الله عز وجل وخوف
ان يشتغل بغير الله عن الله وقيل خاف من ثقل اعبا النبوة وفي رواية البيهقي في الدلايل ان
خديجة قالت لابي بكر يا عتيق اذهب به الى ورقة فاخذه ابو بكر فقص عليه ما راى فقال
صلى الله عليه وسلم اذا خلوت وحدي سمعت ندا يا محمد يا محمد فانطلق هاربا فقال
لا تفعل اذا قال فاثبت حتى تسمع ثم ايتني فاخبرني فلما خلا ناداه يا محمد فثبت فقال قل بسم الله
الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى اخرها ثم قال قل لا اله الا الله الحديث واحتج
به من قال باولوية نزول الفاتحة والصحيح ان اول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من
القران اقرا كما صح ذلك عن عايشة وروي عن ابي موسى الاشعري وعبيد الله بن عمير
قال النووي وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف واما ما روي عن جابر
وغيره ان اول ما نزل يا ايها المدثر فقال النووي ضعيف بل باطل وانما نزلت بعد فترة
الوحي واما حديث البيهقي انه الفاتحة كقول بعض المفسرين فقال البيهقي هذا منقطع
فان كان محفوظا فيحتمل ان يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرا باسم ربك
ويا ايها المدثر وقال النووي بعد ذكر هذا القول بطلانه اظهر من ان يذكر انتهى
وقد روي ان جبريل عليه الصلاة والسلام اول ما نزل القران على النبي صلى الله عليه وسلم
امره بالاستعاذة كما رواه الامام ابو جعفر بن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
اول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ قال استعيذ بالسميع
العليم من الشيطان الرجيم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرا باسم ربك الذي خلق
قال عبد الله وهي اول سورة انزلها على محمد صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عماد الدين
ابن كثير بعد ان ذكره وهذا الاثر غريب وانما ذكرناه ليعرف فان في اسناده ضعفا وانقطاعا

مطلب ان اول ما نزل يا ايها المدثر باطل

والله اعلم وقد اورد ابن ابي جمرة سوالا وهو انه لما اختص صلى الله عليه وسلم بغار حرا فكان
يخلو فيه ويتحنث دون غيره من المواضع والجواب بان هذا الغار له فضل زايد
على غيره من جهة انه منزو ومجموع لتحنثه وهو يبصر بيت ربه والنظر الى البيت
عبادة فكان له فيه اجتماع ثلاث عبادات الخلوة والتحنث والنظر الى البيت وغيره
ليس فيه هذه الثلاث ولله در المرجاني حيث قال في فضايل حرا وما اختص به

تامل حرا في جمال محياه … فكم من اناس من حلا حسنه تاهوا
فما حوا من جاء لعلياه زايرا … يفرج عنه الهم في حال مسراه
به خلوة الهادي الشفيع محمد … وفيه له غار له كان يرقاه
وقبلته للقدس كانت بغاره … وفيه اتاه الوحي في حال مبداه
وفيه تجلى الروح بالموقف الذي … به الله في وقت البداة سواه
وتحت تخوم الارض في السبع اصله … ومن يقعد هذا اهتز بالسفل اعلاه
ولما تجلى الله قدس ذكره … لطور تشظى فهو احدى شظاياه
ومنها ثبير ثم ثور بمكة … كذا قد اتى في نقل تاريخ مبداه
وفي طيبة ايضا ثلاث فعيد ها … نعيرا وورقانا واحدا رويناه
ويقبل فيه ساعة الظهر من دعا … به وينادي من دعانا اجبناه
وفي احد الاقوال في عقبة حرا … اتى ثم نابيل لها بل عشناه
فما حوا سرا حوته صخوره … من النبر الكسير ابقام سمعناه
سمعت به انسية حمام غيرمرة … واسمعته جمعا فقالوا سمعناه
به مركز النور الالهي مثبتا … فلله ما احلا مقاما باعلاه

وقال ابو نعيم ان جبريل وميكايل شقا صدره وغسلاه ثم قالا اقرا باسم ربك الايات
الحديث وفيه فقال ورقة ابشر فانا اشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك
على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وكذا روى شق صدره الشريف هنا
ايضا الطيالسي والحارث في مسنديهما والحكمة فيه ليتلقى النبي صلى الله عليه
وسلم ما يوحى اليه بقلب قوي في اكمل الاحوال من التطهير قال ابن القيم وغيره
وكمل الله تعالى له عليه الصلاة والسلام من الوحي مراتب عديدة احدها
الرويا الصادقة فكان لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح الثانية ما كان يلقيه
الملك في روعه وقلبه من غير ان يراه كما قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس
نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب
الحديث رواه ابن ابي الدنيا في القناعة وصححه الحاكم والروع بضم الراء النفس
وروح القدس جبريل عليه السلام الثالثة كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه
حتى يعي عنه ما يقول له وفي هذه كان يراه الصحابة احيانا في صورة دحية الكلبي رواه النسائي

بلغ

Copyright King Saud University

بسند صحيح من حديث ابن عمر قلت وكان دحية جميلا وسيما اذا قدم لتجارة خرجت الظعن
لتراه فان قلت اذا اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية فاين تكون روحه
فان كان في الجسد الذي له ستمائة جناح فالذي اتى لا روح جبريل ولا جسده وان كان في
هذا الذي هو في صورة دحية فهل يموت الجسد العظيم ام يبقى خاليا من الروح المنتقلة
عنه الى الجسد المشبه لجسد دحية اجيب كما ذكر العيني بانه لا يبعد ان لا يكون
انتقالها موجب موته فيبقى الجسد حيا لا ينقص من معارفه شيء ويكون انتقال
روحه الى الجسد الثاني كانتقال ارواح الشهداء الى اجواف طيور خضر وموت
الاجساد بمفارقة الارواح ليس بواجب عقلا بل بعادة اجراها الله تعالى في بني ادم
فلا يلزم في غيرهم انتهى الرابعة كان يأتيه مثل صلصلة الجرس وكان اشد عليه
حتى ان جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد حتى ان راحلته لتبرك به في
الارض ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد ابن ثابت فثقلت عليه
حتى كادت ترضها قلت وروى الطبراني عن زيد ابن ثابت قال كنت اكتب الوحي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا انزل عليه اخذته برحاء شديدة وعرق
عرقا شديدا مثل الجمان ثم سري عنه وكنت اكتب وهو يملي علي فما افرغ حتى تكاد
رجلي تنكسر من ثقل القران حتى اقول لا امشي على رجلي ابدا ولما نزلت عليه سورة
المائدة كادت ان تنكسر عضد ناقته من ثقل السورة رواه احمد والبيهقي في الشعب
الخامسة ان يرى الملك في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح فيوحي اليه ما شاء الله
ان يوحيه وهذا وقع له مرتين كما في سورة النجم السادسة ما اوحاه الله اليه وهو فوق
السموات من فرض الصلوات وغيرها السابعة كلام الله له منه اليه بلا واسطة ملك
كما كلم الله موسى قال وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحا بغير
حجاب انتهى قال شيخ الاسلام الولي ابن العراقي وكان ابن القيم اخذ ذلك من روض
السهيلي لكنه لم يذكر نزول اسرافيل اليه بكلمات من الوحي قبل جبريل فقد ثبت
في الطرق الصحاح عن عامر الشعبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به
اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به
جبريل فجاءه بالقران واما قوله اعني ابن القيم السادسة ما اوحاه الله اليه فوق
السموات يعني ليلة المعراج السابعة كلام الله بلا واسطة فان اراد ما اوحاه اليه
جبريل فهو داخل فيما تقدم لانه اما ان يكون جبريل في تلك الحالة على صورته
الاصلية او على صورة الادمي وكلاهما قد تقدم ذكره وان اراد وحي الله بلا واسطة وهو
الظاهر فهي الصورة التي بعدها واما قوله وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي
تكليم الله له كفاحا من غير حجاب فهذا على مذهب من يقول انه صلى الله عليه وسلم
راى ربه تعالى وهي مسألة خلاف يأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى ويحتمل ان ابن القيم

رحمه

رحمه الله اراد بالمرتبة الثالثة وهي جبريل ومغايرتها وبين ما قبلها باعتبار محل
الايحاء اي كونه فوق السموات بخلاف ما تقدم فانه كان في الارض ولا يقال يلزم عليه
ان يتعدد اقسام الوحي باعتبار البقعة التي جاء فيها جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو غير ممكن لانا نقول الوحي الحاصل في السما باعتبار ما في تلك المشاهد من الغيب
نوع غير الارض على اختلاف بقاعها انتهى قلت ويزاد ايضا كلامه تعالى له في المقام
كما في حديث الزهري اتاني ربي في احسن صورة فقال يا محمد اتدري فيم يختصم
الملا الاعلى الحديث ثم مرتبة اخرى وهي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه
وعلى لسانه عند الاجتهاد في الاحكام لانه اتفق انه عليه الصلاة والسلام اذا اجتهد
قطعا وكان معصوما من الخطا وهذا خرق العادة في حقه دون الامة وهو
يفارق النفث في الروع من حيث حصوله بالاجتهاد والنفث بدونه ومرتبة اخرى
وهي مجيء جبريل في صورة رجل غير دحية لان دحية كان معروفا عندهم ذكره ابن المنير
وان كانت داخلة في المرتبة الثالثة التي ذكرها ابن القيم وذكر الحليمي ان الوحي كان
يأتيه على ستة واربعين نوعا فذكرها وغالبها كما قال في فتح الباري من صفات
حامل الوحي ومجموعها يدخل فيما ذكر والله اعلم وذكر ابن السبكي ان الحال كان يختلف
في الوحي باختلاف مقتضاه فان نزل بوعد وبشارة نزل الملك بصورة الادمي وخلطه
من غير كد وان نزل بوعيد ونذارة كان حينئذ كصلصلة الجرس وقد ذكر ابن
عادل في تفسيره ان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم
اربعة وعشرين الف مرة ونزل على ادم اثني عشر مرة وعلى ادريس اربع مرات وعلى
نوح خمسين مرة وعلى ابراهيم اثني واربعين مرة وعلى موسى اربعمائة مرة وعلى عيسى
عشر مرات كذا قال رحمه الله وقد روي ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم في احسن
صورة واطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسولي الى الجن
والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضا
منها جبريل ثم امره ان يتوضا وقام جبريل ان يصلي معه فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج
الى السما ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول
السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فاخبرها فغشي عليها من الفرح ثم امرها
فتوضات وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك اول فرضها ركعتين ثم ان الله تعالى
اقرها في السفر كذلك واتمها في الحضر وقال مقاتل كانت الصلاة اول فرضها ركعتين
بالغداة وركعتين بالعشي لقوله تعالى وسبح بالعشي والابكار قال في فتح الباري
كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسرا يصلي قطعا وكذلك الصحابة ولكن اختلف هل افترض
قبل الخمس شيء من الصلاة ام لا فيصح ان الفرض كان صلاة قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها انتهى قال النووي اول ما وجب الانذار والدعا الى التوحيد ثم فرض الله

مطلب عدد نزول جبريل على الانبيا

مطلب فرض الوضوء والصلاة اول البعثة

يصلي ثم امر 26

Copyright King Saud University

من قيام الليل ما ذكره في اول سورة المزمل ثم نسخه بما في اخرها ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس
ليلة الاسرا بمكة ولما ما ذكره في هذه الرواية من ان جبريل علمه الوضو وامره به فيدل
على ان وجوب فريضة الوضو كانت قبل الاسرا ثم فتر الوحي فترة حتى شق عليه واحزنه
وفترة الوحي عبارة عن تاخره مدة من الزمان وكان ذلك ليذهب عنه ما كان يجده عليه
الصلاة والسلام من الروع وليحصل له الشوق الى العود وكانت مدة فترة الوحي ثلاث
سنين كما جزم به ابن اسحق وفي تاريخ الامام احمد عن يعقوب بن سفيان عن الشعبي انزلت عليه
النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشي
ولم ينزل عليه القران على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل
عليه القران على لسانه عشرين سنة وكذا رواه ابن سعد والبيهقي فقد تبين ان نبوته
عليه الصلاة والسلام كانت متقدمة على رسالته كما قال ابو عمر وغيره كما حكاه ابو امامة
ابن النقاش فكان في نزول سورة اقرا نبوته وفي نزول سورة المدثر رسالته بالنذارة
والبشارة والتشريع وهذا قطعا متاخر عن الاول لانه لما كانت سورة اقرا متضمنة لذكر
اطوار الادمي من الخلق والتعليم والافهام ناسب ان تكون اول سورة انزلت وهذا هو
الترتيب الطبيعي وهو ان يذكر سبحانه وتعالى ما اسداه الى نبيه عليه الصلاة والسلام من
العلم والفهم والحكمة والنبوة ويمن عليه بذلك في معرض تعريف عباده بما اسداه اليهم
من نعمة البيان الفهمي والنطقي والخطي ثم امره سبحانه وتعالى بان يقوم فينذر عباده
وكان اول من امن بالله وصدق صديقة النسا خديجة فقامت باعبا الصديقية
قال لها صلى الله عليه وسلم خشيت على نفسي فقالت ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا
ثم استدلت بما فيه من الصفات والاخلاق والشيم على ان من كان كذلك لا يخزى ابدا
وكان اول ذكر امن بعدها صديق الامة واسبقها الى الاسلام ابو بكر نادرة في الله وعن ابن عباس
انه اول الناس اسلاما واستشهد بقول حسان بن ثابت

اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة ... فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها واعدلها ... بعد النبي واوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده ... واول الناس قدما صدق الرسلا

ورواه ابو عمر وغيره وافتى ابن عباس وحسان على ان الصديق اول الناس اسلاما المسا بنت ابي بكر
والنخعي وابن الماجشون ومحمد ابن المنكدر والاحنفي وقيل ان علي بن ابي طالب اسلم بعد خديجة
وكان في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون اول من اسلم من الرجال ابو بكر ويكون
على اول صبي اسلم لانه كان صبيا لم يدرك ولذا قال سبقتكم الى الاسلام طرا صغيرا ما بلغت اوان حلمي
وكان سن على اذ ذاك عشر سنين فيما حكاه الطبري وقال ابو عمر وغيره ذهب الى ان عليا
اول من اسلم من الرجال سلمان وابو ذر والمقداد وخباب وجابر وابو سعيد الخدري وزيد
ابن ارقم وهو قول ابن شهاب وقتادة وغيرهم قال واتفقوا على ان خديجة اول من اسلم مطلقا

وقيل اول رجل اسلم ورقة بن نوفل ومن ثم يدعي انه ادرك نبوته عليه الصلاة والسلام
ورسالته لكن جاء في السير وهو في رواية ابي نعيم المتقدمة انه قال ابشر فانا اشهد انك
الذي بشر به ابن مريم وانك على مثل ناموس عيسى وانك نبي مرسل وانك ستؤمر بالجهاد
وان ادرك ذلك لاجاهدن معك فهذا تصريح منه بتصديقه برسالة محمد صلى الله عليه
وسلم قال البلقيني بل يكون بذلك اول من اسلم من الرجال وبه قال العراقي في نكته على ابن
الصلاح ذكره ابن منده في الصحابة وحكى العراقي كون علي اول من اسلم عن اكثر الصحابة
وحكى ابن عبد البر الاتفاق عليه وادعى الثعلبي اتفاق العلما على ان اول من اسلم خديجة
وان اختلافهم انما هو في اول من اسلم بعدها قال ابن الصلاح والاورع ان يقال اول من اسلم
من الرجال الاحرار ابو بكر ومن الصبيان او الاحداث علي ومن النسا خديجة ومن الموالي
زيد ومن العبيد بلال انتهى والله اعلم وقال الطبري الاولى التوفيق بين الروايات
كلها وتصديقها فيقال اول من اسلم مطلقا خديجة واول ذكر اسلم علي بن ابي طالب وهو صبي لم
يبلغ [illegible] مستخفيا باسلامه واول رجل عربي بالغ اسلم واظهر اسلامه ابو بكر بن ابي قحافة
واول من اسلم من الموالي زيد قال وهذا متفق عليه لا خلاف فيه وعليه يحمل قول من قال
اول من اسلم من الرجال ابو بكر اي الرجال البالغين الاحرار ويؤيد هذا ما روي عن الحسن
ابن علي بن ابي طالب قال ان ابا بكر سبقني الى اربع لم اوتهن سبقني الى افشا الاسلام وقدم الهجرة
ومصاحبته في الغار واقام الصلاة وانا يومئذ بالشعب يظهر اسلامه واخفيه الحديث
خرجه صاحب فضائل ابي بكر وخيثمة بمعناه واما ما روي من صحبة الصديق للنبي صلى الله
عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشر سنة وهم يريدون الشام في تجارة وحديث بحيرا وانه
وقع في قلب ابي بكر اليقين وقول ميمون ابن مهران والله لقد امن ابو بكر بالنبي صلى الله عليه
زمن بحيرا فالمراد به هذا الايمان اليقين بصدقه وهو ما وقر في قلبه والا فالنبي صلى الله عليه وسلم
تزوج خديجة وسافر الى الشام قبل المبعث ثم اسلم بعد زيد بن حارثة عثمان بن عفان والزبير
ابن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله بدعا ابي بكر
الصديق فجا بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فاسلموا وصلوا ثم
اسلم ابو عبيدة عامر بن عبد الله ابن الجراح وابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بعد
تسعة انفس والارقم ابن ابي الارقم المخزومي وعثمان بن مظعون الجمحي واخوه قدامة
وعبد الله وعبيدة بن الحارث بن المطلب ابن عبد مناف وسعيد بن زيد بن عمرو
ابن نفيل وامراته فاطمة ابنة الخطاب وقال ابن سعد اول امراة اسلمت بعد خديجة
ام الفضل زوج العباس واسما بنت ابي بكر وعايشة اختها كذا قاله ابن اسحق وغيره وهو
وهم لكن عايشة ولدت بعد فكيف اسلمت وكان مولدها سنة اربع من النبوة قاله
مغلطاي وغيره ودخل الناس في الاسلام ارسالا من الرجال والنسا ثم ان الله تعالى امر
رسوله صلى الله عليه وسلم بان يصدع بما جا به اي يواجه المشركين به وقال مجاهد هو

الجهر بالقران في الصلاة وقال ابو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ما زال النبي صلى
الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت فاصدع بما تؤمر فجهر هو واصحابه وقال
البيضاوي فاصدع بما تؤمر من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق به بين الحق
والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما
تؤمر به من الشرايع انتهى قالوا وكان ذلك بعد ثلث سنين من النبوة وهي المدة
التي اخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم امره الى ان امره الله تعالى باظهاره فنادي
قومه بالاسلام وصدع به كما امره الله تعالى ولم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه
حتى ذكر الهتهم وعابها وكان ذلك في سنة اربع كما قاله العتقي فاجمعوا على خلافه وعداوته
الا من عصم الله منهم بالاسلام وحدب عليه عمه ابو طالب ومنعه وقام دونه
الامر وتقارب القوم وظهر بعضهم لبعض العداوة وتوامرت قريش على من اسلم منهم
يعذبونه ويفتنونه عن دينهم ومنع الله رسوله منهم بعمه ابي طالب وبني هاشم
غير ابي لهب وبني المطلب **وقال** مقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابي طالب
يدعوه الى الاسلام فاجتمعت قريش الى ابي طالب يريدون بالنبي صلى الله عليه وسلم
سوءا فقال ابو طالب حتى تروح الابل فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته اليكم

وقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم ، حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ، وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي ، ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه ، من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة ، لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وقد كفى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم المستهزئين كما قال اي لا تلتفت الى ما يقولون بلغ
انا كفيناك المستهزئين يعني بقمعهم واهلاكهم وقد قيل انهم كانوا خمسة من اشراف
قريش الوليد ابن المغيرة والعاص ابن وايل وعدي بن قيس والاسود بن يغوث
والاسود بن المطلب وكانوا يبالغون في ايذايه صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به
فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد
فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه
فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت
كالرحى فمات واشار الى انف عدي فامتخط قيحا فمات واشار الى الاسود بن عبد يغوث وهو
قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات
والى عيني الاسود بن عبد المطلب فعمي **وكان** صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس
في منازلهم يقول يا ايها الناس ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا وابو
وراه يقول يا ايها الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين ابائكم ورماه الوليد بن المغيرة

بالسحر

بالسحر وتبعه قومه على ذلك واذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من
كان يحثو التراب على راسه ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة ابن ابي معيط على رقبته
الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا فقام ابو بكر دونه
وجذبوا راسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر دونه وهو يقول اتقتلون
رجلا ان يقول ربي الله **وقال** ابن عمر كما في البخاري بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة ابن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجا ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد ذكر العلما
ان ابا بكر رضي الله عنه افضل من مومن ال فرعون لان ذاك اقتصر حيث اقتصر على
اللسان واما ابو بكر رضي الله عنه فاتبع اللسان يدا ونصر بالقول والفعل محمدا صلى الله
عليه وسلم **وفي** رواية البخاري ايضا كان صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة وجمع من
قريش في مجالسهم اذ قال قايل منهم الا تنظرون الى هذا المرايي ايكم يقوم الى جزور ال
فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجي به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه
فانبعث اشقاهم فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه
وسلم ساجدا فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك فانطلق منطلق الى فاطمة
وهي جويرية فاقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه واقبلت
عليهم تسبهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش
ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة ابن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد بن عتبة
وامية بن خلف وعقبة ابن ابي معيط وعمارة ابن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رايتهم
صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
واتبع اصحاب القليب لعنة واستدل بهذا الحديث على ان من عرض له في صلاته ما يمنع
انعقادها ابتدا لا تبطل صلاته فلو كانت نجاسة فازالها في الحال ولا اثر لها صحت صلاته
اتفاقا واستدل به ايضا على طهارة فرث ما يوكل لحمه وعلى ان ازالة النجاسة ليست بفرض
وهو ضعيف **واجاب** النووي بانه عليه الصلاة والسلام لم يعلم ما وضع على ظهره
فاستمر في سجوده استصحابا للاصل الطهارة وتعقب بانه مشكل على قولنا بوجوب
الاعادة في مثل هذه الصورة **واجيب** عنه بان الاعادة انما تجب في الفريضة فان
ثبت انها فريضة فالوقت موسع فلعله اعاد **وتعقب** بانه لو اعاد لنقل ولم ينقل وبان
الله لا يقره على صلاة فاسدة وقد استشكل بعضهم عد عمارة بن الوليد في المذكورين
لانه لم يقتل ببدر بل ذكر اصحاب المغازي انه مات بارض الحبشة وله قصة مع النجاشي
اذ تعرض لامراته فامر النجاشي ساحرا فنفخ في احليل عمارة من سحره عقوبة له فتوحش
وصار مع البهايم الى ان مات في خلافة عمر رضي الله عنه **واجيب** بان كلام ابن مسعود

Copyright King Saud University

انه راهم صرعى في القليب يحول على الاكثر ويدل عليه ان عقبة ابن ابي معيط لم يطرح في
القليب وانما قتل صبرا بعد ان رحلوا عن بدر مرحلة وامية ابن خلف لم يطرح في القليب كما ياتي
ان شاء الله تعالى وقوله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع اهل القليب لعنة يحتمل
ان يكون من تمام الدعا الماضي فيكون فيه علم عظيم من اعلام النبوة ويحتمل ان يكون من تمام
الدعا الماضي قاله صلى الله عليه وسلم بعد ان القوا في القليب ثم اسلم حمزة بن عبد المطلب
وكان اعز فتى في قريش واشده شكيمة وكان اسلامه فيما قاله العتقي سنة ست من نبوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكفت عنه قريش قليلا وقال حمزة حين اسلم

حمدت الله حين هدى فؤادي ۰ الى الاسلام والدين الحنيفي
لدين جاء من رب عزيز ۰ خبير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسائله علينا ۰ تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء احمد من هداها ۰ بايات مبينة الحروف
واحمد مصطفى فينا مطاع ۰ فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم ۰ ولما نقض فيهم بالسيوف

وعند مغلطاي وسالوه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تطلب الشرف فينا فنحن
نسودك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي ياتيك رئيا قد غلب
عليك بذلنا اموالنا في طلب الطب حتى نبريك منه او نعذر فيك فقال لهم عليه الصلاة
والسلام ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا
ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جيتكم به فهو حظكم في الدنيا والاخرة
وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم والرئي بفتح الراء وقد تكسر ثم همزة
وياء مشددة جني يرى فيحب او المكسور للمحبوب منهما قاله في القاموس ثم ان النضر ابن الحارث
وعقبة ابن ابي معيط ذهبا الى احبار يهود فسالاهم عنه صلى الله عليه وسلم فقالوا لهما سلاه
عن ثلاثة فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فهو متقول سلوه عن فتية ذهبوا
في الدهر الاول وعن رجل طواف وعن الروح ما هو فقال لهم عليه الصلاة والسلام اخبركم غدا
ولم يقل ان شا الله فلبث الوحي اياما ثم نزل قوله تعالى ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله
وانزل الله تعالى ذكر الفتية الذين ذهبوا وهم اصحاب الكهف وذكر الرجل الطواف وهو ذو القرنين
وقال فيما سالوه عن الروح ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي الاية وفي البخاري
من حديث عبد الله بن مسعود قال بينا انا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكي
على عسيب اذ مر به اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح قالوا ما رابكم اليه وقال
بعضهم لا يستقبلكم بشي تكرهونه فقالوا سلوه فسالوه عن الروح فامسك النبي صلى الله
عليه وسلم فلم يرد شيا فعلمت انه يوحى اليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال ويسئلونك
عن الروح قل الروح من امر ربي قال الحافظ ابن كثير وهذا يقتضي فيما يظهر من بادي الراي

ان

ان هذه اية مدنية وانها انما نزلت حين سالها اليهود عن ذلك بالمدينة مع ان السورة
كلها مكية وقد يجاب عن هذا بانه قد تكون نزلت عليه مرة ثانية بالمدينة كما نزلت عليه
بمكة قبل ذلك ومما يدل على نزولها بمكة ما روى الامام احمد من حديث ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما قال قالت قريش لليهود اعطونا شيا نسال عنه هذا الرجل فقالوا سلوه
عن الروح فنزلت الحديث انتهى وهذا الحديث رواه الترمذي ايضا باسناد رجاله رجال
مسلم فيحمل على تعدد النزول كما اشار اليه ابن كثير ويحمل سكوته في المرة الثانية على توقع
مزيد بيان في ذلك وقد اختلف في المراد بالروح المسول عنه في هذا الخبر فقيل روح
الانسان وقيل جبريل وقيل عيسى وقيل ملك يقوم وحده صفا يوم القيامة وقيل غير ذلك
لكن الراجح انهم سالوه عن روح الانسان لان اليهود لا تعترف بان عيسى روح الله
ولا تجهل ان جبريل ملك وان الملايكة ارواح وقال الامام فخر الدين المختار انهم سالوه عن
الروح الذي هو سبب الحياة وان الجواب وقع على احسن الوجوه وبيانه ان السوال عن
الروح يحتمل عن ماهيتها وهل هي متحيزة ام لا وهل هي حالة في متحيز ام لا وهل هي قديمة او
حادثة وهل تبقى بعد انفصالها من الجسد او تفنى وما حقيقة تعذيبها وتنعيمها وغير
ذلك من متعلقاتها قال وليس في السوال ما يخصص احد هذه المعاني الا ان الاظهر انهم
سالوه عن الماهية وهل الروح قديمة او حادثة والجواب يدل على انها شي موجود مغاير
للطبايع والاخلاط وتركيبها فهي جوهر بسيط مجرد لا تحدث الا بمحدث وهو قوله تعالى
كن فكان قال هي موجودة بامر الله وتكوينه ولها تاثير في افادة الحياة للجسد ولا يلزم
من عدم العلم بكيفيتها المخصوصة نفيه قال ويحتمل ان يكون المراد بالامر في قوله تعالى
من امر ربي الفعل كقوله تعالى وما امر فرعون برشيد اي فعله فيكون الجواب انها
حادثة ثم قال وقد سكت السلف عن البحث في هذه الاشيا والتعمق فيها انتهى وقال
في فتح الباري وقد تنطع قوم فتباينت اقوالهم فقيل هي النفس الداخل الخارج وقيل جسم
لطيف يحل في جميع البدن وقيل هي الدم وقيل ان الاقوال فيها بلغت المائة ونقل ابن مندة
عن بعض المتكلمين ان لكل نبي خمسة ارواح ولكل مومن ثلاثة وقال ابن العربي اختلفوا
في الروح والنفس فقيل متغايران وهو الحق وقيل هما شي واحد قال وقد يعبر بالروح
عن النفس وبالعكس وقال ابن بطال معرفة حقيقة الروح مما استاثر الله بعلمه بدليل
هذا الخبر قال والحكمة في ابهامه اختبار الخلق ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى
يضطرهم الى رد العلم اليه وقال القرطبي الحكمة في ذلك اظهار عجز المرء لانه اذا لم يعلم
حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن ادراك حقيقة الحق من باب اولى وقال
[illegible] في الاية دلالة على ان الله تعالى لم يطلع نبيه على حقيقة الروح بل يحتمل ان
يكون اطلعه ولم يامره ان يطلعهم وقد قالوا في علم الساعة نحو هذا فالله اعلم انتهى
ملخصا ولما كثر المسلمون وظهر الايمان اقبل كفار قريش على من امن يعذبونهم ويوذونهم

Copyright King Saud University

ليردوهم عن دينهم حتى انه مر عدو الله ابو جهل بسمية ام عمار بن ياسر وهي تعذب فطعنها
بحربة في فرجها فقتلها وكان الصديق رضي الله عنه اذا مر باحد من العبيد يعذب
اشتراه منهم واعتقه منهم بلال وعامر بن فهيرة وعن ابي ذر كان اول من اظهر الاسلام
سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد
فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه الله تعالى
بقومه واما سايرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم في الشمس وان
بلالا هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا
يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول احد احد رواه احمد في مسنده وعن مجاهد مثله
وزاد في قصة بلال وجعلوا في عنقه حبلا ودفعوه الى الصبيان يلعبون به حتى اثر الحبل في
عنقه فانظر كيف فعل ببلال ما فعل من الاكراه على الكفر وهو يقول احد احد فمزج مرارة
العذاب بحلاوة الايمان وهذا كما وقع له ايضا عند موته كانت امراته تقول واحزناه وهو
يقول واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه وصحبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقا ولله در

لاقى بلال بلاء من امية قد ... احله الصبر فيه اكرم النزل
اذا اجهدوه بضنك الاسر وهو على ... شد ايد الازل ثبت الازر لم يزل
القوه بطحا برمضا البطاح وقد ... عالوا عليه صخورا جمة الثقل
فوحد الله اخلاصا وقد ظهرت ... بظهره كندوب الطل في الطلل
ان قد ظهر ولي الله من دبر ... فقد تحلى بقلب عدو الله من قبل

يعني ان كان ظهر ولي الله بلال قد ظهر فيه التعذيب فقد جوزي عدو الله امية وقد قلبه
ببدر لانه قتل يوميذ وكان عبد الرحمن ابن عوف قد اسره يوميذ واراد استبقاءه لاخوة كانت
بينهما في الجاهلية فراه بلال معه فصاح باعلا صوته يا انصار الله راس الكفر امية ابن خلف لا نجوت
ان نجا فبعجوه باسيافهم حتى قتلوه واخرج البيهقي عن عروة ان ابا بكر اعتق ممن كان يعذب
في الله سبعة منهم الزنيرة فذهب بصرها وكانت ممن تعذب في الله فتابى الا الاسلام فقال
المشركون ما اصاب بصرها الا اللات والعزى فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها
بصرها والزنيرة بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة لسكينة كما في القاموس ثم اذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة الى الحبشة وذلك في رجب سنة خمس من النبوة
فهاجر اليها ناس ذو عدد منهم من هاجر باهله ومنهم من هاجر بنفسه وكانوا احد عشر رجلا وقيل
اثني عشر رجلا واربع نسوة وقيل خمس نسوة وقيل وامراتان واميرهم عثمان بن مظعون
وانكر ذلك الزهري وقال لم يكن لهم امير وخرجوا مشاة الى البحر فاستاجروا سفينة بنصف
دينار وكان اول من خرج عثمان بن عفان مع امراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخرج يعقوب ابن سفيان بسند موصول الى انس قال ابطا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم خبرهما فقدمت امراة فقالت قد رايتهما وقد حمل عثمان امراته على حمار فقال

ان

ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد لوط فلما رات قريش استقرارهم في الحبشة وامنهم ارسلوا
عمرو بن العاص وعبد الله ابن ابي ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم الى النجاشي واصحابه
وكان معهما عمارة ابن الوليد ليردهم الى قومهم فابى ذلك وردها خايبين بهديتهما واسلم
عمر ابن الخطاب بعد حمزة بثلاثة ايام فيما قاله ابو نعيم بدعوته صلى الله عليه وسلم اللهم اعز
الاسلام بابي جهل او بعمر ابن الخطاب وكان المسلمون اذ ذاك بضعة واربعين رجلا واحد عشر امراة
وكان سبب اسلامه فيما ذكره اسامة ابن زيد عن جده عن عمر انه قال بلغني اسلام اختي فدخلت
عليها فقلت يا عدوة نفسها قد بلغني عنك انك صبوت ثم ضربتها فسال الدم فلما رات الدم
بكت وقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد اسلمت قال فدخلت وانا مغضب فاذا الكتاب
في ناحية البيت فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت به
بالصحيفة من يدي قال ثم رجعت اليها فاذا فيها سبح لله ما في السموات والارض حتى بلغت
امنوا بالله ورسوله فقلت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فخرج القوم يتبادرون
بالتكبير استبشارا بما سمعوه مني فجيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت في اسفل
الصفا فدخلت واخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ارسلوه فارسلوني فجلست بين يديه فاخذ بمجمع ثيابي فجذبني اليه ثم قال اسلم يا ابن الخطاب
اللهم اهد قلبه فقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت
بطرق مكة وكان الرجل اذا اسلم استخفى ثم خرجت فذهبت الى رجل لم يكن يكتم السر فقلت
له اني صبوت قال فرفع صوته باعلاه الا ان ابن الخطاب قد صبا فما زال الناس يضربوني
واضربهم فقال خالي ما هذا قالوا ابن الخطاب فقام على الحجر واشار بكمه فقال الا اني قد اجرت ابن
اختي قال فانكشف الناس عني فما زلت اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام قال ابن عباس
لما اسلم عمر قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد استبشر اهل السما باسلام عمر رواه
ابن ماجه ولما رات قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه واسلام عمر وعزة
اصحابه بالحبشة وفشو الاسلام في القبايل اجمعوا على ان يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم
فبلغ ذلك ابا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله فاجابوا لذلك حتى كافرهم فعلوا ذلك حمية على عادة
الجاهلية فلما رات قريش ذلك اجتمعوا وايتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني
هاشم وبني المطلب ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيا ولا يبتاعوا منهم ولا
يقبلوا منهم صلحا ابدا حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوه في صحيفة
بخط منصور ابن عكرمة وقيل بغيض ابن عامر فشلت يده وعلقوا الصحيفة في جوف
الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى ابي طالب فدخلوا
معه في شعبه الا ابا لهب فكان مع قريش فاقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا وقال ابن سعد
سنتين حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شي الا سرا ثم نفر من مهاجرة الحبشة حين قرا النبي

Copyright © King Saud University

صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى حتى بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى فلما
ختم السورة سجد صلى الله عليه وسلم وسجد معه ~~صلى الله عليه وسلم~~ المشركون
لتوهمهم انه ذكر الهتهم بخير وفشى في الناس واظهره الشيطان حتى بلغ ارض الحبشة ومن
بها من المسلمين عثمان بن مظعون واصحابه وتحدثوا ان اهل مكة قد اسلموا كلهم
وصلوا معه صلى الله عليه وسلم وقد امن المسلمون بمكة فاقبلوا سراعا من الحبشة
والغرانيق في الاصل المذكور من طير الما واحدها غرنوق وغرنيق سمي به لبياضه
وقيل هو الكركي والغرنوق ايضا الشاب الابيض الناعم وكانوا يزعمون ان الاصنام تقربهم
من الله سبحانه وتعالى وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلوا في السما وترتفع ولما
تبين للمشركين عدم ذلك رجعوا الى اشد ما كانوا عليه **وقد تكلم القاضي عياض**
رحمه الله في الشفا على هذه القصة وتوهين اصلها بما يشفي ويكفي لكن تعقب في بعضه كما
سياتي ان شا الله تعالى **وقال الامام** فخر الدين الرازي ما لخصته من تفسيره هذه القصة
باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي وقال
تعالى سنقرئك فلا تنسى وقال البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم اخذ
يتكلم في ان رواة هذه القصة مطعونون وايضا فقد روى البخاري في
الله عليه وسلم قرا سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه
حديث الغرانيق بل روي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق
ولا شك ان من جوز على الرسول تعظيم الاوثان فقد كفر لان من المعلوم بالضرورة ان
اعظم سعيه كان في نفي الاوثان ولو جوزنا ذلك ارتفع الامان عن شرعه وجوزنا في كل
واحد من الاحكام والشرايع ان يكون كذلك ويبطل قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ
ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته فانه لا فرق في العقل بين النقصان
في الوحي وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الاجمال ان هذه القصة
موضوعة **وقد قيل** ان هذه القصة من وضع الزنادقة لا اصل لها انتهى وليس كذلك
بل لها اصل فقد خرجها ابن ابي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق وكذا ابن مردويه
والبزار وابن اسحق في السيرة وموسى بن عقبة في المغازي وابو معشر في السيرة كما
نبه عليه الحافظ عماد الدين بن كثير وغيره لكن قال ان طرقها كلها مرسلة وانه لم يرها
مسندة من وجه صحيح وهذا متعقب بما ياتي وكذا نبه على ثبوت اصلها شيخ الاسلام
والحافظ ابو الفضل العسقلاني فقال اخرج ابن ابي حاتم والطبري وابن المنذر من
طريق عن شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة والنجم فلما بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه
تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى فقال المشركون ما ذكر الهتنا بخير قبل

اليوم

اليوم فسجد وسجدوا فنزلت هذه الاية وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته الاية **واخرجه** البزار وابن مردويه من طريق امية بن خالد عن شعبة فقال في
اسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فيما احسب ثم ساق الحديث
وقال البزار لا يروى متصلا الا بهذا الاسناد تفرد بوصله امية بن خالد وهو ثقة مشهور
قال وانما يروى هذا من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انتهى والكلبي متروك
لا يعتمد عليه وكذا اخرجه النحاس بسند اخر فيه الواقدي وذكرها ابن اسحق في السيرة
مطولة واسندها عن محمد بن كعب وكذا موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب
الزهري وكذا ابو معشر في السيرة له عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس واورده
من طريقه الطبري واورده ابن ابي حاتم من طريق اسباط عن السدي ورواه ابن مردويه من
طريق عباد بن صهيب عن يحيى بن كثير عن الكلبي عن ابي صالح وعن ابي بكر الهذلي وايوب
عن عكرمة وسليمان التيمي عن من حدثه ثلاثتهم عن ابن عباس واوردها الطبري ايضا
من طريق العوفي عن ابن عباس ومعناهم كلهم في ذلك واحد وكلها سوى طريق سعيد
ابن جبير اما ضعيف واما منقطع لكن كثرة الطرق تدل على ان للقصة اصلا مع ان لها
طريقين اخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح احدهما ما اخرجه الطبري من طريق
يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثني ابو بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام
فذكر نحوه والثاني ما اخرجه ايضا من طريق المعتمر بن سليمان وحماد بن سلمة فرقهما
عن داود بن ابي هند عن ابي العالية قال الحافظ بن حجر وقد تجرا ابن العربي كعادته
فقال ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة لا اصل لها وهو اطلاق مردود عليه
وكذا قول القاضي عياض هذا الحديث لم يخرجه اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند
سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده وكذا قوله
ومن حكيت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها احد منهم ولا
رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية قال وقد بين البزار
انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره الا طريق ابي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك
الذي وقع في وصله واما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه ثم رده من طريق
النظر بان ذلك لو وقع لارتد كثير ممن اسلم قال ولم ينقل ذلك انتهى وجميع ذلك
لا يتمشى على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان لها
اصلا **وقد** ذكرنا ان ثلاثة اسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها
من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض **واذا** تقرر ذلك تعين
تاويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا
وان شفاعتهن لترتجى فان ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لانه يستحيل عليه صلى الله
عليه وسلم ان يزيد في القران عمدا ما ليس فيه وكذا سهوا اذا كان مغايرا لما جاء به

من التوحيد لمكان عصمته وقد سلك العلماء في ذلك مسالك فقيل جرى ذلك على
لسانه حين اصابته سنة وهو لا يشعر فلما علم بذلك احكم الله اياته وهذا اخرجه
الطبراني عن قتادة ورده القاضي عياض بانه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم وقيل ان الشيطان الجاه الى ان قال
ذلك بغير اختياره ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان وما كان
لي عليكم من سلطان الاية قال فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لاحد قوة على
طاعة وقيل ان المشركين كانوا اذا ذكروا الهتهم وصفوهم بذلك فعلق ذلك بحفظه
صلى الله عليه وسلم فجرى على لسانه لما ذكرهم سهوا وقد رد ذلك القاضي عياض فاجاد
وقيل لعله قال ذلك توبيخا للكفار قال القاضي عياض وهذا جائز اذا كانت هناك قرينة
تدل على المراد ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزا والى هذا نحا الباقلاني
وقيل انه لما وصل الى قوله ومناة الثالثة الاخرى خشي المشركون ان ياتي بعدها بشيء
يذم الهتهم به فبادروا الى ذلك فخلطوه في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم على عادتهم في
قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم على
ذلك او المراد بالشيطان شيطان الانس وقيل المراد بالغرانيق العلا الملائكة وكان الكفار
يقولون الملائكة بنات الله ويعبدونها فنسق ذكر الكل ليرده عليهم بقوله الكم الذكر
وله الانثى فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع وقالوا قد عظم الهتنا ورضوا بذلك فنسخ تلك
الكلمتين واحكم اياته وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يرتل القران فارتصده الشيطان
في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث
يسمعه من دنا اليه فظنها من قوله واشاعها قال وهذا احسن الوجوه ويؤيده ما ورد
عن ابن عباس من تفسير تمنى بتلا وكذا استحسن ابن العربي هذا التاويل وقال معنى قوله
في امنيته اي في تلاوته فاخبره تعالى في هذه الاية ان سنة الله في رسله اذا قالوا قولا
زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نص في ان الشيطان زاد في قول النبي صلى الله
عليه وسلم لا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله وقد سبق الى ذلك الطبري مع جلالة
قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر فصوب على هذا المعنى انتهى ثم هاجر
المسلمون الثانية الى ارض الحبشة وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلا ان كان عمار بن ياسر
فيهم وثماني عشرة امراة وكان معهم عبيد الله بن جحش مع امراته ام حبيبة بنت ابي سفيان
فتنصر هناك ثم توفي على دين النصرانية وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ام حبيبة بنت ابي سفيان سنة سبع من الهجرة الى المدينة وهي بالحبشة كما سياتي
ان شاء الله تعالى في المقصد الثاني عند ذكر ازواجه صلى الله عليه وسلم وخرج
ابو بكر الصديق رضي الله عنه مهاجرا الى الحبشة حتى بلغ برك الغماد ورجع في
جوار سيد القارة مالك ابن الدغنة بفتح الدال المهملة وكسر المعجمة وتخفيف النون

يعبد

يعبد ربه في داره وابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرا القران فيتقصف عليه
نساء المشركين وابناؤهم ويعجبون منه وكان ابو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرا
القران فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين فقالوا لابن الدغنة انا قد خشينا
ان يفتن نساءنا وابناءنا فانهه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل وان
ابى الا ان يعلن فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك فقال ابو بكر لابن
الدغنة فاني ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله تعالى الحديث رواه البخاري ثم قام
رجال في نقض الصحيفة فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ان الارضة اكلت
جميع ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع الا اسم الله تعالى فقط فلما انزلت لتمزقه
وجدت كما قال صلى الله عليه وسلم وذلك في السنة العاشرة ولما اتت عليه صلى الله
عليه وسلم تسع واربعون سنة وثمانية اشهر واحد عشر يوما مات عمه ابو
طالب وله سبع وثمانون سنة وقيل مات في النصف من شوال من السنة العاشرة
وقال ابن الجوزي قبل هجرته صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ويروى انه صلى الله عليه
وسلم كان يقول له قبل او عند موته يا عم قل لا اله الا الله كلمة استحل لك بها الشفاعة
يوم القيامة فلما راى ابو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له والله
يا ابن اخي لولا مخافة قريش اني انما قلتها جزعا من الموت لقلتها لا اقولها الا لاسرك
بها فلما تقارب من ابي طالب الموت نظر العباس رضي الله تعالى عنه اليه يحرك
شفتيه فاصغى اليه باذنه قال يا ابن اخي والله لقد قال اخي الكلمة التي امرته بها
فقال صلى الله عليه وسلم لم اسمعه كذا في رواية ابن اسحق انه اسلم عند الموت ورواه
البيهقي في الدلائل من طريق يونس بن بكير عن ابن اسحق حدثنا العباس بن
عبد الله بن معبد بن عباس عن بعض اهله عن ابن عباس فذكره وقال
البيهقي انه منقطع واجيب عنه بان شهادة العباس لابي طالب لو اداها بعدما اسلم
كانت مقبولة ولم ترد بقوله عليه الصلاة والسلام لم اسمع لان الشاهد العدل اذا
قال سمعت وقال من هو اعدل لم اسمع اخذ بقول من اثبت السماع ولكن العباس
شهد بذلك قبل ان يسلم مع ان الصحيح من الحديث قد اثبت لابي طالب الوفاة على الكفر
والشرك لما رويناه في صحيح البخاري من حديث سعيد بن المسيب حتى قال ابو طالب
آخر ما كلمهم انا على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله ما كان للنبي
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وانزل الله في ابي طالب
فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من
يشاء واجيب ايضا بان ابا طالب لو قال كلمة التوحيد لما نهى الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم عن الاستغفار له وفي الصحيح عن العباس انه قال لرسول الله صلى

Copyright © King Saud University

ان اباطالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في
غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وفي الصحيح ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال لعله
تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه
وفي رواية يونس عن ابن اسحق زيادة فقال يغلي منها دماغه حتى يسيل على قدميه
قال السهيلي من باب النظر في حكمة الله تعالى ومشاكلة الجزا للعمل ان اباطالب
كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته متحزبا له الا انه كان مثبتا بقدميه
على ملة عبد المطلب حتى قال عند الموت انا على ملة عبد المطلب فسلط العذاب
على قدميه خاصة لتثبيته اياهما على ملة ابايه ثبتنا الله على الصراط المستقيم وفي
شرح التنقيح للقرافي الكفار اربعة اقسام فذكر منها من آمن بظاهره وباطنه
وكفر بعدم الاذعان للفروع كما حكي عن ابي طالب انه كان يقول اني لاعلم انما يقول
ابن اخي لحق ولولا اني اخاف ان تعيرني نسا قريش لاتبعته وفي شعره يقول

لقد علموا ان ابننا لا مكذب ... يقينا ولا يعزى لقول الاباطل

قال فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير انه لم يذعن انتهى وحكي عن هشام
ابن السايب الكلبي او ابيه انه قال لما حضرت اباطالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش
فاوصاهم فقال يا معشر قريش انتم صفوة الله من خلقه الى ان قال واني اوصيكم بمحمد
خيرا فانه الامين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما اوصيكم به وقد جانا
بامر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنان وايم الله كاني انظر الى صعاليك العرب واهل
الوبر والاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته و
وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت فصارت روسا قريش وصناديدها اذنابا
ودورها خرابا وضعفاوها اربابا واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم
عنده قد محضته العرب ودادها واصفت له فوادها واعطته قيادها يا معشر قريش
كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد سبيله الا رشد ولا ياخذ احد بهديه
الا سعد ولو كان لنفسي مدة ولاجلي تاخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي
ثم هلك ثم بعد ذلك بثلاثة ايام وقيل بخمسة في رمضان بعد المبعث بعشر سنين
على الصحيح ماتت خديجة رضي الله عنها وكان صلى الله عليه وسلم يسمي ذلك العام عام
الحزن فيما ذكره صاعد وكانت مدة اقامتها معه صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة
على الصحيح ثم بعد ايام من موت خديجة تزوج عليه الصلاة والسلام بسودة بنت
زمعة ثم خرج عليه الصلاة والسلام الى الطايف بعد موت خديجة بثلاثة اشهر
في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة لما ناله من قريش بعد موت ابي طالب
وكان معه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعو اشراف ثقيف الى الله تعالى فلم
يجيبوه واغروا به سفهاهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورجموا

عراقيبه

عراقيبه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدماء زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة تقعد
الى الارض فياخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد
ابن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في راسه شجاجا وفي البخاري ومسلم من حديث
عايشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد من يوم احد
قال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي
على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي
فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت
فاذا فيها جبريل عليه الصلاة والسلام فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك وما
ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتامرني بامرك ان شيت
ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من
اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيا وعبد ياليل بتحتانية بعدها الف
ثم لام مكسورة ثم تحتانية ساكنة ثم لام بن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام اخرها لام
وكان عبد ياليل من اكابر اهل الطايف من ثقيف وقرن الثعالب هو ميقات اهل نجد
ويقال له قرن المنازل وافاد ابن سعد ان مدة اقامته صلى الله عليه وسلم بالطايف
كانت عشرة ايام ولما انصرف صلى الله عليه وسلم عن اهل الطايف مر في طريقه
بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما في حايط لهما فلما رايا ما لقي تحركت له رحمهما فبعثا له
مع عداس النصراني غلامهما قطف عنب فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده في القطف
قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل
هذه البلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت وما دينك قال
نصراني من نينوى فقال صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى
فقال وما يدريك قال ذاك اخي وهو نبي مثلي فاكب عداس على يديه وراسه ورجليه
يقبلها واسلم ولما نزل نخلة وهو موضع على ليلة من مكة صرف اليه سبعة
من جن نصيبين مدينة بالشام وكان صلى الله عليه وسلم قد قام في جوف الليل يصلي
فاستمعوا له وهو يقرا سورة الجن وفي الصحيح ان الذي اذنه صلى الله عليه وسلم
بالجن ليلة الجن شجرة وانهم سالوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد احدكم
اوفر ما كان لحما وكل بعرة علف لدوابكم وفي هذا رد على من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب
وذكر صاحب الروض من اسما السبعة الذين اتوه صلى الله عليه وسلم عن ابن دريد
منشي وناشي وشاصر وماصر والاحقب لم يزد على تسمية هولاء قال الحافظ ابن كثير
وقد ذكر ابن اسحق حين وجه عليه الصلاة والسلام الى اهل الطايف ودعاهم اياهم ولنه
لما انصرف عنهم بات بنخلة فقرا تلك الليلة من القران فاستمعه الجن من اهل
نصيبين قال وهذا صحيح لكن قوله ان الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه

لتامره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وانا ملك الجبال

ولم يجيبوه

نظر فان الجن كان استماعهم تلك الليلة في ابتدا الايحا ويدل له حديث ابن عباس عند احمد
قال كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما سمعوه
حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان احدهم لا ياتي مقعده الا رمي بشهاب يحرق ما اصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس فقال
ما هذا الا من امر قد حدث فبث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين
جبلي نخلة فاخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض رواه الثاني وصححه
الترمذي قال وخروجه صلى الله عليه وسلم الى الطايف كان بعد موت عمه **وروى**
ابن ابي شيبة عن عبد الله بن مسعود قال هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يقرا القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا انصتوا فانزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القران الاية فهذا مع رواية ابن عباس يقتضي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وانما استمعوا قراته ثم
رجعوا الى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا اليه ارسالا قوما بعد قوم وفوجا بعد فوج انتهى
ودعا في طريقه عليه الصلاة والسلام هذه دعا بالدعا المشهور اللهم اليك اشكو ضعف
قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ارحم الراحمين وانت رب المستضعفين الى من تكلني
الى بعيد يتجهمني ام الى صديق قريب كلفته امري ان لم تكن غضبانا علي فلا ابالي
غير ان عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه
امر الدنيا والاخرة ان ينزل بي غضبك او يحل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى
ولا حول ولا قوة الا بك او رده ابن اسحق ورواه الطبراني في كتاب الدعا عن عبد الله
ابن جعفر قال لما توفي ابو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا الى الطايف
فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فاتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليك اشكو فذكره
وقوله يتجهمني بتقديم الجيم على الها اي يلقاني بالغلظة والوجه الكريه ثم دخل صلى
الله عليه وسلم مكة في جوار المطعم بن عدي **ولما كان** في شهر ربيع الاول اسري به
بروحه وجسده يقظة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم عرج من المسجد الاقصى
الى فوق سبع سموات وراى ربه بعيني راسه واوحى اليه ما اوحى وفرض عليه الصلوات
الخمس ثم انصرف في ليلته الى مكة فاخبر بذلك فصدقه الصديق وكل من امن بالله
وكذب به الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس فمثله الله له فجعل ينظر اليه
ويصفه قال الزهري وكان ذلك بعد المبعث بخمس سنين حكاه عنه القاضي
عياض ورجحه القرطبي والنووي واحتج بانه لا خلاف ان خديجة صلت معه بعد
فرض الصلاة ولا خلاف انها توفيت قبل الهجرة اما بثلاث واما بخمس ولا خلاف ان
فرض الصلاة كانت ليلة الاسرا **وتعقب** بان موت خديجة بعد المبعث بعشر
سنين على الصحيح في رمضان وذلك قبل ان تفرض الصلاة ويؤيده اطلاق حديث

عائشة

مطلب دعائه لما رجع من الطائف الى ... اشكو ضعف قوتي ...

مطلب يتجهمني ... بلغ

مطلب الاسراء ... سموات ... ثم

عايشة ان خديجة ماتت قبل ان تفرض الصلوات ويؤيده اطلاق الخمس ويلزم منه ان يكون
موتها قبل الاسرا وهو المعتمد واما التردد في سنة وفاتها فيرده جزم عايشة بانها ماتت
قبل الهجرة بثلاث سنين قاله الحافظ ابن حجر وقيل قبل الهجرة بسنة قاله ابن حزم وادعى
فيه الاجماع **وقيل** قبل الهجرة بسنة وخمسة اشهر قاله السدي واخرجه من طريقه الطبري
والبيهقي فعلى هذا كان في شوال وقيل كان في رجب حكاه ابن عبد البر وقبله ابن قتيبة
وبه جزم النووي في الروضة **وقيل** كان قبل الهجرة بسنة وثلاثة اشهر فعلى هذا يكون
في ذي الحجة وبه جزم ابن فارس **وقيل** قبل بثلاث سنين ذكره ابن الاثير **وقال** الحربي
انه كان في سابع عشري ربيع الاخرة وكذا قال النووي في فتاويه لكن قال في شرح مسلم
في ربيع الاول وقيل كان ليلة السابع والعشرين من رجب واختاره الحافظ عبد الغني بن
سرور المقدسي **واما** اليوم الذي يسفر عن ليلتها فقيل الجمعة وقيل السبت **وعن**
ابن دحية يكون ان شا الله يوم الاثنين ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة
فان هذه اطوار الانتقالات وجودا ونبوة ومعراجا وهجرة ووفاة وسياتي ان شا الله
تعالى قصة الاسرا والمعراج وما فيها من المباحث والله الموفق والمعين **ولما** اراد الله
تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز موعده له خرج صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي
لقي فيه الانصار الاوس والخزرج فعرض نفسه صلى الله عليه وسلم على قبايل العرب كما
كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا
فقال لهم من انتم قالوا نفر من الخزرج قال افلا تجلسون اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه
فدعاهم الى الله تعالى وعرض عليهم الاسلام وتلى عليهم القران وكان من صنع الله ان اليهود
كانوا معهم في بلادهم وكانوا اهل كتاب وكان الاوس والخزرج اكثر منهم فكانوا اذا كان
بينهم شي قالوا ان نبيا سيبعث الان قد اظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه فلما كلمهم النبي
صلى الله عليه وسلم عرفوا النعت فقال بعضهم لبعض لا يسبقنا اليهود اليه فاجابوه
الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام فاسلم منهم ستة نفر
كلهم من الخزرج **وهم** ابو امامة اسعد ابن زرارة وعوف بن الحارث بن رفاعة وهو
ابن عفرا ورافع ابن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر ابن حديدة وعقبة بن عامر
ابن نابي وجابر بن عبد الله بن رياب وليس بجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام
ومن اهل العلم بالسير من يجعل فيهم عبادة بن الصامت ويسقط جابر بن رياب
فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهري حتى ابلغ رسالة ربي فقالوا
يا رسول الله انما كانت بعاث عام الاول يوم من ايامنا اقتتلنا به فان تقدم ونحن
كذا لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشايرنا لعل الله يصلح ذات
بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله ان يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك
واتبعوك فلا احد اعز منك وموعدك الموسم العام القابل وانصرفوا الى المدينة

مطلب العقبة الاولى

ولم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم **قيل** كان العام المقبل
لقيه اثنا عشر رجلا وفي الاكليل احدي عشر وهي العقبة الثانية فيهم خمسة من الستة
المذكورين وهم ابو امامة وعوف ابن عفرا ورافع ابن مالك وقطبة بن عامر بن حديدة
وعقبة بن عامر ابن نابي ولم يكن فيهم جابر ابن عبد الله بن رياب لم يحضرها والسبعة
تتمة الاثني عشر هم معاذ ابن الحارث ابن رفاعة وهو ابن عفرا اخو عوف المذكور
وذكوان ابن عبد قيس الزرقي وقيل انه رحل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة
فسكنها معه فهو مهاجري انصاري قتل يوم احد وعبادة بن الصامت بن قيس
وابو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي والعباس ابن عبادة بن نضلة وهؤلاء من
الخزرج ومن الاوس رجلان ابو الهيثم بن التيهان من بني عبد الاشهل وعويم
ابن ساعدة فاسلموا وبايعوا على بيعة النسا اي وفق بيعتهم التي نزلت بعد ذلك عند
فتح مكة وهي ان لا نشرك بالله شيا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا ولا ناتي ببهتان
نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولا نعصيه في معروف والسمع والطاعة في العسر واليسر
والمنشط والمكره واثرة علينا وان لا ننازع الامر اهله وان نقول الحق حيث كنا لا نخاف في
الله لومة لايم قال صلى الله عليه وسلم فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشي من ذلك شيا كان
امره الى الله ان شا عذبه وان شا عفا عنه ولم يفرض يومئذ القتال **ثم** انصرفوا الى
المدينة فاظهر الله الاسلام وكان اسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن اسلم وكتبت
الاوس والخزرج الى النبي صلى الله عليه وسلم ابعث الينا من يقرينا القرآن فبعث
اليهم مصعب بن عمير **وروى** الدارقطني عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
كتب الى مصعب بن عمير ان يجمع بهم الحديث وكانوا اربعين رجلا فاسلم على يدي مصعب
ابن عمير خلق كثير من الانصار واسلم في جماعتهم سعد بن معاذ واسيد بن حضير واسلم
باسلامهم جميع بني عبد الاشهل في يوم واحد الرجال والنسا ولم يبق منهم احد الا اسلم
خلا الاصيرم وهو عمرو بن ثابت بن وقش فانه تاخر باسلامه الى يوم احد فاسلم
واستشهد ولم يسجد لله سجدة واحدة واخبر صلى الله عليه وسلم انه من اهل الجنة
ولم يكن في عبد الاشهل منافق ولا منافقة بل كانوا كلهم حنفا مخلصين رضي الله عنهم
ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في العقبة الثالثة في العام المقبل في ذي الحجة
اوسط ايام التشريق منهم سبعون رجلا **وقال** ابن سعد يزيدون رجلا او رجلين
وامراتان وقال ابن اسحق ثلاث وسبعون وامراتان وقال الحاكم خمسة وسبعون
نفسا فكان اول من ضرب على يده عليه الصلاة والسلام البرا ابن معرور **وقال**
ابو الهيثم وقال اسعد بن زرارة على انهم يمنعونه ما يمنعون منه نساهم وابناهم
وعلى حرب الاحمر والاسود وكانت اول اية نزلت في الاذن بالقتال اذن للذين
يقاتلون الاية **وفي** الاكليل ان الله اشترى من المومنين الاية ونقب عليهم اثني

عشر نقيبا **وفي** حديث جابر عند احمد باسناد حسن وصححه الحاكم وابن حبان مكث صلى
الله عليه وسلم عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم في المواسم بمنى وغيرها يقول من
يووني من ينصرني حتى ابلغ رسالة ربي وله الجنة حتى بعثنا الله له من يثرب فذكر
الحديث وفيه على ان تنصروني اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه
انفسكم وازواجكم وابناكم ولكم الجنة الحديث **وحضر** العباس العقبة تلك الليلة متوثقا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤكدا على اهل يثرب وكان يومئذ على دين قومه **قال**
ابن اسحق ولما تمت بيعة هولا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانت سرا
عن كفار قريش امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا
ارسالا واقام بمكة ينتظر ان يوذن له في الخروج فكان اول من هاجر من مكة الى المدينة
ابو سلمة بن عبد الاسد قبل بيعة العقبة بسنة قدم من الحبشة لمكة فاذاه اهلها وبلغه
اسلام من اسلم من الانصار فخرج اليهم ثم عامر بن ربيعة وامراته ليلى ثم عبد الله بن جحش ثم
المسلمون ارسالا ثم عمر بن الخطاب واخوه زيد وعياش بن ربيعة في عشرين راكبا فقدموا
المدينة فنزلوا في العوالي ثم خرج عثمان بن عفان حتى لم يبق معه صلى الله عليه وسلم
الا علي بن ابي طالب وابو بكر كذا قاله ابن اسحق **قال** مغلطاي وفيه نظر لما ياتي بعد
وكان الصديق كثيرا ما يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول
لا تعجل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فيطمع ابو بكر ان يكون هو **ثم** اجتمع قريش ومعهم
ابليس في صورة شيخ نجدي في دار الندوة دار قصي بن كلاب وكانت قريش لا تقضي امرا
الا فيها يتشاورون فيما يصنعون في امره صلى الله عليه وسلم فاجمع رايهم على قتله وتفرقوا
على ذلك **فان قيل** لم تمثل الشيطان في صورة نجدي فالجواب لانهم قالوا كما ذكره بعض
اهل السير لا يدخلن معكم في المشاورة احد من اهل تهامة لان هواهم مع محمد فلذلك
تمثل في صورة نجدي انتهى **ثم** اتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت
هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه
حتى ينام فيثبوا عليه فامر صلى الله عليه وسلم عليا فنام مكانه وغطي ببرد اخضر فكان اول
من شرى نفسه وفي ذلك يقول: وقيت بنفسي خير من وطي الثرى ∴ ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول اله خاف ان يمكروا به ∴ فنجاه ذو الطول الاله من المكر
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخذ الله على ابصارهم فلم يره احد منهم ونثر
على رووسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله تعالى فاغشيناهم
فهم لا يبصرون ثم انصرف صلى الله عليه وسلم حيث اراد فاتاهم ات ممن لم يكن معهم فقال
ما تنتظرون هاهنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليه الصلاة والسلام
عليكم ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على راسه ترابا وانطلق لحاجته افما ترون ما بكم فوضع
كل رجل يده على راسه فاذا عليه تراب **وفي** رواية ابي حاتم ما صححه الحاكم من حديث

اول مبدا الهجرة الى المدينة

Copyright King Saud University

ابن عباس فما اصاب رجلا منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا وفي هذه نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية ثم اذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال ابن عباس بقوله تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اخرجه الترمذي وصححه الحاكم فان قلت ما الحكمة في هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة واقامته بها الى ان انتقل الى ربه عز وجل اجيب بان حكمة الله قد اقتضت انه صلى الله عليه وسلم تتشرف به الاشيا لا انه يتشرف بها فلو بقي عليه الصلاة والسلام في مكة الى انتقاله الى ربه لكان يتوهم انه قد تشرف بمكة اذ ان تشرفها قد سبق بالخليل واسماعيل عليهما الصلاة والسلام فاراد الله ان يظهر شرفه صلى الله عليه وسلم فامره بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به حتى وقع الاجماع على ان افضل البقاع الموضع الذي ضم اعضاه الكريمة صلى الله عليه وسلم وذكر الحاكم ان خروجه صلى الله عليه وسلم كان بعد بيعة العقبة بثلاثة اشهر او قريبا منها وجزم ابن اسحق بانه خرج اول ربيع الاول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما وكذا جزم الاموي في المغازي عن ابن اسحق فقال كان مخرجه من مكة بعد العقبة بشهرين وليال قال وخرج لهلال ربيع الاول وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول قال في فتح الباري وعلى هذا خرج يوم الخميس وقال الحاكم تواترت الاخبار ان خروجه يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين الا ان محمد بن موسى الخوارزمي قال انه خرج من مكة يوم الخميس ويجمع بينهما بان خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لانه اقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وخرج اثنا ليلة الاثنين وكانت مدة اقامته بمكة من حين النبوة الى ذلك الوقت بضع عشرة سنة وقيل عليه قول صرمة ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواتيا وقيل غير ذلك وامره جبريل ان يستصحب ابا بكر وامر عليه الصلاة والسلام عليا ان يتخلف بعده حتى يودي عنه الودايع التي كانت عنده للناس قال ابن شهاب قال عروة قالت عايشة رضي الله عنها فبينا نحن جلوس يوما في بيت ابي بكر في نحو الظهيرة قال قايل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها قال ابو بكر فدى له ابي وامي والله ما جاء به في هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابي انت وامي يا رسول الله قال السهيلي وذلك ان عايشة قد كان ابوها انكحها منه عليه الصلاة والسلام قبل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انه قد اذن لي في الخروج فقال ابو بكر الصحبة بابي انت وامي يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم فقال ابو بكر فخذ بابي انت يا رسول الله احدى راحلتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن فان قلت لم لم يقبلها الا

بالثمن

بالثمن وقد انفق عليه ابو بكر من ماله ما هو اكثر من هذا فقبل اجيب بانه انما فعل ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه في استكمال فضل الهجرة الى الله تعالى وان يكون على اتم الاحوال انتهى قالت عايشة رضي الله تعالى عنها فجهزناهما احث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت اسما بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار ثور جبل باسفل مكة وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة لما وقف على الحزورة ونظر الى البيت فقال والله انك احب ارض الله الي وانك لاحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت وهذا من اصح ما يحتج به في تفضيل مكة على المدينة ولم يعلم بخروجه صلى الله عليه وسلم الا علي وال ابي بكر وروي انهما خرجا من خوخة لابي بكر في ظهر بيته ليلا الى الغار فلما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة اثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور اثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده ولله در الشيخ شرف الدين الابوصيري حيث قال

ويح قوم جفوا نبيا بارض ٭ ألفته ضبابها والظباء

وسلوه وحن جذع اليه ٭ وقلوه وودّه الغرباء

اخرجوه منها واواه غار ٭ وحمته حمامة ورقاء

وكفته بنسجها عنكبوت ٭ ما كفته الحمامة الحصداء

يقال شجرة حصدا اي كثيرة الورق فكانه استعاره للحمامة لكثرة ريشها وذكر قاسم بن ثابت في الدلايل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وابو بكر معه انبت الله على بابه الراءة قال قاسم وهي شجرة معروفة وهي ام غيلان وعن ابي حنيفة تكون مثل قامة الانسان لها خيطان وزهر ابيض تحشى به المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن فحجبت عن الغار اعين الكفار وفي مسند البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تلك الحمامتين ثم اقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين ~~فرجع الملتمس~~ بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له ما لك قال رايت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال اخر ادخلوا الغار فقال امية ابن خلف وما اربكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وقد روي ان الحمامتين باضتا في اسفل النقب ونسج العنكبوت فقالوا لو دخلا لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت وهذا ابلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتامل كيف اظلت الشجرة المطلوب واضلت

وفي حديث [illegible]
في الهجرة [illegible] الله عليه
الصلاة والسلام [illegible]
تبير احمد ط عني [illegible]
احاف ان تقتل علي [illegible]
فاوذن فنادا [illegible]
الي يا رسول الله [illegible]

صلى الله عليه وسلم

Copyright King Saud University

الطالب وجاءت العنكبوت فسدت باب الطلب وحاكت وجه المكان فحاكت ثوب
نسجها فحاكت سترا حتى عمي على القايف الطلب والعنكبوت اجادت حوك حلتها فما خال
خلال النسج من الخلل ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك وما احسن قول ابن
النقيب ودود القز ان نسجت حريرا يجمل لبسه في كل شي فان العنكبوت اجل منها
وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فعميت ابصارهم عن دخوله وجعلوا يضربون
يمينا وشمالا حول الغار وهذا يشير اليه قول صاحب البردة

اقسمت بالقمر المنشق ان له من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم وكل طرف من الكفار عنه عمي
والصدق في الغار والصديق لم يرما وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله اغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الاطم

اي عموا في الغار مع خلق الله تعالى ذلك فيهم لانهم ظنوا ان الحمام لا تحوم حوله صلى الله
عليه وسلم وان العنكبوت لا تنسج عليه لما جرت العادة ان هذين الحيوانين يتوحشان
لا بالمكان المعمور انما احس بالانسان فرا منه وما علموا ان الله تعالى يسخر ما يشا من خلقه
لمن يشا من عباده وان وقاية الله عبده بما يشا تغني عبده عن التحصن بمضاعفة
من الدروع ومن التحصن بالعالي من الاطم وهي الحصون فلله در الابوصيري من شاعر
وما احسن قوله في قصيدته اللامية حيث قال

واعجب باحبين اضحى الغار وهو بهم كمثل قلبي معمور وماهول
كانما المصطفى فيه وصاحبه الصديق ليثان قد اواهما غيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على وهن فيا حبذا نسج وتجليل
عناية ضل كيد المشركين بها وما مكايدهم الا الاضاليل
اذ ينظرون وهم لا يبصرونهما كان ابصارهم من زيغها حول

وفي الصحيح عن انس قال ابو بكر يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لرانا فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروي ان ابا بكر رضي الله
تعالى عنه قال نظرت الى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تقطرتا دما
فاستبكيت وعلمت انه صلى الله عليه وسلم لم يكن تعود الحفا والجفوة وروى ايضا ان
ابا بكر دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه وانه راي حجرا فيه
فالقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت الحيات
والافاعي تضربنه وتلسعنه فجعلت دموعه تتحدر وفي رواية فدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووضع راسه في حجر ابي بكر ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الجحر
ولم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك

يا ابا بكر فقال لدغت فداك ابي وامي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب
ما يجده رواه رزين وروى ايضا ان ابا بكر لما راى القافة اشتد حزنه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت
الامة فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعني
بالمعونة والنصر فانزل الله سكينته وهي امنة تسكن عندها القلوب على ابي بكر لانه
كان منزعجا وايده يعني النبي صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعني الملايكة ليحرسوه
في الغار او ليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رويته انظر لما راى الرسول صلى الله
عليه وسلم حزن الصديق قد اشتد لكن لا على نفسه قوى قلبه ببشارة لا تحزن
ان الله معنا كانت تحفة ثاني اثنين مدخرة له دون الجميع فهو الثاني في الاسلام والثاني
في بذل النفس والعمر وسبب الموت لما وقى الرسول صلى الله عليه وسلم بماله ونفسه
جوزي بمواراته معه في رمسه وقام موذن التشريف ينادي على منابر الامصار ثاني اثنين
اذ هما في الغار ولقد احسن حسان حيث قال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به اذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا من الخلايق لم يعدل به بدلا

وتامل قول موسى عليه الصلاة والسلام لبني اسرائيل كلا ان معي ربي سيهدين وقول
نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق ان الله معنا فموسى خص بشهود المعية ولم يتعد منه
الى اتباعه ونبينا تعدى الى الصديق ولم يكن معي لانه امد ابا بكر بنوره فشهد
سر المعية ومن ثم سرى سر السكينة على ابي بكر والا لم يثبت تحت اعباء هذا التجلي
والشهود واين معية الربوبية في قصة موسى عليه الصلاة والسلام من معية الالهية
في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم قاله العارف شمس الدين ابن اللبان واخرج
ابو نعيم في الحلية عن عطا ابن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود
حين كان طالوت يطلبه ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم في الغار وكذا نسجت
على الغار الذي دخله عبد الله بن انيس لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقتل خالد بن نبيح الهذلي بالعرنة فقتله ثم حمل راسه ودخل في غار فنسجت عليه
العنكبوت وجا الطلب فلم يجدوا شيا فانصرفوا راجعين وفي تاريخ ابن عساكر ان
العنكبوت نسجت ايضا على عورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب لما صلب
عريانا في سنة احدى وعشرين ومائة وكان مكثه صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي
الله تعالى عنه في الغار ثلاث ليال وقيل بضعة عشر يوما والاول هو المشهور
وكان يبيت عندهما عبد الله بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن اي ثابت المعرفة
بما يحتاج اليه فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبايت فلا يسمع امرا
يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك اليوم حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر

Copyright King Saud University

ابن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء فيبيتان
في رسل وهو لبن منحتهما يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر عبد الله ابن الاريقط دليلا وهو على دين كفار قريش
ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما واصبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل
فاخذ بهم على طريق السواحل فمروا بقديد على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية
وكانت برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم وكان القوم مرملين مسنتين
فطلبوا لحما وتمرا يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل بها من لبن فقالت هي اجهد من ذلك فقال اتاذنين لي ان احلبها فقالت نعم
بابي انت وامي ان رايت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى
الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يربض الرهط اي يشبع الجماعة حتى يربضوا فحلب
فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلب فيه مرة اخرى عللا بعد نهل
ثم غادره عندها وذهبوا فقل ما لبث حتى جاء زوجها ابو معبد قال السهيلي لا يعرف
اسمه وقال العسكري اسمه اكثم ابن ابي الجون ويقال ابن الجون يسوق اعنزا عجافا
يتساوكن هزلا مخهن قليل فلما راى ابو معبد اللبن عجب وقال ما هذا يا ام معبد انى
لك هذا والشاء عازب حيال ولا حلوب بالبيت فقالت لا والله الا انه مر بنا رجل
مبارك من حاله كذا وكذا فقال صفيه يا ام معبد فقالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة
متبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة وسيم قسيم في عينيه دعج
وفي اشفاره وطف وفي صوته صحل احور اكحل ازج اقرن شديد سواد الشعر
في عنقه سطع وفي لحيته كثاثة اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البهاء
وكان منطقه خرزات نظم يتحدرن حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر
اجهر الناس واجمله من بعيد واحلاه واحسنه من قريب ربعة لا تشنؤه
من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو انضر الثلاثة
منظرا واحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به اذا قال استمعوا لقوله وان امر
تبادروا الى امره محفود محشود لا عابس ولا مفند فقال
والله هذا صاحب قريش لو رايته لاتبعته قالت اسماء بنت ابي بكر فلما خفي علينا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش منهم ابو جهل ابن هشام
فخرجت اليهم فقال اين ابوك فقلت والله لا ادري اين ابي قالت فرفع ابو جهل
يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة خرج منها قرطي قالت ثم انصرفوا
ومكثنا لم ندر اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى رجل من الجن يسمعون
صوته ولا يرونه وهو ينشد هذه الابيات

جزى

جزى الله رب الناس خير جزائه ۞ رفيقين حلا خيمتي ام معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا ۞ فافلح من امسى رفيق محمد
فيال قصي ما زوى الله عنكم ۞ به من فعال لا تجازى وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ۞ ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها ۞ فانكم ان تسالوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ۞ له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب ۞ يرددها في مصدر ثم مورد
هما نزلا بالهدى واهتدت به ۞ فقد فاز من امسى رفيق محمد

فعال

فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه صلى الله عليه وسلم وقوله مرملين اي نفدت ازوادهم ومسنتين
اي مجدبين ويروى مشتين اي دخلوا في الشتاء وكسر الخيمة بكسر الكاف وفتحها وسكون
السين جانبها وتفاجت بتشديد الجيم فتحت ما بين رجليها ويربض الرهط بضم المثناة
التحتية وكسر الموحدة اي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الارض من ربض في
المكان يربض اذا لصق به واقام والثج السيلان وفي رواية فحلب ثجا حتى علاه الثمال
بضم المثلثة الرغوة واحدتها ثمالة والبهاء اي بهاء اللبن وهو وبيص رغوته ويتساوكن
هزلا اي يتمايلن ويروى يتشاركن اي يتساوين في الهزال وغادره بالغين المعجمة
ابقاه والشاء عازب اي بعيدة الرعي والابلج بالجيم المشرق الوجه المضيئه والحيال
بكسر الحاء المهملة جمع حائل وهي التي ليس بها حمل والوضاءة الحسن والثجلة بفتح الثاء المثلثة
وسكون الجيم عظم البطن ويروى بالنون والحاء اي نحول ودقة والصعلة بفتح الصاد
صغر الراس وهي ايضا الدقة والنحول في البدن والوسيم الحسن وكذلك القسيم وفي
عينيه دعج اي سواد والوطف قال في القاموس محركة كثرة شعر الحاجبين والعينين
وفي صوته صحل بالتحريك وهو كالبحة بضم الموحدة وان لا يكون حاد الصوت واحور
قال في القاموس الحور بالتحريك ان يشتد بياض العين وسواد سوادها والكحل
بفتحتين سواد في اجفان العين خلقة والرجل اكحل وكحيل والازج الدقيق طرف الحاجبين
وفي القاموس والزجج محركة دقة الحاجبين في طول والاقرن المقرون الحاجبين وفي
عنقه سطع بفتحتين اي ارتفاع وطول وفي لحيته كثاثة بمثلثتين الكثاثة في اللحية
ان تكون غير رقيقة ولا طويلة وفيها كثافة يقال رجل كث اللحية بالفتح وقوم كث بالضم
واذا تكلم سما وعلاه البهاء اي ارتفع وعلا على جلسائه وفصل بالصاد المهملة ولا نزر
بسكون الزاي المعجمة ولا هذر بفتحها اي بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل
لا تشنؤه من طول كذا جاء في رواية اي لا يبغض لفرط طوله وروي ولا يتشنى من
طول ابدل من الهمزة ياء يقال شنئته اشنؤه شنأ وشنانا قاله ابن الاثير ولا تقتحمه
عين من قصر اي لا تتجاوزه الى غيره احتقارا له وكل شيء ازدريته فقد اقتحمته ومحفود اي

Copyright ... University

بلغ

عديم والمجشود الذي عنده حشد وهم الجماعة ولا عابس من عبوس الوجه ه
والمفند الذي بكسر اللوم وهو التفنيد والصرة لحم الضرع وغادرها اي خلف الشاة
عندها مرتهنة بان تدر واخرج ابن سعد وابو نعيم من طريق الواقدي حدثني
حزام بن هشام عن ابيه عن ام معبد قالت بقيت الشاة التي لمس عليه الصلاة
والسلام ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة زمان عمر بن الخطاب وكنا نحلبها
صبوحا وغبوقا وما في الارض قليل ولا كثير ثم تعرض لهما بقديد سراقة بن مالك بن
جعشم المدلجي فبكى ابو بكر وقال يا رسول الله اتينا قال كلا ودعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بدعوات فساخت قوايم فرسه وطلب الامان فقال اعلم ان قد دعوتما علي
فادعوا لي ولكما ان ارد الناس عنكما ولا اضركما قال فوقفا لي فركبت فرسي حتى جيتهما
قال ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزاني واجتاز صلى الله
عليه وسلم في وجهه ذلك بعبد يرعى غنما فكان من شانه ما رويناه من طريق البيهقي
بسنده عن قيس بن النعمان قال لما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر مستخفين
مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ما عندي شاة تحلب غير ان هاهنا
عناقا حملت عام اول وما بقي لها لبن فقال ادع بها فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح
ضرعها ودعا حتى انزلت وجا ابو بكر بمجن فحلب فسقى ابا بكر ثم حلب فسقى الراعي ثم حلب
فشرب فقال الراعي بالله من انت فوالله ما رايت مثلك فقال او تراك تكتم علي حتى
اخبرك قال نعم قال فاني محمد رسول الله فقال انت الذي تزعم قريش انه صابي قال انهم
ليقولون ذلك قال فاشهد انك نبي وان ما جيت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبي وانا
متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك اني قد ظهرت فاتنا قال الحافظ
مغلطاي بعد ذكره لقصة ام معبد وفي الاكليل قصة اخرى شبيهة بقصة ام
معبد قال الحاكم فلا ادري اهي هي ام غيرها ولما سمع المسلمون بالمدينة خروج رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مكة وكانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه
حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما طالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم
اوفى رجل من اليهود على اطم من اطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي نفسه فنادا باعلا صوته
يا بني قيلة هذا جدكم الذي تنتظرونه فثار الاوس والخزرج سراعا بسلاحهم فتلقوه فنزل بقبا على بني عمرو بن
عوف الحديث رواه البخاري وفيه ان ابا بكر قام للناس وجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم صامتا فطفق من جا من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحيي ابا بكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى
ظلل عليه بردايه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وظاهر

هذا

٣٨

هذا انه عليه الصلاة والسلام كانت الشمس تصيبه وما تقدم من تظليل الغمام والملك
له كان قبل بعثته كما هو صريح في موضعه قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب وكان
قدومه عليه الصلاة والسلام لهلال ربيع الاول اي اول يوم منه وفي رواية جرير
ابن حازم عن ابن اسحق قدمها لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول ونحوه عن ابن معشر
لكن قال ليلة الاثنين وعن ابن سعد قدمها لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول
وفي شرف المصطفى من طريق ابي بكر بن حزم قدم لثلاث عشرة من ربيع الاول وهذا يجمع
بينه وبين الذي قبله على الاختلاف وفي رواية الهلال وقيل كان حين اشتد الضحى يوم
الاثنين لاثنتي عشرة ليلة منه وبه جزم النووي في كتاب السير من الروضة وقال
ابن الكلبي خرج من الغار يوم الاثنين اول يوم منه من ربيع الاول ودخل المدينة
يوم الجمعة لاثنتي عشرة منه وقيل لليلتين منه وعند البيهقي اثنين وعشرين
ليلة وقال ابن حزم خرج من مكة وقد بقي من صفر ثلاث ليال واقام علي بمكة بعد خروج
النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام ثم ادركه بقبا يوم الاثنين سابع وقيل ثامن عشر
ربيع وكانت مدة مقامه مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة او ليلتين وامر صلى الله عليه
وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وقيل ان عمر اول من ارخ وجعله من المحرم واقام
صلى الله عليه وسلم بقبا في بني عمرو بن عوف اثنتين وعشرين ليلة وفي صحيح مسلم
اقام فيهم اربع عشرة ليلة ويقال انه قام يوم الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس واسس
مسجد قبا الذي اسس على التقوى على الصحيح وهو اول مسجد بني في الاسلام واول
مسجد صلى فيه صلى الله عليه وسلم باصحابه جماعة ظاهرا واول مسجد بني لجماعة
المسلمين عامة وان كان تقدم بنا غيره من المساجد لكن لخصوص الذي بناه
ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قبا يوم الجمعة حين ارتفع النهار فادركته الجمعة
في بني سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وهم مائة في بطن وادي
رانونا براء مهملة ونونين ممدود كعاشورا او تاسوعا واسم المسجد الغبيب
بضم الغين المعجمة مصغر غب كما ضبطه صاحب المغانم المطابة والوادي ذو صلب ولذا سمي مسجد
الجمعة وهو مسجد صغير مبني بحجارة قدر نصف القامة وهو على يمين السالك الى مسجد قبا
وركب صلى الله عليه وسلم على راحلته بعد الجمعة متوجها للمدينة وروى انس ابن مالك
انه صلى الله عليه وسلم اقبل الى المدينة وهو مردف ابا بكر وابو بكر شيخ يعرف والنبي صلى
الله عليه شاب لا يعرف قال فيلقى الرجل ابا بكر فيقول يا ابا بكر من هذا الرجل الذي
بين يديك قال فيقول هذا الرجل يهديني السبيل قال فيحسب الحاسب انما يعني
الطريق وانما يعني سبيل الخير الحديث رواه البخاري وقد روى ابن سعد انه صلى
الله عليه وسلم قال لابي بكر الهِ عني الناس فكان اذا سيل من انت قال باغي حاجة فاذا قيل من
هذا معك قال هذا يهديني السبيل وفي حديث الطبراني من رواية اسما فكان ابو بكر

Copyright © King Saud University

فكان ابو بكر رجلا معروفا في الناس فاذا لقيه لاي يقول لابي بكر من هذا معك فيقول هذا
يهديني يريد الهداية في الدين ويحسبه الاخر دليلا وانما كان ابو بكر معروفا لاهل المدينة
لانه مر عليهم في سفره للتجارة وكان صلى الله عليه وسلم شابا [illegible] وكان صلى الله عليه وسلم
اسن من ابي بكر وفي حديث انس لم يكن في الذين هاجروا اشمط غير ابي بكر وكان
صلى الله عليه وسلم كلما مر على دار من دور الانصار يدعونه الى المقام عندهم يا رسول
الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها يعني الناقة فانها مامورة وقد ارخى زمامها
وما يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا حتى اذا اتت دار مالك بن النجار بركت على باب
وهو يوميذ مربد لسهل وسهيل ابني رافع بن عمرو وهما يتيمان في حجر معاذ بن عفرا
ويقال اسعد بن زرارة وهو المرجح ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت
على باب ابي ايوب الانصاري ثم ثارت منه وبركت في مبركها الاول والقت جرانها بالارض
يعني بطن عنقها او مقدمه من المذبح وارزمت يعني صوتت من غير ان تفتح فاها ونزل
عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شا الله واحتمل ابو ايوب رحله وادخله بيته
ومعه زيد بن حارثة وكانت بنو دار النجار اوسط دور الانصار وافضلها وهم اخوال
عبد المطلب جده عليه الصلاة والسلام وفي حديث ابي ايوب الانصاري عند ابي يوسف بن
يعقوب في كتاب الذكر والدعا انه قال نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم
المدينة فكنت في العلو فلما خلوت الى ام ايوب قلت لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم احق بالعلو منا ينزل عليه الملايكة وينزل عليه الوحي فما بت تلك الليلة انا ولا
ام ايوب فلما اصبحت قلت يا رسول الله ما بت الليلة انا ولا ام ايوب قال لم يا ابا ايوب
قلت كنت احق بالعلو منا تنزل عليك الملايكة وينزل عليك الوحي والذي بعثك
بالحق لا اعلو سقيفة انت تحتها ابدا الحديث ورواه الحاكم ايضا وقد ذكر ان هذا
البيت الذي لابي ايوب بناه له عليه الصلاة والسلام تبع الاول لما مر بالمدينة
وترك فيها اربعماية عالم وكتب كتابا للنبي صلى الله عليه وسلم ودفعه الى كبيرهم
وساله ان يدفعه للنبي صلى الله عليه وسلم فتداول الدار الملاك الى ان صارت
لابي ايوب وهو من ولد ذلك العالم قال واهل المدينة الذين نصروه صلى الله عليه وسلم
من ولد اوليك العلما فعلى هذا انما نزل في منزل نفسه لا في منزل غيره كذا
حكاه في تحقيق النصرة وفرح اهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم واشرقت
المدينة بحلوله فيها وسرى السرور الى القلوب قال انس بن مالك لما كان اليوم
الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضا منها كل شي وصعدت
ذوات الخدور على الاجاجير عند قدومه يقلن طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعى لله داعي وقد انشاد هذا الشعر عند قدومه صلى الله
عليه وسلم المدينة رواه البيهقي في الدلايل وابو الحسن ابن المقري في كتابه

الشمايل له عن ابن عايشة وذكره الطبري في الرياض عن ابن الفضل ابن الجحي قال سمعت
ابن عايشة يقول اراه عن ابيه فذكره وقال خرجه الحلواني على شرط الشيخين انتهى
وسميت ثنية الوداع لانه صلى الله عليه وسلم ودعه بها بعض المقيمين بالمدينة
في بعض اسفاره وقيل لانه صلى الله عليه وسلم شيع اليها بعض سراياه فودعه عندها
وقيل لان المسافر من المدينة كان يشيع اليها ويودع عندها قديما وصحح القاضي عياض
هذا الاخير واستدل عليه بقول نسا الانصار حين مقدمه صلى الله عليه وسلم
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع فدل على انه اسم قديم وقال ابن بطال انما سميت
ثنية الوداع لانهم كانوا يشيعون الحاج والغزاة اليها ويودعونهم عندها واليها
كانوا يخرجون عند التلقي انتهى قال شيخ الاسلام الولي بن العراقي وهذا كله مردود
ففي صحيح البخاري وسنن ابي داود والترمذي عن السايب بن يزيد قال لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تبوك خرج الناس يتلقونه من ثنية الوداع قال وهذا صريح في
انها من جهة الشام ولهذا لما نقل والدي رحمه الله في شرح الترمذي كلام ابن بطال قال
انه وهم قال وكلام ابن عايشة معضل لا تقوم به حجة انتهى وسبقه الى ذلك ابن القيم
في الهدي النبوي فقال هذا وهم من بعض الرواة لان ثنية الوداع انما هي من ناحية
الشام لا يراها القادم من مكة ولا يمر بها الا اذا توجه الى الشام وانما وقع ذلك عند
قدومه من تبوك انتهى لكن قال ابن العراقي ايضا ويحتمل ان تكون الثنية التي من
كل جهة يصل اليها المشيعون يسمونها ثنية الوداع انتهى وفي شرف المصطفى واخرج
البيهقي عن انس رضي الله تعالى عنه لما بركت الناقة على باب ابي ايوب خرج جوار
من بني النجار بالدفوف يقلن نحن جوار من بني النجار يا حبذا احمد من جار
فقال صلى الله عليه وسلم اتحببنني قلن نعم يا رسول الله وفي رواية الطبراني
في الصغير فقال صلى الله عليه وسلم الله يعلم ان قلبي يحبكم وقال الطبراني في الصغير
فقال صلى الله عليه وسلم وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون جا محمد جا رسول
الله ووعك ابو بكر وبلال فكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول

كل امري مصبح في اهله … والموت ادنى من شراك نعله

وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة … بواد وحولي اذخر وجليل
وهل اردن يوما مياه مجنة … وهل يبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن شيبة ابن ربيعة وامية ابن خلف كما اخرجونا من ارضنا الى ارض الوبا
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد اللهم
بارك لنا في صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة قالت يعني عايشة ثم
وقدمنا المدينة وهي اوبى ارض الله فكان بطحان يجري نجلا يعني ماء آجنا وقال عمر

Copyright King Saud University

اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك رواه البخاري **وقوله** برفع
عقيرته اي صوته لان العقيرة الساق كان الذي قطعت رجله رفعها وصاح ثم قيل
لكل من صاح ذلك حكاه الجوهري وشامة وطفيل عينان بقرب مكة والمراد بالوادي
وادي مكة وجليل نبت ضعيف **واقام** صلى الله عليه وسلم عند ابي ايوب سبعة اشهر
وقيل الى صفر من السنة الثانية وقال الدولابي شهرا وكان يصلي حيث ادركته الصلاة
ولما اراد صلى الله عليه وسلم بنا المسجد الشريف قال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم قالوا
لا نطلب ثمنه الا الى الله تعالى فابى ذلك وابتاعه بعشرة دنانير اداها من مال ابي بكر
رضي الله عنه وكان قد خرج من مكة بماله كله قال انس وكان في موضع المسجد نخل
وخرب ومقابر مشركين فامر بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت
ثم امر باتخاذ اللبن فاتخذ وابنا المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده خشب النخل وعمل
فيه المسلمون وكان عمار ينقل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له عليه الصلاة والسلام للناس اجر ولك اجران واخر زادك من الدنيا شربة لبن
وتقتلك الفئة الباغية وروينا انه صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن في بنائه
ويقول وهو ينقل "هذا الحمال لا حمال خيبر" "هذا ابر ربنا واطهر" "اللهم ان الاجر اجر الاخرة
فارحم الانصار والمهاجرة" **قال** ابن شهاب لم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت
شعر تام غير هذا انتهى **وقد قيل** ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشا الشعر
لا انشاده ولا دليل على منع انشاده متمثلا وقوله هذا الحمال بكسر الحاء المهملة وتخفيف
الميم اي المحمول من اللبن ابر عند الله من حمال خيبر اي التي تحمل منها من التمر والزبيب
ونحو ذلك **وفي** رواية المستملي بالجيم انتهى وفي كتاب تحقيق النصرة قيل ووضع
عليه الصلاة والسلام رداه فوضع الناس وهم يقولون لين قعدنا والنبي يعمل ذاك
اذا للعمل المضلل والاخرون يقولون "لا يستوي من يعمر المساجدا" "يدأب فيها قائما وقاعدا"
"ومن يرى عن التراب حائدا" **وجعلت** قبلة المسجد للقدس وجعل له ثلاثة
ابواب باب في موخره وباب يقال له باب الرحمة والباب الذي يدخل منه وجعل
طوله مما يلي القبلة الى موخره مائة ذراع وفي الجانبين مثل ذلك او دونه وجعل
اساسه قريب من ثلاثة اذرع وبنى بيوتا الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل
والجريد فلما فرغ من البنا بنى لعائشة في البيت الذي يليه شارعا الى المسجد وجعل
لسودة بنت زمعة في البيت الاخر الذي يليه الى الباب الذي يلي آل عثمان ثم
تحول عليه الصلاة والسلام من دار ابي ايوب الى مساكنه التي بناها وكان قد ارسل
زيد بن حارثة وابي رافع مولاه الى مكة فقدما بفاطمة وام كلثوم وسودة بنت زمعة
واسامة بن زيد وام ايمن وخرج عبد الله بن ابي بكر معهم بعيال ابيه **وكان** في
المسجد موضع مظلل تاوي اليه المساكين يسمى الصفة وكان اهله يسمون اهل

الصفة

ومنع سيدنا عمر

الصفة وكان صلى الله عليه وسلم يدعوهم بالليل فيفرقهم على اصحابه وتتعشى منهم
طايفة معه عليه الصلاة والسلام **وفي** البخاري من حديث ابي هريرة لقد رايت
سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه ردا اما ازار واما كسا قد ربطوا في
اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساق ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان
ترى عورته وهذا يشعر بانهم كانوا اكثر من السبعين وهولا الذين راهم ابو هريرة
غير السبعين الذين بعثهم في غزوة بير معونة وكانوا من اهل الصفة ايضا
لكن استشهدوا قبل اسلام ابي هريرة **وقد** اعتنا بجمع اصحاب الصفة ابن الاعرابي
والسلمي والحاكم وابو نعيم وعند كل منهم ما ليس عند الاخر وفيما ذكروه اعتراض
ومناقشة قاله في فتح الباري **وكان** صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة
الى جذع في المسجد قايما فقال ان القيام قد شق علي فصنع له المنبر وكان عمله وحنين
الجذع في السنة السابعة بالميم من الهجرة وبه جزم البخاري وعورض بما في حديث
الافك في الصحيحين قالت عايشة فثار الحيان الاوس والخزرج حتى كادوا
ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فنزل فخفضهم حتى
سكتوا وجزم ابن سعد بان عمل المنبر كان في السنة السابعة وعورض بذكر العباس
وتميم فيه كان قدوم العباس بعد الفتح في اخر سنة ثمان وقدوم تميم سنة تسع وعن
بعض اهل السير انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب على منبر من طين قبل ان
يتخذ المنبر الذي من خشب وعورض بان الاحاديث الصحيحة انه كان يستند
الى الجذع اذا خطب وسياتي قصة حنين الجذع ان شا الله تعالى في قصة
المعجزات **ولما** كان بعد قدومه بخمسة اشهر اخى عليه الصلاة والسلام بين
المهاجرين والانصار وكانوا تسعين رجلا من كل طايفة خمسة واربعون على الحق
والمواساة والتوارث وكانوا كذلك الى ان نزل بعد بدر واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض الاية وبنى بعايشة رضي الله تعالى عنها على راس تسعة اشهر
وقيل ثمانية عشر شهرا في شوال وكان الناس كما في السير وغيرها انما يجتمعون
الى الصلاة لتحين مواقيتها من غير دعوة **واخرج** ابن سعد في الطبقات من
مراسيل سعيد بن المسيب ان بلالا كان ينادي الصلاة بقوله الصلاة جامعة
الحديث وشاور صلى الله عليه وسلم اصحابه فيما يجمعهم به للصلاة وكان ذلك
فيما قيل في السنة الثانية فقال بعضهم ناقوس كناقوس النصارى وقال
اخرون بوق كبوق اليهود وقال بعضهم بل نوقد نارا ونرفعها فاذا راها
الناس اقبلوا الى الصلاة فراى عبد الله بن زيد بن ثعلب بن عبد ربه في
منامه رجلا يعلمه الاذان والاقامة فلما اصبح اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
بما راى وفي رواية معاذ بن جبل عن الامام احمد قال يا رسول الله اني رايت فيما يرى

في

مطلب
الخطبة الى الجذع وما عمل
المنبر الا في السابعة وحنين
الجذع

مطلب
المواخاة بين الانصار
والمهاجرين

مطلب
مشروعية الاذان في السنة الاولى
من الهجرة رواه عبد الله بن زيد بن
عبد ربه وقيل في السنة الثانية

النايم ولو قلت اني لم اكن نايما لصدقت رايت شخصا عليه ثوبان اخضران فاستقبل
القبلة فقال الله اكبر الله اكبر مثنى مثنى حتى فرغ من الاذان الحديث فقال صلى الله
عليه وسلم انها لرويا حق ان شا الله تعالى قم مع بلال فالق عليه ما رايت فليؤذن
به فانه اندى صوتا منك قال فقمت مع بلال فجعلت القيه عليه ويوذن قال
فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في بيته فخرج يجر رداه ويقول
والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رايت مثل ما راى ورد فى الاوسط للطبراني
ان ابا بكر ايضا راى الاذان وفي الوسيط للغزالي انه راه بضعة عشر رجلا وعبارة
الجيلي في شرح التنبيه اربعة عشر وانكره ابن الصلاح ثم النووي وفي سيرة
مغلطاي انه راه سبعة من الانصار قال الحافظ ابو الفضل بن حجر رحمه الله ولا يثبت
شي من ذلك الا لعبد الله بن زيد وقصة عمر جاءت في بعض الطرق انتهى قال السهيلي
فان قلت ما الحكمة التي خصت الاذان بان يراه رجل من المسلمين في نومه فلم يكن عن وحي من
الله لنبيه كساير العبادات والاحكام الشرعية وفي قوله صلى الله عليه وسلم انها
لرويا حق ثم بنى حكم الاذان عليها وهل كان ذلك عن وحي من الله ام لا واجاب بانه صلى
الله عليه وسلم قد اريه ليلة الاسرا فروى البزار عن علي قال لما اراد الله تعالى
ان يعلم رسوله الاذان جاه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق حتى اتى بها الحجاب
الذي يلي الرحمن فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال يا جبريل من هذا
قال والذي بعثك بالحق لاني اقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت
قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من ورا الحجاب صدق عبدي
انا اكبر انا اكبر وذكر بقية الاذان قال السهيلي وهذا اقوى من الوحي فلما تاخر فرض
الاذان الى المدينة واراد اعلام الناس بوقت الصلاة تلبث الوحي حتى راى عبد الله
الرويا فوافقت ما راى صلى الله عليه وسلم فلذلك قال انها لحق ان شا الله وعلم حينئذ
ان مراد الله بما اراه في السما ان يكون سنة في الارض وقوي ذلك عنده موافقة رويا
عمر الانصاري انتهى وتعقب بان حديث البزار في اسناده زياد بن المنذر ابو الجارود
وهو متروك قال في فتح الباري وقد استشكل اثبات حكم الاذان برويا عبد الله
ابن زيد لان رويا غير الانبيا لا يبنى عليها حكم شرعي واجيب باحتمال مقارنة الوحي
لذلك ويويده ما رواه عبد الرزاق وابو داود في المراسيل من طريق عبيد بن عمير الليثي
احد كبار التابعين ان عمر لما راى الاذان جا ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فوجد
الوحي قد ورد بذلك فما راعه الا اذان بلال فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك
بذلك الوحي وهذا اصح مما حكى الداودي ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم
بالاذان قبل ان يخبره عبد الله بن زيد برويته وعمر بثمانية ايام وقد عرفت ان في
عبد الله بن زيد برواية ابن اسحق وغيره وذلك انه قال طاف بي وانا نايم رجل

يحمل

يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله اتبيع الناقوس قال وما تصنع به فقلت ندعوا
به الى الصلاة قال افلا ادلك على ما هو خير لك من ذلك فقلت بلى قال تقول الله اكبر
الله اكبر وذكر بقية كلمات الاذان قال ثم استاخر عني غير بعيد ثم قال اذا اقمت الى
الصلاة فقل الله اكبر الله اكبر الى اخر كلمات الاقامة وروى ابو داود باسناد صحيح ولم
نعرف كيفيته رويا عمر حين راى النبي او قد قال رايت مثل الذي راى وفي مسند
الحارث اول من اذن بالصلاة جبريل اذن في سما الدنيا فسمعه عمر وبلال فسبق عمر
بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بها فقال عليه الصلاة والسلام لبلال
سبقك بها عمر وظاهره ان عمر سمع ذلك في اليقظة وقد وردت احاديث تدل على ان
الاذان شرع بمكة قبل الهجرة منها للطبراني من طريق سالم ابن عبد الله بن عمر عن
ابيه قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم اوحى الله اليه الاذان فنزل به وعلمه
بلالا وفي اسناده طلحة بن زيد وهو متروك ومنها للدارقطني في الافراد من
حديث انس ان جبريل امر النبي صلى الله عليه وسلم بالاذان حين فرضت الصلاة واسناده ده
ضعيف ومنها حديث البزار عن علي المتقدم قال في فتح الباري والحق انه لا يصح شي
من هذه الاحاديث وقد جزم ابن المنذر بانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بغير اذان
منذ فرضت الصلاة بمكة الى ان هاجر الى المدينة الى ان وقع التشاور في ذلك والله اعلم فان
قلت هل اذن صلى الله عليه وسلم بنفسه قط اجاب السهيلي بانه روى الترمذي من طريق
يدور على عمر بن الرماح قاضي بلخ يرفعه الى ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم اذن في سفر وصلى
على راحلته الحديث قال فنزع بعض الناس بهذا الحديث الى انه صلى الله عليه وسلم
اذن بنفسه انتهى وليس هذا من حديث ابي هريرة انما هو من حديث يعلى بن مرة وكذا
جزم النووي بانه عليه الصلاة والسلام اذن مرة في السفر وعزاه للترمذي وقواه لكن
روى الحديث الدارقطني وقال فيه امر بالاذان ولم يقل اذن قال السهيلي والمفصل يقضي
على المجمل المحتمل وفي مسند احمد من الوجه الذي اخرج منه الترمذي هذا الحديث فامر
بلالا فاذن قال في فتح الباري فعرف ان في رواية الترمذي اختصارا وان قوله اذن امر كما
يقال اعطى الخليفة فلانا الفا وانما باشر العطا غيره ونسب للخليفة لكونه امر انتهى نعم ثبت
في صحيح مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف عبد الرحمن بن عوف ولفظه عن المغيرة
ابن شعبة انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك فتبرز رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل الغايط فحملت معه اداوة قبل صلاة الفجر الحديث الى ان قال فاقبلت معه حتى نجد
الناس قد قدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى لهم فادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى الركعتين
فصلى مع الناس الركعة الاخرة فلما سلم عبد الرحمن بن عوف قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتم صلاته فافزع ذلك المسلمين فاكثروا التسبيح فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته اقبل
عليهم ثم قال احسنتم او قال قد اصبتم يغبطهم ان صلوا الوقتها ورواه ابو داود في السنن بنحوه

مطلب
التكلم على الروايات المتعددة
صلى الله عليه وسلم بنفسه والجواب
عن ذلك باحسن الرد ... اه

Copyright King Saud University

ولفظه ووجدنا عبد الرحمن وقد ركع لهم ركعة من صلاة الفجر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصف من المسلمين فصلى وراء عبد الرحمن بن عوف الركعة الثانية ثم سلم عبد الرحمن فقام
النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته الحديث قال النووي فيه جواز اقتداء الفاضل بالمفضول
وجواز اقتداء النبي صلى الله عليه وسلم خلف بعض امته قال واما بقاء عبد الرحمن في صلاته وتاخر
ابي بكر رضي الله عنه ليتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فالفرق بينهما ان عبد الرحمن كان قد ركع
ركعة فترك النبي صلى الله عليه وسلم التقدم لئلا يختل ترتيب صلاة القوم بخلاف صلاة ابي بكر
نعم في السيرة الهاشمية ان ابا بكر كان الامام وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتم به لكنه
كما قال السهيلي حديث مرسل في السيرة قال والمعروف في الصحاح ان ابا بكر كان يصلي بصلاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلاة ابي بكر لكن قد روي عن انس من طريق متصل
ان ابا بكر كان الامام يومئذ واختلف فيه عن عايشة رضي الله عنها انتهى وفي الترمذي
مصححا ان اخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوب واحد متوشحا به خلف ابي بكر
قال ابن الملقن وقد نص على هذا القول غير واحد من الحفاظ منهم الضيا وابن ناصر وقال صح وثبت
انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف ابي بكر مقتديا به في مرضه الذي مات فيه ثلاث مرات ولا ينكر
هذا الا جاهل لا علم له بالرواية وقيل انه كان مرتين جمعا بين الاحاديث وبه جزم ابن حبان وروى
الدارقطني من طريق المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما مات نبي حتى
يؤمه رجل من امته فلما كان بعد شهر من مقدمه عليه الصلاة والسلام لاثنتي عشرة خلت
من ربيع الاخر قال الدولابي يوم الثلاثاء وقال السهيلي بعد الهجرة بعام او نحوه زيد في صلاة
الحضر ركعتان وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها وصلاة المغرب لانها وتر النهار واقرت	ركعتان
صلاة السفر وفي البخاري عن عايشة فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ثم هاجر عليه الصلاة والسلام
الى المدينة ففرضت اربعا وتركت صلاة السفر على الفريضة الاولى وقيل انما فرضت اربعا
ثم خفف عن المسافر ويدل له حديث ان الله وضع عن المسافر شطر الصلاة وقيل انما فرضت
في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وهو قول ابن عباس قال رضي الله عنهما فرض الله تعالى الصلاة
على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين رواه مسلم وغيره وسياتي
مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في اول الصلاة من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام قال
ابن اسحق وغيره ونصبت احبار يهود العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا وسحره
لبيد بن الاعصم وهو من يهود بني زريق فكان يخيل اليه انه يفعل الفعل وهو لا يفعله
وجعل سحره في مشط ومشاطة ودفنه في بير ذي اروان وانكر اهل الحديث يقول ذروان
تحت راعوفة البير كما ثبت في الصحيح وليس هذا بقادح في النبوة فان الانبياء عليهم الصلاة
والسلام يبتلون في ابدانهم بالجراحات والسموم والقتل وغير ذلك مما جوزه العلماء عليهم
وانضاف الى اليهود جماعة من الاوس والخزرج منافقون على دين ابايهم من الشرك والتكذيب
بالبعث الا انهم قهروا بظهور الاسلام واتخذوه جنة من القتل ونافقوا في السر منهم عبد الله

ابن

ابن ابي بن سلول وكان راس المنافقين وهو الذي قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل كما سياتي ان شاء الله تعالى في غزوة بني المصطلق واذن الله تعالى لرسوله
عليه الصلاة والسلام في القتال قال الزهري اول اية نزلت في الاذن بالقتال اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير اخرجه النساي باسناد صحيح قال في البحر
والماذون فيه اي في الاية محذوف اي في القتال لدلالة يقاتلون عليه وعلل الاذن بانهم
ظلموا وان الله على نصرهم لقدير كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين
مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فاذن له بالقتال
بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين اية انتهى وقال غيره وانما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت
اللايق به لانهم لما كانوا بمكة كان المشركون اكثر عددا فلو امر المسلمين وهم قليلون
بقتال الباغين لشق عليهم فلما بغى المشركون واخرجوه عليه الصلاة والسلام من بين
اظهرهم وهموا بقتله واستقر عليه الصلاة والسلام بالمدينة واجتمع عليه الصلاة والسلام
عليه اصحابه وقاموا بنصره وصارت المدينة لهم دار اسلام ومعقلا يلجاون اليه شرع الله
تعالى جهاد الاعدا فبعث صلى الله عليه وسلم البعوث والسرايا وغزا وقاتل هو واصحابه
حتى دخل الناس في دين الله افواجا افواجا وكان عدد مغازيه عليه الصلاة والسلام التي
خرج فيها بنفسه سبعا وعشرين قاتل في تسع منها بنفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم	بلغ
بدر واحد والمريسيع والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطايف وهذا
على قول من قال فتحت مكة عنوة وكانت سراياه التي بعث فيها سبعا واربعين سرية وقيل
انه قاتل في بني النضير وافاد في فتح الباري ان السرية بفتح المهملة وكسر الراء وتشديد التحتانية
هي التي تخرج بالليل والسارية التي تخرج بالنهار قال وقيل سميت بذلك يعني السرية لانها
يخفى ذهابها وهذا يقتضي انها اخذت من السر ولا يصح لاختلاف المادة وهي قطعة من
الجيش تخرج منه وتعود اليه وهي ماية الى خمسماية فما زاد على خمسماية يقال له منسر
بالنون ثم المهملة فان زاد على الثمان ماية سمي جيشا فان زاد على اربعة الاف سمي جحفلا
والخميس الجيش العظيم وما افترق من السرية يسمى بعثا والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر انتهى
ملخصا وكان اول بعوثه صلى الله عليه وسلم على راس سبعة اشهر في شهر رمضان وقيل
في ربيع الاول سنة اثنين بعث عمه حمزة وامره على ثلاثين رجلا من المهاجرين وقيل من
الانصار وفيه نظر لانه لم يبعث احدا من الانصار حتى غزا بهم بدرا لانهم شرطوا ان يمنعوه
في دارهم فخرجوا يعترضون عيرا لقريش فيها ابو جهل اللعين فلقيهم في ثلاثماية راكب فبلغوا سيف
البحر من ناحية العيص فلما تصافوا حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان عليه الصلاة والسلام
قد عقد له لوا ابيض فاللوا هو العلم الذي يحمل في الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش
وقد يحمله امير الجيش وقد يدفعه لمقدم العسكر وقد صرح جماعة من اهل اللغة بترادف
اللوا والراية لكن روى احمد والترمذي عن ابن عباس كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم

Copyright ... University

فيه

سود او لواؤه ابيض ومثله عند الطبراني عن بريدة وعند ابن عدي عن ابي هريرة وزاد
مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله وهو ظاهر في التغاير فلعل التفرقة بينهما عرفية
وذكر ابن اسحق وكذا ابو الاسود عن عروة ان اول ما حدثت الرايات يوم خيبر وما كانوا يعرفون
قبل ذلك الا الالوية انتهى ثم سرية عبيدة بن الحارث الى بطن رابغ في شوال على راس
ثمانية اشهر في ستين رجلا وعقد له لوا ابيض حمله مسطح ابن اثاثة يلقى ابا سفيان بن
حرب وكان على المشركين وقيل مكرز بن حفص رضي الله عنه وقيل عكرمة بن ابي جهل
في مائتين ولم يكن بينهم قتال الا ان سعد ابن ابي وقاص رمى بسهم فكان اول سهم رمي في الاسلام
قال ابن اسحق فكانت راية عبيدة فيما بلغنا اول راية عقدت في الاسلام وبعض الناس
يقول راية حمزة قال وانما اشكل امرهما لانه عليه الصلاة والسلام بعثهما معا فاشتبه ذلك
على الناس انتهى وهذا يشكل بقولهم ان بعث حمزة كان على راس سبعة اشهر لكن يحتمل ان
يكون صلى الله عليه وسلم عقد رايتهما معا ثم تاخر خروج عبيدة الى راس الثامنة لامر
اقتضاه والله اعلم ثم سرية سعد بن ابي وقاص الى الخرار بخا معجمة وراين مهملتين
وهو واد بالحجاز يصب في الجحفة وكان ذلك في القعدة على راس تسعة اشهر وعقد
له لوا ابيض حمله المقداد بن عمرو في عشرين رجلا تعترض عير القريش فخرجوا على
اقدامهم فصبحوها صبح خامسة فوجدوا العير قد مرت بالامس ثم غزوة ودان وهي
الابوا وهي اول مغازيه كما ذكره ابن اسحق وفي البخاري عنه اولها الابوا خرج صلى الله
عليه وسلم في صفر على راس اثني عشر شهرا من مقدمه من المدينة يريد قريشا
في ستين رجلا وحمل اللوا حمزة بن عبد المطلب فكانت الموادعة اي المصالحة على ان بني
ضمرة لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عدوا واستعمل على المدينة سعد
ابن عبادة وليس بينهما وقع في سيرة ابن اسحق وبين ما نقله عنه البخاري اختلاف لان
الابوا وودان مكانان متقاربان بينهما ستة اميال او ثمانية ثم غزوة بواط بفتح
الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو واخره مهملة وهي الثانية غزاها صلى الله عليه وسلم
في شهر ربيع الاول على راس ثلاثة عشر من الهجرة حتى بلغها من ناحية رضوى بفتح
الراء وسكون المعجمة مقصور في مائتين من اصحابه يعترض عير القريش فيهم امية
ابن خلف الجمحي واستعمل على المدينة السايب بن عثمان بن مظعون فرجع ولم يلق كيدا
اي حربا قال ابن الاثير والكيد الاحتيال والاجتهاد وبه سميت الحرب كيدا ثم غزوة
العشيرة بالشين المعجمة والتصغير واخره هاء ثم يختلف اهل المغازي في ذلك وفي البخاري
العشير او العشيرة بالتصغير والاولى بالمعجمة بلا ها والثانية بالمهملة والهاء واما غزوة
العسيرة المهملة بغير تصغير فهي غزوة تبوك وستاتي ان شاء الله تعالى ونسبت
هذه الى المكان الذي وصلوا اليه وهو موضع لبني مدلج بينبع وخرج اليها صلى الله
عليه وسلم في جمادى الاولى وقيل الاخرى على راس ستة عشر من الهجرة في خمسين ومائة

رجل

رجل وقيل مائتين رجلا ومعهم ثلاثون بعيرا يعتقبونها وحمل اللوا وكان ابيض حمزة يريد
عير قريش التي صدرت من مكة الى الشام بالتجارة فخرج اليها ليغنمها فوجدها قد
مضت ووادع فيها بني مدلج من كنانة وكانت نسخة الموادعة فيما ذكر غير ابن اسحق بسم الله
الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة فانهم امنون على اموالهم وانفسهم
وان لهم النصر على من رامهم ان لا يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة وان النبي اذا دعاهم
لنصره اجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله قال ابن هشام واستعمل على المدينة
ابا سلمة بن عبد الاسد غزوة بدر الاولى قال ابن اسحق فلما رجع عليه الصلاة والسلام
اي من غزوة العشيرة لم يقم الا ليالي وقال ابن حزم بعد العشيرة بعشرة ايام حتى
اغار كرز ابن جابر الفهري على سرح المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى
بلغ سفوان بفتح المهملة والفا موضع من ناحية بدر ففاته كرز بن جابر وتسمى بدر
الاولى قال ابن هشام واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل اللوا علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ثم سرية امير المؤمنين عبد الله بن جحش في رجب على راس سبعة
عشر شهرا وكان معه ثمانية وقيل اثني عشر من المهاجرين الى نخلة على ليلة من مكة
في رجب يترصد قريشا فمرت به عيرهم تحمل زبيبا وادما من الطايف فيها عمرو بن
الحضرمي فتشاور المسلمون وقالوا نحن في اخر يوم من رجب فان قتلناهم هتكنا حرمة
الشهر وان تركناهم الليلة دخلوا حرم مكة فاجمعوا على قتلهم فقتلوا عمرا واسروا
عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وهرب من هرب واستاقوا العير فكانت اول غنيمة
في الاسلام فقسمها ابن جحش وعزل الخمس في ذلك قبل ان يفرض ويقال بل قدموا بالغنيمة
كلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام فاخر الاسيرين والغنيمة
حتى رجع من بدر فقسمها مع غنايمها وتكلمت قريش ان محمدا اسفك الدما واخذ المال في
الشهر الحرام فانزل الله تعالى يسلونك عن الشهر الحرام قتال فيه الاية

تعدون قتلا في الحرام عظيمة … واعظم منه لو يرى ذاك راشد
صدودكم عما يقول محمد … وكفر به والله راء وشاهد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا … بنخلة لما اوقد الحرب واقد

وبعث قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فدا الاسيرين وهما عثمان بن عبد
الله والحكم بن كيسان ففاداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما الحكم فاسلم وحسن
اسلامه واقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بير معونة شهيدا واما
عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا ثم حولت القبلة الى الكعبة وكان صلى الله عليه وسلم
يصلي الى البيت المقدس بالمدينة ستة عشر وقيل سبعة عشر وقيل ثمانية عشر
شهرا وقال الحربي قدم صلى الله عليه وسلم المدينة في ربيع الاول فصلى الى البيت المقدس
تمام السنة وصلى من سنة اثنين ستة اشهر ثم حولت القبلة وقيل كان تحويلها في جمادى

من

Copyright © King Saud University

وقيل كان يوم الثلاثا في نصف شعبان وقيل يوم الاثنين نصف رجب وظاهر حديث
البراء في البخاري انها كانت صلاة العصر ووقع عند النسائي من رواية ابي سعيد بن
العلا انها الظهر واما اهل قبا فلم يبلغهم الخبر الي صلاة الفجر من اليوم الثاني كما في الصحيحين
عند ابن عمر انه قال بينما الناس بقبا في صلاة الصبح اذ جاء ات فقال ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم قد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الي الشام
فاستداروا الي الكعبة وفي هذا دليل علي ان الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان
تقدم نزوله لانهم لم يؤمروا باعادة العصر والعشا والله اعلم وروي الطبري عن ابن
عباس رضي الله تعالي عنهما لما هاجر صلي الله عليه وسلم الي المدينة واليهود اكثر اهلها
يستقبلون بيت المقدس امره الله تعالي ان يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود
فاستقبلها سبعة عشر شهرا وكان صلي الله عليه وسلم يحب ان يستقبل قبلة ابراهيم
فكان يدعو وينظر الي السما فنزلت الاية قال في فتح الباري وظاهر حديث ابن عباس
هذا ان استقبال بيت المقدس انما وقع بعد الهجرة الي المدينة لكن اخرج احمد من وجه
اخر عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما كان صلي الله عليه وسلم يصلي بمكة نحو بيت
المقدس والكعبة بين يديه قال والجمع بينهما ممكن بان يكون امر لما هاجر ان يستمر علي
الصلاة لبيت المقدس واخرج الطبري ايضا من طريق ابن جريج قال صلي النبي صلي
الله عليه وسلم اول ما صلي الي الكعبة ثم صرف الي بيت المقدس وهو بمكة فصلي
ثلاث حجج ثم هاجر فصلي اليه بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا ثم وجهه الله الي
الكعبة وقوله في حديث ابن عباس رضي الله عنهما الاول امره الله تعالي يرد قول من
قال انه صلي الي بيت المقدس باجتهاد وعن ابي العالية انه صلي الي بيت المقدس يتالف اهل
الكتاب وهذا لا ينفي ان يكون بتوقيف واختلفوا في المسجد الذي كان يصلي فيه فعند ابن
سعد في الطبقات انه صلي ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ثم امر ان يتوجه الي
المسجد الحرام فاستدار اليه ودار معه المسلمون ويقال انه صلي الله عليه وسلم زار ام
بشر ابن البرا ابن معرور في بني سلمة فصنعت له طعاما وكانت الظهر فصلي عليه الصلاة
والسلام باصحابه ركعتين ثم امر فاستداروا الي الكعبة واستقبل الميزاب فسمي مسجده
القبلتين قال ابن سعد قال الواقدي هذا عندنا اثبت ولما حول الله تعالي القبلة
حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار واليهود ارتياب وزيغ عن الهدي وشك
وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها اي ما لهولا تارة يستقبلون كذا وتارة كذا
فانزل الله جوابهم في قوله قل لله المشرق والمغرب اي الحكم والتصرف والامر كله لله
فحيث ما وجهنا توجهنا فالطاعة في امتثال امره ولو وجهنا كل يوم مرات الي جهات متعددة
فنحن عبيده في تصريفه وخدامه حيث ما وجهنا توجهنا ولله تعالي بنبينا عليه
الصلاة والسلام وبامته عناية عظيمة اذ هداهم الي قبلة خليلة قال عليه الصلاة والسلام

في ما رواه احمد من حديث عايشة رضي الله عنها ان اليهود لا يحسدونا علي شي كما يحسدونا
علي يوم الجمعة التي هدانا الله اليها وضلوا عنها وعلي القبلة التي هدانا الله اليها وضلوا
عنها وعلي قولنا خلف الامام امين وقال بعض المومنين فكيف صلاتنا التي صلينا نحو
بيت المقدس وكيف من مات من اخواننا وهم يصلون الي بيت المقدس فانزل الله وما
كان الله ليضيع ايمانكم وقيل قال اليهود اشتاق الي بلد ابيه وهو يريد ان يرضي
قومه ولو ثبت علي قبلتنا لرجونا ان يكون هذا هو النبي الذي ينتظر فانزل
الله تعالي وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يعني ان اليهود الذين
انكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون ان الله سيوجهك
اليها بما في كتبهم عن انبيايهم ثم فرض صيام شهر رمضان بعد ما حولت القبلة الي الكعبة
لشهر شعبان علي راس ثمانية عشر شهرا من مقدمه عليه الصلاة والسلام وزكاة
الفطر قبل العيد بيومين ان تخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثي
صاع من تمر او صاع من زبيب او صاع من شعير او صاع من بر وذلك قبل ان تفرض زكاة
الاموال وقيل ان زكاة الاموال فرضت فيها وقيل قبل الهجرة والله اعلم ثم غزوة
بدر الكبري وتسمي العظمي والثانية وبدر القتال وهي قرية مشهورة تنسب الي
بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها وقيل بدر ابن الحارث حافر بيرها وقيل
بدر اسم البير التي بها فسميت لاستدارتها او لصفا مايها ورويته البدر فيها وقال ابن كثير
وهو يوم الفرقان الذي اعز الله فيه الاسلام واهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله وهذا
مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة
والخيول المسومة والخيلا الزايدة فاعز الله تعالي رسوله واظهر وحيه وتنزيله وبيض
وجه النبي صلي الله عليه وسلم وقبيله واخزي الشيطان وجيله ولهذا قال تعالي ممتنا
علي عباده المومنين وحزبه المتقين ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة اي قليل عددكم
لتعلموا ان النصر انما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد انتهي فقد كانت هذه
الغزوة اعظم غزوات الاسلام اذ منها كان ظهوره وبعد وقوعها اشرق علي الافاق نوره
ومن حين وقوعها اذل الله الكفار واعز من حضرها من المسلمين ونوره فهو عنده
من الابرار وكان خروجهم يوم السبت لاثنتي عشرة خلت من رمضان علي راس تسعة
عشر شهرا ويقال لثمان خلون منه قال ابن هشام واستخلف ابا لبابة الانصاري
وخرج معه الانصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه وكان عدة من خرج معه ثلاثماية
وخمسة وثمانية لم يحضروها انما ضرب لهم بسهمهم واجرهم فكانوا كمن حضرها وكان معهم
ثلاثة افراس بعرجة فرس المقداد واليعسوب فرس الزبير وفرس لمرثد الغنوي
لم يكن لهم يوميذ خيل غير هذه وكان معهم سبعون بعيرا وكان المشركون الفا ويقال
تسعماية وخمسون رجلا معهم ماية فرس وسبعماية بعير وكان قتالهم يوم الجمعة

Copyright King Saud University

لسبع عشرة خلت من رمضان وقيل يوم الاثنين وقيل غير ذلك وكانت من غير قصد
من المسلمين اليها ولا ميعاد كما قال تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي
الله امرا كان مفعولا وانما قصد صلى الله عليه وسلم والمسلمون التعرض لعير قريش وذلك
ان اباسفيان كان بالشام في ثلاثين راكبا منهم عمرو بن العاصي فاقبلوا في قافلة عظيمة
فيها اموال قريش حتى اذا كانوا قريبا من بدر فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
فندب اصحابه اليهم واخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير لقريش فيها
اموال فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فلما سمع ابوسفيان بمسيره عليه الصلاة
والسلام استاجر ضمضم بن عمرو الغفاري ان ياتي قريشا بمكة فيستنفرهم ويخبرهم
ان محمدا قد عرض لعيرهم في اصحابه فنهضوا في قريب من الف مقنع ولم يتخلف احد
من اشراف قريش الا ابو لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى بلغ الروحا فاتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا العبو ٢
عن عيرهم فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس في طلب العير وحرب النفير
وقال ان الله وعدكم احدى الطايفتين اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم فقام
ابو بكر فقال فاحسن ثم قام عمر فقال فاحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول
الله امض لما امرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب
انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فو
الذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من
دونه حتى تبلغه فقال له صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم قال عليه الصلاة
والسلام ايها الناس وانما يريد الانصار لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله
انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه
انفسنا وابناءنا ونساءنا وكان صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا
من دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك
عليه الصلاة والسلام قال له سعد بن معاذ والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل
قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جيت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فو الذي بعثك بالحق لو
استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى
عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقا ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر
بنا على بركة الله تعالى فسر عليه الصلاة والسلام لقول سعد ونشطه ذلك ثم
قال سيروا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله وعدني احدى الطايفتين والله
لكاني انظر الان الى مصارع القوم قال ثابت عن انس رضي الله عنه قال عليه الصلاة
والسلام هذا مصرع فلان ويضع يده على الارض هاهنا وهاهنا قال فما ماط احدهم

اي

اي ما تنحى عن موضع يده عليه الصلاة والسلام **تنبيه** قال ابن سيد الناس في
عيون الاثر وروينا من طريق مسلم ان الذي قال ذلك سعد بن عبادة سيد
الخزرج وانما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ كذلك رواه ابن اسحق وغيره واختلف
في شهود سعد بن عبادة بدرا ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن اسحق في البدريين
وذكره الواقدي والمدايني وابن الكلبي منهم انتهى **ثم ارتحل** عليه الصلاة والسلام
قريبا من بدر ونزل قريش بالعدوة القصوى من الوادي ونزل المسلمون على
كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر
فاحرزوه وحفروا القلب لانفسهم واصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب
واصابهم الظما وهم لا يصلون الى الماء ووسوس الشيطان لبعضهم وقال تزعمون
انكم على الحق وفيكم نبي الله وانكم اولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم عطاش
وتصلون محدثين مجنبين وما ينتظر اعداؤكم الا ان يقطع العطش رقابكم ويذهب
قواكم ويتحكمون فيكم كيف شاءوا فارسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشرب
المسلمون واغتسلوا وتوضوا وسقوا الركاب وملوا الاسقية واطفا الغبار ولبد الارض
حتى تثبت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم فذلك
قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به اي من الاحداث والجنابة ويذهب
عنكم رجز الشيطان اي وسوسته وليربط على قلوبكم بالصبر ويثبت به الاقدام
حتى لا تسوخ في الرمل بتلبيد الارض **وبني** لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش
فكان فيه ثم خرج عتبة بن ربيعة بين اخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن
عتبة ودعا الى المبارزة فخرج اليه فتية من الانصار وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث
وامهما عفرا وعبد الله بن رواحة فقالوا من انتم فقالوا رهط من الانصار فقالوا
ما لنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا فقال صلى الله عليه
وسلم قم يا عبيدة بن الحراث ويا حمزة ويا علي فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من انتم فتسموا لهم
قالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان اسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة
شيبة بن ربيعة وبارز علي الوليد بن عتبة فقتل علي الوليد هكذا ذكره ابن اسحق
وعند موسى بن عقبة كما نقله في فتح الباري بارز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة
وعلي للوليد ثم اتفقا فقتل علي الوليد وقتل حمزة الذي بارزه واختلف عبيدة ومن
بارزه بضربتين فوقعت الضربة في ركبة عبيدة ومال علي وحمزة على الذي بارزه
عبيدة فاعاناه على قتله **وعند الحاكم** من طريق عبد خير عن علي مثل قول موسى
ابن عقبة وعند ابي الاسود عن عروة مثله واورد ابن سعد من طريق عبيدة
السلماني ان شيبة لحمزة وعبيدة لعتبة وعليا للوليد ثم قال الثبت ان عتبة
لحمزة وشيبة لعبيدة **واخرج** ابو داود عن علي قال فقدم عتبة وتبعه

Copy... University

ابنه واخوه فنادي منادي من يبارز فانتدب له شبان من الانصار فقال من انتم
فاخبروه فقال لا حاجة لنا فيكم انما اردنا بني عمنا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قم يا حمزة قم يا علي قم يا عبيدة فاقبل حمزة الي عتبة واقبلت الي شيبة واختلف
بين عبيدة والوليد ضربتان فاثخن كل واحد منهما صاحبه ثم ملنا على الوليد
فقتلناه واحتملنا عبيدة قال الحافظ ابن حجر وهذا اصح الروايات لكن الذي
في السير من ان الذي بارزه علي هو المشهور وهو اللايق بالمقام لان عبيدة
وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة بخلاف علي والوليد فكانا شابين وقد روي
الطبري باسناد حسن عن علي قال اعنت انا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد
ابن عتبة فلم يعب النبي صلى الله عليه وسلم علينا ذلك وهو موافق لرواية ابي
داود فالله اعلم انتهى قال ابن اسحق ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ورسول
الله صلى الله عليه وسلم في العريش ومعه ابو بكر ليس معه فيه غيره وهو عليه
الصلاة والسلام يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة
من اهل الايمان اليوم فلا تعبد في الارض ابدا وابو بكر يقول يا رسول الله خل بعض
مناشدتك ربك فان الله تعالى منجز لك ما وعدك وعند سعد بن منصور من طريق
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الي المشركين وتكاثرهم والي المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وقام ابو بكر
عن يمينه فقال عليه الصلاة والسلام وهو في صلاته اللهم لا تخذلني اللهم انشدك ما وعدتني
وروي النسائي والحاكم عن علي قال قاتلت يوم بدر [illegible] ثم جيت فاذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده يا حي يا قيوم فرجعت فقاتلت ثم جيت
فوجدته كذلك وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر في
العريش مع الصديق اخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم
استيقظ متبسما فقال ابشر يا ابا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع ثم خرج من باب العريش
وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر فان قلت كيف جعل ابو بكر يامره عليه الصلاة
والسلام بالكف عن الاجتهاد في الدعوى ويقوي رجاه ويثبته ومقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم هو المقام الاحمد ويقينه فوق يقين كل احد اجاب السهيلي نقلا عن
شيخه بان الصديق في تلك الساعة كان في مقام الرجا والنبي صلى الله عليه وسلم كان
في مقام الخوف لان لله تعالى ان يفعل ما يشا فخاف ان لا يعبد الله في الارض فخوفه ذلك
عبادة انتهى وقال الخطابي لا يتوهم احد ان ابا بكر كان اوثق بربه من النبي صلى الله عليه
وسلم في تلك الحالة بل الحامل للنبي صلى الله عليه وسلم على ذلك شفقته على اصحابه
وتقوية قلوبهم فبالغ في التوجه والدعا والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك لانهم
كانوا يعلمون ان وسيلته مستجابة فلما قال له ابو بكر ما قال كف عن ذلك وعلم انه

استجيب

استجيب له لما وجد ابو بكر في نفسه من القوة والطمانينة فلهذا اعقبه بقوله
سيهزم الجمع وكان صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة في مقام الخوف وهو اكمل حالات
الصلاة وجاز عنده ان لا يقع النصر يومئذ لان وعده بالنصر لم يكن معينا لتلك
الواقعة وانما كان مجملا هذا هو الذي يظهر وانما قال عليه الصلاة والسلام اللهم
ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام فلا تعبد بعد اليوم لانه علم انه خاتم
النبيين فلو هلك ومن معه حينئذ لا يبعث احد ممن يدعو الي الايمان واما
شدة اجتهاده عليه الصلاة والسلام ونصبه في الدعا فانه راي الملايكة تنصب في القتال
وجبريل على ثناياه الغبار وانصار الله يخوضون غمرات الموت والجهاد على ضربين
جهاد بالسيف وجهاد بالدعا ومن سنة الامام ان يكون ورا الجند لا يقاتل معه فكان
الكل في جد واجتهاد ولم يكن يريح نفسه من احد الجهدين وانصار الله وملايكته يجتهدون
ولا يوثر الدعة وحزب الله مع اعدايه يجتلدون انتهى وفي صحيح مسلم عن ابن عباس
قال عمر ابن الخطاب لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الي المشركين
وهم الف واصحابه ثلثمايه وبضع عشر رجلا دخل العريش فاستقبل القبلة ومد
يديه يهتف بربه اللهم انجز لي ما وعدتني فما زال يهتف بربه مادا يديه حتي
سقط رداوه عن منكبيه فاخذ ابو بكر رداه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من
ورايه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله
تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم مرسل اليكم مددا لكم بالف من الملايكة
مردفين متتابعين بعضهم في اثر بعض وعلى قراة فتح الدال معناه اردف الله عز وجل
المسلمين وجاهم بهم مددا وفي الاية الاخري بثلاثة الاف من الملايكة منزلين فقيل في معناه
ان الالف اردفهم بثلاثة الاف فكان الاكثر مددا للاقل وكان الالف مردفين لمن ورايهم
والالف هم الذين قاتلوا مع المومنين وهم الذين قال لهم فثبتوا الذين امنوا وكانوا في
صور الرجال ويقولون للمومنين اثبتوا فان عدوكم قليل وان الله معكم وقال الربيع
ابن انس امد الله المسلمين بالف ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف وقال سعيد
ابن ابي عروبة عن قتادة امد الله المومنين يوم بدر بخمسة الاف وعن عامر الشعبي
ان المسلمين بلغهم يوم بدر ان كرز بن جابر يمد المشركين فشق عليهم فانزل الله الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف منزلين الي قوله مسومين قال فبلغت كرزا الهزيمة فلم
يمد المشركين ولم يمد المسلمين بالخمسة وعن ابن عباس رضي الله عنهما جا ابليس
يوم بدر من جند من الشياطين معه رايته في صورة سراقة ابن مالك بن جعشم
فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اقبل جبريل
عليه الصلاة والسلام والملايكة كانت يده في يد رجل من المشركين فانتزع يده
ثم نكص على عقبيه فقال الرجل يا سراقة اتزعم انك لنا جار فقال اني اري ما لا ترون

Copyright King Saud University

اي لخاف الله والله شديد العقاب وروي ان جبريل نزل في خمسماية وميكاييل في خمسماية
على صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض على رؤوسهم عمايم بيض قد ارخوا اطرافها
لطرافها بين اكتافهم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت سيما الملايكة يوم
بدر عمايم بيض ويوم حنين عمايم خضر وعن علي كانت سيما الملايكة يوم بدر الصوف
الابيض وكانت سيماهم ايضا في نواصي خيلهم رواه ابن ابي حاتم وروي ابن مردويه عن
ابن عباس يرفعه في قوله تعالى مسومين قال معلمين كانت سيما الملايكة يوم بدر
عمايم سود ويوم حنين عمايم خضر وروي ابن ابي حاتم عن الزبير ان الملايكة نزلت وعليهم
عمايم صفر قيل ولم يقاتل الملايكة سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا
ومددا وبذلك صرح العماد بن كثير في تفسيره فقال المعروف من قتال الملايكة انما كان
يوم بدر ثم روي عن ابن عباس قال لم تقاتل الملايكة الا يوم بدر وقال ابن مرزوق
ولم تكن تقاتل في غيرها بل يحضرون خاصة على المختار من الاقوال عند بعضهم وفي
نهاية البيان في تفسير البيان عند تفسير قوله تعالى ويوم حنين وهل قاتلت الملايكة
يوميذ ام لا فيه قولان احدهما وهو قول الجمهور انها لم تقاتل انتهي وهذا يرده حديث مسلم
في صحيحه عن سعد بن ابي وقاص انه راي عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكاييل عليهما الصلاة والسلام يقاتلان كاشد القتال قال النووي فيه بيان كرامته صلى الله
عليه وسلم بانزال الملايكة تقاتل معه وبيان ان قتالهم لم يختص بيوم بدر قال وهذا هو
الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه فهذا صريح في الرد عليه قال وفيه ان
رؤية الملايكة لا تختص بالانبيا عليهم الصلاة والسلام بل يراهم الصحابة والاوليا انتهي
قال ابن الانباري وكانت الملايكة لا تعلم كيف تقتل الادميون فعلمهم الله تعالى بقوله
فاضربوا فوق الاعناق اي الرؤوس واضربوا منهم كل بنان قال عطية كل مفصل
قال السهيلي جا في التفسير انه ما وقعت ضربة يوم بدر الا في راس او مفصل وكانوا يعرفون قتلى الملايكة من قتلاهم باثار سود في الاعناق والبنان وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال حدثني رجل من بني غفار قال اقبلت انا وابن عم لي حتى صعدنا على
جبل يشرف على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب
مع من ينتهب فبينا نحن في الجبل اذ دنا سحابة فيها حمحمة الخيل فسمعت قايلا يقول
اقدم حيزوم فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات واما انا فكدت اهلك ثم تماسكت
رواه البيهقي وابو نعيم والدبرة بسكون الموحدة الهزيمة في القتال وحيزوم اسم
فرس جبريل قاله في القاموس وروي ابو امامة عن سهل ابن حنيف عن ابيه
قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده
قبل ان يصل اليه السيف رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابو نعيم قال الشيخ تقي الدين

السبكي

السبكي سيل عن الحكمة في قتال الملايكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع ان جبريل قادر
على ان يدفع الكفار بريشة من جناحه فقال ذلك لارادة ان يكون الفعل للنبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه وتكون الملايكة مددا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الاسباب
التي اجراها الله تعالى في عباده والله فاعل الجميع انتهي ولما التقي الجمعان تناول رسول
الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصبا فرمي به في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم
يبق مشرك الا دخل في عينيه ومنخريه منها فانهزموا وقتل الله من قتل من صناديد
قريش واسر من اسر من اشرافهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله تعالى وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمي قال هذا يوم بدر اخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات
فرمي بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين اظهرهم وقال
شاهت الوجوه فانهزموا وقد روي عن غير واحد ان هذه الاية نزلت في رميه
عليه الصلاة والسلام يوم بدر وان كان قد فعل ذلك يوم حنين ايضا كما ياتي ان شا الله تعالى
وقد اعتقد جماعة ان المراد بالاية سلب فعل الرسول عنه واضافته الى الرب تعالى
وجعلوا ذلك اصلا في الجبر وابطال نسبة الافعال الى العباد وتحقيق نسبتها الى الرب
وحده وهذا اغلط منهم في فهم القران ولو صح ذلك لوجب طرده فيقال ما صليت اذ صليت
ولا صمت اذ صمت ولا فعلت كل فعل اذ فعلت ولكن الله فعل ذلك فان طرد واذلك
لزمهم في افعال العباد وطاعاتهم ومعاصيهم اذ لا فرق وان خصوه بالرسول وافعاله
جميعا او رميه وحده فقد نقضوا فهولا لم يوافقوا الفهم ما اريد بالاية ومعلوم ان تلك
الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ فكان منه صلى الله عليه وسلم مبدا الرمي وهو الحذف
ومن الرب تعالى نهايته وهو الايصال فاضاف اليه رمي الحذف الذي هو مبداه ونفي
عنه رمي الايصال الذي هو نهايته ونظير هذا في الاية نفسها قوله تعالى فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم ثم قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي فاخبر انه تعالى وحده هو الذي تفرد
بايصال الحصا الى اعينهم ولم يكن برسوله صلى الله عليه وسلم ولكن وجه الاشارة بالاية
انه سبحانه اقام اسبابا تظهر للناس فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصرة مضافا
اليه وبه وهو خير الناصرين قال ابن اسحق وقاتل عكاشة بن محصن الاسدي
يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه
جذلا من حطب فقال له قاتل به فهزه فعاد في يده سيفا طويل القامة شديد
المتن ابيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى
العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
قتل وهو عنده وجاء عليه الصلاة والسلام يوميذ فيما ذكره القاضي عياض عن ابن وهب
معاذ بن عمرو يحمل يده ضربه عكرمة عليها فتعلقت بجلدة فبصق عليه الصلاة
والسلام عليها فلصقت قال ابن اسحق ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان وعن عروة

لي

وتحوه وصوا

فا

بلغ

Copyright King Saud University

ابن الزبير عن عايشة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى ان يطرحوا في القليب
فطرحوا فيه الا ما كان من امية بن خلف فانه انتفخ في درعه فملاها فالقوا عليه ما غيبه
من التراب والحجارة وانما القوا في القليب ولم يدفنوا لانه عليه الصلاة والسلام
كره ان يشق على اصحابه لكثرة جيف الكفار ان يامرهم بدفنهم فكان جرهم الى القليب
ايسر عليهم وفي الطبراني عن انس بن مالك قال انشا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحدثنا عن اهل بدر يقول هذا مصرع فلان غدا ان شا الله قال عمر فوالذي بعثه
بالحق ما اخطا الحدود والذي حدها صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال
يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله
حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا وفي رواية ينادي يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة
ابن ربيعة ويا امية بن خلف ويا ابا جهل بن هشام وفي بعضه نظر لان امية بن خلف
لم يكن في القليب لانه كان كما تقدم ضخما وانتفخ فالقوا عليه من الحجارة والتراب ما غيبه
لكن يجمع بينهما بانه كان قريبا من القليب فنودي فيمن نودي لكونه كان من
جملة روسايهم وقال ابن اسحق حدثني بعض اهل العلم انه عليه الصلاة والسلام قال
يا اهل القليب بئس العشيرة كنتم كذبتموني وصدقني الناس فقال عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها قال ما انتم باسمع لما
اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا شيا وتاولت عايشة ذلك فقالت
انما اراد النبي صلى الله عليه وسلم انهم الان ليعلمون ان الذي اقول لهم الحق ثم قرات
انك لا تسمع الموتى الاية فقولها يدل على انها كانت تنكر ذلك مطلقا لقولها انهم
الان ليعلمون وقال قتادة احياهم الله تعالى توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندمه
رد على من انكر انهم يسمعون كما روي عن عايشة رضي الله عنها ومن الغرايب
ان في المغازي لابن اسحق رواية يونس بن بكير باسناد جيد عن عايشة حديثا
ومنه ما انتم باسمع لما اقول منهم واخرجه الامام احمد باسناد حسن فان كان محفوظا
فكانها رجعت عن الانكار لما ثبت عندها في رواية غير هولاء الصحابة لكونها لم
تشهد القصة وقال الاسماعيلي كان عند عايشة من الفهم والذكا وكثرة الرواية
والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه لكن لا سبيل الى رد رواية الثقة الا
بنص مثله يدل على نسخه او تخصيصه او استحالته فكيف والجمع بين الذي انكرته
واثبته غيرها ممكن لان قوله تعالى انك لا تسمع الموتى لا ينافي قوله عليه الصلاة
والسلام انهم الان يسمعون لان الاسماع هو ابلاغ الصوت من المسمع في اذن السامع
فالله تعالى هو الذي اسمعهم بان ابلغهم صوت النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
واما جوابها فانه انما قال انهم ليعلمون فان كانت سمعت ذلك فلا ينافي رواية
يسمعون بل يويدها وقال السهيلي ما ملخصه ان في نفس الخبر ما يدل على خرق

العادة

العادة بذلك لنبيه صلى الله عليه وسلم لقول الصحابة له اتخاطب اقواما قد جيفوا
فاجابهم بما اجابهم به قال واذا جاز ان يكونوا في تلك الحالة عالمين جاز ان يكونوا سامعين
وذلك اما باذان رووسهم اذا قلنا ان الروح تعاد الى الجسد او الى بعضه عند المسلة وهو
قول اكثر اهل السنة واما باذان القلب او الروح على مذهب من يقول بتوجه السوال
الى الروح من غير رجوع الى الجسد او الى بعضه قال وقد روي عن عايشة انها احتجت
بقوله تعالى وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير وهذه الاية كقوله تعالى افانت
تسمع الصم او تهدي العمي ان الله هو الذي يهدي ويوفق ويوصل الموعظة الى اذان
القلوب لا انت وجعل الكفار امواتا وصما على جهة التشبيه بالاموات وبالصم فالله هو
الذي يسمعهم على الحقيقة اذا شا لا نبيه ولا احد فاذا لا تعلق بالاية من وجهين احدهما
انما نزلت في دعا الكفار الى الايمان الثاني انه انما نفى عن نبيه ان يكون هو المسمع لهم وصدق
الله فانه لا يسمعهم اذا شا الا هو يفعل ما يشا وهو على كل شي قدير انتهى ولقد احسن
العلامة ابن جابر حيث قال بدا يوم بدر وهو كالبدر حوله كواكب في افق الكواكب تنجلي

وجبريل في جند الملايك دونه * فلم تغن اعداد العدو المخذل
رمى بالحصى في اوجه القوم رمية * فشردهم مثل النعام المجفل
وجادلهم بالمشرفي فسلموا * وجاد لهم بالنفس كل مجندل
عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع * حديثهم في ذلك اليوم من علي
هموا عتبوا بالسيف عتبة اذ غدا * فذاق الوليد الموت ليس له ولي
وشيبة لما شاب خوفا تبادرت * اليه العوالي بالخضاب المعجل
وجال ابو جهل فحقق جهله * غداة تردى بالردى عن تذلل
فاضحى قليبا في القليب وقومه * يؤمونه فيها الى شر منهل
وجاههم خير الانام موبخا * فنفتح في اسماعهم كل مقفل
واخبر ما انتم باسمع منهم * ولكنهم لا يهتدون لمقول
سلا عنهم يوم السلا اذ تضاحكوا * فعاد بكا عاجلا لم يوجل
الم يعلموا علم اليقين بصدقه * ولكنهم لا يرجعون لعقل
فيا خير خلق الله جاهك ملجاي * وحبك ذخري في الحساب ومعقلي
عليك صلاة يشمل الال عرفها * واصحابك الاخيار اهل التفضل

وحكى العلامة ابن مرزوق ان ابن عمر رضي الله عنهما مر مرة ببدر فاذا رجل يعذب ويئن
فلما اجتاز به ناداه يا عبد الله قال ابن عمر فلا ادري اعرف اسمي او كما يقول الرجل لمن يجهل
اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقني فاردت ان افعل فقال الاسود الموكل بعذابه
لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببدر وروى الطبراني في الاوسط قال ومن ايات بدر الباقية ما كنت اسمعه من غير

رضي الله عنهما

واحد من الحجاج انهم اذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة طبل ملوك الوقت
ويرون ان ذلك لنصر اهل الايمان قال وربما انكرت ذلك ويرى ناوله بان الموضع
لعله صلب فيستجيب فيه حوافر الدواب فكان يقال لي انه رمل غير صلب
وغالب ما يسير هناك الابل واخفافها لا تصوت في الارض الصلبة فكيف بالرمال
قال ثم لما من الله علي بالوصول الى ذلك الموضع المشرف نزلت عن الراحلة امشي
وبيدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بام غيلان وقد نسيت الخبر الذي كنت
اسمع فما اعني وانا سائر في الهاجرة الا واحد من عبيد الاعراب الجالين يقول اتسمعون
الطبل فاخذتني لما سمعته كلامه قشعريرة بينه وتذكرت ما كنت اخبرته وكان
في الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وانا دهش مما اصابني من الفرح او الهيبة
او ما الله اعلم به فشككت وقلت لعل الريح سكنت في هذا العود الذي في يدي وحدث
مثل هذا الصوت وانا حريص على طلب التحقيق لهذه الاية العظيمة فالقيت هذا
العود من يدي وجلست الى الارض او ثبت قايما او فعلت جميع ذلك فسمعت صوت
الطبل سماعا محققا او صوتا لا اشك انه صوت طبل وذلك من ناحية اليمين ونحن
سايرون الى مكة المشرفة ثم نزلنا ببدر فظللت اسمع ذلك الصوت يومي اجمع مرة
بعد المرة قال ولقد اخبرت ان ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس انتهى واخرج
الطبراني من حديث ابي اليسر انه اسر العباس وقيل للعباس وكان جسيما كيف اسرك
ابو اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته في كفك فقال ما هو الا ان لقيته فظهر في
عيني كالخندمة وهي بالخاء المعجمة جبل من جبال مكة قال في القاموس قال ولما ولي
عمر ابن الخطاب وثاق الاسرى يوم شد وثاق العباس فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يان فلم ياخذه النوم فبلغ الانصار فاطلقوا العباس فكان الانصار فهموا رضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بفك وثاقه وسالوه ان يتركوا له الفدا طلبا لتمام رضاه
فلم يجبهم وفي حديث انس عند الامام احمد استشار عليه الصلاة والسلام الناس في
الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد امكنكم منهم فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول
الله اضرب اعناقهم فاعرض عنه عليه الصلاة والسلام ثم عاد صلى الله عليه وسلم
فقال يا ايها الناس ان الله قد امكنكم منهم فقال عمر يا رسول الله اضرب اعناقهم
فاعرض عنه عليه الصلاة والسلام ففعل ذلك ثلاثا فقام ابو بكر فقال يا رسول الله
ان تعفوا عنهم وان يقبل منهم الفدا فذهب من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كان فيه من الغم فعفى وقبل منهم الفدا قال وانزل الله تعالى لولا كتاب من
الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا الاية ويأتي
الكلام عليها في النوع العاشر في ازالة الشبهات من الايات المشكلات من المقصد بلغ
الثالث السادس ان شاء الله تعالى واخرج ابن اسحق من حديث ابن عباس انه صلى

الله

الله عليه وسلم قال يا عباس افد نفسك وابن اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث
وحليفك عتبة بن عمرو قال اني كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني قال الله اعلم
بما تقول ان يك ما تقول حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر امرك انك كنت علينا وذكر
موسى بن عقبة ان فداهم كان اربعين اوقية ذهبا وعند ابو نعيم في الدلايل باسناد العباس
حسن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما انه جعل على العباس مائة اوقية وعلى
عقيل ثمانين فقال له العباس القرابة صنعت هذا فانزل الله تعالى يا ايها النبي قل
لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الاية فقال العباس وددت لو كان اخذ مني اضعافا فما
لقوله تعالى يؤتكم خيرا مما اخذ منكم وكان قد استشهد يوم بدر من المسلمين اربعة
عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار ستة من الخزرج واثنان من
الاوس تنبيه لا يقدح في وعد الله ان استشهد هولا الصحابة وانما هذا الوعد
كقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد
وهم صاغرون فقد نجز الموعود وغلبوا كما وعدوا فكان وعد الله مفعولا ونصره
للمؤمنين ناجزا والحمد لله وقتل من المشركين سبعون واسر سبعون وكان افضلهم
العباس بن عبد المطلب وعقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وكان
وقيل اصطلح وكان العباس وكان اسلام العباس رضي الله تعالى عنهما فيما قاله اهل العلم بالتاريخ قد اسلم قديما
وكان يكتم اسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم
من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها ففادى نفسه ورجع الى مكة وقيل انه
اسلم يوم بدر فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابواء وكان معه حين
فتح مكة وبه ختمت الهجرة وقيل اسلم يوم فتح خيبر وقيل كان يكتم اسلامه واظهره
يوم فتح مكة وكان اسلامه قبل بدر وكان يكتب اخبار المشركين الى النبي صلى الله عليه
وسلم وكان تحت القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه عليه الصلاة
والسلام ان مقامك بمكة خير لك وقيل ان سبب اسلامه انه خرج لبدر بعشرين اوقية
من ذهب ليطعم بها المشركين فاخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم
ان يحسب العشرين اوقية من فدايه فابى وقال اما شي خرجت تستعين به
علينا فلا نتركه فقال العباس تركتني اتكفف قريشا فقال له عليه الصلاة والسلام
فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة فقال العباس
وما يدريك فقال اخبرني ربي فقال اشهد انك صادق فان هذا لم يطلع عليه
الا الله وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله ولما فرغ صلى الله عليه
وسلم من بدر في اخر رمضان واول يوم من شوال بعث زيد بن حارثة بشيرا
فوصل المدينة ضحى وقد نفضوا ايديهم من تراب رقية بنت النبي صلى الله عليه
وسلم وهذا هو الصحيح في وفاة رقية وقد روي انه صلى الله عليه وسلم شهد دفن

Copyright King Saud University

بنته تقعد على قبرها ودمعت عيناه وقال ايكم لم يقارف الليلة فقال ابو طلحة
انا فامره ان ينزل لها قبرها وانكر البخاري هذه الرواية وخرج الحديث في الصحيح
فقال فيه عن انس شهدنا دفن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
الحديث ولم يسم رقية ولا غيرها وذكر الطبراني انها ام كلثوم فحصل في حديث
الطبراني التبيين ومن قال كانت رقية فقد وهم وكان عثمان رضي الله عنه قد
تخلف لاجل رقية زوجته فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه واجره
وامره صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن
الخطاب فقتل عقبة بن ابي معيط فقتله صبرا ثم اقبل عليه الصلاة والسلام
قافلا الى المدينة ومعه الاسارى من المشركين واحتمل النفل الذي اصيب منهم
وجعل عليه عبد الله بن كعب من بني مازن فلما خرج من مضيق الصفرا قسم النفل
بين المسلمين على السوا وامر عليا بالصفرا بقتل النضر بن الحارث ثم مضى صلى الله
عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم فلما قدموا فرقهم بين اصحابه وقال
استوصوا بهم خيرا وقد استقر الحكم في الاسارى عند الجمهور من العلما ان الامام مخير فيهم
ان شا قتل كما فعل باسارى بدر وان شا استرق من اسر هذا مذهب الشافعي وطايفة
من العلما وفي المسيلة خلاف اخر مقرر في كتب الفقه والله اعلم ولما قدم ابو سفيان
ابن الحرث من بدر لمكة ساله ابو لهب عن خبر قريش فقال ما هو الا ان لقينا القوم
فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاوا ويأسروننا كيف شاوا وايم الله مع ذلك ما لمت
الناس لقينا رجال بيض على خيل بلق بين السما والارض والله لا يقوم لها شي قال ابو رافع
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غلاما للعباس بن عبد المطلب قال وكان
الاسلام قد دخلنا فقلت له والله تلك الملايكة فرفع ابو لهب يده فضربني في وجهي
ضربة فقامت ام الفضل الى عمود فضربت به في راس ابي لهب وقالت استضعفته
اي غاب عنه سيده قال فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة
وهي قرحة كانت العرب تتشام بها وقيل انها تعدي اشد العدوى فتباعد عنه
بنوه حتى قتله الله وبقي بعد موته ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه فلما
خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من
بعيد حتى واروه وقال ابن عقبة اقام النوح على قتلى قريش شهرا ثم سرية عمير
ابن عدي الخطمي وكانت لخمس ليال بقين من رمضان على راس تسعة عشر
شهرا من الهجرة الى عصما بنت مروان زوج يزيد بن زيد الخطمي وكانت تعيب
الاسلام وتوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاها ليلا وكان اعمى فدخل عليها
بيتها وحولها نفر من ولدها نيام منهم من ترضعه فجسها بيده ونحى الصبي
عنها ووضع سيفه على صدرها حتى انفذه من ظهرها ثم صلى الصبح معه صلى الله

عليه

كما فعل صلى الله عليه وسلم في قريظه وان شاوا

عليه وسلم بالمدينة واخبره بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان اي لا يعارض فيها
معارض ولا يسال عنها فانها هدر قالوا وهذا من الكلام المفرد الموجز البليغ
الذي لم يسبق اليه عليه الصلاة والسلام وسياتي لذلك نظاير ان شا الله
تعالى وفي اول شوال صلى صلاة الفطر وفي اول شوال ايضا وقيل بعد بدر
بسبعة ايام وقيل في نصف المحرم سنة ثلاث خرج عليه الصلاة والسلام يريد
بني سليم فبلغ ما يقال له الكدر وتعرف بغزوة قرقرة الكدر وهي ارض
ملسا والكدر طير في الوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع فاقام عليه الصلاة
والسلام ثلاثا وقيل عشرا فلم يلق احدا وكانت غيبته عليه السلام خمسة عشرة
ليلة واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة وقيل ابن ام مكتوم وحمل اللوا علي
ابن ابي طالب وذكرها ابن سعد بعد غزوة السويق ثم سرية سالم بن عمير
الى ابي عفك اليهودي وكان شيخا كبيرا قد بلغ عشرين ومائة سنة وكان يحرض
النبي صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر فلما كانت ليلة صايفة نام ابو عفك
بفنا داره وعلم به سالم فاقبل اليه سالم ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى
في الفراش فصاح عدو الله ابو عفك فثار اليه اناس ممن هو على قوله
فادخلوه منزله فقتل فكانت هذه السرية في شوال على راس عشرين شهرا
من الهجرة ثم غزوة بني قينقاع بتثليث النون وفتح القاف والضم
اشهر بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر وكانت يوم السبت نصف شوال
على راس عشرين شهرا من الهجرة وقد كانت الكفار بعد الهجرة مع النبي صلى الله
عليه وسلم على ثلاثة اقسام قسم وادعهم عليه الصلاة والسلام على ان لا يحاربوه
ولا يولبوا عليه عدوه وهم طوايف اليهود الثلاثة قريظة والنضير وبني قينقاع
وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش وقسم تاركوه وانتظروا ما يؤول اليه
امره كطوايف من العرب فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة وبالعكس كبني
بكر ومنهم من كان معه ظاهرا ومع عدوه باطنا وهم المنافقون فكان اول من
نقض العهد من اليهود بني قينقاع فحاربهم عليه الصلاة والسلام في شوال بعد
وقعة بدر قال الواقدي بشهر واغرب الحاكم فزعم انه اجلا بني قينقاع واجلا
النضير كان في زمن واحد ولم يوافق على ذلك لان اجلا بني النضير كان بعد بدر
بستة اشهر على قول عروة او بعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن اسحق فكان من امر
بني قينقاع ان امراة من العرب جلست الى صايغ يهودي فراودها على كشف
وجهها فابت فعمد الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها
فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصايغ فقتله فشدت اليهود على
المسلم فقتلوه ووقع الشر بين المسلمين وبين بني قينقاع فسار اليهم النبي صلى الله عليه

Copyright King Saud University

بعد ان استخلف ابا لبابة بن عبد المنذر فحاصرهم اشد الحصار خمس عشرة
ليلة الي هلال ذي القعدة وكان اللوا بيد حمزة بن عبد المطلب وكان ابيض
فقذف الله في قلوبهم الرعب ونزلوا علي حكم رسول الله صلي الله عليه وسلم علي ان له
اموالهم وان لهم النسا والذرية فامر عليه السلام المنذر بن قدامة بتكتيفهم وكلم
عبد الله بن ابي بن سلول رسول الله صلي الله عليه وسلم فيهم والح عليه من اجلهم
فامر عليه الصلاة والسلام ان يجلوا وترکهم من القتل فلحقوا باذرعات فما كان اقل
بقائهم فيها واخذ من حصنهم سلاحا والة كثيرة وكانت بنو قينقاع حلفا لعبد الله بن
ابي وعبادة بن الصامت فتبرا عبادة من حلفهم فقال يا رسول الله اتبرا الي الله
والي رسوله من حلفهم واتولي الله ورسوله والمومنين وابرا من حلف الكفار وولا
فنيه وفي عبد الله انزل يايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري اوليا
بعضهم اوليا بعض الي قوله فان حزب الله هم الغالبون ثم غزوة السويق
في ذي الحجة يوم الاحد لخمس خلون منها علي راس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة
وقال ابن اسحاق في صفر وسميت غزوة السويق لانه كان اكثر زاد المشركين
وغنمه المسلمون واستخلف ابا لبابة وكان سبب هذه الغزوه ان ابا سفين حين
رجع بالعير من بدر الي مكة نذر ان لا يمس النساء والدهن حتي يغزو محمدا عليه الصلاة والسلام
فخرج في مايتي راكب من قريش ليبر يمينه حتي اتوا العريض ناحية من المدينه
علي ثلاثة اميال فحرقوا نخلا وقتلوا رجلا من الانصار فراي ابو سفين ان قد انحلت
يمينه فانصرف بقومه راجعين وخرج عليه الصلاة والسلام في طلبهم في مايتين
من المهاجرين والانصار وجعل ابو سفين واصحابه يلقون جرب السويق وهي
عامة ازوادهم يتخففون للهرب فياخذها المسلمون ولم يلحقهم عليه الصلاة
والسلام فرجع الي المدينه وكانت غيبته خمسة ايام وفي ذي الحجه صلي رسول الله
صلي الله عليه وسلم العيد وامر بالاضحية وفيه مات عثمان بن مظعون وفي شوال
ولد عبد الله بن الزبير وفي هذه السنة تزوج علي بفاطمه رضي الله عنها كما قاله الحافظ
مغلطاي وغيره وقال الطبري في كتابه ذخاير العقبي في مناقب ذوي القربي تزوجها في صفر
في السنة الثانيه وبني بها في ذي الحجه علي راس اثنين وعشرين شهرا من التاريخ وقال ابو
عمر بعد وقعة احد وقال غيره بعد بنايه صلي الله عليه وسلم بعايشة باربعة اشهر ونصف
وبني بها بعد تزوجها بسبعة اشهر ونصف وتزوجها وهي ابنة خمس عشر سنه وخمسة اشهر او سته ونصف
وسنه يوميذ احدي وعشرون سنه وخمسة اشهر ولم يتزوج عليها حتي ماتت وعن انس قال جا ابو بكر ثم عمر
يخطبان فاطمة الي النبي صلي الله عليه وسلم فسكت ولم فقال اما فرسك فلا بد لك منها واما
بدنك فبعها فبعتها باربع مايه درهم وثمانين فجيته بها فوضعتها في حجره فقبض منها قبضة
فقال اي بلال ابتع لنا بها طيبا وامرهم ان يجهزوها فجعل لها سرير مشرط ووسادة من ادم حشوها ليف

وقال

وقال لعلي اذا اتتك فلا تحدث شيا حتي اتيك فجاءت مع ام ايمن حتي قعدت في جانب
البيت وانا في جانب وجا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال هاهنا اخي قالت ام
ايمن اخوك وقد زوجته ابنتك قال نعم ودخل صلي الله عليه وسلم فقال لفاطمة ايتيني
بما فقامت الي قعب في البيت فاتت فيه بما فاخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمي فتقدمت
فنضح بين يديها وعلي راسها وقال اللهم اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم
ثم قال لها ادبري فادبرت فصب بين كتفيها ثم فعل بمثل ذلك بعلي ثم قال له ادخل
باهلك بسم الله والبركة اخرجه ابو حاتم واحمد في المناقب بنحوه وفي حديث انس عند
ابي الخير القزويني الحاكمي خطبها علي بعد ان خطبها ابو بكر ثم عمر فقال عليه الصلاة
والسلام قد امرني ربي بذلك قال انس ثم دعاني عليه الصلاة والسلام بعد ايام فقال لي
يا انس ادع لي ابا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وعدة من الانصار فلما اجتمعوا واخذوا
مجالسهم وكان علي غايبا فقال صلي الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته
المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ امره في سمايه وارضه
الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه واعزهم بدينه واكرمهم بنبيه محمد
صلي الله عليه وسلم ان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا
وامرا مفترضا وشج به الارحام والزم الانام فقال عز من قايل وهو الذي خلق من
الما بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فامر الله تعالي يجري الي قضايه وقضاوه
يجري الي قدره ولكل قضا قدر ولكل قدر اجل ولكل اجل كتاب يمحو الله ما يشا ويثبت
وعنده ام الكتاب ثم ان الله عز وجل امرني ان ازوج فاطمة من علي بن ابي طالب ثم
فاشهدوا اني قد زوجته علي اربع مايه مثقال فضة ان رضي بذلك علي ثم دعا صلي
الله عليه وسلم بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل علي فتبسم النبي صلي الله عليه
وسلم في وجهه ثم قال ان الله عز وجل امرني ان ازوجك فاطمة علي اربعماية مثقال
فضة ارضيت بذلك فقال قد رضيت بذلك يا رسول الله فقال عليه الصلاة
والسلام جمع الله شملكما واعز جدكما وبارك عليكما واخرج منكما كثيرا طيبا قال انس
فوالله لقد اخرج الله منهما الكثير الطيب والعقد لعلي وهو غايب محمول علي انه كان
له وكيل حاضر او علي انه لم يرد به العقد بل اظهار ذلك ثم عقد معه لما حضر او علي
تخصيصه بذلك جمعا بينه وبين ما يرد فيما بد له علي شرط القبول علي الفور وقد
واخرج الدولابي عن اسما قالت لقد اولم علي علي فاطمة فما كانت وليمة في ذلك الزمان
افضل من وليمته رهن درعه عند يهودي وهي شطر شعير وكانت وليمته اصعا من
شعير وتمر وحيس والحيس التمر والاقط واخرج احمد في المناقب عن علي كان جهاز
فاطمة خميلة وقربة ووسادة من ادم حشوها ليف ثم سرية محمد بن مسلمة واربعة
معه الي كعب بن الاشرف اليهودي لاربع عشرة ليلة مضت من ربيع الاول

مت

قاد

مطلب خطبة السيدة فاطمة علي علي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه

Copyright King Saud University

على راس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة **روى** ابو داود والترمذي من طريق الزهري
عن عبد الرحمن بن عبد الله بن وهب بن مالك عن ابيه ان كعب بن الاشرف كان
شاعرًا يهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحرص على كفار قريش وكان النبي صلى الله
عليه وسلم قدم المدينة واهلها اخلاط فاراد استصلاحهم وكان اليهود والمشركون
يوذون المسلمين اشد الاذى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على كعب
ابن الاشرف ان ينزع عن اذاه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ ان
يبعث رهطا ليقتلوه **وفي رواية** قال عليه الصلاة والسلام من لنا بابن الاشرف
وفي اخرى من لكعب بن الاشرف اي من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجا
وقد خرج الى قريش فجمعهم الى قتالنا وقد اخبرني الله بذلك ثم قرا على المسلمين الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين
كفروا هولاء اهدى من الذين امنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله **وفي** الاكليل فقد
اذانا بشعره وقوى المشركين وفي رواية ابن اسحق فقال محمد بن مسلمة اخو بني عبد
الاشهل انا لك به يا رسول الله انا اقتله قال افعل ان قدرت على ذلك قال يا رسول الله
انه لابد لنا ان نقول قال قولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة
وابو نايلة سنون وبعد الالف تحتانية سلكان بن سلامة وكان اخا كعب من الرضاعة وعباد بن
بشر والحرث ابن اوس ابن معاذ وابو عبس بن جبر وهولا الخمسة من الاوس وفي رواية
ابن سعد فلما قتلوه وبلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام عليه الصلاة والسلام تلك الليلة
يصلي فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف ان قتلوه ثم انتهوا اليه فقال افلحت الوجوه قالوا
ووجهك يا رسول الله ورموا براسه بين يديه فحمد الله تعالى على قتله وفي كتاب
شرف المصطفى ان الذين قتلوا كعبا حملوا راسه في مخلاة الى المدينة فقيل انه اول
راس حمل في الاسلام واصاب ذباب السيف الحرث بن اوس فخرج ونزف الدم فتفل عليه
الصلاة والسلام على جرحه فلم توذه بعد **غزوة غطفان** وهي غزوة ذي امر بفتح
الهمزة والميم وسماها الحاكم غزوة انمار وهي بناحية نجد وكانت لثنتي عشرة مضت ملع
من ربيع الاول على راس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة وسببها ان جمعا من بني
ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الاغارة جمعهم دعثور ابن الحارث المحاربي وقيله
الخطيب غورث وغيره غورك وكان شجاعا فندب صلى الله عليه وسلم المسلمين
وخرج في اربعماية وخمسين فارسا واستخلف على المدينة عثمان بن عفان فلما سمعوا فاصابوا
بمهبطه صلى الله عليه وسلم هربوا في روس الجبال فاجابوا رجلا منهم من بني ثعلبة
فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه الى الاسلام فاسلم وضمه الى بلال
واصاب النبي صلى الله عليه وسلم مطر فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع يقاتلوا له جبان
تحتها وهم ينظرون فقالوا لدعثور قد انفرد محمد فعليك فاقبل ومعه سيف حتى

قام

قام على راسه عليه الصلاة والسلام فقال من يمنعك مني اليوم فقال صلى الله عليه وسلم
الله فدفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم فقال
من يمنعك مني فقال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم اتى قومه
فدعاهم الى الاسلام وانزل الله يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية ويقال كان ذلك في ذات الرقاع **ثم** رجع صلى الله عليه
وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته احدى عشرة ليلة **غزوة بحران** وتسمى غزوة
بني سليم من ناحية الفرع بفتح الفا والرا كما قيده السهيلي وقال في القاموس وبحران
موضع بناحية الفرع كذا رايته بخطه بضم الفا لا غير وسببها انه بلغه عليه
الصلاة والسلام ان بها جمعا كثيرا من بني سليم فخرج في ثلثماية من اصحابه فوجدهم
قد تفرقوا في مياههم فرجع ولم يلق كيدا وكان قد استعمل على المدينة ابن ام مكتوم
كما قاله ابن هشام وكانت غيبته عشر ليال **سرية زيد بن حارثة** الى القردة بالقاف
المفتوحة وسكون الرا وقيل بالفا وكسر الرا كما ضبطه ابن الفرات اسم ما من مياه نجد
وسببها كما قاله ابن اسحق ان قريشا خافوا من طريقهم التي يسلكون الى الشام حين كان
من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم ابو سفيان بن حرب
ومعهم فضة كثيرة **وعند** ابن سعد بعثه صلى الله عليه وسلم هلال جمادى الاخرة على
راس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة في ماية راكب يعترض لعير قريش فيها صفوان
ابن امية وحويطب بن عبد العزى ومعهم مال كثير وانية فضة فاصابوها وقدموا
بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين الف درهم
وعند مغلطاي خمسة وعشرين **غزوة احد** وهو جبل مشهور بالمدينة على اقل
من فرسخ منها وسمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال اخر هناك ويقال له ذو عينين
قال في القاموس بكسر العين وبفتحها مثنى جبل باحد انتهى وهو الذي قال فيه
عليه الصلاة والسلام احد جبل يحبنا ونحبه قيل وفيه قبر هارون اخي موسى عليهما الصلاة
والسلام **وكانت** عنده الوقعة المشهورة في شوال سنة ثلاث بالاتفاق يوم السبت
لاحدى عشرة ليلة خلت منه وقيل لسبع ليال خلون منه وقيل في نصفه وعن
مالك بعد بدر بسنة وعنه ايضا كانت على احد وثلاثين شهرا من الهجرة وكان سببها
كما ذكره ابن اسحق عن شيوخه وموسى بن عقبة عن ابن شهاب وابو الاسود عن عروة
وابن سعد قالوا او من قال منهم ما حاصله ان قريشا لما رجعوا من بدر الى مكة
وقد اصيب اصحاب القليب ورجع ابو سفيان بعيره **قال** عبد الله بن ابي ربيعة
وعكرمة بن ابي جهل في جماعة ممن اصيب اباوهم واخوانهم وابناوهم بنيهم يا معشر
قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه بعونه
عير ابي سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة لعلنا ان ندرك منه ثارا فاجابوا

Copyright King Saud University

لذلك فباعوها وكانت الف بعير والمال خمسين الف دينار وفيهم كما قال ابن اسحق وغيره
انزل الله ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون
عليهم حسرة ثم يغلبون واجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب
العباس بن عبد المطلب كتابا يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم وسار بهم
ابو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل احد مقابل المدينة وكان رجال من المسلمين
اسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة
رؤيا فلما اصبح قال اني والله قد رايت خيرا رايت بقرا تذبح ورايت في ذباب سيفي
ثلما ورايت اني ادخلت يدي في درع حصينة فاما البقر فناس من اصحابي يقتلون
واما الثلم الذي رايت في سيفي فهو رجل من اهل بيتي يقتل وقال ابن عقبة ويقول رجال
كان الذي بسيفه ما قد اصاب وجهه فان العدو اصابوا وجهه الشريف صلى الله
عليه وسلم يومئذ وكسروا رباعيته وجرحوا شفته وفي رواية قال عليه الصلاة
والسلام واولت الدرع الحصينة المدينة فامكثوا فان دخل القوم الازقة قاتلناهم
ورموا من فوق البيوت فقال اولئك القوم يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم اخرج
بنا الى اعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة ثم
وعظهم وامرهم بالجد والاجتهاد واخبرهم ان لهم النصر ما صبروا وامرهم بالتهيؤ
لعدوهم ففرح الناس بذلك ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا وحضروا اهل العوالي
ثم دخل عليه الصلاة والسلام بيته ومعه صاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
فعمماه والبساه وصف الناس ينتظرون خروجه عليه الصلاة والسلام فقال
لهم سعد بن معاذ واسيد بن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الخروج فردوا الامر اليه فخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس لامته وهي بالهمز وقد
يترك تخفيفا الدرع وتقلد سيفه فندموا جميعا على ما صنعوا فقالوا ما كان لنا
ان نخالفك فاصنع ما شئت فقال ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله
بينه وبين عدوه وفي حديث ابن عباس عند احمد والنسائي والطبراني وصححه الحاكم
نحو حديث ابن اسحق وفيه اشارة النبي صلى الله عليه وسلم اليهم ان لا يبرحوا من المدينة
وايثارهم الخروج لطلب الشهادة ولبسه اللامة وندامتهم على ذلك وقوله صلى الله عليه
وسلم لا ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل وفيه اني رايت اني في درع
حصينة الحديث وعقد عليه الصلاة والسلام ثلاثة الوية لواء الاوس بيد اسيد
ابن الحضير ولواء المهاجرين بيد علي بن ابي طالب وقيل بيد مصعب بن عمير
ولواء الخزرج بيد الحباب ابن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة وفي المسلمين مائة
دارع وخرج السعدان امامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة دارعين
واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة وادلج عليه

الصلاة

الصلاة والسلام في السحر وكان قد رد جماعة من المسلمين لصغرهم منهم اسامة وابن عمر
وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري والنعمان بن بشير قال مغلطاي وفيه نظر
وكان المسلمون الف رجل ويقال تسعمائة والمشركون ثلاثة الاف رجل فيهم سبعمائة
دارع ومائتا فرس وثلاثة الاف بعير وخمس عشرة امراة ونزل عليه الصلاة والسلام
باحد ورجع عنه عبد الله بن ابي في ثلثمائة ممن تبعه من قومه من اهل النفاق
ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالانصراف لكفرهم بمكان يقال الشوط
ويقال باحد ثم صف المسلمون باصل احد وصف المشركون بالسبخة قال ابن عقبة
وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة ابن ابي جهل
وجعل صلى الله عليه وسلم على الرماة وهم خمسون رجلا عبد الله بن جبير وقال
ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى ارسل اليكم كذا في البخاري
من حديث البراء وفي حديث ابن عباس عند احمد والطبراني والحاكم انه صلى الله عليه
وسلم اقامهم في موضع ثم قال احموا ظهورنا فان رايتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رايتمونا
قد غنمنا فلا تشركونا قال ابن اسحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياخذ
هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فامسكه عنهم حتى قام اليه ابو دجانة سماك بن خرشة
فقال وما حقه يا رسول الله قال ان تضرب به في وجه العدو حتى ينحني قال انا
اخذه بحقه يا رسول الله فاعطاه اياه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما
راه عليه الصلاة والسلام يتبختر قال ان هذه لمشية يبغضها الله الا في مثل
هذا الموطن قال الزبير بن العوام فيما قاله ابن هشام فقلت والله لانظرن ما
يصنع ابو دجانة فاتبعته فاخذ عصابة له حمراء فعصب بها راسه فقالت الانصار
اخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول

انا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
الا اقوم الدهر في الكيول اضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى احدا من المشركين الا قتله وقوله في الكيول بفتح الكاف وتشديد المثناة
التحتية موخر الصفوف وهو مفعول من كال الزند يكيل كيلا اذا كبا ولم يخرج نارا فشبه
موخر الصفوف به لان من كان فيه لا يقاتل قال ابو عبيد ولم يسمع الا في هذا الحديث
وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل ارطاة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف
والتقى حنظلة الغسيل وابو سفيان فضربه شداد بن اوس فقتله فقال
صلى الله عليه وسلم ان حنظلة لتغسله الملائكة فسالوا امراته جميلة اخت
عبد الله بن ابي فقالت خرج وهو جنب فقال عليه الصلاة والسلام لذلك غسلته
الملائكة وبذلك تمسك من قال من العلماء ان الشهيد يغسل اذا كان جنبا وقتل
علي طلحة بن ابي طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه ثم انزل الله نصره نصره
على المسلمين فحسوا الكفار بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة

[Margin note:] وان رايتمونا هزمنا القوم وطاناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم

[Margin note:] صاحب لواء المشركين ... ثم حمل لواء المشركين عثمان

Copyright ... University

تولوا الكفار لا يلوون على شيء ونساهم يدعون بالويل وتبعهم المسلمون حتى اجهضوهم
ووقعوا ينهبون العسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم وفي البخاري فقال
البراء فقال اصحاب عبد الله بن جبير اي قوم الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنظرون
فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا
منهزمين وفي حديث عايشة عند البخاري ايضا لما كان يوم احد هزم المشركون
هزيمة بينة فصاح ابليس اي عباد الله اخراكم فرجعت اولاهم فاجتلدت مع اخراهم
وعند احمد والحاكم في حديث ابن عباس انه لما رجعوا اختلطوا بالمشركين والتبس
العسكران فلم يتميزوا فوقع القتل في المسلمين بعضهم من بعض وفي رواية
غيرها ونظر خالد بن الوليد الى خلا الجبل وقلة اهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة
ابن ابي جهل فحملوا على من بقي من النفر من الرماة فقتلوهم واميرهم عبد الله
ابن جبير وفي البخاري انهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز
فخرج حمزة بن عبد المطلب فشد عليه فكان كامس الذاهب وكان وحشي كامنا
تحت صخرة فلما دنا منه رماه بحربته حتى خرجت من بين وركيه فكان اخر العهد
به انتهى وكان مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
قتل وكان الذي قتله ابن قمية وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح
ابن قمية ان محمدا قد قتل ويقال كان ذلك ازب العقبة ويقال بل هو ابليس لعنه الله
تصور في صورة جعال وقال قايل اي عباد الله اخراكم احترزوا من جهة اخراكم
فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون وانهزمت طايفة منهم
الى جهة المدينة وتفرق سايرهم ووقع فيهم القتل وقال موسى بن عقبة
ولما فقد عليه الصلاة والسلام قال رجل منهم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد قتل فارجعوا الى قومكم ليومنوكم قبل ان ياتوكم فيقتلوكم فانهم داخلوا
البيوت وقال رجل منهم ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل افلا تقاتلون
على دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله عز وجل شهدا منهم انس بن مالك بن النضر
شهد له بها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ قال في عيون الاثر كذا
وقع في هذا الخبر انس بن مالك وانما هو انس بن النضر عم انس بن مالك بن النضر انتهى
وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انكشفوا عنه وثبت معه من اصحابه
اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين منهم ابو بكر الصديق وسبعة من الانصار
وفي البخاري لم يبق معه عليه الصلاة والسلام واصحابه اصاب المشركين يوم
بدر اربعين ومائة سبعين اسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان افي القوم محمد
ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال افي القوم ابن ابي قحافة

ثلاث

ثلاث مرات ثم قال افي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء
فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله ان الذي اعددت لاحياء
كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم الحرب سجال وتوجه صلى الله عليه وسلم
يلتمس اصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه فادموه وكسروا رباعيته والذي
جرح وجهه عبد الله بن قمية وعتبة بن ابي وقاص اخو سعد هو الذي كسر
رباعيته ومن ثم لم يولد من نسله ولد فيبلغ الحنث الا وهو ابخر واهتم اي مكسور
الثنايا من اصلها يعرف ذلك في عقبه وقال ابن هشام في حديث ابن سعيد
الخدري ان عتبة ابن ابي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
كسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن هشام الزهري
شجه في جبهته وان ابن قمية جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته
ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي كان ابو عامر الفاسق يكيد بها
المسلمين وفي رواية وهشموا البيضة على راسه اي كسروا الخوذة ورموه بالحجارة حتى
سقط لشقه في حفرة من الحفر التي حفرها ابو عامر فاخذ علي بيده واحتضنه
طلحة بن عبيد الله حتى استوى قايما ونشبت حلقتان من المغفر في وجهه
فانتزعها ابو عبيدة بن الجراح وعض في وجهه وامتص مالك بن سنان والد ابي
سعيد الخدري الدم من وجنته ثم ازدرده فقال عليه الصلاة والسلام من مس
دمي دمه لم تصبه النار وسياتي ان شاء الله تعالى حكم دمه عليه الصلاة والسلام وفي
الطبراني من حديث ابي امامة قال رمى عبد الله بن قمية رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم احد فشج في وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وانا ابن قمية فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه اقماك الله فسلط الله
عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة وروى ابن اسحق عن
حميد الطويل عن انس قال كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج
وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه
نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب
عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ورواه احمد والترمذي والنساي من طريق عن
حميد به وعند ابن عايذ من طريق الاوزاعي بلغنا انه لما جرح صلى الله عليه
وسلم يوم احد اخذ شيا فجعل ينشف به دمه وقال لو وقع منه شيء على الارض
لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وروى
عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم
يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها قال في فتح الباري
وهذا مرسل قوي ويحتمل ان يكون اراد بالسبعين حقيقتها او المبالغة انتهى

Copyright © King Saud University

وقالت ام عماره نسيبة بنت كعب المازنية يوم احد فيما قاله ابن هشام فخرجت اول النهار
حتى انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فقمت اباشر القتال واذب عنه بالسيف
وارمي عن القوس حتى خلصت الجراحة الي اصابني ابن قميئة اقماه الله تعالى لما ولى الناس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا قالت فاعترضت
له فضربني هذه الضربة ولكن ضربته ضربات على ذلك ولكن عدو الله عليه درعان
قالت ام سعيد بنت الربيع فرايت على عاتقها جرحا اجوف له غور مترس دون رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما قاله ابن اسحق ابو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو يحني عليه
حتى كثر عليه النبل وهو لا يتحرك ورمي سعد بن ابي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سعد فلقد رايته يناولني النبل ويقول ارم فداك ابي وامي حتى انه ليناولني السهم
ماله نصل فيقول ارم به واصيب يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته
فاتى بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه واحدها نظرا رواه
الدارقطني بنحوه ويأتي لفظه ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات ورمي ابو رهم الغفاري
كلثوم بن الحصين بسهم فوقع في نحره فبصق عليه صلى الله عليه وسلم
فبرا وانقطع سيف عبد الله بن جحش فاعطاه صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد في يده
سيفا فقاتل به وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركي
من امرا المعتصم بالله في بغداد بمايتي دينار وهذا نحو حديث عكاشة السابق في غزوة
بدر الا ان سيف عكاشة كان يسمى العون واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم
يقطعون الاذان والانوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون انهم اصابوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم واشراف اصحابه وكان اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت باعلا صوتي يا معشر
المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عرفوه نهضوا ونهض معهم نحو الشعب
معه ابو بكر وعمر وعلي ورهط من المسلمين فلما اسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب
ادركه ابي بن خلف وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فقالوا يا رسول الله يعطف عليه
رجل منا فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فلما دنا تناول صلى الله عليه وسلم الحربة من
الحارث بن الصمة فلما اخذها منه عليه الصلاة والسلام انتفض بها انتفاضة تطايرنا
عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله عليه الصلاة والسلام فطعنه طعنة
وقع بها عن فرسه ولم يخرج له دم وكسر ضلعا من اضلاعه فلما رجع الى قريش قال قتلني والله
محمد اليس قد كان قال لي بمكة انا اقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني فمات عدو الله بسرف
وهم قافلون به الى مكة رواه البيهقي وابو نعيم ولم يذكر كسر ضلعا من اضلاعه قال
الواقدي وكان ابن عمر يقول مات ابي بن خلف ببطن رابغ فاني لاسير ببطن رابغ بعد

هوى من الليل اذا نار تاجج لي فهبتها واذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يصيح
العطش واذا رجل يقول لا تسقه فان هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا ابي بن خلف رواه البيهقي ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب ملا علي
ابن ابي طالب درقته من المهراس وهي صخرة منقورة تسع كثيرا من الماء وقيل هو
اسم ما باحد فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسل عن وجهه الدم وصب على
راسه وهو يقول اشتد غضب الله على من ادمى وجه نبيه وصلى النبي صلى الله عليه
وسلم الظهر يومئذ قاعدا من الجراح التي اصابته وصلى المسلمون خلفه قعودا قال
ابن اسحق ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الاذان والانف وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها
فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ولما اراد ابو سفيان الانصراف اشرف على الجبل
ثم صرخ باعلا صوته انعمت فعال ان الحرب سجال يوم بيوم بدر اعل هبل وكان
ابو سفيان حين اراد الخروج الى احد كتب على سهم نعم وعلى الاخر لا واجالهما عند هبل
فخرج سهم نعم فخرج الى احد فلما قال اعل هبل اي زد علوا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعمر اجبه فقل الله اعلا واجل فقال ابو سفيان انعمت فعال اي اترك
ذكرها فقد صدقت في فتواها وانعمت اي اجابت بنعم فقال عمر لا سوا قتلانا في الجنة
وقتلاكم في النار فقال ان لنا عزي ولا عزي لكم فقال عليه الصلاة والسلام الله مولانا
ولا مولى لكم ولما انصرف ابو سفيان واصحابه نادى موعدكم بدر العام القابل فقال
عليه الصلاة والسلام لرجل من اصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد وذكر الطبراني
انه لما انصرف المشركون خرج النسا الى اصحابه يعينونهم فكانت فاطمة فيمن خرج
فلما لقيت النبي صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالما فيزداد الدم
فلما رات ذلك اخذت شيا من حصير احرقته بالنار وكمدته به حتى لصق بالجرح
ثم ارسل عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة كما ذكره الواقدي فنادى في القتلى يا سعد
ابن الربيع مرة بعد اخرى فلم يجبه حتى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارسلني انظر ما صنعت فاجابه بصوت ضعيف فوجده جريحا في القتلى وبه رمق فقال ابلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام وقل له يقول لك جزاك الله عنا خير
ما جزا نبيا عن امته وابلغ قومك عني السلام وقل لهم لا عذر لكم عند الله ان يخلص الى
نبيكم وفيكم عين تطرف ثم مات وقتل ابو دجانة بسيفه الذي عرف الا بيناه اي اصابعه
وقيل اطرافها واحتزها بيانه وخرج صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة فوجده ببطن
الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع انفه واذناه فنظر عليه الصلاة والسلام
الى شي لم ينظر الى شي اوجع لقلبه منه فقال رحمة الله عليك لقد كنت فعولا للخير
وصولا للرحم اما والله لامثلن بسبعين منهم مكانك قال فنزلت عليه خواتم سورة

جابر

النحل نصبر وكفر عن يمينه وامسك عما اراد وممن مثل به كما مثل بحمزة عبد الله بن جحش
ابن اخت حمزة ولذا يعرف بالمجدع في الله وكان حين قتل ابن بضع واربعين سنة
ودفن مع حمزة في قبر واحد ولما اشرف عليه الصلاة والسلام على القتلى قال انا شهيد
على هولاء ما من جريح يجرح في الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمي جرحه اللون
لون الدم والريح ريح المسك وفي رواية عبد الله بن ثعلبة قال عليه الصلاة والسلام
لقتلى احد زملوهم بجراحهم وروى ابو بكر بن مردويه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يا جابر الا اخبرك ما كلم الله تعالى احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا فقال
سلني اعطك فقال اسالك ان ارد الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه
سبق مني انهم لا يرجعون الى الدنيا قال اي رب فابلغ من ورائي فانزل الله ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الاية وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة
وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم
ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا
في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب قال الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله عز وجل على
نبيه هذه الايات ولا تحسبن الذين قتلوا رواه احمد قال بعض من تكلم على هذا الحديث
قوله ثم تاوي الى القناديل ليلا وتسرح نهارا بعد دخول الجنة في الاخرة لا تاوي الى تلك
القناديل وانما ذلك في البرزخ وقال مجاهد الشهدا ياكلون من ثمر الجنة وليسوا
فيها وقد رد هذا القول ويشهد له ما وقع في مسند ابن ابي شيبة وغيره ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الشهدا بنهر او على نهر يقال له بارق عند باب الجنة في
قباب خضر ياتيهم رزقهم منها بكرة وعشيا قال الحافظ عماد الدين بن كثير كان الشهدا
اقسام منهم من تسرح ارواحهم في الجنة ومنهم من تكون على هذا النهر بباب الجنة وقد يحتمل ان
يكون منتهى سيرهم الى هذا النهر فيجتمعون هنالك ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح
قال وقد روينا في مسند الامام احمد حديثا فيه بشرى لكل مومن بان روحه تكون
في الجنة ايضا وتسرح فيها من النضرة والسرور وتشهد ما اعد الله لها من الكرامة قال
وهو باسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الايمة الاربعة اصحاب المذاهب
المتبعة فان الامام احمد رواه عن الشافعي عن مالك بن انس عن الزهري عن
عبد الرحمن ابن كعب بن مالك عن ابيه يرفعه نسمة المومن طاير تعلق في شجر الجنة
حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه وقوله تعالى يقال تاكل وفي هذا الحديث
ان روح المومن تكون على شكل طاير في الجنة واما ارواح الشهدا ففي حواصل طيور
خضر فهي كالكواكب بالنسبة الى ارواح عموم المومنين فانها تطير بانفسها فنسال الله
الكريم المنان ان يميتنا على الايمان وقد استشهد يوم احد من المسلمين سبعون فيهم

قاله

قاله مغلطاي وغيره وقيل خمسة وستون اربعة من المهاجرين وروى ابن
منده من حديث ابي بن كعب قال استشهد من الانصار يوم احد اربعة وستون
ومن المهاجرين ستة وصححه ابن حبان من هذا الوجه وقتل من المشركين ثلاثة
وعشرون رجلا وقتل عليه الصلاة والسلام بيده ابي بن خلف وحضرت الملايكة
يومئذ ففي حديث سعد بن ابي وقاص عند مسلم في صحيحه انه راى عن يمين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض ما رايتهما
قبل ولا بعد يعني جبريل وميكاييل يقاتلان كاشد القتال وفيه كما قدمناه في غزوة
بدر ان قتال الملايكة معه صلى الله عليه وسلم لا يختص بيوم بدر خلافا لمن زعمه
كما نص عليه النووي في شرح مسلم كما قدمته والله اعلم ولما بكى المسلمون على قتلاهم سر
بذلك المنافقون وظهر غش اليهود تنبيه ذكر القاضي عياض في الشفا عن القاضي
ابي عبد الله بن المرابط من المالكية انه قال من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو
على بصيرة من امره ويقين من عصمته انتهى وهذا موافق لمذهبنا لكن قال
العلامة البساطي من المالكية هذا القايل ان كان يخالف في اصل المسالة اعني حكم
الساب فله وجه وان وافق على ان الساب لا تقبل توبته فمشكل انتهى وقد كان
في قصة احد وما اصيب به المسلمون من الفوايد والحكم الربانية اشيا عظيمة منها
تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشوم ارتكاب النهي لما وقع من ترك الرماة موقفهم
الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يبرحوا منه ومنها عادة الرسل ان تبتلى
وتكون لهم العاقبة والحكمة في ذلك انه لو انتصروا دايما لدخل في المسلمين من ليس منهم ولم
يتميز الصادق من الكاذب وذلك ان نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين فلما جرت
هذه القصة واظهر اهل النفاق ما اظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحا
وعرف المسلمون ان لهم عدوا في دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم ومنها ان في تاخير
النصر في بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لشماختها فلما ابتلي المسلمون صبروا وهم
وجزع المنافقون ومنها ان الله تعالى هيا لعباده المومنين منازل في دار كرامته
لا يبلغها اعمالهم فقيض لهم اسباب الابتلا والمحن ليصلوا اليها ومنها ان الشهادة من
اعلى مراتب الاوليا فساقهم اليها ومنها انه اراد هلاك اعدايه فقيض لهم الاسباب
التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في اذى اوليايه فمحص ذنوب
المومنين ومحق بذلك الكافرين غزوة حمرا الاسد وهي على ثمانية اميال من
المدينة عن يسار الطريق اذا اردت ذا الحليفة وكانت صبيحة يوم احد لست
عشرة مضت ولثمان خلون من شوال على راس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة
لطلب عدوهم بالامس ونادى موذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يخرج

لمن

ولو انتصروا دايما
القصد من البحث
الحكمة الجمع بين الا
من الكاذب

بلغ

Copyright King Saud University

معنا احد الا من حضر يومنا بالامس اي من شهد احد وانما خرج عليه الصلاة والسلام
مرهبا الي العدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وان الذي اصابهم لم يوهنهم
عن عدوهم واقام عليه الصلاة والسلام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الي المدينة
يوم الجمعة وقد غاب خمسا وظفر عليه الصلاة والسلام في مخرجه ذلك بمعاوية بن
المغيرة بن ابي العاص فامر بضرب عنقه صبرا قال الحافظ مغلطاي وحرمت
الخمر في شوال ويقال سنة اربع انتهي قال ابو هريرة في ما رواه احمد حرمت الخمر
ثلاث مرات قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر وياكلون
الميسر فسالوا رسول الله صلي الله عليه وسلم عنهما فانزل الله يسالونك عن الخمر والميسر
قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الي اخر الاية فقال الناس ما حرم علينا انما قال فيهما اثم
كبير وكانوا يشربون الخمر حتي كان يوم من الايام صلي رجل من المهاجرين ام اصحابه
في المغرب خلط في قراته فانزل الله اية اغلظ منها يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة
وانتم سكاري حتي تعلموا ما تقولون وكان الناس يشربون ثم نزل اية اغلظ من
ذلك يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الي قوله لعلكم تفلحون قال انتهينا ربنا
والميسر القمار وقيل غيره وولد الحسن بن علي في هذه السنة ثم سرية ابي سلمة
عبد الله بن عبد الاسد هلال المحرم علي راس خمس وثلاثين من الهجرة الي قطن جبل
بناحية فيد ومعه مائة وخمسون رجلا من الانصار والمهاجرين لطلب طليحة وسلمة
ابني خويلد فلم يجدهما ووجد ابلا وشاء فاغار عليها ولم يلق كيدا ثم سرية عبد الله
ابن انيس وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم علي راس خمسة وثلاثين شهرا
من الهجرة الي سفيان بن خالد الهذلي بعرنة وادي عرفة لانه بلغه صلي الله عليه
وسلم انه جمع الجموع لحربه فلما وصل اليه قال له من الرجل قال من بني خزاعة سمعت
بجمعك لمحمد فجئتك لاكون معك قال اجل فمشي معه ساعة ثم اغتره وقتله واخذ راسه
فكان يسير الليل ويتواري النهار حتي قدم المدينة فقال له عليه الصلاة والسلام
افلح الوجه قال افلح وجهك يا رسول الله ووضع راسه بين يديه وكانت غيبته
ثماني عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم ثم سرية عاصم بن ثابت
في صفر علي راس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة الي رجيع بفتح الراء وكسر الجيم اسم ماء لهذيل
بين مكة وعسفان بناحية الحجاز كانت الوقعة بالقرب منه فسميت به وحديث
عضل والقارة بفتح الضاد المعجمة بعدها لام بطن من بني الهون بن خزيمة بن مدركة
ابن الياس بن مضر ينسبون الي الديش المذكور قال ابن دريد القارة اكمة سودا
فيها حجارة كانهم نزلوا عندها فسموا بها وقصة عضل والقارة كانت في بعث
الرجيع لا في سرية بئر معونة وقد فصل بينهما ابن اسحق فذكر بعث الرجيع في
اواخر سنة ثلاث وبئر معونة اوايل سنة اربع وذكر الواقدي ان خبر بئر معونة وخبر

اصحاب

مطلب تحريم الخمر في شوال وانها حرمت ثلاث مرات

الاعصل

اصحاب الرجيع جا الي النبي صلي الله عليه وسلم في ليلة واحدة وسياق ترجمة البخاري
يوهم ان بعث الرجيع وبئر معونة شي واحد وليس كذلك لان بعث الرجيع كان سرية
القراء وهي مع رعل وذكوان وكان البخاري ادمجها معها لقربها منها ويدل علي قربها
منها ما في حديث انس من تشريك النبي صلي الله عليه وسلم بين بني لحيان وبني عصية
وغيرهم في الدعا ولم يرد البخاري رحمه الله انها قصة واحدة ولم يقع ذكر عضل و
القارة عنده مصرحا وانما وقع ذلك عند ابن اسحق فانه بعد ان استوفي قصة احد
قال ذكر يوم الرجيع حدثني عاصم بن قتادة قال قدم علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
بعد احد رهط من عضل والقارة فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا
نفرا من اصحابك يفقهوننا فبعث معهم ستة من اصحابه وامر عليه الصلاة والسلام
علي القوم مرثد بن ابي مرثد الغنوي كذا في السيرة له وفي الصحيح وامر عليهم عاصم بن
ثابت كما سياتي وهو اصح فخرجوا مع القوم حتي اتوا علي الرجيع ماء لهذيل غدروا بهم فاستصرخوا
عليهم هذيلا فلم يرع القوم وهم في رحالهم الا الرجال بايديهم السيوف وقد غشوهم و
[illegible] اخذوا اسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم انا والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد ان نصيب
بكم شيا من اهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه ان لا نقتلكم فاما مرثد وخالد وعاصم
فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهدا وقاتلوا حتي قتلوا وفي البخاري وامر عليهم عاصم
ابن ثابت حتي اذا كانوا بالهداة بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو
لحيان فنفروا لهم بقريب من مائتي رجل وعند بعضهم فتبعوهم بقريب من مائة رام
والجمع بينهما واضح بان يكون المائة الاخري غير الرماة وفي رواية ابي معشر في مغازيه
فنزلوا بالرجيع سحرا فاكلوا تمر عجوة فسقط نواه بالارض وكانوا يسيرون بالليل
ويكمنون بالنهار فجاءت امراة من هذيل ترعي غنما فرات النواة وانكرت صغرهن وقالت
هذا تمر يثرب فصاحت في قومها اتيتم فجاوا في طلبهم فوجدوهم قد كمنوا في الجبل فتبعوا
اثارهم حتي لحقوهم وفي رواية ابن سعد فلما احس بهم عاصم واصحابه لجاوا الي فدفد
بفاءين مفتوحتين ومهملتين الاولي ساكنة وهي الرابية المشرفة فاحاط بهم القوم فقالوا
لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم بن ثابت اميرا القوم
اما انا فلا انزل في ذمة كافر ثم قال اللهم اخبر عنا رسولك فاستجاب الله لعاصم فاخبر رسوله
خبرهم يوم اصيبوا فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما ونزل اليهم علي العهد والميثاق خبيب
ابن عدي وزيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة والنون المفتوحة المشددة
وعبد الله بن طارق فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتي باعوهما بمكة فابتاع
بنو الحارث بن عامر خبيبا فلبث خبيب عندهم اسيرا حتي اجمعوا قتله استعار من بعض
بنات الحارث موسي يستحد بها يعني يحلق عانته فغفلت عن ابن لها صغير فاقبل اليه
الصبي فاجلسه عنده فخشيت المراة ان يقتله ففزعت فقال خبيب ما كنت لاغدر

عاصم وخبيب واصحابهما وهي مع عضل والقارة وبئر معونة كانت سرية

Copyright King Saud University

قال قالت والله ما رايت اسيرا خيرا من خبيب والله لقد وجدته ياكل قطفا من عنب
مثل راس الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة وما كان الا رزق رزقه الله
وهذه كرامة جعلها الله تعالى لخبيب اية عن الكفار وبرهانا للنبيه لتصحيح رسالته
والكرامة للاوليا ثابتة مطلقا عند اهل السنة لكن استثني بعض المحققين منهم
كالعلامة الرباني ابي القاسم القشيري بما وقع به التحدي لبعض الانبيا فقال
ولا يصلون الي مثل ايجاد ولد من غير اب ونحو ذلك وهذا اعدل المذاهب في ذلك
وان اجابة الدعوة في الحال وتكثير الطعام والمكاشفة بما يغيب عن العين والاخبار
بما سياتي ونحو ذلك قد كثر جدا حتي صار وقوع ذلك ممن ينسب الي الصلاح كالعادة
فانحصر الخارق الان في نحو ما قاله القشيري وتعين تقييد من اطلق بان كل
معجزة وجدت لنبي يجوز ان تقع كرامة لولي ووراء ذلك ان الذي استقر عند العامة
ان خرق العادة يدل علي ان من وقع له ذلك يكون من اوليا الله وهو غلط فان
الخارق قد يظهر علي يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب فيحتاج من يستدل
بذلك علي ولاية الله تعالى الي فارق واولا ما ذكروه ان يختبر حال من وقع له ذلك
فان كان متمسكا بالاوامر الشرعية والنواهي كان علامة علي ولايته ومن لا فلا والله
انتهى ملخصا من الفتح ولما خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه قال دعوني اصلي ركعتين
وعند موسي بن عقبة انه صلاهما في موضع مسجد التنعيم وقال اللهم احصهم عددا ولا
تبق منهم احدا واقتلهم بددا يعني متفرقين فلم يحل الحول ومنهم احد حي وفي رواية
بريدة بن ابي سفيان فقال خبيب اللهم اني لا اجد من يبلغ رسولك مني السلام فبلغه وفي
رواية الاسود عن عروة جا جبريل الي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك الحديث ثم انشا
خبيب يقول ؞ فلست ابالي حين اقتل مسلما ؞ علي اي شق كان لله مصرعي ؞
وذلك في ذات الاله وان يشا ؞ يبارك علي اوصال شلو ممزع ؞
والاوصال جمع وصل وهو العضو والشلو بكسر المعجمة الجسد ويطلق علي العضو
لكن المراد به هنا الجسد والممزع بالزاي ثم المهملة القطع ومعني الكلام اعضا جسد مقطع
وعند ابي الاسود عن عروة زيادة في هذا الشعر
لقد اجمع الاحزاب حولي والبوا ؞ قبايلهم واستجمعوا كل مجمع ؞
وفيه ؞ الي الله اشكو غربتي بعد كربتي ؞ وما ارصد الاحزاب لي عند مصرعي ؞
وساق ابن اسحاق هذه الابيات ثلاثة عشر بيتا قال ابن هشام ومن الناس من ينكرها
لخبيب وكان خبيب اول من سن الركعتين عند القتل لكل مسلم قتل صبرا كذا قاله
ابن اسحق وقوله هذا يدل علي انها سنة جارية وانما صار فعل خبيب سنة والسنة
انما هي اقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعاله وتقريره لانه فعله في
حياته صلى الله عليه وسلم فاستحسن ذلك من فعله واستحسنها المسلمون والصلاة

بلغ

خير

صلا

خير ما ختم به عمل العبد وقد صلاهما قبل الركعتين زيد بن حارثة مولي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذلك في حياته عليه الصلاة والسلام كما رويناه من طريق السهيلي بسنده
الي الليث بن سعد قال بلغني ان زيد بن حارثة اكترى بغلا من رجل بالطايف
اشترط عليه المكري ان ينزله حيث يشا قال فمال به الي خربة فقال له انزل فنزل
فاذا في الخربة قتلي كثيرة قال فلما اراد ان يقتله قال له دعني اصلي ركعتين قال
صل فقد صلي قبلك هولاء فلم تنفعهم صلاتهم شيا قال فلما صليت اتاني ليقتلني
فقلت يا ارحم الراحمين قال فسمع صوتا لا تقتله فهاب ذلك فخرج يطلب فلم ير شيا
فرجع الي فناديت يا ارحم الراحمين فعل ذلك ثلاثا فاذا بفارس علي فرس في يده حربة
حديد في راسها شعلة نار فطعنه بها فانفذها من ظهره فوقع ميتا ثم قال لما دعوت
الاولي يا ارحم الراحمين كنت في السما الدنيا فلما دعوت الثالثة اتيتك انتهى ووقع في رواية
ابي الاسود عن عروة فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب يعني خبيبا نادوه وناشدوه
اتحب ان محمدا مكانك قال لا والله ما احب ان يفديني بشوكة في قدمه ويقال ان الذي
قال ذلك زيد بن الدثنة وان ابا سفيان قال له يا زيد انشدك بالله اتحب ان محمدا الان
عندنا مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك فقال والله ما احب ان محمدا الان في مكانه
الذي هو فيه تصيبه شوكة توذيه واني لجالس في اهلي قال يقول ابو سفيان
ما رايت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس بكسر النون
وبعثت قريش الي عاصم ليوتوا بشي من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيما
من عظمايهم يوم بدر ولعل العظيم المذكور عقبة بن ابي معيط فان عاصما قتله
صبرا بامر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان انصرفوا من بدر ووقع عند ابن
اسحق وكذا في رواية بريدة بن سفيان ان عاصما لما قتل ارادت هذيل اخذ راسه
ليبيعوه من سلافة بنت سعد وهي ام مسافع وجلاس ابني طلحة العبدي وكان
عاصم قتلهما يوم احد وكانت قد نذرت حين اصاب ابنيها يوم احد لين قدرت
علي راس عاصم لتشرب الخمر في قحفه بكسر القاف وهو ما انفلق من الجمجمة فبان
قال الطبري وجعلت لمن جا براسه مائة ناقة فمنعهم منه الدبر بفتح المهملة الي بعدها
وسكون الموحدة الزنابير فلم يقدروا منه علي شي وكان عاصم ابن ثابت قد اعطي الله عهدا
ان لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا فكان عمر لما بلغه خبره يقول يحفظ الله
العبد المومن بعد وفاته كما حفظه في حياته وانما استجاب الله تعالى له في
حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما اراد من اكرامه بالشهادة ومن
كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه سرية المنذر ابن عمرو بفتح العين
المهملة الي بير معونة بفتح الميم وضم المهملة وسكون الواو وبعدها نون موضع
ببلاد هذيل بين مكة وعسفان في صفر علي راس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة

بلغ

الي ارحم الراحمين كنت في السما السابعة فلما دعوت الثانية كنت في السما الاولي فلما دعوت الثالثة

Copyright King Saud University

على رأس اربعة اشهر من احد وبعث معه المطلب السلمي ليدلهم على الطريق وكا
مع رعل بكسر الرا وسكون العين المهملة بطن من بني سليم ينسبون الى رعل بن عوف
ابن مالك وذكوان بطن من بني سليم ايضا ينسبون الى ذكوان ابن ثعلبة فنسبت
الغزوة اليها وهذه الوقعة تعرف بسرية القرا وكان من امرها كما قاله ابن اسحق
انه قدم ابو برا عامر بن مالك بن جعفر المعروف بملاعب الاسنة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام وقال يا محمد
لو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد فدعوهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك
فقال عليه الصلاة والسلام اني اخشى اهل نجد عليهم قال ابو برا انا لهم جار فابعثهم
فبعث عليه الصلاة والسلام المنذر ابن عمرو ومعه القرا وهم سبعون وقيل
اربعون وقيل ثلاثون وقد بين قتادة في روايته انهم كانوا يحتطبون بالنهار
ويصلون بالليل وفي رواية ثابت يشترون به الطعام لاهل الصفة ويتدارسون
القران بالليل فساروا حتى نزلوا بير معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتابه صلى الله
عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل العامري ومات كافرا وليس هو عامر
ابن الطفيل الاسلمي الصحابي فلما اتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله *بني عامر فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر ابا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا*
ثم استصرخ عليهم قبايل من سليم عصية ورعلا فاجابوه الى ذلك ثم خرجوا حتى
غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا اسيافهم وقاتلوهم حتى قتلوا
الى اخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق
شهيدا واسر عمرو بن امية الضمري فلما اخبرهم انه من مضر اخذه عامر بن
الطفيل واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه فلما بلغ النبي صلى الله عليه
وسلم خبرهم قال هذا عمل ابي البرا قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا برا
فمات اسفا على ما صنع عامر بن الطفيل وقتل عامر بن فهيرة يوميذ فلم يوجد *عامر بن فهيرة دفنته الملائكة*
جسده دفنته الملايكة قال ابن سعد عن انس بن مالك ما رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجد على احد ما وجد على اهل بير معونة وفي صحيح مسلم
عن انس ايضا دعا صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا اصحاب بير معونة
ثلاثين صباحا يدعو على رعل ولحيان وعصية وعصت الله ورسوله
قال انس انزل الله في الذين قتلوا يوم بير معونة قرانا قراناه ثم نسخ بعد *[illegible] اهل بير معونة ونسخ*
اي نسخت تلاوته بلغوا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه كذا
وقع في هذه الرواية وهو يوهم ان بني لحيان ممن اصاب القرا يوم بير معونة
وليس كذلك وانما اصاب هولا رعل وذكوان وعصية ومن صحبهم من سليم
واما بنو لحيان فهم الذين اصابوا بعث الرجيع وانما اتى الخبر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنهم كلهم في وقت واحد فدعا على الذين اصابوا اصحابه

في

في الموضعين دعا واحدا والله اعلم ثم غزوة بني النضير بفتح النون وكسر الضاد
المعجمة قبيلة كبيرة من اليهود في ربيع الاول سنة اربع وذكرها ابن اسحق هنا قال
السهيلي وكان ينبغي ان يذكرها بعد بدر لما روي عقيل بن خالد وغيره عن الزهري
قال كانت غزوة بني النضير على راس ستة اشهر من وقعة بدر قبل احد ورجح
الداودي ما قاله ابن اسحق من ان غزوة بني النضير بعد بير معونة مستدلا
بقوله وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم قال الحافظ ابو الفضل
ابن حجر وهو استدلال واه فان الاية نزلت في شان بني قريظة فانهم هم الذين
ظاهروا الاحزاب واما بنو النضير فلم يكن لهم في الاحزاب ذكر بل كان من اعظم
الاسباب في جمع الاحزاب وما وقع في اجلابهم فانه كان من روسهم حيي ابن اخطب وهو
الذي حسن لبني قريظة الغدر وموافقة الاحزاب حتى كان من هلاكهم ما كان فكيف
يصير السابق لاحقا انتهى وقد تقدم قريبا ان عامر بن الطفيل اعتق عمرو *صح*
ابن امية لما قتل اهل بير معونة عن رقبة عن امه فخرج عمرو الى المدينة فصادف
رجلين من بني عامر معهما عقد وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر
به عمرو فقال لهما عمرو من انتما فذكرا له انهما من بني عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما
عمرو وظن انه ظفر ببعض ثار اصحابه فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فقال لقد قتلت قتيلين لاودينهما قال ابن اسحق وغيره ثم خرج عليه
الصلاة والسلام الى بني النضير ليستعين بهم في دية ذينك القتيلين الذين قتلهم
عمرو بن امية للجوار الذي كان صلى الله عليه وسلم عقد لهما وكان بين بني النضير
وبين بني عامر عقد وحلف فلما اتاهم عليه الصلاة والسلام يستعينهم في ديتهما
قالوا يا ابا القاسم نعينك على ما احببت مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض
فقالوا انكم لن تجدوه على مثل هذه الحال وكان صلى الله عليه وسلم الى جنب جدار
من بيوتهم قاعدا فقالوا من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه
فيقتله ويريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال انا لذلك
فصعد ليلقي عليه الصخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من اصحابه *به*
منهم ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم قال ابن سعد فقال سلام بن مشكم اليهود
لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض العهد الذي بيننا وبينه قال ابن
اسحق واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السما بما اراد القوم فقام عليه
الصلاة والسلام مظهرا انه يقضي حاجة وترك اصحابه في مجلسهم ورجع م
مسرعا الى المدينة واستبطا النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقاموا في طلبه حتى *اصحابه*
انتهوا اليه فاخبرهم بما ارادت يهود من الغدر به قال ابن عقبة ونزل في ذلك
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم *رواية*

Copyright King Saud University

قال ابن اسحق فامر عليه الصلاة والسلام بالتهيؤ لحربهم والسير قال ابن هشام واستعمل
على المدينة ابن ام مكتوم ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليالي قال ابن اسحق
فتحصنوا منه في الحصون فقطع النخل وحرقها وخرب فنادوه يا محمد قد كنت
تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها قال السهيلي
قال اهل التاويل وقع في نفوس بعض المسلمين من هذا الكلام شيء حتى انزل الله ما قطعتم
من لينة الاية الى قوله وليخزي الفاسقين واللينة الوان التمر ما عدا العجوة والبرني
في هذه الاية انه صلى الله عليه وسلم لم يحرق من نخلهم الا ما ليس بقوت للناس وكانوا
يقتاتون بالعجوة وفي الحديث العجوة من الجنة وثمرها يغذي واحسن غذا والبرني
ايضا كذلك ففي قوله تعالى ما قطعتم من لينة ولم يقل من نخلة على العموم تنبيه
على كراهة قطع ما يقتات ويغذي وامن شجر العدو واذا رجي ان يصل الى المسلمين
قال ابن اسحق وقد كان رهط من بني عوف من الخزرج منهم عبد الله بن ابي بن سلول
بعثوا الى النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم ولئن اخرجتم
خرجنا معكم فتربصوا فقذف الله في قلوبهم الرعب فلم ينصروهم فسألوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم من ارضهم ويكف عن دمائهم وعند ابن سعد انهم
حين هموا بغدره صلى الله عليه وسلم واعلمه الله بذلك بعث اليهم محمد بن
سلمة ان اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر
وقد اجلتكم عشرا فمن رؤي منكم بعد ذلك ضربت عنقه فمكثوا على ذلك
اياما يتجهزون وتكاروا من اناس من اشجع ابلا فارسل اليهم عبد الله بن ابي
لا تخرجوا من دياركم واقيموا في حصونكم فان معي الفين من قومي من العرب
يدخلون حصونكم وعدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيي فيما قال ابن ابي
فارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نخرج من ديارنا فاصنع
ما بدا لك فاظهر صلى الله عليه وسلم التكبير وكبر المسلمون بتكبيره وسار اليهم
عليه الصلاة والسلام في اصحابه فصلى العصر بفناء بني النضير وعلي يحمل
رايته فلما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا على حصونهم ومعهم
النبل والحجارة واعتزلهم ابن ابي فلم يعنهم وكذا حلفاؤهم من غطفان فيئسوا من
نصرهم فحاصرهم صلى الله عليه وسلم وقطع نخلهم وقال لهم عليه الصلاة والسلام
اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الحلقة وهي باسكان اللام قال في
القاموس الدرع فنزلت يهود على ذلك وكان حاصرهم خمسة عشر يوما
فكانوا يخربون بيوتهم بايديهم ثم اجلاهم عن المدينة وولى اخراجهم محمد
ابن مسلمة وحملوا النساء والصبيان وتحملوا على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر وحزن
المنافقون عليهم حزنا شديدا وقبض صلى الله عليه وسلم الاموال ووجد

من

من الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة واربعين سيفا وكانت بنو
النضير صفيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حبسا لنوائبه ولم يسهم منها لاحد
لان المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب وانما قذف في قلوبهم الرعب وجلوا
عن منازلهم الى خيبر ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم وقسمها عليه
الصلاة والسلام بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قد
قاسموهم في الاموال والديار غير انه اعطا ابا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما
وفي الاكليل اعطا سعد بن معاذ سيف ابن ابي الحقيق وكانت سيفا له ذكر عندهم
غزوة ذات الرقاع واختلف فيها متى كانت فعند ابن اسحق بعد بني النضير
سنة اربع في شهر ربيع الاخر وبعض جمادى وعند ابن سعد وابن حبان في
المحرم سنة خمس وجزم ابو معشر بانها بعد بني قريظة في ذي القعدة سنة
خمس فتكون ذات الرقاع في اخر السنة واول التي تليها قال في فتح الباري فجنح
البخاري الى انها كانت بعد خيبر واستدل لذلك بامور ومع ذلك فذكرها ثم
المغازي انها كانت قبلها او ان ذلك من الرواة عنه او اشارة الى احتمال ان تكون
ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين كما اشار اليه البيهقي على ان اصحاب
المغازي مع جزمهم بانها كانت قبل خيبر مختلفون في زمانها انتهى والذي
جزم به ابن عقبة تقدمها لكن تردد في وقتها فقال لا ندري كانت قبل بدر
ام بعدها او قبل احد او بعدها قال الحافظ ابن حجر وهذا التردد لا حاصل
له بل الذي ينبغي الجزم به انها بعد غزوة بني قريظة لان صلاة الخوف في
غزوة الخندق لم تكن شرعت وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في غزوة ذات
الرقاع فدل على تأخرها بعد الخندق ثم قال عند قول البخاري وهي بعد
خيبر لان ابا موسى جاء بعد خيبر واذا كان كذلك وثبت ان ابا موسى شهد
غزوة ذات الرقاع لزم انها كانت بعد خيبر قال وعجب من ابن سيد الناس
كيف قال جعل البخاري حديث ابي موسى هذا حجة في ان غزوة ذات الرقاع
متاخرة عن خيبر قال وليس في خبر ابي موسى ما يدل على شيء من ذلك انتهى كلام
ابن سيد الناس قال وهذا النفي مردود والدلالة من ذلك واضحة كما قررته
قال واما الدمياطي فادعى غلط الحديث في الصحيح وان جميع اهل السير على
خلافه وقد تقدم انهم مختلفون في زمانها فالاولى الاعتماد على ما ثبت في الحديث
الصحيح واما قول الغزالي انها اخر الغزوات فهو غلط واضح وقد بالغ
ابن الصلاح في انكاره وقال بعض من انتصر للغزالي لعله اراد اخر غزوة
صليت فيها صلاة الخوف وهو انتصار مردود بما اخرجه ابو داود والنسائي
وصححه ابن حبان من حديث ابي بكرة انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة

بلغ بعد

جزم الحافظ بان ذات الرقاع بعد بني قريظة

Copyright King Saud University

وانما اسلم ابو بكرة بعد غزوة الطايف بالاتفاق انتهى واما تسميتها بذات الرقاع
لانهم رقعوا فيها راياتهم قاله ابن هشام وقيل لشجرة في ذلك الموضع يقال لها ذات
الرقاع وقيل الارض التي نزلوا بها فيها بقع سود وبقع بيض كانها مرقعة برقاع
مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك وقيل ان خيلهم كان بها سواد وبياض قاله
ابن حبان وقال الواقدي سميت بجبل هناك فيه بقع قال الحافظ ابن حجر وهذا
لعله مستند ابن حبان ويكون قد تصحف عليه بجبل قال واغرب الداودي
فقال سميت ذات الرقاع لوقوع صلاة الخوف فيها فسميت بذلك لترقيع الصلاة
فيها انتهى قال السهيلي واصح من هذه الاقوال كلها ما رواه البخاري عن ابي
موسى الاشعري قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ونحن
ستة نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت اقدامنا ونقبت قدماي وسقطت
اظفاري فكنا نلف على ارجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب
من الخرق على ارجلنا وكان خبر هذه الغزوة كما قال ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم
غزا نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة بالمثلثة من غطفان بفتح الغين المعجمة
والمهملة لانه عليه الصلاة والسلام بلغه انهم جمعوا الجموع فخرج في اربع مائة من
اصحابه وقيل سبعماية واستعمل على المدينة عثمان بن عفان وقيل اباذر الغفاري
حتى نزل نخلا بالخاء المعجمة موضعا من نجد من اراضي غطفان قال ابن سعد فلم يجد
في محالهم الا نسوة فاخذهن قال ابن اسحق فلقي جمعا منهم فتقارب الناس ولم
يكن بينهم حرب وقد اخاف الناس بعضهم حتى صلى الله عليه وسلم بالناس
صلاة الخوف ثم انصرف الناس قال ابن سعد وكان ذلك اول ما صلاها
وقد رويت صلاة الخوف من طرق كثيرة وسياتي ان شا الله تعالى الكلام
على ما تيسر منها في مقصد عباداته صلى الله عليه وسلم وكانت غيبته صلى
الله عليه وسلم في هذه الغزوة خمس عشرة ليلة روى البخاري عن جابر
قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة
تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف النبي صلى
الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه يعني سله من غمده فقال تخافني
قال لا قال فمن يمنعك مني قال الله وعند ابي عوانة فسقط السيف من
يده فاخذه صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني قال كن خير اخذ قال
تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله قال الاعرابي اعاهدك اني لا اقاتلك
ولا اكون مع قوم يقاتلونك قال فخلى سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من
عند خير الناس وفي رواية ابي اليمان عند البخاري في الجهاد قال من يمنعك
مني ثلاث مرات وهو استفهام انكاري اي لا يمنعك مني احد وكان الاعرابي

قايما

وفي رواية عند البخاري
ثم لم يعاقبه وانما لم يواخذه
عليه الصلاة والسلام بما
صنع وعفى عنه لشفقه
... عليه الصلاة والسلام
استئلافا ... ليدخلوا
في الاسلام

قايما على راسه والسيف في يده والنبي صلى الله عليه وسلم جالس لا سيف معه ويوخذ
من مراجعة الاعرابي له في الكلام ان الله سبحانه منع نبيه والا فما الذي احوجه الى مراجعته
مع احتياجه الى الحظوة عند قومه بقتله وفي قوله صلى الله عليه وسلم في جوابه الله اي
يمنعني منك اشارة الى ذلك ولذلك لما اعادها الاعرابي فلم يزده على ذلك الجواب وفي
ذلك غاية التهكم وعدم المبالاة به وذكر الواقدي في نحو هذه القصة انه اسلم ورجع
الى قومه فاهتدى به خلق كثير وقال فيه انه رمي بالزلخة حين هم بقتله صلى الله عليه
وسلم فندر السيف من يده وسقط الى الارض والزلخة بضم الزاي وتشديد اللام وجع
ياخذ في الصلب وقال البخاري قال مسدد عن ابي عوانة عن ابي بشر اسم الرجل غورث
ابن الحارث اي على وزن جعفر وحكى الخطابي فيه غويرث بالتصغير وقد تقدم
في غزوة غطفان وهي غزوة ذي امر بناحية نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه
دعثور وانه قام على راسه صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني فقال
عليه الصلاة والسلام الله ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده وانه اسلم قال
في عيون الاثر والظاهر ان الخبرين واحد وقال غيره من المحققين الصواب انهما
قصتان في غزوتين وفي هذه القصة فرط شجاعته عليه الصلاة والسلام وفي
انصرافه صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوة ابطا جمل جابر بن عبد الله فنخسه
صلى الله عليه وسلم فانطلق متقدما بين يدي الركاب ثم قال ابعنيه فابتاعه منه
وقال لك ظهره الى المدينة فلما وصلها اعطاه الثمن وارجح ووهب له الجمل والحديث
اصله في البخاري ولا حجة فيه لجواز بيع وشرط لما وقع فيه من الاضطراب وقيل
غير ذلك مما يطول ذكره والله اعلم غزوة بدر الاخيرة وهي الصغرى وتسمى بدر
الموعد وكانت في شعبان بعد ذات الرقاع قال ابن اسحق لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع اقام بها جمادى الاولى الى اخر رجب ثم خرج
في شعبان الى بدر لميعاد ابي سفيان ويقال كانت في هلال ذي القعدة وميعاد ابي
سفيان وهو ما سبق ان ابا سفيان قال يوم احد الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل
فقال عليه الصلاة والسلام لرجل من اصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد فخرج عليه
الصلاة والسلام ومعه الف وخمسماية من اصحابه وعشرة افراس واستخلف على المدينة
عبد الله بن رواحة فاقاموا على بدر ينتظرون ابا سفيان وخرج ابو سفيان
حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ويقال عسفان ثم بدا له الرجوع فقال
يا معشر قريش انه لا يصلحكم الا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه
اللبن وان عامكم هذا عام جدب واني راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم اهل مكة
جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق واقام عليه الصلاة والسلام
ببدر ثمانية ايام وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا للدرهم درهمين وانزل الله

Copyright King Saud University

في المومنين الذين استجابوا لله والرسول الي قوله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل
لم يمسسهم سوء الاية والصحيح ان هذه الاية نزلت في شان حمرا الاسد كما نص عليه
العماد بن كثير **غزوة دومة الجندل** وهي بضم الدال من دومة وهي مدينة
بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة او ست عشرة
ليلة قال ابو عبيد البكري سميت بدومي بن اسماعيل كان نزلها وكانت في شهر ربيع
الاول على راس تسعة واربعين شهرا من الهجرة وكان سببها انه بلغه صلى الله
عليه وسلم ان بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم فخرج عليه الصلاة والسلام لخمس ليال
بقين من شهر ربيع الاول في الف من اصحابه فكان يسير الليل ويكمن النهار واستعمل
على المدينة سباع بن عرفطة فلما دنا منهم لم يجد الا النعم والشا فهجم على ماشيتهم و
رعائهم فاصاب من اصاب وهرب من هرب في كل وجه وجا الخبر اهل دومة
فتفرقوا ونزل عليه الصلاة والسلام بساحتهم فلم يلق بها احدا فاقام بها اياما وبث
السرايا وفرقها فرجعوا ولم يصب منهم احد ودخل المدينة في العشرين من ربيع
الاخر **غزوة المريسيع** بضم الميم وفتح الرا وسكون التحتانيتين بينهما مهملة مكسورة
واخره عين مهملة وهو ما لبني خزاعة بينه وبين الفرع يومين وتسمى غزوة
بني المصطلق بضم الميم وسكون المهملة وفتح الطا المثناة المهملة وكسر اللام بعدها قاف
وهو لقب واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بطن من خزاعة وكانت يوم الاثنين لليلتين
خلتا من شعبان سنة خمس وفي البخاري قال ابن اسحق سنة ست وقال موسى ابن
عقبة سنة اربع انتهى قالوا وكانه سبق قلم اراد ان يكتب سنة خمس فكتب سنة
اربع والذي في مغازي موسى بن عقبة من عدة طرق اخرجها الحاكم وابو سعيد
النيسابوري والبيهقي في الدلايل وغيرهم سنة خمس وسببها انه بلغه عليه الصلاة
والسلام ان رييسهم الحارث ابن ابي ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب.
فدعاهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابوه وتهيوا للمسير معه فبعث
عليه الصلاة والسلام بريدة بن الحصيب الاسلمي يعلم علم ذلك فاتاهم ولقي الحارث
ابن ابي ضرار وكلمه ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عليه الصلاة
والسلام مسرعا في بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قط مثلها واستخلف على
المدينة زيد بن حارثة وقاد والخيل وكانت ثلاثين فرسا وخرجت عايشة وام سلمة
وبلغ الحارث ومن معه مسيره عليه الصلاة والسلام فسي بذلك هو ومن معه وخافوا
خوفا شديدا وتفرق عنهم من كان معهم من العرب وبلغ عليه الصلاة والسلام المريسيع
وصف اصحابه ودفع راية المهاجرين الى ابي بكر وراية الانصار الى سعد بن عبادة
فتراموا بالنبل ساعة ثم امر عليه الصلاة والسلام اصحابه فحملوا حملة رجل واحد
وقتلوا عشرة واسروا سايرهم وسبوا النسا والرجال والذرية والنعم والشا ولم يقتل من المسلمين

الا رجل

بلغ

الارجل واحد كذا ذكره ابن اسحق والذي في صحيح البخاري من حديث ابن عمر يدل
على انه اغار عليهم على حين غفلة منهم فاوقع بهم ولفظه اغار على بني المصطلق
وهم غارون وانعامهم تسقى على الما فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وهم على الما
فيحتمل ان يكون حين الايقاع بهم ثبتوا قليلا فلما كثر فيهم القتال انهزموا بان يكون
لما دهمهم وهم على الما تصافوا ووقع القتال بين الطايفتين ثم بعد ذلك وقعت
الغلبة عليهم قيل وفي هذه الغزوة نزلت اية التيمم وفي الصحيحين من حديث
عايشة انها قالت خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فذكر
حديث التيمم قال في فتح الباري قولها في بعض اسفاره قال ابن عبد البر في التمهيد
يقال انه كان في غزوة بني المصطلق وجزم بذلك في الاستذكار وسبقه الى
ذلك ابن سعد وابن حبان وغزاة المصطلق هي المريسيع وفيها كانت قصة الافك
لعايشة وكان ابتدا ذلك بسبب وقوع عقدها ايضا فان كان ما جزموا به ثابتا حمل
على انه سقط منها في تلك السفرة مرتين لاختلاف القصتين كما هو بين في سياقهما
قال واستبعد بعض شيوخنا ذلك لان المريسيع من ناحية مكة بين قديد و
الساحل وهذه القصة كانت من ناحية خيبر لقولها في الحديث حتى اذا كنا
بالبيدا او بذات الجيش وهما بين مكة وخيبر كما جزم به النووي قال وما جزم
به مخالف لما جزم به ابن التين فانه قال البيدا هي ذو الحليفة وقال ابو عبيد البكري
في معجمه ادنى الى مكة من ذي الحليفة ثم ساق حديث عايشة هذا ثم قال
وذات الجيش من المدينة على بريد قال وبينها وبين العقيق سبعة اميال
والعقيق من طريق مكة لا من طريق خيبر فاستقام ما قاله ابن التين وقد قال
قوم بتعدد ضياع العقد ومنهم محمد بن حبيب الاخباري فقال سقط عقد
عايشة في غزوة ذات الرقاع وفي غزوة بني المصطلق وقد اختلف اهل المغازي
في اي هاتين الغزوتين كانت اولا وقال الداودي كانت قصة التيمم في غزوة
الفتح ثم تردد في ذلك **وروى** ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة قال لما نزلت
اية التيمم لم ادر كيف اصنع فهذا يدل على تاخرها عن غزوة بني المصطلق لان
اسلام ابي هريرة كان في السنة السابعة وهي بعدها بلا خلاف وكان البخاري
يرى ان غزوة ذات الرقاع كانت بعد قدوم ابي موسى وقدومه كان وقت
اسلام ابي هريرة ومما يدل على تاخر القصة ايضا عن قصة الافك ما رواه الطبراني
من طريق يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عن عايشة قالت لما كان
من امر عقدي ما كان وقال اهل الافك ما قالوا خرجت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة اخرى فسقط ايضا عقدي حتى حبس الناس على التماسه
فقال لي ابو بكر يا بنية في كل سفرة تكونين عنا وبلا على الناس فانزل الله

بسر

فيهما

بالقرب من المدينة من طريق مكة وذات الجيش وراء ذا الحليفة ٢م

Copyright King Saud University

الرخصة في التيمم فقال ابو بكر انك لمباركة وفي اسناده محمد بن حميد الرازي وفيه
مقال وفي شيانه من الفوايد بيان عتاب ابي بكر الذي ابهم في حديث الصحيح والبيهقي
بان ضياع العقد كان رتين في غزوتين انتهى وفي هذه الغزوة قال ابن ابي
لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسمعه زيد بن ارقم ذو الاذن
الواعية فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فارسل الى ابن ابي واصحابه
فحلفوا ما قالوا فانزل الله تعالى اذا جاءك المنافقون فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله قد صدقك يا زيد رواه البخاري وكانت غيبته صلى الله عليه
وسلم في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوما غزوة الخندق وهي الاحزاب
جمع حزب اي طايفة فاما تسميتها بالخندق فلاجل الخندق الذي حفر حول
المدينة بامره صلى الله عليه وسلم ولم يكن اتخاذ الخندق من شان العرب ولكنه
من مكايد الفرس وكان الذي اشار به سلمان فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا
حوصرنا خندقنا علينا فامر النبي صلى الله عليه وسلم بحفره وعمل فيه بنفسه
ترغيبا للمسلمين واما تسميتها بالاحزاب فلاجتماع طوايف من المشركين على حرب
المسلمين وهم قريش وغطفان واليهود ومن معهم وقد انزل الله تعالى في هذه
القصة صدرا من سورة الاحزاب واختلف في تاريخها فقال موسى بن عقبة
كانت في شوال سنة اربع وقال ابن اسحق في شوال سنة خمس وبذلك جزم
غيره من اهل المغازي ومال البخاري الى قول موسى بن عقبة وقواه بقول
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه يوم احد وهو ابن اربع عشرة
فلم يجزه وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فاجازه فيكون بينهما سنة واحدة
واحد كانت سنة ثلاث فيكون الخندق سنة اربع ولا حجة فيه اذا ثبت لنا
انها كانت سنة خمس لاحتمال ان يكون ابن عمر كان اول ما طعن في الرابعة عشر
وكان في الاحزاب استكمل الخمس عشرة وبهذا اجاب البيهقي وقال الشيخ
ولي الدين العراقي والمشهور انها في السنة الرابعة وكان من حديث هذه
الغزوة ان نفرا من يهود خرجوا حتى قدموا على قريش مكة وقالوا انا سنكون
معكم عليه حتى نستاصله فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج اوليك اليهود
حتى جاووا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى حربه صلى الله عليه وسلم واخبروهم
انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فخرجت
قريش وقايدها ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقايدها عيينة بن
حصن في فزارة والحارث بن عوف المري في مرة وكان عدتهم فيما قاله ابن اسحق
عشرة الاف والمسلمون ثلاثة الاف وقيل غير ذلك وذكر سعد انه كان مع
المسلمين ستة وثلاثون فرسا ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحزاب

بلغ

وبما

وبما اجمعوا عليه من الامر ضرب على المسلمين الخندق فعمل فيه عليه الصلاة والسلام
ترغيبا للاجر وعمل معه المسلمون فدأب ودأبوا وابطأ على رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين في عملهم ذلك ناس من المنافقين وجعلوا يورون
بالضعيف عن العمل وفي البخاري عن سهل بن سعد قال كنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على اكتادنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم لا عيش الا عيش الاخرة فاغفر للمهاجرين والانصار
والاكتاد بالمثناة الفوقية جمع كتد بفتح اوله وكسر المثناة وهو ما بين الكاهل الى الظهر
وفي بعض نسخ البخاري اكبادنا بموحدة وهو موجه على ان يكون المراد به ما يلي الكبد
من الجنب وفي البخاري ايضا عن انس فاذا المهاجرين والانصار يحفرون في
غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما راى ما بهم من النصب والجوع
فقال اللهم لا عيش الا عيش الاخرة فاغفر للانصار والمهاجرة فقالوا مجيبين له
نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا ابدا قال ابن بطال وقولهم اللهم لا عيش
الا عيش الاخرة وهو من قول ابن رواحة تمثل به عليه الصلاة والسلام وعند الحارث
ابن ابي اسامة من مرسل طاوس زيادة في اخر الرجز والعن عضلا والقارة هم
كلفونا نقل الحجارة وفي البخاري من حديث البرا قال لما كان يوم الاحزاب
وخندق صلى الله عليه وسلم رايته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة
بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب ويقول
اللهم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام
ان لاقينا ان الاولى قد رغبوا علينا وان ارادوا فتنة ابينا قال يمد بها صوته
وفي رواية ايضا ان الاولى قد بغوا علينا اذا ارادوا فتنة ابينا وفي حديث
سليمان التيمي عن ابي عثمان النهدي انه صلى الله عليه وسلم حين ضرب في
الخندق قال بسم الله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا حبذا ربا وحبذا دينا
قال في النهاية يقال بديت بالشي بكسر الدال اي بدات به فلما خفف الهمزة
كسر الدال فانقلبت الهمزة يا وليس هو من بنات اليا انتهى وقد وقع في حفر الخندق
ايات من اعلام نبوته عليه الصلاة والسلام منها ما في الصحيح عن جابر قال انا يوم
الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة وهي بضم الكاف وتقديم الدال المهملة
على التحتانية وهي القطعة الصلبة فجاوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه
كدية عرضت في الخندق فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة ايام لا نذوق
ذواقا فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا اهيل او اهيم
كذا بالشك من الراوي وفي رواية الاسماعيلي باللام من غير شك والمعنى انه صار
رملا يسيل ولا يتماسك واهيم يعني اهيل وقد قيل في قوله فشاربون شرب

Copyright King Saud University

الهيم المراد الرمال التي لا تروى ربها الا وقد وقع عند احمد والنسائي في هذه القصة
زيادة باسناد حسن من حديث البرا قال لما كان حين امرنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تاخذ فيها
المعاول فاشتكينا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجا فاخذ المعول فقال
بسم الله ثم ضرب ضربة فكسر ثلثها وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله
اني لابصر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا اخر فقال الله
اكبر اعطيت مفاتيح فارس واني لابصر قصر المداين الابيض الان ثم ضرب الثالثة
فقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله اني
لابصر ابواب صنعا في مكاني الساعة ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم
ما ثبت في الصحيح في حديث جابر من تكثير الطعام القليل يوم حفر الخندق
كما سياتي ان شا الله تعالى مستوفا في مقصد المعجزات مع غيره وقد وقع عند
موسى بن عقبة انهم اقاموا في عمل الخندق قريبا من عشرين ليلة وعند
الواقدي اربعا وعشرين وفي الروضة للنووي خمسة عشر يوما وفي
الهدي النبوي لابن القيم اقاموا شهرا ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول في عشرة الاف من احابيشهم
ومن تبعهم من بني كنانة وتهامة ونزل عيينة بن حصن في غطفان ومن
تبعهم من اهل نجد الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع وكانوا ثلاثة الاف رجل فضرب
هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وكان لوا المهاجرين بيد زيد
ابن حارثة ولوا الانصار بيد سعد بن عبادة وكان صلى الله عليه وسلم يبعث
الحرس الى المدينة خوفا على الذراري من بني قريظة قال ابن اسحق وخرج
عدو الله حيي بن اخطب حتى اتى كعب بن اسد القرظي صاحب عقد بني
قريظة وعهدهم وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه
وعاقده فاغلق كعب دونه باب حصنه وابا ان يفتح له وقال ويحك يا حيي
انك امرؤ مشوم واني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه
فاني لم ار منه الا وفا وصدقا فقال ويلك افتح ولم يزل به حتى فتح له وقال
يا كعب جيتك بعز الدهر جيتك بقريش حتى انزلتهم بمجمع الاسيال ومن
دونه غطفان وقد عاهدوني على ان لا يبرحوا حتى نستاصل محمدا
ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده وبري مما كان بينه وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله بن الزبير قال كنت يوم
الاحزاب انا وعمر بن ابي سلمة مع النساء في اطم حسان فنظرت فاذا الزبير على

فر

فرسه يختلف الى بني قريظة مرتين او ثلاثا فلما رجعت قلت يا ابت رايتك تختلف
قال ورايتني يا بني قلت نعم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ياتي
بني قريظة فياتيني بخبرهم فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابويه فقال فداك ابي وامي اخرجه الشيخان وقال الترمذي حديث حسن
وفي رواية اصحاب المغازي فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعهما ابن رواحة وخوات بن جبير ليعلموا فوا
الخبر فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتبروا من عقده وعهده ثم اقبل السعدان ومن معهما على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقالوا عضل والقارة اي كغدرهما باصحاب الرجيع فعظم عند
ذلك البلا واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن
المومنون كل ظن ونجم النفاق في بعض المنافقين وانزل الله تعالى واذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا الايات
وقال رجال ممن معه يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وقال اوس بن قيظي
يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو فاذن لنا فنرجع الى ديارنا فانها خارج
المدينة واقام عليه الصلاة والسلام واصحابه بضع عشرة ليلة فمشى نعيم
ابن مسعود الاشجعي وهو يخفي اسلامه فثبط قوما عن قوم واوقع بينهم
شرا لقوله عليه الصلاة والسلام الحرب خدعة فاختلفت كلمتهم وروى
الحاكم عن حذيفة قال لقد رايتنا ليلة الاحزاب وابو سفيان ومن معه
من فوقنا وقريظة اسفل منا نخافهم على ذرارينا وما اتت علينا ليلة اشد ظلمة
ولا ريحا منها فجعل المنافقون يستاذنون ويقولون بيوتنا عورة فمر بي النبي
صلى الله عليه وسلم وانا جاث على ركبتي ولم يبق معه الا ثلثماية فقال اذهب
فاتني بخبر القوم قال ودعا لي فاذهب لا اجاوز شبرا فلما رجعت رايت فوارس
في طريقي فقالوا اخبر صاحبك ان الله كفاه القوم قال ابن عايذ واقبل نوفل
ابن عبد الله بن المغيرة المخزومي على فرس له ليوثبه الخندق فوقع في الخندق
فقتله الله وكبر ذلك على المشركين فارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا نعطيكم الدية على ان تدفعوه الينا فندفنه فرده اليهم صلى الله عليه وسلم
انه خبيث خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم ان تدفنوه ولا
ارب لنا في ديته قال ابن اسحق واقام عليه الصلاة والسلام والمسلمون
وعدوهم يحاصرهم ولم يكن بينهم قتال الا مراماة بالنبل لكن كان عمرو بن
عبد ود العامري اقتحم هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق
حتى صاروا بالسبخة فبارزه علي فقتله وبرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة

الله عنى العدو والزرع ن
عسكرهم في دا الرمح لا يج

Copyright © King Saud University

فقتله الزبير وقيل قتله علي ورجعت بقية الخيول منهزمة ورمي سعد بن معاذ
بسهم فقطع منه الاكحل وهو بفتح الهمزة والمهملة بينهما كاف ساكنة عرق في وسط
الذراع قال الخليل هو عرق الحياة يقال ان في كل عضو منه شعبة فهو في اليد
الاكحل وفي الظهر الابهر وفي الفخذ النسا اذا قطع لم يرقا الدم وكان الذي رمي سعدا
ابن العرقة احد بني عامر ابن لؤي قال خذها مني وانا ابن العرقة فقال له سعد
عرق الله وجهك في النار ثم قال اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيا
فابقني لها فانه لا قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه اللهم
وفي رواية ان حذيفة لما ارسله عليه الصلاة والسلام لياتيه بالخبر سمع ابا سفيان
يقول يا معشر قريش انكم ما اصبحتم بدار مقام ولقد هلك الخف والكراع واخلفتنا
بنو قريظة ولقينا من هذا الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله
فما حل عقاله بيده الا وهو قائم ودنع في البخاري انه عليه الصلاة والسلام قال
يوم الاحزاب من ياتينا بخبر القوم فقال انا ثم قال من ياتينا بخبر القوم فقال
الزبير انا قالها ثلاثا وقد استشكل ذكر الزبير في هذه فقال ابن الملقن وقع هنا
ان الزبير هو الذي ذهب والمشهور انما هو حذيفة ابن اليمان قال الحافظ
ابن حجر وهذا الحصر مردود فان القصة التي ذهب لكشفها غير القصة التي
ذهب حذيفة لكشفها فقصة الزبير كانت لكشف خبر بني قريظة هل
نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين ووافقوا قريشا على محاربة المسلمين وقصة
حذيفة كانت لما اشتد الحصار على المسلمين بالخندق وتمالأت عليهم الطوائف
ثم وقع بين الاحزاب الاختلاف وحذرت كل طائفة من الاخرى وارسل الله
عليهم الريح واشتد البرد تلك الليلة فانتدب عليه الصلاة والسلام من ياتيه
بخبر قريش فانتدب له حذيفة بعد تكراره طلب ذلك وقصته في ذلك
مشهورة لما دخل قريش في الليل وعرف قصتهم وفي البخاري من حديث عبد الله
ابن ابي اوفى قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال
اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم
وروي احمد عن ابي سعيد قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء
نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا
قال فضرب الله وجوه اعدائنا بالريح وفي ينبوع الحياة لابن ظفر قيل انه صلى
الله عليه وسلم دعا فقال يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف
همي وغمي وكربي فانك ترى ما نزل بي وباصحابي فاتاه جبريل فبشره بان الله
سبحانه يرسل عليهم ريحا وجنودا فاعلم اصحابه ورفع يديه قائلا شكرا
شكرا وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد والقت عليهم الابنية وكفأت

القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصباء وسمعوا في ارجاء معسكرهم التكبير
وقعقعة السلاح فارتحلوا هربا في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم قال فذلك
قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وفي البخاري عن علي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا
عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس ومقتضى هذا انه استمر اشتغاله بقتال
المشركين حتى غابت الشمس ويعارضه ما في صحيح مسلم عن ابن مسعود انه
قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى
احمرت الشمس او اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن
الصلاة الوسطى الحديث ومقتضى هذا انه لم يخرج الوقت بالكلية قال الشيخ
تقي الدين بن دقيق العيد الحبس انتهى الى ذلك الوقت اي الحمرة او الصفرة ولم
تقع الصلاة الا بعد المغرب انتهى وفي البخاري عن عمر بن الخطاب انه جاء يوم
الخندق بعد ما كادت الشمس تغرب فقال صلى الله عليه وسلم والله
ما صليتها فنزلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بطحان فتوضا للصلاة وتوضانا لها
فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب وقد يكون ذلك
للاشتغال باسباب الصلاة او غيرها ومقتضى هذه الرواية المشهورة
انه لم يفت غير العصر وفي الموطا الظهر والعصر وفي الترمذي عن ابن مسعود
ان المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اربع صلوات يوم الخندق
وقال ليس باسناده باس الا ان ابا عبيدة لم يسمع من عبد الله قال ابن العربي
الي الترجيح وقال الصحيح ان النبي اشتغل عنها صلى الله عليه وسلم واحدة وهي
العصر وقال النووي طريق الجمع بين هذه الروايات ان وقعة الخندق
بقيت اياما فكان هذا في بعض الايام وهذا في بعضها قالوا واما تاخيره عليه
الصلاة والسلام صلاة العصر حتى غربت الشمس فكان قبل نزول صلاة الخوف
قال العلما يحتمل ان يكون اخرها نسيانا لا عمدا وكان السبب في النسيان الاشتغا
بامر العدو ويحتمل انه اخرها عمدا للاشتغال بالعدو وكان هذا عذرا في
تاخير الصلاة قبل نزول صلاة الخوف واما اليوم فلا يجوز تاخير الصلاة عن
وقتها بسبب العدو والقتال بل يصلي صلاة الخوف على حسب الحال وقد
اختلف في المراد بالصلاة الوسطى وجمع الحافظ الدمياطي في ذلك مولفا مفردا سماه
كشف المغطى عن الصلاة الوسطى فبلغ تسعة عشر قولا وهي الصبح او الظهر
او العصر او المغرب او جميع الصلوات وهو يتناول الفرايض والنوافل
واختاره ابن عبد البر او الجمعة وصححه القاضي حسين في صلاة الخوف من تعليقه
او الظهر في الايام والجمعة يوم الجمعة او العشا لانها بين صلاتين لا يقصران

Copyright King Saud University

او الصبح والعشا او الصبح والعصر لقوة الادلة فظاهر القران الصبح ونص
السنة العصر او صلاة الجماعة او الوتر او صلاة الخوف او صلاة عيد الاضحى او الفطر
او صلاة الضحى او واحدة من الخمس غير معينة او الصبح او العصر على الترديد
وهو غير القول السابق او التوقف انتهى وانصرف صلى الله عليه وسلم من
غزوة الخندق يوم الاربعا لسبع ليال بقين من ذي القعدة وكان قد اقام
بالخندق خمسة عشر يوما وقيل اربعة وعشرين يوما وقال عليه الصلاة
والسلام لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا وفي ذلك علم من اعلام النبوة فانه
عليه الصلاة والسلام اعتمر في السنة فصدته قريش عن البيت ووقعت
الهدنة بينهم الى ان نقضوها فكان ذلك سبب فتح مكة فوقع الامر كما قال
عليه الصلاة والسلام وسياتي ذلك ان شا الله تعالى وقد اخرج البزار من حديث
جابر باسناد حسن شاهد الهذا ولفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب
وقد جمعوا له جموعا كثيرة لا يغزونكم بعدها ابدا ولكن انتم تغزونهم ولما دخل صلى
الله عليه وسلم المدينة يوم الاربعا هو واصحابه ووضعوا السلاح جاء جبريل عليه
الصلاة والسلام معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج وفي رواية
البخاري من حديث عايشة انه لما رجع صلى الله عليه وسلم ووضع السلاح واغتسل
اتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم واشار الى بني
قريظة فاني عامد اليهم فمزلزل بهم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم موذنا
فاذن في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا ببني قريظة وعند ابن
عايذ ثم تشد عليك سلاحك فوالله لادقنهم دق البيض على الصفا وبعث يومئذ
مناديا ينادي يا خيل الله اركبي وعند الحاكم والبيهقي وبعث عليا على المقدمة
وخرج صلى الله عليه وسلم في اثره وعند ابن سعد ثم سار اليهم في المسلمين وهم
ثلاثة الاف والخيل ستة وثلاثون فرسا قال وذلك يوم الاربعا لسبع بقين من
ذي القعدة واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم فيما قاله ابن هشام ونزل عليه
الصلاة والسلام على بير من ابار بني قريظة وتلاحق به الناس فاتى رجال من
بعد عشا الاخرة ولم يصلوا العصر لقوله صلى الله عليه وسلم لا يصلين احد
العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد العشا الاخرة فما عابهم الله
بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البخاري عن ابن عمر
فادرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتى ناتيها وقال
بل نصلي لم يرد منا ذلك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم
كذا وقع في جميع النسخ من البخاري انها العصر واتفق عليه جميع اهل المغازي
ووقع في مسلم انها الظهر مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ

واحد

واحد باسناد واحد ووافق مسلما ابو يعلى واخرون وجمع بين الروايتين باحتمال
ان يكون بعضهم قبل الامر كان صلى الظهر وبعضهم لم يصلها فقيل لمن لم يصلها
لا يصلين احد الظهر ولمن صلاها لا يصلين احد العصر وجمع بعضهم باحتمال
ان يكون طايفة منهم راحت بعد طايفة فقيل للطايفة الاولى الظهر
وللطايفة التي بعدها العصر والله اعلم قال ابن اسحق وحاصرهم عليه الصلاة
والسلام خمسا وعشرين ليلة حتى اجهدهم الحصار وعند ابن سعد خمس عشرة
وعند ابن عقبة بضع عشرة ليلة وقذف الله في قلوبهم الرعب فعرض عليهم
رئيسهم كعب ابن اسد ان يومنوا فقال لهم يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر
ما ترون واني اعرض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شيتم قالوا وما هي قال نتابع هذا
الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين انه لنبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم
فتامنون على دمايكم واموالكم وابنايكم ونسايكم فابوا قال فاذا ابيتم على هذه فهلم
نقتل ابناينا ونساينا ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين بالسيوف لم نترك
وراينا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراينا ما نخشى عليه
فقالوا اي عيش لنا بعد ابناينا ونساينا فقال ان ابيتم على هذه فان الليلة
ليلة السبت وعسى ان يكون محمد واصحابه قد امنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب
من محمد واصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من
كان قبلنا الا من علمت فاصابه ما لم يخف عليك من المسخ وارسلوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا ابا لبابة وهو رفاعة ابن عبد المنذر
نستشيره في امرنا فارسله اليهم فلما راوه قام اليه الرجال وجهش اليه النسا
والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم وقالوا يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم
محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي
من مكانهما حتى عرفت اني خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه فلم يات رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال لا ابرح من مكاني
حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله ان لا يطا بني قريظة ابدا ولا ارى في بلد خنت
الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطاه
قال اما لو جاني لاستغفرت له واما اذ فعل ما فعل فانا بالذي اطلقه من مكانه حتى
يتوب الله عليه قال واقام ابو لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال تاتيه امراته في
كل صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فترتبطه بالجذع وقال ابن عمرو وروى وهب
عن مالك عن عبد الله ابن ابي بكر ان ابا لبابة ارتبط بسلسلة ثقيلة بضع عشرة
ليلة حتى ذهب سمعه فما كاد يسمع وكاد يذهب بصره وكانت ابنته تحله اذا
حضرت الصلاة او اراد ان يذهب لحاجة فاذا فرغ اعادته وعن عبد الله

Copyright King Saud University

ابن قسيط ان توبة ابي لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة
فقالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك فقلت
قلت مم تضحك اضحك الله سنك قال تيب على ابي لبابة قالت قلت افلا ابشره يا رسول
الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن فقلت
الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك قالت فثار الناس اليه ليطلقوه
فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده
فلما مر عليه خارجا الى صلاة الصبح اطلقه وروى البيهقي في الدلائل بسنده
عن مجاهد في قوله تعالى اعترفوا بذنوبهم قال هو ابو لبابة اذ قال لقريظة
ما قال واشار الى حلقه بان محمدا يذبحكم ان نزلتم على حكمه قال البيهقي وزعم محمد
ابن اسحق بن يسار ان ارتباطه كان بحيلته وقد روينا عن ابن عباس ما دل على
ارتباطه بسارية المسجد كان بتخلفه عن غزوة تبوك كما قال ابن المسيب قال
وفي ذلك نزلت هذه الاية ولما اشتد الحصار ببني قريظة اذعنوا ان ينزلوا على
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان قد جعله في
خيمة في المسجد الشريف لامرأة من اسلم يقال لها رفيدة وكانت تداوي الجرحى
فلما حكمه اتاه قومه فحملوه على حمار وقد وطؤا له بوسادة من ادم وكان رجلا
جسيما ثم اقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى سعد الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال عليه الصلاة والسلام قوموا
الى سيدكم فاما المهاجرون من قريش فيقولون انما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الانصار واما الانصار فيقولون عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين
فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم فقال
سعد فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء
فقال عليه الصلاة والسلام لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة
والرقيع السما سميت بذلك لانها رقعت بالنجوم ووقع في البخاري قال قضيت
فيهم بحكم الله وربما قال بحكم الملك بكسر اللام وفي رواية محمد بن صالح لقد حكمت
اليوم فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سموات وفي حديث جابر عند
ابن عائذ فقال احكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله احق بالحكم قال قد امرك الله
ان تحكم فيهم وفي هذه القصة جواز الاجتهاد في زمنه صلى الله عليه وسلم
وهي مسألة اختلف فيها اهل اصول الفقه والمختار الجواز سوا كان في حضرته
صلى الله عليه وسلم ام لا وانما استبعد المانع وقوع الاعتماد على الظن مع امكان
القطع ولا يضر ذلك لانه بالتقرير يصير قطعيا وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته
عليه الصلاة والسلام كما في هذه القصة وغيرها انتهى وانصرف صلى الله

عليه وسلم يوم الخميس لسبع ليال كما قاله الدمياطي او لخمس كما قاله مغلطاي خلون
من ذي الحجة وامر عليه الصلاة والسلام ببني قريظة فادخلوا المدينة وحفر لهم
اخدود في السوق وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه واخرجوا اليه فضربت
اعناقهم وكانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة وقال السهيلي المكثر يقول انهم ما بين
الثمانمائة الى السبعمائة وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان ن
باسناد صحيح انهم كانوا اربعمائة مقاتل فيحتمل في طريق الجمع ان يقال ان الباقين
كانوا اتباعا واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه الكريمة ريحانة فتزوجها
وقيل كان يطؤها بملك اليمين وامر بالغنائم فجمعت واخرج الخمس من المتاع والسبي
ثم امر بالباقي فبيع فيمن يريد وقسمه بين المسلمين فكانت على ثلاثة الاف واثنين
نيف واربعين سهما للفرس سهمان ولصاحبه سهم وصار الخمس الى محمية بن جزء الزبيدي
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتق منه ويهب ويخدم منه من اراد وكذلك
صنع بما صار اليه من الرثة وهو السقط من المتاع وانفجر جرح ابن معاذ فمات
شهيدا وفي البخاري انه دعا اللهم انك تعلم انه ليس احد احب الي ان اجاهدهم
فيك من قوم كذبوا رسولك اللهم اني اظن انك قد وضعت الحرب فانفجرها
واجعل موتي فيها فانفجرت من لبته فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار الا
الدم يسيل اليهم فقالوا يا اهل الخيمة ما هذا الذي ياتينا من قبلكم فاذا سعد
يغذو جرحه دما فمات منها وقد كان ظن سعد مصيبا ودعاؤه في هذه مجابا
وذلك انه لم يقع بين المسلمين وبين قريش من بعد وقعة الخندق حرب يكون
ابتدا القصد فيه من المشركين فانه عليه الصلاة والسلام تجهز الى العمرة فصد
عن دخول مكة وكاد الحرب ان يقع بينهم فلم يقع كما قال تعالى وهو الذي كف
ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم ووقعت الهدنة
واعتمر عليه الصلاة والسلام من قابل واستمر ذلك الى ان نقضوا العهد فتوجه
اليهم غازيا ففتحت مكة فعلى هذا فالمراد بقوله اظن انك قد وضعت الحرب
اي ان يقصدونا محاربين وهو كقوله عليه الصلاة والسلام نغزوهم ولا يغزونا
كما تقدم وقد بين سبب انفجار جرح سعد في مرسل حميد بن هلال عند ابن سعد
ولفظه انه مرت به عنز وهو مضطجع فاصاب ظلفها موضع النحر فانفجرت
حتى مات وحضر جنازته سبعون الف ملك واهتز لموته عرش الرحمن
رواه الشيخان قال النووي واختلف العلما في تأويله فقالت طايفة هو
على ظاهره واهتزاز العرش تحركه فرحا بقدوم روح سعد وجعل الله
تعالى في العرش تمييزا حصل به هذا ولا مانع منه كما قال تعالى وان منها لما يهبط
من خشية الله وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار وقال المازري

Copyright King Saud University

قال بعضهم هو على حقيقته وان العرش تحرك لموته قال وهذا لا ينكر من جهة العقل
لان العرش جسم من الاجسام يقبل الحركة والسكون قال لكن لا تحصل فضيلة سعد
بذلك الا ان يقال ان الله تعالى جعل حركته علامة للملايكة على موته وقال اخرون
المراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم لا يريدون
اضطراب جسمه وحركته وانما يريدون ارتياحه اليها واقباله عليها وقال الحربي
هو عبارة عن تعظيم شان وفاته والعرب تنسب الشي العظيم الى اعظم الاشيا فيقولون
اظلمت لموت فلان الارض وقامت اليه القيامة وقال جماعة المراد اهتزاز سرير
الجنازة وهو النعش وهذا القول باطل يرده صريح الروايات التي ذكرها مسلم اهتز
لموته عرش الرحمن وانما قال هولا هذا التاويل لكونهم لم تبلغهم هذه الروايات التي ذكرها
مسلم والله اعلم انتهى وقيل المراد باهتزاز العرش اهتزاز حملة العرش وصحح الترمذي
من حديث انس قال لما حملت جنازة سعد ابن معاذ قال المنافقون ما اخف جنازته
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملايكة كانت تحمله وعن البرا قال اهديت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل اصحابه يمسونها ويعجبون من
لينها فقال صلى الله عليه وسلم تعجبون من لين هذه لمناديل سعد بن معاذ في الجنة
خير منها والين هذا اللفظ رواية ابي نعيم في مستخرجه على مسلم والمناديل جمع منديل
بكسر الميم في المفرد وهو معروف قال العلما وهذا اشارة الى عظم منزلة سعد في
الجنة وان ادنى ثيابه فيها خير من هذه لان المنديل ادنى الثياب لانه معد للوسخ
والامتهان فغيره افضل انتهى واخرج ابن سعد وابو نعيم من طريق محمد بن المنكدر
عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال قبض انسان يومئذ بيده من تراب قبره
قبضة فذهب بها ثم نظر اليها بعد ذلك فاذا هي مسك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله حتى عرف ذلك في وجهه فقال الحمد
لله الذي لو كان احد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه
واخرج ابن سعد عن ابي سعيد الخدري قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان
يفوح علينا المسك كلما حفرنا قال الحافظ مغلطاي وغيره وفي هذه السنة
فرض الحج وقيل سنة ست وصححه غير واحد وهو قول الجمهور وقيل سنة سبع
وقيل سنة ثمان ورجحه جماعة من العلما وسياتي البحث في ذلك ان شا الله تعالى في
ذكر وفد عبد القيس من المقصد الثاني وفي ذكر حجه عليه الصلاة والسلام من
مقصد عباداته ثم سرية محمد بن مسلمة الى القرطا بطن من بني ابي بكر بن كلاب
وهم ينزلون بناحية ضرية بالبكرات وبين ضرية والمدينة سبع ليال لعشر
ليال خلون من المحرم سنة ست على راس تسعة وخمسين شهرا من الهجرة بعثه
في ثلاثين راكبا فلما اغار عليهم هرب سايرهم وعند الدمياطي فقتل نفرا منهم

وهرب سايرهم واستاق نعما وشا وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم ومعه ثمامة ابن
اثال الحنفي اسيرا فربط بامره عليه الصلاة والسلام بسارية من سواري المسجد
ثم اطلق بامره عليه الصلاة والسلام ايضا فاغتسل واسلم وقال يا محمد والله ما كان على
الارض وجه ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله ما كان من دين
ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب الاديان كلها الي والله ما كان من بلد ابغض
الي من بلدك فاصبح بلدك احب البلاد الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة
فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قايل
صبوت قال لا ولكن اسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم
من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قصته البخاري
ثم غزوة بني لحيان بكسر اللام وفتحها لغتان في ربيع الاول سنة ست من الهجرة
وذكرها ابن اسحق في جمادى الاولى على راس ستة اشهر من قريظة قال ابن حزم
الصحيح انها في الخامسة قالوا وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عاصم بن ثابت
واصحابه وجدا شديدا فاظهر انه يريد الشام وعسكر في مايتي رجل ومعهم عشرون
فرسا واستخلف على المدينة عبد الله ابن ام مكتوم ثم اسرع السير حتى انتهى الى بطن غران
وادي بين امج وعسفان وبينها وبين عسفان خمسة اميال حيث كان مصاب اصحابه
اهل الرجيع الذين قتلوا ببير معونة فترحم عليهم ودعا لهم فسمعت به بنو لحيان
فهربوا في رووس الجبال فلم يقدر منهم على احد فاقام يوما او يومين يبعث السرايا
في كل ناحية ثم خرج حتى اتى عسفان فبعث ابا بكر في عشر فوارس لتسمع بهم قريش
فيذعرهم فاتوا كراع ثم رجعوا ولم يلقوا احدا وانصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة
ولم يلق كيدا وهو يقول ايبون تايبون عابدون لربنا حامدون وغاب عن
المدينة اربع عشرة ليلة غزوة الغابة وتعرف بذي قرد بفتح القاف والرا وبالدال
المهملة وهما على بريد من المدينة في ربيع الاول سنة ست قبل الحديبية وعند البخاري
انها كانت قبل خيبر بثلاثة ايام وفي مسلم نحوه قال مغلطاي وفي ذلك نظر لاجماع اهل
السير على خلافها انتهى قال القرطبي شارح مسلم لا يختلف اهل السير ان غزوة ذي
قرد كانت قبل الحديبية وقال الحافظ ابن حجر ما في الصحيح من التاريخ لغزوة
ذي قرد اصح مما ذكره اهل السير انتهى وسببها انه كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عشرون لقحة وهي ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة ترعى بالغابة وكان
ابو ذر فيها فاغار عيينة بن حصن الفزاري ليلة الاربعا في اربعين فارسا
فاستاقوها وقتلوا ابن ابي ذر وقال ابن اسحق وكان فيهم رجل من غفار وامراة
فقتلوا الرجل وسبوا المراة فركبت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم الى ان لحقت غفلتهم
ونذرت لين نجت لتنحرنها فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم اخبرته بذلك

Copyright King Saud University

فقال لا نذر في معصية ولا لاحد فيما لا يملك ونودي يا خيل الله اركبي وكان اول
ما نودي بها وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسماية وقيل سبعماية واستخلف
على ابن ام مكتوم وخلف سعد بن عبادة في ثلثماية يحرسون المدينة وكان قد عقد
للمقداد ابن عمرو لوا في رمحه وقال له امض حتى تلحق الخيول وانا على اثرك فادرك
اخريات العدو وقتل ابو قتادة مسعدة فاعطاه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرسه وسلاحه وقتل عكاشة ابن محصن ابان بن عمرو وقتل من المسلمين
محرز بن نضلة قتله مسعدة وادرك سلمة بن الاكوع القوم وهو على رجليه فجعل
يرميهم بالنبل ويقول خذها وانا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع يعني يوم هلاك
اللئام من قولهم لئيم راضع اي رضيع اللؤم في بطن امه وقيل معناه يعرف
من ارضعته الحرب من صغره وتدرب بها ويعرف غيره ولحق رسول الله
صلى الله عليه وسلم الناس والخيول عشا قال سلمة فقلت يا رسول الله ان
القوم عطاش فلو بعثتني في ماية رجل استنقذت ما في ايديهم من السرح واخذت
باعناق القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ملكت فاسجح وهي بهمزة قطع ثم
سين مهملة ثم جيم مكسورة ثم حا مهملة اي فارفق واحسن والسجاحة السهولة
اي لا تاخذ بالشدة بل ارفق فقد حصلت النكاية في العدو ولله الحمد ثم قال
انهم الان ليقرون في غطفان وذهب الصريخ الى بني عمرو بن عوف فجات الامداد
فلم تزل الخيل تاتي والرجال على اقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذي قرد فاستنقذوا عشر لقاح وافلت القوم بما بقي وهي
عشر وصلى الله عليه وسلم بذي قرد صلاة الخوف واقام يوما وليلة ورجع وقد غاب خمس ليال
وصلى عليه
وقسم في كل ماية من اصحابه جزورا ينحرونها سرية عكاشة بن محصن الاسدي
الى غمر مرزوق بالغين المعجمة المكسورة وهو ما لبني اسد على ليلتين من فيد في
شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة في اربعين رجلا فخرج سريعا فنذر به القوم
بكسر الذال المعجمة كفرح فهربوا فنزلوا علياء بلادهم فاستاقوا مايتي بعير وقدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا ثم سرية محمد بن مسلمة الى القصة
بالقاف والصاد المهملة المشددة المفتوحتين موضع بينه وبين المدينة اربعة
وعشرون ميلا في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة ومعه عشرة الى بني
ثعلبة فورد عليهم ليلا فاحدق به القوم وهم ماية رجل فتراموا ساعة من
الليل ثم حملت الاعراب عليهم بالرماح فقتلوهم الا محمد بن مسلمة فوقع جريحا
وجردوهم من ثيابهم ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به
المدينة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة بن الجراح في ربيع
الاخر في اربعين رجلا الى مصارعهم فاغاروا عليهم فاعجزوهم هربا في الجبال
واصاب

واصاب رجلا واحدا فاسلم وتركه واخذ نعما من نعمهم فاستاقه ورثة من متاعهم
وقدم به المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخمس ما بقي عليهم قال
في القاموس الرث السقط من متاع البيت كالرثة بالكسر ثم سرية زيد بن حارثة
الى بني سليم بالجموم ويقال الجموح ناحية ببطن نخل من المدينة على اربعة اميال
في شهر ربيع الاخر سنة ست فاصابوا امراة من مزينة يقال لها حليمة فدلتهم
على محلة من محال بني سليم فاصابوا نعما وشاء واسرى فكان فيهم زوج حليمة
المزنية فلما قفل زيد بما اصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية
نفسها وزوجها ثم سرية زيد بن حارثة ايضا الى العيص موضع على اربع ليال
من المدينة في جمادى الاول سنة ست ومعه سبعون راكبا لما بلغه عليه
الصلاة والسلام ان عيرا لقريش قد اقبلت من الشام يتعرض لها فاخذوها وما
فيها واخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن امية واسر منهم ناسا منهم ابو العاص
ابن الربيع وقدم بهم المدينة فاجارته زوجته زينب ابنة النبي صلى الله عليه
وسلم ونادت في الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر اني قد اجرت
ابا العاصي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمت بشي من هذا وقد
اجرنا من اجرت ورد عليه ما اخذ منه وذكر ابن عقبة ان اسره على يد ابي
بصير بعد الحديبية وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه وردها النبي
صلى الله عليه وسلم بالنكاح الاول قيل بعد سنتين وقيل بعد ست سنين
وقيل قبل انقضا العدة وفي حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ردها
له بنكاح جديد سنة سبع سرية زيد بن حارثة ايضا الى الطرف وهو ما على ستة
وثلاثين ميلا من المدينة في جمادى الاخر سنة ست تخرج الى بني ثعلبة في
خمسة عشر رجلا فاصاب نعما وشاء وهربت الاعراب وصبح زيد بالنعم المدينة وهي
عشرون بعيرا ولم يلق كيدا وغاب اربع ليال ثم سرية زيد ايضا الى حسمى بكسر
المهملة وهي وراء ذات القرى وكانت في جمادى الاخر سنة ست وسببها انه اقبل
دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر وقد اجازه وكساه فلقيه الهنيد في
ناس من جذام بحسمى فقطعوا عليه الطريق فسمع بذلك نفر من بني الضبيب
فنفروا اليهم فاستنقذوا لدحية متاعه وقدم دحية على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة وخمسماية رجل ورد معه دحية
فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار فاقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم
فاغاروا عليهم فقتلوا فيهم فاوجعوا وقتلوا الهنيد وابنه واغاروا على
ماشيتهم ونعمهم ونسائهم فاخذوا من النعم الف شاة وماية من النسا والصبيان
فرحل زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه فدفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتابه الذي كان كتب له ولقومه ليالي قدم عليه واسلم وبعث صلى الله عليه
وسلم عليا الى زيد بن حارثة يامره ان يخلي بينهم وبين حرمهم واموالهم فرد عليهم
ثم سرية زيد ايضا الى وادي القرى ايضا في رجب سنة ست وقتل من المسلمين
قتلا وارتث زيد اي حمل من المعركة رثيثا اي جريحا وبه رمق وهو مبني للمجهول
قاله في القاموس ثم سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل في شعبان
سنة ست قالوا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف
فاقعده بين يديه وعممه بيده وقال اغز باسم الله وفي سبيل الله فقاتل
من كفر بالله ولا تغدر ولا تقتل وليدا وبعثه الى كلب بدومة الجندل
وقال ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة
الجندل فمكث ثلاثة ايام يدعوهم الى الاسلام فاسلم الاصبغ بن عمرو الكلبي
وكان نصرانيا وكان راسهم واسلم معه ناس كثير من قومه واقام من اقام على
اعطاء الجزية وتزوج عبد الرحمن تماضر بضم المثناة الفوقية وكسر الضاد
المعجمة بنت الاصبغ قدم بها المدينة فولدت له ابا سلمة ثم سرية علي بن ابي طالب
في شعبان سنة ست من الهجرة ومعه مائة رجل الى بني سعد بن بكر لما بلغه
صلى الله عليه وسلم ان لهم جمعا يريدون ان يمدوا يهود خيبر فاغار عليهم
بين فدك وخيبر فاخذ واحد منهم خمسمائة بعير والفي شاة وهربت بنو سعد وقدم
علي ومن معه المدينة ولم يلقوا كيدا ثم سرية زيد بن حارثة الى ام قرفة فاطمة
بنت ربيعة بن زيد الفزارية بناحية وادي القرى على سبع اميال من المدينة
في رمضان سنة ست من الهجرة وكان سببها ان زيد بن حارثة خرج في تجارة
الى الشام ومعه بضائع لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان بوادي القرى
لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا اصحابه واخذوا ما كان
معهم وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فبعثه عليه الصلاة والسلام
اليهم فكمن هو واصحابه بالنهار وساروا بالليل ثم صبحهم زيد واصحابه ثم
كبروا واحاطوا بالحاضر واخذ وا ام قرفة وكانت ملكة رئيسة واخذوا
ابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وعمد قيس بن المحسن الى ام قرفة
وهي عجوز كبيرة فقتلها قتلا وربط بين رجليها حبلا ثم ربطها بين بعيرين
ثم زجرهما فذهبا فقطعاها وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك فقرع
باب النبي صلى الله عليه فقام اليه عريانا يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله
وساله فاخبره بما ظفره الله به ثم سرية عبد الله بن عتيك لقتل ابي رافع
عبد الله ويقال سلام بن ابي الحقيق اليهودي وهو الذي حزب الاحزاب
يوم الخندق وكانت هذه السرية في شهر رمضان سنة ست كذا ذكره

ابن

ابن سعد هاهنا وذكر في ترجمة عبد الله بن عتيك انه بعثه في ذي الحجة الى
ابي رافع سنة خمس بعد وقعة بني قريظة وقيل في جمادى الاخرة سنة ثلاث
وفي البخاري قال الزهري بعد قتل كعب بن الاشرف وارسل معه اربعة عبد الله
ابن عتيك وعبد الله بن انيس وابا قتادة والاسود بن خزاعي ومسعود بن
سنان وامرهم بقتله فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدات الرجل جاءوا الى منزله
فصعدوا درجة له وقدموا عبد الله بن عتيك لانه كان يرطن باليهودية
فاستفتح وقال جئت ابا رافع بهدية ففتحت له امراته فلما رات السلاح ارادت
ان تصيح فاشار اليها بالسيف فسكتت فدخلوا عليه فما عرفوه الا ببياضه فعلوه
باسيافهم وفي البخاري وكان ابو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين
عليه وكان في حصن فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال
عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلي ان ادخل
فاقبل حتى دنا من البواب ثم تقنع بثوبه كانه يقضي حاجة وقد دخل الناس
فهتف به البواب يا عبد الله ان كنت تريد ان تدخل فادخل فاني اريد ان اغلق
الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس اغلق الباب ثم علق الاغاليق قال فقمت
الى الاقاليد فاخذتها ففتحت الباب وكان ابو رافع يسمر عنده وكان في علالي
له فلما ذهب عنه اهل سمره فصعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا اغلقت علي
من داخل فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا ادري اين هو من
البيت فقلت ابا رافع قال من هذا فاهويت نحو الصوت فاضربه ضربة بالسيف
وانا دهش فما اغنيت وصاح فخرجت من البيت فامكث غير بعيد ثم دخلت اليه
فقلت ما هذا الصوت يا ابا رافع فقال لامك الويل ان رجلا في البيت ضربني قبل
بالسيف قال فاضربه ضربة اثخنته ولم اقتله ثم وضعت ضبيب السيف
في بطنه حتى اخذ في ظهره فعرفت اني قتلته وفي رواية له ثم جئت كاني اغيثه
فقلت مالك ابا رافع وغيرت الصوت فقال لامك الويل دخل علي رجل فضربني
قال فعمدت له ايضا فاضربه اخرى فلم تغن شيئا فصاح وقام اهله ثم جئت
وغيرت صوتي كهيئة المغيث فاذا هو مستلق على ظهره فاضع السيف
في بطنه ثم انكفي عليه فسمعت صوت العظم فجعلت افتح الابواب حتى انتهيت
الى درجة له فوضعت رجلي وانا ارى اني قد انتهيت الى الارض فوقعت
في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة فلما صاح الديك قام الناعي على السور
فانطلقت الى اصحابي فقلت النجاء فقد قتل الله ابا رافع فانتهيت الى النبي صلى
الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فمسحها فكانما لم اشتكها قط هذا
لفظ رواية البخاري وفي رواية محمد بن سعد ان الذي قتله عبد الله بن انيس

Copyright King Saud University

والصواب ان الذي دخل عليه فقتله عبد الله بن عتيك وحده كما في البخاري **سرية عبد الله بن رواحة** الى اسير بن رزام اليهودي بخيبر في شوال سنة ست وكان سببها انه لما قتل ابو رافع سلام بن ابي الحقيق امّرت يهود عليها أسير فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحربه صلى الله عليه وسلم وبلغه ذلك فوجه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر في شهر رمضان سرًا فسأله عن خبره وغرته فاخبر بذلك فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فندب عليه الصلاة والسلام الناس فانتدب له ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد الله ابن رواحة فقدموا عليه وقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع في ذلك فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود ومع كل رجل رديف من المسلمين حتى اذا كانوا بقرقرة ضربه عبد الله بن انيس وكان في سرية بالسيف فسقط عن بعيره ومالوا على اصحابه فقتلوهم غير رجل ولم يصب من المسلمين احد ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد نجاكم الله من القوم الظالمين **سرية كرز بن جابر الفهري** بضم الكاف وسكون الراء بعدها زاي الى العرنيين بضم العين وفتح الراء المهملة حي من قضاعة وحي من بجيلة والمراد هنا الثاني كذا ذكره ابن عقبة في المغازي وذكر ابن اسحق ان قدومهم كان في غزوة ذي قرد في جمادى الاخرة سنة ست وذكرها البخاري بعد الحديبية وكانت في ذي القعدة منها وعند الواقدي في شوال منها وتبعه ابن سعد وابن حبان **وفي** البخاري في كتاب المغازي عن انس ان ناسا من عكل بضم العين وسكون الكاف وعرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف واستوخموا المدينة فامر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذود وراعي وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم وبعث الطلب في اثارهم فامر بهم فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم وفي لفظ وسمر اعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا وفي لفظ ولم يحسمهم اي لم يكووا مواضع القطع فينحسم الدم وقال انس انما سمل رسول الله اعينهم لانهم سملوا اعين الرعاة رواه مسلم فيكون ما فعل بهم قصاصا وفي رواية انهم كانوا ثمانية وعند البخاري ايضا في المحاربين انهم كانوا في الصفة قبل ان يطلبوا الخروج الى الابل وفي رواية قال انس فلقد رايت احدهم يكدم الارض بفيه حتى مات **وعند** الدمياطي كانت سعدان اللقاح كانت خمسة عشر لقحة بكسر اللام وسكون القاف

ويقال

ويقال لها ذلك الى ثلاثة اشهر **وفي صحيح مسلم** ان السرية كانت قريبا من عشرين فارسا من الانصار **وروى** ابن مردويه عن سلمة بن الاكوع قال كان للنبي صلى الله عليه وسلم مولى يقال له يسار فنظر اليه يحسن الصلاة فاعتقه وبعثه في لقاح له بالحرة فكان بها فاظهر قوم الاسلام من عرينة وجاءوا وهم مرضى موعوكون قد عظمت بطونهم فعدوا على يسار فذبحوه وجعلوا الشوك في عينيه ثم طردوا الابل فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في اثارهم خيلا من المسلمين اميرهم كرز بن جابر الفهري فلحقهم فجاء بهم اليه فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم قال ابن كثير غريب جدا **وروى** ابن جرير عن محمد بن ابراهيم عن جرير بن عبد الله البجلي قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من عرينة الحديث وفيه قال جرير فبعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المسلمين حتى ادركناهم فقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وسمل اعينهم فجعلوا يقولون الماء ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول النار حتى هلكوا قال وكره الله عز وجل سمل الاعين فانزل الله هذه الاية انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الى اخر الاية وهو حديث غريب ضعيف وفيه ان امير السرية جرير بن عبد الله البجلي قال مغلطاي فيه نظر لان اسلام جرير كان بعد هذه بنحو اربع سنين **وفي** مغازي ابن عقبة ان امير هذه السرية سعيد بن زيد كذا عنده بزيادة يا وعند غيره انه سعد بسكون العين ابن زيد الاشهلي وهذا انصاري فيحتمل انه كان راس الانصار وكان كرز امير الجماعة واما قوله فكره الله سمل الاعين فانزل الله هذه الاية فانه منكر فقد تقدم في صحيح مسلم انهم سملوا اعين الرعاء فكان ما فعل بهم قصاصا والله اعلم **تنبيه** قال في فتح الباري وزعم ابن التين تبعا للداودي ان عرينة هم عكل وهو غلط بل هما قبيلتان متغايرتان فعكل من عدنان وعرينة من قحطان **ثم سرية عمرو بن امية الضمري** الى ابي سفيان بن حرب بمكة لانه ارسل للنبي صلى الله عليه وسلم من يقتله غدرا فاقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا ليريد غدرا فجذبه اسيد بن الحضير بداخلة ازاره فاذا هو بالخنجر فسقط في يده فقال صلى الله عليه وسلم اصدقني ما انت قال وانا امن قال نعم فاخبره بخبره فخلى عنه صلى الله عليه وسلم وبعث عمرو بن امية ومعه سلمة بن اسلم ويقال جبار بن صخر الى ابي سفيان وقال ان اصبتما منه غرة فاقتلاه ومضى عمرو بن امية يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن ابي سفيان فاخبر قريشا بمكانه فخافوه وطلبوه وكان فاتكا في الجاهلية فحشد له اهل مكة وتجمعوا فهرب عمرو وسلمة فلقي عمرو عبيد الله بن مالك التيمي فقتله وقتل

Copyright King Saud University

اخر ولقي رسولين لقريش بعثتهما يتجسسان الخبر فقتل احدهما واسر الاخر فقدم
به المدينة فجعل عمر يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وهو عليه الصلاة و
والسلام يضحك ثم الحديبية بتخفيف اليا وتشديدها وهي بير سمي المكان بها وقيل
شجرة وقال المحب الطبري قرية قريبة من مكة اكثرها في الحرم وهي على تسعة
اميال من مكة خرج يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة
واخرج معه زوجته ام سلمة في الف واربعماية ويقال الف وخمسماية وقيل الف وثلثماية
والجمع بين هذا الاختلاف انهم كانوا اكثر من الف واربعماية الغاه ويويده رواية
البرا الف واربعماية او اكثر واعتمد على هذا الجمع النووي واما رواية الف وثلثماية
فيمكن حملها على ما اطلع هو عليه واطلع غيره على زيادة ماتين لم يطلع هو عليهم
والزيادة من الثقة مقبولة واما قول ابن اسحق انهم كانوا سبعماية فلم يوافقه
احد عليه لانه قاله استنباطا من قول جابر نحرنا البدنة عن عشرة وكانوا
نحروا سبعين بدنة وهذا لا يدل على انهم نحروا غير البدن مع ان بعضهم لم يكن
احرم اصلا وجزم موسى بن عقبة بانهم كانوا الفا وستماية وحكى ابن سعد الفا
وخمسماية خمسة وعشرين واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم ولم يخرج معه
بسلاح الا سلاح المسافر السيوف في القرب وفي البخاري في المغازي عن المسور بن مخرمة
ومروان بن الحكم قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في بضع عشرة ماية
من اصحابه فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي واشعر واحرم منها وفي رواية احرم
منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان بغدير
الاشطاط اتاه عينه فقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش
وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك فقال اشيروا علي ايها الناس اترون ان
اميل على عيالهم وذراري هولا الذين يريدون ان يصدونا عن البيت وفيه قال
ابو بكر يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل احد ولا حرب احد
فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله وزاد احمد كان ابو هريرة
يقول ما رايت احدا قط كان اكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي رواية للبخاري حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله
ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار
النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته
فقال الناس حل حل فالحت يعني تمادت على عدم القيام فقالوا خلات القصوى
خلات القصوى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلات القصوى وما ذاك
لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل اي حبسها الله عز وجل عن دخول مكة على

تلك

بلغ

وستماية وعند ابن ابي شيبة
من حديث سلمة ابن الاكوع
الف و

تلك الصورة وصد بهم قريش لوقع بينهم القتال المفضي الى سفك الدماء
ونهب الاموال كالو قدر دخول الفيل لكن سبق في علم الله انه سيدخل في
في الاسلام منهم خلق ويستخرج من اصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون انتهى ثم
قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسالوني خطة يعظمون فيها حرمات
الله الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية
على ثمد قليل الما يعني حفرة فيها ما قليل يتبرضه الناس تبرضا اي ياخذونه
قليلا قليلا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
العطش فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري
حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جا بديل بن ورقا الخزاعي في نفر من قومه
من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة
فقال اني تركت كعب بن لوي وعامر بن لوي نزلوا اعداد مياه الحديبية معهم
العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت والعوذ بالذال المعجمة جمع
عايذ وهي الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات التي لها اطفالها يريد انهم خرجوا
معهم بذوات الالبان من الابل ليتزودوا بالبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه او كنى
بذلك عن النسا معهن الاطفال والمراد انهم خرجوا بنسائهم واولادهم لارادة طول
المقام ليكون ادعى الى عدم الفرار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لم نجي لقتال
احد ولكنا جينا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاوا ماددتهم
مدة ويخلوا بيني وبين الناس ان شاوا فان اظهر فان شاوا ان يدخلوا فيما دخل
فيه الناس فعلوا والا فقد جموا يعني استراحوا وان هم ابوا فوالذي نفسي بيده
لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي اي صفحة العنق كنى بذلك عن القتل
ولينفذن الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال
انا قد جيناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شيتم ان نعرضه عليكم فعلنا
فقال سفهاوهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشي قال ذو الراي منهم هات ما سمعته
يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقال
عروة بن مسعود فقال اي قوم الستم بالوالد قالوا بلى او لست بالولد قالوا
بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال الستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ فلما
بلحوا علي وهو بالمهملة اي امتنعوا من الاجابة جيتكم باهلي وولدي ومن اطاعني
قالوا بلى قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشد اي خصلة خير وصلاح اقبلوها
ودعوني اتيه فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد ارايت ان استاصلت
امر قومك هل سمعت باحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فاني

فقام عروة

Copyright Kyung Sung University

والله لاري وجوها واني لاري اشوابا يعني اخلاطا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك
فقال له ابو بكر الصديق رضي الله عنه امصص بظر اللات انحن نفر عنه او ندعه
قال العلما هذا مبالغة من ابي بكر في سب عروة فانه اقام معبود عروة وهو صنمه
مقام امه وحمله علي ذلك ما اغضبه به من نسبته الي الفرار والبظر بالموحدة المفتوحة
والظا المعجمة الساكنة قطعة تبقي بعد الختان في فرج المراة واللات اسم صنم والعرب
تطلق هذا اللفظ في معرض الذم انتهي فقال اي عروة من هذا قالوا ابو بكر فقال
اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل
يكلم النبي صلي الله عليه وسلم فكلما تكلم اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قايم علي
راس النبي صلي الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوي عروة
بيده الي لحية النبي صلي الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف وقال اخر يدك
عن لحية رسول الله صلي الله عليه وسلم قال العلما وقد كانت عادة العرب
ان يتناول لحية من يكلمه لا سيما عند الملاطفة وفي الغالب انما يصنع ذلك
النظير بالنظير لكن كان صلي الله عليه وسلم يغضي لعروة استمالة وتاليفا والمغيرة
يمنعه اجلالا للنبي صلي الله عليه وسلم وتعظيما انتهي قال فرفع عروة راسه
فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال اي غدر الست اسعي في غدرتك
وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جا فاسلم فقال النبي
صلي الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في شي ثم ان عروة جعل
يرمق اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم بعينه فقال والله ما تنخم رسول الله صلي
الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا
امرهم امرا ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون علي وضويه واذا تكلم خفضوا
اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له قال في فتح الباري فيه اشارة
الي الرد علي ما خشيه من فرارهم فكانهم قالوا بلسان الحال من يحبه هذه المحبة و
يعظمه هذا التعظيم كيف يظن به انه يفر عنه ويسلمه لعدوه بل هم اشد اغتباطا
به وبدينه ونصره من هذه القبايل التي تراعي بعضها بمجرد الرحم والله اعلم
انتهي قال فرجع عروة الي اصحابه فقال اي قوم والله لقد وفدت علي الملوك
ووفدت علي قيصر وكسري والنجاشي والله ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه
ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ان يتنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك
بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون علي وضويه
واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له وانه قد
عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني اتيه فقالوا
ايته فلما اشرف علي النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه قال النبي صلي الله عليه

٧٣

وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله
الناس يلبون فلما راي ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهولا ان يصدوا عن
البيت فلما رجع الي اصحابه قال رايت البدن قد قلدت واشعرت فما اري ان
يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز ابن حفص بكسر الميم وسكون
الكاف وفتح الرا بعدها زاي فقال دعوني اتيه فلما اشرف عليهم قال النبي
صلي الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلي الله عليه وسلم
فبينا هو يكلمه اذ جا سهيل بن عمرو قال معمر فاخبرني ايوب عن عكرمة انه
لما جا سهيل قال النبي صلي الله عليه وسلم قد سهل لكم من امركم وفي رواية ابن
اسحق فدعت قريش سهيل بن عمرو فقالت اذهب الي هذا الرجل فصالحه
فقال صلي الله عليه وسلم قد ارادت قريش الصلح حين بعثت هذا فلما انتهي
الي النبي صلي الله عليه وسلم جري بينهما القول حتي وقع بينهما الصلح علي
ان توضع الحرب بينهم عشر سنين وان يامن بعضهم بعضا وان يرجع عنهم
عامهم هذا قال معمر وقال الزهري في حديثه فجا سهيل بن عمرو فقال ا
هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي صلي الله عليه وسلم الكاتب فقال
النبي صلي الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن
الرحيم فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال
المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلي الله عليه
وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضي عليه محمد رسول الله وفي حديث
عبد الله بن معقل عند الحاكم فكتب هذا ما صالح محمد رسول الله اهل مكة
الحديث فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت
ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي صلي الله عليه وسلم
والله اني لرسول الله وان كذبتموني وفي رواية له اي البخاري ولمسلم فقال
النبي صلي الله عليه وسلم لعلي امحه فقال ما انا بالذي امحاه وهي لغة امحوه
قال العلما وهذا الذي فعله علي من باب الادب المستحب لانه لم يفهم من النبي
صلي الله عليه وسلم تحتيم محو علي نفسه ولهذا لم ينكر عليه ولو حتم محوه لنفسه
لم يجز لعلي تركه انتهي ثم قال صلي الله عليه وسلم اريني مكانها فاراه مكانها
فمحاه وكتب ابن عبد الله وفي رواية البخاري في المغازي فاخذ رسول الله
صلي الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضي عليه
محمد بن عبد الله وكذا اخرجه النساي واحمد ولفظه فاخذ رسول الله
صلي الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن ان يكتب فكتب هذا ما قاضي عليه
محمد بن عبد الله وكذا اخرجه النساي واحمد ولفظه فاخذ الكتاب وليس

يحسن ان يكتب فكتب مكان رسول الله محمد بن عبد الله قال في فتح الباري وقد تمسك
بظاهر هذه الرواية ابن الوليد الباجي فادعى ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب بيده
اذا لم يكن يحسن فشنع عليه علما الاندلس في زمانه ورموه بالزندقة وان الذي
قاله يخالف القران حتى قال قائلهم شعرا

برئت ممن شرى دنيا باخرة ... وقال ان رسول الله قد كتبا

فجمعهم الامير واستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة وقال هذا لا ينافي القرآن
بل يوخذ من مفهوم القرآن لانه قيد النفي بما قبل ورود القران قال تعالى
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وبعد ان تحققت اميته
وتقررت بذلك معجزته وامن الارتياب في ذلك لا مانع من ان يعرف الكتابة
بعد ذلك من غير تعليم فتكون معجزة اخرى وذكر ابن دحية ان جماعة من العلما
وافقوا الباجي على ذلك منهم شيخه ابو ذر الهروي وابو الفتح النيسابوري
واخرون من علما افريقية واحتج بعضهم لذلك بما اخرجه ابن ابي شيبة من
طريق مجالد عن عون بن عبد الله ما مات رسول الله حتى كتب وقرا قال
مجالد فذكرته للشعبي فقال صدق قد سمعت من يذكر ذلك وقال القاضي
عياض وردت اثار تدل على معرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله
لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر لك وقوله لمعاوية الق الدواة وحرف
القلم وفرق السين ولا تعور الميم الى غير ذلك قال وهذا وان لم يثبت انه كتب فلا
يبعد ان يرزق علم وضع الكتابة فانه اوتي علم كل شي واجاب الجمهور بضعف
هذه الاحاديث وعن قصة الحديبية بان القصة واحدة والكاتب فيها
هو علي بن ابي طالب وقد خرج في حديث المسور ابن مخرمة بان عليا هو الذي
كتب فيحتمل ان النكتة في قوله فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب لبيان ان
قوله تعالى اريني اياها انه انما احتاج الى ان يريه موضع الكلمة التي امتنع علي
من محوها الا لكونه كان لا يحسن الكتابة وعلى ان قوله بعد ذلك فكتب فيه
حذف تقديره فمحاها فاعادها لعلي فكتب او اطلق كتب بمعنى امر بالكتابة
وهو كثير كقوله كتب الى كسرى وقيصر وعلى تقدير حمله على ظاهره
فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة ان يصير
عالما بالكتابة ويخرج عن كونه اميا فان كثيرا من لا يحسن الكتابة يعرف
صور بعض الكلمات ويحسن وضعها بيده وخصوصا الاسما ولا يخرج
بذلك عن كونه اميا ككثير من الملوك ويحتمل ان يكون جرت يده بالكتابة
حينئذ وهو لا يحسنها فخرج المكتوب على وفق المراد فتكون معجزة اخرى
في ذلك الوقت خاصة ولا يخرج بذلك عن كونه اميا وبهذا اجاب ابو جعفر

السماني

السماني احد ايمة الاصول من الاشاعرة وتبعه ابن الجوزي وتعقب ذلك
السهيلي وغيره بان هذا وان كان ممكنا ويكون اية اخرى لكنه يناقض كونه
اميا لا يكتب وهي الاية التي قامت بها الحجة وافحم الجاحد وانحسمت الشبهة
فلو جاز ان يصير يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة وقال المعاند كان يحسن
يكتب لكنه كان يكتم ذلك والمعجزات تستحيل ان يدفع بعضها بعضا والحق ان
معنى قوله فكتب امر عليا ان يكتب انتهى وقال في دعوى ان كتابة اسمه الشريف
فقط على هذه الصورة يستلزم مناقضة المعجزة ويثبت كونه غير امي نظر كبير
والله اعلم انتهى واما قوله اكتب بسم الله الرحمن الرحيم وقوله اما الرحمن فوالله ما ادري
ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم الى اخره فقال العلما وافقهم عليه الصلاة والسلام في كتابه تَرَكَ
بسم الله الرحمن الرحيم وكتب باسمك اللهم وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله وترك كتابة
رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح مع انه لا مفسدة في هذه الامور
اما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد وكذا قول محمد بن عبد الله هو ايضا رسوله
وليس في ترك في وصف الله تعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك يَنفي
ولا في ترك وصفه صلى الله عليه وسلم تعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي
ذلك ولا في ترك وصفه صلى الله عليه وسلم هنا بالرسالة ما ينفيها فلا مفسدة فيما
طلبوه وانما كانت المفسدة لو طلبوا ان يكتبوا ما لا يحل من تعظيم الهتهم ونحو ذلك
انتهى قال في رواية البخاري فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله فقال
صلى الله عليه وسلم على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله
لا يتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل و
على انه لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا قال المسلمون سبحان الله
كيف يرد الى المشركين وقد جا مسلما والضغطة بالضم قال في القاموس الضيق
والاكراه والشدة انتهى فان قلت ما الحكمة في كونه عليه الصلاة والسلام وافق
سهيلا على انه لا ياتيه رجل منهم وان كان على دين الاسلام الا يرده الى المشركين
فالجواب ان المصلحة المرتبة على اتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوايده
المتظاهرة التي كانت عاقبتها فتح مكة واسلام اهلها كلهم ودخول الناس في دين الله
افواجا وذلك انهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا يتظاهر عندهم
امور النبي صلى الله عليه وسلم كما هي ولا يخلوا بمن يعلمهم بها مفصلة فلما حصل
صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين وجاوا الى المدينة وذهب المسلمون
الى مكة وخلوا باهلهم واصدقايهم وغيرهم ممن يستنصحونه وسمعوا منهم
احوال النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الظاهرة واعلام نبوته المتظاهرة
وحسن سيرته وجميل طريقته وعاينوا بانفسهم كثيرا من ذلك فمالت نفسهم

Copyright King Saud University

الى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الاسلام قبل فتح مكة فاسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة
وازداد الاخرون ميلا الى الاسلام فلما كان يوم الفتح اسلموا كلهم لما كان قد تمهد لهم من الميل
وكانت العرب من غير قريش في البوادي ينتظرون باسلامهم اسلام قريش فلما اسلمت
قريش اسلمت العرب في البوادي قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس
يدخلون في دين الله افواجا فالله ورسوله اعلم انتهى قال في رواية البخاري فبينا هم
كذلك اذ دخل ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده اذ خرج من اسفل
مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول ما اقاضيك
عليه ان ترده الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال
فوالله اذا لا اصالحك على شيء ابدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه لي قال
ما انا بمجيز ذلك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل قال مكرز بلى قد اجزناه لك قال
ابو جندل اي معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما قد
لقيت وكان قد عذب في الله عذابا شديدا زاد ابن اسحق فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابا جندل احتسب فانا لا نغدر وان الله جاعل لك فرجا
ومخرجا ووثب عمر يمشي الى جنبه ويقول اصبر فانما هم المشركون وانما دم احدهم
كدم الكلب قال الخطابي تاول العلماء ما وقع في قصة ابي جندل على وجهين
احدهما ان الله قد اباح التقية للمسلم اذا خاف الهلاك ورخص له ان يتكلم بالكفر
مع اضمار الايمان ان لم يمكنه التورية فلم يكن رده اليهم اسلاما لابي جندل الى الهلاك
مع وجود السبيل الى الخلاص من الموت بالتقية والوجه الثاني انه انما رده الى
ابيه والغالب ان اباه لا يبلغ به الى الهلاك وان عذبه او سجنه فله مندوحة
بالتقية ايضا واما ما يخاف عليه من الفتنة فان ذلك امتحان من الله يبتلي به
صبر عباده المسلمين واختلف العلماء هل يجوز الصلح مع المشركين على ان يرد اليهم
من جاء مسلما من عندهم ام لا فقيل نعم على ما دلت عليه قصة ابي جندل وابي بصير
وقيل لا وان الذي وقع في القصة منسوخ وان ناسخه حديث انا بريء من مسلم
بين مشركين وهو قول الحنفية وعند الشافعية يفصل بين العاقل والمجنون
والصبي فلا يردان وقال بعض الشافعية ضابط جواز الرد ان يكون المسلم
بحيث لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب والله اعلم قاله في فتح الباري قال في
رواية البخاري فقال عمر بن الخطاب فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
الست نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت
فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري
قلت اوليس كنت تحدثنا انا سناتي البيت فنطوف به قال بلى فاخبرتك انا
ناتيه العام قلت لا قال فانك اتيه ومطوف به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر

اليس

بلغ

اليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت
فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره
فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت اوليس كان يحدثنا انا سناتي البيت فنطوف
به قال بلى افاخبرك انا ناتيه العام قلت لا قال فانك اتيه ومطوف به قال العلماء لم يكن
سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه المذكور شكا بل طلبا لكشف ما خفي عليه وحثا على
اذلال الكفار وظهور الاسلام كما عرف من خلقه وقوته في نصرة الدين واذلال المبطلين
واما جواب ابي بكر لعمر رضي الله عنهما بمثل جواب النبي صلى الله عليه وسلم فهو من
الدلائل الظاهرة على عظم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه وزيادته
في كل ذلك على غيره وكان الصلح بينهم عشر سنين كما في السير واخرجه ابو داود من حديث
ابن عمر ولابي نعيم في مسند عبد الله بن دينار كانت اربع سنين وكذا اخرجه الحاكم في
البيوع من المستدرك والاول اشهر وكان الصلح على وضع الحرب بحيث يامن الناس
فيها ويكف بعضهم عن بعض وان لا يدخل البيت الا العام القابل ثلاثة ايام ولا يدخلوها
الا بجلبان السلاح وهو القراب بما فيه السيف مغمودا ورواه القتيبي بضم الجيم واللام
وتشديد الباء قال هو اوعية السلاح بما فيها وفي بعض الروايات ولا يدخلها الا بجلبان
السلاح السيف والقوس وانما اشترطوا ذلك ليكون علما وامارة للسلم اذ كان دخولهم
صلحا وقال مكي بن طالب القيرواني في تفسيره وبعث عليه الصلاة والسلام بالكتاب
اليهم مع عثمان بن عفان وامسك سهيل بن عمرو عنده فامسك المشركون عثمان
فغضب المسلمون وقال مغلطاي فاحتبسته قريش عندها فبلغ النبي صلى الله
عليه وسلم ان عثمان قد قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت
وقيل على ان لا يفروا انتهى ووضع النبي صلى الله عليه وسلم شماله في يمينه وقال هذه
عن عثمان وفي البخاري فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان
فضرب بها على يده الحديث ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وبعثوا بعثمان
وجماعة من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين وحلق الناس
مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحروا هداياهم بالحديبية وقال مغلطاي وارسل
الله ريحا حملت شعورهم فالقتها في الحرم واقام عليه الصلاة والسلام بالحديبية بضعة
عشر يوما وقيل عشرين يوما ثم قفل وفي نفوس بعضهم شيء فانزل الله تعالى سورة
الفتح يسليهم بها ويذكرهم نعمه فقال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال ابن عباس وانس
والبراء بن عازب الفتح هنا فتح الحديبية ووقع الصلح بعد ان كان المنافقون
يظنون ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا اي حسبوا انهم لا يرجعون
بل يقتلون كلهم واما قوله تعالى واثابهم فتحا قريبا فالمراد فتح خيبر على الصحيح لانها

Copyright ... University

وتعت نيها المغانم الكثيرة للمسلمين وقد روي ابو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية
قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند
كراع الغميم وقد جمع الناس فقرا عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا الايه قال رجل يا رسول
الله او فتح هو قال اي والذي نفسي بيده انه لفتح وروي سعيد ابن منصور باسناد
صحيح عن الشعبي انا فتحنا لك فتحا مبينا الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر وبايعوه بيعة الرضوان واطعموا نخيل خيبر وظهرت المسلمون على فارس
وفرح المسلمون بنصر الله واما قوله اذا جا نصر الله والفتح وقوله لا هجرة بعد
الفتح فتح مكة باتفاق قال الحافظ ابن حجر فبهذا يرتفع الاشكال وتجتمع الاقوال
والله اعلم ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفي هذه السنة
كسفت الشمس وظاهر اوس بن الصامت من امراته خوله وفي هذه السنة ايضا
استسقي في رمضان ومطر الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح الناس
مومنا بالله وكافرا بالكوكب قال مغلطاي وجزم الدمياطي في سيرته بان تحريم
الخمر كان سنة الحديبية وذكر ابن اسحق انه كان في وقعة بني النضير وهي بعد احد
وذلك سنة اربع على الراجح وفيه نظر لان انسا كان الساقي يوم حرمت وانه لما
سمع المنادي بتحريمها بادر فاراقها فلو كان ذلك سنة اربع لكان انس يصغر عن
ذلك واخرج النسائي والبيهقي بسند صحيح عن ابن عباس انما نزل تحريم الخمر في قبيلتين
من الانصار شربوا فلما ثمل القوم عبث بعضهم ببعض فلما ان صحوا جعل الرجل يري
في وجهه وراسه الاثر فيقول صنع هذا اخي فلان وكانوا اخوة ليس في قلوبهم
ضغاين فيقول والله لو كان بي رحيما ما صنع بي هذا حتى وقعت في قلوبهم فانزل الصغا
الله هذه الآية يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الى فهل انتم منتهون فقال
ناس من التكلفين هي رجس وهي في بطن فلان وفلان وقد قتل يوم احد فانزل الله ابي المنذر دون ... الدبابة
تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى المحسنين والاية
تحريم الخمر نزلت في عام الفتح قبل الفتح والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره وسمي
به عصير العنب اذا اشتد وغلا لانه يخمر العقل كما سمي لانه يسكر اي يحيره وهي
حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلما وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب
والتمر اذا طبخ حتى تذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر انتهى واما
الحشيشة وتسمى القنب الهندي والحيدرية والقلندرية فلم يتكلم فيها الايمة
الاربعة ولا غيرهم من علما السلف لانها لم تكن في زمنهم وانما ظهرت في اواخر المائة
السادسة واول السابعة واختلف هل هي مسكرة فيجب فيها الحد او مفسدة
للعقل فيجب التعذير والذي اجمع عليه الاطبا انها مسكرة وبه جزم الفقها
وصرح به ابو اسحق الشيرازي في كتاب التذكرة في الخلاف والنووي في شرح
المهذب

المهذب ولا يعرف فيه خلافا عندنا ونقل عن ابن تيمية انه قال الصحيح انها مسكرة
كالشراب فان آكليها ينتشون عنها ولذلك يتناولونها بخلاف البنج فانه لا ينشي ولا يشتهي
قال الزركشي ولم ار من خالف في ذلك الا القرافي في قواعده فقال نص العلما بانبات الحشيشة
انها مسكرة والذي يظهر انها مفسدة في كلام تعقبه الزركشي بطول ذكره وقد تظافرت في كتبهم
الادلة على حرمتها ففي صحيح مسلم كل مسكر حرام وقد قال تعالى ويحرم عليهم الخبائث واي
خبيثة اعظم مما يفسد العقول التي اتفقت الملل والشرايع على ايجاب حفظها ولا ريب
ان تناول الحشيشة يظهر به اثر التغير في انتظام العقل والقول المستند كاله في
نور العقل وقد روى ابو داود باسناد حسن عن ديلم الحميري قال سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انا بارض باردة نعالج فيها عملا شديدا وانا
نتخذ شرابا من هذا القمح نتقوى به على اعمالنا وعلى برد بلادنا قال هل يسكر قلت نعم
قال فاجتنبوه قلت فان الناس غير تاركيه قال فان لم يتركوه فقاتلوهم وهذا منه صلى
الله عليه وسلم تنبيه على العلة التي لاجلها حرم المزر فوجب ان كل شي عمل عمله
يجب تحريمه ولا شك ان الحشيش تفعل ذلك وفوقه وروى احمد في مسنده وابو داود
في سننه عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر قال
العلما المفتر كل ما يورث الفتور والخدر في الاطراف وهذا الحديث ادل دليل على تحريم
الحشيشة وغيرها من المخدرات فانها ان لم تكن مسكرة كانت مفترة مخدرة ولذلك
يكثر النوم من متعاطيها وتثقل روسهم بواسطة تبخيرها في الدماغ واختلف هل
يحرم تعاطي اليسير الذي لا يسكر فقال النووي في شرح المهذب انه لا يحرم اكل
القليل الذي لا يسكر من الحشيش بخلاف الخمر حيث حرم قليلها الذي لا يسكر والفرق
ان الحشيش طاهر والخمر نجس فلا يجوز شرب قليله للنجاسة وتعقبه الزركشي
بانه صح في الحديث ما اسكر كثيره فقليله حرام قال والمتجه انه لا يجوز تناول شي
من الحشيش لا قليل ولا كثير وقد نقل الاجماع على تحريمها غير واحد منهم القرافي
وابن تيمية وقال ان استحلها فقد كفر وتعقبه الزركشي بان تحريمها ليس معلوما
من الدين بالضرورة سلمنا ذلك لكن لا بد ان يكون دليل الاجماع قطعيا على احد
الوجهين وقد ذكر اصحابنا ان المسكر من غير عصير العنب كعصير العنب
في وجوب الحد لكن لا يكفر مستحله لاختلاف العلما فيه واما قول النووي
انها طاهرة وليست بنجسة فقطع به ابن دقيق العيد وحكى الاجماع عليه
قال والافيون وهو لبن الخشخاش اقوى فعلا من الحشيش لان القليل منه
يسكر جدا وكذلك الشيكران وجوز الطيب مع انه طاهر بالاجماع انتهى وقد
جمع بعضهم في الحشيشة مائة وعشرين مضرة دينية ودنيوية حتى قال
بعضهم كل ما في الخمر من المذمومات موجود في الحشيش وزيادة فان اكثر

Copyright … University

ضرر الحشيش في الدين لا في البدن وضررها فيهما فمن ذلك فساد العقل وعدم المروة
وكشف العورة وترك الصلوات والوقوع في المحرمات وقطع النسل والبرص
والجذام والاسقام والرعشة والابنة ونتن الفم وسقوط شعر الاجفان وحفر
الاسنان وتسويدها وتضييق النفس وتصفير الالوان وتنقيب الكبد وتجعل
الاسد كالجعل وتورث الكسل والفشل وتعيد العزيز ذليلا والصحيح عليلا
والفصيح ابكم والصحيح ابلها تذهب السعادة وتنسي الشهادة فصاحبها بعيد
عن السنة طريد عن الجنة موعود من الله باللعنة الا ان يفزع من الندم
بتوبة ويحسن بالله ظنه وقد احسن القائل
قل لمن يأكل الحشيشة جهلا ... يا خسيسا قد عشت شر معيشه
دية العقل بدرة فلماذا ... يا خسيسا قد عشت شر معيشه
غزوة خيبر وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من
المدينة الى جهة الشام قال ابن اسحق خرج صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم
سنة سبع وهو منقول عن مالك وبه جزم ابن حزم قال الحافظ ابن حجر والراجح
ما ذكره ابن اسحق ويمكن الجمع بان من اطلق سنة ست بناه على ان ابتدا السنة
من شهر الهجرة الحقيقي وهي ربيع الاول واغرب ابن سعد وابن ابي شيبة فرويا
من حديث ابي سعيد الخدري خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى خيبر لثمان عشرة من رمضان واسناده حسن لكنه خطا ولعلها كانت الى
حنين فتصحفت وتوجيهه بان غزوة حنين كانت ناشية عن غزوة الفتح
وغزوة الفتح خرج صلى الله عليه وسلم فيها في رمضان جزما قال وذكر الشيخ
ابو حامد في التعليقة انها كانت سنة خمس وهو وهم ولعله انتقال من الخندق
الى خيبر وكان معه عليه السلام الف واربعماية راجل ومايتا فارس ومعه ام سلمة
زوجته وفي البخاري من حديث سلمة بن الاكوع قال خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر
يا عامر الا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم يقول
اللهم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فاغفر فداك ما ابقينا وثبت
الاقدام ان لاقينا والقين سكينة علينا انا اذا صيح بنا اتينا وبالصياح عولوا
علينا وفي رواية اياس بن سلمة عن ابيه عن احمد في هذا الرجز من الزيادة
ان الذين قد بغوا علينا اذا ارادوا فتنة ابينا ونحن عن فضلك ما استغنينا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في رواية البخاري من هذا السايق
قالوا عامر بن الاكوع قال يرحمه الله قال رجل من القوم وجبت يا نبي الله
لولا امتعتنا به الحديث وفي رواية احمد فجعل عامر يرتجز ويسوق الركاب

وهذه

وهذه كانت عادتهم اذا ارادوا تنشيط الابل في السير ينزل بعضهم فيسوقها
ويحدو في تلك الحال وقوله اللهم لولا انت ما اهتدينا كذا الرواية قال الوام
وصوابه في الوزن لاهم او تالله كما في الحديث الاخر وقوله فدا لك قال المازري
هذه اللفظة مشكلة فانه لا يقال للباري سبحانه فديتك لان ذلك انما يستعمل
من مكروه يتوقع حلوله بالشخص فيختار شخص اخر ان يحل ذلك به ويفديه
منه قال ولعل هذا وقع من غير قصد الى حقيقة معناه كما يقال قاتله الله
ولا يريدون بذلك حقيقة الدعا عليه وكقوله عليه السلام تربت يداك
تربت يمينك وفيه كله ضرب من الاستعارة لان الفادي مبالغ في طلب رضى
المفدي حين بذل نفسه عن نفسه للمكروه فكان مراد الشاعر اي ابذل
نفسي في رضاك على كل حالة فان المعنى وان امكن صرفه الى جهة صحيحة
فاطلاق اللفظ واستعارته والتجوز فيه يفتقر الى ورود الشرع بالاذن فيه
قال وقد يكون المراد بقوله فدا لك رجلا يخاطبه وفصل بين الكلام بذلك ثم
عاد الى تمام الاول فقال ما ابقينا قال وهذا تاويل يصح معه اللفظ والمعنى
لولا ان فيه تعسفا اضطرنا اليه تصحيح الكلام انتهى وقيل انه يخاطب
بهذا الشعر النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تواخذنا بتقصيرنا في حقك
ونصرك وعلى هذا فقوله اللهم لم يقصد بها الدعا وانما افتتح بها الكلام والمخاطب
بقول الشاعر لولا انت النبي لكن يعكر عليه بعد ذلك فانزلن سكينة
علينا وثبت الاقدام ان لاقينا فانه دعا الله تعالى ويحتمل ان يكون المعنى
فاسال ربك ان ينزل ويثبت والله اعلم وقوله اذا صيح بنا اتينا اي اذا صيح
بنا للقتال ونحوه من المكاره اتينا وفي رواية ابينا بالموحدة بدل المثناة
ابينا الفرار وقوله وبالصياح عولوا علينا اي استغاثوا بنا واستفزعونا
لقتال قيل هو من التعويل على الشي وهو الاعتماد عليه وقيل من العويل
وهو الصوت وقوله من هذا السايق قالوا عامر قال يرحمه الله قال
رجل من القوم وجبت اي ثبتت له الشهادة وستقع قريبا وكان معلوما
عندهم ان من دعا له النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدعا في هذا الموطن
استشهد فقالوا هلا امتعتنا به اي وددنا انك اخرت الدعا له بهذا الى
وقت اخر لنتمتع بمصاحبته ورويته مدة وفي البخاري من حديث انس
انه صلى الله عليه وسلم اتى خيبر ليلا وكان اذا اتى قوما بليل لم يغز بهم حتى
يصبح فلما اصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما راوه قالوا محمد
والله محمد والخميس فقال النبي صلى الله عليه وسلم خربت خيبر انا اذا نزلنا
بساحة قوم فسا صباح المنذرين وفي رواية فرفع يديه وقال الله اكبر

المغافا

Copyright King Saud University

خربت خيبر والخميس الجيش سمي به لانه مقسوم بخمسة اقسام المقدمة والساقة
والميمنة والميسرة والقلب ومحمد خبر مبتدا اي هذا محمد قال السهيلي يؤخذ
من هذا الحديث التفاول لانه عليه الصلاة والسلام لما راي آلة الهدم فقال
ان مدينتهم ستخرب انتهى ويحتمل كما قاله في فتح الباري ان يكون قال خربت
خيبر بطريق الوحي ويويده قوله بعد ذلك انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء
صباح المنذرين وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح قريبا من خيبر
بغلس ثم قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين
وقال مغلطاي وغيره وفرق عليه الرايات ولم تكن الرايات الا بخيبر وانما كانت
الالوية وقال الدمياطي وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم السوداء من
برد لعايشة وفي البخاري وكان علي بن ابي طالب تخلف عن النبي صلى الله عليه
وسلم وكان رمدا فلحق فلما بتنا الليلة التي فتحت قال لاعطين الراية غدا او ليأخذن
الراية غدا رجل يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه فلما اصبح الناس غدوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجون ان يعطاها فقال اين علي بن ابي
طالب فقال هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبري حتى كان لم يكن به
وجع فاعطاه الراية فقال علي يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ
على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من
حق الله فيه فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون
لك حمر النعم الحديث ولما تصاف القوم كان سيف عامر قصيرا فتناول به ساق
يهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فاصاب عين ركبة عامر فمات منه
فلما قفلوا قال سلمة يا رسول الله فداك ابي وامي زعموا ان عامرا حبط عمله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب من قاله وان له اجرين وجمع بين اصبعيه
انه لجاهد مجاهد رواه البخاري ايضا وعن يزيد ابن ابي عبيد قال رايت
اثر ضربة بساق سلمة فقلت ما هذه الضربة قال هذه ضربة اصابتها
يوم خيبر فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما
اشتكيتها حتى الساعة اخرجه البخاري وعنده ايضا عن ابي هريرة شهدنا
خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من معه يدعي الاسلام
هذا من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل اشد القتال حتى كثرت
به الجراح فكاد بعض الناس يرتاب فوجد الرجل الم الجراحة فاهوى بيده
الى كنانته فاستخرج منها سهما فنحر بها نفسه فاشتد رجال من المسلمين فقالوا
يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال قم يا فلان فأذن

الصلاة والسلام

لا يدخل الجنة الا مومن وان الله يويد هذا الدين بالرجل الفاجر وفي رواية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان الرجل ليعمل بعمل اهل
الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار الحديث وقاتل النبي صلى الله عليه
وسلم اهل خيبر وقاتلوه اشد القتال واستشهد من المسلمين خمسة عشر
وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون وفتحها الله عليه حصنا حصنا وهي
النطاة وحصن الصعب وحصن ناعم وحصن قلعة الزبير والشق وحصن
ابي وحصن البرا والقموص والوطيح والسلالم وهو حصن بني ابي الحقيق واخذ
كنز ال ابي الحقيق الذي كان في مسك الحمار وكان قد غيبوه في خربة فدل الله
رسوله عليه فاستخرجه وقلع علي باب خيبر ولم يحركه سبعون رجلا الا بعد
جهد وفي رواية ابن اسحق سبعة واخرجه من طريقه البيهقي في الدلائل
ورواه الحاكم وعنه البيهقي من جهة ليث بن ابي سليم عن ابي جعفر محمد بن علي
ابن حسين عن جابر ان عليا حمل الباب يوم خيبر وانه جرب بعد ذلك فلم
يحمله اربعون رجلا وليث ضعيف وفي رواية البيهقي ان عليا لما انتهى الى
الحصن اجتبذ احد ابوابه فالقاه بالارض فاجتمع عليه بعده منا سبعون
رجلا فكان جهدهم ان اعادوا الباب مكانه قال شيخنا وكلها واهية ولذا انكره
بعض العلماء انتهى وفي البخاري تزوج عليه الصلاة والسلام بصفية بنت
حيي بن اخطب وكان قد قتل زوجها كنانة بن الربيع بن ابي الحقيق وكانت
عروسا فذكر له جمالها فاصطفاها لنفسه فخرج بها حتى بلغت سد الصهبا
حلت له يعني طهرت من الحيض فبنى بها عليه الصلاة والسلام فصنع حيسا
في نطع صغير ثم قال لانس اذن من حولك فكانت تلك وليمته على صفية
ثم خرجنا الى المدينة فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يحوي لها وراءه بعباءة
ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب
وفي رواية له فقال المسلمون احدى امهات المومنين او ما ملكت يمينه قالوا
ان حجبها فهي احدى امهات المومنين وان لم يحجبها فهي ما ملكت يمينه فلما ارتحل
وطأ لها ومد الحجاب وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قتل المقاتلة وسبى الذرية
وكان في السبي صفية فصارت الى دحية الكلبي ثم صارت الى النبي صلى الله
عليه وسلم فجعل عتقها صداقها وفي رواية فاعتقها وتزوجها وفي رواية فقال
صلى الله عليه وسلم لدحية خذ جارية من السبي غيرها وفي رواية لمسلم انه
صلى الله عليه وسلم اشترى صفية منه بسبعة ارؤس واطلاق الشراء على ذلك
على سبيل المجاز وليس في قوله سبعة ارؤس ما ينافي قوله في رواية البخاري خذ
جارية من السبي غيرها اذ ليس هنا دلالة على نفي الزيادة والله اعلم وانما اخذ

السلام

السخاوي

بلغ

صلى الله عليه وسلم صفية لانها بنت ملك من ملوكهم وليست ممن يوهب لدحية
لكثرة من كان من الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها
فلو خصه بها لامكن تغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاص
عليه الصلاة والسلام بها فان في ذلك رضى الجميع وليس ذلك من الرجوع في الهبة في
شي انتهى وقال مغلطاي وغيره وكانت صفية قبل رات ان القمر سقط في حجرها
فتؤول بذلك قال الحاكم وكذا جرى لجويرية وفي هذه الغزوة حرم النبي صلى
الله عليه وسلم لحوم الحمر الاهلية كما في البخاري ولفظه فلما امسى الناس مسا اليوم
الذي فتحت عليهم يعني خيبر وقدوا نيرانا كثيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما هذه النيران على اي شي توقدون قالوا على لحم قال اي لحم قالوا لحم حمر الانسية
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اهريقوها واكسروها فقال رجل يا رسول الله او
نهريقها ونغسلها قال او ذاك والمشهور في الانسية كسر الهمزة منسوبة الى الانس
وهم بنو ادم وحكي ضم الهمزة ضد الوحشة ويجوز فتحها والنون ايضا مصدر
انست به انس انسا وانسة وفي رواية نهى يوم خيبر عن اكل الثوم وعن لحوم
حمر الاهلية وفي رواية نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الاهلية ورخص في الخيل
قال ابن ابي اوفى فتحدثنا انه انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال بعضهم نهى
عنها البتة لانها كانت تاكل العذرة قال العلما وانما امر باراقتها لانها نجسة
محرمة وقيل انما نهى عنها للحاجة اليها وقيل لاخذها قبل القسمة وهذان التاويلان
للقائلين باباحة لحومها والصواب ما قدمناه واما قوله صلى الله عليه وسلم
اكسروها فقال رجل او نهريقها ونغسلها قال او ذاك فهذا محمول على انه صلى الله
عليه وسلم اجتهد في ذلك فراى كسرها ثم تغير اجتهاده واوحي اليه بغسلها
ولحوم الخيل فاختلف العلما في اباحتها فمذهب الشافعي والجمهور من السلف
والخلف انه مباح لا كراهة فيه وبه قال عبد الله بن الزبير وانس بن مالك
واسما بنت ابي بكر وفي صحيح مسلم عنها قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاكلناه ونحن بالمدينة وفي رواية الدارقطني فاكلناه نحن
واهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قال في فتح الباري ويستفاد من قولها
ونحن بالمدينة انه ذلك بعد فرض الجهاد فيرد على من استند على منع اكلها
لعلة انها من الات الجهاد ومن قولها واهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم الرد
على من زعم انه ليس فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم اطلع على ذلك مع ان ذلك
لو لم يرد لم يظن بال ابي بكر انهم يقدمون على فعل شي في زمنه صلى الله عليه وسلم
الا وعندهم العلم بجوازه لشدة اختلاطهم به عليه الصلاة والسلام وعدم مفارقتهم
له هذا مع توفر داعية الصحابة الى سؤاله عليه الصلاة والسلام عن الاحكام

ومن

ومن ثم كان الراجح ان الصحابي اذا قال كنا نفعل كذا على عهده عليه الصلاة والسلام
كان له حكم الرفع لان الظاهر اطلاعه صلى الله عليه وسلم على ذلك وتقريره واذا
كان ذلك في مطلق الصحابة فكيف بال ابي بكر وقال الطحاوي ذهب ابو حنيفة
الى كراهة اكل الخيل وخالفه صاحباه وغيرهما واحتجوا بالاخبار المتواترة في حلها
انتهى وقد نقل بعض التابعين الحل عن الصحابة مطلقا من غير استثنا احد
فاخرج ابن ابي شيبة بسند صحيح على شرط الشيخين عن عطا قال لم يزل سلفك
ياكلونه قال ابن جريج قلت له اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم واما
ما نقل في ذلك عن ابن عباس من كراهتها فاخرجه ابن ابي شيبة وعبد الرزاق بسندين
ضعيفين وقال ابو حنيفة في الجامع الصغير اكره لحوم الخيل فحمله ابو بكر الرازي
على التنزيه وقال لم يطلق ابو حنيفة فيه التحريم وليس هو عنده كالحمار الاهلي
وصحح اصحاب المحيط والهداية والذخيرة عنه التحريم وهو قول اكثرهم وقال
القرطبي في شرح مسلم مذهب مالك الكراهة وقال الفاكهاني المشهور عند
المالكية الكراهة والصحيح عند المحققين منهم التحريم وقال ابن ابي جمرة الدليل
على الجواز مطلقا واضح لكن سبب كراهة مالك لاكلها لكونها تستعمل غالبا في الجهاد
فلو انتفت الكراهة لكثر استعماله ولو كثر لافضى الى فنائها فيؤول الى النقص
من ارهاب العدو الذي وقع الامر به في قوله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون
فعلى هذا فالكراهة بسبب خارج وليس البحث فيه فان الحيوان المتفق على اباحته
لو حدث امر يقتضي ان لو ذبح لافضى الى ارتكاب محذور لامتنع ولا يلزم من
ذلك القول بتحريمه انتهى واما قول بعض المانعين لو كانت حلالا لجازت
الاضحية بها فمنتقض بحيوان البر فانه ماكول ولم تشرع الاضحية به ولعل حديث
خالد بن الوليد عند ابي داود والنسائي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لحوم الخيل
والبغال والحمير فضعيف ولو سلم ثبوته لا ينهض معارضا لحديث جابر الدال على
الجواز وقد وافقه حديث اسما وقد ضعف حديث خالد بن الوليد احمد والبخاري
والدارقطني والخطابي وابن عبد البر وعبد الحق واخرون وزعم بعضهم ان
حديث جابر دال على التحريم لقوله رخص لان الرخصة استباحة المحظور مع قيام
المانع فدل على انه رخص لهم بسبب المخمصة التي اصابتهم بخيبر فلا يدل ذلك
على الحل المطلق واجيب بان اكثر الروايات جا بلفظ الاذن كما رواه مسلم وفي
رواية له اكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش ونهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن
الحمار الاهلي وعند الدارقطني من حديث ابن عباس نهانا صلى الله عليه وسلم
عن الحمر الاهلية وامر بلحوم الخيل فدل على ان المراد بقوله رخص اذن ونوقض
ايضا بالاذن في اكل الخيل ولو كان رخصة لاجل المخمصة لكانت الحمر الاهلية اولى

Copyright ... University

بذلك لكثرتها وعزة الخيل حينئذ فدل على ان الاذن في اكل الخيل انما كان للاباحة
العامة لا لخصوص الضرورة وقد نقل عن مالك وغيره من القائلين بالتحريم
انهم احتجوا للمنع بقوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقرروا
ذلك باوجه احدها ان اللام للتعليل فدل على انها لم تخلق لغير ذلك لان العلة
المنصوصة تفيد الحصر فاباحة اكلها يقتضي خلاف ظاهر الاية ثانيها عطف
البغال والحمير فدل على اشتراكها معها في حكم التحريم فيحتاج من افرد حكم ما عطف
عليها الى دليل ثالثها ان الاية سيقت مساق الامتنان فلو كان ينتفع بها في الاكل
لكان الامتنان به اعظم والحكيم لا يمتن بادنى النعم ويترك اعلاها ولا سيما وقد
وقع الامتنان بالاكل في المذكورات قبلها رابعها لو ابيح اكلها لفاتت المنفعة
بها فيما وقع به الامتنان في الركوب والزينة واجيب بان اية النحل مكية اتفاقا
والاذن في اكل الخيل كان بعد الهجرة من مكة باكثر من ست سنين فلو فهم النبي
صلى الله عليه وسلم المنع لما اذن في الاكل وايضا فاية النحل ليست نصا في منع الاكل
والحديث صريح في جوازه وايضا فلو سلمنا ان اللام للتعليل لم نسلم افادة الحصر
في الركوب والزينة فانه ينتفع بالخيل في غيرها وفي غير الاكل اتفاقا وانما
ذكر الركوب والزينة لكونهما اغلب ما تطلب له الخيل ونظيره حديث
البقرة المذكورة في الصحيحين حين خاطبت راكبها فقال لم اخلق لهذا
وانما خلقت للحرث فانه مع كونه اصرح في الحصر ما يقصد به الا الاغلب
والا فهي تؤكل وينتفع بها في اشياء غير الحرث اتفاقا وقال البيضاوي
واستدل بها اي باية النحل على حرمة لحومها ولا دليل فيها اذ لا يلزم من
تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا انتهى وايضا
فلو سلم الاستدلال للزم منع حمل الاثقال على الخيل والبغال والحمير ولا قائل
به واما عطف البغال والحمير فدلالة العطف انما هي دلالة اقتران وهي ضعيفة
واما انها سيقت مساق الامتنان فالامتنان انما يقصد به غالب ما كان يقع
به انتفاعهم بالخيل فخوطبوا بما الفوا وعرفوا ولم يكونوا يعرفون اكل الخيل
لعزتها في بلادهم بخلاف الانعام فان اكثر انتفاعهم بها كان لحمل الاثقال وللاكل
فاقتصر في كل الصنفين على الامتنان باغلب ما ينتفع به فلو لزم من
ذلك الحصر في هذا الشق لاضر واما قولهم لو ابيح اكلها لفاتت المنفعة بها
الى اخره فاجيب عنه بانه لو لزم من الاذن في اكلها ان تفنى للزم مثله في البقر
وغيرها مما ابيح اكله ووقع الامتنان به وانما اطلت في ذلك لامر اقتضاه والله (بلغ)
اعلم وفي هذه الغزوة نهى صلى الله عليه وسلم عن اكل ذي ناب من السباع
وعن بيع المغانم حتى تقسم وان لا توطا جارية حتى تستبرا وفي هذه الغزوة

سمت النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت الحارث امراة سلام ابن مشكم كما في
البخاري من حديث ابي هريرة ولفظه لما فتحت خيبر اهديت للنبي صلى الله
عليه وسلم شاة فيها سم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوا الي من كان
ها هنا من اليهود فجمعوا اليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سائلكم
عن شيء فهل انتم صادقون عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا
كما عرفته في ابينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل النار فقالوا
نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخسؤوا فيها والله لا نخلفكم فيها ابدا ثم قال لهم هل انتم صادقوني عن شيء ان
سالتكم عنه فقالوا نعم فقال هل جعلتم في هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ما حملكم
على ذلك فقالوا اردنا ان كنت كذابا ان نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك
وفي حديث جابر عند ابي داود ان يهودية من اهل خيبر سمت شاة مصلية ثم اهدتها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل منها
واكل رهط من اصحابه معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم
وارسل الى اليهودية فقال سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال اخبرتني
هذه في يدي للذراع فقالت نعم قلت ان كان نبيا فلن يضره وان كان لم يكن
نبيا استرحنا منه فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي اصحابه
الذين اكلوا من الشاة واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل
الذي اكل من الشاة وفي رواية غيره جعلت زينب بنت الحارث امراة ابن
مشكم تسال اي الشاة احب الى محمد فيقولون الذراع فعمدت الى عنز لها
فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم لا يبطئ ولا يلبث ان يقتل من ساعته وقد شاورت
يهود في سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت الشاة واكثرت في
الذراعين والكتف فوضعت بين يديه ومن حضر من اصحابه وفيهم بشر
ابن البراء وتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها وتناول
بشر بن البراء ما في فيه واكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان
هذه الذراع تخبرني انها مسمومة وفيه ان بشر بن البراء مات وفيه انه دفعها
صلى الله عليه وسلم الى اولياء بشر بن البراء فقتلوها قاله الدمياطي فلذا اختلف
هل عاقبها صلى الله عليه وسلم فعند البيهقي من حديث ابي هريرة فما عرض لها
ومن طريق ابي نضرة عن جابر نحوه قال فلم يعاقبها وقال الزهري اسلمت فتركها
قال البيهقي يحتمل ان يكون تركها اولا ثم لما مات بشر بن البراء من الاكلة قتلها
وبذلك اجاب السهيلي وزاد انه تركها لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها
ببشر قصاصا ويحتمل ان يكون لكونها اسلمت وانما اخر قتلها حتى مات بشر لان

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ابوكم قالوا ابونا فلان
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذبتم بل ابوكم فلان فقالوا
صدقت وبررت فقال
انتم صادقون عن شيء
عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم

لا يبطئ

عظما اخر فانتهش منه فلما ازدرد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقمته ازدرد بشر بن البراء ما في فيه

بموته يتحقق وجوب القصاص بشرطه   مغازي سليمان التيمي انها قالت ان كنت
كاذبا ارحت الناس منك وقد استبان لي الآن انك صادق وانا اشهدك ومن حضر
اني على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال فانصرف عنها
حين اسلمت وفيه موافقة الزهري على اسلامها وفي هذه الغزوة نام الامام صلى الله
عليه وسلم عن صلاة الفجر لما وكل بلالا كما في حديث ابي هريرة عند مسلم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزوة خيبر سار ليلة حتى ادركه الكرى
عرس وقال لبلال اكلأ لنا الليل فصلى بلال ما قدر له ونام صلى الله عليه وسلم
واصحابه فلما تقارب الفجر استند بلال الى راحلته مواجهة الفجر فغلبت بلالا
عيناه وهو مستند الى راحلته فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا بلال ولا واحد من اصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اولهم استيقاظا فقال اي بلال فقال بلال اخذ بنفسي الذي اخذ
بابي انت وامي يا رسول الله بنفسك قال اقتادوا فاقتادوا رواحلهم شيئا ثم توضأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر بلالا فاقام الصلاة فصلى بهم الصبح فلما
قضى الصلاة قال من نسي الصلاة فليصلها اذا ذكرها قال الله تعالى اقم الصلاة
لذكري وفيها قدم جعفر ومن معه من الحبشة واختلف فتح خيبر هل كان
عنوة او صلحا وفي حديث عبد العزيز ابن صهيب عن انس التصريح بانه
كان عنوة وبه جزم ابن عبد البر ورد على من قال فتحت صلحا قال وانما
دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحا بالحصنين الذين اسلمها اهلها لتحقن
دماءهم وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك الا بحصار وقتال انتهى ثم فتحا
وادي القرى   في جمادى الآخرة بعد ما اقام بها اربعا حاصرها وقاتل اكثر من
ذلك واصاب مدعما مولاه سهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الشملة التي غلها
من خيبر لتشتعل عليه نارا وصالحه اهلها على الجزية قاله الحافظ مغلطاي
ثم سرية عمر بن الخطاب   الى تربة في شعبان سنة سبع ومعه ثلاثون
رجلا فخرج معه دليل من بني هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار فاتى الخبر
الى هوازن فهربوا وجاء عمر بن الخطاب الى محالهم فلم يلق منهم احدا فانصرف
راجعا الى المدينة ثم سرية ابو بكر الصديق الى بني كلاب ناحية ضرية
في شعبان سنة سبع وقيل الى فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين وفي
صحيح مسلم فزارة وهو الصواب   ثم سرية بشير بن سعد الانصاري الى بني
مرة بفدك في شعبان سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا فقتلوا وقاتل بشير حتى ارتث
وضرب كعبه وقيل قد مات وقدم ابن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم قدم بعد بشير ابن سعد ثم سرية غالب بن عبد الله الى الميفعة

بناحية

بناحية نجد من المدينة على ثمانية برد في شهر رمضان سنة سبع من الهجرة
في مائتين وثلاثين رجلا فهجموا عليهم في وسط محالهم فقتلوا من اشرف منهم
واستاقوا نعما وشاء الى المدينة قالوا وفي هذه السرية قتل اسامة بن زيد
نهيك بن مرداس بعد ان قال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا شققت عن قلبه فتعلم اصادق ام كاذب فقال اسامة
لا اقاتل احدا يشهد ان لا اله الا الله وفي الاكليل فعل ذلك اسامة في سرية
كان هو اميرا عليها سنة ثمان وفي البخاري عن ابي ظبيان قال سمعت
اسامة بن زيد يقول بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة
فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما
غشيناه قال لا اله الا الله فكف الانصاري عنه فطعنته برمحي حتى قتلته
فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا
الله قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت اني لم اكن اسلمت قبل ذلك اليوم
ثم سرية بشير بن سعد الانصاري ايضا الى يمن وجبار بفتح الجيم وهي ارض لغطفان
وقيل لفزارة وعذرة في شوال سنة سبع من الهجرة وبعث معه ثلثمائة
رجل لجمع تجمعوا للاغارة على المدينة فساروا الليل وكمنوا النهار فلما بلغهم مسير بشير
هربوا واصابوا لهم نعما كثيرة فغنموها واسر رجلين وقدم بهما الى المدينة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما ثم عمرة القضية وسميت عمرة القضاء لانه
قاضى فيها قريشا لا لانها قضاء عن العمرة التي صد عنها لانها لم تكن فسدت
حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة ولهذا عدوا عمر النبي صلى الله عليه وسلم
اربعا كما سياتي ان شاء الله تعالى وقال آخرون بل كانت قضاء عن العمرة
الاولى وعدوا عمرة الحديبية في العمر لثبوت الاجر فيها لا لانها كملت وهذا
الخلاف مبني على الاختلاف في وجوب القضاء على من اعتمر فصد عن البيت
فقال الجمهور يجب عليه الهدي ولا قضاء عليه وعن ابي حنيفة عكسه
وعن احمد رواية انه لا يلزمه هدي ولا قضاء واخرى يلزمه القضاء
والهدي فحجة الجمهور قوله تعالى فان احصرتم فما استيسر من الهدي
وحجة ابي حنيفة ان العمرة تلزم بالشروع فاذا احصر جاز له تاخيرها
فاذا زال الحصر اتى بها ولا يلزم من التحلل بين الاحرامين سقوط القضاء
وحجة من اوجبهما ما وقع للصحابة فانهم نحروا الهدي حيث صدوا واعتمروا
من قابل وساقوا الهدي وحجة من لم يوجبهما ان تحللهم بالحصر
لم يتوقف على نحر الهدي بل امر من معه هدي ان ينحره ومن ليس
معه هدي ان يحلق انتهى قال الحاكم في الاكليل تواترت الاخبار انه

بلغ

صلى الله عليه وسلم لما هل ذو القعدة يعني سنة سبع امر اصحابه ان يعتمروا
قضا لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية وان لا يتخلف احد ممن شهد
الحديبية فلم يتخلف منهم الا رجال استشهدوا بخيبر ورجال ماتوا وخرج
معه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين الفان واستخلف على المدينة
ابا رهم الغفاري وساق عليه الصلاة والسلام ستين بدنة وحمل السلاح والبيض
والدروع والرماح وقاد مائة فرس فلما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخيل امامه
عليها محمد بن مسلمة وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد واحرم
صلى الله عليه وسلم ولبى والمسلمون يلبون ومضى محمد بن مسلمة
في الخيل الى مر الظهران فوجد بها نفرا من قريش فسالوه فقال هذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا ان شا الله تعالى فاتوا قريشا
فاخبروهم ففزعوا ونزل رسول الله صلى الله عليه بمر الظهران وقدم
السلاح الى بطن ياجج ليسمع ويبصر ويضرب موضع بمكة حيث ينظر الى
انصاب الحرم وخلف عليه اوس بن خولي الانصاري في مائتي رجل وخرجت
قريش من مكة الى رؤس الجبال وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي
امامه فحبس بذي طوى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته
القصوى والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله صلى الله عليه
وسلم يلبون فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون وابن رواحة اخذ بزمام
راحلته وفي رواية الترمذي في الشمائل من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم
دخل مكة في عمرة القضا وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول شعرا
فقال صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي اسرع فيهم من نضح النبل ورواه
عبد الرزاق من حديث انس ايضا من وجهين بلفظ خلوا بني الكفار عن سبيله
قد انزل الرحمن في تنزيله بان خير القتل في سبيله نحن قتلناكم على تاويله
كما قتلناكم على تنزيله واخرجه الطبراني والبيهقي في الدلائل وفيه
اليوم نضربكم على تنزيله ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
وعند عقبة في المغازي بعد قوله قد انزل الرحمن في تنزيله في صحف
تكتم لم يذكر لسان وزاد ابن اسحق بعد قوله قد انزل الرحمن في تنزيله
يا رب اني مؤمن بقيله اني رايت الحق في قبوله وقال ابن هشام ان قوله
نحن ضربناكم على تاويله الى اخر الشعر من قول عمار بن ياسر قاله يوم صفين

قالوا

قالوا ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي حتى استلم الركن بمحجنه
مضطبعا بثوبه وطاف على راحلته والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا
بثيابهم وفي البخاري عن ابن عباس قال المشركون انه قدم عليكم وقد وهنتهم
حمى يثرب فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يرملوا الاشواط كلها الا الابقا عليهم
وفي رواية قال ارملوا ليرى المشركون قوتكم والمشركون من قبل قعيقعان
ومعنى قوله الا الابقا عليهم ثم طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
الصفا والمروة على راحلته فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف
الهدي عند المروة قال هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر فنحر عند المروة
وحلق هناك وكذلك فعل المسلمون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ناسا منهم الى اصحابه ببطن ياجج فيقيمون على السلاح ويأتي الاخرون فقضوا
نسكهم ففعلوا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا وفي البخاري
من حديث البرا فلما دخلها يعني مكة ومضى الاجل اتوا عليا فقالوا قل لصاحبك
اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة
حمزة تنادي يا عم يا عم فتناولها علي فاخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك
فاختصم فيها علي وزيد وجعفر قال علي انا اخذتها وهي ابنة عمي وقال
جعفر ابنة عمي وخالتها تحتي وقال زيد بنت اخي فقضى بها النبي صلى الله عليه
وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام الحديث وانما اقرهم النبي صلى الله عليه
وسلم على اخذها مع اشتراط المشركين ان لا يخرج باحد من اهلها اراد الخروج
لانهم لم يطلبوها وقوله الخالة بمنزلة الام اي في هذا الحكم الخاص لانها تقرب
منها في الحنو والشفقة والاهتدا الى ما يصلح الولد ويوخذ منه ان الخالة
في الحضانة مقدمة على العمة لان صفية بنت عبد المطلب كانت موجودة
حينئذ واذا قدمت على العمة مع كونها اقرب العصبات من النسا فهي
مقدمة على غيرها ويوخذ منه تقديم اقارب الام على اقارب الاب انتهى و
قال ابن عباس وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو محرم وبنى بها
وهو حلال وقد استدرك ذلك على ابن عباس وان كانت خالته ما تزوجها
صلى الله عليه وسلم الا بعد ما حل ذكره البخاري ووهل بكسر الهاء اي غلط
وقال يزيد بن الاصم عن ميمونة تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن حلالان بسرف رواه مسلم وسياتي في الخصائص من مقصد معجزاته
ان شا الله تعالى ان له صلى الله عليه وسلم النكاح في حالة الاحرام على اصح
الوجهين عند الشافعية ثم سرية ابن ابي العوجا السلمي الى بني
سليم في ذي الحجة سنة سبع في خمسين رجلا فاحدق بهم الكفار من كل ناحية

الثلاث وان يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعه ان يرملوا الاشواط كلها

اي لم يمنعه من امرهم بالرمل في جميع الطوفات الا الارفاق بهم والاشفاق عليهم

٢ تحتي ٢

وعند من وجهه قال سعيد ابن المسيب وهل ر

وقاتل القوم قتالا شديدا حتى قتل عامتهم واصيب ابن ابي العوجاء جريحا مع القتلى
ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول صفر سنة ثمان
ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي الى بني الملوح بالكديد بفتح
الكاف في صفر سنة ثمان من مهاجرة فغنموا وفي هذا الشهر قدم خالد بن الوليد
وعثمان بن ابي طلحة وعمرو بن العاص المدينة فاسلموا وقال ابن ابي خيثمة
كان ذلك سنة خمس وقال الحاكم سنة سبع ثم سرية غالب ايضا الى
مصاب اصحاب بشير بن سعد بفدك في صفر سنة ثمان ومعه مايتا رجل
فاغاروا عليهم مع الصبح وقتلوا منهم قتلى واصابوا نعما ثم سرية شجاع بن
وهب الاسدي الى بني عامر بالسي ماء من ذات عرق الى وجرة على ثلاث
مراحل من مكة الى البصرة وخمس من المدينة في شهر ربيع الاول سنة ثمان
ومعه اربعة وعشرون رجلا الى جمع من هوازن وامره ان يغير عليهم فكان
يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فاصابوا نعما وشاء واستاقوا ذلك حتى
قدموا المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة وكانت
سهامهم خمسة عشر بعيرا وعدلوا البعير بعشر من الغنم ثم سرية كعب
ابن عمير الغفاري الى ذات اطلاح وراء ذات القرى في ربيع الاول سنة ثمان
في خمسة عشر رجلا فساروا حتى انتهوا الى ذات اطلاح فوجدوا جمعا كثيرا
فقاتلهم الصحابة اشد القتال حتى قتلوا وافلت منهم رجل جريح في القتلى قال
مغلطاي قيل هو الامير فلما برد عليه الليل تحامل حتى اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبره الخبر فشق ذلك عليه وهم بالبعث اليهم فبلغه انهم
ساروا الى موضع آخر فتركهم ثم سرية مؤتة بضم الميم وسكون الواو بغير
همز لاكثر الرواة وبه جزم المبرد وجزم ثعلب والجوهري وابن فارس بالهمز
بالهمز وحكى غيرهم الوجهين وهي من عمل البلقاء بالشام دون دمشق
في جمادى الاولى سنة ثمان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
ارسل الحارث بن عمير الازدي بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل مؤتة عرض
له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
رسول غيره فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة
الاف وقال ان قتل فجعفر بن ابي طالب فان قتل فعبد الله بن رواحة فان
قتل فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلوه عليهم وفي حديث عبد الله
ابن جعفر عند احمد والنسائي باسناد صحيح ان قتل زيد فاميركم جعفر
الحديث قالوا وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لواء ابيض ودفعه الى زيد
ابن حارثة واوصاهم ان يأتوا مقتل الحارث بن عمير وان يدعوا من هناك

الى

بلغ

الى الاسلام فان اجابوا والا استعينوا عليهم بالله وقاتلوهم وخرج مشيعا لهم حتى
بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم
صالحين غانمين فقال ابن رواحة لكنني اسال الرحمن مغفرة وضربة ذات
فرغ تقذف الزبدا فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم
وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع اكثر من مائة الف وقدم الطلايع امامه
وقد نزل المسلمون معان بفتح الميم موضع من ارض الشام وبلغ الناس
كثرة العدو وتجمعهم وان هرقل نزل بارض البلقاء في مائة الف من المشركين
فاقاموا ليلتين لينظروا في امرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنخبره الخبر فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضي فمضوا الى مؤتة
ووافاهم المشركون فجاءهم ما لا قبل لاحد به من العدد والسلاح والكراع
والديباج والحرير والذهب والتقى المسلمون والمشركون فقاتل الامراء
يوميذ على ارجلهم فاخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل وقاتل المسلمون معه
على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح ثم اخذ اللواء جعفر بن ابي طالب فنزل
عن فرس له شقراء فقاتل حتى قتل ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين
فوجد في احد نصفيه بضعة وثمانون جرحا وفيما اقبل من بدنه اثنين
وسبعين ضربة بالسيف وطعنة رمح قال في رواية ووجد فانا في جسده
بضعا وتسعين من طعنة ورمية وفي رواية ان ابن عمر وقف على جعفر
يوميذ وهو قتيل قال فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس
منها شي في دبره وذكر ابن اسحق باسناد حسن وهو عند ابي داود من
طريقه عن رجل من مرة والله لكاني انظر الى جعفر بن ابي طالب حين
اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم تقدم فقاتل حتى قتل قالوا ثم اخذ اللواء
عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل فاخذ اللواء ثابت بن اقرم العجلاني الى ان
اصطلح الناس على خالد بن الوليد فاخذ اللواء وانكشف الناس فكانت
الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين وقال الحاكم قاتلهم
خالد بن الوليد فقتل منهم مقتلة عظيمة واصاب غنيمة وقال ابن سعد
انما انهزم بالمسلمين وقال ابن اسحق انحازت كل طايفة من غير هزيمة
ورفعت الارض لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر الى معترك
القوم وعن عبد الله بن الزبير قال حدثني ابي الذي ارضعني وكان
احد بني مرة قال شهدت مؤتة مع جعفر بن ابي طالب واصحابه
فرايت جعفر حين التحم القتال اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها وقاتل
القوم حتى قتل اخرجه البغوي في معجمه وقطعت في تلك الوقعة يداه

Copyright © King Saud University

جميعا ثم قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ابدله بيديه
جناحين يطير بهما في الجنة حيث شا اخرجه ابو عمر وفي البخاري عن عايشة
رضي الله عنها لما جا قتل ابن رواحة وابن حارثة وجعفر بن ابي طالب
جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف منه الحزن الحديث
واخرج الطبراني باسناد حسن عن عبد الله بن جعفر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هنيا لك ابوك يطير مع الملايكة في السما وعن
ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت
جعفر ابن ابي طالب يطير مع الملايكة اخرجه الترمذي والحاكم وفي اسناده
ضعف لكن له شاهد من حديث علي عند ابن سعد وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مر بي جعفر
الليلة في ملا من الملايكة وهو مخضب الجناحين بالدم اخرجه الترمذي
والحاكم باسناد على شرط مسلم واخرج ايضا هو والطبراني عن ابن عباس
مرفوعا دخلت البارحة الجنة فرايت فيها جعفر بن ابي طالب يطير مع
الملايكة وفي طريق اخرى عنه ان جعفر يطير مع جبريل وميكايل له جناحان
عوضه الله من يديه واسناده هذا جيد فقد عوضه الله تعالى عن قطع
يديه في هذه الوقعة حيث اخذ اللوا بيمينه فقطعت ثم اخذه بشماله
فقطعت ثم احتضنه فقتل قال السهيلي له جناحان ليسا كما سبق الى
الوهم كجناح الطاير وريشه لان الصورة الادمية اشرف الصور
واكملها فالمراد بالجناحين صفة ملكية وقوة روحانية اعطيها جعفر
وقد عبر القران عن العضو بالجناح توسعا في قوله واضمم يدك الى
جناحك وقال العلما في اجنحة الملايكة انها صفات ملكية لا تفهم الا
بالمعاينة فقد ثبت ان لجبريل ستماية جناح ولا يعهد للطير ثلاثة اجنحة فضلا
عن اكثر من ذلك واذا لم يثبت خبر في بيان كيفيتها فنومن بها من غير
بحث عن حقيقتها انتهى قال الحافظ ابن حجر في جعفر وهذا الذي جزم به
في مقام المنع والذي حكاه عن العلما ليس صريحا في الدلالة لما ادعاه ولا
مانع من الحمل على الظاهر الا من جهة ما ذكره من المعهود وهو قياس
الغايب على الشاهد وهو ضعيف وكون الصورة البشرية اشرف الصور
لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره لان الصورة باقية وقد روى البيهقي في الدلايل
من مرسل عاصم بن عمر بن قتادة ان جناحي جعفر من ياقوت وجا في جناحي
جبريل انهما من لولو اخرجه ابن منده في ترجمة ورقة وذكر موسى
ابن عقبة في المغازي ان يعلى بن منية قدم بخبر اهل موتة فقال له

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شيت فاخبرني وان شيت اخبرتك قال
اخبرني فاخبره خبرهم فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا لم
تذكره وعند الطبراني من حديث ابي اليسر الانصاري ان ابا عامر الاشعري هو
الذي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمصابهم ثم سرية عمرو بن العاص الى
ذات السلاسل وسميت بذلك لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض
مخافة ان يفروا وقيل لان بها ما يقال له السلسل وورا ذات القرى من المدينة
على عشرة ايام وكانت في جمادي الاخرة سنة ثمان وقيل كانت سنة سبع
وبه جزم ابن ابي خالد في كتاب صحيح التاريخ ونقل ابن عساكر الاتفاق على انها
كانت بعد غزوة موتة الا ابن اسحق فقال قبلها وسببها انه بلغه صلى
الله عليه وسلم ان جمعا من قضاعة قد تجمعوا للاغارة فعقد له لوا ابيض
وجعل معه راية سودا وبعثه في ثلثماية من سراة المهاجرين والانصار
ومعهم ثلاثون فرسا فسار الليل وكمن النهار فلما قرب منهم بلغه ان لهم جمعا
كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يستمده فبعث اليه ابا عبيدة ابن الجراح وعقد له لوا وبعث معه
مايتين من سراة المهاجرين والانصار فيهم ابو بكر وعمر رضي الله عنهم وامره ان
يلحق بعمرو وان يكونا جميعا ولا يختلفا فاراد ابا عبيدة ان يوم الناس فقال
عمرو انما قدمت علي مددا وانا الامير فاطاع له بذلك ابو عبيدة فكان عمرو
يصلي بالناس وسار حتى وصل الى العدو بلي وعذرة فحمل عليهم المسلمون فهربوا
من البلاد وتفرقوا ثم سرية ابي عبيدة ابن الجراح وسماها البخاري
غزوة سيف البحر وتعرف بسرية الخبط وبعث معه صلى الله عليه وسلم
ثلثماية كما في الصحيحين وغيرهما وهو المشهور لكن في رواية النسايي بضع
عشرة فان صحت هذه الرواية فلعله اقتصر في الرواية المشهورة على الثلثماية
استتبعها لالغا الكسر والاخذ بالزيادة مع صحتها واجب وكان فيهم عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يتلقى عير قريش رواه مسلم وعنده ايضا الى ارض جهينة
ولا منافاة بينهما فالجهة ارض جهينة والقصد تلقي عير قريش وهي الابل
المحملة طعاما او غيره لكن في كتب السير ان البعث الى حي بالبحر وبينها وبين
المدينة خمس ليال ولعل البعث للقصدين رصد عير قريش ومحاربة حي
من جهينة قال ابن سعد وكانت في رجب سنة ثمان وفيه نظر فان تلقي
عير قريش ما يتصور ان يكون في هذه المدة لانهم كانوا حينيذ في الهدنة
فالصحيح ان تكون هذه السرية في سنة ست او قبلها قبل هدنة الحديبية
نعم يحتمل ان يكون تلقيهم للعير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة ولهذا وقع

حي من جهينة بالقبلية بفتح القاف والموحدة يلي ساحل البحر

وشي من طرق الخبر انهم قاتلوا احدًا بل فيه انهم اقاموا نصف شهر او اكثر في مكان
واحد والله اعلم قاله الحافظ بن حجر لكن قال شيخ الاسلام ابن العراقي في شرح التقريب
قالوا كانت هذه السرية في شهر رجب سنة ثمان من الهجرة وذلك بعد نكث
قريش العهد وقبل الفتح فانه كان في رمضان من السنة المذكورة انتهى قالوا
وزودهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر فلما فني اكلوا الخبط
وهو بفتح المعجمة والموحدة بعدها مهملة ورق السلم وفي رواية ابي الزبير وكنا
نضرب بعصينا الخبط ونبله بالما فناكله وهذا يدل على انه كان يابسا خلافا
لمن زعم انه كان اخضر رطبا وقد كان معهم تمر غير الجراب النبوي ويدل عليه
حديث البخاري في الجهاد خرجنا ونحن ثلثمائة نحمل زادنا على رقابنا ففني زادنا
حتى كان الرجل منا ياكل تمرة تمرة وابتاع قيس بن سعد جزرا ونحرها لهم
واخرج الله لهم من البحر دابة تسمى العنبر فاكلوا منها وتزودوا ورجعوا ولم
يلقوا كيدا وفي رواية جابر عند الائمة الستة بعثنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلثمائة راكب اميرنا ابو عبيدة ابن الجراح فاقمنا على الساحل حتى فني زادنا
حتى اكلنا الخبط ثم ان البحر القى لنا دابة يقال لها العنبر فاكلنا منها نصف شهر
حتى صلحت اجسامنا فاخذ ابو عبيدة ضلعا من اضلاعه فنصبه ونظر الى
اطول بعير فجاز تحته الحديث زاد الشيخان في رواية فلما قدمنا المدينة
اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال هو رزق اخرجه الله
لكم فهل معكم شي من لحمه فتطعمونا قال فارسلنا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم منه فاكل ثم سرية ابي قتادة ابن ربعي الانصاري الى خضرة وهي ارض
محارب بنجد في شعبان سنة ثمان وبعث معه خمسة عشر رجلا الى غطفان
فقتل من اشرف منهم وسبا سبيا كثيرا واستاق النعم فكانت الابل مائتي بعير
والغنم الفي شاة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة ثم سرية ابي قتادة ايضا
الى بطن اضم فيما بين ذي خشب وذي المروة على ثلاثة برد من المدينة في
اول شهر رمضان سنة ثمان وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما هم ان يغزو
اهل مكة بعث ابا قتادة في ثمانية نفر سرية الى بطن اضم ليظن ظان انه
صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية ولان تذهب بذلك الاخبار
فلقوا عامر بن الاضبط فسلم عليهم بتحية الاسلام فقتله محلم بن جثامة ثم بردين
فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا غفر الله لك فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه فما
مضت له سابعة حتى مات فلفظته الارض وعند غيره ثم عادوا واعادوه فلفظته
الارض فلما غلب قومه عمدوا الى صدين فسطحوه ثم رضموا عليه الحجارة

حتى

٨٥

حتى واروه وفي رواية ابن حبان فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن يريد الله ان يعظكم وبعث
ابن اسحق هذه السرية لابن ابي حدرد ومعه رجلان الى الغابة لما بلغه صلى
الله عليه وسلم ان رفاعة بن قيس يجمع لحربه فقتلوا رفاعة وهزموا
عسكره وغنموا غنيمة عظيمة حكاه مغلطاي ثم فتح مكة زادها الله شرفا
وهو كما قال في زاد المعاد الفتح الاعظم الذي اعز الله به دينه ورسوله وجنده
وحرمه الامين واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من
ايدي الكفار والمشركين وهو الفتح الذي استبشر به اهل السما وضربت اطناب
عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس في دين الله افواجا واشرق به وجه
الدهر ضيا وابتهاجا خرج له صلى الله عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود
الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع بالحديبية فانه كان قد وقع الشرط
انه من احب ان يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل
ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر في عقد
قريش وعهدهم ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعهده وكان بين بني بكر وخزاعة حروب وقتلى في الجاهلية فتشاغلوا
عن ذلك لما ظهر الاسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معوية الديلي من
بني بكر في بني الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يقال له الوتير فاصاب
منهم رجلا يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى ان دخلوا
الحرم ولم يتركوا القتال وامدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم
ليلا في خفية وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في اربعين راكبا من خزاعة فقدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذي اصابهم ويستنصرونه
فقام وهو يجر رداءه وهو يقول لا نصرت ان لم انصركم بما انصر منه نفسي
وفي المعجم الصغير للطبراني من حديث ميمونة انها سمعته صلى الله
عليه وسلم يقول في متوضئه ليلا لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا ثلاثا
فلما خرج قلت يا رسول الله سمعتك تقول في متوضئك لبيك لبيك
ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا كانك تكلم انسانا فهل كان معك احد فقال صلى الله
عليه وسلم هذا راجز بني كعب يستصرخني ويزعم ان قريشا اعانت عليهم
بني بكر ثم خرج عليه الصلاة والسلام فامر عائشة ان تجهزه ولا تعلم احدا
قالت فدخل عليها ابو بكر فقال يا بنية ما هذا الجهاز فقالت والله ما ادري
فقال والله ما هذا زمان غزو بني الاصفر فاين يريد رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت والله لا علم لي قالت فاقمنا ثلاثا ثم صلى الصبح في الناس فسمعت

بلغ

الدئلي بكسر الدال المهملة وسكون اليا التحتية

Copyright King Saud University

الراجز ينشده * يا رب اني ناشد محمدا * حلف ابينا وابيه الاتلدا *
ان قريشا اخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك الموكدا *
وزعموا ان لست تدعو احدا * فانصر هداك الله نصرا * ابدا
وادعوا عباد الله ياتوا مددا * فيهم رسول الله قد تجردا *
ان سيم خسفا وجهه تربدا * قال في القاموس *

وتربد اي تغير انتهى وزاد ابن اسحق هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا * وزعموا ان لست تدعو احدا * وهم اذل واقل عددا * فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم فكان ذلك ما هاج فتح مكة وقد ذكر البزار من حديث ابي هريرة بعض الابيات المذكورة وقدم ابو سفيان بن حرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يساله ان يجدد العهد ويزيد في المدة فابى عليه وانصرف الى مكة وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير اعلام احد بذلك فكتب حاطب كتابا ارسله الى مكة يخبر بذلك فاطلع الله نبيه على ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لعلي بن ابي طالب والزبير والمقداد انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة قلنا اخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب قال فاخرجته من عقاصها فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب ابن ابي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرا ملصقا في قريش يقول كنت حليفا ولم اكن من انفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون اهليهم واموالهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم افعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد صدقكم فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الى قوله فقد ضل سواء السبيل رواه البخاري قال في فتح الباري وانما قال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض المنافقين فظن ان من خالف ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم استحق القتل لكنه لم يجزم

بذلك

٨٦

بذلك فلذلك استاذن في قتله واطلق عليه منافقا لكونه ابطن خلاف ما اظهره وعذر حاطب ما ذكره فانه صنع ذلك متاولا ان لا ضرر فيه وعند الطبري من طريق الحارث عن علي في هذه القصة فقال اليس قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فارشد الى علة ترك قتله وعند الطبري ايضا عن عروة فاني غافر لكم وهذا يدل على ان المراد بقوله غفرت اغفر على طريق التعبير عن الاتي بالواقع مبالغة في تحققه قال والذي يظهر ان هذا الخطاب خطاب اكرام وتشريف تضمن انهم حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتاهلوا ان يغفر لهم ما يستانف من الذنوب اللاحقة وقد اظهر الله تعالى صدق رسوله في كل من اخبر عنه بشيء من ذلك فانهم لم يزالوا على اعمال الجنة الى ان فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شيء من احدهم لبادروا الى التوبة ولازموا الطريقة المثلى ويعلم ذلك من احوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم قاله القرطبي وذكر بعض اهل المغازي وهو في تفسير يحيى بن سلام ان لفظ الكتاب الذي كتب حاطب اما بعد يا معشر قريش فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وانجز له فانظروا لانفسكم والسلام حكاه السهيلي وروى الواقدي بسند له مرسل ان حاطبا كتب الى سهيل بن عمرو وصفوان بن امية وعكرمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في الناس بالغزو ولا اراه يريد غيركم وقد احببت ان تكون لي عندكم يد انتهى وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من حوله من العرب فجلبهم اسلم وغفار ومزينة واشجع وسليم (وجهينة صح) فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة الاف وفي الاكليل وشرف المصطفى اثنى عشر الفا ويجمع بينهما بان العشرة الاف خرج بها من نفس المدينة ثم تلاحق به الالفان واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم وقيل ابا رهم الغفاري وخرج عليه الصلاة والسلام يوم الاربعاء لعشر ليال خلون من رمضان بعد العصر سنة ثمان من الهجرة قاله الواقدي وعند احمد باسناد صحيح عن ابي سعيد قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح لليلتين خلتا من شهر رمضان فافاد ان الواقدي ليس بقوي لمخالفته ما هو اصح منه وفي تعيين هذا التاريخ اقوال اخر منها عند مسلم لست عشرة ولاحمد لثماني عشرة وفي اخرى لثنتي عشرة والذي في المغازي دخل لسبع عشرة مضت وهو محمول على الاختلاف في اول الشهر ووقع في اخرى لتسع عشرة او سبع عشرة على الشك ولما بلغ صلى الله عليه وسلم

Copyright King Saud University

الكديد بفتح الكاف الماء الذي بين قديد وعسفان افطر فلم يزل مفطرا حتى انسلخ
الشهر رواه البخاري وفي اخري له انظر وافطر والحديث وكان العباس
قد خرج قبل ذلك باهله وعياله مسلما مهاجرا فلقي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالجحفة وكان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله
عليه وسلم عنه راض وكان ممن لقيه في الطريق ابو سفيان بن الحارث بن
عمه عليه الصلاة والسلام واخوه من رضاع حليمة السعدية ومعه ولده
جعفر بن ابي سفيان وكان ابو سفيان يالف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما بعث عاداه وهجاه وكان لقاوهما له عليه الصلاة والسلام بالابواء اسما صل
دخول مكة وقيل بل لقيه هو وعبد الله بن ابي امية بن عمته عاتكة بنت
عبد المطلب بين السقيا فاعرض صلى الله عليه وسلم عنهما لما كان يلقى منهما
من شدة الاذى والهجو فقالت له ام سلمة لا يكن ابن عمك وابن عمتك اشقى
الناس بك وقال علي لابي سفيان فيما حكاه ابو عمر وصاحب ذخائر العقبى
ايت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة
يوسف ليوسف تالله لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى ان
يكون احد احسن منه قولا ففعل ذلك ابو سفيان فقال له صلى الله عليه
وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ويقال انه
ما رفع راسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلم حياء منه قالوا
سار رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات
ودفعها الى القبايل ثم نزل بمر الظهران عشاء فامر اصحابه فاوقدوا عشرة
الاف نار ولم يبلغ قريشا مسيره وهم مغتمون لما يخافون من غزوه اياهم
فبعثوا ابا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء حتى اتوا مر
الظهران فلما راوا العسكر افزعهم وفي البخاري فاذا هم بنيران كانها نيران
عرفة فقال ابو سفيان ما هذه لكانها نيران عرفة فقال بديل بن ورقاء
نيران بني عمرو فقال ابو سفيان عمرو اقل من ذلك فراهم ناس من حرس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركوهم فاخذوهم فاتوا بهم الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسلم ابو سفيان بن حرب فلما سار قال للعباس
احبس ابا سفيان عند حطم الخيل حتى ينظر الى المسلمين فحبسه العباس
فجعلت القبايل تمر مع النبي صلى الله عليه وسلم تمر كتيبة كتيبة على ابي
سفيان فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه قال هذه غفار قال ما
لي ولغفار ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك حتى اقبلت كتيبة لم ير مثلها
قال من هذه قال هولاء الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية

والعرج صح

فقال

فقال سعد بن عبادة يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة
فقال ابو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار بالمعجمة المكسورة اي الهلاك
قال الخطابي تمنى ابو سفيان ان يكون له يد فيحمي قومه ويدفع عنهم وقيل
هذا يوم الغضب للحريم والاهل والانتصار لهم لمن قدر عليه وقيل هذا
يوم يلزمك حفظي وحمايتي من ان ينالني مكروه وقال ابن اسحق زعم بعض
اهل العلم ان سعدا قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل
من المهاجرين فقال يا رسول الله ما امن ان يكون لسعد في قريش صولة
فقال لعلي ادركه فخذ الراية منه فكن انت تدخل بها وقد روى الاموي في
المغازي ان ابا سفيان قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما حاذاه امرت بقتل
قومك قال لا فذكر له ما قال سعد بن عبادة ثم ناشده الله والرحم فقال
يا ابا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشا وارسل الى سعد فاخذ
الراية منه فدفعها الى ابنه قيس وعند ابن عساكر من طريق ابي الزبير
عن جابر قال لما قال سعد بن عبادة ذلك عارضت امراة من قريش
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

يا نبي الهدى اليك لجاء ... حي قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الارض ... وعاداهم اله السماء
ان سعدا يريد قاصمة الظهر ... باهل الحجون والبطحاء

وعند ابي يعلى من حديث الزبير ان النبي صلى الله عليه وسلم دفعها اليه
فدخل مكة بلوائين واسناده ضعيف جدا لكن جزم موسى بن عقبة في
المغازي عن الزهري انه دفعها الى الزبير ابن العوام فهذه ثلاثة اقوال
فيمن دفعت اليه الراية التي نزعت من سعد والذي يظهر في الجمع ان
عليا ارسل لينزعها ويدخل بها ثم خشي تغير خاطر سعد فامر بدفعها الى ابنه
قيس ثم ان سعدا خشي ان يقع من ابنه شيء يكرهه النبي صلى الله عليه وسلم
فسال النبي صلى الله عليه وسلم ان ياخذها منه فحينئذ اخذها الزبير
قال في رواية البخاري ثم جاءت كتيبة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه وراية النبي صلى الله عليه وسلم مع الزبير فلما مر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بابي سفيان قال الم تعلم ما قال سعد بن عبادة قال ما قال
قال كذا وكذا فقال كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم
تكسى فيه الكعبة قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تركز رايته
بالحجون قال عروة واخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال سمعت العباس
يقول للزبير بن العوام يا ابا عبد الله ها هنا امرك رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما سمع هذا الشعر رحمها ... فامر بالراية فاخذت من سعد ودفعت الى ابنه قيس صح

ان تركز الراية قال نعم وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ خالد بن الوليد
ان يدخل من اعلا مكة من كدا ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من كدي اي بالضم
والقصر فقتل من خيل خالد يومئذ رجلان حبيش بن الاشعر وكرز بن جابر
الفهري **قال** الحافظ ابن حجر وهذا مخالف للاحاديث الصحيحة الاتية
في البخاري ايضا ان خالدا دخل من اسفل مكة والنبي صلى الله عليه وسلم من
اعلاها يعني حديث بن عمر انه صلى الله عليه وسلم اقبل يوم الفتح من اعلا
مكة على راحلته مردفا اسامة بن زيد وحديث عايشة انه صلى الله
عليه وسلم دخل عام الفتح من كدا التي باعلا مكة وغيرها قال وقد ساق ذلك
موسى بن عقبة سياقا واضحا قال وبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وامرهم ان يدخل من كدا من
اعلا مكة وامره ان يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى ياتيه وبعث خالد
ابن الوليد في قبايل قضاعة وسليم وغيرهم وامره ان يدخل من اسفل مكة وان
يغرز رايته عند ادنى البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار
في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يكفوا ايديهم ولا
يقاتلوا الا من قاتلهم واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من اسفل مكة
وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحارث ابن عبد مناة وناس من هذيل ومن
الاحابيش الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا فقاتلهم فانهزموا
وقتل من بني بكر نحو من عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة او اربعة
حتى انتهى بهم القتل الى الحزورة الى باب المسجد حتى دخلوا الدور
فارتفعت طايفة منهم على الجبال وصاح ابو سفيان من اغلق بابه
وكف يده فهو امن قال ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البارقة
فقال ما هذا وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن ان خالدا قوتل
وبدي بالقتال فلم يكن له بد من ان يقاتلهم قال وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد ان اطمان لخالد بن الوليد لم قاتلت وقد نهيتك
عن القتال فقال هم بدانا بالقتال وقد كففت يدي ما استطعت
فقال قضى الله خيرا **وعند** ابن اسحق فلما نزل صلى الله عليه وسلم
مر الظهران رقت نفس العباس لاهل مكة فخرج ليلا راكبا بغلة النبي
صلى الله عليه وسلم لكي يجد احدا فيعلم اهل مكة بمجي النبي صلى الله عليه
وسلم ليستامنوه فسمع صوت ابي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام
وبديل بن ورقا فاردف ابا سفيان خلفه واتى به الى النبي صلى الله عليه
وسلم وانصرف الاخران ليعلما اهل مكة وتمكين الجمع بان الحرس لما اخذوه

استنقذه

استنقذه العباس **وروى** ان عمر رضي الله عنه لما راى ابا سفيان رديف
العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا
ابو سفيان دعني اضرب عنقه فقال العباس يا رسول الله اني قد اجرته
فقال صلى الله عليه وسلم اذهب يا عباس به الى رحلك فاذا اصبحت فاتني
به فذهب فلما اصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم
ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك لقد ظننت
انه لو كان مع الله اله غيره لما اغنى عني شيا قال ويحك يا ابا سفيان الم يان
لك ان تعلم اني رسول الله قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك قال
ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم اني رسول الله قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك
واوصلك اما هذه ففي النفس منها شي فقال له العباس ويحك اسلم واشهد ان لا
اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فاسلم وشهد شهادة الحق
فقال العباس يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيا قال نعم
وامر صلى الله عليه وسلم مناديه ينادي من دخل المسجد فهو امن ومن دخل
دار ابي سفيان فهو امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن الا المستثنين وهم
كما قاله مغلطاي وغيره عبد الله بن ابي سرح اسلم وابن خطل قتله ابو برزة
وقينتاه وهما فرتنا بالفا المفتوحة والرا الساكنة وان المثناة الفوقية
والنون وقريبة بالقاف والموحدة مصغرا اسلمت احداهما وقتلت الاخرى
وذكر عن ابن اسحق ان التي اسلمت فرتنا وان قريبة قتلت وسارة مولاة
لبني المطلب اسلمت ويقال كانت مولاة عمرو بن صيفي بن هشام وارنب
علم امراة وقريبة قتلت وعكرمة ابن ابي جهل اسلم والحارث ابن نقيد قتله
علي ومقيس بن صبابة بمهملة مضمومة وموحدتين الاولى خفيفة
قتله نميلة الليثي وهبار بن الاسود اسلم وهو الذي عرض لزينب بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس بها حتى سقطت
على صخرة واسقطت جنينها وكعب بن زهير اسلم وهند بنت عتبة
اسلمت ووحشي بن حرب اسلم انتهى وابن خطل بفتح الخا المعجمة والطا المهملة
وابن نقيد بضم النون وفتح القاف وسكون المثناة التحتية اخره دال
مهملة مصغرا ومقيس بكسر الميم وسكون القاف وفتح المثناة التحتية اخره
مهملة **وقد** جمع الواقدي عن شيوخه اسما من لم يومن يوم الفتح وامر بقتل
عشرة انفس ستة رجال واربعة نسوة **وعند** احمد ومسلم والنسائي عن
ابي هريرة قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث على احدى

هبار الذي [illegible] زينب بنت
رسول الله [illegible]

Copyright King Saud University

المجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير على الاخرى وبعث ابا عبيدة على الحسّر
بضم المهملة وتشديد السين المهملة اي الذين بغير سلاح فقال لي يا ابا هريرة
اهتف لي بالانصار فهتفت بهم فجاؤا فاطافوا به فقال لهم اترون الى اوباش
قريش واتباعهم ثم قال باحدى يديه على الاخرى احصدوهم حصدا حتى
توافوني بالصفا قال ابو هريرة فانطلقنا فما نشاء ان نقتل احدا منهم الا قتلناه
فجا ابو سفيان فقال يا رسول الله ابيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم
فقال صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه فهو آمن قال في فتح الباري وقد
تمسك بهذه القصة من قال ان مكة فتحت عنوة وهو قول الاكثر وعن
الشافعي وهي رواية عن احمد انها فتحت صلحا لما وقع من هذا التامين
ولاضافة الدور الى اهلها ولانها لم تقسم ولان الغانمين لم يملكوا دورها والا
لجاز اخراج اهل الدور منها وحجة الاولين ما وقع التصريح به من الامر
بالقتال ووقوعه من خالد بن الوليد وبتصريحه عليه الصلاة والسلام
بانها احلت له ساعة من نهار ونهيه عن التاسي به في ذلك واجابوا على
ترك القسمة بانها لا تستلزم عدم العنوة فقد تفتح البلد عنوة ويمن
على اهلها ويترك لهم دورهم قال واما قول النووي واحتج الشافعي بالاحاديث
المشهورة بان النبي صلى الله عليه وسلم صالحهم بمر الظهران قبل دخول
مكة ففيه نظر لان الذي اشار اليه ان كان مراده ما وقع من قوله صلى الله
عليه وسلم من دخل دار ابي سفيان فهو آمن كما تقدم وكذا من دخل المسجد
كما عند ابن اسحق فان ذلك لا يسمى صلحا الا اذا التزم من اشير اليه بذلك الكف
عن القتال والذي ورد في الاحاديث الصحيحة ظاهر في ان قريشا لم يلتزموا
ذلك لانهم استعدوا للحرب وان كان مراده بالصلح وقوع عقده فهذا لم ينقل
ولا اظنه عنى الا الاحتمال الاول وفيه ما ذكرته انتهى ثم دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة في كتيبته الخضراء وهو على ناقته القصواء
بين ابي بكر واسيد بن حضير فرأى ابو سفيان ما لا قبل له به فقال
للعباس يا ابا الفضل قد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال العباس
ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم وروي انه صلى الله عليه وسلم
وضع راسه تواضعا لله لما راى ما اكرمه الله به من الفتح حتى ان
راسه لتكاد تمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته انه احل له بلده ولم
يحله لاحد قبله ولا لاحد بعده وفي البخاري من حديث انس ان
النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى راسه المغفر وهو
بكسر الميم وسكون الغين وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع على قدر

الراس

مطلب في مكة عنوة او صلحا والاصح الثاني

بلغ

الراس وفي المحكم هو ما جعل من فضل درع الحديد على الراس مثل القلنسوة فلما نزعه
جاء رجل فقال ابن خطل متعلق باستار الكعبة فقال اقتلوه وفي حديث سعيد بن
يربوع عند الدارقطني والحاكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اربعة لا
اؤمنهم في حل ولا حرم الحويرث وهلال بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله
ابن ابي سرح قال فاما هلال بن خطل فقتله الزبير الحديث وفي حديث سعد
ابن ابي وقاص عند البزار والحاكم والبيهقي في الدلائل نحوه لكن قال اربعة نفر
وامرأتان وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة فذكرهم
لكن قال عبد الله بن خطل بدل هلال وقال عكرمة بدل الحويرث ولم
يسم المرأتين وقال فاما عبد الله بن خطل فادرك وهو متعلق باستار الكعبة
فاستبق سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عمارا وكان اشب
الرجلين فقتله الحديث وروى ابن ابي شيبة من طريق ابي عثمان النهدي
ان ابا برزة الاسلمي قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة واسناده صحيح
مع ارساله ورواه احمد من وجه اخر وهو اصح ما ورد في تعيين قاتله وبه
جزم البلاذري وغيره من اهل الاخبار وتحمل بقية الروايات على انهم ابتدروا
قتله فكان المباشر منهم له ابو برزة ويحتمل ان يكون غيره شاركه فيه فقد
جزم ابن هشام في السيرة بان سعيد بن حريث وابا برزة الاسلمي اشتركا
في قتله وانما امر بقتل ابن خطل لانه كان مسلما فبعثه صلى الله عليه وسلم
مصدقا وبعث معه رجلا من الانصار وكان معه مولى يخدمه فنزل منزلا
فامر المولى ان يذبح تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا
فعدى عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم واما الجمع بين ما اختلف فيه من اسمه انه كان يسمى
عبد العزى فلما اسلم سمي عبد الله واما من قال هلال فالتبس عليه باخ له اسمه
هلال وفي رواية ابي داود من حديث مصعب لما كان يوم الفتح امن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر فذكرهم ثم قال واما ابن ابي
سرح فاختبأ عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما دعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى اوقفه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله بايع عبد الله فرفع راسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك
يابى فبايعه بعد ثلاث ثم اقبل على اصحابه فقال ما كان فيكم رشيد يقوم الى هذا
حين كففت عن بيعته فيقتله فقالوا يا رسول الله ما ندري ما في نفسك هلا
اومأت الينا قال انه لا ينبغي لنبي ان تكون له خائنة الاعين قال مالك
في رواية البخاري ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نرى محرما والله

الحديث تم

مطلب الاربعة الذين هدر دمهم يوم الفتح

وكان مسلما صح

ولا صح

رجل صح

مطلب هل كان رسول الله محرما

Copyright King Saud University

بوسيد انتهى وقول مالك هذا رواه عبد الرحمن بن مهدي عن مالك جازما
به اخرجه الدارقطني في الغرايب ويشهد له ما رواه مسلم من حديث جابر
دخل صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وعليه عمامة سودا بغير احرام وروى
ابن ابي شيبة باسناد صحيح عن طاوس قال لم يدخل النبي صلى الله عليه وسلم
مكة الا محرما الا يوم فتح مكة وقد اختلف العلما هل يجب على من دخل مكة
الاحرام ام لا فالمشهور من مذهب الشافعي عدم الوجوب مطلقا وفي قول
يجب مطلقا وفيمن يتكرر دخوله خلاف مرتب وهو اولى بعدم الوجوب
والمشهور عن الايمة الثلاثة الوجوب وفي رواية عن كل منهم لا يجب وجزم
الحنابلة باستثناء ذوي الحاجات المتكررة واستثنا الحنفية من كان
داخل الميقات والله اعلم وقد زعم الحاكم في الاكليل ان بين حديث انس في
المغفر وبين حديث جابر في العمامة السودا معارضة وتعقبوه باحتمال
ان يكون اول دخوله كان على راسه المغفر ثم ازاله ولبس العمامة بعد ذلك
فحكى كل منهما ما راه ويويده ان في حديث عمرو بن حريث انه خطب
الناس وعليه عمامة سودا اخرجه مسلم ايضا وكانت الخطبة عند باب
الكعبة وذلك بعد تمام الدخول وهذا الجمع للقاضي عياض وقال غيره يجمع
بان العمامة السودا كانت ملفوفة فوق المغفر وقاية لراسه من صدا الحديد
فاراد انس بذكر المغفر كونه دخل متاهبا للحرب واراد جابر بذكر العمامة
كونه دخل غير محرم وفي البخاري عن اسامة بن زيد انه قال زمن الفتح
يا رسول الله اين تنزل غدا قال النبي صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا
عقيل من منزل وفي رواية وهل ترك لنا عقيل من رباع او دور وكان عقيل
ورث ابا طالب هو وطالب ولم يرث جعفر ولا علي شيا لانهما كانا مسلمين
وكان عقيل وطالب كافرين فكان عمر بن الخطاب يقول لا يرث الكافر
المسلم ولا المومن الكافر وفي رواية اخرى له قال عليه الصلاة والسلام
منزلنا ان شا الله اذا فتح الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر يعني به
المحصب وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب
ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبي صلى الله عليه وسلم
كما تقدم وفي رواية اخرى له انه يوم فتح مكة اغتسل في بيت ام هاني
ثم صلى الضحى ثمان ركعات قالت لم اره صلى صلاة اخف منها غير انه يتم
الركوع والسجود واجارت ام هاني حموين لها فقال النبي صلى الله عليه
وسلم قد اجرنا من اجرتي يا ام هاني والرجلان الحارث بن هشام والزبير بن
ابي امية بن المغيرة كما قاله ابن هشام وقد كان اخوها علي بن ابي طالب

اراد

اراد ان يقتلها فاغلقت عليهما باب بيتها وذهب الى النبي صلى الله عليه
وسلم ولما كان الغد من يوم الفتح قام عليه الصلاة والسلام خطيبا في الناس
فحمد الله واثنى عليه ومجده بما هو اهله ثم قال ايها الناس ان الله حرم مكة
يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة
فلا يحل لامرئ يومن بالله واليوم الاخر ان يسفك بها دما او يعضد بها شجرة
فان احد ترخص فيها بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان
الله اذن لرسوله ولم ياذن لكم وانما احلت لي ساعة من نهار وقد عادت
حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغايب ثم قال يا معشر
قريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا
فانتم الطلقا اي الذين اطلقوا فلم يسترقوا ولم يوسروا والطليق الاسير
اذا اطلق والمراد بالساعة التي احلت له عليه الصلاة والسلام ما بين اول
النهار ودخول وقت العصر كذا قاله في فتح الباري ولقد اجاد العلامة
ابو محمد السقراطسي حيث يقول في قصيدته المشهورة

ويوم مكة اذ اشرفت في امم … يضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها … في قاتم من عجاج الخيل والابل
وجحفل قذف الارجاء ذي لجب … عرمرم كزهاء الليل منسحل
وانت صلى عليك الله تقدمهم … في بهو اشراق نور منك مكتمل
ينير فوق اغر الوجه منتجب … متوج بعزيز النصر مقتبل
تسمو امام جنود الله مرتديا … ثوب الوقار لامر الله ممتثل
خشعت تحت بها الفرحين سمت … بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر املاك السما بما … ملكت اذ نلت منه غاية الامل
والارض ترجف من زهو ومن فرق … والجو يزهر اشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا في اعنتها … والعيس تنثال رهوا في ثنى الجدل
لولا الذي خطت الاقلام من قدر … وسابق من قضا غير ذي حول
اهل ثهلان بالتهليل من طرب … وذاب يذبل تهليلا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت … له النبوة فوق العرش في الازل
شعثت صدع قريش بعد ما قذفت … بهم شعوب شعاب السهل والقلل
فالوجد قد زادت كتايبه … كالاسد تزار في انيابها العصل
نوبل مكة من اثار وطئته … وويل ام قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم … تلمم ولا الم اللوم والعذل
اضربت بالصفح صفحا عن غوايلهم … طولا اطال مقيل النوم في المقل

ابتهج

رحبت واشرا رجاها لجيج لها ٭ تحت الوشيج نشيج الروع والوجل ٭
عاد وابطل كريم العفو ذي لطف ٭ مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل ٭
ازكي الخليقة اخلاقا واظهرها ٭ واكرم الناس صفحا عن ذوي الزلل ٭
وطفت بالبيت محبورا وطائفه ٭ من كان عنه قبيل الفتح في شغل ٭

والجحفل الجيش العظيم وقدق الارجا اي متباعدها واللجب بالجيم الصيحة من كثر الاصوات والعرمرم الضخم الكثير العدد وقوله كذاها الليل شبهه بالليل في شدة الافق واسوداده بالسلاح والمحل بالحا المهملة الماضي في سيره يتبع بعضه بعضا وقوله في بهو اشراق شبه النور الذي يغشاه عليه الصلاة والسلام ببهو المحاط به والبهو البنا العالي كالايوان ونحوه والمنتجب من اصل نجيب اي كريم والمقتبل المستقبل الخير وترجف تهتز والزهو الخفة من الطرب يعني ان الارض اهتزت فرحا بهذا الجيش وفرقا من صولته اي كادت تهتز قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر اي كادت تبلغ والجدل جمع جديل وهو الزمام المصفور وتثني الجدل ما تثني على اعناق الابل اي انعطف وثهلان اسم جبل معروف واهل رفع صوته ويذبل اسم جبل والذبل الرماح الذوابل وهي التي لم تقطع من منابتها حتى ذبلت اي جفت ويبست وتهليلا اي جبنا وفزعا يعني لولا ما سبق من تقدير الله ان الجبال لا تنطق لرفع ثهلان صوته وهلل الله من الطرب ولذاب يذبل من الخوف والفرق وقوله شعبت اي جمعت واصلحت وقذفت بهم اي فرقتهم مخافة الشعوب والشعوب اسم للمنية لانها تفرق الجماعة من شعبه اي فرقت وهو من الاضداد وشعاب الطرق في الجبال والسهل خلاف الجبل والقلل روس الجبال يعني انه صلى الله عليه وسلم عفي عنهم بعد ما تصدعوا اي تفرقوا وهربوا من خوفه الى كل سهل وجبل وقوله كالاسد يزابن اشبالها العصل اي المعوجه

ولما فتح الله تعالى مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الانصار فيما بينهم اترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه ارضه وبلده يقيم بها وكان عليه الصلاة والسلام يدعو على الصفا رافعا يديه فلما فرغ من دعايه قال ماذا قلتم قالوا لا شي يا رسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم واهم فضالة بن عمير بن الملوح ان يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضالة قال نعم يا رسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شي كنت اذكر الله فضحك رسول الله صلى الله

الله عليه وسلم قال استغفر الله ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه وكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيا احب الي منه وطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فكلما مر بصنم اشار اليه بقضيبه وهو يقول جا الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فيقع الصنم لوجهه رواه البيهقي وفي رواية ابي نعيم فلم يبق منها الا وقع وكانت ثابتة بالرصاص والنحاس وفي تفسير العلامة ابن النقيب المقدسي ان الله تعالى لما اعلمه صلى الله عليه وسلم بانه قد انجز له وعده بالنصر على اعدايه وفتح مكة واعلا كلمة دينه امره اذا دخل مكة ان يقول وقل جا الحق وزهق الباطل فيخر الصنم ساقطا مع انها كلها كانت مثبتة بالحديد والرصاص وكانت ثلثماية وستين صنما بعدد ايام السنة قال وفي معنى الحق والباطل لعلما التفسير اقوال قال قتادة جا القران وذهب الشيطان وقال ابن جريج جا الجهاد وذهب الشرك وقال مقاتل جات عبادة الله وذهبت عبادة الشيطان وقال ابن عباس وجد صلى الله عليه وسلم يوم الفتح حول البيت ثلثماية وستين صنما كانت لقبايل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله تعالى فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله تعالى اليه اني ساحدث لك توبة جديدة يدفون اليك دفوف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية قال ولما نزلت الاية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما ويطعن في بطنه او عينه بمخصرته ويقول جا الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكانت من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله عليه الصلاة والسلام حتى صعد ورمي به وكسره فجعل اهل مكة يتعجبون انتهى وعن ابن عباس قال لما قدم صلى الله عليه وسلم ابى ان يدخل البيت وفيه الالهة فامر بها فاخرجت فاخرجوا صورة ابراهيم واسمعيل في ايديهما الازلام يعني القداح التي كانوا يستقسمون بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله اما والله لقد علموا انهما لم يستقسما بها قط فدخل هو البيت وكبر في نواحيه ولم يصل رواه الترمذي وعن ابن عمر قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على ناقته القصوى وهو مردف اسامة حتى اناخ بفنا الكعبة ثم دعا عثمان بن طلحة فقال ايتني بالمفتاح فذهب الى امه فابت ان تعطيه فقال والله لتعطينه او ليخرجن هذا السيف من صلبي فاعطته اياه فجا به النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه اليه ففتح الباب رواه مسلم وروي الفاكهي من طريق ضعيفة عن ابن عمر ايضا قال كان بنوا

Copyright King Saud University

ابي طلحة بن عمرو انه لا يستطيع احد فتح الكعبة غيرهم فاخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم المفتاح ففتحها بيده وعثمان المذكور هو عثمان بن طلحة بن ابي طلحة بن
عبد العزى ويقال له الحجبي بفتح المهملة والجيم يعرفون الان بالشيبيين نسبة
الي شيبة بن عثمان بن ابي طلحة وهو ابن عم عثمان وعثمان هذا لا ولد له وله صحبة
ورواية واسم ام عثمان سلافة بضم السين المهملة والتخفيف والفاء وفي الطبقات
لابن سعد عن عثمان بن طلحة قال كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس
فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوما يريد ان يدخل الكعبة مع الناس فاغلظت
له ونلت منه فحلم عني ثم قال يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي اضعه
حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت قال بل عمرت وعزت يومئذ
ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت يومئذ ان الامر سيصير الي
ما قال فلما كان يوم الفتح قال يا عثمان ايتني بالمفتاح فاتيته به فاخذه مني ثم دفعه
الي وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله استامنكم على
بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال فلما وليت ناداني فرجعت
اليه فقال الم يكن الذي قلت لك قال فذكرت قوله بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا
المفتاح يوما بيدي اضعه حيث شئت قال بلى اشهد انك رسول الله وفي التفسير
ان هذه الاية ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي
امره عليه الصلاة والسلام ان ياتيه بمفتاح الكعبة فابى عليه واغلق باب البيت
وصعد الى السطح وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذ
منه المفتاح وفتح الباب فدخل صلى الله عليه وسلم البيت فلما خرج سأله العباس
ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الاية
وامر صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك
علي فقال اكرهت واذيت ثم جئت ترفق وقال لقد انزل الله في شانك وقرا عليه
الاية فقال عثمان اشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل
عليه السلام فقال ما دام هذا البيت او لبنة من لبناته قائمة فان المفتاح والسدانة
في اولاد عثمان فكان المفتاح معه فلما مات دفعه الى اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة
في اولاده الى يوم القيامة قال ابن ظفر في ينبوع الحياة قوله لقد علمت انه ولو
رسول الله لم امنعه هذا وهم لانه كان ممن اسلم فلو قال هذا كان مرتدا وعن
الكلبي لما طلب عليه الصلاة والسلام المفتاح من عثمان مد يده اليه فقال
العباس يا رسول الله اجعلها مع السقاية فقبض عثمان يده بالمفتاح فقال
صلى الله عليه وسلم ان كنت يا عثمان تؤمن بالله واليوم الاخر فهاته فقال
هاكه بامانة الله فاعطاه اياه ونزلت الاية قال ابن ظفر وهذا اولى بالقبول

ودق

١٧

وفي رواية لمسلم دخل صلى الله عليه وسلم هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة
الحجبي فاغلقوا عليهم الباب قال ابن عمر فلما فتحوا كنت اول من ولج فلقيت بلالا فسالته
هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بين العمودين اليمانيين وذهب
عني ان اسأله كم صلى وفي احدى روايات البخاري جعل عمودا عن يساره وعمودا عن يمينه
وثلاثة اعمدة وراءه وليس بين الروايتين مخالفة لكن قوله في الرواية الاخرى وكان
البيت يومئذ على ستة اعمدة مشكل لانه يشعر بكون ما عن يمينه او يساره
كان اثنين ولهذا عقبه البخاري برواية اسماعيل بن ابي اويس التي قال فيها
عمودين عن يمينه ويمكن الجمع بين الروايتين بانه حيث ثنى اشار الى
ما كان عليه البيت في زمنه صلى الله عليه وسلم وحيث افرد اشار الى ما صار اليه
بعد ذلك ويرشد اليه قوله وكان البيت يومئذ لان فيه اشعارا بانه تغير عن
هيئته الاولى ويحتمل ان يقال لم تكن الاعمدة الثلاثة على سمت واحد بل اثنان
على سمت والثالث على غير سمتهما ولفظ المتقدمين في احدى روايات البخاري
مشعر به وفي رواية لمسلم جعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه عكس
احدي الله رواية اسماعيل وكذا قال الشافعي وبشر بن عمر في الروايتين عنهما وجمع بعض
المتاخرين بين هاتين الروايتين باحتمال تعدد الواقعة وهو بعيد لاتحاد
٣ مخرج الحديث وقد جزم البيهقي بترجيح رواية اسماعيل ووافقه عليها ابن القاسم
والقعنبي وابن مصعب ومحمد بن الحسن وابو حذافة وكذلك الشافعي وابن مهدي
في احد الروايتين عنهما انتهى ملخصا من فتح الباري وقد بين موسى بن عقبة
في روايته عن نافع ان بين موقفه صلى الله عليه وسلم وبين الجدار الذي
استقبله قريبا من ثلاثة اذرع وجزم برفع هذه الزيادة مالك عن نافع
فيما اخرجه الدارقطني في الغرائب ولفظه وصلى بينه وبين القبلة ثلاثة اذرع
وفي كتاب مكة للازرقي والفاكهي ان معاوية سأل ابن عمر اين صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اجعل بينك وبين الجدار ذراعين او ثلاثة فعلى هذا
ينبغي لمن اراد الاتباع في ذلك ان يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة اذرع فانه
تقع قدماه في مكان قدميه صلى الله عليه وسلم ان كان ثلاثة سواء وتقع ركبتاه
ويداه ووجهه ان كان اقل من ثلاثة اذرع والله اعلم وفي رواية عن ابن عباس
قال اخبرني اسامة انه صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها
ولم يصل فيه حتى خرج فلما خرج ركع في قبل البيت ركعتين فقال هذه القبلة
رواه مسلم والجمع بينه وبين حديث ابن عمر ان اسامة اخبره ان النبي صلى الله
عليه وسلم صلى في الكعبة كما رواه احمد والطبراني بان اسامة حيث اثبتها
اعتمد في ذلك على غيره وحيث نفاها اراد ما في علمه لكونه لم يره حين صلى ويكون

Copyright King Saud University

ابن عمر ابتدا بلالًا بالسؤال ثم اراد زيادة الاستثبات في مكان الصلاة فسال اسامة ايضا
قال النووي وقد اجمع اهل الحديث على الاخذ برواية بلال لانه مثبت فمعه زيادة علم
فوجب ترجيحه قال واما نفي اسامة فسببه انهم لما دخلوا الكعبة اغلقوا الباب
واشتغلوا بالدعاء فراي اسامة النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ثم اشتغل في ناحية من
نواحي البيت والنبي صلى الله عليه وسلم في ناحية اخرى وبلال قريب منه ثم صلى
النبي صلى الله عليه وسلم فراه بلال لقربه منه ولم يره اسامة لبعده واشتغاله
وكانت صلاته عليه الصلاة والسلام خفيفة فلم يرها اسامة لاغلاق الباب مع بعده
واشتغاله بالدعاء وجاز له نفيها عملا بظنه واما بلال فحققها واخبر بها انتهى
وتعقبوه بما يطول ذكره واقرب ما قيل في الجمع انه صلى الله عليه وسلم صلى في
الكعبة لما غاب عنه اسامة من الكعبة لامر ندبه اليه وهو الذي يأتي بما يمحوا
به الصور التي كانت في الكعبة فاثبت الصلاة بلال لرؤيته لها ونفاها اسامة
لعدم رؤيته ويؤيده ما رواه ابو داود الطيالسي عن اسامة ابن زيد قال دخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة وراى صورا فدعا بدلو من ماء فاتيته
به فجعل صلى الله عليه وسلم يمحوها ويقول قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون
ورجاله ثقات وافاد الازرقي في تاريخ مكة ان خالد بن الوليد كان على باب الكعبة
يذب عنه صلى الله عليه وسلم الناس وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم اقام
خمسة عشرة ليلة وفي رواية انه تسع عشرة ليلة وفي رواية ابي داود سبع عشرة
وعند الترمذي ثمان عشرة وفي الاكليل اصحها بضع عشرة يقصر الصلاة وقال
الفاسي في تاريخ مكة وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان ثم سرية
خالد بن الوليد عقب فتح مكة الى العزى بنخلة وكانت لقريش وجميع بني كنانة
وكانت اعظم اصنامهم لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان ومعه ثلاثين فارسا
ليهدمها فلما انتهوا اليها هدمها ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاخبره
فقال هل رايت شيئا قال لا قال فانك لم تهدمها فارجع اليها فاهدمها فرجع فجرد
سيفه فخرجت اليه امراة عجوز عريانة سوداء ثائرة الراس فجعل السادن يصيح
فيها فضربها خالد فجزلها اثنتين ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
قال نعم تلك العزى وقد يئست ان تعبد ببلادكم ابدا ثم سرية عمرو بن
العاص الى سواع صنم هذيل على ثلاث ليال من مكة في شهر رمضان سنة
ثمان حين فتح مكة قال عمرو فانتهيت اليه وعنده السادن فقال ما تريد فقلت
امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهدمه قال لا تقدر على ذلك قلت
لم قال تمنع فقلت ويحك وهل يسمع او يبصر قال فدنوت منه فكسرته ثم قلت
للسادن كيف رايت قال اسلمت لله ثم سرية سعد بن زيد الاشهلي الى مناة

صح

صنم للاوس والخزرج بالمشلل في شهر رمضان حين فتح مكة فخرج في عشرين فارسا
حتى انتهى اليها فقال السادن ما تريد قال هدم مناة قال انت وذاك فاقبل سعد يمشي
اليها فخرجت اليه امراة عريانة سوداء ثائرة الراس تدعوا بالويل وتضرب صدرها
فضربها سعد بن زيد فقتلها واقبل الى الصنم ومعه اصحابه فهدموه وانصرفوا
راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك لست بقين من رمضان ثم سرية
خالد بن الوليد الى بني جذيمة قبيلة من عبد القيس اسفل مكة على ليلة بناحية
يلملم في شوال سنة ثمان وهو يوم الغميصا بعثه عليه الصلاة والسلام لما رجع من
هدم العزى وهو صلى الله عليه وسلم بفتح مكة وبعث معه ثلاثماية وخمسين
رجلا داعيا الى الاسلام ثم اتاهم فلا قبل انتهى اليهم قال ما انتم قالوا مسلمين قد صلينا
وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا وفي البخاري لم يحسنوا ان يقولوا
ذلك فقالوا صبانا فقال لهم استاسروا فاستاسر القوم وامر بعضهم بكتف
بعضا وفرقهم في اصحابه فلما كان السحر نادى منادي خالد من كان معه اسير فليقتله
فقتلت بنو سليم من كان بايديهم واما المهاجرون والانصار فارسلوا اساراهم
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اني ابرا اليك من فعل خالد وبعث
عليا يودي لهم قتلاهم قال الخطابي يحتمل ان يكون خالد نقم عليهم العدول عن
لفظ الاسلام ولم ينقادوا الى الدين فقتلهم متاولا وانكر عليه الصلاة والسلام العجلة
وترك التثبت في امرهم قبل ان يعلم المراد من قولهم صبانا ثم غزا صلى الله عليه وسلم
حنينا بالتصغير وهو واد قرب ذي المجاز وقيل ما بينه وبين مكة ثلاث ليال
قرب الطايف وتسمى غزوة هوازن وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ
من فتح مكة وتمهيدها واسلم عامة اهلها مشت اشراف هوازن وثقيف بعضهم
الى بعض وحشدوا وقصدوا محاربة المسلمين وكان رئيسهم مالك بن عوف النصري
فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست ليال خلون من
شوال في اثني عشر الفا من المسلمين عشرة الاف من اهل المدينة والفان ممن اسلم
من اهل مكة وهم الطلقا يعني الذين خلى عنهم يوم فتح مكة واطلقهم فلم يسترقهم
واحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول وهو الاسير اطلق سبيله واستعمل صلى الله
عليه وسلم على مكة عتاب ابن اسيد وخرج معه صلى الله عليه وسلم ثمانون
من المشركين منهم صفوان ابن امية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
استعار منه مائة درع بادواتها فوصل الى حنين ليلة الثلاثا لعشر ليال خلون
من شوال فبعث مالك ابن عوف ثلاثة نفر ياتونه بخبر اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرجعوا اليه وقد تفرقت اوصالهم من الرعب ووجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي حدرد الاسلمي فدخل عسكرهم فطاف بهم وجا

بلغ

٩٣

Copyright King Saud University

يخبرهم وفي حديث سهل بن الحنظلية عند ابي داود باسناد حسن انهم ساروا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطنبوا السير فجا رجل فقال اني انطلقت من بين ايديكم
حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا انا بهوازن عن بكرة ابيهم بظعنهم ونعمهم وشايهم اجتمعوا
الى حنين فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شا الله
تعالى وقوله عن بكرة ابيهم كلمة للعرب يريد وبها الكثرة وتوفر العدد وليس هناك
بكرة في الحقيقة وهي التي يستقى عليها الما واستعير ها هنا وقوله بظعنهم اي بنسايهم
واحدها ظعينة واصل الظعينة الراحلة التي ترحل ويظعن عليها اي يسار وقيل
للمراة ظعينة لانها تظعن مع زوجها حيث ما ظعن ولانها تحمل على الراحلة اذا ظعنت
وقيل الظعينة المراة في الهودج ثم قيل للمراة بلا هودج وللهودج بلا امراة ظعينة انتهى
وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي عن الربيع قال قال رجل يوم حنين لن
نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركب صلى الله
عليه وسلم بغلته البيضا دلدل ولبس درعين والمغفر والبيضة فاستقبلهم من
هوازن ما لم ير مثله قط من السواد والكثرة وذلك في غبش الصبح وخرجت الكتايب
من مضيق الوادي فحملوا حملة واحدة وانكشفت خيل بني سليم موليه وتبعهم
اهل مكة والناس ولم يثبت معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا العباس بن عبد
المطلب وعلي ابن ابي طالب والفضل بن العباس وابو سفيان بن الحارث بن عبد
المطلب وابو بكر واسامة بن زيد في اناس من اهل بيته واصحابه قال العباس
وانا اخذ بلجام بغلته اكفها مخافة ان تصل الى العدو لانه صلى الله عليه وسلم كان
يتقدم في نحر العدو وابو سفيان بن الحارث اخذ بركابه وجعل عليه الصلاة والسلام
يقول للعباس ناد يا معشر الانصار يا اصحاب السمرة يعني شجرة بيعة الرضوان
التي بايعوه تحتها ان لا يفروا عنه فجعل ينادي تارة يا اصحاب الشجرة وتارة يا اصحاب
سورة البقرة وكان العباس رجلا صيتا فلما سمع المسلمون ندا العباس اقبلوا كانهم
الابل اذا حنت على اولادها وفي رواية لمسلم قال العباس فوالله لكان عطفتهم
حين سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها يقولون يا لبيك يا لبيك فتراجعوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره على
الرجوع انحدر عنه وارسله ورجع بنفسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامرهم عليه الصلاة والسلام ان يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار فاشرف رسول
الله صلى الله عليه وسلم ينظر فقال لهم فقال الان حمي الوطيس وهو التنور يخبز
فيه يضرب مثلا لشدة الحرب الذي يشبه حرها حره وهذه من فصيح
الكلام الذي لم يسمع من احد قبل النبي صلى الله عليه وسلم وتناول صلى الله عليه
وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه اي قبحت ورمى بها في وجوه

المشركين

المشركين فما خلق الله منهم انسانا الا ملا عينيه من تلك القبضة وفي رواية لمسلم
قبضة من تراب من الارض فيحتمل انه رمى بذا مرة وبالاخرى اخرى ويحتمل ان
يكون اخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصا وتراب ولاحمد وابي داود والدارمي
من حديث ابي عبد الرحمن الفهري في قصة حنين قال فولى المسلمون مدبرين
كما قال الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عبد الله انا عبد الله
ورسوله ثم اقتحم عن فرسه فاخذ كفا من تراب قال فاخبرني الذي كان ادنى اليه
مني انه ضرب وجوههم وقال شاهت الوجوه فهزمهم الله قال يعلى بن عطا فروية
عن ابي همام عن ابي عبد الرحمن الفهري فحدثني ابناوهم عن ابايهم انهم قالوا لم يبق
منا احد الا امتلات عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السما كامرار الحديد على
الطست الحديد بالجيم قال في النهاية هي صوت الطست وهي مونثة والحديد وهو
مذكر واما لان تانيثها غير حقيقي فاوله على الانا والظرف او لان فعيلا يوصف به
المونث بلا علامة تانيث كما يوصف به المذكر نحو امراة قتيل انتهى ولاحمد والحاكم
من حديث ابن مسعود فحادت به صلى الله عليه وسلم بغلته فمال السرج فقلت
ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلات اعينهم
ترابا وجا المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم كانها الشهب فولى المشركون
الادبار وروى ابو جعفر قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما القيناهم جعلنا نسوقهم في
اثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضا فاذا هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه
ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا اكتافنا وفي سيرة الدمياطي كان سيما الملايكة يوم
حنين عمايم حمر ارخوها بين اكتافهم وفي البخاري عن البرا وساله رجل من قيس
افررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كان هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا
فاكببنا على الغنايم فاستقبلنا بالسهام ولقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم على
بغلته البيضا وان ابا سفيان بن الحرث اخذ بزمامها وهو يقول
انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وهذا فيه اشارة الى ان صفة النبوة
يستحيل معها الكذب فكانه قال انا النبي والنبي لا يكذب فلست بكاذب فيما
اقول حتى انهزم بل انا متيقن ان الذي وعدني الله به من النصر حق فلا يجوز
علي الفرار واما ما في رواية مسلم عن سلمة بن الاكوع من قوله فارجع منهزما
الى قوله مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما فقال لقد راى
ابن الاكوع فزعا فقال العلما قوله منهزما حال من ابن الاكوع كما صرح اولا

Copyright King Saud University

بانهزامه ولم يرد ان النبي صلى الله عليه وسلم انهزم وقد قالت الصحابة كلهم انه عليه
الصلاة والسلام ما انهزم ولم ينقل احد قط انه انهزم في موطن من المواطن وقد نقلوا
الاجماع المسلمين على انه لا يجوز ان يعتقد انهزامه صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ذلك
عليه بل كان العباس وابو سفيان بن الحرث اخذين ببغلته يكفانها عن اسراع التقدم
الى العدو وقد تقدم في غزوة احد ما نسب لابن المرابط من المالكية مما حكاه القاضي
عياض في الشفا ان من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا
قتل وان العلامة الدمياطي تعقبه بما لفظه هذا القايل ان كان يخالف في اصل المسئلة
يعني حكم الساب فله وجه وان وافق على ان الساب لا تقبل توبته فمشكل انتهى
قال بعضهم وقد كان ركوبه عليه الصلاة والسلام البغلة في هذا المحل الذي هو
موضع الحرب والطعن والضرب تحقيقا لنبوته لما كان الله تعالى خصه به من
مزيد الشجاعة وتمام القوة والا فالبغال عادة من مراكب الطمانينة ولا يصلح لموا طن
الحرب في المغازات الا الخيل فبين عليه الصلاة والسلام ان الحرب عنده كالسلم قوة
قلب وشجاعة نفس وثقة وتوكلا على الله تعالى وقد ركبت الملايكة في الحرب معه
عليه الصلاة والسلام على الخيل لا غير لانها بصدد ذلك عرفا دون غيرها من
المركوبات ولهذا لا يسهم في الحرب الا للخيل والسر في ذلك انها المخلوقة للكر والفر
بخلاف البغال والابل انتهى وعند ابن ابي شيبة من مرسل الحكم بن عتيبة لم يبق
معه عليه الصلاة والسلام الا اربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم علي و
والعباس بين يديه وابو سفيان بن الحرث اخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب
الاخر وليس يقبل نحوه احد الا قتل وفي الترمذي باسناد حسن من حديث ابن عمر
لقد رايتنا يوم حنين وان الناس لمولون وما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة
رجل وفي شرح مسلم للنووي انه ثبت معه عليه الصلاة والسلام اثنى عشر وكانه
اخذه من قول ابن اسحق ووقع في شعر العباس بن عبد المطلب ان الذين ثبتوا
كانوا عشرة فقط وذلك لقوله * نصرنا رسول الله في الحرب تسعة *
* وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا * وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه * لما مسه في الله لا يتوجع *
وقد قال الطبري الانهزام المنهي عنه هو ما وقع على غير نية العود واما الاستطراد
للكثرة فهو كالمتحيز الى فية انتهى واما قوله عليه الصلاة والسلام انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب فقال العلماء ليس بشعر لان الشاعر انما سمي شاعرا لوجوه منها
انه شعر القول وقصدي واهتدي اليه واتى به كلاما موزونا على طريقة العرب
مقفى فان خلا من هذه الاوصاف او بعضها لم يكن شعرا ولا يكون قايله شاعرا
والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد بكلامه ذلك الشعر ولا الارادة فلا يعد شعرا
وان كان موزونا واما قوله عليه الصلاة والسلام انا ابن عبد المطلب ولم يقل

ابن عبد الله

ابن عبد الله فاجيب بان شهرته بجده كانت اكثر من شهرته بابيه لان اباه توفي
في حياة ابيه عبد المطلب قبل مولده عليه الصلاة والسلام وكان عبد المطلب
مشهورا شهرة ظاهرة شايعة وكان سيد قريش وكان كثير من الناس يدعوا
النبي صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب ينسبونه الى جده لشهرته ومنه
حديث ضمام بن ثعلبة في قوله انا ابن عبد المطلب وقيل غير هذا وامر صلى الله
عليه وسلم ان يقتل من قدر عليه وافضى المسلمون في القتل الى الذرية فنهاهم عليه
الصلاة والسلام وقال من قتل قتيلا فله عليه بينة فله سلبه واستلب ابو طلحة
وحده ذلك اليوم عشرين رجلا وقال ابن القيم في الهدي النبوي كان الله
تعالى قد وعد رسوله انه اذا فتح مكة دخل الناس في دين الله افواجا ودانت
له العرب باسرها فلما تم الفتح المبين اقتضت حكمته ان اسك قلوب هوازن ومن
تبعها عن الاسلام وان يجمعوا ويتالبوا الحربه عليه الصلاة والسلام ليظهر امره تعالى
وتمام اعزازه لرسوله ونصره لدينه ولتكون غنايمهم شكرانا لاهل الفتح وليظهر
الله تعالى رسوله وعباده وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون
قبلها مثلها ولا يقاومهم بعد احد من العرب فاقتضت حكمته سبحانه ان اذاق
المسلمين اولا مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم ليطا من
رؤسا رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخل عليه الصلاة والسلام واضعا راسه
منحنيا على مركوبه تواضعا لربه وخضوعا لعظمته ان احل له بلده ولم تحل لاحد
قبله ولا لاحد بعده وليبين سبحانه لمن قال لن نغلب اليوم من قلة ان النصر
انما هو من عنده تعالى وانه من ينصره فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له
وانه سبحانه هو الذي تولى نصر رسوله ودينه لا كثرتكم التي اعجبتكم فانها لن
تغن عنكم شيا فوليتم مدبرين فلما انكسرت قلوبهم ارسلت الخلع مع بريد انزل
الله سكينته على رسوله وعلى المومنين وانزل جنودا لم تروها وقد اقتضت
حكمته تعالى ان خلع النصر وجوايزه انما تفاض على اهل الانكسار ونريد ان نمن
على الذين استضعفوا في الارض قال وبها بين الغزاتين اعني حنينا وبدرا ه
قاتلت الملايكة باقتسام المسلمين ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه
المشركين بالحصا فيهما انتهى وامر صلى الله عليه وسلم بطلب العدو فانتهى بعضهم
الى الطايف وبعضهم نحو نخلة وقوم منهم الى اوطاس واستشهد من المسلمين
اربعة منهم ايمن ابن ام ايمن وقتل من المشركين اكثر من سبعين قتيلا ثم سرية
ابي عامر الاشعري وهو عم ابي موسى الاشعري وقال ابن اسحق ابن عمه والاول
اشهر بعثه صلى الله عليه وسلم حين فرغ من حنين في طلب الفارين من هوازن
يوم حنين الى اوطاس وهو واد في ديار هوازن وكان معه سلمه بن الاكوع فانتهى

Copyright King Saud University

اليهم فاذا هم ممتنعون فقتل منهم ابو عامر تسعة اخوة مبارزة بعد ان يدعو كل واحد
منهم الي الاسلام ويقول اللهم اشهد عليه ثم برز له العاشر فدعاه الي الاسلام وقال اللهم
اشهد عليه فقال اللهم لا تشهد علي فكف عنه ابو عامر فافلت ثم اسلم بعد فحسن اسلامه
فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا راه قال هذا شريد ابي عامر ورمي ابا عامر
ابنا الحارث العلا واوفا فقتلاه فخلفه ابو موسي الاشعري فقاتلهم حتي فتح الله عليه
وكان في السبي الشيما اخته عليه الصلاة والسلام من الرضاعة وقتل قاتل ابي عامر
فقال صلي الله عليه وسلم اللهم اغفر لابي عامر واجعله من اعلا امتي في الجنة ر ق
البخاري قال يعني ابا عامر لابي موسي الاشعري لما رمي بالسهم يا ابن اخي اقرا النبي صلي
الله عليه وسلم السلام وقل له يستغفر لي ثم مات فرجعت فدخلت علي النبي صلي الله
عليه وسلم فاخبرته بخبرنا وخبر ابي عامر وقال قل له استغفر لي فدعا بما فتوضا
ثم رفع يديه ثم رفع يديه به اللهم اغفر لعبيد ابي عامر ورايت بياض ابطيه ثم قال
اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك فقلت ولي فقال اللهم اغفر لعبد الله
ابن قيس ذنبه وادخله يوم القيامة مدخلا كريما ثم سرية الطفيل بن عمرو
الدوسي الي ذي الكفين صنم من خشب كان لعمرو بن حممة في شوال لما اراد عليه
الصلاة والسلام السير الي الطايف ليهدمه ويوافيه بالطايف فخرج سريعا فهدمه
وجعل يحش النار في وجهه ويحرقه ويقول يا ذا الكفين لست من عبادكا
ميلادنا اقدم من ميلادكا اني حشوت النار في فوادكا وانحدر معه من قومه اربع مائة
سراعا فوافوا النبي صلي الله عليه وسلم بالطايف بعد مقدمه باربعة ايام وعند
مغلطاي وقدم معه اربعة مسلمون ثم غزوة الطايف وهي بلد كبير علي ثلاث
مراحل او اثنتين من مكة من جهة المشرق كثيرة الاعناب والفواكه وقيل ان اصلها
ان جبريل عليه الصلاة والسلام اقتلع الجنة التي لاصحاب الصريم فسار بها الي
مكة فطاف بها حول البيت ثم انزلها حيث الطايف فسمي الموضع بها وكانت اولا
بنواحي صنعا واسم الارض وج بتشديد الجيم وسار اليها النبي صلي الله عليه وسلم
في شوال سنة ثمان حين خرج من حنين وحبس الغنايم بالجعرانة وقدم خالد
ابن الوليد علي مقدمته وكانت ثقيف لما انهزموا من اوطاس دخلوا حصنهم
بالطايف واغلقوا عليهم بعد ان ادخلوا فيه ما يصلحهم لسنة وتهيئوا للقتال
وسار النبي صلي الله عليه وسلم فمر في طريقه بقبر ابي رغال وهو ابو ثقيف
فيما يقال فاستخرج منه غصنا من ذهب ونزل قريبا من الحصن وعسكر
هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا كانه رجل جراد حتي اصيب ناس
من المسلمين بجراحة وقتل منهم اثني عشر رجلا منهم عبد الله ابن ابي امية ورمي
عبد الله بن ابي بكر الصديق يوميذ بجرح فاندمل ثم نقض بعد ذلك فمات

بلغ

منه

منه في خلافة ابيه وارتفع صلي الله عليه وسلم الي موضع مسجد الطايف اليوم وكان
معه من نسايه ام سلمة وزينب فضرب لهما قبتين وكان يصلي بين القبتين
حصار الطايف كله فحاصرهم ثمانية عشر يوما ونصب عليهم المنجنيق وهو اول
منجنيق رمي به في الاسلام وكان قدم به الطفيل الدوسي معه لما رجع من سرية
ذي الكفين فرشقهم ثقيف بالنبل فقتل منهم رجال فامر صلي الله عليه وسلم
بقطع اعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا ثم سالوه ان يدعها لله
وللرحم فقال عليه الصلاة والسلام اني ادعها لله وللرحم ثم نادي مناديه عليه
الصلاة والسلام ايما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر قال الدمياطي ثم
فخرج منهم بضع عشرة رجلا منهم ابو بكرة وعند مغلطاي ثلاثة وعشرون
عبدا ر ق البخاري عن عثمان النهدي قال سمعت سعدا وابا بكرة عن النبي
صلي الله عليه وسلم قال عاصم فقلت شهد عندي رجلان اما احدهما فاول من
رمي بسهم في سبيل الله واما الاخر فنزل للنبي صلي الله عليه وسلم ثالث ثلاثة
وعشرين من الطايف الحديث واعتق صلي الله عليه وسلم من نزل منهم
ودفع كل رجل منهم الي رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك علي اهل الطايف م
مشقة شديدة ولم يوذن له النبي صلي الله عليه وسلم في فتح الطايف وامر
عمر ابن الخطاب فاذن في الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم
يفتح علينا الطايف فقال عليه الصلاة والسلام فاغدوا علي القتال فغدوا
فاصاب المسلمين جراحات فقال صلي الله عليه وسلم انا قافلون ان شا الله
تعالي فسروا بذلك واذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلي الله عليه
وسلم يضحك قال النووي قصد صلي الله عليه وسلم الشفقة عليهم والرفق
بالرحيل عن الطايف لصعوبة امره وشدة الكفار الذين فيه وتقويهم
بحصنهم مع انه صلي الله عليه وسلم علم او رجا انه سيفتحه بلا مشقة بعد هذا
فلما حرص الصحابة علي المقام والجهاد واقام وجد في القتال فلما اصابتهم الجراح ح
رجع الي ما كان قصده اولا من الرفق بهم ففرحوا بذلك لما راوا من الشفقة
الظاهرة فوافقوا علي الرحيل فضحك صلي الله عليه وسلم تعجبا من تغير رايهم
وفقيت عين ابي سفيان صخر بن حرب يوميذ فذكر ابن سعد ان النبي
صلي الله عليه وسلم قال له وهي في يده ايما احب اليك عين في الجنة او ادعوا
الله ان يردها عليك قال بل عين في الجنة ورمي بها وشهد اليرموك فقاتل
وفقيت عينه الاخري يوميذ ذكره الحافظ زين الدين العراقي في شرح
التقريب وقال صلي الله عليه وسلم لاصحابه قولوا لا اله الا الله وحده
صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلما ارتحلوا قال قولوا

ايبون عابدون لربنا حامدون فانظر كيف كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج للجهاد
يحتفل لذلك بجمع اصحابه واتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاج اليه من الات الجهاد والسفر
ثم اذا رجع عليه الصلاة والسلام يتعرى من ذلك ويرد الامر كله لمولاه عز وجل لا لغيره
بقوله ايبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده فنفى صلى الله عليه وسلم ما تقدم ذكره وهذا هو معنى الحقيقة لان
الانسان وفعله خلق لربه عز وجل فهو الله سبحانه وتعالى الذي خلق ودبر واعان
واجرى الامور على يد من يشاء ومن اختار من خلقه فكل منه واليه ولو يشا الله
ان يبيد اهل الكفر من غير قتال لفعل قال تعالى ولو يشا الله لانتصر منهم ولكن ليبلو
بعضكم ببعض فيثبت سبحانه وتعالى الصابرين ويجزل الثواب للشاكرين قال
تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم فعلى المكلف
الامتثال في الحالتين اي امتثال تعاطي الاسباب والرجوع الى المولى والسكون
اليه بساحة كرمه كما كان صلى الله عليه وسلم ياتي الاسباب اولا تادبا مع الربوبية
وتشريعا لامته ثم يظهر الله تعالى على يديه ما يشا من قدرته الغامضة
التي ادخرها له عليه الصلاة والسلام قال ابن الحاج في المدخل ولما قيل له يا رسول
الله ادع على ثقيف فقال اللهم اهد ثقيفا وايت بهم مسلمين وكان عليه الصلاة والسلام
قد امر ان يجمع السبي والغنائم مما افا الله على رسوله يوم حنين فجمع ذلك كله الى
الجعرانة فكان بها الى ان انصرف عليه الصلاة والسلام من الطايف وكان السبي
ستة الاف راس والابل اربعة وعشرين الف بعير والغنم اكثر من اربعين الف
شاة واربعة الاف اوقية فضة واستانى صلى الله عليه وسلم اي انتظر وتربص
لهوازن ان يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة ثم بدا بقسم الاموال وفي البخاري
وطفق صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا المائة من الابل فقال اناس من الانصار
يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا
تقطر من دمائهم قال انس فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم فارسل
الى الانصار فجمعهم في قبة من ادم قال لهم اما ترضون ان يذهب الناس بالاموال
وتذهبون بالنبي الى رحالكم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا
يا رسول الله قد رضينا وعن جبير ابن مطعم قال بينا انا مع النبي صلى الله عليه
وسلم ومعه الناس مقفله من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم
الاعراب حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداه فوقف صلى الله عليه وسلم
فقال اعطوني ردائي فلو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني
بخيلا ولا كذابا ولا جبانا رواه وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي عن
ابن عباس انه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطايف نزل

الجعرانة

الجعرانة فقسم الغنائم ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال قاله ابن سيد الناس
وهذا ضعيف والمعروف عند اهل السير ان النبي صلى الله عليه وسلم انتهى الى
الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة فاقام بها ثلاث عشرة
ليلة فلما اراد الانصراف الى المدينة خرج ليلة الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت
من ذي القعدة ليلا فاحرم بعمرة ودخل مكة وفي تاريخ الازرقي عن مجاهد انه
عليه الصلاة والسلام احرم من وراء الوادي حيث الحجارة المنصوبة وعند
الواقدي من المسجد الاقصى الذي تحت الوادي بالعدوة القصوى من
الجعرانة وكانت صلاته عليه الصلاة والسلام اذا كان بالجعرانة به والجعرانة
موضع بينه وبين مكة بريد كما قاله الفاكهي وقال الباجي ثمانية عشر ميلا
وسمي بامراة تلقب بالجعرانة كما ذكره السهيلي انتهى قال وقدم صلى الله عليه وسلم
المدينة وقد غاب عنها شهرين وستة عشر يوما وبعث عليه الصلاة والسلام
قيس بن سعد ابن عبادة الى ناحية اليمن في اربعماية فارس وامره ان يقاتل
قبيلة صدا حين مروره عليهم في الطريق فقدم زياد بن الحرث الصدائي
فساله عن ذلك البعث فاخبر فقال يا رسول الله انا وافد لهم فاردد الجيش 97
وانا لك بقومي فردهم النبي صلى الله عليه وسلم من قناة وقدم الصدائيون بعد
خمس عشر يوما فاسلموا وتاتي قصته وفودهم في الفصل العاشر من المقصد الثاني
ان شا الله تعالى وبعث عيينة بن حصين الفزاري الى بني تميم بالسقيا وهي
ارض بني تميم في المحرم سنة تسع في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري
ولا انصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم في صحرا فدخلوا وسرحوا
مواشيهم فلما راوا الجمع ولوا فاخذ وامنهم احد عشر رجلا ووجدوا في المحلة احدى
عشرة امراة وثلاثين صبيا فقدم منهم عشرة من روسايهم منهم عطارد والزبرقان
وقيس بن عاصم والاقرع بن حابس فجاوا الى باب النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا
يا محمد اخرج الينا فخرج صلى الله عليه وسلم واقام بلال الصلاة وتعلقوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن
المسجد فقدموا عطارد بن حاجب فتكلم وخطب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثابت بن قيس بن شماس فاجابهم ونزل فيهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
الاية ورد عليهم صلى الله عليه وسلم الاسرى والسبي وفي البخاري عن عبد الله
ابن الزبير انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر
امر القعقاع بن سعيد ابن زرارة وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر
ما اردت الا خلافي قال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل
في ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله حتى انقضت اي تقدموا

المفضا في امر قبل ان يحكم الله ورسوله فيه ولما نزل لا ترفعوا اصواتكم اقسم ابو بكر
لا يتكلم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كمن يشاور صاحبه فنزل
فيه وفي امثاله ان الذين يغضون اصواتهم الاية ثم بعث الوليد بن عقبة
ابن ابي معيط الى بني المصطلق من خزاعة ليصدقهم وكان بينه وبينهم عداوة
في الجاهلية وكانوا قد اسلموا وبنوا المساجد فلما سمعوا بدنو الوليد خرج
منهم عشرون رجلا يتلقونه بالجزر والغنم فرحا به وتعظيما لله ولرسوله
فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فرجع من الطريق قبل ان يصلوا اليه
واخبر النبي صلى الله عليه وسلم انهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة
فهم صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك القوم فقدم
عليه الركب الذين لقوا الوليد فاخبروا النبي صلى الله عليه وسلم الخبر على
وجهه فنزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا الى اخر الاية
فقرا عليهم صلى الله عليه وسلم القران وبعث معهم عباد بن بشر ياخذ صدقات
اموالهم ويعلمهم شرايع الاسلام ويقريهم القران وفي شرف المصطفى للنيسابوري
ما ذكره مغلطاي انه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن عوسجة الى بني
عمرو بن حارثة وقيل حارثة بن عمرو قال وهو الاصح في مستهل صفر يدعوهم
الى الاسلام فابوا ان يجيبوا واستخفوا بالصحيفة فدعا عليهم صلى الله عليه وسلم
بذهاب العقل فهم الى اليوم اهل رعدة وعجلة وكلام مختلط ثم سرية قطبة
ابن عامر بن حديدة الى خثعم قريبا من تربة بفتح الراء من اعمال مكة سنة تسع
وبعث معه عشرين رجلا وامره ان يشن الغارة عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا
حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعا وقتل قطبة من قتل وساقوا النعم والشاء
والنسا الى المدينة وكانت سهامهم اربعة ابعرة والبعير يعدل بعشرة من
الغنم بعد ان اخرج الخمس ثم سرية الضحاك بن سفيان الكلابي الى بني كلاب
في ربيع الاول سنة تسع الى القرطا فدعاهم الى الاسلام فابوا فقاتلهم فهزموهم
وغنموا ثم سرية علقمة ابن مجزز المدلجي الى الحبشة في ربيع الاخر قال الحاكم
في صفر سنة تسع وذكر ابن سعد ان سبب ذلك انه بلغه صلى الله عليه وسلم
ان ناسا من الحبشة تراءاهم اهل جدة فبعث عليهم علقمة بن مجزز في ثلاثماية فانتهى
الى جزيرة في البحر فلما خاض البحر اليهم هربوا فلما رجع تعجل بعض القوم الى اهليهم
فامر عبد الله ابن حذافة على من تعجل وكانت فيه دعابة فنزلوا ببعض الطريق
واوقد نارا يصطلون عليها فقال عزمت عليكم الا تواثبتم في هذه النار فقام بعضهم
يتهيا قال اجلسوا انما كنت امزح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
من امركم بمعصية فلا تطيعوه رواه الحاكم وابن ماجه وصححه ابن خزيمة

وابن

وابن حبان من حديث ابي سعيد الخدري وبوب عليه البخاري فقال سرية
عبد الله بن حذافة السهمي وعلقمة بن مجزز المدلجي ويقال انها سرية الانصاري
ثم روى عن علي قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل رجلا من الانصار
وامرهم ان يطيعوه فغضب فقال اليس قد امركم النبي صلى الله عليه وسلم ان تطيعوني
قالوا بلى قال فاجمعوا حطبا فجمعوا فقال اوقدوا نارا فاوقدوها فقال ادخلوها فهموا
وجعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا الى النبي صلى الله عليه وسلم من النار
فما زالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو
دخلوها ما خرجوا منها قال الحافظ ابو الفضل بن حجر في قوله ويقال انها سرية
الانصاري اشارة الى احتمال تعدد القصة وهو الظاهر لاختلاف سياقهما واسم
اميرها ويحتمل الجمع بينهما بضرب من التاويل ببعد وصف عبد الله ابن حذافة
السهمي القرشي المهاجري بكونه انصاريا ويحتمل ان يكون الحمل على المعنى الاعم اي
انه نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجملة والى التعدد جنح ابن القيم وابن
الجوزي فقال قوله من الانصار وهم من بعض الرواة وانما هو سهمي قال في فتح
الباري ويويده حديث ابن عباس عند احمد في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم نزلت في عبد الله بن حذافة
ابن قيس بن عدي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية انتهى وقال
النووي وهذا الذي فعله هذا الامير قيل اراد امتحانهم وقيل كان مازحا وقيل
ان هذا الرجل عبد الله ابن حذافة بن قيس السهمي قال وهذا ضعيف لانه قال
في الرواية التي بعدها انه رجل من الانصار فدل على انه غيره انتهى ثم سرية
علي بن ابي طالب الى الفلس بضم الفا وسكون اللام وهو صنم طي ليهدمه
في ربيع الاخر سنة تسع وبعث معه ماية وخمسين رجلا من الانصار على ماية
بعير وخمسين فرسا وعند ابن سعد مايتي رجل فهدمه وغنم سبيا ونعما
وشا وكان في السبي سفانة بنت حاتم اخت عدي بن حاتم فاطلقها النبي صلى الله
عليه وسلم فكان ذلك سبب اسلام عدي وعند ابن سعد ايضا ان الذي كان
سباها خالد بن الوليد رضي الله عنه ثم سرية عكاشة بن محصن الى الجناب
موضع بالحجارة ارض عذرة وبلي وقيل ارض فزارة وكلب ولغذاره بها شوكة
قصة كعب بن زهير مع النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيما بين رجوعه
عليه الصلاة والسلام من الطايف وغزوة تبوك وكان من خبر كعب
واخيه بجير ما ذكره ابن اسحق وعبد الملك ابن هشام وابو بكر محمد بن القاسم
ابن بشار بن الانباري دخل حديث بعضهم في حديث بعض ان بجيرا قال
لكعب اثبت حتى اتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه

Copyright King Saud University

واعرف ماعنده فاقام كعب ومضى بجير فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه
فامن به وذلك ان زهيرا فيما زعموا كان يجالس اهل الكتاب فسمع منهم انه قد ان مبعثه
صلى الله عليه وسلم ورأى زهير في منامه انه قد مد بسبب من السما وانه مد يده
ليتناوله ففاته فاوله بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي يبعث في اخر الزمان
وانه لا يدركه واخبر بنيه بذلك واوصاهم ان ادركوه ان يسلموا قال ابن اسحق
ولما قدم صلى الله عليه وسلم من الطايف كتب بجير بن زهير الى اخيه كعب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتله لا يقتل احدا اتاه تايبا فان انت لم تفعل فانج
الى نجاتك وكان كعب قد قال • الا ابلغا عني بجيرا رسالة • فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا •

• فبين لنا ان كنت لست بفاعل • على اي شي غير ذلك دلكا •
• على خلق لم تلف اما ولا ابا • عليه ولا تلفا عليه اخا لكا •
• فان انت لم تفعل فلست بآسف • ولا قايل اما عثرت لعا لكا •
• سقاك بها المامون كاسا روية • فانهلك المامون منها وعلكا •

قال السهيلي لعا كلمة تقال للعاثر دعا له انتهى قال ابن اسحق وبعث بها الى بجير
فلما اتت بجيرا كره ان يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده اياها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاك بها المامون صدق وانه لكذوب وانا المامون
فلما سمع على خلق لم تلف اما ولا ابا عليه قال اجل لم يلف عليه اباه ولا امه ثم قال عليه
الصلاة والسلام من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب اليه اخوه بهذه الابيات

• فمن مبلغا كعبا فهل لك في التي • تلوم عليها باطلا وهي احزم •
• الى الله لا العزى ولا اللات وحده • فتنجو اذا كان النجا وتسلم •
• لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت • من الناس الا طاهر القلب مسلم •
• فدين زهير وهو لا شي دينه • ودين ابي سلمى علي محرم •

فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الارض واشفق على نفسه وارجف به من كان
في حاضره من عدوه فقال هو مقتول فلما لم يجد من شي بدا قال قصيدته
التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر خوفه وارجاف الوشاة
به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه
معرفة من جهينة فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا
رسول الله فقم اليه واستامنه فقام حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يا رسول
الله ان كعب بن زهير قد جا ليستامنك تايبا مسلما فهل انت قابل منه ان انا
جيتك به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال انا يا رسول الله
كعب بن زهير قال ابن اسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة

انه

انه وثب عليه رجل من الانصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله اضرب
عنقه فقال صلى الله عليه وسلم دعه عنك جا تايبا نازعا قال فغضب كعب
على هذا الحي من الانصار لما صنع صاحبهم وذلك انه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين
الا بخير ثم قال قصيدته اللامية التي اولها

• بانت سعاد فقلبي اليوم متبول • متيم اثرها لم يفد مكبول •
• انبيت ان رسول الله اوعدني • والعفو عند رسول الله مامول •
• مهلا هداك الذي اعطاك نافلة الـ • قرآن فيه مواعظ وتفصيل •
• لا تاخذني باقوال الوشاة ولم • اذنب ولو كثرت في الاقاويل •
• ان الرسول لنور يستضاء به • مهند من سيوف الله مسلول •
• في عصبة من قريش قال قايلهم • ببطن مكة لما اسلموا زولوا •
• يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم • ضرب اذا عرد السود التنابيل •

وفي رواية ابي بكر الانباري انه لما وصل الى قوله ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول رمى عليه الصلاة والسلام بردة كانت عليه
وان معاوية بذل له فيها عشرة الاف فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله
صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفا
فاخذها منهم قال وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم وقال ابن اسحق
قال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال كعب اذا عرد السود التنابيل وانما عنى معشر
الانصار لما كان صاحبنا صنع به وخص المهاجرين بمدحته غضب عليه الانصار
فقال بعد ان اسلم يمدح الانصار قصيدته التي يقول فيها

• من سره كرم الحياة فلا يزل • في مقنب من صالحي الانصار •
• ورثوا المكارم كابرا عن كابر • ان الخيار هم بنو الاخيار •
• المكرهين السمهري باذرع • كسوالف الهندي غير قصار •
• والناظرين باعين محمرة • كالجمر غير كليلة الابصار •
• والبايعين نفوسهم لنبيهم • للموت يوم تعانق وكرار •
• يتطهرون يرونه نسكا لهم • بدما من علقوا من الكفار •
• قوم اذا خوت النجوم فانهم • للطارقين النازلين مقار •

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعرا وابوه وابنه عقبة وابن ابنه
العوام بن عقبة غزوة تبوك مكان معروف وهي نصف طريق المدينة
الى دمشق وهي غزوة العسرة وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها
وكانت يوم الخميس في رجب سنة تسع من الهجرة بلا خلاف وذكر البخاري لها
بعد حجة الوداع لعله خطا من النساخ وكان حرا شديدا وجدبا كثيرا فلذلك

Copyright © King Saud University

لم يورعنها كعادته في ساير الغزوات وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن ابن عقيل
قال خرجوا في قلة من الظهر وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون
ما في كرشه من الما فكان ذلك عسرة في الما وفي الظهر وفي النفقة فسميت غزوة
العسرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم من الانباط الذين يقدمون بالزيت
من الشام الى المدينة ان الروم تجمعت بالشام مع هرقل فندب صلى الله عليه وسلم
الناس الى الخروج واعلمهم بالمكان الذي يريد ليتاهبوا لذلك وروى الطبراني
من حديث عمران بن حصين قال كانت نصارى العرب كتبت الى هرقل ان هذا الرجل
الذي خرج يدعي النبوة هلك واصابتهم سنون فهلكت اموالهم فبعث رجلا من عظمايهم
وجهز معه اربعين الفا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن للناس قوة وكان
عثمان قد جهز عيرا الى الشام فقال يا رسول الله صلعم ما يتا بعير باقتابها واحلاسها وماييا
اوقية قال فسمعته يقول لا يضر عثمان ما عمل بعدها وروى عن قتادة انه قال
حمل عثمان في جيش العسرة على الف بعير وسبعين فرسا وعن عبد الرحمن بن سمرة
قال جا عثمان بن عفان بالف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره
صلى الله عليه وسلم فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول
ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم خرجه الترمذي وقال حسن غريب وعند الفضا بلى
والملقي في سيرته كما ذكره الطبري في الرياض النضرة من حديث حذيفة بعث
عثمان يعني في جيش العسرة بعشرة الاف دينار الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فصبت بين يديه فجعل صلى الله عليه يقول بيده ويقلبها ظهرا لبطن
ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما هو كاين الى يوم القيامة
ما يبالي ما عمل بعدها ولما تاهب صلى الله عليه وسلم للخروج قال قوم من المنافقين
لا تنفروا في الحر فنزل قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا
لو كانوا يفقهون وارسل عليه الصلاة والسلام الى مكة وقبايل العرب يستنفرهم
وجا البكاوون يستحملونه فقال عليه الصلاة والسلام لا اجد ما احملكم عليه وهم سالم
ابن عمير وعلبة بن زيد وابو ليلى عبد الرحمن بن كعب المازني والعرباض بن سارية
وهرم بن عبد الله وعمرو بن عتبة وعبد الله بن معقل وعبد الله بن عمرو المزني
وعمرو بن الحمام ومعقل المزني وحرمي بن مازن والنعمان بن سويد ومعقل
وعقيل وسنان وعبد الرحمن وهند بنوا مقرن وهم الذين قال الله تعالى فيهم
تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون قاله مغلطاي وفي
البخاري عن ابي موسى قال ارسلني اصحابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اساله الحملان لهم فقلت يا نبي الله ان اصحابي ارسلوني اليك لتحملهم فقال والله
لا احملكم على شي فرجعت حزينا من منع النبي صلى الله عليه وسلم ومن مخافة ان يكون

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم وجد في نفسه علي فرجعت الى اصحابي فاخبرتهم الذي قال
النبي صلى الله عليه وسلم فلم البث الا سويعة اذ سمعت بلالا ينادي اين عبد الله
ابن قيس فاجبته فقال اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فلما اتيته
فقال خذ هاتين القرينتين وهاتين القرينتين لستة ابعرة ابتاعهن حينيذ من
سعد فانطلق بهن الى اصحابك فقال ان رسول الله يحملكم على هولا فاركبوهن
الحديث وقام علبة بن زيد يصلي من الليل وبكا وقال اللهم انك قد امرت بالجهاد
ورغبت فيه ثم لم تجعل عندي ما اتقوى به مع رسولك ولم تجعل في يد رسولك
ما يحملني عليه واني اتصدق على كل مسلم بكل مظلمة اصابتني فيها مال او جسد
او عرض ثم اصبح مع الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم اين المتصدق بهذه
الليلة فلم يقم احد ثم قال اين المتصدق فليقم فقام اليه فاخبره فقال صلى الله
عليه وسلم ابشر فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة رواه
يونس كما ذكره السهيلي في الروض والبيهقي في الدلايل له وجا المعذرون
من الاعراب ليوذن لهم في التخلف فاذن لهم وهم اثنان وثمانون رجلا وقعد
اخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة جراة على الله ورسوله وهو
قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله واستخلف على المدينة محمد
ابن مسلمة قال الدمياطي وهو عندنا اثبت ممن قال استخلف غيره انتهى
وقال الحافظ زين الدين العراقي في ترجمة علي بن ابي طالب من شرح التقريب
لم يتخلف عن المشاهد الا تبوك فان النبي صلى الله عليه وسلم خلفه على المدينة
وعلى عياله وقال له يوميذ انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي
وهو في الصحيحين من حديث سعد بن ابي وقاص انتهى ورجحه ابن عبد البر
وقيل استخلف سباع بن عرفطة وتخلف قوم من المسلمين من غير شك ولا ارتياب
منهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وفيهم نزل وعلى الثلاثة
الذين خلفوا وابو ذر وابو خيثمة ثم لحقاه بعد ذلك ولما راى عليه الصلاة
والسلام ابا ذر الغفاري وكان عليه الصلاة والسلام نزل في بعض الطرق
فقال يمشي وحده ويعيش وحده ويموت وحده فكان كذلك وامر صلى الله
عليه وسلم لكل بطن من الانصار والقبايل من العرب ان يتخذ لوا وراية
وكان معه عليه الصلاة والسلام ثلاثون الفا وعند ابي ذرعة سبعون الفا
وفي رواية عنه ايضا اربعون الفا وكانت الخيل عشرة الاف فرس ولما مر
عليه الصلاة والسلام بالحجر بكسر الحا وسكون الجيم بديار ثمود قال لا تشربوا
من مايها شيا ولا يخرجن احد منكم الا ومعه صاحب له ففعل الناس الا ان
رجلين من بني ساعدة خرج احدهما لحاجته فخنق على مذهبه واما الذي

Copy... King ... University

خرج في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبل طي فاخبر بذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال الم انهكم ثم دعا للذي خنق فشفي واما الاخر فاهدته
طي لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة د ق صحيح مسلم من حديث
ابي حميد انطلقنا حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستهب
عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم احد منكم فمن كان له بعير فليشد عقاله
فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى القته بجبل طي د ق ب الزهري
لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سجى ثوبه على وجهه واستحث
راحلته ثم قال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا انفسهم الا وانتم باكون خوفا ان
يصيبكم ما اصابهم رواه الشيخان ولما كان عليه الصلاة والسلام ببعض الطريق
ضلت ناقته فقال زيد بن اللصيت وكان منافقا اليس محمد يزعم انه
نبي ويخبركم عن خبر السما وهو لا يدري اين ناقته فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان رجلا يقول وذكر مقالته واني والله لا اعلم الا ما علمني الله وقد
دلني الله عليها وهي في الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها
فانطلقوا حتى تاتوني بها فانطلقوا فجاوا بها رواه البيهقي وابو نعيم د و مسلم
حديث معاذ بن جبل انهم وردوا عين تبوك وهي تبض بشي من ما فاغترفوا
منها قليلا قليلا حتى اجتمع في شي ثم غسل صلى الله عليه وسلم وجهه
ويديه ثم اعاده فيها فجرت بما كثير فاستقى الناس الحديث ويأتي ان شا الله
تعالى في مقصد المعجزات ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى تبوك اتاه صاحب
ايلة فصالحه واعطاه الجزية واتاه اهل جربا والجرباء واذرح بالذال المعجمة والراء
والحا المهملة بلدين بالشام بينهما ثلاثة اميال فاعطوه الجزية وكتب لهم صلى الله
عليه وسلم كتابا د ر ح هرقل بحمص فارسل خالد بن الوليد الى اكيدر بن عبد الملك
النصراني وكان ملكا عظيما بدومة الجندل في اربعماية وعشرين فارسا
في رجب سرية وقال له عليه الصلاة والسلام انك ستجده ليلا يصيد
البقر فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة الى بقر يطاردها
هو واخوه حسان فشدت عليه خيل خالد فاستاسر الكيدر وقتل اخاه
حسانا وهرب من كان معها فدخل الحصن ثم اجار خالد اكيدر من القتل
حتى ياتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يفتح له دومة الجندل
ففعل وصالحه على الفي بعير وثمانماية فرس واربعماية درع واربعماية
رمح وفي هذه الغزوة كتب صلى الله عليه وسلم كتابا في تبوك الى هرقل
يدعوه الى الاسلام فقارب الاجابة ولم يجب رواه ابن حبان في صحيحه من
حديث انس د ق مسند احمد ان هرقل كتب من تبوك الى النبي صلى الله عليه

٤٣

وسلم اني مسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب هو على نصرانيته د ق كتاب الاموال
لابي عبيدة بسند صحيح من مرسل بكر بن عبد الله نحوه ولفظه فقال كذب عدو
الله ليس بمسلم ثم انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد ان اقام بها بضع عشرة
ليلة يصلي بها ركعتين ولم يلق كيدا د ق في مساجد واقبل عليه الصلاة والسلام حتى
نزل عليه الصلاة والسلام بذي اوان بفتح الهمزة بلفظ الاوان الحين وبينها وبين
المدينة ساعة جاه خبر مسجد الضرار من السما فدعا مالك بن الدخشم ومعن
ابن عدي العجلاني فقال انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه ثم
وحرقاه فخرجا فحرقاه فهدماه وذلك بعد ان انزل الله فيه والذين اتخذوا
مسجدا ضرارا وكفرا الاية قال الواحدي قال ابن عباس ومجاهد وقتادة
وعامة اهل التفسير الذين اتخذوا مسجد الضرار كانوا اثني عشر رجلا هم
يضارون به مسجد قبا وذلك انهم قالوا في طايفة من المنافقين نبني مسجدا
فنقيل فيه فلا نحضر خلف محمد قال المفسرون وطلبوا ذلك لغرض قصدهم
الفاسد عند ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك فقالوا
يا رسول الله بنينا مسجدا لذي العلة والليلة المطيرة ونحن نحب ان تصلي فيه
وتدعو لنا بالبركة فقال عليه الصلاة والسلام اني على جناح سفر واذا قدمنا
ان شا الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت
الاية ولما دنى صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه وخرج النسا
والصبيان والولايد يقلن طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا
ما دعى لله داعي د ق وهم بعض الرواة كما قدمته وقال انما كان هذا عند
مقدمه وهو وهم ظاهر لان ثنيات الوداع انما هي من ناحية الشام لا يراها
القادم من مكة الى المدينة ولا يراها الا اذا توجه الى الشام كما قدمت ذلك
ق ب البخاري لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك فدنا من المدينة
قال ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم العذر
وهذا ايويد معنى ما روي نية المومن خير من عمله فان نيته هو لا خير لمن
اعمالهم فانها بلغت بهم مبلغ اوليك العاملين بابدانهم وهم على فرشهم في بيوتهم
والمسابقة الى الله تعالى والى الدرجات العلى بالنيات والهمم لا بمجرد
الاعمال ولما اشرف صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة وهذا احد
جبل يحبنا ونحبه ولما قال العباس يا رسول الله ايذن لي امدحك قال قل
لا يفضض الله فاك فقال من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق

Copyright King Saud University

تنقل من صالب الي رحم ... اذا مضي عالم بدا طبق

وردت نار الخليل مكتتما ... في صلبه انت كيف يحترق

حتي احتوي بيتك المهيمن من ... خندف علياً تحتها النطق

وانت لما ولدت اشرقت الارض ... وضاءت بنورك الافق

فنحن في ذلك الضياء وفي ... النور وسبل الرشاد نخترق

وعاليا قدرك الرفيع رقي ... معناك حسنا بمثله السبق

فدا ثنيك والقوام اذا ... غصنا رطيبا قوامك الرشق

ووجهك البدر ان يضي ومن ... شعرك الليل تحلك الغسق

اضا منك الوجود نورسنا ... وفاح مسكا ونشرك العبق

وقوله من قبلها طبت الي اخره الي ظلال الجنة اي كنت طيبا في صلب آدم حيث كان في الجنة وقوله من قبلها اي من قبل نزولك الي الارض تكنّي عنها ولم يتقدم لها ذكر لبيان المعني وقوله وقد الجم نسرا واهله الغرق يريد الصنم الذي كان يعبده قوم نوح وهو المذكور في قوله تعالي ولا يغوث ويعوق ونسرا وقوله حتي احتوي بيتك المهيمن الي اخره النطق جمع نطاق وهي اعراض من جبال بعضها فوق بعض اي نواح واوساط منها شبهت بالنطق التي يشد بها اوساط الناس ضربه مثلا في ارتفاعه وتوسطه في عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة اوساط الجبال واراد بيته شرفه والمهيمن نعته اي احتوي شرفك الشاهد علي فضلك اعلا مكان من نسب خندف وهو بكسر الخا المعجمة والدال المهملة وجاه صلي الله عليه وسلم من كان تخلف عنه فخلعوا له فعذرهم واستغفر لهم وارجا امر كعب وصاحبيه حتي نزلت توبتهم في قوله تعالي لقد تاب الله علي النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلي الثلاثة الذين خلفوا حتي اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم والثلاثة هم كعب بن مالك وهلال ابن امية ومرارة بن ربيعة وعند البيهقي في الدلايل من مرسل سعيد بن المسيب ان ابا لبابة لما اشار لبني قريظة بيده الي حلقه انه الذبح فاخبر عنه رسول الله صلي الله عليه وسلم بذلك فقال صلي الله عليه وسلم احسبت ان الله غفل عن يدك حين تشير اليهم بها الي حلقك فلبث حينا ورسول الله صلي الله عليه وسلم عاتب عليه ثم غزا تبوكا فتخلف عنه ابو لبابة فيمن تخلف فلما قفل رسول الله صلي الله عليه وسلم جا ابو لبابة يسلم عليه فاعرض عنه رسول الله صلي الله عليه وسلم ففزع ابو لبابة فارتبط بسارية التوبة سبعا وقال لا ازال هنا مكاني

حتى

١٠٧

حتي افارق او يتوب الله علي الحديث وعنده ايضا من حديث ابن عباس في قوله تعالي واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيا قال كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبي صلي الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما رجع صلي الله عليه وسلم اوثق سبعة منهم انفسهم بسواري المسجد وكان ممر النبي صلي الله عليه وسلم اذا رجع في المسجد عليهم فقال من هولاي قالوا هذا ابو لبابة واصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله حتي تطلقهم وتعذرهم قال اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتي يكون الله هو الذي يطلقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو فانزل الله تعالي واخرون اعترفوا بذنوبهم فلما نزلت ارسل اليهم النبي صلي الله عليه وسلم فاطلقهم وعذرهم الحديث قالوا ولما قدم عليه الصلاة والسلام من تبوك وجد عويمر العجلاني امراته حبلي فلاعن عليه الصلاة والسلام بينهما ثم حجة ابي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس سنة تسع في ذي القعدة كما ذكره ابن سعد وغيره بسند صحيح عن مجاهد ووافقه عكرمة بن خالد فيما اخرجه الحاكم في الاكليل وقال قوم في الحجة وبه قال الداودي والتعلبي والماوردي ويويده ان ابن اسحق صرح بان النبي صلي الله عليه وسلم اقام بعد ما رجع من تبوك رمضان وشوال وذا القعدة ثم بعث ابا بكر اميرا علي الحج فهو ظاهر في ان بعث ابي بكر كان بعد انسلاخ ذي القعدة فيكون حجه في ذي الحجة علي هذا والله اعلم وكان مع ابي بكر ثلثماية رجل من المدينة وعشرون بدنة وفي البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان ابا بكر بعثه في الحجة التي امره رسول الله صلي الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط يوذن في الناس يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم اردف النبي صلي الله عليه وسلم بعلي ابن ابي طالب وامره ان يوذن ببراة فاذن معنا في اهل منا ببراة وان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال فنبذ ابو بكر الي الناس في ذلك العام فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك فانزل الله تعالي في العام الذي نبذ فيه ابو بكر الي المشركين يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الاية وقد دلت هذه الاية الكريمة علي نجاسة المشرك كما في الصحيح المومن لا ينجس واما نجاسة بدنه فالجمهور علي انه ليس بنجس البدن والذات وذهب بعض الظاهرية الي نجاسة ابدانهم وهذا ضعيف لان اعيانهم لو كانت نجسة كالكلب والخنزير لما طهرهم الاسلام ولا استوي في النهي عن دخول المشركين المسجد الحرام وغيره من المساجد فالمراد الاخبات لما فيهم من خبث الظاهر بالكفر وخبث الباطن بالعداوة قاله مقاتل وروي النساي عن جابر ان النبي صلي الله عليه وسلم لما رجع من عمرة الجعرانة بعث ابا بكر علي الحج فاقبلنا معه حتي اذا كنا بالعرج ثوب بالصبح

فلما استوى للتكبير سمع الرغوة خلف ظهره فوقف على التكبير فقال هذه رغوة
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الجدعاء لقد بدا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم في الحج فلعله ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصلي معه فاذا
علي عليها فقال له ابو بكر امير ام رسول قال لا بل رسول ارسلني رسول الله صلى
الله عليه وسلم ببراءة اقراوها على الناس في الحج فقدمنا مكة فلما كان قبل التروية بيوم موافقهم
قام ابو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى اذا فرغ قام علي فقرا على الناس علي م
براءة حتى ختمها ثم خرجنا معه حتى اذا كان يوم عرفة قام ابو بكر فخطب الناس فعلمهم
مناسكهم حتى اذا فرغ قام علي فقرا على الناس براءة حتى ختمها ثم كان يوم النحر فافضنا
فلما رجع ابو بكر خطب الناس فحدثهم عن افاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم فلما فرغ
قام علي فقرا على الناس براءة حتى ختمها فلما كان يوم النفر الاول قام ابو بكر فخطب
الناس فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون وعلمهم مناسكهم فلما فرغ قام علي فقرا على
الناس براءة حتى ختمها وهذا السياق فيه غرابة من جهة ان امير الحج سنة
عمرة الجعرانة انما هو عتاب بن اسيد فاما ابو بكر رضي الله عنه فانما كان سنة
تسع واستدل بهذه القصة على ان فرض الحج كان قبل حجة الوداع والاحاديث
في ذلك شهيرة كثيرة وذهب جماعة الى ان حج ابي بكر هذا لم يسقط عنه الفرض
بل كان تطوعا قبل فرض الحج ولا يخفى ضعفه وفي هذه السنة مات عبد الله بن ابي
ابن سلول فجاء ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه قميصه
يكفن فيه اباه فاعطاه ثم ساله ان يصلي عليه فقام ليصلي عليه فقام عمر رضي الله
عنه فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه
وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل
قال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسازيد على السبعين
قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا
تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون
رواه الشيخان والنسائي وفي هذه السنة ايضا آلى صلى الله عليه وسلم من نسائه
شهرا وجحش شقه اي خدش وجلس في مشربة له درجها من جذوع فاتاه اصحابه
يعودونه فصلى بهم جالسا وهم قيام فلما سلم قال انما جعل الامام ليؤتم به فاذا صلى
قائما فصلوا قياما وان صلى قاعدا فصلوا قعودا ولا تركعوا حتى يركع ولا ترفعوا
حتى يرفع ونزل لتسع وعشرين فقالوا يا رسول الله انك آليت شهرا فقال
ان الشهر يكون تسعا وعشرين ثم بعث ابا موسى ومعاذا الى اليمن قبل حجة
الوداع كل واحد منهما على مخلاف قالوا واليمن مخلافان ثم قال يسرا ولا تعسرا
وبشرا ولا تنفرا وقال لمعاذ انك ستاتي قوما اهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى

ان

ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان هم اطاعوا لك بذلك
فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم
فان هم اطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم اموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها
وبين الله حجاب رواه البخاري والمخلاف بكسر الميم وسكون المعجمة واخره فاء
بلغة اهل اليمن الكورة والاقليم والرستاق وكانت جهة معاذ العليا الى صوب
عدن وكان من عمل الجند بفتح الجيم والنون وله بها مسجد مشهور وكانت
جهة ابي موسى السفلى ثم ارسل خالد بن الوليد قبل حجة الوداع ايضا في ربيع
الاول سنة عشر وقيل في الاكليل في ربيع الاخر وقيل جمادى الاولى الى بني عبد
المدان قبيلة بنجران فاسلموا ثم ارسل علي بن ابي طالب الى اليمن في شهر رمضان
سنة عشر من الهجرة وعقد له لواء وعممه بيده واخرج ابو داود واحمد والترمذي
من حديث علي قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول الله
تبعثني الى قوم اسن مني وانا حديث السن لا ابصر القضاء قال فوضع يده في
صدري وقال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه وقال يا علي اذا جلس اليك الخصمان ن
فلا تقض بينهما حتى تسمع من الاخر الحديث فخرج في ثلثمائة فارس ففرق اصحابه
فاتوا بنهب وغنائم ونساء واطفال ونعم وشاء وغير ذلك ثم لقي جمعهم فدعاهم الى
الاسلام فابوا ورموا بالنبل ثم حمل عليهم علي باصحابه فقتل منهم عشرين رجلا
فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم ثم دعاهم الى الاسلام فاسرعوا واجابوا وبايعه
نفر من رؤسائهم على الاسلام ثم قفل فوافى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قد قدم
للحج سنة عشر ثم حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وتسمى حجة الاسلام وحجة
البلاغ وكره ابن عباس ان يقال حجة الوداع وكان صلى الله عليه وسلم قد اقام
بالمدينة يضحي كل عام ويغزو المغازي فلما كان في ذي القعدة سنة عشر من
الهجرة اجمع الخروج الى الحج قال ابن سعد ولم يحج غيرها منذ تنبأ الى ان توفاه
الله تعالى وفي البخاري عن زيد بن ارقم ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا
تسعة عشر غزوة وانه حج بعدما هاجر حجة واحدة لم يحج بعدها حجة الوداع قال
وقال ابن اسحق وبمكة اخرى وقيل حج بمكة حجتين هذا بعد النبوة وقبلها
لا يعلمه الا الله فخرج صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم السبت لخمس ليال
بقين من ذي القعدة وجزم ابن حزم بان خروجه كان يوم الخميس وفيه
نظر لان اول ذي الحجة كان يوم الخميس قطعا لما ثبت وتواتر ان وقوفه بعرفة
كان يوم الجمعة فتعين ان اول الشهر يوم الخميس ولا يصح ان يكون خروجه
يوم الخميس بل ظاهر الخبر ان يكون يوم الجمعة لكن ثبت في الصحيحين عن
انس صلينا مع النبي صلى الله عليه وسلم الظهر بالمدينة اربعا والعصر بذي

الحليفة ركعتين فدل على ان خروجهم لم يكن يوم الجمعة ويحمل قول من قال لخمس
بقين اي ان كان الشهر ثلاثين فاتفق ان جا تسعا وعشرين فيكون يوم الخميس
اول ذي الحجة بعد مضي اربع ليال لا خمس وبها تتفق الاخبار هكذا جمع الحافظ
عماد الدين بن كثير الروايات وقوى هذا الجمع بقول جابر انه خرج لخمس بقين
من ذي القعدة او اربع وصرح الواقدي بان خروجه عليه الصلاة والسلام
كان يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة وكان خروجه من المدينة
بين الظهر والعصر وكان دخوله مكة صبح رابعة كما ثبت في حديث عايشة
وذلك يوم الاحد وهذا يويد ان خروجه من المدينة كان يوم السبت كما تقدم
فيكون مكث في الطريق ثمان ليال وهي المسافة الوسطى وخرج معه عليه الصلاة
والسلام تسعون الفا ويقال مائة الف واربعة عشر الفا ويقال اكثر من ذلك حكاه
البيهقي وياتي الكلام على حجة الوداع وما فيها من المباحث في مقصد العبادات ان
شا الله تعالى ثم سرية اسامة بن زيد بن حارثة الى اهل ابنا بالسراة ناحية بالبلقا
وكانت يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة وهي اخر سرية
جهزها النبي صلى الله عليه وسلم واول شي جهزه ابو بكر الصديق رضي الله عنه لغزو
الروم مكان قتل ابيه زيد فلما كان يوم الاربعا بدي برسول الله صلى الله عليه وسلم
وجعه فحم وصدع فلما اصبح يوم الخميس عقد لاسامة لوا بيده فخرج بلواه معقودا
فدفعه الى بريدة الاسلمي وعسكر بالجرف فلم يبق احد من وجوه المهاجرين
والانصار الا انتدب فيهم ابو بكر وعمر فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على
المهاجرين فخرج صلى الله عليه وسلم وقد عصب راسه وعليه قطيفة فصعد
المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم
في تاميري اسامة ولين طعنتم في امارتي اسامة لقد طعنتم في امارتي اباه من قبله
وايم الله ان كان للامارة خليقا وان ابنه من بعده لخليق للامارة وان كان لمن
احب الناس الي فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل عن المنبر فدخل
بيته ودخل [illegible] يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول سنة احدى عشرة وجا
المسلمون الذين يخرجون مع اسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويخرجون الى العسكر بالجرف فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله صلى الله عليه
وسلم وجعه فدخل اسامة من معسكره والنبي صلى الله عليه وسلم مغمور وهو
اليوم الذي لدوه فيه فطاطا اسامة فقبله ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم
فجعل يرفع يديه الى السما ثم يضعها على اسامة قال فعرفت انه يدعو لي ورجع
اسامة الى معسكره ثم دخل يوم الاثنين واصبح صلى الله عليه وسلم مفيقا فودعه
اسامة وخرج الى معسكره فامر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب اذ رسول

امه

امه ام ايمن قد جاء يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت فاقبل هو وعمر
وابو عبيدة فتوفي عليه الصلاة والسلام حين زاغت الشمس لاثنتي عشرة ليلة
خلت من شهر ربيع الاول واستشكله السهيلي ومن تبعه وذلك انهم اتفقوا على
ان ذي الحجة كان اوله يوم الخميس فمهما فرضت الشهور الثلاثة توام ونواقص او بعضها
لم يصح قال الحافظ ابن حجر وهو ظاهر لمن تامله واجاب البارزي ثم ابن كثير باحتمال
وقوع الاشهر الثلاثة كوامل وكان اهل مكة والمدينة اختلفوا في رؤية هلال
ذي الحجة فراه اهل مكة ليلة الخميس ولم يره اهل المدينة الا ليلة الجمعة فحصلت
الوقفة برؤية اهل مكة ثم رجعوا الى المدينة فارخوا برؤية اهلها فكان اول
ذي الحجة الجمعة واخره السبت واول المحرم الاحد واخره الاثنين واول صفر الثلا ثا
واخره الاربعا واول ربيع الاول الخميس فيكون ثاني عشره قال وهذا الجواب
بعيد من حيث انه يلزم منه توالي اربعة اشهر كوامل وقد جزم سليمان التيمي
احد الثقات بان ابتدا مرضه صلى الله عليه وسلم كان يوم السبت الثاني
والعشرين من صفر ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول فعلى
هذا يكون صفر ناقصا ولا يمكن ان يكون اول صفر السبت الا ان كان ذو الحجة
والمحرم ناقصين فيلزم منه نقص ثلاثة اشهر متوالية قال والمعتمد ما قاله
ابو مخنف انه توفي في ثاني ربيع الاول وكان سبب غلط غيره انهم قالوا مات
في ثاني شهر ربيع الاول فتغيرت فصارت ثاني عشر واستمر الوهم بذلك يتبع
بعضهم بعضا من غير تامل انتهى ثم ان وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين
من ربيع الاول بلا خلاف بل كاد يكون اجماعا لكن في حديث ابن مسعود في
حادي عشر رمضان رواه البزار والمعتمد ما تقدم والله اعلم انتهى وسياتي
حديث الوفاة في المقصد الاخير ولما توفي عليه الصلاة والسلام دخل المسلمون
الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلوا اسامة معقودا
حتى اتى به باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده فلما بويع
ابو بكر الصديق رضي الله عنه امر بريدة ان يذهب باللوا الى بيت
اسامة ليمضي لوجهه فمضى به الى معسكرهم الاول وخرج اسامة هلال
ربيع الاخر سنة احدى عشرة الى اهل ابنا فشن عليهم الغارة فقتل من
اشرف وسبى من قدر عليه وحرق منازلهم ونخلهم واقتتل قاتل ابيه
في الغارة ثم رجع الى المدينة ولم يصب احد من المسلمين وخرج ابو بكر
في المهاجرين واهل المدينة يتلقونه سرورا والله اعلم بجميع سراياه
وبعوثه وغزواته ومغازيه سبع وعشرين

الفصل الثاني في ذكر اعمامه الشريفة النبيه عن تمام صفاته المنيعة وذكر اولاده الكرام

Copyright © King Saud University

الطاهرين وازواجه الطاهرات امهات المؤمنين واعمامه وعماته واخوته
من الرضاعة وجداته وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه وكتبه الى اهل
الاسلام ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام والات حروبه ودوابه
والوافدين ~~[illegible]~~ اليه صلى الله عليه وسلم عليه ونبه
عشرة فصول الفصل الاول في ذكر اسمائه الشريفة المنبئة على كمال صفاته
المنيفة اعلم ان الاسماء جمع اسم وهو كلمة وضعتها العرب بازاء مسمى متى اطلقت فهم
منها ذلك المسمى فعلى هذا لا بد من مراعاة اربعة اشيا الاسم والمسمى بفتح الميم
والمسمي بكسرها والتسمية فالاسم هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها او
تخصيصها عن غيرها كلفظ زيد والمسمى هو الذات المقصود تمييزها بالاسم
كشخص زيد والمسمي هو الواضع لذلك اللفظ والتسمية هو اختصاص ذلك
اللفظ بتلك الذات والوضع تخصيص لفظ بمعنى اذا اطلق او احس فهم ذلك
المعنى واختلفوا هل الاسم عين المسمى او غيره وهي مسئلة طويلة تكلم الناس
فيها قديما وحديثا فذهب قوم الى ان الاسم عين المسمى واستدلوا عليه بقوله
سبح اسم ربك الاعلى والتسبيح انما هو للرب جل وعلا فدل على ان اسمه هو
هو واجيب بانه اشرب معنى سبح اذكر فكانه قال اذكر اسم ربك كقوله
تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وقد اشرب معنى اذكر سبح عكس الاول
قال تعالى واذكر ربك اي سبح ربك والاشراب جار في لغتهم يشربون معنى
فعل فعلا واستشكل على معنى كونه هو المسمى اضافته اليه فانه يلزم منه اضافة
الشي الى نفسه واجيب بان الاسم هو اللازم للمسمى متغايرا واحتج من قال بان
الاسم عين المسمى ايضا بقوله تعالى بغلام اسمه يحيى ثم قال يا يحيى خذ الكتاب بقوة
فنادى الاسم فدل على انه المسمى وجوابه ان المعنى يا ايها الغلام الذي اسمه يحيى
ولو كان الاسم عين المسمى لكان من قال النار احترق لسانه ومن قال العسل
ذاق حلاوته وكثرة الاسما تدل على شرف المسمى وقد سمى الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم باسما كثيرة في القران العظيم وغيره من الكتب السماوية
على السنة انبيائه عليهم الصلاة والسلام ثم ان اشهر اسمائه صلى الله عليه وسلم
وبه سماه جده عبد المطلب وذلك انه لما قيل له ما سميت به ولدك قال محمد
فقيل له كيف سميته باسم ليس لاحد من ابائك وقومك فقال اني لارجو ان
يحمده اهل الارض كلهم وذلك لرؤيا كان راها عبد المطلب كما ذكر حديثها علي
القيرواني العابر في كتابه البستان قال كان عبد المطلب قد راى في
المنام كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السما وطرف في المشرق
وطرف في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق

والمغرب

[illegible]

لاسم هنا بمعنى التسم
سمية غير الاسم لان
ية هي اللفظ بالمسمى
سم هو لازم

المشرق
والمغرب كانهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه
اهل المشرق واهل المغرب ويحمده اهل السما والارض فلذلك سماه محمدا مع ما حدثته
به امه امنة حين قيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه
محمدا وعن ابن عباس قال لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم عق عنه عبد المطلب
وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحرث ما حملك على ان سميته محمدا ولم تسمه باسم ابائه
قال اردت ان يحمده الله في السما ويحمده الناس في الارض وعن محمد بن جبير
ابن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي اسما انا محمد وانا
احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
وانا العاقب رواه الشيخان وقد روي على قدمي بتخفيف اليا بالافراد وبالتشديد
على التثنية قال النووي في شرح مسلم معنى الروايتين يحشرون على اثري
وزماني ورسالتي وفي رواية نافع بن جبير عند البخاري في تاريخه الصغير والا
والحاكم في مستدركه وصححه وابو نعيم في الدلايل وابن سعد انه دخل على عبد
الملك ابن مروان فقال اتحصي اسما رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كان
جبير بن مطعم يعدها قال نعم هي ستة نذكر الخمسة الذي ذكرها [illegible]
محمد بن جبير وزاد الخاتم وفي حديث حذيفة احمد ومحمد والحاشر والمقفي ونبي
الرحمة ولفظ رواية ابي نعيم هي ستة محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماح
فاما الحاشر فبعث مع الساعة نذيرا لكم بين يدي عذاب شديد واما عاقب فانه
اعقب الانبيا واما ماح فان الله عز وجل محى به سيات من اتبعه وذكر بعضهم
ان العدد ليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذكره الراوي بالمعنى
وفيه نظر لتصريحه في الحديث ان لي خمسة اسما والذي يظهر انه اراد ان لي
خمسة اسما اختص بها لم يتسم بها احد قبلي او مشهورة في الامم الماضية لا انه
اراد الحصر فيها وبهذا يجاب عن الاستشكال الوارد وهو ان المقرر في
علم المعاني ان تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر لكن ورود الروايات بما هو
اكثر يدل على انه ليس حصرا مطلقا فالطريق في ذلك ان يحمل على حصر مقيد
كما ذكر والله اعلم وروى النقاش عنه عليه الصلاة والسلام في القران سبعة
اسما محمد واحمد ويس وطه والمزمل والمدثر وعبد الله وقد جاءت من اسمائه
صلى الله عليه وسلم واسمائه في القران عدة كثيرة وتعرض جماعة لتعدادها
وبلغوا بها عددا مخصوصا فمنهم من بلغ تسعة وتسعين موافقة لعدد
اسما الله الحسنى الواردة في الحديث قال القاضي عياض وقد خصه الله
تعالى بان سماه من اسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين اسما وقال ابن دحية
في كتابه المستوفي اذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقران والحديث

وافى اسما [illegible]

دون الثلثمائة انتهي ورايت في كتاب احكام القران للقاضي ابي بكر بن العربي
قال بعض الصوفية لله الف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم الف اسم انتهي ثم
ورايت ~~في كتاب احكام القران للقاضي ابي بكر بن العربي~~ والمراد الاوصاف فكل الاسما
التي وردت اوصاف مدح واذا كان كذلك فله صلى الله عليه وسلم من كل وصف
اسم ثم ان فيها ما هو مختص به او الغالب عليه ومنها ما هو مشترك وكل ذلك بين
في المشاهدة لا يخفي واذا اعتبرنا له من كل وصف من اوصافه اسما بلغت اوصافه
ما ذكر بل اكثر والذي رايته في كلام شيخنا في القول البديع والقاضي عياض في الشفا
وابن العربي في القبس والاحكام له وابن سيد الناس وغيرهم يزيد علي اربعمائة
وقد سردتها مرتبة علي حروف المعجم وهي الابر الابله الابطحي التقي الناس الاجود
اجود الناس الاجل الاحسن احسن الناس احد احيد بفتح اوله وكسر المهملة
ثم بالتحتانية الاخذ بالحجزات اخذ الصدقات الاخر الاخشي لله اذن خير ارجح الناس
عقلا ارحم الناس بالعباد الازهر وهو النير المشرق الوجه اشجع الناس الاصدق
في الله اطيب الناس ريحا الاعز الاعلي الاعلم بالله اكثر الناس تبعا الاكرم اكرم الناس
اكرم ولد ادم المقص امام الخير امام الرسل امام المتقين ام النبيين الامام الامر الامين
امنة اصحابه الامين الامي انعم الله الاول اول شافع اول المرسلين اول مشفع
اول المومنين اول من تنشق عنه الارض البر البار البليط الباطن البرهان ثم
بشير بشري عيسي البشير البصير البليغ بالغ البيان البينة التالي التذكرة التقي
التنزيل التهامي ثاني اثنين الجبار الجد الجواد جامع جابر حزب الله الحاشر
الحافظ الحاكم بما اراه الله الحامد حامل لوا الحمد الحايد لامته عن النار الحبيب
حبيب الرحمن حبيب الله الحجازي الحجة البالغة حجة الله علي الخلايق حرز الاميين
الحرمي حريص الحريص علي الايمان الحبيب الحفيظ الحق الحكم الحليم حاد خطايا
او قال حياطا حمعسق حفي الحمد الحنيف الخبير خاتم النبيين خاتم المرسلين
الخاتم الخازن لمال الله الخاشع الخاضع الخالص خطيب الانبيا خطيب الامم
خطيب الوافدين علي الله الخليل خليل الرحمن خليل الله الخليفة خير الانبيا
خير البرية خير خلق الله خير العالمين خير الناس خير هذه الامة خيرة
الله دار الحكمة الداعي الي الله دعوة ابراهيم دعوة النبيين دليل الخيرات
الذاكر الذكر ذكر الله ذو الحوض المورود ذو الخلق العظيم ذو الصراط المستقيم
ذو القوة ذو مكانة ذو عزة ذو فضل ذو المعجزات ذو المقام المحمود ذو الوسيلة
الرافع الراضي الراغب الرافع راكب البراق راكب البعير راكب الجمل
راكب الناقة راكب النجيب الرحمة رحمة الامة رحمة العالمين رحمة
مهداة الرحيم الرسول رسول الراحة رسول الرحمة رسول الله رسو

الملاحم الرشيد الرفيع الذكر رافع الرتب رفيع الدرجات الرقيب روح الحق روح
القدس الروف ركن المتواضعين الزاهد زعيم الانبيا الزكي الزمزمي زين من
وافي القيامة السابق السابق بالخيرات سابق العرب الساجد سبيل الله السراج
المنير الصراط المستقيم السعيد سعد الله سعد الخلايق السميع السلام السيد
سيد ولد ادم سيد المرسلين سيد الناس سيد الكونين سيد الثقلين سيف
الله المسلول الشارع الشاكر الشاهد الشكور الشكار الشمس الشهيد ثم
الصابر الصاحب صاحب الايات صاحب المعجزات صاحب البرهان صاحب
البيان صاحب التاج صاحب الجهاد صاحب الحجة صاحب الحطيم صاحب
الحوض المورود صاحب الخاتم صاحب الخير صاحب الدرجة العالية الرفيعة
صاحب الردا صاحب الازواج الطاهرات صاحب السجود للرب المعبود ثم
صاحب السرايا صاحب السلطان صاحب السيف صاحب الشرع صاحب
الشفاعة الكبري صاحب العطايا صاحب العلامات الباهرات صاحب العلو
والدرجات صاحب الفضيلة صاحب الفرج صاحب القضيب الاصفر
صاحب قول لا اله الا الله صاحب القدم صاحب الكوثر صاحب اللوا صاحب
المحشر صاحب المدينة صاحب المغفر صاحب المغنم صاحب المعراج صاحب
المظهر المشهود صاحب المقام المحمود صاحب النهر صاحب المنبر صاحب
النعلين الهراوة صاحب الوسيلة الصادع بما امر الصادق الصدوق الصدق
الصدوق المصدق صراط الله صراط الذين انعمت عليهم الصراط المستقيم
الصفوح عن الزلات الصفوة الصفي الصالح الضارب بالحسام المختوم الضحاك
الضحوك طاب الطاهر الطيب طه طس طه الطبيب الظاهر الظفور
من الظفر وهو الفوز العابد العادل العظيم العافي العاقب العالم علم الايمان
علم اليقين العالم بالحق العامل عبد الله عبد العدل العربي العروة الوثقي
العزيز العفو العطوف العليم العلي العلامة عين العز عبد الكريم عبد
الجبار عبد الحميد عبد المجيد عبد الوهاب عبد القهار عبد الرحيم عبد الخالق
عبد القادر عبد المهيمن عبد القدوس عبد الغياث عبد الرزاق عبد
السلام عبد المومن عبد الغفار الغفور الغني الغني بالله الغيث الغوث
الغياث الفاتح الفارقليط ومعناه قبل ان يأتي وتقدم الفارق الفاتح الفاروق الفجر
الفرط الفصيح فضل الله فواتح النور القايم القاضي القانت قايد الخير قايد
الغر المحجلين القايل القاسم القتول قثم القثوم قدم صدق القرشي القريب ثم
القمر القيم ومعناه الجامع الكامل وصوابه بالمثلثة بدل اليا القوي كافة الناس
الكفيل الكامل في جميع اموره الكريم كهيعص اللسان الماجد ماذ ماذ ذو الموئل

الماحي الماموں الماخ الما المعيق المبارك المبتهل المير المبشر مبشر الباسين م
المبعوث بالحق المبعوث المبلغ المبيح المتين المبين المتبتل المتبسم المتربص
المترجم المتضرع المتقي المتلو عليه المتهجد المتوسط المتوكل المتثبت محاب
مجيب المجتبي المجير المحرض المحرم المحفوظ محمد المحمود المحمر المختار المخصوص
بالشرف المخصوص بالعز المخصوص بالمجد المخلص المدثر المدني مدينة العلم
المذكر المذكور المرتضى المرتل المرسل المرتجي المرحوم المرفع الدرجات
المرز وهو الرجل الكامل المروة المزكي المزمل المسبح المشفق المستغني
المستقيم المسري به المسعود المسلم المشاور المشفع المشفوع المشهود
المشهود المصباح المصارع المصافح مصحح مصحح الحسنات المصدق
المصطفى المصلح المصلى عليه المطاع المطهر المظهر المطلع المطيع المظفر م
المعزز المعصوم المعطي العقب المعلم يعلم امته العلم المعلن المعلي المفضل ل
المفضل المفتاح مفتاح الجنة المقتصد المقفي بمعنى قفا النبيين المقدس
المقري المقسط المقسم المنصوص عليه المقفي وقيل بزيادة تابعه
الفاف كما تقدم مقيل العثرات ومقيم السنة بعد الفترة المكرم المكتفي
المكفي المكين المكي الملاحمي ملقى القران الممنوح المنادي المنتصر المنجي المنذر
المنزل عليه المنجا المنصف المنصور المنيب المنير المهاجر المهتدي المهدي
المهداة المهيمن الموتمن المؤتي جوامع الكلم الموحى اليه الموصل الموفي المولي
المومن المويد الميسر نون المنابن الناحز الناس لقوله تعالى ام يحسدون
الناس المفسر به عليه الصلاة والسلام الناسخ الناشر الناصح الناصر الناطق
بالحق الناهي نبي الاحمر نبي الاسود نبي التوبة نبي الحرمين نبي الراحة
نبي الرحمة النبي الصالح نبي الله نبي الرحمة نبي التحية نبي الملاحم المنبي النجم
النجم الثاقب نجي الله النذير النسيب نصيح ناصح النعمة نعمة الله النقيب
النقي النور نور الامم الهادي لها الذي اوهنها نور الله الذي لا يطفى
الهادي هدى هدية الله الهاشمي الوجيه الواسط الواسع الواصل م
الواضع الواعز الواعظ الورع الوسيلة الوفي الوافي وفي الفضل الولي
اليثربي يس **وكنيته المشهورة** ابو القاسم كما في عدة احاديث م
صحيحة ويكنى بابي ابراهيم كما في حديث انس في مجي جبريل اليه عليهما
الصلاة والسلام وقوله السلام عليك يا ابا ابراهيم ويابي الارامل فيما ذكره ابن
دحية وبابي المومنين فيما ذكره غيره **واعلم** انه لا سبيل لنا ان نستوعب
شرح جميع هذه الاسما الشريفة اذ في ذلك تطويل يفضي بنا الى العدول
عن غرض الاختصار فلنذكر من ذلك ما يفتح الله تعالى به ما يدل على سواه

وبالله

وبالله تعالى استعين **قاول ذلك** ماله عليه الصلاة والسلام من معنى الحمد الذي هو
اسمه المبني على ذاته الذي ساير اسمائه وصفاته راجعة اليه وهو في المعنى واحد ولهم في
الاشتقاق صيغتان الاسم المبني صيغته على صيغة افعل المنبئة على الانتها الى غاية
ليس وراها منتهى وهو اسمه احمد والاسم المبني على صيغة التفعل المنبئة عن
التضعيف والتكثير الى عدد لا ينتهي له الاحصا وهو اسمه محمد قال السهيلي محمود
منقول من الصفة فالمحمد في اللغة هو الذي يحمد حمدا بعد حمد ولا يكون مفعل
مثل مضروب وممدح الا من تكرر منه الفعل مرة بعد اخرى **واما احمد** وهو اسمه
عليه الصلاة والسلام الذي سمي به على لسان عيسى وموسى فانه منقول ايضا عن الصفة
التي معناها التفضيل فمعنى احمد احمد الحامدين لربه ولذلك هو في المعنى لانه يفتح
عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح على احد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له
لوا الحمد **قال** واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى
المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد اخرى مرة كما ان المكرم من اكرم مرة
بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه وتعالى
سماه به قبل ان يسمي به علم من اعلام نبوته عليه الصلاة والسلام اذ كان اسمه م
صادقا عليه فهو صلى الله عليه وسلم محمود في الدنيا بما هدى اليه ونفع به من
العلم والحكمة وهو محمود في الاخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ
ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد حمد ربه فنباه وشرفه فلذلك تقدم اسم احمد على
الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه احمد وذكره موسى حين قال ربه
تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني من امة احمد فباحمد ذكر قبل ان يذكر بمحمد لان
حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك
في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد الحامدين لربه
ثم يشفع فيحمد على شفاعته فانظر كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الاخر في الذكر
والوجود وفي الدنيا والاخرة تلح لك الحكمة الالهية في تخصيصه بهذين الاسمين
انتهى وهذا موافق لما قاله السهيلي وذكره في فتح الباري واقره عليه وهو
يقتضي سبقية اسمه احمد خلافا لما ادعاه ابن القيم وذكر ابن القيم في اسمه احمد
انه قيل فيه انه بمعنى مفعول ويكون التقدير احمد الناس اي في احق الناس
واولاهم ان يحمد فيكون محمدا في المعنى لكن الفرق بينهما ان محمدا هو الكثير
الخصال التي يحمد عليها واحمد هو الذي يحمد افضل ما يحمد غيره فمحمد في الكثرة
والكمية واحمد في الصفة والكيفية فيستحق من الحمد اكثر مما يستحق غيره
اي افضل حمد حمده البشر فالاسمان واقعان على المفعول قال وهذا ابلغ في مدحه
واكمل معنى فلو اريد معنى الفاعل لسمي الحماد اي كثير الحمد فانه صلى الله عليه

قال القاضي كان عليه الصلاة والسلام احمد
ان يكون محمدا ثم في العجب ولان تسمية
ونعتت في الكتب السالفة وتسميته محمد وقعت
في القران وذلك انه حمد ربه قبل ان يحمده الناس
انتهى ٩ ٩ ٩

Copyright King Saud University

كان اكثر الناس حمدا لربه فلو كان اسمه احمد باعتبار حمده لربه لكان الاولى به الحماد
كما سمي بذلك امته وايضا فان هذين الاسمين انما اشتقا من اخلاقه وخصايله
المحمودة التي لاجلها استحق ان يسمى محمد واحمد وقال القاضي عياض في باب
تشريفه تعالى له عليه الصلاة والسلام بما سماه به من اسمايه الحسنى احمد بمعنى
اكثر من حمد ثم ان في اسمه محمدا خصايص منها كونه على اربعة احرف ليوافق
اسم الله تعالى اسم محمد فان عدة الجلالة اربعة احرف كمحمد ومنها انه قيل ان
مما اكرم به الادمي ان كان صورته على شكل هذا اللفظ فالميم الاولى راسه والحا
جناحاه والميم سرته والدال رجلاه قيل ولا يدخل النار من يحقق دخولها اعاذنا
الله منها الا ممسوخ الصورة اكراما لصورة اللفظ حكاها ابن مرزوق والاول
ابن العماد في كتابه كشف الاسرار ومنها انه تعالى اشتقه من اسمه المحمود كما قال
حسان بن ثابت ❊ اغر عليه للنبوة خاتم ❊ من الله من نور يلوح ويشهد ❊
❊ وضم الاله اسم النبي الى اسمه ❊ اذا قال في الخمس الموذن اشهد ❊
❊ وشق له من اسمه ليجله ❊ فذو العرش محمود وهذا محمد ❊
واخرج البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد قال كان ابو طالب
يقول ❊ وشق له من اسمه ليجله ❊ فذو العرش محمود وهذا محمد ❊
وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بالفي عام كما ورد في حديث انس بن مالك
من طريق ابي نعيم في مناجاة موسى وروى ابن عساكر عن كعب الاحبار
قال انزل الله تعالى على ادم عصيا بعدد الانبيا والمرسلين ثم اقبل على ابنه
شيث فقال اي بني انت خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوى والعروة
الوثقى فكلما ذكرت الله تعالى فاذكر الى جنبه اسم محمد فاني رايت اسمه مكتوبا
على ساق العرش وانا بين الروح والطين ثم اني طفت السموات فلم ار في السموات
موضعا الا رايت اسم محمد مكتوبا عليه وان ربي اسكنني الجنة فلم ار في الجنة قصرا
ولا غرفة الا اسم محمد مكتوبا عليه ولقد رايت اسم محمد مكتوبا على نحور الحور العين
وعلى ورق قصب اجام الجنة وعلى ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة
المنتهى وعلى اطراف الحجب وبين اعين الملايكة فاكثر ذكره فان الملايكة تذكره
في كل ساعاتها بيت معروف به المجد من قبل نشاة ادم فاسماه في العرش من قبل لتب
ورويناه في جزء الحسن بن عرفة من حديث ابي هريرة رضي الله عنه صلى الله
عليه وسلم قال لما عرج بي الى السما ما مررت بسما الا وجدت اسمي
فيها مكتوبا محمد رسول الله وابو بكر من خلفي ووجد على الحجارة القديمة
مكتوب محمد تقي مصلح امين ذكر في الشفا وعلى حجر بالخط العبراني باسمك
اللهم جا الحق من ربك بلسان عربي مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه

موسى

موسى ابن عمران ذكره ابن ظفر في البشر عن معمر عن الزهري وشوهد كما ذكره
في الشفا في بعض بلاد خراسان مولود ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا
الله وعلى الاخر محمد رسول الله وببلاد الهند ورد احمر مكتوب عليه بالابيض
لا اله الا الله محمد رسول الله وذكر العلامة ابن مرزوق عن عبد الله بن صوحان
عصفت بنا ريح ونحن في لجج بحر الهند فارسينا في جزيرة فرايتنا فيها وردا
احمر زكي الرايحة طيب النسيم وفيه مكتوب بالابيض لا اله الا الله محمد رسول
الله وورد ابيض مكتوب عليه بالاصفر براة من الرحمن الرحيم الى جنات
النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله وفي تاريخ ابن القيم عن ابن عبد الله
الهاشمي الرقي انه وجد ببعض قرى الهند وردة كبيرة طيبة الرايحة سودا
عليها مكتوب بخط ابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر
الفاروق قال فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة لم تتفتح
فكان فيها مثل ذلك وفي البلد منه شي كثير واهل تلك القرية يعبدون الحجارة
لا يعرفون الله تعالى وقال ابو عبد الله بن مالك دخلت بلاد الهند فسرت
الى مدينة يقال لها نميلة او نملة فرايت شجرة كبيرة تحمل ثمرا كاللوز له قشر فاذا
كسرت ثمرته خرج منها ورقة خضرا مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد
رسول الله واهل الهند يتبركون بها ويستسقون بها اذا منعوا الغيث حكاه
القاضي ابو البقا ابن الضيا في منسكه وفي كتاب روح الرياحين لليافعي عن بعضهم
انه وجد ببلاد الهند شجرة تحمل ثمرا كاللوز له قشران اذا كسر يخرج منه ورقة
خضرا طرية مكتوب فيها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية
وهم يتبركون بها قال محمد ثنا بذلك ابا يعقوب الصياد فقال ما استعظم
هذا كنت اصطاد على نهر الابلة فاصطدت سمكة على جنبها الايمن لا اله الا الله
وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رايتها قذفتها في الما احتراما لها وعن
بعضهم ما ذكره ابن مرزوق في شرحه لبردة الابوصيري انه اتي بسمكة
فراى في احدى شحمتي اذنيها لا اله الا الله وفي الاخرى محمد رسول الله
وعن جماعة انهم وجدوا بطيخة فيها خطوط شتى بالابيض خلقة ومن جملة
الخطوط بالعربي في احد جنبيها الله وفي الاخرى عز احمد بخط بين لا شك
فيه عالم بالخط وانه وجد في سنة تسع وثمانمائة حبة عنب مكتوب
فيها بخط بارع بلون اسود محمد وفي كتاب النطق المفهوم لابن ظفر السياق
عن بعضهم انه راى في جزيرة عظيمة شجرة ورد كثير طيب الرايحة مكتوب فيه
بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة خلقة ابتدعها الله تعالى
بقدرته ثلاثة اسطر الاول لا اله الا الله والثاني محمد رسول الله والثالث

في الورقة

ان الدين عند الله الاسلام قال ابن قتيبة ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم
انه لم يسم احد باسمه محمد صيانة من الله تعالى لهذا الاسم كما فعل بيحيى اذ لم يجعل
له من قبل سميا وذلك انه تعالى الا انه لما قرب زمنه وبشر اهل الكتاب بقربه
سمى قوم اولادهم بذلك رجاء ان يكون هو هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته
ماكل من زار الحما سبع النداء من اهله اهلا بذاك الزائر
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء **وقد** عدهم القاضي ستة ثم قال لا سابع لهم **وذكر** ابوا
عبد الله بن خالويه في كتاب ليس والسهيلي في الروض انه لا يعرف في العرب
من سمي محمدا قبل النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة **قال** الحافظ ابو الفضل
ابن حجر وهو حصر مردود والعجب ان السهيلي متاخر الطبقة عن عياض
ولعله لم يقف على كلامه وقد جمعت اسامي من تسمى بذلك في جزء مفرد فبلغوا
نحو العشرين لكن مع تكرير في بعضهم ووهم في بعض فيتخلص منهم خمسة
عشر نفسا واشهرهم محمد بن عدي بن ربيعة بن سواه بن جشم بن سعد
ابن زيد مناة بن تميم السعدي ومنهم محمد بن احيحة بضم الهمزة وفتح المهملة
ابن الجلاح بضم الجيم وتخفيف اللام اخره مهملة الاوسي ومحمد بن اسامة بن مالك
ابن حبيب بن العنبر ومحمد بن البراء وقيل البر بن طريف بن عتوارة بن
عامر بن ليس بن بكر بن عبد مناة بن كنانة البكري العتواري ومحمد بن
الحارث بن حريج بن حويص ومحمد بن حرماز بن مالك البعمري ومحمد بن
خزاعي بن علقمة بن حرابة السلمي من بني ذكوان ومحمد بن خولي الهمداني ومحمد بن
سفيان بن مجاشع ومحمد بن اليحمد الازدي ومحمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة
ومحمد بن الاسيدي ومحمد الفقيمي ولم يدركوا الاسلام الا الاول ففي سياق خبره
ما يشعر بذلك والا الرابع فهو صحابي جزما **وممن ذكره** عياض بن مسلمة الانصاري
وليس ذكره بجيد فانه ولد بعد النبي صلى الله عليه وسلم بازيد من عشرين
سنة لكنه قد ذكر تلو كلامه المتقدم محمد بن يحمد الماضي فصار من عنده
ستة لا سابع لهم انتهى **واما اسمه عليه الصلاة والسلام محمود** فاعلم ان من
اسماء الله تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه تعالى حمد نفسه وحمده عباده وقد
سمي الرسول صلى الله عليه وسلم بمحمود وكذا وقع اسمه في زبور داود **واما الما حي**
ففسر في الحديث بمحو الكفر ولم يمح الكفر باحد من الخلق ما محي بالنبي صلى الله
عليه وسلم فانه بعث واهل الارض كلهم كفار ما بين عباد اوثان ويهود ونصارى
ومصارى ضالين وصابئة ودهرية لا يعرفون ربا ولا معادا ومن عباد الكواكب
وعباد النار وفلاسفة لا يعرفون شرايع الانبيا ولا يقرون بها فمحاها برسوله حتى
اظهر دينه على كل دين وبلغ دينه ما بلغ الليل النهار وسارت دعوته مسير

الشمس

الشمس في الاقطار ولما كانت البحار هي الماحية للادران كان اسمه عليه الصلاة
والسلام فيها الماحي **واما الحاشر** ففسر ايضا في الحديث بانه الذي يحشر الناس على قدمه
اي يقدمهم وهم خلفه وقيل على سابقته وقيل قدامه وحوله اي يجتمعون اليه
في القيامة وقد كان حشره لاهل الكتاب اخراجه لهم من حصونهم وبلادهم من هجرته
الى حيث اذاقهم الله من شدة الحشر ما شاء في دار الدنيا الى ما اتصل لهم بذلك في برزخهم
وهو اول من تنشق عنه الارض فيحشر الناس على اثره واليه يلجاون في محشرهم
وقيل على سنته **واما العاقب** فهو الذي جاء عقب الانبياء فليس بعده نبي لان العاقب
هو الاخر اي عقب الانبياء وقيل هو اسمه في النار فاذا اخرجه شفاعته خمدت
النار وسكنت كما روي ان قوما من حملة القران يدخلونها فينسيهم الله ذكر محمد صلى
الله عليه وسلم **واما المقفي** فكذلك فقفا اثار من سبقه من الرسل وهي لفظة
مشتقة من القفو يقال قفاه يقفوه اذا تاخر عنه ومنه قافية الراس وقافية
البيت فالمقفي اي قفى من قبله من الرسل فكان خاتمهم واخرهم **واما الاول** فلانه
اول النبيين خلقا كما مر وكما انه في اول البدء فهو اول في العود فهو اول من
تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع كما كان في
اوليات البدء في عالم الذر اول مجيب اذ هو اول من قال بلى اذ اخذ ربه الميثاق
على الذرية الادمية فاشهدهم على انفسهم الست بربكم فهو صلى الله عليه وسلم
اول في ذلك كله على الاطلاق **واما الاخر** فلانه اخر الانبياء في البعث كما في الحديث
واما الظاهر فلانه ظهر على جميع الظاهرات ظهوره وظهر على الاديان دينه فهو
الظاهر في وجوه الظهور كلها **واما الباطن** فهو المطلع على بواطن الامور بواسطة
ما يوحيه الله تعالى اليه **واما الفاتح الخاتم** ففي حديث الاسراء عن ابي هريرة
من طريق الربيع بن انس قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفي حديث ابي
هريرة ايضا في الاسراء قوله صلى الله عليه وسلم وجعلني فاتحا وخاتما فهو
الذي فتح به باب الهدى بعد ان كان مرتجا وفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا
غلفا وفتح امصار الكفر وفتح به باب ابواب الجنة وفتح به طرق العلم النافع
والعمل الصالح والدنيا والاخرة والقلوب والاسماع والابصار والامصار وقد
يكون المراد المبدا المقدم في الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه الصلاة والسلام كنت
اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث **واما الرءوف الرحيم** ففي القران لقد
جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رءوف رحيم
وهو فعول من الرافة وهي ارق من الرحمة وهي لغة قاله ابو عبيدة والرحيم
فعيل من الرحمة وقيل رءوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين **واما الحق المبين**
فقال الله تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال تعالى وقل اني انا النذير المبين

Copyright King Saud University

وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد عليه الصلاة والسلام
وقيل القران ومعناه هنا ضد الباطن والمتحقق صدقه وامره والمبين البين امره
ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم
واما المومن فقال تعالى ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن
خير لكم يومن بالله ويومن للمومنين اي مصدق وقال عليه الصلاة والسلام انا
امنة لاصحابي فهذا بمعنى المومن **واما المهيمن** فقال تعالى وانزلنا اليك الكتاب
بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه قال ابن الجوزي في زاد
المسير ان ابن ابي نجيح روي عن مجاهد ومهيمنا عليه قال محمد موتمن على القران
قال فعلى قوله في الكلام محذوف كانه قال وجعلناك يا محمد مهيمنا عليه وسماه
العباس بن عبد المطلب في شعره مهيمنا في قوله حتى احتوى بيتك المهيمن
من خندف علياها تحتها النطق **وروي** ثم اغتدي بيتك المهيمن قيل اراد يا ايها
المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم القشيري **واما العزيز** فمعناه جلالة
القدر والذي لا نظير له او المعز لغيره وقد استدل القاضي عياض لهذا
الاسم بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله اي فجاز ان يوصف النبي صلى الله عليه
وسلم بالعزيز والمعز لحصول العز له ولقايل ان يقول هذا الوصف ايضا للمومنين
لشمول العطف اياهم فلا اختصاص للنبي صلى الله عليه وسلم والغرض اختصاصه به
قال اليمني فيجب لمن القاضي كيف خفي مثل هذا او يجاب باختصاصه عليه
الصلاة والسلام برتبة من العزة ليست لغيره والله اعلم **واما العالم والعليم والمعلم
ومعلم امته** فقد قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وقال ويعلمك الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون **واما الخبير** فمعناه المطلع على كنه الشي العالم بحقيقته
وقيل المخبر فقال تعالى الرحمن فاسيل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلا فيما
ذكره في الشفا المامور بالسوال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسوول الخبير هو
النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السايل النبي صلى الله عليه وسلم والمسوول
الله عز وجل فالنبي صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه
صلى الله عليه وسلم عالم غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم
معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به انتهى **واما العظيم** فقال
الله تعالى في شانه وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من التوراة عن
اسماعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو صلى الله عليه وسلم عظيم وعلى خلق
عظيم **واما الشاكر الشكور** فقد وصف صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك
فقال افلا اكون عبدا شكورا والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد شكرا
فكيف اتركه وعلى هذا فتكون الفا السببية وقال القاضي عياض شكورا

اي

اي معترفا بنعم ربي عالما بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله
تعالى لين شكرتم لازيدنكم ولين كفرتم ان عذابي لشديد واما الشكار فهو ابلغ من شاكر
وفي حديث ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم كان من دعايه ان اجعلني لك شكارا
واما الكريم والاكرم واكرم ولد ادم سماه الله تعالى به في قوله تعالى انه لقول رسول
كريم اي محمد صلى الله عليه وسلم وليس المراد بقوله به جبريل لانه تعالى لما قال انه
لقول رسول كريم ذكر بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون لم يكونوا
يصفوا جبريل بذلك فتعين ان يكون المراد بالرسول الكريم هنا محمدا صلى الله عليه
وسلم كما سياتي ان شا الله تعالى بيانه في معض اي التنزيل وقال عليه الصلاة والسلام
انا اكرم ولد ادم **واما الفاتح والعاقب** فقال عليه الصلاة والسلام
انا اكرم ولد ادم ... [margin]
انا الي كل مومن **واما الامين** فقد كان عليه الصلاة والسلام يعرف به وشهر به
قبل النبوة وبعدها وهو احق العالمين بهذا الاسم فهو امين الله على وحيه
ودينه وهو امين من في السموات والارض **واما الصادق والصدوق** فقد
ورد في الحديث تسميته بها ومعناه غير خفي وكذلك الاصدق وروي انه
عليه الصلاة والسلام لما كذبه قومه حزن فقال له جبريل انهم يعلمون انك
صادق **واما الطيب وماذماذ** بميم ثم الف ثم ذال معجمة منونة ثم ميم ثم الف ذال
معجمة كذا رايته لبعض العلما ونقل العلامة الحجازي في حاشيته على الشفا عن
السهيلي ضم الميم واشمام الهمزة ضمة بين الواو والالف ممدودة وقال نقلته عن
رجل اسلم من علما بني اسرايل وقال معناه طيب طيب ولا ريب انه صلى الله
عليه وسلم طيب الطيبين وحسبك انه كان يوخذ من عرقه ليتطيب به
فهو صلى الله عليه وسلم طيب الله الذي نفخه في الوجود فتعطرت به الكاينات
وسمت واغتذت به القلوب فطابت وتنسمت به الارواح فنمت **واما الطاهر**
والمقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر والذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال
تعالى ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون معناه
مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية **واما العفو والصفوح** فمعناهما
واحد وقد وصفه الله تعالى بهما في القران والتوراة والانجيل كما في حديث عبد الله بن
عمرو بن العاصي عند البخاري ولا يجزي بالسيية السيية ولكن يعفو ويصفح
وامره الله تعالى بالعفو فقال تعالى خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح **واما
العطوف** فهو الشفوق وسمي به عليه الصلاة والسلام لكثرة شفقته على امته
ورافته بهم **واما النور** فقال تعالى قد جاءكم من الله نور قيل محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل القران فهو نور الله الذي لا يطفى **واما السراج** سماه الله تعالى به في قوله
وسراجا منيرا لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المومنين والعارفين

بما جاء به فهو نير في ذاته منير لغيره فهو السراج الكامل في الاضاءة ولم يوصف ه
بالوهاج كالشمس لان المنير هو الذي ينير من غير احراق خلاف الوهاج وأما الهادي
فمعنى الدلالة والدعا قال الله تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال
تعالى فيه وداعيا الى الله باذنه وأما البرهان فقال تعالى يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معجزاته وقيل القرآن وأما
النقيب فروي انه صلى الله عليه وسلم لما مات نقيب بني النجار ابو امامة اسعد
ابن ابي زرارة وجد عليه صلى الله عليه وسلم ولم يجعل عليهم نقيبا بعده وقال
انا نقيبكم فكانت من مفاخرهم والنقيب هو شاهد القوم وناظرهم وضمينهم وأما
الجبار فسمي به في مزامير داود في قوله من مزمور اربعة واربعين تقلد ايها
الجبار سيفك فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك لانه الجبار الذي
جبر الخلق بالسيف على الحق وصرفهم عن الكفر جبرا قال القاضي عياض وقد نفى
الله تعالى عنه في القرآن جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار
وأما الشاهد والشهيد فسماه الله تعالى بهما في قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا
على من بعثت اليهم تصدقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وقوله تعالى ويكون
الرسول عليكم شهيدا روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم
الله بينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى
الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك
باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الناطق فيؤتى بمحمد عليه
الصلاة والسلام فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان
كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت
الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم قاله البيضاوي
وأما الناشر فسمي به لانه نشر الاسلام واظهر شرايع الاحكام وأما المزمل فاصله
المتزمل فادغمت التاء في الزاي وسمي به لما روي انه عليه الصلاة والسلام كان
يفرق من جبريل ويتزمل بالثياب اول ما جاءه وقيل اتاه وهو في قطيفة وقال
قال السدي معناه يا ايها النائم وكان متلففا في ثياب نومه وعن ابن عباس
يعني المتزمل بالقرآن وعن عكرمة بالنبوة وقيل من المزمل بمعنى الحمل ومنه
الزاملة اي المتحمل اعباء النبوة وعلى هذا يكون التزمل مجازا وقال السهيلي
ليس المزمل باسم من اسمايه يعرف به وانما هو مشتق من حالته التي كان التبس
بها حالة الخطاب والعرب اذا قصدت الملاطفة بالمخاطب بترك المعاتبة نادوه
باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي
الله عنه وقد نام ولصق جنبه بالتراب قم ابا تراب اشعارا بانه ملاطف له فقوله

يا ايها المزمل فيه تانيس وملاطفة وأما ما روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت
كان تنزيلا مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه علي وانا نايمة ونصفه عليه
فكذب صراح لان نزول يا ايها المزمل كان في اول مبعثه ودخوله بعايشة كان
بالمدينة وأما المدثر فاصله المتدثر فادغمت التاء في الدال روي انه عليه الصلاة
والسلام قال كنت بحرا فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم ار شيئا فنظرت فوقي
فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت فرجعت
الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن
عكرمة يا ايها المدثر بالنبوة واثقالها وقد تدثرت هذا الامر فقم به وقيل ناداه
بالمزمل والمدثر في اول امره فلما شرع خاطبه الله تعالى بالنبوة والرسالة وأما
طه فروى النقاش عنه عليه الصلاة والسلام لي في القرآن سبعة اسما ذكر
منها طه وقيل هو اسم الله وقيل معناه يا رجل وقيل انسان وقيل يا طاهر يا هادي
يعني النبي صلى الله عليه وسلم وهو مروي عن الواسطي وقيل معناه يا مطمع
الشفاعة للامة ويا هادي الخلق الى الملة وقيل الطا في الحساب بتسعة
والها بخمسة وذلك اربعة عشر فكانه قال يا بدر وهذه من محاسن التاويل
لكن المعتمد انهما من اسما الحروف وأما يس فحكى ابو محمد مكي انه عليه الصلاة روي عنه
والسلام انه قال لي عند ربي عشرة اسما ذكر منها يس وقد قيل معناه انسان
بلغة طي وقيل بالحبشية وقيل بالسريانية واصله كما قال البيضاوي وابن
الخطيب وغيرهما يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به وقيل يس
لكن يتعقب بانه لا يعلم ان العرب قالوا في تصغيره انيسين فان الذي
نقل عنهم في تصغيره انيسيان بيا بعدها الف وبان التصغير من التحقير الممتنع في
حق النبوة لنصهم على التصغير لا يدخل في الاسما العظيمة شرعا وياتي مزيد لذلك
ان شا الله تعالى في الفصل الرابع من النوع الخامس من انواع المقصد السادس
وعن ابن الحنفية معناه يا محمد وعن ابي العالية يا رجل وعن ابي بكر الوراق يا سيد
البشر وعن جعفر الصادق يا سيد مخاطبة له عليه الصلاة والسلام وفيه من
تعظيمه على تفسير يا سيد ما فيه وأما الفجر فقال ابن عطا في قوله تعالى والفجر
وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان وهو تاويل غريب
لم ير لغيره والصواب انه الفجر المفسر بالصبح في قوله والصبح اذا تنفس وأما
القوي فقال تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل
عليهما الصلاة والسلام وسياتي في المقصد السادس ما في ذلك وأما قوله ابن عطا
في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه
وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يوثر ذلك فيه لعلو حاله فلا يخفى

Copyright King Saud University

مافيه **واما النجم** فعن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين في تفسير قوله تعالى والنجم
ان محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى اذا نزل من السما ليلة المعراج وحكى السلمي
في قوله تعالى والسما والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد
صلى الله عليه وسلم والصحيح ان المراد النجم على ظاهره وانما سمي به عليه الصلاة والسلام
لانه يهتدي به في طرق الهدى كما يهتدى بالنجم **واما الشمس** فسمي بها عليه الصلاة
والسلام بكثرة نفعه وعلو رتبته وظهور شرعه وبعد صيته وجلالة قدره وعظم منزلته
لانه لا يحاط بكماله حتى لا يسع الرائي ان ينظر اليه ملأ عينيه اجلالا له لان الشمس
في الرتبة ارفع من غالب الكواكب لانها في السما السادسة والانتفاع بها اكثر من
غيرها كما لا يخفى ولا يدركها البصر لكبر جرمها ولما كان ساير الكواكب تستمد من نورها
ناسب تسميته عليه الصلاة والسلام بها لان نور الانبيا مستمد من نوره **واما**
النبي والرسول فمن خصايصه صلى الله عليه وسلم انه خاطبه تعالى بهما في القرآن
دون ساير انبيايه ثم ان النبوة بالهمزة ماخوذة من النبا وهو الخبر وقد لا يهمز تسهيلا
اي ان الله اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبيا منبيا او يكون مخبرا عما بعثه
الله تعالى به ومنبيا بما اطلعه الله عليه وبغير الهمزة يكون مشتقا من النبوة
وهو ما ارتفع من الارض اي ان له رتبة شريفة ومكانة عند الله منيعة **قال**
الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح البردة وكان نافع يقرا النبي بالهمزة في جميع القرآن
والاختيار تركه وهو لغة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جا في الحديث ان رجلا قال
يا نبي الله يعني بالهمزة فقال له لست بنبي الله ولكني نبي الله فانكر الهمزة لانه
لم يكن من لغته عليه الصلاة والسلام قال الجوهري والصاغاني انما انكره لان
الاعرابي اراد يا من خرج من مكة الى المدينة يقال نبأت من ارض الى ارض اذا
خرجت منها الى اخرى وتكلم جماعة من القرا في هذا الحديث وقد رواه الحاكم في
المستدرك عن ابي الاسود عن ابي ذر وقال صحيح على شرط الشيخين وفيما
قاله نظر فان فيه حسين الجعفي كذا قاله بعضهم وليس من شرطهما وروى
ابو عبيد حدثنا محمد بن سعد عن حمزة الزيات عن حمران بن اعين ان رجلا
الحديث وهذا منقطع انتهى **والرسول** انسان بعثه الله الى الخلق بشريعة
مجددة يدعو الناس اليها واختلف هل هما بمعنى او بمعنيين فقال بالاول
قوم مستدلين بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فاثبت
لهما معا الارسال وعلى هذا فلا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقال
اخرون بالثاني وانهما يجتمعان في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام
بخواص النبوة والرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها ويفترقان في زيادة
الارسال وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين اذ لو كانا شيئا واحدا

لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ ويكون المعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي
ليس بمرسل الى احد وذهب اخرون الى ان الرسول من جا بشرع مبتدا ومن لم يات
به نبي غير رسول وان امر بالبلاغ والانذار والصحيح ان كل رسول نبي وليس
كل نبي رسولا نعم نوزع في هذا بانه كلام يطلقه من لا تحقيق عنده فان جبريل
عليه السلام وغيره من الملايكة المكرمين بالرسالة رسل لا انبيا فالانفصال عنه
بان يعتبر الفرق بين الرسول والنبي بالرسول البشري ثم ان النبوة والرسالة
ليستا ذاتا للنبي صلى الله عليه وسلم ولا وصف ذات بل بتخصيص الله اياه بذلك
خلافا للكرامية وقال القرافي كما نقله عنه ابن مرزوق يعتقد كثير ان النبوة
مجرد الوحي وهو باطل لحصوله لمن ليس بنبي كمريم ولبيت نبيه على الصحيح
مع انه تعالى يقول فارسلنا اليها روحنا الاية وان الله يبشرك **وفي** مسلم
بعث الله تعالى ملكا لرجل على مدرجته كان يخرج في زيارة اخ له في الله تعالى ثم
وقال له ان الله يعلمك انه يحبك بحبك لاخيك في الله وليس بنبوة لانها عند
المحققين ايحا الله لبعض خلقه بحكم انشايي يختص به كقوله اقرا باسم ربك فهذا
تكليف يختص به في الوقت فهذه نبوة لا رسالة فلما نزل قم فانذر كان ذلك
رسالة لتعلق هذا التكليف بغيره ايضا فالنبي كلف بما يخصه والرسول بذلك
وتبليغ غيره فالرسول اخص مطلقا من النبي وهل نبينا صلى الله عليه وسلم
رسول الان قال ابو الحسن الاشعري هو صلى الله عليه وسلم في حكم الرسالة
وحكم الشي يقوم مقام اصل الشي الا ترى ان العدة تدل على ما كان من احكام
النكاح وياتي لذلك مزيد بيان ان شا الله تعالى **واما المذكر** فقال تعالى فذكر
انما انت مذكر **واما البشير والمبشر والنذير والمنذر** فقال تعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا اي مبشرا لاهل طاعته بالثواب وقيل بالمغفرة ونذيرا
لاهل معصيته بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات **واما المبلغ** فقال تعالى
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك **واما الحنيف** فقال تعالى فاقم وجهك
للدين حنيفا **واما نبي التوبة** فلان الامم رجعت بهدايته عليه الصلاة والسلام
بعد ما تفرقت بها الطرق الى الصراط المستقيم **واما رسول الرحمة ونبي**
الرحمة ونبي الملحمة فقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال تعالى
بالمومنين رءوف رحيم فبعثه الله تعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين **وروى**
البيهقي مرفوعا انما انا رحمة للناس مهداة فرحم الله تعالى به الخلق مومنهم
وكافرهم وهذا الاسم من اخص اسمايه **فقد كان** حظ ادم من رحمته سجود الملايكة
له تعظيما له اذ كان في صلبه **ونوح** خروجه من السفينة سالما **وابراهيم**
كانت النار عليه بردا وسلاما اذ كان في صلبه فرحمته عليه الصلاة والسلام

Copyright © King Saud University

في البدء والختام قالو لم لما ابقى الله له من دعوة الشفاعة ولما كانت نبوته رحمة قابلة
بكونه مضاعفة اشتق له من الرحمة اسم المرحمة واما نبي الملحمة والملاحم وهي الحروب
فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف ولم يجاهد نبي قط وامته ما جاهد صلى
الله عليه وسلم وامته والملاحم التي وقعت وتقع بين امته والكفار لم يعهد مثلها قبله
فان امته يقاتلون الكفار في اقطار الارض على تعاقب الاعصار حتى يقاتلون الاعور
الدجال واما صاحب القضيب فهو السيف كما وقع مفسرا في الانجيل قال معه قضيب
من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان
يمسكه واما صاحب الهراوة فهي في اللغة العصا وقد كان عليه الصلاة والسلام
يمسك في يده القضيب كثيرا وكانت يمشي بين يديه بالعصا وتغرز له في الارض
فيصلي اليها قال القاضي واراها العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس
عنه بعصاي لاهل اليمن اي لاجلهم ليتقدموا فلما كان صلى الله عليه وسلم راعيا
للخلق سائقا لجميعهم الى موارده كان صاحب الهراوة يرعى بها اهل الطواعية
وصاحب السيف يفكر انه من لا تزيده الحياة الا شرا واما الضحاك بالمعجمة فهو الذي
يسيل دما العدو في الحرب لشجاعته واما صاحب التاج فالمراد به العمامة ولم تكن
حينئذ الا للعرب والعمائم تيجانها واما صاحب المغفر فهو بكسر الميم وسكون الغين
وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع على قدر الراس كان صلى الله عليه وسلم يلبسه
في حروبه واما قدم صدق فقال قتادة والحسن وزيد بن اسلم في قوله تعالى وبشر
الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم قدم صدق عند ربهم هو محمد صلى الله عليه
وسلم يشفع لهم وعن ابي سعيد الخدري في شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه
وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وعن سهل ابن عبد الله هي سابقة رحمة اودعها
الله في محمد صلى الله عليه وسلم واما نعمة الله فقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال يعرفون نعمة الله ثم
ينكرونها يعني يعرفون ان محمدا نبي ثم يكذبونه وهذا مروي عن مجاهد والسدي
وقال به الزجاج واما الصراط المستقيم فقال ابو العالية والحسن البصري في
تفسير سورة الفاتحة هو رسول الله وخيار اهل بيته واصحابه وحكى الماوردي
ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد واما العروة
الوثقى فحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك
بالعروة الوثقى الاية ان محمد صلى الله عليه وسلم واما ركن المتواضعين فلانه
عادهم وقد ظهر عليه صلى الله عليه وسلم من التواضع ما لم يظهر على غيره فكان
يرقع القميص ويخصف النعل ويقم البيت ووقع فيما ترجموه من كتاب شعيا
مما يدل صريحا في البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يميل الى الهوى

ولا يذل الصالحين الذين هم كالعصبة الضعيفة بل يقوي الصديقين وهو ركن المتواضعين
وهو نور الله الذي لا يطفى واما قثم وقثوم بالقاف والمثلثة ففسره القاضي عياض بالجامع
للخير وقال ابن الجوزي مشتق من القثم وهو الاعطا يقال قثم له من العطا يقثم اذا
اعطاه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الخلق يدا واسخاهم يدا واما البارقليط
قليط والفارقليط بالموحدة وبالفا بدلها وفتح الرا والقاف وسكون الرابع وكسر وفتح
القاف ويفتح الرابع سكون القاف وبكسر الراو وسكون القاف غير منصرف للعجمة
والعلمية فوقع في الانجيل يوحنا ومعناه روح الحق قال ثعلب الذي يفرق بين
الحق والباطل وفي نهاية ابن الاثير في صفته عليه الصلاة والسلام ان اسمه في الكتب
السالفة فارق فارقليطا اي يفرق بين الحق والباطل قال ومنه الحديث
محمد فرق بين الناس اي يفرق بين المومنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه
واما حمطايا فبفتح الحا المهملة وسكون الميم قال الهروي اي حامي الحرم وقال
ابن الاثير في حديث كعب انه قال في اسما النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة
محمد واحمد وحمياطا يعني بالحا المهملة ثم ميم ساكنة فمثناة تحتية فالف فطا مهملة
فالف قال ابو عمرو سالت بعض من اسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمي الحرم من
الحرام ويعطي الحلال واما احيد وهو بهمزة مضمومة ثم حا مهملة مكسورة ثم مثناة
تحتية ساكنة ثم دال مهملة كذا وجدته في بعض نسخ الشفا المعتمدة والمشهور
ضبطه بفتح الهمزة وسكون الحا المهملة وبفتح المثناة التحتية وفي نسخة بفتحها وكسر
الحا وسكون المثناة فقال النووي في كتابه تهذيب الاسما واللغات عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمي في القران محمد وفي الانجيل احمد
وفي التوراة احيد وانما سميت احيد لاني احيد عن امتي نار جهنم واما المنحمنا وهو
بضم الميم وسكون النون وفتح المهملة وكسر الميم وتشديد النون الثانية المفتوحة
مقصور وضبطه بعضهم بفتح الميمين فمعناه بالسريانية محمد واما المشفح
وهو بضم الميم وبالشين المعجمة وبالفا المشددة المفتوحتين ثم حا مهملة وروي
بالقاف بدل الفا ففي كتاب شعيا في البشارة به عليه الصلاة والسلام بفتح
العيون والاذان الصم ويحيي القلوب الغلف وما اعطيه لا اعطي احدا مشفح
يحمد الله حمدا جديدا وهو بالسريانية الحمد واما مقيم السنة ففي كتاب
الشفا قال داود عليه الصلاة والسلام اللهم ابعث لنا محمدا يقيم السنة بعد
الفترة واما المبارك فيد الكون ونماوه كالسقي من بركته المستمده من بركة الله
ومن كال بركته نبع الما من بين اصابعه وتكثير الطعام الكثير القليل ببركته
حتى اشبع الجيش الكثير وغير ذلك مما لمسه او باشره كما سياتي ذلك بعلو
مكانته عند ربه تعالى ومن ذلك ان قرن سبحانه ذكره بذكره فلا اذن بلم

صنعين

في الجيل

الامور والا[illegible]

[illegible]

Copyright King Saud University

احد سواه ولا قرن اسم احد مع اسمه الاباه فاعلن له في السابقة على ساق العرش
واذن به في اللاحقة على منار الايمان **واما الامي** فهو من اخص اسمايه وقال الله
تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشا
من عبادنا فهو تعالى يقرا به ما كتبه بيده وما خطته اقلامه العلية في الواح
قدسه فيغنيه بذلك عن ان يقرا ما تكتب الخلق **واما المكي** فهو صلى الله عليه
وسلم فقد كان بداية ظهوره عليه الصلاة والسلام في الارض في مكة التي هي حرم الله
وهي مهد البركة ومنشا الهدى فهو عليه الصلاة والسلام مكي الاقامة ومبتدا
النبوة ومكي الاعادة وكان من اية ذلك توجيهه لها حيث ما توجه فهو عليه
الصلاة والسلام المكي الذي لا يبرح وجودا او قصدا والمرء حيث قصده لا حيث
جسمه حتى كان من شرعه ان يوجه الميت للكعبة ومن او ما التي فهو لها اومي
ولذلك صحت الصلاة ايضا **اما المدني** فلان المدينة دار هجرته واقامته لا رحلة
له عنها وحصلت تربتها بان ضمت اعضا النبي صلى الله عليه وسلم المقدسة **واما**
عبد الكريم فذكر الحسين بن محمد الدامغاني شوق العروس وانس النفوس نقلا في كتابه
عن كعب الاحبار انه قال اسم النبي صلى الله عليه وسلم عند اهل الجنة عبد الكريم **وعند**
اهل النار عبد الجبار **وعند** اهل العرش عبد الحميد **وعند** سائر الملايكة عبد
المجيد **وعند** الانبيا عبد الوهاب **وعند** الشياطين عبد القهار **وعند** الجن عبد
الرحيم **وفي** الجبال عبد الخالق **وفي** البر عبد القادر **وفي** البحر عبد المهيمن **وعند**
الحيتان عبد القدوس **وعند** الهوام عبد الغياث **وعند** الوحوش عبد الرزاق
وعند السباع عبد السلام **وعند** البهايم عبد المومن **وعند** الطيور عبد الغفار
وفي التوراة مود مود **وفي الانجيل** طاب طاب **وفي** الصحف عاقب **وفي الزبور**
فاروق **وعند** الله طه ويس **وعند** المومنين محمد صلى الله عليه وسلم **قال** وكنيته
ابو القاسم لانه يقسم الجنة بين اهلها **واما عبد الله** فسماه الله تعالى في اشرف مقاماته
فقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله **وقال** تبارك
الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا **وقال** الحمد لله الذي انزل
على عبده الكتاب فذكره بالعبودية في مقام انزال الكتاب عليه والتحدي بان ياتوا
بمثله **وقال** تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه فذكره في مقام الدعوة اليه
وقال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وقال فاوحى الى عبده ولو كان له اسم
اشرف منه لسماه به في تلك الحالات العلية **فلما** رفعه الله تعالى لحضرته
السنية ورقاه الى اعلى المعالي العلوية الزمه تشريفا له اسم العبودية **وقد**
كان صلى الله عليه وسلم يجلس للاكل جلوس العبد وكان يتخلى عن وجوه الترفعات
كلها في ملبسه وماكله وبيته ومسكنه اظهارا لظاهر العبودية فيما ينال العيان

صدقا

صدقا عافي باطنه من تحقق العبودية لربه تحقيقا لمعنى الذي جا بالصدق
وصدق به **ولما** خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا اختار ان يكون نبيا عبدا
فاختار ما هو الاتم وكان صلى الله عليه وسلم يقول كما في الصحيح لا تطروني كما اطرت
النصارى عيسى ولكن قولوا عبد الله ورسوله فاستحب ما هو ثابت له
واسم الله ما هو له لا لسواه وليس للعبد الا اسم العبد ولذا كان عبد الله احب
الاسما الى الله **الفصل الثاني في ذكر اولاده الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام اعلم**
ان جملة ما اتفق عليه منهم ستة القاسم وابراهيم واربع بنات زينب ورقية
وام كلثوم وفاطمة وكلهن ادركن الاسلام وهاجرن معه واختلف فيما سوى
هولا فعند ابن اسحق الطاهر والطيب ايضا فيكون على هذا ثمانية اربعة
ذكور واربعة اناث **وقال الزبير** ابن بكار كان له عليه الصلاة والسلام سوى
ابراهيم القاسم وعبد الله مات صغيرا بمكة ويقال له الطيب والطاهر ثلاثة
اسما وهو قول اكثر اهل النسب قاله ابو عمر وقال الدارقطني هو الاثبت وسمي عبد
الله بالطيب الطاهر لانه ولد بعد النبوة فعلى هذا يكون جملتهم سبعة ثلاثة
ذكور وقيل عبد الله غير الطيب والطاهر حكاه الدارقطني وغيره فيكون
جملتهم على هذا تسعة خمسة ذكور وقيل كان له الطيب والمطيب ولدا في بطن
والطاهر والمطهر ولدا في بطن ذكره صاحب الصفوة فيكونون على هذا
احد عشر وقيل ولد له صلى الله عليه وسلم ولد قبل المبعث يقال له عبد مناف
فيكونون على هذا اثني عشر وكلهم سوى هذا ولد في الاسلام بعد البعث
وقال ابن اسحق كلهم غير ابراهيم قبل الاسلام وبنات النبوة قبل الاسلام وهم يدعون
وقد تقدم من قول غيره ان عبد الله ولد بعد النبوة ولذلك سمي بالطيب
والطاهر فتحصل من جميع الاقوال ثمانية ذكور اثنان متفق عليهما القاسم
وابراهيم وستة مختلف فيهم عبد مناف وعبد الله والطيب والمطيب والطاهر
والمطهر والاصح انهم ثلاثة ذكور واربع بنات متفق عليهن وكلهن من خديجة بنت
خويلد الا ابراهيم **فاما القاسم** فهو اول ولد ولد له عليه الصلاة والسلام قبل
النبوة وبه كان يكنى وعاش حتى مشى وقيل عاش سنتين وقال مجاهد مكث
سبع ليال وخطا الغلاني في ذلك وقال الصواب انه عاش سبعة عشر شهرا وقال
ابن فارس بلغ ركوب الدابة قبل المبعث وفي مسند الفريابي ما يدل على
انه توفي في الاسلام وهو اول من مات من ولده عليه الصلاة والسلام **واما**
زينب فهي الكبرى انه بلا خلاف الا ما لا يصح وانما الخلاف فيها وفي القاسم ايهما اول ولد
او رقية ابن اسحق انها ولدت في سنة ثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم
وادركت الاسلام وهاجرت **وماتت** سنة ثمان من الهجرة عند زوجها ابن

عن القاسم الحجابي
١١٤

Copyright © King Saud University

خالتها ابي العاص لقيط وقيل مهشم بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وكانت
هاجرت قبله وتركته على شركه وردها النبي صلى الله عليه وسلم له بالنكاح الاول
بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل بعد انقضا العدة فيما ذكره ابن عقبة
وفي حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ردها له بنكاح جديد سنة
سبع وولدت له عليا مات صغيرا قد ناهز الحلم وكان رديف رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ناقته يوم الفتح وولدت له ايضا امامة التي حملها صلى الله عليه
وسلم في صلاة الصبح على عاتقه وكان اذا ركع وضعها واذا رفع راسه من السجود
اعادها وتزوجها علي بن ابي طالب بعد موت فاطمة **واما رقية** فولدت سنة
ثلاث وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم وذكر الزبير بن بكار وغيره انها اكبر
بناته صلى الله عليه وسلم وصححه الجرجاني النسابه والاصح الذي عليه الاكثرون
كما تقدم ان زينب اكبرهن وكانت رقية تحت عتبة بن ابي لهب واختها ام كلثوم
تحت اخيه عتيبة فلما نزلت تبت يدا ابي لهب قال لهما ابوهما ابو لهب
راسي من روسكما حرام ان لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما فتزوج
عثمان بن عفان رقية بمكة وهاجر بها الهجرتين الى ارض الحبشة وكانت ذات
جمال رائع وذكر الدولابي ان تزوجه بها كان في الجاهلية وذكر غيره ما يدل
على انه كان بعد اسلامه وتوفيت والنبي صلى الله عليه وسلم ببدر **وعن** ابن عباس
لما عزي النبي صلى الله عليه وسلم برقية قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات
خرجه الدولابي **واما ام كلثوم** فلا يعرف لها اسم انما تعرف بكنيتها وكانت عند
عتيبة بن ابي لهب كما تقدم ففارقها قبل الدخول **ويروي** ان عتيبة
لما فارق ام كلثوم جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال كفرت بدينك وفارقت
ابنتك لا تحبني ولا احبك ثم سطا عليه وشق عليه قميصه وهو خارج نحو
الشام تاجرا فقال صلى الله عليه وسلم اما اني اسال الله ان يسلط عليك كلبه
وفي رواية اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وابو طالب حاضر فوجم لها
وقال ما كان اغناك عن دعوة ابن اخي فخرج في تجر من قريش حتى نزلوا
مكانا من الشام يقال له الزرقا ليلا فاطاف بهم الاسد تلك الليلة فجعل عتيبة
يقول يا ويل امي هو والله اكلي كما دعى علي محمد اقاتلي ابن ابي كبشة وهو
بمكة وانا بالشام فعدا عليه الاسد من بين القوم فاخذ براسه ففدغه
وفي رواية فجا الاسد فجعل الاسد يتشمم وجوههم ثم ثنا ذنبه فوثب فضربه
ضربة واحدة فخدشه فقال قتلني ومات **وفي** رواية ان الاسد اقبل
يتخطاهم حتى اخذ براس عتيبة ففدغه ذكره الدولابي **ولما توفيت رقية**
خطب عثمان ابنة عمر حفصة فرده فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم

فقال

فقال يا عمر ادلك على خير لك من عثمان وادل عثمان على خير له منك قال نعم يا نبي الله
قال تزوجني ابنتك وازوج عثمان ابنتي اخرجه الخجندي وكان تزوج عثمان
بام كلثوم سنة ثلاث من الهجرة وروي انه عليه الصلاة والسلام قال لو والذي
نفسي بيده لو ان عندي مائة بنت يمتن واحدة بعد واحدة لزوجتك
اخرى هذا جبريل اخبرني ان الله يامرني ان ازوجكها رواه الفضايلي وماتت بعد اخر
ام كلثوم سنة تسع من الهجرة وصلى عليها عليه الصلاة والسلام ونزل في
حفرتها علي والفضل واسامة بن زيد **وفي** البخاري جلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم على القبر وعيناه تذرفان وقال هل منكم من احد لم يقارف
الليلة **فقال** ابو طلحة انا فقال انزل قبرها فنزل **وقد روي** نحو ذلك في رقية
وهو وهم فانه عليه الصلاة والسلام لم يكن حاضر دفنها حاضرا بل كان في غزوة بدر
كما قدمته وغسلتها اسما بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب وشهدت ام
عطية غسلها وروت قوله عليه الصلاة والسلام اغسلنها ثلاثا او خمسا او سبعا
او اكثر من ذلك ان رايتن بما وسدر واجعلن في الاخرة كافورا فاذا فرغتن
فاذنني فلما فرغنا اذناه فالقى علينا حقوه وقال اشعرنها اياه قالت ومشطناها
ثلاثة قرون والقيناها خلفها والحقوه الازار واشعرنها اي اجعلنه شعارها
الذي يلي جسدها وذلك هو الشعار وما فوقه الدثار **واما فاطمة الزهرا البتول**
فولدت سنة احدى واربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم قاله
ابو عمر وهو مغاير لما رواه ابن اسحق ان اولاده عليه الصلاة والسلام كلهم
ولدوا قبل النبوة الا ابراهيم وقال ابن الجوزي ولدت قبل النبوة بخمس سنين
ايام بنا البيت **وروي** مرفوعا انما سميت فاطمة لان الله قد فطمها وذريتها عن
النار يوم القيامة اخرجه الحافظ الدمشقي وروي الغساني مرفوعا لان الله
فطمها ومحبيها عن النار وسميت بتولا لانقطاعها عن نسا زمانها فضلا ودينا وحسبا
وقيل لانقطاعها عن الدنيا الى الله قاله ابن الاثير **وتزوجت** بعلي بن ابي طالب
في السنة الثانية وقيل بعد احد وقيل بعد بنايه عليه الصلاة والسلام بعايشة
باربعة اشهر ونصف وبنى بها بعد تزويجها بسبعة اشهر ونصف وقيل في صفر
في السنة الثانية وبنا بها في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا وكان تزويجه
بامر الله ووحيه وتزوجت ولها خمس عشرة سنة وخمسة اشهر ونصف ولعلي
احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصف ولعلي احدى وعشرين سنة
وخمسة اشهر وقيل غير ذلك وتقدم مزيد لذلك في المغازي والسير من المقصد
الاول قال ابو عمر وفاطمة وام كلثوم افضل بنات النبي صلى الله عليه وسلم
وكانت فاطمة احب اهله اليه صلى الله عليه وسلم وكان يقبلها في فمها ويمصها

115

Copyright © King Saud University

لسانه واذا اراد سفرا يكون اخر عهده بها واذا قدم اول ما يدخل عليها وقال
عليه الصلاة والسلام فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني رواه البخاري
وقال لها اوما ترضين ان تكوني سيدة نسا المومنين رواه مسلم وفي رواية احمد
افضل نسا اهل الجنة وتوفيت بعده عليه الصلاة والسلام بستة اشهر ليلة الثلاثا
لثلاث خلون من شهر رمضان سنة احدي عشرة وهي ابنة تسعة وعشرين
سنة قاله المديني وقيل توفيت بعده بثمانية اشهر وقيل غير ذلك والاول
اصح كذا قالوه فيما رايته وهو غير منتظم مع السابق فليتامل وروي انها
قالت لاسما بنت عميس اني قد استقبحت ما يصنع بالنسا انه يطرح على المراة
الثوب فيصفها فقالت اسما يا بنت رسول الله الا اريك شيا رايته بارض
الحبشة فدعت بجرايد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبا فقالت فاطمة
ما احسن هذا تعرف به المراة من الرجل فاذا انا مت فاغسليني انت وعلي
ولا يدخل علي احد الحديث اخرجه ابو عمر وفي حديث ام سلمى انها لما اشتكت
اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت في وسط البيت ووضعت يدها
اليمنى تحت خدها ثم استقبلت القبلة وقالت اني مقبوضة فلا يكشفني احد ولا
يغسلني ثم قبضت مكانها ودخل علي فاخبر بالذي قالت فاحتملها فدفنها بغسلها
ذلك ولم يكشفها ولا غسلها احد رواه احمد في المناقب والدولابي وهذا لفظه مختصر
وهو مضاد لخبر اسما المتقدم قال ابو عمر وفاطمة اول من غطي نعشها من النسا
على الصفة المذكورة في خبر اسما المتقدم ثم بعدها زينب بنت جحش صنع بها
ذلك ايضا وولدت لعلي حسنا وحسينا ومحسنا مات محسن صغيرا وام
كلثوم وزينب ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم عقب الا من ابنته فاطمة
رضي الله عنها وانتشر نسله الشريف منها من جهة السبطين الحسن والحسين فقط
ويقال للمنسوب لاولهما حسني ولثانيهما حسيني وقد يضم للحسيني من يكون
من ذرية اسحق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن السيد
نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي وله منها القاسم وام كلثوم ولم يعقبا
وتزوج عمر بن الخطاب ام كلثوم بنت فاطمة فولدت له زيدا ورقيه ولم يعقبا
ثم تزوجت ام كلثوم بعد موت عمر بعون بن جعفر ثم تزوجت بعد وفاته
باخيه محمد بن جعفر ثم مات عنها فتزوجت باخيها عبد الله بن جعفر ثم ماتت
عنده ولم تلد لواحد من الثلاثة سوى للثاني ابنة توفيت صغيرة وليس
لها عقب ثم تزوج عبد الله بن جعفر باختها زينب بنت فاطمة فولدت له
عدة من الاولاد منهم فاطمة زوج حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام وله
منها عقب وبالجملة فعقب عبد الله بن جعفر انتشر من علي واخته ام كلثوم

ابنتي

ابنتي زينب بنت الزهرا ويقال لكل من ينتسب لهولا جعفري ولا ريب ان
لهولا شرفا واما الجعافرة المنسوبون لعبد الله بن جعفر فلهم ايضا شرف لكنه
يتفاوت فمن كان من ولده من زينب بنت الزهرا فهم اشرف من غيرهم مع كونهم
لا يوازون شرف المنسوبين للحسن والحسين لمزيد شرفهما وكذا يوصف
العباسيون بالشرف لشرفهم من بني هاشم قال الحافظ بن حجر في الالقاب وقد
لقب به يعني بالشرف كل عباسي ببغداد وكل علوي بمصر **واما عبد الله بن
النبي صلى الله عليه وسلم** فقيل مات صغيرا بمكة فقال العاصي ابن وايل
قد انقطع ولده فهو ابتر فانزل الله تعالى ان شانيك هو الابتر واختلف هل
ولد قبل النبوة او بعدها وهل هو الطيب والطاهر والصحيح انهما لقبان له
كما تقدم **واما ابراهيم** فمن مارية القبطية وسياتي ذكرها في سراريه عليه
الصلاة والسلام ان شا الله تعالى في الفصل الثاني لهذا في امهات المومنين
وولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة وقيل ولد بالعالية ذكره الزبير بن بكار وكانت
سلمى زوج ابي رافع مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قابلته فبشر ابو رافع
به النبي صلى الله عليه وسلم فوهب له عبدا وعق عنه يوم سابعه بكبشين
وحلق راسه ابو هند وسماه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وتصدق بزنة
شعره ورقا على المساكين ودفنوا شعره في الارض وفي البخاري من حديث
انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال ولد لي الليلة غلام سميته باسم ابي ابراهيم
ثم دفعه الي ام سيف امراة قين بالمدينة يقال له ابو سيف الحديث وفيه انه بقي
عندها الي ان مات والقين الحداد وجمع بينهما بان التسمية كانت قبل السابع
كما في حديث انس هذا ثم ظهرت فيه **واما حديث** عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده عند الترمذي مرفوعا انه امر بتسمية المولود يوم سابعه فيحمل
على انها لا تؤخر عن السابع لا انها لا تكون الا فيه بل هي مشروعة من الولادة
الي السابع قال الزبير ابن بكار وتنافست الانصار فيمن يرضع ابراهيم عليه
الصلاة والسلام فانهم احبوا ان يفرغوا مارية له عليه الصلاة والسلام
فاعطاه لام بردة بنت المنذر بن زيد الانصاري زوجة البرا ابن اوس فكانت
ترضعه بلبن ابنها في بني مازن ابن النجار وترجع به الي امه واعطي صلى الله
عليه وسلم ام بردة قطعة نخل وقد تقدم انه اعطاه ام سيف وبقي عندها
الي ان مات فيحتمل ان يكون اعطاه اولا ام بردة ثم اعطاه ام سيف وبقي عندها
الي ان توفي لكن قد روي انه توفي عند ام بردة فيرجع الترجيح الي التصحيح
وعن انس بن مالك قال ما رايت احدا ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان ابراهيم مسترضعا في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه

وفي شيوخ ابن الرفعة شخص يقال له الشريف العباسي

١١٦

Copyright Kyung Hee University

فيدخل البيت وكان ظئره قينا فياخذه ويقبله ثم يرجع الحديث رواه ابو حاتم
وفي حديث جابر اخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف
فاتى به النخل فاذا ابنه ابراهيم يجود بنفسه فاخذه صلى الله عليه وسلم فوضعه
في حجره ثم ذرفت عيناه ثم قال انا بك يا ابراهيم لمحزونون تبكي العين ويحزن
القلب ولا نقول ما يسخط الرب خرجه بهذا السياق ابن عمرو بن السماك
ومعناه في الصحيح وتوفي وله سبعون يوما فيما ذكره ابو داود في ربيع الاول
يوم الثلاثا لعشر خلون منه وقيل بلغ ستة عشر شهرا وثمانية ايام وقيل ستة
وعشرة اشهر وستة ايام وحمل على سرير صغير وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم
بالبقيع وقال ندفنه عند فرطنا عثمان بن مظعون وروي ان عايشة قالت
دفنه عليه الصلاة والسلام ولم يصل عليه في جاعة وروي ان الذي غسله ابو
بردة وروي الفضل بن العباس ولعلهما اجتمعا عليه ونزل قبره الفضل
واسامة والنبي صلى الله عليه وسلم على شفير القبر ورش قبره وعلم بعلامة قال
الزبير وهو اول قبر رش وانكسفت الشمس يوم موته فقال الناس انما كسفت
لموت ابراهيم فقال عليه الصلاة والسلام ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله
لا ينكسفان لموت احد رواه الشيخان قيل والغالب ان الكسوف يكون يوم الثامن
والعشرين او التاسع والعشرين نكسفت يوم موت ابراهيم في العاشر فلذلك
قالو كسفت لموته وقال عليه الصلاة والسلام ان له مرضعا في الجنة رواه ابن ماجة
وقد روي من حديث ابن مالك انه قال لو بقي يعني ابراهيم ابن النبي صلى الله
عليه وسلم لكان نبيا ولكن لم يبق لان نبيكم اخر الانبيا اخرجه ابو عمر قال الطبري
وهذا انما يقوله انس عن توقيف يخص ابراهيم والا فلا يلزم ان يكون ابن النبي
نبيا بدليل ابن نوح عليه الصلاة والسلام قال النووي في تهذيب الاسما واللغات
واما ما روي عن بعض المتقدمين لو عاش ابراهيم لكان نبيا فباطل وجسارة على
الكلام على المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم انتهى قال شيخنا في كتابه المقاصد الحسنة
ونحوه قول ابن عبد البر في تمهيده لا ادري ما هذا فقد ولد نوح غير نبي ولو لم
يلد النبي الا نبيا لكان كل احد نبيا لانهم من ولد نوح انتهى قال الحافظ ابن حجر
ولا يلزم من الحديث المذكور ما ذكره الطبري لما لا يخفى وكانه سلف النووي
وقال ايضا عقب كلام النووي انه عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة قال
وكانه لم يظهر له وجه تاويله فقال في انكاره ما قال وجوابه ان القضية الشرطية
لا يلزم الوقوع ولا يظن بالصحابي الهجوم على مثل هذا بالظن قال شيخنا والطرق
الثلاثة احدها ما اخرجه ابن ماجة وغيره من حديث ابن عباس لما مات
ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليه قال ان له مرضعا في الجنة ولو

عاش

عاش لكان صديقا نبيا ولو عاش لاعتقت اخواله من القبط وما استرق قبطي
وفي سنده ابو شيبة ابراهيم بن عثمان الواسطي وهو ضعيف ومن طريقه
اخرجه ابن منده في المعرفة وقال انه غريب ثانيها ما رواه ابراهيم السدي
عن انس قال كان ابراهيم قد ملا المهد ولو بقي لكان نبيا ثالثها ما عند البخاري
من طريق محمد بن بشر عن اسماعيل بن ابي خالد قال قلت لعبد الله بن ابي
اوفى رايت ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم قال مات صغيرا ولو قضي
بعد محمد نبي عاش ابنه ابراهيم ولكن لا نبي بعده اخرجه احمد عن وكيع
عن اسماعيل سمعت ابن ابي اوفى يقول لو كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نبي
ما مات ابنه انتهى

الفصل الثالث في ازواجه الطاهرات وسراريه المطهرات

قال الله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم اي ازواجه عليه
الصلاة والسلام امهات المومنين سوا من مات عنها او ماتت عنه وهي تحته وذلك
في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن لا في نظر وخلوة ولا يقال بناتهن
اخوات المومنين ولا اباوهن وامهاتهن اجداد وجدات ولا اخوتهن واخواتهن
اخوال وخالات قال البغوي كن امهات المومنين دون النسا روي ذلك عن
عايشة رضي الله عنها وهو جار على الصحيح عند اصحابنا وغيرهم من اهل الاصول
ان النسا لا يدخلن في خطاب الرجال قال وكان صلى الله عليه وسلم ابا للرجال
والنسا ويجوز ان يقال ابو المومنين في الحرمة وفضلت زوجاته عليه الصلاة
والسلام على النسا وثوابهن وعقابهن مضاعفان ولا يحل سوالهن الا من ورا
حجاب وافضلهن خديجة وعايشة رضي الله عنها وفي افضليتهما خلاف يأتي
تحقيقه ان شا الله تعالى قريبا واختلف في عدة ازواجه صلى الله عليه وسلم
وترتيبهن وعدة من مات منهن قبله ومن مات عنهن ومن دخل بها ومن
لم يدخل بها ومن خطبها ومن عرضت نفسها عليه والمتفق عليه انهن احدى
عشرة امراة ست من قريش خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى
ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي وعايشة بنت ابي بكر بن ابي قحافة
ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لوي
وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن
قرط بن رباح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لوي وام حبيبة بنت ابي سفيان
ابن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة
ابن كعب بن لوي وام سلمة بنت ابي امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو
ابن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لوي وسودة بنت زمعة بن قيس
ابن عبد شمس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر بن لوي

Copyright © King Saud University

واربع عربيات زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير
ابن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة وميمونة بنت الحارث الهلالية
وزينب بنت خزيمة الهلالية ام المساكين وجويرية بنت الحارث الخزاعية
المصطلقية وواحدة غير عربية من بني اسرائيل هي صفية بنت حيي من
بني النضير ومات عنده صلى الله عليه وسلم منهن اثنتان خديجة وزينب
ام المساكين ومات صلى الله عليه وسلم عن تسع ذكر اسماهن الحافظ ابو الحسن
ابن الفضل المقدسي نظما فقال توفي رسول الله عن تسع نسوة اليهن تعزى المكرمات
فعايشة ميمونة وصفية وحفصة تلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ثلاث وست ذكرهن مهذب
ولا خلاف ان اول امراة تزوج بها منهن خديجة بنت خويلد وانه صلى الله
عليه وسلم لم يتزوج عليها حتى ماتت وهذا اوان الشروع في ذكرهن على الترتيب
فاما ام المومنين خديجة وامها فاطمة بنت زايدة بن الاصم فكانت تدعى في
الجاهلية الطاهرة وكانت تحت ابي هالة النباش بن ابي زرارة فولدت
له هندا او هالة وهما ذكران ثم تزوجها عتيق بن عايذ المخزومي فولدت
له جارية اسمها هند وبعضهم يقدم عتيقا على ابي هالة ثم تزوجها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولها يوميذ من العمر اربعين سنة وبعض اخرى
وكان سنه عليه الصلاة والسلام احدى وعشرين سنة وقيل خمس وعشرين
وعليه الاكثر وقيل ثلاثين وكانت قد عرضت نفسها عليه فذكرت ذلك لاعمامه
فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها صلى
الله عليه وسلم واصدقها عشرين بكرة وزاد بن اسحق من طريق اخر
وحضر ابو طالب ورؤسا مضر فخطب ابو طالب وقد تقدمت خطبته في
المقصد الاول عند ذكر تزويجها له صلى الله عليه وسلم وذكر الدولابي وغيره
ان النبي صلى الله عليه وسلم اصدق خديجة اثني عشرة اوقية ذهبا وكانت
خديجة كما قدمته اول من امن من النسا وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة
ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد هذه خديجة قد اتتك بانا
فيه طعام او ادام وشراب فاذا هي اتتك فاقرا عليها السلام من ربها ومني وبشرها
ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب والقصب اللولو المجوف
قال ابن اسحق وكان صلى الله عليه وسلم لا يسمع شيا من رد عليه وتكذيب
له عليه الصلاة والسلام فيحزنه ذلك الا فرج الله عنه بخديجة اذا رجع اليها
تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه امر الناس حتى ماتت وعن عبد
الرحمن بن زيد قال قال ادم عليه الصلاة والسلام اني لسيد البشر يوم

القيامة

القيامة الا رجلا من ذريتي نبيا من الانبيا يقال له احمد فضل علي باثنتين زوجته
عاونته فكانت له عونا وكانت زوجتي عونا علي واعانه الله على شيطانه
فاسلم وكفر شيطاني اخرجه الدولابي كما ذكره الطبري وخرج الامام احمد
عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال افضل نسا اهل الجنة خديجة
بنت خويلد وفاطمة ابنة محمد ومريم ابنة عمران واسية امراة فرعون قال
الشيخ ولي الدين العراقي خديجة افضل امهات المومنين على الصحيح المختار
وقيل عايشة انتهى وقال شيخ الاسلام ابو يحيى زكريا الانصاري في شرح بهجة
الحاوي عند ذكر ازواجه صلى الله عليه وسلم وافضلهن خديجة وعايشة
وفي افضلها خلاف صحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم
قال لعايشة حين قالت له قد رزقك الله خيرا منها فقال لا والله ما رزقني الله
خيرا منها امنت بي حين كذبني الناس واعطتني مالها حين حرمني الناس وسيل
ابن داود ايهما افضل فقال عايشة اقراها النبي صلى الله عليه وسلم السلام من
جبريل وخديجة اقراها جبريل من ربها السلام على لسان محمد فهي افضل قيل له
فمن افضل خديجة ام فاطمة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة
هي بضعة مني فلا اعدل ببضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا ويشهد
له قوله صلى الله عليه وسلم اما ترضين ان تكوني سيدة نسا اهل الجنة الا مريم
واحتج من فضل عايشة بما احتجت به من انها في الاخرة مع النبي صلى الله عليه
وسلم في الدرجة وفاطمة مع علي فيها وسيل السبكي عن ذلك فقال الذي نختاره
وندين الله به ان فاطمة بنت محمد افضل ثم امها خديجة ثم عايشة ثم استدل لذلك
بما تقدم بعضه واما خبر الطبراني خير نسا العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة
بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد ثم اسية امراة فرعون فاجاب عنه ابن العماد
بان خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة واختار
السبكي ان مريم افضل من خديجة بهذا الخبر وللاختلاف في نبوتها انتهى
وقال ابو امامة بن النقاش ان سبق خديجة وتاثيرها في اول الاسلام
وموازرتها ونصرها وقيامها في الدين لله بمالها ونفسها لم يشركها فيه احد
لا عايشة ولا غيرها من امهات المومنين وتاثير عايشة في اخر الاسلام
وحمل الدين وتبليغه الى الامة وادراكها من الامر ما لم يشركها فيه خديجة
ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها انتهى وماتت خديجة بمكة قبل الهجرة
بثلاث سنين وقيل باربع وقيل بخمس ودفنت في الحجون وهي ابنة خمسة
وستين سنة ولم يكن يوميذ يصلى على الجنازة وكانت مدة قيامها مع
النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وقيل اربعا وعشرين سنة

١١٨

Copyright King Saud University

واما سودة بنت زمعة وامها الشموس بنت قيس فاسلمت قديما وبايعت
وكانت تحت ابن عم لها يقال السكران بن عمرو واخوه سهيل بن عمرو واسلم معها
قديما وهاجرا جميعا الى ارض الحبشة الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات
زوجها وقيل انه مات بالحبشة وتزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة بعد
موت خديجة قبل ان يعقد على عايشة هذا قول قتادة وابو عبيدة
ولم يذكر ابن قتيبة غيره ويقال تزوجها بعد عايشة ويجمع بين القولين
بانه صلى الله عليه وسلم عقد على عايشة قبل سودة ودخل بسودة قبل
عايشة والتزويج يطلق على كل واحد منهما واذا كان المتبادر الى الفهم
العقد دون الدخول ولما كبرت سودة اراد صلى الله عليه وسلم طلاقها
فسالته ان لا يفعل وجعلت يومها لعايشة فامسكها وتوفيت بالمدينة في
شوال سنة اربع وخمسين وروى البخاري في تاريخه باسناد صحيح الى سعيد
ابن ابي هلال انها ماتت في خلافة عمر وجزم الذهبي في التاريخ الكبير بانها ماتت
في اخر خلافة عمر وقال ابن سيد الناس انه المشهور واما ام المومنين عايشة
رضي الله عنها وامها ام رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس من بني
مالك بن كنانة فكانت مسماة على جبير ابن مطعم فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم
واصدقها فيما قاله ابن اسحق اربعماية درهم وتزوجها بمكة في شوال سنة
عشر من النبوة وقبل الهجرة بثلاث ولها ست سنين واعرس بها بالمدينة
في شوال سنة اثنين من الهجرة على راس ثمانية عشر شهرا ولها تسع سنين
وقيل بعد سبعة اشهر من مقدمه عليه الصلاة والسلام وخرج الشيخان
عن عايشة انها قالت تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابنة ست
سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحرث بن الخزرج فوعكت فتمزق شعري
فاتتني امي ام رومان واني لفي ارجوحة مع صواحب لي فصرخت بي فاتيتها
ما ادري ما تريد مني فاخذت بيدي حتى اوقفتني على باب الدار وانا انهج
حتى سكن بعض نفسي ثم اخذت شيا من ما فمسحت به وجهي وراسي ثم ادخلتني
الدار فاذا نسوة من الانصار في البيت فقلن على الخير والبركة فاسلمتني اليهن
فاصلحن من شاني فلم يرعني الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فاسلمتني
اليه وانا يوميذ بنت تسع سنين واخرجه ابو حاتم بتغيير بعض الفاظه
قال ابو عمر كان نكاحه عليه الصلاة والسلام لعايشة في شوال وابتنى بها
في شوال وكانت تحب ان تدخل النساء من اهلها واحبتها في شوال على ازواجهن
وكانت احب نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت اذا هويت الشي
تابعها عليه وفقدها عليه الصلاة والسلام في بعض اسفاره فقال واعروساه

حرجه

خرجه احمد وقال لها عليه السلام كما في الصحيحين رايتك في المنام ثلاث ليال
جاني بك الملك في سرقة من حرير فيقول هذه امراتك فاكشف عن وجهك
فاقول ان يك من عند الله يمضه والسرقة شقة الحرير او البيضا وفي الترمذي
ان جبريل جاء عليه الصلاة والسلام بصورتها في خرقة حرير خضرا وقال
هذه زوجتك في الدنيا والاخرة وفي رواية عنده قال جبريل ان الله
قد زوجك بابنة ابي بكر ومعه صورتها وكانت مدة مقامها معه عليه
الصلاة والسلام تسع سنين ومات عنها صلى الله عليه وسلم ولها ثمانية
عشر سنة ولم يتزوج بكرا غيرها وكانت فقيهة عالمة فصيحة كثيرة الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارفة بايام العرب واشعارها روى عنها
جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وكان صلى الله عليه وسلم يقسم لها ليلتين ليلتها
وليلة سودة بنت زمعة لانها وهبت ليلتها لها لما كبرت كما تقدم وبسائر نسائه ليلة ليلة وكان
يدور على نسائه ويختم بعايشة وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين وقال الواقدي
ليلة الثلاث لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين وهي ابنة ست وستين
سنة واوصت ان تدفن بالبقيع ليلا وصلى عليها ابو هريرة وكان يوميذ خليفة مروان
على المدينة في ايام معاوية بن ابي سفيان وكانت عايشة تكنى ام عبد الله يروى انها
اسقطت من النبي صلى الله عليه وسلم سقطا والصحيح انها كانت تكنى بعبد الله بن الزبير بن
اختها فانه عليه الصلاة والسلام تفل في فيه لما ولد وقال لعايشة هو عبد الله وانت
ام عبد الله قالت فما زلت اكنى بها وما ولدت قط اخرجه ابو حاتم واما ام المومنين حفصة
بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها وامها زينب بنت مظعون فاسلمت وهاجرت وكانت
قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت خنيس بضم المعجمة وفتح النون بالسين المهملة
ابن حذافة السهمي فهاجرت معه ومات عنها بعد غزوة بدر فلما تايمت ذكرها عمر
على ابي بكر وعثمان فلم يجبه واحد منهما الى زواجها فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانكحه اياها في سنة ثلاث من الهجرة وطلقها تطليقة واحدة ثم راجعها نزل عليه
الوحي راجع حفصة فانها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة روى عنها جماعة
من الصحابة والتابعين وماتت في شعبان سنة خمس واربعين في خلافة معاوية
وقيل سنة احدى واربعين وهي ابنة ستين سنة وقيل انها ماتت في خلافة عثمان
واما ام المومنين ام سلمة هند وقيل رملة والاول اصح وامها عاتكة بنت عامر بن
ربيعة وليست عاتكة بنت عبد المطلب وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم تحت ابي سلمة بن عبد الاسد وكانت هي وزوجها اول من هاجر الى ارض الحبشة فولدت
له زينب وولدت له بعد ذلك سلمة وعمر ودرة وقيل هي اول ظعينة دخلت
المدينة مهاجرة وقيل غيرها ومات ابو سلمة سنة اربع وقيل سنة ثلاث من الهجرة

١١٩

Copyright © King Saud University

وكانت ام سلمه سمعته عليه الصلاة والسلام يقول ما من مسلم يصيبه مصيبة فيقول اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اخلف الله له خيرا منها
قالت فلما مات ابو سلمة قلت اي المسلمين خير من ابي سلمة ثم اني قلتها فاخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الي النبي صلى الله عليه وسلم حاطب
ابن ابي بلتعة يخطبني له وفي رواية فخطبها ابو بكر فابت وخطبها عمر فابت
ثم ارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مرحبا برسول الله
ان في خلالا ثلاثا امراة شديدة الغيرة وانا امراة مصبية وانا امراة ليس
لي هاهنا احد من اوليائي فيزوجني فغضب عمر لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اشد ما غضب لنفسه حين ردته فاتاها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اما ما ذكرت من غيرتك فاني ادعو الله ان يذهبها عنك واما
ما ذكرت صبيتك فان الله سيكفيهم واما ما ذكرت من اوليائك فليس احد
من اوليائك يكرهني فقالت لابنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه
قال صاحب السمط الثمين رواه بهذا السياق هدبة بن خالد وصاحب
الصفوة وخرج احمد والنسائي طرفا منه ومعناه في الصحيح وفيه دلالة
على ان للابن الولاية على امه وعندنا انه انما زوجها بالعصوبة لانه ابن
عمها لان ابا سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله وام سلمة
هند بنت سهل بن المغيرة بن عبد الله ولم يكن من عصبتها احد حاضر
غيره وكانت ام سلمة من اجمل الناس وتزوجها رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ليال بقين من شوال من السنة التي مات فيها ابو سلمة وماتت سنة
تسع وخمسين وقيل سنة اثنين والاول اصح ودفنت بالبقيع وصلى عليها ابو
هريرة وقيل سعيد بن زيد وكان عمرها اربعا وثمانين سنة واما ام المومنين
ام حبيبه رملة بنت ابي سفيان صخر بن حرب وقيل اسمها هند والاول
اصح وامها صفية بنت ابي العاصي فكانت تحت عبد الله ابن جحش و
هاجر بها الى ارض الحبشة الهجرة الثانية ثم تنصر وارتد عن الاسلام و
مات هناك وثبتت ام حبيبة على الاسلام واختلف في وقت نكاح رسول
الله صلى الله عليه وسلم اياها وموضع العقد فقيل انه عقد عليها بارض
الحبشة سنة ست فروي انه صلى الله عليه وسلم بعث عمرو ابن امية
الضمري الى النجاشي ليخطبها عليه فزوجها اياه واصدقها عنه اربعمائة
دينار وبعث بها اليه مع شرحبيل ابن حسنة وروي ان النجاشي ارسل
اليها جاريته ابرهة فقالت ان الملك يقول ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتب الي ان ازوجك منه وانها ارسلت الى خالد بن سعيد بن العاصي

فوكلته

فوكلته واعطت ابرهة سوارين وخاتم من فضة سرورا بما بشرتها به فلما كان
العشي امر النجاشي جعفر بن ابي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا
فخطب النجاشي وقال الحمد لله الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز
الجبار واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اما بعد فقد اجبت الى
ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصدقتها اربعمائة دينار
ذهبا ثم سكب الدنانير بين يدي القوم فتكلم خالد بن سعيد وقال
الحمد لله وحده واستعينه واستغفره واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله ولو كره المشركون اما بعد فقد اجبت الى ما دعى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وزوجته ام حبيبة بنت ابي سفيان فبارك الله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع الدنانير الى خالد بن سعيد بن العاص
فقبضها ثم ارادوا ان يقوموا فقال اجلسوا فان سنة الانبياء اذا تزوجوا ان
يوكل طعام على التزويج فدعا بطعام فاكلوا ثم تفرقوا اخرجه صاحب الصفوة
كما قاله الطبري وكان ذلك في سنة اسبع من الهجرة قال ابو عمر واختلف
فيمن زوجها فروي انه سعيد بن العاص وروي عثمان بن عفان وهي
ابنة عمته وذكر البيهقي ان الذي زوجها خالد بن سعيد بن العاص و
هو ابن عم ابيها لكن ان صح التاريخ المذكور فلا يصح ان يكون عثمان هو
الذي زوجها فانه كان مقدمه من الحبشة قبل وقعة بدر في السنة
الثانية من الهجرة وكان ابو سفيان ابوها حال نكاحها بمكة مشركا محاربا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عقد النكاح عليها كان بالمدينة
بعد رجوعها من ارض الحبشة والمشهور الاول وماتت بالمدينة سنة
اربع واربعين وقيل سنة اثنين واربعين واما ام المومنين زينب بنت
جحش وامها اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم زوجها من زيد بن حارثة فمكثت عنده مدة ثم طلقها كما ياتي
ان شاء الله تعالى في الخصايص فلما انقضت عدتها منه قال صلى الله عليه
وسلم لزيد بن حارثة اذهب فاذكرني لها قال فذهبت اليها فجعلت ظهري
الى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك
فقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي عز وجل فقامت الى مسجدها فانزل الله
تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخل عليها بغير اذن اخرجه مسلم وقال المنافقون حرم محمد نساء الولد

وقد تزوج امراة ابنه فانزل الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم الاية
وكانت زينب تفتخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن
اباوكن وزوجني الله من فوق سبع سموات رواه الترمذي وصححه وكان اسمها
برة فسماها عليه الصلاة والسلام زينب وعن انس لما تزوج صلى الله عليه
وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاذا هو
صلى الله عليه وسلم يتهيا للقيام فلم يقوموا فلما راى ذلك قام وقام من قام
وقعد ثلاثة نفر فجا النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم جلوس
ثم انهم قاموا فانطلقت فجيت فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم انهم انطلقوا
فجا حتى دخل فذهبت لادخل فالقى الحجاب بيني وبينه فانزل الله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية وكان تزوجها له صلى
الله عليه وسلم في سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وهي اول من مات
من ازواجه بعده وقالت عايشة في شانها ولم تكن امراة خيرا منها في
الدين واتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واعظم صدقة واشد ابتذالا ٧
لنفسها في العمل الذي يتصدق به ويتقرب به الى الله رواه مسلم وماتت
بالمدينة في سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين ولها ثلاث وخمسون
سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب وهي اول من جعل على جنازتها نعش
واما ام المومنين زينب بنت خزيمة ابن الحارث الهلالية وكانت تدعى في
الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم فكانت تحت عبد الله ابن جحش في
قول ابن شهاب فقتل عنها يوم احد فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنة ثلاث ولم تلبث عنده الا شهرين او ثلاثة وتوفيت في حياته صلى الله
عليه وسلم وقيل مكثت عنده ثمانية اشهر ذكره الفضايلي وقيل كانت
قبله عليه الصلاة والسلام تحت الطفيل بن الحرث ثم خلف عليها اخوه
عبيدة بن الحارث وقتل عنها يوم احد شهيدا فخلف عليها رسول الله صلى
الله عليه وسلم والاول اصح وتوفيت في ربيع الاخر سنة اربع ودفنت
بالبقيع قال الطبري كذا ذكره الفضايلي وانما يكون هذا على ما حكاه من
انها مكثت عنده عليه الصلاة والسلام ثمانية اشهر اما على ما حكاه ابو عمر
فلا يصح اذ العقد كان في سنة ثلاث فمدتها عنده صلى الله عليه وسلم شهران
او ثلاثة فلا يصح وفاتها في ربيع الاخر انتهى فليتامل واما ام المومنين ميمونة
بنت الحرث الهلالية وامها هند بنت عوف بن زهير بن الحرث بن
حماطة بن حمير تزوجها صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة معتمرا سنة
سبع بعد غزوة خيبر وكانت اختها ام الفضل لبابة الكبرى تحت العباس

ابن عبد المطلب واختها لامها اسما بنت عميس تحت جعفر وسلمى بنت عميس تحت
حمزة وكانت جعلت امرها الى العباس فانكحها النبي صلى الله عليه وسلم وهو محرم
فلما رجع بنى بها بسرف حلالا ذكره ابو عمر وفي الصحيح من افراد مسلم عنها انه صلى
الله عليه وسلم تزوجها وهو حلال زاد البرقاني بعد قوله تزوجها حلالا وبنى
بها حلالا وماتت بسرف فيحمل قوله وهو محرم اي داخل الحرم فيكون العقد
وقع بعد انقضا العمرة ثم خرج منه الى سرف وابتنى بها فيه وهو على عشرة اميال
من مكة كذا قاله الطبري وسياتي في مقصد المعجزات في ذكر الخصايص مزيد
بيان لذلك ان شا الله تعالى وكانت ميمونة قبل عند ابي رهم بن عبد العزى
ويقال بل عبد الله بن ابي رهم وقيل بل عند حويطب بن عبد العزى وقيل
سبرة بن عبد العزى قال ابن اسحق ويقال ايضا انها وهبت نفسها للنبي صلى
الله عليه وسلم وذلك ان خطبته عليه الصلاة والسلام انتهت اليها وهي على
بعيرها فقالت البعير وما عليه لله ورسوله وقيل الواهبة نفسها غيرها
وتوفيت ميمونة بسرف في الموضع الذي بنى بها فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذلك سنة احدى وخمسين وقيل ست وستين وقيل ثلاث وستين
وصلى عليها ابن عباس ودخل قبرها واما ام المومنين جويرية بنت الحارث ابن ابي
ضرار بكسر الضاد المعجمة وتخفيف الرا فكانت تحت مسافع بالسين المهملة والفا ابن
صفوان المصطلقي وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصاري
في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق في سنة خمس وقيل سنة ست
فكاتبته على نفسها ثم جات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله انا جويرية بنت الحرث وكان من امري ما لا يخفى عليك ووقعت في سهم
ثابت بن قيس بن شماس واني كاتبت نفسي فجيت اسالك في كتابتي فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهل لك الى ما هو خير قالت وما هو يا رسول الله قال
اودي عنك كتابتك واتزوجك قالت قد فعلت فتسامع الناس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية فارسلوا ما في ايديهم من السبي فاعتقوهم
وقالوا اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عايشة فما راينا امراة كانت
اعظم بركة على قومها منها اعتق في سببها ماية اهل بيت من بني المصطلق خرجه
ابو داود من حديث عايشة وقال ابن هشام ويقال اشتراها صلى الله عليه
وسلم من ثابت بن قيس واعتقها وتزوجها واصدقها اربعماية درهم وعن
ابن شهاب سبا صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث يوم المريسيع
فحجبها وقسم لها وكانت ابنة عشرين سنة وكان اسمها برة فحوله صلى الله
عليه وسلم وسماها جويرية وقد تقدم مثل ذلك في زينب بنت جحش

Copyright King Saud University

وتوفيت وعمرها خمس وستين سنة في ربيع الاول سنة خمسين وقيل سنة
ست وخمسين ولام المومنين صفية بنت حيي بن اخطب بن سعيه بفتح
السين وسكون العين المهملتين وباليا المثناة التحتيه ابن ثعلبه بن عبيد من
بني اسرايل من سبط هارون بن عمران عليه الصلاة والسلام وامها ضرة بفتح
الضاد المعجمة والرا بنت سموأل بفتح السين وفتح الميم وسكون الواو وفتح الهمزة
وبسكون المثناة التحتيه قتل يوم خيبر في المحرم سنة سبع من الهجرة قال
انس لما افتتح صلى الله عليه وسلم خيبر وجمع السبي جاء دحيه فقال يا رسول
الله اعطني جاريه فقال اذهب فخذ جاريه فاخذ صفية بنت حيي فجاء
رجل الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اعطيت دحيه صفية
بنت حيي سيدة قريظة والنضير ما تصلح الا لك قال ادعوه بها فجا بها فلما
نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جاريه من السبي غيرها قال
واعتقها وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها
حتى اذا كان بالطريق جهزتها له ام سليم فاهدتها له من الليل فاصبح صلى الله
عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شي فليجي به قال فبسط نطعا فجعل
الرجل يجي بالاقط وجعل الرجل يجي بالتمر وجعل الرجل يجي بالسمن فحاسوا حيسا
فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية ما ندري اتزوجها
ام اتخذها ام ولد قالوا ان حجبها فهي امراته وان لم يحجبها فهي ام ولد فلما اراد ان يركب
حجبها وفي رواية فانطلقنا حتى اذا راينا جدر المدينة هششنا اليها فرفعنا مطايا
ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطيته فصرع وصرعت قال فليس
احد من الناس ينظر اليه واليها حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسترها
قال فدخلنا المدينة فخرج جواري نسايه يتراينها ويشمتن بصرعتها رواه
الشيخان وهذا لفظ مسلم وروي عن جابر انه صلى الله عليه وسلم اتي بصفية
يوم خيبر وانه قتل اباها واخاه وان بلالا مر بها بين المقتولين وانه صلى الله عليه
وسلم خيرها بين ان يعتقها فترجع الي من بقي من اهلها او تسلم فيتخذها لنفسه
فقالت اختار الله ورسوله خرجه في الصفوة واخرج تمام في فوايده من حديث
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك في قالت يا رسول الله
قد كنت اتمنى ذلك في الشرك فكيف اذا امكنني الله منه في الاسلام واخرج ابو حاتم
من حديث ابن عمر راي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعين صفية خضرة
فقال ما هذه الخضرة فقالت كانت راسي في حجر ابن ابي الحقيق وانا نايمة فرايت
قمرا وقع في حجري فاخبرته بذلك فلطمني وقال تمنين ملك يثرب وبنا بها
صلى الله عليه وسلم بالصهبا وماتت في رمضان سنة خمسين في زمن معاوية

وقيل غير ذلك ودفنت بالبقيع فهولا ازواجه اللاتي دخل بهن لا خلاف في ذلك
بين اهل السير والعلم بالاثر وبعد ذكر انه صلى الله عليه وسلم تزوج نسوة غير
من ذكر وجملتهن اثنتي عشرة امراة الاولى الواهبة نفسها له صلى الله عليه وسلم
واختلف من هي فقيل ام شريك القرشية العامرية واسمها غزية بضم الغين المعجمة
وفتح الزاي وتشديد المثناة التحتيه بنت جابر بن عوف من بني اسلم بن عامر بن
لوي وقيل بنت داود بن عوف وطلقها النبي صلى الله عليه وسلم فاختلف في دخوله
بها وقيل هي ام شريك غزية الانصارية من بني النجار وفي الصفوة هي ام شريك
غزية بنت جابر الدوسية قال والاكثرون انها التي وهبت نفسها له صلى الله عليه
وسلم فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت وذكر ابن قتيبة في المعارف عن ابي اليقظان
ان الواهبة نفسها خولة بنت حكيم السلمي ويجوز ان يكونا وهبتا انفسهما من
غير تضاد وقال عروة ابن الزبير كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن
للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عايشة اما تستحيي المراة ان تهب نفسها للرجل
فلما نزلت ترجي من تشا منهن قالت عايشة يا رسول الله ما اري ربك الا يسارع
لك في هواك رواه الشيخان وهذه خولة هي زوجة عثمان بن مظعون ولعل
ذلك وقع منها قبل عثمان الثانية خولة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها صلى
الله عليه وسلم فهلكت قبل ان تصل اليه الثالثة عمرة بنت يزيد بن عبيد
ابن اوس ابن كلاب الكلابية ~~وقيل عمرة بنت يزيد~~ قال ابو عمر وهذا الصحيح تزوجها
صلى الله عليه وسلم تعوذت منه حين ادخلت عليه فقال لها لقد عذت
بمعاذ فطلقها وامر اسامة بن زيد فمتعها بثلاثة اثواب قال ابو عمر هكذا روي
عن عايشة وقال قتادة كان ذلك في امراة من سليم وقال ابو عبيدة انما ذلك لاسما
بنت النعمان بن الجون وهكذا ذكره ابن قتيبة وسياتي وقال في عمرة هذه ان اباها
وصفها للنبي صلى الله عليه وسلم ثم قال وازيدك انها لم تمرض قط فقال عليه
الصلاة والسلام ما لهذه عند الله من خير فطلقها الرابعة اسما بنت النعمان
ابن الجون بفتح الجيم ابن الحرث الكندية وهي الجونية اجمعوا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم تزوجها واختلفوا في سبب فراقه لها فقال قتادة وابو عبيدة
انه صلى الله عليه وسلم لما دعاها قالت فقال ابي وابت ان تجي وقال بعضهم
قالت اعوذ بالله منك فقال عذت بمعاذ وقد اعاذك الله مني وقيل ان نساه
صلى الله عليه وسلم علمنها ذلك فانها كانت من اجمل الناس فخفن ان تغلبهن
عليه فقلن لها انه يحب اذا دنا منك ان تقولي اعوذ بالله منك فقال قد عذت
بمعاذ وطلقها ثم سرحها الي اهلها وكانت تسمي نفسها الشقية وقال الجرجاني قلن
لها ان اردتي ان تحظي عنده فتعوذي بالله منه فقالت ذلك فولي وجهه عنها

Copyright ... University

وقيل المعوذة غيرها قال ابو عبيدة ويجوز ان يكون تعوذتا وقال اخرون
كان باسها وضح فقال لها الحقي باهلك وقد قيل في اسمها اسية وقيل امامة الخامسة
مليكة بنت كعب الليثية قال بعضهم هي التي استعاذت من النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل دخل بها وماتت عنده والاول اصح ومنهم من ينكر تزوجه بها اصلا السادسة
فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي تزوجها بعد وفاة ابنته زينب وخيرها حين
نزلت اية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها عليه الصلاة والسلام فكانت بعد ذلك
تلقط البعر وتقول هي الشقية اختارت الدنيا وهكذا رواه ابن اسحق لكن قال
ابو عمر هذا عندنا غير صحيح لان ابن شهاب يروي عن عروة عن عايشة انه
صلى الله عليه وسلم حين خير ازواجه بدا بها فاختارت الله ورسوله وتابع ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال قتادة وعكرمة كان عنده صلى الله عليه
وسلم عند التخيير تسع نسوة وهن اللاتي توفي عنهن وقيل انه عليه الصلاة
والسلام تزوجها سنة ثمان وقيل ان اباها قال انها لم تصدع قط فقال صلى الله عليه
وسلم لا حاجة لي بها السابعة غالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف تزوجها
عليه الصلاة والسلام كانت عنده ما شاء الله ثم طلقها وقل من ذكرها قال ابو سعد
طلقها حين ادخلت عليه صلى الله عليه وسلم الثامنة قتيلة بضم القاف وفتح
المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية بنت قيس اخت الاشعث بن قيس
الكندي زوجها اياها اخوها في سنة عشر ثم انصرف الى حضرموت فحملها فقبض
صلى الله عليه وسلم سنة احدى عشرة قبل قدومها عليه وقيل تزوجها عليه
الصلاة والسلام قبل وفاته بشهرين وقال قايلون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوصى بان تخير فان شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من امهات المومنين وان
شاءت الفراق فلتنكح من شاءت فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن ابي جهل بحضرموت
فبلغ ذلك ابا بكر فقال هممت ان احرق عليهما بيتهما فقال له عمر رضي الله عنهما ما هي
من امهات المومنين ما دخل بها صلى الله عليه وسلم ولا ضرب عليها الحجاب وقال
بعضهم لم يوص فيها عليه الصلاة والسلام بشي ولكنها ارتدت حين ارتد اخوها
وبذلك احتج عمر على ابي بكر رضي الله عنهما انها ليست من امهات المومنين
بارتدادها التاسعة سنا بنت اسما ابن الصلت السلمية تزوجها عليه الصلاة
والسلام ومات قبل ان يدخل بها وعند ابن اسحق طلقها قبل ان يدخل بها العاشرة
شراف بفتح الشين المعجمة وتخفيف الراو بالفا بنت خليفة الكلبية اخت دحية
الكلبي تزوجها صلى الله عليه وسلم فماتت قبل دخوله عليه الصلاة والسلام بها
الحادية عشر ليلى بنت الخطيم بفتح الخا المعجمة وكسر الطا المهملة اخت قيس
تزوجها صلى الله عليه وسلم وكانت غيورا فاستقالته فاقالها فاكلها الذيب وقيل

هي

هي التي وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم الثانية عشر امراة من غفار تزوجها
صلى الله عليه وسلم فامرها فنزعت ثيابها فراى بكشحها بياضا فقال الحقي باهلك
ولم ياخذ مما اتاها شيا خرجه احمد فهولاء جملة من ذكر من ازواجه صلى الله
عليه وسلم وفارقهن في حياته بعضهن قبل الدخول وبعضهن بعده
كما ذكرنا فيكون جملة من عقد عليهن ثلاثة وعشرين امراة دخل ببعضهن
دون بعض فمات عنده منهن بعد الدخول خديجة وزينب بنت
خزيمة ومات منهن قبل الدخول اثنتان اخت دحية وبنت الهذيل
باتفاق واختلف في مليكة وسبا هل ماتتا او طلقهما مع الاتفاق على انه صلى الله
عليه وسلم لم يدخل بها وفارق بعد الدخول باتفاق بنت الضحاك
وبنت ظبيان وقبله باتفاق عمره واسما الغفارية واختلف في ام شريك
هل دخل بها مع الاتفاق على الفرقة والمستقيلة التي جهل حالها والفارقات
باتفاق سبع ماتتان على خلف والمبانات في حياته باتفاق اربع ومات
صلى الله عليه وسلم عن عشرة واحدة لم يدخل بها وروي انه صلى الله عليه وسلم
خطب عدة نسوة الاولى منهن الاولى من بني مرة بن عوف بن سعد خطبها
صلى الله عليه وسلم فقال ابوها ان بها سوءا ولم يكن بها شي فرجع اليها ابوها وقد
برصت قال وهي ام شبيب بن البرصا الشاعر الثانية امراة قرشية يقال
لها سودة خطبها صلى الله عليه وسلم وكانت مصبية فقالت اخاف ان يضغوا
صبيتي اي يصيحوا ويبكوا عند راسك فدعا لها وتركها الثالثة صفية بنت
بشامة بفتح الموحدة وتخفيف الشين المعجمة كان اصابها في سبي فخيرها بين
نفسه الكريمة وبين زوجها فاختارت زوجها الرابعة ولم يذكر اسمها قيل انه
صلى الله عليه وسلم خطبها فقالت استامر ابي فلقيت اباها فاذن لها فعادت
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد التحفنا لحافا غيرك الخامسة ام هاني
فاختة بنت ابي طالب اخت علي خطبها صلى الله عليه وسلم فقالت اني امراة
مصبية واعتذرت اليه فعذرها السادسة ضباعة بضم الضاد المعجمة
وتخفيف الموحدة وبالعين المهملة بنت عامر بن قرط بضم القاف وسكون
الراو وبالطا المهملة خطبها صلى الله عليه وسلم الى ابنها سلمة بن هاشم فقال
حتى استامرها فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم انها قد كبرت فلما عاد ابنها وقد
اذنت له سكت عنه صلى الله عليه وسلم فلم ينكحها السابعة امامة بنت
حمزة بن عبد المطلب عرضت عليه صلى الله عليه وسلم فقال هي ابنة
اخي من الرضاعة الثامنة عزة بنت ابي سفيان عرضتها اختها ام حبيبة
عليه صلى الله عليه وسلم فقال انها لا تحل لي لمكان ام حبيبة تحته النبي صلى

الى ابيها فقال ان بها برصا … فرجع
فوجد البرص بها وقال ان …
ابنة الحارث بن عوف …
كما قاله الطبري وبعضهم ابن الاثير …
الاصول …
صلى الله عليه وسلم

Copyright … University

الله عليه وسلم وقيل تزوج عليه الصلاة والسلام الجندعية بضم الجيم وسكون النون وضم الدال وبالعين المهملة امرأة من جندع وهي ابنة جندب بن ضمرة ولم يدخل بها وانكره بعض الرواة فهولا النسا اللاتي ذكر انه صلى الله عليه وسلم تزوجهن او خطبهن او دخل بهن او لم يدخل بهن او عرض عليه ولما سراريه فقيل انهن اربعة مارية القبطية بنت شمعون بفتح الشين المعجمة اهداها له المقوقس القبطي صاحب مصر والاسكندرية واهدي معها اختها سيرين بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الراء وبالنون اخرها وخصيا يقال له مابور والف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا لينا من قباطي مصر وبغلة شهبا وهي دلدل وحمار اشهب وهو عفير ويقال يعفور وعسلا من عسل بنها بالبركة قال ابن الاثير وبنها بكسر البا وسكون النون قرية من قرى مصر بارك النبي صلى الله عليه وسلم في عسلها والناس اليوم يفتحون البا انتهى ووهب صلى الله عليه وسلم سيرين لحسان بن ثابت وهي ام عبد الرحمن بن حسان ومارية هي ام ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وماتت مارية في خلافة عمر سنة ست عشرة ودفنت بالبقيع وريحانة بنت شمعون وهي من بني قريظة وقيل من بني النضير و الاول اظهر وماتت قبل وفاته عليه الصلاة والسلام مرجعه من حجة الوداع سنة عشر ودفنت بالبقيع وكان عليه الصلاة والسلام وطيها بملك اليمين وقيل اعتقها وتزوجها ولم يذكر ابن الاثير غيره واخرى وهبتها له زينب بنت جحش والرابعة اصابها في بعض السبي

الفصل الرابع في اعمامه وعماته واخوته من الرضاعة وجداته

قال صاحب ذخاير العقبى في مناقب ذوي القربى كان له صلى الله عليه وسلم اثنى عشر عما بنو عبد المطلب ابوه عبد الله ثالث عشرهم الحارث وابو طالب واسمه عبد مناف والزبير ويكنى ابا الحرث وحمزة وابو لهب واسمه عبد العزي والغيداق والمقوم وضرار والعباس وقثم وعبد الكعبة وحجل بتقديم الجيم وهو السقا الضخم وقال الدارقطني و بتقديم الحا وهو المعتمد والخلخال ويكنى المغيرة وقيل كانوا احد عشر فاسقط المقوم وهو عبد الكعبة وقيل عشرة فاسقط الغيداق وحجلا وقيل تسعة فاسقط قثم فاما حمزة فامه هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ويكنى ابا عمارة وابا يعلى كنيتان له بابنيه عمارة ويعلى وفي معجم البغوي انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله عز وجل في السما السابعة حمزة اسد الله واسد رسوله وكان اسلامه في السنة الثانية من المبعث وقيل في السادسة بعد دخوله عليه الصلاة والسلام دار الارقم وقيل قبل اسلام عمر بثلاثة ايام وشهد بدرا وقتل بها عتبة ابن ربيعة مبارزة

قال

قال ابن اسحق واول راية عقدها عليه الصلاة والسلام لاحد من المسلمين كانت لحمزة واول سرية بعثها وقال عليه الصلاة والسلام خير اعمامي حمزة رواه الحافظ الدمشقي وروى ابن السري مرفوعا سيد الشهدا يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب وذكر السلفي عن بريدة في قوله تعالي يا ايتها النفس المطمينة قال حمزة بن عبد المطلب وعن ابن عباس فمنهم من قضى نحبه قال حمزة واستشهد في وقعة احد قتله وحشي وعن سعيد بن المسيب كان يقول اعجب لقاتل حمزة كيف ينجو اخبانه مات غريقا في الخمر رواه الدارقطني على شرط الشيخين وقال ابن هشام بلغني ان وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر يقول لقد علمت ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة ولما راي النبي صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلا بكا فلما راي ما مثل به شهق وعن ابي هريرة وقف عليه الصلاة والسلام على حمزة وقد قتل ومثل به فلم ير منظرا كان اوجع لقلبه منه رواه ابو عمر والملخص وصاحب الصفوة وعند ابن هشام انه عليه الصلاة والسلام قال لن اصاب بمثلك ابدا ما وقفت موقفا قط اغيظ لي من هذا وعند ابن شاذان من حديث ابن مسعود ما راينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط اشد من بكايه على حمزة بن عبد المطلب وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشغ من البكا يقول يا حمزة يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم واسد الله واسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والنشغ الشهيق حتى يبلغ منه الغشي وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى على جنازة كبر عليها اربعا وكبر على حمزة سبعين تكبيرة رواه البغوي في معجمه وقد روى انس بن مالك ان شهدا احد لم يغسلوا ودفنوا بدمايهم ولم يصل عليهم خرجه احمد وابو داود فيحمل امر حمزة على التخصيص ومن صلى عليه غيره على انه جرح حال الحرب ولم يمت حتى انقضت الحرب وكان سن حمزة يوم قتل تسعا وخمسين سنة ودفن هو وابن اخته عبد الله بن جحش في قبر واحد واما العباس وكنيته ابو الفضل فامه نتلة ويقال نتيلة بنت خباب بن كليب بن النمر بن قاسط ويقال انها اول عربية كست البيت الحرام الديباج واصناف الكسوة لان العباس ضل وهو صبي فنذرت ان وجدته ان تكسو البيت وكان العباس جميلا وسيما ابيض له ضفيرتان معتدلا وقيل كان طوالا وولد قبل الفيل بثلاث سنين وكان اسن من النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين او ثلاثة وكان رييسا في قريش واليه عمارة المسجد الحرام وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة يحقق له البيعة على الانصار وكان عليه الصلاة والسلام يثق

Copy … ing … ersity

به في امره كله وما اشار وانه في اسرى بدر فسهر عليه الصلاة والسلام تلك الليلة
فقيل ما يسهرك يا رسول الله قال لانين العباس فقام رجل فارخى من وثاقه فجعل
ذلك بالاسرى كلهم وذكر ابو عمر وصاحب الصفوة وقيل كان يكتم اسلامه وخرج مع
المشركين يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج
مستكرها فاسره كعب بن عمرو ففادى نفسه ورجع الى مكة وقيل انه اسلم يوم
بدر ثم اقبل الى المدينة مهاجرا فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابوا
وكان معه في فتح مكة وبه ختمت الهجرة وقال ابو عمر اسلم قبل فتح خيبر وكان
يكتم اسلامه ويسره ما يفتح الله على المسلمين ولظهر اسلامه يوم فتح مكة وشهد
حنينا والطايف وتبوك ويقال ان اسلامه كان قبل بدر وكان يكتب باخبار
المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المسلمون بمكة يثقون به
وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكتب اليه صلى الله عليه
وسلم ان مقامك بمكة خير لك وقال ابو مصعب اسماعيل بن قيس بن سعد
ابن زيد بن ثابت ثنا ابو حازم سلمة بن دينار عن سهل بن سعد رضي الله
عنه قال استاذن العباس رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فكتب
اليه يا عم اقم مكانك الذي انت فيه فان الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم بي
النبوة ورواه ابو يعلى والهيثم بن كليب في مسنديهما والطبراني في الكبير
وابو مصعب متروك لكن يعتضد بقول عروة بن الزبير كان العباس قد
اسلم واقام على سقايته ولم يهاجر رواه الحاكم في مستدركه وذكر السهمي في الفضايل
ان ابا رافع لما بشر النبي صلى الله عليه وسلم باسلام العباس اعتقه وكان عليه الصلاة
والسلام يكرم العباس بعد اسلامه ويعظمه ووصفه عليه الصلاة والسلام فقال
اجود الناس كفا واحناهم عليهم رواه الفضايلي وفي معجم البغوي العباس عمي وصنو
ابي من اذاه فقد اذاني وفي الترمذي نحوه وقال حسن صحيح وذكر السهمي
في الفضايل ان ~~ابا رافع لما بشر النبي صلى الله عليه وسلم باسلام العباس اعتقه~~
العباس الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما راه قام اليه وقبل ما بين عينيه ثم
اقعده عن يمينه ثم قال هذا عمي فمن شاء فليباه بعمه فقال العباس نعم القول
يا رسول الله قال ولم لا اقول هذا انت عمي وصنو ابي وبقية ابائي ووارثي
وخير من اخلف من اهلي وقال له عليه الصلاة والسلام يا عم لا ترم منزلك
انت وبنوك غدا حتى اتيكم فان لي فيكم حاجة فلما اتاهم اسندهم عليهم ملاءته
ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهولاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري
اياهم بملاءتي هذه فامنت اسكفة الباب وحوايط البيت فقال امين امين امين
رواه ابن عيلان والسهمي ورواه ابن السري وفيه فما بقي في البيت مدرة ولا

باب

باب الا امن ورواه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ فالبسنا كساء ثم قال
اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في
ولده وقال حسن غريب وعند ابن عبد الباقي من حديث ابي هريرة اللهم اغفر
للعباس ولولده قالها ثلاثا ثم قال يا عم اما علمت ان المهدي من ولدك وروى
الحاكم في مستدركه والبغوي في معجمه عن سعيد بن المسيب انه قال العباس
خير هذه الامة ووارث النبي صلى الله عليه وسلم وعمه قال الذهبي سنده
صحيح قال ويتكلف لتاويله كان قوله خير بالعجمة والتحتية وفي الافراد للدار قطني 125
عن جابر الانصاري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من لم يحب العباس بن عبد المطلب واهل بيته فقد برئ من الله ورسوله
وفي سنده عمر بن راشد الحارثي وهو ضعيف جدا لكن يشهد له ما رواه محمد
ابن الحسين الاشناني ثم ابو بكر بن عبد الباقي في اماليه ومن طريقه المنذري
من طريق منصور عن مسلم بن صبيح بن الضحى عن مسروق عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحب عمي هذا واخذ
بيد العباس فرفعها الله عز وجل ولقرابته مني فليس بمومن وللترمذي
وقال حسن عن عبد المطلب بن ربيعة ابن الحرث بن عبد المطلب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل
الايمان حتى يحبكم لله ورسوله ثم قال يا ايها الناس من اذى عمي فقد اذاني فانما عم
الرجل صنو ابيه وروى البغوي انه عليه الصلاة والسلام قال يا عباس ان
الله عز وجل غير معذبك ولا احد من ولدك وفي المعجم الكبير للطبراني عن سهل
ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للعباس ولابناء العباس
ولابناء ابناء العباس وفي سنده عبد الرحمن بن خالد البرادي المصري وهو متروك
وفي تاريخ دمشق فاهو شريد الوها عن ابي هريرة مرفوعا اللهم اغفر للعباس
ولولد العباس ولمحبي ولد العباس وشيعتهم وللسهمي عن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا عباس ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك وفي
المناقب للامام احمد بسند لا باس به ان العباس قال كنت عند النبي صلى الله عليه
وسلم ذات ليلة فقال انظر هل ترى في السماء نجما قلت نعم قال ما ترى قلت الثريا قال اما
انه يلي هذه الامة بعددها من صلبك وروى السهمي من حديث ابن عباس انه عليه
الصلاة والسلام قال له الا ابشرك يا عم قال بلى بابي انت وامي فقال عليه الصلاة
والسلام ان من ذريتك الاصفيا ومن عترتك الخلفا ومن حديث ابي هريرة
فيكم النبوة والمملكة ومن حديث ابن عباس عن ابيه هذا عمي ابو الخلفا
اجود قريش كفا واجملها وان من ولده السفاح والمنصور والمهدي وذكر

وروى السهمي في الفضايل انه عليه الصلاة والسلام قال له لك يا عم من الله حتى ترضى

ابن حسان والملاين حديث ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام قال يا ابا بكر هذا العباس قد اقبل
وعليه ثياب بيض وسيلبس ولده من بعده السواد وعن جابر بن عبد الله سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ليكونن في ولده يعني العباس ملوك يكونون امرا امتي
يعز الله بهم الدين قال الحافظ ابو الحسن الدارقطني هذا حديث غريب من حديث
عمرو بن دينار عن جابر خرجه الاصفهاني وتوفي العباس رضي الله عنه في خلافة
عثمان رضي الله عنه قبل مقتله بسنتين بالمدينة يوم الجمعة لاثني عشرة وقيل
لاربع عشرة خلت من رجب وقيل من رمضان سنة اثنين وقيل ثلاث وثلاثين هـ
وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل سبع وثمانين سنة ادرك منها في الاسلام اثنين
وثلاثين سنة ودفن بالبقيع ودخل قبره ابنه عبد الله وكان عظيما جليلا وكان
يسمي ترجمان القران وهو ابو الخلفا ويروي ان امه ام الفضل لما وضعته اتت به
النبي صلى الله عليه وسلم فاذن في اذنه اليمين واقام في اليسري وقال اذهبي بابي
الخلفا رواه ابن حبان وغيره وقد ملا عقبه الارض حتى قيل انهم بلغوا في زمن
المامون ستماية الف واستبعد فالله اعلم وكان العباس اصغر اعمامه عليه الصلاة
والسلام ولم يسلم منهم الا هو وحمزة وابنهم الحارث واما عماته صلى الله عليه وسلم
بنات عبد المطلب بن هاشم فجملتهن ست عاتكة واميمة والبيضا وهي ام حكيم وبرة
وصفية واروى ولم يسلم منهن الا صفية ام الزبير بلا خلاف واختلف في اروى وعاتكة
فذهب ابو جعفر العقيلي الى اسلامها وعدهما في الصحابة وذكر الدارقطني عاتكة في
جملة الاخوة والاخوات ولم يذكر اروى واما ابن اسحق فذكر انه لم يسلم منهن من غير
صفية فاما صفية فاسلمت باتفاق كما ذكرته وشهدت الخندق وقتلت رجلا من
اليهود وضرب لها عليه الصلاة والسلام بسهم وامها هالة بنت وهيب بن عبد مناف
ابن زهرة وشقيقة حمزة والمقوم وحجل وكانت في الجاهلية تحت الحارث بن حرب
ابن امية بن عبد شمس ثم هلك فخلف عليها العوام ابن خويلد اخو خديجة ام المومنين
فولدت له الزبير والسايب وعبد الكعبة وتوفيت بالمدينة في خلافة عمر رضي
الله عنه سنة عشرين ولها ثلاث وسبعون سنة ودفنت بالبقيع واما عاتكة
وهي صاحبة الرويا في قصة بدر واما هالة المختلف في اسلامها فامها فاطمة بنت
عمرو بن عايذ فتكون شقيقة عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم وابي طالب
والزبير وعبد الكعبة واما اروى المختلف في اسلامها فامها فاطمة بنت عمرو ايضا
ابن عايذ صفيه بنت جندب فهي شقيقة الحرث بن عبد المطلب وكانت تحت
عمير بن وهب بن عبد قصي فولدت له طليبا ثم خلف عليها كلدة بن عبد مناف
ابن عبد الدار بن قصي واسلم طليب وكان سببا في اسلام امه كما ذكره الواقدي
واما ام حكيم البيضا فهي شقيقة عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم واما برة فامها

فاطمة

فاطمة ايضا وكانت تحت ابي رهم بن عبد العزى العامري ثم خلف عليها عبد الاسد
ابن هلال المخزومي فولدت له ابا سلمة بن عبد الاسد الذي كانت عنده ام سلمة
قبل النبي صلى الله عليه وسلم واما اميمة فامها وكانت تحت جحش ابن رياب فولدت
له عبد الله وعبيد الله وابا احمد وزينب وام حبيبة وحمنة اولاد جحش بن رياب
واما جداته عليه الصلاة والسلام من ابيه فام عبد الله ابيه هي فاطمة بنت عمرو بن
عايذ بن عمران بن مخزوم وام عبد المطلب سلمى ابنة عمرو من بني النجار وكانت قبل
هاشم تحت احيحة بن الجلاح فولدت له عمرو بن احيحة وهو اخو عبد المطلب لامه
وام هاشم هي عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان من بني سليم وام قصي
فاطمة بنت سعد من ازد الشراة وام كلاب نعم بنت سرير بن ثعلبة بن مالك
ابن كنانة وام مرة وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر وام لوي وحشية بنت
مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة وام غالب سلمى بنت سعد بن هذيل وام
فهر جندلة ابنة الحرث الجرهمي وام مالك هند بنت عدوان بن عمرو بن قيس
ابن غيلان وام النضر برة بنت مرة اخت تميم بن مرة ذكره ابن قتيبة في كتاب
المعارف كما حكاه الطبري عنه وقال فالجدة الاولى مخزومية والثانية
نجارية والثالثة سلمية والرابعة سلمية ايضا وقيل خزاعية والخامسة ازدية
والسادسة كنانية والسابعة فهمية والثامنة فهمية ايضا او فهرية الخط
في الاصل بوهم والتاسعة كنانية والعاشرة هذلية والحادية عشر جرهمية
والثانية عشر قيسية والثالثة عشر مرية واما جداته عليه الصلاة والسلام
من امه فام امنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب برة بنت عبد
العزى بن قصي بن كلاب بن مرة وام ابيها وهب عاتكة بنت الاوقص بن
مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان من بني سليم ذكره ابن قتيبة وقال ابو عمرو
ويعرف ابوها بابي كبشة الذي كان ينسب اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيقال ابن ابي كبشة ونسب اليه لانه كان يعبد الشعرى ولم يكن احد
من العرب يعبدها غيره فلما جاء عليه الصلاة والسلام بخلاف ما كانت عليه
العرب قالوا هذا ابن ابي كبشة ولم يقصد واذمه عليه الصلاة والسلام
بذلك وقيل بل نسب الى وهب ابي امه كان يدعى بها وقيل كان يدعا بها ابوه
من الرضاع الحرث بن عبد العزى زوج حليمة فنسب اليه واما برة هي ام
حبيب قاله ابن قتيبة وقال ابو سعد ام سفيان بنت اسد بن عبد العزى
قصي بن كلاب بن مرة وام ام حبيب هي برة بنت عوف بن عبيد بن عدي
ابن كعب بن لوي بن غالب وام برة بنت عوف قلابة بنت الحرث بن صعصعة
ابن عايذ بن لحيان بن هذيل وام قلابة هند بنت يربوع من ثقيف قاله

Copyright © King Saud University

ابن قتيبة وقال ابن سعد انها بنت مالك بن عثمان من بني لحيان فالجدة الاولى
والثانية والثالثة من امهات امه عليه الصلاة والسلام قرشيات وام امه سلمية
والرابعة لحيانية هذلية والخامسة ثقفية ففي كل قبيلة من قبائل العرب
له عليه الصلاة والسلام علقة نسب واما اخوته عليه الصلاة والسلام من
الرضاعة فحمزة وابو سلمة بن عبد الاسد ارضعتهما معه صلى الله عليه وسلم
ثويبة جارية ابي لهب بلبن ابنها مسروح بن ثويبة وابو سفيان بن الحرث
ابن عبد المطلب ارضعته ورسول الله صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية
وعبد الله وانيسة وحذافة وتعرف بالشيما الثلاثة اولاد حليمة وقد روي
ان خيلا له عليه الصلاة والسلام اغارت على هوازن فاخذوها في جملة السبي
فقالت انا اخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له
يا محمد انا اختك فرحب بها وبسط لها رداه واجلسها عليه ودمعت عيناه
وقال لها عليه الصلاة والسلام ان احببتي فاقيمي عندي مكرمة محببة وان احببتي
ان ترجعي الى قومك وصلتك قالت بل ارجع الى قومي فاسلمت واعطاها صلى
الله عليه وسلم ثلاثة اعبد وجارية ونعما وشا ذكره ابن عمر وبن قتيبة
واما امه من الرضاعة فحليمة بنت ابي ذويب من هوازن وهي التي ارضعته
حتى اكملت رضاعه وجاته عليه الصلاة والسلام يوم حنين فقام اليها وبسط
رداه اليها فجلست عليه وكذا ثويبة جارية ابي لهب اختلف في اسلامها
كما اختلف في اسلام حليمة وزوجها فالله اعلم وكان ثويبة تدخل عليه صلى الله
عليه وسلم بعد ان تزوج خديجة فكانت تكرمها واعتقها ابو لهب وكان عليه
الصلاة والسلام يبعث اليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح
خيبر ذكره ابو عمر وكانت حاضنته عليه الصلاة والسلام ام ايمن بركة بنت
ثعلبة بن حصن بن مالك غلبت عليها كنيتها وكنيت باسم ابنها ايمن الحبشي
وهي ام اسامة بن زيد تزوجها زيد بعد عبيد فولدت له اسامة ويقال انها
مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجرت الهجرتين الى ارض الحبشة
والى المدينة وكانت لعبد الله بن عبد المطلب فورثها النبي صلى الله عليه
وسلم وقيل كانت لامه عليه الصلاة والسلام وكان عليه الصلاة والسلام يقول
ام ايمن امي بعد امي وكانت الشيما بنت حليمة السعدية تحضنه ايضا مع
امها حليمة السعدية الفصل الخامس في خدمه وحرسه ومواليه ومن كان على
نفقاته وخاتمه ونعله وسواكه ومن يأذن عليه ومن كان يضرب الاعناق بين
يديه اما خدامه فمنهم انس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الانصاري الخزرجي
يكنى ابا حمزة خدم النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين او عشر سنين ودعا له

صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكثر ماله وولده وادخله الجنة وقال ابو هريرة
ما رأيت احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم منه وتوفي في سنة
ثلاث وتسعين وقيل سنة اثنين وقيل سنة احدى وتسعين وقد جاوز المائة
ومنهم ربيعة بن كعب الاسلمي صاحب وضوءه وتوفي في سنة ثلاث وتسعين
ومنهم ايمن ابن ام ايمن صاحب مطهرته عليه الصلاة والسلام استشهد يوم
حنين ومنهم عبد الله بن مسعود بن غافل بالمعجمة والفا ابن حبيب الهذلي
احد السابقين الاولين شهد بدرا والمشاهد وكان صاحب الوساد والسواك
والنعلين والطهور كان يلي ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم وكان اذا قام النبي
صلى الله عليه وسلم البسه نعليه واذا جلس جعلها في ذراعه حتى يقوم
وتوفي بالمدينة وقيل بالكوفة سنة اثنين وثلاثين وقيل سنة ثلاث ومنهم
عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني وكان صاحب بغلته ويقود به في الاسفار
روينا عنه انه قال بينا انا اقود برسول الله صلى الله عليه وسلم في نقب من
تلك النقاب اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب يا عقبة قال فاجللت
رسول الله ان اركب مركبه ثم اشفقت ان يكون معصية قال فركبت هنيهة
ثم نزلت ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم وقدت به فقال لي يا عقبة الا اعلمك
من خير سورتين قراهما الناس فقلت بلى بابي انت وامي يا رسول الله
فقال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس الحديث رواه احمد وابو
داود والنسائي ولاحمد قال يا عقبة الا اعلمك خير من ثلاث سور انزلت في
التوراة والانجيل والزبور والقران العظيم قال قلت بلى قال فاقراني قل هو الله
احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وكان عقبة عالما بكتاب
الله وبالفرايض فصيحا شاعرا مفوها ولي مصر لمعاوية سنة اربع واربعين
ثم صرفه بمسلمة بن مخلد وتوفي بها سنة ثلاث وخمسين ومنهم اسلع بن شريك
صاحب راحلته وفي الطبراني عن الربيع بن بدر حدثني ابي عن ابيه عن رجل
يقال له الاسلع قال كنت اخدم النبي صلى الله عليه وسلم وارحل له فقال لي ذات
يوم يا اسلع قم فارحل فقلت يا رسول الله اصابتني جنابة فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم واتاه جبريل باية الصعيد فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا اسلع قم فتيمم قال فتيممت ثم رحلت له ثم سار حتى مر بما فقال لي يا اسلع
مس او امس هذا جلدك قال فاراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين الى
المرفقين انتهى ومنهم سعد مولى ابي بكر وقيل سعيد ولم يثبت وروى ابن
ماجة ومنهم ابو ذر جندب بن جنادة الغفاري اسلم قديما وتوفي بالربذة في
سنة احدى وثلاثين وصلى عليه عبد الله بن مسعود ثم مات بعده في ذلك

صلى الله عليه وسلم

Copyright King Saud University

اليوم قال ابن الاثير في معرفة الصحابة وفي التقريب للحافظ ابن حجر سنة اثنين
وثلاثين ومنهم مهاجر مولى ام سلمة ومنهم حنين والد عبد الله مولى بن عباس
كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ثم وهبه لعمه العباس ومنهم نعيم بن ربيعة
الاسلمي ومنهم ابو الحمرا مولاه صلى الله عليه وسلم وخادمه واسمه هلال بن الحارث
وابن ظفر نزل حمص ومنهم ابو السمح خادمه عليه الصلاة والسلام واسمه اياد ومن
النسا بركة ام ايمن الحبشية وهي والدة اسامة بن زيد ماتت في خلافة عثمان رضي
الله عنه وخولة جدة حفص وسلمى ام رافع زوج ابي رافع وميمونه بنت سعد
وام عياش مولاة رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكان يضرب الاعناق بين
يديه علي ابن ابي طالب والزبير بن العوام والمقداد ابن عمرو ومحمد بن مسلمة هم
وعاصم بن ثابت ابي الافلح والضحاك ابن سفيان وقيس بن سعد ابن عبادة بين
يديه عليه الصلاة والسلام بمنزلة صاحب الشرطه وكان بلال على نفقاته
ومعيقيب بن ابي فاطمة الدوسي على خاتمه وابن مسعود على سواكه ونعله
كما تقدم وابو رافع واسمه اسلم وقيل غير ذلك قبطي كان على نقله واذن عليه
في المشربة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه رباح النوبي واما حراسه فمنهم سعد
ابن معاذ بن النعمان بن امرى القيس سيد الاوس اسلم بين العقبتين على يد
مصعب بن عمير وشهد بدرا واحدا والخندق فرمي فيه بسهم عاش شهرا
ثم انتقض جرحه فمات حرس النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وهو في العريش
ومنهم محمد بن سلمة الانصاري حرسه يوم احد ومنهم الزبير بن العوام
حرسه يوم الخندق ومنهم بلال المؤذن مولى ابي بكر رضي الله عنه اسلم قديما
وعذب في الله وسكن الشام اخيرا ولا عقب له وتاتي وفاته ان شا الله تعالى وكان
يحرس النبي صلى الله عليه وسلم بوادي القرى وكان ابو بكر الصديق رضي الله
عنه يوم بدر في العريش شاهرا سيفه على راسه صلى الله عليه وسلم لئلا يصل
اليه احد من المشركين رواه ابن السماك في الموافقة ووقف المغيرة بن شعبة
على راسه بالسيف يوم الحديبية وكان يحرسه عليه الصلاة والسلام ايضا عباد بن
بشر فلما نزلت والله يعصمك من الناس ترك ذلك واما مواليه صلى الله عليه
وسلم فمنهم اسامة وابوه زيد بن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعتقه وزوجه مولاته ام ايمن واسمها بركة فولدت له اسامة وكان زيد
قد اسر في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد زوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستوهبه النبي صلى الله عليه وسلم منها
ذكر قصته محمد بن اسحق في السيرة وان اباه وعمه اتيا مكة فوجداه فطلبا منه
ان يفدياه فخيره النبي صلى الله عليه وسلم بين ان يدفعه لهما او يبقى عنده

فاختار

فاختار ان يبقى عنده عليه الصلاة والسلام وفي رواية الترمذي قال يا رسول الله
لا اختار عليك ابدا واستشهد زيد في غزوة موته ومات ابنه اسامة بالمدينة
او بوادي القرى سنة اربع وخمسين ومنهم ثوبان لازم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة اربع وخمسين وابو كبشة اوس ويقال
سليم من مولدي مكة وشهد بدرا وشقران بضم الشين المعجمة وسكون القاف هو
واسمه صالح الحبشي ويقال فارسي شهد بدرا وهو مملوك ثم عتق قال الحافظ ابن
حجر وقال اظنه مات في خلافة عثمان ورباح وهو بفتح الرا والموحدة الاسود وكان
ياذن عليه احيانا اذا انفرد وهو الذي اذن لعمر بن الخطاب في المشربة كما تقدم
ويسار الراعي وهو الذي قتله العرنيون وزيد وهو ابو يسار وليس زيد بن
حارثة والد اسامة ذكره ابن الاثير ومدعم بكسر الميم وفتح العين المهملة عبد اسود
كان لرفاعة بن زيد الضبيبي بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة الاولى فاهداه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو رافع واسمه اسلم القبطي وكان للعباس فوهبه
النبي صلى الله عليه وسلم فلما بشر النبي صلى الله عليه وسلم باسلام العباس اعتقه
توفي قبل قتل عثمان بيسير ورفاعة بن زيد الجذامي وسفينة واختلف في اسمه
فقيل طهمان وقيل كيسان وقيل مهران وقيل غير ذلك وسماه رسول الله صلى الله
عليه وسلم سفينة لانهم كانوا حملوه شيا كثيرا في السفر ومابور القبطي وهو
من جملة من اهداه المقوقس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وواقد
وابو واقد والحبشة الحادي ياتي ذكره في حداته عليه الصلاة والسلام ان
شا الله تعالى وسلمان الفارسي ابو عبد الله ويقال له سلمان الخير اصله من
اصبهان وقيل من رام هرمز اول مشاهده الخندق ومات سنة اربع
وثلاثين ويقال بلغ ثلثمائة سنة وشمعون ابن زيد ابو ريحانة قال الحافظ
ابن حجر حليف الانصار ويقال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح
دمشق وقدم مصر وسكن بيت المقدس وابو بكرة نفيع بن الحارث بن
كلدة محمد القاضي الجليل بكاري كتب بهذا الحنفي قاضي مصر المدفون بها
ومن النسا ام ايمن الحبشية وسلمى ام رافع زوج ابي رافع ومارية وريحانة وقيصر اخت
مارية وغير ذلك قال ابن الجوزي مواليه ثلاثة واربعون واماوه احد عشرة الفصل
السادس في امرايه ورسله وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام في الشرايع والاحكام ومكاتباته
الى الملوك وغيرهم من الانام اما كتابه فجمع كثير وجم غفير ذكرهم بعض المحدثين في
تاليف له بديع استوعب فيه جملا من اخبارهم ونبذا من سيرهم واثارهم وصدر فيه
بالخلفا الاربعة الكرام خواص حضرته عليه الصلاة والسلام واولهم في التقدم ابو بكر
الصديق وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة وفي الاسلام عبد الله وسمي الصديق

والحبشة الحادي بفتح الهمزة وسكون المهملة الحبشة والجيم كان حبشيا حسن الصوت بالحدا
صح

Copyright King Saud University

لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله صدقه ويلقب عتيقا لجماله
او لانه ليس في نسبه ما يعاب به وقيل لان الله صدقه ويلقب عتيقا عتيق من
النار ولي الخلافة سنتين ونصف وسنه سن المصطفى عليه الصلاة والسلام
وتوفي سنو ما واسلم ابو قحافة يوم الفتح وتوفي بعد ولده في خلافة عمر واسلمت
امه ام الخير سلمى بنت صخر فقديما في دار الارقم وعمر ابن الخطاب بن نفيل بن عبد
العزى استخلفه ابو بكر فاقام عشر سنين وستة اشهر واربع ليالي وقتله
ابو لولوة فيروز غلام المغيرة بن شعبة وعثمان بن عفان بن ابي العاصي
ابن امية وكانت خلافته احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر
يوما ثم قتل يوم الدار شهيدا وروي عن عايشة ما ذكره الطبري في فضايله
من كتابه الرياض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمستنظره الي وان جبريل
ليوحي اليه القران وانه ليقول له اكتب يا عثيم رواه احمد وروي البيهقي عن
جعفر بن محمد عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس
جلس ابو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعثمان بين يديه وكان كاتب
سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن ابي طالب واقام في الخلافة اربع سنين
وتسعة اشهر وثمانية ايام وتوفي شهيدا على يد ربيبة عبد الرحمن ابن ملجم
واختص علي بكتابة الصلح يوم الحديبية وطلحة بن عبيد الله التيمي احد العشرة
استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين والزبير بن
العوام بن خويلد احد العشرة ايضا قتل سنة ست وثلاثين يوم الجمل قتله
عمرو بن جرموز بوادي السباع غيلة وهو نايم وسعيد بن العاص اخو خالد
وابان وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر رضي الله عنه وعبد الله بن الارقم القرشي
الزهري كان يكتب الرسايل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك
وغيرهم وكتب بعده لابي بكر ثم لعمر من بعده رضي الله عنهم واستعمله عمر
على بيت المال مدة ولايته ثم عثمان من بعده الى ان استعفى عثمان من الولاية
وبقي عاطلا وكان امير المومنين عمر يقول في حقه ما رايت اخشى الله منه وتوفي في
خلافة عثمان رضي الله عنهما وابي بن كعب بضم الهمزة وفتح الموحدة من
سباق الانصار كان يكتب الوحي له صلى الله عليه وسلم وهو احد الستة الذين
حفظوا القران على عهده صلى الله عليه وسلم واحد الفقها الذين كانوا
يفتون على عهده صلى الله عليه وسلم وتوفي بالمدينة سنة تسعة عشرة
وقيل سنة عشرين وقيل غير ذلك وهو الذي كتب الكتاب الى ملكي عمان
جيفر وعبد ابني الجلندى كما سياتي ان شا الله تعالى وثابت بن قيس بن شماس
استشهد باليمامة وهو الذي كتب كتاب قطن بن حارثة العليمي كما سياتي

عليه الصلاة والسلام

ان شا

ان شا الله تعالى وحنظلة بن الربيع الاسدي الذي غسلته الملايكة حين استشهد
وابو سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي وابنه
معاوية ولي لعمر الشام واقره عثمان قال ابن اسحق وكان اميرا عشرين سنة وخليفة
امير المومنين بعد الحسن بن علي سبط سيد المرسلين ولي لعمر الشام واقره عثمان
قال ابن اسحق وكان اميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة وروينا في مسند
الامام احمد من حديث العرباض قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب وهو مشهور بكتابة الوحي اسلم
يوم الفتح فتح مكة ومات في العشر الاخير من رجب سنة تسع وخمسين وقيل
سنة ستين وقد قارب الثمانين وقال ابن عبد البر عن اثنين وثمانين سنة والله اعلم
واخوه يزيد بن ابي سفيان بن حرب امره عمر على دمشق حتى مات بها سنة عشرة
بالطاعون ثم وليها بعده اخوه معاوية حتى رقي منها الى الخلافة وكان يزيد رضي
الله عنه من سروات الصحابة وساداتهم اسلم يوم الفتح ايضا واعطاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم من غنايم حنين ماية بعير واربعين اوقية وزنها له
بلال رضي الله عنه وزيد بن ثابت بن الضحاك الانصاري النجاري مشهور بكتب
الوحي مات سنة خمسين او ثمان واربعين وقيل بعد الخمسين وكان احد فقها
الصحابة وهو احد من جمع القران في خلافة ابي بكر ونقله الى المصحف في زمن عثمان
وشرحبيل بن حسنة وهي امه وهو اول كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والعلا بن الحضرمي وخالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي سيف الله اسلم بين
الحديبية والفتح مات سنة احدى واثنين وعشرين وعمرو بن العاص هو
ابن وايل السهمي فاتح مصر في ايام امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما
اسلم عام الحديبية وولي امرة مصر مرتين ومات بها سنة نيف واربعين وقيل
بعد الخمسين والمغيرة بن شعبة الثقفي اسلم قبل الحديبية وولي امره البصرة
ثم الكوفة مات سنة خمسين على الصحيح وعبد الله بن رواحة الخزرجي الانصاري
احد السابقين شهد بدرا واستشهد بموته ومعيقيب بقاف واخره موحدة
ابن ابي فاطمة الدوسي من السابقين الاولين وشهد المشاهد مات في
خلافة عثمان او علي وحذيفة بن اليمان من السابقين صح في مسلم انه صلى الله
عليه وسلم اعلمه بما كان وما يكون الى ان تقوم الساعة وابوه صحابي ايضا استشهد
باحد ومات حذيفة في اول خلافة علي سنة ست وثلاثين وحويطب بن عبد العزى
العامري اسلم يوم الفتح عاش ماية وعشرين سنة ومات سنة اربع وخمسين وله
كتاب اخر سوى هولا ذكروا في الكتاب الذي تقدم ذكره وكان معاوية وزيد بن ثابت
ابي بن كعب وهو اول من كتب له بالمدينة واول من كتب له بمكة من قريش عبد الله

Copyright King Saud University

بلغ

ابن سعد بن ابي سرح ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام يوم الفتح ومن كتب له في الجملة اكثر
من غيره الخلفا الاربعة وابان وخالد ابنا سعيد بن العاصي بن امية وقد كتب
صلى الله عليه وسلم الى اهل الاسلام كتبا في الشرايع والاحكام منها كتابه في الصدقات
الذي كان عند ابي بكر وكتبه ابو بكر لانس لما وجهه الى البحرين ولفظه كما عند
البخاري وابي داود والنسائي بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة
التي فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين والتي امر الله بها رسوله
فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها ومن سئل فوقها فلا يعط في اربع وعشرين
من الابل فما دونها من الغنم في كل خمس شاة فاذا بلغت خمسا وعشرين الى خمس وثلاثين
ففيها بنت مخاض انثى فان لم تكن بنت مخاض فابن لبون ذكر فاذا بلغت ستا
وثلاثين الى خمس واربعين ففيها بنت لبون انثى فاذا بلغت ستا واربعين
الى ستين ففيها حقة طروقة الجمل فاذا بلغت احدى وستين الى خمس وسبعين
ففيها جذعة فاذا بلغت ستا وسبعين الى تسعين ففيها بنتا لبون فاذا بلغت
احدى وتسعين الى عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا الجمل فاذا زادت
على عشرين ومائة ففي كل اربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة ومن لم
يكن معه الا اربع من الابل فليس فيها صدقة الا ان يشاء ربها فاذا بلغت
خمسا من الابل ففيها شاة ومن بلغت عنده من الابل صدقة الجذعة وليست
عنده جذعة وعنده حقة فانها تقبل منه الحقة ويجعل معها شاتين ان
استيسرتا له او عشرين درهما ومن بلغت عنده صدقة الحقة وليست
عنده الحقة وعنده الجذعة فانها تقبل منه الجذعة ويعطيه المصدق
عشرين درهما او شاتين ومن بلغت عنده صدقة الحقة وليست عنده الا ابنة
لبون فانها تقبل منه بنت لبون ويعطي شاتين او عشرين درهما ومن بلغت صدقته
بنت لبون وعنده الحقة فانها تقبل منه الحقة ويعطيه المصدق عشرين درهما
او شاتين ومن بلغت عنده صدقة بنت لبون وليس عنده وعنده بنت مخاض فانها
تقبل منه بنت المخاض ويعطي معها عشرين درهما او شاتين ومن بلغت صدقته
بنت مخاض وليست عنده وعنده بنت لبون فانها تقبل منه لبون ويعطيه
المصدق عشرين درهما او شاتين فان لم يكن عنده بنت مخاض على وجهها وعنده
بنت لبون فانه تقبل منه وليس معه شيء وفي صدقة الغنم في سائمتها اذا
بلغت اربعين الى العشرين ومائة شاة شاة فان زادت على عشرين ومائة
الى مائتين ففيها شاتان فان زادت على مائتين الى ثلثمائة ففيها ثلاث شياه
فاذا زادت على الثلثمائة ففي كل مائة شاة فاذا كانت سائمة الرجل ناقصة من
اربعين شاة شاة واحدة فليس فيها صدقة الا ان يشاء ربها ولا يجمع بين

متفرق

متفرق ولا تفرق بين مجتمع خشية الصدقة وما كان من خليطين فانهما يتراجعان
بينهما بالسوية ولا تخرج في الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس الا ان يشاء المصدق
وفي الرقة ربع العشر فان لم يكن الا تسعين ومائة فليس فيها صدقة الا ان
يشاء ربها قوله وفي الرقة الدراهم المضروبة الهاء فيه عوض من الواو المحذوفة
في الورق قاله ابن الاثير في الجامع وقال في فتح الباري وهو بكسر الراء وتخفيف
القاف الفضة الخالصة سواء كانت مضروبة او غير مضروبة ومنها كتابه الذي
كان عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نصب الزكاة وغيرها رواه ابو داود والترمذي
عن سالم عن ابيه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كتب صلى الله عليه وسلم
كتاب الصدقة ولم يخرجه الى عماله وقرنه بسيفه حتى قبض فعمل به ابو بكر حتى
قبض ثم عمل به عمر عشرة شاتان وفي خمسة عشر ثلاث شياه وفي عشرين اربع
شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلاثين فان زادت واحدة
ففيها بنت لبون الى خمس واربعين فان زادت واحدة ففيها حقة الى ستين
فان زادت واحدة ففيها جذعة الى خمس وسبعين فان زادت واحدة ففيها
ابنتا لبون الى تسعين فاذا زادت واحدة ففيها حقتان الى عشرين
ومائة فاذا كانت الابل اكثر من ذلك ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين ابنة لبون
وفي الغنم في كل اربعين شاة شاة الى عشرين ومائة فاذا زادت واحدة فشاتان
الى مائتين فاذا زادت على المائتين ففيها ثلاث شياه الى ثلثمائة وان كانت الغنم
اكثر من ذلك ففي كل مائة شاة شاة ثم ليس فيها شيء حتى تبلغ المائة ولا يفرق بين
مجتمع ولا يجمع بين متفرق مخافة الصدقة وما كان من الخليطين فانهما يتراجعان
بينهما بالسوية ولا يوخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عيب قال ابن الاثير
في النهاية والخليط الخالط يريد به الشريك الذي يخلط ماله بمال شريكه والتراجع
بينهما هو ان يكون لاحدهما مثلا اربعون بقرة وللآخر ثلاثون بقرة ومالهما مختلط
فياخذ الساعي عن الاربعين مسنة وعن الثلاثين تبيعا فيرجع باذل المسنة
بثلاثة اسباعها على شريكه وباذل التبيع باربعة اسباعه على شريكه لان كل
واحد من السنين واجب على الشيوع كان المال ملك واحد انتهى وقال في فتح
الباري واختلف في المراد بالخليط فعند ابي حنيفة الشريك واعترض عليه
بان الشريك قد لا يعرف عين ماله وقد قال انهما يتراجعان بينهما بالسوية ومما
يدل على ان الخليط لا يستلزم ان يكون شريكا قوله تعالى وان كثيرا من الخلطا
وقد بينه قبل ذلك بقوله ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة
واعتذر بعضهم عن الحنفية بانهم لم يبلغهم هذا الحديث او ارادوا ان الاصل
قوله ليس فيما دون خمس ذود صدقة وحكم الخلطة يغاير هذا الاصل فلم يقولوا

حتى قبض وكان فيه في خمس من الابل شاة وفي

قال الزهري واذا جاء المصدق قسم الشاء اثلاثا ثلثا شرار وثلثا خيار وثلثا اوساطا واخذ من الوسط ورواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن قال ورواه يونس وغير واحد عن الزهري عن سالم ولم يرفعوه

Copyright ... University

به وقال ابو حنيفة لا يجب على احد منهم فيما يملك الا مثل الذي يجب عليه لو لم يكن خلط
وقال سفيان الثوري لا يجب حتى يتم لهذا اربعون شاة ولهذا اربعون شاة
وقال الشافعي واحمد واصحاب الحديث اذا بلغت ماشيتهما النصاب زكيا والخلطة
عندهم ان يجتمعا في المسرح والمبيت والحوض والفحل والشركة اخص منها انتهى
ومنها كتابه عليه الصلاة والسلام الى اهل اليمن وهو كتاب جليل فيه من انواع الفقه
في الزكاة والديات والاحكام وذكر الكبائر والطلاق والعتاق واحكام الصلاة في
الثوب الواحد والاحتباء فيه ومس المصحف وغير ذلك واحتج الفقهاء كلهم بما فيه
من مقادير الديات ورواه النسائي وقال قد روى هذا الحديث يونس عن
الزهري مرسلا وابو حاتم في صحيحه وغيرهما متصلا عن ابي بكر بن محمد بن عمرو
وابن حزم عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهل اليمن
وكان في كتابه ان من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود الا ان يرضى
اولياء المقتول وفيه ان الرجل يقتل بالمرأة وفيه في النفس الدية مائة من
الابل وعلى اهل الذهب الف دينار وفي الانف اذا اوعب جدعه الدية مائة
من الابل وفي اللسان الدية وفي الشفتين الدية وفي البيضتين الدية وفي
الذكر الدية وفي الصلب الدية وفي العينين الدية وفي الرجل الواحدة
نصف الدية وفي المأمومة ثلث الدية وفي الجائفة ثلث الدية وفي المنقلة
خمس عشرة من الابل وفي كل اصبع من اصابع اليد والرجل عشر من الابل وفي
السن خمس من الابل وفي رواية مالك وفي العين خمسون وفي اليد خمسون
وفي الرجل خمسون وفي الموضحة خمس من الابل ومنها كتابه الى بني زهير
واما مكاتبته عليه الصلاة والسلام الى الملوك فروي انه لما رجع عليه الصلاة والسلام
من الحديبية كتب الى الروم فقيل له انهم لا يقرؤون كتابا الا ان يكون مختوما
فاتخذ خاتما من فضة ونقش عليه ثلاثة اسطر محمد سطر رسول سطر الله سطر
وختم به الكتب وانما كانوا لا يقرؤون الكتاب [illegible] خوفا من كشف اسرارهم
وللاشعار بان الاحوال المعروضة عليهم [illegible] يكون مما لا يطلع عليها غيرهم
وعن انس ان ختم السلطان والقضاة سنة متبعة وقال بعضهم هو سنة
لفعله صلى الله عليه وسلم فكتب الى قيصر المدعو هرقل ملك الروم يوم قال
ثم قال بعد تمام كتابة الكتاب من ينطلق بكتابي هذا الى هرقل وله
الجنة فقالوا وان لم يصل يا رسول الله قال وان لم يصل فاخذه دحية بن
خليفة الكلبي وخرج الى مكان فيه هرقل بسم الله الرحمن الرحيم من
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية عند البخاري الى قيصر
صاحب الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية
الاسلام

الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين
ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا
ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا
مسلمون رواه البخاري وكان صلى الله عليه وسلم ارسل هذا الكتاب مع دحية
في اخر سنة ست بعد ان رجع من الحديبية كما قاله الواقدي ووقع في
تاريخ بن خليفة ان ارساله كان سنة خمس والاول اثبت بل هذا غلط لتصريح
ابي سفيان بان ذلك في مدة صلح الحديبية كما في حديث البخاري في المدة التي
كان عليه الصلاة والسلام ماد فيها ابا سفيان وكفار قريش يعني مدة صلح
الحديبية وكانت سنة ست اتفاقا ولم يقل صلى الله عليه وسلم الى هرقل ملك
الروم لانه معزول بحكم الاسلام ولم يخله من الاكرام لمصلحة التاليف وقوله يؤتك
الله اجرك مرتين اي لكونه مؤمنا بنبيه ثم امن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله
فان عليك اثم الاريسيين اي فان عليك مع اثمك اثم الاتباع بسبب انهم اتبعوك
على استمرار الكفر وقيل انه عليه الصلاة والسلام كتب هذه الاية يعني يا اهل
الكتاب قبل نزولها فوافق لفظه لفظها لما نزلت هذه الاية نزلت في قصة
وفد نجران وكانت قصتهم سنة الوفود سنة تسع وقصة ابي سفيان هذه
كانت قبل ذلك سنة ست وقيل نزلت في اليهود وجوز بعضهم نزولها مرتين م
وهو بعيد والله اعلم ولما قرئ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم غضب ابن اخي قيصر
غضبا شديدا وقال ارني الكتاب فقال له وما تصنع به فقال انه بدا بنفسه
وسماك صاحب الروم فقال له عمه والله انك لضعيف الرأي اتريد ان ارمي كتاب
رجل ياتيه الناموس الاكبر او كلاما هذا معناه او قال ان ارمي بكتاب ولم اعلم ما فيه
لئن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لاحق ان يبدا بنفسه ولقد
صدق انا صاحب الروم والله مالكي ومالكه ثم امر بانزال دحية واكرامه الى
ان كان من امره ما ذكره البخاري في حديثه انتهى وكتب صلى الله عليه وسلم
الى كسرى ابرويز بن هرمز بن انوشروان ملك فارس بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وامن بالله
ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
ادعوك بدعاية الله عز وجل فاني رسول الله الى الناس كلهم لينذر من كان
حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان توليت فعليك اثم المجوس فلما
قرئ عليه مزقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مزق
ملكه وفي البخاري من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث بكتابه الى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي فامره ان يدفعه الى

عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى فلما قراه مزقه فحسبت ان ابن
المسيب قال فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمزقوا كل ممزق وقيل بعثه
مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي في البخاري هو الصحيح وفي كتاب
الاموال لابي عبيد من مرسل عمر ابن اسحق قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى كسرى وقيصر فاما كسرى فلما قرا الكتاب مزقه واما قيصر فلما قرا الكتاب طواه
ثم رفعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هولاء فيمزقون واما هولاء فستكون
لهم بقية وروي انه لما جاءه جواب كسرى قال امزق ملكه ولما جا جواب هرقل هرقل
قال ثبت ملكه وذكر شيخ الاسلام ابو الفضل بن حجر العسقلاني رحمه الله في فتح
الباري عن سيف الدين فلج المنصوري احد امرا الدولة القلاوونية انه قدم على
ملك الغرب بهدية من الملك المنصور قلاوون فارسله ملك الغرب الى ملك الافرنج
في شفاعة فانه قبله واكرمه وقال لاتحفنك بتحفة سنية فاخرج لي صندوقا
مصفحا بذهب فاخرج منه مقلمة من ذهب فاخرج منها كتابا قد زالت اكثر حروفه
وقد الصقت عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه
الى الآن واوصانا اباونا عن اباءهم الى قيصر انه مادام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك
فينا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا
انتهى وكتب صلى الله عليه وسلم الى النجاشي بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول
الله الى النجاشي ملك الحبشة اما بعد فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك
المهيمن الملك القدوس السلام واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها
الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق
ادم بيده واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان
تتبعني وتومن بالذي جاءني فاني رسول الله واني ادعوك وجنودك الى الله تعالى
وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي وقد بعثت اليكم ابن عمي جعفرا ومعه نفر
من المسلمين والسلام على من اتبع الهدى وبعث الكتاب مع عمرو بن امية الضمري
فقال النجاشي له عندما قرا الكتاب اشهد بالله انه النبي الامي الذي ينتظره اهل
الكتاب وانه بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وان العيان
ليس باشفى من الخبر عنه ولكن اعواني من الحبش قليل فانظرني حتى اكثر الاعوان
والين القلوب ثم كتب النجاشي جواب الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله
الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله من النجاشي اصحمة سلام عليك يا رسول الله
ورحمة الله وبركاته الله الذي لا اله الا هو هداني للاسلام اما بعد فقد بلغني
كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من امر عيسى فورب السما والارض ان عيسى عليه
الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت نقيرا وانه كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به

الينا

بلاغ

الينا فاشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك
واسلمت على يديه لله رب العالمين وقد بعثت اليك بابني وان شئت اتيتك
بنفسي فعلت يا رسول الله فاني اشهد ان ما تقوله حق والسلام عليك ورحمة
الله وبركاته ثم انه ارسل ابنه في اثر من ارسله من عنده مع جعفر بن ابي طالب ابن
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر
واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا سبعين رجلا عليهم ثياب
الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام فقرا عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم القران سورة يس الى اخرها فبكوا حين سمعوا
القران وامنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه الصلاة والسلام
وفيهم انزل الله تعالى ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى
الى اخر الاية لانهم كانوا من اصحاب الصوامع انتهى والنجاشي فيما بين النواة
والنشر وهذا هو اصحمة الذي هاجر اليه المسلمون في رجب سنة خمس من النبوة وكتب له
النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام مع عمرو بن امية سنة ست من
الهجرة فامن به واسلم على يدي جعفر بن ابي طالب وتوفي في رجب سنة تسع ونعاه النبي
صلى الله عليه وسلم يوم توفي وصلى عليه بالمدينة واما النجاشي الذي ولي بعده وكتب
له النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه الى الاسلام فكان كافرا ولم يعرف اسلامه ولا اسمه
وقد خلط بعضهم ولم يميز بينهما ففي صحيح مسلم عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم
كتب الى كسرى والى قيصر والى النجاشي والى كل جبار يدعوهم الى الله وليس بالنجاشي الذي
صلى عليه وكتب عليه الصلاة والسلام الى المقوقس ملك مصر واسمه جريج بن مينا
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على
من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يوتك الله اجرك مرتين
فان توليت فعليك اثم القبط يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم ان لا نعبد
الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا
اشهدوا بانا مسلمون وبعثه مع حاطب بن ابي بلتعة فتوجه اليه الى مصر فوجده
بالاسكندرية فذهب اليها فرآه في مجلس مشرف على البحر فركب سفينة اليه وناداه
بين يديه فلما جي به اليه ووقف بين يديه ونظر الى الكتاب فضه وقراه وقال
لحاطب ما منعه ان كان نبيا ان يدعو علي فيسلط علي فقال له حاطب وما منع
عيسى ان يدعو على من خالفه ان يسلط عليه فاستعاد منه الكلام مرتين ثم
سكت فقال له حاطب انه لما كان قبلك رجل يزعم انه الرب الاعلى فاخذه الله
نكال الاخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك
فقال ان لنا دينا لن ندعه الا لما هو خير منه فقال حاطب ندعوك الى دين

خلوة

١٣٠٧

والاسكندرية

ولما وصل الكتاب اليه بلغا امره واعظامه

بمجلسه

Copyright King Saud University

وهو الاسلام الكافي به الله فقد ما سواه ان هذا النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس
فكان اشدهم عليه قريش واعداهم له يهود واقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة
موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاونا اياك الى القرآن
الا كدعائك اهل التوراة الى الانجيل وكل نبي ادرك قوما فهم من امته فالحق عليهم ان
يطيعوه فانت من ادرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نامرك به
فقال المقوقس اني نظرت في امر هذا النبي فوجدته لا يامر بمزهود فيه ولا ينهى
عن مرغوب فيه ولم اجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه
آلة النبوة باخراج الخبء والاخبار بالنجوى وسانظر واخذ كتاب النبي صلى الله
عليه وسلم فجعله في حق من عاج ودفعه لجارية له ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية
فكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس
عظيم القبط اما بعد فقد قرات كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه
وقد علمت ان نبيا قد بقي وكنت اظن ان يخرج من الشام وقد اكرمت رسولك و
وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وبكسوة واهديت اليك بغلة
لتركبها والسلام ولم يزد على هذا ولم يسلم وكتب صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى
ذكر الواقدي باسناده عن عكرمة فقال وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس
بعد موته فنسخته فاذا فيه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلا بن الحضرمي
الى المنذر بن ساوى وكتب اليه كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فكتب المنذر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد يا رسول الله فاني قرات كتابك على اهل البحرين
فمنهم من احب الاسلام واعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبارضي يهود ومجوس
فاحدث الي في ذلك امرك فكتب اليه في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر ابن ساوى سلام عليك فاني
احمد اليك الله الذي لا اله الا هو واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
اما بعد فاني اذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من
يطع رسلي ويتبع امرهم فقد اطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد اثنوا
عليك خيرا واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت
عن اهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن اقام على
يهودية او مجوسية فعليه الجزية وكتب عليه الصلاة والسلام الى ملكي عمان
وبعثه مع عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله
الى جيفر وعبد ابني الجلندى السلام على من اتبع الهدى اما بعد ادعوكما بدعاية
الاسلام اسلما تسلما فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول
على الكافرين وانكما ان اقررتما بالاسلام وليتكما وان ابيتما ان تقرا بالاسلام فان ملككما

زايل

زايل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما وكتب ابي بن كعب وختم الكتاب
قال عمرو فخرجت حتى انتهيت الى عمان فلما قدمتها عمدت الى عبد وكان احلم الرجلين
واسهلهما خلقا فقلت اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى اخيك
فقال اخي المقدم علي بالسن والملك وانا اوصلك اليه حتى يقرا كتابك عليه قال
وما تدعوا اليه قلت ادعوك الى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه
وتشهد ان محمدا عبده ورسوله قال يا عمرو وانك كنت ابن سيد قومك فكيف صنع
ابوك فان لنا فيه قدوة قلت مات ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت
انه كان اسلم وصدق به وكنت على مثل رايه حتى هداني الله للاسلام قال فمتى تبعته قد
قلت قريبا فسالني اين كان اسلامك قلت عند النجاشي واخبرته ان النجاشي قد
اسلم قال فكيف صنع قومه بملكه قلت اقروه واتبعوه قال والاساقفة
والرهبان تبعوه قلت نعم قال انظر يا عمرو ما تقول انه ليس من خصلة في رجل
افضح له من كذب قلت وما كذبت وما نستحله في ديننا ثم قال ما خبرني بالذي
يامر به وينهى قلت يامر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويامر
بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر
وعن عبادة الحجر والوثن والصليب قال ما احسن هذا الذي يدعو اليه
ولو كان اخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن اخي اضن بملكه من ان
يدعه ويصير ذنبا قلت ان اسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه
فاخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم قال ان هذا الخلق حسن وما الصدقة
فاخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات في الاموال حتى
انتهيت الى الابل فقال يا عمرو ويوخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد
المياه فقلت نعم قال والله ما ارى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا
قال فمكثت ببابه اياما وهو يصل الى اخيه فيخبره كل خبري ثم انه دعاني يوما
فدخلت عليه فاخذ اعوانه بضبعي فقال دعوه فارسلت فذهبت لاجلس
فابوا ان يدعوني اجلس فنظرت فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه الكتاب
مختوما ففض خاتمه وقراه حتى انتهى الى اخره ثم دفعه الى اخيه فقراه مثل قراته فقال
الا اني رايت اخاه ارق منه الا تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه
اما راغب في الدين واما مقهور بالسيف قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا تبعه
في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله انهم كانوا في ضلال
فما اعلم احدا بقي غيرك في هذه الحرجة وانك ان لم تسلم اليوم وتتبعه توطئك الخيل
فاسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال قال دعني يومي
هذا وارجع الي غدا فرجعت الى اخيه فقال يا عمرو واني ارجو ان يسلم ان لم

١٣٣

Copyright King Saud University

فتضن بملكه حتى اذا كان الغد اتيت اليه فابى ان ياذن لي فانصرفت الى اخيه
فاخبرته اني لم اصل اليه فاوصلني اليه فقال اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا انا
اضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي وهو لا يبلغ خيله هاهنا وان بلغت خيله
الفت قتالا ليس كقتال من لاقى قلت وانا خارج غدا فلما ايقن بمخرجي خلا به
اخوه فاصبح فارسل الي فاجاب الى الاسلام هو واخوه جميعا وصدق النبي صلى
الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي
عونا على من خالفني **وكتب صلى الله عليه وسلم الى صاحب اليمامة** هوذة بن علي
وارسل به مع سليط بن عمرو العامري بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله
الى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف
والحافر فاسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم مختوما انزله وحياه واقترأ عليه الكتاب فرد ردا دون
رد **وكتب للنبي صلى الله عليه وسلم** ما احسن ما تدعو اليه واجمله والعرب
تهاب مكاني فاجعل لي بعض الامر اتبعك واجاز سليطا بجائزة وكساه اثوابا
من نسج هجر فقدم بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره وقرا النبي صلى
الله عليه وسلم كتابه وقال لو سالني سيابة من الارض ما فعلت باد وباد ما في
يده فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الفتح جاء جبريل عليه الصلاة والسلام
بان هوذة مات فقال صلى الله عليه وسلم اما ان اليمامة سيظهر بها كذاب
يتنبا يقتل بعدي فكان كذلك **وكتب صلى الله عليه وسلم الى الحرث بن ابي شمر الغساني**
وكان بدمشق بغوطتها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحرث بن ابي شمر
سلام على من اتبع الهدى وامن بالله وصدق فاني ادعوك الى ان تومن بالله وحده
لا شريك له يبقى لك ملكك وارسله مع شجاع بن وهب وقال صاحب باعث
النفوس روي عن ابي هند الداري قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحن ستة نفر تميم بن اوس الداري واخوه نعيم ويزيد بن قيس وابو عبد الله
ابن عبد الله وهو صاحب الحديث واخوه الطيب بن عبد الله فسماه رسول
الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وفاكه بن النعمان فاسلمنا وسالنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يقطعنا ارضا من ارض الشام فقال عليه الصلاة والسلام
سلوا حيث شئتم قال ابو هند فنهضنا من عنده صلى الله عليه وسلم الى موضع
نتشاور فيه اين نسال فقال تميم ارى ان نساله بيت المقدس وكورتها فقال
ابو هند رايت ملك العجم اليوم اليس هو بيت المقدس قال تميم نعم فقال
ابو هند فكذلك يكون فيه ملك العرب واخاف ان لا يتم لنا هذا قال تميم
نساله بيت جبرون وكورتها فقال ابو هند اكبر واكبر فقال تميم فاين نرى

ان

ان نساله فقال ارى ان نساله القرى التي نصنع فيها حصوننا مع ما فيها من اثار ابراهيم
عليه الصلاة والسلام فقال تميم اصبت ووفقت قال فنهضنا الى رسول الله صلى وافقت خ
الله عليه وسلم فقال يا تميم اتحب ان تخبرني بما كنتم فيه او اخبركم فقال تميم بل تخبرنا
يا رسول الله فنزداد ايمانا فقال عليه الصلاة والسلام اردت يا تميم امرا واراد هذا
غيره ونعم الراي راي ابي هند فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطعة
من ادم وكتب لنا فيها كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ذكر فيه ما وهب
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للداريين اذا اعطاه الله الارض وهب
لهم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم ومن فيهم الى الابد شهد
عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل ابن حسنة وكتب قال
ثم دخل بالكتاب الى منزله فعالج في زاوية الرقعة بشيء لا يعرف وعقد من خارج
الرقعة بسير عقدتين وخرج به الينا مطويا وهو يقول ان اولى الناس بابراهيم
للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المومنين ثم قال انصرفوا
حتى تسمعوا اني هاجرت قال ابو هند فانصرفنا فلما هاجر صلى الله عليه وسلم
الى المدينة قدمنا عليه وسالناه ان يجدد لنا كتابا اخر فكتب لنا كتابا نسخته
١٣٦ بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما انطا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم الداري
واصحابه اني انطيتكم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم برمتهم
وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم من بعدهم ابد
الابد فمن اذاهم فيه اذاه الله شهد ابو بكر بن ابي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان ابن ابي جر
ابن عفان وعلي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وكتب فلما قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر وجند الجنود الى الشام كتب كتابا
نسخته بسم الله الرحمن الرحيم من ابي بكر الصديق الى ابي عبيدة بن الجراح
سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فامنع من كان
يومن بالله واليوم الاخر من الفساد في قرى الداريين وان كان اهلها قد
جلوا عنها واراد الداريون يزرعونها فليزرعوها واذا رجع اليها اهلها
فهي لهم واحق والسلام عليك نقل من كتاب اسعاف الاخصا بفضل
المسجد الاقصى **وكتب صلى الله عليه وسلم الى يحنة بن روبة** صاحب ايلة لما اتاه
بتبوك وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه الجزية بسم الله الرحمن الرحيم
هذه امنة من الله ومحمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوحنة
ابن روبة واهل ايلة واساقفهم وسايرهم في البر والبحر لهم ذمة الله
وذمة النبي ومن كان معه من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر فمن احدث
منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن اخذه من الناس

Copyright ... University

وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر او بحر هذا الكتاب جهيم
ابن الصلت وشرحبيل بن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب
صلى الله عليه وسلم لاهل جربا واذرح لما اتوه بتبوك ايضا واعطوه الجزية بسم
الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لاهل اذرح انهم آمنون
بامان الله وامان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل
عليهم بالنصح والاحسان الى المسلمين ومن لجا اليهم من المسلمين في المخافة وعن
حسين بن عبد الله بن ضميرة عن ابيه عن جده ضميرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مر بام ضميرة وهي تبكي فقال ما يبكيك اجائعة انت ام عارية
انت فقالت يا رسول الله فرق بيني وبين ابني فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يفرق بين الوالدة وولدها ثم ارسل الى الذي عنده ضميرة فدعاه فابتاعه
منه ببكر قال ابن ابي ذويب ثم اقراني كتابا عنده بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب
من محمد رسول الله لابي ضميرة واهل بيته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعتقهم وانهم اهل بيت من العرب ان احبوا اقاموا عند رسول الله وان احبوا
رجعوا الى قومهم فلا يعرض لهم الا بحق ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم
خيرا وكتب ابي بن كعب وكتب عليه الصلاة والسلام كتابا الى اهل وج م
سياتي في وفد ثقيف في المفصل العاشر من هذا الفصل ان شاء الله تعالى وهذا
كتابه عليه الصلاة والسلام الى مسيلمة الكذاب في وفد بني حنيفة وكتب عليه
الصلاة والسلام الى اكيدر لاهل دومة الجندل لما صالحه بسم الله الرحمن الرحيم
هذا الكتاب من محمد رسول الله لاكيدر ولاهل دومة الجندل ان لنا الضاحية
من الضحل والبور والمعامي واغفال الارض والحلقة والسلاح والحافر والحصن
ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور ولا يعدل بسارحكم ولا تعد فاردتكم
ولا يحظر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم
بذلك حق الله والميثاق ولكم به الصدق والوفا شهد الله ومن حضر من
المسلمين والضاحي البارز الظاهر والضحل الماء القليل والبور الارض نتخرج
والمعامي اغفال الارض والحصن دومة الجندل والضامنة النخل الذي معهم
في الحصن والمعين الظاهر من الماء الدائم وباع صلى الله عليه وسلم للعدا عبدا
وكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى العدا بن خالد بن هوذة من محمد
رسول الله اشترى عبدا او امة شك الراوي لا داء ولا غائلة ولا خبثة بيع
المسلم المسلم رواه ابو داود والدارقطني والغائلة الاباق والسرقة والزنا والخبثة
قال ابن ابي عروبة بيع اهل عهد المسلمين وكان اسلام العدا بعد فتح خيبر
وهذا يدل على مشروعية الاشهاد في المعاملات قال تعالى واشهدوا اذا

تبايعتم

تبايعتم والامر هنا ليس للوجوب فقد باع عليه الصلاة والسلام ولم يشهد م
واشترى ورهن درعه عند يهودي ولم يشهد ولو كان الاشهاد امرا واجبا
لوجب من الرهن خوف المنازعة والله اعلم واما امراوه عليه الصلاة والسلام
فمنهم باذان بن ساسان من ولد بهرام امره صلى الله عليه وسلم على اليمن وهو اول
امير في الاسلام على اليمن كذا واول من اسلم من ملوك العجم وامر صلى الله عليه
وسلم على صنعاء خالد بن سعيد وولى زياد بن لبيد الانصاري حضرموت وولى
ابا موسى الاشعري زبيد وعدن وولى معاذ بن جبل الجند وولى ابا سفيان بن حرب
نجران وولى ابنه يزيد تيما وولى عتاب بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية
ابن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة مكة واقام الموسم والحج بالمسلمين سنة
ثمان وولى علي بن ابي طالب القضاء باليمن وولى عمرو بن العاصي عمان واعمالها م
وولى ابا بكر الصديق اقامة الحج سنة تسع وبعث في اثره عليا فقرا على الناس
براءة فقيل لان اولها نزل بعد ان خرج ابو بكر الى الحج وقيل اردفه به عونا له
ومساعدا ولهذا قال له الصديق امير او مامور قال بل مامور واما الرافضة فقالوا
بل عزله ولا يبعد من بهتهم وافترائهم وقد ولى صلى الله عليه وسلم الصدقات
جماعة كثيرة واما رسله صلى الله عليه وسلم فقد روي انه عليه الصلاة
والسلام بعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع وذكر القاضي عياض
في الشفا وعزاه للواقدي انه اصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه
النبي اليهم انتهى وكان اول رسول بعثه صلى الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمري
الى النجاشي ملك الحبشة وكتب اليه كتابين يدعوه في احدهما الى الاسلام وتلا
عليه القرآن فاخذه النجاشي ووضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس
على الارض ثم اسلم وشهد شهادة الحق وقال لو كنت استطيع ان آتيه لاتيته
وفي الكتاب الآخر ان يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان فزوجه اياها
كما تقدم في ذكر الازواج ودعا بحق من عاج فجعل فيه كتابي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين
اظهرهم وصلى عليه صلى الله عليه وسلم وهو بالحبشة كذا قاله الواقدي
وغيره وليس كذلك فان النجاشي الذي صلى عليه رسول الله صلى الله م
عليه وسلم ليس هو الذي كتب اليه كما تقدم وبعث عليه الصلاة والسلام
دحية بن خليفة الكلبي وهو احد الستة الى قيصر ملك الروم واسمه
هرقل يدعوه الى الاسلام فهم بالاسلام فلم توافقه الروم فخافهم على ملكه
فامسكه وبعث عبد الله السهمي الى كسرى وهو الثالث وبعث الرابع
وهو حاطب بن ابي بلتعة الى المقوقس فاكرمه وبعث الى النبي صلى

بلغ

Copyright King Saud University

الله عليه وسلم بجاريتين وكسوة وبغلة ولم يسلم وبعث الخامس وهو شجاع بن وهب
الاسدي الي ملك البلقا الحارث بن ابي شمر الغساني وبعث السادس وهو سليط بن عمرو
العامري الي هوذة والي ثمامة بن اثال الحنفي فاسلم ثمامة وبعث عمرو بن العاصي
في القعدة سنة ثمان الي جيفر وعبد ابني الجلندا بعمان فاسلما وصدقا وبعث
العلا بن الحضرمي الي المنذر بن ساوي العبدي ملك البحرين قبل منصرفه من الجعرانة
وقيل قبل الفتح فاسلم وصدق وبعث المهاجر بن ابي امية المخزومي الي الحارث
ابن كلال الحميري باليمن فقال سانظر في امري وبعث ابا موسي الاشعري
ومعاذ بن جبل الي اليمن عند انصرافه من تبوك سنة عشر في ربيع الاول
داعيين الي الاسلام فاسلم غالب اهلها من غير قتال ثم بعث علي بن ابي طالب
بعد ذلك اليهم ووافاه بمكة في حجة الوداع وبعث جرير بن عبد الله البجلي
الي ذي الكلاع وذي عمرو يدعوهم الي الاسلام فاسلما وتوفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجرير عندهم وبعث عمرو بن امية الضمري الي مسيلمة الكذاب
بكتاب وبعث الي فروة بن عمرو الجذامي وكان عاملا لقيصر يدعوه الي الاسلام
فاسلم وكتب الي النبي صلى الله عليه وسلم باسلامه وبعث اليه بهدية مع
مسعود بن سعد وهي بغلة شهبا يقال لها فضة وفرس يقال لها الظرب
وحمار يقال له يعفور وبعث اليه اثوابا وقباء سندسيا مذهبا فقبل هديته
ووهب لمسعود بن سعد اثني عشر اوقية وبعث المصدقين لاخذ الصدقات
هلال المحرم سنة تسع فبعث عيينة بن حصن الفزاري الي بني تميم وبعث
بريدة ويقال كعب بن مالك الي اسلم وغفار وبعث عباد بن بشر الي
سليم ومزينة وبعث رافع بن مكيث الي جهينة وبعث عمرو بن العاصي
الي فزارة وبعث الضحاك بن سفيان الي بني كلاب وبعث بشر بن سفيان
الكعبي ويقال النحام العدوي الي بني كعب وبعث عبد الله بن اللتبية
الذبياني وبعث رجلا من سعد هذيم الي قومه **الفصل السابع في مؤذنيه
وخطبائه وحداته وشعرائه** اما مؤذنوه فاربعة اثنان بالمدينة
بلال بن رباح وامه حمامة مولى ابي بكر الصديق وهو اول من اذن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يؤذن بعده لاحد من الخلفا الا ان عمر لما قدم الشام حين
فتحها اذن بلال فتذكر الناس النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم مولى عمر فلم ار باكيا
اكثر منهم يومئذ وتوفي سنة سبع عشرة او ثمان عشرة او عشرين بداريا
بباب كيسان وله بضع وستون سنة وقيل دفن بحلب وقيل بدمشق وعمرو
ابن ام مكتوم القرشي الاعمى وهاجر الي المدينة قبل النبي صلى الله عليه
وسلم واذن له عليه الصلاة والسلام بقبا سعد بن عائذ او ابن عبد الرحمن

ابن الحضرمي الا

العدوي

العدوي بسعد القرظ وبالقرظي مولى عمار بقي الي ولاية الحجاج على الحجاز وذلك
سنة اربع وسبعين وبمكة ابو محذورة واسمه اوس الجمحي المكي ابو معير بكسر
الميم وسكون المهملة وفتح التحتانية مات بمكة سنة تسع وخمسين وقيل تاخر بعد ذلك
وكان منهم يرجع الاذان ويثني الاقامة وبلال لا يرجع ويفرد الاقامة فاخذ الشافعي
باقامة بلال واهل مكة اخذوا باذان ابي محذورة واقامة بلال واخذ ابو حنيفة
واهل العراق باذان بلال واقامة ابي محذورة واخذ احمد واهل المدينة باذان
بلال واقامته وخالفهم مالك في موضعين اعادة التكبير وتثنية لفظ الاقامة
واما شعراؤه عليه الصلاة والسلام الذين يذبون عن الاسلام فكعب بن مالك
وعبد الله بن رواحة الخزرجي الانصاري وحسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو
ابن حرام الانصاري ودعا له عليه الصلاة والسلام فقال اللهم ايده بروح القدس
فيقال اعانه جبريل بسبعين بيتا وفي الحديث ان جبريل مع حسان ما نافح عني
وهو بالحا المهملة اي دافع والمراد هجا المشركين ومجاوبتهم على اشعارهم
وعاش مائة وعشرين ستين في الجاهلية وستين في الاسلام وكذا عاش ابوه ثابت
وجده المنذر وجد ابيه حرام كل واحد منهم عاش مائة وعشرين سنة
وتوفي حسان سنة اربع وخمسين **ولما جاءه** عليه الصلاة والسلام بنو تميم
وشاعرهم الاقرع ابن حابس فنادوه يا محمد اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين
وذمنا شين فلم يزد عليه الصلاة والسلام على ان قال ذلك الله اذا مدح زان واذا ذم
شان اني لم ابعث بالشعر ولم اومر بالفخر ولكن هاتوا فامر عليه الصلاة والسلام ثابت
بن قيس ان يجيب خطيبهم فخطب فغلبهم فقام الاقرع بن حابس شاعرهم فقال

اتيناك كيما يعرف الناس فضلنا ... اذا خالفونا عند ذكر المكارم
وانا رؤوس الناس في كل معشر ... وان ليس في ارض الحجاز كدارم

فامر النبي صلى الله عليه وسلم حسانا ان يجيبهم فقام فقال

بني دارم لا تفخروا ان فخركم ... يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وانتم ... لنا خول ما بين قن وخادم

وكان اول من اسلم شاعرهم وكان اشد شعرائه عليه الصلاة والسلام على الكفار
حسان وكعبا **ولما** رجع عليه الصلاة والسلام من تبوك وفد عليه وفد همدان
وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية جعل مالك بن النمط يرتجز بين يديه
عليه الصلاة والسلام **وكان** خطيبه عليه الصلاة والسلام ثابت بن قيس بن شماس
بمعجمة وميم مشددة واخره مهملة وهو خزرجي شهد له النبي صلى الله عليه
وسلم وكان خطيبه وخطيب الانصار واستشهد يوم اليمامة سنة اثني عشرة
وكان يحدو وبين يديه عليه الصلاة والسلام في السفر عبد الله بن رواحة

الحجاز

ستين

١٣٦

Copyright King Saud University

وفي رواية الترمذي في الشمايل عن انس انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة
في عمرة القضية وابن رواحة يمشي بين يديه ويقول

خلوا بني الكفار عن سبيله ... اليوم نضربكم علي تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله

وقد تقدم مزيد لهذا في عمرة القضية والله اعلم وعامر بن الاكوع بفتح الهمزة
وسكون الكاف وفتح الواو وبالعين المهملة وهو عم سلمة بن الاكوع واستشهد
يوم خيبر وعرفت قصته في غزوتها والحبشي الاسود وهو بفتح الهمزة
وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة وكان حسن الحدا قال انس كان
البرا بن مالك يحدو بالرجال وانجشة يحدو بالنسا وقد كان يحدو وينشد
القريض والرجز فقال له عليه الصلاة والسلام كما في رواية البرا بن مالك رويدك
رفقا بالقوارير اي النسا فشبههن بالقوارير من الزجاج لانه يسرع اليها
الكسر فلم يامن عليه الصلاة والسلام ان يصيبهن او يقع في قلوبهن حداوة
فامره بالكف عن ذلك وفي المثل الغنا رقية الزنا وقيل اراد ان الابل اذا سمعت
الحدا اسرعت في المشي واشتدت فازعجت الراكب واتعبتهم فنهاه عن
ذلك لان النسا يضعفن عن شدة الحركة الفصل الثامن في آلات حروبه عليه
الصلاة والسلام كدروعه واقواسه ومنطقته واتراسه اما اسيافه عليه
الصلاة والسلام فكان له تسعة اسياف مأثور وهو اول سيف ملكه عليه الصلاة
والسلام وهو الذي يقال انه قدم به الي المدينة في الهجرة والعضب ارسله
اليه سعد ابن عبادة حين سار الي بدر وذو الفقار لانه كان في وسطه مثل
فقرات الظهر ويجوز في فايه الفتح والكسر وصار اليه يوم بدر وكان للعاصي
ابن منبه وكان هذا السيف لا يفارقه صلى الله عليه وسلم يكون معه في كل حرب
يشهدها وكانت قايمته وقبيعته وحلقته وذوابته وبكراته ونعله من فضة
والقلعي بضم القاف وفتح اللام وهو الذي اصابه من قلع موضع بالبادية والبتار
اي القاطع والحتف وهو الموت والمخذم وهو القاطع والرسوب اي يمضي في الضريبة
ويغيب فيها وهو فعول من رسب يرسب اذا ذهب الي اسفل واذا ثبت اصابهما
من الفلس بضم الفا واسكان اللام صنم كان لطي والقضيب واما ادراعه فسبعة
ذات الفضول بالضاد المعجمة لطولها ارسل بها اليه سعد بن عبادة
حين سار الي بدر وكانت من حديد وهي التي رهنها عند ابي الشحم اليهودي
علي شعير وكان ثلثين صاع وكان الدين الي سنة وذات الوشاح وذات الحواشي
والسغدية ويقال بالعين وهي درع عكبر القينقاعي تبل وهي درع داود
عليه الصلاة والسلام التي لبسها حين قتل جالوت وفضة وكان قد اصابها

من

بلغ

من بني قينقاع والبترا لقصرها والخرنق باسم ولد الارنب وكان عليه صلى الله
عليه وسلم يوم احد درعان ذات الفضول وفضة وكان عليه يوم خيبر درعان
ذات الفضول والسغدية واما اقواسه عليه الصلاة والسلام فكانت ستة
الزورا وثلاث من سلاح بني قينقاع قوس يدعي الروحا وقوس يدعي الصفرا
وشوحط والكتوم كسرت يوم احد فاخذها قتادة والسداد وكانت له جعبة
تدعا الكافور وكانت له منطقة من اديم فيها ثلاث حلق من فضة والابزيم من
فضة والطرف من فضة واما اتراسه فكان له عليه الصلاة والسلام ترس اسمه
الزلوق تزلق عنه السلاح وترس يقال له الفتق وترس اهدي اليه فيه صورة تمثال
عقاب او كبش فوضع يده عليه فاذهب الله ذلك واما ارماحه عليه الصلاة
والسلام فالمثوي قال ابن الاثير سمي به لانه يثبت المطعون به من الثوي وهو
الاقامة انتهى والمثني ورمحان آخران وكانت له صلى الله عليه وسلم حربة تسمي
البيضا وكانت له عليه الصلاة والسلام حربة اخري صغيرة دون الرمح شبه
العكاز يقال لها العنزة وكانت تركز امامه ويصلي اليها وكان له عليه الصلاة
والسلام مغفر من حديد يسمي المسبوغ او ذا السبوغ وآخر يسمي الموشح وكحل
وكان له محجن قدر ذراع او اكثر يمشي ويركب به ويعلقه بين يديه علي بعيره
وكانت له مخصرة تسمي العرجون وقضيب من الشوحط يسمي الممشوق
وكان له قدح مضبب بسلسلة من فضة في ثلاثة مواضع وآخر من عيدان
وآخر من زجاج وتور من حجارة يسمي المخضب وركوة تسمي الصادر ومخضب
من نحاس ومغتسل من صفر ومدهن وربعة اسكندرانية يجعل فيها المراة
ومشط من عاج وهو الذبل والمكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثا في كل عين
وكان في الربعة ايضا المقراض والسواك وهذه الربعة اهداها له المقوقس
صاحب الاسكندرية مع مارية ام ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكانت
له قصعة تسمي الغرا باربعة حلق وصاع ومد وقطيفة وسرير قوائمه
من ساج وفراش من ادم حشوه ليف وخاتم من حديد ملوي بفضة وخاتم
فضة فصه منه يجعل في يمينه وقيل كان اولا في يمينه ثم حوله الي يساره
منقوش عليه محمد رسول الله واهدي له النجاشي خفين ساذجين
فلبسهما وكان له ثلاث جبب يلبسهن في الحرب وجبة سندس اخضر
وجبة طيالسة وعمامة يقال لها السحاب واخري سودا وردا صلوات الله
وسلامه عليه الفصل التاسع في ذكر خيله عليه الصلاة والسلام وبغاله
ودوابه اما خيله عليه الصلاة والسلام فالسكب ويقال فرس سكب اي كثير
الجري كانما يصب جريه صبا واصله من سكب الما يسكبه وهو اول فرس

وكان له عليه الصلاة والسلام قفطان يسمي الكن

يسمي الريان واخري بجيب وكان ...

ولفافه

١٣٧

Copyright King Saud University

ملكه اشتراه عليه الصلاة والسلام بعشرة اواقي وكان اغر محجلا طلق اليمين كميتا
وقال ابن الاثير كان ادهم **والمرتجز** بضم الميم وسكون الرا وفتح التا وكسر الجيم بعدها
زاي سمي به لحسن صهيله ماخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر
وكان ابيض وهو الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت فجعل شهادته شهادة
رجلين **والظرب** بالظا المعجمة واحد الظراب سمي به لكبره وسمنه وقيل
لقوته وصلابة حافره اهداه له فروة بن عمرو الجذامي **واللحيف** بالمهملة
اهداه له ربيعة بن ابي البرا سمي به لسمنه وكبره كانه يلحف الارض اي
يغطيها بذنبه لطوله فعيل بمعنى فاعل يقول لحفت الرجل باللحاف طرحته
عليه ويروى بالجيم وبالخا المعجمة رواه البخاري ولم يتحققه والمعروف
بالحا المهملة قاله في النهاية **واللزاز** سمي به لشدة تلززه واجتماع خلقه
ولزبه الشي اي لزق به كانه يلتزق بالمطلوب لسرعته وهذه اهداها
له المقوقس **والورد وسكب** بالموحدة من قولهم فرس سابح اذا كان حسن
مد اليدين في الجري فهذه سبعة متفق عليها وذكر ابن بنين فيما حكاه م
الحافظ الدمياطي البحر في خيله عليه الصلاة والسلام وكان اشتراه من تجار
قدموا من اليمن فسبق عليه مرات فجثا صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ومسح وجهه
وقال ما انت الا بحر فسمي بحرا قال ابن الاثير وكان كميتا **والسجل** بكسر السين
المهملة وسكون الجيم ذكره علي بن محمد بن الحسين بن عبدوس الكوفي ولعله ماخوذ
من قولك سجلت الما فانسجل اي صببته فانصب **وذو اللمة** بكسر اللام وتشديد
الميم ذكره ابن حبيب **وذو العقال** بضم العين المهملة وتشديد القاف وحكي بعضهم
تخفيفها **والسرحان** بكسر السين المهملة وسكون الرا بعدها كما ذكره ابن قتيبة
في المعارف وذكر ان في رواية انه الذي اشتراه من الاعرابي وشهد له به خزيمة
ابن ثابت **والمرتجل** بكسر الجيم ذكره ابن خالويه من قولهم ارتجل الفرس ارتجالا
اذا خلط العنق بشي من الهملجة **والمرواح** بكسر الميم من ابنية للمبالغة كالمطعام
مشتق من الريح لسرعته او من الرواح لتوسعه في الجري اهداه له قوم من
مذحج ذكره ابن سعد **وملاوح** بضم الميم وكسر الواو ذكره ابن خالويه **والمندوب**
ذكره بعضهم في خيله صلى الله عليه وسلم **والنجيب** ذكره ابن قتيبة وان في
روايته انه الذي اشتراه من الاعرابي وشهد له بخزيمة **واليعسوب**
واليعبوب ذكرهما قاسم ابن ثابت في كتاب الدلايل **وكان** سرجه دفتاه من ليف
وكان له عليه الصلاة والسلام من البغال دلدل دلدل بدالين مهملتين
وكانت شهبا اهداها له المقوقس **وفضة** اهداها له فروة بن عمرو الجذامي
واخرى اهداها له ابن العلا صاحب ايلة واخرى من دومة الجندل واخرى

من

من عند النجاشي **قيل** واهدى له كسرى بغلة اخرى وفي ذلك نظر لان كسرى مزق كتابه
صلى الله عليه وسلم **وكان له عليه الصلاة والسلام من الحمير** عفير اهداه له المقوقس
ويعفور اهداه له فروة بن عمرو وقيل هما واحد وذكر ان سعد ابن عبادة اعطا
للنبي صلى الله عليه وسلم حمارا فركبه **وكان له عليه الصلاة والسلام من اللقاح** من اللقاح
القصوى وهي التي هاجر عليها **والعضبا والجذعا** ولم يكن بها عضب ولا جذع
وانما سميت بذلك وقيل كان باذنها عضب وقيل العضبا والجذعا واحدة والعضبا
هي التي كانت لا تسبق فجا اعرابي على قعود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين
فقال عليه الصلاة والسلام ان حقا على الله ان لا يرفع من الدنيا شيا الا وضعه وغنم
عليه الصلاة والسلام يوم بدر جملا لابي جهل في انفه برة من فضة فاهداه يوم الحديبية
ليغيظ بذلك المشركين **وكانت** له عليه الصلاة والسلام خمسة واربعون لقحة
ارسل بها اليه سعد بن عبادة منها الحلال واطراف وبرده والعجوم وبركه والحنا
ورمزه والثريا والسعديه وسقيا والسمرا والشقرا ومجرة والقرس وغرته
وقيل عبيه وقرومروة وعهيرة وورشه والعصيه **وكانت** له مائة شاة و
وكانت له سبع اعنز منايح ترعاهن ام ايمن **الفصل العاشر في ذكر من وفد عليه
صلى الله عليه وسلم زاده فضلا وشرفا** الوفد الجماعة المختارة المتقدمة في لقي العظما
واحدهم وافد انتهى وقد كان ابتدا الوفود عليه بعد رجوعه عليه الصلاة
والسلام من الجعرانة في اخر سنة ثمان وما بعدها وقال ابن اسحق بعد غزوة تبوك
وقال ابن هشام كانت سنة تسع تسمى سنة الوفود وقد سرد محمد بن سعد في الطبقات
الوفود وتبعه الدمياطي في السيرة له وابن سيد الناس ومغلطاي والحافظ
زين الدين العراقي ومجموع ما ذكروه يزيد على الستين **قدم عليه صلى الله عليه
وسلم** وفد هوازن كما رواه البخاري وغيره وذكر موسى بن عقبة في المغازي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطايف في شوال الى الجعرانة وفيها
السبي يعني سبي هوازن قدمت عليه وفود هوازن مسلمين فيهم تسعة نفر
من اشرافهم فاسلموا وبايعوا ثم كلموه فقالوا يا رسول الله ان فيمن اصبتم الامهات
والاخوات والعمات والخالات فقال ساطلب لكم وقد وقعت المقاسم فاي الامرين
احب اليكم السبي ام المال قالوا خيرتنا يا رسول الله بين الحسب والمال فالحسب
احب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال اما الذي لبني هاشم فهو لكم وسوف اكلم
لكم المسلمين فكلموهم واظهروا اسلامكم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الهاجرة قاموا فتكلم خطباوهم فابلغوا ورغبوا الى المسلمين في رد سبيهم ثم قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ فشفع لهم وحض المسلمين عليه
وقال قد رددت الذي لبني هاشم عليهم وفي رواية ابن اسحق عن عمرو بن شعيب

١٣٨

بلغ

Copyright King Saud University

عن ابيه عن جده وادركه وفد هوازن بالجعرانة وقد اسلموا فقالوا يا رسول الله
انا اصل وعشيرة وقد اصابنا من البلا ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله
عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال يا رسول الله ان اللواتي في الحظاير من
السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك وانت خير مكفول
ثم انشد امنن علينا رسول الله في كرم ، فانك المرء نرجوه وننتظر ،
الابيات المشهورة الاتية ان شا الله تعالى وروينا في المعجم الصغير للطبراني
من ثلاثياته عن زهير بن صرد الجشمي يقول لما اسرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم حنين يوم هوازن وذهب يفرق السبي والشاة اتيته
فانشات اقول هذا الشعر امنن علينا رسول الله في كرم ، فانك المرء نرجوه وننتظر

امنن على بيضة قد عاقها قدر ، ممزق شملها في دهرها غير
ابقت لنا الدهر هتافا على حزن ، على قلوبهم الغما والغمر
ان لم تداركهمو نعما تنشرها ، يا ارجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ، اذ فوك تملاه من محضها الدرر
اذ انت طفل صغير كنت ترضعها ، واذ يزينك ما ياتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته ، واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعما اذ كفرت ، وعندنا بعد هذا اليوم مدخر ، مدخر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه ، من امهاتك ان العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به ، عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
انا نؤمل عفوا منك تلبسه ، هادي البرية اذ تعفو وتنتصر
فاعفو عفى الله عما انت راهبه ، يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

قال فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لي ولعبد المطلب
فهو لكم وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله وقالت الانصار ما كان لنا
فهو لله ولرسوله وثق بثق الطبراني زهيرا لكن يقوي حديثه بالمتابعة لا يعرف
المذكورة فهو حديث حسن وقد وهم من زعم انه منقطع وقد زاد الطبراني
على ما اورده ابن اسحاق خمسة ابيات وذكر الواقدي ان وفد هوازن
كانوا اربعة وعشرين بيتا فيهم ابو ثروان السعدي فقال يا رسول بيتا منهم ابو برقان
الله ان هذه الحظاير لامهاتك وخالاتك وحواضنك ومرضعاتك فامنن
علينا من الله عليك فقال قد استانيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون
وقد قسمت السبي وقدم عليه الصلاة والسلام من تبوك وكان من امرهم
انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف قيل له يا رسول الله ادع على
ثقيف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم ولما انصرف عنهم اتبع اثره عروة

ابن

ابن مسعود حتى ادركه قبل ان يدخل المدينة فاسلم وساله ان يرجع الى قومه بالاسلام
فلما اشرف لهم على علية وقد دعاهم الى الاسلام واظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه
فاصابه سهم فقتله ثم اقامت ثقيف بعد قتله اشهرا ثم انهم ائتمروا بينهم وراوا انهم
لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا واسلموا فاجمعوا ان يرسلوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير ومعه اثنان
من الاحلاف الحكم بن عمرو بن معتب بن مالك وشرحبيل بن غيلان وثلاثة من وهب بن
بني مالك عثمان بن ابي العاصي واوس بن عوف ونصر بن خرشة فلما قدموا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة في ناحية المسجد وكان خالد بن
سعيد بن العاصي هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اسلموا وكتبوا كتابا وكان خالد هو الذي كتبه وكان فيما سالوا رسول
١٣٩ الله صلى الله عليه وسلم ان يدع لهم الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين فابى
عليهم عليه الصلاة والسلام الا ان يبعث ابا سفيان ابن حرب والمغيرة بن شعبة
يهدمانها وكانوا سالوه مع ذلك ان يعفيهم من الصلاة وان لا يكسروا اوثانهم الا
بايديهم فقال عليه الصلاة والسلام كسروا اوثانكم بايديكم واما الصلاة فلا خير في دين
لا صلاة فيه فلما اسلموا وكتب لهم الكتاب امر عليهم عثمان بن العاص وكان من احدثهم
سنا لكنه كان من احرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القران ثم رجعوا الى بلادهم
ومعهم ابو سفيان ابن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية فلما دخل المغيرة
عليها علاها يضربها بالمعول وخرج نسا ثقيف حسرا يبكين عليها واخذ المغيرة
بعد ان كسرها مالها وحليها وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب
لهم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المومنين
ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد من وجد يفعل شيا من ذلك فانه يجلد وينزع
ثيابه فان تعدى ذلك فانه يوخذ فيبلغ النبي محمدا وان هذا امر النبي محمد رسول
الله فكتب خالد بن سعيد بامر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعداه احد فيظلم نفسه
فيما امر به محمد رسول الله ووج واد بالطايف واختلف فيه هل هو حرم يحرم
صيده وقطع شجره فالجمهور انه ليس في البقاع حرم الا حرم مكة والمدينة
وخالفهم ابو حنيفة في حرم المدينة وقال الشافعي في احد قوليه وج حرم
يحرم صيده وشجره واحتج لهذا القول بحديثين احدهما ما تقدم والثاني
حديث عروة بن الزبير عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان صيد وج
وعضاهه حرم محرم لله رواه الامام احمد وابو داود لكن في سماع عروة من ابيه
نظر وان كان قد راه وفي مغازي المعتمر بن سليمان عن عبد الله بن عبد الرحمن
الطايفي عن عمه عمرو بن اوس عن عثمان بن ابي العاصي قال استعملني رسول

Copyright King Saud University

الله صلى الله عليه وسلم وانا اصغر الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف وذلك اني
كنت قرأت سورة البقرة فقلت يا رسول الله ان القرآن يتفلت مني فوضع يده
على صدري وقال يا شيطان اخرج من صدر عثمان فما نسيت شيئا بعده اريد
حفظه وفي صحيح مسلم عن عثمان بن ابي العاص الثقفي قلت يا رسول الله ان الشيطان
قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا
احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت فاذهبه الله عني
وقدم وفد بني عامر عليه صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق لما فرغ عليه الصلاة والسلام
من تبوك واسلمت ثقيف وبايعت ضربت اليه وفود العرب من كل وجه يدخلوا
في دين الله افواجا يضربون اليه من كل وجه فوفد اليه عليه الصلاة والسلام
بنو عامر بن الطفيل واربد ابن قيس وخالد بن جعفر وجبار بن اسلم بن مالك — فيهم عامر ح
وكان هؤلاء النفر رؤساء القوم وشياطينهم فقدم عدو الله عامر بن الطفيل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد ان يغدر به فقال لاربد اذا قدمنا على
الرجل فاني شاغل عنك وجهه فاذا فعلت فاعله بالسيف فكلم عامر رسول الله صلى — ذلك ح
الله عليه وسلم فقال والله لاملأنها عليك خيلا ورجلا فلما ولى قال عليه الصلاة والسلام
اللهم اكفني عامر ابن الطفيل فلما خرجوا قال عامر لاربد ويحك اين ما كنت امرتك
به فقال والله ما هممت بالذي امرتني به الا دخلت بيني وبينه افاضربك
بالسيف ولما كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطا — عون
في عنقه فقتله الله وفي صحيح البخاري ان عامرا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اخيرك بين ثلاث خصال تكون لك اهل السهل ولي اهل المدر او اكون خليفتك من
بعدك او اغزوك بغطفان بالف اشقر والف شقراء فطعن في بيت امرأة فقال اغدة
كغدة البكر في بيت امرأة من آل بني فلان ائتوني بفرسي فركب فمات على ظهر فرسه
وقدم وفد عبد القيس عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه وهي قبيلة كبيرة
يسكنون البحرين ينسبون الى عبد القيس بن افصى بسكون الفاء بعدها مهملة
بوزن اعمى بن دعمي بضم الدال وسكون العين المهملتين وكسر الميم بعدها تحتانية
وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال من القوم قالوا من ربيعة قال مرحبا بالوفد غير خزايا
ولا ندامى فقالوا يا رسول الله ان بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا
لا نصل اليك الا في شهر حرام فمرنا بامر فصل نأخذ به ونامر به من وراءنا وندخل به
الجنة قال امركم باربع وانهاكم عن اربع امركم بالايمان بالله وحده اتدرون
ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة
وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس وانهاكم عن اربع عن الدباء والحنتم

الا الله ح

والنقير

والنقير والمزفت فاحفظوهن وادعوا اليهن من وراءكم قال ابن القيم ففي هذه
القصة ان الايمان بالله مجموع هذه الخصال من القول والعمل كما على ذلك اصحاب
رسول الله والتابعون وتابعوهم كلهم ذكره الشافعي في المبسوط وعلى ذلك ما يقا — رب
مائة دليل من الكتاب والسنة ولم يعد الحج من هذه الخصال وكان قدومهم في سنة
تسع وهذا احد ما يحتج به على ان الحج لم يكن فرض بعد وانه انما فرض في العاشرة — قدم
ولو كان فرض لعده من الايمان كما عد الصوم والزكاة انتهى وقد كان لعبد القيس
وفادتان احداهما قبل الفتح ولهذا قالوا له عليه الصلاة والسلام حال بيننا وبينك
كفار مضر وكان ذلك قديما اما في سنة خمس او قبلها وكانت قريتهم بالبحرين وكان
عدد الوفد الاول ثلاثة عشر رجلا وقيل كانوا اربعة عشر راكبا وفيها سألوه
عن الايمان وعن الاشربة وكان فيهم الاشج وكان كبيرهم وقال له عليه الصلاة
والسلام ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والاناة رواه مسلم من حديث ابي سعيد
واخرج البيهقي بينا النبي صلى الله عليه وسلم يحدث اصحابه قال سيطلع عليكم
من ههنا ركب هم خير اهل المشرق فقام عمر نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكبا فبشرهم
بقوله عليه الصلاة والسلام ثم مشى معهم حتى اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فرموا
بانفسهم عن ركائبهم فاخذوا يده فقبلوها الحديث واخرجه البخاري في الادب
المفرد فيمكن ان يكون احد المذكورين غير راكب او مرتدفا وثانيهما كانت في
سنة الوفود وكان عددهم حينئذ اربعين رجلا كما في حديث ابي خيرة الصباحي
عند ابن منده ويؤيد التعدد ما اخرجه من وجه اخر انه عليه الصلاة
والسلام قال لهم مالي ارى الوانكم تغيرت ففيه اشعار بانه كان راهم قبل التغيير
وفي قولهم يا رسول الله دليل على انهم كانوا حين المقابلة مسلمين وكذا في
قولهم كفار مضر وقولهم الله ورسوله اعلم ويدل على سبقهم الى الاسلام ايضا
ما في البخاري ان اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مسجد عبد القيس بجواثى من البحرين وهي قرية وانما جمعوا بعد رجوع
وفدهم اليهم قال في فتح الباري تدل على انهم سبقوا جميع القرى الى الاسلام وما اجاب
به ابن القيم من ان السبب في كونه لم يذكر الحج في الحديث لانه لم يكن فرض هو
المعتمد وقد قدمت الدليل على قدم اسلامهم لكن جزمه تبعا للواقدي بان
قدومهم كان في سنة تسع قبل فتح مكة ليس بجيد لان فرض الحج كان في سنة
ست على الاصح ولكنه اختار كغيره ان فرض الحج في السنة العاشرة حتى لا يرد
على مذهبه انه على الفور شيء وقد احتج الشافعي لكونه على التراخي بان
فرض الحج كان بعد الهجرة وانه صلى الله عليه وسلم كان قادرا على الحج في سنة
ثمان وفي سنة تسع ولم يحج الا في سنة عشر وسياتي في حجه عليه الصلاة والسلام

Copyright ... University

من مقصد عباداته مزيد لذلك ان شا الله تعالى فان قلت كيف قال اربع والمذكور
قلت خمس اجاب القاضي عبد الوهاب تبعا لابن بطال الايمان الاربع ما عدا اداء الخمس
قال وكانه اراد اعلامهم بقواعد الايمان وفروض الاعيان ثم اعلمهم بما يلزمهم
اخراجه اذا وقع لهم جهاد لانهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر ولم يقصد الى ذكرها
بعينها لانها مسببة عن الجهاد ولم يكن الجهاد اذ ذاك فرض عين قال ولذلك
لم يذكر الحج لانه لم يكن فرض وقال غيره قوله وان يعطوا معطوف على قوله
واموكم باربع اي امركم باربع وان تعطوا ويدل عليه العدول عن سياق الاربع
والاتيان بان والفعل مع توجه الخطاب اليهم وقال القاضي ابو بكر بن العربي
يحتمل ان يقال انه عليه الصلاة والسلام عد الصلاة والزكاة واحدة لانها
قرينتها في كتاب الله ويكون الرابعة اداء الخمس او انه لم يعد الخمس لانه داخل
في عموم ايتا الزكاة والجامع بينهما انه اخراج مال معين وقال البيضاوي الظاهر
ان الامور الخمسة هنا تفسير للايمان وهو احد الاربعة الموعود بذكرها
والثلاثة الاخرى حذفها الراوي اختصارا او نسيانا وتعقب بانه وقع في
صحيح البخاري ايضا في رواية امركم باربع شهادة ان لا اله الا الله وعقد
واحدة تدل على ان الشهادة احدى الاربع وقال القرطبي قيل ان اول
الاربع المامور بها اقام الصلاة وانما ذكر الشهادتين تبركا والى هذا نحى الطيبي
فقال عادة البلغاء ان الكلام اذا كان منصوبا لغرض جعلوا سياقه له وطرحوا
ما عداه وهنا لم يكن الغرض في الايراد ذكر الشهادتين لان القوم كانوا مومنين
مقرين بكلمتي الشهادة ولكن ربما كانوا يظنون ان الايمان مقصور عليها
كما كان الامر في صدر الاسلام قال ولهذا لم يعد الشهادتين في الاوامر انتهى
ملخصا من فتح الباري وقدم عليه الصلاة والسلام وفد بني حنيفة فيهم
بلغ مسيلمة الكذاب فكان منزلهم في دار امراة من الانصار من بني النجار فاتوا
بمسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستر بالثياب ورسول الله صلى
الله عليه وسلم جالس مع اصحابه في يده عسيب من سعف النخل فلما انتهى الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلمه وساله فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سالتني هذا العسيب الذي في يدي ما اعطيتكه
وذكر حديثه ابن اسحق على غير ذلك فقال حدثني شيخ من اهل اليمامة من
بني حنيفة ان وفد بني حنيفة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا
مسيلمة في رحالهم فلما اسلموا ذكروا له مكانه فقالوا يا رسول الله انا قد خلفنا
صاحبا لنا في رحالنا وركابنا يحفظها لنا فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
امر به للقوم وقال لهم انه ليس بشركم مكانا يعني لحفظه ضيعة اصحابه ثم
انصرفوا

الى الاسلام ثم انصرفوا فلما قدموا اليمامة ارتد عدو الله وتنبا وقال اني اشركت في الامر
معه ثم جعل يسجع السجعات فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقران لقد انعم الله
على الحبلى اخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى وسجع اللعين على سورة انا
اعطيناك الكوثر فقال انا اعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر ان مبغضك رجل فاجر
وفي رواية انا اعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر واحذر ان تحرص او تكاثر
وفي رواية انا اعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر ولم يعرف
المخذول انه محروم عن المطلوب وسياتي في اوايل مقصد معجزاته عليه الصلاة
والسلام من تسجيع مسيلمة الركيك مزيد على ما ذكرته هنا ان شا الله تعالى وقيل
انه ادخل البيضة في القارورة وادعى انها معجزة له فافتضح بنحو ما ذكر ان النوشادر
اذا ضرب في خل الخمر ضربا جيدا او جعل فيه بيضة بنت يومها يوما وليلة فانها
تمتد كالخيط فتجعل في القارورة ويصب عليها الماء البارد فانها تجمد ولما سمع
اللعين ان النبي صلى الله عليه وسلم مج في بير فكثر ماوها وتفل في عين علي وكان
ارمد فبرى فتفل اللعين في بير فغار ماوها وفي عين بصير فعمي ومسح بيده ضرع
شاة حلوب فارتفع درها ويبس ضرعها ولله در السقراطيسي حيث يقول يخاطب
البني صلى الله عليه وسلم اعجزت بالوحي ارباب البلاغة في عصر البيان فضلت
رد به التكذيب

ساتهم سورة في مثل حكمته ... فتلهم عنه حين العجز حين تلي
فرام رجس كذوب ان يعارضه ... بعي غي فلم يحسن ولم يطل
مشحج بركيك الافك ملتبس ... ملجلج بزري الزور والخطل
يمج اوله سمع سامعه ... ويعتريه كلال العجز والملل
كانه منطق الورها شذ به ... لبس من الخبل او مس من الخبل
امرت البير واغورت لمحجته ... فيها واعمى بصير العين بالتفل
وايبس الضرع منه شوم راحته ... من بعد ارسال رسل منه منهمل

تنبيه هذا الكلام الذي عارض به مسيلمة الكذاب بكلام امراة ورها وهي الحمقا
التي تتكلم لحمقها بالافهم فهي تهذي بكلام مشذب اي مخلط لا يقترن بعضه
ببعض ولا يشبه بعضه بعضا كلام من به خبل بسكون الموحدة اي فساد
او مس من الخبل بفتحها اي جنون ثم ان اللعين وضع عن قومه الصلاة واحل لهم
الخمر والزنا وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه نبي ثم كان يكتب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما
بعد فاني قد اشركت معك في الامر وان لنا نصف الامر ولقريش نصف الامر
فقدم عليه صلى الله عليه وسلم رسوله بهذا الكتاب فكتب اليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب

Copyright King Saud University

سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشا من عباده والعاقبة
للمتقين وفي الصحيحين من حديث نافع ابن جبير عن ابن عباس قال قدم مسيلمة
الكذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول ان جعل لي محمد الامر من
بعده اتبعته وقدمها في بشر كثير من قومه فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت
ابن قيس بن شماس وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على
مسيلمة في اصحابه فقال ان سالتني هذه القطعة ما اعطيتكها ولن تعدو امر الله
فيك ولين ادبرت ليعقرنك الله واني لاراك الذي اريت فيه ما اريت وهذا
ثابت بن قيس يجيبك عني ثم انصرف قال ابن عباس فسالت عن قول النبي صلى
الله عليه وسلم انك الذي اريت فيه ما اريت فاخبرني ابو هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نايم رايت في يدي سوارين من ذهب فاهمني
شانهما فاوحي الله الي في المنام ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان من
بعدي فهذان احدهما العنسي صاحب صنعا والاخر مسيلمة فان قلت كيف يلتيم
خبر ابن اسحق مع الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع به وخاطبه
وصرح بحضرة قومه انه لو ساله القطعة من الجريد ما اعطاه فالجواب ان المصير
لان الصحيح اولى ويحتمل ان يكون مسيلمة قدم مرتين الاولى كان تابعا وكان رئيس
بني حنيفة غيره ولهذا اقام في حفظ رحالهم ومرة متبوعا وفيها خاطبه
النبي صلى الله عليه وسلم او القصة واحدة وكانت اقامته في رحالهم باختياره
انفة منه واستكبارا ان يحضر مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وعامله عليه
الصلاة والسلام معاملة الكريم على عادته في الاستيلاف فقال لقومه انه ليس
بشركم اي مكانا لكونه كان يحفظ رحالهم واراد استيلافه بالاحسان بالقول والفعل
فلما لم يفد في مسيلمة توجه بنفسه اليه ليقيم عليه الحجة ويعذر اليه بالانذار
والعلم عند الله تعالى وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد طي وفيهم زيد الخيل
وهو سيدهم فعرض عليهم الاسلام فاسلموا وحسن اسلامهم وقال عليه الصلاة والسلام
ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني الا رايته دون ما يقال فيه الا زيد الخيل
فانه لم يبلغ كل ما فيه ثم سماه زيد الخير فخرج راجعا الى قومه فلما انتهى الى ماء من
مياه نجد اصابته الحمى فمات قال ابن عبد البر وقيل مات في اخر خلافة عمر وله
ابنان مكنف وحريث اسلما وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدا
قتال اهل الردة مع خالد وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد كندة في ثمانين او
ستين راكبا من كندة فدخلوا عليه مسجده قد رجلوا جممهم وتكحلوا
ولبسوا جباب الحبرات مكففة بالحرير فلما دخلوا قال صلى الله عليه وسلم
اولم تسلموا قالوا بلى قال فما هذا الحرير في اعناقكم فشقوه فنزعوه فالقوه وقدم

عليه

عليه زاده الله شرفا وكرما الذي قيل هو من عطف الخاص على العام وقال
الحافظ ابو الفضل شيخ الاسلام بن حجر المراد بهم بعض اهل اليمن وهم وفد حمير
قال ووجدت في كتاب الصحابة لابن شاهين من طريق اياس بن عمرو الحميري
انه قدم وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من حمير فقالوا اتيناك
لنتفقه في الدين الحديث والحاصل ان الترجمة مشتملة على طايفتين وليس
المراد اجتماعهما في الوفادة فان قدوم الاشعريين كان مع ابي موسى في سنة
سبع عند فتح خيبر وقدوم حمير كان في سنة تسع وهي سنة الوفود ولهذا
اجتمعوا مع بني تميم وروى يزيد بن هارون عن حميد عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يقدم عليكم قوم ارق منكم قلوبا فقدم الاشعريون
فجعلوا يرتجزون غدا نلقى الاحبه محمدا وحزبه وعن ابي هريرة رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جا اهل اليمن هم ارق افيدة
واضعف قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية والسكينة في اهل الغنم والفخر والخيلا
في الفدادين اهل الوبر قبل مطلع الشمس وفي البخاري ان نفرا من بني تميم
جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا يا بني تميم فقالوا بشرتنا
فاعطنا فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجا نفر من اهل اليمن
فقال اقبلوا البشرى اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا ثم قالوا يا رسول الله
جينا لنتفقه في الدين ونسالك عن هذا الامر فقال كان الله ولم يكن غيره
وكان عرشه على الما وكتب في الذكر كل شي وقوله وجا نفر من اهل اليمن هم
الاشعريون قوم ابي موسى وقدم عليه صلوات الله وسلامه عليه صرد بن عبد الله الازدي
فاسلم وحسن اسلامه في وفد من الازد فامره عليه الصلاة والسلام على من اسلم
من قومه وامره ان يجاهد بمن اسلم اهل الشرك من قبايل اليمن فخرج صرد
يسير بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بجرش وبها قبايل من قبايل
العرب فحاصروهم فيها قريبا من شهر وامتنعوا فيها ثم رجع عنهم قافلا حتى
اذا كان في جبل لهم ظنوا انه انما ولى عنهم منهزما خرجوا في طلبه حتى ادركوه
عطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا وكان اهل جرش بعثوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلين منهم فبينا هما عنده عليه الصلاة والسلام عشية فقال
لهما عليه الصلاة والسلام ان بدن الله لتنحر عند شكر اي المكان الذي وقع
به قتل قومهم قال فجلس الرجلان الى ابي بكر وعثمان فقالا لهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لينعى لكما قومكما فخرجا الى قومهما فوجداهم قد اصيبوا
في اليوم الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم ما قال وفي الساعة الذي ذكر
فيها ما ذكر فخرج وفد جرش حتى قدموا عليه صلوات الله وسلامه عليه

اليمن

رواه مسلم

فاسلموا وحمى لهم حول قريتهم **وفد بني الحارث بن كعب** قال ابن اسحق بعث صلى الله
عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع الاخر او جمادي الاولى سنة عشرة الى
بني الحرث بن كعب بنجران فامره ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلاثا
فان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد حتى قدم عليهم
فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون ايها الناس
اسلموا تسلموا فاسلم الناس ودخلوا فيما دعوا اليه فاقام خالد يعلمهم الاسلام وكتب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ثم اقبل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعه وفدهم منهم قيس بن الحصين ويزيد بن المحجل وشداد بن عبد الله
وقال لهم عليه الصلاة والسلام بم كنتم تغلبون من قاتلكم قال كنا نجتمع ولا نتفرق
ولا نبدا احدا بظلم قال صدقتم وامر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا الى قومهم
في بقية من شوال او من ذي القعدة فلم يمكثوا الا اربعة اشهر حتى توفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم **وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد همدان** فيهم مالك
ابن النمط وضمام بن مالك وعمرو بن مالك فلقوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات والعمايم العدنية على الرواحل
المهرية والارحبية ومالك بن النمط يرتجز بين يديه صلى الله عليه وسلم
وذكروا له كلاما كثيرا حسنا فصيحا فكتب لهم عليه الصلاة والسلام كتابا اقطعهم
فيه ما سالوه وامر عليهم مالك بن النمط واستعمله على من اسلم من قومه وامره
بقتال ثقيف وكان لا يخرج لهم سرح الا اغار عليه **وروى** البيهقي باسناد صحيح
عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى اهل اليمن يدعوهم
يدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث علي بن ابي طالب
فامره ان يقفل خالدا الا رجلا ممن كان مع خالد احب ان يعقب مع علي فلما دنونا من
القوم خرجوا الينا فصلى بنا علي ثم صفنا صفا واحدا ثم تقدم بين ايدينا فقرا
عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت همدان جميعا فكتب علي الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكتاب خر ساجدا ثم رفع راسه فقال السلام على همدان السلام على همدان
واصل الحديث في صحيح البخاري وهذا اصح مما تقدم ولم تكن همدان تقاتل ثقيفا
ولا تغير على سرحهم فان همدان باليمن وثقيف بالطايف قاله ابن القيم في الهدي
النبوي **وفد مزينة** روى البيهقي عن النعمن بن مقرن قال قدمنا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم اربع مائة رجل من مزينة فلما اردنا ان ننصرف قال
يا عمر زود القوم قال ما عندي الا شي من تمر ما اظنه يقع من القوم موقعا قال
انطلق فزودهم قال فانطلق بهم عمر فادخلهم منزله ثم اصعدهم الى علية فلما

دخلنا

دخلنا اذا فيها من التمر مثل الجمل الاورق فاخذ القوم منه حاجتهم قال النعمن
وكنت في اخر من خرج فنظرت وما افقد موضع تمرة من مكانها **وفد دوس**
وكان قدومهم عليه صلى الله عليه وسلم بخيبر قال ابن اسحق كان الطفيل بن
عمرو الدوسي يحدث انه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها فمشى
اليه رجال قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا فقالوا له انك قدمت
بلادنا وهذا الرجل الذي بين اظهرنا فرق جماعتنا وشتت امرنا وانما قوله كالسحر
يفرق بين المرء وابنه وبين المرء واخيه وبين الرجل وزوجه وانا نخشى عليك
وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه قال فوالله ما زالوا بي
حتى عزمت ان لا اسمع منه شيا ولا اكلمه حتى حشوت في اذني حين غدوت
الى المسجد كرسفا فرقا من ان يبلغني شي من قوله قال فغدوت الى المسجد
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قايم يصلي عند الكعبة فقمت قريبا منه
فابى الله الا ان يسمعني بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت واثكل اماه
والله اني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني ان اسمع من
هذا الرجل ما يقول فان كان ما يقول حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت قال
فمكثت حتى انصرف عليه الصلاة والسلام الى بيته فتبعته حتى اذا دخل بيته فقلت
يا محمد ان قومك قد قالوا لي كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفوني امرك حتى
سددت اذني بكرسف ان لا اسمع قولك ثم ابى الله الا ان يسمعنيه فسمعت
قولا حسنا فاعرض علي امرك فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاسلام وتلا علي القران فلا والله ما سمعت قولا قط احسن منه ولا امرا اعدل
منه فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا رسول الله اني امرء مطاع في قومي
واني راجع اليهم فداعيهم الى الاسلام فادع الله ان يجعل لي اية قال فخرجت
الى قومي حتى اذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل
المصباح قال قلت اللهم في غير وجهي اني اخشى ان يقولوا مثلة وقعت في
وجهي لفراق دينهم قال فتحول فوقع في راس سوطي كالقنديل المعلق
وانا اهبط اليهم من الثنية حتى جيتهم واصبحت فيهم فلما نزلت اتاني ابي و
وكان شيخا كبيرا فقلت اليك عني يا ابت فلست مني ولست منك قال ولم يا بني
قلت اسلمت وتابعت دين محمد قال يا بني فديني دينك قال فقلت فاذهب
فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعالى اعلمك ما علمت قال فذهب فاغتسل وطهر
ثيابه ثم جا فعرضت عليه الاسلام فاسلم ثم اتتني صاحبتي فقلت لها اليك
عني فلست منك ولست مني قالت لم قلت فرق الاسلام بيني وبينك اسلمت
وتابعت محمدا عليه الصلاة والسلام قالت فديني دينك فاسلمت ثم دعوت

Copyright King Saud University

دوسا الى الاسلام فابطوا علي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله
انه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا ثم قال ارجع الى
قومك فادعهم الى الله وارفق بهم فرجعت اليهم فلم ازل بارض دوس ادعوهم
الى الله ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فنزلت المدينة بسبعين
او ثمانين بيتا من دوس ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لنا مع المسلمين
وهذا يدل على تقدم اسلامه وقد جزم ابن ابي حاتم بانه قدم مع ابي هريرة بخيبر
وكانهما قدما سنة الثانية وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران فلما
دخلوا المسجد النبوي بعد العصر حانت صلاتهم فقاموا يصلون فيه فاراد
الناس منعهم فقال عليه الصلاة والسلام دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا
صلاتهم وكانوا ستين راكبا منهم اربعة وعشرون رجلا من اشرافهم والاربعة
والعشرون منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول امرهم العاقب امير القوم وذو رايهم وصاحب
مشورتهم واسمه عبد المسيح والسيد صاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم
بتحتانية ساكنة ويقال شرحبيل وابو حارثة بن علقمة اخو بكر بن وائل قد
شرف النصرانية قد شرفوه ومولوه وكان يعرف امر النبي صلى الله عليه وسلم
وشانه وصفته بما علمه من الكتب المتقدمة لكن حمله الاستمرار في النصرانية
لما يرى من تعظيمه ووجاهته عند اهلها فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم
الى الاسلام وتلى عليهم القران فامتنعوا فقال ان انكرتم ما اقول فهلم اباهلكم وعن
البخاري من حديث حذيفة جا السيد والعاقب صاحبا نجران الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يريدان ان يلاعناه يعني يباهلاه فقال احدهما لصاحبه
لا تفعل وعند ابي نعيم ان القايل ذلك هو السيد وعند غيره بل الذي قال
ذلك هو العاقب لانه كان صاحب رايهم وفي زيادات يونس بن بكير في المغازي
ان الذي قال ذلك شرحبيل فوالله لان كان نبيا فلاعناه يعني باهلناه لا نفلح
نحن ولا عقبنا من بعدنا زاد في رواية ابن مسعود عند الحاكم ابدا ثم قالا
انا نعطيك ما سالتنا وابعث معنا امينا ولا تبعث معنا الا امينا فقال لابعثن
معكم رجلا امينا حق امين فاستشرف لها اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال قم يا ابا عبيدة بن الجراح فلما قام قال صلى الله عليه وسلم هذا امين
هذه الامة وفي رواية يونس بن بكير انه صالحهم على الفي حلة الف في رجب
والف في صفر ومع كل حلة اوقية وساق الكتاب الذي بينهم مطولا وذكر
ابن سعد ان السيد والعاقب رجعا بعد ذلك واسلما وفي ذلك مشروعية
مباهلة المخالف اذا اصر بعد ظهور الحجة وقد وقع ذلك لجماعة من العلما سلفا
وخلفا ومما عرف بالتجربة ان من باهل وكان مبطلا لا تمضي عليه سنة من يوم

بيعهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم من اهل الكرمه دسعون

رجلا

المباهلة

المباهلة وقدم عليه صلى الله عليه وسلم رسول فروة بن عمرو الجذامي ملك
الروم وكان منزله معان باسلامه واهدى له بغلة بيضا ولما بلغ الروم ذلك
من اسلامه طلبوه حتى اخذوه فحبسوه ثم صلبوه على ما بفلسطين وضربوا
عنقه على ذلك الما وقدم عليه صلى الله عليه وسلم ضمام بن ثعلبة بعثه بنو سعد
ابن بكر روى البخاري من حديث انس بن مالك قال فبينما نحن جلوس مع النبي
صلى الله عليه وسلم في المسجد دخل رجل على جمل فاناخه في المسجد ثم عقله ثم قال
ايكم محمد والنبي صلى الله عليه وسلم متكي بين ظهرانيهم فقلنا هذا الرجل الابيض
المتكي فقال له الرجل ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد
اجبتك فقال اني سايلك فمشدد عليك في المسالة فلا تجد علي في نفسك فقال سل
عما بدا لك فقال اسالك بربك ورب من قبلك الله ارسلك الى الناس كلهم فقال
اللهم نعم فقال انشدك الله الله امرك ان نصوم هذا الشهر من السنة قال
اللهم نعم قال انشدك بالله الله امرك ان تاخذ هذه الصدقة من اغنيائنا
فتقسمها على فقرائنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم نعم فقال الرجل
امنت بما جيت به وانا رسول من ورائي من قومي وانا ضمام بن ثعلبة اخو
بني سعد بن بكر وزاد ابن اسحق في مغازيه فقال الله امرك ان نعبده ولا نشرك
به شيا وان نخلع هذه الانداد التي كان اباونا يعبدون فقال صلى الله
عليه وسلم اللهم نعم قال وكان ضمام رجلا جلدا اشعر ذي غديرتين ثم اتى
بعيره واطلق عقاله ثم خرج حتى اتى قومه فاجتمعوا اليه وكان اول ما تكلم
ان قال بيست اللات والعزى فقالوا مه يا ضمام اتق البرص والجنون والجذام قال ويلكم
ويلكم انهما لا يضران ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا وانزل عليه كتابا استنقذكم
١٤٩ به واني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واني قد جيتكم من عنده
بما امركم به ونهاكم عنه فوالله ما امسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امراة
الا مسلما قال ابن عباس فما سمعنا بوافد قوم افضل من ضمام بن ثعلبة وقدم طارق
ابن عبد الله وقومه روى البيهقي عن جامع بن شداد قال حدثني رجل يقال له
طارق بن عبد الله قال اني لقايم بسوق ذي المجاز اذ اقبل رجل وهو يقول
يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة يقول
يا ايها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا غلام من بني هاشم
يزعم انه رسول الله قال قلت من هذا الذي يفعل به هذا قالوا هذا عمه
عبد العزى قال فلما اسلم الناس وهاجر واخرجنا من الربذة نريد المدينة
نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلنا لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه
فاذا رجل في طريق له فسلم وقال من اين اقبل القوم قلنا من الربذة قال

ثعلبة

عن الصلوات الخمس في اليوم والليلة فقال اللهم نعم قال انشدك بالله الله امرك ان نصوم

مه

Copyright King Saud University

واين تريدون قلنا نريد المدينة قال ما حاجتكم بها قلنا نمتار من تمرها قال ومعنا
ظعينة لنا ومعنا جمل احمر مخطوم فقال اتبيعون جملكم هذا قالوا نعم بكذا وكذا صاعا
من تمر فاخذ بخطام الجمل فانطلق فلما توارى عنا بحيطان المدينة وبخلها قلنا ما صنعنا
والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا اخذنا له ثمنا قال تقول المراة التي معنا والله لقد
رايت رجلا كان وجهه قطعة القمر ليلة البدر انا ضامنة لثمن جملكم وفي رواية
ابن اسحاق قال الظعينة فلا تلاوموا فلقد رايت وجه رجل لا يغدر بكم ما رايت
شيا اشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه اذا اقبل رجل فقال انا رسول الله اليكم هذا
تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا فاكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم
دخلنا المدينة فلما دخلنا المسجد اذا هو قايم على المنبر يخطب الناس فادركنا من
خطبته وهو يقول تصدقوا فان الصدقة خير لكم اليد العليا خير من اليد
السفلى وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد تجيب وهم من السكون ثلاثة عشر
رجلا قد ساقوا معهم صدقات اموالهم التي فرض الله عليهم فسر عليه الصلاة
والسلام بهم واكرم منزلهم وامر بلالا ان يحسن ضيافتهم ثم جاوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يودعونه فامر بلالا فاجازهم بارفع مما كان يجيز به الوفود
قال هل بقي منكم احد قالوا غلام خلفناه على رحالنا وهو احدثنا سنا قال ارسلوه
الينا فلما اتى الغلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان حاجتي
ليست كحاجة اصحابي وان كانوا راغبين في الاسلام والله ما اخرجني من بلادي
الا ان تسال الله ان يغفر لي ويرحمني وان يجعل غناي في قلبي فقال عليه الصلاة
والسلام اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه ثم امر له بما امر به لرجل من
اصحابه ثم انطلقوا راجعين الى اهليهم ثم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمنى سنة عشر فقال ما فعل الغلام قالوا يا رسول الله ما راينا مثله قط ولا
حدثنا باقنع منه بما رزقه الله لو ان الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت
اليها وقدم وفد بني سعد هذيم من قضاعة روى الواقدي عن ابي النعمان
عن ابيه من بني سعد هذيم قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وافدا في نفر من قومي نزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نوم المسجد الحرام
فقمنا ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم حتى نلقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونبايعه ثم بايعناه صلى الله عليه وسلم على الاسلام ثم انصرفنا الى
رحالنا وقد كنا خلفنا اصغرنا فبعث عليه الصلاة والسلام في طلبنا فاتي
بنا اليه فتقدم صاحبنا اليه فبايعه على الاسلام فقلنا يا رسول الله انه
اصغرنا وخادمنا فقال اصغر القوم خادمهم بارك الله عليك قال فكان والله
خيرنا واقرانا بدعاء رسول الله ثم امره علينا فكان يومنا ثم رجعنا الى قومنا

فوزه

سالم

فوزه فتح الله الاسلام وفد بني مرارة قال ابو الربيع بن سالم في كتاب الاكتفا ولما
رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك قدم عليه وفد بني فزارة بضعة
عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس بن اخي عيينة بن حصن
وهو اصغرهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون على ركاب عجاف فسالهم عليه الصلاة
والسلام عن بلادهم فقال احدهم يا رسول الله اسنتت بلادنا وهلكت مواشينا واجدب
جنابنا وغرث عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا وليشفع لنا ربك اليك فقال صلى
الله عليه وسلم سبحان الله ويلك هذا انا شفعت الى ربي عز وجل فمن الذي يشفع
ربنا اليه لا اله الا هو العظيم وسع كرسيه السموات والارض فهي تيط من عظمته
وجلاله كما يئط الرحل الجديد وقال عليه الصلاة والسلام ان الله عز وجل ليضحك
من شفقكم وقرب غياثكم قال الاعرابي يا رسول الله ويضحك ربنا عز وجل
قال نعم قال الاعرابي لن نعدمك من رب يضحك خيرا فضحك صلى الله عليه وسلم
من قوله وصعد المنبر فرفع يديه حتى روي بياض ابطيه وكان مما حفظ من
دعايه اللهم اسق بلدك البهايم وانشر رحمتك واحي بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير
اجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق
اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعدا الحديث رواه ابن سعد والبيهقي ويأتي تمامه
ان شا الله تعالى في الاستسقا من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام وقدم
عليه صلى الله عليه وسلم وفد بني اسد عشرة رهط فيهم وابصة بن معبد و
طليحة بن خويلد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه فقال
متكلمهم يا رسول الله انا شهدنا ان الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله
وجيناك ولم تبعث الينا بعثا فانزل الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا
على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين وقدم عليه
صلوات الله وسلامه عليه وفد بهرا من اليمن وكانوا ثلاثة عشر رجلا فلما انتهوا
الى باب المقداد رحب بهم وقدم لهم جفنة من حيس فاكلوا منها حتى نهلوا
وردت القصعة وفيها شي فجمع في قصعة صغيرة فارسل بها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بيت ام سلمة فاصاب منها هو ومن معه في البيت حتى نهلوا
حتى اكل منها الضيف ما اقاموا يرددون ذلك عليهم وما يغيض حتى جعلوا
يقولون يا ابا معبد انك لتنهلنا من احب الطعام الينا وما كنا نقدر على مثل
هذا الا في الحين فلخبرهم ابو معبد بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه اكل منها ورده فانما هذه بركة اصابعه عليه الصلاة والسلام فجعل القوم يقولون
نشهد انه رسول الله وازدادوا يقينا وتعلموا الفرايض واقاموا اياما ثم ودعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامر لهم بجوايز وانصرفوا الى اهليهم وقدم عليه صلى الله عليه وسلم

١٤٥

Copyright © King Saud University

مطلب وفد ذي مره

وفد عذرة في صفر سنة تسع وكانوا اثني عشر رجلا منهم جمرة بن النعمان فرحب
بهم عليه الصلاة والسلام فاسلموا وبشرهم بفتح الشام وهرب هرقل الى ممتنع من بلاده
ثم انصرفوا وقد اجيزوا وقدم عليه الصلاة والسلام وفد بلي فاسلموا فقال
صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو في
النار ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اجازهم وقدم عليه
صلى الله عليه وسلم وفد ذي مرة وكانوا ثلاثة عشر رجلا ورئيسهم الحرث
ابن عوف فقال لهم عليه الصلاة والسلام كيف البلاد فقالوا والله انا لمسنتون
فادع الله لنا فقال عليه الصلاة والسلام اللهم اسقهم الغيث ثم اقاموا اياما ورجعوا
بالجايزة فوجدوا بلادهم قد امطرت في ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقدم عليه زاده الله تعالى شرفا لديه وفد خولان
في شعبان سنة عشر وكانوا عشرة فقالوا يا رسول الله نحن مومنون بالله و
مصدقون برسوله وقد ضربنا اليك اباط الابل وركبنا حزون الارض و
سهولها والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زايرين لك فقال عليه الصلاة والسلام
اما ما ذكرتم من مسيركم الي فان لكم بكل خطوة خطاها بعير احدكم حسنة واما قولكم
زايرين لك فانه من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة ثم قال عليه
الصلاة والسلام ما فعل صنم خولان الذي كانوا يعبدونه قالوا ابدلنا الله به
ما جئت به الا ان عجوزا وشيخا كبيرا يتمسكان به وان قدمنا عليه هدمناه
ان شاء الله تعالى ثم علمهم عليه الصلاة والسلام فرايض الدين وامرهم بالوفا بالعهد
واداء الامانة وحسن الجوار وان لا يظلموا احدا ثم اجازهم ورجعوا الى قومهم وقدم
عليه صلى الله عليه وسلم وفد محارب عام حجة الوداع وكانوا اغلظ العرب
وافظهم عليه ايام عرضه على القبايل يدعوهم الى الله فجاء عليه الصلاة والسلام
منهم عشرة فاسلموا ثم انصرفوا الى اهلهم وقدم عليه الصلاة والسلام وفد صدا
في سنة ثمان وذلك انه لما انصرف من الجعرانة بعث قيس بن سعد بن عبادة
في اربعماية وامره ان يطا ناحية من اليمن فيها صدا فقدم رجل منهم علم
بالبعث على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اردد الجيش
وانا لك بقومي فرد قيسا ورجع الصدائي الى قومه فقدم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم خمسة عشر رجلا منهم فبايعوه على الاسلام ورجعوا الى قومهم ففشا
فيهم الاسلام فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ماية رجل في حجة
الوداع ذكره الواقدي وذكر من حديث زياد بن الحرث الصدائي انه
الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اردد الجيش وقال
كان زياد هذا معه صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره وانه عليه الصلاة والسلام

قال

مطلب وفد بني عبس

١٤٦

قال له يا اخا صدا اهل معك ما قلت معي شي في اداوتي فقال صبه فصببته في
قعب ثم وضع يده عليه الصلاة والسلام كفه فيه فرايت الما ينبع من اصابعه
عينا تفور وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد غسان في شهر رمضان سنة
عشر وكانوا ثلاثة نفر فاسلموا واجازهم عليه الصلاة والسلام بجوايز وانصرفوا
راجعين وقدم عليه وفد سلامان في شوال سنة عشر كما قال الواقدي وكانوا
سبعة نفر فيهم حبيب بن عمرو فاسلموا وشكوا اليه جدب بلادهم فدعا لهم ثم
ودعوه وامر لهم بالجوايز ورجعوا الى بلادهم فوجدوها قد امطرت في اليوم
الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة وقدم عليه
وفد بني عبس فقالوا يا رسول الله قدم علينا قراونا فاخبرونا انه لا اسلام لمن
لا هجرة له ولنا اموال ومواشي فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا
فقال عليه الصلاة والسلام اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم من اعمالكم شيا
وقدم عليه وفد غامد سنة عشر وكانوا عشرة فاقروا بالاسلام وكتب لهم
كتابا فيه شرايع الاسلام وامر ابي بن كعب فعلمهم قرانا واجازهم عليه الصلاة والسلام
وانصرفوا وقدم عليه وفد الازد ذكر ابو نعيم في كتاب معرفة الصحابة
وابو موسى المديني من حديث ابي الحواري قال سمعت ابا سليمان الداراني
قال حدثني علقمة بن زيد بن سويد الازدي قال حدثني ابي عن جدي قال
وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخلنا عليه
وكلمناه اعجبه ما راي من سمتنا وزينا فقال ما انتم قلنا مومنون فتبسم عليه الصلاة
والسلام وقال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وايمانكم قلنا خمس عشرة
خصلة خمس منها امرتنا رسلك ان نومن بها وخمس امرتنا ان نعمل بها وخمس
تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها الا ان تكره منها شيا فقال صلى الله عليه وسلم
ما الخمس التي امرتكم بها رسلي قلنا امرتنا ان نومن بالله وملايكته وكتبه ورسله
والبعث بعد الموت قال وما الخمس التي امرتكم ان تعملوا بها قلنا امرتنا ان نقول
لا اله الا الله ونقيم الصلاة ونوتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ان استطعنا
اليه سبيلا قال وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية قلنا الشكر عند الرخاء
والصبر عند البلا والرضا بمر القضا والصدق في مواطن اللقا وترك الشماتة
بالاعدا فقال صلى الله عليه وسلم حكما علما كادوا من فقههم ان يكونوا انبيا
ثم قال وانا ازيدكم خمسا فتتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون فلا تجمعوا
ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا في شي انتم عنه غدا زايلون
واتقوا الله الذي اليه ترجعون وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه
تقدمون وفيه تخلدون فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه الصلاة

Copyright © King Saud University

والسلام وعلى ابوابها **وقدم عليه وفد بني المنتفق** روى عبد الله بن الامام احمد في
مسند ابيه عن دلهم بن الاسود عن عاصم بن لقيط ان لقيط بن عامر بن صبرة
ابن عبد الله بن المنتفق ابي عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن
صعصعة ابا رزين العقيلي المعروف في اهل الطايف خرج وافدا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك
ابن المنتفق فوافيناه صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن صلاة الغداة
فقام في الناس خطيبا فقال يا ايها الناس الا اني قد خبات لكم صوتي منذ اربعة
ايام لتسمعوا اليوم الا فهل من امرئ بعثه قومه فقالوا اعلم لنا ما يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثم لعله يلهيه حديث نفسه او حديث
صاحبه الا واني مسول هل بلغت الا اسمعوا تعيشوا الحديث وفيه ذكر
البعث والنشور والجنة والنار وفيه ثم قال قلت يا رسول الله على ما ابايعك
فبسط صلى الله عليه وسلم يده وقال على اقام الصلاة وايتا الزكاة وان لا تشرك
بالله شيا الحديث **وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد النخع** وهم اخر الوفود
قدوما عليه وكان قدومهم في نصف المحرم سنة احدى عشرة في مايتي رجل
فنزلوا دار الاضياف ثم جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرين بالاسلام
وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل فقال لهم رجل منهم يقال زرارة بن عمرو يا رسول
الله اني رايت في سفري هذا عجبا قال وما رايت قال رايت اتانا تركتها كانها
ولدت جديا اسفع احوى قال ادن مني قد نامته قال هل بك من برص تكتمه
قال والذي بعثك بالحق نبيا ما علم به احد ولا اطلع عليه غيرك قال فهو ذلك
قال يا رسول الله ورايت النعمان بن المنذر وعليه قرطان ومدلجان ومسكتان
قال ذلك ملك العرب رجع الى احسن زيه وبهجته قال يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورايت عجوزا شمطا خرجت من الارض قال تلك
بقية الدنيا قال ورايت نارا خرجت من الارض فحالت بيني وبين ابن لي يقال
له عمرو قال رسول الله تلك صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون في
اخر الزمان قال يا رسول الله وما الفتنة قال يقتلون الناس امامهم ويخالف
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصابعه يحسب المسي فيها انه
محسن ويكون دم المومن عند المومن احلا من شرب الما ان مات ابنك
ادركت الفتنة وان مت انت ادركها ابنك قال يا رسول الله ادع الله ان لا ادركها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركها فمات وبقي ابنه فكان
ممن خلع عثمان بن عفان رضي الله عنه انتهى ملخصا من الهدي النبوي
والله الموفق وسياتي ان شا الله تعالى في تعبير الرويا صلى الله عليه

وسلم

وسلم من المقصد الثامن والله الموفق للصواب واليه المرجع والماب
انه الكريم الوهاب والحمد لله وحده تم هذا المقصد من المواهب اللدنيه
والحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

المقصد الثالث فيما فضله الله تعالى به من كمال خلقته وجمال صورته وكرمه تعالى به من الاخلاق الزكية وشرفه به من الاوصاف المرضية وما تدعو ضرورة حياته اليه صلى الله عليه وسلم وفيه اربعة فصول

الاول في كمال خلقته وجمال صورته صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

اعلم ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان بان الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق ادمي مثله فيكون ما يشاهد من خلق بدنه ايات على ما يتضح من عظم خلق نفسه الكريمة وما يتضح من عظم اخلاق نفسه ايات على ما تحقق له من سر قلبه المقدس ولله در الابوصيري رضي الله عنه حيث قال

فهو الذي تم معناه وصورته ... ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك في محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم

يعني حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه لانه الذي تم معناه دون غيره وهي غير منقسمة بينه وبين غيره والا لما كان حسنه تاما لانه اذا انقسم لم يكن له الا بعضه فلا يكون تاما وفي الاثر ان خالد بن الوليد خرج في سرية من السرايا فنزل ببعض الاحيا فقال له سيد ذلك الحي صف لنا محمدا فقال اما اني افصل فلا فقال الرجل اجمل فقال الرسول على قدر المرسل ذكره ابن المنير في اسرار الاسرا فمن الذي يصل قدره ان يقدر قدر الرسول او يبلغ من الاطلاع على ماثور احواله المامول والسول وقد حكى القرطبي في كتاب الصلاة عن بعضهم انه قال لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لما اطاقت اعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم ولقد احسن الابوصيري ايضا حيث قال

اعيى الورى فهم معناه فليس يرى ... للقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد ... صغيرة وتكل الطرف من امم

وهذا مثل قوله ايضا

انما مثلوا صفاتك للناس ... كما مثل النجوم الماء

واشار بقوله تظهر الى وجه التشبيه بالشمس لا مطلقا ولقد بين علة التشبيه بها على الاطلاق ابو النواس حيث قال

يشبه الشمس والقمر المنير ... اذا قلنا كانهما الامير
لان الشمس تغرب حين تمسي ... وان البدر ينقصه المسير

وبعد التشبيهات الواردة في خلقه عليه الصلاة والسلام انما هي على سبيل التقريب والتمثيل والا فانه اعلا ومجده اغلا فاما راسه الشريف المقدس

فحسبك

فحسبك ما ذكره الترمذي في جامعه بسنده الى هند بن ابي هالة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الهامة وقال نافع بن جبير وصف لنا علي رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان عظيم الهامة واما وجهه الشريف فحسبك ما رواه الشيخان من حديث البرا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير البائن وعن ابي هريرة ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه رواه الترمذي والبيهقي واحمد وابن حبان قال الطيبي شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل ان يكون من تناهي التشبيه جعل وجهه مقرا ومكانا للشمس ولله در القايل

لم لا يضي بك الوجود وليله ... فيه صباح من جمالك مسفر
فبشمس حسنك كل يوم مشرق ... وببدر وجهك كل ليل مقمر

وفي البخاري سيل البرا اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف في الطول فقال لا بل مثل القمر اي في التدوير ويحتمل ان يكون اراد مثل السيف في اللمعان والصقال فقال بل فوق ذلك وعدل الى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان وقال النسابة ابو الخطاب بن دحية رحمه الله تعالى في كتابه التنوير في مولد البشير النذير صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم وكرم عند ايراده حديث البرا المذكور بلفظه ففي هذا الحديث من العلم ان التشبيه بمن لا يحسنه لا يصلح الاقرار عليه لان السايل شبهه وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ولو شبهه بالشمس لكان اولى فرد عليه البرا قوله وقال بل مثل القمر وابدع في تشبيهه لان القمر يملا الارض بنوره ويونس كل من يشاهده ونوره من غير حر يفزع ولا كلل يمنع والناظر الى القمر يتمكن من النظر بخلاف الشمس التي تغشي البصر وتجلب للناظر الضرر انتهى وفي رواية مسلم من حديث جابر بن سمرة وقال له رجل اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وانما قال مستديرا للتنبيه على انه جمع الصفتين لان قوله مثل السيف يحتمل ان يريد به الطول ويحتمل ان يريد به اللمعان كما تقدمت اليه الاشارة فيما سبق من العبارة فرده المسوول ردا بليغا ولما جرى التعارف به ان التشبيه بالشمس انما يراد بها غالبا الاشراق وبالقمر انما يراد به الملاحة دون غيرهما فقوله وكان مستديرا اشارة الى انه اراد به التشبيه بالصفتين معا الحسن والاستدارة

فكان السايل اراد مثل السيف في الطول فرد عليه البرا فقال لا بل مثل القمر

معا

١٤٨

وقال الحارثي عن اشعث عن ابي اسحق عن جابر بن سمرة انه قال رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ليلة اضحيان وعليه حلة حمرا فجعلت انظر اليه والى القمر
فلو كان احسن في عيني من القمر وفي رواية بعد قوله حمرا فجعلت اماثل بينه
وبين القمر وروى الترمذي والبيهقي عن علي انه نعته صلى الله عليه وسلم
فقال لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم كان في وجهه تدوير والمكلثم المدور الوجه اي لم يكن
شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل وفي حديث علي عند ابي عبيد في الغريب
وكان في وجهه تدوير قال ابو عبيد في شرحه يريد انه ما كان في غاية التدوير
بل كان فيه سهولة وهي احلا عند العرب وفي حديث ابي هريرة عند الذهلي
في الزهريات في صفته صلى الله عليه وسلم كان اسيل الخدين قال ابن الاثير
الاسالة في الخد الاستطالة وان لا يكون مرتفع الوجنة وقال شيخ الاسلام الحافظ
ابن حجر ولعل هذا هو الحامل لمن سال اكان وجهه مثل السيف واخرج البخاري
عن كعب بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار
وجهه كانه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه اي الموضع الذي يتبين فيه
السرور وهو جبينه وقالت عايشة رضي الله عنها دخل النبي صلى الله عليه
وسلم يوما مسرورا تبرق اسارير وجهه ولذلك قال كعب كانه قطعة قمر وفي
حديث جبير بن مطعم عند الطبراني التفت الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوجه مثل شقة القمر فهذا محمول على صفته عند الالتفات وقد اخرج
الطبراني حديث كعب بن مالك من طرق في بعضها كانه دارة قمر وسال
عن السر في التقييد بالقطعة مع كثرة ما ورد في كثير من كلام البلغا من
تشبيه الوجه بالقمر بغير تقييد وقد كان كعب بن مالك قايل هذا من
شعرا الصحابة فلا بد في التقييد بذلك من حكمة وما قيل في ان ذلك
من الاحتراز عن السواد الذي في القمر ليس بقوي لان المراد بتشبيهه
ما في القمر من الضيا والاستنارة وهو في تمامه لا يكون فيه اقل ما في
القطعة المجردة فكان التشبيه وقع على بعض الوجه فناسب ان يشبه ببعض القمر
وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال كان وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم كدارة القمر اخرجه ابو نعيم وروى البيهقي عن ابي اسحق الهمداني عن
امراة من همدان سماها قالت حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم مرات فرايته
على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه بردان احمران يكاد يمس منكبه
اذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه الى فيه فيقبله قال ابو اسحق فقلت
شبهيه قالت كالقمر ليلة البدر لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم
وروى الدارمي والبيهقي وابو نعيم والطبراني عن ابي عبيدة بن محمد بن

٤٦

عمار بن ياسر قال قلت للربيع بنت معوذ صفي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت لو رايته لقلت الشمس طالعة وفي لفظ قالت يا بني لو رايته رايت الشمس
طالعة وروى مسلم عن ابي الطفيل انه قيل له صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال كان ابيض مليح الوجه وفيما اخرجه الترمذي من حديث هند بن ابي هالة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلالا وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر
وقالت ام معبد حين وصفته لزوجها متبلج الوجه يعني مشرقه مضيئه ومنه
ابلج الصبح اذا اسفر وما احسن قول سيدي علي بن وفا حيث قال

الا يا صاحب الوجه المليح … سالتك لا تغيب فانت روحي
متى ما غاب شخصك عن عياني … رجعت فلا ترى الا ضريحي
بحقك جد لنا يا حبيبي … وداوي لوعة القلب الجريح
ورق لمغرم في الحب اسي … واصبح بالهوى دنفا طريح
محب ضاق بالاشواق ذرعا … واوى منك للكرم الفسيح

وفي النهاية انه عليه الصلاة والسلام كان اذا سر فكان وجهه المراة وكان الجدر
تلاحك وجهه قال والملاحكة شدة الملايمة اي يرى شخص الجدر في وجهه
صلى الله عليه وسلم وفي حديث بن ابي هالة يتلالا وجهه تلالا القمر ليلة البدر
وذلك لان القمر يملا الارض بنوره ويونس كل من شاهده وهو يجمع النور من
غير اذى ويتمكن من النظر اليه بخلاف الشمس التي تغشي البصر فتمنع من
تمكن الروية والتشبيه بالبدر ابلغ في العرف من التشبيه بالقمر لانه وقت كماله
كما قال الفاروق رضي الله عنه حين راه او كلما راه

لو كنت من شي سوى بشر … كنت المنور ليلة البدر

وقد صار في هذا التشبيه تحقيقا من اسمايه صلى الله عليه وسلم البدر ولهذا
انشد والما قدم المدينة … طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ولقد احسن
من قال كالبدر والكاف ان انصفت زايدة فيه فلا تظننها كافا التشبيه
وما احلا قول ابن الحلاوي بقوله

بقوله يحكي البدر في الحسن وجهه … ويبدو البدا عن ذلك الحسن يحط
كما شبهوا غصن النقا بقوامه … لقد بالغوا في المدح للغصن واشطوا

فقد حصل للبدر والغصن غاية من الفخر بهذا التشبيه على ان هذه هي
التشبيهات الواردة في صفاته عليه الصلاة والسلام انما هي عادة الشعراء
والعرب والا فلا شي في هذه المحدثات تعادل صفاته الخلقية والخلقية
ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا الشاذلي المالكي رحمه الله حيث قال

كم فيه للابصار حسن مدهش … كم فيه للارواح راح مسكر

١٤٦

Copyright King Saud University

سبحان من انشاه من سبحانه * بشرا باسرار الغيوب يبشر
تاسو جهلا بالغزال تغزلا * هيهات يشبهه الغزال الاحور
هذا وجنك ماله من مشبه * واري المشبه بالغزالة يكفر
يا عظم الذنب في تشبيهه * لولا الرب جاله يستغفر
تحل الملاح بحسنهم وجمالهم * وبحسنه كل المحاسن تفخر
فجماله مجلا لكل جميلة * وله منار كل وجه نير
جنات عدن في جنان جنانه * ودليله ان المراشف كوثر
هيهات الهوا عن هواه بغيره * والغير في حشو الاجانب يحشر
كتب الغرام على في اسفاره * كتبا تلوح بالهوى وتعبر
فدع التعري وما ادعاه في الهوى * فدعيه بالهجر منه يهجر
وعليك بالعلم العليم فانه * لخطيبه في كل خطب منبر

واما بصره الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه الله تعالى في كتابه العزيز بقوله ما زاغ البصر وما طغى وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء رواه البخاري البيهقي وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي ها هنا فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم اني لاراكم من وراء ظهري رواه البخاري ومسلم وعند مسلم من رواية انس انه صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود فاني اراكم من امامي ومن خلفي وعن مجاهد في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال كان صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه رواه الحميدي في مسنده وابن المنذر في تفسيره وهذه الرؤية رؤية ادراك والرؤية لا تتوقف على وجود آلتها التي هي العين عند اهل الحق ولا شعاع ولا مقابلة وهذا بالنسبة الى القديم العالي اما المخلوق فتتوقف صفة الرؤية في حقه على الحاسة والشعاع والمقابلة بالاتفاق ولهذا كان خرق عادة في حقه عليه الصلاة والسلام وخالق البصر في العين قادر على خلقه في غيرها قال الحرالي وهذه الآية فجعلها الله تعالى دالة على ما في حقيقة امره في الاطلاع الباطن لسعة علمه ومعرفته لما عرف بربه لا ينقسم اطلعه الله على ما بين يديه مما تقدم من امر الله وعلى ما وراء الوقت مما تاخر من امر الله فلما كان على ذلك من الاحاطة في ادراك مدركات القلوب جعل الله تعالى له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك في مدركات العيون فكان

ترى

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء رواه ...

يرى المحسوسات من وراء ظهره كما يراها من بين يديه كما قال صلى الله عليه وسلم انتهى ومن الغيوب ما ذكره الزاهدي المختار صاحب ابن محمود شارح القدوري في رسالته الناصرية انه صلى الله عليه وسلم كان له بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بهما ولا يحجبهما الثياب وقيل بل كانت صورهم تنطبع في حائط قبلته كما تنطبع في المرآة امثلتهم فيها فيشاهد افعالهم وهذا ان كان نقلا عن الشارع عليه الصلاة والسلام بطريق صحيح فمقبول والا فليس المقام مقام راي على ان الاقعد في اثبات كونه معجزة حملها على الادراك من غير آلة والله اعلم وقد ذهب بعضهم الى ان هذه الرؤية قلبية الشريف وعن بعضهم المراد بها العلم اما بان يوحى اليه كيفية فعلهم واما بان يلهم والصحيح الصواب ما تقدم وقد استشكل على قول من يقول ان المراد بذلك العلم ما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بغير اسناد انه صلى الله عليه وسلم قال اني لا اعلم ما وراء جداري هذا فان صح فالمراد منه نفي العلم بالمغيبات فكيف تجتمعان واجيب بان الاحاديث الاول ظاهرها ينطق باختصاص ذلك بحالة الصلاة ويحمل المطلق منها على المقيد واما اذا ذهبنا الى ان الادراك بالبصر وهو الصواب فلا اشكال لان نفي العلم هنا عن الغيب وذلك من مشاهدة وفي المقاصد الحسنة للحافظ شمس الدين السخاوي حديث ما اعلم ما خلف جداري هذا قال شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن حجر لا اصل له قلت ولكنه قال في تلخيص تخريج احاديث الرافعي عند قوله في الخصائص ويرى من وراء ظهره كما يرى من قدامه وهو في الصحيحين وغيرهما من حديث انس وغيره والاحاديث الواردة في ذلك مقيدة بحالة الصلاة وبذلك يجمع بينه وبين قوله لا اعلم ما وراء جداري هذا انتهى قال شيخنا وهذا اشعر بوروده على تقدير وروده لا تنافي بينهما لعدم وروده على محل واحد فان قيل يشكل على هذا ايضا اخباره صلى الله عليه وسلم بكثير من المغيبات التي في زمانه وبعده ووقعت كما اخبر صلى الله عليه وسلم فالجواب ان نفي العلم في هذا ورد على اصل الوضع وهو ان علم الغيب مختص بالله تعالى وما وقع منه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما بوحي او الهام ويدل على ذلك الحديث الذي فيه انه لما ضلت ناقته صلى الله عليه وسلم تكلم بعض المنافقين وقال ان محمدا يزعم انه يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري اين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك والله اني لا اعلم الا ما علمني ربي وقد دلني ربي عليها وهي في موضع كذا وكذا احبستها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم فصح انه لا يعلم ما وراء جداره ولا غيره الا بما اعلم ربه تبارك وتعالى وذكر القاضي عياض في الشفا انه صلى الله عليه وسلم

باعتبار

ويعني الحديث رؤية

على انه

١٥٠

Copyright © King Saud University

كان يرى في الثريا احد عشر نجما وعند البيهقي اثنا عشر وفي حديث ابي هالة واذا
التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السما
جل نظره الملاحظة وهي مفاعلة من اللحظ وهو النظر بشق العين الذي
يلي الصدغ واما الذي في الانف فالموق والماق وقوله واذا التفت التفت
جميعا اراد انه لا يسارق النظر وقيل لا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة اذا نظر
الى الشي وانما يفعل ذلك الطايش الخفيف ولكن كان يقبل جميعا ويدبر جميعا
قاله ابن الاثير وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم عظيم العينين اهدب الاشفار مشرب العين بحمرة رواه
البيهقي وعن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع
الفم اشكل العينين منهوس القدمين رواه مسلم والشكلة الحمرة تكون في بياض
العين وهو محمود محبوب واما الشهلة فانها حمرة في سوادها وهذا هو الصواب
لا ما فسره به بعضهم بانه طول شق العين وعند الترمذي في حديث عن
علي انه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان في وجهه تدوير
ابيض مشربا ادعج العينين اهدب الاشفار الحديث والادعج الشديد سواد
الحدقة والاهدب الطويل الاشفار وهي شعر العين وعنده ايضا عن علي قال
كان اسود الحدقة اهدب الاشفار وعن علي بعثني النبي صلى الله عليه وسلم
الى اليمن لاخطب يوما على الناس وحبر من احبار يهود واقف بيده سفر ينظر
فيه فلما راني قال صف لي ابا القاسم فقلت ليس بالطويل البائن ولا بالقصير
الحديث وفيه قال علي ثم سكت فقال الحبر وماذا قلت هذا ما يحضرني
قال الحبر في عينيه حمرة حسن اللحية ثم قال علي هذه والله صفته قال
الحبر فاني اجد هذه الصفة في سفر ابائي واني اشهد انه نبي وانه رسول
الله الى الناس كافة الحديث واما سمعه الشريف فحسبكم انه قال صلى
الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما
وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته
ساجد لله تعالى رواه الترمذي من رواية ابي ذر واما ما رواه ابو نعيم
عن حكيم بن حزام بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه اذ قال
لهم تسمعون ما اسمع قالوا ما نسمع من شي قال اني لاسمع اطيط السما وما تلام ان تئط
وما فيها موضع شبر الا وعليه ملك ساجد او قايم واما جبينه الكريم صلى
الله عليه وسلم فقد كان واضح الجبين مقرون الحاجبين بهذا وصفه
علي كما عند ابن سعد وابن عساكر فقال مقرون الحاجبين صلت الجبين
اي واضحه والقران اتصال شعر الحاجبين وعند البيهقي عن رجل من

الصحابة

الجبين و

من الصحابة قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل حسن الوجه عظيم
الجبهة دقيق الحاجبين ولله در القايل سيدي محمد وفا

جبينه مشرق من فوق طرته * يتلو الضحى ليله والليل كافره
بالمسك خطت على كافور جبهته * من فوق نونا تحاكيها اظافره
يجل الخالق ما خصته خصايصه * منضر الحسن قد قلت نظايره

بلغ

وقال ابن ابي هالة ازج الحواجب وفسر بالمقوس الطويل الوافر الشعر
ثم قال من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اي يمتلي دما اذا غضب
كما يمتلي الضرع لبنا اذا در قاله في النهاية وعن مقاتل بن حيان قال اوحى
الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام اسمع واطع يا ابن الطاهرة البكر
البتول اني خلقتك من غير فحل فجعلتك اية للعالمين فاياي فاعبد وعلي
فتوكل فسر لاهل سوران اني انا الله الحي القيوم الذي لا ازول صدقوا
النبي الامي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة الجعد
الراس الصلت الجبين المقرون الحاجبين الاهدب الاشفار الادعج العينين
الاقنى الانف الواضح الخدين الكث اللحية عرقه في وجهه كاللولو وريح
المسك ينفح منه كان عنقه ابريق فضة الحديث والاكحل الواسع شق العين
والقرن بالتحريك التقا الحاجبين وما وصفه به ابن ابي هالة مخالف لما
في حديث مقاتل بن حيان وما في حديث ام معبد فانها قالت ازج اقرن اي
مقرون الحاجبين قال ابن الاثير والاول هو الصحيح في صفته يعني
سوابغ في غير قرن والقنا في الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب في
وسطه وقد وصف عليه الصلاة والسلام غير واحد بانه كان عظيم الهامة
اي الراس كذا في حديث ابن ابي هالة المشهور وقال علي بن ابي طالب
في حديث رواه الترمذي وصححه والبيهقي ضخم الراس وكذا قال انس في رواية
البخاري وكان عليه الصلاة والسلام ايضا ضخم الكراديس وهي روس العظام كما
وصفه به علي في حديث الترمذي وقال ايضا في رواية الترمذي جليل المشاش
والكتد وفسر بروس العظام كالركبتين والمرفقين والمنكبين اي عظيمها اهـ
والكتد بفتحتين ويجوز كسر التا مجتمع الكتفين وكان عليه الصلاة والسلام
دقيق العرنين اي اعلا الانف كما وصفه به علي في رواية ابن سعد وابن عساكر
وفي روايته ايضا عن ابن عمر من وصف علي له ايضا اقنا الانف وفسر بالسايل
المرتفع وسطه وقال ابن ابي هالة اقنى العرنين يعلوه نور يحسبه من لم يتامله
اشم والاشم الطويل قصبة الانف واما فمه الشريف صلى الله عليه وسلم ففي
مسلم من حديث جابر انه صلى الله عليه وسلم كان ضليع الفم يعني واسعه

Copyright King Saud University

وكذا وصفه به ابن ابي هالة وزاد بفتح الكلام ويختمه باشداقه يعني لسعة فمه
والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم وقال اشنب عظيم الاسنان وفي حديث عند
البزار والبيهقي قال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسيل
الخدين واسع الفم ووصفه صلى الله عليه وسلم ابن ابي هالة فقال اشنب
مفلج الاسنان والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيزها والفلج
للاسنان اي تفرقها وقال علي مفلج الثنايا بالموحدة اخرجه بن سعد من
حديث ابي هريرة وعند ابن عساكر عن علي براق الثنايا وعن ابن عباس
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افلج الثنيتين اذا تكلم رئي كالنور
يخرج من ثناياه رواه الترمذي في الشمايل والدارمي والطبراني في الاوسط
وكان عليه الصلاة والسلام احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم فم
الشهر في نحو ياقوتة صدف فيه جواهره وعن ابي قرصافة قال بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وامي وخالتي فلما رجعنا قالت لي امي
وخالتي يا بني ما رأينا مثل هذا الرجل احسن وجها ولا انقى ثوبا ولا الين كلاما
ورأينا كالنور يخرج من فيه واما ريقه الشريف ففي الصحيح عن سهل
ابن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين الراية
غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله
فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجوا ان
يعطاها فقال اين علي بن ابي طالب فقالوا يا رسول الله هو يشتكي عينيه
قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في
عينيه فبرئ حتى كان لم يكن به وجع الحديث متفق عليه واتي بدلو
من ماء فشرب من الدلو ثم صب في البير او قال ومج في البير ففاح منها مثل رائحة
المسك رواه احمد من حديث وايل بن حجر وبزق في بير في دار انس فلم يكن
بالمدينة بير اعذب منها رواه ابو نعيم وكان عليه الصلاة والسلام يوم عاشورا
يدعو برضعايه ورضعا ابنته فاطمة فيتفل في افواههم ويقول للامهات
لا ترضعنهم الى الليل فكان ريقه يجزيهم رواه البيهقي ودخلت عليه
عميرة بنت مسعود هي واخواتها يبايعنه وهن خمس فوجدنه ياكل قديدا
فمضغ لهن قديدة فمضغنها كل واحدة قطعة فلقين الله وما وجد
لافواههن خلوف رواه الطبراني ومسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة
بعد ان نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة وبطنه وكان به شري فما
كان يشم اطيب منه رائحة رواه الطبراني واعطى الحسن لسانه وكان قد
اشتد ظماه فمصه حتى روي رواه ابن عساكر ولله در امام العارفين سيدي محمد حبيش

يعود

يقول ۞ جنى النحل من فيه وفيه حياتنا ۞ ولكنه من لي بلثم لثامه ۞
رحيق الثنايا والمثاني تنفست ۞ اذا ما العبير فيح بطيب ختامه ۞

واما فصاحة لسانه وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فكان صلى الله عليه
وسلم افصح خلق الله واعذبهم كلاما واسرعهم اداء واحلاهم منطقا حتى كان كلامه
ياخذ بمجامع القلوب ويسلب الارواح شعر

ينظم در الثغر نثر مقوله ۞ فيا حسنه في نثره ونظامه
يناجي فينجي من يناجي من الجوى ۞ وكل كليم برؤه في كلامه

ففصاحة لسانه عليه الصلاة والسلام غاية لا يدرك مداها ومنزلة
لا يدانى منتهاها وكيف لا يكون ذلك وقد جعل الله تعالى لسانه سيفا من
سيوفه يبين عنه مراده ويدعو اليه عباده فهو ينطق بحكمه عن امره
ويبين عن مراده بحقيقة ذكره افصح خلق الله اذا لفظ وانصحهم اذا وعظ
لا يقول هجرا ولا ينطق هذرا كلامه كله يثمر علما ويمتثل شرعا وحكما لا يتفوه
بشر بكلام احكم من مقالته ولا اجزل منه في عذوبته وخليق بمن عبر عن
مراد الله بلسانه واقام به الحجة على عباده ببيانه وبين مواضع فروضه
واوامره ونواهيه وزواجره ووعده ووعيده وارشاده ان يكون
احكم الخلق جنانا وافصحهم لسانا واوضحهم بيانا وقد كان عليه الصلاة والسلام
اذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد ليس بهذ مسرع لا يحفظ
قالت عايشة رضي الله تعالى عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسرد سردكم هذا كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه وكان يعيد الكلمة
ثلاثا لتعقل عنه وكان يقول انا افصح العرب وقد قال له عمر بن الخطاب
يا رسول الله ما لك افصحنا ولم تخرج من بين اظهرنا فقال كانت لغة
اسماعيل قد درست فجاءني بها جبريل فحفظتها رواه ابو نعيم ورويه
العسكري من حديث علي بسند ضعيف جدا قال قدم بنو نهد على
النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه ذكر خطبتهم وما اجابهم النبي صلى
الله عليه وسلم قال فقلنا يا نبي الله نحن بنو اب واحد ونشانا في بلد
واحد وانك تكلم العرب بلسان ما نفهم اكثره فقال ان الله عز وجل ادبني فاحسن
تاديبي ونشات في بني سعد بن بكر وعن محمد بن عبد الرحمن الزهري عن
ابيه عن جده قال قال رجل يا رسول الله ايدالك الرجل امراته قال
نعم اذا كان مفلجا فقال له ابو بكر يا رسول الله ما قال لك وما قلت له
قال ايماطل الرجل امراته قلت له نعم اذا كان مفلسا قال ابو بكر يا رسول
الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت افصح منك قال ادبني

Copyright © King Saud University

زني وبنات في بني سعد رواه البيهقي في الدلائل بسنده وكذا اخرجه
ابن عساكر قال في القاموس وداالكه اي ماطله انتهى **وقوله** سلفي بضم الميم وفتح
الفا اسم فاعل من الفج الرجل فهو ملفج اذا كان فقيرا وهو غير مقيس **ومثله** احصن
فهو محصن واسهب فهو مسهب في الفاظ شذت والقياس الكسر قاله ابن مرزوق
لكن قال ابن الاثير لم يجي الا في ثلاثة احرف اسهب واحصن والفج **وقال**
غيره معناه ابداعب الرجل امراته يعني قبل الجماع وسماه مطلا لكون غرضها
الاعظم الجماع قال اذا كان عاجزا ليكون ذلك محركا لشهوته ولعجزه سمي مفلسا
واما ما يروي انا افصح من نطق بالضاد فقال ابن كثير لا اصل له انتهى لكن
معناه صحيح والله اعلم **وقد** حد الفصاحة بخلوص الكلام من التنافر والغرابة
ومخالفة القياس والمراد بالتنافر تقارب مخارج الحروف كقوله غدايره
مستشزرات الي العلا فان السين والشين والتا والزاي كلها متقاربة
المخارج والغرابة كون الكلمة لا تدل علي المراد من اول وهلة لاحتمال معني اخر
ومخالفة القياس استعمال الكلمة علي غير قياس كابقاء وجود المثلين من كلمة
واحدة من غير ادغام كقوله الحمد لله العلي الاجلل والفصاحة يوصف بها
الكلام والكلمة والمتكلم والبلاغة ان يطابق الكلام مقتضى الحال مع فصاحته
والجزالة خلاف الركاكة **ففصاحته** صلي الله عليه وسلم الي الحد الخارق للعادة البالغ نهاية
المزية والزيادة التي تصدع القلوب قبل الاذهان وتقرع الجوانح قبل الاذان
ما يروق ويفوق ويثبت له علي ساير البشر الحقوق التي لا تقابل بالعقوق فهو
صاحب جوامع الكلم وبدايع الحكم وقوارع الزجر وقواطع الامر والامثال السايرة
والغرر السايلة والدرر المنثورة والقضايا المحكمة والوصايا المبرمة والمواعظ
التي هي علي القلوب محكمة والحجج التي هي للد الخصام مفحمة ملجمة وقليل هذا الوصف
في حقه صلي الله عليه وسلم عليه وزاده فضلا وشرفا لديه **وقد** روي الحاكم في
مستدركه وصححه من حديث ابن عباس ان اهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلي
الله عليه وسلم **وبالجملة** فلا يحتاج العلم بفصاحته الي شاهد ولا ينكرها موافق
ولا معاند **وقد** جمع الناس من كلامه الفرد الموجز البديع الذي لم يسبق
اليه دواوين وفي كتاب الشفا للقاضي عياض من ذلك ما يشفي العليل
كقوله صلي الله عليه وسلم وشرف وعظم وكرم المرء مع من احب وقوله اسلم
تسلم يوتك الله اجرك مرتين وقوله السعيد من وعظ بغيره **ومما** لم يذكره
القاضي رحمه الله قوله عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات رواه
الشيخان وغيرهما وقوله ليس للعامل من عمله الا ما نواه وتحت هاتين
الكلمتين كنوز من العلم ولهذا قال الشافعي رحمه الله حديث الاعمال

بالنيات

نعجه

بالنيات يدخل في نصف العلم وذلك ان للدين ظاهرا وباطنا والنية متعلقة بالباطن
والعمل هو الظاهر وايضا فالنية عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح وقال
بعض الايمة حديث الاعمال بالنيات ثلث الدين ووجهه ان الدين قول وعمل
ونية وقوله ونية المومن خير من عمله رواه الطبراني لكن قال بعضهم لا يصح رفعه
قال ورواه القضاعي عن اسماعيل بن عبد الرحمن الصفار اخبرنا علي بن عبد
الله الفضل حدثنا محمد بن الحنفية الواسطي حدثنا يوسف ابن عطية عن
ثابت عن انس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يقول نية المومن ابلغ
من عمله قال وهذا اسناد لا ضوء عليه ويوسف بن عطية متروك الحديث
ورواه عثمان بن عبد الله الشامي من حديث النواس ابن سمعان وقال
نية المومن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله وقال ابن عدي عثمان
ابن عبد الله الشامي له احاديث موضوعات هذا من جملتها وقال ابن الجوزي
لا يصح رفعه ومعناه ان النية سر والعمل ظاهر والعمل السر افضل وهو
يقتضي انه لو نوي انه يذكر الله او يتفكر تكون نية الذكر والتفكر خيرا منه
وليس بصحيح وقيل ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهذا
بعيد لان العمل اذا خلا عن النية لم يكن فيه خير اصلا وقيل النية عمل القلب
والفعل عمل الجوارح وعمل القلب خير من عمل الجوارح فان القلب امير الجوا
رح وبينه وبينها علاقة فاذا تالمت تالم القلب واذا تالم القلب تالمت فارتعدت
الفرايص وتغير اللون فان الملك الراعي والجوارح خدمه ورعيته وعمل الملك
ابلغ من عمل رعيته وقيل لما كانت النية اصل الاعمال كلها وروحها ولبها
والاعمال تابعة لها فتصح بصحتها وتفسد بفسادها وهي التي تقلب العمل الصالح
فتجعله فاسدا وغير الصالح تجعله مثابا عليه ويثاب عليها اضعاف ما يثاب علي العمل
فلذا كانت نية المومن خيرا من عمله وقال ابو بكر بن دريد في مجتباه المعنى والله
اعلم ان المومن ينوي الاشيا من ابواب البر نحو الصدقة والصوم وغير ذلك
فلعله يعجز عن بعض ذلك وهو معقود النية عليه فنيته خير من عمله
وقوله يا خيل الله اركبي رواه ابو الشيخ في الناسخ والمنسوخ عن سعيد بن جبير
والعسكري عن انس وابن عايذ في المغازي عن قتادة ولفظه عند ابن عايذ قال
بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم يومئذ يعني يوم الاحزاب مناديا ينادي
يا خيل الله اركبي قال العسكري وابن دريد في مجتباه وهو اعلي المجاز والتوسع
اراد يا فرسان خيل الله اركبي فاختصره **وقوله** الولد للفراش وللعاهر الحجر
لا شي له في الولد وقيل اراد ان حظه الغلظة والخشونة من اقامة الحد التي
نهايتها رميه بالحجر وقيل اراد بالحجر هنا الكناية عن رجوعه بالخيبة في الولد

المومن

١٥٣

والله اعلم

اذا لم تكن المراة زوجاله والله اعلم وقوله كل الصيد في جوف الفرا وهو بفتح الفا اخاره
الوحش رواه الرامهرمزي في الامثال وسنده جيد ولكنه مرسل ونحوه عند ابن
العسكري وقال جوف او جنب وهذا خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم ابا سفيان
ابن الحارث بن عبد المطلب حين جاءه مسلما بعد ان كان عدوا له هجا كثير الهجا
مقذعا فيه فكانه يقول صلى الله عليه وسلم ان الحمار الوحشي من اعظم ما يصاد
وكل صيد دونه كانك من اعظم اهلي واسمهم رحابي ومن اكرم من يانيني وكل مو
دونك انتهى وقد قال ذلك صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب لما بعث نعيم
بن مسعود وامره ان يخذل بين قريش وغطفان واليهود واشار بذلك الى
ان المماكرة انفع من المكاثرة وقوله الحرب خدعة رواه البخاري ومسلم عن
ابي هريرة قال سمى النبي صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وليس عند مسلم سمى
وقوله خدعة مثلث الخا اشهرها فتح الخا واسكان الدال قال ثعلب وغيره
وهي لغة النبي صلى الله عليه وسلم والثانية ضم الخا واسكان الدال والثالثة ضم
الخا وفتح الدال وقد قال ذلك صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب لما بعث نعيم
ابن مسعود وامره ان يخذل بين قريش وغطفان واليهود واشار بذلك الى ان
المماكرة انفع من المكاثرة قال النووي اتفق العلما على جواز خداع الكفار في الحرب كيف
امكن الا ان يكون فيه نقض عهد او امان فلا يحل وقوله واياكم وخضرا الدمن
رواه الرامهرمزي والعسكري في الامثال وابن عدي في الكامل وابو بكر
ابن دريد في المجتنى والقضاعي في مسند الشهاب والديلمي من حديث الواقدي
حدثنا محمد بن سعيد بن دينار عن ابي وجزة يزيد بن عبيد عن عطا بن يزيد
الليثي عن ابي سعيد مرفوعا قيل يا رسول الله وما ذاك قال المراة الحسنا في
المنبت السو قال ابن عدي تفرد به الواقدي ومعناه انه كره نكاح الفاسدة
وقال ان اعراق السو تنزع اولادها وتفسير حقيقته ان الريح تجمع الدمن وهو
البعر في البقعة من الارض ثم يركبه السافي فاذا اصابه المطر نبت نبتا غضا
ناعما يهتز وتحته الاصل الخبيث فيكون ظاهره حسنا وباطنه فاسدا والدمن
جمع دمنة وهي البعرة وانشد زفر بن الحارث وقد ينبت المرعى على دمن الثرى
وتبقى حزازات النفوس كما هي ومعنى البيت ان الرجلين قد يظهران الصلح
والمودة وينطويان على البغضا والعداوة كما ينبت المرعى على الدمن وهذا هو
الكثير او الكلي في زماننا اشار اليه شيخنا وقوله الانصار كرشي وعيبتي رواه
البخاري اي انهم بطانته وموضع سره والعيبة كذلك لان المجتر يجمع علفه
في كرشه والرجل يضع ثيابه في عيبته وقيل اي هم الذين اعتمد عليهم
واثق بهم واقوى بهم وقيل اراد بالكرش الجماعة اي جماعتي وصحابتي ويقال

عليه

وراه الخطابي

عليه كرش من الناس اي جماعة ويدفع في رواية الترمذي الا ان عيبتي التي
اوي اليها اهل بيتي وان كرشي الانصار وقوله ولا يجني على المرء الا يده ولا احمد
وابن ماجه من حديث عمرو بن الاحوص لا يجني جان الا على نفسه الحديث
وقد اراد صلى الله عليه وسلم بهذا انه لا يوخذ انسان بجناية غيره ان قتل
او جرح او زنا وانما يوخذ بجنايته يده فيده هي التي ادنته الى ذلك وقوله
ليس الشديد من غلب الناس انما الشديد من غلب نفسه رواه ابن حبان في صحيحه
ورواه الشيخان بلفظ ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه
عند الغضب يعني اذا ملكها كان قد قهر اكبر اعدايه وشر خصومه ولذلك
قال اعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك وهذا من باب المجاز ومن فصيح
الكلام لانه لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ وقد ثارت عليه شرة
من الغضب وقهرها بحلمه وصرعها بثباته كان كالصرعة الذي يصرع
الرجال ولا يصرعونه وقوله ليس الخبر كالمعاينة رواه احمد وابن منيع
والطبراني والعسكري وقوله المجالس بالامانة رواه العقيلي في ترجمة
حسين بن عبد الله بن ضمرة عن ابيه عن جده عن علي رفعه وعن جابر
ابن عتيك اذا حدث الرجل ثم التفت فهي امانة ورواه ابو داود في سننه
والترمذي في جامعه وابن ابي الدنيا في الصمت وغيرهم ففي هاتين الكلمتين
من الحث على اداب العشرة واداب الصحبة وكتم السر وحفظ الود وحسن العهد
واصلاح ذات البين والتحذير من النميمة بين الاخوان الموقعة للشنان ما لا
يكاد يخفى على مبادي الاذهان وقوله البلا موكل بالمنطق رواه ابن ابي شيبة
والبخاري في الادب المفرد من رواية ابراهيم عن ابن مسعود ورواه الديلمي
عن ابي الدردا مرفوعا البلا موكل بالمنطق واورده ابن الجوزي في الموضوعات
من حديث ابي الدردا وابن مسعود قال شيخنا في المقاصد الحسنة ولا يحسن
مع مجموع ما ذكرناه الحكم عليه بالوضع ويشهد لمعناه قوله صلى الله عليه وسلم
للاعرابي الذي دخل عليه يعوده وقال لا باس طهور فقال الاعرابي بل
هي حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور فقال عليه الصلاة والسلام
نعم اذا وانشد في معناه لا تنطقن بما كرهت فربما نطق اللسان بحادث فيكون
وقوله عليه الصلاة والسلام ترك الشر صدقة ومعنى ذلك ان من ترك
الشر واذى الناس فكانه تصدق عليهم وعلم من ذلك ان فضل ترك الشر
كفضل الصدقة انتهى وقوله اي دا ادوى من البخل رواه البخاري والبخل
قد جعله صلى الله عليه وسلم دا وليس بدا مولم لصاحبه وانما شبهه بالدا
اذا كان مفسدا للرجل مع قال له سوال النسا كان الدا يوول الطول الضنا

Copyright King Saud University

النهي

وشدة العناد والمقصد في هذا النهي عن البخل اعاذنا الله منه وقوله لا تنتطح فيها
عنزان اي لا يجري فيها خلف ولا نزاع وقوله الحاجبر كله متفق عليه وقوله
اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع رواه في مسند الفردوس من حديث ابي هريرة الديلمي
وقوله سيد القوم خادمهم رواه ابو عبد الرحمن السلمي في اداب الصحبة له
عن عقبة بن عامر رفعه وفي سنده ضعف وانقطاع ورواه غيره ايضا وقوله
فضل العلم خير من فضل العبادة رواه الطبراني والبزار وقوله الخيل في نواصيها
الخير متفق عليه من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه بلفظ الخيل في
نواصيها الخير الى يوم القيامة وفي لفظ لغيرهما معقود بنواصيها الخير وقوله
اعجل الاشيا عقوبة البغي وقوله وان من الشعر لحكما رواه ابو داود من رواية
صخر بن عبد الله ابن بريدة عن ابيه عن جده سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان من البيان لسحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما فقال
صعصعة بن صوحان صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اما قوله
ان من البيان لسحرا فالرجل يكون عليه الحق وهو الحن بالحجج من صاحب
الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق واما قوله ان من العلم جهلا فيتكلف
العالم الى علمه ما لا يعلم فيجهله واما قوله ان من الشعر حكما فهي هذه المواعظ
والامثال التي يتعظ بها الناس ومفهومه ان بعض الشعر ليس كذلك
لان من تبعيضية وفي البخاري ان من الشعر حكمة اي قولا صادقا مطابقا
للحق قال الطبري وفي هذا الحديث رد على من كره الشعر مطلقا واحتج
بقول ابن مسعود الشعر حكمة اي قولا صادقا مطابقا للحق قال الطبري
وفي هذا الحديث رد على من كره الشعر مطلقا واحتج بقول ابن مسعود
الشعر مزامير الشيطان وعن ابي امامة رفعه ان ابليس لما اهبط الى
الارض قال رب اجعل لي قرانا قال قرانك الشعر ثم اجاب عن ذلك بانها
احاديث واهية وهو كذلك فحديث ابي امامة فيه علي بن زيد الالهاني
وهو ضعيف وعلى تقدير قوتها فهو محمول على الافراط فيه والاكثار منه
ويدل على الجواز احاديث كثيرة منها ما اخرجه البخاري في الادب المفرد عن
عمرو بن الشريد عن ابيه استنشدني النبي صلى الله عليه وسلم في شعر امية
ابن ابي الصلت فانشدته مائة قافية وقوله الصحة والفراغ نعمتان رواه
البخاري وقوله استعينوا على الحاجات بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود
رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة عن معاذ بن جبل رفعه واخرجه
الخلعي عن علي مرفوعا استعينوا على قضا الحوائج بالكتمان لها وقوله
المكر والخديعة في النار رواه الديلمي عن ابي هريرة ومعناه ان ذا المكر والخداع

لا يكون

لا يكون تقيا ولا خائفا لله لانه اذا مكر غدر واذا غدر خدع واذا فعلها اوبق نفسه
وهذا لا يكون في تقي فكل خلة جانبت التقى فهي في النار وقوله من
غشنا ليس منا رواه مسلم في صحيحه وقوله المستشار مؤتمن رواه
احمد وغيره ومعناه ان من افضى اليك بسره وامنك على ذات نفسه فقد
جعلك بموضع نفسه فيجب عليك ان لا تشير عليه الا بما تراه صوابا فانه
كالامانة للرجل الذي لا يامن على ايداع ماله الا الثقة في نفسه والسر الذي
ربما كان في اذاعته تلف النفس اولى بان لا يجعل الا عند الموثوق به وقوله
الندم توبة رواه الطبراني في الكبير وقوله الدال على الخير كفاعله رواه
العسكري وابن جميع من طريقة المنذري عن ابن عباس في حديث
مرفوع بلفظ وكل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب
اغاثة اللهفان والمعنى ان من دلك على خير وارشدك اليه ففعلته بارشا ده
فكانه فعل ذلك الخير وقوله حبك للشي يعمي ويصم رواه ابو داود والعسكري
من حديث بقية بن الوليد عن ابي بكر بن عبد الله بن ابي مريم عن خالد
ابن محمد الثقفي عن بلال بن ابي الدردا عن ابيه مرفوعا ولم يتفرد به
بقية بل توبع عليه وابن ابي مريم ضعيف وقد حكم الصغاني عليه بالوضع
وتعقبه العراقي وقال ابن ابي مريم لم يتهمه احد بكذب ويكفينا سكوت
ابي داود عليه فليس بموضوع بل ولا شديد الضعف فهو حسن وقال العسكري
اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان من الحب ما يعميك عن طريق الرشد و
يصمك عن استماع الحق وان الرجل اذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له رادع
من عقل او دين اصمه حبه عن العذل واعماه عن الرشد ولذا قال بعض الشعرا
وعين الرضى عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا
اشار اليه شيخنا في المقاصد الحسنة وقوله عليه الصلاة والسلام
العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضي والزعيم غارم رواه
الترمذي وابو داود وقوله سبقك بها عكاشة رواه البخاري وقوله
عجب ربك من كذا اي في عدة روايات عند البخاري وغيره ومعناه
كما قاله ابن الاثير عظم ذلك عنده وكبر لديه اعلم ان الله انما يتعجب
الادمي من الشي اذا عظم موقعه عنده وخفي عليه سببه فاخبرهم بما
يعرفون ليعلموا موقع هذه الاشيا عنده وقيل معنى عجب ربك اي رضي
واثاب فسماه عجبا مجازا وليس بعجب في الحقيقة والاول الوجه وقوله
قتل صبرا رواه غير واحد وقوله ليس المسئول باعلم من السائل رواه
مسلم وغيره وقوله ولا ترفع عصاك عن اهلك رواه احمد اي لا تدع تاديبهم

Copyright King Saud University

وجمعهم على طاعة الله تعالى يقال شق العصا اي فارق الجماعة وليس المراد هو
الضرب بالعصا ولكنه جعله مثلا وقيل لا تغفل عن ادبهم ومنعهم من الفساد
قاله ابن الاثير **وقوله** لما ينبت الربيع لما يقتل حبطا او يلم رواه البخاري
وذكره ابن ابي ذريك وقال انه من الكلام المفرد الوجيز الذي لم يسبق صلى الله
عليه وسلم اليه معناه اي كل ما انبت الجدول واسناد الانبات اليه مجاز المنبت
في الحقيقة هو الله تعالى وليست من للتبعيض وحبطا بفتح المهملة والموحدة
والطا المهملة ايضا وهو انتفاخ البطن من كثرة الاكل حتى ينتفخ فيموت ويلم
بضم اليا اي يقرب من الهلاك وهو مثل للمنهمك في جمع الدنيا المانع من اخراجها
في وجهها **وقوله** عليه الصلاة والسلام خير المال عين ساهرة لعين نايمة
ومعناه عين ما تجري ليلا ونهارا وصاحبها نايم فجعل دوام جريانها سهرا
لها **وقوله** خير مال المرء مهرة مامورة او سكة مابورة رواه الامام احمد والطبراني
عن سويد بن هبيرة ومعنى مابورة كثيرة النتاج ومسكة مابورة اي طريقة
مصطفة من النخل ومنه قيل للازقة سكة والتابير تلقيح النخل انتهى **وقوله**
عليه الصلاة والسلام من ابطا به عمله لم يسرع به نسبه رواه مسلم من حديث
ابي هريرة **وقوله** زر غبا تزدد حبا رواه البزار والحرث ابن ابي اسامة عن
ابي هريرة مرفوعا وفي بعض احاديث الباب انه قيل له يا ابا هريرة اين
كنت امس قال زرت ناسا من اهلي فقال يا ابا هريرة زر غبا تزدد حبا
وقوله انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم رواه ابو يعلى والبزار
من طرق احدها حسن بلفظ انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن يسعهم
منكم بسط الوجه وحسن الخلق **وقوله** الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد
الخل العسل رواه الطبراني في الكبير والاوسط والبيهقي **وقوله** ان
هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان
المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى رواه البزار والحاكم في علومه والبيهقي في
سننه كلهم من طريق محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا
وهو ما اختلف فيه على ابن سوقة في ارساله ووصله وفي رفعه ووقفه
وفي الصحابي او هو جابر او عايشة او عمر ورجح البخاري في تاريخه من حديث
ابن المنكدر الارسال ومعناه انه بقي في طريقه عاجزا عن مقصده لم يقض
وطره وقد اعطب ظهره والوغول الدخول فكانه قال ان هذا الدين
مع كونه يسيرا سهلا شديد فبالغوا فيه بالعبادة لكن اجعلوا تلك المبالغة
مع رفق فان من بالغ بغير رفق وتكلف من العبادة فوق طاقته يوشك
ان يمل حتى ينقطع عن الواجبات فيكون مثله كمثل الذي يعسف الركاب

وتحملها

وتحملها من السير على ما لا تطيق رجا الاسراع فينقطع ظهره فلا هو الذي
قطع الارض الذي اراد ولا هو ابقى ظهره سالما ينتفع به بعد ذلك **وقوله**
عليه الصلاة والسلام من شاد هذا الدين غلبه رواه العسكري عن بريدة
وللبخاري من حديث معن بن محمد الغفاري عن سعيد المقبري عن
ابي هريرة مرفوعا ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا
وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشي من الدلجة **وقوله**
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله الاماني رواه الحاكم عن شداد بن اوس وقال صحيح على شرط
البخاري وتعقبه الذهبي بابن ابي مريم وهو واه وكذا رواه العسكري
والقضاعي والترمذي وابن ماجة **وقوله** ما حاك في صدرك فدعه رواه
الطبراني في الكبير من حديث ابي امامة **وقوله** تنكح المراة لجمالها ومالها
ودينها وحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك متفق عليه من حديث
ابي هريرة **وقوله** الشتا ربيع المومن قصر نهاره فصامه وطال ليله
فقامه رواه البيهقي واحمد وابو نعيم مختصرا والعسكري بتمامه كلهم من
حديث دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد وله شواهد وانما كان الشتا
ربيع المومن لانه يرتع فيه في بساتين الطاعة ويسرح في ميادين
العبادات وينزه قلبه في رياض الاعمال الميسرة فيه من الطاعات فان
المومن يقدر على صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة ولا يحصل له جوع
ولا عطش فان نهاره قصير بارد فلا يحصل فيه مشقة الصيام **وقوله**
عليه الصلاة والسلام القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى رواه الطبراني
في الاوسط من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر عن ابيه عن جابر
والقضاعي بدون وكنز لا يفنى عن انس وفي القناعة احاديث كثيرة ولو لم
يكن في القنع الا التمتع بالعز لكفى صاحبه وكان من دعايه عليه الصلاة والسلام
اللهم قنعني بما رزقتني وانشد بعضهم

لعمرك ما ذاق الغنا من لا قنوع له ۞ ولن ترى قانعا ما عاش مفتقرا

وقوله عليه الصلاة والسلام ما خاب من استخار ولا ندم من استشار
ولا عال من اقتصد رواه الطبراني في معجمه الاوسط من حديث انس
وقوله عليه الصلاة والسلام الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة
والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السوال نصف العلم رواه
البيهقي في الشعب والعسكري في الامثال وابن السني والديلمي من طريقه
والقضاعي كلهم من حديث نافع عن ابن عمر مرفوعا وضعفه البيهقي

١٥٦

Copyright © King Saud University

لكن له شاهد عند العسكري من حديث خلاد بن عيسى عن ثابت عن انس
رفعه الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق نصف الدين وكذا اخرجه الطبراني
وابن لال ومن شواهده ايضا للعسكري عن انس رفعه السوال نصف
العلم والرفق نصف المعيشة وما عال امري في اقتصاد وللديلمي من حديث
ابي امامة رفعه السوال نصف العلم والرفق نصف المعيشة وفي صحيح ابن
حبان من حديث طويل عن ابي ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا ابا
ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق وهذا اللفظ
عند البيهقي في الشعب وله ايضا وللعسكري عن علي مرفوعا التودد نصف
الدين وما عال امري قط على اقتصاد اي ما افتقر من انفق قصدا ولم يجاوز
الى الاسراف **وقوله** عليه الصلاة والسلام المومن من امنه الناس رواه
الترمذي **وقوله** السلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر
ما حرم الله متفق عليه عن ابن عمرو به مرفوعا وعن ابي موسى ومسلم
عن جابر **وقوله** قلة العيال احد اليسارين رواه صاحب مسند الفردوس
ولفظ التدبير نصف المعيشة والتودد نصف العقل والهم نصف الهرم
وقلة العيال احد اليسارين **وقوله** عليه الصلاة والسلام اد الامانة
الى من ايتمنك ولا تخن من خانك رواه ابو داود والترمذي من رواية
شريك وقيس بن الربيع كلاهما عن ابي صالح والحرث من رواية الحسن
كلاهما عن ابي هريرة وقال الترمذي حديث حسن غريب واخرجهم
الدارمي في مسنده والدارقطني والحاكم وقال انه صحيح على شرطهما
ولكن اعله ابن حزم وكذا ابن القطان والبيهقي وقال ابو حاتم انه
منكر وقال الشافعي انه ليس بثابت عند اهله وقال احمد هذا الحديث
باطل لا اعرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه صحيح قال
شيخنا لكن بانضمامه يقوى الحديث انتهى **وقوله** الرضاع يغير
الطباع رواه ابو الشيخ من حديث ابن عمر **وقوله** عليه الصلاة والسلام
لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له رواه احمد وابو يعلى في
مسنديهما والبيهقي في الشعب عن انس **وقوله** النسا حبايل الشيطان
رواه في مسند الفردوس عن عقبة ابن عامر **وقوله** عليه الصلاة
والسلام حسن العهد من الايمان رواه الحاكم في مستدركه عن عايشة
قالت جات عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي فقال لها من
انت قالت جثامة المزنية قال انت حسانة كيف انتم كيف حالكم كيف كنتم
بعدنا قالت بخير بابي انت وامي فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على

هذه

العجوز

هذه هذا الاقبال قال انها كانت تاتينا زمن خديجة وان حسن العهد من
الايمان وقال انه صحيح على شرط الشيخين وليس له علة **وقوله** صلى
الله عليه وسلم جمال الرجل فصاحة لسانه رواه القضاعي من حديث الاوزاعي
والعسكري من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر كلاهما عن محمد بن المنكدر
عن جابر مرفوعا واخرجه ايضا الخطيب وابن طاهر وفي اسناده احمد
ابن عبد الرحمن بن الجارود الرقي والديلمي من حديث جابر رفعه الجمال
صواب المقال والكمال حسن الفعال بالصدق وعند العسكري من
حديث العباس قلت يا نبي الله ما الجمال في الرجل قال فصاحة لسانه
وقوله عليه الصلاة والسلام منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب
دنيا رواه الطبراني في الكبير والقضاعي عن ابن مسعود وهو عند البيهقي
في المدخل عن القاسم قال قال ابن مسعود منهومان لا يشبعان طالب
علم وصاحب الدنيا ولا يستويان اما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان
واما صاحب العلم فيزداد من رضى الرحمن وقال انه موقوف منقطع
ولذا رواه البزار والعسكري وغيرهما وبمجموعها يتقوى وان كانت
مفرداته ضعيفة والله اعلم **وقوله** عليه الصلاة والسلام لا فقر اشد من
الجهل ولا مال اعز من العقل ولا وحشة اشد من العجب رواه ابن ماجه **وقوله**
عليه الصلاة والسلام الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن
كما شيت رواه في مسند الفردوس عن ابن عمر **وقوله** عليه الصلاة والسلام
ما جمع شي الى شي افضل من علم الى حلم رواه العسكري في الامثال من حديث
جعفر بن محمد عن ابيه عن علي بن الحسين عن علي به مرفوعا بزيادة
وافضل الايمان التحبب الى الناس ثلاث من لم تكن فيه فليس مني ولا من
الله حلم يرد به جهل الجاهل وحسن خلق يعيش به في الناس وورع
يحجزه عن معاصي الله وعنده ايضا من حديث جابر مرفوعا ما اوي شي
الى شي احسن من حلم الى علم وصاحب العلم غرثان الى حلم **وقوله** عليه
الصلاة والسلام التمسوا الرزق في خبايا الارض رواه في جزبين عن
ابن ابي شريح والمراد الزرع وانشد

واتبع خبايا الارض وادع مليكها ... لعلك يوما ان تجاب فترزقا

وقوله عليه الصلاة والسلام كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل
وعد نفسك في اهل القبور رواه البيهقي في الشعب والعسكري من
حديث ابن عمر مرفوعا في حديث واخرجه البخاري والترمذي وغيرهم **وقوله**
عليه الصلاة والسلام صنايع المعروف تقي مصارع السو وصدقة السر

Copyright King Saud University

تطفي غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر اخرجه الطبراني في الكبير بسند
حسن وقوله عليه الصلاة والسلام العفو لا يزيد العبد الا عزا والتواضع
لا يزيده الا رفعة وما نقص مال من صدقة وروي مسلم ما نقصت صدقة
من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله
وروي القضاعي عن ابي سلمة عن ام سلمة مرفوعا ما نقص مال من صدقة
ولا عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله تعالى بها عزا وروي الديلمي من حديث
ابي هريرة مرفوعا والذي نفس محمد بيده لا ينقص مال من صدقة رواه
الترمذي وقال حسن صحيح وقوله عليه الصلاة والسلام اللهم اني اعوذ بك
من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيي
اخرجه ابو داود في جامعه والحاكم في مستدركه عن شكل وقوله اللهم اني اعوذ
بك من شر فتنة الغني رواه البخاري وقوله عليه الصلاة والسلام ان الدنيا
عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر وان الاخرة وعد صادق يحكم فيها ملك
عادل قادر يحق فيها الحق ويبطل الباطل تكونوا ابنا الاخرة ولا تكونوا ابنا
الدنيا فان كل ام يتبعها ولدها رواه ابو نعيم في الحلية من حديث شداد
وقوله عليه الصلاة والسلام اخسر الناس صفقة من اذهب اخرته بدنيا
غيره وعند ابن النجار من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه وهو
ما بيض له الديلمي اخسر الناس صفقة رجل اخلق يديه في اماله ولم تساعده
الايام على امنيته تخرج من الدنيا بغير زاد وقدم على الله بغير حجة وقوله
عليه الصلاة والسلام ان من كنوز البر كتمان المصايب وقوله عليه الصلاة
والسلام اليمين حنث او ندم رواه ابو يعلى وابن ماجة الا انه قال الحلف
وقوله عليه الصلاة والسلام اليوم الرهان وغدا السباق والغاية الجنة
والهالك من دخل النار وقوله عليه الصلاة والسلام من ضمن لي ما بين
رجليه وما بين لحييه ضمنت له على الله الجنة رواه جماعة منهم العسكري
به وفي البخاري والترمذي عن سهل بن سعد بلفظ من يضمن لي ما بين
لحييه وما بين رجليه اضمن له الجنة والمراد بما بين لحييه اللسان وما
ياتي به النطق وما بين رجليه الفرج وقال الداودي المراد ما بين اللحيين
الفم يتناول الاقوال والاكل والشرب وساير ما ياتي بالفم وفي لفظ من
توكل ما بين فقميه ورجليه اتوكل له بالجنة والفقم بالضم والفتح اللحي
وفي لفظ اخر من تكفل لي تكفلت له وللديلمي بسند ضعيف عن انس
رفعه من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه وجبت له الجنة وفي لفظ
الاحيا وفي بعضها البطن من القبقبة وهو حدث يسمع في البطن وكانها

حكاية ذلك الصوت ويجوز ان يكون كناية عن اكل الحرام وشبهه والذكر
والذكر واللسان فهذه واشباهه ما يعسر استقصاؤه يدلك على ذلك انه
صلى الله عليه وسلم قد رقي في الفصاحة وجوامع الكلم درجة لا يناس بها غيره
وحاز مرتبة لا يقدر فيها قفيره صلى الله عليه وسلم وبها من وجوه بلاغته
ما ذكر انه جمع متفرقات الشرايع وقواعد الاسلام في اربعة احاديث وهي
حديث انما الاعمال بالنية رواه وحديث الحلال بين والحرام بين رواه
مسلم وحديث البينة على المدعي واليمين على من انكر وحديث لا يكمل ايمان
المرء حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه رواه الشيخان فالحديث الاول
يشتمل على ربع العبادات والثاني يشتمل على ربع المعاملات والثالث على ربع
الحكومات وفصل الخصومات والرابع على ربع الاداب والمناصفات ويدخل
تحت التحذير من الجنايات وقال ابن المنير ومما عدا ايضا من انواع بلاغة
كلامه عليه الصلاة والسلام مع كل ذي لغة بليغة بلغتهم اتساعا في الفصاحة
واستحداثا للالفة فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب اهل الحضر بكلام الين من الدهن
وارق من المزن ويخاطب اهل البدو بكلام ارسى من الهضب وارهف من العضب
فانظر الى دعائه لاهل المدينة حين سالوه ذلك فقال اللهم بارك لهم في مكيالهم
وبارك لهم في صاعهم ومدهم وفي حديث اخر بارك لنا في تمرنا وبارك لنا في مدينتنا
وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا اللهم اني ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك ابراهيم
لمكة ومثله معه ثم انظر دعائه لبني نهد وقد وفدوا عليه في جملة الوفود
فقام طهفة بن رهم النهدي يشكو الجدب فقال يا رسول الله اتيناك من
غوري تهامة باكوار الميس ترتمي بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب
الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستحيل الجهام من ارض غائلة
النطا غليظة الموطا قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج
ومات العسلوج وهلك الهدي ومات الودي برئنا اليك يا رسول الله
من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة الاسلام وشريعة الاسلام
ما طما البحر وقام تعار ولنا نعم همل اغفال ما تبل ببلال ووقير كثير الرسل
قليل الرسل اصابتها سنية حمرا مؤزلة ليس بها علل ولا نهل فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها
وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد
من اقام الصلاة كان مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله
الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط في
الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة ثم كتب معه كتابا الى

بني نهد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى بني نهد بن زيد السلام
على من آمن بالله عز وجل ورسوله لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة
ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع
سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الاماق وتاكلوا الرباق
من اقر بما في هذا الكتاب فله من رسول الله الوفا بالعهد والذمة ومن
ابى فعليه الربوة (ويحتاج) هذه الالفاظ البالغة اعلا انواع البلاغة الى
التفسير فالميس شجر صلب يعمل منه اكوار الابل ورحالها ونستحلب
بالحا المهملة الصبير بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة وهو سحاب ابيض
متراكب متكاثف اي نستدر السحاب ونستخلب بالخا المعجمة ايضا الموحدة
النبات والعشب شبه بخبير الابل وهو وبرها واستخلابه احتشاشه
وهو المنجل والخبير يقع على الوبر والزرع والاكار قاله ابن الاثير ونستعضد
البرير اي نقطعه ونجنيه من شجره للاكل وهو بموحدة وراءين بينهما مثناة
تحتية ثمر الاراك اذا اسود وبلغ وقيل هو اسم له في كل حال وكانوا ياكلونه
في الجدب ونستخيل بالخا المعجمة الرهام بكسر الرا وهي الامطار الضعيفة
واحدتها رهمة اي نتخيل الما في السحاب القليل وقيل الرهمة اشد وقعا
من الديمة ونستجيل بالجيم اي نراه جائلا يذهب به الريح ها هنا وها هنا
والجهام بالجيم اي السحاب الذي فرغ ماؤه ومن روى نستخيل بالخا المعجمة
فهو نستفعل من خلت اخال اذا ظننت اراد لا نتخيل في السحاب حالا الا
المطر وان كان جهاما لشدة حاجتنا اليه ومن رواه بالحا المهملة وهو الاشهر
اراد لا ننظر من السحاب في حال الا الى جهام من قلة المطر وارض غائلة
بالغين المعجمة والنطا بكسر النون اي مهلكة للبعد يقال بلد نطي اي
بعيد ويروى المنطى وهو مفعل منه والمدهن نقرة في الجبل والجعثن
بالجيم والمثلثة اصل النبات ويقال اصل الصليان خاصة وهو نبت
معروف والعسلوج بضم العين وبالسين المهملتين اخره جيم وهو
الغصن اذا يبس وذهبت طراوته وقيل هو القضيب الحديث
الطلوع يريد ان الاغصان يبست وهلكت من الجدب وجمعه عسالج
والاملوج بالضم والجيم ورق شجر يشبه الطرفا والسرو وقيل هو ضرب
من النبات ورقه كالعيدان وقيل هو نوى المقل وفي رواية وسقط
الاملوج ومن البكارة بالكسر جمع البكر بالفتح يريد ان السمن الذي قد علا
بكارة الابل بما رعت من هذه الشجرة قد سقط عنها فسماه باسم المرعى
اذا كان سببا له وهلك الهدي بفتح الها والدال المهملة والتشديد كالهدي

بالتخفيف

بالتخفيف وهو ما يهدى الى البيت الحرام من النعم لينحر فاطلق على جميع الابل
وان لم تكن هديا تسمية للشي ببعضه يقال كم هدي بني فلان اي كم ابلهم
ومات الودي بالتشديد يعني فسيل النخل يريد هلكت الابل ويبست النخل
وبرئنا اليك من الوثن والعنن الوثن الصنم والعنن الاعتراض يقال
عن لي الشي اي اعترض كانه قال برئنا اليك من الشرك والظلم وقيل
اراد به الخلاف والباطل وما طما البحر اي ارتفع بامواجه وتعار بكسر التا
المثناة الفوقية يصرف ولا يصرف اسم جبل ولنا نعم همل اي مهملة لا رعاء
لها ولا فيها ما يصلحها ويهديها فهي كالضالة والابل الاغفال لا لبن فيها
(وقوله) عليه الصلاة والسلام في محضها بالحا المهملة والضاد المعجمة اي خالص
لبنها ومخضها بالمعجمتين ما تمخض من اللبن واخذ زبده ومذقها بفتح الميم وسكون
المعجمة وبالقاف اي ممزوج بالما وابعث راعيها في الدثر بالمهملة المفتوحة
ثم المثلثة الساكنة ثم الرا المال الكثير وقيل الخصب والنبات الكثير وافجر
له الثمد بفتح المثلثة الما القليل اي صيره كثيرا وودائع الشرك قيل المراد بها
العهود والمواثيق يقال توادع الفريقان اذا اعطى كل واحد منهم عهده
للاخر بان لا يغزوه وقيل ما كانوا استودعوه من اموال الكفار الذين لم يدخلوا
في دين الاسلام اراد احلالها لهم لانها مال كافر قدر عليه من غير عهد ولا شرط
ووضائع الملك جمع وضيعة وهي الوظيفة التي تكون على الملك وهو ما يلزم
الناس في اموالهم من الزكاة والصدقة اي لكم الوظائف التي تلزم المسلمين
لا نتجاوزها عنكم ولا نزيد عليكم فيها شيئا ولا تلطط بضم المثناة الفوقية ثم اللام
الساكنة ثم طاءان الاولى مكسورة والثانية مجزومة على النهي اي لا تمنعها ولا
تلحد في الحياة بضم المثناة الفوقية واسكان اللام وكسر الحا المهملة اخره دال
مهملة اي لا تمل عن الحق ما دمت حيا قال بعضهم كذا رواه القتيبي ولا
تلطط ولا تلحد على النهي للواحد ولا وجه له لانه خطاب للجماعة ورواه
غيره ما لم يكن عهد ولا موعد ولا تثاقل عن الصلاة ولا تلطط في الزكاة
ولا تلحد في الحياة قال الحافظ ابو السعادات الجزري وهو الوجه لانه
خطاب للجماعة واقع على ما قبله وقوله لا تثاقل عن الصلاة اي لا تتخلف
والوظيفة الحق الواجب والفريضة اي الهرمة المسنة اي لا ناخذ في
الصدقات هذا الصنف كما لا ناخذ خيار المال والفارض بالفا والضاد
المعجمة المريضة والفريش بفتح الفا اخره شين معجمة وهو من الابل
كالنفسا من بنات ادم اي لكم خيار المال وشراره ولنا وسطه وذو العنان
بكسر العين سير اللجام والركوب بفتح الرا اي الفرس الذلول والضبيس

١٥٩

بفتح المعجمة وكسر الموحدة آخره مهملة المهر العسر الصعب امتن عليهم
بترك الصدقة في الخيل جيدها وردئها ولا يمنع بضم المثناة التحتية وفتح النون
سرحكم بفتح السين المهملة وسكون الراء والحا المهملة ما سرح من المواشي اي
لا يدخل عليكم احد في مراعيكم ولا يعضد طلحكم اي لا يقطع ولا يحبس دركم اي
لا تحبس ذوات اللبن عن المرعى الى ان تجتمع الماشية ثم تعد وانما معناه ان لا
تاخذوها لما في ذلك من الاضرار والاماق بالميم اي مالم تضمروا الغيظ والبكا
ما يلزمكم من الصدقة قاله في القاموس وقال الزمخشري المراد اضمار الكفر
والعمل على ترك الاستبصار في دين الله وفي رواية الرماق بالراء والميم اي النفاق
يقال رامقته رماقا وهو ان ينظر اليه شزرا نظر العداوة يعني مالم تضق
قلوبكم عن الحق يقال عيش رماق اي ضيق وعيش رمق ومرمق اي يمسك
الروح والرمق بقية الروح آخر النفس وتاكلوا الرباق بكسر الراء والموحدة
المخففة الا ان تنقضوا العهد واستعار الاكل لنقض العهد لان
البهيمة اذا اكلت الربق وهو الحبل يجعل فيه عرا وتشد به خلصت
من الرباط والربوة بكسر الراء وفتحها وضمها اي الزيادة يعني من تقاعد
عن اعطا الزكاة فتغلظ عليه الزيادة في الفريضة عقوبة له فانظر الى
هذا الدعاء والكتاب الذي انطبق على لغتهم وجاد وزاد عليها في الجزالة
والبداوة اين هذا من كتابه عليه الصلاة والسلام لانس في الصدقة
واين ذلك من كتابه بين قريش والانصار انهم امة واحدة من دون الناس
من قريش على رباعتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الاولى ويفكون عانيهم
بالمعروف والقسط بين المومنين وان المومنين المتقين ايديهم على
من بغى عليهم او ابتغى دسيعة ظلم وان سلم المومنين واحد على سواء
وعدل بينهم وان كل غازية غزت يعقب بعضهم بعضا ومن اعتبط
مومنا قتلا فهو قود الا ان يرضى ولي المقتول ومن ظلم واثم فانه لا يوتغ
الا نفسه واهله بهذه الصحيفة البر المحسن كذا روي مختصرا من
حديث ابن شهاب وقوله دسيعة ظلم اي عظيمة من الظلم ورباعتهم
امرهم القديم الذي كانوا عليه ويتعاقلون بينهم معاقلهم الاولى اي يكونوا
على ما كانوا عليه من اخذ الديات واعطائها وهو تفاعل من العقل
والمعاقل الديات جمع معقلة يقال بنو فلان على معاقلهم التي كانوا
عليها اي مراتبهم وحالاتهم ولا يوتغ اي لا يهلك ويعقب بعضهم بعضا
اي يكون الغزو بينهم نوبا فاذا خرجت طايفة ثم عادت لم تكلف ان
تعود ثانية حتى يعقبها غيرها واين هذا اللين في القول وقرب

الماخذ

الماخذ في اللفظ على طريق الحاضرة وعرف الجمهور المشهور من كتابه لذي
المشعار الهمداني لما لقيه وفد همدان مقدمه من تبوك فقال مالك بن نمط
يا رسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد اتوك على قلص نواج
متصلة بحبائل الاسلام لا تاخذهم في الله لومة لايم من مخلاف خارف ويام لا ينقض
عهدهم عن سنة ماحل ولا سوداء عنقفير ما قام لعلع وما جرى اليعفور
بصلع فكتب اليهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا كتاب من محمد رسول
الله لمخلاف خارف واهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذي
المشعار مالك ابن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها
ما اقاموا الصلاة واتوا الزكاة ياكلون علافها ويرعون عفاها لنا من دفئهم
وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب
والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري وعليهم فيه الصالغ والقارح
وقوله نصية من كل حاضر وباد قال ابن الاثير النصية من ينتصي
من القوم اي يختار من نواصيهم وهم الروس والاشراف ويقال للاشراف
نواص كما يقال للاتباع اذناب واتوك على قلص بضم القاف واللام جمع قلوص
وهي الناقة الشابة والنواج السراع وقوله متصلة بحبائل الاسلام اي
عهوده واسبابه وخارف بالخا المعجمة ويام بالمثناة التحتية قبيلتان ولا
ينقض عهدهم عن سنة ماحل اي لا ينقض بسعي ساع بالنميمة والافساد
كما يقال لا افسد ما بيني وبينك بمذاهب الاشرار وطرقهم في الفساد والسنة
الطريقة والسنن ايضا والعنقفير بفتح العين المهملة وسكون النون
وتقديم القاف الداهية اي لا ينقض عهدهم بسعي الواشي ولا بداهية
تنزل ولعلع جبل وما جرى اليعفور بفتح التحتية الخشف ولد البقرة
الوحشية وقيل هو تيس الظبا والجمع اليعافير والياء زايدة وبصلع بضم
الصاد المهملة وتشديد اللام الارض التي لا نبات فيها وقوله عليه
الصلاة والسلام واهل جناب الهضب بكسر الجيم اسم موضع وحقاف الرمل
اسما بلادهم وفراعها بكسر الفا وبراء وعين مهملة اي ما علا من الجبال او الارض
ووهاطها بكسر الواو وبطا مهملة المواضع المطمئنة واحدها وهط
وبه سمي الوهط وهو مال كان لعمرو بن العاص بالطايف وقيل الوهط
قرية بالطايف كان الكرم المذكور بها وعزازها بفتح العين المهملة وزايين
مخففتين ما صلب من الارض واشتد وخشن وانما يكون في اطرافها
وياكلون علافها بكسر العين المهملة وتخفيف الفا وبالمد اي المباح ومن
دفئهم بكسر الدال وسكون الفا وبالهمز قال في المجمل نتاج الابل والبانها

بلغ

بلغ

Copyright King Saud University

والانتفاع بها وصرامع بكسر الصاد المهملة وتخفيف الراي من نخلهم والثلب
بكسر المثلثة واللام الساكنة وبالموحدة ماهرم من ذكور الابل وتكسرت
اسنانه والناب بالنون والموحدة الناقة الهرمة التي طال نابها
والفصيل بالمهملة الذي انفصل عن امه والفارض بالفا المسن من الابل
والداجن بالمهملة والجيم الدابة التي تالف البيوت والكبش الحوري بالحا
المهملة ثم وا ومفتوحتين فرا مكسورة الذي في صوفه حمرة والضالع
بالضاد المهملة والعين المعجمة من ضلعت الشاة ونحوها اذا تمت
اسنانها والقارح بالقاف والرا والحا المهملة وهو من الخيل الذي دخل
في السنة الخامسة انتهي وهذا من جنس كتابه لقطن بن حارثة
العليمي من كلب هذا كتاب من محمد لعماير كلب واحلافها ومن
ظاره الاسلام من غيرهم مع قطن بن حارثة العليمي باقام الصلاة لوقتها
وايتا الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفا عهدها بمحضر من شهود المسلمين
وسمي جماعة منهم دحية بن خليفة الكلبي عليهم من الهمولة الراعية
البساط الظار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار والحمولة المايرة لهم
لاغية وفي الشوي الوري مسنة حامل او حايل وفيما سقي الجدول
من العين المعين العشر وفي العثري شطره بقيمة الامين لا يزاد عليهم
وظيفة ولا يفرق شهد على ذلك الله ورسوله وكتب ثابت بن قيس
ابن شماس وتفسير غريبه ان قوله من ظاره الاسلام بالظا المعجمة بالكسر
والهمزة اخره هاي عطفه عليه وعليهم في الهمولة بفتح الها هي التي
ترعى بانفسها ولا تستعمل نعوله والبساط التي معها اولادها والظار ان
تعطف الناقة على غير ولدها والحمولة المايرة لهم لاغية يعني الابل
التي تحمل عليها الميرة وهي الطعام ونحوه مما يجلب للبيع لا يوخذ منها زكاة
لانها عوامل وفي الشوي بفتح الشين المعجمة وكسر الواو وبالبا المشددة
اسم جمع للشاة والوري السمينة ومن هذا النمط كتابه صلى الله
عليه وسلم لوايل بن حجر بنقل ثم الحا المضمومة على الجيم الساكنة الى
الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وكذا الفرايض فقال في التيعة
شاة لا مقورة ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن
زنا مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنا مم ثيب فضرجوه
بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرايض الله تعالى وكل مسكر بلغ
حرام ووايل بن حجر يترفل على الاقيال وفسر الاقيال وهو بالقاف
والمثناة التحتية بالروسا الذين دون الملوك والعباهلة بالمهملة

المفتوحة

المفتوحة والموحدة الذين اقروا على ملكهم لا يزالون والارواع بفتح الهمزة
وسكون الرا اخره عين مهملة جمع رايع وهم ذو الهيات الحسان الوجوه والمشابيب
بفتح الميم والشين المعجمة وبايين موحدتين بينهما مثناة تحتية ساكنة
السادة الروس الحسان الوجوه وفي التيعة بكسر المثناة الفوقية وسكون
المثناة التحتية وبالعين المهملة اربعون من الغنم وفي القاموس وفي النهاية
ادنى ما يجب فيه الصدقة من الحيوان ولا مقورة بضم الميم وفتح القاف
وتشديد الواو والالياط بفتح الهمزة وسكون اللام اخرها طا مهملة
اي لا مسترخية الجلود لكونها هزيلة ولا ضناك بكسر المعجمة وتخفيف النون
ضدها وهي الكثيرة اللحم وانطوا بقطع الهمزة اي اعطوا والثبجة بالمثلثة
ثم موحدة ثم جيم مفتوحات وقد تكسر الموحدة اي اعطوا الوسط في
الصدقة لا من خيار المال ولا من رذالته وفي السيوب بضم المهملة واخره
موحدة اي الركاز قاله الهروي وقيل المال المدفون في الجاهلية
او المعدن ومن زنا مم بكر بكسر الرا لا منونين لان اصله من البكر لكن اهل اليمن
يبدلون لام التعريف ميما وهي ساكنة فادغمت النون فيها والمراد بالبكر
الجنس وقال ابن الاثير اي من بكر ومن ثيب فقلبت النون الساكنة
ميما اما مع بكر فلان النون اذا سكنت قبل البا فانها تقلب ميما في النطق نحو
عنبر وشنبا واما مع غير البا فانها لغة يمانية كما يبدلون الميم من لام
التعريف انتهي وفاصقعوه بهمزة وصل واسكان الصاد المهملة وفتح
القاف وضم العين المهملة اي اضربوه واستوفضوه بهمزة وصل وكسر
الفا وضم الضاد المعجمة اي غربوه وانفوه فضرجوه بالضاد المعجمة وتشديد
الرا وبالجيم وبالاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة اي ادموه بالضرب
بجماهير الحجارة ولا توصيم بصاد مهملة مكسورة اي لا كسل عن اقامة
الحدود ولا غمة بضم الغين المعجمة وتشديد الميم اي لا يستر ولا يخفى
ويترفل بتشديد الفا المفتوحة يتسود ويترأس استعارة من ترفيل
الثوب وهو اسباغه واسباله وقريب من هذا كتابه صلى الله عليه وسلم
لاكيدر دومة ودومة كانت من مكاتباته عليه الصلاة والسلام وقال
عليه الصلاة والسلام في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي
المنطية والسفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلغتنا وقد كان هذا من خصايصه صلوات الله وسلامه عليه ان
يكلم كل ذي لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب الفاظها
واساليب كلمها وكان احدهم لا يتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية

يسمعها العربي وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهية وموهبة
ربانية لانه بعث الى الكافة طرا والى الخليقة سودا وحمرا ولا الكلام باللسان
يقع في غاية البيان ولا يوجد غالبا متكلم بغير لغته الا قاصرا في الترجمة
نازلا عن صاحب الاصالة في تلك اللغة الا الانبيا وسيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم كما تقدم فانه زاده الله تكريما وشرفا تكلم في لغة من لغة العرب
افصح وانطق بلغاتها منها بلغة نفسها وجد بربه ذلك فقد اوتي جميع سائر
القوى البشرية المحمودة زيادة ومزية على الناس مع اختلاف الاصناف
والاجناس مما لا يضبطه قياس ولا يدخل في حقيقته الباس واما صوته
الشريف فعن انس قال ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن
الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه
حسن الصوت رواه ابن عساكر وروي نحوه من حديث علي بن ابي طالب
وروي انه كان اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه وقد كان صوته
عليه الصلاة والسلام يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره فعن البراء
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق في خدورهن
رواه البيهقي وقالت عائشة رضي الله عنها جلس صلى الله عليه وسلم
يوم الجمعة على المنبر فقال للناس اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة و
وهو في بني غنم فجلس في مكانه رواه ابو نعيم وقال عبد الرحمن بن معاذ
التيمي خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففتحت اسماعنا وفي
لفظ ففتح الله اسماعنا حتى ان كنا لنسمع ما يقول ونحن في منازلنا رواه ابن
سعد وعن ام هانئ قالت كنا نسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في جوف
الليل عند الكعبة وانا على عريشي رواه ابن ماجه واما ضحكه صلى الله
عليه وسلم ففي البخاري عن عائشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم اي ما رايته
مستجمعا من جهة الضحك بحيث يضحك ضحكا تاما مقبلا بكليته على الضحك
واللهوات بفتح اللام جمع لهاة وهي اللحمة التي باعلى الحنجرة من اقصى الفم
وهذا لا ينافي ما في حديث ابي هريرة في قصة المواقع اهله في رمضان
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه رواه البخاري
وهو بالجيم والذال المعجمة الاضراس ولا تكاد تظهر الا عند المبالغة في
الضحك لان عائشة انما نفت رويتها وابو هريرة اخبر بما شاهده
والمثبت مقدم على النافي وقد قال اهل اللغة التبسم مبادي الضحك
والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور فان كان

بصوت

بصوت وكان بحيث يسمع فهو القهقهة والا فالضحك وان كان بلا صوت
فهو التبسم وقال ابن ابي هالة جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب
الغمام اي يبدي اسنانه ضاحكا وحب الغمام البرد وقال الحافظ بن حجر
والذي يظهر من مجموع الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم كان في معظم
احواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك قال والمكروه من ذلك
انما هو الاكثار منه اي الافراط فيه لانه يذهب الوقار وقال ابن بطال
والذي ينبغي ان يقتدى به من افعاله ما واظب عليه من ذلك وقد
روى البخاري في الادب المفرد وابن ماجه عن ابي هريرة رفعه لا تكثر
الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب وقال ابو هريرة واذا ضحك
صلى الله عليه وسلم يتلالا في الجدر رواه البزار والبيهقي اي يضيء
في الجدر بضم الجيم والدال جمع جدار وهو الحائط اي يشرق نوره
عليها اشراقا كاشراق الشمس عليها وكان صلى الله عليه وسلم اذا كان
حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه بل كان اذا خطب
او ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كانه منذر جيش يقول صبحكم
ومساكم رواه مسلم وكان بكاؤه عليه الصلاة والسلام من جنس ضحكه لم
يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع عيناه
حتى تهملان ويسمع لصدره ازيز يبكي رحمة لميت وخوفا على امته وشفقة
ومن خشية الله وعند سماع القران واحيانا في صلاة الليل قاله في الهدي
النبوي وقد حفظه الله تعالى من التثاوب ففي تاريخ البخاري ومصنف
ابن ابي شيبة عن يزيد ابن الاصم ما تثاءب النبي قط لكن في رواية عند
ابن ابي شيبة ما تثاءب نبي قط واما يده الشريفة صلى الله عليه وسلم
فقد وصفه غير واحد بانه كان شثن الكفين كما اي غليظ اصابعهما
وبانه عبل الذراعين رحب الكفين وقد مسح صلى الله عليه وسلم خد
جابر بن سمرة قال فوجدت ليده بردا او ريحا كانما اخرجها من جونة
عطار رواه مسلم وفي حديث وائل بن حجر عند الطبراني والبيهقي لقد
كنت اصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم او يمس جلدي جلده فاعرفه
بعد في يدي وانه لاطيب رائحة من المسك وقال يزيد ابن الاسود
ناولني رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فاذا هي ابرد من الثلج
واطيب ريحا من المسك رواه البيهقي وعن المستورد بن شداد عن
ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخذت بيده فاذا هي الين
من الحرير وابرد من الثلج رواه الطبراني ودخل صلى الله عليه وسلم

على سعد بن ابي وقاص بمكة يعوده وقد اشتكى قال فوضع يده على جبهتي
فمسح وجهي وصدري وبطني فما زلت نخيل الي اني اجد برد يده على كبدي
حتى الساعة وفي البخاري من حديث انس ما مسست حريرا ولا ديباجا
الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من باب عطف الخاص
على العام لان الديباج نوع من الحرير قيل وهذا الوصف في هذا الحديث
يخالف ما وقع في حديث ابن ابي هالة عند الترمذي في صفته صلى الله عليه
وسلم فان فيه كما تقدم كان شثن الكفين والقدمين اي غليظهما في خشونة
وهكذا وصفه علي من عدة طرق عند الترمذي والحاكم وغيرهما وكذا وصف
عايشة له عند ابن ابي خيثمة والجمع بينهما ان المراد اللين في الجلد والغلظ
في العظام فيجتمع له نعومة البدن وقوته وقال ابن بطال كانت كفه
صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما غير انها مع ضخامتها كانت لينة كما في حديث
انس قال واما قول الاصمعي الشثن غلظ الكف في خشونة فلم يوافق على
تفسيره بالخشونة والذي فسره به الخليل اولى قال وعلى تسليم ما فسره
الاصمعي الشثن يحتمل ان يكون انس وصف حالتي كف النبي صلى الله
عليه وسلم فكان اذا عمل بكفه في الجهاد او في مهنة اهله صار كفه خشنا
للعارض المذكور واذا ترك ذلك رجع كفه الى اصل جبلته من النعومة و
وقال القاضي عياض فسر ابو عبيدة الشثن بالغلظ مع القصر وتعقب
بانه ثبت في وصفه عليه الصلاة والسلام انه كان سايل الاطراف انتهى ويؤيد
كونها كانت لينة قوله في رواية النعمان كان سبط الكفين بتقديم المهملة
على الموحدة فانه يوافق وصفها باللين والتحقيق في الشثن انه الغلظ
من غير قصر ولا خشونة وقد نقل ابن خالويه ان الاصمعي لما فسر الشثن
بما مضى قيل له انه ورد في صفة النبي صلى الله عليه وسلم انه لين الكف و
فآلى على نفسه انه لا يفسر شيا في الحديث انتهى وفي حديث معاذ عند
الطبراني والبزار ردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في سفر
فما مسست شيا قط الين من جلده صلى الله عليه وسلم والصيب عايذ بن
عمرو في وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره فسلت النبي
صلى الله عليه وسلم الدم بيده عن وجهه وصدره ثم دعا له فكان اثر
يده عليه الصلاة والسلام الى منتهى ما مسح من صدره غرة سايلة كغرة
الفرس رواه الحاكم وابو نعيم وابن عساكر واخرج البخاري في تاريخه
والبغوي وابن منده في الصحابة من طريق صاعد بن العلا بن بشر عن ابيه
عن جده بشر بن معاوية انه قدم مع ابيه معاوية ابن ثور على رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم فمسح راسه ودعا له بالبركة فكانت في وجهه مسحة النبي صلى الله
عليه وسلم كالغرة وكان لا يمسح شيا الا برئ ومسح صلى الله عليه وسلم راس [illegible]
ابي سفيان فكان ما مرت عليه يده اسود وشاب ما سوى ذلك رواه البخاري
في تاريخه والبيهقي وكذا قوله عليه الصلاة والسلام في راس السايب رواه البغوي
والبيهقي وابن منده واخرج البيهقي وصححه والترمذي وحسنه
عن ابي زيد الانصاري قال مسح عليه الصلاة والسلام بيده على راسي ولحيتي
قال اللهم جمله قال فبلغ بضعا ومائة سنة وما في لحيته بياض ولقد كان منبسط
الوجه ولم ينقبض وجهه حتى مات ومسح عليه الصلاة والسلام راس حنظلة
ابن حذيم بيده وقال له بورك فيك فكان يوتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير
والانسان به الورم فيتفل في يده ويمسح بصلعته ويقول بسم الله على اثر
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمسحه ثم يمسح موضع الورم فيذهب
الورم رواه احمد والبخاري في التاريخ وابو يعلى وغيرهم وقد جا في عدة
احاديث عن جماعة من الصحابة بياض ابطيه فعن انس قال رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الدعا حتى رايت بياض ابطيه وقال
الطبري من خصايصه صلى الله عليه وسلم ان الابط من جميع الناس متغير
اللون غيره الا هو عليه الصلاة والسلام ومثله للقرطبي وزاد وانه لا شعر
عليه لكن نازع فيه صاحب شرح تقريب الاسانيد وقال انه لم يثبت ذلك
بوجه من الوجوه قال والخصايص لا تثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر انس
وغيره بياض ابطيه ان لا يكون له شعر وقال عبد الله بن اقرم الخزاعي وقد
صلى معه صلى الله عليه وسلم كنت انظر الى عفرة ابطيه حسنه الترمذي و
والعفرة بياض ليس بالناصع كما قاله الهروي وغيره وسياتي مزيد لذلك
في الخصايص ان شا الله تعالى وعن رجل من بني حريش قال ضمني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسال علي من عرق ابطه مثل ريح المسك رواه البزار
ووصفه علي فقال ذو مسربة وفسر بخيط الشعر بين الصدر والسرة وقال
ابن ابي هالة دقيق المسربة وعند ابن سعد عن علي طويل المسربة وعند
البيهقي له شعرات من لبته الى سرته تجري كالقضيب ليس على صدره
ولا على بطنه غيره ووصفت بطنه ام هاني فقالت ما رايت بطن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا ذكرت القراطيس المثنى بعضها على بعض رواه
الطبراني وقال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيض
كانما صيغ من فضة رجل الشعر مفاض البطن عظيم مشاش
المنكبين وتقدم ان المشاش هي روس العظام كالركبتين ومفاصل اي واسع

أقرم ه
ابطيه

Copyright King Saud University

البطن وقيل مستوي البطن مع الصدر وخرج الامام احمد عن محرش الكعبي قال
اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلا فنظرت الى ظهره كانه سبيكة فضة
وكان صلى الله عليه وسلم بعيد ما بين المنكبين رواه البخاري اي عريض
الصدر كما وقع في رواية ابن سعد من حديث ابي هريرة رحب الصدر واما قلبه
الشريف صلى الله عليه وسلم فاعلم ان القلب مضغة في الفؤاد معلقة بالنياط
فهو اخص من الفؤاد قاله الواحدي وسمي به لتقلبه بالخواطر والعزوم
قال الشاعر شعر وما سمي الانسان الا لانسه ولا القلب الا انه يتقلب
قال الزمخشري مشتق من التقلب الذي هو المصدر لفرط تقلبه
الا ترى الى ما روى ابو موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل
هذا القلب كمثل ريشة ملقاة بفلاة تقلبها الريح بطنا لظهر قال والفرق
بينه وبين الفؤاد ان الفؤاد وسط القلب سمي لتفوده اي توقده وفسر
الجوهري القلب بالفؤاد ثم فسر الفؤاد بالقلب قال الزركشي والاحسن
قول غيره الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه ويؤيد الفرق
قوله صلى الله عليه وسلم الين قلوبا وارق افئدة وهو اولى من قول بعضهم
انه كرر لاختلاف اللفظ وقال الراغب يعبر بالقلب عن المعاني التي تختص
به كالعلم والشجاعة وقيل حيثما ذكر الله القلب فاشارة الى العقل والعلم كقوله
تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وحيثما ذكر الصدر فاشارة الى ذلك
والى سائر القوى من الشهوة والغضب ونحوها انتهى قال بعض العلماء لقد
خلق الله تعالى الانسان وجعل له قلبا يعقل عنه وهو اصل وجوده اذا صلح
قلبه صلح سائره واذا فسد فسد سائره وجعل سبحانه القلوب محل السر والاخلاص
الذي هو سر الله يودعه قلب من يشاء من عباده فاول قلب اودعه قلب
محمد صلى الله عليه وسلم لانه اول خلق وصورته صلى الله عليه وسلم اخر صورة
ظهرت من صور الانبياء فهو اولهم واخرهم وقد جعل الله تعالى اخلاق القلوب
للنفوس اعلاما للتبيين على اسرار القلوب فمن تحقق قلبه بسر الله
اتسعت اخلاقه لجميع خلق الله وكذلك جعل الله تعالى لمحمد صلى الله عليه
وسلم جثمانية اختص بها من بين سائر العالمين فتكون علامات اختصاص
جثمانيته ايات دالة على احوال نفسه الشريفة وعظم خلقه وتكون
علامات عظم اخلاقه ايات على سر قلبه المقدس ولما كان قلبه صلى الله
عليه وسلم اوسع قلب اطلع الله عليه كما ورد في الخبر كان هو الاولى ان
يكون هو قلب العبد الذي يقول فيه تعالى ما وسعني ارضي ولا سمائي
ووسعني قلب عبدي المومن ولما كان كالة قبل الاسرا بمنزلة سائر

النبيين

النبيين كان صدره يضيق فاتسع قلبه لما انشرح صدره ووضع وزره
ورفع له ذكره وقد صح ان جبريل عليه الصلاة والسلام اتى جبريل عليه
شقه واستخرج منه علقة فقال له هذا حظ الشيطان منك ثم غسله
في طست من ذهب بماء زمزم ثم لامه فاعاده في مكانه قال انس فلقد
كنت ارى اثر المخيط في صدره رواه مسلم وانما خلقت هذه العلقة في
ذاته الكريمة ثم استخرجت منه لانها من جملة الاجزاء الانسانية فخلقها تكملة
للخلق الانساني فلابد منها ونزعها امر رباني طرا بعد ذلك قاله السبكي
وعند احمد وصححه الحاكم استخرجا قلبي فشقاه فاخرجا منه علقتين
سوداوين فقال احدهما ائتني بماء وثلج فغسلا به جوفي ثم قال ائتني بماء
برد فغسلا به قلبي ثم قال ائتني بالسكينة فذراها في قلبي ثم قال احدهما
لصاحبه حطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة وفي رواية البيهقي ان
ملكين جاءاني في صورة كركيين معهما ثلج وبرد وماء بارد فشرح احدهما صدري
ومج الاخر بمنقاره فيه وعن ابي هريرة قال يا رسول الله ما اول ما ابتدئت
به من امر النبوة قال اني لفي صحراء امشي ابن عشر حجج اذا انا برجلين
فوق راسي يقول احدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فاخذاني فلصقاني
لحلاوة القفا ثم شقا بطني وكان احدهما يختلف بالماء في طست من ذهب
والاخر يغسل جوفي فقال احدهما لصاحبه افلق صدره فاذا صدري
فيما ارى مفلوقا لا اجد له وجعا ثم قال اشقق قلبه فشق قلبي فقال
اخرج الغل والحسد منه فاخرج شبه العلقة فنبذ به ثم قال ادخل
الرافة والرحمة قلبه فادخل شيئا كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا كان معه
فذره عليه ثم نقر ابهامي ثم قال اغد فرجعت بما لم اغد به من رحمتي
للصغير ورافتي على الكبير رواه عبد الله بن الامام احمد في زوائد المسند
وابو نعيم وقال تفرد به معاذ عن ابيه وتفرد بذكر السن وعند ابي نعيم
في حديث يونس بن ميسرة فاستخرج حشوة جوفي فغسلها ثم ذر عليها
ذرورا ثم قال قلب وكيع يعي ما وقع فيه عينان تبصران واذنان تسمعان
وانت محمد رسول الله المقفي الحاشر قلبك سليم ولسانك صادق ونفسك
مطمئنة وخلقك قيم وانت قثم وهذا الشق زادني انه وقع له عليه
الصلاة والسلام مرات في حال الطفولية ارهاصا وتقدمة المعجزة
على زمان البعثة جاريا على الارهاص ومثل هذا في حق الرسول صلى الله
عليه وسلم كثير وبه يجاب عن استشكال وقوع ذلك في حال الطفولية
لانه من المعجزات ولا يجوز ان يتقدم على النبوة قاله الرازي والذي عليه

Copyright © King Saud University

الكثر اهل الاصول اشتراط اقتران المعجزة بالدعوى كما نبهت عليه في اوايل
الكتاب وياتي تحقيقها ان شا الله تعالى في المقصد الرابع وهو المراد بقوله
الم نشرح لك صدرك وقد قيل المراد بالشرح في الاية ما يرجع الى المعرفة و
والطاعة ثم ذكروا في ذلك وجوها منها انه لما بعث الى الاحمر والاسود من
جني وانسي اخرج تعالى عن قلبه جميع الغموم وانفسح صدره حتى اتسع و
لجميع المهمات فلا يقلق ولا يضجر بل هو في حالتي البوس والفرح منشرح
الصدر مشتغل باداء ما كلف فان قلت لم قال الم نشرح لك صدرك ولم يقل
قلبك اجيب بان محل الوسوسة الصدر كما قال تعالى يوسوس في صدور
الناس فازالة تلك الوسوسة وابدالها بدواعي الخير هي الشرح لا جرم خص
ذلك الشرح بالصدر دون القلب وقد قال محمد بن علي الترمذي القلب
محل العقل والعزيمة وهو الذي يقصده الشيطان فيجي الى الصدر الذي هو
حصن القلب فاذا دخل مسلكا اغار فيه وانزل جنده فيه وبث فيه الهموم
والغموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام
حلاوة فاذا طرد العدو في الابتدا حصل الامن وزال الضيق وانشرح
الصدر وتيسر له القيام باداء العبودية وهاهنا دقيقة قال تعالى حكاية
عن موسى رب اشرح لي صدري وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الم نشرح و
لك صدرك اعطي بلا سوال ثم انه تعالى نعته عليه الصلاة والسلام فقال
وسراجا منيرا فانظر الى التفاوت فان شرح الصدر هو الذي يصير قابلا
للنور والسراج المنير يقتبس منه النور والفرق بينهما واضح قال و
الدقاق كان موسى عليه الصلاة والسلام مريدا اذ قال رب اشرح لي صدري
ونبينا صلى الله عليه وسلم مرادا اذ قال الله له الم نشرح لك صدرك والله اعلم
واما جماعه صلى الله عليه وسلم فقد كان يدور على نسايه في الساعة الواحدة
من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال الراوي قلت لانس اوكان يطيقه
قال كنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رواه البخاري وعند الاسماعيلي عن
معاذ قوة اربعين زاد ابو نعيم عن مجاهد كل رجل من رجال اهل الجنة وعن
انس مرفوعا يعطى المومن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع قلت يا رسول
او يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة قال الترمذي صحيح غريب لا نعرفه
من حديث قتادة الا من حديث عمران القطان فاذا ضربنا اربعين
في مائة بلغت اربعة الاف وذكر ابن العربي كان له صلى الله عليه وسلم القوة
الظاهرة على الخلق في الوطي وكان له في الاكل القناعة ليجمع الله له
الفضيلتين في الامور الاعتيادية كما جمع له الفضيلتين في الامور

الشرعية

الشرعية حتى يكون حاله كاملا في الدارين انتهى وطاف عليه الصلاة والسلام على نسا به
التسع في ليلة رواه ابن سعد وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل بقدر
فاكلت منها فاعطيت قوة اربعين رجلا في الجماع رواه ابن سعد حدثنا عبيد الله
ابن موسى عن اسامة بن زيد عن صفوان بن سليم مرسلا وروي من حديث
ابي هريرة شكى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل قلة الجماع فتبسم
جبريل حتى تلالا مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من بريق ثنايا جبريل
فقال له اين انت من اكل الهريسة فان فيه قوة اربعين رجلا ومن حديث
حذيفة بلفظ اطعمني جبريل الهريسة اشد بها ظهري واتقوى بها
على الصلاة رواه الدارقطني ومن حديث جابر بن سمرة وابن عباس نحو هم
وكلها واهية بل صرح الحافظ ابن ناصر الدين في جزء له سماه دفع الدسيسة
بوضع حديث الهريسة بانه موضوع وروي انه عليه الصلاة والسلام
اعطي قوة بضع واربعين رجلا كل من اهل الجنة رواه الحارث بن اسامة
وقد حفظه الله من الاحتلام فعن ابن عباس قال ما احتلم نبي قط وانما الاحتلام
من الشيطان رواه الطبراني واما قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم فقد
وصفه غير واحد بانه كان شثن القدمين اي غليظ اصابعهما رواه
الترمذي وغيره وعن ميمونة بنت كردم قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما نسيت طول اصبع قدميه السبابة على ساير اصابعه رواه احمد والطبراني
وعن جابر بن سمرة كانت خنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجله متظاهرة
رواه البيهقي وقد اشتهر على الالسنة ان سبابة النبي صلى الله عليه وسلم
كانت اطول من الوسطى قال الحافظ ابن حجر وهو غلط ممن قاله وانما
ذلك في اصابع رجليه انتهى وقال شيخنا في المقاصد الحسنة وسلف جمهورهم
الكمال الدميري وهو خطا نشا عن اعتماد رواية مطلقة وعبارته كذا رواه
ابن هارون عن عبد الله بن مقسم عن سارة ابنة مقسم انها سمعت ميمونة
ابنة كردم تخبر انها رات اصابع النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فضما وقع
فيها من اطلاق الاصابع الى كون الوسطى من كل اطول من السبابة وعين
اليد منه صلى الله عليه وسلم لذلك بنا على ان القصد ذكر وصف اختص
به صلى الله عليه وسلم عن غيره ولكن الحديث في مسند الامام احمد من حديث
يزيد بن هارون المذكور مقيد بالرجل ولفظه كما قدمته فما نسيت
طول اصبع قدميه السبابة على ساير اصابعه وهو عند البيهقي في الدلايل
من طريق يزيد ولفظه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو
على ناقة وانا مع ابي فدنا منه ابي فاخذ بقدمه فاقر له رسول الله

Copyright King Saud University

صلى الله عليه وسلم قالت فما نسيت طول اصبع قدمه السبابة على سائر اصابعه
وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطي بقدمه وطي بكلها ليس له
اخمص رواه البيهقي وعن ابي امامة الباهلي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
لا اخمص له يطا على قدمه كلها رواه ابن عساكر وقال ابن ابي هالة خمصان
الاخمصين مسيح القدمين قال ابن الاثير الاخمص من القدم الموضع الذي
لا يلصق بالارض منها عند الوطي والخمصان المبالغ منه اي ان ذلك الموضع
من اسفل قدمه شديد التجافي عن الارض وسيل ابن الاعرابي عنه فقال
اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل القدم جدا
فهو احسن ما يكون واذا استوى وارتفع جدا فهو ذم فيكون معنى اخمصه
معتدل الخمص بخلاف الاول ووقع في حديث ابي هريرة اذا وطي بقدمه
وطي بكلها ليس له اخمص **وقوله** تسيح القدمين اي ملساوان لينتان
ليس فيهما تكسر ولا شقاق فاذا اصابهما الما نبا عنهما كما قال ابن ابي هالة
ينبو عنهما الما وهو معنى حديث ابي هريرة وعن عبد الله بن بريدة
كان صلى الله عليه وسلم احسن البشر قدما رواه ابن سعد **واما طوله**
صلى الله عليه وسلم فقال كان صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل وهو الى
الطول اقرب رواه البيهقي وعنه كان صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب
طولا وفوق الربعة اذا جا مع القوم غمرهم رواه عبد الله بن الامام احمد
وعن ابي هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة وهو الى الطول
اقرب رواه البزار وقوله ربعة اي مربوعا والتانيث باعتبار النفس
وقد فسر في الحديث الاتي بانه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير والمراد
بالطويل البائن المفرط في الطول مع اضطراب القامة وقال ابن ابي
هالة اطول من المربوع واقصر من المشذب وهو بمعجمتين مفتوحتين
ثانيهما مشددة اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث
الاخر لم يكن بالطويل الممغط وهو بتشديد الميم الثانية المتناهي الطول
وامغط النهار اذا امتد ومغطت الحبل اذا امددته واصله منمغط والنون
للمطاوعة فقلبت ميما وادغمت في الميم ويقال بالعين المهملة بمعناه
وعن عايشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل
البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده
ولم يكن على حال يماشيه احد من الناس ينسب الى الطول الا طاله
صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا
فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الربعة اذا مشى وحده

رواه

رواه ابن عساكر والبيهقي وزاد ابن سبع في الخصايص انه كان اذا جلس يكون كتفه
اعلا من جميع الجالسين ووصفه ابن ابي هالة بانه بادن متماسك اي معتدل
الخلق كان اعضاه يمسك بعضها بعضا **واما شعره الشريف صلى الله عليه وسلم**
فعن قتادة قال سالت انسا عن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شعر
بين شعرين لا رجل ولا سبط ولا جعد ولا قطط كان بين اذنيه وعاتقه وفي
رواية قال كان رجلا ليس بالسبط ولا الجعد بين اذنيه وعاتقه وفي اخرى
الى انصاف اذنيه رواه البخاري ومسلم وابو داود والنساي وعن عايشة
قالت كنت اغتسل انا والنبي صلى الله عليه وسلم من انا واحد وكان له شعر فوق
الجمة ودون الوفرة رواه الترمذي وابو داود والوفرة الشعر الواصل الى
شحمة الاذن وقال ابن ابي هالة ايضا كان رجل الشعر وهو بفتح الرا وكسر
الجيم اي يتكسر قليلا بخلاف السبط والجعد ان انفرقت عقيقته فرق والا
فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره والعقيقة بالقافين شعر راسه
الشريف يعني ان انفرقت بنفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى
ان انفرقت عقيصته بالصاد وهو الشعر المعقوص وعن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره وكان المشركون
يفرقون رووسهم وكان اهل الكتاب يسدلون رووسهم وكان يحب موافقة
اهل الكتاب فيما لم يومر فيه بشي ثم فرق صلى الله عليه وسلم راسه رواه الترمذي
في الشمايل وفي صحيح مسلم نحوه وسدل الشعر ارساله والمراد هنا ارساله
على الجبين واتخاذه كالقصة واما الفرق فهو فرق الشعر بعضه من بعض
قال العلما والفرق سنة لانه الذي رجع اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
والصحيح جواز الفرق والسدل لكن الفرق افضل وعن عايشة كان له
صلى الله عليه وسلم شعر فوق الجمة ودون الوفرة رواه الترمذي وفي
حديث انس كان الى اذنيه وفي حديث البرا يضرب منكبيه وفي حديث
ابي رمثة يبلغ الى كتفيه او منكبيه وفي رواية ما رايت من ذي لمة
احسن منه والجمة هي الشعر الذي نزل الى المنكبين والوفرة ما نزل الى
شحمة الاذنين واللمة التي لمت بين المنكبين قال القاضي عياض والجمع
بين هذه الروايات ان ما يلي الاذن هو الذي يبلغ شحمة اذنيه وما خلفه
هو الذي يضرب منكبيه قال وقيل بل ذلك لاختلاف الاوقات فاذا غفل
عن تقصيرها بلغت المنكب واذا قصرها كانت الى انصاف الاذنين فكانت
تطول وتقصر بحسب ذلك وعن ام هاني بنت ابي طالب قال قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا مكة قدمة وله اربع غدائر يعني ضفاير

Copyright King Saud University

الترمذي في الشمايل والغدابر بالغين المعجمة والدال المهملة هي الذوايب واحدتها غديرة وفي مسلم عن انس كان في لحيته عليه الصلاة والسلام شعرات بيض وفي رواية عنده ولم ير من الشيب الا قليلا وفي اخرى له ايضا لو شيت ان اعد شمطات كن في راسه ولم يخضب وعنده ايضا لم يخضب عليه الصلاة والسلام انما كان البياض في عنفقته وفي الصدغين وفي الراس نبذ بضم النون وفتح البا الموحدة وبفتح النون واسكان الموحدة اي شعرات متفرقة وفي رواية اخرى ما شانه الله ببيضا قال الشيخ عبد الجليل في شعب الايمان فيما حكاه عنه الفاكهاني انما كان كذلك لان النسا يكرهن الشيب غالبا ومن كره من النبي صلى الله عليه وسلم شيا كفر وقال في النهاية قد تكرر في الحديث جعل الشيب هاهنا عيبا وليس بعيب فانه قد جا في الحديث انه وقار وانه نور والشيب ممدوح وذلك عجيب منه لا سيما في حق النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن ان يجمع بينهما ووجه الجمع انه عليه الصلاة والسلام لما راى ابا قحافة وراسه كالثغامة امرهم بتغييره وكرهه ولذلك قال غيروا الشيب فلما علم انس ذلك من عادته قال ما شانه الله ببيضا بنا على هذا القول وحملا له على هذا الراي ولم يسمع الحديث الاخر ولعل احدهما ناسخ للاخر انتهى وفي رواية ابي جحيفة عنده رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه منه بيضا ووضع الراوي بعض اصابعه على عنفقته وفي حديث انس عند البيهقي ما شانه الله بالشيب ما كان في راسه ولحيته الا سبع عشرة او ثمان عشرة شعرة بيضا وعن ابي جحيفة كان ابيض قد شمط رواه البخاري وفي الصحيحين ان ابن عمر راى النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة وعن عمر انما كان شيبه صلى الله عليه وسلم نحوا من عشرين شعرة بيضا رواه الترمذي وروى ايضا عن ابن عباس قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وفي حديث جابر عنده لم يكن في راسه عليه الصلاة والسلام شيب الا شعرات في مفرق راسه اذا ادهن واراهن الدهن وفي رواية البيهقي اسود اللحية حسن الثغر واختلف العلما هل خضب عليه الصلاة والسلام ام لا قال القاضي عياض منعه الاكثرون وهو مذهب مالك وقال النووي المختار انه صبغ في وقت وتركه في معظم الاوقات فاخبر كل بما راى وهو صادق قال وهذا التاويل كالمتعين

لحديث

مطلب

الشيب النبوي والجمع بين المعارض بان كراهة سيد المرسلين للشيب حين راى راس ابي قحافة والد عدو الشيب وراى الشيب كاشف تكريمه وحديث المدح للشيب لم يسمعه انس ولذلك قال ما شانه الله ببيضا واقول ويوخذ من قوله ما شانه الله جواب اخر فليتامل

مطلب

انما كان شيبه نحوا من عشرين شعره

لحديث ابن عمر في الصحيحين ولا يمكن تركه ولا تاويله واما اختلاف الرواية في قدر شيبه فالجمع بينهما انه راى شيئا يسيرا فمن اثبت شيبه اخبر عن ذلك اليسير ومن نفاه اراد انه لم يكثر فيه كما قال في الرواية الاخرى لم ير من الشيب الا قليلا انتهى وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم قد شمط مقدم راسه ولحيته وكان اذا ادهن لم يتبين فاذا شعث راسه تبين وكان كثير شعر اللحية رواه مسلم والنسائي وعن انس كان صلى الله عليه وسلم يكثر دهن راسه ويسرح لحيته رواه البغوي في شرح السنة وقد وصفه عليه الصلاة والسلام ابن ابي هالة بانه كان موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين ما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر وعن انس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل رواه مسلم وسياتي ان شا الله تعالى قضية حلق راسه الشريف في حجة الوداع ولم ير انه عليه الصلاة والسلام حلق راسه الشريف في غير نسك حج او عمرة فيما علمته فتبقية الشعر في الراس سنة ومنكرها مع علمه يجب تاديبه ومن لم يستطع التبقية يباح له ازالته وقد رايت بمكة المشرفة في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وثمان مائة شعرة عند الشيخ ابي حامد المرشدي شاع وذاع انها من شعره صلى الله عليه وسلم زرناها صحبة المقام المقدسي خليل العباسي والي الله احسانه عليه وعن محمد بن سيرين قال قلت لعبيدة عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم اصبناه من قبل انس او من قبل اهل انس قال لان تكون عندي شعرة منه احب الي من الدنيا وما فيها رواه البخاري وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه صلى الله عليه وسلم كان ياخذ من لحيته من عرضها وطولها رواه الترمذي وقال الحديث غريب واخرج الترمذي عن ابن عباس وحسنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقص شاربه وعنده من حديث زيد بن ارقم قال صلى الله عليه وسلم من لم ياخذ شاربه فليس منا وفي الصحيحين حديث خالفوا المشركين اوفروا اللحا واحفوا الشوارب واختلف في قص الشارب وحلقه ايهما افضل ففي الموطا يوخذ من الشارب حتى يبدو طرف الشفة وعن ابن عبد الحكم عن مالك قال ويحفي الشارب ويعفي اللحا وليس احفا الشارب حلقه وارى تاديب من حلق شاربه وعن اشهب ان حلقه بدعة قال وارى ان يوجع ضربا من فعله قال النووي المختار في قص الشارب انه يقصه حتى يبدو طرف الشفة ولا يحفه من اصله وقال الطحاوي لم نجد عن

شيبه

قال

١٦٧

Copyright King Saud University

الشافعي منصوصًا في هذا وكان المزني والربيع يحفيان شاربيهما واما ابو حنيفة
وصاحباه فمذهبهم في شعر الراس والشارب ان الاحفا افضل من التقصير
واما احمد فقال الاثرم رايته يحفي شاربه شديدًا وقد اختلفوا في كيفية
قص الشارب هل يقص طرفاه ايضا وهما المسميان بالسبالين ام تترك السبا لان
كما يفعله كثير من الناس قال الغزالي في الاحيا لا باس بترك سباليه وهما
طرفا الشارب فعل ذلك عمر رضي الله عنه وغيره لان ذلك لا يستر الفم
ولا تبقى فيه غمرة الطعام اذ لا يصل اليه انتهى وروى ابو داود عن جابر
قال كنا نعفي السبال الا في حج او عمرة وكره بعضهم ابقاه لما فيه من التشبه
بالاعاجم بل بالمجوس واهل الكتاب وهذا اولى بالصواب لما رواه ابن
حبان في صحيحه من حديث بن عمر قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
المجوس فقال انهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم فكان يجز
سباله كما يجز الشاة او البعير وروى احمد في مسنده في اثنا حديث
لابي امامة فقلنا يا رسول الله فان اهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون
سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا اهل الكتاب والعثانين
بالعين المهملة والثا المثلثة وتكرار النون جمع عثنون وهو اللحية
قاله في شرح تقريب الاسانيد واما العانة ففي حديث انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان لا يتنور وكان اذا كثر شعره حلقه ولكن سنده ضعيف
وروى ابن ماجة والبيهقي ورجاله ثقات ولكن اعل بالارسال وانكره احمد
وصححه من حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اطلى بدا بعانته
فطلاها بالنورة وساير جسده اهله واما الحديث الذي يروى ان
النبي صلى الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فهو موضوع باتفاق اهل
المعرفة بالحديث كما قاله الحافظ ابن كثير بل ولم تعرف العرب الحمام في
بلادهم الا بعد موته عليه الصلاة والسلام واخرج البيهقي من مرسل
ابي جعفر الباقر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب ان ياخذ
من اظفاره وشاربه يوم الجمعة وله شاهد موصول من حديث ابي
هريرة لكن سنده ضعيف اخرجه البيهقي ايضا في الشعب وسيل
عنه احمد فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم الخميس وعنه
يتخير قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر هذا هو المعتمد انه يستحب
كيف ما احتاج اليه قال ولم يثبت في استحباب قص الظفر يوم الخميس
حديث وكذا لم يثبت في كيفيته شي ولا تعيين يوم له عن النبي صلى الله
عليه وسلم وما يعزى من النظم في ذلك لعلي رضي الله عنه ثم لشيخ الاسلام

ابن حجر

ابن حجر قال شيخنا انه باطل والمراد ازالة ما يزيد على ما يلامس راس الاصبع
من الظفر لان الوسخ يجتمع فيه فيستقذر وقد ينتهي الحد يمنع من
وصول الما الى ما يجب غسله في الطهارة وقد حكى اصحاب الشافعي فيه
وجهين فقطع المتولي بان الوضوء حينئذ لا يصح وقطع الغزالي في الاحيا
بانه يعفى عن مثل ذلك واخرج الطبراني في الاوسط عن عايشة كان صلى
الله عليه وسلم لا يفارق سواكه ومشطه وكان ينظر في المراة اذا سرح
لحيته وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل
منها كل ليلة ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه رواه ابن ماجة والترمذي
واحد ولفظه كان يكتحل بالاثمد كل ليلة قبل ان ينام وكان يكتحل في كل
عين ثلاثة اميال وروى النساي والبخاري في تاريخه عن محمد بن علي
قال سالت عايشة اكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطيب قالت نعم بذكارة
الطيب المسك والعنبر **واما مشيه صلى الله عليه وسلم** فعن علي قال كان بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفيا كانما ينحط من صبب
رواه الترمذي وصححه والبيهقي والتكفؤ الميل الى سنن المشي وعند البزار
من حديث ابي هريرة اذا وطى بقدمه وطى بكلها وعند الترمذي في الشمايل
من حديثه وما رايت احدا اسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وعن يزيد
ابن مرثد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى اسرع حتى
يهرول الرجل وراه فلا يدركه رواه ابن سعد ويروى انه قال اذا هو
مشى مشى مجتمعا اي قوي الاعضا غير مسترخ في المشي وقال علي رضي
الله عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا مشى تقلع وقال ابن ابي هالة اذا
زال زال تقلعا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب
وفي رواية اذا زال زال قلعا بالضم والفتح فبالفتح هو مصدر بمعنى الفاعل
اي لا يزول قالعا لرجله من الارض وهو بالضم اما مصدر او اسم وهو بمعنى
الفتح وقال الهروي قرات هذا الحرف في كتاب غريب الحديث لابن
الانباري قلعا بفتح القاف وكسر اللام وكذلك قراته بخط الازهري وهو
كما جا في حديث اخر كانما ينحط من صبب والانحدار من الصبب والتقلع من
الارض قريب بعضه من بعض اراد انه كان يستعمل التثبت ولا يتبين
منه في هذه الحالة استعجال ومبادرة شديدة وذريع المشية اي واسع
الخطوة قاله ابن الاثير وقال ابن القيم التقلع الارتفاع من الارض بجملته
كحال المنحط في الصبب وهي مشية اولي العزم والهمة والشجاعة وهي

١٦٨

Copyright © ... University

اعدل المشيات وازوجها للاعضا فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة كانه
خشبة محمولة فهي مذمومة واما ان يمشي بانزعاج مشي الجمل الاهوج وهي مشية
مذمومة وهي علامة خفة عقل صاحبها ولاسيما ان اكثر الالتفات حال
مشيه يمينا وشمالا وفي بعض المسانيد ان المشاة شكوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم من المشي في حجة الوداع فقال استعينوا بالنسلان وهو
العدو الخفيف الذي لا يزعج الماشي **واما مشيه صلى الله عليه وسلم**
مع اصحابه فكانوا يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري
للملايكة وهو معنى قول القايل وكان يسوق اصحابه وبما شيهم فرادى
وجماعة ومشى عليه الصلاة والسلام في بعض غزواته مرة فجرحت اصبعه
وسال منها الدم فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
رواه ابو داود ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ظل في شمس ولا قمر رواه الترمذي
الحكيم عن ذكوان وقال ابن سبع كان صلى الله عليه وسلم نورا فكان اذا مشى
في الشمس او القمر لا يظهر له ظل قال غيره ويشهد له قوله صلى الله عليه
وسلم في دعايه واجعلني نورا **واما لونه الشريف الازهر** صلى الله عليه
وسلم فقد وصفه عليه الصلاة والسلام جمهور اصحابه بالبياض منهم ابو بكر
وعمر وعلي وابو جحيفة وابن عمر وابن عباس وابن ابي هالة والحسن
ابن علي وابو الطفيل ومحرش الكعبي وابن مسعود والبرا وعايشة وانس
في احدى الروايتين عنه فاما ابو جحيفة فقال كان ابيض رواه البخاري
واما ابو الطفيل فقال كان ابيض مليحا رواه الترمذي في الشمايل وفي رواية
مسلم ابيض مليح الوجه وفي رواية عنه للطبراني ما انسى شدة بياض
وجهه مع شدة سواد شعره وفي شعر ابي طالب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

وقال علي ابيض مشرب والمشرب هو الذي في بياضه حمرة كما قال في الرواية
الاخرى ابيض مشرب بحمرة وبهذا يفسر قول انس في صحيح مسلم ازهر اللون
وفي النسائي من حديث ابي هريرة بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس
بين اصحابه جا رجل فقال ايكم ابن عبد المطلب فقالوا هذا الاغر المرتفق
والاغر المشرب حمرة والمرتفق المتكي على مرفقه وفي البخاري من حديث
انس ليس بابيض امهق قال الحافظ ابن حجر ووقع عند الداودي تبعا
لرواية المروزي امهق ليس بابيض وفي رواية عند ابي حاتم وغيره اسمر
واستشكله بعضهم قال ان غالب هذه الروايات عند انع وبعضها
يمكن الجمع كالابيض امغ رواية مشرب بالحمرة والازهر وبعضها غير ممكن

الجمع

الجمع كالابيض الشديد الوضح مع الاسمر واعترض الداودي رواية امهق ليس
بابيض وهي التي وقعت عنده تبعا لرواية المروزي وقال القاضي عياض
انها وهم قال وكذلك رواية من روى انه ليس بالابيض ولا الادم وليس بصواب
قال الحافظ ابن حجر هذا ليس بجيد لان المراد انه ليس بالابيض الشديد
البياض ولا بالادم الشديد الادمة وانما يخالط بياضه الحمرة والعرب قد
تطلق على كل من كان كذلك اسمر ولهذا جا في حديث انس عند احمد
والبزار وابن منده باسناد صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمر واخرجه
البيهقي في الدلايل من وجه اخر عن انس فذكر الصفة النبوية فقال كان
النبي صلى الله عليه وسلم ابيض بياضه الى السمرة وفي حديث ابن عباس في
صفته صلى الله عليه وسلم رجل بين رجلين جسمه ولحمه احمر الى البياض
اخرجه احمد وقد تبين من مجموع الروايات ان المراد بالسمرة الحمرة التي تخالط البياض
وان المراد بالبياض المثبت ما تخالطه الحمرة والمنفي ما لا تخالطه وهو الذي تكره
العرب لونه وتسميه امهق وبهذا تبين ان رواية المروزي امهق ليس
بابيض مقلوبة على انه يمكن توجيهها بان المراد بالامهق الاخضر اللون
الذي ليس بياضه في الغاية ولا سمرته ولا حمرته فقد نقل عن روبة ان المهق
خضرة الما فهذا التوجيه يتم على تقدير ثبوت الرواية وقد تقدم في حديث
ابي جحيفة اطلاق كونه كان ابيض كذا في حديث ابي الطفيل عند مسلم والترمذي
وفي حديث سراقة عند ابن اسحق فجعلت انظر الى ساقه كانها جمارة ولاحمد
من حديث محرش الكعبي في عمرة الجعرانة انه قال فنظرت الى ظهره كانه سبيكة
فضة وعن سعيد بن المسيب انه سمع ابا هريرة يصفه صلى الله عليه وسلم
فقال كان شديد البياض اخرجه يعقوب بن سفيان والبزار باسناد قوي
ويجمع بينها بما تقدم وقال البيهقي يقال ان المشرب منه حمرة والى السمرة هو
ما ضحى للشمس والريح اي كالوجه والعنق واما ما تحت الثياب فهو الازهر
الابيض انتهى وهذا ذكره ابن ابي خيثمة عقب حديث عايشة في صفته
صلى الله عليه وسلم باسط من هذا وزاد ولونه الذي لا يشك فيه الابيض
الازهر انتهى والله اعلم وضعف وقد تعقب بعضهم قول من قال
انما وصف بالسمرة ما كانت الشمس تصيب منه بان انسا لا يخفى عليه امره
حتى يصفه بغير صفته اللازمة له لقربه منه ولم يكن عليه الصلاة والسلام
ملازما للشمس نعم لو وصفه بذلك بعض القادمين ممن صادفه في وقت
غيرته الشمس لامكن فالاولى حمل السمرة في رواية انس على الحمرة التي تخالط
البياض كما تقدم تنبيه في الشفا حكاية عن احمد بن ابي سليمان

Copyright ... University

صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل انتهى
وهذا يقتضي ان مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته كفر يوجب
القتل وليس كذلك بل لا بد من ضميمة ما يشعر بنقص في ذلك كما في
مسئلتنا هذه فان الاسود لون مفضول واما طيب ريحه وعرقه صلى الله عليه وسلم وما ذكر فيه
فقد كانت الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم
وان لم يمس طيبا وروينا عن انس قال ما شممت ريحا قط ولا مسكا ولا
عنبرا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه الامام
احمد وفي رواية البخاري ولا شممت مسكة ولا عنبرة اطيب من رائحة
النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية الترمذي ولا شممت مسكا قط ولا
عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله شممت بكسر
الميم الاولى وسكون الثانية وعن ام عاصم امراة عتبة بن فرقد السلمي
قالت كنا عند عتبة اربع نسوة فما منا امراة الا وهي تجتهد في الطيب
لتكون اطيب من صاحبتها وما يمس عتبة الطيب الا ان يمس دهنا
يمسح به لحيته ولهو اطيب ريحا منا وكان اذا خرج الى الناس
قالوا ما شممنا ريحا اطيب من ريح عتبة فقلت له يوما انا لنجتهد في
الطيب ولانت اطيب ريحا منا فمم ذلك فقال اخذني الشرى على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاتيته فشكوت ذلك اليه فامرني ان اتجرد
فتجردت وقعدت بين يديه والقيت ثوبي على فرجي فنفث في يده ثم
مسح ظهري وبطني بيده فعبق بي هذا الطيب من يومئذ رواه الطبراني
في معجمه الصغير وروى ابو يعلى والطبراني في قصة الذي استعان
بالنبي صلى الله عليه وسلم على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شيء فاستدعى
بقارورة فسلت له فيها من عرقه وقال مرها فلتطيب به فكانت
اذا تطيبت به شم اهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين وقال
جابر بن عبد الله كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال لم يكن في
طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيب عرفه وعرفه ولم يكن
يمر بحجر الا سجد له رواه الدارمي والبيهقي وابو نعيم ولله در القائل
ولو ان ركبا يمموك لقادهم ... نسيمك حتى يستدل به الركب
وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر في طريق من طرق
المدينة وجد وامنه رائحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من هذا الطريق رواه ابو يعلى والبزار باسناد حسن وما احسن قول
يروح على غير الطريق الذي غدا ... عليها فلا ينهى علاه نهاته

تنفسه

تنفسه في الوقت انفاس عطره ... فن طيبه طابت له طرقاته
تروح له الارواح حيث تنسمت ... لها سحرا من جيبه نسماته
وعن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها
وانورهم لونا لم يصفه واصف قط الا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر وكان
عرقه في وجهه مثل اللولو اطيب من المسك الاذفر رواه ابو نعيم وعن
انس قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق
فجاءت امي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ صلى الله عليه
وسلم فقال يا ام سليم ما هذا الذي تصنعين قالت هذا عرقك نجعله لطيبنا
وهو اطيب الطيب رواه مسلم وفي رواية له كان صلى الله عليه وسلم يدخل
بيت ام سليم فينام على فراشها وليست فيه قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها
فاتيت فقيل لها هذا النبي نائم في بيتك على فراشك قال فجاءت وقد عرق
واستنقع عرقه على قطعة اديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف
ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع صلى الله عليه وسلم فقال
ما تصنعين يا ام سليم فقالت يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا قال اصبت
والعتيدة كالصندوق الصغير الذي تترك فيه المراة ما يعز عليها من متاعها
واما ما روي ان الورد خلق من عرقه صلى الله عليه وسلم او من عرق البراق
فقال شيخنا في الاحاديث المشهورة قال النووي لا يصح وقال شيخ الاسلام
ابن حجر انه موضوع وسبقه لذلك ابن عساكر وهو في مسند الفردوس
بلفظ الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من
عرق جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق رواه من طريق مكي
ابن بندار الزنجاني حدثنا الحسن ابن علي بن عبد الواحد القرشي حدثنا
هشام بن عمار عن الزهري عن انس به مرفوعا ثم قال قال ابو مسعود
حدث به ابو عبد الله الحاكم عن رجل عن مكي ومكي تفرد به انتهى ورواه
ابو الحسين بن فارس اللغوي في الريحان والراح له عن مكي به ومكي ممن اتهمه
الدارقطني بالوضع وله طرق اخرى رواه ابو الفرج النهرواني في الخامس
والتسعين من الجليس الصالح له من طريق محمد بن عنبسة ابن حماد
حدثنا ابي جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار عن انس رفعه لما عرج
بي الى السماء بكت الارض من بعدي فنبت اللصف من نباتها فلما ان رجعت
قطر من عرقي على الارض فنبت ورد احمر الا من اراد ان يشم رائحتي فليشم
الورد الاحمر ثم قال ابو الفرج اللصف الكبر قال وما اتي به هذا الخبر
فهو اليسير من كثير ما اكرم الله به نبيه ودل على فضله ورفيع

الطيب

بلغ

الاذفر

من القيلوله

١٧

متاعها

عن

Copyright ... University

منزلته انتهى وانما ذكرته ليعلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم
مسح خده قال فوجدت لكفه بردا او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار
قال غيره مسها بطيب ام لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها
ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها وجونة
العطار بضم الجيم وهمزة بعد ها ويجوز تخفيفها واو اسليلة مسند برة
مغشاة ادما وقد اوردها عزاه القاضي عياض للاخبار بيف ومن الوفي
الشمايل الكريمة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يتغوط انشقت
الارض وابتلعت بوله وغايطه وفاحت لذلك رايحة طيبة قال غيره
ولم يطلع على ما يخرج منه بشر قط واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي
كما هو في بعض نسخ الشفا قالوا انه ليس من الرواية ولا من حواشي اصل
ابن جبير بل من حواشي غيره عن عايشة رضي الله عنها انها قالت
للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلا فلا نرى منك شيا من الاذى
فقال يا عايشة اوما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبيا فلا يرى
منه شي انتهى وفي الشفا لابن سبع عن بعض الصحابة قال صحبته
صلى الله عليه وسلم في سفر فلما اراد قضا الحاجة تاملته وقد دخل مكانا
نقضي حاجته فدخلت الموضع ثلاثة احجار فاخذتهن فوجدت
لهن رايحة طيبة وعطرا انتهت وقد سيل الحافظ عبد الغني المقدسي
هل روي انه صلى الله عليه كان ما يخرج منه تبتلعه الارض فقال
قد روي ذلك من وجه غريب والظاهر يويده فانه لم يذكر عن
احد من الصحابة انه راه ولا ذكره واما البول فقد شاهده غير
واحد وشربته ام ايمن والله اعلم انتهى لكن قال البيهقي واما الحديث
الذي اخبرنا ابو الحسين بن بشران اخبرنا اسماعيل بن محمد الصفار
حدثنا زيد بن اسماعيل الصايغ حدثنا حسين بن علوان عن هشام
ابن عروة عن ابيه عن عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا دخل الغايط دخلت في اثره فلا ارى شيا الا اني كنت اشم رايحة
الطيب فذكرت ذلك له فقال يا عايشة اما علمت ان اجسادنا نبتت
على ارواح اهل الجنة وما خرج منها ابتلعته الارض فهذا من موضوعات
الحسين بن علوان لا ينبغي ذكره في الاحاديث الصحيحة والمشهورة
في معجزاته مع كفايته عن كذب بن علوان انتهى لكن للحديث طرق غير طريق
ابن علوان عند الدارقطني في الافراد حدثنا محمد بن حسان الاموي
حدثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن ابيه عن

الذي خرج منه ولم
ادله اثر غايط ولا بول
ورايت في ذلك الموضع

عايشة

عايشة قالت يا رسول الله اني اراك تدخل الخلا ثم ياتي الذي بعدك فلا يرى لما
يخرج منك اثرا فقال يا عايشة اما علمت ان الله امر الارض ان تبتلع ما يخرج من
الانبيا ومحمد بن حسان بغدادي ثقة وعبدة من رجال الصحيح وله طريق
اخرى عن ابن سعد واخرى عند الحاكم في المستدرك وروي انه كان
يتبرك ببوله ودمه صلى الله عليه وسلم فروى ابن حبان في الضعفا عن
ابن عباس قال حجم النبي صلى الله عليه وسلم غلام لبعض قريش فلما فرغ
من حجامته اخذ الدم فذهب به من ورا الحايط فنظر يمينا وشمالا فلم ير
احدا تحسا دمه حتى فرغ ثم اقبل فنظر في وجهه فقال ويحك ما صنعت
بالدم قلت غيبته من ورا الحايط قال اين غيبته قلت يا رسول الله
نفست على دمك ان اهريقه في الارض فهو في بطني فقال اذهب فقد
احرزت نفسك من النار وفي سنن سعيد بن منصور من طريق
عمرو بن السايب انه بلغه ان مالكا والد ابي سعيد الخدري لما جرح
النبي صلى الله عليه وسلم مص جرحه حتى انقاه ولاح ابيض فقيل مجه
فقال لا والله لا امجه ابدا ثم ازدرده فقال النبي صلى الله عليه وسلم
من اراد ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا فاستشهد
واخرج البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وابو نعيم في الحلية من حديث
عامر بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما عن ابيه عبد الله قال احتجم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاني الدم بعد فراغه من الحجامة
وقال اذهب يا عبد الله فغيبه وفي رواية اذهب بهذا الدم فواره
حيث لا يراه احد فذهبت فشربته ثم اتيته صلى الله عليه وسلم
فقال ما صنعت قلت غيبته قال لعلك شربته قلت شربته فقال
ويل لك من الناس وويل للناس منك وفي رواية فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ذلك قال علمت ان دمك لا تصيبه نار جهنم فشربته لذلك
فقال ويل لك من الناس وعند الدارقطني من حديث اسما بنت ابي بكر نحوه
وفيه ولا تمسك النار وفي كتاب الجوهر المكنون في ذكر القبايل
والبطون انه لما شرب دمه صلى الله عليه وسلم تضوع فمه مسكا وبقيت
رايحته بوجوده في فمه الى ان صلب رضي الله عنه واخرج الحسن
ابن سفيان في مسنده والحاكم والدارقطني والطبراني وابو نعيم من
حديث ابي مالك النخعي عن الاسود بن قيس عن نبيح العنزي عن
ام ايمن قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة في
جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وانا عطشانة فشربت ما فيها

١٧١

وانا لا اشعر فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ام ايمن قومي فاهريقي
ما في تلك الفخارة قلت والله شربت ما فيها قالت فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال اما والله لا يتجعن بطنك
ابدا وعن ابن جريج قال اخبرت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول
في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجا فاذا القدح ليس فيه
شي فقال لامراة يقال لها بركة كانت تخدم ام حبيبة جات معها من
ارض الحبشة اين البول الذي كان في القدح قالت شربته قال صحة يا الذي
ام يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه ورواه ابو داود
عن ابن جريج عن حكيمة عن امها اميمة بنت رقيقة وصحح ابن دحية
انهما قصتان وفعلتا امراتين وقد وضح ان بركة ام يوسف غير بركة ام
ايمن وهو الذي ذهب اليه شيخ الاسلام البلقيني وفي هذه الاحاديث
دلالة على طهارة بوله ودمه صلى الله عليه وسلم قال النووي في شرح
المهذب واستدل من قال بطهارتهما بالحديثين المعروفين ان ابا طيبة
الحجام حجمه صلى الله عليه وسلم وشرب دمه ولم ينكر عليه وان امراة
شربت بوله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليها وحديث ابي طيبة ضعيف
وحديث شرب المراة البول صحيح رواه الدارقطني وقال هو حديث
حسن صحيح وذلك كاف في الاحتجاج لكل الفضلات قياسا قال القاضي
حسين قال الاصح القطع بطهارة الجميع انتهى وبهذا قال ابو حنيفة
كما قاله العيني وابو طيبة بفتح الطا المهملة وسكون المثناة تحت
والموحدة نافع الحجام مولى محيصة بضم الميم وفتح المهملة وتشديد المثناة
تحت وكسرها هو ابو مسعود الانصاري وقال شيخ الاسلام ابن حجر قد
تكاثرت الادلة على طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم وعد الايمة ذلك
في خصايصه انتهى قال بعضهم وكان السر في ذلك ما روي من صنيع
الملكين حين غسلا جوفه والله اعلم واما سيرته صلى الله عليه وسلم في البول
ففي حديث عايشة عند ابي عوانة في صحيحه والحاكم ما بال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قايما منذ انزل عليه القران وفي حديث عبد الرحمن بن
حسنة عند النسائي وابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم بال جالسا فقالوا
انظروا اليه يبول كما تبول المراة وحكى ابن ماجة عن بعض مشايخه انه
قال كان من شان العرب البول قايما ويويده ما في حديث عبد الرحمن
هذا وفيه دلالة على انه كان يخالفهم في ذلك فيقعد لكونه استر
وابعد من مماسة البول وقال حذيفة اتى رسول الله صلى الله عليه

دم

٢٧٤

وسلم سباطة قوم فبال قايما ثم دعا بما فجيته بما فتوضا رواه البخاري وفي
رواية غيره بال قايما ففحج رجليه اي فرقهما وباعد ما بينهما والسباطة
بضم المهملة وبعد الف موحدة هي المزبلة والكناسة تكون بفنا الدور
مرفقا لاهلها وتكون في الغالب سهلة لا يرتد منها البول على البايل و
واضافتها الى القوم اضافة اختصاص لا ملك لانها لا تخلو عن النجاسة
وبهذا يندفع ايراد من استشكله لكون البول يوهي الجدار ففيه اضرار
ويقول انما بال فوق السباطة لا في اصل الجدار فهو صريح في رواية
ابي عوانة في صحيحه وقيل يحتمل ان يكون علم اذنهم في ذلك بالتصريح
او غيره او لكونه مما يتسامح الناس به او لعلمه بايثارهم اياه بذلك او لكونه
يجوز له التصرف في مال امته دون غيره لانه اولى بالمومنين من
انفسهم واموالهم وهذا وان كان صحيح المعنى لكن لم يعهد ذلك من سيرته
ومكارم اخلاقه صلى الله عليه وسلم قال الحافظ بن حجر واما مخالفته
صلى الله عليه وسلم لما عرف من عادته من الابعاد عند قضا الحاجة
عن الطرق المسلوكة وعن اعين النظار فقد قيل فيه انه صلى الله عليه
وسلم كان مشغولا بمصالح المسلمين ولعله طال عليه المجلس حتى احتاج
الى البول فلو ابعد لتضرر واستدنى حذيفة ليستره من خلفه
عن روية من لعله يراه ولعله فعله لبيان الجواز ثم هو في البول اخف
من الغايط لاحتياجه الى زيادة تكشف والغرض من الابعاد التستر
وهو يحصل بارخا الذيل والدنو من الساتر وروى الطبراني من
حديث عصمة بن مالك قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض سكك المدينة فانتهى الى سباطة قوم فقال يا حذيفة استرني
فذكر الحديث وظهر منه الحكمة في ادنايه حذيفة في تلك الحالة وقيل
انما بال قايما لانها يومن معها خروج الريح بصوت ففعل ذلك لكونه
قريبا من الديار ويويده ما رواه عبد الرزاق عن عمر رضي الله عنه
قال البول قايما احصن للدبر وقيل السبب في ذلك ما روي عن
الشافعي واحمد ان العرب كانت تستشفي لوجع الصلب بذلك فلعله
كان به وروى الحاكم والبيهقي من حديث ابي هريرة قال انما بال صلى
الله عليه وسلم قايما لجرح كان بمابضه والمابض بهمزة ساكنة بعدها
موحدة ثم معجمة باطن الركبة فكانه لم يتمكن لاجله من القعود ولو صح
هذا الحديث لكان فيه غنى عن جميع ما تقدم ولكن ضعفه الدارقطني
والبيهقي والاظهر انه فعل ذلك لبيان الجواز وكان اكثر احواله البول

٦٠

Copyright King Saud University

عن قعود وقيل ان البول عن قيام منسوخ واستدل عليه بحديث عايشة المتقدم
والصواب انه غير منسوخ والجواب عن حديث عايشة انه مستند الى علمها
فيحمل على ما وقع منه في البيوت واما غير البيوت فلم تطلع هي عليه وقد
حفظه حذيفة وهو من كبار الصحابة وهو جائز من غير كراهة اذا امن
الرشاش وكان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يدخل الخلا قال اللهم اني اعوذ بك
من الخبث والخبايث رواه البخاري من حديث انس والخبث بضم المعجمة والموحدة
ومراده ذكران الشياطين واناثهم وقد كان عليه الصلاة والسلام يستعيذ
اظهارا للعبودية ويجهر بذلك للتعليم وهل يختص هذا الذكر بالابنية
المعدة لذلك لكونها حضرة الشياطين او يعم الاصح الثاني ويقول ذلك قبل
الدخول في الامكنة واما في غيرها فيقول في اول الشروع كتشمير ثيابه مثلا
وهذا مذهب الجمهور فلو نسي يستعيذ بقلبه لا بلسانه وعن انس كان
صلى الله عليه وسلم اذا اراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض رواه
الترمذي وابو داود والدارمي وعن عايشة قالت كان صلى الله عليه وسلم
اذا خرج من الخلا قال غفرانك رواه الترمذي وابن ماجه وعن انس كان صلى
الله عليه وسلم اذا خرج من الخلا قال الحمد لله الذي اذهب عني الاذى
وعافاني من البلا رواه ابن ماجه وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم
الغايط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا او غربوا رواه البخاري
من حديث ابي ايوب الانصاري وهذا في الصحرا اما في البنيان فلا لما روي
عن ابن عمر رقيت فوق بيت حفصة لبعض حاجتي فرايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام رواه
الشيخان واما حديث جابر عند ابي داود وابن خزيمة ولفظه عند احمد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا ان نستدبر القبلة او نستقبلها
بفروجنا اذا اهرقنا الما قال ثم رايته قبل موته بعام مستقبل القبلة فقال
في فتح الباري الحق انه ليس بناسخ لحديث النهي خلافا لمن زعمه بل هو محمول على
انه راه في بنا او نحوه لان ذلك هو المعهود من حاله صلى الله عليه وسلم لمبالغته
في التستر ودعوى خصوصية ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم لا دليل عليه
اذ الخصايص لا تثبت بالاحتمال ومذهب الجمهور وهو مذهب مالك
والشافعي واسحق التفريق بين البنيان والصحرا وهذا اعدل الاقوال
لاعماله جميع الادلة وقال قوم بالتحريم مطلقا وهو المشهور عن ابي حنيفة
واحمد ورجحه من المالكية ابن العربي وحجتهم ان النهي مقدم على الاباحة ولم
يصححوا حديث جابر المتقدم وقال قوم بالجواز مطلقا وهو قول عايشة

وعروة

وعروة وربيعة محتجين بان الاحاديث تعارضت فليرجع الى اصل الاباحة
وفي البخاري عن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج لحاجته اجي انا وغلام
ومعنا اداوة من ما يعني يستنجي وفي رواية مسلم عنه فخرج علينا وقد استنجى
بالما وعن ابي هريرة قال اتبعت النبي صلى الله عليه وسلم وخرج لحاجته
فقال ابغني احجارا استنفض بها ولا تاتني بعظم ولا روث فاتيته باحجار
بطرف ثيابي فوضعها الى جنبه فلما قضى حاجته اتبعه بهن وعن عبد الله
ابن مسعود قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم الغايط فامرني ان اتيه
بثلاثة احجار فوجدت حجرين والتمست الثالث فلم اجده فاخذت روثة
فاتيته بها فاخذ الحجرين والقى الروثة رواه البخاري وفي حديث سلمان
عند مسلم مرفوعا لا يستنجي احدكم باقل من ثلاثة احجار وبه اخذ الشافعي
واحمد واصحاب الحديث فانهم اشترطوا ان لا ينقص من الثلاثة مع مرا عات
الانقا اذا لم يحصل بها فتزاد حتى ينقى ويستحب حينئذ الايتار لقوله
عليه الصلاة والسلام من استجمر فليوتر وليس بواجب لزيادة في ابي داود
حسنة الاسناد قال ومن لا فلا حرج قال الخطابي لو كان القصد الانقا فقط
لخلا اشتراط العدد عن الفايدة فلما اشترط العدد لفظا وعلم الانقا فيه
معنى دل على ايجاب الامرين ونظيره العدة بالاقرا فان العدد اشترط ولو
تحققت براة الرحم بقرء واحد وقال الطحاوي لو كان العدد شرطا
لطلب عليه الصلاة والسلام حجرا ثالثا وغفل رحمه الله عما اخرجه احمد في
مسنده من طريق معمر عن ابن مسعود في هذا الحديث فان فيه فالقى
الروثة وقال انها ركس ايتني بحجر ورجاله ثقات اثبات واستدلال الطحاوي
فيه نظر لاحتمال ان يكون اكتفى بطرف احدهما عن الثالث لان المقصود
بالثلاثة ان يمسح بها ثلاث مسحات وذلك حاصل ولو بواحد انتهى ملخصا من
فتح الباري

الفصل الثاني فيما اكرمه الله تعالى به من الاخلاق الزكية وشرفه من الاوصاف

اعلم ان الاخلاق جمع خلق بضم الخا واللام ويجوز اسكانها
قال الراغب الخلق والخلق بالفتح وبالضم في الاصل بمعنى واحد كالشرب
والشرب لكن خص الخلق الذي بالفتح بالهيات والصور المدركة بالبصر
وخص الخلق الذي بالضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة انتهى
وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة او مكتسب وتمسك من قال بانه
غريزة بحديث ابن مسعود ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم الحديث
رواه البخاري وقال القرطبي الخلق جبلة في نوع الانسان وهم في ذلك
متفاوتون فمن غلب عليه شي منها كان محمودا والا فهو المامور بالمجاهدة

بلغ

المدركة

فيه حتى يصير محمودا وكذلك ان كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى وقد
وقع في حديث الاشج انه صلى الله عليه وسلم قال له ان فيك لخصلتين يحبهما
الله الحلم والاناة قال يا رسول الله قديما كان في او حديثا قال قديما قال الحمد لله
الذي جبلني على خلقين يحبهما الله رواه احمد والنساي وصححه ابن حبان فترديد
السوال وتقريره عليه يشعر بان في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب وقد
كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما احسنت خلقي فحسن خلقي اخرجه احمد
وصححه ابن حبان وعند مسلم في حديث دعا الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق
لا يهدي لاحسنها الا انت ولما اجتمع صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال
ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد اثنى الله تعالى عليه في كتابه الكريم فقال
وانك لعلى خلق عظيم وكلمة على للاستعلا فدل اللفظ على انه مشتمل
على هذه الاخلاق ومستول عليها والخلق ملكة نفسانية تسهل على المتصف
بها الاتيان بالافعال الجميلة وقد وصف الله تعالى نبيه بما يرجع الى قوته
العلمية بانه عظيم فقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيما ووصف ما يرجع الى قوته العملية بانه عظيم فقال وانك لعلى خلق
عظيم فدل مجموع هاتين الايتين على ان روحه فيما بين الارواح البشرية
عظيمة عالية الدرجة كانها لقوتها وشدة كمالها كانت من جنس ارواح
الملايكة قال الحليمي وانما وصف خلقه بالعظم مع ان الغالب وصف الخلق
بالكرم لان كرم الخلق يراد به السماحة والدماثة ولم يكن خلقه صلى الله عليه
وسلم مقصورا على ذلك بل كان رحيما بالمومنين رفيقا بهم شديدا على الكفار
غليظا عليهم مهيبا في صدور الاعدا منصورا بالرعب منهم على مسيرة شهر
فكان وصف اخلاقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام وقال الجنيد وانما
كان خلقه صلى الله عليه وسلم عظيما لانه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقيل
لانه عليه الصلاة والسلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه وقيل لاجتماع
مكارم الاخلاق فيه قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني في الاوسط
بسند فيه عمر بن ابراهيم المقدسي وهو ضعيف عن جابر ان الله بعثني بتمام
مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال وفي رواية مالك في الموطا بلاغا
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فجميع الاخلاق الحميدة كلها كانت فيه صلى الله عليه
وسلم فانه ادب بالقران كما قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران
قال بعض العارفين وقد علم ان القران فيه المتشابه الذي لا يعلم تاويله
الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به اي اقررناه في تشابهه فاقررناه
به من خلق حجابه وتقلدنا سيف الحجة به وما لونه ما يحصل بقلة

ولا

ولاحده ما حسن الانامل وقال صاحب عوارف المعارف ولا يبعد ان في
قول عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران فيه رمز غامض وايما خفي
الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا
باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القران استحيا
من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال
ادبها انتهى فكما ان معاني القران لا تتناهى فكذلك اوصافه الجميلة الدالة
على خلقه العظيم لا تتناهى اذ في كل حالة من احواله يتجدد له من مكارم
الاخلاق ومحاسن الشيم وما يفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه
ما لا يعلمه الا الله تعالى فاذا التعرض لحصر جزئيات اخلاقه الحميدة تعرض
لما ليس من مقدور الانسان ولا من ممكنات عاداته قال الحرالي وهو كما في
القاموس بتشديد اللام نسبة الى قبيلة بالبربر واسمه علي بن احمد بن الحسن
ذو التصانيف المشهورة ولما كان تعرفان قلبه عليه الصلاة والسلام بربه
عز وجل كما قال عليه الصلاة والسلام بربي عرفت كل شي كانت اخلاقه
اعظم خلق فلذلك بعثه الى الناس كلهم ولم يقصر رسالته على الانس حتى
عمت الجن ولم يقصرها على القولين حتى عمت جميع العالمين فكل من كان
الله ربه فمحمد رسوله وكما ان الربوبية تعم العالمين فالخلق المحمدي يشمل
جميع العالمين انتهى وهذا مصير منه الى انه صلى الله عليه وسلم قد
ارسل الى الملايكة ايضا وسياتي الكلام في ذلك مستوفى ان شا الله تعالى وهو المستعان
وقد كان صلى الله عليه وسلم مجبولا على الاخلاق الكريمة في اصل خلقته الزكية
النقية لم يحصل له ذلك برياضة نفس بل بجود الهي ولذا لم تشرق انوار
المعارف في قلبه حتى وصل الى الغاية العليا والمقام الاسنى واصل هذه
الخصال الحميدة والمواهب المجيدة كمال العقل لان به تقتبس الفضايل
وتجتنب الرذايل فالعقل لسان الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح
بمثابة القلب والعقل بمثابة اللسان قال بعضهم لكل شي جوهر وجوهر
الانسان العقل وجوهر العقل الصبر واما ما روي ان الله لما خلق
العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما
خلقت خلقا اشرف منك فبك اخذ وبك اعطي فقال ابن تيمية وتبعه
غيره انه كذب موضوع باتفاق انتهى وفي رواية عبد الله بن الامام
احمد في الزهد لابيه عن علي بن مسلم عن سيار بن حاتم وهو ممن ضعفه
غير واحد وكان جامعا للرقايق وقال القواريري انه لم يكن له عقل
قال حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي حدثنا مالك بن دينار عن الحسن

الثقلين

١٧٤

الصوري مرسلا لما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال
ما خلقت خلقا احب الي منك بك اخذ وبك اعطي واخرجه داود بن المحبر في كتاب
العقل له وابن المحبر كذاب قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر والوارد في اول ما خلق
الله القلم وهو اثبت من حديث العقل قال الشيخ احمد عن قرة بن اياس المزني
ان الناس يعملون الخير وانما يعطون اجورهم على قدر عقولهم وقد اختلف
في ماهية العقل اختلافا طويلا يطول استقصاؤه وفي القاموس وابن حطر
مولفه العقل العلم او بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها
او العلم بخير الخيرين وشر الشرين او يطلق لامور لقوة بها يكون التمييز بين
القبح والحسن ولمعان مجتمعة في الذهن تكون بمقدمات يستتب بها الاغراض
والمصالح ولهيئة محمودة للانسان في حركاته وكلماته والحق انه نور روحاني به
تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية وابتدا وجوده عند اجتنان
الولد ثم لا يزال ينمو الي ان يكمل عند البلوغ انتهى وقد كان صلى الله عليه وسلم
من كمال العقل في الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه ولهذا كانت تعارفه
عظيمة وحصا يصح حسبة جارت العقول في تفيض بعض ما افاضه من
غيبه لديه وكلت الانكار في بعض ما اطلعه الله عليه وكيف لا يعطي ذلك
وقد امتلا قلبه وباطنه وفاض على جسده المكرم ما وهبه من اسرار الالهية ومعرفة
ربوبيته وتحقق عبوديته قال وهب ابن منبه قرات في احد وسبعين كتابا
فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها
من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رملة بين رمل من جميع رمال
الدنيا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا رواه ابو نعيم
في الحلية وابن عساكر وعن بعضهم ما هو في عوارف المعارف اللب والعقل
مائة جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في سائر المومنين ومن
حسن تدبيره للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة والطبع المتنافر المتباعد
وكيف ساسهم واحتمل جفاهم وصبر على اذاهم الى ان انقادوا اليه واجتمعوا عليه وقاتلوا
دونه اهليهم واباءهم وابناءهم واختاروه على انفسهم وهجروا في رضاه اوطانهم واحبابهم
من غير ممارسة سبقت له ولا مطالعة كتب يتعلم منها سير الماضين تحقق انه
اعقل العالمين ولما كان عقله عليه الصلاة والسلام اوسع العقول لا جرم اتسعت
اخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يضيق عن شيء فمن ذلك اتساع حلمه العظيم
في الحلم والعفو مع القدرة وصبره عليه الصلاة والسلام على ما يكره وحسبك صبره
وعفوه عليه الصلاة والسلام عن الكافرين به المقاتلين المحاربين له في اشد
ما نالوه به من الجراح والجهد بحيث كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد حتى

صار

العقل

تامل

بلغ

صار الدم يسيل على وجهه الشريف حتى شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت
عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومي واهد قومي
فانهم لا يعلمون قال ابن حبان اي اغفر لهم ذنبهم في شج وجهي لا انه اراد الدعاء لهم بالمغفرة
مطلقا اذ لو كان كذلك لاجيب ولو اجيب لاسلموا كلهم لذا قاله رحمه الله وقد روي
عن عمر انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه
فقال رب لا تذر على الارض الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد
وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون وها هنا دقيقة وهي انه عليه الصلاة والسلام لما شج وجهه
عفا وقال اللهم اهد قومي وحين شغلوه عن الصلاة يوم الخندق قال اللهم املا بطونهم
نارا فتحمل الشجة الحاصلة في وجه جسده الشريف وما تحمل الشجة الحاصلة في وجه
دينه فان وجه الدين هو الصلاة فرجح حق خالقه على حقه واعلم ان الصبر على
الاذى جهاد النفس وقد جبل الله تعالى النفس على التالم بما يفعل بها ولهذا اشتق
عليه صلى الله عليه وسلم نسبتهم له الى الجور في القسمة لكنه عليه الصلاة والسلام
حلم على القائل وصبر على ما علم من جزيل ثواب الصابرين وان الله يأجره بغير حساب
وصبره عليه الصلاة والسلام على الاذى انما هو فيما كان من حق نفسه واما اذا كان لله
فانه يمتثل فيه امر الله تعالى من الشدة كما قال له تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم وقد وقع له عليه السلام انه غضب لاسباب مختلفة مرجعها الى ان ذلك
كان في امر الله واظهر الغضب فيها ليكون اوكد في الزجر فصبره وعفوه انما كان فيما
يتعلق بنفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم وقد روى الطبراني وابن حبان
والحاكم والبيهقي عن زيد بن سعنة بالمهملة والنون المفتوحتين كما قيده به
عبد الغني وذكره الدارقطني وبالمثناة التحتية ثبت في الشفا وصحح عليه
مولفه بخطه وهو الذي ذكره ابن اسحق وهو كما قاله النووي اجل احبار
اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شيء الا وقد عرفته
في وجه محمد حين نظرت اليه الا اثنتين لم اخبرهما منه يسبق حلمه جهله
ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت اتلطف له لان اخالطه فاعرف حلمه
وجهله فابتعت منه تمرا الى اجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين
او ثلاثة اتيته فاخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ
ثم قلت الا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال
عمر اي عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا
ما احاذر فوته لضربت بسيفي راسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر
الى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال انا وهو كنا احوج الى غير هذا منك يا عمر

١٧٨

مطل بصيغة الجمع

Copyright King Saud University

ان تامر بي بحسن الاداء تامره بحسن التقاضي اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده
عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنتين لم اختبرهما يسبق حلمه جهله
ولا تزيده شدة الجهل الا حلما فقد اختبرتهما فاشهدك اني قد رضيت بالله ربا
وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وعن ابي هريرة قال كنا نقعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما فاذا قام قمنا حين قام فنظرنا الى اعرابي قد ادركه فجذبه بردائه فجر رقبته وكان رداء خشنا فالتفت اليه فقال له الاعرابي احملني على بعيري هذين فانك
لا تحملني من مالك ولا من مال ابيك فقال صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله لا واستغفر
الله لا واستغفر الله لا احملك حتى تقيدني من جبذتك التي جبذتني فكل ذلك يقول
له الاعرابي والله لا اقيدكها فذكر الحديث قال ثم دعا رجلا فقال له احمل له على
بعيريه هذين على بعير تمرا وعلى الاخر شعيرا رواه ابو داود ورواه البخاري
من حديث انس بلفظ كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني
غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة قال انس فنظرت
الى صفحة عاتقه وقد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد
مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه فضحك ثم امر له بعطاء وفي هذا
بيان حلمه عليه الصلاة والسلام وصبره على الاذى في النفس والمال والتجاوز
عن جفاء من يريد تألفه على الاسلام وعن عايشة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
فاحشا ولا متفحشا في رواية ايضا من حديث انس بن مالك لم يكن النبي صلى الله
عليه وسلم سبابا ولا فاحشا ولا لعانا والفحش كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح
ويدخل في القول والفعل والصفة لكن استعماله في القول اكثر والمتفحش
بالتشديد الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه وعن عايشة ان رجلا استاذن
على النبي صلى الله عليه وسلم فلما راه قال بئس اخو العشيرة وبئس ابن العشيرة
فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط اليه فلما انطلق
الرجل قالت له عايشة يا رسول الله حين رايت الرجل قلت له كذا وكذا ثم
تطلقت في وجهه وانبسطت اليه فقال صلى الله عليه وسلم يا عايشة متى
عهدتني فحاشا ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس
اتقاء شره رواه البخاري قال ابن بطال هذا الرجل هو عيينة بن حصن
ابن بدر الفزاري وكان يقال له الاحمق المطاع وكذا فسره به القاضي عياض
والقرطبي والنووي واخرج عبد الغني من طريق ابي عامر الخراز عن عايشة
قالت جاء مخرمة بن نوفل يستاذن فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوته
قال بئس اخو العشيرة الحديث المراد بالعشيرة الجماعة او القبيلة وقال

تطلق

تطلق صلى الله عليه وسلم في وجهه تألفا له ليسلم قومه لانه كان رئيسهم وقد جمع هذا
الحديث كما قاله الخطابي علما وادبا وليس قوله عليه الصلاة والسلام في امته بالامور
التي يسميهم بها ويضيفها اليهم من المكروه غيبة وانما يكون ذلك من بعضهم في
بعض بل الواجب عليه صلى الله عليه وسلم ان يبين ذلك ويفصح به ويعرف
الناس امرهم فان ذلك من باب النصيحة والشفقة على الامة ولكنه لما جبل عليه
من الكرم واعطيه من حسن الخلق اظهر له البشاشة ولم يجبهه بالمكروه ليقتدي
به امته في اتقاء شر من هذا سبيله وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته وقال
القرطبي فيه جواز غيبة المعلن بالفسق او الفحش ونحو ذلك مع جواز مداراتهم
اتقاء شرهم ما لم يود ذلك الى المداهنة في دين الله ثم قال تبعا للقاضي عياض
حسين والفرق بين المداراة والمداهنة ان المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا (الديني)
او الدين او هما معا وهي مباحة وربما استحسنت والمداهنة ترك الدين لصلاح
الدنيا والنبي صلى الله عليه وسلم انما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق
في مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقول فلم يناقض قوله فيه فعله فان قوله
فيه قول حق وفعله معه حسن عشرة فيزول مع هذا التقدير الاشكال
ولله الحمد وقال القاضي عياض لم يكن عيينة والله اعلم حينئذ اسلم فلم يكن القول
فيه غيبة او كان اسلم ولم يكن اسلامه ناصحا فاراد النبي صلى الله عليه وسلم
ان يبين ذلك لئلا يغتر به من لم يعرف باطنه وقد كانت منه في حياة النبي صلى الله
عليه وسلم وبعده امور تدل على ضعف ايمانه فيكون ما وصفه به عليه الصلاة
من علامات النبوة واما الالانة القول بعد ان دخل فعلى سبيل الاستيلاف وفي
فتح الباري ان عيينة ارتد في زمن الصديق وحارب ثم رجع واسلم وحضر
بعض الفتوح في عهد عمر انتهى وما انتقم صلى الله عليه وسلم لنفسه رواه
البخاري فان قلت قد صح انه صلى الله عليه وسلم امر بقتل عقبة ابن ابي معيط
وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم وهذا ينافي
قوله وما انتقم لنفسه فالجواب انهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله وقيل اراد بانه لا ينتقم اذا اوذي في غير السبب الذي يخرج الى الكفر كما عفي
عن الاعرابي الذي جفا في رفع صوته عليه وعن الاخر الذي جبذ بردائه
حتى اثر في كتفه وحمل الداودي عدم الانتقام على ما يختص بالمال واما العرض
فقد اقتص ممن نال منه وقد اخرج الحاكم هذا الحديث من طريق معمر عن
الزهري مطولا واوله ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما بذكر
اي بصريح اسمه وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يضرب في سبيل الله ولا
سئل شيئا قط فمنعه الا ان يسال ماثما ولا انتقم لنفسه من شي الا ان

Copyright © King Saud University

تنتهك حرمات الله فيكون لله بتنقم الحديث ومارو ي من اتساع خلقه وحلمه
صلى الله عليه وسلم اتساع خلقه للطايفة المنافقين الذين كانوا يوذونه
اذا غاب ويتملقون له اذا حضر وذلك ما تنفر منه النفوس البشرية حتى
تويدها العناية الربانية وكان عليه الصلاة والسلام كلما اذن له في التثريب
عليهم فتح لهم صلى الله عليه وسلم بابا من الرحمة فكان يستغفر لهم ويدعو لهم
حتى انزل الله عليه استغفر لهم او لا تستغفر لهم فقال عليه الصلاة والسلام
خيرني ربي فاخترت ان استغفر لهم ولما قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين
مرة فلن يغفر الله لهم فقال صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين
وان ولد الذي تولى كبر النفاق والاذي منهم بير ابيه ولما مات كفنه في ثوب
خلعه عن بدنه وصلى عليه هذا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يجذبه بثوبه ويقول
يا رسول الله اتصلي على راس المنافقين فنتر ثوبه من عمر وقال اليك عني
يا عمر فخالق موسينا وليا في حق منافق عدو وكل ذلك رحمة سنيه كامنه اشار اليه
الحرالي وقال النووي قيل انما اعطاه قميصه وكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه
فانه كان صحابيا صالحا وقد سال ذلك فاجابه اليه وقيل مكافاة لعبد الله
المنافق الميت لانه كان البس العباس حين اسر يوم بدر قميصا وفي ذلك كله
بيان لعظم مكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق
من الايذا وقابله بالحسنى فالبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال
الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ومن ذلك انه عليه الصلاة والسلام لم يواخذ
لبيد بن الاعصم اذ سحره وعفا عن اليهودية التي سمته في الشاة على الصحيح
من الرواية والله تعالى يرحم القايل وما الفضل الا خاتم انت فضه ∴
وعفوك نقش الفص فاختم به عذري ومن ذلك اشفاقه صلى الله عليه
وسلم على اهل الكباير من امته ولومه اياهم بالستر فقال من بلي بهذه القاذورات
يعني المحرمات فليستتر وامر امته ان يلتمس العفو واللحد وذو ي يرجوا عليه
لا احنقوا عليه تسبوه ولعنوه فقال قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه وقال
لهم في رجل كان كثيرا ما يوتى به سكران بعد تحريم الخمر فلعنوه مرة فقال
لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله فظهر لهم مكتوم قلبه لما رفضوه بظاهر
فعله وانما ينظر الله الى القلوب طهر الله قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا ومن
ذلك ما رواه الدارقطني من حديث عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يصغي الى الهرة الاناء حتى تشرب ثم يتوضا بفضلها ومن ذلك
اتساع خلقه في شريف تواضعه وادابه وحسن عشرته مع اهله وخدمه
واصحابه قال بعضهم اعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند

لعان

جامعة الرياض قسم المخطوطات

لعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوابها صفاوها
من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق والخلق بمحو اثارها وسكون وهجها
وغبارها وكان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا صلى الله عليه وسلم في اوطان
القرب وحسبك من تواضعه عليه الصلاة والسلام ان خيره ربه تعالى بين
ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا ثم فلما اعطاه الله تعالى بتواضعه ان جعله اول
من تنشق عنه الارض واول شافع واول مشفع فلم ياكل متكيا بعد ذلك
حتى فارق الدنيا وقد قال عليه الصلاة والسلام لا تطروني كما اطرت النصارى
ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله رواه الترمذي ومن تواضعه
عليه الصلاة والسلام انه كان لا ينهر خادما روينا في كتاب الترمذي عن انس
قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط ولا قال
لشي صنعته لم صنعته ولا لشي تركته لم تركته وكذلك كان صلى الله عليه وسلم
مع عبيده واماية ما ضرب منهم احدا قط وهذا امر لا يتسع له الطباع البشرية لولا
التاييد الرباني وفي رواية مسلم ما رايت احدا ارحم بالعيال من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالت عايشة ما ضرب صلى الله عليه وسلم شيا قط بيده
ولا امراة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شي قط فينتقم من صاحبه
الا ان ينتهك شي من محارم الله فينتقم لله رواه مسلم وسيلت عايشة كيف
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا في بيته قالت الين الناس بساما
ضحاكا لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه وعنها ما كان احد احسن خلقا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه الا قال لبيك رواه
وعند احمد وابن سعد وصححه ابن حبان عنها كان صلى الله عليه وسلم
يخيط ثوبه ويخصف نعله وفي رواية لاحمد ويرقع دلوه وعنده ايضا
يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه وهذا يتعين حمله على اوقات فانه
ثبت انه كان له خدم فتارة يكون بنفسه وتارة بغيره وتارة بالمشاركة
وكان يركب الحمار ويردف خلفه وركب يوم بني قريظة على حمار مخطوم
بحبل من ليف رواه الترمذي وعن قيس بن سعد قال زارنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما ان اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطا عليه
بقطيفة وركب صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف وفي رواية اخرى اركب
امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها رواه ابو داود وغيره وفي البخاري
من حديث انس بن مالك اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

بلغ

رسول الله

Copyright King Saud University

والصواب عن خيبر

من خيبر واني لرديف ابي طلحة وهو يسير وبعض نسا رسول الله صلى الله
عليه وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عثرت الناقة فقلت
المراة فقال صلى الله عليه وسلم انها امكم فشددت الرحل وركب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحديث والمراة صفية والمردف والرديف الراكب
خلف الراكب باذنه وقال معاذ بن جبل بينا انا رديف النبي صلى الله عليه وسلم
ليس بيني وبينه الا اخرة الرحل وقد ركب صلى الله عليه وسلم على حمار على اكاف
عليه قطيفة فدكية واردف اسامة وراءه ولما قدم عليه الصلاة والسلام
من مكة استقبله اغيلمة بني عبد المطلب فحمل واحدا بين يديه واخر خلفه
وقال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حمل قثم بين يديه
والفضل خلفه او قثم خلفه والفضل بين يديه رواه البخاري وذكر
المحب الطبري في مختصر السيرة النبوية له انه صلى الله عليه وسلم ركب
حمارا عريا الى قبا وابو هريرة معه قال يا ابا هريرة احملك فقال ما شئت
يا رسول الله قال اركب فوثب ابو هريرة ليركب فلم يقدر فاستمسك
برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم
ثم قال يا ابا هريرة احملك فقال ما شئت يا رسول الله فقال اركب فلم
يقدر ابو هريرة على ذلك فتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا
جميعا ثم قال يا ابا هريرة احملك فقال لا والذي بعثك بالحق لا رميتك
ثالثا وذكر الطبري ايضا انه عليه الصلاة والسلام كان في سفر وامر اصحابه
باصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله علي ذبحها وقال اخر يا رسول الله
علي سلخها وقال اخر يا رسول الله علي طبخها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلي جمع الحطب فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل فقال
قد علمت انكم تكفوني ولكني اكره ان اتميز عليكم وان الله يكره من عبده ان
يراه متميزا بين اصحابه انتهى ولم ار هذا الخبر الطبري بعد التتبع
نعم رايت في جزء تمثال النعل الشريف لابي اليمن ابن عساكر بعد ان روى
حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنت مع النبي صلى
الله عليه وسلم في الطواف فانقطعت شسعه فقلت يا رسول الله
ناولني اصلحه فقال هذه اثرة ولا احب الاثرة والاثرة بفتح الهمزة والثا
الاسم من اثر يوثر اذا اعطى والاثرة الاستيثار وهو الانفراد بالشي قال
وكانه كره صلى الله عليه وسلم ان ينفرد احد باصلاح نعله فيحوز فضيلة
الخدم فيكون له بمثابة الخادم ويكون له صلى الله عليه وسلم ترفع المخدوم
على خادمه كره ذلك صلى الله عليه وسلم لتواضعه وعدم ترفعه على

من

١٧٨

من يصحبه ويوقره ما روي انه صلى الله عليه وسلم اراد ان يمتهن نفسه
في شي فقالوا نحن نكفيك يا رسول الله قال قد علمت انكم تكفوني ولكني
اكره ان اتميز عليكم فان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين اصحابه صلى
الله عليه وسلم انتهى ثم رايت شيخنا في الاحاديث المشتهرة حكى ذلك والله
الموفق وعن ابي قتادة لما وفد وفد النجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم
يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك قال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانا احب
ان اكافيهم ذكره في الشفا وفي البخاري عن انس كان الرجل يجعل للنبي صلى
الله عليه وسلم النخلات حتى افتتح قريظة والنضير وان اهلي امروني ان
اتي النبي صلى الله عليه وسلم فاساله الذي كان اعطاه او بعضه وكان عليه
الصلاة والسلام قد اعطاه ام ايمن فجاءت ام ايمن فجعلت الثوب في عنقي
تقول كلا والذي لا اله الا هو لا يعطيكم وقد اعطانيها او كما قالت والنبي صلى
الله عليه وسلم يقول لك كذا وتقول كلا والله حتى اعطاها حسبت انه
قال عشرة امثاله او كما قال وانما فعلت هذا ام ايمن لانها ظنت انها كانت هبة
موبدة وتمليكا لاصل الرقبة واراد النبي صلى الله عليه وسلم استطابة
قلبها في استرداد ذلك فلاطفها وما زال يزيدها في العوض حتى رضيت
وكل هذا تبرع منه صلى الله عليه وسلم واكرام لها لما لها من حق الحضانة
والتربية ولا يخفى ما في هذا من فرط جوده وكثرة حلمه وبره صلى الله
عليه وسلم وجاءته صلى الله عليه وسلم امراة كان في عقلها شي فقالت ان لي
اليك حاجة فقال اجلسي في اي سكك المدينة شئت اجلس اليك
وفي رواية مسلم حتى اقضي حاجتك فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت
من حاجتها ولا ريب ان هذا كله من كثرة تواضعه صلى الله عليه وسلم
وقال عبد الله بن الحمسا بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث
وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت فذكرت
بعد ثلاث فاذا هو في مكانه فقال لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث
انتظرك رواه ابو داود وقال ابن ابي اوفى كان عليه الصلاة والسلام
لا يانف ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي له الحاجة رواه
النساي وفي رواية البخاري ان كانت الامة لتاخذ بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وفي رواية احمد فتنطلق به
في حاجتها وعنده ايضا ان كانت الوليدة من ولايد اهل المدينة لتجي
فتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ينزع يده من يدها حتى تذهب
به حيث شاءت والمقصود من الاخذ باليد لازمه وهو الانقياد وقد

بلغ [illegible]

اشتمل على انواع من المبالغة في التواضع لذكره المراة دون الرجل والامة دون
الحرة وحيث عمم بلفظ الاماء اي اي امة كانت وبقوله حيث شاءت اي من الامكنة
والتعبير باليد اشارة الى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة
والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة لساعدها على ذلك وهذا من
مزيد تواضعه وبرائته من جميع انواع الكبر صلى الله عليه وسلم ودخل
الحسن وهو يصلي وقد سجد فركب على ظهره فابطأ في سجوده حتى نزل
الحسن فلما فرغ قال له بعض اصحابه يا رسول الله لقد اطلت سجودك
قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله اي جعلني كالراحلة فركب على ظهري
وكان عليه الصلاة والسلام يعود المرضى ويشهد الجنازة اخرجه الترمذي
في الشمايل وحج عليه الصلاة والسلام على رحل رث وعليه قطيفة لا تساوي
اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة وكان اذا صلى الغداة
جاء خدم المدينة بانيتهم فيها الماء فما يؤتى باناء الا غمس يده فيه فربما جاءوه
في الغداة الباردة فيغمس يده فيها رواه مسلم والترمذي وكان عليه
الصلاة والسلام حسن العشرة مع ازواجه وكان عليه الصلاة والسلام
ينام مع ازواجه قال النووي وهو ظاهر فعله الذي واظب عليه مع
مواظبته صلى الله عليه وسلم على قيام الليل فينام مع احداهن فاذا اراد
القيام لوظيفته قام وتركها فيجمع بين وظيفته واداء حقها المندوب
وعشرتها بالمعروف وقد علم من هذا ان اجتماع الزوج مع زوجته في
فراش واحد افضل لا سيما ان عرف من حالها حرصها على هذا ولا يلزم
من نومه معها الجماع والله اعلم وقد كان عليه الصلاة والسلام يسرب الى
عايشة بنات الانصار يلعبن معها رواه الشيخان واذا شربت من الاناء
اخذه فوضع فمه على موضع فمها وشرب رواه مسلم واذا تعرقت عرقا وهو
العظم الذي عليه اللحم اخذه فوضع فمه على موضع فمها رواه مسلم ايضا وكان
يتكئ في حجرها ويقبلها وهو صايم رواه الشيخان وكان يريها الحبشة وهم
يلعبون في المسجد وهي متكية على منكبه رواه البخاري ورواه الترمذي
بلفظ قام صلى الله عليه وسلم فاذا حبشية تزفن والصبيان حولها فقال
يا عايشة تعالي فانظري فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجعلت انظر اليها ما بين المنكب الى راسه فقال لي
اما شبعت اما شبعت قالت فجعلت اقول لا لا وقال حسن غريب وروي
انه صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ذلك فسبقها فقال
هذه بتلك السبقة رواه ابو داود بلفظ سابقته في سفر فسبقته

على رجلي قالت فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال هذه بتلك السبقة
وعن انس بن مالك انهم كانوا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيت عايشة رضي الله عنها اذ اتي بصحفة خبز ولحم من بيت ام سلمة
فوضعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعوا ايديكم
فوضع نبي الله صلى الله عليه وسلم ووضعنا ايدينا فاكلنا وعايشة تصنع
طعاما عجلته قد رات الصحفة التي اتي بها فلما فرغت من طعامها جاءت به
فوضعته ورفعت صحفة ام سلمة فكسرتها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كلوا بسم الله غارت امكم ثم اعطى صحفتها ام سلمة فقال طعام مكان
طعام واناء مكان اناء رواه الطبراني في الصغير وهو عند البخاري بلفظ كان
عند بعض نسائه فارسلت احدى امهات المومنين بصحفة فيها طعام
فضربت التي النبي في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت فجمع
صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في
الصحفة ويقول غارت امكم ثم حبس الخادم حتى اتي بصحفة من عند التي
هو في بيتها فدفع الصحفة الى التي كسرت صحفتها وامسك المكسورة
في بيت التي كسرت وعند احمد وابو داود والنسائي وعند احمد وابي داود
والنساي قالت عايشة ما رايت صانعة طعاما مثل صفية اهدت الى
النبي صلى الله عليه وسلم اناء من طعام فما ملكت نفسي ان كسرته فقلت
يا رسول الله ما كفارته قال اناء كاناء وطعام كطعام وعند غيرهم فاخذت
القصعة من بين يديه فضربت بها وكسرتها فقام صلى الله عليه وسلم
يلتقط اللحم والطعام وهو يقول غارت امكم فلم يثرب عليها فوسع هو
خلقهم الكريم اثار صفحات اثار غيرتها ولم يناثر وقضى عليها بحكم الله في التفا ص
وهكذا كانت احواله عليه الصلاة والسلام مع ازواجه لا ياخذ عليهن
ويعذرهن وان اقام عليهن قسطاس عدله اقامه بغير قلق ولا غضب
بل رؤوف رحيم حريص عليهن وعلى غيرهن عزيز عليه ما يعنتهم قيل وفي
هذا الحديث اشارة الى عدم مواخذة الغيرى فيما يصدر منها لانها في تلك
الحالة يكون عقلها محجوبا بشدة الغضب الذي اثارته الغيرة وقد اخرج
ابو يعلى بسند لا باس به عن عايشة مرفوعا ان الغيرى لا تبصر اسفل
الوادي من اعلاه انتهى وعن عايشة رضي الله عنها اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم بخزيرة طبختها له فقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم
بيني وبينها كلي فابت فقلت لها لتاكلين او لالطخن بها وجهك فابت
فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها فضحك رسول الله صلى

ما يعنتهم

١٧٩

الله عليه وسلم ثم وضع خده لها وقال لسودة الطخي وجهها فلطخت بها وجهي فضحك
صلى الله عليه وسلم الحديث رواه ابن غيلان من حديث الهاشمي وخرجه الملا
في سيرته والخزيرة لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذر عليه
الدقيق وبالجملة فمن تأمل سيرته عليه الصلاة والسلام مع أهله وأصحابه
وغيرهم من الفقراء والأيتام والأرامل والأضياف والمساكين علم أنه قد بلغ من رقة
القلب ولينه الغاية التي لا مرمى وراءها لمخلوق وأنه كان يشتد في
حدود الله وحقوقه ودينه حتى قطع يد السارق إلى غير ذلك **وقد كان**
صلى الله عليه وسلم يباسط أصحابه بما يوجب حبه في القلوب كان له رجل
من البادية يسمى زاهرا وكان يهادي النبي صلى الله عليه وسلم بموجود البادية
بما يستطرف منها وكان صلى الله عليه وسلم يهاديه ويكافئه بموجود الحاضرة
وبما يستطرف منها وكان صلى الله عليه وسلم يقول زاهر باديتنا ونحن حاضرته
وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فمشى صلى الله عليه وسلم يوما إلى السوق فوجده
قائما فجاءه من قبل ظهره وضمه بيده إلى صدره فأحس زاهر بأنه صلى الله عليه
وسلم قال فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء بركته وفي رواية الترمذي في
الشمائل فاحتضنه من خلفه ولا يبصره فقال أرسلني من هذا فالتفت فعرف
النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه
وسلم حين عرفه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يشتري العبد
فقال له زاهر يا رسول الله إذا تجدني كاسدا فقال له صلى الله عليه وسلم
أنت عند الله غال وفي رواية للترمذي أيضا ~~لكن عند الله لست بكاسد~~
~~وقال أنت عند الله غال~~ وأخرج أبو يعلى عن زيد بن أسلم أن رجلا كان يهدي
للنبي صلى الله عليه وسلم العكة من السمن والعسل فإذا جاء صاحبه
يتقاضاه جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعط هذا متاعه فما يزيد
النبي صلى الله عليه وسلم أن يتبسم ويأمر به فيعطى ووقع في حديث محمد
ابن عمرو بن حزم وكان لا يدخل إلى المدينة طرفة إلا اشترى منها ثم جاء
فقال يا رسول الله هذا أهديته لك فإذا جاء صاحبه يطلب ثمنه جاء به
فقال أعط هذا الثمن فيقول ألم تهده إلي فيقول ليس عندي فيضحك
ويأمر لصاحبه بثمنه وكان عليه الصلاة والسلام يمزح ولا يقول إلا حقا
كما روى أبو هريرة وقد قال له رجل كان فيه بله يا رسول الله احملني
فباسطه عليه الصلاة والسلام من القول بما عساه أن يكون شفاء لبله
بعد ذلك فقال أحملك على ابن الناقة فسبق لخاطره استصغار
ما تصدق عليه البنوة فقال يا رسول الله ما عسى يغني عني ابن الناقة

فقال

بلغ

فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك وهل يلد الجمل إلا الناقة وباسط عمته صفية وهي
عجوز فقال لها إن الجنة لا تدخلها عجوز فلما جزعت قال لها إنك تعودين إلى الصورة
الشابة في الجنة وفي رواية الترمذي عن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم أتته عجوز
فقالت يا رسول الله ادع الله لي أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها
عجوز قالت فولت تبكي فقال أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى
يقول إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا وذكره رزين وكان عليه الصلاة والسلام
يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويؤانسهم ويأخذ معهم في تدبير أمورهم ويداعب
صبيانهم ويجلسهم في حجره وهو مع ذلك سره في الملكوت يجول حيث أراد الله
به والدعابة بضم الدال وتخفيف العين المهملتين وبعد الألف موحدة هي
الملاطفة في القول بالمزاح وغيره وقد أخرج الترمذي وحسنه من حديث
أبي هريرة قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا قال إني لا أقول إلا حقا وما ورد
عنه عليه الصلاة والسلام في النهي عن المداعبة محمول على الإفراط لما فيه
من الشغل عن ذكر الله والتفكر في مهمات الدين وغير ذلك والذي يسلم من
ذلك هو المباح فإن صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب كما كان هو
فعله عليه الصلاة والسلام فهو مستحب وقال أنس كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير وكان
له نغر يلعب به فمات فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرآه حزينا
فقال ما شأنه قالوا مات نغره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير رواه البخاري
ومسلم وفي رواية الترمذي قال أنس إنه كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا
حتى يقول لأخ لي صغير يا أبا عمير ما فعل النغير قال الجوهري النغير تصغير
نغر والنغر جمع النغرة وهو طائر صغير كالعصفور والجمع نغران مثل
صرد وصردان وكان قد ألقي عليه مع الدعابة المهابة ولقد جاء إلى النبي صلى الله
عليه وسلم رجل فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال
له هون عليك فإني لست بملك ولا جبار إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل
القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس
إني أوحي إلي أن تواضعوا ألا فتواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد
على أحد وكونوا عباد الله إخوانا فسكن عليه الصلاة والسلام روعه
بشفقته لأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم وسلب عنه وصف الملوكية بقوله
فإني لست بملك لما يلزمها من الجبروتية وقال إنما أنا ابن امرأة تأكل
القديد تواضعا لأن القديد مفضول وهو مأكول المسكنة ولما
رأته عليه الصلاة والسلام قيلة بنت مخرمة في المسجد وهو قاعد القرفصا

أرعدت من الفرق رواه ابو داود وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاصي
قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملات عيني منه قط حياء
منه وتعظيما له ولو قيل لي صفه لما قدرت او كما قال واذا كان هذا قوله
وهو من جلة اصحابه ولولا انه عليه الصلاة والسلام كان يباسطهم ويتواضع
لهم ويونسهم لما قدر احد منهم ان يقعد معه ولا ان يسمع كلامه عليه
الصلاة والسلام لما رزقه الله تعالى من المهابة والجلالة ويبين ذلك
ويوضحه ما روي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا فرغ من ركوع الفجر حدث
عايشة ان كانت مستيقظة والا اضطجع بالارض ثم خرج بعد ذلك
الى الصلاة وما ذاك الا انه عليه الصلاة والسلام لو خرج على تلك الحالة
التي كان عليها وما حصل له من القرب والتداني في مناجاته وسماع كلام ربه
وغير ذلك من الاحوال التي تكل اللسان عن وصف بعضها لما استطاع
بشر ان يلقاه ولا يباشره فكان عليه الصلاة والسلام يتحدث مع عايشة
او يضطجع بالارض حتى يحصل التانيس بجنسهم وهو التانيس مع عايشة
او جنس اصل الخلقة التي هي الارض ثم يخرج اليهم وما ذاك الا رفقا بهم وكان
بالمومنين رحيما قاله ابن الحاج في المدخل وقد جاء في الحديث انه لما
خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فنظر عليه الصلاة والسلام الى
جبريل كالمستشير له فنظر جبريل الى الارض يشير الى التواضع فاختار
عليه الصلاة والسلام العبودية فلما كان تواضعه عليه الصلاة والسلام
الى الارض حيث اشار جبريل اورثه الله تعالى رفعة الى الارض السما ثم الى الوقوف
الاعلى الى حضرة قاب قوسين او ادنى ووقف بين يديه محمود بن الربيع وهو
صغير ابن خمس سنين فمج عليه الصلاة والسلام في وجهه مجة من ماء من دلو
بمازحه بها فكان في ذلك من البركة انه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر رؤية
النبي صلى الله عليه وسلم الا تلك المجة فعد بها من الصحابة وحديثه
مذكور في البخاري ودخلت عليه ربيبته زينب بنت ام سلمة وهو يغتسل
فنضح الما في وجهها فكان في ذلك من البركة في وجهها انه لم يتغير وكان ماء
الشباب ثابتا في وجهها ظاهرا في رونقها وهي عجوز كبيرة وحديثها مذكور فقد
علمت انه عليه الصلاة والسلام كان مع اصحابه واهله ومع الغريب والقريب من
سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق والسلام على من لقيه والوقوف مع
من استوقفه والمزح بالحق مع الصغير والكبير احيانا واجابة الداعي ولين
الجانب حتى يظن كل واحد من اصحابه انه احبهم اليه وهذا الميدان لا يجد
فيه الا واجبا او مستحبا او مباحا فكان يباسط الخلق وبلا بسهم ليستضيؤن

بنور

بنور هدايته من ظلمات دياجي الجهل وينقذون يهتدون به صلى الله عليه وسلم
وقد كانت مجالسته عليه الصلاة والسلام مع اصحابه رضي الله عنهم عامتها مجالس
تذكير بالله وترغيب وترهيب اما بتلاوة القران او بما اتاه الله به من الحكمة والموعظة
الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين كما امره الله تعالى ان يذكر ويعظ ويقص وان
يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وان يبشر وينذر فلذلك
كانت تلك المجالس توجب لاصحابه رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة
في الاخرة كما ذكره ابو هريرة مما رواه احمد والترمذي وابن حبان في صحيحه قال
قلنا يا رسول الله ما لنا اذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من
اهل الاخرة فاذا خرجنا من عندك عافسنا اهلنا وشممنا اولادنا انكرنا انفسنا فقال
صلى الله عليه وسلم لو انكم اذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلك لزارتكم الملايكة في
بيوتكم الحديث وقوله عافسنا بالعين المهملة وبعد الالف فا فسين مهملة ساكنة
اي عالجنا اهلينا ولاعبناهم ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه ما عاب ذواقا قط
ولا عاب طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه رواه الشيخان وهذا اذا كان الطعام
مباحا اما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه وذهب بعضهم الى ان العيب
ان كان من جهة الخلقة كره وان كان من جهة الصنعة لم يكره قال لان صنعة
الله تعالى لا تعاب وصنعة الادميين تعاب قال في فتح الباري والذي يظهر
التعميم فان فيه كسر قلب الصانع قال النووي ومن اداب الطعام المتاكدة ان
لا يعاب كقوله مالح حامض قليل الملح غليظ رقيق غير ناضج ونحو ذلك ومن
تواضعه ان هذه الدنيا شاع سبها في العالمين فقال صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا الدنيا ثم مدحها فقال نعمت مطية المومن عليها يبلغ الخير وبها ينجو
من الشر وقال لا تسبوا الدهر رواه البخاري من حديث ابي هريرة بلفظ
ولا تقولوا خيبة الدهر فان الله هو الدهر وفي لفظ له يسب بنو ادم الدهر
وانا الدهر بيدي الليل والنهار وقال المحققون من نسب شيا من الافعال
الى الدهر حقيقة كفر ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد لذلك
فليس بكافر ولكن يكره له ذلك لتشبهه باهل الكفر في الاطلاق وما خير صلى
الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد
الناس منه رواه البخاري اي بين امرين من امور الدنيا لا اثم فيهما وابهم فاعل
خير ليكون اعم من قبل الله او من قبل المخلوقين وقوله الا اختار ايسرهما
وقوله ما لم يكن اثما اي ما لم يكن الاسهل مقتضيا للاثم فانه حينئذ يختار الاشد
وفي حديث انس عند الطبراني في الاوسط الا اختار ايسرهما ما لم يكن لله فيه
سخط ووقوع التخيير بين ما فيه اثم وما لا اثم فيه من قبل المخلوقين ومن

تواضعه عليه الصلاة والسلام انه لم يكن له بواب راتب كما جا عن انس انه قال مر النبي
صلى الله عليه وسلم بامراة وهي تبكي عند قبر فقال اتقي الله واصبري فقالت اليك عني
فانك خلو من مصيبتي قال فجاوزها ومضى فمر بها رجل فقال ما قال لك رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت ما عرفته قال انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فجات الى بابه فلم تجد عليه بوابا الحديث رواه البخاري لكن في حديث ابي موسى
انه كان بوابا الحديث رواه البخاري لكن في حديث للنبي صلى الله عليه وسلم
لما جلس على القف وجمع بينهما بانه كان عليه الصلاة والسلام اذا لم يكن في شغل
من اهله ولا انفراد من امره انه كان يرفع حجابه بينه وبين الناس ويبرز
لطالب الحاجة اليه وفي حديث عمر حين استاذن له الاسود في قصة حلفه
ان لا يدخل على نسائه شهرا نفيه انه كان في وقت خلوته بنفسه يتخذ بوابا ولولا
ذلك لاستاذن عمر لنفسه ولم يحتج الى قوله يا رباح استاذن لي لكن يحتمل ان
يكون سبب استيذان عمر انه خشي ان يكون وجد عليه بسبب ابنته فاراد ان يختبر ذلك باستيذانه عليه فلما اذن له اطمان وقد اختلف في مشروعية
الحجاب للحاكم فقال الشافعي وجماعة ينبغي للحاكم ان لا يتخذ حاجبا وذهب اخرون
الى جوازه وحمل الاول على زمن سكون الناس واجتماعهم على الخير وطواعيتهم
للحاكم وقال اخرون بل يستحب ذلك حينئذ ليرتب الخصوم ويمنع المستطيل
ويدفع الشرير والله اعلم والمازري من حيايه صلى الله عليه وسلم فحسبك
ما في البخاري من حديث ابي سعيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد
حيا من العذرا في خدرها والعذرا هي البكر والخدر بكسر الخا المعجمة اي في سترها
وهو من باب التتميم لان العذرا في الخلوة يشتد حياوها اكثر مما تكون خارجة
عنه لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها فالظاهر ان المراد تقييده اذا دخل عليها
في خدرها لا حيث تكون منفردة فيه والحيا بالمد وهو من الحياة ومنه الحيا
للمطر لكن هو مقصور على حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحيا وقلة
الحيا من موت القلب والروح وكلما كان القلب حيا كان الحيا اتم وهو في اللغة
تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به وقد يطلق على مجرد
ترك الشي بسبب والترك انما هو من لوازمه وفي الشرع خلق يبعث على
اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق وقال ذو النون الحيا وجود
الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك الى ربك والحب ينطق والحيا
يسكت والخوف يقلق وقال يحيى بن معاذ رحمه الله من استحيى من الله
مطيعا استحيى الله منه وهو من نبذ وهذا الكلام يحتاج الى شرح ومعناه
انه من غلب عليه خلق الحيا من الله حتى في حال طاعته فقلبه مطرق بين

بريه

يديه اطراق مستحيي خجل فانه اذا وقع منه ذنب استحيى الله من نظره اليه
في تلك الحالة لكرامته عليه فيستحيي ان يرى من وليه ما يشينه عنده
وفي الشاهد شاهد بذلك فان الرجل اذا اطلع على اخص الناس به واحبهم اليه
واقربهم منه من صاحب او ولد او من يحبه وهو يخونه فانه يلحقه من ذلك
الاطلاع عليه حيا عجيب حتى كانه هو الجاني وهذا غاية الكرم والحيا انسام
ثمانية يطول استقصاوها منها حيا الكرم كحيايه عليه الصلاة والسلام من
القوم الذي عاهدهم الى وليمة زينب وطولوا عنده المقام واستحيى ان يقول
لهم انصرفوا ومنها حيا المحب من محبوبه حتى اذا خطر على قلبه في حال غيبته
هاج الحيا من قلبه واحس به في وجهه فلا يدري ما سببه ومنها حيا
العبودية وهو حيا يمتزج من محبة وخوف ومشاهدة عدم صلاح عبوديته
لمعبوده وان قدره اعلا واجل منها فعبوديته له توجب استحياءه منه
لا محالة ومنها حيا المرء من نفسه وهو حيا النفوس الشريفة الرفيعة من
رضاها لنفسها بالنقص وقنعها بالدون فيجد نفسه مستحييا من نفسه حتى
كان له نفسين يستحيي باحدهما من الاخرى وهذا اكمل ما يكون من الحيا فان
العبد اذا استحيى من نفسه فهو بان يستحيي من غيره احرى واطلب كما
قال عليه الصلاة والسلام لاتي الا بخير وهو من الايمان كما رواه البخاري قال
القاضي عياض وغيره وانما جعل الحيا من الايمان وان كان غريزة لان استعماله
على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم وقال القرطبي الحيا المكتسب
هو الذي جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به دون الغريزي غير ان
من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى يكاد يكون غريزة
كما قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع له النوعان فكان في الغريزي
اشد حيا من العذرا في خدرها وقال القاضي عياض وروي عنه صلى الله عليه
وسلم انه كان من حيايه لا يثبت وجهه بصره في وجه احد واما خوفه صلى
الله عليه وسلم ربه جل وعلا فاعلم ان الخوف والوجل والرهبة الفاظ متقاربة
غير مترادفة قال الجنيد الخوف توقع العقوبة على مجاري الانفاس وقيل
الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف وقيل الخوف قوة العلم في
مجاري الاحكام وهذا سبب الخوف لا انه نفسه وقيل الخوف هرب القلب
من حلول المكروه عند استشعاره والخشية اخص من الخوف فان الخشية
للعلما بالله تعالى قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما فهو خوف مقرون
بمعرفة وقال صلى الله عليه وسلم انا اتقاكم لله واشدكم له خشية فالخوف حركة
والخشية انجماع وانقباض وسكون فان الذي يرى العدو والسيل ونحوهما

Copyright King Saud University

له حالتان احداهما حركته للهرب منه وهي حالة الخوف والثانية سكونه وقراره
في مكان لا يصل اليه وهي الخشية واما الرهبة فهي الامعان في الهرب من المكروه
وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه واما الوجل فرجفان
القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته واما الهيبة فخوف
مقارن للتعظيم والاجلال واكثر ما يكون مع المعرفة والمحبة والاجلال تعظيم
مقرون بالحب فالخوف لعامة المومنين والخشية للعلما العارفين والهيبة
للمحبين والاجلال للمقربين وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية كما
قال صلى الله عليه وسلم اني لاعلمكم بالله واشدكم له خشية رواه البخاري وقال
عليه الصلاة والسلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا رواه البخاري
من حديث ابي هريرة وفيه دلالة على اختصاصه صلى الله عليه وسلم بمعارف
بصرية وقلبية وقد يطلع الله تعالى عليه غيره من المخلصين من امته
لكن بطريق الاجمال واما تفاصيلها فاختص بها صلى الله عليه وسلم وفي صحيح
مسلم من حديث انس انه عليه الصلاة والسلام قال والذي نفس محمد بيده
لو رايتم ما رايت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قالوا وما رايت يا رسول الله
قال رايت الجنة والنار فقد جمع الله له بين علم اليقين وعين اليقين
مع الخشية القلبية واستحضار العظمة الالهية على وجه لم يجتمع لغيره
ولذا قال ان اتقاكم واعلمكم بالله انا وهو في الصحيح من حديث عايشة وكان
صلى الله عليه وسلم يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل من البكا رواه النساي
وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه بلفظ كازيز الرحا اي حنين من الخوف
بالخا المعجمة وهو صوت البكا وهو جوان يجيش جوفه ويغلي بالبكا

واما ما روي من شجاعته عليه الصلاة والسلام ونجدته وقوته في الله وشدته

فعن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع
الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر على فرس
لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وفي رواية كان
فزع بالمدينة فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا من ابي طلحة يقال له
المندوب فركب فلما قال ما راينا من شي وان وجدناه لبحرا وانه لبحر قال وكان
فرسا يبطا رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وللبخاري ان اهل
المدينة فزعوا مرة فركب النبي صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان
يقطف او فيه قطاف فلما رجع قال وجدنا فرسكم هذا بحرا فكان بعد لا يجارى
وفي اخرى له خرج يركض وحده فركب الناس يركضون خلفه فقال

لن

لن تراعوا انه لبحر فما سبق بعد ذلك اليوم قوله لن تراعوا اي روعا مستقرا او
روعا يضركم وفي هذا الحديث بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم من شدة عجلته
في الخروج الى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس
وفيه بيان عظم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعا بعد ان كان يبطا وهو
معنى قوله عليه الصلاة والسلام وجدناه بحرا اي واسع الجري وفيه قطاف
يقال قطف الفرس في مشيه اذا تضايق خطوه واسرع مشيه قال القاضي
عياض وقد كان في افراسه صلى الله عليه وسلم مندوب فلعله صار اليه بعد
ابي طلحة وقال النووي يحتمل انهما فرسان اتفقا في الاسم وقال ابن عمر ما رايت
اشجع ولا انجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ابن اسحق في كتابه وغيره
انه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع وكان الناس ياتونه من البلاد للمصا رعة
فيصرعهم فبينما هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له يا ركانة الا تتقي الله وتقبل ما ادعوك اليه او كما قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ركانة يا محمد هل من شاهد يدل
١٨٣ على صدقك قال ارايت ان صرعتك اتومن بالله ورسوله قال نعم يا محمد
فقال له تهيا للمصارعة فقال تهيات فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذه ثم صرعه قال فتعجب ركانة من ذلك ثم ساله الاقالة والعودة ففعل
به ذلك ثانيا وثالثا فوقف ركانة متعجبا وقال ان شانك لعجيب رواه
الحاكم في مستدركه عن ابي جعفر محمد بن ركانة المصارع ورواه ابو داود
والترمذي وكذا البيهقي من رواية سعيد ابن جبير وقد صارع عليه الصلاة
والسلام جماعة غير ركانة منهم ابو الاسود الجمحي كما قاله السهيلي ورواه
البيهقي وكان شديدا بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذب
اطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتفرى الجلد ولم يتزحزح
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتني امنت
بك فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يومن وفي قصته طول
وفي البخاري من حديث البرا وساله رجل من قيس افررتم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يفر كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنايم فاستقبلنا
بالسهام ولقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضا وان ابا سفيان
ابن الحارث اخذ بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة لانه في مثل هذا اليوم في حومة
الوغى وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة ليست بسريعة

Copyright ... University

بلغ كتا

الجري ولا تصلح لكر ولا فر ولا هرب وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه وفي حديث كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه قدامنا واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه ولنذكر نبذة من جوده وكرمه فاعلم ان السخا صفة غريزية وفي مقابلة الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فحكم الفلاح لمن وقي الشح نفسه وحكم بالفلاح ايضا لمن انفق وبذل فقال ومما رزقناهم ينفقون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين وليس الشح من الادمي بعجيب لانه جبلي فيه وانما العجب وجود السخا في الغريزة والسخا اتم واكمل من الجود وفي مقابلته البخل وفي مقابلة السخا الشح والجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخا اذ كان ذلك من ضرورة الغريزة فكل سخي جواد وليس كل جواد سخيا والجود يتطرق اليه الريا ويأتي به الانسان متطلعا الى غرض من الخلق او الحق بمقابلة من الثنا او غيره من الخلق والثواب من الله تعالى ولا يتطرق الريا الى السخا لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاغراض اشار اليه في عوارف المعارف وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس واجود الناس رواه البخاري ومسلم من حديث انس واجود افعل تفضيل من الجود وهو اعطا ما ينبغي لمن ينبغي معناه هو اسخى الناس لما كانت نفسه اشرف النفوس ومزاجه اعدل الامزجة للابدان يكون فعله احسن الافعال وشكله املح الاشكال وخلقه احسن الاخلاق فلا شك يكون اجود وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات واقتصار انس على هذه الاوصاف الثلاث من جوامع الكلم لانها امهات الاخلاق فان في كل انسان ثلاث قوى احدها الغضبية وكمالها الشجاعة ثانيها الشهوانية وكمالها الجود وثالثها العقلية وكمالها النطق بالحكمة وفي رواية لمسلم عنه ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا الا اعطاه فجا رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطا من لا يخاف الفقر وعنده ايضا عن صفوان ابن امية قال لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطاني وانه لمن ابغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي قال ابن شهاب اعطاه يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وفي مغازي الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى صفوان يومئذ واديا مملوا ابلا ونعما فقال صفوان اشهد ما طابت بهذا الا نفس نبي ورحم الله ابن جابر حيث قال

هذا الذي لا يتقي فقرا اذا ... يعطي ولو كثر الانام وداموا

واذا

واذ من الانام اعطا اسلا ... تغيرت لعطايه الاوهام

فانه اعطاه ذلك لانه عليه الصلاة والسلام علم ان داه لا يزول الا بهذا الدوا وهو الاحسان فعالجه به حتى برأ من دا الكفر واسلم وهكذا من كال شفقته ورحمته ورأفته عليه الصلاة والسلام اذ عالجه بكمال الاحسان وانقذه من حر النيران الى برد لطف الجنان وكان علي اذا وصفه صلى الله عليه وسلم قال كان اجود الناس كفا واصدق الناس لهجة وخرج ابن عدي باسناد فيه ضعف من حديث انس مرفوعا انا اجود بني ادم فهو صلى الله عليه وسلم بلا ريب اجود بني ادم على الاطلاق كما انه افضلهم واعلمهم واشجعهم واكملهم في جميع الاوصاف الحميدة وكان جوده بجميع انواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله في اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جايعهم ووعظ جاهلهم وقضا حوايجهم وتحمل اثقالهم ولقد احسن ابن جابر حيث قال

يروي حديث الندى والبشر عن يده ... ووجهه بين منهل ومنسجم
من وجهه احمد لي بدر ومن يده ... بحر ومن فمه در لمنتظم
يمم نبيا تباري الريح انمله ... والمزن من كل هامي الودق مرتكم
لو عامت الفلك فيما فاض من يده ... لم تلق اعظم بحر منه ان تعم
يحيط كفاه بالبحر المحيط فلذ ... به ودع كل طامي الموج ملتطم
لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت ... كل الانام وروت قلب كل ظمي

فسبحان من اطلع انوار الجمال من افق جبينه وانشا امطار السحاب من غمام يمينه روى البخاري من حديث جابر ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شي قط فقال لا وكذا عند مسلم اي ما طلب منه شي من امر الدنيا فمنعه قال الفرزدق

ما قال لا قط الا في تشهده ... لولا التشهد كانت لاوه نعم

قال شيخنا الحافظ ابو الفضل بن حجر ليس المراد انه يعطي ما يطلب منه جزما بل المراد انه لا ينطق بالرد بل اذا كان عنده اعطاه ان كان الاعطا سايغا والا سكت قال وقد ورد بيان ذلك في حديث مرسل لابن الحنفية عند ابن سعد ولفظه اذا سئل فاراد ان يفعل قال نعم واذا لم يرد ان يفعل سكت وهو قريب من حديث ابي هريرة ما عاب طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام معناه لم يقل لا منعا للعطا ولا يلزم من ذلك ان لا يقولها اعتذارا كما في قوله قلت لا اجد ما احملكم عليه ولا يخفى الفرق بين قول لا اجد وبين لا احملكم انتهى وهو نظير ما في حديث ابي موسى الاشعري لما ساله الاشعريون الحملان فقال صلى الله عليه وسلم ما عندي ما احملكم لكن يشكل عليه انه صلى الله عليه وسلم حلف لا يحملهم فقال والله لا احملكم فيمكن ان يخص من عموم

قال بعضهم معنى [illegible] السؤال [illegible]

١٨٦

Copyright King Saud University

حديث جابر ما اذا سيل ماليس عنده والسايل يتحقق انه ليس عنده ذلك او حيث
كان المقام لا يقتضي الاقتصار علي السكوت من الحالة الواقعة او من حال السايل
كانه لم يكن يعرف العادة فلو اقتصر في جوابه علي السكوت مع حاجة السايل لتمادي
علي السوال مثلا ويكون القسم علي ذلك تاكيد القطع طمع السايل والسر في الجمع
بين قوله لا اجد ما احملكم وقوله والله لا احملكم ان الاول لبيان ان الذي سيله
لم يكن موجودا عنده والثاني انه لا يتكلف الحالة الي ما سيل بالقرض مثلا او بالاستيهاب
اذ لا اضطرار حينيذ وروي الترمذي انه حمل اليه تسعون الف درهم فوضعت
علي حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سايلا حتي فرغ منها قال وجاه رجل فقال
ما عندي شي ولكن ابتع علي فاذا جانا شي قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله
ما لا تقدر فكره النبي صلي الله عليه وسلم فقال رجل من الانصار يا رسول الله
انفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا فتبسم صلي الله عليه وسلم وعرف البشر
في وجهه وقال بهذا امرت وانما فعل ذلك للمصلحة الداعية لذلك كالاستيلاف
ونحوه وذكر ابن فارس في كتابه في اسما النبي صلي الله عليه وسلم انه في يوم حنين
جات امراة فانشدت شعرا تذكره ايام رضاعته في هوازن فرد عليهم ما اخذه
واعطاهم عطا كثيرا حتي قوم ما اعطاهم ذلك اليوم فكان خمس ماية الف الف قال
ابن دحية وهذا نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله في الجود وفي البخاري
من حديث انس انه اتي بمال من البحرين فقال انثروه يعني صبوه في
المسجد وكان اكثر مال اتي به صلي الله عليه وسلم فخرج الي المسجد ولم يلتفت
اليه فلما قضي الصلاة جا فجلس اليه فما كان يري احدا الا اعطاه اذ جا العباس
فقال اعطني فاني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال له خذ فحثا في ثوبه
ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفعه الي قال لا
قال فارفعه انت علي قال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول
الله مر بعضهم يرفعه علي كاهله فانطلق فما زال رسول الله صلي الله عليه وسلم
يتبعه بصره حتي خفي علينا عجبا من حرصه فما قام عليه الصلاة والسلام وثم منها
درهم وفي رواية ابن ابي شيبة من طريق حميد بن هلال مرسلا كان ماية الف
وانه ارسل به العلا بن الحضرمي من خراج البحرين قال وهو اول مال حمل
اليه صلي الله عليه وسلم وساير جابر علي جمل له فقال له عليه الصلاة والسلام
بعني جملك فقال هو لك يا رسول الله بابي وامي انت فقال بل بعنيه
فباعه اياه وامر بلالا ان ينقده ثمنه فنقده ثم قال له صلي الله عليه وسلم
اذهب بالثمن والجمل بارك الله لك فيهما مكافاة لقوله بل هو لك فاعطاه
الثمن ورد عليه الجمل وزاده الدعا بالبركة فيهما وحديثه في البخاري

وسـ

وسلم وغيرها وقد كان جوده عليه الصلاة والسلام كله لله وفي ابتغا مرضاته
فانه كان يبذل المال تارة لفقير او لمحتاج وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتالف
به علي الاسلام من يقوي الاسلام باسلامه وكان يوثر علي نفسه واولاده فيعطي
عطا يعجز عنه الملوك مثل كسري وقيصر ويعيش في نفسه عيش الفقرا فهو
فياتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار وربما ربط الحجر علي بطنه
الشريف من الجوع وكان صلي الله عليه وسلم قد اتاه سبي فشكت اليه
فاطمة ما تلقي من خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها مونة بيتها فامرها
ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد وقال لا اعطيك وادع اهل تطوي
بطونهم من الجوع واتته امراة ببردة فقالت يا رسول الله اكسوك هذه
فاخذها صلي الله عليه وسلم محتاجا اليها فلبسها فراها عليه رجل من الصحابة
فقال يا رسول الله ما احسن هذه فاكسنيها فقال نعم فلما قام صلي الله عليه
وسلم لامه اصحابه قالوا ما احسنت حين رايت النبي صلي الله عليه وسلم
اخذها محتاجا اليها ثم سالته اياها وقد عرفت انه لا يسيل شيا فيمنعه رواه
البخاري من حديث سهل ابن سعد وفي رواية ابن ماجة والطبراني قال نعم 185
فلما دخل طواها فارسل بها اليه وافاد الطبراني في رواية زمعة بن صالح
انه صلي الله عليه وسلم امر ان يصنع له غيرها فمات قبل ان يفرغ منها وفي
هذا الحديث من الفوايد حسن خلقه صلي الله عليه وسلم وسعة جوده
واستنبط منه السادة الصوفية جواز استدعا المريد خرقة التصوف
من المشايخ تبركا بهم وبلباسهم كما استدلوا لالباس الشيخ للمريد بحديث انه صلي
الله عليه وسلم البس ام خالد خميصة سودا ذات علم لكن قال
شيخنا ما يذكرونه من ان الحسن البصري لبسها من علي بن ابي طالب رضي
الله عنه فقال ابن دحية وابن الصلاح انه باطل وقال شيخ الاسلام الحافظ
ابن حجر ليس في شي من طرقها ما يثبت ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف
انه صلي الله عليه وسلم البس الخرقة علي الصورة المتعارفة بين الصوفية
لاحد من اصحابه ولا امر احدا من اصحابه بفعلها وكلما يروي صريحا في
ذلك فباطل قال ثم ان من الكذب المفتري قول من قال ان عليا البس الخرقة
الحسن البصري فان ايمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا
عن ان يلبسه الخرقة وكذا قاله الدمياطي والذهبي والعلاي ومغلطاي
والعراقي والابناسي والحلبي وغيرهم مع كون جماعة لبسوها والبسوها
تشبها بالقوم نعم ورد لبسهم لها مع الصحبة المتصلة الي كميل بن زياد
وهو صحب علي بن ابي طالب رضي الله عنه من غير خلق في صحبته له

بين ائمة الجرح والتعديل وفي بعض الطرق اتصالها وبين القرني وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما وهذه صحبة لا مطعن فيها وكثير من السادة يكتفي بمجرد الصحبة كالشاذلية وشيخنا ابن اسحق المتبولي و
وكان الشيخ يوسف العجمي يجمع بين تلقين الذكر واخذ العهد واللبس وله في ذلك رسالة ريحان القلوب قراتها على ولد ولده العارف المسلك سيدي علي مع الباسه لي الخرقة والتلقين والعهد وللشيخ قطب الدين بن القسطلاني ارتقا الرتبة في اللباس والصحبة والله تعالى يهدينا الى سوا السبيل

الفصل الثالث فيما تدعوا ضرورته اليه صلى الله عليه وسلم من غذايه وملبسه ومنكحه وما يلتحق بذلك وفيه اربعة انواع النوع الاول في عيشه صلى الله عليه وسلم في الماكل والمشرب اعلم ان تناول الطعام اصل كبير يحتاج الى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية وتعلق اثره بالقلب والقالب وبه تقوم البدن بحراسة الله تعالى بذلك والقالب مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والاخرة والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان بها على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملايكة يستعان بها على عمارة الاخرة وباجتماعهما يصلحان للعمارة الدارين قال الغزالي وطريق الى الوصول الى اللقا الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجات على تكرار الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين ان الاكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو اصدق القايلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن تناول الاكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي ان يترك نفسه سدى يسترسل في الاكل استرسال البهايم في المرعى فانما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغي ان تظهر انوار الدين عليه وانما نور الدين واذابه وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام في اقدامها واحجامها فتصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للاجر اعلم ان الشبع بدعة ظهرت بعد القرن الاول وقد روى النسايي وابن ماجه وصححه الحاكم من حديث المقدام ابن معدي كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملا ابن ادم وعا شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان غلبت الادمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس قال القرطبي في شرح الاسما كما نقله شيخ الاسلام والحافظ بن حجر لو سمع بقراط بهذه القسمة لعجب من هذه الحكمة وقال غيره انما خص الثلاثة بالذكر لانها اسباب حياة

بلغ

الحيوان ولانه لا يدخل البطن سواها وهل المراد بالثلث التساوي على ظاهر الخبر او التقسيم الى ثلاثة اقسام متقاربة محل احتمال ويصح المومن ياكل في معا واحد وهي بكسر الميم مقصورا المصارين والكافر ياكل في سبعة امعا وليست حقيقة العدد مرادة وتخصيص السبعة للمبالغة في التكثير والمعنى ان المومن من شانه التقليل من الاكل لاشتغاله باسباب العبادة ولعلمه بان مقصود الشرع من الاكل ما يسد من الجوع ويعين على العبادة ولخشيته ايضا من حساب ما زاد على ذلك والكافر بخلاف ذلك وعند اهل التشريح ان امعا الانسان سبعة المعدة ثم ثلاثة امعا بعدها متصلة بها البواب ثم الصايم ثم الرقيق والثلاثة رقاق ثم الاعور والقولون والمستقيم وطرفه الدبر وكلها غلاظ وقد نظمها الحافظ زين الدين العراقي في قوله

سبعة امعا لكل ادمي ⁂ معدة بوابها مع صايم
ثم الرقيق اعور قولون مع ⁂ المستقيم مسلك المطاعم

فيكون المعنى ان الكافر ياكل بشرهه لا يشبعه الا مل امعايه السبعة والمومن يشبعه مل معا واحد ولا يلزم من هذا الحديث اطراده في حق كل مومن وكافر فقد يكون في المومنين من ياكل كثيرا اما بحسب العادة واما العارض يعرض له من مرض باطن او لغير ذلك ويكون في الكفار من ياكل قليلا اما لمراعاة الصحة على راي الاطبا واما للرياضة على راي الرهبان واما العارض كضعف المعدة ويحصل القول ان من شان المومن الحرص على الزهادة والاقتناع بالبلغة بخلاف الكافر وقيل المراد ان المومن يسمي الله عند طعامه وشرابه فلا يشركه الشيطان فيكفيه القليل بخلاف الكافر وقيل المراد بالمومن في هذا الحديث التام الايمان لان من حسن اسلامه وكمل ايمانه اشتغل فكره فيما يصير اليه من الموت وما بعده فيمنعه شدة الخوف وكثرة الفكر والاشفاق على نفسه من استيفا شهوته كما ورد في حديث لابي امامة رفعه من كثر تفكره قل مطعمه ومن قل تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه وقالوا لا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاما ومن قل طعامه قل شربه وخف منامه ومن خف منامه ظهرت بركة عمره ومن امتلا بطنه كثر شربه ومن كثر شربه ثقل نومه ومن ثقل نومه محقت بركة عمره فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذا بدنه وصلح حال نفسه وقلبه ومن تملا من الطعام سا غذا بدنه واشرت نفسه وقسا قلبه وعن ابن عباس قال قال صلى الله عليه وسلم ان اهل الشبع في الدنيا هم اهل الجوع في الاخرة وقالت عايشة لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب

غدا رواه الطبراني والحاكم عن سلمان وابي جحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اكثر الناس شبعا في الدنيا اطولهم جوعا في الاخرة

Copyright King Saud University

رواه وقولها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا فقط محمول على الشبع
الذي يثقل المعدة ويثبط صاحبه عن القيام بالعبادة ويفضي الى البطر والاشر
والنوم والكسل وقد تنتهي كراهته الى التحريم بحسب ما يترتب عليه من
المفسدة وليس المراد الشبع النسبي المعتاد في الجملة ففي مسلم خروجه صلى الله
عليه وسلم وصاحبيه من الجوع وذهابهم الى بيت الانصاري وذبحه الشاة وفيه
فلما ان شبعوا ورووا قال النووي فيه جواز الشبع وما جا في كراهته محمول
على المداومة عليه وعن ابي هريرة قال ما شبع ال محمد صلى الله عليه وسلم
من طعام ثلاثة ايام تباعا حتى قبض رواه الشيخان وعن ابن عباس قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون
عشا وانما كان خبزهم الشعير رواه الترمذي وصححه وفي حديث مسروق عند
مسلم ما شبع ال محمد يومين من خبز البر الا واحدهما تمر واخرج ابن سعد من
طريق عمران بن زيد المزني حدثني والدي قال دخلنا على عايشة فقالت
خرج تعني النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يملا بطنه في يوم من
طعامين كان اذا شبع من التمر لم يشبع من الشعير واذا شبع من الشعير لم يشبع
من التمر وليس في هذا ما يدل على ترك الجمع بين لونين فقد جمع صلى الله عليه
وسلم القثا بالرطب كما سياتي ان شا الله تعالى وعن الحسن قال خطب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما امسى في ال محمد صاع من طعام وانها
لتسعة ابيات والله ما قالها استقلالا لرزق الله ولكن اراد ان تتاسى به امته
رواه الدمياطي في السيرة له وعن عايشة قالت كان يعجب نبي الله صلى الله عليه
وسلم من الدنيا ثلاثة اشيا الطيب والنسا والطعام فاصاب اثنتين ولم يصب
واحدة اصاب النسا والطيب ولم يصب الطعام ذكره الدمياطي ايضا وفي الشمايل
للترمذي عن النعمان بن بشير لقد رايت نبيكم وما يجد من الدقل ما يملا بطنه
وفي رواية مسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملا بطنه وقالت عايشة
انا كنا ال محمد نمكث شهرا ما نستوقد بنار ان هو الا الما والتمر وقال عتبة ابن
غزوان لقد رايتني واني لسابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما لنا طعام الا ورق السمر حتى تقرحت اشداقنا وفي رواية البخاري ومسلم كانت
عايشة تقول لعروة والله يا ابن اختي انا كنا ننظر الى الهلال ثم الهلال ثلاثة
اهلة في شهرين وما اوقد في بيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال
قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والما الا انه كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منايح فكانوا يرسلون الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقيناه ولمسلم ايضا قالت لقد كنا

لسود

رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين وقال
انس ما اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رغيفا مرققا حتى لحق بالله ولا
لما راى شاة سميطا بعينه حتى لحق بالله رواه البخاري والمرقق الملين المحسن
كخبز الحواري وشبهه والترقيق التليين ولم يكن عندهم مناخل وقد يكون
المرقق الرقيق الموسع قاله القاضي عياض وجزم به ابن الاثير فقال وهو السميد
وما يصنع من كعك وغيره وقال ابن الجوزي هو الخفيف كانه اخذه من الرقاق
وهي الخشبة التي يرقق بها والحواري بضم المهملة وتشديد الواو وفتح الرا الخالص
الذي ينخل مرة بعد اخرى وقوله ولا شاة سميطا هو الذي ازيل شعره بالما السخن
وشوي بجلده وانما يصنع في ذلك في الصغير السن وهو من فعل المترفين من
وجهين احدهما المبادرة الى ذبح ما لو بقي لازداد ثمنه ثانيهما ان المسلوخ ينتفع
بجلده في اللبس وغيره والسمط يفسده وقد جرى ابن بطال وابن الاثير على ان
المسموط هو المشوي لكن الثاني ذكر ان اصله نزع صوفه بالما الحار كما تقدم قال
وانما يفعل ذلك في الغالب ليشوى ولعله يعني انه لم ير السميط في ماكوله ولا انه لم
يكن معهودا فلا يمنع وعن ابي حازم انه سال سهلا هل رايتم في زمان النبي صلى الله
عليه وسلم النقي قال لا فقلت كنتم تنخلون الشعير قال لا ولكن كنا ننفخه رواه
البخاري وفي رواية له هل كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل
فقال ما راى النبي صلى الله عليه وسلم منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله
قال شيخ الاسلام ابن حجر لعله احترز عما قبل البعثة لكونه صلى الله عليه وسلم كان
يسافر في تلك المدة الى الشام تاجرا وكانت الشام اذ ذاك مع الروم والخبز النقي عندهم
كثير وكذا المناخل وغيرها من الات الترفه ولا ريب انه راى ذلك عندهم واما بعد
البعثة فلم يكن الا بمكة والطايف والمدينة ووصل الى تبوك وهي من اطراف
الشام لكن لم يفتحها ولا طالت اقامته بها انتهى وقد سبقت هل كانت اقراص
خبزه صغارا ام كبارا فلم اجد في ذلك شيا بعد التفتيش نعم روي امره بتصغيرها
في حديث عند الديلمي عن عايشة رفعته بلفظ صغروا الخبز واكثروا عدده
يبارك لكم فيه وهو واه بحيث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال ان المتهم به
جابر ابن سليم وروي عن ابن عمر مرفوعا البركة في صغر وقيل عن النسايي انه كذب
لكن روى البزار بسند ضعيف عن ابي الدردا مرفوعا قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه
قال في النهاية وحكي الاوزاعي انه تصغير الارغفة وكذا حكى البزار عن ابراهيم
ابن عبد الله بن الجنيد عن بعض اهل العلم انه تصغير الارغفة اشار الى ذلك
شيخنا في المقاصد الحسنة ولعل هذا مستند شيخي وقدوتي وانسان عين بصيرتي
العارف الرباني برهان العارفين بن اسحق ابراهيم المتبولي في تصغير ارغفة

Copyright King Saud University

ساطعة كالشيخ ابي العباس احمد البدوي والسادات اكسير معارف السعادات
اولي المواهب العلية والحقايق المحمدية بني الوفا اعاد الله من بركاتهم علينا
وواصل من امدادهم الينا وعن عايشة قالت توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليس عندي شي ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي فاكلت منه حتى
طال علي فكلته ففني رواه البخاري ومسلم وعندهما ايضا قالت توفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة بعشرين صاعا من طعام اخذه (يهودي صح)
لاهله رواه الترمذي وعن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات يوم فاذا هو بابي بكر وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة
قالا الجوع يا رسول الله قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما
فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما راته المراة قالت مرحبا واهلا
فقال لها صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الما اذ جا
الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله
ما احد اليوم اكرم اضيافا مني قال فانطلق فجاهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب
وقال كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب
فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما ان شبعوا ورووا
قال صلى الله عليه وسلم ~~اياك والحلوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك~~
~~العذق وشربوا فلما ان شبعوا~~ قال لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسالن
عن هذا النعيم يوم القيامة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم
هذا النعيم رواه مسلم وغيره وهذا السوال سوال تشريف وانعام وتعديد
وافضال واكرام وعن طلحة بن نافع انه سمع جابر بن عبد الله يقول اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ذات يوم الى منزله فاخرج اليه فلق
من خبز فقال ما من ادم فقالوا لا الا شي من خل قال نعم الادم الخل قال جابر
فما زلت احب الخل منذ سمعتها من نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال طلحة فما
زلت احب الخل منذ سمعتها من جابر رواه مسلم وروي عن ابن بجير قال
اصاب النبي صلى الله عليه وسلم جوع يوما فعمد الى حجر فوضعه على بطنه
فقال الا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جايعة عارية يوم القيامة الا رب
مكرم لنفسه وهو لها مهين الا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم رواه ابن
ابي الدنيا وعن انس ابن ابي طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن بطنه عن حجرين قال الترمذي هذا حديث غريب من حديث ابي طلحة
لا نعرفه الا من هذا الوجه ويعني قوله ورفعنا عن بطوننا عن حجر قال كان

احدهم

احدهم يشد في بطنه الحجر من الجهد والضعف الذي به من الجوع وقصة جابر يوم (الخندق حين را النبي صلى الله عليه وسلم)
الخندق وقد قام الى الكدية وبطنه معصوب بحجر تقدمت وما احسن قول الابوصيري (يوم)
وشد من سغب احشاه وطوى ٭ تحت الحجارة كشحا مترف الادم ٭
والكشح كما ذكرته في شرح هذه القصيدة ما بين خاصرته الشريفة واقصر ضلع من
جنبه الشريف وانما فعل هذا صلى الله عليه وسلم ليسكن بعض الم الجوع وانما كان
هذا الفعل مسكنا لان كلب الجوع من شدة حرارة المعدة الغريزية فهي اذا امتلات
من الطعام اشتغلت تلك الحرارة بالطعام فان لم يكن فيها طعام طلبت رطوبات
الجسم وجواهره فيتالم الانسان بتلك الحرارة فتتعلق بكثير من جواهر البدن
فاذا انضمت على المعدة الاحشا والجلد خمدت نارها بعض الخمود فقل الالم وانما (بلغ)
تالمه بالجوع ليحصل له تضعيف الاجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه حتى ان
من راه لا يظن به جوعا لان جسمه صلى الله عليه وسلم انما كان يرى اشد نضارة من
اجسام المترفين بالنعم في الدنيا وهذا المعنى هو الذي قصده الناظم بقوله مترف
الادم وهو من باب الاحتراس والتكميل لانه لما ذكر انه شد سغب خاف من توهم
ان جسمه الشريف حينيذ يظهر فيه الجوع فاحترس ورفع ذلك الايهام بقوله
مترف الادم وقد انكر ابو حاتم بن حبان احاديث وضع الحجر على بطنه الشريف
من الجوع وقال انها باطلة متمسكا بحديث الوصال لست كاحدكم اني اطعم واسقى
وانما معناها الحجز بالزاي وهو طرف الازار لان الله تعالى قد كان يطعم رسوله عليه
الصلاة والسلام ويسقيه اذا واصل فكيف يحتاج الى شد الحجر على بطنه وما يغني
الحجر عن الجوع انتهى وقال بعضهم يجوز ان يكون عصب الحجر لعادة عند العرب
او اهل المدينة انهم كانوا يفعلون ذلك اذا خلت اجوافهم وغارت بطونهم يشدون
عليها حجرا ففعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليعلم اصحابه انه ليس عنده
ما يستاثر به عليهم والصواب صحة الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم فعل
ذلك اختيارا للثواب وعن استشكل كونه عليه الصلاة والسلام واصحابه
كانوا يطوون الايام جوعا مع ما ثبت انه كان يرفع لاهله قوت سنة وانه قسم
بين اربعة انفس من اصحابه الوف بعير مما افا الله عليه وانه ساق في عمرته
مائة بدنة فنحرها واطعمها المساكين وانه امر لاعرابي بقطيع من الغنم وغير ذلك
مع من كان معه من اصحاب الاموال كابي بكر وعمر وعثمان وطلحة وغيرهم
مع بذلهم انفسهم واموالهم بين يديه وقد امر بالصدقة فجا ابو بكر بجميع ماله وعمر
بنصفه وحث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم عثمان بالف بعير الى غير ذلك
واجاب عنه الطبري كما حكاه في فتح الباري ان ذلك منهم في حالة دون حالة
لا لعوز وضيق بل تارة للايثار وتارة لكراهية الشبع ولكثرة الاكل انتهى

١٨٨

وتعقب بان ما ثبتاه مطلقا فيه نظر لما تقدم من الاحاديث واخرج ابن حبان في
صحيحه عن عائشة من حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما افتتحت قريظة
اصبنا شيئا من التمر والودك انتهى وذلك قال الحافظ بن حجر والحق ان الكثير منهم
كانوا في حال ضيق قبل الهجرة حيث كانوا بمكة ثم لما هاجروا الى المدينة كان
اكثرهم كذلك فواساهم الانصار بالمنازل والمنائح فلما فتحت لهم النضير وما بعدها
ردوا عليهم منائحهم كما تقدم وقد قال عليه الصلاة والسلام لقد اخفت في الله وما
يخاف احد ولقد اوذيت في الله وما يؤذى احد ولقد اتت علي ثلاثون من يوم
وليلة ما لي ولبلال طعام ياكله احد الا شيء يواريه ابط بلال رواه الترمذي وصححه
نعم كان صلى الله عليه وسلم يختار ذلك مع امكان حصول التوسع والتبسط في
الدنيا له كما اخرجه الترمذي من حديث ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما
واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك
وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بالخطاب والا فالله تعالى عالم بالاشياء جملة وتفصيلا
وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل على
الصفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل والذي بعثك بالحق ما امسى
لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع
هدة من السماء افزعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله القيامة ان
تقوم قال لا ولكن امر اسرافيل فنزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال
ان الله قد سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزائن الارض وامرني ان اعرض عليك اسير معك
جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فان شئت نبيا ملكا وان شئت
نبيا عبدا فاوما اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا رواه الطبراني
باسناد حسن فانظر الى همته العلية صلى الله عليه وسلم كيف عرضت عليه
مفاتيح كنوز الارض فاباها ومعلوم انه لو اخذها لانفقها في طاعة ربه فابى ذلك
واختار العبودية المحضة فيا لها من همة شريفة رفيعة ما اسناها ونفس زكية
ما ابهاها ولقد احسن صاحب بردة المديح حيث قال

واكدت زهده فيها ضرورته ، ان الضرورة لا تعدو على العصم
وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من ، لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

اي كيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا وهي وما بها
انما برزت لاجله لكن يبطل البهاء عن في كلامه شيء فانه في مقام المدح فلا يليق
منه الوصف بالزهد ولا بالضرورة وقال الحليمي في شعب الايمان من تعظيم
النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يوصف بما هو عند الناس من اوصاف الضعة

فلا يقال كان فقيرا وانكر بعضهم اطلاق الزهد في حقه صلى الله عليه وسلم
وقد حكى صاحب نشر الدر رعن محمد بن واسع انه قيل له فلان زاهد فقال
وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها وقد ذكر القاضي عياض في الشفا ونقله عنه
الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه السيف المسلول ان فقهاء الاندلس افتوا بقتل
حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه لاستخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته
اياه اثناء مناظرته باليتيم وزعم ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها
انتهى وذكر الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض الفقهاء المتاخرين انه كان
يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا حاله حال فقير
بل كان اغنى الناس بالله قد كفي امر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في قوله
عليه الصلاة والسلام اللهم احيني مسكينا ان المراد استكانة القلب لا المسكنة التي
هي ان لا يجد ما يقع موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف
ذلك انتهى واما ما يروى انه عليه الصلاة والسلام قال الفقر فخري وبه افتخر
فقال شيخ الاسلام والحافظ بن حجر هو باطل موضوع واعلم انه لم يكن من عادته
الكريمة صلى الله عليه وسلم حبس نفسه الشريفة على نوع واحد من الاغذية
لا يتعداه الى سواه فان ذلك يضر بالطبيعة جدا ولو انه افضل الاغذية
بل كان صلى الله عليه وسلم ياكل ما جرت عادة اهل بلده باكله من اللحم والفاكهة
والخبز والتمر وغيره مما ياتي فاكل صلى الله عليه وسلم الحلوى والعسل وكان
يحبهما رواه البخاري والترمذي والحلوى بالقصر والمد كل حلو وقال الخطابي
اسم الحلوى لا يقع الا على ما دخلته الصنعة وقال ابن سيدة ما عولج من الطعام
بحلو وقد يطلق على الفاكهة قال الخطابي ولم يكن حبه عليه الصلاة والسلام
لها على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزاع النفس اليها وانما كان ينال منها اذا
حضرت اليه نيلا صالحا فيعلم بذلك انها تعجبه ووقع في كتاب فقه اللغة
للثعالبي ان حلوى النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يحبها هي المجيع بالميم والجيم
بوزن عظيم وهو تمر يعجن بلبن حكاه في فتح الباري ولم يصح انه عليه
الصلاة والسلام كان يحب السكر وكانه تصدق به وكانه راه لكن اخرج ابو جعفر
الطحاوي والبيهقي في سننه من حديث لمازة عن ثور بن يزيد عن خالد بن
معدان عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر ملاك رجل
من الانصار فجاءت الجواري معهن الاطباق عليها اللوز والسكر فامسك القوم
ايديهم فقال عليه الصلاة والسلام الا تنتهبون قالوا انك نهيت عن النهبة
قال اما العرسان فلا قال فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاذبهم ويجاذبونه
واحتج به الطحاوي على ان النثار غير مكروه كما ذهب اليه ابو حنيفة وانضى به

قال الكمال الدميري في منظومته ، وكان اغنى العالمين همة ،
منبئة الفقر له بحريه ، وما روي من احيني مسكينا ،
فهو من السكون يجعلونا ،

١٨٩

على الاحاديث الصحيحة التي فيها النهي عن النهسة لكن قال البيهقي بعد رواية
الحديث وهذا الا يثبت ثم قال وروي من حديث عايشة عنه صلى الله عليه وسلم
ولا يثبت في هذا المعنى شي وشنع على الطحاوي القول في ذلك جدا في كتاب
المعرفة وقال الحديث انما يروى عن عوف بن عارة وعصمة بن سليمان
وكلاهما لا يحتج به وشيخهما المازة بن المغيرة مجهول فهاتان علتان كل منهما
منفردة توجب ضعف الحديث فكيف بهما مجتمعان هذا وخالد بن معدان
منقطع روايته في منقطع فهذه علل ثلاث يضعف الحديث بها وقد
اورد الكلام على ذلك ابن مفلح اليوسفي والله اعلم وعن ليث بن ابي سليم قال اول
من خبص في الاسلام عثمان بن عفان قدمت عليه عير تحمل الدقيق والعسل
فخلط بينهما وبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل فاستطابه
قال الطبري في الرياض رواه خيثمة في فضايل عثمان وعن عبد الله بن سلام
قال قدمت عير فيها جمل لعثمان بن عفان عليه دقيق حواري وسمن وعسل
فاتي بها النبي صلى الله عليه وسلم فدعا فيها بالبركة ثم دعا ببرمة فنصبت على
النار وجعل فيها من العسل والدقيق والسمن ثم عصد حتى نضج او كاد ينضج
ثم انزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلوا هذا شي تسميه فارس الخبيص
قال الطبري خرجه تمام في فوايده والطبراني في معجمه ورجاله ثقات ياكل عليه الصلاة والسلام لحم الضان وهذه الثلاثة اعني الحلوى والعسل
واللحم من افضل الاغذية وانفعها للبدن والكبد والاعضاء ولا ينفر منها الا من
به علة وافة واللحم سيد طعام اهل الجنة وفي رواية هو سيد الطعام لاهل
الدنيا والاخرة رواه ابن ماجة وابن ابي الدنيا من حديث ابي الدرداء مرفوعا
وسنده ضعيف وله شواهد منها عن علي رفعه سيد طعام الدنيا اللحم
ثم الارز اخرجه ابو نعيم في الطب النبوي واكل اللحم يزيد سبعين قوة
قاله الزهري وعن علي انه يصفي اللون ويحسن الخلق ومن تركه اربعين
ليلة ساء خلقه ولابي الشيخ بن حيان من رواية بن سمعان قال سمعت علماءنا
يقولون كان احب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم ويقول
وهو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والاخرة ولو سالت ربي
ان يطعمنيه كل يوم لفعل وقال الامام الشافعي ان اكله يزيد في العقل
وكان عليه الصلاة والسلام يعجبه الذراع ولذلك سم فيه وعن ابي
رافع انه اهديت له شاة فجعلها في قدر فدخل رسول الله صلى الله
عليه فقال ما هذا يا ابا رافع فقال شاة اهديت لنا يا رسول الله فطبختها
في القدر فقال ناولني الذراع يا ابا رافع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع

الاخر

الاخر فناولته الذراع الاخر فقال ناولني الذراع الاخر فقالت يا رسول الله
انما للشاة ذراعان فقال له صلى الله عليه وسلم اما انك لو سكت لناولتني
ذراعا فذراعا ما سكت ثم دعا بما فتمضمض فاه وغسل اطراف اصابعه ثم قام وصلى الحديث
رواه احمد ورواه الدارمي والترمذي عن ابي عبيد بلفظ طبخت له صلى الله
عليه وسلم قدرا وكان يعجبه الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فناولته
الذراع ثم قال ناولني الذراع فقلت يا رسول الله وكم للشاة من ذراع فقال والذي
نفسي بيده لو سكت لناولتني الذراع ما دعوت وقالت عايشة وكان الذراع
احب اليه وكان لا ياكل اللحم الا غبا وكان يعجل اليها لانها اعجل نضجا رواه الترمذي
وكذلك كان يحب لحم الرقبة فعن ضباعة بنت الزبير انها ذبحت في بيتها شاة
فارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطعمينا من شاتكم فقالت ما بقي
عندنا الا الرقبة واني لاستحي ان ارسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرجع الرسول فاخبره فقال ارجع اليها فقل لها ارسلي بها فانها هادية الشاة
واقرب الشاة الى الخير وابعدها من الاذى رواه ولا ريب ان
اخف لحم الشاة لحم الرقبة ولحم الذراع والعضد وهو اخف على المعدة واسرع
انهضاما وفي هذا انه ينبغي امر مراعاة الاغذية التي تجمع ثلاث
خواص احدها كثرة نفعها وتاثيرها في القوى الثاني خفتها على المعدة
وسرعة انحدارها عنها الثالث سرعة هضمها وهذا افضل ما يكون من
الغذا وقال عليه السلام اطيب اللحم لحم الظهر رواه الترمذي واما حديث
انه صلى الله عليه وسلم كان يكره الكليتين لمكانهما من البول فقال الحافظ
العراقي رويناه في جزء من حديث ابي بكر محمد بن عبد الله بن الشخير من
حديث بن عباس باسناد فيه ضعف انتهى وكان صلى الله عليه وسلم ينتهش
اللحم اي يقبض عليه بفيه ويزيله من العظم او غيره وينتشله اي ينتزعه
من المرق والنهش بعد الانتشال وفي البخاري انه عليه الصلاة والسلام
احتز من كتف شاة في يده فدعي الى الصلاة فالقاها والسكين الذي يحتز
بها ثم قام الى الصلاة ولم يتوضا قال ابن بطال هذا الحديث يرد حديث
ابي معشر عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة رفعته لا تقطعوا اللحم
بالسكين فانه من صنيع الاعاجم وانهشوه فانه اهنا وامرا قال ابو داود
هو حديث ليس بالقوي قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني رحمه الله له
شاهد من حديث صفوان ابن امية اخرجه الترمذي انهشوا اللحم
نهشا فانه اهنا وامرا وقال لا نعرفه الا من حديث عبد الكريم انتهى وقال
عبد الكريم هو ابو امية بن ابي المخارق ضعيف لكن اخرجه ابن ابي عاصم

من وجه اخر عن صفوان بن امية فلو حسن لكن ليس فيه ما زاده ابو معشر
من التصريح بالنهي عن قطع اللحم بالسكين واكثر ما في حديث صفوان ان النهش اولى
انتهى ويمكن الجمع بان النهش ما على العظم الصغير والاحتزاز ما على الكبير واكل
صلى الله عليه وسلم الشوى فعن ام سلمة انها قربت الى النبي صلى الله عليه وسلم
جنبا مشويا فاكل منه ثم قام الى الصلاة وما توضى قال الترمذي حديث صحيح
واكل عليه الصلاة والسلام القديد كما في حديث في السنن عن رجل قال ذبحت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة ونحن مسافرون فقال اصلح لحمها فلم ازل اطعمه
منه الى المدينة واكل عليه الصلاة والسلام من الكبد المشوية رواه
واكل لحم الدجاج رواه الشيخان والترمذي وغيرهم واكل لحم حمار الوحش رواه
الشيخان واكل لحم الجمل سفرا وحضرا رواه واكل لحم الارنب رواه الشيخان
واكل من دواب البحر رواه مسلم واكل الثريد وهو بفتح المثلثة ان يثرد الخبز بمرق
اللحم وقد يكون معه اللحم ومن امثالهم الثريد احد اللحمين وروى ابو داود من
حديث ابن عباس قال احب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد
من الخبز والثريد من الحيس واكله عليه الصلاة والسلام بالسمن واكل الخبز بالزيت
وعن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان جبريل اطعمني الهريسة
يشد بها ظهري لقيام الليل رواه الطبراني في الاوسط وفيه محمد بن الحجاج
اللخمي وهو الذي وضع هذا الحديث واكل عليه الصلاة والسلام الدبا وكانت
تعجبه وكان يتتبعها من حوالي القصعة قال انس فلم ازل احب الدبا من يومئذ
رواه مسلم قال النووي فيه انه يستحب ان يحب الدبا وكذلك كل شي كان يحبه
صلى الله عليه وسلم وكذلك اكل عليه الصلاة والسلام السلق مطبوخا بالشعير
قال الترمذي حديث حسن غريب واتى الحسن بن علي وابن عباس وابن جعفر
الى سلمى فقالوا اصنعي لنا طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويحسن اكله فقالت يا بني لا تشتهيه اليوم قال بلى اصنعيه لنا قال فقامت
فاخذت شيا من الشعير فطحنته ثم جعلته في قدر وصبت عليه شيا من
زيت ودقت الفلفل والتوابل فقربته اليهم فقالت هذا مما كان يعجبه صلى
الله عليه وسلم ويحسن اكله رواه الترمذي واكله عليه الصلاة والسلام الخزيرة
وهي بخا معجمة مفتوحة ثم زاي مكسورة وبعد التحتانية الساكنة را ما يتخذ
من الدقيق على هيئة العصيدة لكنه ارق منها قاله الطبري وقال
ابن فارس دقيق يخلط بشحم وقال القتيبي وتبعه الجوهري ان يوخذ اللحم
فيقطع صغارا ويصب عليه ما كثيرا فاذا انضج ذر عليه الدقيق فان لم يكن
فيها لحم فهي عصيدة وقيل مرقة تصفى من بلالة النخالة ثم تطبخ وقيل الخزيرة
بالاعجام

بالاعجام من النخالة والخزيرة يعني بالاهمال من اللبن وقال عتبان غدى علي رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر حين ارتفع النهار وحبسناه على خزيرة
واكل عليه الصلاة والسلام الاقط كما قاله ابن عباس فيما رواه وهو جبن اللبن
المستخرج زبده اكلته وهو كثير بمكة والمدينة زادهما الله شرفا وهو اشبه
شي بالكشك واكل عليه الصلاة والسلام الرطب والتمر والبسر رواه مسلم والترمذي
وغيرهما واكل الكباث رواه مسلم وهو بفتح الكاف وتخفيف الموحدة وبعد الالف
مثلثة النضيج من ثمر الاراك وقيل ورقه الاراك ونقل الاسماعيلي فقال انما
هو ثمر الاراك وهو البربر بموحدة بوزن الحرير فاذا اسود فهو الكباث وفي
النهاية لابن الاثير انه عليه الصلاة والسلام كان يحب الجذب بالجيم والذال
المعجمة المفتوحتين الجمار وهو شحم النخل واحدتها جذبة واما الجبن ففي السنن
من حديث ابن عمر قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم بجبنة في تبوك فدعى بسكين
فسمى وقطع رواه ابو داود وكان عليه الصلاة والسلام يراعي صفات الاطعمة وطبائعها
واستعمالها على قاعدة الطب فاذا كان في احد الطعامين ما يحتاج الى كسر وتعديل
كسره وعدله بضده ان امكن كتعديله حرارة الرطب بالبطيخ وهذا اصل كبير
في المركبات من الادوية وان لم يجد ذلك تناوله على حاجة وداعية من النفس
من غير اسراف وروى ابو داود من حديث ابي اسامة عن هشام انه صلى الله
عليه وسلم كان ياكل البطيخ بالرطب ويقول نكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا
بحر هذا ورواه ابو رومان عن الزهري عن عروة بتقديم الطا كما للثوري في
وبتاخيرها كالنسائي في الوليمة فكانه كان عند هشام باللفظين وكذا رواه
ابن حبان في صحيحه من حديث محمد بن عبد الرحمن عن الامام احمد بن حنبل
عن وهب بن جرير بن حازم حدثنا ابي سمعت حميد ابحدث عن انس ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان ياكل البطيخ او البطيخ بالرطب وقال بعضهم
الشك من احمد وتقديم الطا لغة حكاها صاحب المحكم وقد كان محمد بن اسلم
لا ياكل البطيخ لانه لم ينقل كيفية اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم له وروى
الطبراني في الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر قال رايت في يمين النبي
صلى الله عليه وسلم قثا وفي شماله رطبا وهو ياكل من ذا مرة ومن ذا مرة
وفي سنده ضعف واخرج فيه وفي الطب لابي نعيم من حديث انس كان
ياخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فياكل الرطب بالبطيخ وكان احب
الفاكهة اليه وسنده ضعيف ايضا واخرج النسائي بسند صحيح عن حميد
عن انس رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرطب والخربز
وهو بكسر الخا المعجمة وسكون الرا وكسر الموحدة بعدها زاي نوع من
من

البطيخ الاصفر وفي هذا تعقب على من زعم ان المراد بالبطيخ في الحديث الاخضر
واعتلوا بان الاصفر فيه حرارة كما في الرطب وقد ورد التعليل بان احدهما يطفئ حرارة
الاخر والجواب عن ذلك بان في الاصفر بالنسبة للرطب برودة وان كان فيه
لحلاوته طرف حرارة والله اعلم وفي رواية النسائي ايضا بسند صحيح عن
عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اكل البطيخ والرطب جميعا واخرج ابن
ماجه عن عائشة ارادت امي معالجتي للسمنة لتدخلني على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فما استقام لها ذلك حتى اكلت الرطب بالقثاء فسمنت كاحسن
سمنة ورواه النسائي وقال بالتمر مكان الرطب واما فضائل البطيخ فاحاديثه
باطلة وان افرده النوقاني في جزء كما قاله الحافظ الحفاظ والله اعلم وقد
كان عليه الصلاة والسلام ياكل التمر بالزبد ويحبه فعن عبد الله بن بسر
وعطية ابني بسر قالا دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا له
زبدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر رواه ابو داود وابن ماجه وسمى صلى الله
عليه وسلم اللبن والتمر الاطيبين رواه احمد وكان ياكل الخبز مادوما ما وجد
له اداما فتارة يادمه باللحم ويقول هو سيد الطعام لاهل الدنيا والاخرة ه
وتارة بالبطيخ رواه وتارة بالتمر فانه وضع تمرة على كسرة من خبز الشعير
وقال هذه ادام هذه رواه ابو داود والترمذي بسند حسن من حديث
يوسف بن عبد الله بن سلام قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم اخذ
فذكره قال ابن القيم وهذا من تدبير الغذاء فان الشعير بارد يابس هو
والتمر حار رطب على اصح القولين فادم خبز الشعير به من احسن التدبير
وتارة بالخل ويقول نعم الادام الخل رواه مسلم وتقدم قال الخطابي والقاضي
عياض معناه مدح الاقتصاد في الماكل ومنع النفس من ملاذ الاطعمة م
تقديره اقتصروا بالخل وما في معناه مما تخف مونته ولا يعز وجوده ولا
تتانقوا في الشهوات فانها مفسدة للدين مسقمة للبدن وتعقبه
النووي فقال الذي ينبغي ان يجزم به انه مدح للخل نفسه واما الاقتصاد
في المطعم وترك الشهوات فمعلوم من قواعد اخر انتهى وقال ابن القيم
هذا ثناء عليه بحسب مقتضى الحال الحاضر لا تفضيل له على غيره كما ظنه
بعضهم قال وسبب الحديث انه دخل على اهله يوما فقدموا له خبزا فقال
ما من ادم فقالوا ما عندنا الا خل فقال نعم الادام الخل والمقصود ان الخبز مع
الادم من اسباب حفظ الصحة بخلاف الاقتصار على احدهما وسمي الادم ادما
لاصلاحه الخبز وجعله ملائما لحفظ الصحة وليس في هذا تفضيل له على اللبن
واللحم والعسل والمرق ولو حضر لحم او لبن لكان اولى بالمدح منه فقال هذا

خبزا

١٩٤

خبزا وتطييبا لقلب من قدمه له لا تفضيلا له على سائر انواع الادم وكان عليه
الصلاة والسلام ياكل من فاكهة بلده عند مجيئها ولا يحتمي عنها وهذا من اكبر اسباب
الصحة فان الله سبحانه بحكمته جعل في كل بلد من الفاكهة ما ينتفع به اهلها في
وقته فيكون تناوله من اسباب صحتهم وعافيتهم ويغني عن كثير من الادوية ثم
وقل من احتمى عن فاكهة بلده خشية السقم الا وهو من اسقم الناس جسما وابعدهم
من الصحة والقوة فمن اكل منها ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي
ينبغي كان له دواء نافعا وقد روى ابن عباس قال رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ياكل العنب خرطا رويناه في الغيلانيات لكن قال ابو جعفر
العقيلي كما حكاه في الهدي لا اصل لهذا الحديث قال ابن الاثير يقال خرط
العنقود واخترطه اذا وضعه في فيه ثم ياخذ حبه ويخرج عرجونه
عاريا منه قال وجاء في بعض الروايات خرصا بالصاد بدل الطاء واما البصل
فروى ابو داود في سننه عن عائشة انها سئلت عن البصل فقالت ان اخر
طعام اكله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بصل وثبت عنه في الصحيحين
انه منع اكله من دخول المسجد وكان عليه الصلاة والسلام يترك الثوم دائما
لانه يتوقع مجيء الملائكة والوحي كل ساعة قال النووي واختلف اصحابنا
في حكم الثوم في حقه عليه الصلاة والسلام وكذلك البصل والكراث ونحوها
فقال بعض اصحابنا هي محرمة عليه والاصح عندهم انها مكروهة كراهة
تنزيه ليست محرمة لعموم قوله عليه الصلاة والسلام في جواب قوله احرام
هي ومن قال بالاول يقول معنى الحديث ليس بحرام في حقكم انتهى فينبغي لمحبه
موافقته عليه الصلاة والسلام في ترك الثوم ونحوه وكراهة ما كان يكرهه
عليه الصلاة والسلام فان من اوصاف المحب الصادق ان يحب ما يحبه محبوبه
ويكره ما يكرهه وكان عليه الصلاة والسلام ياكل باصابعه الثلاثة رواه
الترمذي في الشمائل وهذا كما في الهدي انفع ما يكون من الاكلات فان الاكل
باصبع اكل المتكبر ولا يستلذ به الاكل ولا يمريه ولا يشبعه الا بعد طول ولا
يفرح الات الطعام والمعدة بما ينالها في كل اكلة فياخذها على اغماض كما
ياخذ الرجل حقه حبة او نحو ذلك فلا يلتذ باخذه والاكل بالخمسة
والراحة يوجب ازدحام الطعام على الاته وعلى المعدة وربما انسدت
الالات فمات وتغصب الالات على دفعه والمعدة على احتماله ولا يجد له
لذة ولا استمراء فانفع الاكل اكله صلى الله عليه وسلم واكل من اقتدى به
بالاصابع الثلاثة وكان عليه الصلاة والسلام يلعق اصابعه اذا فرغ
ثلاثا رواه الترمذي في الشمائل وفي رواية مسلم ويلعق يده قبل ان يمسحها

Copyright King Saud University

وفي رواية انه امر بلعق الاصابع والصحفة وقد روى الترمذي عن ام
عاصم قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
نأكل في قصعة فحدثنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اكل في قصعة
ثم لحسها استغفرت له القصعة وكذا اخرجه ابن ماجة واحمد وابن شاهين
والدارمي وغيرهم وقال الترمذي انه حديث غريب واورده بعضهم بلفظ
تستغفر الصحفة للاحسها وفي حديث جابر مرفوعا عند ابي الشيخ في الثواب
من اكل ما يسقط من الخوان والقصعة امن الفقر والبرص والجذام وصرف
عن ولده الحمق وللديلمي من طريق الرشيد عن ابائه عن ابن عباس رفعه
من اكل ما يسقط من المائدة خرج ولده صباح الوجوه ونفي عنه الفقر
واورده الغزالي في الاحيا بلفظ عاش في سعة وعوفي في ولده وكلها مناكير
لكن في مسلم عن جابر وانس مرفوعا اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها فليمط
ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه
لانه لا يدري في اي طعامه البركة وفي حديث كعب بن عجرة عند الطبراني
في الاوسط صفة لعق الاصابع ولفظه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأكل باصابعه الثلاث بالابهام والتي يليها والوسطى ثم رايته يلعق الثلاث
قبل ان يمسحها الوسطى ثم التي يليها ثم الابهام قال الحافظ زين الدين العراقي
في شرح الترمذي كان السر فيه ان الوسطى اكثر تلويثا لانها اطول فيبقى
فيها من الطعام اكثر من غيرها ولانها لطولها اول ما ينزل الطعام وقد وقع في
مرسل ابن شهاب عند سعيد بن منصور ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا اكل بخمس فيجمع بينه وبين ما تقدم باختلاف الحال وقد جاءت علة
اللعق مبينة في بعض الروايات انه لا يدري احدكم في اي طعامه البركة
وفي الحديث رد على من كره لعق الاصابع استقذارا ممن ينسب للرياسة
والامرة في الدنيا نعم يحصل ذلك لو فعله في اثنا الاكل لانه يعيد اصابعه في
الطعام وعليها اثر ريقه قال الخطابي عاب قوم افسد عقلهم الترفه لعق
الاصابع وزعموا انه مستقبح كانهم لم يعلموا ان الطعام الذي علق بالاصابع
والصحفة جزء من اجزاء ما اكلوه واذا لم يكن سائر اجزائه مستقذرا لم يكن الجزء
اليسير منه مستقذرا وليس في ذلك اكثر من مصه اصابعه بباطن شفتيه
ولا يشك عاقل انه لا باس بذلك فقد يتمضمض الانسان فيدخل اصابعه
في فيه فيدلك اسنانه وباطن فمه ثم لم يقل احد ان ذلك قذارة وسوء ادب
انتهى ولا ريب ان من استقذر ما نسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم
سيء الادب يخشى عليه امر عظيم نسال الله تعالى بوجاهة وجهه الكريم

ان

ان لا يسلك بنا غير سبيل سنته وان يذيقنا حلاوة محبته وقد كان صلى الله عليه وسلم
لا ياكل متكيا كما صح انه قال لا اكل متكيا رواه البخاري وقال انما انا عبد اجلس كما يجلس العبد
واكل كما ياكل العبد وروى ابن ماجة والطبراني باسناد حسن قال اهديت للنبي صلى الله
عليه وسلم شاة فجثى على ركبتيه ياكل فقال له اعرابي ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلني
عبدا كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا قال ابن بطال انما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك تواضعا
لله ثم ذكر من طريق ايوب عن الزهري قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم ملك لم ياته
قبلها فقال ان ربك يخيرك بين ان تكون عبدا نبيا او نبيا ملكا فنظر الى جبريل كالمستشير
فاوما اليه ان تواضع فقال بل عبدا نبيا قال فما اكل متكيا وهذا مرسل ومعضل
وقد وصله النسائي من طريق الزبيدي عن الزهري عن محمد بن عبد الله بن عمرو
ابن العاصي قال ما رئي النبي صلى الله عليه وسلم ياكل متكيا قط واخرج ابن ابي شيبة
عن مجاهد قال ما اكل النبي صلى الله عليه وسلم متكيا الا مرة واحدة ويمكن الجمع بان
تلك المرة التي في اثر مجاهد لم يطلع عليها عبد الله بن عمرو ونقل اخرج ابن شاهين
في ناسخه من مرسل عطاء بن يسار ان جبريل راى النبي صلى الله عليه وسلم ياكل متكيا
فنهاه وروى ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم نهى ان ياكل الرجل وهو منبطح على
وجهه وقد فسر القاضي عياض في الشفا الاتكا بالتمكن للاكل والتقعد للجلوس
على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان
جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا قال وليس معنى الحديث في الاتكا الميل الى
شق عند المحققين انتهى والاقعا ان يلصق اليته بالارض وينصب ساقيه
ويساند الى ظهره وهو المنهي عنه في الصلاة وتفسير القاضي عياض الاتكا بما
تقدم به حكاه في الاكمال عن الخطابي وقال ان الخطابي خالف في هذا التاويل اكثر الناس
وانهم انما حملوا الاتكا على انه الميل على احد الجانبين انتهى والذي رايته بعزي للخطابي
يحسب العامة ان المتكي هو الاكل على احد شقيه وليس كذلك بل هو المعتمد
على الوطا الذي تحته انتهى وقد فسر ايضا بالميل على احد الشقين وبه جزم
ابن الجوزي وقيل هو الاعتماد على الشي وقيل ان يعتمد على يده اليسرى من
الارض وقد اخرج ابن عدي بسند ضعيف زجر النبي صلى الله عليه وسلم ان
يعتمد الرجل على يده اليسرى عند الاكل قال الامام مالك هو نوع من الاتكا
قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني وفي هذا اشارة من مالك الى كراهة كل
ما يعد الاكل فيه متكيا ولا يختص بصفة بعينها وحكى ابن الاثير في النهاية انه من
فسر الاتكا بالميل على احد الشقين تاوله على مذهب الطب وقال ابن القيم
انه يضر بالاكل فانه يمنع من مجرى الطعام الطبيعي على هيئته ويعوقه عن سرعة
نفوذه الى المعدة ويضغط المعدة فلا يستحكم فتحها للغذا واما الاعتماد على

[illegible] [marginal note]

193

الشي فهو من جلوس الجبابرة المنافي العبودية ولهذا قال عليه الصلاة والسلام
اكل كما ياكل العبد وان كان المراد بالاتكا الاعتماد على الوسائد والوطا الذي تحت
الجالس كما ذكرته عن الخطابي فيكون المعنى اني اذا اكلت لم اقعد متكيا على الاوطية
والوسائد كفعل الجبابرة ومن يريد الاكثار من الطعام لكني اكل بلغة من الزاد
فلذلك اقعد مستوفزا وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم اكل تمرا وهو مقع وفي
رواية وهو محتفز والمراد الجلوس على وركيه غير متمكن واختلف السلف في
حكم الاكل متكيا فزعم ابن القاص ان ذلك من خصايصه صلى الله عليه وسلم وتعقبه
البيهقي فقال قد يكره لغيره ايضا لانه من فعل المتعظمين واصله ماخوذ
من ملوك العجم قال فان كان بالمرء مانع لا يتمكن معه من الاكل الا متكيا لم يكن في ذلك
كراهة ثم ساق عن جماعة من السلف انهم اكلوا كذلك واشار الى حمل ذلك عنهم على
الضرورة قاله في فتح الباري وفي الحمل نظر وقد اخرج ابن ابي شيبة عن ابن
عباس وخالد بن الوليد ومحمد ابن سيرين وعطا ابن يسار وغيرهم جواز ذلك
مطلقا واذا ثبت كونه مكروها او خلاف الاولى فالمستحب في صفة الجلوس
للاكل ان يكون جاثيا على ركبتيه وظهور قدميه او ينصب الرجل اليمنى ويجلس
على اليسرى انتهى وقال ابن القيم ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان
يجلس للاكل متوركا على ركبتيه ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر اليمنى تواضعا
لله تعالى وادبا بين يديه قال وهذه الهيئة انفع هيئات الاكل وافضلها
لان الاعضا تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله تعالى عليه انتهى واخرج
ابن ابي شيبة من طريق ابراهيم النخعي قال كانوا يكرهون ان ياكلوا اتكا مخافة
ان تعظم بطونهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا وضع يده في الطعام يسمي الله
تعالى واما قول النووي في ادب الاكل من الاذكار والافضل ان يقول بسم الله
الرحمن الرحيم فان قال بسم الله كفاه وحصلت السنة فقال في فتح الباري لم ار لما
ادعاه من الافضلية دليلا خاصا وكان عليه الصلاة والسلام يحمد الله في اخره
فيقول الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا رواه
الترمذي وقوله غير مودع بفتح الدال الثقيلة اي غير متروك ولا مستغنى
بفتح النون وربنا بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف هو ربنا ويجوز النصب
على المدح او الاختصاص او اضمار اعني وقال ابن الجوزي بالنصب على النداء مع
حذف اداة النداء وفي رواية الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين
وللنسائي من طريق عبد الرحمن بن جبير المصري انه حدثه رجل خدم النبي
صلى الله عليه وسلم ثمان سنين انه كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرب
اليه الطعام يقول بسم الله فاذا فرغ قال اللهم اطعمت وسقيت واغنيت واقنيت

وهديت

وهديت واحييت فلك الحمد على ما اعطيت وسنده صحيح وقد كان عليه الصلاة
والسلام يحب التيامن في شانه كله وقال عليه الصلاة والسلام يا غلام سم الله
وكل بيمينك ومما يليك قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي حمله اكثر
الشافعية على الندب وبه جزم الغزالي ثم النووي لكن نص الشافعي في الرسالة
وفي مواضع اخر من الام على الوجوب وكذا ذكره عنه الصيرفي في شرح الرسالة
ونقل البويطي في مختصره ان الاكل من راس الثريد والتعريس على الطريق والقران
في التمر حرام ونقل البيضاوي في منهاجه للندب بقوله صلى الله عليه وسلم
كل مما يليك وتعقبه الشيخ تاج الدين بن السبكي في شرحه بان الشافعي نص في
غير هذا الموضع على ان من اكل مما لا يليه عالما بالنهي كان عاصيا اثما قال وقد
جمع والدي نظاير هذه المسيلة في كتاب له سماه كشف اللبس عن المسايل الخمس
ونصر القول بان الامر للوجوب قال شيخ الاسلام ابن حجر بعد ان ذكر ذلك ويدل
على وجوب الاكل باليمين ورود الوعيد في الاكل بالشمال ففي صحيح مسلم ان النبي
صلى الله عليه وسلم راى رجلا ياكل بشماله فقال كل بيمينك قال لا استطيع
قال لا استطعت فما رفعها الى فيه بعد فان قلت انه عليه الصلاة والسلام كان
يتتبع الدبا من حوالي القصعة وهو يعارض الاكل مما يلي فالجواب انه يحمل الجواز
على ما اذا علم رضى من ياكل معه فاذا علم كراهة من ياكل معه لذلك لم ياكل الا مما يليه
قال ابن بطال وانما جالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطعام لانه علم
ان احدا لا يكره ذلك منه ولا يتقذره بل كانوا يتبركون بريقه وبما مسه
بيده بل كانوا يتبادرون الى نخامته فيتدلكون بها وقال غيره انما فعل ذلك
لانه كان ياكل وحده وهو غير مسلم لان انسا اكل معه صلى الله عليه وسلم وحديث
عكراش عند الترمذي الذي فيه التفصيل بين ما اذا كان لونا واحدا فلا
يتعدى ما يليه او اكثر من لون فيجوز ضعيف والله اعلم وقرب اليه صلى الله
عليه وسلم طعام فقالوا الا ناتيك بوضوء قال انما امرت بالوضوء اذا قمت الى
الصلاة رواه الترمذي وفي رواية له انه عليه الصلاة والسلام قال بركة الطعام
الوضوء قبله والوضوء بعده فيحمل الوضوء الاول على الشرعي والثاني على اللغوي
وروى ابو يعلى باسناد ضعيف من حديث ابن عمر من اكل من هذه اللحوم
شيا فليغسل يده من ريح وضره ولا يوذي من حذاه ولم يكن صلى الله عليه وسلم
ياكل طعاما حارا فروى الطبراني في الصغير والاوسط من حديث بلال
ابن ابي هريرة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصحفة تفور فقال
ان الله لم يطعمنا نارا قال وبلال قليل الرواية عن ابيه انتهى وعند ابي نعيم
في الحلية من حديث انس مرفوعا كان يكره الكي والطعام الحار ويقول عليكم بالبارد

١٢

فانه ذو بركة الا ان الحار لا بركة فيه الحديث ولاحمد وابي نعيم من حديث اسما انها
كانت اذا اتيت بثريد غطته بشي حتى يذهب فوره ثم تقول اني سمعت رسول الله نشردت صح
صلى الله عليه وسلم يقول هو اعظم بركة لكن عند البيهقي بسند صحيح عن
ابي هريرة قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم بطعام سخن فقال ما دخل بطني
طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم وكان له عليه الصلاة والسلام قدح من خشب
مضبب بحديد قال انس لقد سقيته عليه الصلاة والسلام بهذا القدح
الشراب كله والما والنبيذ والعسل وفي البخاري عن سهل بن سعد قال اقبل النبي
صلى الله عليه وسلم حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو واصحابه ثم قال اسقنا
يا سهل فاخرجت لهم هذا القدح فاسقيتهم فيه فاخرج لنا سهل ذلك القدح
فشربنا منه ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك فوهبه له الحديث
وكان عمر ابن عمر بن عبد العزيز قد ولي حينيذ امرة المدينة وعند البخاري
من حديث عاصم الاحول قال رايت قدح النبي صلى الله عليه وسلم عند انس
ابن مالك فكان قد انصدع فسلسله بفضة قال وهو قدح جيد عريض
من نضار قال قال انس لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا القدح
اكثر من كذا وكذا قال وقال ابن سيرين انه كان فيه حلقة من حديد فاراد انس
ان يجعل مكانها حلقة من ذهب او فضة فقال ابو طلحة لا تغيرن شيا صنعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتركه وعنده في فرض الخمس من طريق ابي حمزة السكري عن عاصم
قال رايت القدح وشربت منه واخرجه ابو نعيم من طريق علي بن الحسين بن شقيق عن
ابي حمزة ثم قال قال علي بن الحسين بن ~~شقيق لحس ابي~~ وانا رايت القدح وشربت منه
وذكر القرطبي في مختصر البخاري انه راى في بعض النسخ القديمة من البخاري
قال ابو عبد الله البخاري رايت هذا القدح بالبصرة وشربت فيه وكان اشتري
من ميراث النضر بن انس بثمان مائة الف ووقع عند احمد من طريق شريك عن
عاصم رايت عند انس قدح النبي صلى الله عليه وسلم فيه ضبة من فضة وقوله
من نضار بضم النون وبالضاد المعجمة الخالص من العود ومن كل شي ويقال اصله
من شجر النبع وقيل من الاثل ولونه يميل الى الصفرة ولم ياكل صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا اكل خبزا مرققا رواه الترمذي والخوان بكسر المعجمة ويجوز ضمها
المايدة ما لم يكن عليها طعام واما السفرة فاشتهرت لما يوضع عليه الطعام وكان صلى الله
عليه وسلم ينهى عن النوم على الاكل ويذكر انه يقسي القلب ذكره ابو نعيم ولهذا قال
الاطبا في الهدي من اراد حفظ الصحة فليمش بعد العشا ولو مائة خطوة ولا ينام
عقبه فانه مضر جدا والصلاة بعد الاكل يسهل هضمه واما شربه صلى الله عليه
وسلم فقد كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا رواه ابو داود وهي بضم المهملة

وبالقاف

١٩٥

وبالقاف وهي عين بينها وبين المدينة يومان قال ابن بطال واستعذاب الما
لا ينافي الزهد ولا يدخل في الترفه المذموم بخلاف تطييب الما بالمسك ونحوه فقد
كرهه مالك لما فيه من السرف واما شرب الما الحلو وطلبه فمباح قد فعله الصالحون
وليس في شرب الما الملح فضيلة وقد كان عليه الصلاة والسلام يشرب العسل الممزوج
بالما البارد قال ابن القيم وفي هذا من حفظ الصحة ما لا يهتدي الى معرفته الا افاضل
الاطبا فان شرب العسل ولعقه على الريق يزيل البلغم ويغسل خمل المعدة ويجلو
لزوجتها ويدفع عنها الفضلات ويسخنها باعتدال ويفتح سددها والما البارد رطب
يقمع الحرارة ويحفظ البدن وقالت عايشة كان احب الشراب اليه صلى الله عليه
وسلم الحلو البارد رواه الترمذي ويحتمل ان تريد به الما الممزوج بالعسل او الذي
نقع فيه التمر او الزبيب وكان ينبذ له اول الليل ويشربه اذا اصبح يومه ذلك
والليلة التي تجي والغد الى العصر فان بقي منه شي سقاه الخادم او امر به فصب هوه
رواه مسلم وهذا النبيذ ما يطرح فيه تمر يحليه وله نفع عظيم في زيادة القوة ولم
يكن يشربه بعد ثلاث خوفا من تغيره الى الاسكار وكان عليه الصلاة والسلام
يشرب اللبن خالصا تارة وتارة مشوبا بالما البارد لان اللبن عند الحلب يكون حارا
وتلك البلاد في الغالب حارة فكان يكسر حر اللبن بالما البارد وعن جابر انه صلى الله
عليه وسلم دخل على رجل من الانصار ومعه صاحب له فسلم فرد الرجل وهو
يحول الما في حايطه فقال صلى الله عليه وسلم ان كان عندك ما بات في شنة والا
كرعنا فقال عندي ما بات في شنة فانطلق الى العريش فسكب في قدح ما ثم حلب
عليه من داجن فشرب عليه الصلاة والسلام الحديث رواه البخاري وكان
عليه الصلاة والسلام يقول ليس يجزي من الطعام والشراب الا اللبن قال الترمذي
حديث حسن وللترمذي ايضا عن ابن عمر مرفوعا ثلاثة لا ترد اللبن والوسادة
والدهن وانشد بعضهم قد كان من سيرة خير الورى صلى عليه الله طول الزمن
ان لا يرد الطيب والمتكا واللحم ايضا يا اخي واللبن
قال ابن القيم ولم يكن صلى الله عليه وسلم يشرب على طعامه ليلا يفسده ولا سيما
ان كان الما حارا او باردا فانه رديء جدا انتهى وكان عليه الصلاة والسلام يشرب
قاعدا وكان ذلك عادته رواه مسلم وفي رواية له ايضا انه نهى عن الشرب قايما وفي
رواية له ايضا عن ابي هريرة لا يشربن احدكم قايما فمن نسي فليستقي وفي
الصحيحين من حديث ابن عباس قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بدلو
من ما زمزم فشرب وهو قايم وفي حديث علي عند البخاري انه شرب وهو قايم
ثم قال ان ناسا يكرهون الشرب قايما وان النبي صلى الله عليه وسلم صنع مثل ما صنعت
وكل هذه الاحاديث صحيحة ولا اشكال فيها ولا تعارض وغلط من زعم ان فيها

Copyright King Saud University

نسخا وكيف يصار الي النسخ مع امكان الجمع بين الاحاديث والصواب ان النهي محمول علي
كراهة التنزيه واما شربه عليه الصلاة والسلام قايما فلبيان الجواز فان قلت كيف يكون
الشرب قايما مكروها وقد فعله صلي الله عليه وسلم فالجواب ان فعله صلي الله عليه
وسلم اذا كان بيانا للجواز لا يكون مكروها بل البيان واجب عليه صلي الله عليه وسلم
واما قوله عليه الصلاة والسلام فمن نسي فليستقي فمحمول علي الاستحباب والندب
فيستحب لمن شرب قايما ان يتقايا لهذا الحديث الصحيح الصريح سوا كان ناسيا اولا
قاله النووي وقال المالكية لا باس بالشرب قايما واستدلوا لذلك بحديث جبير
ابن مطعم قال رايت ابا بكر الصديق يشرب قايما ويقول مالك انه بلغه عن عمر
ابن الخطاب وعثمان وعلي انهم كانوا يشربون قياما واجابوا عن حديث ابي هريرة
لا يشربن احدكم قايما فمن نسي فليستقي بان عبد الحق قال ان في اسناده عمر بن حمزة
العمري وهو ضعيف انتهي وقال المازري قال بعض شيوخنا لعل النهي ينصرف
لمن اتي اصحابه بما فبادر لشربه قايما قبلهم استبدادا به وخروجا عن كون ساقي
القوم اخرهم شربا وقال بعض الشيوخ الاظهر انه موقوف علي ابي هريرة قال
والاظهر لي ان احاديث شربه قايما تدل علي الجواز واحاديث النهي تحمل علي
الاستحباب والحث علي ماهو اولي واكمل لان في الشرب قايما ضررا ما فكره من
اجله وفعله هو لامنه منه قال وعلي هذا الثاني يحمل قوله فمن شرب فليستقي
علي ان ذلك يحرك خلطا يكون القي دواه ويويده قول النخعي انما نهي عن ذلك
لدا البطن انتهي وقال ابن القيم للشرب قايما افات عديدة منها انه لا يحصل
به الري التام ولا يستقر في المعدة حتي يقسمه الكبد علي الاعضا وينزل بسرعة
الي المعدة فيخشي منه ان يبرد حرارتها ويسرع النفوذ الي اسافل البدن بغير
تدريج وكل هذا يضر بالشارب قايما فاذا فعله نادرا لم يضره وعند احمد عن
ابي هريرة انه راي رجلا يشرب قايما فقال له قه فقال لم قال ايسرك ان يشرب
معك الهر قال لا قال قد شرب معك من هو شر منه الشيطان وكان
صلي الله عليه وسلم يتنفس في الشراب ثلاثا ويقول انه اروي وامرا وابرا
رواه مسلم ومعني تنفسه ابانة القدح عن فيه وتنفسه خارجه ثم يعود
الي الشراب واخرج الطبراني في الاوسط بسند حسن عن ابي هريرة ان
النبي صلي الله عليه وسلم كان يشرب في ثلاثة انفاس اذا ادني الاناء الي فيه
سمي الله فاذا اخره حمد الله يفعل ذلك ثلاثا وفي هذا الشرب حكم جمة وفوايد
مهمة نبه عليه الصلاة والسلام علي مجامعها بقوله انه اروي وامرا وابرا
فاروي من الري بكسر الراء من غير همز اشد ريا وابلغه وانفعه وابرا افعل
من البرء بالهمز وهو الشفا اي يبري من شدة العطش ودايه لتردده علي

المعدة

المعدة الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الاولي عن تسكينه والثالثة
ما عجزت عنه الثانية وايضا فانه اسلم لحرارة المعدة وابقي عليها من ان يهجم عليها
البارد وهلة واحدة ونهلة واحدة فانه اسلم عاقبة وامن غايلة من تناول
جميع ما يروي دفعة واحدة فانه يخاف منه ان يطفي الحرارة الغريزية بشدة
وكثرة كميته او يضعفها فيودي ذلك الي فساد المعدة والكبد والي امراض
ردية خصوصا في سكان البلاد الحارة وفي الازمنة الحارة فان الشرب فيها وهلة
واحدة مخوف عليهم جدا وقوله وامرا بالهمز افعل من مري الطعام والشراب
في بدنه اذا دخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع انتهي وقال بعضهم والمعني
انه يصير هنيا مريا اي سالما او مبريا من مرض او عطش او اذي ويوخذ من ذلك
انه اقمع للعطش واقوي علي الهضم ومن افات الشرب نهلة واحدة انه يخاف منه
الشرق بان ينسد مجري الشراب لكثرة الوارد عليه فاذا تنفس رويدا ثم شرب
امن من ذلك وقد روي عبد الله بن المبارك والبيهقي وغيرهما عن النبي صلي
الله عليه وسلم اذا شرب احدكم فليمص الما مصا ولا يعب عبا فانه يورث
الكباد والكباد بضم الكاف وتخفيف البا وجع الكبد ولا معارضة بين التنفس
هنا وبين النهي عن التنفس في الانا الوارد في الحديث لان المنهي عنه داخل
الانا فانه ربما حصل للما تغير من النفس اما لكون المتنفس كان متغير الفم
بماكول مثلا او لبعد عهده بالسواك والمضمضة او لان النفس يصعد ببخار
المعدة وههنا النفس خارج الانا فلا تعارض فلو لم يتنفس جاز الشرب بنفس
واحد وقيل يمنع مطلقا لانه شرب الشيطان وكان عليه الصلاة والسلام اذا
دعي لطعام وتبعه احد اعلم به رب المنزل قال فيقول ان هذا تبعنا فان
شيت رجع وكان يكرر علي اضيافه ويعرض عليهم الاكل مرارا وفي حديث
ابي هريرة في قصة شرب اللبن وقوله له مرارا اشرب فما زال يقول اشرب
حتي قال والذي بعثك بالحق لا اجد له مسلكا رواه البخاري وكان عليه
الصلاة والسلام اذا اكل مع قوم كان اخرهم اكلا رواه البيهقي في الشعب عن جعفر
ابن محمد عن ابيه مرسلا وفي حديث ابن عمر مرفوعا عند ابن ماجة والبيهقي
اذا وضعت المايدة فلا يقوم الرجل وان شبع حتي يفرغ القوم فان ذلك
يخجل جليسه وعسي ان يكون له في الطعام حاجة وكان عليه الصلاة والسلام
اذا اكل عند قوم لم يخرج حتي يدعو لهم فدعا في منزل عبد الله بن بسر فقال
اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم رواه مسلم ودعا في منزل سعد
فقال افطر عندكم الصايمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملايكة
رواه ابو داود وسقاه اخر لبنا فقال اللهم امتعه بشبابه فمرت عليه

Copyright King Saud University

ثمانون سنة لم يرشعرة بيضا رواه ابن السني **النوع الثاني في لباسه عليه الصلاة والسلام وفراشه** قال البخاري باب ما كان النبي صلى الله عليه
وسلم يتجوز من اللباس يعني يتوسع فلا يضيق بالاقتصار على صنف بعينه
او لا يضيق بطلب النفيس الغالي بل يستعمل ما تيسر وقال القاضي عياض
كان عليه الصلاة والسلام قد اقتصر منه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد
فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في غالب احواله الشملة والكسا
الخشن والاردية والازر ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة
بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست
من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النسا والمحمود منها نقاوة الثوب
بفتح النون والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط المروة
جنسه انتهى وقد روى ابو نعيم في الحلية عن ابن عمر مرفوعا ان من
كرامة المومن على الله عز وجل نقا ثوبه ورضاه باليسير وله ايضا من
حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم راي رجلا وسخة ثيابه فقال
او ما وجد هذا شيا ينقي به ثيابه **تنبيه** كانت سيرته صلى الله عليه وسلم
في ملبسه اتم وانفع للبدن واخفه عليه فانه لم تكن عمامته بالكبيرة التي
يوذي حملها وتضعفه ويجعله عرضة للافات كما يشاهد من حال اصحابها
ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الراس من الحر والبرد وهوانيت
لها عند ركوب الخيل والابل والكر والفر وكذلك الاردية والازر اخف على
البدن من غيرها وقد اطنب ابن الحاج في المدخل في الانكار على اصحاب
التحنيك ثم قال واذا كانت العمامة من باب المباح فلا بد فيها من فعل سنن
تتعلق بها من تناولها باليمين والتسمية والذكر الوارد ان كانت مما لبس
جديدا اذ امتثال السنة في صفة التعميم من فعل التحنيك والعذبة
وتصغير العمامة يعني سبعة اذرع او نحوها يخرجون منها التحنيك
والعذبة فان زاد في العمامة قليلا لاجل حر او برد فيسامح فيه ثم قال
بعد ان ذكر قوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فالعلك
بان تتسرول قاعدا وتتعمم قايما انتهى **ولم يكن** صلى الله عليه وسلم يطول
اكمامه ويوسعها بل كانت كم قميصه الى الرسغ وهو منتهى الكف عند
المفصل لا يجاوز اليد فيشق على لابسه ويمنعه سرعة الحركة والبطش
ولا يقصره صلى الله عليه وسلم عن هذا فيبرز للحر والبرد **وقد** روى
عن اسما بنت يزيد قالت كان كم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ قميص
رواه الترمذي وكان ذيل قميصه وردايه الى انصاف الساقين ولم يتجاوز

الكعبين

الكعبين فيوذي الماشي ويجعله كالمقيد ولم يقصر عن عضلة ساقيه فيتاذى
بالحر والبرد اشار اليه في زاد المعاد **واخرج** الترمذي عن الاشعث بن سليم
قال سمعت عمتي تحدث عن عمها قالت بينا انا امشي في المدينة اذا انسان خلفي يقول
ارفع ازارك فانه اتقى وابقى فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله انما هي بردة قال اما لك في اسوة فنظرت فاذا ازاره الى نصف ساقيه
واخرج الطبراني من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن عمر قال راني النبي
صلى الله عليه وسلم اسبلت ازاري فقال يا ابن عمر كل شي لمس الارض من الثياب
في النار **قال** الخطابي يريد ان الموضع الذي يناله الازار من اسفل الكعبين
في النار فكنى بالثوب عن بدن لابسه ومعناه ان الذي دون الكعبين من القدم
يعذب بالنار عقوبة وحاصله انه من باب تسمية الشي باسم ما جاوره او حل فيه
وتكون من بيانية وللطبراني من حديث عبد الله بن مغفل رفعه ازرة
المومن الى انصاف الساقين وليس عليه حرج فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل
من ذلك ففي النار والازرة بالكسر الحالة وهيئة الايتزار مثل الركبة والجلسة
واعلم طهر الله ثوبي وثوبك ونزه سري وسرك ان هذا الاطلاق محمول على
ما ورد من قيد الخيلا فهو الذي ورد فيه الوعيد بالاتفاق **وقد** اخرج اصحاب
السنن الا الترمذي واستغربه وابن ابي شيبة من طريق عبد العزيز بن ابي
رواد عن سالم ابن عبد الله بن عمر عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الاسبال في الازار والقميص والعمامة من جر منها شيا خيلا الحديث
فتبين في هذه الرواية ان الحكم ليس خاصا بالازار وان جا في اكثر طرق الاحاديث
بلفظ الازار قال الطبري انما ورد الخبر بلفظ الازار لان اكثر الناس في عهده
كانوا يلبسون الازر والاردية فلما لبس الناس القمص والدراريع كان حكمها
حكم الازار في النهي **قال** ابن بطال هذا قياس صحيح لو لم يات النص بالثوب
فانه يشمل جميع ذلك وفي تصوير جر العمامة نظر الا ان يكون المراد ما جرت
به عادة العرب من ارخا العذبات فمهما زاد على العادة في ذلك كان من الاسبال
وهل يدخل في الزجر عن جر الثوب تطويل اكمام القميص ونحوه محل نظر والذي
يظهر ان من اطالها حتى خرج عن العادة كما يفعله بعض الحجازيين دخل
في ذلك **قال** ابن القيم واما هذه الاكمام الواسعة الطوال التي هي كالاخراج
وعمايم كالابراج فلم يلبسها عليه الصلاة والسلام هو ولا احد من اصحابه وهي
مخالفة لسنته وفي جوازها نظر فانها من جنس الخيلا انتهى **قال** صاحب
المدخل ولم يخف على ذي بصيرة ان كم بعض من ينسب الى العلم اليوم فيه اضاعة
المال المنهي عنها لانه قد يفصل من ذلك الكم ثوبا لغيره انتهى لكن حدثت

للناس اصطلاح بتطويلها وصار لكل نوع من الناس شعار يعرفون به ومهما
كان من ذلك الكم على سبيل الخيلا فلا شك في تحريمه وما كان على طريق العادة فلا
تحريم فيه مالم يصل الي جر الذيل الممنوع ونقل القاضي عياض عن العلما كراهة
كل زاد على العادة وعلى المعتاد في اللباس من الطول والسعة وفي حديث ابي
هريرة عند البخاري مرفوعا بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته اذ
خسف به فهو يتجلجل الي يوم القيامة وفي الطبراني وابي داود ان رجلا ممن كان
قبلكم لبس بردة فتبختر فيها فنظر الله اليه فمقته فامر الارض فاخذته هو
وهذا الوعيد المذكور يتناول الرجال والنسا على هذا الفعل المخصوص
وقد فهمت ذلك ام سلمة رضي الله تعالي عنها فاخرج النساي والترمذي وصححه من طريق ايوب عن نافع عن ابن عمر فقالت ام سلمة فكيف تصنع النسا
بذيولهن فقال يرخين شبرا فقالت اذن تنكشف اقدامهن قال فيرخينه
ذراعا لا يزدن عليه وحاصل ماذكر في ذلك ان للرجال حالين حال استحباب
وهو ان يقتصر بالازار على نصف الساق وحال جواز بقدر ذراع
وان الاسبال يكون في الازار والقميص والعمامة وانه لا يجوز اسباله تحت
الكعبين ان كان للخيلا وان كان لغيرها فهو مكروه للتنزيه قال النووي
وظواهر الاحاديث في تقييدها بالخيلا تدل على ان التحريم مخصوص بالخيلا
قال وهذا نص الشافعي على الفرق كما ذكرنا انتهى تنبيه قال العراقي في
شرح الترمذي الذراع الذي رخص للنسا فيه هل ابتداوه من الحد الممنوع منه الرجال
وهو من الكعبين او من الحد المستحب وهو انصاف الساقين اوحده من اول ما يمس
الارض الظاهر ان المراد الثالث بدليل حديث ام سلمة الذي رواه ابو داود والنساي
واللفظ له وابن ماجة قالت سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم كم تجر المراة من
ذيلها قال شبرا قالت اذا ينكشف عنها قال فذراع لا تزيد عليه فظاهره ان لها
ان تجر على الارض منه ذراعا قال والظاهر ان المراد بالذراع ذراع اليد وهو
شبران لما في سنن ابن ماجة عن ابن عمر قال رخص رسول الله صلي الله عليه وسلم
لامهات المومنين شبرا ثم استزدنه فزادهن شبرا فدل على ان الذراع الماذون
فيه شبران وهو الذراع الذي يقاس به الحصر اليوم انتهى وانما جاز للنسا
لاجل الستر لان المراة كلها عورة الا ما استثني وقد كان له عليه الصلاة والسلام
عمامة تسمي السحاب ويلبس تحتها القلانس اللاطية والقلانس جمع قلنسوة
بفتح القاف واللام وسكون النون وضم المهملة وفتح الواو وقد تبدل بالضم
وقد تبدل الفا وتفتح السين فيقال قلنساة وقد تحذف النون من هذه
بعدها تانيث غشا مبطن يستر به الراس قاله الفزاز في شرح الفصيح

وهو الا الكعبين وكذلك للنسا حالان حال استحباب وهو ... على ما هو جايز للرجال بقدر الشبر حال

وقال ابن هشام هي التي تقول لها العامة الشاشية وفي المحكم هي من ملابس الروس
معروفة وقال ابو هلال العسكري هي التي يغطي بها العمايم وتستر من الشمس والمطر كانها
عنده راس البرنس انتهى وروي الترمذي عن جابر رضي الله تعالي عنه قال دخل
النبي صلي الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سودا وفي رواية انس عند البخاري
دخل عام الفتح وعلى راسه المغفر وهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفا زرد
ينسج من الدروع على قدر الراس وجمع بينهما بان العمامة السودا كانت فوق المغفر
وجمع بينهما القاضي عياض بان اول دخوله كان على راسه المغفر ثم بعد ذلك كان على
راسه العمامة بعد ازالة المغفر بدليل قوله في حديث عمرو بن حريث عن ابيه
خطب الناس وعليه عمامة سودا لان الخطبة انما كانت عند باب الكعبة بعد تمام
فتح مكة قال الولي بن العراقي وهو اولي واظهر في الجمع من الاول وقد تقدم نحو
ذلك في غزوة فتح مكة وروي مسلم من حديث عمرو بن حريث قال رايت النبي صلي الله
عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سودا قد ارخي طرفها بين كتفيه وروي ابو محمد
وعنه ايضا عن جابر دخل مكة وعليه عمامة سودا ولم يذكر فيه ذوابة فدل
انه لم يكن يرخيها دايما بين كتفيه لكن قد يقال انه دخوله مكة كان على اهبة
القتال والمغفر على راسه فلبس في كل موطن ما يناسبه وعن ابن عمر قال كان
النبي صلي الله عليه وسلم اذا اعتم سدل رواه الترمذي في الشمايل زاد مسلم وقد
ارخي طرفها بين كتفيه وروي ابو محمد بن حيان في كتاب اخلاق النبي صلي الله
عليه وسلم من حديث ابن عمر كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يعتم قال يدير
كور العمامة على راسه ويغرسها من ورايه ويرخي لها ذوابة بين كتفيه قال
ابن القيم في الهدي النبوي وكان شيخ الاسلام ابن تيمية يذكر في سبب الذوابة
شيا بديعا وهو ان النبي صلي الله عليه وسلم انما اتخذها صبيحة المنام الذي
راه بالمدينة لما راي رب العزة فقال يا محمد فيم يختصم الملا الاعلي قلت لا ادري
فوضع يده بين كتفي فعلمت ما بين السما والارض الحديث وهو في الترمذي
وسال عنه البخاري فقال صحيح قال فمن تلك الغداة ارخي الذوابة بين كتفيه
قال وهذا من العلم الذي تنكره السنة الجهال وقلوبهم قال ولم ار هذه الفايدة
في شان الذوابة لغيره انتهى وعبارة غير الهدي وذكر ابن تيمية انه صلي
الله عليه وسلم لما راي ربه واضعا يده بين كتفيه اكرم ذلك الموضع بالعذبة
انتهى لكن قال العراقي بعد ان ذكره لم نجد لذلك اصلا انتهى وروي ابن ابي شيبة
عن علي قال عممني رسول الله صلي الله عليه وسلم بعمامة سدل طرفها على منكبي
وقال ان الله امدني يوم بدر ويوم حنين بملايكة معتمين هذه العمة وقال
ان العمة حاجز بين المسلمين والمشركين قال عبد الحق الاشبيلي وسنة

السودا

تمام

الحجة

Copyright © King Saud University

التحنك

العامة بعد جعلها ان يرخي طرفها ويحنك به فان كانت بغير طرف ولا تحنيك
فذلك يكره عند العلماء واختلف في وجه الكراهة فقيل لمخالفة السنة وقيل لانها
كذلك كانت عمايم الشياطين وجاءت الاحاديث في ارسال طرفها على انواع منها
ما تقدم انه ارسل طرفها على منكب علي ومنها ان عبد الرحمن بن عوف قال عممني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسدلها من بين يدي ومن خلفي ذكره ابو داود
وعن ابن عباس انه راى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة دسما اي سودا
رواه الترمذي وفي حديث ركانة انه صلى الله عليه وسلم قال ان فرق ما بيننا وبين
المشركين العمايم على القلانس رواه الترمذي ايضا وعن ابي كبشة الانماري
قال كانت كمام اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بطحا رواه الترمذي ايضا وفي
رواية اكمة وهي جمع كثرة وقلة للكمة القلنسوة يعني انها كانت منبطحة غير
منقبضة وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له كمة بيضا
رواه الدمياطي وكان احب الثياب اليه صلى الله عليه وسلم القميص وعن
معاوية بن قرة عن ابيه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط
من مزينة لنبايعه وان قميصه لمطلق الازرار وقال زر قميصه مطلق
قال فادخلت يدي في جيب قميصه فمسست الخاتم رواه الترمذي وعن
انس قال كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قطنا قصير الطول والكمين
رواه الدمياطي وعن انس بن مالك قال كان احب الثياب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبسه الحبرة رواه الترمذي والحبرة ضرب من البرود
فيه حمرة وعن ابي رمثة قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه
بردان اخضران رواه ابو داود وعن عروة بن المغيرة بن شعبة عن ابيه
ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة رومية ضيقة الكمين رواه الترمذي
وعن ابي ذر اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب ابيض رواه البخاري
وعن عايشة قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط
شعر اسود رواه الترمذي وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبس الصوف وكان صلى الله عليه وسلم له كسا ملبد يلبسه ويقول انما انا
عبد البس كما يلبس العبد رواه الشيخان فان قلت قد علم من هذا ومن
سيرة السلف الصالح بذاذة الهيئة ورثاثة الملابس فما بال الشاذلية من
الصوفية يجملون هياتهم وملابسهم وطريقهم الاقتدا بالسنة الشريفة والسلف
الصالح فالجواب العارف الرباني سيدي علي الوفاي ومن خطه الكريم
نقلت ما لفظه ذلك لانهم نظروا الى المعاني والحكم فوجدوا السلف الصالح لما
وجدوا اهل الغفلة والتشاغل بدنياهم متهالكين على الزينة الظاهرة تفاخرا

بدنباهم

اطمارهم

بدنياهم واطمانوا اليها واشعارا بانهم من اهلها خالفوهم لاظهار الحقارة ما حقره الحق مما
عظمه الغافلون وتنوبها بالغناء اطمان اليه الغافلون وكان اظهارهم بوسيد بقول
الحمد لله الذي اغنانا به عما افتقر نفسه اليه من جهة دنياه فلما طال الامد وقست
القلوب بنسيان ذلك المعنى واتخذ الغافلون رثاثة الاطمار وبذاذة الهيات
حيلة على دنياهم انعكس الامر فصار مخالفة هولا في ذلك لله هو قول السلف
وطريقتهم كما تقدم قال وقد ارشد الاستاذ ابو الحسن الشاذلي قدس الله سره
العزيز الى ذلك بقوله لبعض من انكر عليه جمال هيئته من الصحابة الرثاثة
يا هذا هيئتي هذه تقول الحمد لله وهياتك هذه تقول اعطني شيا من دنياكم
والقوم افعالهم دايرة مع الحكمة الربانية مرادهم مرضات ربهم انتهى ما قاله سيدي
علي وقد ورد في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال
وفي الحديث الاخر ان الله نظيف يحب النظافة وفي السنن عن ابي الاحوص الجشمي
عن ابيه قال راني النبي صلى الله عليه وسلم وعلي اطمار وفي رواية النساي وعلي
ثوب دون فقال هل لك من مال قلت نعم قال من اي المال قلت من كل ما اتى
الله من الابل والشا قال فلتر نعمته وكرامته عليك وفي رواية النساي قال
فاذا اتاك الله مالا فلير اثر نعمة الله عليك وكرامته وفي حديث جابر انه عليه
الصلاة والسلام راى شعثا قد تفرق شعره فقال ما كان عند هذا ما يسكن به
راسه وراى رجلا عليه ثيابا وسخة فقال ما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه
رواه احمد وفي السنن ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده فهو سبحانه
يحب ظهور اثر نعمته على عبده فانه من الجمال الذي يحبه وذلك من شكره
على نعمه وهو جمال باطن فيحب ان يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال
الباطن بالشكر عليها ولاجل محبته تعالى للجمال انزل على عباده لباسا يجمل ظواهرهم
وتقوى يجمل بواطنهم فقال تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم
وريشا ولباس التقوى ذلك خير وقال في اهل الجنة ولقاهم نضرة وسرورا
وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا فجمل وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالسرور
وابدانهم بالحرير وهو سبحانه كما يحب الجمال في الاقوال والافعال واللباس والهيئة
يبغض القبيح من الاقوال والافعال والهيئة فيبغض القبيح واهله ويحب
الجمال واهله ولكن ضل في هذا الموضع فريقان فريق قالوا كل ما خلقه الله
تعالى جميل فهو يحب كل ما خلقه ونحن نحب جميع ما خلقه فلا نبغض منه
شيا قالوا ومن راى الكاينات منه راها كلها جميلة واحتجوا بقوله تعالى
الذي احسن كل شي خلقه وهولا قد عدموا الغيرة لله من قلوبهم والبغض
في الله والمعادات فيه وانكار المنكر واقامة الحدود والفريق الثاني قالوا

Copy… S… University

قد ذم الله تعالى جمال الصورة وتمام القامة والخلقة فقال عن المنافقين واذا
رايتهم تعجبك اجسامهم وفي صحيح مسلم مرفوعا ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم
وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم قالوا وقد حرم علينا لباس الحرير والذهب وانية الذهب
والفضة وذلك من اعظم جمال الدنيا وقال تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه وفي الحديث البذاذة من الايمان
وقد ذم الله المسرفين والسرف كما يكون في الطعام والشراب يكون في اللباس
وفصل النزاع ان يقال الجمال في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة انواع
منه ما يحمد ومنه ما يذم ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم فالمحمود منه ما كان
لله واعان على طاعة الله وتنفيذ اوامره والاستجابة له كما كان النبي صلى الله
عليه وسلم يتجمل للوفود وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال ولباس الحرير في
الحرب والخيلاء فيه فان ذلك محمود اذا تضمن اعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ
عدوه والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء وان يكون هو
غاية العبد واقصى مطلبه فان كثيرا من النفوس ليس لها همة في سوى ذلك
واما ما لا يحمد ولا يذم فهو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين.
والمقصود من هذا الحديث ان الله تعالى يحب من عبده ان يجمل لسانه
بالصدق وقلبه بالاخلاص والمحبة والانابة وجوارحه بالطاعة وبدنه
باظهار نعمه عليه في لباسه وتطهيره له من الانجاس والاحداث والشعور
المكروهة والختان وتقليم الاظفار وغير ذلك مما وردت به السنة والله اعلم
وعن جابر بن سمرة قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة
فجعلت انظر اليه صلى الله عليه وسلم والى القمر وعليه حلة حمرا فاذا هو عندي
احسن من القمر رواه الدارمي والترمذي وعن عون ابن ابي جحيفة
عن ابيه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمرا كاني انظر
الى بريق ساقيه قال سفيان أراه حبرة وعن البراء ابن عازب قال
ما رايت احدا من الناس احسن في حلة حمرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
رواه الترمذي وفي رواية البخاري ومسلم رايته في حلة حمرا لم ار شيئا قط
احسن منه وفي رواية لابي داود ما رايت من ذي لمة في حلة حمرا احسن من رسول
الله صلى الله عليه وسلم قوله ذي لمة بكسر اللام اي شعر الراس دون الجمة سميت
بذلك لانها المت بالمنكبين فاذا زادت فهي الجمة وفي رواية النسائي ما رايت رجلا
احسن في حلة حمرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في القاموس الحلة بالضم
ازار ورداء برد او غيره ولا يكون حلة الا من ثوبين او ثوب له بطانة وقال
ابن القيم وغلط من ظن انها كانت حمرا بحتا لا يخالطها غيرها وانما الحلة الحمرا بردان

في ليلة اضحيان

بمانيان

بمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الاسود كساير البرود اليمنية وهي معروفة
بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط والا فالاحمر البحت منهي عنه اشد النهي ففي
صحيح البخاري انه صلى الله عليه وسلم نهى عن المياثر الحمر وفي صحيح مسلم عن ابن
عمر قال راى النبي صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال ان هذه لباس
الكفار فلا تلبسها ومعلوم ان ذلك انما يصبغ صبغا احمر قال وفي جواز لبس الاحمر
من الثياب والجوخ وغيرها نظر واما كراهته فشديدة فكيف يظن به صلى الله
عليه وسلم انه لبس الاحمر القاني كلا لقد اعاذه الله منه وانما وقعت الشبهة من لفظ الحلة
الحمرا والله اعلم انتهى وقال النووي اختلف العلما في الثياب المعصفرة وهي المصبوغة
بعصفر فاباحها جميع العلما من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبه قال الامام الشافعي
وابو حنيفة ومالك ولكنه قال غيرها افضل وفي رواية عنه ايضا اجاز لباسها في
البيوت وافنية الدور وكرهه في المحافل والاسواق وغيرها وقال جماعة من العلما
هو مكروه كراهة تنزيه وحملوا النهي على هذا لانه ثبت انه عليه الصلاة والسلام
لبس حلة حمرا وفي الصحيحين من حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم صبغ بالصفرة
وحمل بعضهم النهي على المحرم بالحج والعمرة ونقل اتقن البيهقي المسألة في معرفة السنن فقال
نهى الشافعي الرجل عن المزعفر واباح له المعصفر قال الامام الشافعي وانما رخصت
في المعصفر لاني لم اجد احدا يحكي عنه صلى الله عليه وسلم النهي عنه الا ما قال علي رضي
الله عنه انه صلى الله عليه وسلم نهاني ولا اقول نهاكم قال البيهقي وقد جاءت احاديث
تدل على النهي على العموم ثم ذكر حديث مسلم ان هذه من لباس الكفار واحاديث
غيرها ثم قال ولو بلغت هذه الاحاديث الشافعي لقال بها ان شا الله تعالى ثم ذكر
باسناده ما صح عن الشافعي انه قال اذا صح الحديث خلاف قولي فاعملوا بالحديث
ودعوا قولي وفي رواية فهو مذهبي قال البيهقي قال الشافعي وانهى الرجل الحلال
بكل حال ان يتزعفر قال وامره اذا تزعفر ان يغسله قال البيهقي فتبع السنة
في المزعفر فمتابعتها في المعصفر اولى به انتهى ورايت في فتاوى شيخنا العلامة
قاسم احد ايمة الحنفية وتحقيقها كراهته للتحريم مع صحة الصلاة فيه واستدل
له بما ذكرته وبما في حديث طاوس عند الحاكم وقال على شرطهما عن ابن عمرو بن
العاصي قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلي ثوب معصفر قال
من اين لك هذا قلت صنعته لي اهلي فقال عليه الصلاة والسلام احرقه انتهى
وعن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس بردة الاحمر
في العيدين والجمعة وعن يحيى بن عبد الله بن مالك قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصبغ ثيابه بالزعفران قميصه ورداءه وعمامته رواه الديلمي
وهو عند ابي داود بلفظ يصبغ بالورس والزعفران ثيابه حتى عمامته وكذا رواه

المياثر الحمر ... بالحرير

في حديث جابر رفعه على الطنافس ... ان الشيطان اذا وجد ... للهالة وحالها ... تستعمل البسه لا والله اطيب ... الا وطيب ... يحيى بن ... وعامة

المعصفر

بلغ

كان يصبغ ثيابه بالزعفران

Copyright King Saud University

من حديث زيد بن اسلم وام سلمة وابن عمر لكن يعارضه ما في الصحيح انه صلى الله
عليه وسلم نهى عن التزعفر والله اعلم واما صفة ازاره صلى الله عليه وسلم
فعن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري قال اخرجت الينا عايشة كساء وازارا
غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين رواه البخاري و
وفي رواية ازارا غليظا مما يصنع باليمن وكساء من هذه التي تدعونها الملبدة
وفي رواية كساء ملبدا قال ابن الاثير اي مرقعا يقال لبدت القميص البده
ولبدته ويقال للخرقة التي يرقع بها صدر القميص اللبدة وقيل الملبد الذي
ثخن وسطه وصفق حتى صار يشبه اللبد وروى مسلم من حديث عايشة
قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل
من شعر اسود والمرط بكسر الميم واسكان الراء الكساء من صوف او خز يوتزر به
والمرحل بفتح الحا المهملة المفتوحة كعظم هو الذي فيه صور الرحال
قال في القاموس في مادة رحل وكعظم برد فيه تصاوير رحل قال وفي تفسير
الجوهري اياه بازار خز فيه علم غير جيد انما ذلك تفسير المرجل بالجيم وقال في
مادة رجل يعني بالجيم وبرد مرجل كعظم فيه صور الرجال انتهى وقال النووي
والصواب الذي رواه الجمهور وضبطه المتقنون بالحا المهملة اي عليه صور
رحال الابل ولا باس بهذه الصور وانما يحرم تصوير الحيوان وقال الخطابي
المرحل الذي فيه خطوط والله اعلم وعن عروة ان طول ردا النبي صلى الله
عليه وسلم اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر وعن عروة ايضا ان ثوب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه الى الوفد ردا اخضر في
طول اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر وعن معن بن عيسى قال
حدثنا محمد بن هلال قال رايت على هشام بن عبد الملك برد النبي صلى
الله عليه وسلم من حبرة له حاشيتان وعن ابن عمر قال دخلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعليه ازار يتقعقع وعن يزيد بن ابي حبيب انه
صلى الله عليه وسلم كان يرخي الازار من بين يديه ويرفعه من ورايه
وعن ابن عباس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتزر تحت سرته
وتبدو سرته ورايت عمر ياتزر فوق سرته رواها كلها الدمياطي فصل وعن
اسما بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج و
فرجاها مكفوفان بالديباج وقالت هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانت عند عايشة فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها
فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها رواه مسلم وقوله جبة طيالسة باضافة
جبة الى طيالسة وكسروانية بكسر الكاف وفتحها والسين ساكنة والرا مفتوحة

نسبة

نسبة الى كسرى ملك الفرس ولبنة بكسر اللام واسكان البا رقعة في جيب القميص
وفيه جواز لبس ما له فرجان وانه لا كراهة فيه وان المراد بالنهي عن الحرير المتمحض
منه او ما اكثره منه وانه ليس المراد تحريم كل جزء منه بخلاف الخمر والذهب فانه يحرم
كل جزء منهما قاله النووي لطيفة قيل لما كان صلى الله عليه وسلم لا يبدو منه الا
طيب كان ذلك في بدنه الشريف انه لا يتسخ له ثوب فما اتسخ له ثوب قط فيه ولكونه
لم يقمل ثوبه قط وقال ابن سبع في الشفا والسبتي في اعذب الموارد واطيب الموالد
لم يكن القمل يوذيه تعظيما له وتكريما صلى الله عليه وسلم لكن يشكل عليه ما رواه
احمد والترمذي في الشمايل عن عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفلي ثوبه ويحلب شاته ومن لازم التفلي وجود شي يوذي في
الجملة اما قملا او برغوثا او نحو ذلك ويمكن ان يجاب بان التفلي لاستقذار وجود
ما علق بثوبه الشريف من غيره ولو لم يحصل منه اذى في حقه صلى الله عليه وسلم
وهذا فيه بحث لان اذى القمل هو غذاوه من البدن على ما اجرى الله العادة واذا
امتنع الغذا لا يعيش الحيوان عادة ونقل الفخر الرازي ان الذباب لا يقع على
ثيابه قط وانه لا يمتص دمه البعوض واما الطيلسان وهو بفتح اللام واحدة
الطيالسة والها في الجمع للعجمة لانه فارسي معرب وهو الساج ايضا وقال ابن
خالويه في شرح الفصيح يقال للطيلسان الاخضر الساج وفي المجمل لابن فارس
الطاق الطيلسان فقال ابن القيم لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه لبسه ولا
احد من اصحابه بل ثبت في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه ذكر الدجال فقال يخرج معه سبعون الفا من يهود اصبهان
عليهم الطيالسة وراى انس جماعة عليهم الطيالسة فقال ما اشبههم بيهود
خيبر قال ومن ها هنا كره جماعة من السلف والخلف لما روى ابو داود والحاكم في
المستدرك عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تشبه بقوم فهو
منهم وفي الترمذي ليس منا من تشبه بغيرنا واما ما جا في حديث الهجرة انه عليه
الصلاة والسلام جا الى ابي بكر متقنعا بالهاجرة فانما فعله صلى الله عليه وسلم
في تلك الساعة ليختفي بذلك للحاجة ولم يكن عادته التقنع وقد ذكر انس عنه
صلى الله عليه وسلم انه كان يكثر القناع وهذا انما كان يفعله للحاجة من الحر
ونحوه انتهى قال شيخ الاسلام الولي بن العراقي في شرح تقريب الاسانيد التقنع
معروف وهو تغطية الراس بطرف العمامة او برداء او نحو ذلك انتهى وقال
ابن الحاج في المدخل واما قناع الرجل فهو ان يغطي راسه بردائه ويرد طرفه على احد
كتفيه انتهى واما قول ابن القيم انه عليه الصلاة والسلام انما فعل ذلك
للحاجة فيرد عليه حديث سهل بن سعد انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر

Copyright King Saud University

القناع رواه البيهقي في الشعب والترمذي والبيهقي في الشعب ايضا وابن
سعد في طبقاته من حديث انس بلفظ يكثر التقنع فهذا وما اشبهه يرد قول
ابن القيم انه لم ينقل عنه عليه الصلاة والسلام انه لبسه واما قوله ولا احد من
الصحابة فايرده ما اخرجه الحاكم في المستدرك بسند على شرط الشيخين عن
مرة بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة يقربها
فمر رجل مقنع في ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت فاذا هو عثمان
ابن عفان واخرج سعيد بن منصور في سننه عن ابي العلا قال رايت
الحسن بن علي يصلي وهو مقنع راسه واخرج ابن سعد عن سليمان بن المغيرة
قال رايت الحسن يلبس الطيالسة واخرج عن عمارة بن زاذان قال رايت على الحسن
طيلسانا انبجانيا واما ما ذكره ابن القيم من قصة اليهود فقال الحافظ ابن حجر انما يصلح
الاستدلال به في الوقت الذي يكون الطيالسة من شعارهم وقد ارتفع ذلك
في هذه الازمنة فصار داخلا في عموم المباح وقد ذكره ابن عبد السلام في امثلة
البدعة المباحة وقد يكون من شعار قوم فيكون تركه من الاخلال بالمروة
وقيل انما انكر انس الوان الطيالسة لانها كانت صفرا والله اعلم واما الخاتم ففي
الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق
فكان في يده ثم كان في يد ابي بكر ثم كان في يد عمر ثم كان في يد عثمان حتى وقع في
بير اريس ومنها ايضا عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس
خاتم فضة فيه فص حبشي وكان يجعل فصه مما يلي كفه واخرج احمد والنسائي
والترمذي والبزار في مسنده عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم راى
في يد رجل خاتما من حديد فقال اجد منك ريح الاصنام ثم قال له اتخذه من
فضة ولا تزده على مثقال وقد اختلف العلما في لبسه في الجملة فاباحه كثير
من اهل العلم من غير كراهة ومنهم من كرهه اذا قصد به الزينة ومنهم
من كرهه الا لذي سلطان لحديث ابي داود والنسائي عن ابي ريحانة ان النبي
صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الخاتم الا لذي سلطان ولانه عليه الصلاة
والسلام انما اتخذه لحاجة ختم الكتاب التي يبعثها الى الملوك كما في حديث انس   خ الكتب
انه صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى وقيصر والنجاشي فقيل له انهم لا يقبلون
كتابا الا بختم فصاغ خاتما ونقش فيه محمد رسول الله وانما لبسه ابو بكر
لاجل ولايته فانه كان يحتاج اليه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج اليه
وكذلك عمر وعثمان وحكى ابن عبد البر عن طائفة من العلما كراهة لبسه
مطلقا احتجاجا بحديث انس انه صلى الله عليه وسلم نبذه ولم يلبسه وفي
الشمايل للترمذي عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة

فكان

فكان يختم به ولا يلبسه وفي الصحيحين من حديث انس انه راى في يده صلى الله
عليه وسلم خاتما من ورق يوما واحدا ثم ان الناس اصطنعوا الخواتيم من ورق
ولبسوها فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه فطرح الناس خواتيمهم
والصواب القول الاول فان لبس النبي صلى الله عليه وسلم الخاتم انما كان في
الاصل لاجل المصلحة لختم الكتب التي يرسلها الى الملوك ثم استدام لبسه ولبسه
اصحابه معه ولم ينكره عليهم بل اقرهم عليه فدل ذلك على الاباحة المجردة
واما حديث النهي عن الخاتم الا لذي سلطان فقال ابن رجب ذكر بعض
اصحابنا ان احمد ضعفه واما ما جا في حديث الزهري عن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لبسه يوما واحدا ثم القاه فقد اجيب عنه بثلاثة
اجوبة احدها انه وهم من الزهري وسهو جرى على لسانه لفظ الورق وانما
الذي لبسه يوما واحدا ثم القاه كان من ذهب كما ثبت ذلك من غير وجه
في حديث ابن عمر وانس ايضا الثاني ان الخاتم الذي رمى به عليه الصلاة
والسلام لم يكن كله فضة وانما كان حديدا عليه فضة وروى ابو داود عن
معيقيب الصحابي وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم قال كان خاتم النبي
صلى الله عليه وسلم من حديد ملوي عليه فضة فلعل هذا هو الذي لبسه
يوما واحدا ثم طرحه ولعله الذي كان يختم به ولا يلبسه الثالث ان طرحه
انما كان لئلا يظن انه سنة مسنونة فانهم اتخذوا الخواتيم لما راوه قد لبسه
فتبين بطرحه انه ليس بمشروع ولا سنة ثم ان الخاتم يكون تارة من فضة وتارة من ذهب
وتارة من حديد وتارة من صفر او رصاص او نحوها وتارة من عقيق فاما الذهب
ففي الصحيحين عن ابي البرا بن عازب قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
خاتم الذهب وانية الفضة ومنها عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه
نهى عن خاتم الذهب ومنها ايضا عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من
ذهب فجعله في يمينه وجعل فصه مما يلي باطن كفه فاتخذ الناس خواتيم الذهب
قال فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فالقاه ونهى عن التختم بالذهب
وهو مذهب الايمة الاربعة مالك والشافعي وابو حنيفة واحمد واكثر العلما
ورخصت فيه طايفة منهم اسحق بن راهويه وقال مات خمسة من اصحابه
عليه الصلاة والسلام خواتيمهم من ذهب قال مصعب ابن سعد رايت على
طلحة وسعد وصهيب خواتيم الذهب وعن حمزة بن ابي اسيد والزبير بن
المنذر بن ابي اسيد انهما نزعا من يد ابي اسيد خاتما من ذهب حين مات
وكان بدريا ورواهما البخاري في تاريخه وروى النسائي عن سعيد بن المسيب
قال قال عثمان لصهيب مالي ارى عليك خاتم الذهب فقال فقد راه

Copyright King Saud University

من هو خير منك فلم يعبه قال من هو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **واما خاتم الفضة** فاباحه كثير من العلماء ولبسه صلى الله عليه وسلم وجماعة من اصحابه قال الرافعي يجوز للرجل التختم بالفضة وكذا في الروضة وغيرها من كتب اصحابنا طافحة بجوازه وروى ابو داود وصححه ابن حبان من حديث بريدة بن الحصيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للابس خاتم الحديد مالي ارى عليك حلية اهل النار فطرحه وقال يا رسول الله من اي شي اتخذه قال من ورق ولا تتمه مثقالا واخرجه ايضا النساي والترمذي وقال غريب واخرجه احمد وابو يعلى في مسنديهما والضيا في المختارة مما ليس في الصحيحين ورجاله رجال الصحيحين الا عبد الله ابن مسلم المعروف بابي طيبة وهو محدث مشهور وتصحيح ابن حبان لحديثه دال على قبوله فاقل احواله ان يكون من درجة الحسن والاصل في النهي كونه للتحريم ولان الاصل في استعمال الفضة للرجال التحريم الا ما رخص فيه فاذا حد فيه حد وجب الوقوف عنده وبقي ما عداه على الاصل وقد قال ابن الرفعة في باب ما يكره لبسه من الكفاية وينبغي ان ينقص وزنه عن مثقال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا وساق الحديث وقوله ينبغي يصلح للوجوب وغيره وحمله عليه اولى لانه ساق الحديث مساق الاحتجاج لهذا الحكم فلا يصرف النهي عن حقيقته الا بصارف وظاهر صنيع ابن الملقن في شرح منهاج النووي يقتضيه فانه قال في زكاة النقد فرع في ابي داود وصحيح ابن حبان من حديث بريدة انه عليه الصلاة والسلام قال لذلك الرجل وذكر الحديث فساقه سوق الفروع التي لا خلاف فيها بين الاصحاب وظاهر ذلك تحريم المثقال وفي القوت للاذرعي لم يتعرض اصحابنا لمقدار الخاتم ولعلهم اكتفوا بالعرف فما خرج عنه كان اسرافا كما قالوا في الخلخال للمراة ونحوه والصواب الضبط بما نص عليه في الحديث وليس في كلامهم ما يخالف هذا الضبط وهو يشير الى هذا الحديث وكذا اثنى عليه ابن العماد في التعقبات وعبارته واذا جاز لبس الخاتم فشرطه ان لا يبلغ به مثقالا للحديث انتهى لكن قال الحافظ العراقي في شرح الترمذي ان النهي في قوله ولا تتمه مثقالا محمول على التنزيه فيكره ان يبلغ به وزن مثقال قال وفي رواية ابي داود وفي رواية صاحب المعلم ولا تتمه مثقالا ولا قيمة مثقال وليست هذه الزيادة في رواية اللؤلؤي ومعنى هذه الزيادة انه ربما وصل الخاتم بالنفاسة في صنعته الى ان يكون قيمته مثقال فهو داخل في النهي ايضا انتهى وقد افتى العلامة السراج العبادي بانه يجوز ان يبلغ مثقالا وان ما زاد عليه حرام **واما خاتم الحديد** فاخرج ابو داود في الخاتم من سننه والبيهقي في شعب الايمان والادب وغيرها من تصانيفه من

طبق

من طريقه والنساي في الزينة من سننه وابن حبان في صحيحه ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم من شبه وهو بفتح المعجمة والموحدة وباسكانها وكسر المعجمة نوع من النحاس كانت الاصنام تتخذ منه وسمي بذلك لشبهه بالذهب لونا فقال مالي اجد منك ريح الاصنام فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال مالي ارى عليك حلية اهل النار فطرحه واخرجه الترمذي لكنه قال من صفر بدل من شبه وهما بمعنى قال النووي في شرح المهذب قال صاحب الابانة يكره الخاتم من حديد او شبه وتابعه صاحب البيان فقال يكره الخاتم من حديد او رصاص او نحاس لحديث بريدة وقال صاحب التتمة لا يكره الخاتم من حديد او رصاص لحديث الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للذي خطب الواهبة نفسها اطلب ولو خاتما من حديد قال ولو كان فيه كراهة لما اذن فيه وفي سنن ابي داود باسناد جيد عن معيقيب الصحابي كان خاتمه عليه الصلاة والسلام من حديد ملوي عليه فضة والمختار انه لا يكره لهذين الحديثين وقال في شرح مسلم في الكلام على حديث المراة الواهبة نفسها وفي هذا الحديث جواز اتخاذ خاتم الحديد وفيه خلاف للسلف حكاه القاضي ولاصحابنا في كراهته وجهان اصحهما لا يكره لان الحديث في النهي عنه ضعيف ولعل تضعيف النووي للحديث انما هو بالنسبة الى مقاومة حديث سهل في الصحيحين وغيره في قصة الواهبة نفسها لا مطلقا كيف وله في ذلك شواهد عدة ان لم ترقه الى درجة الصحة لم تدعه ينزل عن درجة الحسن **واما خاتم العقيق** فعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تختموا بالعقيق واليمين احق بالزينة وفي سنده مجهول وروي بلفظ تختموا بالعقيق فانه ينفي الفقر وروي بعقوب بن ابراهيم عن عايشة مرفوعا تختموا بالعقيق فانه مبارك ويعقوب متروك وروى ابو بكر بن شعيب عن فاطمة رضي الله عنها مرفوعا من تختم بالعقيق لم يزل يرى خيرا وهذا ايضا لا يثبت وكذا اورد فيه احاديث غير هذه وكلها كما قال الحافظ ابن رجب لا تثبت وقال العقيلي لا يصح في التختم بالعقيق عن النبي صلى الله عليه وسلم شي وروى ابن فنجويه في كتاب الخواتيم له باسناد ضعيف عن علي مرفوعا من تختم بالياقوت الاصفر منع الطاعون اواسناده ضعيف **واما فص خاتمه عليه الصلاة والسلام** فروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة فصه منه اخرجه البخاري وغيره وفي صحيح مسلم ان خاتمه صلى الله عليه وسلم كان فصه حبشيا قال النووي قال العلما يعني حجرا حبشيا اي فصا من جزع او عقيق فان معدنهما بالحبشة واليمن انتهى قال

منجوه

١/٢٠٢

Copyright King Saud University

صح انهم كانوا يعنون بالحبشي العقيق فيكون له خاتمان احدهما فصه عقيق والاخر
فصه فضه وفي شرح مسلم للنووي حكاية انه صلي الله عليه وسلم كان له في وقت
خاتم فصه منه وفي حديث اخر فصه من عقيق انتهي لكن لم يرو عنه عليه الصلاة
والسلام انه لبس خاتما كله عقيق **واما نقش خاتمه** عليه الصلاة والسلام ففي صحيح
مسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطنع خاتما من ورق فنقش فيه محمد
رسول الله وقال للناس اني اتخذت خاتما من فضة ونقشت فيه محمد رسول
الله فلا ينقش احد علي نقشه قال الترمذي معني قوله لا تنقشوا عليه نهي
ان ينقش احد علي خاتمه محمد رسول الله وفي رواية للنسائي اتخذ خاتما من ورق
فصه حبشي ونقش فيه محمد رسول الله وفي رواية البخاري والترمذي وكان
نقش الخاتم ثلاثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر قال في فتح الباري
ظاهره انه لم يكن فيه زيادة علي ذلك وانه كان علي هذا الترتيب لكن لم تكن
كتابته علي الترتيب العادي فان ضرورة الاحتياج الي ان يختم به تقتضي ان
تكون الاحرف المنقوشة مقلوبة ليخرج الختم مستويا واما قول بعض الشيوخ
ان كتابته كانت من فوق يعني الجلالة اعلا الاسطر الثلاثة ومحمد اسفلها
فلم ار التصريح بذلك في شي من الاحاديث بل رواية الاسماعيلي تخالف ظاهرها
ذلك فانه قال محمد سطر والثاني رسول الله والسطر الثالث الله وعن ابن عمر
انه صلى الله عليه وسلم كان يلبس خاتمه في يمينه فلما قبض صار في يد ابي بكر
في يمينه ثم ذهب يوم الدار عليه لا اله الا الله رواه بركة بن محمد الحلبي كما
حكاه ابن رجب في كتاب الخواتيم ثم قال وهي رواية ساقطة جدا فان بركة
مذكور بالكذب وفي لفظه ما يدل علي بطلانه وهو قوله ذهب يوم الدار
عليه لا اله الا الله فانه انما سقط في بير اريس قبل الدار وقد عاش عثمان
بعده مدة واتخذ له خاتما عوضه وانما كان نقشه محمد رسول الله لا كلمة
الاخلاص انتهي **تنبيه** قال شيخ الاسلام الشرف المناوي وتحصل السنة بلبس
الخاتم مطلقا ولو مستعارا او مستاجرا لكن الاوفق للسنة لبسه بالملك والاشتمال
علي ذلك ويجوز تعدد الخواتم اتخاذا واما الاستعمال فمفهوم كلام الرافعي عدم
الجواز وبه صرح المحب الطبري فقال المتجه انه لا يجوز للرجل ان يلبس
خاتمين من فضة في يده او في احداهما لان استعمال الفضة حرام الا ما وردت
به الرخصة ولم ترد الا في خاتم واحد لكن ذكر الخوارزمي في الكافي انه يجوز له
ان يلبس خواتيم زوجا في يد وفردا في الاخرى فان لبس في كل واحدة زوجا
فقال الصيدلاني في الفتاوي لا يجوز وقال الدارمي في الاستذكار يكره
للرجل لبس فوق خاتمين فاقتصاره علي الكراهة يدل علي عدم الحرمة

واذا

السطوح

واذا تقرر ذلك فالمسالة ذات خلاف والذي يظهر كلام المحب الطبري فان تسامحنا
اعتمدنا علي ما افتي به الصيدلاني انتهي **ويجوز** التختم في اليمين واليسار واختلف الناس
في افضلها فقيل اليسار وهو نص الامام احمد في رواية صالح قال التختم في اليسار احب
الي وهو مذهب الامام مالك ويروي انه كان يلبسه في يساره وكذا الامام الشافعي
وفي صحيح مسلم عن انس قال كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه واشار الي
الخنصر من يده اليسري وفي سنن ابي داود عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم
كان يتختم في يساره وروي اسماعيل بن مسلم عن السليطي قال اتيت النبي صلى
الله عليه وسلم في ليلة قمرا وكاني انظر الي عكن بطنه وكانها القباطي والي وبيص
خاتمه في يساره واسماعيل هذا قال البخاري تركه ابن المبارك وربما روى
عنه وقد ذكر بعض الحفاظ كما افاده الحافظ ابن رجب ان التختم في اليسار
مروي عن عامة الصحابة والتابعين **ورجحت طايفة التختم في اليمين**
وهو قول ابن عباس وعبد الله بن جعفر وروي حماد بن ابي سلمة قال
رايت ابن ابي رافع يتختم في يمينه وقال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتختم
في يمينه رواه احمد والنسائي وابن ماجة والترمذي وقال قال محمد يعني
البخاري هذا اصح شي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب
وفي الشمايل للترمذي عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه
وهذا فيه ضعف لحال عبد الله بن ميمون ويروي من حديث عباد بن عبد الله
ابن صهيب عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر بن عبد الله قال قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم والخاتم في يمينه وعباد بن صهيب متروك ايضا وروى
البزار في مسنده من حديث عبيد بن القاسم عن هشام بن عروة عن
ابيه عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه وقبض والخاتم في
يمينه وعبيد هذا كذاب **قال** الحافظ ابن رجب وقد جا التصريح بان تختمه
عليه الصلاة والسلام في يساره كان اخر الامرين في حديث رواه سليمان بن
محمد عن عبد الله بن عطاء عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يتختم في يمينه ثم انه حوله الي يساره وقال وكيع التختم في اليمين ليس
بسنة **ونص** الامام احمد انه يكره التختم في السبابة والوسطي وروي عن علي
انه قال نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتختم في هذه او هذه و
اوما الي السبابة والوسطي والله اعلم وفي اللباب وكان عليه الصلاة والسلام
يتختم وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشي ورواه ابن عدي
بسند ضعيف من حديث واثلة بلفظ كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد حاجة
اوثق في خاتمه خيطا وروي ابو يعلي عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم

عباد

٢٣

كان اذا اشفق من الحاجة ان ينساها ربط في اصبعه خيطا ليذكرها وكذا هو في
رابع الخلعيات لكن فيه سالم بن عبد الله علي ابو الفيض رماه ابن حبان بالوضع الخلعيات
بل اتهمه ابو حاتم بهذا الحديث واما السراويل فاختلف هل لبسها النبي صلى الله
عليه وسلم ام لا فجزم بعض العلما بانه عليه الصلاة والسلام لم يلبسه ويستانس
له بما جزم به النووي في ترجمة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه من كتاب
تهذيب الاسما واللغات انه رضي الله عنه لم يلبس السراويل في جاهلية ولا اسلام
الا يوم قتله فانهم احرص شي على اتباعه صلى الله عليه وسلم لكن قد ورد في
حديث عند ابي يعلى الموصلي في مسنده بسند ضعيف جدا عن ابي هريرة رضه
قال دخلت السوق يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزاز ين
فاشترى سراويل باربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان يزن فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتزن وارجح فقال الوزان ان هذه الكلمة ما سمعتها
من احد قال ابو هريرة فقلت له كفى بك من الوهن والجفا في دينك ان لا تعرف
نبيك فطرح الميزان ووثب الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان
يقبلها فجذب يده صلى الله عليه وسلم منه فقال يا هذا انما تفعل هذا الاعاجم
بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم فوزن فارجح واخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم السراويل قال ابو هريرة فذهبت لاحمله عنه فقال صاحب الشي
احق بشيه ان يحمله الا ان يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه اخوه المسلم قال
قلت يا رسول الله وانك لتلبس السراويل قال اجل في السفر والحضر وبالليل و
والنهار فاني امرت بالستر فلم اجد شيا استر منه وكذا اخرجه ابن حبان في الضعفا
عن ابي يعلى ورواه الطبراني في الاوسط والدارقطني في الافراد والعقيلي في
الضعفا ومداره على يوسف بن زياد الواسطي لكن قد صح شرا النبي صلى الله
عليه وسلم له وفي الهدي والظاهر انه صلى الله عليه وسلم انما اشتراه ليلبسه
وقد روي انه لبس السراويل وكانوا يلبسونه في زمانه وباذنه قال ابو عبد الله
الحجازي في حاشيته على الشفا وما قاله في الهدي من انه صلى الله عليه وسلم
لبس السراويل قالوا سبق قلم والله اعلم وقد اورد ابو سعيد النيسابوري
ذكر الحديث في تجارته صلى الله عليه وسلم من كتابه شرف المصطفى وقد ترجم
البخاري في اللباس من صحيحه باب السراويل واورد فيه حديث المحرم لكونه
لم يرد فيه شي على شرطه واما الخف فروى الترمذي عن ابي بريدة ان النجاشي
اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم خفين اسودين ساذجين فلبسهما ثم توضا ومسح
عليهما وعن المغيرة بن شعبة اهدى دحية للنبي صلى الله عليه وسلم خفين قالم
فلبسهما وقال اسرايل عن جابر عن عامر وجبة فلبسهما حتى تخرقا لا يدري النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم اذكيا هما ام لا رواه الطبراني واما نعله صلى الله عليه وسلم والنعل
قال صاحب المحكم ما وقيت به القدم ففي البخاري عن قتادة عن انس ان نعل النبي
صلى الله عليه وسلم كان لها قبالان والقبالان تثنية القبال وهو زمام النعل
وهو السير الذي يكون بين الاصبعين وعن ابن عباس قال كان لنعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبالان مثنى شراكهما رواه الترمذي في الشمايل وفيها ايضا
عن ابي هريرة قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان وعن عيسى
ابن طهمان قال اخرج الينا انس بن مالك نعلين جرداوين لهما قبالان فحدثني
ثابت بعد عن انس انهما كانتا نعلي النبي صلى الله عليه وسلم وعن عبيد بن جريج انه
قال لابن عمر رايتك تلبس النعال السبتية قال اني رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضا فيها فانا احب
ان البسها وعن عمرو بن حريث قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي في نعلين مخصوفتين وعن عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحب التيمن ما استطاع في ترجله وتنعله وطهوره رواه الترمذي وعن
ابي هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم اذا انتعل احدكم فليبدا باليمين واذا
نزع فليبدا بالشمال لتكن اليمنى اولهما تنعل واخرهما تنزع وكان عليه
الصلاة والسلام ينهى ان ينتعل الرجل قايما رواه ابو داود والترمذي
وقد ذكر ابو اليمن ابن عساكر تمثال نعله الكريم عليه افضل الصلاة والسلام
في جزء مفرد رويته قراءة وسماعا وكذا افرده بالتاليف ابو اسحق ابراهيم بن
محمد بن خلف السلمي المشهور بابن الحاج من اهل المرية بالاندلس وكذا
غيرهما ولم اثبتها هنا اتكالا على شهرتها وصعوبة ضبط تسطيرها الا
٢٠٧ على حاذق ومن بعض ما ذكر من فضلها وجرب من نفعها وبركتها ما ذكره
ابو جعفر احمد بن عبد المجيد وكان شيخا صالحا ورعا قال حذوت هذا
المثال لبعض الطلبة فجاني يوما فقال لي رايت البارحة من بركة هذا
النعل عجبا اصاب زوجي وجع شديد كاد يهلكها فجعلت النعل على موضع
الوجع وقلت اللهم اريني بركة صاحب هذا النعل فشفاها الله للحين و
وقال ابو اسحق قال ابو القاسم بن محمد ومما جرب من بركته ان من امسكه ابراهيم
عنده متبركا به كان له امانا من بغي البغاة وغلبة العداة وحرزا من
كل شيطان مارد وعين كل حاسد وان امسكته الحامل بيمينها وقد اشتد
عليها الطلق تيسر امرها بحول الله وقوته ولله در ابي اليمن ابن عساكر
حيث قال ، يا منشدا في رسم ربع خال ، ومناشد الدوارس الاطلال ،
دع ندب اثار وذكر ماثر ، لاحبة بانوا وعصر خال ،،

والثم ثرى الاثر الكريم فحبذا ... ان فزت منه بلثم ذا التمثال
اثر له بقلوبنا اثر لها ... شغل الخلي بحب ذات الخال
قبل لك الاقبال نعلي اخمص ... حل الهلال بها محل قبال
الصق بها قلبا يقلبه الهوى ... رجلا على الاوصاب والاوجال
صافح بها خدا وعفر وجنة ... في تربها وجدا وفرط تقال
سبيل حر جوى ثوى بجوانح ... في الحب ما جنحت الى الابلال
يا شبه نعل المصطفى وجه الفدا ... لحلاك الاسنا الشريف العالي
هملت لمراك العيون وكذا ناى ... مرقى العيون بعنبر ما هال
وتذكرت عهد العقيق فنازعت ... شوقا بالي عقيق المدمع الهطال
وصبت فواصلت الحنين الى الذي ... ما زال منه في بلبال لحي
اذكرتني ترمالها قدم العلا ... والجود والمعروف والافضال
اذكرتني من لم يزل ذكري له ... بعناد في الابكار والاصال
ولها المفاخر والماثر في الدنا ... والدين في الاقوال والافعال
لو ان خدي يحتذي نعلالها ... لبلغت من نيل المنى امالي
او ان اجفاني لوطي نعالها ... ارض سمت عز ابدا الا ذلال

ومااحسن قول ابي الحكم ابن المرحل في قصيدة ذكرها ابو اسحق بن الحاج

بوصف حبيبي طرز الشعر ناظمه ... ونمم خد الطرس بالنقش راقمه
رؤوف عطوف اوسع الناس رحمة ... وجادت عليهم بالنوال غمايمه
له الحسن والاحسان في كل مذهب ... فاثاره محبوبة ومعالمه
به ختم الله النبيين كلهم ... وكل نعال صالح فهو خاتمه
احب رسول الله حبا الوانما ... تقاسمه قومي لقسم تسايمه
كان فؤادي كل ما مر ذكره ... من الورق خفاق الصبيب قوادمه
اهيم اذا هبت نواسم ارضه ... ومن لفؤادي ان تهب نواسمه
فانشق مسكا طيبا فكانما ... نوافحه حانه ولطايمه
وما دعاني والدعاوي كثيرة ... الى الشوق ان الشوق ما لايمه
مثال لنعلي من احب هويته ... فها انا في يومي وليلي لاثمه
اجر على راسي ووجهي اديمه ... والثمه طورا وطورا الازمه
امثله في رجل اكرم من مشى ... فتبصره عيني وما انا حالمه
احرك خدي ثم احسب نعله ... على وجنتي خطوا هناك يداومه
ومن لي بوقع النعل في حر وجنتي ... لماش علت فوق النجوم براجمه
سا جعله فوق الترايب عوذة ... لقلبي لعل القلب يبرد حاجمه

وارىطه

وارىطه فوق الشؤون تميمة ... لجفني لعل الجفن يرقا ساجمه
الا ابي تمثال نعل محمد ... لطابت لحاذيه وقدس خادمه
يود هلال الافق لو انه هوى ... يزاحمنا في لثمه ونزاحمه
وما ذاك الا ان حب نبينا ... يقوم باجسام الخليقة لازمه
سلام عليه كلما هبت الصبا ... وغنت باغصان الاراك حمايمه

ولابي بكر بن احمد بن الامام ابي محمد عبد الله بن الحسين القرطبي ونعل خضعنا

ونعل خضعنا هيبة لبهايها ... وانا متى نخضع لها ابدا نعلوا
نضعها على اعلى المفارق انها ... حقيقتها تاج وصورتها نعل
باخمص خير الخلق حازت مزية ... على التاج حتى باهت الفرق الرجل
طريق الهدى عنها استنار لمبصر ... وان بحار الجود من فيضها تحلو
شلفونا ولكن عن سواها وانما ... نهيم بمغناها القريب وما نسلوا
فاشافنا مذ راقنا رسم عفرها ... حمى ولا مال كريم ولا نسل
شفا للذي سقم رجا لبايس ... امان لذي خوف كذا يحسب الفضل

واما فراشه صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم اخذ من ذلك بما تدعوا ضرورته اليه وترك ما سوى ذلك وفي صحيح مسلم قوله عليه الصلاة والسلام فراش للرجل وفراش لامراته والثالث للضيف والرابع للشيطان قال العلما معناه ما زاد على الحاجة فاتخاذه انما هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بزينة الدنيا وما كان بهذه الصفة فهو مذموم وكل مذموم يضاف للشيطان لانه يرتضيه ويوسوس به ويحسنه وقيل انه على ظاهره وانه اذا كان لغير حاجة كان للشيطان عليه مبيت ومقيل واما تعداد الفراش للزوج والزوجة فلا باس به لانه قد يحتاج كل واحد منهما الى فراش عند المرض ونحوه وعن عايشة انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه ادما حشوه ليف رواه البخاري وروى البيهقي من حديثها قالت دخلت على امراة من الانصار فرات فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه قطيفة مثنية فبعثت الي بفراش حشوه الصوف فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا عايشة قلت يا رسول الله فلانة الانصارية دخلت فرات فراشك فبعثت الي بهذا فقال رديه يا عايشة فوالله لو شيت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة وعن عبد الله بن مسعود نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد اثر في جنبه الحديث رواه ابن ماجة والترمذي وقال حسن صحيح والطبراني ولفظه دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في غرفة كانها

Copyright © King Saud University

بيت حام وهو نايم على حصير قد اثر بجنبه فبكيت فقال ما يبكيك يا عبد الله
قلت يا رسول الله كلاهما كسرى وقيصر يطوون على الخز والديباج والحرير
وانت نايم على هذا الحصير قد اثر بجنبك فقال فلا تبك يا عبد الله فان لهم
الدنيا ولنا الاخرة وقوله كانها بيت حام بتشديد الميم اي ان فيها من الحر
والكرب كما في بيت الحمام وعن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال دخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قال فجلست فاذا عليه ازاره
وليس عليه غيره واذا الحصير قد اثر في جنبه واذا انا بقبضة من شعير نحو
الصاع واذا اهاب معلق فابتدرت عيناي فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب فقال
يا نبي الله وما لي لا ابكي وهذا الحصير قد اثر في جنبك وهذه خزاينك لا ارى فيها
الا ما ارى وذاك كسرى وقيصر في الثمار والانهار وانت نبي الله وصفوته
وهذه خزانتك قال ابن الخطاب اما ترضى ان تكون لنا الاخرة ولهم الدنيا
رواه ابن ماجة باسناد صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولفظه قال عمر
رضي الله عنه استاذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في مشربة
وانه لمضطجع على خصفة ان بعضه لعلى التراب وتحت راسه وسادة محشوة
ليفا وان فوق راسه لاهابا عطينا وفي ناحية المشربة قرظ فسلمت عليه
وجلست فقلت انت نبي الله وصفوته وكسرى وقيصر على سرر الذهب
وفرش الديباج والحرير فقال اوليك عجلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع
وانا قوم اخرت لنا طيباتنا في اخرتنا وعن عايشة قالت كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم سرير مزمل بالبردي وعليه كسا اسود وقد حشوناه بالبردي فدخل
ابو بكر وعمر عليه فاذا النبي صلى الله عليه وسلم نايم عليه فلما راهما استويا جالسا
فنظر فاذا اثر السرير في جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول
الله ما يوذيك خشونة ما نرى من فراشك وسريرك وهذا كسرى وقيصر
على فرش الحرير والديباج فقال عليه الصلاة والسلام لا تقولا هذا فان
فراش كسرى وقيصر في النار وان فراشي وسريري هذا عاقبته الى الجنة
رواه ابن حبان في صحيحه ويروى انه عليه الصلاة والسلام ما عاب مضطجعا
قط ان فرش له اضطجع والا اضطجع على الارض وتغطى صلى الله عليه وسلم
باللحاف قال عليه الصلاة والسلام ما اتاني جبريل وانا في لحاف امراة منكن غير
عايشة **النوع الثالث في سيرته عليه الصلاة والسلام في نكاحه** قد كان
صلى الله عليه وسلم ياخذ من الجماع بالاكمل ما يحفظ به الصحة ويتم به اللذة
وسرور النفس ويحصل به مقاصده التي وضع لاجلها فان الجماع في الاصل
وضع لثلاثة اشيا هي مقاصده الاصلية احدها حفظ النفس ودوام

بلغ

النوع

النوع الانساني الى ان تتكامل العدة التي قدر الله تعالى بروزها الى هذا العالم
الثاني قضا الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة وهذه هي الفايدة التي في الجنة
اذ لا تناسل هناك ولا احتقان يستفرغه الانزال وفضلا الاطبا يرون ان
الجماع من احد اسباب حفظ الصحة لكن لا ينبغي اخراج المني الا في طلب النسل
او اخراج محتقن منه فاذا دام احتقانه احدث امراضا ردية منها الوسواس
والجنون والصرع وغير ذلك وقد يبري استعماله من هذه الامراض كثيرا فانه
اذا طال احتباسه فسد واستحال الى كيفية سمية توجب امراضا ردية
قال محمد بن زكريا من ترك الجماع مدة طويلة ضعفت قوى اعصابه واستد
مجاريها وتقلص ذكره قال ورايت جماعة تركوه لنوع من التقشف فبردت
ابدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم كابة بلا سبب وقلت شهواتهم و
هضمهم اشار اليه في زاد المعاد ومن منافعه غض البصر وكف النفس و
القدرة على العفة عن الحرام وتحصيل ذلك للمراة فهو ينفع نفسه في دنياه
واخرته وينفع المراة ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به
سيرة ماضية ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتعاهده ويقول كما في حديث
انس عند الطبراني في الاوسط والنساي في سننه حبب الي من دنياكم النسا
والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة اي لمناجاته فيها ربه تعالى زاد الامام
احمد في الزهد واصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن فمحبة النسا
والنكاح من كمال الانسان هذا خليل الله ابراهيم امام الحنفا كان عنده سارة
اجمل نسا العالمين واحب هاجر وتسرى بها **ذكر** سعد بن ابراهيم عن
عامر بن سعد عن ابيه قال كان الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام يزور
هاجر في كل يوم من الشام على البراق شغفا بها وقلة صبر عنها وهذا داود
عليه الصلاة والسلام كان عنده تسعة وتسعون امراة فاحب تلك المراة
وتزوج بها فكمل المائة وهذا سليمان ابنه كان يطوف في الليلة على تسعين
امراة **تنبيه** وقع في الاحيا للغزالي وتفسير ال عمران من الكشاف وكثير
من كتب الفقها حبب الي من دنياكم ثلاث وقالوا انه عليه الصلاة والسلام
قال ثلاث ولم يذكر الا اثنين الطيب والنسا قالوا ومنه قول الشاعر

ان الاحامرة الثلاثة اهلكت ... مالي وكنت بهن قدما مولعا
الخمر والما القراح وطلي ... بالزعفران فلا ازال مولعا

وذكرها ابن فورك في جزء مفرد ووجهها واطنب في ذلك وهذا ايسي عندهم
طيار هو ان يذكر جمع ثم يوتي ببعضه ويسكت عن ذكر باقيه للعلم وانشد

كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم ... من العبيد وثلث من مواليها

وفايدة الطي عندهم تكثير ذلك الشي لكن قال ابن القيم وغيره من رواه
حبب الي من دنياكم ثلاث فقد وهم ولم يقل صلى الله عليه وسلم ثلاث والصلاة
ليست من امور الدنيا التي تضاف اليها انتهى نعم تضاف لكونها ظرفا لوقوعها
فقط فهي عبادة محضة وقال شيخ الاسلام الحافظ بن حجر في تخاريج الكشاف
ان لفظ ثلاث لم يقع في شي من كتب الحديث وهي مفسدة للمعنى فان الصلاة
ليست من امور الدنيا وكذا صرح به الزركشي وغيره كما حكاه شيخنا في المقاصد
الحسنة واقره وقال ابن الحاج في المدخل انظر الي حكمة قوله عليه الصلاة
والسلام حبب ولم يقل احببت وقال من دنياكم فاضافها اليهم دونه عليه
الصلاة والسلام فدل على ان حبه كان خاصا بمولاه تبارك وتعالى وجعلت
قرة عيني في الصلاة فكان عليه الصلاة والسلام بشري الظاهر ملكوتي
الباطن وكان عليه الصلاة والسلام لا ياتي الي شي من احوال البشرية
الا تانيسا لامته وتشريعا لها لانه محتاج الي شي من ذلك الا ترى قوله
تعالى قل لا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك
فقال لكم ولم يقل اني ملك فلم ينف الملايكة عنه الا بالنسبة اليهم اعني في معانيه
عليه الصلاة والسلام لا في ذاته الكريمة اذ انه عليه الصلاة والسلام يلحق
بشريته ما يلحق البشر ولهذا قال سيدي الشيخ ابو الحسن الشاذلي
في صفته صلى الله عليه وسلم هو بشر ليس كالابشار كما الياقوت حجر
ليس كالاحجار وهذا منه رحمه الله على سبيل التقريب المفهوم فدل على
انه صلى الله عليه وسلم كان ملكي الباطن ومن كان ملكي الباطن ملك نفسه
انتهى وهاهنا لطيفة روي انه عليه الصلاة والسلام لما قال حبب الي
من دنياكم النسا والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة قال ابو بكر وانا يا رسول
الله حبب الي من الدنيا النظر الي وجهك وجمع المال للانفاق عليك
والتوسل بقرابتك اليك وقال عمر وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا
اشباع الجايع وارواء الظمان وكسوة العاري وقال علي بن ابي طالب
وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا الصوم في الصيف واقرا الضيف
والضرب بالسيف قال الطبري رواه الجندي كذا قال والعهدة عليه
وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الناس باربع
بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش رواه الطبراني وقال
انس كان صلى الله عليه وسلم يدور على نسايه في الساعة الواحدة من الليل
وهن احدى عشرة قلت لانس او كان يطيقه قال كنا نتحدث انه اعطي
قوة ثلاثين رواه البخاري من طريق قتادة قال ابن خزيمة تفرد بذلك

معاذ

معاذ بن هشام عن ابيه ورواه سعد بن ابي عروبة وغيره عن قتادة فقالوا
تسع نسوة انتهى وكذا رواه البخاري من طريق سعيد بن ابي عروبة ايضا
بلفظ وله يومئذ تسع نسوة وجمع ابن حبان في صحيحه بان حمل ذلك على
حالتين لكنه وهم في قوله ان الاولى كانت في اول قدومه المدينة كان
تحته تسع نسوة والحالة الثانية في اخر الامر حيث اجتمع عنده احدى
عشرة امراة وموضع الوهم منه انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يكن
تحته سوى سودة ثم دخل على عايشة بالمدينة ثم تزوج ام سلمة وحفصة
وزينب بنت خزيمة في السنة الرابعة ثم زينب بنت جحش في الخامسة
ثم جويرية في السادسة ثم صفية وام حبيبة وميمونة في السابعة هولا
جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على المشهور لكن تحمل رواية
هشام على انه ضم مارية وريحانة اليهن واطلق لفظ نسايه تغليبا وعن
طاوس ومجاهد اعطي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا في الجماع رواه
ابن سعد وفي رواية عن مجاهد قوة بضع واربعين رجلا كل رجل من اهل
الجنة رواه الحارث ابن ابي اسامة وعند احمد والنساي وصححه الحاكم من
حديث زيد بن ارقم رفعه ان الرجل من اهل الجنة ليعطى قوة مائة في
الاكل والشرب والجماع والشهوة فان قلت وطي المراة في يوم الاخرى ممنوع
والقسم وان لم يكن واجبا عليه المرجوح لكنه عليه الصلاة والسلام التزمه
تطييبا لنفوسهن واجيب باحتمال اذن صاحبة اليوم له او انه في يوم لم يثبت
فيه قسم بعد كيوم قدومه من سفر او اليوم الذي بعد كمال الدورة لانه
يستانف القسم بعد او انه من خصايصه صلى الله عليه وسلم وقد اختص
في باب النسا باشيا كما سياتي ان شا الله تعالى وعن صفوان بن سليم مرفوعا
اتاني جبريل بقدر فاكلت منها فاعطيت قوة اربعين رجلا في الجماع رواه ابن
سعد ولما كان عليه الصلاة والسلام ممن اقدر على القوة في الجماع واعطي
الكثير منه ابيح له من عدد الحراير ما لم يبح لغيره قال ابن عباس تزوجوا فان
فان افضل هذه الامة اكثرها نسا يشير اليه صلى الله عليه وسلم وقيد بهذه
الامة ليخرج مثل سليمان عليه الصلاة والسلام فانه اكثر نسا وربع عند الطبراني
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس تزوجوا فان خيرنا اكثرنا نسا من غيره ممن
يساويه فيما عدا ذلك من الفضايل قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني والذي
يظهر ان مراد ابن عباس بالخير النبي صلى الله عليه وسلم وبالامة اخصا اصحابه
وكانه اشار الي ان ترك التزويج مرجوح اذ لو كان راجحا ما اثره النبي صلى الله عليه
وسلم غيره وكان مع كونه اخشى الناس لله واعلمهم يكثر التزويج لمصلحة تبليغ

Copyright King Saud University

الاحكام التي لا يطلع عليها الرجال ولاظهار المعجزة البالغة في خرق العادة لكونه كان
لا يجد ما يشبع به من القوت غالبا وان وجد فكان يوثر بالكثرة ويصوم كثيرا ويواصل
ومع ذلك فكان يطوف على نسايه في الليلة الواحدة ولا يطاق ذلك الا مع قوة البدن
وقوة البدن تابعة لما يقوم به من استعمال القويات من ماكول ومشروب وهي
عنده عليه الصلاة والسلام نادرة او معدومة وقال بعض العلما لما كان
الحر لفضله على العبد يستبيح العبد وجب ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم
لفضله على جميع الامة يستبيح من النسا اكثر مما تستبيحه الامة قالوا ومن
فوايد ذلك زيادة التكليف في القيام بهن مع تحمل اعبا الرسالة فيكون ذلك
اعظم لمشاقه واكثر لاجره ومنها ان النكاح في حقه عبادة ومنها نقل محاسنه الباطنة
فقد تزوج عليه الصلاة والسلام ام حبيبة وكان ابوها في ذلك الوقت عدوه وصفية
وقد قتل اباها وعمها وزوجها فلو لم يطلعن من باطن احواله على انه اكمل خلق
الله لكانت الطباع البشرية تقتضي ميلهن الى ابايهن وقرابتهن فكان
في كثرة النسا عنده بيان لمعجزاته وكماله باطنا كما عرف منه الرجال ظاهرا
وقد رغب عليه الصلاة والسلام في النكاح فروى ابو داود والنساي من حديث
معقل بن يسار مرفوعا تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم وفي ابن
ماجة عن ابي هريرة رفعه انكحوا فاني مكاثر بكم وهو معنى ما اشتهر على الالسنة
تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم ولم اقف عليه بهذا اللفظ وارشد عليه
الصلاة والسلام من لم يستطع الباه الى الصوم لان كثرته تقلل مادة النكاح
ويضعف ما يجده المرء من الحرارة القوية التي تبعثه على النكاح وخص
الشباب في قوله يا معشر الشباب لان الشاب من شهوة النكاح ما ليس
لغيرهم وقد ظهر لك ان النكاح اعظم في الاجر والثواب من الصيام فانه
صلى الله عليه وسلم امر اولا بالصيام انما امر به عند عدم الطول الى النكاح
واذا كان النكاح ينوى به التناسل لتكثير هذه الامة المحمدية فهو
بلا شك افضل قال عمر ابن الخطاب اني لا اتي النسا وما لي اليهن حاجة رجا
ان يخرج الله من ظهري من يكاثر به محمد الامم يوم القيامة مع ما طبعت عليه
بشريته من حب الجماع وكيف لم يخل بعبادته شيا لانه عليه الصلاة والسلام
لم يكن باطنا الاعلى مشهودا وعينا وهذا هو غاية الكمال في البشرية لانه
يرجع ما طبع عليه تابعا لما امر به وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام
انه قال لا رهبانية في الاسلام وهي ترك النسا ولو كان تركهن افضل لشرع
ذلك في ديننا اذ هو خير الاديان وقد قال سليمان عليه الصلاة والسلام
لاطوفن الليلة على مائة امراة الحديث رواه البخاري وهذا فيه معجزة لسليمان

عليه

عليه الصلاة والسلام اذ البشر عاجز عن الطواف على مائة امراة في ليلة واحدة
فاظهر الله تعالى قوته بان اعطى سليمان عليه الصلاة والسلام القوة على ذلك
فكان فيها معجزة واظهار لقدرته وانه بديع حكمة وجاعل من ربط الاشيا بالفوايد
يقول لا يكون كذا الا من كذا ولا يتولد كذا الا من كذا الا ان الله تعالى في صلب سليمان
عليه الصلاة والسلام تمام مائة زوجة رجل وكان له ثلثماية زوجة والف سرية
وهذا لا يعطي تفضيل سليمان عليه الصلاة والسلام على نبينا صلى الله عليه وسلم
اذ سيدنا محمد قد اعطي قوة اربعين رجلا ولم يكن له غير عشر نسوة لان مرتبة نبينا عليه
الصلاة والسلام في الافضلية لا يساويه فيها احد وسليمان تمنى ان يكون ملكا فاعطي
ذلك واعطي هذه القوة في الجماع لكي يتم له الملك على خرق العادة من كل الجهات
ليمتاز بذلك فكان تساويه من حسن ملكه الذي لا ينبغي لاحد من بعده لا طلب
ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما خير بين ان يكون نبيا ملكا ابى ذلك واختار ان
يكون نبيا عبدا فاعطي من الخصوصية ذلك القدر لكونه عليه الصلاة والسلام
اختار الفقر والعبودية فاعطي الزايد بخرق العادة في النوع الذي اختار
وهو الفقر والعبودية فكان عليه الصلاة والسلام تربط على بطنه الاحجار
من شدة الجوع والمجاهدة وهم لا يستطيعون ذلك فهو ابلغ من المعجزة قاله في
بهجة النفوس **النوع الرابع في نومه صلى الله عليه وسلم كان** صلى الله عليه
وسلم ينام اول الليل ويستيقظ في اول النصف الثاني فيقوم فيستاك ويتوضا
ولم يكن ياخذ من النوم فوق القدر المحتاج ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج اليه
منه وكان ينام على جنبه الايمن ذاكرا الله تعالى حتى تغلبه عيناه غير ممتلي
البطن من الطعام والشراب لانه عليه الصلاة والسلام كان يحب التيامن
في شانه كله وليرشد امته لان في الاضطجاع على الشق الايمن سرا وهو ان
القلب معلق في الجانب الايسر فاذا نام الرجل على الجانب الايسر استثقل نوما لانه
يكون في دعة واستراحة فيثقل نومه فاذا نام على الشق الايمن فانه يقلق
ولا يستغرق في النوم لقلق القلب وطلبه مستقره وميله اليه قالوا وكثرة
النوم على الجانب الايسر وان كان اهنا مضر بالقلب بسبب ميل الاعضا اليه
فتنصب المواد **واما** قول القاضي عياض في الشفا وكان نومه على جانبه
الايمن استظهارا على قلة النوم الى اخره ففيه شي لانه عليه الصلاة والسلام
لا ينام قلبه فسوا كان نومه على الجانب الايمن او الايسر فهذا الحكم ثابت له وما
علله به انما يستقيم في حق من ينام قلبه وحينئذ فالاحسن تعليله بحب
التيامن او بقصد التعليم لامر **واردي النوم** على الظهر ولا يضر الاستلقا عليه
للراحة من غير نوم **واردي** منه ان ينام منبطحا على وجهه وفي سنن ابن ماجة

٢٠٨

انه صلى الله عليه وسلم مر برجل في المسجد منبطحا على وجهه فضربه برجله
وقال قم او اقعد فانها نومة جهنمية وكان عليه الصلاة والسلام ينام على الفراش
تارة وعلى النطع تارة وعلى الحصير تارة وعلى الارض تارة وكان فراشه ادما
حشوه ليف وكان له مسح ينام عليه وكان صلى الله عليه وسلم اذا اخذ مضجعه وضع
كفه تحت خده الايمن وقال رب قني عذابك يوم تبعث عبادك وفي
رواية يوم تجمع عبادك وقال ابو قتادة كان عليه الصلاة والسلام اذا
عرس بليل اضطجع على شقه الايمن واذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه
ووضع راسه على كفه وقال ابن عباس كان عليه الصلاة والسلام اذا
نام نفخ وعن حذيفة كان عليه الصلاة والسلام اذا اوى الى فراشه قال
باسمك اموت واحيا وقالت عائشة كان يجمع كفيه فينفث فيهما ويقرا قل هو
الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده
ويبدا بهما على راسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات وقال انس كان عليه
الصلاة والسلام اذا اوى الى فراشه قال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا واوانا
فكم ممن لا كافي له ولا ماوي روى ذلك الترمذي وقد كان عليه الصلاة والسلام
تنام عينه ولا ينام قلبه رواه البخاري من حديث عائشة قال لها عليه الصلاة
والسلام لما قالت له اتنام قبل ان توتر وانما كان عليه الصلاة والسلام لا ينام قلبه
لان القلب اذا قويت فيه الحياة لا ينام اذا نام البدن وكمال هذه الحالة كان لنبينا
صلى الله عليه وسلم ولمن احيا الله قلبه بمحبته واتباع رسوله من ذلك بحسب
نصيبه منها فتيقظ القلب وغافله كتيقظ البدن ونايمه والى هذا
الذي ذكرته اشار صاحب المعارف العليه والحقايق السنيه سيدي علي بن
سيدي محمد وفا عيني تنام لكن قلبي والله لا ينام وكيف ينام عاشق مسبي في
الحب مستهام ناظر الى وجه الحب شاخص على الدوام اياه في المعنى مرسوم
ان يمحي الرسوم فنام بالحي القيوم يا سعد من يقوم وقد جمع العلما بين
هذا الحديث وبين حديث نومه صلى الله عليه وسلم في الوادي عن صلاة
الصبح حتى طلعت الشمس وحميت حتى ايقظه عمر رضي الله عنه بالتكبير
فقال النووي له جوابان احدهما ان القلب انما يدرك الحسيات المتعلقة
به كالحدث والالم ونحوهما ولا يدرك ما يتعلق بالعين لانها نايمة والقلب يقظان
والثاني انه كان له حالان حال كان قلبه لا ينام وهو الاغلب وحال ينام
فيه قلبه وهو نادر فصادف هذا اي قضية النوم عن الصلاة قال
والصحيح المعتمد هو الاول والثاني ضعيف قال في فتح الباري وهو كما
قال ولا يقال القلب وان كان لا يدرك ما يتعلق بالعين من روية الفجر مثلا

لكنه

لكنه يدرك اذا كان يقظانا مرور الوقت الطويل فان من ابتدا طلوع الفجر
الى ان حميت الشمس مدة طويلة لا تخفى على من لم يكن مستغرقا لانا نقول
يحتمل ان يكون ان يقال كان قلبه صلى الله عليه وسلم اذ ذاك مستغرقا بالوحي
ولا يلزم مع ذلك وصفه بالنوم كما كان يستغرق صلى الله عليه وسلم حالة القا
الوحي في اليقظة وتكون الحكمة في ذلك بيان التشريع بالفعل لانه اوقع في
النفس كما في قصة سهوه في الصلاة وقريب من هذا جواب ابن المنير ان القلب
يحصل له السهو في اليقظة لمصلحة التشريع ففي النوم بطريق الاولى او على
السوا وقال ابن المغربي في القبس النبي صلى الله عليه وسلم كونه ما اختلفوا في
حاله من نوم او يقظة في حق وتحقيق ومع الملايكة في كل طريق ان نسي فاكر
في المنسي اشتغل وان نام لا نوقظه ونفسه على الله اقبل ولهذا قالت الصحابة
كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا نوقظه حتى يستيقظ لانا لا ندري ما هو فيه
فنومه عن الصلاة او نسيانه بشي منها لم يكن عن آفة وانما كان بالتصرف
من حالة الى حالة قبلها لتكون لنا سنة وقد اجيب عن اصل الاشكال باجوبة
اخرى ضعيفة منها ان معنى قوله لا ينام قلبي اي لا يخفى عليه حالة انتقاض طهارته
ومنها ان معناه لا يستغرقه النوم حتى يوجد منه الحدث وهذا قريب من
الذي قبله قال ابن دقيق العيد كان قايل هذا اراد تخصيص يقظة القلب
بادراك حالة الانتقاض وذلك بعيد وذلك ان قوله صلى الله عليه وسلم
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي خرج جوابا عن قول عايشة تنام قبل ان توتر
وهذا الكلام لا تعلق له بانتقاض الطهارة الذي تكلموا فيه وانما هو جواب
يتعلق بامر الوتر فيحمل يقظته على تعلق القلب باليقظة للوتر وفرق بين من
شرع في النوم مطمين القلب به وبين من شرع فيه متعلقا باليقظة قال وعلى
هذا فلا تعارض ولا اشكال في حديث النوم حتى طلعت الشمس لانه يحتمل
انه اطمان في نومه لما اوجبه تعب السير معتمدا على من وكله بصلاة الفجر
انتهى ومحصله تخصيص اليقظة المفهومة من قوله ولا ينام قلبي بادراكه
وقت الوتر ادراكا معنويا لتعلقه به وان نومه في حديث الباب كان نوما
مستغرقا ويويده قول بلال اخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك كما في حديث ابي
هريرة عند مسلم ولم ينكر عليه ومعلوم ان نوم بلال كان مستغرقا وقد اعترض
عليه بان ما قاله يقتضي اعتبار خصوص السبب واجاب بانه يعتبر اذا قامت عليه
قرينة وارشد اليها السياق وهو هنا كذلك ومن الاجوبة الضعيفة ايضا
قول من قال كان قلبه يقظانا وعلم بخروج الوقت لكن ترك اعلامهم
بذلك لمصلحة التشريع والله تعالى اعلم انتهى المقصد الرابع

الخصائص لتغليب نفسه عليه السلام فلما ... كان صلى الله عليه وسلم اذا نام ...

Copyright King Saud University

في معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته وما خص به من خصائص
آياته وبدائع كراماته وفيه فصلان الاول في معجزاته اعلم ايها المحب
لهذا النبي الكريم والرسول العظيم سلك الله بي وبك مناهج سنته وأماتنا عليه
بمنه ورحمته ان المعجزة هي الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق
الانبيا عليهم السلام وسميت معجزة لعجز البشر عن الاتيان بمثلها فعلم ان لها شروطا
احدها ان يكون خارقة للعادة كانشقاق القمر وانفجار الماء من الاصابع وقلب
العصى حية واخراج ناقة من صخرة واعدام جبل فخرج غير الخارق للعادة كطلوع
الشمس كل يوم الثاني ان تكون مقرونة بالتحدي وهو طلب المعارضة والمقابلة
قال الجوهري يقال تحديت فلانا اذا باريته في فعل ونازعته للغلبة وفي
القاموس نحوه وفي الاساس حدا يحدو وهو حادي الابل واحتدى بها حدوا اذا
غنى ومن المجاز تحدى اقرانه اذا باراهم ونازعهم للغلبة واصله الحدا يتباريا
فيه الحاديان ويتعارضان فيتحدى كل واحد منهما صاحبه اي يطلب حداه كما يقال
توقاه بمعنى استوفاه وفي بعض الحواشي الموثوق بها كانوا عند الحدو يقوم حادي
عن يمين القطار وحاد عن يساره يتحدى كل واحد منهما صاحبه بمعنى يستحديه
اي يطلب منه حداه ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل مباراة انتهى من حاشية الطيبي
على الكشاف وقال المحققون التحدي الدعوة للرسالة انتهى والشرط الثالث
من شروط المعجزة ان لا ياتي احد بمثل ما اتى به المتحدي على وجه المعارضة وعبر عنه
بعضهم بقوله دعوى الرسالة مع امن المعارضة وهو احسن من التعبير بعدم المعارضة
لانه لا يلزم من عدم المعارضة امتناعها والشرط انما هو عدم امكانها وقد خرج
بقيد التحدي الخارق من غير تحد وهو الكرامة للولي وبالمقارنة الخارق المتقدم
على التحدي كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل
دعوى الرسالة وكلام عيسى في المهد وما شابه ذلك مما وقع من الخوارق قبل دعوى
الرسالة فانها ليست معجزات انما هي كرامات ظهورها على الاوليا جائز والانبيا
قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الاوليا فيجوز ظهورها عليهم ايضا وحينئذ يسمى
ارهاصا اي تاسيسا للنبوة به العلامة السيد الجرجاني في شرح المواقف وغيره وهو
مذهب جمهور ائمة الاصول وغيرهم وخرج ايضا بقيد المقارنة المتاخر عن التحدي
بما يخرجه عن المقارنة العرفية نحو ما روي بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من نطق الموتى
بالشهادتين وشبهه مما تواترت به الاخبار وخرج ايضا بأمن المعارضة السحر المقرون
بالتحدي فانه يمكن معارضته بالاتيان بمثله من المرسل اليهم واختلف اهل السحر في قلب
الاعيان واحالة الطبايع ام لا فقال بالاول قائلون حتى جوزوا للساحر ان يقلب الانسان

حمارا

حمارا وذهب آخرون الى ان احدا لا يقدر على قلب عين ولا احالة طبيعة الا الله
تعالى لانبيائه وان الساحر والصالح لا يقلبان عينا قالوا ولو جوزنا للساحر ما جاز للنبي
فاي فرق عندكم بينهما فان لجاتم الى ما ذكره القاضي ابو بكر الباقلاني من الفرق بالتحدي
فقط قيل لكم هذا باطل من وجوه احدها ان اشتراط التحدي قول لا دليل عليه لا من كتاب
ولا من سنة ولا من قول صاحب ولا اجماع وما تعرى من البرهان فهو باطل الثاني ان اكثر
آياته صلى الله عليه وسلم واعمها واغلبها كانت بلا تحد كنطق الحصى ونبع الما ونطق الجذع واطعام
المئين من صاع وتفله في العين وتكليم الذراع وشكوى البعير وكذا سائر معجزاته العظام ولم
يتحد بسوى القران وتمني الموت قالوا وانا لنقول لا يبقى من الآيات ما يسمى معجزة الا هذين
الشيئين وملئي معجزاته كالبحر المتقاذف بالامواج ومن قال ان هذه ليست معجزات ولا آيات فهو
الى الكفر اقرب منه الى البدعة قالوا وقد كان عليه الصلاة والسلام يقول عند ورود آية
من هذه الآيات اشهد اني رسول الله كما قال ذلك عند تحقق مصداق قوله في الاخبار عن
الذي انكى في المشركين قتلا في المعركة انه من اهل النار فقتل نفسه بحضرة ذلك الذي اتبعه من
المسلمين قالوا والوجه الثالث وهو الرافع لهذا القول قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن
جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون وقال تعالى
وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون فسمى الله تعالى تلك المعجزات المطلوبة
من الانبيا آيات ولم يشترط تحديا من غيره فصح ان اشتراط التحدي باطل بحت انتهى ملخصا من تفسير
الشيخ ابي امامة بن النقاش واجيب بانه ليس الشرط الاقتران بالتحدي بمعنى طلب الاتيان
بالمثل الذي هو المعنى الاصلي للتحدي بل يكفي للتحدي دعوى الرسالة والله اعلم الرابع من شروط
المعجزة ان تقع على وفق دعوى المتحدي بها فلو قال مدعي الرسالة آية نبوتي ان ينطق يدي او هذه
الدابة فنطقت يده والدابة بكذبه فقالت كذب وليس هو بنبي فان الكلام الذي خلقه الله تعالى
دال على كذب ذلك المدعي لان ما فعله الله تعالى لم يقع على وفق دعواه كما روي ان مسيلمة الكذاب
لعنه الله تفل في بير ليكثر ماؤها فغارت وذهب ما فيها من الما فمتى اختل شرط من هذه لم تكن
معجزة ولا يقال قضية ما قلتم انه ما توفرت فيه الشروط الاربعة من المعجزات لا يظهر الا على يدي
الصادق المحق وليس كذلك لان المسيح الدجال يظهر على يديه من الآيات العظام ما هو مشهور كما وردت
به الاخبار الصحيحة لان ما ذكرتم فيمن يدعي الرسالة وهذا يدعي الربوبية وقد قام الدليل العقلي
على ان بعثة بعض الخلق غير مستحيلة فلم يبعد ان يقيم الله تعالى الادلة على صدق مخلوق اتى عنه
بالشرع والملة ودلت القواطع على كذب المسيح الدجال فيما يدعيه للتغير من حال الى حال وغير
ذلك من الاوصاف التي تليق بالمحدثات ويتعالى عنها رب الارباب ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
فان قلت اي الاسمين احق واولى بما اتت به الانبيا هل لفظ المعجزة او لفظ الآية او
الدليل فالجواب ان اكثر الائمة يسمون معجزات الانبيا دلايل النبوة وآيات النبوة ولم
يرد ايضا في القران لفظ المعجزة بل ولا في السنة ايضا وانما فيهما لفظ الآية والبينة والبرهان

Copyright King Saud University

كما فى قصة موسى فذانك برهانان من ربك فى العصا واليد وفى حق نبينا عليه السلام قد جاءكم
برهان من ربكم واما لفظ الايات فكثير بل هو اكثر من ان نسرده هنا كقوله تعالى واذا جاءتهم
اية وان فى ذلك لايات واما لفظ المعجزات اذا اطلق فانه لا يدل على كون ذلك اية الا اذا فسر
المراد به وذكر شرائطه وقد كان كثير من اهل الكلام لا يسمى معجزا الا ما كان للانبيا فقط ومن اثبت
للاوليا خوارق عادات سماها كرامة والسلف كانوا يسمون هذا وهذا معجزا كالامام احمد وغيره
بخلاف ما كان اية وبرهانا على نبوة النبى فان هذا يجب اختصاصه به وقد يسمون الكرامات
ايات لكونها تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولى فان الدليل مستلزم للمدلول يمتنع ثبوته
بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان اية وبرهانا انتهى واذا علمت هذا فاعلم ان دلايل نبوة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة والاخبار بظهوره ومعجزاته شهيرة فمن دلايل نبوته ما وجد فى التورية
والانجيل وساير كتب الله المنزلة من ذكره ونعته وخروجه بارض العرب وما خرج بين يدى ايام
تولده ومبعثه من الامور الغريبة العجيبة القادحة فى سلطان الكفر الموهنة لكلمتهم المؤيدة لشان
العرب المنوهة بذكرهم كقصة الفيل وما احل الله باصحابه من العقوبة والنكال وخمود نار فارس
وسقوط شرفات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة ورويا الموبذان وما سمع من الهواتف
الصارخة بنعوته واوصافه وانتكاس الاصنام المعبودة وخرورها لوجوهها من غير دافع
لها عن امكنتها الى ساير ما روى وما نقل فى الاخبار المشهورة من ظهور العجايب فى ولادته وايام
حضانته وبعدها الى ان بعثه الله نبيا ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ما يستميل به القلوب من مال
فيطمع فيه ولا قوة يقهر بها الرجال ولا اعوان على الراى الذى اظهره والدين الذى دعا اليه وكانوا
مجتمعون على عبادة الاصنام وتعظيم الازلام مقيمين على عادة الجاهلية فى العصبية والحمية
والتعادى والتباغى وسفك الدما وشن الغارات لا تجمعهم الفة دين ولا يمنعهم عن سوء افعالهم
نظر فى عاقبة ولا خوف عقوبة ولائمة فالف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت
الارا وتناصرت القلوب وترادفت الايدى فصاروا البا واحدا فى نصرته وعنقا واحدا الى طاعته
وهجروا بلادهم واوطانهم وجفوا قومهم وعشايرهم فى محبته وبذلوا مهجهم وارواحهم فى نصرته
ونصبوا وجوههم لوقع السيوف فى اعزاز كلمته بلا دنيا بسطها لهم ولا اموال افاضها عليهم
ولا غرض فى العاجل اطمعهم فى نيله يرجونه او ملكا او شرفا فى الدنيا يحوزونه بل كان من شانه
صلى الله عليه وسلم ان يجعل الغنى فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل يلتام مثل هذه الامور او
يتفق مجموعها لاحد هذا سبيله من قبيل الاختيار العقلى والتدبير الفكرى لا والذى بعثه
بالحق وسخر له هذه الامور ما يرتاب عاقل فى شىء من ذلك وانما هو امر الهى وشىء غالب سماوى
ناقض للعادات يعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله
رب العالمين ومن دلايل نبوته عليه السلام انه كان اميا لا يخط كتابا بيده ولا يقروه وولد
فى قوم اميين ونشا بين اظهرهم فى بلد ليس بها عالم يعرف اخبار الماضين ولم يخرج فى سفر ضاربا
الى عالم فيعكف عليه فجاءهم باخبار التورية والانجيل والامم الماضية وقد كان ذهبت معالم

تلك

تلك الكتب ودرست وحرفت عن مواضعها ولم يبق من المتمسكين بها واهل المعرفة بصحيحها
وسقيمها الا القليل ثم حاج كل فريق من اهل الملل المخالفة له بما لو احتشد له حذاق
المتكلمين وجهابذة النقاد المتفننين لم يتهيا له نقض ذلك وهذا ادل شىء على انه امر جاء
من عند الله تعالى ومن ذلك القران العظيم فقد تحدى بما فيه من الاعجاز ودعاهم الى معارضته
والاتيان بسورة من مثله فنكلوا عنه وعجزوا عن الاتيان بشىء منه قال بعض العلماء
ان الذى اورده عليه السلام على العرب من الكلام الذى اعجزهم عن الاتيان بمثله اعجب فى
الاية واوضح فى الدلالة من احيا الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه اتى اهل البلاغة
وارباب الفصاحة ورؤسا البيان والمتقدمين فى اللسن بكلام مفهوم المعنى عندهم وكان
عجزهم عنه اعجب من عجز من شاهد المسيح عند احيا الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا فى ابراء
الاكمه والابرص ولا يتعاطون علمه وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة
فدل على ان العجز عنه انما كان ليصير علما على رسالته وصحة نبوته وهذه حجة قاطعة وبرهان
واضح وقال ابو سليمان الخطابى وقد كان صلى الله عليه وسلم من عقلاء الرجال عند اهل زمانه
بل هو اعقل خلق الله على الاطلاق وقد قطع القول بما اخبر به عن ربه تعالى بانهم لا ياتون
بمثل ما تحداهم به فقال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلولا علمه بان ذلك من عند الله علام الغيوب
وانه لا يقع فيما اخبر عنه خلف والا لم ياذن له عقله ان يقطع القول فى شىء بانه لا يكون
وهو يكون انتهى وهذا من احسن ما يقال فى هذا المجال وابدعه واكمله وابينه فانه نادى
عليهم بالعجز قبل المعارضة وبالتقصير عن بلوغ الغرض فى المناقضة صارخا بهم على رووس الاشهاد
فلم يستطع احد منهم الالمام به مع توفر الدواعى وتظاهر الاجتهاد فقال وكان بعضهم لبعض
ظهيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو
كان بعضهم لبعض ظهيرا فرضيت هممهم الدنية وانفسهم الشريفة الابية بسفك الدما وهتك
الحريم وقد ورد من الاخبار فى قراة النبى صلى الله عليه وسلم بعض ما نزل عليه على المشركين الذين
كانوا من اهل الفصاحة والبلاغة واقرارهم باعجازه جمل كثيرة ومنها ما روى عن محمد
ابن كعب قال حدثت ان عتبة بن ربيعة قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله
صلى الله عليه وسلم جالس وحده فى المسجد يا معشر قريش الا اقوم الى هذا فاعرض عليه امورا
لعله ان يقبل منا بعضها ويكف عنا قالوا بلى يا ابا الوليد فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فيما قاله عتبة وفيما عرض عليه من المال وغير ذلك فلما فرغ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع منى قال افعل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ قرانا عربيا
فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقروها عليه فلما سمعها عتبة انصت لها والقى يديه خلف
ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد فيها ثم قال
سمعت يا ابا الوليد قال سمعت قال فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف

انّ صح

ذات م

١١

Copyright King Saud University

والله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا
الوليد قال اني والله قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا
الكهانة يا معشر قريش اطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فوالله ليكونن لقوله الذي
سمعت نبأ قال فاجابني بشيء ما هو والله بسحر ولا شعر ولا كهانة قرأ بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت
فمه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب
رواه البيهقي وغيره وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت
باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء
الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر
لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان احد
بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون رواه مسلم والبيهقي وعن عكرمة في قصة الوليد
ابن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرأ علي فقرأ عليه
ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الاية قال اعد فاعاد صلى الله عليه وسلم ابي جهم
فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما يقول
هذا بشر ثم قال لقومه والله ما فيكم رجل اعلم بالاشعار مني ولا اعلم برجزه ولا اعلم باشعار الجن
والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا والله ان لقوله الذي يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة
وانه لمثمر اعلاه مغدق اسفله وانه ليعلو وما يعلا وفي خبره الاخر حين جمع قريشا عند
عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا
نقول هو كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو
بمجنون ولا بخنقه ولا بوسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله
رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قالوا ما هو
بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه
باطل رواه ابن اسحق والبيهقي واخرج ابو نعيم من طريق ابن اسحق حدثني اسحق بن يسار عن
رجل من بني سلمة قال لما اسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه اخبرني ما سمعت من كلام
هذا الرجل فقرأ عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم فقال ما احسن هذا واجمل
او كل كلامه مثل هذا قال يا ابت واحسن من هذا وقال بعض العلماء ان هذا القران لو وجد
مكتوبا في مصحف في فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة
انه منزل من عند الله وان البشر لا قدرة لهم على تأليف ذلك فكيف اذا جاء على يد اصدق الخلق
وابرهم واتقاهم وقال انه كلام الله وتحدى الخلق كلهم ان ياتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى
مع هذا شك لبيب واعلم ان وجوه اعجاز القران لا تنحصر لكن قال بعضهم انه قد اختلف العلماء
في اعجازه على ستة اوجه احدها ان وجه اعجازه هو الايجاز والبلاغة مثل قوله ولكم في القصاص

حيوة فجمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة احرف معاني كلام كثير وحكى ابو عبيد ان
اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد فقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وسمع
اخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام
وحكى الاصمعي انه راى جارية خماسية او سداسية وهي تقول استغفر الله من ذنوبي
كلها فقلت لها مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم فقالت استغفر الله لذنبي كله قتلت انسانا
لغير حله مثل غزال ناعم في دله انتصف الليل ولم اصل له فقلت لها قاتلك الله
ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قوله واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا
خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع
في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين وحكى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كان يوما نائما في المسجد فاذا هو برجل قائم على راسه يتشهد شهادة الحق فاعلمه انه من بطارقة
الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسارى المسلمين يقرأ اية من كتابكم فتاملتها
فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع
الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية وقد رام قوم من اهل الزيغ والالحاد او تواطروا من
البلاغة وحطاس البيان ان يفتعلوا شيئا يلبسون به فلما وجدوه مكان النجم من يد المتناول
مالوا الى السور القصار كسورة الكوثر والنصر واشباههما لوقوع الشبهة على الجهال فيما قل عدد حروفه
لان العجز انما يقع في التاليف والاتصال ومن رام ذلك من العرب في التشبيه بالسور القصار
مسيلمة الكذاب فقال يا ضفدع نقي كم تنقين اعلاك في الماء واسفلك في الطين لا الماء
تكدرين ولا التراب تمنعين فلما سمع ابو بكر رضي الله عنه هذا قال انه كلام لم يخرج من ال
قال ابن الانباري من ربوبية والال بالكسر هو الله تعالى وقيل الال الاصل الجيد اي لم يجئ
من الاصل الذي جاء منه القران ولما سمع مسيلمة الكذاب لعنه الله والنازعات غرقا قال
والمبادرات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا
والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر ليلغ ذلك
من الهذيانات مما ذكرته في الوفود من المقصد الثاني بعضه والله اعلم وقال اخر الفيل ما الفيل
وما ادراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا القليل ففي هذا الكلام
مع قلة حروفه من السخافة ما لا خفاء به على من له ادنى فهم فضلا عن عليم والثاني ان اعجازه هو
هو الوصف الذي صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر
والرجز والسجع فلا يدخل في شيء منها ولا يختلط بها مع كون الفاظه وحروفه من جنس كلامهم
ومستعملة في نثرهم ونظمهم ولذا تحيرت عقولهم وتدلهت احلامهم ولم يهتدوا الى مثله من
حسن كلامهم فلا ريب انه في فصاحة قد قرع القلوب ببديع نظمه وفي بلاغته قد اصاب المعاني
بصايب سهمه فانه حجة الله الواضحة ومحجته اللائحة ودليله القاهر وبرهانه الباهر ما رام معارضته
شقي الا تهافت تهافت الفراش في الشهاب وذل ذل النقد حول الليوث الغضاب وقد حكي عن غير

واحد ممن عارضه انه اعترته روعه وهيبه كفته عن ذلك وحكى ايضا ان ابن المقفع وكان افصح اهل وقته طلب ذلك ورامه ونظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فاجتاز يوما بصبي يقرا في مكتب قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سما اقلعي وغيض الما وقضي الامر الاية فرجع ومحى ما عمله وقال اشهد ان هذا لا يعارض ابدا وما هو من كلام البشر كما حكي عن يحيى بن حكيم الغزال بتخفيف الزاي وقد تشدد وكان بليغ الاندلس في زمانه انه قد رام شيا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها فاعترته خشيه ورقة حملته على التوبه والانابه وللّه در العارف سيدي محمد وفا حيث قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم والقران العظيم

لدايه الفرقان في عين جمعه ⸫ جوامع اياتها انفتح الرشد
حديث نزيه عن حدوث منزه ⸫ قديم صفات الذات ليس له ضد
بلاغ بليغ للبلاغة معجز ⸫ له معجزات لا يعد لها عد
تحلت بروح الوحي حله نسخه ⸫ عقود اعتقاد لا يحل لها عقد
وغاية ارباب البلاغة عجزهم ⸫ لديه وان كانوا هم الالسن اللد
فاقاكم بالافك اعياه اشكه ⸫ تصدى وللاسماع عن غيه صد
فلا الله اقوالا بها جرحجرها ⸫ هوانا بها الورها والبهم البلد
تلاها فتل الفحش في القبح وجهها ⸫ وعن ربها الالباب نزهها الزهد
لعمر فرق الفرقان شمل فريقه ⸫ بجمع رسول الله واستعلن الرشد
اتى بالهدى صلى عليه الهه ⸫ ولم يليه بالاهوا اذ جاءه الجلد

والثالث ان وجه اعجازه هو ان قاريه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته تزيده حلاوه وترديده يوجب له محبة وطلاوة ولا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويونس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراتها ولهذا وصف صلى الله عليه وسلم القران بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجايبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلما ولا تزيغ به الاهوا ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد اشار اليه القاضي عياض والرابع ان وجه اعجازه هو ما فيه من الاخبار عما كان مما علموه وما لم يعلموه فاذا سالوا عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه كالذي يحكاه عن قصة اهل الكهف وشان موسى والخضر عليهما السلام وحال ذي القرنين وقصص الانبيا مع اممها والقرون الماضية في دهرها والخامس ان وجه اعجازه هو ما فيه من علم الغيب والاخبار عما يكون فيوجد على صدقه وصحته مثل قوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ثم قال ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم فما تمناه احد منهم ومثل قوله لقريش فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقطع بانهم لا يفعلوا ثم لم يفعلوا وكقطعه بان العقوبة التي اشتمل عليها

عقيدة

علموه

عليها القران وقع بعضها في زمنه صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا وبعضها في زمن بعده كقوله الم غلبت الروم فلو كان كما قالوا لتنازعوا وقع المتوقع وبان الاخبار عن الغيب جا في بعض سور القران واكتفى منهم بمعارضة سورة غير معينة فلو كان كذلك لعارضوه بقدر اقصر سورة لا غيب فيها والسادس ان وجه اعجازه هو كونه جامعا لعلوم كثيرة لم يتعاط العرب الكلام فيها ولا يحيط بها من علما الامم واحد منهم ولا يشتمل عليها كتاب بين الله فيه خبر الاولين والاخرين وحكم المختلفين وثواب المطيعين وعقاب العاصين فهذه ستة اوجه يصح ان يكون كل واحد منها اعجازا فاذا جمعها القران فليس اختصاص احدها بان يكون معجزا باولى من غيره فيكون الاعجاز بجميعها وقد قال تعالى قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله فلم يقدر احد ان ياتي بمثل هذا القران في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده على نظمه وتاليفه وعذوبة منطقه وصحة معانيه وما فيه من الامثال والاشيا التي دلت على البعث واياته والانبا بما كان ويكون وما فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع من اراقة الدما وصلة الارحام الى غير ذلك فكيف يقدر على ذلك احد وقد عجزت عنه العرب الفصحا والخطبا البلغا والشعرا الفهما في قريش وغيرها وهو في بدنه صلى الله عليه وسلم ما عرفوه قبل نبوته وارسالته اربعين سنة لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا يتعلم سحرا ولا ينشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا يروي اثرا حتى اكرمه الله بالوحي المنزل والكتاب المنفصل فدعاهم اليه وحاجهم به قال الله تعالى قل لو شا الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون فشهد له وحكا به بذلك فقال تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون واما ما عدا القران من معجزاته عليه السلام كنبع الما من بين اصابعه وتكثير الطعام ببركته وانشقاق القمر ونطق الجماد فمنه ما وقع التحدي به ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق تحدي ومجموع ذلك يفيد القطع بانه ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات شي كثير كما يقطع بوجود جود حاتم وشجاعة علي وان كان افراد ذلك ظنية وردت موارد الاحاد مع ان كثيرا من المعجزات النبوية قد اشتهر ورواه العدد الكثير منه القطع عند اهل العلم بالاثار والعناية بالسير والاخبار وان لم يصل عند غيرهم الى هذه المرتبة لعدم عنايتهم بذلك فلو ادعى مدع ان غالب هذه الوقايع مفيد للقطع النظري لما كان مستبعدا وذلك انه لا مرية ان رواة الاخبار في كل طبقة قد حدثوا بهذه الاخبار في الجملة ولا يحفظ عن احد من اصحابه مخالفة الراوي فيما حكاه من ذلك ولا الانكار عليه فيما هنالك فيكون الساكت منهم كالناطق لان مجموعهم محفوظ عن الاعضا على الباطل وعلى تقدير ان يوجد من بعضهم انكار او طعن على بعض من روى شيا من ذلك فانما هو من جهة توقف في صدق الراوي او تهمته بكذب او توقف في ضبطه او نسبته الى سوء الحفظ او جواز الغلط ولا يوجد احد منهم طعن في المروي كما وجد منهم في غير هذا الفن من الاحكام وحروف القران ونحو ذلك والله اعلم وانت اذا تاملت معجزاته وباهر اياته وكراماته عليه السلام وجدتها شاملة للعلوي والسفلي والصامت والناطق والساكن والمتحرك والمايع والجامد والسابق واللاحق والغايب والحاضر والباطن والظاهر

وايجم النفعي وافاد الكثير ... العلم

Copyright © King Saud University

والعاجل والآجل الى غير ذلك مما اواعيد لطالكا لرمى بالشهب الثواقب ومنع الشياطين
من استراق السمع في الغياهب وتسليم الحجر والشجر عليه وشهادتها له بالرسالة بين يديه ومخاطبتها
له بالسيادة وحنين الجذع ونبع الماء من كفه في الميضاة والتور والمزادة وانشقاق القمر ورد العين
من العور ونطق البعير والذيب والجمل وكالنور المتوارث من آدم الى جبهة ابيه من الازل وما
سوى ذلك من المعجزات التي تداولتها الجملة ونقلتها عن السنة الاول النقلة مما لو اهملنا النشا في
حصرها العنا المدي في ذكرها ولو بالغ الاولون والاخرون في احصا مناقبه لعجزوا عن استقصاء
ماحباه الكريم به من مواهبه ولكان الملم بساحل بحرها مقصرا عن حصر بعض فخرها ولتدع
لمحبه ان ينشد وافيه

وعلى تفنن واصفيه لنعته * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف
وانه لخليق بمن ينشد

فما بلغت كف امرء متناول * من المجد الا والذي نال اطول
ولا بلغ المهدون في القول مدحه * ولو حذقوا الا الذي فيه افضل

ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا فلقد شفى وكفى بقوله

فما شئت قل فيه فانت مصدق * فالحب يقضي والمحاسن تشهد

ولقد ابدع الامام الاديب شرف الدين م الابوصيري حيث قال

دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب الى ذاته ما شئت من شرف * وانسب الى قدره ما شئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم

يعني ان المداح وان انتهوا الى اقصى الغايات والنهايات لا يصلون الى شاوه اذ لا حد له وحكي
انه روى الشيخ عمر بن الفارض السعدي في النوم فقيل له لم لا مدحت النبي صلى الله عليه وسلم فقال

ارى كل مدح في النبي مقصرا * وان بالغ المثني عليه واكثرا
اذا الله اثنى بالذي هو اهله * عليه فما مقدار ما تمدح الورا

قال الشيخ بدر الدين الزركشي ولهذا لم يتعاطى فحول الشعرا المتقدمين كابي تمام والبحتري وابن
الرومي مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من اصعب ما يحاولونه فان المعاني دون
مرتبته والاوصاف دون وصفه وكل غلو في حقه تقصير فيضيق على البليغ مجال النظم وعند
التحقيق اذا اعتبرت جميع الامداح التي فيها غلو بالنسبة الى من قرضت له وجدتها صادقة في حق
النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الشعرا على صفاته كانوا يعتمدون والى امداحه كانوا يقصدون
وقد اشار الابوصيري بقوله * دع ما ادعته النصارى في نبيهم * الى ما اطرت النصارى به عيسى
ابن مريم من اتخاذ الها قال النيسابوري انهم صحفوا في الانجيل عيسى نبيي وانا ولدته فحرفوا الاول
بتقديم الباء الموحدة وخففوا اللام في الثاني فلعنة الله على الكافرين فان قلت هل ادعى احد
في نبينا عليه السلام ما ادعى في عيسى اجيب بانهم قد كادوا ان يفعلوا نحو ذلك حين قالوا له

عليه

عليه السلام افلا نسجد لك فقال لو كنت آمرا احدا ان يسجد لبشر لامرت المراة ان تسجد لزوجها
فنهاهم عما عساه يبلغ بهم من العبادة وقد جاء في صفته في حديث ابن ابي هالة ولا يقبل الثنا
الا من مكافئ اي مقارب في مدحه غير مفرط فيه وقال ابن قتيبة معناه الا ان يكون يمن له
عليه منة فيكافئه الاخر وغلطه ابن الانباري بانه لا ينفك احد من انعام رسول الله صلى الله
عليه وسلم لان الله بعثه رحمة للعالمين فالثنا عليه فرض عليهم لا يتم الاسلام الا به قال وانما
المعنى لا يقبل الثنا الا من رجل عرف حقيقة اسلامه ثم ان ما حصل من معجزاته وباهر اياته
كراماته كما نبه عليه القطب القسطلاني يرجع الى ثلاثة اقسام ماض وحد قيل كونه فتقضي
بمجده ومستقبل وقع بعد موارته في لحده وكاين معه من حين حمله ووضعه الى ان نقله الله
الى محل فضله ومواطن جمعه فاما القسم الاول الماضي وهو ما كان قبل ظهوره الى هذا
الوجود فقد ذكرت منه جملة في المقصد الاول كقصة الفيل وغير ذلك مما هو تاسيس لنبوته
وارهاص لرسالته قال الامام فخر الدين الرازي ومذهبنا انه يجوز تقدم المعجزة تاسيسا
وارهاصا قال ولذلك قالوا كانت الغمامة تظله يعني في سفره قبل النبوة خلافا للمعتزلة
القايلين بانه لا يجوز ان يكون المعجزة قبل الارسال انتهى وقد تقدم اول هذا المقصد ان الذي
عليه جمهور ائمة الاصول ونحوه ان هذا وغيره مما هو متقدم على الدعوى لا يسمى معجزة بل
تاسيسا للرسالة وكرامة للرسول عليه السلام واما القسم الثاني وهو ما وقع بعد وفاته
صلى الله عليه وسلم فكثير جدا اذ في كل حين يقع لخواص امته من خوارق العادات بسببه مما
يدل على عظيم قدره الكريم ما لا يحصى كالاستغاثة به وغير ذلك مما ياتي في المقصد الاخير في
اثنا الكلام على زيارة قبره المنير واما القسم الثالث وهو ما كان معه من حين ولادته الى وفاته
فكالنور الذي خرج معه حتى اضاءت له قصور الشام واسواقها حتى رؤيت اعناق الابل ببصرى
ومسح الطاير على فواده حتى لم يجد المالولادته والطواف به في الافاق الى غير ذلك كانشقاق
القمر عند اقتراحه عليه وانضمام الشجرتين لما دعاها اليه وكاطعام الجيش الكثير من الشي
اليسير في عدة من المواضع واستيلاء المجامع وغير ذلك مما امده الله تعالى به من المعجزات
واكرمه به من خوارق العادات تاييدا لاقامة حجته وتمهيدا لهداية محجته وتاييدا
لسيادته في كل امة وتشديدا لمن ادكر بعد امة مما تتبعه يخرج عن مقصود الاختصار
اذ هو باب فسيح المجال منيع المنال لكني انبه من ذلك على نبذة يسيرة واتوه في اثنا ما
بجملة خطيرة فاقول وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب اما معجزة
انشقاق القمر فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز اقتربت الساعة وانشق القمر الاية
والمراد وقوع انشقاقه ويوضحه قوله تعالى بعد ذلك وان يروا اية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر فان ذلك ظاهر في ان المراد بقوله انشق انشقاقه لان الكفار لا يقولون ذلك
يوم القيمة واذا تبين ان قوله ذلك انما هو في الدنيا تبين وقوع الانشقاق وانه المراد بالاية
التي زعموا انها سحر وسياتي ذلك صريحا في حديث ابن مسعود وغيره واعلم ان القمر لم ينشق

Copyright © King Saud University

لاحد غير نبينا صلى الله عليه وسلم فان كفار قريش لما كذبوه ولم يصدقوه طلبوا منه اية تدل
على صدقه في دعواه فاعطاه الله تعالى هذه الاية العظيمة التي لا قدرة لبشر على ايجادها دلالة
على صدقه عليه السلام في دعواه الوحدانية لله تعالى وانه منفرد بالربوبية وان هذه الالهة التي يعبدونها
باطلة لا تنفع ولا تضر وان العبادة انما تكون لله وحده لا شريك له قال الخطابي انشقاق القمر
اية عظيمة لا يكاد يعدل بها شي من آيات الانبيا وذلك انه ظهر في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع
ما في هذا العالم المركب من الطبايع فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به
اظهر انتهى وقال ابن عبد البر قد روى هذا الحديث يعني حديث انشقاق القمر عن جماعة كثيرة من الصحابة
وروى ذلك عنهم امثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير الى ان انتهى الينا وتايد بالاية الكريمة انتهى
وقال العلامة ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب والصحيح عندي ان انشقاق القمر متواتر
منصوص عليه في القران مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق من حديث شعبة عن سليمان عن ابراهيم
عن ابي معمر عن ابن مسعود ثم قال وله طرق اخر شتى بحيث لا يمترى في تواتره انتهى وقد
جاءت احاديث الانشقاق في روايات صحيحة عن جماعة من الصحابة منهم انس وابن مسعود وابن عباس
وعلي وحذيفة وجبير بن مطعم وابن عمر وغيرهم فاما انس وابن عباس فلم يحضرا ذلك لانه كان بمكة قبل
الهجرة بنحو خمس سنين وكان ابن عباس اذ ذاك لم يولد واما انس فكان ابن اربع او خمس بالمدينة
واما غيرهما فيمكن ان يكون شاهد ذلك ففي الصحيحين من حديث انس رضي الله عنه ان اهل مكة سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر شقتين حتى راوا حراء بينهما وقوله
شقتين بكسر الشين المهملة اي نصفين ومن حديث ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا
وفي حديث ابن عمر في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال قد كان ذلك على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلقتين فلقة دون الجبل وفلقة خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشهدوا وعند الامام احمد من حديث جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا
سحرنا محمد فقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع ان يسحر الناس وعن عبد الله بن مسعود
قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش هذا سحر ابن ابي كبشة
قال فقالوا انظروا ما ياتيكم به السفار فقال كفار قريش فان محمدا لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم قال
فجا السفار فاخبروهم بذلك رواه ابو داود الطيالسي ورواه البيهقي بلفظ انشق القمر بمكة فقالوا
سحركم ابن ابي كبشة فاسالوا السفار فان كانوا راوا ما رايتم فقد صدق وان لم يكونوا راوا ما رايتم
فهو سحر فسالوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا رايناه وعند ابي نعيم في الدلائل من وجه ضعيف عن
ابن عباس قال لما اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام
والعاصي بن وائل والاسود بن المطلب والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت
صادقا فشق لنا القمر فرقتين فسال ربه فانشق وعند البخاري مختصرا من حديث ابن عباس بلفظ ان القمر

انشق

انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عباس وان كان لم يشاهد القصة كما قدمته ففي بعض
طرقه انه حمل الحديث عن ابن مسعود وعند مسلم من حديث شعبة عن قتادة بلفظ فاراهم انشقاق
القمر مرتين وكذا في مصنف عبد الرزاق عن معمر بلفظ مرتين ايضا واتفق الشيخان عليه من رواية
شعبة عن قتاده بلفظ فرقتين كما في حديث جبير عند احمد وفي حديث ابن عمر فلقتين باللام كما قدمته
وفي لفظ في حديث جبير فانشق باثنتين وفي رواية عن ابن عباس عند ابي نعيم في الدلائل فصار
قمرين ووقع في نظم السيرة للحافظ ابي الفضل العراقي وانشق مرتين بالاجماع قال الحافظ
ابن حجر واظن قوله بالاجماع يتعلق بانشق لا بمرتين فاني لا اعلم من جزم من علما الحديث بتعدد الانشقاق
في زمنه صلى الله عليه وسلم ولعل قايل مرتين اراد فرقتين وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات وقد
وقع في رواية البخاري من حديث ابن مسعود ونحن بمنى وهذا لا يعارض قول انس ان ذلك كان بمكة
لانه لم يصرح بانه عليه السلام بمكة فالمراد ان الانشقاق كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا
الى المدينة والله اعلم وقد انكر هذه المعجزة جماعة من المبتدعة كجمهور الفلاسفة متمسكين بان الاجرام
العلوية لا يتهيا فيها الانخراق والالتيام وكذا قالوا في فتح ابواب السما ليلة الاسرا الى غير
ذلك وجواب هولاء انهم ان كانوا كفارا ان يناظروا اولا على ثبوت الاسلام فان تمت اشتركوا
مع غيرهم ممن انكر ذلك من المسلمين ومتى سلم المسلم بعض ذلك دون بعض لزمه التناقض وايضا
فلا سبيل له الى انكار ما ثبت في القران من الانخراق والالتيام في القيامة واذا ثبت هذا استلزم
الجواز ووقوع معجزة لنبي الله صلى الله عليه وسلم وقد اجاب العلما عن ذلك فقال ابو اسحق الزجاج
في معاني القران انكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق القمر ولا انكار للعقل فيه لان القمر
مخلوق لله يفعل فيه ما يشا كما يكوره يوم القيمة ويفنيه انتهى واما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا
لنقل متواترا واشترك اهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص بها اهل مكة لانه امر صدر عن حس
ومشاهدة فالناس فيه شركا والدواعي متوفرة على رواية كل غريب ونقل ما لم يعهد ولو كان لذلك
اصل لخلد في كتب التفسير والتنجيم اذ لا يجوز اطباقهم على تركه واغفاله مع جلالة شانه ووضوح
امره فاجاب عنه الخطابي وغيره بان هذه القصة خرجت عن الامور التي ذكروها لانه شي
طلبه خاص من الناس فوقع ليلا لان القمر لا سلطان له بالنهار ومن شان الليل ان يكون الناس
فيه نياما ومستكنين في الابنية والبارز منهم في الصحرا اذا كان يقظانا يحتمل ان يتفق انه
كان في ذلك الوقت مشغولا بما يلهيه من سمر وغيره ومن المستبعد ان يقصدوا الى مراكز القمر
ناظرين اليه لا يغفلون عنه فقد يجوز انه وقع ولم يشعر به اكثر الناس وانما راه من
تصدى لرويته ممن اقترح وقوعه ولعل ذلك انما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر
وقد يكون القمر حينيذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض اهل الافاق دون بعض كما يكون ظاهرا
لقوم غايبا عن قوم فلذا يجد الكسوف اهل بلد دون اهل بلد اخر وقد ابدى الخطابي حكمة
بالغة في كون المعجزات المحمدية لم يبلغ شي منها مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه كالقران بما حاصله
ان معجزة كل نبي كانت اذا وقعت عامة اعقبت هلاك من كذب به من قومه والنبي صلى الله عليه وسلم

٢١٥

مراكز

Copyright © King Saud University

بعث رحمة للعالمين فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية فاختص بها القوم الذي بعث منهم
لما اوتوه من فضل العقول وزيادة الافهام ولو كان ادراكها عاما لعوجل من كذب به كما عوجل
من قبلهم انتهى وكذا اجاب ابن عبد البر بنحوه **تنبيه** ما يذكره بعض القصاص ان القمر
دخل في جيب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فليس له اصل كما حكاه الشيخ بدر الدين
الزركشي عن شيخه العماد بن كثير **واما رد** الشمس له صلى الله عليه وسلم فروى عن اسما بنت
عميس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصل العصر
حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم ان كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسما
فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والارض وذلك بالصهبا في خيبر
رواه الطحاوي في مشكل الحديث كما حكاه القاضي عياض في الشفا **وقال** قال الطحاوي ان احمد
ابن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله التخلف عن حفظ حديث اسما لانه من علامات النبوة
انتهى **قال** بعضهم هذا الحديث ليس بصحيح وان اوهم تخريج القاضي عياض له في الشفاء عن الطحاوي
من طريقين فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال انه موضوع بلا شك **و**في سنده احمد
ابن داود وهو متروك الحديث كذاب كما قاله الدارقطني **وقال** ابن حبان كان يضع الحديث
قال ابن الجوزي وقد روى هذا الحديث ابن شاهين فذكره ثم **قال** وهذا حديث باطل قال ومن
تغفل واضعه انه نظر الى صورة فضله ولم يلمح عدم الفايدة فيها وان صلاة العصر بغيبوبة
الشمس تصير قضا ورجوع الشمس لا يعيدها ادا انتهى **و**قد اورد ابن تيمية تصنيفا مفردا في
الرد على الروافض ذكر فيه الحديث بطرقه ورجاله وانه موضوع **و**العجب من القاضي مع
جلالة قدره وعلو خطره في علوم الحديث كيف سكت عنه موهما صحته وناقلا ثبوته موثقا
رجاله انتهى **وقال** شيخنا قال احمد لا اصل له وتبعه ابن الجوزي فاورده في الموضوعات **و**لكن
قد صححه الطحاوي والقاضي عياض واخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث اسما بنت عميس
وابن مردويه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه انتهى **و**رواه الطبراني في معجمه الكبير باسناد
حسن كما حكاه شيخ الاسلام ابن العراقي في شرح التقريب عن اسما بنت عميس **و**لفظه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهبا ثم ارسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله
عليه وسلم العصر فوضع صلى الله عليه وسلم راسه في حجر علي فنام فلم يحركه حتى غربت الشمس
فقال عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه
الشمس قالت اسما فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علي
وتوضا وصلى العصر ثم غابت وذلك بالصهبا **و**في لفظ اخر كان عليه السلام اذا نزل عليه
الوحي يغشى عليه فانزل عليه يوما وهو في حجر علي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صليت
العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت فرايت الشمس بعد
ما غابت حين ردت حتى صلى العصر قال **وروى** الطبراني ايضا في معجمه الاوسط باسناد حسن

عن جابر

٢١٦

عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الشمس فتاخرت ساعة من نهار **و**روى
يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن اسحق لما ذكر القاضي عياض لما اسري بالنبي صلى
الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجي قال يوم الاربعا فلما كان ذلك
اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار وقد عا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في
النهار ساعة وحبست عليه الشمس انتهى **و**هذا يعارضه قوله في الحديث الصحيح لم تحبس الشمس على
احد الا ليوشع بن نون يعني حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ادبرت الشمس خاف ان تغيب قبل
ان يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم
قال الحافظ ابن كثير فيه ان هذا كان من خصايص يوشع فيدل على ضعف الحديث الذي
رويناه ان الشمس رجعت حتى صلى علي بن ابي طالب **و**قد صححه احمد بن صالح المصري ولكنه منكر
ليس في شي من الصحاح والحسان وهو مما يتوفر الدواعي على نقله **و**قد تفردت بنقله امراة من
اهل البيت مجهولة لا يعرف حالها انتهى **و**يحتمل الجمع بان المعنى لم تحبس على احد من الانبيا غيري
الا ليوشع والله اعلم **و**كذا روي حبس الشمس لنبينا صلى الله عليه وسلم ايضا يوم الخندق حين
شغل عن صلاة العصر فيكون حبس الشمس مخصوصا بنبينا صلى الله عليه وسلم وبيوشع كما ذكره
القاضي عياض في الاكمال وعزاه لمشكل الاثار ونقله النووي في شرح مسلم في باب حل الغنايم
عن عياض وكذا الحافظ ابن حجر في باب الاذان من تخريج احاديثه للرافعي **و**مغلطاي في الزهر
الباسم واقره **و**تعقب بان الثابت في الصحيح وغيره انه صلى الله عليه وسلم صلى العصر في
وقعة الخندق بعد ما غربت الشمس في غزوتها **و** ذكر البغوي في تفسيره انها حبست لسليمان
عليه السلام ايضا لقوله ردوها علي ونوزع فيه بعدم ذكر الشمس في الاية فالمراد الصافنات
الجياد والله اعلم **قال** القاضي عياض **و**اختلف في حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت على
ادراجها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطو حركتها قال وكل ذلك من معجزات النبوة انتهى
**واما ما روي من طاعات الجمادات وتكليمها له بالتسبيح والسلام ونحو ذلك مما وردت به
الاخبار فمنها تسبيح الطعام والحصا في كفه الشريف** صلى الله عليه وسلم فخرج محمد بن يحيى الذهلي
في الزهريات قال اخبرنا ابو اليمان قال انبانا شعيب عن الزهري قال ذكر الوليد بن سويد ان
رجلا من بني سليم كبير السن كان ممن ادرك ابا ذر بالربذة عن ابي ذر قال هجرت يوما من الايام
فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته فسالت عنه الخادم فاخبرني انه ببيت عايشة رضي
الله عنها فاتيته وهو جالس ليس عنده احد من الناس وكاني حينيذ ارى انه في وحي فسلمت
فرد السلام ثم قال ما جاء بك قلت الله ورسوله فامرني ان اجلس فجلست الى جنبه لا اساله عن شي
الا ذكره لي فمكثت غير كثير فجا ابو بكر يمشي مسرعا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال ما جاء بك قال
جا بي الله ورسوله فاشار بيده ان اجلس فجلس الى ربوة مقابل النبي صلى الله عليه وسلم ثم جا عمر ففعل
مثل ذلك وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وجلس الى جنب ابي بكر ثم جا عثمان كذلك
وجلس الى جنب عمر ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصيات سبع او تسع او ما قرب من ذلك

فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ناولهن ابا
بكر وجاوزني فسبحن في كف ابي بكر ثم اخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن وصرن حصى ثم
ناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف ابي بكر ثم اخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن ثم
ناولهن عثمان فسبحن في كفه نحو ما سبحن في كف ابي بكر وعمر ثم اخذهن فوضعهن في الارض فخرسن
وقال الحافظ ابن حجر قد اشتهر على الالسنة تسبيح الحصا ففي حديث ابي ذر قال تناول النبي
صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا ثم وضعهن في يد ابي بكر فسبحن
ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن اخرجه البزار والطبراني في الاوسط وفي
رواية الطبراني فسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع احد منا قال البيهقي
في الدلايل كذا رواه صالح بن الاخضر ولم يكن بالحافظ عن الزهري عن سويد بن يزيد السلمي عن ابي ذر
والمحفوظ ما رواه شعيب ابن ابي حمزة عن الزهري قال ذكر الوليد بن سويد ان رجلا من بني سليم كان
كبير السن انتهى وليس لحديث تسبيح الحصى الا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها لكنه مشهور
عند الناس وما احسن قول سيدي محمد وفا

لسبحة ذاك الوجه قد سبح الحصى ، ومن سبح سحب الكف قد سبح الرعد
وقول الاخر يا حبذا لو لثمت كفا ، قد سبحت وسطه الحصاة

وقد اخرج البخاري من حديث ابن مسعود كنا ناكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح
الطعام وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان
وعنب فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح رواه القاضي عياض في الشفا ونقله عنه الحافظ ابو
الفضل في فتح الباري واعلم ان التسبيح من قبيل الالفاظ الدالة على معنى التنزيه واللفظ يوجد
حقيقته مما قام به اللفظ فيكون في غير من قام به مجازا فالطعام والحصى والشجر ونحوها كل منها
متكلم باعتبار خلق الكلام فيها حقيقة وهذا من قبيل خرق العادة وفي قوله ونحن نسمع تسبيحه
تصريح بكرامة الصحابة بسماع هذا التسبيح وفهمه وذلك ببركة النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك
تسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم خرج مسلم من حديث جابر ابن سمرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه الآن وقد اختلف في هذا
الحجر فقيل هو الحجر الاسود وقيل حجر غيره بزقاق يعرف به بمكة والناس يتبركون بلمسه ويقولون
انه هو الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتاز به وقد ذكر الامام ابو عبد الله محمد بن رشيد
بضم الراء في رحلته مما ذكره في شفاء الغرام عن علم الدين احمد بن ابي بكر بن خليل قال اخبرني محمد بن اسمعيل
ابن الصيف قال اخبرني كل من لقيته بمكة ان هذا الحجر اعني المذكور هو الذي كلم النبي صلى الله عليه وسلم
وروى الترمذي والدارمي والحاكم وصححه عن علي بن ابي طالب قال كنت امشي مع النبي صلى الله عليه
وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله حجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن عايشة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر
ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله رواه البزار وابو نعيم وعن جابر بن عبد الله قال لم يكن

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له رواه ومن ذلك تامين اسكفة
الباب وحوايط البيت على دعايه عليه السلام عن ابي اسيد الساعدي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب يا ابا الفضل لا ترم منزلك انت وبنوك غدا حتى
آتيكم فان لي فيكم حاجة فانتظروه حتى جا بعد ما اضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم فقالوا
وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف اصبحتم قالوا اصبحنا بخير نحمد الله فقال لهم تقاربوا
فتقاربوا يزحف بعضهم الى بعض حتى اذا امكنوه اشتمل عليهم بملاته فقال يا رب هذا عمي وصنو ابي
وهولا اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاتي هذه قال فامنت اسكفة الباب وحوايط
البيت فقالت آمين آمين آمين رواه البيهقي في الدلايل وابن ماجه مختصرا ومن ذلك كلامه
للجبل وكلام الجبل له صلى الله عليه وسلم عن انس قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر
وعثمان احدا فرجف بهم فضربه النبي صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت احد فانما عليك نبي
وصديق وشهيدان رواه احمد والبخاري والترمذي وابو حاتم قال ابن المنير قيل الحكمة
في ذلك انه لما رجف اراد الرسول صلى الله عليه وسلم ان يبين ان هذه الرجفة ليست من جنس
رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم فان تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا
نص على مقام النبوة والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه فاقر
الجبل بذلك فاستقر انتهى واحد جبل بالمدينة وهو الذي قال فيه احد جبل يحبنا ونحبه
رواه البخاري ومسلم واختلف في المراد بذلك فقيل اراد به اهل المدينة كما قال تعالى واسيل
القرية اي اهلها قاله الخطابي وقال البغوي فيما حكاه الحافظ المنذري الاولى اجراوه على
ظاهره ولا ينكر وصف الجمادات بحب الانبيا والاوليا واهل الطاعة كما حنت الاسطوانة على
مفارقته صلى الله عليه وسلم حتى سمع الناس حنينها الى ان سكنها وكما اخبر ان حجرا كان يسلم
عليه قبل الوحي فلا ينكر ان يكون جبل احد وجميع اجزا المدينة تحبه وتحن الى لقايه حالة مفارقته
اياها انتهى وقال الحافظ المنذري هذا الذي قاله البغوي جيد وعن ثمامة عن عثمن بن عفان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى
تساقطت حجارته بالحضيض فركضه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان خرجه النسايي والترمذي والدارقطني والحضيض القرار من الارض عند منقطع
الجبل وركضه برجله اي ضربه بها وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حرا
هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حرا
فما عليك الا نبي او صديق او شهيد وفي رواية وسعد بن ابي وقاص ولم يذكر عليا خرجها مسلم
وانفرد بذلك وخرجه الترمذي في مناقب عثمان ولم يذكر سعدا وقال اهدا مكانك اسكن
وقال حديث صحيح وخرجه الترمذي ايضا عن سعيد بن زيد وذكر انه كان عليه العشرة الا ابا
عبيدة وقال اثبت حرا وكذا رواه الخلعي عنه بنحوه لم يذكروا ابا عبيدة بن الجراح ورواه ابو اسحق
البغدادي فيما رواه الكبار عن الصغار والابا عن الابنا ولله در القايل

Copyright King Saud University

وما لحرا من حركة فرحا به ... فلولا مقال اسكن تضعضع وانقضا

حرا وثبير جبلان متقابلان معروفان بمكة واختلاف الروايات محمول على انهما قضيتان تكررت
قاله الطبري وغيره لكن صحح الحافظ ابن حجر انه احد قال ولولا اتحاد المخرج لجوزت تعدد القصة
ثم ظهر لي ان الاختلاف فيه من سعيد فاني وجدته في مسند الحارث بن ابي اسامة عن روح بن عبادة
فقال فيه احد او حرا بالشك وقد اخرجه احمد من حديث بريدة بلفظ حرا واسناده صحيح واخرجه
ابو يعلى من حديث سهل بن سعد بلفظ احد واسناده صحيح فقوي احتمال تعدد القصة فقد كانه
واخرج مسلم من حديث ابي هريرة ما يومي تعدد القصة فذكر انه كان على حرا ومعه المذكورون
هنا وزاد معهم غيرهم ولما طلبته عليه الصلاة والسلام قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله
فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال له حرا الي يا رسول الله رواه في الشفا وهو حديث
روي في الهجرة من السيرة وحرا مقابل لثبير والوادي بينهما وهما على يسار السالك الى منى وحرا قبلي
ثبير مما يلي شمال الشمس وهذه الواقعة غير واقعة ثور في خبر الهجرة هذا هو الظاهر والله اعلم
ومن ذلك كلام الشجر له وسلامها عليه وطواعيتها له وشهادتها له بالرسالة صلى الله
عليه وسلم اخرج البزار وابو نعيم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اوحي الي جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله واخرج الامام احمد عن ابي
سفيان طلحة بن نافع قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب
بالدماء ضربه بعض اهل مكة فقال له ما لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بي هولاء وفعلوا
فقال له جبريل اتحب ان اريك اية فقال نعم فقال فنظر الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك
الشجرة فدعاها قال فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى مكانها فامرها فرجعت
الى مكانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي حسبي ورواه الدارمي من حديث انس وعن
علي كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو
يقول السلام عليك يا رسول الله رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب واخرج الحاكم
في مستدركه باسناد جيد عن ابن عمر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فاقبل اعرابي فلما دنا
منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال
تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم قال هل لك من
شاهد قال ما تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة فدعاها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهي على شاطي الوادي فاقبلت تخد الارض خدا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت
ثم رجعت الى منبتها الحديث ورواه الدارمي ايضا بنحوه وقوله تخد بضم الخاء المعجمة وتشديد
الدال المهملة اي تشق الارض وعن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل
لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها
وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت

منبتها

فدلت

فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك فقال لو امرت
احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها رواه البزار وعن ابن عباس رضي الله
عنه قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بم اعرف انك رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد اني رسول الله فدعاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ارجع فعاد فاسلم
الاعرابي رواه الترمذي وصححه وفي حديث يعلى بن مرة الثقفي قال بينما نسير حتى نزلنا منزلا فنام
النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض حتى غشيته ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له فقال هي شجرة استاذنت ربها في ان تسلم علي فاذن لها
الحديث رواه البغوي في شرح السنة وفي حديث جابر بن عبد الله سرنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى نزلنا واديا افيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته باداوة من ماء
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتان في شاطي الوادي فانطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله
تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده ثم فعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان
بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتامتا الحديث رواه مسلم والمنصف بفتح الميم الموضع
الوسط بين الموضعين والتلاوم الاجتماع ولله در الابوصيري حيث قال

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة ... تمشي اليه على ساق بلا قدم
كانما سطرت سطرا لما كتبت ... فروعها من بديع الخط في اللقم

فشبه اثار مشي الشجر لما جاءت اليه صلى الله عليه وسلم بكتابة كاتب اوقعها على نسبة معلومة
في اسطر منظومة واذا كانت الاشجار تبادر لامتثال امره صلى الله عليه وسلم حتى تخر ساجدة
بين يديه فنحن اولى بالمبادرة لامتثال ما دعا اليه زاده الله شرفا وتامل قول الاعرابي
ايذن لي ان اسجد لك لما راي من سجود الشجر فراي انه احرى بذلك حتى اعلمه عليه السلام ان
ذلك لا يكون الا لله فحق على كل مومن ان يلازم السجود للحي المعبود ويقوم على ساق العبودية
وان لم يكن له قدم كما قامت الشجرة ومن ذلك حنين الجذع شوقا اليه صلى الله عليه وسلم
اعلم ان الحنين مصدر مضاف الى الفاعل والمراد شوقه وانعطافه الى النبي صلى الله عليه
وسلم والذي في الاحاديث المسوقة هنا انه صوت ولعل المراد منه الدلالة على الشوق اي
الصوت الدال على الشوق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجذع واحد جذوع النخل وهو
بالذال المعجمة وقد روى حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد
القطع بوقوع ذلك قال العلامة التاج بن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب والصحيح
عندي ان حنين الجذع متواتر رواه البخاري عن نافع عن ابن عمر ورواه احمد من رواية
ابي حبان عن ابيه عن ابن عمر ورواه احمد وابن منيع والطبراني وصححه على شرط مسلم
ورواه الترمذي وصححه وابو يعلى وابن خزيمة والطبراني وصححه وقال على شرط مسلم يلزمه

الصلاة م

٢١٨

اخرجه من رواية اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس ورواه الطبراني من رواية الحسن
عن انس ورواه احمد وابن منيع والطبراني وغيرهم من رواية حماد بن سلمه عن عمار بن ابي عمار
عن ابن عباس ورواه احمد والدارمي من رواية ابي حازم عن سهل بن سعد ورواه ابو محمد الجوهري
من رواية عبد العزيز بن ابي رواد عن نافع عن تميم الداري ثم قال ولست ادعي ان التواتر حاصل
باعدونه من الطرق بل من طرق اخرى كثيرة تجدها المحدث ضمن المسانيد والاجزا وغيرها وانما
ذكرت في المشاهد منها او بعضها ورب متواتر عند قوم غير متواتر عند اخرين انتهى وقال الحافظ
ابن حجر في فتح الباري حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من
يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك والله اعلم انتهى وقال البيهقي قصة حنين
الجذع من الامور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف انتهى وهذه الاية من اكبر الايات والمعجزات
الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم قال الشافعي فيما نقله عن ابي حاتم عنه في مناقبه ما اعطى الله
نبيا ما اعطى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فقيل له اعطى عيسى احيا الموتى قال اعطى محمد الجذع
حتى سمع صوته فهي اكبر من ذلك وقال القاضي عياض حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر
اخرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك
وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمه والمطلب
ابن ابي وداعة انتهى واما حديث ابي فرواه الشافعي من حديث الطفيل بن ابي بن كعب عن ابيه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الى جذع اذ كان المسجد عريشا وكان يخطب الى ذلك الجذع فقال
رجل من اصحابه هل لك ان نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعه وتسمع الناس خطبتك قال نعم فصنع
له ثلاث درجات هي التي على المنبر فلما صنع ووضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعه الذي هو فيه
فكان اذا بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطب عليه تجاوز الجذع الذي كان يخطب اليه خار
حتى تصدع وانشق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده ثم رجع الى المنبر الحديث
واما حديث جابر فرواه البخاري من طرق وفي لفظ له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة
الى شجرة او نخله فقالت امراه من الانصار او رجل من الانصار الا نجعل لك منبرا قال ان شيتم فجعلوا له منبرا
فلما كان يوم الجمعة دفع الى المنبر فصاحت النخلة فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمها اليه فجعلت
تئن انين الصبي الذي يسكن قال كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها وفي لفظ قال جابر
ابن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع
منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وهو بكسر العين النوق الحوامل
وفي حديث ابي الزبير عن جابر عند النسائي في الكبرى اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج
انتهى والخلوج بفتح الخا المعجمة وضم اللام الخفيفة واخره جيم الناقة التي انتزع منها ولدها والحنين هو
صوت المتالم المشتاق عند الفراق وانما يشتاق لبركة الرسول ويأسف على مفارقته اعقل العقلا
والعقل والحنين بهذا الاعتبار يستدعي الحياه وهذا يدل على ان الله عز وجل خلق فيه الحياه والعقل
والشوق ولهذا حن وان قيل مذهب الشيخ ابو الحسن الاشعري ان الاصوات لا يستلزم خلقها

في

في المحل خلق الحياة ولا العقل اجيب بانه كذلك ونحن لم نجعل الحياه لازمة الا ان الشوق يلزم
الحي شوقا معنويا عقليا لا طبيعيا بهيميا ومذهب الشيخ ابو الحسن ان الذكر المعنوي والكلام
النفسي يستلزمان الحياة استلزام العلم لها وقد بينا ان هذه المعاني وجدت في الجذع والعلم الحاصل
حينيذ على صوته انه حنين وفهموا انه شوق الى الذكر والى مقام الحبيب عنده وقد عامله النبي صلى الله
عليه وسلم هذه المعاملة فالتزمه كما يلتزم الغايب اهله واعزته يبرد غليل شوقهم اليه واشتياقهم عليه
ولله در القايل • وحن اليه الجذع شوقا ورقة • ورجع صوتا كالعشار مرددا •
• فبادره ضما فقر لوقته • لكل امرء من دهره ما تعودا •
واما حديث انس فرواه ابو يعلى الموصلي بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم الجمعة
يسند ظهره الى جذع منصوب في المسجد فخطب الناس فجاه رومي فقال الا اصنع لك شيا تقعد
عليه كانك قايم فصنع له منبرا له درجتان ويقعد على الثالثه فلما قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
خار الجذع كخوار الثور ارتج المسجد لخواره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه سكت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفس محمد بيده لو لم التزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزنا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فامر به صلى الله عليه وسلم فدفن ورواه الترمذي وقال غريب وكذا رواه ابن ماجه والامام
احمد من طريق الحسن عن انس ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعه يسند
ظهره الى خشبة فلما كثر الناس قال ابنوا لي منبرا اراد ان يسمعهم فبنوا له عتبتين فتحول من الخشبة
الى المنبر قال فاخبرني انس بن مالك انه سمع الخشبة تحن حنين الواله قال فما زالت تحن حتى نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فمشى اليها فاحتضنها فسكنت ورواه ابو القاسم البغوي
وزاد فيه فكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه الى الله فانتم احق ان تشتاقوا الى لقايه ولله در القايل •

والقى حتى في الجمادات حبه •	فكانت لاهدا السلام له تهدا
وفارق جذعا كان يخطب عنده •	فان انين الام اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع يا قوم هكذا •	اما نحن اولى ان نحن له وجدا
اذا كان جذع لم يطق بعد ساعة •	فليس وفا ان نطيق له بعدا

واما حديث سهل بن سعد ففي الصحيحين من طرق واما حديث ابن عباس فعند الامام احمد باسناد
على شرط مسلم ورواه ابن ماجه واما حديث ابن عمر ففي البخاري واما حديث ابي سعيد الخدري فعند عبد
ابن حميد واما حديث بريدة فعند الدارمي وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان شيت اردك الى
الحايط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر وان شيت اغرسك
في الجنة فياكل اوليا الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني
في الجنة فياكل مني اوليا الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
قد فعلت ثم قال اختار دار البقا على دار الفنا واما حديث ام سلمة فعند ابي نعيم في الدلايل والنعمة

صحيح

Copyright © King Saud University

واحدة وما في الفاظها مما ظاهره التعارض هو من الرواة وعند التحقيق ترجع الى معنى واحد فلا
نطيل بذكر ذلك والله اعلم وامّا كلام الحيوانات وطاعتها له صلى الله عليه وسلم فمنها
سجود الجمل وشكواه اليه صلى الله عليه وسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان
اهل بيت من الانصار لهم جمل يسنون عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وان الانصار
جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل نسني عليه وانه استصعب علينا
ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فقاموا
فدخل الحايط والجمل في ناحية فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار يا رسول الله
قد صار مثل الكلب الكلِب وانا نخاف عليك صولته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس علي منه
باس فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل نحوه حتى خرّ ساجدًا بين يديه فاخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته اذل ما كان قط حتى ادخله في العمل فقال له اصحابه يا رسول
الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق ان نسجد لك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر ولو صلح لبشر ان يسجد لبشر لامرت المراة ان تسجد لزوجها
من عظم حقه عليها رواه احمد والنسايي والحايط هو البستان وقوله نسني عليه بالنون والسين
المهملة اي نستقي عليه وفي حديث يعلى بن مرة الثقفي بينما نحن نسير مع النبي صلى الله عليه وسلم
اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما راه البعير جرجر فوضع جرانه فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اين صاحب هذا البعير فجاءه فقال بعنيه فقال بل نهبه لك يا رسول الله وانه لاهل بيت
ما لهم معيشة غيره فقال اما اذ ذكرت هذا من امره فانه شكى كثرة العمل وقلة العلف فاحسنوا
اليه رواه البغوي في شرح السنة والجران بكسر الجيم قال ابن فارس مقدم عنق البعير من مذبحه الى
منحره وروى الامام احمد قصة اخرى نحو ما تقدم من حديث جابر ضعيفة والبيهقي باسناد جيد
وكذا روى الطبراني قصة اخرى عن عكرمة عن ابن عباس باسناد ضعيف والامام احمد ايضا
من حديث يعلى بن مرة واخرج ابن شاهين في الدلايل عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما
قال اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فاسر الي حديثا لا احدث به احدا
من الناس قال وكان احب ما استتر به النبي صلى الله عليه وسلم لحاجته هدف او حايش نخل فدخل
حايط رجل من الانصار فاذا جمل فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه فاتاه النبي
صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه وفي رواية فسكن ثم قال من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل فجا فتى
من الانصار فقال هو لي يا رسول الله فقال افلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها
فانه شكى الي انك تجيعه وتدئبه قال في المصباح وهو حديث صحيح انتهى ورواه ابو داود
عن موسى عن اسمعيل عن مهدي بن ميمون والحايش بالحا المهملة وبالشين المعجمة ممدود وهو
جماعة النخل لا واحد له من لفظه وقوله ذفراه تثنية ذفرى بكسر الذال المعجمة مقصور وهو
الموضع الذي يعرق من قفا البعير عند اذنه ومنها سجود الغنم له صلى الله عليه وسلم
عن انس بن مالك قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حايطا للانصار ومعه ابو بكر وعمر

ورجل

ورجل من الانصار وفي الحايط غنم فسجدت له فقال ابو بكر يا رسول الله نحن احق بالسجود لك من
هذه الغنم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد رواه ابو محمد عبد
الله بن حامد الفقيه في كتاب دلايل النبوة باسناد ضعيف وذكره القاضي عياض في الشفا
وذكر ايضا عن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون
خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف لي بالغنم قال احصب وجوهها فان الله
سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها ومنها قصة
كلام الذيب وشهادته له صلى الله عليه وسلم اعلم انه قد جا حديث قصة كلام الذيب في عدة طرق
من حديث ابي هريرة وانس وابن عمر وابي سعيد الخدري واما حديث ابي سعيد فرواه الامام
احمد باسناد جيد ولفظه قال عدى الذيب على شاة فاخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فاقعى
الذيب على ذنبه وقال الا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله الي فقال يا عجبا ذيب مقع على
ذنبه يكلمني بكلام الانس فقال الذيب الا اخبرك باعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانباء
ما قد سبق قال فاقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها الى زاوية من زواياها ثم اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة
ثم خرج فقال للاعرابي اخبرهم فاخبرهم واما حديث انس فاخرجه ابو نعيم في الدلايل واما
حديث ابي هريرة فرواه سعيد بن منصور في سننه قال جا الذيب فاقعى بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعل يبصبص بذنبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وافد الذياب جا
يسلكم ان تجعلوا له من اموالكم شيا قالوا والله لا نفعل واخذ رجل من القوم حجرا ورماه به فادبر
الذيب وله عوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذيب وما الذيب قال القاضي عياض وفي بعض
الطرق عن ابي هريرة فقال الذيب انت اعجب مني واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط
اعظم منه عنده قدرا فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك
وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذيب انا ارعاها حتى
ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم
يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذيب
شاة منها وروى البغوي في شرح السنة واحمد وابو نعيم بسند صحيح عن ابي هريرة ايضا
قال جا ذيب الى راعي غنم فاخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه قال فصعد الذيب
على تل فاقعى واستثفر وقال عمدت الى رزق رزقنيه الله اخذته ثم انتزعته مني فقال الرجل
تالله ان رايت كاليوم ذيب يتكلم فقال الذيب اعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم
بما مضى وما هو كاين بعدكم قال وكان الرجل يهوديا فجا الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم
انها امارات بين يدي الساعة قد اوشك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما
احدث اهله بعده واستثفر بالسين والمثناة ثم المثلثة والفا اخره را كاستفعل اي جعل ذنبه
بين رجليه كما يفعل الكلب وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان

فاخبره واسلم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم

Copyright King Saud University

ابن امية مع ذئب وجدناه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذيب فعجبا من ذلك فقال
الذيب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان
واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا بضم الخا المعجمة اي فاسدة متغيرة يعني
بتبع الفساد والتغير في اهلها **ومن ذلك** حديث الحمار **اخرج** ابن عساكر عن ابي منصور قال
لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر اصاب حمارا اسود فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار
فكلمه الحمار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال يزيد بن شهاب اخرج الله من نسل
جدي ستين حمارا كلهم لا يركبه الا نبي **و**قد كنت اتوقعك ان تركبني لم يبق من نسل جدي غيري
ولا من الانبيا غيرك قد كنت قبلك لرجل يهودي وكنت اتعثر به عمدا وكان يجيع بطني ويضرب
ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فانت يعفور فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه الى باب
الرجل فياتي الباب فيقرعه براسه فاذا خرج اليه صاحب الدار اومأ اليه
ان اجب رسول الله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جا الى بير كانت لابي الهيثم بن التيهان
فتردى فيها جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم **و**رواه ابو نعيم بنحوه من حديث معاذ بن جبل لكن
الحديث مطعون فيه **و**ذكره ابن الجوزي في الموضوعات **و**في معجزاته عليه الصلاة والسلام ما هو
اعظم من كلام الحمار وغيره **ومن ذلك** حديث الضب وهو مشهور على الالسنة **و**رواه البيهقي في احاديث
كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزي لا يصح اسنادا ولا متنا **و**ذكره القاضي عياض في
الشفا **و**قد روي من حديث عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جا اعرابي
من بني سليم قد صاد ضبا جعله في كمه ليذهب به الى رحله فيشويه وياكله فلما راى الجماعة قال من
هذا قالوا نبي الله فاخرج الضب وطرحه بين يدي رسول الله وقال واللات والعزى
لا امنت بك او يومن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى
الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى
القيامة قال من تعبد قال الذي في السما عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته
وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين **و**قد افلح من صدقك وخاب
من كذبك فاسلم الاعرابي الحديث بطوله وهو مطعون فيه **و**قيل انه موضوع لكن معجزاته عليه
السلام فيها ما هو ابلغ من هذا وليس فيه ما ينكر شرعا خصوصا وقد رواه الائمة فنهايته الضعف
لا الوضع والله اعلم **ومن ذلك** حديث الغزالة روى حديثها البيهقي من طرق وضعفه
جماعة من الائمة لكن طرقه يقوي بعضها بعضا **و**ذكره القاضي عياض في الشفا **و**رواه ابو نعيم
في الدلايل باسناد فيه مجاهيل عن حبيب بن محصن عن ام سلمة رضي الله عنها قالت بينما
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحرا من الارض اذا هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت
فاذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي منجدل في شملة نايم في الشمس فقال ما حاجتك قالت
صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال
وتفعلين فقالت عذبني الله عذاب العشار ان لم اعد فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله لك حاجة قال تطلق هذه الظبية
فاطلقها فخرجت تعدو في الصحرا فرحا وهي تضرب برجليها الارض وتقول اشهد ان لا اله
الا الله وانك رسول الله **و**كذا رواه الطبراني بنحوه وساق الحافظ المنذري حديثها في
الترغيب والترهيب من باب الزكوة **و**نقل شيخنا الحافظ ابو الخير السخاوي عن ابن كثير انه
لا اصل له وان من نسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب ثم قال شيخنا لكنه ورد في الجملة
في عدة احاديث يتقوى بعضها ببعض وردها شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في المجلس الحادي
والستين من تخريج احاديث المختصر والله اعلم **و**في شرح مختصر ابن الحاجب للعلامة ابن السبكي
وتسبيح الحصى رواه الطبراني وابن ابي عاصم من حديث ابي ذر **و**تسليم الغزالة رواه الحافظ ابو
نعيم الاصبهاني والبيهقي في دلايل النبوة **و**نحن نقول فيهما انهما وان لم يكونا اليوم متواترين
فلعلهما استغني عنهما بنقل غيرهما او لعلهما تواترا اذ ذاك انتهى **ومن ذلك** داجن البيوت
وهو ما الفها من الحيوان كالطير والشاة وغيرها **روى** قاسم بن ثابت عن عايشة رضي الله عنها
قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجي
ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جا وذهب وذكر القاضي عياض نحوه **واما**
نبع الما الطهور من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وهو اشرف المياه فقال القرطبي قصة نبع الما من بين اصابعه
قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن من مشاهد عظيمة **و**وردت من طرق كثيرة يفيد
مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي ولم يسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا صلى
الله عليه وسلم حيث نبع الما من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه **و**قد نقل ابن عبد البر عن المزني
انه قال نبع الما من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ابلغ في المعجزة من نبع الما من الحجر حيث ضربه
موسى بالعصا فتفجرت منه المياه لان خروج الما من الحجارة معهود بخلاف خروج الما من بين
اللحم والدم انتهى **و**قد روى حديث نبع الما جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود
فاما حديث انس ففي الصحيحين قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر
والتمس الناس الوضو فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضو فوضع يده في ذلك
الانا وامر الناس ان يتوضوا منه فرايت الما ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى توضوا
من عند اخرهم **و**في لفظ للبخاري كانوا ثمانين رجلا **و**في لفظ له فجعل الما ينبع من بين اصابعه
واطراف اصابعه حتى توضا القوم قال فقلنا لانس كم كنتم قال كنا زهاء ثلثمائة قوله حتى توضوا
من عند اخرهم قال الكرماني حتى للتدريج ومن للبيان اي توضا الناس حتى توضا الذين هم عند
اخرهم وهو كناية عن جميعهم **و**عند بمعنى في لان عند وان كانت للظرفية الخاصة لكن المبالغة
تقتضي ان تكون لمطلق الظرفية فكانه قال الذين هم في اخرهم **و**قال التيمي المعنى توضا القوم
حتى وصلت النوبة الى الاخر **و**قال النووي من هنا بمعنى الى وهي لغة **و**تعقبه الكرماني بانها شاذة
قال ثم ان الى لا يجوز ان تدخل على عند ويلزم عليه وعلى ما قاله التيمي ان لا يدخل الاخر لكن ما قاله
الكرماني من ان لا تدخل على عند لا يلزم مثله في من اذا وقعت بمعنى الى **و**على توجيه النووي يكون انه

من اذا

Copyright King Saud University

بقال عند زايده قاله في فتح الباري وروى هذا الحديث ايضا عن انس ابن شاهين ولفظه
قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال المسلمون يا رسول الله عطشت دوابنا
وابلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل في شن بشيء فقال هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته في الماء
قال فرايتها تخلل عيونا بين اصابعه قال فسقينا ابلنا ودوابنا وتزودنا فقال اكتفيتم فقالوا
نعم اكتفينا يا نبي الله فرفع يده فارتفع الماء واخرج البيهقي عن انس ايضا قال خرج النبي صلى
الله عليه وسلم الى قبا فاتي من بعض بيوتهم بقدح صغير فادخل يده فلم يسعه القدح فادخل اصابعه
الاربعة ولم يستطع ان يدخل ابهامه ثم قال للقوم هلموا الى الشراب قال انس بصر عيني ينبع الماء
من بين اصابعه فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعا واما حديث جابر ففي
الصحيحين قال عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة
يتوضا منها وجهش الناس نحوه فقال لكم فقالوا يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضا به ولا ما نشربه
الا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون فشربنا وتوضانا
قلت كم كنتم قالوا لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمسة عشر مائة وقوله يفور اي يغلي ويظهر متدفقا وفي
رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لا يجد الا قطرة في عزلاء شجب
فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت
بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب
عليه جابر وقال بسم الله قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلات
وامر الناس بالاستقا فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي من احد له حاجة فرفع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وروى حديث جابر ايضا الامام احمد في مسنده
اشتكى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فدعا بعس فصب فيه شيء من الماء ووضع رسول
الله صلى الله عليه وسلم كفه في الماء ثم قال بسم الله ثم قال اسبغوا الوضوء قال جابر فوالذي
ابتلاني ببصري لقد رايت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم
فما رفعها حتى توضؤوا اجمعون ورواه عنه ايضا البيهقي في الدلائل قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في سفر فاصابنا عطش فجهشنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوضع يده في تور من ماء بين
يديه قال فجعل الماء ينبع من بين اصابعه كانه العيون قال خذوا بسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا
ولو كنا مائة الف لكفانا قلت لجابر كم كنتم قال الفا وخمسمائة واخرجه ابن شاهين من حديث جابر
ايضا وقال اصابنا عطش بالحديبية فجهشنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث واخرجه
ايضا عن جابر احمد من طريق نبيح العنزي عنه وفيه فجاء رجل باداوة فيها ماء ليس في القوم
فصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قدح ثم توضا فاحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح قال فتزاحم
الناس على القدح فقال على رسلكم فوضع كفه في القدح ثم قال اسبغوا الوضوء قال فلقد رايت العيون عيون الماء
تخرج من بين اصابعه واما حديث ابن مسعود ففي الصحيح من رواية علقمة عنه بينما نحن مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه
فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابعه صلى الله عليه
وسلم وظاهر هذا ان الماء كان ينبع من بين اصابعه بالنسبة الى رؤية الرائي وهو في نفس الامر
للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر وكفه صلى الله عليه وسلم في الاناء فيراه الرائي نابعا من بين اصابعه
وظاهر كلام القرطبي انه نبع من نفس اللحم الكائن في الاصابع وبه صرح النووي في شرح مسلم
ويؤيده قول جابر فرايت الماء يخرج من بين اصابعه وفي رواية فرايت الماء ينبع من اصابعه
وهذا هو الصحيح وكلاهما معجزة له صلى الله عليه وسلم وانما فعل ذلك ولم يخرجه من غير ملابسة
ماء ولا وضع اناء تادبا مع الله تعالى اذ هو المنفرد بابتداع المعدومات وايجادها من غير
اصل وروى ابن عباس قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فطلب الماء فقال لا والله ما وجدت
الماء قال فهل من شن فاتاه بشن فبسط كفيه فيه فانبعثت تحت يديه عين فكان ابن مسعود
يشرب وغيره يتوضا رواه الدارمي وابو نعيم وكذا رواه الطبراني وابو نعيم من حديث ابي
ليلى الانصاري وابو نعيم من طريق القاسم بن عبد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده ومن ذلك
تكثير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته روى مسلم في صحيحه عن معاذ ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لهم انكم ستاتون غدا ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تاتوها حتى يضحي النهار
فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى اتي قال فجئناها وقد سبق اليها رجلان والعين مثل
الشراك تبض بشيء من ماء فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيئا قالا
نعم فسبهما وقال لهما ما شاء الله ان يقول ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء ثم غسل عليه السلام
به وجهه ويديه ثم اعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ثم قال عليه السلام يا معاذ يوشك
ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا اي بساتين وعمرانا وهذا ايضا من معجزاته
عليه السلام ورواه القاضي عياض في الشفا بنحوه ومالك في الموطا وزاد فقال قال في حديث
ابن اسحق فانخرق من الماء له حس كحس الصواعق وفي البخاري في غزوة الحديبية من حديث
المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم انهم نزلوا باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس
تبرضا فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته
ثم امرهم ان يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه والثمد بالمثلثة والميم الماء
القليل وقوله فما زال يجيش لهم بالري بفتح المثناة التحتية وبالجيم اخره شين معجمة اي يفور
ماؤه ويرتفع وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم توضا ومج في بئر الحديبية من فمه فجاشت بالماء كذلك
وفي مغازي ابي الاسود عن عروة انه توضا في الدلو ومضمض فاه ثم مج فيه وامر ان يصب في البئر
ونزع سهما من كنانته والقاه في البئر ودعا الله تعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بايديهم
منها وهم جلوس على شفتها فجمع بين الامرين وكذا رواه الواقدي من طريق اوس بن خولي وهذه
القصة غير القصة السابقة في ذكر نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ما رواه البخاري في المغازي
من حديث جابر عطش الناس بالحديبية وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة فوضع يده

Copyright © King Saud University

في الركوة فجعل الما يفور من بين اصابعه الحديث فبين القصتين مغايرة وجمع ابن حبان
بينهما بان ذلك وقع في وقتين انتهى فحديث جابر في نبع الما كان حين حضرت صلاة العصر
عند ارادة الوضوء وحديث البرا كان لارادة ما هو اعم من ذلك ويحتمل ان يكون الما لما تفجر
من اصابعه ويده في الركوة وتوضوا كلهم وشربوا امر حينيذ بصب الما الذي بقي في الركوة في
البير فتكاثر الما فيها انتهى وفي حديث البرا وسلمة بن الاكوع مما رواه البخاري في قصة الحديبية
وهم اربع عشرة ماية والبير لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البرا واتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا
واما بصق فيها فجاشت فارووا وانفسهم وركابهم قال في رواية البرا ثم مضمض ودعا ثم صبه
فيها ثم قال دعوها ساعة قوله على جباها بفتح الجيم والموحدة مقصورا حول البير
وبالكسر ما جمعه فيه من الما وقوله وركابهم اي الابل التي يسار عليها وفي الصحيحين عن عمران
ابن الحصين قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاشتكى اليه الناس من العطش فنزل
فدعا فلانا كان يسميه ابو رجا ونسيه عوف ودعا عليا وقال اذهبا فابتغيا الما فانطلقا فلقيا
امراة بين مزادتين او سطيحتين من ما فجا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستنزلوها عن بعيرها
ودعا النبي صلى الله عليه وسلم بانا ففرغ فيه من افواه المزادتين او السطيحتين واوكا افواههما
واطلق العزالي ونودي في الناس اسقوا واستقوا فسقى من سقا واستقى من شا وهي قايمة
تنظر الى ما يفعل بمايها وايم الله لقد اقلع عنها وانه ليخيل الينا انها اشد ملية منها حين ابتدا فيها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجمعوا لها فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما
فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها قال لها تعلمين ما رزينا من مايك
شيا ولكن الله هو الذي سقانا فاتت اهلها فقالت العجب لقيني رجلان فذهبا بي الى هذا الرجل
الذي يقال له الصابي ففعل كذا وكذا فوالله انه لاسحر الناس كلهم او انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حقا فقالت لقومها هل لكم في الاسلام الحديث وعن ابي قتادة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتاتون الما غدا ان شا الله فانطلق الناس لا يلوي احد على احد
فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل اي ابيض فمال عن الطريق فوضع راسه
ثم قال احفظوا علينا صلاتنا فكان اول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس في ظهره ثم
قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى اذا ارتفعت الشمس نزل ثم دعا بميضاة كانت معي فيها شي من ما
فتوضا منها وضوا قال وبقي شي من ما فتوضا منها وضوا قال وبقي شي من ما ثم قال احفظ علينا
ميضاتك فسيكون لها نبا ثم اذن بلال بالصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ثم صلى
الغداة ثم ركب وركبنا معه فانتهينا الى الناس حين امتد النهار وحمي كل شي وهم يقولون يا رسول
الله هلكنا وعطشنا فقال لا هلك عليكم ودعا بالميضاة فجعل يصب وابو قتادة يسقيهم فلم يعد
ان راى الناس ما في الميضاة فتكابوا عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احسنوا الملا كلكم
سيروى قال ففعلوا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب واسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم ثم صب فقال لي اشرب فقلت لا اشرب حتى يشرب رسول الله فقال ان
ساقي القوم اخرهم قال فشربت وشرب الحديث رواه مسلم وعن انس قال اصابت الناس سنة
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة قام اعرابي فقال
يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وما نرى في السما قزعة فوالذي
نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب امثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رايت المطر يتحادر
فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى الجمعة الاخرى وقام ذلك الاعرابي او غيره فقال
يا رسول الله تهدم البنا وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا
فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهرا
ولم يجي احد من ناحية الا حدث بالجود وفي رواية قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الاكام
والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فاقلعت وخرجنا نمشي في الشمس رواه البخاري ومسلم
والجوبة بفتح الجيم والموحدة بينهما واو ساكنة الحفرة المستديرة الواسعة وكل منفتق بلا بنا
جوبة اي حتى صار الغيم والسحاب محيطا باقاق المدينة والجود بفتح الجيم واسكان الواو المطر
الواسع الغزير وعن عبد الله بن عباس انه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حدثنا عن ساعة
العسرة فقال عمر خرجنا الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا عطش حتى ظننا ان رقابنا
ستنقطع حتى ان كان الرجل ليذهب يلتمس الرحل فلا يرجع حتى نظن ان رقبته ستنقطع حتى كان الرجل
لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله قد عودك
في الدعا خيرا فادع الله لنا قال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السما فانسكبت
فملوا ما معهم من انية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر قال الحافظ المنذري اخرجه البيهقي
في الدلايل وشيخه ابن بشران ثقة ودعلج ثقة وابن خزيمة احد الايمة ويونس احتج به مسلم في صحيحه
وابن وهب وعمرو بن الحارث ونافع بن جبير احتج بهم البخاري ومسلم وعتبة فيه مقال انتهى
وقد رواه القاضي عياض في الشفا مختصرا وروى ابن اسحق في مغازيه نحوه وروى صاحب
كتاب مصباح الظلام عن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال كنت مع ابن اخي يعني النبي صلى الله عليه وسلم
بذي المجاز فادركني العطش فشكوت اليه فقلت يا ابن اخي عطشت وما قلت له ذلك وانا ارى عنده شيا
الا الجهد فثنى وركه ثم نزل وقال يا عم اعطشت فقلت نعم فاهوى بعقبه الى الارض فاذا بالما فقال
اشرب يا عم فشربت وكذا رواه ابن سعد وابن عساكر ومن ذلك تكثير الطعام القليل ببركته ودعايه
وعن جابر في غزوة الخندق قال فانكفات الى امراتي فقلت هل عندك شي فاني رايت النبي صلى الله عليه وسلم
خمصا شديدا فاخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير
حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جيت النبي صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا
وطحنت صاعا من شعير فتعال انت ونفر معك فصاح النبي صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان جابرا
صنع سورا فحي هلا بكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجي فجا
فاخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معك

Copyright King Saud University

وأدخلهم من بيننا منكم ولا تبدلوها وهم الف فاقسم بالله لأكلوه حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط
كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو رواه البخاري ومسلم وقوله فانكفات اي انقلبت وقوله داجن
يعني سمينة وقوله فذبحتها بسكون الحا وطحنت بسكون التا يعني ان الذي ذبح هو جابر والتي
طحنت هي امراته سهلة بنت معوذ الانصارية وقوله سورا بضم المهملة وسكون الواو بغير همز
قال ابن الاثير اي طعاما يدعو اليه الناس قال واللفظة فارسية وقوله فحي هلا بكم كلمة استدعا
فيه حث اي هلموا مسرعين وقوله واقدحي اي اغرفي وقوله برمتنا لتغط بالغين المعجمة والطا
المهملة اي تغلي ويسمع غطيطها وعن انس قال قال ابو طلحة لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضعيفا اعرف فيه الجوع فهل عندك من شي فقالت نعم فاخرجت اقراصا من
شعير ثم اخرجت خمارا فلفت الخبز ببعضه ولاثتني ببعضه اي دارته ببعض الخمار على راسي ثم دسته تحت يدي
كالعمامة ثم ارسلتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم آرسلك ابو طلحة
قلت نعم قال بطعام قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه قوموا فانطلق وانطلقت
بين ايديهم حتى جئت ابا طلحة فاخبرته فقال ابو طلحة يا ام سليم قد جا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت الله ورسوله اعلم فانطلق ابو طلحة حتى لقي النبي
صلى الله عليه وسلم فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو طلحة معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك الخبز فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت ام سليم
عكة فادمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله ان يقول ثم قال ائذن لعشرة فاذن
لهم فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة ثم عشرة فاكل القوم كلهم وشبعوا والقوم
سبعون او ثمانون رواه البخاري ومسلم والمراد بالمسجد هنا الموضع الذي اعده النبي صلى الله عليه
وسلم للصلاة فيه حين محاصرة الاحزاب للمدينة في غزوة الخندق وفي رواية لمسلم انه قال
ائذن لعشرة فدخلوا فقال كلوا وسموا الله فاكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم اكل النبي
صلى الله عليه وسلم واهل البيت وتركوا سؤرا اي بقية وهو بالهمز وفي رواية للبخاري
قال ادخل علي عشرة حتى عد اربعين ثم اكل النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت انظر هل نقص منها
شي وفي رواية ليعقوب ادخل علي ثمانية ثمانية فما زال حتى دخل ثمانون ثم دعاني ودعا
امي وابا طلحة فاكلنا حتى شبعنا انتهى وهذا يدل على تعدد القصة فان اكثر الروايات
فيها انه ادخلهم عشرة عشرة سوى هذه قاله الحافظ ابن حجر قال وظاهره انه عليه الصلاة
والسلام دخل منزل ابي طلحة وحده وصرح بذلك في رواية عبد الرحمن بن ابي ليلى ولفظه
فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الباب فقال لهم اقعدوا ودخل وفي رواية يعقوب
عن انس فقال ابو طلحة يا رسول الله انما ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع
من ارى وفي رواية عمرو بن عبد الله عن انس فقال ابو طلحة انما هو قرص فقال ان الله سيبارك فيه
قال العلما وانما ادخلهم عشرة عشرة والله اعلم لانها كانت قصعة واحدة لا يمكن الجماعة الكثيرة

ان

ان يتقدروا على التناول منها مع قلة الطعام فجعلهم عشرة عشرة ليتنالوا من الاكل ولا يزدحموا
واما قوله عليه الصلاة والسلام ارسلك ابو طلحة قلت نعم قال الطعام قلت نعم فقال لمن معه
قوموا فظاهره ان النبي صلى الله عليه وسلم فهم ان ابا طلحة استدعاه الى منزله فلذلك قال لمن
عنده قوموا واول الكلام يقتضي ان ام سليم وابا طلحة ارسلا الخبز مع انس بان ياخذه النبي صلى الله عليه
وسلم فياكله فلما وصل انس وراى كثرة الناس حول النبي صلى الله عليه وسلم استحيا وظهر له ان يدعو
النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم معه وحده الى المنزل فيحصل مقصودهم من اطعامه ويحتمل ان يكون
ذلك عن راي من ارسله عهد اليه اذا راى كثرة الناس ان يستدعي النبي صلى الله عليه وسلم وحده خشية ان كثره
لا يكفي ذلك النبي صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وقد عرفوا ايثاره عليه السلام وانه لا ياكل وحده
ووقع في رواية يعقوب بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس عند ابي نعيم واصله عند مسلم فقال لي ابو
طلحة يا انس اذهب فقم قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قام فدعه حتى يتفرق عنه اصحابه
ثم اتبعه حتى اذا قام على عتبة داره فقل له ان ابي يدعوك وفيه فقال ابو طلحة يا رسول الله انما ارسلت
انسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من ارى فقال ادخل فان الله سيبارك فيما عندك وفي
رواية مبارك بن فضالة فقال هل من سمن فقال ابو طلحة قد كان في العكة شي فجا بها فجعلا يعصرانها بها
حتى خرج ثم مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم القرص فانتفخ وقال بسم الله اللهم اعظم فيها البركة وعرف
بهذا المراد بقوله فقال فيها ما شاء الله ان يقول وفي رواية مبارك بن فضالة فقال هل من سمن فقال
ابو طلحة قد كان في العكة شي فجا بها فجعلا يعصرانها حتى خرج ثم مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم القرص
فانتفخ وقال بسم الله فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رايت القرص في الجفنة يتسع وفي رواية
النضر بن انس فجئت بها ففتح رباطها ثم قال بسم الله اللهم اعظم فيها البركة وعرف بهذا المراد بقوله فقال
فيها ما شاء الله ان يقول وفي رواية انس عند احمد ان ابا طلحة راى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاويا يعني
اي يعلي بطنه وعن محمد بن سيرين عن انس ان ابا طلحة بلغه انه ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام
فاجر نفسه بصاع من شعير فعمل بقية يومه ذلك ثم جاء به الحديث وفي رواية عمرو بن عبد الله بن ابي
طلحة عند مسلم وابي يعلى قال راى ابو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا يتقلب ظهرا لبطن وفي
رواية يعقوب بن عبد الله بن ابي طلحة عند مسلم ايضا عن انس قال جئت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوجدته جالسا مع اصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة فسالت بعض اصحابه فقالوا من الجوع
فذهبت الى ابي طلحة فاخبرته فدخل على ام سليم فقال اعندك شي فاني مررت على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يقري اصحاب الصفة سورة النسا وقد ربط على بطنه حجرا وعن ابي هريرة قال لما كان
غزوة تبوك اصاب الناس مجاعة فقال عمر يا رسول الله ادعهم بفضل ازوادهم ثم ادع الله لهم عليها
بالبركة فقال نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجي بكف ذرة ويجي الاخر بكسرة
حتى اجتمع على النطع شي يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في اوعيتكم حتى ما تركوا
في العسكر وعا الا ملؤوه قال فاكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة رواه مسلم وعن انس قال كان

Copyright © King Saud University

رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب فعمدت امي ام سليم الى تمر وسمن واقط فصنعته
حيسا فجعلته في تور فقالت يا انس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك
امي وهي تقريك السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعه ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا
ومن لقيت وسمى رجالا فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فاذا البيت غاص باهله فقيل
لانس عدد كم كانوا قال زهاء ثلاثمائة فرايت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما
شا ثم جعل يدعو عشرة عشرة ياكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال فاكلوا
حتى شبعوا فخرجت طائفة بعد طائفة حتى اكلوا كلهم قال لي يا انس ارفع فرفعت فما ادري حين وضعت
كان اكثر ام حين رفعت رواه البخاري ومسلم وعن جابر قال ان ام مالك كانت تهدي للنبي صلى الله
عليه وسلم في عكة لها سمنا فياتيها بنوها فيسالون الادم وليس عندهم شي فتعمد الى التي كانت تهدي فيها
للنبي صلى الله عليه وسلم فتجد فيها سمنا فما زال يقيم لها ادم بيتها حتى عصرته فاتت النبي صلى الله عليه
وسلم فقال عصرتيها قالت نعم قال لو تركتيها ما زال قائما رواه مسلم وعنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
يستطعمه فاطعمه شطر وسق من شعير فما زال ياكل منه وامراته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام لكم رواه مسلم ايضا والحكمة في ذهاب بركة السمن
حين عصرت العكة واعدام بركة الشعير حين كاله ان عصرها وكيله مضاد للتسليم والتوكل على رزق
الله تعالى وبتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة وتكلف الاحاطة باسرار حكم الله تعالى وفضله
فعوقب فاعله بزواله قاله النووي وعن ابي يعلى سمرة بن جندب قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قلنا فما كانت تمد قال من اي شي تعجب ما كانت
تمد الا من ههنا واشار بيده الى السماء رواه الترمذي والدارمي وعنه اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة
فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد اخرون فقال رجل لسمرة هل كانت تمد قال
تمد الا من ههنا واشار الى السماء رواه الدارمي وابن ابي شيبة والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه وابو
نعيم وفي حديث عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر الحديث انه
عجن صاع وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال ايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له
حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير
رواه البخاري وعن ابي هريرة قال امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادعو اهل الصفة فتتبعتهم
حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها
اثر الاصابع رواه ابن ابي شيبة والطبراني وابو نعيم وعن علي ابن ابي طالب جمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من
طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب منه رواه ابو نعيم
ومن ذلك ابراه ذوي العاهات واحيا الموتى وكلامهم وكلام الصبيان وشهادتهم له صلى الله عليه وسلم بالنبوة
روى البيهقي في الدلائل انه صلى الله عليه وسلم دعى رجلا الى الاسلام فقال لا اومن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارني قبرها فاراه اياه فقال صلى الله عليه وسلم يا فلانة فقالت لبيك وسعديك

فقال

فقال صلى الله عليه وسلم اتحبين ان ترجعين الى الدنيا فقالت لا والله يا رسول الله اني وجدت الله
خيرا لي من ابوي ووجدت الاخرة خيرا لي من الدنيا وروى الطبراني عن عايشة ان النبي صلى الله عليه
وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فاقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا فقال سالت ربي عز وجل
فاحيى لي امي فامنت بي ثم ردها وكذا روي من حديث عايشة ايضا احيا ابويه صلى الله عليه وسلم حتى امنا
به اورده السهيلي وكذا الخطيب في السابق واللاحق لكن قال السهيلي ان في اسناده مجاهيل وقال
ابن كثير انه منكر جدا وتقدم البحث في ذلك فيما ولي المقصد الاول وعن انس ان شابا من الانصار
توفي وله ام عجوز عميا فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني
هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا ان كشف
الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا رواه ابن عدي وابن ابي الدنيا والبيهقي وابو نعيم وعن النعمان بن بشير
قال كان زيد بن خارجة من سراة الانصار فبينا هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر
اذ خر فتوفي فاعلمت به الانصار فاتوه فاحتملوه الى بيته فسجوه كساء وبرد بين وفي البيت نساء من
الانصار يبكين عليه ورجال من رجالهم فمكث على حاله حتى اذا كان بين المغرب والعشاء الاخرة سمعوا صوتا
قايلا يقول انصتوا انصتوا فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب فحسروا عن وجهه وصدره فاذا القائل
يقول على لسانه محمد رسول الله النبي الامي خاتم النبيين لا نبي بعده كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق
صدق ثم قال هذا رسول الله السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته رواه ابو بكر بن ابي الدنيا
في كتاب من عاش بعد الموت وعن سعيد بن المسيب ان رجلا من الانصار توفي فلما كفن اتاه القوم يحملونه
تكلم فقال محمد رسول الله اخرجه ابو بكر بن الضحاك واخرج ابو نعيم ان جابرا ذبح شاة وطبخها
وثرد في جفنة واتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل القوم وكان صلى الله عليه وسلم يقول لهم كلوا
ولا تكسروا عظما انه عليه الصلاة والسلام جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قد
قامت تنفض اذنيها كذا رواه والله اعلم وعن معقب اليماني قال حججت حجة الوداع فدخلت دارا
بمكة فرايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورايت منه عجبا جاءه رجل من اهل اليمامة بغلام يوم ولد
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام من انا قال انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك
ثم ان الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب فكنا نسميه مبارك اليمامة رواه البيهقي من حديث معرض
بالضاد المعجمة قال ان امراة جاءت بابن لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
ان ابني به جنون وانه لياخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره فثع
ثعة وخرج من جوفه مثل الجرو الاسود يسعى رواه الدارمي وقوله ثع يعني قا واصيب يوم
احد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فاتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ان لي امراة احبها واخشى ان راتني تقذرني فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت لا ترمد
اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فساله عمر من انت فقال

ابونا الذي سالت على الخد عينه ... فردت بكف المصطفى ايما رد

Copyright © King Saud University

فعادت كما كانت لاول امرها ⁂ فياحسن ما عين ويا حسن ماخذ

فوصله عمر واحسن جايزته قال السهيلي ورواه محمد بن عثمان عن مالك بن انس عن محمد بن عبد الله عن ابن ابي صعصعة عن ابيه عن ابي سعيد عن اخيه قتادة بن النعمان قال اصيبت عيناي يوم احد فسقطتا على وجنتي فاتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطني هذا حديث عن مالك تفرد به عمار بن نصر وهو ثقة ورواه الدارقطني عن ابراهيم الحربي عن عمار بن نصير واخرج الطبراني وابو نعيم عن قتادة قال كنت يوم احد اتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اخرها سهما ندرت منه حدقتي فاخذتها بيدي وسعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راها في كفي دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا وفي البخاري في غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال اين علي بن ابي طالب فقالوا يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرا حتى كان لم يكن به وجع وعند الطبراني من حديث علي فما رمدت ولا صدعت مذ دفع الي رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وفي رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة عن ابيه قال فارسلني النبي صلى الله عليه وسلم الى علي فجيت به اقوده ارمد فبصق في عينيه فبرا وعند الحاكم من حديث علي قال فوضع صلى الله عليه وسلم راسي في حجره ثم بصق في راحتيه فدلك بهما عيني وعند الطبراني فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر قال فما اشتكيتهما حتى يومي هذا واصيب سلمة يوم خيبر بضربة في ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكاها قط رواه البخاري ونفث في عيني فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيا وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط في الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان رواه ابن ابي شيبة والبيهقي والطبراني وابو نعيم **الفصل الثاني فيما خصه الله تعالى به من المعجزات وشرفه به على ساير الانبياء من الكرامات والايات البينات** اعلم نور الله قلبي وقلبك وقدس سري وسرك ان الله تعالى قد خص نبينا صلى الله عليه وسلم باشيا لم يعطها نبي قبله وما خص نبي بشي الا وكان لنبينا صلى الله عليه وسلم مثله فانه اوتي جوامع الكلم وكان نبيا وادم بين الروح والجسد وغيره من الانبيا لم يكن نبيا الا في حال نبوته وزمان رسالته ولما اعطى هذه المنزلة علمنا انه صلى الله عليه وسلم المدد لكل انسان كامل مبعوث ورحم الله الاديب شرف الدين الابوصيري فلقد احسن حيث قال

وكل اي اتى الرسل الكرام بها ⁂ فانما اتصلت من نوره بهم

فانه شمس فضل هم كواكبها ⁂ يظهرن انوارها للناس في الظلم

قال العلامة ابن مرزوق يعني ان كل معجزة اتى بها كل واحد من الرسل فانما اتصلت بواحد منهم من نور محمد صلى الله عليه وسلم وما احسن قوله فانما اتصلت من نوره بهم فانه يعطي ان نوره صلى الله عليه وسلم لم يزل قايما به ولم ينتقص منه شي ولو قال فانما هي من نوره لتوهم انه وزع عليهم وقد لا يبقى له منه شي وانما كانت ايات كل واحد من نوره صلى الله عليه وسلم لانه شمس فضل هم

كواكب

كواكب تلك الشمس يظهرن اي تلك الكواكب انوار تلك الشمس للناس في الظلم فالكواكب ليست مضية بالذات وانما هي مستمدة من الشمس فهي عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الانبيا قبل وجوده عليه الصلاة والسلام كانوا يظهرون فضله فجميع ما ظهر على ايدي الرسل عليهم السلام سواه من الانوار فانما هو من نوره الفايض ومدده الواسع من غير ان ينتقص منه شي واول ما ظهر ذلك في ادم عليه السلام حيث جعله الله خليفة وامده بالاسما كلها من مقام جوامع الكلم التي لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم الاسما كلها على الملايكة القايلين اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ثم توالت الخلايف في الارض الى ان وصل الزمان لوجود صورة نبينا صلى الله عليه وسلم الشريف لاظهار حكم منزلته فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور وانطوى تحت منشور اياته كل اية لغيره من الانبيا ودخلت الرسالات كلها في صلب نبوته والنبوات كلها تحت لوا رسالته فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطي صلى الله عليه وسلم مثلها فادم عليه السلام اعطي ان الله خلقه بيده اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شرح صدره تولى الله تعالى شرح صدره بنفسه وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوي مع ان المقصود من خلق ادم خلق نبينا في صلبه فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المقصود وادم الوسيلة **واما سجود الملايكة** لادم عليه السلام فقال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره ان الملايكة امروا بالسجود لادم لاجل ان نور محمد صلى الله عليه وسلم كان في جبهته ولله در القايل

تخليت جل الله في وجه ادم ⁂ فصلى له الاملاك حين توصل

وعن ابي عثمان الواعظ فيما حكاه الفاكهاني سمعت الامام سهل بن محمد يقول هذا التشريف الذي شرف الله تعالى به محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية اتم واجمع من تشريف ادم عليه السلام بامر الملايكة له بالسجود لانه لا يجوز ان يكون الله مع الملايكة في ذلك التشريف فتشريف يصدر عنه ابلغ من تشريف تختص به الملايكة انتهى قال بعضهم واما تعليم ادم اسما كل شي فاخرج الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابي رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلت لي امتي في الما والطين وعلمت الاسما كلها كما علم ادم الاسما كلها فكما ان ادم علم اسما العلوم كلها كذلك نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد عليه واصل الله صلاته وسلامه عليه بمعانيها ولله در الابوصيري حيث قال

لك ذات العلوم من عالم الغيب ⁂ ومنها لادم الاسما

ولا ريب ان المسميات اعلا رتبة من الاسما لان الاسما يوتى بها لتبيين المسميات فهي المقصودة بالذات والى هذا الايما بقوله ذات العلوم والاسما مقصودة لغيرها فهي دونها ففضل العالم بحسب فضل معلومها واما ادريس عليه السلام فرفعه الله مكانا عليا فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المعراج ورفع الى مكان لم يرفع اليه غيره واما نوح عليه السلام فنجاه الله ومن معه من الغرق ونجاه من الخسف فاعطي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انه لم تهلك امته بعذاب من السما قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واما قول الفخر الرازي في تفسيره اكرم الله تعالى نوحا بان امسك سفينته على الما وفضل محمد

Copyright King Saud University

صلى الله عليه وسلم اعظم منه وروي انه صلى الله عليه وسلم كان على شط ماء فقعد عكرمة بن ابي جهل
فقال ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذي في الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق فاشار عليه الصلاة والسلام
فانقلع الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم وشهد له بالرسالة فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا فقال حتى يرجع الى مكانه فلم اره لغيره فالله اعلم بحاله واما ابراهيم الخليل عليه
السلام فكانت عليه نار النمرود بردا وسلاما فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نظيره ذلك اطفأ نار
الحرب عنه عليه السلام وناهيك بنار حطبها السيوف ووهجها الحتوف وموقدها الحسد ومطلبها
الروح والجسد قال الله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله فكم ارادوا ان يطفئوا النور بالنار
وابى الجبار الا ان يتم نوره وان يجعل شرورهم لمحمد عليه الصلاة والسلام سرورهم وظهوره ويذكر
انه عليه الصلاة والسلام مر ليلة المعراج على بحر النار الذي دون سماء الدنيا مع سلامته منه كما روي
مما رايته في بعض الكتب وروي النسائي ان محمد بن حاطب قال كنت طفلا فانصبت القدر علي واحترق
جلدي ومسح بيده على المحترق وقال اذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا لا باس بي واما ما اعطيه
ابراهيم عليه السلام من مقام الخلة فقد اعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد بمقام المحبة وقد روي
في حديث الشفاعة ان الخليل ابراهيم عليه السلام اذا قيل له اتخذك الله خليلا فاشفع لنا قال انما
كنت خليلا من وراء وراء اذهبوا الى غيري الى ان ينتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول انا
لها انا لها وهذا يدل على ان نبينا عليه الصلاة والسلام كان خليلا مع رفع الحجاب وكشف الغطاء ولو كان
خليلا من وراء وراء لاعتذر كما اعتذر ابراهيم عليه السلام وفيه تنبيه ظاهر على انه عليه الصلاة والسلام
فاز برؤية الحق سبحانه وكشف له الغطاء حتى راى الحق بعيني راسه كما سياتي البحث في ذلك ان شاء الله
في المقصد الخامس والملخص ان النبي صلى الله عليه وسلم نال درجة الخلة التي اشتهرت لابراهيم
عليه السلام على وجه نطق ابراهيم بان نصيبه منها من الخليل عليه السلام منه الاعلام بمفهوم قوله عن نفسه
انا كنت خليلا من وراء وراء فلم ينتفع فيه دليل على انه انما يشفع من كان خليلا لا من وراء وراء بل مع الكشف
والعيان وقرب المكانة من حظيرة القدس لا المكان وذلك مقام محمد صلى الله عليه وسلم بالدليل والبرهان
ومما اعطيه عليه السلام انفراده في اهل الارض بعبادة الله وتوحيده والانتصاب للاصنام بالكسر
والقسر اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كسرها باسرها بمحض من اولى نفرها بتصبيب لمن ماتكره الا
بقوة ربانية ومادة الهية اجتراءها بالانغماس من الفاس وما عول على المعول ولا عرض في القول
ولا تعرض من الصول بل قال جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ومما اعطيه
الخليل عليه السلام بناء البيت الحرام ولا خفا ان البيت جسد وروحه الحجر الاسود بل هو سويداء القلب بل
جاء انه يمين الرب كناية عن استلامه كما تستلم الايمان عند عقد العهود والايمان وقد اعطي سيدنا صلى
الله عليه وسلم ان قريشا لما بنت البيت بعد تقدمه ولم يبق الا وضع الحجر الاسود تنافسوا على الفخر العظيم
والمجد الفخيم ثم اتفقوا على ان يحكموا اول داخل فاتفق دخول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فقالوا
هذا الامين نحكمه في ذلك فامر ببسط ثوب ووضع الحجر فيه ثم امر ان يرفع كل بطن بطرف فرفعوه جميعا
ثم اخذه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فوضعه في موضعه فادخر الله تعالى له ذلك المقام ليكون منقبة

له

له على هذا الايام واما ما اعطيه موسى عليه السلام من قلب العصا حية غير ناطقة فاعطي سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم حنين الجذع وقد مرت قصته وحكى الامام في تفسيره وغيره انه لما اراد
ابو جهل ان يرميه عليه السلام بالحجر راى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا واما ما اعطيه موسى
عليه السلام من اليد البيضاء وكان نورا منها يغشى البصر فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه لم يزل نورا
ينتقل في اصلاب الآباء وبطون الامهات من لدن آدم الى ان انتقل الى عبد الله ابيه واعطى صلى الله
عليه وسلم قتادة ابن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به
فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه
الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج رواه ابو
نعيم واخرج البيهقي وصححه الحاكم عن انس قال كان عباد بن بشر واسيد بن حضير عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حاجة حتى ذهب من الليل ساعة وهي ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا
وبيد كل منهما عصا فاضاءت لهما عصا احدهما فمشيا في ضوئها حتى اذا افترقت بهما الطريق اضاءت
للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ هديه ورواه البخاري بنحوه في الصحيح
واخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وابو نعيم عن حمزة الاسلمي قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في سفر فتفرقنا في ليلة ظلماء فاضاءت اصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان اصابعي لتنير
ومما اعطيه موسى عليه السلام ايضا انفلاق البحر له اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر
فموسى تصرف في عالم الارض وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تصرف في عالم السماء والفرق بينهما واضح
وقال ابن المنير وذكر ابن حبيب ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف يكون بحر الارض بالنسبة اليه
كالقطرة من البحر المحيط قال فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم حتى جاوزه
يعني ليلة الاسرا قال وهو اعظم من انفلاق البحر لموسى عليه السلام ومما اعطي موسى عليه السلام اجابة
دعائه اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى ومما اعطيه موسى عليه الصلاة والسلام تفجير الماء
له من الحجارة اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان الماء تفجر من بين اصابعه وهذا ابلغ لان الحجر من جنس
الارض التي ينبع منها الماء ولم تجر العادة بنبع الماء من اللحم ورحم الله القائل

وكل معجزة للرسل قد سلفت ... وافى باعجب منها عند اظهار
فالعصي حية تسعى باعجب من ... شكوى البعير ولا من مس اشجار
ولا انفجار معين الماء من حجر ... اشد من سلسل من كفه جار

ومما اعطيه موسى عليه السلام الكلام واعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسراء
وزيادة الدنو وايضا كان مقام المناجاة في حق نبينا صلى الله عليه وسلم فوق السموات العلا
وسدرة المنتهى والمستوى وحجب النور والرفرف ومقام المناجاة لموسى عليه السلام طور سينا
واما ما اعطيه هرون عليه السلام من فصاحة اللسان فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من الفصاحة
والبلاغة بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل ولقد قال له بعض اصحابه ما رأينا الذي هو
افصح منك فقال وما يمنعني وما نزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقد كانت فصاحة هارون

سوادا

معجزة ام لا فالـــان المتبادر الظاهر انها لم تكن معجزة ولكن فضيلة ولم يتحد نبي من الانبيا بالفصاحة
الا نبينا صلى الله عليه وسلم لان هذه الخصوصية لا تكون لغير الكتاب العزيز وهل فصاحته عليه
الصلاة والسلام في جوامع الكلم التي ليست من التلاوة ولكنها معدودة من السنة هل تحدى
بها ام لا والظاهر قوله عليه الصلاة والسلام اوتيت جوامع الكلم انه من التحدث بنعمة الله عليه وخصائصه
ولا خلاف انها باعتبار ما اشتملت عليه من الاخبار بالمغيبات ونحوها معجزة واما ما اعطيه
يوسف عليه السلام من شطر الحسن فاعطي نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله وستاتي الاشارة الى
ذلك ان شا الله تعالى في مقصد الاسرا ومن تامل ما نقلته في صفته عليه الصلاة والسلام تبين
له من ذلك التفضيل التفضيل على كل مشهور بالحسن في كل جيل واما ما اعطيه يوسف ايضا
من تعبير الرويا فالذي نقل عنه من ذلك ثلاث منامات احدها حين راى احد عشر كوكبا
والشمس والقمر والثاني منام صاحبي السجن والثالث منام الملك وقد اعطي نبينا صلى الله عليه
وسلم من ذلك ما لا يدخله الحصر ومن تصفح الاخبار وتتبع الاثار وجد من ذلك العجب العجاب وستاتي
نبذة من ذلك ان شا الله تعالى واما ما اعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد له فكان اذا
مسح الحديد لان فاعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر في يده واورق ومسح صلى
الله عليه وسلم شاة ام معبد الجربا فبرات ودرت واما ما اعطيه سليمان عليه السلام من كلام الطير
وتسخير الشياطين والريح والملك الذي لم يعطه احد من بعده قط اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
مثله وزيادة اما كلام الطير فالوحش فنبينا صلى الله عليه وسلم كلمه الحجر وسبح في كفه الحصى وهو
جماد وكلمه ذراع الشاة وهي المسمومة كما تقدم في غزوة خيبر وكذلك كلمه الظبي وشكى اليه البعير
كما مر وروي ان طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على راسه ويكلمه فيقول ايكم فجع هذا بولده فقال
رجل انا فقال اردد ولده ذكره الرازي ورواه ابو داود بلفظ كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر
فانطلق لحاجته فراينا حمرة معها فرخان فاخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش اي تدنو من الارض
فجا النبي صلى الله عليه وسلم فقال من فجع هذه بولدها ردوا ولدها اليها الحديث وقصة كلام الذيب مشهورة
واما الريح التي كانت غدوها شهرا ورواحها شهرا تحمله اي اراد من اقطار الارض فقد اعطي سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم البراق الذي هو اسرع من الريح بل اسرع من البرق الخاطف فحمله من الفرش
الى العرش في ساعة زمانية واقل مسافة في ذلك سبعة الاف سنة وتلك مسافة السموات واما
الى المستوى والى الرفرف فذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى وايضا فالريح سخرت لسليمان لتحمله الى
نواحي الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض اي جمعت حتى راى مشارقها ومغاربها
وفرق بين من يسعى الى الارض وبين من تسعى له الارض واما ما اعطيه من تسخير الشياطين فقد
روي ان ابا الشياطين ابليس اعترض سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فامكنه الله منه
وربطه بسارية من سواري المسجد خنيما ونبه سليمان من ذلك اي ان الجن لمحمد صلى الله عليه وسلم
فسليمان استخدمهم ومحمد صلى الله عليه وسلم استتبعهم واما عدد الجن من جنود سليمان في قوله تعالى وحشر
لسليمان جنوده من الجن فخير منه عدد الملائكة جبريل ومن معه من جملة اجناده عليه الصلاة

والسلام

والسلام باعتبار الجهاد وباعتبار تكثير السواد على طريقة الاحاد واما عدد الطريقين من
جملة اجناده فاعجب منه حمامة الغار وتوكيرها في الساعة الواحدة وحمايتها له من عدوه
والغرض من استكثار الجند انما هو الحماية وقد حصلت من اعظم شي بايسر شي واما ما اعطيه
من الملك فنبينا صلى الله عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار صلى الله
عليه وسلم ان يكون نبيا عبدا ولله در القايل • يا خير عبد على كل الملوك ولي • واما
ما اعطيه عيسى عليه السلام من ابراء الاكمه والابرص واحيا الموتى فاعطي سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم انه رد العين الى مكانها بعدما سقطت فعادت احسن ما كانت وفي دلايل النبوة
للبيهقي قصة الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا اومن بك حتى تحيي لي ابنتي وفيه انه
صلى الله عليه وسلم اتى قبرها وقال يا فلانة فقالت لبيك وسعديك يا رسول الله الحديث
وقد مر وروي ان امراة معاذ بن عفرا وكانت برصا فشكت ذلك الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فمسح عليها بعصى فاذهب الله البرص منها ذكره الرازي وايضا فقد سبح الحصى
في كفه صلى الله عليه وسلم وسلم عليه الحجر وحن لفراقه الجذع وذلك ابلغ من تكليم الموتى لان
هذا من جنس ما لا يتكلم واما ما اعطيه عيسى ايضا من انه كان يعرف ما تخبيه الناس في بيوتهم فقد
اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى وسياتي من ذلك ان شا الله ما يكفي ويشفي •
واما ما اعطيه عيسى ايضا عليه السلام من رفعه الى السما فقد اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم
ذلك ليلة المعراج وزاد في الترقي لمزيد الدرجات وسماع المناجات والحظوة في الحضرة القدسية
بالمشاهدات وبالجملة فقد خص الله تعالى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم من خصايص التكريم
بما لم يعطه احدا من الانبيا عليهم الصلاة والتسليم وقد روى جابر عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل
احمر واسود واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما
رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل حيث كان ونصرت بالرعب مسيرة شهر واعطيت الشفاعة
رواه البخاري وفي رواية وبعثت للناس كافة وزاد البخاري في روايته في الصلاة عن محمد
ابن سنان من الانبيا وعند الامام احمد اعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي ولا اقوله فخرا وفيه
واعطيت الشفاعة فاخرتها لامتي فهي لمن لا يشرك بالله شيا واسناده كما قال ابن كثير جيد
وليس المراد حصر خصايصه صلى الله عليه وسلم في هذه الخمس المذكورة فقد روى مسلم من حديث
ابي هريرة مرفوعا فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وجعلت لي
الارض طهورا ومسجدا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون فذكر الخمسة المذكورة في حديث
جابر الا الشفاعة وزاد خصلتين وهما واعطيت جوامع الكلم وختم بي النبيون فتحصل منه ومن
حديث جابر سبع خصال ولمسلم ايضا من حديث حذيفة فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا
كصفوف الملائكة وذكر خصلة الارض كما تقدم قال وذكر خصلة اخرى وهذه الخصلة المبهمة
قد بينها ابن خزيمة والنساي وهي واعطيت هذه الايات من اخر سورة البقرة من كنز تحت العرش

Copyright King Saud University

ويتميز لاما حطه الله تعالى عن امته من الاصر وتحميل ما لا طاقة لهم به ورفع الخطا والنسيان
فصارت الخصال ستا ولاحمد من حديث علي اعطيت اربعا لم يعطهن احد من انبياء الله تعالى اعطيت
مفاتيح الارض وسميت احمد وجعلت امتي خير الامم وذكر خصلة التراب فصارت الخصال
ثنتي عشرة خصلة وعند البزار من وجه اخر عن ابي هريرة رفعه فضلت على الانبيا غفر لي ما تقدم
من ذنبي وما تاخر وجعلت امتي خير الامم واعطيت الكوثر وان صاحبكم لصاحب لوا الحمد يوم القيمة
تحته ادم فمن دونه وذكر ثنتين مما تقدم وله من حديث ابن عباس رفعه فضلت على الانبيا
بخصلتين كان شيطاني كافرا فاعانني الله عليه فاسلم ونسيت الاخرى فينتظم بهذا سبع عشرة
خصلة ويمكن ان يوجد اكثر من ذلك لمن امعن التتبع وقد ذكر ابو سعد النيسابوري في كتاب
شرف المصطفى ان عدد الذي خص به صلى الله عليه وسلم ستون خصلة وطريق الجمع انه يقال
لعله عليه الصلاة والسلام اطلع اولا على بعض ما اختص به ثم اطلع على الباقي ومن لا يرى
مفهوم العدد حجة يدفع هذا الاشكال من اصله وقد ذكر بعض العلما انه صلى الله عليه وسلم
اوتي ثلاثة الاف معجزة وخصيصية وقد اختلف في العلم بخصايصه عليه الصلاة والسلام فقال
الصيمري من الشافعية منع ابو علي بن خيران الكلام فيها لانه امر انقضى فلا معنى للكلام فيه
وقال امام الحرمين قال المحققون ذكر الاختلاف في مسايل الخصايص خبط غير مفيد فانه لا يتعلق
به حكم ناجز تمس اليه حاجة وانما يجري الخلاف فيما لا يوجد بد من اثبات حكم فيه فان الاقيسة
لا مجال لها والاحكام الخاصة يتبع فيها النصوص وما لا نص فيه فالخلاف فيه هجوم على الغيب
من غير فايدة وقال النووي في الروضة والمهذب بعد نقله هذين الكلامين وقال ساير
الاصحاب لا باس به وهو الصحيح لما فيه من زيادة العلم هذا كلام الاصحاب والصواب الجزم
بجواز ذلك بل باستحبابه ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا لانه ربما راى جاهل بعض الخصايص
ثابتة في الحديث الصحيح فعمل به اخذا باصل التاسي فوجب بيانها لتعرف فلا يعمل بها فاي فايدة
اهم من هذه واما ما يقع في ضمن الخصايص مما لا فايدة فيه اليوم فقليل لا تخلو ابواب الفتنة
عن مثله للتدرب ومعرفة الادلة وتحقيق الشي على ما هو عليه انتهى كلام النووي وقد تتبعت
ما شرف الله به نبينا صلى الله عليه وسلم من الخصايص والابانة واكرامه به من الفضايل والايات
والكرامات من كتب العلما كالخصايص لابن سبع وخصايص الروضة للنووي ومختصرها للحجازي
وشرح الحاوي لابن الملقن وشرح البهجة لشيخ الاسلام زكريا الانصاري واللفظ المكرم في
خصايص النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ قطب الدين الخيضري واستفدت منه كثيرا في فصل
المعجزات وما رايته اثناء مطالعتي لفتح الباري وشرح مسلم للنووي وشرح تقريب الاسانيد
للعراقي وغير ذلك مما يطول ذكره فتحصل لي منه الحاجة وقد قسمها غير واحد من الايمة
اربعة اقسام الاول ما اختص به صلى الله عليه وسلم من الواجبات والحكمة في ذلك زيادة
الزلفى والدرجات فانه لن يتقرب المتقربون الى الله تعالى بمثل اداء ما افترض عليهم قال بعضهم
خص الله نبيه عليه السلام بواجبات عليه لعلمه بانه اقوم بها منهم وقيل ليجعل اجره بها اعظم

فاختص

فاختص صلى الله عليه وسلم بوجوب صلاة الضحى على المذهب لكن قول عايشة في الصحيح ما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح سبحة الضحى يدل على ضعف انها كانت واجبة عليه قال الحافظ
ابن حجر ولم يثبت ذلك في خبر صحيح انتهى وسياتي مزيد لذلك ان شا الله تعالى في ذكر صلاة الضحى
من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام وهل كان الواجب عليه اقل الضحى او اكثرها او ادنى
الكمال قال الحجازي لا نقل فيه لكن في مسند احمد امرت بركعتي الضحى ولم تومروا بها ومنها
الوتر وركعتا الفجر كما رواه الحاكم في المستدرك وغيره ولفظ احمد والطبراني ثلاث علي فريضة
وهن لكم تطوع الوتر وركعتي الفجر وركعتا الضحى قال بعضهم وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام
صلى الوتر على الراحلة فهو من الخصايص ايضا كما سياتي فيما اختص به عليه الصلاة والسلام من المباحات
ان شا الله تعالى واجيب بانه يحتاج الى دليل وهل كان الواجب عليه اقل الوتر ام اكثره ام
ادنى الكمال قال الحجازي لم ار فيه نقلا والله اعلم ومنها صلاة الليل قال تعالى ومن الليل
فتهجد به نافلة لك اي على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك ومنها السواك
واستدلوا له بما رواه ابو داود من حديث عبد الله بن ابي حنظلة بن ابي عامر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم امر بالوضوء عند كل صلاة طاهرا او غير طاهر فلما شق ذلك عليه امر بالسواك لكل
صلاة وفي اسناده محمد بن اسحق وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس ومن حجة من لم يجعله واجبا
عليه ما رواه ابن ماجه في سننه من حديث ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جاءني
جبريل الا اوصاني بالسواك حتى خشيت ان يفرض علي وعلى امتي واسناده ضعيف وروى
احمد في مسنده من حديث واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت بالسواك
حتى خشيت ان يكتب علي واسناده حسن والخصايص لا تثبت الا بدليل صحيح قاله في شرح
تقريب الاسانيد ومنها الاضحية قال الله تعالى فصل لربك وانحر وروى الدارقطني والحاكم عن
ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي فرايض وهن لكم تطوع النحر والوتر وركعتا
الفجر ومنها المشاورة قال الله تعالى وشاورهم في الامر فظاهره الايجاب ويقال انه استحباب استمالة
للقلوب ومعناه استخرج اراهم ونقل البيهقي في معرفة السنن والاثار عن النص ان المشورة غير
واجبة عليه صلى الله عليه وسلم كما نبه عليه الحجازي وغيره واختلف في المعنى الذي لاجله امر الله
تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بالمشاورة مع كمال عقله وجزالة رايه وتتابع الوحي عليه ووجوب
طاعته على امته فقال بعضهم هو خاص في المعنى وان كان عاما في اللفظ اي شاورهم فيما ليس عندك فيه
من الله عهد يدل عليه قراءة ابن عباس وشاورهم في بعض الامر وقال الكلبي يعني ناظرهم في لقاء
العدو ومكايد الحرب عند الغزو وقال قتادة ومقاتل كانت سادات العرب اذا لم يشاوروا في
الامر شق عليهم فامر الله نبيه عليه الصلاة والسلام ان يشاورهم فان ذلك اعطف لهم واذهب
لاضغانهم واطيب لنفوسهم وقال الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكن اراد ان يستن
به من بعده وحكى القاضي ابو يعلى في الذي امر بالمشاورة فيه قولين احدهما في امر الدنيا
خاصة والثاني في امر الدين والدنيا وهو الاصح قاله المعافا في تفسيره والحكمة في المشاورة في الا

قال فإن قلت كان ركعتا الفجر واجبتين [illegible] على الراحلة [illegible]

وهذا ما [illegible] الضحى [illegible] الوتر [illegible]

التنبيه لهم على علل الاحكام وطريقا للاجتهاد وأخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب عن ابن
عباس قال لما نزلت وشاورهم في الامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله ورسوله
لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لامتي وعند الترمذي الحكيم من حديث عائشة رفعته ان الله
أمرني بمداراة الناس كما امرني باقامة الفرائض ومنها مصابرة العدو وان كثر عددهم ومنها
تغيير المنكر اذا رآه لكن قد يقال كل مكلف تمكن من تغييره يلزمه فيقال المراد انه لا يسقط
عنه صلى الله عليه وسلم بالخوف بخلاف غيره ومنها قضاء دين من مات مسلما معسرا روى مسلم حديث
انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته قال
النووي كان هذا القضاء واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وقيل تبرع منه والخلاف وجهان لاصحابنا
وغيرهم قال ومعنى الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال انا قائم بمصالحكم في حياة احدكم او موته
انا وليه في الحالين فان كان عليه دين قضيته من عندي ان لم يخلف وفاء وان كان له مال فلورثته
لا آخذ منه شيئا وان خلف عيالا محتاجين ضائعين فليأتوا الي فعلي نفقتهم ومؤنتهم انتهى وفي وجوب
قضائه على الامام من مال المصالح وجهان لكن قال الامام من استدان وبقي معسرا الى ان مات لم يقض
دينه من بيت المال فان كان ظلم بالمطل ففيه احتمال والاولى لا والله اعلم ومنها تخييره نسائه
صلى الله عليه وسلم في فراقه وامساكهن بعد ان اخترنه في احد الوجهين وترك التزوج عليهن والتبدل
بهن مكافأة لهن ثم نسخ ذلك لتكون المنة له عليه السلام عليهن قال الله تعالى يا ايها النبي قل
لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها الاية واختلف في تخييره لهن على قولين احدها
انه خيرهن بين الدنيا فيفارقهن او اختار الاخرة فيمسكهن ولم يخيرهن في الطلاق وهذا قول
الحسن وقتادة والثاني انه خيرهن بين الطلاق والمقام معه وهذا قول عائشة ومجاهد والشعبي
ومقاتل واختلفوا في السبب الذي لاجله خير صلى الله عليه وسلم نساءه على اقوال احدها ان
الله تعالى خيره بين ملك الدنيا ونعيم الاخرة على الدنيا فاختار الاخرة وقال اللهم احيني مسكينا
وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فلما اختار ذلك امره الله تعالى بتخيير نسائه لتكن
على مثل اختياره حكاه ابو القاسم الصيمري الثاني لانهن تغايرن عليه والثالث لان ازواجه طالبنه
وكان غير مستطيع فكان اولهن ام سلمة سألته سترا معلما وسألته ميمونة حلة يمانية وسألته
زينب ثوبا مخططا وهو البرد اليماني وسألته ام حبيبة ثوبا سحوليا وسألته كل واحدة شيئا الا
عائشة حكاه النقاش والرابع ان ازواجه عليه الصلاة والسلام اجتمعن يوما فقلن نريد ما يريد
النساء من الحلي فانزل الله تعالى اية التخيير حكاه النقاش ايضا وذلك انه لما نصر الله تعالى
رسوله وفتح عليه قريظة والنضير ظن ازواجه انه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم فقعدن
حوله وقلن يا رسول الله بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق
والمن قلبه لمطالبتهن له بتوسعة الحال وان يعاملن بما يعامل به الملوك والاكابر ازواجهم
فامره الله تعالى ان يتلو عليهن ما نزل فامرهن ليلا يكون لاحد منهن في الصبر على ما اختار
من خشونة العيش فلما اخترنه وصبرن معه عوضهن الله على صبرهن بامرين احدهما انه

اختياره

جعلهن

جعلهن امهات المؤمنين تعظيما لحقهن وتأكيدا لحرمتهن وتفضيلهن على سائر النساء
بقوله لستن كاحد من النساء والثاني ان حرم عليه طلاقهن والاستبدال بهن فقال
تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج الاية فكان تحريم طلاقهن
مستدام واما تحريم التزوج عليهن فنسخ قالت عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى احل له النساء يعني اللاتي حظر عليه وقيل الناسخ لتحريمهن قوله تعالى انا احللنا
لك ازواجك الاية وقال النووي في الروضة لما خيرهن فاخترنه كافأهن الله على
حسن صنيعهن بالجنة فقال فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما انتهى واما
اختصاصه صلى الله عليه وسلم بوجوب التخيير لنسائه بين التسريح والامساك لان الجمع بين
عدد منهن يوغر صدورهن بالغيرة التي هي من اعظم الالام وهو ايذاء يكاد ينفر القلب
ويوهن الاعتقاد وكذا الزامهن على الصبر والفقر يؤذيهن ومهما القي زمام الامر
اليهن خرج ان يكون ضررا فنزه عن ذلك منصبه العالي وقيل له يا ايها النبي قل
لازواجك ومنها اتمام كل تطوع شرع فيه حكاه في الروضة واصلها قال النووي
وهو ضعيف وفرعه بعض الاصحاب على انه كان يحرم عليه صلى الله عليه وسلم اذا لبس
لامته ان ينزعها حتى يلقى العدو ويقاتل ذكره في تهذيب الاسماء واللغات ومنها
انه صلى الله عليه وسلم اداء فرض الصلاة بلا خلل قاله الماوردي قال العراقي في شرح
المهذب انه كان معصوما عن نقص الفرض انتهى والمراد خلل لا يبطل الصلاة وقال
بعضهم كان يجب عليه صلى الله عليه وسلم اذا رأى ما يعجبه يقول لبيك ان العيش عيش
الاخرة ثم قال هذه كلمة صدرت منه صلى الله عليه وسلم في انعم حالة وهو يوم حجه
بعرفة وفي اشد حاله وهو يوم الخندق انتهى ومنها انه صلى الله عليه وسلم كان يؤخذ
عن الدنيا حالة الوحي ولا يسقط عنه الصوم ولا الصلاة وسائر الاحكام كما ذكره في
زوائد الروضة عن ابن القاص والقفال وكذا ذكره ابن سبع انه صلى الله عليه وسلم كان
يغان على قلبه فيستغفر الله سبعين مرة ذكره ابن القاص ونقله ابن الملقن في الخصائص
رواه مسلم وابو داود من حديث الاغر المزني بلفظ انه ليغان على قلبي واني لاستغفر
الله في اليوم مائة مرة هذا لفظ مسلم وقال ابو داود في كل يوم قال الشيخ ولي الدين
ابن العراقي والظاهر ان الجملة الثانية مرتبة على الاولى وان سبب الاستغفار الغين
ويدل لذلك قوله في رواية النسائي في عمل اليوم والليلة انه ليغان على قلبي حتى استغفر
الله كل يوم مائة مرة وفي رواية له ايضا فاستغفر الله والفاظ الحديث المختلفة يفسر
بعضها بعضا ويحتمل من حيث اللفظ ان تكون الجملة الثانية كلاما براسه غير متعلقة بما
قبله فيكون عليه الصلاة والسلام اخبر بانه يغان على قلبه وبانه يستغفر الله في اليوم
مائة مرة انتهى وقال ابو عبيد اصل الغين في هذا ما يغشى القلب ويغطيه واصله من
غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية

كان يلزمه

Copyright © King Saud University

كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهوا فلا يمنع ضوء الشمس قال القاضي عياض بعد حكايته ذلك فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حالته عند خلوص قلبه وخلو همته وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه راى عليه الصلاة والسلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك قال وهذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنا ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترة والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ انتهى وتعقب بانه لا يرتضى نسبته صلى الله عليه وسلم الى ذلك لما يلزم عليه من تفضيل الملائكة بعدم الفترة عن التسبيح والمشاهدة ولقوله عليه السلام لست انسى ولكني انسى لاسن فليست فترة وانما هي لحكمة مقصودة يثبت بها حكم شرعي فالاولى ان يحمل على ما حمله عليه وهو ما دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل وحمل كل اعباء النبوة وحمل اثقالها انتهى وقيل الغين شيء يعتري القلب مما يقع من حديث النفس قاله الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر وهذا اشار اليه الرافعي في اماليه وقال انه والده كان يقرره وقيل كانت حالة يطلع فيها على احوال امته فيستغفر لهم وقيل هو السكينة التي تغشى قلبه والاستغفار لاظهار العبودية لله والشكر لما اولاه قال شيخ الاسلام ابن العراقي ايضا هذه الجملة حالية اخبر عليه الصلاة والسلام انه يغان على قلبه مع ان حالة الاستغفار في اليوم مائة مرة وهي حال مقدرة لان الغين ليس موجودا في حال الاستغفار بل اذا جا الاستغفار اذهب ذلك الغين قال وعلى تقدير تعلق احدى الجملتين بالاخرى وان الثانية مسببة عن الاولى فيحتمل ان يكون هذا الغين تغطية للقلب عن امور الدنيا وحجابا بينه وبينها فيجتمع القلب حينئذ على الله تعالى ويتفرغ للاستغفار شكرا وملازمة للعبودية قال وهذا معنى ما قاله القاضي عياض انتهى ومراده قوله في الشفا وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته الى اخر كلامه قال الشيخ ابن العراقي وهو عندي كلام حسن جدا وتكون الجملة الثانية مسببة عن الاولى لا بمعنى انه يسعى بالاستغفار في ازالة الغين بل بمعنى ان الغين اصله محمود وهو الذي تسبب عنه الاستغفار وترتب عليه وهذا احسن الاقوال واحسنها لان الغين حينئذ وصف محمود وهو الذي نشا عنه الاستغفار وعلى الاول يكون الغين مما يسعى في ازالته بالاستغفار وما ترتب الاشكال وجا السؤال الا على تفسير الغين بذلك واهل اللغة انما فسروا الغين بالغشا فيحمله على غشا يليق بحاله صلى الله عليه وسلم وهو الغشا الذي يصرف القلب ويحجبه عن امور الدنيا لا سيما وقد رتب على الغشا امرا محمودا وهو

لبيت

الاستغفار

الاستغفار فكان هذا الامر الحسن الاغانة امر حسن انتهى وذكر الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في كتابه لطائف المنن ان الشيخ ابا الحسن الشاذلي قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فسالته عن هذا الحديث انه ليغان على قلبي فقال يا مبارك ذلك غين الانوار لا غين الاغيار القسم الثاني ما اختص به صلى الله عليه وسلم مما حرم عليه تحريم الزكاة عليه وكذا الصدقة على الصحيح المشهور المنصوص قال عليه السلام انا لا ناكل الصدقة رواه مسلم ومن قال باباحتها له يقول لا يلزم من امتناعه من اكلها تحريمه فلعله ترك ذلك تنزها مع اباحته له وهذا خلاف ظاهر الحديث قال شيخ الاسلام ابن العراقي في شرح التقريب وعلى كل حال ففيه ان من خصائصه عليه الصلاة والسلام الامتناع من اكل الصدقة اما وجوبا واما تنزها انتهى والحكمة في ذلك صيانة منصبه الشريف عن اوساخ اموال الناس ومنها تحريم الزكاة على آله صلى الله عليه وسلم وتحريم كون آله عاملا على الزكاة في الاصح وكذا تحريم صرف النذر والكفارة اليهم واما صدقة التطوع فتحل لهم في الاصح خلافا للمالكية وهو وجه عندنا ومنها انه يحرم عليه صلى الله عليه وسلم اكل ما له رائحة كريهة كثوم وبصل لتوقع مجي الملائكة والوحي والاكل متكيا في احد الوجهين فيهما والاصح في الروضة كراهتهما وتعقب البيهقي الاتكا فقال قد يكره لغيره ايضا لانه من فعل المتعظمين وقد تقدم مزيد لذلك ومنها تحريم الكتابة والشعر وانما يتجه القول بتحريمهما ممن يقول انه صلى الله عليه وسلم كان يحسنهما والاصح انه كان لا يحسنهما قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وما علمناه الشعر وما ينبغي له اي ما هو في طبعه ولا يحسنه ولا تقتضيه جبلته ولا يصلح له واجيب بان المراد تحريم التوصل اليهما وهل عدم الشعر خاص به عليه الصلاة والسلام او بنوع الانبيا قال بعضهم هو عام لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له لانه لا يظهر فيه للخصوص نكتة وتقدم في قصة الحديبية البحث في كونه عليه الصلاة والسلام كان يحسن الكتابة ام لا ومنها نزع لامته اذا لبسها حتى يقاتل او يحكم الله بينه وبين عدوه ومنها المن ليستكثر ذكره الرافعي قال الله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعط شيا لتعطى اكثر منه بل اعط لربك واقصد به وجهه فادبه باشرف الاداب قاله اكثر المفسرين وقال الضحاك ومجاهد هذا كان للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة وليس على احد من امته وقال قتادة لا تعط شيا لمجازاة الدنيا اي اعط لربك وعن الحسن لا تمنن على الله بعملك فتستكثره وقيل لا تمنن على الناس بالنبوة فتاخذ عليها اجرا وعوضا من الدنيا ومنها مد العين الى ما متع به الناس قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به اي استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم اي اشكالا واشباها من الكفار وهي المزاوجة بين الاشيا وهي المشاكلة وعن ابن عباس اصنافا منهم فانه مستحقر بالاضافة الى ما ادخره له فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات ومنها خائنة الاعين وهي الايما الى مباح من قتل او ضرب على خلاف ما يشعر به الحال كما قال عليه الصلاة والسلام في قصة رجل اراد قتله هلا اومات الينا بقتله فقال ما كان ينبغي لنبي ان تكون له خائنة الاعين ولا يحرم ذلك على غيره الا في محظور قاله الرافعي فيما نقله الحجازي في مختصر الروضة ومنها نكاح من لم تهاجر في احد الوجهين قال الله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن

فمنها

٢٣١

Copy … University

اي مهورهن لان المهاجر على البضع وتقييد الاحلال باعطايها مهرها لا يتوقف الحل عليه بل
لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك
وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك يعني من نساء زهرة اللاتي هاجرن معك اي الى المدينة قالوا
والمراد هاجرت كما هاجرت وان لم تكن هجرتها في حال هجرته عليه الصلاة والسلام وظاهره يدل على ان
الهجرة شرط في التحليل وان من لم تهاجر من النساء لم يحل له نكاحها وقالت ام هاني خطبني رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاعتذرت اليه بعذر فعذرني ثم انزل الله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الى
قوله اللاتي هاجرن معك قالت فلم اكن لاحل له فاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وعن بعض المفسرين
ان شرط الهجرة في التحليل منسوخ ولم يذكر ناسخه وعن الماوردي قولين احدهما ان الهجرة شرط
في احلال كل النساء له عليه السلام من غريبة وقريبة والثاني انها شرط في احلال بنات عمه وعماته
المذكورات في الاية وليس شرطا في احلال الاجنبيات وعنه ايضا ان المراد بالمهاجرات المسلمات
ومنها تحريم امساك من كرهته قاله الحجازي وغيره ومنها نكاح الكتابية لان ازواجه امهات
المومنين وزوجات له في الاخرة ومعه في درجته في الجنة ولانه صلى الله عليه وسلم اشرف من ان
يضع ماءه في رحم كافرة قالوا ولو نكح كتابية لهديت الى الاسلام كرامة له ومنها نكاح الامة المسلمة
ولو قدر نكاحه امة كان ولده منها حرا ولا تلزمه قيمته لتعذر الرق قاله القاضي حسين وقاله
ابو عاصم ثم نقله الحجازي ولا يشترط في حقه حينئذ خوف العنت ولا فقد الطول واما التسري بالامة
فالاصح الحل لانه صلى الله عليه وسلم استمتع بامته ريحانة قبل ان تسلم وعلى هذا فهل عليه تخييرها بين ان
تسلم فيمسكها او تقيم على دينها فيفارقها فيه وجهان احدهما نعم لتكون من زوجاته في الاخرة
والثاني لا لانه عرض على ريحانة الاسلام فابت لم يزلها عن ملكه واقام على الاستمتاع وقد اسلمت
بعد ومنها تحريم الاغارة اذا سمع التكبير كما ذكره ابن سبع في الخصايص القسم الثالث فيما اختص
به صلى الله عليه وسلم من المباحات اختص صلى الله عليه وسلم باباحة المكث في المسجد جنبا قاله
صاحب التلخيص ومنعه القفال قال النووي وما قاله في التلخيص قد يحتج له بقوله عليه الصلاة
والسلام في حديث ابي سعيد الخدري يا علي لا يحل لاحد ان يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك قال الترمذي
حسن غريب وقد يعترض على هذا الحديث بان عطية ضعيف عند الجمهور ويجاب بان الترمذي حكم بانه
حسن فلعله اعتضد بما اقتضى حسنه لكن اذا شاركه عليه الصلاة والسلام علي في ذلك لم يكن من الخصايص
وقد غلط امام الحرمين وغيره صاحب التلخيص في الاباحة واعلم ان معظم الاباحات لم يفعلها صلى الله
عليه وسلم ومما اختص به صلى الله عليه وسلم ايضا انه لا ينتقض وضوءه بالنوم مضطجعا وفي اللمس وجهان
قال النووي المذهب الجزم بانتقاضه به واستدل القايلون بالاول بنحو حديث عايشة عند ابي
داود ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل بعض ازواجه ولا يتوضا ورواه النساى ايضا وقال ابو
داود هو مرسل ابراهيم التيمي لم يسمع من عايشة وقال النساي ليس في هذا الباب حديث احسن من
هذا الحديث وان كان مرسلا واختص ايضا باباحة الصلاة بعد العصر فقد فاتته ركعتان بعد الظهر
فقضاهما بعد العصر ثم واظب عليهما ذكره الحجازي وبجواز صلاة الوتر على الراحلة مع وجوبه عليه كما ذكره

في شرح المهذب وعبارته كان من خصايصه صلى الله عليه وسلم فعل هذا الواجب الخاص به على الراحلة
وبالصلاة على الغايب عند ابي حنيفة ومالك وبالقبلة في الصوم مع قوة الشهوة واختص ايضا باباحة
الوصال في الصوم كما سياتي وقال امام الحرمين هو قربة في حقه عليه الصلاة والسلام روى البخاري
من حديث عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بعض ازواجه وهو صايم وكان املككم لاربه
قال الحافظ ابن حجر فاشارت بذلك الى ان الاباحة لمن يكون مالكا لنفسه دون من لا يامن الوقوع
فيما يحرم قال وفي رواية حماد عند النساي قال الاسود قلت لعايشة ايباشر الصايم قالت لا قلت
اليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر وهو صايم قالت انه كان املككم لاربه قال وظاهر
هذا انها اعتقدت خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قاله القرطبي وهو اجتهاد منها ويدل على
انها لا ترى بتحريمها ولا بكونها من الخصايص ما رواه مالك في الموطا ان عايشة بنت طلحة كانت عند عايشة
فدخل عليها زوجها وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق فقالت له عايشة ما يمنعك ان تدنو
من اهلك فتلاعبها وتقبلها قال اقبلها وانا صايم قالت نعم وان ياخذ الطعام والشراب من مالكهما
المحتاج اليهما اذا احتاج ويجب على صاحبهما البذل ويفدي بمهجته مهجة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم ولو قصده ظالم وجب على من حضر ان يبذل نفسه
دونه صلى الله عليه وسلم كما وقاه طلحة بنفسه يوم احد واباحة النظر الى الاجنبيات وسياتي
ان شا الله تعالى في القسم الرابع حكم غيره عليه الصلاة والسلام وبجواز الخلوة بهن قال في فتح الباري
الذي وضح لنا بالادلة القوية ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم جواز الخلوة بالاجنبية والنظر اليها
ويدل له قصة ام حرام بنت ملحان في دخوله صلى الله عليه وسلم ونومه عندها وتفليتها راسه ولم
يكن بينهما محرمية ولا زوجية انتهى ومنها نكاح اكثر من اربع نسوة وكذلك الانبيا وفي الزيادة
لنبينا صلى الله عليه وسلم على التسع خلاف وبجواز له النكاح بلفظ الهبة من جهة المراة قال تعالى وامراة
مومنة ان وهبت نفسها للنبي واما من جهته عليه الصلاة والسلام فلا بد من لفظ الانكاح او التزويج
على الاصح في اصل الروضة وحكاه الرافعي عن ترجيح الشيخ ابي حامد لظاهر قوله تعالى ان اراد النبي
ان يستنكحها خالصة قال البيضاوي ونصب قوله وامراة مومنة الاية اي اعلمنا لك حل امراة مومنة
تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في ذلك والقايل به ذكر انها ميمونة
بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم قال وقرى
ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت لقولك اجلس ما دام زيد جالسا قال وقوله ان اراد
النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا يوجب له الا ان اراد
نكاحها فانها جارية مجرى القبول قال والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي صلى الله عليه وسلم
مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون المومنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير
لاستحقاقه الكرامة لاجله انتهى وقال الماوردي في معنى خالصة ثلاثة اقوال احدها ان المراة
اذا وهبت نفسها له لم يلزمه صداقها دون غيره من المومنين قاله انس بن مالك وابن المسيب
والثاني ان له ان ينكحها بلا ولي ولا شهود دون غيره قاله قتادة والثالث خالصة لك ان تملك

Copyright King Saud University

عقد نكاحها بلفظ الهبة دون المؤمنين قال وهذا قول الشافعي واحمد وعن ابي حنيفة
ينعقد النكاح بلفظ الهبة لغيره صلى الله عليه وسلم ايضا وكذا يجوز له عليه الصلاة والسلام
النكاح بلا مهر ابتدا وانتهاكما تقدم ان المراة اذا وهبت نفسها له عليه الصلاة والسلام النكاح بلا
مهر ابتدا وانتهاكما تقدم لا يلزمه صداقها قال النووي اذا وهبت امراة نفسها له عليه
الصلاة والسلام لا يلزمه فتزوجها بلا مهر حل له ذلك ولا يجب عليه بعد ذلك مهرها بالدخول
ولا بغير ذلك بخلاف غيره فانه لا يخلو نكاحه من وجوب مهر اما مسمى واما مهر المثل والله اعلم
وكذا يجوز له النكاح في حال الاحرام قال النووي في شرح مسلم قال جماعة من اصحابنا انه صلى الله
عليه وسلم كان له ان يتزوج في حال الاحرام وهو مما خص به دون الامة قال وهذا اصح الوجهين
عند اصحابنا انتهى وكذا يجوز له صلى الله عليه وسلم النكاح بغير رضى المراة فلو رغب في نكاح امراة خلية
لزمها الاجابة وحرم على غيره خطبتها او متزوجة وجب على زوجها طلاقها قال الغزالي ولعل
السر فيه من جانب الزوج امتحان ايمانه بتكليفه النزول عن اهله فانه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه واهله وولده والناس اجمعين ويدل لهذه الخصيصة
قصة زينب بنت جحش بنت عمته صلى الله عليه وسلم اميمة بنت عبد المطلب المنصوص عليها بقوله
تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه اي بالاعتاق بتوفيق الله لك وهو زيد بن
حارثة الكلبي وكان من سبي الجاهلية فملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة واعتقه وتبناه
وخطب له زينب فابت هي واخوها عبد الله ثم رضيا لما نزل قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
الاية وكان الرجل في الجاهلية وصدر في الاسلام اذا تبنى ولد غيره يدعوه الناس به ويرث
ميراثه وحرم عليه زوجته فنسخ الله تعالى التبني بقوله تعالى ادعوهم لاباهم وبهذه القصة ليثبت
الحكم بالقول والفعل فاوحى الله تعالى اليه ان زيدا سيطلقها وانه صلى الله عليه وسلم يتزوجها والقى
في قلب زيد كراهتها فاراد فراقها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق صاحبتي
قال ما لك ارابك منها شي قال لا والله يا رسول الله ما رايت منها الا خيرا ولكن تتعظم علي بشرفها
وتؤذيني بلسانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله اي في امرها
فلا تطلقها ضرارا او تعللا فلما قضى زيد منها وطرا ولم تبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت
عدتها زوجها الله تعالى له كما قال تعالى زوجناكها والمعنى انه امره بتزوجها اسنده او جعلها زوجته
بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تولى نكاحي
وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل ان زيدا كان السفير للتزويج وفي ذلك لزيد ابتلاء عظيم وشاهد
بين على قوة ايمانه وقد علل تعالى تزويجه اياها بقوله لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج
ادعيائهم اي في ان يتزوجوا زوجات من كانوا يتبنونه اذا فارقوهن وان هولاء الزوجات ليست
داخلات فيما حرم في قوله وحلائل ابنائكم واما قوله وتخفي في نفسك فمعناه ان علمك انه سيطلقها
فعاتبه الله تعالى على هذا القدر في شي اباحه له بان قال امسك عليك زوجك مع علمه بانه سيطلقها
وهذا مروي عن علي بن الحسين وعليه اهل التحقيق من المفسرين كالزهري وبكر بن العلاء والقاضي

اي بنعمة الاسلام وهي اجل النعم صح

ابي بكر

ابي بكر بن العربي وغيرهم والمراد بقوله وتخشى الناس انما هو في ارجاف المنافقين في تزويج
نساء الابنا والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم في الحركات والسكنات ولبعض المفسرين هنا كلام لا يليق
بمنصب النبوة وقيل قوله اتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه خطاب من الله تعالى دون
الرسول عليه السلام لزيد وانه اخفى الميل اليها واظهر الرغبة عنها لما توهم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يريد ان تكون من نسائه قال جار الله وكم من شي مباح يتحفظ الانسان منه ويستحي من
اطلاع الناس عليه فطموح قلب الانسان الى بعض مشتهاته في امراة وغيرها غير موصوف بالقبح
في العقل ولا في الشرع وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها
من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل منهم عن امراته
لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها اخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم
الانصار بكل شي حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احداهما وانكحها المهاجري فاذا
كان الامر مباحا من جميع جهاته لم يكن فيه وجه من وجوه القبح انتهى وكذا يجوز له عليه السلام
النكاح بلا ولي وبلا شهود قال النووي المشهور الصحيح عند اصحابنا صحة نكاحه عليه السلام
بلا ولي ولا شهود لعدم الحاجة الى ذلك في حقه عليه السلام وهذا الخلاف في غير زينب اما زينب
فمنصوص عليها والله اعلم قال العلماء انما اعتبر الولي للمحافظة على الكفاءة وهو صلى الله عليه
وسلم فوق الاكفاء وانما اعتبر الشهود لامن الجحود وهو عليه الصلاة والسلام لا يجحد ولو جحدت هي
لم يرجع الى قولها بل قال العراقي في شرح المهذب تكون كافرة بتكذيبه وكان له صلى الله عليه وسلم
تزويج المراة ممن شا بغير اذنها واذن وليها وله اجبار الصغيرة من غير بناته وزوج ابنة حمزة
مع وجود عمها العباس فيقدم على الاب وزوجه الله تعالى بزينب فدخل عليها بتزويج الله بغير
عقد من نفسه وعبر في الروضة عن هذا بقوله وكانت المراة تحل له بتحليل الله تعالى وانه اعتق امته
صفية وجعل عتقها صداقها وقد اختلف في معناه فقيل انه اعتقها بشرط ان يتزوجها فوجب له
عليها قيمتها وكانت معلومة فتزوجها بها ويؤيده قوله في رواية عبد العزيز بن صهيب سمعت انسا
قال سبا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية فاعتقها وتزوجها فقال ثابت لانس ما اصدقها قال
نفسها فاعتقها هكذا اخرجه البخاري في المغازي وفي رواية حماد عن ثابت وعبد العزيز عن انس
في حديث قال وصارت صفية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها فقال
عبد العزيز لثابت يا ابا محمد انت سالت انسا ما امهرها قال امهرها نفسها فتبسم فهو ظاهر جدا
في ان المجعول مهرا هو نفس العتق والتاويل الاول لا باس به فانه لا منافاة بينه وبين القواعد
حتى لو كانت القيمة مجهولة فان في صحة العقد بالشرط المذكور وجها عند الشافعية وقال اخرون
بل جعل نفس العتق المهر ولكنه من خصائصه وممن جزم بذلك الماوردي وقال اخرون قوله
اعتقها وتزوجها معناه اعتقها ثم تزوجها فلما لم يعلم انه ساق لها صداقا قال اصدقها نفسها
ولم يعد قيمتها شيئا فيما نعلم ولم ينف اصل الصداق ومن ثم قال ابو الطيب الطبري من الشافعية وابن
المرابط من المالكية ومن تبعهم انه قول انس قاله ظنا من قبل نفسه ولم يرفعه ويعارضه ما اخرجه

Copyright … University

الطبراني وابو الشيخ من حديث صفية نفسها قالت اعتقني النبي صلى الله عليه وسلم وجعل عتقي صداقي
وهذا موافق لحديث انس وفيه رد على من قال ان انسا قال ذلك بناء على ظنه ويحتمل ان يكون اعتقها
بشرط ان ينكحها من غير مهر فلزمها الوفاء بذلك وهذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره ويحتمل
انه اعتقها بغير عوض وتزوجها بغير مهر في الحال ولا في المآل قال ابن الصلاح معناه ان العتق حل محل
الصداق وان لم يكن صداقا قال وهذا كقولهم الجوع زاد من لا زاد له قال وهذا الوجه اصح الاوجه
واقربها الى لفظ الحديث وتبعه النووي في الروضة وممن جزم بان ذلك كان من الخصائص يحيى بن اكثم
فيما اخرجه البيهقي قال وكذا نقله المزني عن الشافعي قال وموضع الخصوصية انه اعتقها مطلقا
وتزوجها بغير مهر ولا شهود وهذا بخلاف غيره انتهى وقال النووي في شرح مسلم الصحيح الذي
اختاره المحققون انه اعتقها تبرعا بلا عوض ولا شرط ثم تزوجها برضاها بغير صداق والله اعلم
قاله شيخ الحافظ ابن حجر واختلف في انحصار طلاقه صلى الله عليه وسلم في الثلاث وعلى الحصر قيل
تحل له من غير محلل وقيل لا تحل له ابدا وكان له نكاح المعتدة في احد الوجهين قال النووي الصواب
القطع بامتناع نكاح المعتدة من غيره والله اعلم وفي وجوب نفقة زوجاته وجهان قال النووي الصحيح
الوجوب انتهى ولا يجب عليه القسم فيما قاله طوائف من اهل العلم وبه جزم الاصطخري من الشافعية
والمشهور عندهم وعند الاكثرين الوجوب وفي حل الجمع له بين المراة وخالتها او عمتها وجهان لا اختها
وبنتها وامها قالوا ومرجع غالب هذه الخصائص الى ان النكاح في حقه كالتسري في حقنا وكان له عليه
السلام ان يصطفي ما شاء من المغنم قبل القسمة من جارية وغيرها وابيح له القتال بمكة والقتل بها
وجواز دخول مكة بغير احرام مطلقا ذكره ابن القاص واستدلوا له بحديث انس عند الستة
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وعلى راسه المغفر وذلك من كونه عليه السلام كان مستور
الراس بالمغفر والمحرم يجب عليه كشف راسه ومن تصريح جابر وغيره والزهري بانه لم يكن محرما
وابدى ابن دقيق العيد لستر الراس احتمالا فقال يحتمل ان يكون لعذر انتهى وتعقبه الشيخ ولي الدين
ابن العراقي فقال هذا يرده تصريح جابر وغيره قال وهذا الاستدلال في غير موضع الخلاف
المشهور لانه عليه السلام كان خائفا من القتال متاهبا ومن كان كذلك فله الدخول عندنا بلا
احرام بلا خلاف عندنا ولا عند احد نعلمه وقد استشكل النووي في شرح المهذب ذلك لان
مذهب الشافعي ان مكة فتحت صلحا خلافا لابي حنيفة في قوله انها فتحت عنوة وحينئذ فلا خوف
ثم اجاب عنه بانه عليه السلام صالح ابا سفيان وكان لا يامن غدر اهل مكة فدخلها صلحا وهو
متاهب للقتال ان غدروا انتهى وقد ذكرت ما في فتح مكة من المباحث في قصة فتحها من المقصد
الاول ثم ان غيره صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن خائفا فقال اصحابنا ان لم يتكرر دخوله ففي وجوب
الاحرام عليه قولان اصحهما عند جمهورهم انه لا يجب وقطع به بعضهم فان تكرر دخوله كالحطابين
ونحوهم ففيه خلاف مرتب واولى بعدم الوجوب وهو المذهب وقال الحنابلة بوجوب الاحرام الا على
الخائف واصحاب الحاجات المتكررة واوجبه المالكية في المشهور عندهم على غير ذوي الحاجات المتكررة
واوجبه الحنفية مطلقا الا من كان داخل الميقات وقد عرف ان المشهور من مذهب الشافعي عدم

الوجوب

الوجوب مطلقا ومن مذاهب الائمة الثلاثة الوجوب الا فيما يستثنى ومن خصائصه
صلى الله عليه وسلم انه كان يقضي بعلمه من غير خلاف وان يقضي لنفسه ولولده ولا يكره له الفتوى (وان يشهد لنفسه ولولده ح)
والقضاء في حال الغضب كما ذكره النووي في شرح مسلم وقد قضى للزبير بشراج الحرة بعد ان اغضبه
خصم الزبير لعصمته صلى الله عليه وسلم فلا يقول في الغضب الا كما يقول في الرضا وكان له ان يدعو
من شاء بلفظ الصلاة وليس لنا ان نصلي الا على نبي او ملك وكان له ان يقتل بعد الامان وان يلعن
من شاء بغير سبب واستبعد ذلك وجعل الله تعالى شتمه ولعنه قربة للمشتوم والملعون لدعائه
عليه السلام قاله ابن القاص ورده عليه حكاه الحجازي في مختصر الروضة عن نقل الرافعي وكان
يقطع الاراضي قبل فتحها لان الله ملكه الارض كلها وافتى الغزالي بكفر من عارض اولاد تميم
الداري فيما اقطعهم وقال انه صلى الله عليه وسلم كان يقطع ارض الجنة فارض الدنيا اولى القسم
الرابع فيما اختص به صلى الله عليه وسلم من الفضائل والكرامات منها انه اول النبيين
خلقا كما تقرر في اول هذا الكتاب وانه كان نبيا وادم بين الروح والجسد رواه الترمذي من
حديث ابي هريرة ومنها انه اول من قال بلى يوم الست بربكم رواه ابو سهل القطان في جزء
من اماليه ومنها ان ادم وجميع المخلوقات خلقوا لاجله رواه البيهقي وغيره ومنها ان الله كتب
اسمه الشريف على العرش وعلى كل سما وعلى الجنان وما فيها رواه ابن عساكر عن كعب الاحبار ومنها
ان الله تعالى اخذ الميثاق على النبيين ادم فمن بعده ان يؤمنوا به وينصروه قال الله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن
به ولتنصرنه قال ابن ابي طالب لم يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد
صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وياخذ العهد بذلك على قومه ومنها
انه وقع التبشير به في الكتب السالفة كما سياتي ان شاء الله تعالى ومنها انه لم يقع في نسبه من لدن
ادم سفاح رواه البيهقي والطبراني في الاوسط وابو نعيم في الدلائل ومنها انه نكست الاصنام
لمولده رواه الخرائطي في الهواتف وغيره ومنها انه ولد مختونا مقطوع السرة رواه الطبراني
وتقدم ما فيه من البحث في اول الكتاب ومنها انه خرج نظيفا ما به قذر رواه ابن سعد ومنها
انه وقع الى الارض ساجدا رافعا اصبعه كالمتضرع المبتهل رواه ابو نعيم من حديث ابن عباس
ورات امه عند ولادته نورا خرج منها اضاءت له قصور الشام وكذلك ترى امهات الانبياء رواه
الامام احمد وكان مهده يتحرك بتحريك الملائكة كما ذكره ابن سبع في الخصائص وكان القمر يحدثه (عليه السلام ح)
في مهده ويميل حيث اشار اليه رواه ابن طغربك في النطق المفهوم وغيره وتكلم في المهد رواه
الواقدي وابن سبع وظللته الغمامة في الحر رواه ابو نعيم والبيهقي ومال اليه فيء الشجر اذا
سبق اليه رواه البيهقي ومنها شق صدره الشريف رواه مسلم وغيره وغطه جبريل عند ابتداء الوحي
ثلاث غطات عده بعضهم من خصائصه عليه السلام كما نقله الحافظ ابن حجر قال ولم ينقل عن احد
من الانبياء انه جرى له عند ابتداء الوحي ومنها ان الله تعالى ذكره في القران عضوا عضوا فقلبه
بقوله ما كذب الفؤاد ما راى وقوله نزل به الروح الامين على قلبك ولسانه بقوله وما ينطق

عن الهوى وقوله فانما يسرناه بلسانك ونص بقوله ما زاغ البصر وما طغى ووجهه بقوله
قد نرى تقلب وجهك في السماء ويده بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وظهره وصدره وعنقه ٢
بقوله الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك واشتق اسمه من اسم الله
المحمود ويشهد له ما اخرجه البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد قال كان ابو طالب
يقول • وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد • وهو مشهور لحسان بن ثابت
وسمي احمد ولم يسم به احد قبله رواه مسلم ولاحمد من حديث علي اعطيت اربعا لم يعطهن احد قبلي
وذكر منها وسميت احمد ومنها انه صلى الله عليه وسلم كان يبيت جائعا ويصبح طاعما يطعمه ربه
ويسقيه من الجنة كما سيأتي البحث فيه ان شاء الله تعالى في صيامه صلى الله عليه وسلم من متعبد
عباداته وكان يرى من خلفه كما يرى امامه رواه مسلم ويرى في الليل وفي الظلمة كما يرى بالنهار
والضوء رواه البيهقي وكان ريقه يعذب الماء الملح رواه ابو نعيم ويجزئ الرضيع رواه البيهقي
ومنها انه صلى الله عليه وسلم كان اذا مشى في الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا
على الالسنة ونطق به الشعراء في منظومهم والبلغاء في منثورهم مع اعتقاده بوجود اثر قدمي
الخليل ابراهيم عليه السلام في حجر المقام المنوه به في التنزيل في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام
ابراهيم البالغ تعيينه وانه اثره مبلغ التواتر القائل فيه ابو طالب

• وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة • على قدميه حافيا غير ناعل •

وما في البخاري من حديث ابي هريرة مرفوعا من معجزة تأثير ضرب موسى في الحجر ستا او سبعا
اذ فر بثوبه لما اغتسل اذ ما خص نبي بشيء من المعجزات والكرامات الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم
مثله كما نصوا عليه مع ما يؤيد ذلك وهو وجود اثرها في بغلته الشهباء على ما قيل في مسجد
بطيبة حتى عرف المسجد بها حيث يقال له مسجد البغلة وما ذاك الا من سره الساري فيها
ليكون ذلك اقوى من الايه واصح في الدلالة على اثباته عليه الصلاة والسلام بهذه الاية التي
اوتيها الخليل في حجر المقام على وجه اعلا منه بل قال الزبير بن بكار فيما نقله المجد الشيرازي
في المغانم المطابة بعد ذكره لاثر حافر البغلة ومسجدها في عرض هذا المسجد اثر كانه اثر مرفق
يذكر انه عليه الصلاة والسلام اتكا عليه ووضع مرفقه عليه وعلى حجر اخر اثر اصابع ولله در والناس يتبركون بها
الابوصيري حيث قال ض وقال السيد السمهودي
في كتابه وفا الوفا بعد ايراده ذلك قلت ولم اقف في ذلك على اصل الا ان ابن النجار قال في المساجد
التي ادركها خرابا بالمدينة ما لفظه ومسجدان قرب البقيع احدهما يعرف بمسجد الاجابة والثاني
يعرف بمسجد البغلة فيه اسطوان واحد وهو خراب وحوله نشز من الحجارة فيه اثر يقولون انه
اثر حافر بغلة النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابطه عليه الصلاة والسلام لا شعر عليه قال القرطبي
كان ابيض غير متغير اللون كما ذكره الطبري وعده في الخصائص وذكره بعض الشافعية لحديث انس
المتفق عليه انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الاستسقاء حتى يرى بياض ابطيه وقال الشيخ
جمال الدين الاسنوي في المهمات ان بياض الابط كان من خواصه صلى الله عليه وسلم انتهى قال

في

في شرح تقريب الاسانيد وما ادعاه من كون هذا من الخصائص يعرض فيه نظرا اذ لم يثبت
ذلك بوجه من الوجوه بل لم يرد ذلك في شيء من الكتب المعتمدة والخصائص لا تثبت
بالاحتمال ولا يلزم من ذكر انس وغيره بياض ابطيه ان لا يكون له شعر فان الشعر اذا
نتف بقي المكان ابيض وان بقي فيه اثار الشعر ولذلك ورد في حديث عبد الله بن اقرم
الخزاعي انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كنت انظر الى عفرة ابطيه اذا سجد
اخرجه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة وقد ذكر الهروي في الغريبين وابن الاثير
في النهاية ان العفرة بياض ليس بالناصع ولكن كلون عفرة الارض وهو وجهها وهذا يدل
على ان اثار الشعر هو الذي جعل المكان اعفر والا فلو كان خاليا من نبات الشعر جملة لم يكن
اعفر نعم الذي نعتقد فيه صلى الله عليه وسلم انه لم يكن لابطه رائحة كريهة بل كان نظيفا
طيب الرائحة كما ثبت في الصحيح وكان عليه السلام يبلغ صوته وسمعه ما لا يبلغه صوت غيره
ولا سمعه وكان تنام عينه ولا ينام قلبه رواه البخاري وما تثاءب قط كما رواه ابن ابي شيبة
والبخاري في تاريخه من مرسل يزيد بن الاصم قال ما تثاءب نبي قط ويؤيد ذلك ان التثاؤب
من الشيطان رواه البخاري وما احتلم قط وكذلك الانبياء رواه الطبراني وكان عرقه
اطيب من المسك رواه ابو نعيم وغيره واذا مشى مع الطويل طاله رواه البيهقي ولم يقع له
ظل على الارض ولا رئي له ظل في شمس ولا قمر ويشهد له انه لما سأل عليه السلام الله ان
يجعل في جميع اعضائه وجهاته نورا ختم بقوله واجعلني نورا وكان صلى الله عليه وسلم لا يقع
على ثيابه ذباب قط نقله الفخر الرازي ولا يمتص دمه البعوض كذا نقله الحجازي وغيره
الموارد ٢ وما اذاه القمل قاله ابن سبع في الشفا والسبتي في اعذب الموارد ومنها انقطاع الكهانة
عند مبعثه وحراسة السماء من استراق السمع والرمي بالشهب قال ابن عباس كانت الشياطين
لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى
عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها
فما منهم احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئ ابدا فمنهم من يقتله
ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري وهذا لم يكن ظاهرا
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكره احد قبل زمانه وانما ظهر في بدء امره وكان ذلك
اساس النبوة وقال قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرأيت قوله تعالى
وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية قال غلظت وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم
وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة بعد مبعثه وقيل ان النجم
ويعود ينقض ويرمي الشياطين ويعود الى مكانه ذكره البغوي ومنها انه اتي بالبراق ليلة الاسرى
مسرجا ملجما قيل وانما كانت الانبياء تركبه عريانا ومنها انه اسري به صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى وعرج به الى المحل الاعلى واراه من آيات ربه الكبرى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ
البصر وما طغى واحضر الانبياء له وصلى بهم وبالملائكة اماما واطلعه على الجنة والنار وغيرت هذه

Copyright King Saud University

والبيهقي ومنها انه راى الله تعالى بعينيه كما ياتي في مقصد الاسرا ان شا الله تعالى وجمع
الله تعالى له بين الكلام والروية وكلمه الله تعالى في الرفيع الاعلى وكلم موسى بالجبل ومنها
انه يجب علينا ان نصلي ونسلم عليه لاية ان الله وملايكته الخ ولم ينقل ان الامم المتقدمة كانت
يجب عليهم ان يصلوا على انبيايهم ومنها ان الملايكه تسير معه حيث سار يمشون خلف ظهره
وقاتلت معه كما مر في غزوة بدر وحنين ومنها انه اوتي الكتاب العزيز وهو امي لا يقرا ولا يكتب
ولا اشتغل بدارسة ومنها حفظ كتابه هذا من التبديل والتحريف حتى سعى كثير من الملحدة
والمعطله لا سيما القرامطة في تغييره وتبديل محكمه فما قدروا على اطفا شي من نوره ولا تغيير
كلمة من كلمه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه قال تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه الاية وكتابه يشتمل على ما اشتملت عليه جميع الكتب جامعا لاخبار القرون السالفة
والشرايع الدايرة مما كان لا يعلم منه القصه الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي
قطع عمره في تعلم ذلك ويسر تعالى حفظه لمتعلميه وقربه على متحفظيه كما قال تعالى ولقد يسرنا
القران للذكر وساير الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف بالجم الغفير على مرور السنين
عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها انه انزل على سبعة احرف تسهيلا
علينا وتيسيرا وشرفا ورحمة وخصوصية لفضلنا والزيادة والنقصان ونظيره قوله تعالى
في صفة القران لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا فان قلت هذه الاية تنفي الاختلاف فيه وحديث انزل القران على سبعة
احرف المروي في البخاري عن عمر يثبته فاجاب الجعبري في اول شرحه للشاطبية بان
المثبت اختلاف تغاير والمنفي اختلاف تناقض فمورد هما مختلف انتهى فان قلت لم اشتغلت
الصحابة بجمع القران في المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله تعالى فلا خوف عليه
فالجواب كما قال الرازي ان جمعهم للقران كان من اسباب حفظ الله تعالى اياه فانه تعالى
لما اراد حفظه قيضهم لذلك قال وقال اصحابنا وفي هذه الاية دلالة قوية على ان البسملة
اية من كل سورة لان الله تعالى قد وعد بحفظ القران والحفظ لا معنى له الا ان يبقى مصونا
عن التغيير ولما كان محفوظا عن الزيادة ولو جاز ان نظن بالصحابة انهم زادوا والواجب
ايضا ان نظن بهم النقصان وذلك يوجب خروج القران عن كونه حجة واختلف فيه
كيف يحفظ القران فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا مباينا لكلام البشر يعجز الخلق عن
الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو زادوا فيه او نقصوا منه تغير نظم القران فيظهر لكل العقلا
ان هذا ليس من القران وقال اخرون اعجز الخلق عن ابطاله وافساده بل قيض جماعة يحفظونه
ويدرسونه فيما بين الخلق الى اخر بقا التكليف وقال اخرون الحفظ هو ان احدا لو حاول ان
يغيره بحرف او نقطة لقال اهل الدنيا هذا كذاب حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له تغيير في شي
منه لقال الصبيان كلهم اخطات ايها الشيخ وصوابه كذا ولم يتفق لشي من الكتب مثل هذا الكتاب
فانه لا كتاب الا وقد دخله التصحيف والتغيير والتحريف وقد صان الله هذا الكتاب العزيز عن

جميع

جميع التحريف مع ان دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله وافساده
وانقضى الان ثمانيه وتسعون سنه وثمان ماية سنة وهو بحمد الله في زيادة من الحفظ ومنها
انه عليه السلام خص باية الكرسي وبالمفصل وبالمثاني وبالسبع الطوال كما في حديث ابن عباس
بلفظ واعطيت المثاني مكان التوراه والمبين مكان الانجيل والحواميم مكان الزبور وفضلت
بالمفصل رواه ابو نعيم في الدلايل وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران
العظيم وفي البخاري من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ام القران هي السبع المثاني والقران
العظيم سايره واختلفوا لم سميت مثاني فعن الحسن وابن عباس وقتاده لانها تثنى في الصلاة فتقرا
في كل صلاة وقيل لانها مقسومه بين الله وبين العبد نصفين نصفها ثنا ونصفها دعا كما في حديث
ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وقيل
لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وعن مجاهد لان الله تعالى استثناها وادخرها
لهذه الامة فما اعطاها غيرهم وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان السبع المثاني هي السبع الطوال
اولها سوره البقرة واخرها سورة الانفال مع التوبه وقال بعضهم سورة يونس بدل الانفال
قال ابن عباس انما سميت السبع الطول مثاني لان الفرايض والحدود والامثال والخبر
والعبر ثنيت فيها وقال طاوس القران كله مثاني قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها
مثاني وسمي القران مثاني لان القصص ثنيت فيه والله اعلم ومنها انه اعطي مفاتيح الخزاين
قال بعضهم وهي خزاين اجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبونه لذواتهم فكل ما ظهر من رزق
العالم فان الاسم الالهي لا يعطيه الا عن محمد صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح كما اختص تعالى
بمفاتيح الغيب فلا يعلمها الا هو واعطى هذا السيد الكريم منزلة الاختصاص باعطايه مفاتيح الخزاين
ومنها انه صلى الله عليه وسلم اوتي جوامع الكلم فالكلم جمع كلمة وكلمات الله لا تنفذ فالكلمة منه
كلمات ولما علم جوامع الكلم اعطي الاعجاز بالقران الذي هو كلام الله تعالى وهو المترجم عن الله فوقع
الاعجاز في الترجمة التي هي له فان المعاني المجردة عن المواد لا يتصور الاعجاز بها وانما الاعجاز
ربط هذه المعاني بصور الكلم القايم من نظم الحروف فهو لسان الحق وسمعه وبصره ومنها انه صلى
الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة قال بعضهم وهو من الكفت وهو الضم قال تعالى الم نجعل
الارض كفاتا اي تضم الاحيا على ظهرها والاموات في بطنها كذلك ضمت شريعته صلى الله
عليه وسلم جميع الناس فلا يسمع به احد الا لزمه الايمان به ولما سمع الجن القران تلي قالوا
انا سمعنا قرانا عجبا يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به الاية فعمت شريعته صلى الله عليه
وسلم الانس والجن وعمت رحمته التي ارسل بها العالم قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
فمن لم تنله رحمته فما ذلك من جهته وانما ذلك من جهة القابل فهو كالنور الشمسي افاض شعاعه
على الارض فمن استتر عنه في ركن وظل حجابا فهو الذي لم يقبل انتشار النور عليه وعدل عنه
فلم يرجع الى الشمس من ذلك منع انتهى فان قلت ان نوحا كان مبعوثا الى اهل الارض بعد
الطوفان فانه لم يبق الا من كان مومنا معه وقد كان مرسلا اليه وقد جا في حديث جابر وغيره

وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود وفي رواية الى الناس كافة
اجاب الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بان هذا العموم الذي حصل لنوح عليه السلام لم يكن
في اصل بعثته وانما اتفق للحادث الذي وقع وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك
ساير الناس واما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه
بذلك واما قول اهل الموقف لنوح كما صح في حديث الشفاعة انه اول رسول الى اهل الارض
فليس المراد به عموم بعثته بل اثبات ارساله وعلى تقدير ان يكون مرادا فهو مخصوص بتنصيصه
سبحانه وتعالى في عدة ايات على ان ارسال نوح كان الى قومه ولم يذكر انه ارسل الى غيرهم
واستدل بعضهم لعموم بعثته بكونه دعا على جميع من في الارض فاهلكوا بالغرق الا اهل السفينة
ولو لم يكن مبعوثا اليهم لما اهلكوا لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد ثبت
انه اول الرسل واجيب بجواز ان يكون غيره ارسل اليهم في اثناء مدة نوح وعلم نوح بانهم لم
يومنوا فدعا على من لم يومن من قومه وغيرهم فاجيب وهذا جواب حسن لكن لم ينقل انه
نبي في زمن نوح غيره ويحتمل ان يكون في معنى الخصوصية لنبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك
بقا شريعته الى يوم القيمة ونوح وغيره بصدد ان يبعث نبي في زمانه او بعده فينسخ
بعض شريعته انتهى واما قول بعض اليهود ان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انما هو مبعوث
الى العرب فوجب ان يكون كما يقوله حقا وقد ثبت بالتواتر انه كان يدعي انه رسول الله الى كل الناس
فلو كذبوه فيه لزم التناقض اشار اليه صاحب المعالم ومنها نصره صلى الله عليه وسلم بالرعب
مسيرة شهر والشهر قدر قطع القمر درجات الفلك المحيط فهو اسرع قاطع لعموم رعبه في قلوب
اعدايه فلا يقبل الرعب الا عدو مقصود ليتميز السعيد من الشقي ومفهوم هذا انه لم يوجد لغيره
النصر بالرعب في هذه المدة ولا في اكثر منها اما ما دونها فلا لكن لفظ رواية عمرو بن شعيب ونصرت
على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر والظاهر اختصاصه به مطلقا وانما جعل
الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده عليه السلام وبين احد من اعدايه اكثر من شهر وهذه الخصوصية
حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر وهل هي حاصلة لامته من بعده فيه احتمال
ومنها احلال الغنايم ولم تحل لاحد قبله وقد كان من تقدم على ضربين منهم من لم يوذن له في
الجهاد فلم تكن له مغانم ومنهم من اذن له فيه لكن كانوا اذا غنموا شيا لم يحل لهم ان ياكلوه وجات
نار فاحرقته قال بعضهم اعطي صلى الله عليه وسلم ما يوافق شهوة امته لان النفوس لها التذاذ
بها لكونها حصلت لهم عن قهر منهم لتحصيلها وغلبة فلا يريدون ان يفوتهم التنعم بها في مقابلة
ما قاسوه من الشدة والتعب ومنها جعل الارض له ولامته مسجدا وطهورا والمراد موضع
سجود اي لا يختص السجود منها بموضع دون غيره ويمكن ان يكون مجازا عن المكان المبني للصلاة
وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلاة في جميعها كان كالمسجد في ذلك وقيل المراد جعلت
لي الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيري مسجدا ولم تجعل له طهورا لان عيسى كان يسيح في الارض
ويصلي حيث ادركته الصلاة قاله ابن التين ومن قبله الداودي وقيل انما ابيح لهم في

موضع

موضع يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة فابيح لها في جميع الارض الا فيما تيقنوا نجاسته والاظهر
ما قاله الخطابي وهو ان من قبله انما ابيحت لهم الصلاة في اماكن مخصوصة كالبيع والصوامع
ويويده رواية عمرو بن شعيب بلفظ وكان من قبلي انما كانوا يصلون في كنايسهم وهذا نص
في موضع النزاع فيثبت الخصوصية ويويده ما رواه البزار من حديث ابن عباس نحو حديث جابر وفيه
ولم يكن من الانبيا احد يصلي حتى يبلغ محرابه قاله في فتح الباري ومنها ان معجزته عليه الصلاة والسلام
مستمرة الى يوم القيمة ومعجزات ساير الانبيا انقرضت لوقتها فلم يبق الا خبرها والقران العظيم
لم تزل حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة ومنها انه اكثر الانبيا معجزة قال القاضي عياض اما
كونها كثيرة فهذا القران كله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ايمة المحققين بسورة
انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وذهب
اخرون الى ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين قال القاضي والحق ما ذكرناه
اولا لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينظر من نظر وتحقيق يطول
بسطه واذا كان هذا ففي القران من الكلمات نحو من سبع وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم
وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء وكل واحد منها معجز في نفسه
ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان
فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون
في السورة الواحدة من هذه التجزية الاخبار عن اشيا من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف
العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القران
فلا يكاد ياخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه انتهى ومن ذلك انشقاق القمر
وتسليم الحجر وحنين الجذع ونبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ولو ثبت لواحد من
الانبيا مثل ذلك كما ذكره ابن عبد السلام وغيره وتقدم ما فيه من المباحث ومنها انه خاتم
الانبيا والمرسلين قال عليه السلام مثلي ومثل الانبيا قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه الا موضع
لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه
اللبنة فانا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين رواه البخاري ومسلم ومنها ان شرعه موبد الى يوم
الدين وناسخ لجميع شرايع النبيين وانه اكثر الانبيا تابعا كما قال عليه الصلاة والسلام فارجو ان
اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة رواه الشيخان من حديث ابي هريرة ومنها انه لو ادركه الانبيا
لوجب عليهم اتباعه كما سياتي تقريره ان شا الله ومنها انه ارسل الى الجن اتفاقا والدليل على ذلك
قبل الاجماع الكتاب والسنة قال الله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وقد اجمع المفسرون على دخول
الجن في هذه الاية وهو مدلول لفظها فلا يخرج عنه الا بدليل وان قيل ان الملايكة خارجون من
ذلك فلا يضر لان العام المخصوص حجة عند جمهور العلما والاصوليين ولو بطل الاستدلال بالعمومات
المخصوصة لبطل الاستدلال باكثر الادلة وقال تعالى في الاحقاف اجيبوا داعي الله فامر بعضهم
بعضا باجابته دليل على انه داع لهم وهو معنى بعثته اليهم الحجة للامر الايات واما السنة ففي

٢٣٧

Copyright King Saud University

صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست
فذكر منها وارسلت الى الخلق كافة فانه يشمل الجن والانس وحمله على الانس خاصة تخصيص
بغير دليل فلا يجوز والكلام فيه كالكلام في اية الفرقان اي ليكون للعالمين نذيرا فان قلت
ان قوله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم وما ارسلناك الا كافة للناس ظاهر في اختصاص رسالته
عليه السلام بالانس واحتمال غيرذلك عدول عن الظاهر فالجواب ان هذا انما يتمشى على مذهب
الدقاق القائل بان مفهوم اللقب حجة والناس من قبيل اللقب فان المسئلة المترجمة في الاصول
بمفهوم اللقب لا تختص باللقب بل الاعلام كلها واسما الاجناس كلها كذلك مالم تكن صفة والناس
اسم جنس غير صفة فلا مفهوم له فهذه الاية ليس فيها اصلا ما يفهم منه انه ليس رسولا الى غيرهم
الا على مذهب الدقاق بل ولا يتم على مذهبه المتمسك بهذا المفهوم ايضا لان الدقاق انما يقول
به حيث لم يظهر غرض اخر سواه في تخصيص ذلك الاسم وحيث ظهر غرض لا يقال بالمفهوم بل
يحمل التخصيص على حصول ذلك الغرض والغرض في الاية التعميم في جميع الناس وعدم اختصاص
الرسالة ببعضهم فلا يلزم نفي الرسالة عن غيرهم لا على مذهب الدقاق ولا على مذهب غيره وانما
خاطب الناس لانهم الذين تغلب رويتهم والخطاب معهم فمقصود الاية خطاب الناس والتعميم
فيهم لا النفي عن غيرهم وهذا اذا قلنا ان لفظ الناس لا يشمل الجن فان قلنا انه يشملهم فواضح
والاختلاف فيه مبني على الخلاف في اشتقاق الناس هل هو من النوس وهو الحركة او من الانس
ضد الوحشة فاذا قلنا بالاول اطلق على الفريقين ولكن استعماله في الانس اغلب فحيث اطلق
فالمراد به ولد ادم وان قلنا بالثاني فلا لانا لا نبصر الجن ولا نانس بهم فدخول الجن في الاية
اما ممتنع واما قليل فلا يحمل عليه وبهذا يتبين ضعف الاستدلال بها لكنها لا تدل على خلافه
واما قول الضحاك ومن تبعه ان الرسل الى الجن منهم لقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم
ياتكم رسل منكم فهو ظاهر الاية لكن لم يقل الضحاك ولا احد غيره باستمرار ذلك في هذه الملة وانما
محل الخلاف في ذلك في الملل المتقدمة خاصة واما في هذه الملة فنبينا صلى الله عليه وسلم هو المرسل
اليهم والى غيرهم ولم ينقل احد عن الضحاك ان رسل الجن منهم مطلقا ولا ينبغي ان ينسب اليه
ما خالف الاجماع على ان الاكثرين قالوا لم تكن الرسل الا من الانس ولم يكن من الجن قط رسول
لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللولو والمرجان وهما يخرجان
من الملح دون العذب وقيل الرسل من الجن رسل الرسل من بني ادم اليهم لا رسل الله لقوله تعالى
ولوا الى قومهم منذرين قاله بعض العلما ومنها انه ارسل الى الملائكة في احد القولين ورجحه
السبكي قال تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ولا نزاع ان المراد
من العبد ههنا محمد عليه الصلاة والسلام والعالم ما سوى الله تعالى فيتناول جميع المكلفين
من الجن والانس والملائكة وبطل بذلك قول من قال انه كان رسولا الى البعض دون البعض لان
لفظ العالمين يتناول جميع المخلوقات فتدل الاية على انه رسول الى جميع الخلق ولو قيل لمدعي
خروج الملائكة من هذا العموم اقم الدليل عليه ربما عجز عنه فانه يحتمل ان يكون من الملائكة

سنا نوره

من انذره صلى الله عليه وسلم اما ليلة الاسرا واما غيرها لكن لا يلزم من الانذار والرسالة اليهم في حق
خاص ان يكون بالشريعة كلها واذا قلنا ان الملائكة هم مومنوا الجن السماوية فاذا ثبت هذا القول
بعموم الرسالة للجن الذي قام الاجماع عليه لزم عموم الرسالة لهم لكن القول بان الملائكة من الجن قول
شاذ والجمهور على ان العالمين في اية الفرقان عام مخصوص بالانس والجن كما في حديث وارسلت
الى الخلق كافة المروي في مسلم وصرح الحليمي والبيهقي في الباب الرابع من شعب الايمان بانه عليه
السلام لم يرسل الى الملائكة وفي الباب الخامس عشر بانفكاكهم من شرعه وفي تفسير الامام فخر الدين
الرازي والبرهان النسفي حكاية الاجماع عند تفسير الفرقان على انه لم يكن رسولا اليهم حكاه
العلامة الجلال المحلي والله اعلم وعبارة النسفي ثم انهم قالوا هذه الاية تدل على احكام اولها ان قوله
ليكون للعالمين نذيرا يتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة لكنا اجمعنا على انه عليه
السلام لم يكن رسولا الى الملائكة بل يكون رسولا الى الجن والانس جميعا وقد تعقب الجلال المحلي
العلامة كمال الدين بن ابي شريف فقال اعلم ان البيهقي نقل ذلك عن الحليمي فانه قال هذا معنى كلام
الحليمي وفي قوله هذا اشعار بالتبري من عهدته وبتقدير انه لا اشعار فيه فلم يصرح بانه مرضي
عنده واما الحليمي فانه وان كان من اهل السنة فقد وافق المعتزلة في تفضيل الملائكة على
الانبيا عليهم السلام وما نقله عنه موافق لقوله بافضلية الملائكة فلعله بناه عليه واما ما ذكره
من حكاية الرازي والنسفي الاجماع على انه عليه السلام لم يكن مرسلا اليهم فقد وقع في نسخ من
تفسير الرازي لكنا بينا بدل اجمعنا على ان قوله اجمعنا ليس صريحا في اجماع الامة لان مثل هذه
العبارة تستعمل لاجماع الخصمين المتناظرين بل لو صرح به لمنع فقد قال الامام السبكي في
قوله ليكون للعالمين نذيرا قال المفسرون كلهم في تفسيرها الجن والانس وقال بعضهم
والملائكة انتهى وبالجملة فالاعتماد على تفسير الرازي والنسفي في حكاية الاجماع انفرادا حكاية
امر لا ينتهض حجة على طريقة علما النقل لان مدارك نقل الاجماع من كلام الايمة وحفاظ الامة
كابن المنذر وابن عبد البر ومن فوقهما في الاطلاع كالايمة اصحاب المذاهب المتبوعة ومن
يلحق بهما في سعة دايرة الاطلاع والحفظ والاتقان لما من الشهرة عند علما النقل بما يغني عن
بسط الكلام فيها واللايق بهذه المسئلة التوقف عن الخوض فيها على وجه يتضمن دعوى القطع
في شي من الجانبين انتهى ومنها انه ارسل رحمة للعالمين كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين قال السمرقندي يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق رحمة للمومن بالهداية ورحمة للمنافق
بالامان من القتل وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب اهلك الله من كذبه
ومحمد صلى الله عليه وسلم اخر من كذب به الى الموت او الى القيمة واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا
والاخرة فذاته عليه السلام كما روى رحمة تعم المومن والكافر كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال عليه السلام انما انا رحمة مهداة رواه الدارمي والبيهقي من حديث ابي هريرة وسيأتي
في المقصد السادس مزيد لذلك ان شا الله تعالى والله الموفق ومنها ان الله تعالى خاطب جميع
الانبيا باسمائهم فقال يا ادم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا زكريا يا عيسى ولم يخاطبه الا

Copyright King Saud University

يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر و منها انه حرم على الامة ندائه باسمه قال
تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا اي لا تجعلوا نداه وتسميته كندا بعضكم بعضا
باسمه ورفع الصوت به والندا وراي الحجرة ولكن قولوا يا رسول الله يا نبي الله مع التوقير والتواضع
وخفض الصوت وقيل لا تقيسوا دعاه اياكم على دعا بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة
و منها انه حبيب الله وجمع له بين المحبة والخلة وسياتي تحقيق ذلك وما فيه من المباحث في اخر المقصد
السادس ان شا الله تعالى و منها انه كلم بجميع اصناف الوحي كما نقل عن ابن عبد السلام وسبق تحقيقه في
المبحث من المقصد الاول و منها ان اسرافيل هبط عليه ولم يهبط على نبي قبله اخرج الطبراني من حديث
ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد هبط علي ملك من السما ما هبط على نبي قبلي ولا يهبط
على احد بعدي وهو اسرافيل فقال انا رسول ربك اليك امرني ان اخبرك ان شيت نبيا عبدا وان
شيت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فاومى الي ان تواضع فلو اني قلت نبيا ملكا لسارت الجبال معي ذهبا
و منها انه سيد ولد ادم رواه مسلم من حديث ابي هريرة بلفظ انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر
وبيدي لوا الحمد ولا فخر وانما قال ذلك اخبارا عما اكرمه الله تعالى به من الفضل والسودد وتحدثا
بنعمه الله عليه واعلاما لامته ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا اتبعه بقوله ولا فخر اي
ان هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله لم انلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي فليس لي ان افتخر بها
و منها انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام من خصايصه انه اخبره الله تعالى بالمغفرة ولم ينقل انه اخبر
الله تعالى بالمغفرة ولم ينقل انه اخبر احدا من الانبيا بمثل ذلك ويدل له قولهم في الموقف نفسي نفسي وقال
ابن كثير في تفسيره هذه الاية يعني اية الفتح لم يشاركه فيها غيره و قد اخرج ابو يعلى والطبراني والبيهقي
عن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا على اهل السما وعلى الانبيا قالوا فما فضله على اهل السما قال ان الله تعالى
قال لاهل السما ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا مبينا
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقد كتب له براة قالوا فما فضله على الانبيا قال ان الله قال
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس فارسله الى الانس والجن
و منها انه اكرم الخلق على الله فهو افضل من كل المرسلين وجميع الملايكة المقربين وسياتي الجواب عن قوله
عليه السلام في حديث ابن عباس عند مسلم ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونحو ذلك في
المقصد السادس ان شا الله تعالى و منها اسلام قرينه رواه مسلم من حديث ابن مسعود والبزار من
حديث ابن عباس و منها انه لا يجوز عليه الخطا كما ذكره ابن ابي هريرة والماوردي فقال قوم ولا الانبيا
حكاه النووي في شرح مسلم و منها ان الميت يسال عنه عليه الصلاة والسلام في قبره و عن عايشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسالون فاذا كان الرجل
الصالح اجلس فيقال له ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول محمد رسول الله الحديث رواه احمد والبيهقي
و منها انه حرم نكاح ازواجه من بعده قال الله تعالى وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات
حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن ازواج له في الاخرة وهذا في غير المخيرات

فمن

فمن اختارت منهن الدنيا ففي حلها للازواج طريقان احدهما طرد الخلاف والثاني القطع بالحل واختاره
الامام والغزالي وازواجه اللاتي مات عنهن محرمات على غيره ابدا وفي جواز النظر وجهان اشهرهما المنع
وتثبت لهن حكم الامومة في احترامهن وطاعتهن وتحريم نكاحهن لا في جواز الخلوة والنفقة والميراث
ولا يتعدى ذلك الى غيرهن فلا يقال بناتهن اخوات للمومنين على الاصح و قيل انما حرمن ازواجه
لانه عليه الصلاة والسلام حي في قبره ولهذا حكى الماوردي انه لا يجب عليهن عدة الوفاة وفي الذي
فارقها في الحيوة كالمستعيذة والتي راى بكشحها بياضا اوجه احدها يحرم ايضا وهو الذي نص عليه
الشافعي وصححه في الروضة لعموم الاية وليس المراد بمن بعده بعدية الموت بل بعدية النكاح وقيل لا والثالث
وصححه امام الحرمين والرافعي في الصغير تحريم المدخول بها فقط لما روي ان الاشعث بن قيس نكح المستعيذة
في زمن عمر فهم عمر برجمه فاخبر انه لم يكن مدخولا بها فكف وفي امة فارقها بعد وطيها اوجه ثالثها تحرم
ان فارقها بالموت كمارية ولا تحرم ان باعها في الحيوة انتهى و منها ما عده ابن عبد السلام انه يجوز ان يقسم
على الله به قال وليس ذلك لغيره قال ابن عبد السلام وهذا ينبغي ان يكون مقصورا على النبي صلى الله عليه
وسلم لانه سيد ولد ادم وان لا يقسم على الله بغيره من الملايكة والاوليا لانهم ليسوا في درجته
وان يكون هذا مما خص به لعلو رتبته وخصيصته انتهى و منها انه يحرم رويه اشخاص ازواجه
في الازر و كذا يحرم كشف وجوههن وكفيهن لشهادة او غيرها كما صرح به القاضي عياض
وعبارته فرض الحجاب مما اختصصن به فهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين فلا
يجوز لهن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها ولا اظهار شخوصهن وان كن مستترات الا ما دعت
اليه ضرورة من براز واستدل بما في الموطا ان حفصة لما توفي عمر رضي الله عنه سترها النسا
عن ان يرى شخصها وان زينب بنت جحش جعلت لها القبة فوق نعشها لتستر شخصها انتهى قال
الحافظ ابن حجر وليس فيما ذكره دليل على ما ادعاه من فرض ذلك عليهن فقد كن بعد النبي صلى
الله عليه وسلم يحججن ويطفن وكان الصحابة ومن بعدهم يسمعون منهن الحديث وهن مستترات
الابدان لا الاشخاص انتهى و اما حكم نظر غير ازواجه عليه السلام ففي الروضة واصلها عن الاكثرين
جواز النظر الى وجه حرة كبيرة اجنبية وكفيها اذا لم يخف فتنة مع الكراهة و قوة كلام الشيخين
الرافعي والنووي تقتضي رجحانه وصوبه في المهمات لتفريع الرافعي في الشرح بان الاكثرين عليه
لكن نقل ابن العراقي ان شيخه البلقيني قال الترجيح بقوة المدرك والفتوى على ما في المنهاج و قد جزم
به في التدريب وقوة كلام الصغير تقتضي رجحانه وعلله باتفاق المسلمين على منع النسا من الخروج سافرات
ونقل في الروضة واصلها هذا الاتفاق واقراه و عورض بنقل القاضي عياض عن العلما مطلقا انه لا
يجب على المراة ستر وجهها في الطريق وانما هو سنة وعلى الرجال غض البصر وحكاه عنه النووي في شرح
مسلم واقره قاله الشيخ نجم الدين ابن قاضي عجلون في تصحيح المنهاج والله اعلم و كان النكاح في حقه
عليه الصلاة والسلام عبادة مطلقا كما قاله السبكي وهو في حق غيره ليس بعبادة عندنا بل من المباحات
والعبادة عارضة له و منها ان اولاد بناته ينسبون اليه قال عليه الصلاة والسلام في الحسن ان ابني
هذا سيد رواه ابو يعلى و منها ان كل نسب وسبب منقطع يوم القيمة الا نسبه وسببه عليه الصلاة

هشام

والسلام كل سبب ونسب ينقطع يوم القيمة الا سببي ونسبي والسبب بالولادة والسبب بالزواج قيل
ومعناه ان امته ينتفعون بالنسبة اليه يوم القيمة خلاف امة غيره ومنها انه لا يتزوج على بناته
فعن المسور بن مخرمة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول ان بني هاشم بن المغيرة
استاذنوني في ان ينكحوا ابنتهم علي بن ابي طالب فلا اذن ثم لا اذن ثم لا اذن لهم الا ان يحب ابن ابي
طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها ويوذيني ما اذاها اخرجه
الشيخان وصححه الترمذي وعنه ان علي بن ابي طالب خطب بنت ابي جهل وعنده فاطمة بنت النبي صلى
الله عليه وسلم فلما سمعت بذلك فاطمة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان قومك يتحدثون انك لا تغضب
لبناتك وهذا علي ناكح ابنة ابي جهل قال المسور فقام النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد قال
اما بعد فاني انكحت ابا العاص بن الربيع فحدثني فصدقني وان فاطمة بنت محمد بضعة مني وانا اكره ان
ان يفتنوها وانه والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد ابدا
قال فترك علي الخطبة اخرجه الشيخان واسم بنت ابي جهل هذه جويرية اسلمت وبايعت وتزوجها عتاب بن
اسيد ثم ابان بن سعيد بن العاص قال ابو داود حرم الله تعالى على علي ان ينكح على
فاطمة في حياتها لقوله عز وجل وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وذكر الشيخ ابو علي السنجي
في شرح التلخيص انه يحرم التزوج على بنات النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون ذلك خاصا بفاطمة
رضي الله عنها وقد علل عليه الصلاة والسلام بان ذلك يوذيه ما اذى فاطمة فكل من وقع لها في حق
فاطمة شي فتاذت به فهو يوذي النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة هذا الخبر الصحيح وقد استشكل
اختصاص فاطمة بذلك مع ان الغيرة على النبي صلى الله عليه وسلم اقرب الى خشية الافتتان في الدين
ومع ذلك فكان صلى الله عليه وسلم يستكثر من الزوجات وتوجد منهن الغيرة ومع ذلك ما راعى
صلى الله عليه وسلم ذلك في حقهن كما راعاه في حق فاطمة واجيب بان فاطمة كانت اذ ذاك
فاقدة من تركن اليه ممن يوانسها او يزيل وحشتها من ام او اخت بخلاف امهات المومنين فان كل
واحدة منهن كانت ترجع الى من يحصل لها معه ذلك وزيادة عليه وهو زوجهن صلى الله عليه وسلم
لما كان عنده من الملاطفة وتطييب القلوب وجبر الخاطر بحيث ان كل واحدة منهن كانت ترضى لحبه
حتى يحصل ترضي منه لحسن خلقه وجميل خلقه بجميع ما يصدر منه بحيث لو وجد ما يخشى وجوده من
الغيرة لزال عن قرب ومنها ان لا يجتهد في محراب صلى اليه عينة ولا يسرة وافتى شيخ الاسلام
ابو زرعة بن العراقي في شخص امتنع من الصلاة الى محراب النبي صلى الله عليه وسلم وقال انا اجتهد واصلي
باجتهادي فعل ذلك مع الاعتراف بانه على ما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغيره وان ذكرنا ولا
بان قال ليس هو الان على ما كان عليه في زمنه عليه الصلاة والسلام بل غير على ما كان عليه فهذا تسبب
اجتهادي لم نحكم بردته وان لم يكن هذا التاويل صحيحا ومنها ان من راه في المنام فقد راه حقا فان
الشيطان لا يتمثل به وفي رواية مسلم من راني في المنام فسيراني في اليقظة او لكانما راني في اليقظة
بدل قوله فسيراني ومثله عند ابن ماجة وصححه الترمذي من حديث ابن مسعود وفي رواية ابي قتادة
عند مسلم ايضا من راني فقد راى الحق وله ايضا من حديث جابر من راني في المنام فقد راني انه لا ينبغي للشيطان

ان يتمثل

ان يتمثل في صورتي وفي رواية من راني في المنام فقد راني فانه لا ينبغي للشيطان ان يتشبه بي
وفي حديث ابي سعيد عند البخاري فان الشيطان لا يتكونني اي لا يتكون كوني فحذف المضاف ووصل
بالفعل وفي حديث ابي قتادة عند البخاري لا يتراءى بالمراي يوزن يتعاطى ومعناه لا يستطيع ان يتمثل
بي يعني ان الله تعالى وان امكنه من التصور في اي صورة اراد فانه لم يمكنه التصور في صورة النبي صلى الله
عليه وسلم وقد ذهب الى هذا جماعة فقالوا في الحديث ان محل ذلك اذا راه الرائي على صورته التي كان
عليها ومنهم من ضيق الغرض في ذلك حتى قال لا بد ان يراه على صورته التي قبض عليها حتى يعتبر عدد الشعرات
البيض التي لم تبلغ عشرين شعرة وعن حماد بن زيد قال كان محمد يعني ابن سيرين اذا قص عليه رجل انه
راى النبي صلى الله عليه وسلم قال صف الذي رايته فان وصف له صفة لا يعرفها قال لم تره وسنده صحيح
وقد اخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب حدثني ابي قال قلت لابن عباس رايت النبي صلى الله عليه وسلم في
المنام قال صفه لي قال فذكرت الحسن بن علي فشبهته به قال قد رايته وسنده جيد لكن يعارضه ما اخرجه
ابن ابي عاصم من وجه اخر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من راني في المنام فقد راني
فاني اري في كل صورة وفي سنده ابن التوامة وهو ضعيف لاختلاطه وهو من رواية من سمع منه قال القاضي
ابو بكر بن العربي روية صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة ادراك على الحقيقة وروية على غير صفته
ادراك للمثال فان الصواب ان الانبيا لا تغيرهم الارض وتكون ادراك الذات الكريمة حقيقة وادراك
الصفات ادراك المثال قال وقد شذ بعض القدرية فقال الرويا لا حقيقة لها اصلا قال وقوله فسيراني
معناه فسيرى تفسير ما راى لانه حق وغيب واما قوله فكانما راني فهو تشبيه ومعناه انه لو راني في اليقظة
لطابق ما راه في المنام فيكون الاول حقا وحقيقة والثاني حقا وتمثيلا قال وهذا كله اذا راه على صورته
المعروفة فان راه على خلافها كانت رويا تاويل وعلى العكس قال القاضي عياض يحتمل ان يكون
المراد بقوله فقد راني او فقد راى الحق ان من قد راه على صورته المعروفة في حياته كانت رويا حقا
ومن راه على غير صورته كانت رويا تاويل انتهى وتعقبه النووي فقال هذا ضعيف بل الصحيح انه يراه
حقيقة سواء كانت على صفته المعروفة او غيرها انتهى وتعقبه شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر فقال لم يظهر
لي من كلام القاضي عياض ما ينافي ذلك بل ظاهر قوله ان يراه حقيقة في الحالين لكن في الاولى يكون الرويا
مما لا يحتاج الى تعبير والثانية مما يحتاج الى التعبير وقال بعضهم معناه ان من راه على صورته التي كان عليها
ويلزم من قول من قال انه لا يكون روية الا على صورته المعلومة ان من راه على غير صفته ان تكون روياه
من اضغاث الاحلام ومن المعلوم انه يرى في النوم على حالة تخالف حالته في الدنيا من الاحوال اللائقة
ولو تمكن الشيطان من التمثيل بشي مما كان عليه او ينسب اليه لعارض عموم قوله فان الشيطان لا يتمثل بي
فالاولى ان تنزه روياه وكذا روية شي منه او مما ينسب اليه عن ذلك فانه ابلغ في الحرمة واليق بالعصمة
كما عصم من الشيطان في يقظته فالصحيح في تاويل هذا الحديث ان مقصوده ان رويته في كل حالة ليست
باطلة ولا اضغاثا بل هي حق في نفسها ولو روي على غير صورته فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان
بل هو من قبل الله تعالى وهذا قول القاضي ابي بكر بن الطيب وغيره ويويده قوله فقد راى الحق اشار اليه
القرطبي وقال ابن بطال قوله فسيراني في اليقظة يريد تصديق تلك الرويا في اليقظة وصحتها وخروجها

على الحق وليس المراد انه يراه في الآخرة لانه سيراه يوم القيمة في اليقظة جميع امته من رآه
في النوم ومن لم يره وقال المازري ان كان المحفوظ فكانما رآني في اليقظة فمعناه ظاهر وان كان
المحفوظ فسيراني في اليقظة احتمل ان يكون اراد اهل عصره ممن لم يهاجر اليه فانه اذا رآه في
المنام جعل ذلك علامة على ان يراه بعد ذلك في اليقظة واوحى الله بذلك اليه صلى الله عليه وسلم وقيل
معناه سيرى تاويل تلك الرويا في اليقظة وصحتها واجاب القاضي عياض باحتمال ان يكون رويا
له في النوم على الصفة التي عرف بها ووصف عليها موجبة لتكرمته في الآخرة وان يراه روية خاصة
من القرب منه او الشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات قال ولا يبعد ان يعاقب
الله بعض المذنبين في القيمة بمنع روية نبيه صلى الله عليه وسلم مدة وحمله ابن ابي جمرة على محمل اخر
فذكر عن ابن عباس وغيره انه راى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فبقي بعد اليقظة متفكرا في هذا الحديث
فدخل على بعض امهات المومنين لعلها خالته ميمونة فاخرجت المراة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم فنظر
فيها صورة النبي صلى الله عليه وسلم ولم ير صورة نفسه وقال الغزالي ليس معنى قوله فقد رآني انه راى جسمي
وبدني وانما المراد انه راى مثالا صار ذلك المثال آلة يتادى بها المعنى الذي في نفسي اليه وكذلك قوله
فسيراني في اليقظة ليس المراد انه يرى جسمي وبدني قال والآلة تارة تكون حقيقية وتارة تكون
خيالية والنفس غير المثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا شخصه بل
هو مثال له على التحقيق قال ومثل ذلك من يرى الله تعالى في المنام فان ذاته تعالى منزهة عن الشكل والصورة
ولكن ينتهي تعريفاته تعالى الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور او غيره ويكون ذلك المثال حقا في
كونه واسطة في التعريف فيقول الرائي رايت الله عز وجل في المنام لا يعني اني رايت ذات الله تعالى كما يقول
في حق غيره وقال الغزالي ايضا في بعض فتاويه من راى الرسول يعني في المنام لم ير حقيقته شخصه المودع
روضة المدينة وانما راى مثاله لا شخصه ثم قال وذلك المثال مثال روحه المقدسة عن الصورة
والشكل وقال الطيبي المعنى من رآني في المنام باي صفة كنت فليبشر وليعلم انه قد راى الرويا الحق
اي روية الحق لا الباطل وكذا قوله فقد راى الحق الشرط والجزا اذا اتحدا دل على الغاية في الكمال اي
فقد راى رويا ليس بعدها شي والحاصل من الاجوبة انه على التشبيه والتمثيل ويدل عليه قوله
فكانما رآني في اليقظة ثانيها معناه سيرى في اليقظة تاويلها بطريق الحقيقة ثالثها انه خاص
باهل عصره ممن آمن به قبل ان يره رابعها انه يراه في المراة التي كانت له ان امكنه ذلك قال شيخ
مشايخنا الحافظ ابن حجر وهذا من ابعد المحامل خامسها انه يراه يوم القيمة بمزيد خصوصية
لا مطلق من راه حينئذ ممن لم يره في المنام والصواب كما قدمناه في رويته عليه الصلاة والسلام
التعميم على اي حالة راه الرائي بشرط ان يكون على صورته الحقيقية في وقت ما سوا كان في شبابه او
رجوليته او كهولته او اخر عمره وقد يكون لما خالف ذلك تعبير يتعلق بالرائي كما قال بعض علما
التعبير ان من راه شيخا فهو غاية سلم ومن رآه شابا فهو غاية حرب وقال ابو سعيد احمد بن محمد
ابن نصر من راى نبيا على حاله وهيبته فذلك دليل على صلاح الرائي وكمال جاهه وظفره بمن عاداه
ومن راه متغير الحال عابسا مثلا فذلك دال على سوء حال الرائي وقال العارف ابن ابي جمرة من رآه

في صورة

في صورة حسنة فذاك حسن في دين الرائي وان كان في جارحة من جوارحه شين او نقص فذلك
خلل في الرائي من جهة الدين قال وهذا هو الحق وقد جرب ذلك فوجد على هذا الاسلوب وبه تحصل
الفائدة الكبرى في روياه حتى يتبين للرائي هل عنده خلل ولا لانه عليه الصلاة والسلام نوراني مثل
المراة الصقيلة ما كان في الناظر اليها من حسن او غيره تصور فيها وهي في ذاتها على احسن حال لا نقص فيها
وكذلك يقال في كلامه عليه السلام في النوم انه يعرض على سنته فما وافقها فهو حق وما خالفها فالخلل
في سمع الرائي فرويا الذات الكريمة حق والخلل انما هو في سمع الرائي او بصره قال وهذا خير ما سمعته
في ذلك انتهى وقال بعضهم ليست رويته عليه السلام رويا عين انما يرى بالبصائر ولذلك لا يستدعي
حصر المرائي بل يرى من المشرق الى المغرب ومن الارض الى العرش كما ترى الصور في المراة المحاذية لها
وليست الصورة منتقلة الى جرم المراة وعين الناظر متقابلة جميع الكائنات كالمراة واختلاف رويته
صلى الله عليه وسلم بان يراه بعضهم شيخا واخر شابا واخر ضاحكا واخر باكيا يرجع الى الرائين كاختلاف
الصورة الواحدة من مرائي مختلفة الاشكال والمقادير ففي الكبيرة يرى وجهه كبيرا وفي الصغيرة
صغيرا وفي المعوجة معوجا وفي الطويلة طويلا الى غير ذلك فالاختلاف راجع الى اختلاف المرائي لا الى
وجه الرائي كذلك الراؤن له عليه الصلاة والسلام احوالهم بالنسبة اليه مختلفة فمن رآه متبسما اليه
دل على ان الرائي متمسكا بسنته والله اعلم وقد اجاب الشيخ بدر الدين الزركشي عن سوال روية جماعة
له صلى الله عليه وسلم في آن واحد من اقطار متباعدة مع ان رويته صلى الله عليه وسلم حق بانه صلى الله
عليه وسلم سراج ونور الشمس في هذا العالم مثال نوره في العوالم كلها وكما ان الشمس يراها كل من في المشرق ق
والمغرب في ساعة واحدة وبصفات مختلفة فكذا النبي صلى الله عليه وسلم ولله در القائل
كالبدر من اي النواحي جئته ... يهدي الى عينيك نورا ثاقبا
واما رويته صلى الله عليه وسلم في اليقظة بعد موته عليه الصلاة والسلام فقال شيخنا لم ينقل
الينا ذلك عن احد من الصحابة ولا عمن بعدهم وقد اشتد حزن فاطمة عليه صلى الله عليه وسلم حتى ماتت
كمدا بعده بستة اشهر على الصحيح وبيتها مجاور لضريحه الشريف ولم ينقل عنها رويته في المدة التي تاخرتها
عنه وانما حكي عن بعض الصالحين حكايات عن انفسهم كما هو في توثيق عرى الايمان للبارزي وبهجة
النفوس لابي عبد الله بن ابي جمرة وروض الرياحين للعفيف اليافعي وغيره من تصانيفه والشيخ
صفي الدين بن المنصور في رسالته وعبارة ابن ابي جمرة قد ذكر عن السلف والخلف الى هلم جرا جماعة عن م
كانوا يصدقون بهذا الحديث يعني من رآني في المنام فسيراني في اليقظة انهم راوه صلى الله عليه وسلم في النوم
فراوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن اشيا كانوا منها متشوشين فاخبرهم بتفريجها ونص لهم على
الوجوه التي منها يكون فرجها فجا الامر كذلك بلا زيادة ولا نقص ثم قال والمنكر لهذا لا يخلو
اما ان يكون ممن يصدق بكرامات الاوليا او لا فان كان الثاني فقد سقط البحث معه فانه
يكذب ما اثبتته السنة بالدلائل الواضحة وان كان الاول فهذه منها لان الاوليا يكشف لهم بخرق
العادة عن اشيا في العالم العلوي والسفلي عديدة مع التصديق بذلك وقال الشيخ صفي الدين بن المنصور
في رسالته وبلغني ان الشيخ ابا العباس القسطلاني دخل مرة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي

Copyright King Saud University

صلى الله عليه وسلم احد الله بيدك يا احمد وعن الشيخ ابي السعود قال كنت ازور شيخك ابا
العباس وعزم من صلى اتمصر فلما انقطعت واشتغلت وفتح علي لم يكن لي شيخ الا النبي صلى الله
عليه وسلم وانه كان يصافحه عقب كل صلاة وقال الشيخ ابو العباس الجزار دخلت على النبي صلى
الله عليه وسلم فوجدته يكتب مناشير الاوليا بالولاية قال وكتب لاخي محمد معهم منشورًا
فقلت يا سيدي يا رسول الله ما تكتب لي كاخي قال اتريد ان تكون قهارا وهذه لغة اندلسية
يعني طرقيا وفهم عنه ان له مقاما غير هذا وقال حجة الاسلام الغزالي في كتابه المنقذ
من الضلال وهم يعني ارباب القلوب في يقظتهم يشاهدون الملايكة وارواح الانبيا
ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوايد انتهى ورايت في كتاب المنح الالهية في
مناقب السادة الوفايية عن سيدي علي بن سيدي محمد وفا انه قال في بعض مشاهده
كنت وانا ابن خمس سنين اقرا القرآن على رجل يقال له الشيخ يعقوب فاتيته يوما فرايت
انسانا يقرا عليه سورة والضحى وصحبته رفيق له وهو يلوي شدقيه بالامالة ورفيقه يضحك
عجبا فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وعليه قميص ابيض قطن ثم رايت القميص علي
فقال اقرا فقرات عليه سورة والضحى والم نشرح وغاب عني فلما بلغت احدى وعشرين سنة احرمت
بصلاة الصبح بالقرافة فرايت النبي صلى الله عليه وسلم قبالة وجهي فعانقني فقال لي واما بنعمة
ربك فحدث فاوتيت لسانه من ذلك الوقت انتهى واما ما حكاه الشيخ تاج الدين ابن عطا
الله في لطايف المنن عن الشيخ ابي العباس المرسي انه كان مع الشيخ ابي الحسن الشاذلي بالقرافة
في ليلة الجمعة سابع عشرين رمضان فذهب معه الى الجامع للحكاية الى ان قال ورايت النبي صلى
الله عليه وسلم وهم يتولونا على ظهر تابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس الى اخره فيحتمل
ان يكون مناما وكذلك قول الشيخ قطب الدين القسطلاني كنت اقرا على عبد الله محمد بن عمر
ابن يوسف القرطبي بالمدينة النبوية فجيته يوما في وقت خلوة وانا بو سيد حدث السن فخرج
الي وقال من ادبك بعد الادب وعاب علي فذهبت وانا منكسر الخاطر فدخلت المسجد وقعدت
عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينا انا جالس على تلك الحال واذا بالشيخ قد جاني وقال قم فقد جاء
فيك شفيع لا يرد ونحوه ما حكاه السهروردي في عوارف المعارف عن الشيخ عبد القادر الكيلاني
انه قال ما تزوجت حتى قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج وحكى عن السيد صفي الدين
الايجي والد السيد عفيف الدين انه في بعض زياراته للنبي صلى الله عليه وسلم سمع جواب سلامه من
داخل القبر الشريف عليك السلام يا ولدي وقال البدر حسين بن الاهدل في مسلة الرويا اندفع بها
للاولياء قد تواترت باخبارها الاخبار وصار العلم بذلك قويا انتفى عنه الشك ومن تواترت عليه
اخبارهم لم يبق له شبهة فيه ولكن يقع لهم ذلك في بعض غيبة حس وغموض طرف لورود حال
لا تكاد تضبطها العبارة وسرايرهم في الرويه متفاوتة وكثيرا ما تخلط فيها روايتها فتقل ما عد
رواية متصلة صحيحة عن من يوثق به واما من لا يوثق به فقد يكذب وقد يرى مناما او في غيبة
حس فيظنه يقظة وقد يرى خيالا ونورا فيظنه الرسول وقد يلبس عليه الشيطان فيجب التحرز

في

في هذا الباب وبالجملة فالقول برويته صلى الله عليه وسلم بعد موته بعين الراس في اليقظة يدرك
فساده باوايل العقول لاستلزامه خروجه من قبره ومشيه في الاسواق ومخاطبته لهم
وخلو قبره عن جسده المقدس فلا يبقى منه فيه شي بحيث يزار مجرد ويسلم على غايب اشار الى
ذلك القرطبي في الرد على القايل بان الراي له في المنام راى حقيقته ثم يراه كذلك في اليقظة
قال وهذه جهالات لا يقول بشي منها من له ادنى مسكة من المعقول وملتزم شي من ذلك
مختل مخبول وقال القاضي ابو بكر بن العربي وشذ بعض الصالحين فزعم انها بعين الراس
حقيقية وقال في فتح الباري بعد ان ذكر كلام ابن ابي جمرة وهذا مشكل جدا ولو حمل على ظاهره
لكان هولا صحابة ولامكن بقا الصحبة الى يوم القيامة وللشيخ مسلم شيخ الطايفة المسلمية

فمن يدعي في هذه الدار انه ٭ يرى المصطفى حقا فقد فاه مشططا
ولكن بين النوم واليقظة التي ٭ يباشرها الامر مرتبة وسطا

وقد حمل القاضي ابو بكر بن العربي القول بان الروية في المنام بعين الراس على وجاقة شرحها
ما نسب لبعض المتكلمين وهو القول بانها مدركة بعينين في القلب وانه ضرب من المجاز انتهى فلا
يمتنع من الخواص ارباب القلوب القايمين بالمراقبة والتوجه على قدم الخوف بحيث لا يسكنون لشي
مما يقع لهم من الكرامات فضلا عن التحدث بها لغير ضرورة مع السعي في التخلص من الكدورات والاعراض
عن الدنيا واهلها جملة وكون الواحد منهم يود انه يخرج من اهله وماله وانه يرى النبي صلى الله عليه
وسلم كالشيخ عبد القادر الكيلاني ان تتمثل صورته صلى الله عليه وسلم في خاطره ويتصور في عالم سره
انه يكلمه بشرط استقرار ذلك وعدم اضرابه فان تزلزل او اضطرب كان لمة من الشيطان لتبين
ذلك لخادشا في علو مناصبهم لعدم عصمة غير الانبيا فقد قال العلامة التاج ابن السبكي في جمع
الجوامع تبعا لغيره وان الالهام ليس بحجة لعدم الثقة بمن ليس معصوما بخواطره وحينيذ فمن
قال ممن حكينا عنه وغيرهم بان المرى هو المثال لا يمتنع حمله على هذا بل حمل كل من اطلق عليه هو
اللايق وقريب منه قوله صلى الله عليه وسلم اني رايت الجنة والنار مع مزيد استبعاد هناك ان يكون
المراد بالروية روية العلم ويحكى عن الشيخ ابي العباس المرسي انه قال لو حجب عني رسول الله صلى
الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين وعلى هذا فيكون معنى قوله في اليقظة
بشعور مشاهدتي وينزل نفسه حاضرا معي بحيث لا يخرج عن ادابه وسنته صلى الله عليه وسلم
بل يسلك منهاجه ويمشي على شريعته وطريقته ومنه قوله عليه السلام في الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه وحمل العموم فيمن راى على الموفقين والبشرى قول المعتمد باني من راني
روية معظم لحرمتي ومشتاق لمشاهدتي وصل الى روية محبوبه وظفر بكل مطلوبه وقريب
منه قول شارح المصابيح او يراه في الدنيا حالة الذوق والانسلاخ عن العوايق الجسمانية كما نقل
ذلك عن بعض الصالحين انه راه في حالة الذوق والشوق وقد قال الاهدل عقب الحكاية عن
الشيخ ابي العباس المرسي وهذا فيه تجوز ينبغي مثله في كلام الشيخ وذلك ان المراد انه لم يحجب حجاب
غفلة ونسيان لدوام المراقبة واستحضارها في الاعمال والاقوال ولم يرد انه لم يحجب عن الروح

Copyright King Saud University

التخصيصية طرفة عين فذلك مستحيل والله اعلم ومما اختص به عليه الصلاة والسلام
ان التسمي باسمه ميمون ونافع في الدنيا والاخرة روينا عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيامر بهما الى الجنة فيقولان ربنا
بما استاهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا الجنة فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فاني اليت على نفسي
ان لا يدخل النار من اسمه احمد ولا محمد وروى ابو نعيم عن نبيط بن شريط قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا عذبت احدا تسمى باسمك في النار وعن
علي بن ابي طالب قال ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه احمد او محمد الا قدس الله ذلك المنزل
كل يوم مرتين رواه ابو منصور الديلمي وليس لاحد ان يكتني بكنيته ابي القاسم سواء كان
اسمه محمدا ام لا ومنهم من كره الجمع وجوز الافراد ويشبه ان يكون هو الاصح قال النووي في
هذه المسئلة مذهب الشافعي منع مطلقا وجوزه مالك والثالث يجوز لمن ليس اسمه
محمدا ومن جوز مطلقا خص النهي بحياته وهو الاقرب ومنها انه يستحب الغسل لقراءة حديثه
والتطيب ولا ترفع عنده الاصوات بل تخفض كما في حياته اذا تكلم لان كلامه الماثور بعد موته
في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه الشريف وان يقرا على مكان مرتفع روينا عن مطرف قال
كان الناس اذا اتوا مالكا رحمه الله خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث
او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم في الوقت وان قالوا الحديث دخل مغتسله فاغتسل
وتطيب ولبس ثيابا جددا وتعمم ولبس ساجه والساج الطيلسان وتلقى له منصة فيخرج
فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث قال ابن ابي اويس فقيل له في ذلك فقال احب ان
اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا ويقال انه اخذ ذلك
عن سعيد بن المسيب وقد كره قتادة ومالك وجماعة التحديث على غير طهارة حتى كان الاعمش
اذا كان على غير طهارة يتيمم ولا شك ان حرمته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره صلى الله عليه
وسلم بعد مماته عند ذكره وذكر حديثه وسماع اسمه وسيرته كما كان في حياته والله اعلم ومنها
انه يكره لقاري حديثه ان يقوم لاحد قال ابن الحاج في المدخل لانه قلة ادب مع النبي صلى الله عليه
وسلم وقلة احترام وعدم مبالاة ان يقطع حديثه لاجل غيره فكيف لبدعة وقد كان السلف
لا يقطعون حديثه ولا يتحركون وان اصابهم الضرر في ابدانهم يتحملون المشقة التي تنزل
بهم اذ ذاك احتراما لحديث نبيهم صلى الله عليه وسلم وحسبك ما وقع لمالك رحمه الله في لسع
العقرب له سبع عشرة مرة وهو لم يتحرك لتحمله للسعها توقيرا لجناب حديثه صلى الله عليه وسلم
الا ان يكون لما وهو يتحرك لضرر اصابه مع انه معذور فيما وقع به فكيف بالحركة والقيام
اذ ذاك لا لضرورة بل للبدعة سيما اذا انضاف الى ذلك ما لا ينبغي من الكلام المعتاد انتهى
ملخصا ومنها انه يثبت الصحبة لمن اجتمع به صلى الله عليه وسلم لحظة بخلاف التابعي مع الصحابي
فلا يثبت الا بطول الاجتماع معه على الصحيح عند اهل الاصول والفرق عظم منصب النبوة ونورها

فيحرم

فبمجرد ما يقع نظره على الاعرابي الجلف ينطق بالحكمة ومنها ان قراء حديثه لا تزال وجوههم
نضرة وان قراء حديثه اختصوا بالتلقيب بالحفاظ وامراء المومنين من بين سائر العلماء ومنها
ان اصحابه كلهم عدول لظواهر الكتاب والسنة فلا يبحث عن عدالة احد منهم كما يبحث عن سائر
الرواة قال الله تعالى خطابا للموجودين حينئذ وكذلك جعلناكم امة وسطا اي عدولا وقال
عليه السلام لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه وقال عليه السلام خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم في ايات كثيرة
واحاديث تقتضي القول بتعديلهم ولذلك اجمع من يعتد به على ذلك سواء في التعديل من
لابس الفتنة منهم وغيره لوجوب تحسين الظن بهم حملا للملابس على الاجتهاد ونظرا الى ما تمهد
لهم من الماثر من امتثال اوامره عليه الصلاة والسلام وفتحهم الاقاليم وتبليغهم سنة الكتاب
والسنة وهدايتهم الناس مع مواظبتهم على الصلوات والزكوات وانواع القربات مع الشجاعة
والبراعة والكرم والاخلاق الحميدة التي لم تكن في امة من الامم المتقدمة ولا يكون لاحد بعدهم
مثلهم في ذلك كل ذلك لحلول نظره عليه السلام وافضلهم عند اهل السنة اجماعا ابو بكر ثم
عمر واما بعدهما فالجمهور على انه عثمان ثم علي وسياتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في المقصد
السابع ومنها ان المصلي يخاطبه بقوله السلام عليك ايها النبي ولا يخاطب غيره ومنها انه
كان يجب على من دعاه وهو في الصلاة ان يجيبه ويشهد له حديث سعيد بن المعلى كنت اصلي في
المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه الحديث وفيه الم يقل الله تعالى استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فاجابته فرض يعصي المرء بتركها وهل تبطل الصلاة ام لا صرح
جماعة من اصحابنا الشافعية وغيرهم بانها لا تبطل وفيه بحث لاحتمال ان يكون اجابته واجبة مطلقا سواء كان
المخاطب مصليا او غير مصل اما كونه يخرج بالاجابة من الصلاة او لا يخرج فليس في الحديث ما يستلزمه
فيحتمل ان تجب الاجابة ولو خرج المجيب من الصلاة والى ذلك جنح بعض الشافعية والله اعلم
ومنها ان الكذب عليه ليس كالكذب على غيره ومن كذب عليه لم تقبل روايته ابدا وان تاب فيما ذكره جماعة
من المحدثين وقال عبد الرزاق انا معمر عن رجل عن سعيد بن جبير ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه
وسلم فبعث عليا والزبير فقال اذهبا فان ادركتماه فاقتلاه ولهذا حكى امام الحرمين عن ابيه ان من تعمد
الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يكفر لكن لم يوافقه احد من الائمة على ذلك والحق انه فاحشة
عظيمة وموبقة كبيرة ولكن لا يكفر بها الا ان استحله وقال النووي لم ار للقول في اصل المسئلة دليلا يجوز
انه توجه بان ذلك جعل تغليظا وزجرا بليغا عن الكذب عليه صلى الله عليه وسلم لعظم مفسدته فانه يصير
شرعا مستمرا الى يوم القيامة بخلاف الكذب على غيره والشهادة فان مفسدتهما قاصرة ليست عامة
ثم قال وهذا الذي ذكره هولاء الائمة ضعيف مخالف للقواعد الشرعية والمختار القطع بصحة توبته
بشروطها المعروفة قال فهذا الجاري على قواعد الشرع وقد اجمعوا على صحة رواية من كان كافرا
فاسلم قال واجمعوا على قبول شهادته ولا فرق بين الشهادة والرواية قال شيخنا ويمكن ان يقال فيما
اذا كان كذبه في وضع حديث وحمل عنه ودون ان الاثم غير منفك بل هو لاحق له ابدا فان من

Copyright King Saud University

من سن سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة والتوبة حينئذ متعذرة
ظاهرا وان وجد مجرد اسمها ومنها انه يحرم الجهر له بالقول قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم
وانتم لا تشعرون قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم كان ابو بكر لا يكلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار وروي انه صلى الله عليه وسلم ما كان يسمع كلام عمر حتى يستفهمه مما
يخفض صوته وكان ثابت بن قيس في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت عليك هذه الاية واني رجل جهير
الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير
وانك من اهل الجنة قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة
في حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض الانكشاف وانهزمت طائفة منهم فقاتل حتى قتل ومنها
انه يحرم نداؤه من وراء الحجرات قال تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون اذ العقل
يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم اي لكان الصبر
خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء
والثواب ومنها انه معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها عمدها وسهوها وكذلك الانبيا ومنها
انه لا يجوز عليه الجنون لانه نقص ولا الاغما الطويل الزمن فيما ذكره الشيخ ابو حامد في تعليقه وجزم
به البلقيني في حواشي الروضة وكذلك الانبيا ونبه السبكي على ان اغماءهم يخالف اغما غيرهم وانما هو
الاوجاع للحواس الظاهرة دون القلب لانه قد ورد انه انما تنام اعينهم دون قلوبهم فاذا حفظت
قلوبهم وعصمت من النوم الذي هو اخف من الاغما فمن الاغما بطريق الاولى قال السبكي ولا يجوز
عليهم العمى لانه نقص ولم يعم نبي قط وما ذكر عن شعيب انه كان ضريرا فلم يثبت واما يعقوب فحصلت
له غشاوة وزالت انتهى وقال الرازي في قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم لما قال
يا اسفى على يوسف غلبه البكا وعند غلبة البكا يكثر الما في العين فتصير العين كانها ابيضت من بياض
ذلك الما وقوله وابيضت عيناه من الحزن كناية من غلبة البكا والدليل على صحة هذا القول ان تاثير الحزن
في غلبة البكا لا في حصول العمى فلو حملنا الابيضاض على غلبة البكا كان هذا التعليل حسنا ولو حملناه
على العمى لم يحسن هذا التعليل فكان ما ذكرناه اولى ثم قال واختلفوا فقال بعضهم انه كان قد عمي
بالكلية فالله تعالى جعله بصيرا في هذا الوقت وقال اخرون بل كان قد ضعف بصره من كثرة
البكا والاحزان بحيث صار يدرك ادراكا ضعيفا فلما القوا القميص على وجهه وبشر بحياة يوسف عظم
فرحه وانشرح صدره وزالت احزانه فعند ذلك قوي بصره وزال النقصان عنه انتهى ومنها
ان من سبه صلى الله عليه وسلم او انتقصه قتل واختلف هل يتحتم قتله في الحال او يوقف على استتابته
وهل الاستتابة واجبة او لا فمذهب المالكية يقتل حدا لا ردة ولا يقبل توبته ولا عذره ان ادعى
سهوا او غلطا وعبارة شيخهم العلامة خليل في مختصره وان سب نبيا او ملكا او عرض او لعنه
او عابه او قذفه او استخف بحقه او غير صفته او الحق به نقصا وان في دينه او خصلته او غض

من

من مرتبته او وفور علمه او زهده او اضاف له ما لا يجوز عليه او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق
الذم او قيل له بحق رسول الله فلعن وقال اردت العقرب قتل ولم يستتب حدا الا ان يسلم الكافر وان
ظهر انه لم يرد ذمه لجهل او سكر او تهور وهذا قد ذكره القاضي عياض في الشفا وغيره واستدلوا له
بالكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في
الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا واللعنة من الله هي ابعاد الملعون عن رحمته واحلاله
في وبيل عقوبته قال القاضي عياض وانما يستوجب اللعن من هو كافر وحكم الكافر القتل والاذى
هو الشر الخفيف فان زاد كان ضررا كذا قاله الخطابي وغيره واطلاق الاذى في حقه تعالى انما
هو على سبيل المجاز لتعذر الحقيقة فيه ويشهد لذلك الحديث الالهي يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري
فتضروني وهذا بخلاف جانب الرسول صلى الله عليه وسلم فالاذى في حق الله تعالى وحق رسوله
كفر يشهد له هذه الاية لان العذاب المهين انما يكون للكفار وكذلك العذاب الاليم وقال تعالى
قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم قال القاضي عياض
قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم واما السنة فروى ابو داود والنسائي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لنا بابن الاشرف وفي اخرى من لكعب بن الاشرف اي من
ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا وفي رواية انه يؤذي الله ورسوله قال القاضي
عياض ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة خلافا لغيره من المشركين وعلل باذاه له فدل
على ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وفي حديث مصعب بن سعد عند ابي داود لما كان يوم
فتح مكة امن صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر فذكرهم ثم قال واما ابن ابي سرح فاختبأ
٢٤٤ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى اوقفه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله بايع عبد الله فرفع راسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك
يأبى فبايعه بعد ثلاث ثم اقبل على اصحابه فقال اما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين كففت
يدي عن بيعته فيقتله فقالوا وما ندري يا رسول الله ما في نفسك الا اومأت الينا قال انه لا ينبغي لنبي
ان يكون له خائنة الاعين وفيه انه امر بقتل عبد الله بن خطل لان ابن خطل كان يقول الشعر
يهجو به النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر جاريتيه ان تغنيا به وكذلك قتل جاريتيه قالوا فلقد
ثبت انه امر بقتل من اذاه ومن تنقصه والحق له عليه الصلاة والسلام وهو مخير فيه فاختار
القتل لعدم الاطلاع على العفو وليس لامته بعده ان يسقطوا لحقه صلى الله عليه وسلم فانه لم
يرد عنه الاذن في ذلك واما الاجماع فقال القاضي عياض اجمعت الامة على قتل منتقصه
من المسلمين وسابه وقال ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه
وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي وقال
الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال محمد بن سحنون اجمع
العلماء على ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه
عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر انتهى ومذهب الشافعية ردة تخرج من الاسلام

Copyright ... University

الى الكفر فهو مرتد كما قدمنا لا نزاع في ذلك عند الجمهور من ائمتنا والمرتد يستتاب فان تاب والا
يقتل وفي الاستتابة قولان اصحهما وجوبها لانه كان محترما بالاسلام وربما عرضت له شبهة
فينبغي ازالتها وقيل يستحب لانه غير مضمون الدم فان قلنا بالاول فيجب في الحال ولم يوجل كغيره
وفي الصحيح حديث من بدل دينه فاقتلوه وفي قول يمهل ثلاثة ايام فان لم يتب واصر رجلا كان او امراة
قتل وان اسلم صح الاسلام وترك لقوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلاة الاية وعن ابن عباس قال ايما مسلم
سب الله او سب احدا من الانبيا فقد كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ردة يستتاب منها فان تاب
والا قتل وايما معاهد سب الله تعالى او سب احدا من الانبيا نقض العهد فاقتلوه واجيب عن
ما تقدم من ادلة المالكية فاما قوله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله الاية فليس فيه الا كفر موذيه
عليه السلام اما كونه يقتل بعد التوبة والاسلام فلا دلالة فيه اصلا واما ابن خطل فانما قتل لم يتب
للكفر والزيادة فيه بالاذى مع ما اجتمع فيه من موجبات القتل ولانه اخذ الاذى دينا فلا يتاتى
عليه من فرط منه فرطة وقلنا بكفره وتاب ورجع الى الاسلام والفرق واضح وكذلك قتل جاريته
لانها جلاد للاذى دينا مع ما قام بها من صفة الكفر وقد روى البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي
معيط نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له سببين في تحتم قتله وهذا في غاية الظهور واما قول الخطابي
وغيره لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في قتله اذا كان مسلما فمحمول على التقييد بعدم التوبة واما
سياق القاضي عياض لقصة الرجل الذي كذب على النبي صلى الله عليه وسلم وانه بعث عليا والزبير ليقتلاه   وجوب م
فليس يفيد غرضا في هذا المقام لانه الظاهر ان هذا كذب فيه افساد وفتنة بين المومنين لا سيما
ان كان كافرا فيكون من محاربي الله ورسوله مع السعي في الارض بالفساد فيكون متحتم القتل والا
فليس مطلق الكذب عليه مما يوجب القتل وكذا سياقه حديث ابن عباس هجت امراة من خطمة النبي صلى
الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان اي لا يجري فيها خلف ولا نزاع فان في هذه الحكاية ونظايرها نظرا
واضح القيام الكفر بالمحكي عنهم والزيادة منه وقد اخبر عليه السلام انه لا عصمة لاحد من الناس بعد دعوته
الى الاسلام الا بالاسلام فكلهم مهدر الدم الا من عصم الله منهم بالاسلام وانما النافع له في مقام الاستدلال
ذكر من طرا عليه من المسلمين وصمة الارتداد بالسب على القول بكونه ردة فرجع الى الاسلام وتاب وهذا
محل النزاع وموضع الاستدلال لكل من المتنازعين اما ذكر كافر اصلي بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم
وامتنع من اجابته وحاربه بيده ولسانه فلا نزاع في اهدار دمه قطعا لا سيما وقد نقل عن هذه المراة
الكافرة انها كانت تعيب الاسلام وتوذي النبي صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه فاجتمع فيها موجبات
القتل اجماعا فقد تبين مما ساقه القاضي عياض انه امراة عليه الصلاة والسلام بقتلها انما نقل عن الكفرة
ولم ينقل انه عليه الصلاة والسلام قتل مسلما بالسب وانما كان ذلك في اهل الكفر والعناد فلو نقل فلا
يتعين كونه حدا لاحتمال ان يكون قتله كفرا وقد قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فاعلمنا ان ما وراء الشرك في حيز امكان المغفرة وقال تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا فان قلت

هذا

هذا بالنظر لظلم النفس وحقوق الله تعالى لا بالنظر الى حقوق العباد لان حقوق الله تعالى مبنية
على المسامحة وحقوق العباد مبنية على المشاححة وهذا حق النبي صلى الله عليه وسلم وليس لنا ان نسقطه
خلافه هو صلى الله عليه وسلم فان له ذلك فالجواب لا بد لنا من نص على ذلك منه عليه الصلاة
والسلام كان يقول مثلا من سبني فاقتلوه ولا تقبلوا له توبة ولا رجوعا عن سبه فان نقل اتبعناه ثم
انه من جهة النظر ينبغي الحاق حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم بحقوق الله فكما ان حقوقه تعالى
مبناها على المسامحة كذلك حقوقه صلى الله عليه وسلم فانه متخلق باخلاق الله تعالى ومن خصايصه
عليه الصلاة والسلام انه كان صلى الله عليه وسلم يخص من شا بما شا من الاحكام كجعله شهادة خزيمة بشهادة
رجلين روى ابو داود عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عمه وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع من اعرابي فرسا فاستتبعه ليقبضه ثمن الفرس فاسرع النبي صلى
الله عليه وسلم المشي وابطا الاعرابي فطفق رجال يعترضون الاعرابي يساومونه بالفرس ولا يشعرون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ابتاعه حتى زادوا على ثمنه فذكر الحديث قال فطفق الاعرابي يقول
هلم شهيدا يشهد اني قد بعتك فمن جاء من المسلمين يقول ويلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليقول
الا الحق حتى جاء خزيمة بن ثابت فاستمع المراجعة فقال انا اشهد انك قد بايعته الحديث وفيه قال
فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة برجلين وفي البخاري من حديث زيد بن ثابت قال فوجدتها
مع خزيمة الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادتين وعند الحرث بن ابي اسامة
في مسنده من حديث النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى من اعرابي فرسا فجحده
الاعرابي فجا خزيمة فقال يا اعرابي انا اشهد عليك انك بعت فقال الاعرابي ان شهد علي خزيمة فاعطني
الثمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا خزيمة انا لم نشهدك كيف تشهد قال انا اصدقك على خبر السما
الا اصدقك على ذا الاعرابي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين فلم يكن في الاسلام
من تعدل شهادته بشهادة رجلين غير خزيمة قال الخطابي هذا الحديث حمله كثير من الناس على غير محمله
وتذرع به قوم من اهل البدع الى استحلال الشهادة لمن عرف عندهم بالصدق على كل شي ادعاه وانما
وجه الحديث انه صلى الله عليه وسلم حكم على الاعرابي بعلمه وجرت شهادة خزيمة مجرى التوكيد لقوله
والاستظهار على خصمه فصار في التقدير بشهادة اثنين في غيره من القضايا انتهى ومن ذلك ترخيصه
في النياحة لام عطية روى مسلم عنها قالت لما نزلت هذه الاية يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيا
ولا يعصينك في معروف قالت كان منه النياحة فقلت يا رسول الله الا ال فلان فانهم كانوا اسعدوني
في الجاهلية فلا بد لي ان اسعدهم فقال الا ال فلان قال النووي هذا محمول على الترخيص لام عطية في ال
فلان خاصة وللشارع ان يخص من العموم ما شا ومن ذلك تركه الاحداد لاسما بنت عميس اخرج ابن سعد
عن اسما بنت عميس قالت لما اصيب جعفر بن ابي طالب قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلبي ثلاثا
ثم اصنعي ما شيت ومن ذلك الاضحية بالعناق لابي بردة بن نيار رواه الشيخان من حديث البراء بن عازب
قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد اصاب النسك
ومن نسك قبل الصلاة فتلك شاة لحم فقام ابو بردة بن نيار فقال يا رسول الله لقد نسكت قبل ان اخرج

٢٤٥

Copyright © King Saud University

الى الصلاة وعرفت ان اليوم يوم اكل وشرب فتعجلت واكلت واطعمت اهلي وجيراني فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تلك شاة لحم قال فان عندي عناق جذعة هي خير من شاتي لحم فهل تجزي عني لحم
قال نعم ولن تجزي عن احد بعدك ونيار بكسر النون وتخفيف المثناة التحتية واخره را وقوله تجزي
بفتح اوله غير مهموز اي تقضي والجذع بالجيم والذال المعجمة وفي هذا الحديث تخصيص ابي بردة باجزاء
الجذع من المعز في الاضحية لكن وقع في عدة احاديث التصريح بنظير ذلك لغير ابي بردة ففي حديث عقبة بن
عامر عند البيهقي ولا رخصة فيها لاحد بعدك قال البيهقي ان كانت هذه الزيادة محفوظة كان هذا
رخصة لعقبة كما رخص لابي بردة قال الحافظ ابن حجر وفي هذا الجمع نظر لان في كل منهما صيغة عموم
فايهما تقدم على الاخر اقتضى انتفا الوقوع للثاني ويحتمل ان يكون خصوصية الاول نسخت بثبوت
الخصوصية للثاني ولا مانع من ذلك لانه لم يقع في السياق استمرار المنع لغيره صريحا وفي كلام
بعضهم ان الذين ثبتت لهم الرخصة اربعة او خمسة واستشكل الجمع وليس بمشكل فان الاحاديث
التي وردت في ذلك ليس فيها التصريح بالنفي الا في قضية ابي بردة في الصحيح وفي قصة عقبة
ابن عامر عند البيهقي واما ما عدا ذلك فاخرج ابو داود وصححه ابن حبان من حديث زيد بن خالد
ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاه عتودا جذعا فقال ضح به فقلت انه جذع اضحي قال ضح به
وفي الاوسط للطبراني من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم اعطى سعد بن ابي وقاص جذعا من المعز الاوسط
فامره ان يضحي به واخرجه الحاكم من حديث عائشة وفي سنده ضعف فلا منافاة بين ذلك وحديثي
ابي بردة وعقبة لاحتمال ان يكون ذلك في ابتدا الامر ثم تقرر الشرع بان الجذع من المعز لا يجزي
واختص ابو بردة وعقبة بالرخصة في ذلك وان تعذر الجمع بين حديث ابي بردة وحديث عقبة
فحديث ابي بردة اصح مخرجا وان كان حديث عقبة عند البيهقي من مخرج الصحيح والله اعلم ومن
ذلك انكاح ذلك الرجل بما معه من القران فيما ذكره جماعة وورد به حديث مرسل اخرجه سعيد
ابن منصور عن النعمان الازدي قال زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة على سورة من القران
وقال لا يكون لاحد بعدك مهرا ومنها ان يوعك كما يوعك رجلان لمضاعفة الاجر ومنها
ان جبريل ارسل اليه ثلاثة ايام في مرضه يساله عن حاله ذكره البيهقي وغيره ومنها انه صلى الله
عليه وسلم صلى عليه الناس افواجا افواجا بغير امام وبغير دعا الجنازة المعروف ذكره البيهقي
وابن سعد وغيرهما وترك بلا دفن ثلاثة ايام كما سياتي وفرش له في لحده صلى الله عليه وسلم قطيفة
والامران مكروهان في حقنا واظلمت الارض بعد موته كما سياتي ومنها انه لا يبلى جسده وكذلك
الانبيا رواه ابو داود وابن ماجه ومنها انه لا يورث فقيل لبقائه على ملكه وقيل لمصير
صدقته وبه قطع الروياني ثم حكى وجهين في انه هل يصير وقفا على ورثته وانه اذا صار وقفا
هل هو الواقف وجهان قال النووي في زيادات الروضة الصواب الجزم بزوال ملكه وان ما تركه صدقة
على المسلمين لا يختص به الورثة انتهى وقال في الشرح الصغير المشهور انه صدقة وذكر الرافعي في قسم الفيء
ان الخمس كان له صلى الله عليه وسلم ينفق منه على نفسه ومصالحه ولم يكن يملكه ولا ينتقل الى ورثته وقال
في باب الخصائص يملكه ويجمع بينهما بان جهة الانفاق ما دين مملوكه وغير مملوكه والخلاف جار في احدهما

انتهى

انتهى والله اعلم وعلى هذا فيباح له ان يوصي بخمس ماله للعقل ويمضي ذلك بعد موته بخلاف غيره فانه
لا يمضي مما اوصى الا بالثلث بعد موته وكذلك الانبيا لا يورثون لما رواه النسائي من حديث الزبير
مرفوعا انا معاشر الانبيا لا نورث وعلى هذا فيجاب عن قوله تعالى وورث سليمان داود وقوله تعالى رب هب لي
من لدنك وليا يرثني بان المراد النبوة والعلم ومنها انه حي في قبره قيل وكذلك يصلي فيه باذان واقامة الانبيا
ولهذا قيل لا عدة على ازواجه وقد حكى ابن زبالة وابن النجار ان الاذان ترك في ايام الحرة ثلاثة ايام وخرج الناس
وسعيد بن المسيب في المسجد قال سعيد فاستوحشت فدنوت الى القبر فلما حضرت الظهر سمعت الاذان في القبر
فصليت الظهر ثم مضى ذلك الاذان والاقامة في القبر لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال ورجع الناس وعاد المؤذ نون
فسمعت اذانهم كما سمعت الاذان في قبر النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقد ثبت ان الانبيا يحجون ويلبون فان قلت
كيف يصلون ويحجون ويلبون وهم اموات في الدار الاخرة وليست دار عمل فالجواب انهم كالشهدا بل افضل
منهم والشهدا احيا عند ربهم يرزقون فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا ويقولوا ان البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا
في استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور وان المنقطع في الاخرة انما هو التكليف وقد تحصل الاعمال من غير تكليف
بسبيل التلذذ بها ولهذا انهم يسبحون ويقرءون القران ومن هذا سجود النبي صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة
وقد قال صاحب التلخيص ان ماله عليه الصلاة والسلام بعد موته قائم على نفقته وملكه وعد من خصايصه ونقل
امام الحرمين عنه انما خلفه بقي على ما كان في حياته فكان ينفق منه ابو بكر على اهله وخدمه وكان يرى انه
باق على ملكه النبي صلى الله عليه وسلم فان الانبيا احيا وهذا يقتضي اثبات الحياة في احكام الدنيا وذلك زايد على
حياة الشهيد والذي صرح به النووي زوال ملكه عليه الصلاة والسلام وان ما ترك صدقة على جميع المسلمين
لا يختص به ورثته فان قلت القران ناطق بموته عليه السلام قال تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال عليه السلام
اني مقبوض وقال الصديق ان محمدا قد مات واجمع المسلمون على اطلاق ذلك اجاب الشيخ تقي الدين السبكي بان
ذلك الموت غير مستمر وانه صلى الله عليه وسلم احيي بعد الموت ويكون انتقال الملك ونحوه مشروطا بالموت المستمر
والا فالحياة الثانية حياة اخروية ولا شك انها اعلى واكمل من حياة الشهدا وهي ثابتة للروح بلا اشكال وقد
ثبت ان اجساد الانبيا لا تبلى وعود الروح الى الجسد ثابت في الصحيح لساير الموتى فضلا عن الشهدا فضلا عن الانبيا
وانما النظر في استمرارها في البدن وفي ان البدن يصير حيا كحالته في الدنيا او حيا بدونها وهي حيث شا الله تعالى
فان ملازمة الروح للحياة امر عادي لا عقلي فهذا مما يجوزه العقل فان صح به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلما
ويشهد له صلاة موسى في قبره فان الصلاة تستدعي جسدا حيا وكذلك الصفات المذكورة في الانبيا ليلة الاسرا كلها
صفات الاجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقية ان تكون الابدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب وغير ذلك
من صفات الاجسام التي نشاهدها بل يكون لها حكم اخر فليس في العقل ما يمنع من اثبات الحياة الحقيقية لهم واما الادراكات
كالعلم والسماع فلا شك ان ذلك ثابت لهم بل لساير الموتى حكاه الشيخ زين الدين المراغي وقال انه مما يعز وجوده وفي مثله
يتنافس المتنافسون ومنها انه وكل بقبره ملك يبلغه صلاة المصلين عليه رواه احمد والحاكم والنسائي وصححه بلفظ ان
لله ملايكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام وعند الاصبهاني عن عمار ان لله ملكا اعطاه سمع العباد كلهم
فما من احد يصلي علي الا ابلغنيها وتعرض اعمال امته عليه ويستغفر لهم وروى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب ليس من يوم
الا ويعرض على النبي صلى الله عليه وسلم اعمال امته غدوة وعشيا فيعرفهم بسيماهم واعمالهم ومنها ان منبره صلى الله

Copyright King Saud University

عليه وسلم على حوضه كما في الحديث وفي رواية ومنبري على ترعة من ترع الجنة واصل الترعة الروضة كما في الحديث
وفي رواية وتطلق على المكان المرتفع خاصة فاذا كانت في المطمئن فهي روضة ولم يختلف احد من العلماء انه على
ظاهره وانه حق محسوس موجود فان القدرة صالحة لا يعجز فيها وكلما اخبر به الصادق عليه الصلاة والسلام
من امور الغيب فالايمان به واجب ومنها ان ما بين منبره وقبره روضة من رياض الجنة رواه البخاري بلفظ
ما بين بيتي ومنبري وهذا يحتمل الحقيقة والمجاز اما الحقيقة فبان يكون ما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم بانه من الجنة انه
يكون مقتطعا منها كما ان الحجر الاسود منها وكذلك النيل والفرات من الجنة فاقتضت الحكمة ان يكون في هذه الدار
من مياه الجنة ومن ترابها ومن حجرها ومن فواكهها حكمة حكيم جليل واما المجاز فان يكون من اطلاق اسم المسبب
على السبب فان ملازمة ذلك المكان للصلاة والعبادة سبب في نيل الجنة قاله ابن ابي جمرة وهو معنى قول بعضهم
لكون العبادة فيه تؤول الى دخول العابد روضة الجنة وهذا فيه نظر اذ لا اختصاص لذلك بتلك البقعة
على غيرها وفي كتاب بهجة النفوس لابن ابي جمرة ايضا حكاية قول ان تلك البقعة تنقل بعينها فتكون من الجنة يعني
روضة من رياضها قال والاظهر الجمع بين الوجهين معا يعني احتمال كونها تنقل الى الجنة وكون العمل فيها يوجب
لصاحبها روضة في الجنة ويأتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في فضل الزيارة من المقصد الاخير ان شاء الله تعالى لصاحبه رح
ومنها انه صلى الله عليه وسلم اول من ينشق عنه القبر وفي رواية مسلم انا اول من تنشق عنه الارض وهو اول من
يفيق من الصعقة قال عليه الصلاة والسلام انا اول من يرفع راسه بعد النفخة فاذا انا بموسى آخذ بقائمة من
قوائم العرش فلا ادري اقام قبلي ام جوزي بصعقة الطور رواه البخاري والظاهر انه عليه الصلاة والسلام
لم يكن عنده علم ذلك حتى اعلمه الله تعالى فقد اخبر عن نفسه الكريمة انه عليه الصلاة والسلام اول من ينشق عنه
القبر وهو اول من يجوز على الصراط رواه البخاري من حديث ابي هريرة وانه يخرج في سبعين الف من الملائكة كما
روي عن كعب الاحبار ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الف ملك يحفون بقبره عليه السلام يضربون باجنحتهم حتى
اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك حتى اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين الف من الملائكة يوقرونه
صلى الله عليه الصلاة والسلام الحديث رواه ابن النجار في تاريخ المدينة وانه يحشر راكب البراق رواه الحافظ السلفي
كما ذكره الطبري ويكسى في الموقف اعظم الحلل من الجنة رواه البيهقي بلفظ فاكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر
ورواه كعب بن مالك بلفظ يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء رواه الطبراني
وهو عند ابن ابي شيبة بلفظ يحشر الناس على تل وامتي على تل وعند الطبراني ايضا من حديث ابن عمر فيرقى هو يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم وامته على كوم فوق الناس وانه يقوم عن يمين العرش رواه ابن مسعود عنه عليه الصلاة
والسلام وفيه لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون ومنها انه يعطى المقام المحمود قال مجاهد هو
جلوسه صلى الله عليه وسلم على العرش وعن عبد الله بن سلام على الكرسي ذكرهما البغوي وسياتي ما قيل في ذلك في
ذكر تفضيله عليه الصلاة والسلام بالمقام المحمود ان شاء الله تعالى ومنها انه يعطى الشفاعة العظمى في فصل
القضاء بين اهل الموقف حين يفزعون اليه بعد الانبيا والشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب وفي رفع
درجات ناس في الجنة كما جوز النووي اختصاص هذه والتي قبلها به ووردت الاحاديث في التي قبل
وسياتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في المقصد الاخير والله المعين ومنها انه صاحب لواء الحمد يوم القيمة
آدم فمن دونه تحته رواه البزار وانه اول من يقرع باب الجنة روى مسلم من حديث المختار بن فلفل عن انس قال

صل

قال صلى الله عليه وسلم انا اكثر الناس تبعا يوم القيمة وانا اول من يقرع باب الجنة وعنه ايضا عن انس
قال صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن بك امرت لا افتح لاحد قبلك ورواه
الطبراني بزيادة فيه قال فيقوم الخازن فيقول لا افتح لاحد قبلك ولا اقوم لاحد بعدك وهذه خصوصية
اخرى له صلى الله عليه وسلم فقيامه له عليه الصلاة والسلام فيه اظهار لمزيته ومرتبته ولا يقوم لاحد منهم
بعده بل خزنة الجنة يقومون في خدمته وهو كالملك عليهم وقد اقامه الله تعالى في خدمة عبده ورسوله حتى
مشى وفتح له الباب ومنها انه صلى الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة قال عليه السلام وانا اول من يحرك حلق الجنة
فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المومنين ولا فخر رواه الترمذي ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في
الجنة يسيل في حوضه مجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج ومنها الوسيلة وهي اعلى درجة
في الجنة ومن خصائصه امته صلى الله عليه وسلم وزادها شرفا فاعلم انه لما اثنى سبحانه وتعالى العالم على غاية من الاتقان
وابرز جسد نبينا صلى الله عليه وسلم العيان وظهر عنايته بامته الانسانية خصوصا وظهوره فيها وان كان العالم
الانساني والناري كله امته ولكن لهولا خصوص وصف فجعلهم خير امة اخرجت للناس وجعلهم ورثة الانبيا
واعطاهم الاجتهاد في نصب الاحكام فيحكمون بما ادى اليه اجتهادهم وكل من دخل من الانبيا كعيسى صلى الله عليه وسلم
او قدر دخوله كالخضر في زمان هذه الامة من الانبيا عليهم السلام بعد نبينا صلى الله عليه وسلم على تقدير دخوله فانه
لا يحكم في العالم الا بما شرع محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الامة فاذا نزل سيدنا عيسى عليه السلام فانما يحكم بشريعة نبينا
صلى الله عليه وسلم بالهام او اطلاع على الروح المحمدي او بما شاء الله تعالى فياخذ عنه ما شرع الله له ان يحكم به في امته
فلا حكم في شيء من تحريم وتحليل الا بما كان يحكم به نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يحكم بشريعته التي انزلت عليه في اوان
رسالته ودولته فهو عليه السلام تابع لنبينا صلى الله عليه وسلم وقد نبه على ذلك الترمذي في كتاب ختم الاوليا
واعرب عنه صاحب عنقا مغرب وكذا الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح عقايد النسفي وصح انه يصلي
بالناس ويومهم ويقتدي به المهدي لانه افضل فامامته اولى لكنه فهو عليه السلام وان كان خليفة
في الامة المحمدية فهو رسول ونبي كريم على حاله كما يظن بعض الناس انه واحد من هذه الامة نعم هو واحد
من هذه الامة لما ذكر من وجوب اتباعه لنبينا صلى الله عليه وسلم والحكم بشريعته فان قلت قد ورد
في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير
ويضع الجزية وان الصواب في معناه لا يقبل الجزية ولا يقبل الا الاسلام او القتل وهذا هو خلاف ما هو حكم
الشرع اليوم فان الكتابي اذا بذل الجزية وجب قبولها ولا يجوز قتله ولا اكراهه على الاسلام واذا كان كذلك
فكيف يكون عيسى عليه السلام حاكما بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم برسالة مستمرة وشريعة ناسخة
بل هو حاكم من حكام هذه الامة واما حكم الجزية وما يتعلق بها فليس حكما مستمرا الى يوم القيمة بل هو مقيد بما
قبل نزول عيسى وقد اخبر نبينا صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ بل نبينا صلى الله
عليه وسلم هو المبين للنسخ فدل على ان الامتناع في ذلك الوقت من قبول الجزية هو شرع نبينا صلى الله عليه وسلم
اشار اليه النووي في شرح مسلم فان قلت ما معنى تغيير حكم الشرع عند نزول عيسى عليه السلام عند خروجه
للاية قلت لانه يفيض في ايامه المال حتى لا يقبله احد فلا يقبل الا القتل او الايمان بالله وحده انتهى وقال
الشيخ ولي الدين بن العراقي ان قبول الجزية من اليهود والنصارى لشبهة ما بايديهم من التوراة والانجيل

ونعلقهم بزعمهم لشرع قديم فاذا نزل عيسى عليه السلام زالت تلك الشبهة بحصول معاينته فصاروا
كعبدة الاوثان في انقطاع شبههم وانكشاف امرهم فعوملوا معاملتهم في انه لا يقبل منهم الا الاسلام والحكم
يزول بزوال علته قال وهذا معنى حسن مناسب لم ار من تعرض له قال وهذا اولى مما ذكره ابن بطال انتهى
وكذلك من يقول من العلماء بنبوة الخضر وانه باق الى اليوم وانه تابع لاحكام هذه الملة وكذلك الياس على
ما صححه ابو عبد الله القرطبي انه حي ايضا وليس في الرسل من يتبعه رسول الا نبينا صلى الله عليه وسلم كفى
بهذا شرفا لهذه الامة المحمدية زادها الله شرفا فالحمد لله الذي خصنا بهذه الرحمة واسبغ علينا هذه النعمة
ومن علينا بما عمنا به من الفضائل الجمة ونوه بنا في كتابه العزيز بقوله كنتم خير امة فتامل قوله كنتم اي في
اللوح المحفوظ وقيل كنتم في علم الله فينبغي لمن هو من هذه الامة المحمدية ان يتخلق بالاخلاق الزكية ليثبت
له ما لهذه الامة الزكية من الاوصاف المرضية ويتاهل لما لها من الخيرية قال مجاهد كنتم خير امة
اخرجت للناس اذا كنتم على الشرائط المذكورة اي تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقيل انما صارت امة
محمد صلى الله عليه وسلم خير امة لان المسلمين منهم اكثر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم افشى فقيل هذا
لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما قال عليه الصلاة والسلام خير الناس قرني ثم الذين يلونهم وهذا يدل على ان
اول هذه الامة افضل ممن بعدها والى هذا ذهب معظم العلماء وان من صحبه صلى الله عليه وسلم ورآه ولو مرة من
عمره افضل من كل من ياتي بعده وان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل هذا مذهب الجمهور وذهب ابو عمر بن عبد
البر الى انه قد يكون فيمن ياتي بعد الصحابة افضل ممن كان في جملة الصحابة وان قوله عليه الصلاة
والسلام خير الناس قرني ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن بين الفاضل والمفضول وقد جمع قرنه
عليه الصلاة والسلام جماعة من المنافقين المظهرين للايمان واهل الكبائر الذين اقام عليهم وعلى بعضهم
الحدود وقد روى ابو امامة انه صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى سبع مرات
لمن لم يرني وآمن بي وفي مسند ابي داود الطيالسي عن محمد بن ابي حميد عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر
قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتدرون اي الخلق افضل ايمانا قلنا الملائكة قال وحق
لهم بل غيرهم قلنا الانبياء قال وحق لهم بل غيرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم افضل الخلق ايمانا قوم في اصلاب
الرجال يؤمنون بي ولم يروني فهم افضل الخلق ايمانا وروى ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة
كتب الى سالم بن عبد الله ان اكتب الي بسيرة عمر بن الخطاب لاعمل بها فكتب اليه سالم ان عملت بسيرة عمر
فانت افضل من عمر لان زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر قال وكتب الى فقهاء زمانه فكلهم
كتب بمثل قول سالم قال ابو عمر فهذه الاحاديث تقتضي مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين اول هذه
الامة وآخرها في فضل العمل الا اهل بدر والحديبية ومن تدبر هذا الباب بان له الصواب والله
يؤتي فضله من يشاء انتهى واسناد حديث ابي داود الطيالسي عن عمر ضعيف فلا يحتج به لكن روى احمد والدارمي
والطبراني عن ابي عبيدة قال يا رسول الله احد خير منا اسلمنا معك وجاهدنا معك قال قوم يكونون من بعدكم
يؤمنون بي ولم يروني واسناده حسن وصححه الحاكم والحق ما عليه الجمهور ان فضيلة الصحبة لا يعدلها
عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدلائل على فضلية الصحابة على غيرهم كثيرة متظاهرة
لا نطيل بذكرها وسياتي بقية مباحث ذلك في فضل الصحابة من المقصد السابع ان شاء الله تعالى

وقد خص

وقد خص الله تعالى هذه الامة الشريفة بخصائص لم يؤتها امة قبلها ابان بها فضلهم والاخبار
والآثار ناطقة بذلك روى ابو نعيم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقراها فوجد فيها ذكر هذه الامة قال يا رب اني اجد
في الالواح امة يحملون الصدقة في بطونهم يوجرون عليها فاجعلها امتي قال تلك امة احمد
قال يا رب اني اجد في الالواح امة هم الآخرون السابقون فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال
رب اني اجد في الالواح امة اناجيلهم في صدورهم يقرؤونها ظاهرا فاجعلها امتي قال تلك امة احمد
قال يا رب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان
عملها كتبت له عشر حسنات فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة اذا هم
بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال رب
اني اجد في الالواح امة يؤتون العلم الاول والعلم الآخر فيقتلون المسيح الدجال فاجعلها امتي
قال تلك امة احمد قال رب فاجعلني من امة احمد فاعطي عند ذلك خصلتين فقال يا موسى
اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين قال قد رضيت
يا رب وروى ابن ظفر في النطق المفهوم عن ابن عباس رضي الله عنه قال موسى يا رب هل في
الامم اكرم عليك من امتي ظللت عليهم الغمام وانزلت عليهم المن والسلوى فقال الله سبحانه وتعالى
يا موسى اما علمت ان فضل امة محمد على سائر الامم كفضلي على سائر الامم قال رب فارنيهم قال لن
تراهم ولكن اسمعك كلامهم فناداهم الله تعالى فاجابوا كلهم بصوت واحد لبيك اللهم لبيك وهم في
اصلاب آبائهم وبطون امهاتهم فقال سبحانه وتعالى صلاتي عليكم ورحمتي سبقت غضبي وعفوي
سبق عقابي استجبت لكم قبل ان تسالوني من لقيني منكم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله غفرت له ذنوبه قال صلى الله عليه وسلم فاراد الله ان يمن علي بذلك فقال وما كنت بجانب الطور اذ
نادينا اي امتك حتى اسمعنا موسى كلامهم ورواه قتادة وزاد فقال موسى رب ما احلى اصوات
امة محمد صلى الله عليه وسلم اسمعني مرة اخرى وفي الحلية لابي نعيم عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اوحى الله تعالى الى موسى نبي بني اسرائيل انه من لقيني وهو جاحد باحمد ادخلته النار قال رب
ومن احمد قال ما خلقت خلقا اكرم علي منه كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل ان اخلق السموات والارض
ان الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وامته قال ومن امته قال الحمادون يحمدون صعودا
وهبوطا وعلى كل حال يشدون اوساطهم ويطهرون اطرافهم صائمون بالنهار رهبان بالليل
اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قال اجعلني نبي تلك الامة قال نبيها
منها قال اجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت واستاخر ولكن ساجمع بينك وبينه
في دار الجلال وعن وهب بن منبه قال اوحى الله تعالى الى شعيا اني باعث نبيا اميا
افتح به آذانا صما واعينا عميا مولده بمكة ومهاجره طيبة وملكه بالشام عبدي المتوكل المصطفى
المرفوع الحبيب المحبب المختار لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر رحيما بالمؤمنين
يبكي للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الارملة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق

جميع خلقي

Copyright © King Saud University

ولا يترس بالغش ولا قوال للخنا لو يمر إلى جنب السراج لم يطفه من سكينته فلو يمشي على
القصب الرعراع لم يسمع من تحت قدميه ابعثه مبشرا ونذيرا لا إله إلا أن قال واجعل أمته خير
الأمم أمة أخرجت للناس آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر وموحدا لي ومؤمنا بي ومخلصا لي ومصدقا
لما جاءت به رسلي وهم رعاة الشمس والقمر طوبى لتلك القلوب والوجوه والأرواح التي أخلصت
لي ألهمهم التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم
ويصفون في مساجدهم كما تصف الملائكة حول عرشي هم أوليائي وأنصاري أنتقم بهم من أعدائي عبدة
الأوثان يصلون لي قياما وقعودا وركعا وسجودا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي
ألوفا ويقاتلون في سبيلي صفوفا أختم بكتابهم الكتب وبشريعتهم الشرائع وبدينهم الأديان فمن أدركهم
فلم يؤمن بكتابهم ويدخل في دينهم وشريعتهم فليس مني وهو مني بريء وأجعلهم أمة وسطا شهداء على الناس
إذا غضبوا هللوني وإذا تنازعوا سبحوني يطهرون الوجوه والأطراف ويشدون الوجوه
إلى الأنصاف ويهللون على التلال والأشراف قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم رهبانا
بالليل ليوثا بالنهار طوبى لمن كان معهم وعلى دينهم ومناهجهم وشريعتهم وذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا
ذو الفضل العظيم رواه أبو نعيم وقد ذكر الإمام فخر الدين أنه من كانت معجزاته أظهر يكون ثواب أمته
أقل قال السبكي إلا هذه الأمة فإن معجزات نبينا أظهر وثوابنا أكثر من سائر الأمم ومن خصائص هذه الأمة
إحلال الغنائم ولم تحل لأمة قبلها وجعلت لهم الأرض مسجدا ولم تكن الأمم تصلي إلا في البيع والكنائس وجعل
ترابها لهم طهورا وهو التيمم وفي رواية أبي أمامة عند البخاري وجعلت الأرض كلها لي ولأمتي مسجدا
وطهورا وفي رواية مسلم من حديث حذيفة وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعلت تربتها طهورا إذا لم
نجد الماء ومن خصائص هذه الأمة أيضا الوضوء فإنه لم يكن إلا للأنبياء دون أممهم ذكره الحليمي واستند
البخاري أنهم يدعون يوم القيامة محجلين من آثار الوضوء لكن في فتح الباري فيه نظر لأنه ثبت
في البخاري قصة سارة عليها السلام مع الملك الذي أعطاها هاجر أن سارة لما هم الملك بالدنو منها
قامت تتوضأ وتصلي وفي قصة جريج الراهب أيضا أنه قام فتوضأ وصلى ثم كلم الغلام فالظاهر
أن الذي اختصت به هذه الأمة هو الغرة والتحجيل لا أصل الوضوء وقد صرح بذلك في رواية
لمسلم عن أبي هريرة مرفوعا قال سيما ليست لأحد غيركم أي علامة وغاية التحجيل استيعاب العضد من
والساقين والغرة غسل مقدمات الرأس وصفحة العنق مع الوجه ومنها مجموع الصلوات الخمس ولم
تجتمع لأحد غيرهم أخرج الطحاوي عن عبيد الله بن محمد بن عائشة قال إن آدم لما تيب عليه عند الفجر صلى ركعتين
فصارت الصبح وفدي إسحاق عند الظهر فصلى أربع ركعات فصارت الظهر وبعث عزير عند العصر فقيل له كم لبثت
قال يوما فرأى الشمس فقال أو بعض يوم فصلى أربع ركعات فصارت العصر وغفر لداود عند المغرب فقام فصلى أربع
ركعات فجهد فجلس في الثالثة فصارت المغرب ثلاثا وأول من صلى العشاء الآخرة نبينا صلى الله عليه وسلم وأخرج أبو
داود في سننه وابن أبي شيبة في مصنفه والبيهقي في سننه عن معاذ بن جبل قال أخر رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلاة العتمة ليلة حتى ظن الظان أنه قد صلى ثم خرج فقال أعتموا بهذه الصلاة فإنكم فضلتم بها
على سائر الأمم ولم تصلها أمة قبلكم ومنها الأذان والإقامة ومنها البسملة قاله بعضهم فيما نقله الشيخ

شهاب

شهاب الدين الحلبي النحوي في تفسيره قال ولم تنزل على أحد من الأمم قبلها إلا سليمان بن داود
فهي مما اختصت به هذه الأمة انتهى ومنها التأمين روى الإمام أحمد من حديث عائشة قالت
بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ استأذن رجل من اليهود فذكر الحديث وفيه أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال إنهم لم يحسدونا على شيء كما حسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وعلى قولنا خلف
الإمام آمين قال الحافظ ابن حجر وهذا حديث غريب لا أعرفه بهذه الألفاظ إلا من هذا الوجه
لكن لبعضه متابع حسن في التأمين أخرجه ابن ماجه وصححه ابن خزيمة كلاهما من رواية سهيل
ابن أبي صالح عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما حسدتنا اليهود على شيء ما حسدتنا
على السلام والتأمين ومنها الاختصاص بالركوع عن علي رضي الله عنه قال أول صلاة ركعنا فيها
العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال بهذا أمرت رواه البزار والطبراني ووجه الاستدلال
منه أنه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك الظهر وصلى قبل الصلوات الخمس قيام الليل فكون الصلاة
السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الأمم السابقة منه قاله بعض العلما قال وذكر جماعة من
المفسرين في قوله تعالى واركعوا مع الراكعين أن مشروعية الركوع في الصلاة خاص بهذه الأمة
وأنه لا ركوع في صلاة بني إسرائيل ولذا أمرهم بالركوع مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا يعارضه
قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين المفسر بأمرها بالصلاة في الجماعة بذكر
أركانها مبالغة في المحافظة عليها قالوا وقدم السجود قبل الركوع إما لكونه كذلك في شريعتهم وللتنبيه
على أن الواو لا توجب الترتيب وقيل المراد بالقنوت إدامة الطاعة كقوله أمن هو قانت آناء الليل
ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة كقوله وأدبار السجود وبالركوع الخشوع والإخبات ومنها الصفوف
في الصلاة كصفوف الملائكة رواه مسلم من حديث حذيفة ومنها تحية السلام لحديث عائشة السابق
ومنها الجمعة قال صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا
ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى
بعد غد رواه البخاري ومنها ساعة الإجابة التي في الجمعة واختلف في تعيينها على أقوال تزيد على الثلاثين
ذكرتها في لوامع الأنوار في الأدعية والأذكار ومنها إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله تعالى
إليهم ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا وتزيين الجنة فيه وخلوف أفواه الصائمين أطيب من ريح المسك
وتستغفر لهم الملائكة في كل يوم وليلة حتى يفطروا وإذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعا رواه البيهقي
بإسناد لا بأس به بلفظ أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي ويستغفر لهم الحيتان
الحيتان في البحر حتى يفطروا رواه البزار وتصفد فيه مردة الشياطين رواه أحمد والبزار ومنها
السحور وتعجيل الفطر رواه الشيخان وإباحة الأكل والشرب والجماع ليلا إلى الفجر وكان محرما على
من قبلنا بعد النوم وكان كذلك في صدر الإسلام ثم نسخ ومنها ليلة القدر كما قاله النووي في شرح
المهذب وهل صيام رمضان من خصائص هذه الأمة أم لا إن قلنا إن التشبيه الذي دلت عليه كاف
كما في قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم على حقيقته فيكون رمضان كتب على
من قبلنا وذكر ابن أبي حاتم عن ابن عمر رفعه صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم وفي إسناده مجهول

Copyright © King Saud University

وان قلنا المراد مطلق الصيام دون قدره ووقته فيكون التشبيه واقعا على مطلق الصوم وهو قول
الجمهور ومنها ان لهم الاسترجاع عند المصيبة قال سعيد بن جبير لقد اعطيت هذه الامة عند المصيبة
ما لم تعط الانبيا عليهم السلام مثله انا لله وانا اليه راجعون ولو اعطيت الانبيا لاعطيت يعقوب عليه السلام
اذ قال يا اسفى على يوسف ومنها ان الله تعالى رفع عنهم الاصر الذي كان على الامم قبلهم قال الله تعالى ويضع عنهم
اصرهم والاغلال التي كانت عليهم اي ويكشف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد
والخطا وقطع الاعضا الخاطية وقطع موضع النجاسة وقتل النفس في التوبة وقد كان الرجل من بني اسرائيل
يذنب الذنب فيصبح وقد كتب على باب بيته ان كفارته ان تنزع عينيك فينزعهما واصل الاصر الثقل الذي
يا صر صاحبه اي تحبسه عن الحراك لثقله ومنها ان الله تعالى احل لهم كثيرا مما شدد على من قبلهم ولم يجعل عليهم
في الدين من حرج كما قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما اشتد القيام به عليهم
اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه يعني من لم يستطع ان يصلي قايما فليصل قاعدا واباح للصايم
الفطر في السفر والعذر فيه وقيل بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا وفتح لهم باب التوبة وشرع لهم من الكفارات
في حقوق الله تعالى والارش والديات في حقوق العباد قاله البيضاوي ونحوه وروي عن ابن عباس انه قال الحرج ما كان
على بني اسرائيل من الاصر والشدايد وضعه الله تعالى عن هذه الامة وعن كعب اعطى الله هذه الامة ثلاثا لم يعط
الا الانبيا جعلهم شهدا على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ادعوني استجب لكم ومنها ان
الله تعالى رفع عنهم المواخذة بالخطا والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس وقد كان بنو اسرائيل
اذا نسوا شيا مما امروا به او اخطاوا عجلت لهم العقوبة بحرم عليهم شي من مطعم او مشروب على حسب ذلك الذنب
وقد قال صلى الله عليه وسلم وضع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه رواه احمد وابن حبان والحاكم
وابن ماجه ومنها ان الاسلام وصف خاص بهم لا يشركهم فيه غيرهم الا الانبيا عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى
هو سماكم المسلمين من قبل ورضيت لكم الاسلام دينا اذ لو لم يكن خاصا بهم لم يكن في الامتنان عليهم بذلك فايدة
وقد يجاب بان رضى الاسلام دينا لهم وتسمية ابراهيم اياهم بذلك لا يستلزم اختصاص غيرهم به وفايدة ذلك الانعام
الاعلام عليهم بما انعم به على غيرهم من الفضايل وقيل لا يختص بهم بل يطلق على غيرهم ايضا وهو اسم لكل من خضع لغة
وشرعا كما اجاب به ابن الصلاح لقوله تعالى حكاية عن وصية يعقوب ولا تموتن الا وانتم مسلمون فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين الى غير ذلك ولان الايمان اخص من الاسلام كما هو مذهب كثير من العلما وليس خاصا
بهذه الامة بل يوصف به كل من دخل في شريعة شرعها الله تعالى ونبيا بنبيا به كما قاله الراغب ومنها ان شريعتهم
اكمل من جميع شرايع الامم المتقدمة وهذا مما لا يحتاج الى بيانه لوضوحه وانظر الى شريعة موسى عليه السلام فقد
كانت شريعة جلال وقهر امروا بقتل نفوسهم وحرمت عليهم الشحوم وذوات الظفر وغيرها من الطيبات
وحرمت عليهم الغنايم وعجلت لهم من العقوبات ما عجل وحملوا من الاصار والاغلال ما لم تحمله غيرهم وكان موسى
عليه السلام من اعظم خلق الله هيبة ووقارا واشدهم باسا وغضبا لله وبطشا باعدا الله فكان لا يستطاع
النظر اليه وعيسى عليه السلام كان في مظهر الجمال فكانت شريعته شريعة فضل واحسان وكان لا يقاتل ولا
يحارب وليس في شريعته قتال البتة والنصارى يحرم عليهم في دينهم القتال وهم به عصاة فان الانجيل يامر فيه
من لطمك على خدك الايمن فادر له خدك الايسر ومن نازعك ثوبك فاعطه رداك ومن سخرك ميلا فامش

معه

معه ميلين ونحو هذا وليس في شريعتهم مشقة ولا اصار ولا اغلال واما النصارى فابتدعوا تلك
الرهبانية من قبل انفسهم ولم تكتب عليهم واما نبينا صلى الله عليه وسلم فكان مظهر الكمال الجامع لتلك
القوة والعدل والشدة في الله واللين والرافة والرحمة فشريعته اكمل الشرايع وامته اكمل الامم
واحوالهم ومقاماتهم اكمل الاحوال والمقامات ولذلك تاتي شريعته صلى الله عليه وسلم بالعدل ايجابا
له وفرضا وبالفضل ندبا اليه واستحبابا وبالشدة في موضع الشدة وباللين في موضع اللين
ووضع السيف موضعه ووضع الندى موضعه فيذكر الظلم ويحرمه والعدل ويوجبه والفضل
ويندب اليه في بعض اية كقوله تعالى وجزا سيية سيية مثلها فهذا عدل فمن عفا واصلح فاجره
على الله فهذا فضل انه لا يحب الظالمين فهذا تحريم للظلم وقوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به هذا ايجاب للعدل وتحريم للظلم ولين صبرتم لهو خير للصابرين ندب الى الفضل وكذلك تحريم ما حرم ٢
على هذه الامة صيانة وحمية حرم عليهم كل خبيث وضار واباح لهم كل طيب ونافع فتحريمه عليهم رحمة وعلى
من كان قبلهم لم يخل من عقوبة كما اشرت اليه قريبا وهداهم لما ضلت عنه الامم قبلهم كيوم الجمعة كما سنذكره ان شا
الله تعالى في مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام وتقدم ما يشهد له ووهب لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير امة
اخرجت للناس وكمل لهم من المحاسن ما فرقه في الانبيا قبله وكمل في كتابه من المحاسن ما فرقه في الكتب قبله
وكذلك في شريعته فهذه الامة هم المجتبون كما قال الله تعالى هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج وجعلهم
شهدا على الناس فاقامهم في ذلك مقام الرسل الشاهدين على اممهم اشار اليه ابن القيم ومنها انهم لا يجتمعون
على ضلالة رواه احمد في مسنده والطبراني في الكبير وابن ابي خيثمة في تاريخه عن ابي بصرة الغفاري مرفوعا
في حديث سالت ربي ان لا يجمع امتي على ضلالة فاعطانيها ورواه ابن ابي عاصم والطبراني ايضا من حديث ابي مالك
الاشعري رفعه ان الله اجاركم من ثلاث وذكر منها ان لا تجتمعوا على ضلالة وبالجملة فهو حديث مشهور المتن
واسانيده كثيرة وله شواهد متعددة في المرفوع وغيره ومنها ان اجماعهم حجة وان اختلافهم رحمة وكان
اختلاف من قبلهم عذابا روى البيهقي في المدخل في حديث من رواية سليمان بن ابي كريمة عن جويبر عن الضحاك ن
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاف اصحابي لكم رحمة وجويبر ضعيف جدا والضحاك
عن ابن عباس منقطع وهو كما قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر حديث مشهور على الالسنة وقد اورده ابن الحاجب ج
في المختصر في مباحث القياس بلفظ اختلاف امتي رحمة للناس قال وكثر السوال عنه وزعم كثير من الايمة انه
لا اصل له لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطردا وقال اعترض على هذا الحديث رجلان احدهما ماجن
والاخر ملحد وهما اسحق الموصلي وعمرو بن بحر الجاحظ وقالا جميعا لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق
عذابا قال ثم تشاغل الخطابي برد هذا الكلام ولم يقع في كلامه شفي في عزو الحديث ولكنه اشعر بان له اصلا
عنده ومن حديث الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد قال اهل العلم اهل توسعة وما برح المفتون يختلفون فيحل
هذا ويحرم هذا فلا يعيب هذا على هذا اشار اليه شيخنا في المقاصد الحسنة ومنها ان الطاعون لهم شهادة ورحمة وكان
على الامم عذابا ومنها انهم اذا شهد اثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة وكانت الامم السالفة اذا شهد منهم مائة
ومنها انهم اقل الامم عملا واكثرهم اجرا واقصرهم اعمارا واوتوا العلم الاول والاخر واخر الامم فافتتحت عليهم
الامم ولم يفتضحوا ومنها انهم اوتوا الاسناد وهو خصيصة فاضلة من خصايص هذه الامة وسنة بالغة من

Copyright © King Saud University

السنن المؤكدة وقد روينا من طريق ابي العباس الدغولي قال سمعت محمد بن حاتم بن المظفر يقول ان
الله قد اكرم هذه الامة وشرفها وفضلها بالاسناد وليس لاحد من الامم كلها قديمها وحديثها اسناد
انما هو صحف في ايديهم وقد خلطوا بكتبهم اخبارهم فليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والانجيل وبين
ما الحقوه بكتبهم من الاخبار التي اخذوها عن غير الثقات وهذه الامة الشريفة زادها الله شرفا بنبيها
انما تنقل الحديث عن الثقة المعروف في زمانه بالصدق والامانة عن مثله حتى تتناهى اخبارهم ثم
يبحثون اشد البحث حتى يعرفون الاحفظ فالاحفظ والاضبط فالاضبط والاطول مجالسة لمن فوقه
ممن كان اقصر مجالسة ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها واكثر حتى يهذبوه من الغلط والزلل ويضبطوا
حروفه ويعدوه عدا فهذا من فضل الله على هذه الامة فنستودع الله تعالى شكر هذه النعمة وغيرها
من نعمه وقال ابو حاتم الرازي لم يكن في امة من الامم منذ خلق الله تعالى آدم امناء يحفظون آثار الرسل الا في هذه
الامة انتهى ومنها انهم اوتوا الانساب والاعراب قال ابو بكر محمد بن احمد بلغني ان الله خص هذه الامة بثلاثة
اشياء لم يعطها من قبلها الاسناد والانساب والاعراب انتهى وهو مروي عن ابي علي الجياني ايضا ومنها
انهم اوتوا تصنيف الكتب ذكره بعضهم ولا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى يأتي امر الله رواه الشيخان
ومنها ان فيهم اقطابا واوتادا ونجباء وابدالا عن انس مرفوعا الابدال اربعون رجلا واربعون امرأة رواه
الخلال في كرامات الاولياء ورواه الطبراني في الاوسط بلفظ لن تخلو الارض من اربعين رجلا مثل خليل
الرحمن عليه السلام فبهم يسقون وبهم ينصرون ما مات منهم احد الا ابدل الله مكانه آخر ورواه ابن عدي في
كامله بلفظ البدلاء اربعون اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم احد ابدل الله مكانه آخر
فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة وكذا روي كما عند احمد في المسند والخلال عن حديث عبادة
ابن الصامت مرفوعا لا يزال في هذه الامة ثلاثون مثل ابراهيم خليل الرحمن كلما مات واحد ابدل الله مكانه
رجلا وفي لفظ الطبراني في الكبير بهم تقوم وبهم تمطرون وبهم تنصرون ولابي نعيم في الحلية عن ابن عمر رفعه
خيار امتي في كل قرن خمسمائة والابدال اربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما مات رجل ابدل
الله مكانه آخر وهم في الارض كلها وفي الحلية ايضا عن ابن مسعود رفعه لا يزال اربعون رجلا من امتي
قلوبهم على قلب ابراهيم يدفع الله بهم عن اهل الارض يقال لهم الابدال لم يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا
بصدقة قال فبم ادركوها يا رسول الله قال بالسخاء والنصيحة للمسلمين وعن معروف الكرخي من قال
اللهم ارحم امة محمد في كل يوم كتبه الله من الابدال وهو في الحلية بلفظ من قال في كل يوم عشر مرات اللهم اصلح
امة محمد اللهم فرج عن امة محمد اللهم ارحم امة محمد كتب من الابدال وعن غيره قال من علامة الابدال ان لا يولد
لهم ويروى في مرفوع منفصل علامة ابدال امتي انهم لا يلعنون شيئا ابدا وقال يزيد بن هارون الابدال هم اهل العلم
وقال الامام احمد ان لم يكونوا اصحاب الحديث فمن هم وفي تاريخ بغداد للخطيب عن الكتاني قال النقباء ثلاثمائة
والنجباء سبعون والبدلاء اربعون والاخيار سبعة والعمد اربعة والغوث واحد فمسكن النقباء المغرب
ومسكن النجباء مصر ومسكن الابدال الشام والاخيار سياحون في الارض والعمد في زوايا الارض ومسكن
الغوث مكة فاذا عرضت الحاجة من امر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد
فان اجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته انتهى ومنها انهم يدخلون قبورهم بذنوبهم

ويخرجون

ويخرجوا منها بلا ذنوب تمحص عنهم باستغفار المؤمنين لهم رواه الطبراني في الاوسط من حديث
انس ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي امة مرحومة تدخل قبورها بذنوبها وتخرج
من قبورها لا ذنوب عليها تمحص عنها باستغفار المؤمنين لها ومنها انهم اختصوا في الآخرة بانهم
اول من تنشق عنهم الارض من الامم رواه ابو نعيم عن ابن عباس مرفوعا بلفظ وانا اول من تنشق الارض
عني وعن امتي ولا فخر ومنها انهم يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء رواه البخاري والغرة
بياض في وجه الفرس والتحجيل بياض في قوائمه وذلك مما يكسبه حسنا وجمالا فشبه صلى الله عليه
وسلم النور الذي يكون يوم القيامة في اعضاء الوضوء بالغرة والتحجيل ليفهم انه هذا البياض في اعضاء
الانسان مما يزينه لا مما يشينه يعني انهم اذا دعوا على رؤوس الاشهاد نودوا بهذا الوصف وكانوا
على هذه الصفة ومنها انهم يكونون في الموقف على مكان عال رواه ابن جرير وابن مردويه من حديث
جابر مرفوعا بلفظ انا وامتي على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس احد الا ود انه منا وما من
نبي كذبه قومه الا ونحن نشهد انه بلغ رسالة ربه وعند ابن مردويه من حديث كعب قال [illegible]
على تل ومنها ان لهم سيما في وجوههم من اثر السجود قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود
قال تعالى وهل هذه العلامة في الدنيا او في الآخرة فيه قولان احدهما انها في الدنيا قال ابن عباس
في رواية ابن ابي طلحة السمت الحسن وقال في رواية مجاهد ليست بالتي ترون هي سمت الاسلام وسيماه
خشوعه وقيل الصفرة في الوجه من اثر السهر فتحسبهم مرضى وما هم بمرضى والقول الثاني انه في الآخرة يعني
ان موضع السجود من وجوههم يكون اشد بياضا يوم القيامة يعرفون بتلك العلامة انهم سجدوا في الدنيا
رواه العوفي عن ابن عباس وعن شهر بن حوشب يكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقال
عطا الخراساني دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس ومنها انهم يؤتون كتبهم بايمانهم رواه احمد
والبزار ومنها ان نورهم يسعى بين ايديهم اخرجه احمد باسناد صحيح ومنها ان لهم ما سعوا وما سعي لهم وليس
لمن قبلهم الا ما سعى قاله عكرمة واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ففيها اجوبة احدها انها
منسوخة روي ذلك عن ابن عباس بقوله تعالى واتبعتهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم فيجعل الولد
الطفل في ميزان ابيه ويشفع الله تعالى الآباء في الابناء والابناء في الآباء بدليل قوله تعالى آباؤكم وابناؤكم لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا الثاني انها مخصوصة بالكافر واما المؤمن فله ما سعى غيره قال القرطبي وكثير من الاحاديث
يدل على هذا القول وان المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
من مات وعليه صيام صام عنه وليه وقال صلى الله عليه وسلم للذي حج عن غيره حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة
وعن عائشة انها اعتكفت عن اخيها عبد الرحمن واعتقت عنه وقال سعد للنبي صلى الله عليه وسلم
ان امي توفيت افاتصدق عنها قال نعم قال فاي الصدقة افضل قال سقي الماء وفي الموطا عن عبد الله بن ابي بكر عن
عمته انها حدثته عن جدته انها جعلت على نفسها مشيا الى مسجد قبا فماتت ولم تقضه فافتى عبد الله بن عباس
ابنتها ان تمشي عنها ومن المفسرين من قال ان الانسان في الآية ابو جهل ومنهم من قال عقبة بن ابي معيط ومنهم
من قال الوليد بن المغيرة ومنهم من قال اخبار عن شرع من قبلنا وقد دل شرعنا ان للانسان له سعيه وما
سعي له ومنهم من قال الانسان بسعيه في الخير وحسن صحبته وعشرته اكتسب الاصحاب واهدى لهم الخير وتودد

اللهم فصار ثوابه له بعد موته من سعيه ومنهم من قال الاية في الانسان الحي دون الميت ومنهم من قال
لم ينف في الاية انتفاع الرجل بسعي غيره له وانما نفى ملكه لسعي غيره وبين الامرين فرق فقال الزمخشري فان
قيل للانسان الا ما سعى فان قلت اما صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه قلت فيه جوابان احدهما
ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو ان يكون مؤمنا صالحا فكذلك كان سعي غيره كانه سعي نفسه
لكونه تبعا له وقائما بقيامه والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه له فهو في حكم الشرع
كالنايب عنه والوكيل القائم مقامه وقد اختلف العلما في ثواب القراءة هل يصل للميت فذهب الاكثرون الى
المنع وهو المشهور من مذهب الشافعي ومالك ونقل عن جماعة من الحنفية وقال كثير من الشافعية والحنفية
يصل وبه قال احمد بن حنبل رحمه الله بعد ان قال القراءة على القبر بدعة بل نقل عن الامام احمد يصل الى الميت
كل شي من صدقة وصلاة وحج واعتكاف وقراءة وذكر وغير ذلك وذكر الشيخ شمس الدين بن القطان العسقلاني
ان وصول ثواب القراءة الى الميت من قريب او اجنبي هو الصحيح كما تنفعه الصدقة والدعا والاستغفار بالاجماع
وقد افتى القاضي حسين بان الاستيجار لقراءة القران على راس القبر جايزة كالاستيجار للاذان وتعليم القران
لكن قال الرافعي وتبعه النووي عود المنفعة الى المستاجر شرط في الاجارة فيجب عود المنفعة في هذه
الاجارة الى المستاجر او ميته لكن المستاجر لا ينتفع بان يقرا الغير له والمشهور ان الميت لا يلحقه ثواب القراءة
المجردة فالوجه تنزيل الاستيجار على انتفاع الميت بالقراءة وذكروا له طريقين احدهما ان يعقب القراءة
بالدعا للميت فان الدعا يلحقه والدعا بعد القراءة اقرب الى الاجابة واكثر بركة والثاني ذكر الشيخ عبد الكريم
الشالوسي انه ان نوى القارئ بقراءته ان يكون ثوابها للميت لم يلحقه لكن لو قرا ثم جعل ما حصل من الاجر
له فهذا دعا بحصول ذلك الاجر للميت فينتفع الميت قال النووي في زيادات الروضة ظاهر كلام القاضي
حسين صحة الاجارة مطلقا وهو المختار فان موضع القراءة موضع البركة وتنزل الرحمة وهذا مقصود ينفع
الميت وقال الرافعي وتبعه النووي في الروضة الذي يعتاد من قراءة القران على راس القبر قد ذكرنا في باب
الاجارة طريقين في عود فايدتها الى الميت وعن القاضي ابي الطيب طريق ثالث وهو ان الميت كالحي الحاضر
فترجى له الرحمة ووصول البركة اذا اهدي الثواب له الى القاضي وقال الشالوسي اذا نوى بقراءته ان يكون
ثوابها للميت لم يلحقه اذا جعل ذلك قبل حصوله وتلاوته عبادة البدن فلا يقع عن الغير وان قرا ثم
جعل ما حصل من الثواب للميت ينفعه اذ قد جعل من الاجر لغيره والميت يوجر بدعا الغير لكن اطلاق ان
الدعا ينفع الميت اعترض عليه بعضهم لانه موقوف على الاجابة ويمكن ان يقال الدعا للميت مستجاب كما
اطلقوا اعتمادا على سعة فضل الله وقال الرافعي وتبعه النووي يستوي في الصدقة والدعا الوارث والاجنبي
قال الشافعي رضي الله عنه ان يتبع المتصدق ايضا وقال الاصحاب يستحب ان ينوي المتصدق الصدقة
عن ابويه فان الله ينيلهما الثواب ولا ينقص من اجره شي وذكر صاحب العدة انه لو انبط عينا او حفر
بيرا او غرس شجرا او وقف مصحفا في حال الحياة او فعل غيره بعد موته يلحق الثواب بالميت وقال الرافعي والنووي
ان هذه الامور اذا صدرت من الحي فهي صدقات جارية يلحق ثوابها بعد الميت كما ورد في الخبر ولا يختص
الحكم بوقف المصحف بل يلحق به كل من وقف وهذا القياس يقتضي جواز التضحية عن الميت لانها من
الصدقة لكن في المهذب انه لا يجوز التضحية عن الغير بغير امره وكذا عن الميت الا ان يكون اوصى به

دخ

وقد روي على او غيره من الصحابة انه كان يضحي عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وعن ابي
العباس محمد بن اسحق السراج قال ضحيت عن النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين اضحية واما اهدا القراءة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعرف فيه خبر ولا اثر وقد انكر جماعة منهم الشيخ برهان الدين
ابن الفركاح لان الصحابة لم يفعله احد منهم وحكى صاحب الروح ان من الفقها المتاخرين من استحبه ومنهم
من راه بدعة قالوا والنبي صلى الله عليه وسلم غني عن ذلك فان له اجر كل من عمل خيرا من امته من غير ان
ينتقص اجر العامل قال الشافعي ما من خير يعمله احد من امة النبي صلى الله عليه وسلم الا والنبي صلى الله عليه
وسلم اصل فيه قال في تحقيق النصرة جميع حسنات المومنين واعمالهم الصالحة في صحايف نبينا صلى الله
عليه وسلم زيادة على ماله من الاجر مع مضاعفة لا يحصرها الا الله تعالى لان كل مهتد وعامل الى يوم القيمة
يحصل له اجر ويتجدد لشيخه مثل ذلك الاجر ولشيخ شيخه مثلاه وللشيخ الثالث اربعة وللرابع
ثمانية وهكذا تضعيف كل مرتبة بعدد الاجور الحاصلة بعده الى النبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يعلم
تفضيل السلف على الخلف فاذا فرضت المراتب عشرة بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان للنبي صلى الله عليه
وسلم من الاجر الف واربعة وعشرون فاذا اهتدى بالعاشر حادي عشر صار اجر النبي صلى الله عليه وسلم الفين
وثمانية واربعين وهكذا كلما زاد واحد يتضاعف ما كان قبله ابدا كما قاله بعض المحققين انتهى
ولله در القايل وهو سيدي محمد وفا

فلا حسن الا من محاسن حسنه ولا محسن الا له حسناته

وبهذا يجاب عن استشكال دعا القاري له صلى الله عليه وسلم بزيادة الشرف مع العلم بكماله عليه الصلاة
والسلام في سائر انواع الشرف فكان الداعي لحظ انه قبول قراءته يتضمن لعمله نظير اجره وهكذا حتى
يكون للمعلم الاول وهو الشارع عليه الصلاة والسلام نظير جميع ذلك ومن ذلك ما شرع عند رؤية
الكعبة من قوله اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما فثمرة الدعا بذلك عايدة على الداعي لا شتماله
على طلب ثبوت القراءة وهذا كما قالوا في الصلاة عليه زاده الله شرفا لديه انه ثمرتها عايدة على المصلي
اشار اليه شيخنا الحافظ ابن حجر ومن خصايص هذه الامة انهم يدخلون الجنة قبل سائر الامم رواه الطبراني
في الاوسط من حديث عمر بن الخطاب مرفوعا حرمت الجنة على الانبيا حتى ادخلها وحرمت على الامم
حتى تدخلها امتي ومنها انه يدخل منهم الجنة سبعون الفا بغير حساب رواه الشيخان وعند الطبراني
والبيهقي في البعث انه قال ان ربي وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا لا حساب عليهم واني سالت
ربي المزيد فاعطاني مع كل واحد من السبعين الف سبعين الفا وبالجملة فقد اختصت هذه الامة
بما لم يعطه غيرها من الامم تكرمة لنبيها عليه الصلاة والسلام وزيادة في شرفه وتفضيل فضلها
وخصايصها يستدعي سفرا او اسفارا وذلك فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم

تم الجزء الاول بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم تسليما
كثيرا الى يوم
الدين

Copyright © King Saud University

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

المقصد الخامس في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصائص المعراج والإسرا وتعميمه بعموم لطائف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة والآيات الكبرى

اعلم منحني الله وإياك التوقي في معارج السعادات وأوصلنا به إليه في خطاير الكرامات أن قصة الإسراء والمعراج من أشهر المعجزات وأظهر البراهين البينات وأقوى الحجج المحكمات وأصدق الأنباء وأعظم الآيات وأتم الدلالات الدالة على تخصيصه عليه الصلاة والسلام بعموم الكرامات **وقد اختلف** العلماء في الإسراء هل هو إسراء واحد في ليلة واحدة يقظة أو مناما أو إسراآت كل واحد في ليلة مرة بروحه وبدنه يقظة ومرة مناما أو يقظة بروحه وجسده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم مناما من المسجد الأقصى إلى العرش أو هي أربع إسراآت احتج القائلون بأنه رؤيا منام مع اتفاقهم بأن رؤيا الأنبياء وحي بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس لأن الرؤيا مصدر الحلمية وأما البصرية فالرؤية بالتاء وقد أنكر ابن مالك والحريري وغيرهما كما أفاده الشيخ بدر الدين الزركشي ورود الرؤيا للبصرية ولحنوا المتنبي في قوله ورؤياك أحلى في العيون من الغمض **وأجيب** بأنه إنما قال الرؤيا بالوقوع ذلك في الليل وسرعة تقضيه كأنه منام وبأن الرؤيا والرؤية واحدة كقربى وقربة ويشهد له قول ابن عباس في الآية كما عند البخاري كما بين هي رؤيا عين أريها صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به وزاد سعيد بن منصور عن سفيان في آخر الحديث وليس رؤيا منام ولم يصرح في رواية البخاري بالمرئي وعن سعيد بن منصور أيضا من طريق أبي مالك قال هو ما أري في طريقه إلى بيت المقدس وهذا مما يستدل به على إطلاق لفظ الرؤيا على ما يرى بالعين في اليقظة وهو يرد على من خطأ المتنبي على أنه اختلف المفسرون في هذه الآية فقيل أي الرؤيا التي أريناك ليلة المعراج قال البيضاوي فسر الرؤيا بالرؤية وقيل رؤيا عام الحديبية حين رأى أنه دخل مكة فصده المشركون وافتتن بذلك ناس وقيل رؤيا وقعة بدر وسأل ابن النقيب شيخه أبا العباس القرطبي عن الآية فقال الصحيح أنها رؤيا عين يقظة لا رؤيا منام بل مصارع القوم ببدر رآها النبي صلى الله عليه وسلم مصارعهم التي أراه جبريل فتسامعت به قريش فاستسخروا منه انتهى واحتج القائلون بأنه رؤيا منام أيضا بقول عائشة ما فقد جسده الشريف **وأجيب** بأن عائشة لم تحدث به عن مشاهدة لأنها لم تكن إذ ذاك زوجا ولا في سن من ضبط أو لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الإسراء متى كان **وقال** التفتازاني أي ما فقد جسده عن الروح بل كان مع روحه وكان المعراج للجسد والروح جميعا انتهى واحتج القائلون بأنه بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح بقوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فجعل المسجد الأقصى غاية الإسراء الذي وقع

التعجب

التعجب به بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي صلى الله عليه وسلم به وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه قالوا ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره فيكون أبلغ في المدح **وأجيب** بأن حكمة التخصيص بالمسجد الأقصى سؤال قريش له عنه على سبيل الامتحان عن ما شاهدوه وعرفوه من صفة بيت المقدس وقد علموا أنه لم يسافر إليه فيجيبهم بما عاين ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم ولذلك وقع ولهذا لم يسألوه عن ما رأى في السماء إذ لا عهد لهم بذلك وقال النووي في فتاويه وكان الإسراء به عليه الصلاة والسلام مرتين مرة في المنام ومرة في اليقظة وذكر السهيلي تصحيح هذا المذهب عن شيخه القاضي أبي بكر ابن العربي وأن مرة في النوم توطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه أمر النبوة فإنه أمر عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذلك الإسراء سهله عليه بالرؤيا لأن هوله عظيم فجاء في اليقظة على توطئة وتقدمة رفقا من الله بعبده وتسهيلا عليه **وقد** جوز بعض قائلي ذلك أن تكون قصة المنام قبل البعثة لأجل قول شريك في روايته وذلك قبل أن يوحى إليه وسيأتي البحث في ذلك إن شاء الله تعالى **واحتج** القائلون بأنه أربع إسراآت يقظة بتعدد الروايات في الإسراء واختلاف ما يذكر فيها فبعضهم يذكر شيئا لم يذكره الآخر وبعضهم يسقط شيئا ذكره الآخر **وأجيب** بأنه لا يدل على التعدد لأن بعض الرواة قد يحذف بعض الخبر للعلم به أو بنسيانه **وقد** وقع في رواية عبد الرحمن بن القاسم بوحدة ثم مثلثة بوزن جعفر في روايته عن حصين بن عبد الرحمن عند الترمذي والنسائي لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمر بالنبي صلى الله ومعه الواحد الحديث فإن كان ذلك محفوظا كانت فيه قوة لمن ذهب إلى تعدد الإسراء وأنه وقع بالمدينة أيضا غير الذي وقع بمكة **قال** في فتح الباري والذي يتحرر من هذه المسألة أن الإسراء الذي وقع بالمدينة ليس فيه ما وقع بمكة من استفتاح أبواب السماء بابا بابا ولا من التقاء الأنبياء كل واحد في سماء ولا المراجعة معهم ولا المراجعة مع موسى فيما يتعلق بفرض الصلوات ولا في طلب تخفيفها وسائر ما يتعلق بذلك وإنما تكررت قضايا كثيرة سوى ذلك رآها صلى الله عليه وسلم فمنها بمكة البعض ومنها بالمدينة بعد الهجرة البعض ومعظمها في المنام والله أعلم انتهى وقال بعض العارفين إن له صلى الله عليه وسلم أربعة وثلاثين مرة الذي أسري به منها إسراء واحد بجسمه والباقي بروحه رؤيا انتهى وقال الحافظ ابن كثير من جعل كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة فأثبت إسراآت متعددة فقد أبعد وأغرب وهرب إلى غير مهرب ولم يحصل على مطلب ولم ينقل ذلك عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي صلى الله عليه وسلم به أمته ولنقله الناس على التعدد والتكرار انتهى

قال الحافظ ابن كثير من جعل كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة فأثبت إسراآت متعددة فقد أبعد وأغرب وهرب إلى غير مهرب ولم يحصل على مطلب ولم ينقل ذلك عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي صلى الله عليه وسلم به أمته ولنقله الناس على التعدد والتكرار انتهى صح

Copyright © King Saud University

فالحق انه اسرا واحد بروحه وجسده يقظة في القصة كلها والي هذا ذهب م
الجمهور من علما المحدثين والفقها والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار
الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك اذ ليس في العقل ما يحيله قال الرازي قال
اهل التحقيق الذي يدل علي انه تعالي اسري بروح محمد صلي الله عليه وسلم وجسده
من مكة الي المسجد الاقصي القران والخبر اما القرآن فهو قوله تعالي سبحان الذي اسري
بعبده ليلا وتقرير الدليل ان العبد اسم للجسد والروح فوجب ان يكون الاسرا حاصلا
بجميع الجسد والروح ويدل علي قوله تعالي ارايت الذي ينهي عبدا اذا صلي ولا شك
ان المراد هنا مجموع الروح والجسد وايضا قال سبحانه وتعالي في سورة الجن وانه لما
قام عبد الله يدعوه والمراد مجموع الروح والجسد وكذا هنا انتهي واحتجوا ايضا
بظاهر قوله عليه الصلاة والسلام اسري بي لان الاصل في الافعال ان تحمل علي اليقظة
حتي يدل دليل علي خلافه وبان ذلك لو كان مناما لما كانت فيه فتنة للضعفا ولا
استبعده الاغبيا وبان الدواب لا تحمل الارواح وانما تحمل الاجسام وقد تواترت
الاخبار بانه اسري به علي البراق **فان قلت** ما الحكمة في كونه تعالي جعل الاسرا ليلا
اجيب بانه انما جعله ليلا تمكينا للتخصيص بمقام المحبة لانه تعالي اتخذه عليه
الصلاة والسلام حبيبا وخليلا والليل اخص زمان للمحبين لجمعهما فيه والخلوة بالحبيب
متحققة بالليل وقال ابن المنير ولعل تخصيص الاسرا بالليل ليزداد الذين امنوا
ايمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا زيادة علي فتنتهم اذ الليل اخفي حالا من النهار
قال ولعله لو عرج به نهارا لفات المومن فضيلة الايمان بالغيب ولم يحصل ما وقع
الفتنة علي من شقي وجحد انتهي **وفي** ذلك حكمة اخري علي طريق اهل الاشارات
ذكرها العلامة بن مرزوق وهي انه قيل لان الله تعالي محي اية الليل وجعل اية النهار
مبصرة انكسر الليل فجبر بان اسري فيه بمحمد صلي الله عليه وسلم وقيل افتخر النهار
علي الليل بالشمس فقيل لا تفتخر ان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود
في الليل الي السما وقيل لانه صلي الله عليه وسلم سراج والسراج انما يوقد في الليل وانشدوا

> قلت يا سيدي ولم تؤثر الليل ** علي بهجة النهار المنير
>
> قال لا استطيع تغيير رسمي ** هكذا الرسم في طلوع البدور
>
> انما زرت في الظلام لكيما ** يشرق الليل من اشعة نوري

فان قلت ايما افضل ليلة الاسرا او ليلة القدر **فالجواب** كما قاله الشيخ ابو امامة ابن
النقاش ان ليلة الاسرا افضل في حق النبي صلي الله عليه وسلم وليلة القدر افضل
في حق الامة لانها لهم خير من عمل في ثمانين سنة لمن قبلهم واما ليلة الاسرا فلم يات
في ارجحية العمل فيها صحيح ولا ضعيف ولذلك لم يعينها النبي صلي الله عليه وسلم
لاصحابه ولا عينها احد من الصحابة باسناد صحيح ولا صح الي الان والي ان تقوم

الساعة

الساعة فيها شي ومن قال فيها شيا فانما قاله من كيسه لمرجح ظهر له استانس به
ولهذا تصادمت الاقوال فيها وتباينت ولم يثبت الامر فيها علي شي ولو تعلق
بها نفع للامة ولو بذرة لبينه لهم نبيهم صلي الله عليه وسلم انتهي **فان قلت**
هل وقع الاسرا لغيره صلي الله عليه وسلم من الانبيا **اجاب** العارف عبد العزيز
المهدوي بان مرتبة الاسرا بالجسم الي تلك الحضرات العلية لم تكن لاحد من
الانبيا صلي الله عليه وسلم انتهي وانما قال تعالي اسري بعبده اشارة الي انه
تعالي هو المسافر به ليعلم ان الامر من عنده عز وجل هبة الاهية وعناية ربانية
سبقت له عليه الصلاة والسلام مالم يخطر بسره ولا اختلج في ضميره وادخل با
المصاحبة في قوله بعبده ليفيد لانه تعالي صحبه في مسراه صحبة بالالطاف
والعناية والاسعاف والرعاية ويشهد له قوله عليه الصلاة والسلام اللهم انت
الصاحب في السفر وتامل قوله تعالي يسيركم في البر والبحر وقوله اسري بعبده
تلح لك خصوصية مصاحبة الرسول عليه الصلاة والسلام للحق دون عموم
الخلق وقرن سبحانه وتعالي التسبيح بهذا المسري لينفي بذلك عن قلب صاحب
الوهم ومن يحكم عليه خياله من اهل التشبيه والتجسيم ما يتخيله في حق الحق تعالي
من الجهة والحد والمكان ولذا قال لنريه من اياتنا يعني ما راي في تلك الليلة
من عجايب الايات كانه تعالي يقول ما اسريت به الا لرويته الايات لا الي فاني لا يحويني
مكان ونسبة الامكنة الي نسبة واحدة فكيف اسري به الي وانا عنده وانا معه
اين مكان ولله در القايل شعر سبحانه من اسري اليه بعبده ليري الذي اخفاه عنه
لحضوره في غيبه وكسكره في صحوه والمحو في اثباته ويري الذي عنه تكون سره
في منعه ان شاه وهباته ويريد ما ابداه من جوده بوجوده والفقد من هباته
سبحانه من سيد ومهيمن في ذاته وسماته وصفاته ويري الذي عنه تكون سره
في منعه ان شاه وهباته **واكده** تعالي بقوله ليلا من ان الاسرا لا يكون في اللسان
العربي الا ليلا لا نهارا ليرفع الاشكال حتي لا يتخيل انه اسري بروحه فقط
ويزيل من خاطر من يعتقد من الناس ان الاسرا ربما يكون نهارا فان القران
وان كان نزل بلغة العرب فانه خاطب به الناس اجمعين اصحاب اللسان
وغيرهم وقال البيضاوي تبعا لصاحب الكشاف وفايدته الدلالة بتنكيره علي
تقليل مدة الاسرا ولذلك قري من الليل اي بعضه كقوله تعالي ومن الليل
فتهجد به وتعقبه القطب في حاشيته علي الكشاف كما نبهت عليه في حاشية
الشفا **والمعارج** ليلة الاسرا عشرة سبع الي السموات والثامن الي سدرة المنتهي
والتاسع الي المستوي الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار والعاشر
الي العرش والرفرف والروية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي وقد

Copyright ... University

ونعى له عليه الصلاة والسلام في سنة الهجرة العشرة ولهذا ختمت سني الهجرة بالوفاة وهي لقا الحق جل جلاله والانتقال من دار الفنا الى دار البقا والعروج بالروح الكريمة الى المقعد الصدق والى الموعد الحق والى الوسيلة وهي المنزلة الرفيعة كما ختمت معاريج الاسرا باللقا والحضور بحضيرة القدس وقد افاد الامام الذهبي ان الحافظ عبد الغني جمع احاديث الاسرا في جزء ولم يتيسر لي الوقوف عليها بعد الفحص وقد صنف الشيخ ابو اسحق النعماني رحمه الله في الاسرا والمعراج كتابا جامعا للاطناب بزيادات الرقايق والاتحافات بفواضل الحقايق ولم اقف عليه حالة كتابتي هذا المقصد الشريف ويرحم الله تعالى شيخ الاسلام والحفاظ الشهاب ابن حجر العسقلاني فانه مرجع في كتابه الفتح لكثير مما تشتت من طرق حديث الاسرا وغيره من الاحاديث مع تدقيق مباحث فقهه والكشف عن اسرار معاني كلمه وبدايع الفاظه وحكمه وكل من صنف في شي من المنح النبوية والمناقب المحمدية لا يستغني عن استجنا معارف اللطايف من رياض عياض والاستشفا من ادوا المشكلات بدوا شفاه المبري لمعضل الامراض فالله تعالى يفيض عليه وعلى ساير علما هذه الامة سجال رحمته ورضوانه ويسكننا معهم في بحبوحة جنانه وقد وردت احاديث الاسرا من حديث انس وابي بن كعب وجابر بن عبد الله وبريدة وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وابن عمرو وحذيفة ابن اليمان وشداد بن اوس وصهيب وعلي ابن ابي طالب وعمر بن الخطاب ومالك بن صعصعة وابي امامة وابي ايوب وابي حبة وابي ذر وابي سعيد الخدري وابي سفيان بن حرب وابي هريرة وعايشة واسما بنت ابي بكر وام هاني وام سلمة وغيرهم وفي تفسير الحافظ بن كثير من ذلك ما يكفي ويشفي وبالجملة فحديث الاسرا اجمع عليه المسلمون واعرض عنه الزنادقة الملحدون ليطفيوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون وقد روى عن قتادة عن انس ابن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به بينما انا نايم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا اذ اتاني ات فقال فسمعته يقول فشق من هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست من ذهب مملوة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال له الجارود وهو البراق يا ابا حمزة قال انس نعم يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى السما الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت فاذا فيها ادم فقال هذا ابوك ادم فسلم عليه

فسلمت

فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السما الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجي جا ففتح لنا فلما خلصنا اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السما الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت اذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السما الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السما السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل قد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكا قيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر من يدخلها من امتي ثم صعد بي الى السما السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع الى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة التي انت عليها وامتك ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة في كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بما امرت قال امرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرايل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاساله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بما امرت قلت امرت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمس صلوات في كل يوم واني

الى السما الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد وقال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح

قال ... الصعود بعد البنا ... الشريفة النطا ... بالصعود دون ... وباطن

Copyright King Saud University

قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاساله التخفيف
لامتك قال سالت ربي حتى استحييت ولكن ارضى واسلم قال فلما جاوزت ناداني مناد امضيت
فريضتي وخففت عن عبادي وفي رواية له ففرج صدري ثم غسله بما زمزم ثم جاء
بطست من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغه في صدري ثم اطبقه وفي رواية شريك ثم
حشي به صدره ولغاديده وهي بلام مفتوحة وغين معجمة اي عروق حلقه وفي
النهاية جمع لغدود وهي لحمة عند اللهاة والشك في قوله وربما قال في الحجر عن قتادة
كما بينه احمد عن عفان ولفظه بينما انا في الحطيم وربما قال قتادة في الحجر والمراد
بالحطيم هنا الحجر ووقع عند البخاري في اول بدء الخلق بلفظ بينا انا عند البيت
وهو اعم وفي رواية الزهري عن انس عن ابي ذر فرج سقف بيتي وانا بمكة وفي رواية
الواقدي باسانيده انه اسري به من شعب ابي طالب وفي حديث ام هانئ عند
الطبراني انه بات في بيتها قالت فقدته من الليل فقال ان جبريل اتاني والجمع بين
هذه الاقوال كما في فتح الباري انه بات في بيت ام هانئ وبيتها عند شعب ابي طالب
ففرج سقف بيته واضاف البيت اليه لكونه كان يسكنه فنزل منه الملك فاخرجه
من البيت الى المسجد فكان به مضطجعا وبه اثر النعاس ثم اخذه الملك فاخرجه من
المسجد فاركبه البراق وهو يويد هذا الجمع **فان قيل** لم فرج سقف بيته عليه
الصلاة والسلام ونزل منه الملك ولم يدخل عليه من الباب مع قوله وأتوا البيوت
من ابوابها **اجيب** بان الحكمة في ذلك ان الملك انصب من السما انصبابة واحدة
ولم يعوج على شي سواه مبالغة في المفاجاة وتنبيها على ان الطلب وقع على غير ميعاد
كرامة له عليه الصلاة والسلام وهذا بخلاف موسى عليه السلام فكانت كرامته هو
بالمناجاة عن ميعاد واستعداد بخلاف نبينا عليه الصلاة والسلام فانه حمل عنه
الم الانتظار كما حمل عنه الم الاعتذار ويوخذ من هذا ان مقام نبينا عليه الصلاة
والسلام بالنسبة الى مقام موسى عليه السلام مقام المراد بالنسبة الى مقام المريد
ويحتمل ان يكون توطية وتمهيدا لكونه فرج عن صدره فاراه الملك بافراجه
عن السقف ثم التام السقف على الفور كيفية ما يصنع به وقرب له الامر في نفسه
بالمثال المشاهد في بيته لطفا في حقه عليه الصلاة والسلام وتثبيتا للصبر
والله اعلم **وقوله** مضطجعا زاد في بدء الخلق بين النائم واليقظان وهو محمول
على ابتدا الحال ثم لما اخرج به الى باب المسجد فاركبه البراق استمر في يقظته
واما ما وقع في رواية شريك عنده ايضا فلما استيقظت فان قلنا بالتعدد فلا اشكال
والا حمل على ان المراد استيقظت يعني انه افاق مما كان فيه من شغل البال
بمشاهدة الملكوت ورجع الى العالم الدنيوي فالمراد الافاقة البشرية من
الغمرة الملكية **وقوله** اذا اتاني آت هو جبريل عليه الصلاة والسلام وفي رواية

شريك

شريك انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال اولهم ايهم هو
قال اوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة اي كانت القصة
الواقعة تلك الليلة ما ذكرهنا فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام
عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه
وقد انكر الخطابي قوله قبل ان يوحى اليه وكذا القاضي عياض والنووي وعبارة
النووي وقع في رواية شريك يعني هذا اوهام انكرها العلما احدها قوله قبل
ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه واجمع العلما على ان فرض الصلاة كان ليلة الاسرا
فكيف يكون قبل الوحي انتهى فقد صرح هولا بان شريكا تفرد بذلك لكن قال الحافظ ابن حجر
في دعوى التفرد نظر فقد وافقه كثير بن خنيس بالمعجمة ونون مصغرا عن انس
كما اخرجه سعيد بن يحيى ابن سعيد الاموي في كتاب المغازي من طريقه قال ولم
يقع التعيين بين المجيئين فيحمل على ان المجي الثاني كان بعد الوحي وحينيذ وقع
الاسرا والمعراج فاذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق بين ان يكون تلك المدة ليلة واحدة
او ليالي او عدد سنين وبهذا يرتفع الاشكال من رواية شريك ويحصل به الوفاق
ان الاسرا كان في اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة وسقط تشنيع الخطابي وغيره
بان شريكا خالف الاجماع في دعواه ان المعراج كان قبل البعثة واقوى ما يستدل به
على ان المعراج كان بعد البعثة قوله في هذا الحديث نفسه ان جبريل قال
لبواب السما اذ قال له ابعث قال نعم فانه ظاهر في ان المعراج كان بعد البعثة ووقع
في رواية ميمون بن سياه عند الطبراني فاتاه جبريل وميكائيل فقالا ايهم وكانت قريش نيام
حول الكعبة فقال امرنا بسيدهم ثم ذهبا ثم جاءوا وهم ثلاثة وفي رواية مسلم سمعت
قائلا يقول احد الثلاثة بين الرجلين فاتيت فانطلق بي والمراد بالرجلين حمزة وجعفر
وكان النبي صلى الله عليه وسلم نائما بينهما وقوله فشق بالقاف والدال المهملة الثقيلة
من ثغره بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة وهي الموضع المنخفض الذي بين
الترقوتين الى شعرته بكسر الشين المعجمة اي شعر العانة الشريفة وفي رواية مسلم
الى اسفل بطنه وفي رواية للبخاري الى مراق البطن وفي رواية شريك عنده فشق
جبريل ما بين نحره الى لبته بفتح اللام وتشديد الموحدة وهو موضع القلادة
من الصدر وقد انكر القاضي عياض في الشفا وقوع شق صدره الشريف ليلة الاسرا
وقال انما كان وهو صبي وقبل الوحي يعني في بني سعد ولا انكار في ذلك كما قاله
الحافظ ابو الفضل العسقلاني رحمه الله تعالى فقد تواردت الروايات به وثبت
شق الصدر ايضا عند البعثة كما اخرجه ابو نعيم في الدلايل ولكل منها حكمة فالاول
وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث انس فاخرج علقة فقال هذا حظ الشيطان
منك وكان هذا في زمن الطفولية فنشا على اكمل الاحوال من العصمة من الشيطان

ولعل هذا الشق كان سببا في اسلام قرينه المروي عند البزار من حديث ابن عباس ويحتمل
ان يكون اشارة الى حظ الشيطان المباين كالعفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلاته ثم
امكنه الله منه واما شق الصدر عند المبعث فلزيادة الكرامة وليتلقى ما يوحى اليه
بقلب قوي على اكمل الاحوال من التطهير واما شقه عند ارادة العروج الى السما فللتهيي
للترقي الى الملا الاعلى والثبوت في المقام الاسنى والتقوى لاستجلا الاسما الحسنى ولهذا
لما لم يتفق لموسى عليه السلام مثل هذا التهيي لم تتفق له الروية وكيف يثبت الرجل
لما لا يثبت له الجبل ويحتمل ان تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ
بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه عليه الصلاة والسلام ثم ان جميع ما ورد من
شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الامور الخارقة للعادة مما يجب التسليم
له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شي في ذلك
قال العارف ابن ابي جمرة فيه دليل على ان قدرة الله تعالى لا يعجزها ممكن ولا تتوقف
لعدم شي ولا لوجوده وليست مربوطة بالعادات الا حيث شا ته القدرة لانه على
ما يعهد ويعرف ان البشر مها شق بطنه ولخرج القلب مات ولم يعش وهذا النبي صلى
الله عليه وسلم قد شق على بطنه المكرمة حتى اخرج القلب فغسل وقد شق بطنه
كذلك ايضا وهو صغير وشق قلبه واخرجت منه نزغة الشيطان ومعلوم
ان القلب مها وصل له الجرح مات صاحبه وهذا النبي صلى الله عليه وسلم شق
بطنه في هاتين المرتين ثم يتالم بذلك كما ان اراد الله تعالى ان لا يوثر ما اجرى به
العادة ان يوثر ما يموت صاحبها فابطل تلك العادة وقد رمي ابرهيم عليه السلام
في النار لتحرقه وكانت عليه بردا وسلما انتهى وقد حصل من شق صدره الكريم
اكرامه عليه الصلاة والسلام بتحقيق ما اوتي من الصبر فهو من جنس ما اكرم
به اسماعيل الذبيح بتحقيق صبره على مقدمات الذبح شدا وكتفا وتلا للجبين
واهوا بالمدية الى المنحر فقال ستجدني ان شا الله من الصابرين ووفى بما وعده
الله فاكرمه الله بالثنا على صبره الى الابد ولا مرية ان الذي حصل من صبر
نبينا صلى الله عليه وسلم اشد واجل لان تلك مقدمات وهذه نتيجة وتلك
معاريض وهذه حقيقة والمنحر مقتل وما اصابه من اسماعيل الا صورة القتل
لا فعله وشق صدر نبينا عليه الصلاة والسلام واستخراج قلبه ثم شقه ثم كذا
ثم كذا مقاتل عديدة وقعت كلها ولين انخرقت العادة ببقا الحياة فهذا الابتلا
اعظم من ابتلا الذبيح بما ذكر **فان قلت** الصبر انما لو كان هناك مشقة فلعل
العادة لما انخرقت في ابقا الحياة انخرقت في رفع المشاق وحل الالام **اجيب**
بانه ورد في حديث شق صدره فاقبل وهو منتقع اللون او ممتقع بالميم
بدل النون وهو يدل على ان الصبر على مشقة المعالجة المذكورة محقق

قال

٥٧
قال القاضي عياض واصل انتقع صار كلون النقع والنقع الغبار وهو شبيه بلون
الاموات وهذا يدل على غاية المشقة واما قول ابن الجوزي فشقه وما شق عليه فيحمل
على انه صغير صبر من لم يشق عليه انتهى وكذلك الابتلا ايضا من حيث السن فان ذلك وقع
لنبينا صلى الله عليه وسلم بعيد ما فطم واتضا فانه كان منفردا عن امه وبعيدا من ابيه هم
واختطف من بين الاطفال وفعل به ما فعل من الافعال تسهيلا لما يلقاه في الماله وتعظيما
لما يناله على الصبر من الثواب والثنا ولهذا الماثج وجرح وكسرت رباعيته قال اللهم اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون زاده الله شرفا وقوله ثم اتيت بطست من ذهب انما اتي بالطست لانه
اشهر الات الغسل عرفا **فان قلت** ان استعمال الذهب حرام في شرعه عليه الصلاة
والسلام فكيف استعمل الطست الذهب هنا **اجاب** العارف ابن ابي جمرة بان تحريم الذهب
انما هو لمحل الاستمتاع به في هذه الدار واما في الاخرة فهو للمومنين خالصا لقوله عليه
الصلاة والسلام هو لهم في الدنيا وهو لنا في الاخرة قال ثم ان الاستمتاع بهذا الطست
لم يحصل منه عليه الصلاة والسلام وانما كان غيره هو السابق له والمتناول لما كان فيه
حتى وضعه في القلب المبارك فسوقان الطست من هناك وكونه كان من ذهب دال
على ترفيع المقام فانتفى التعارض بدليل ما قررناه انتهى **وتعقبه** الحافظ ابن حجر بانه
لا يكفي ان يقال ان المستعمل له ممن لم يحرم عليه ذلك من الملايكة لانه لو كان قد حرم عليه
استعماله لتنزه عنه ان يستعمله غيره في امر يتعلق ببدنه المكرم ويمكن ان يقال ان تحريم
استعماله مخصوص باحوال الدنيا وما وقع في تلك الليلة كان الغالب انه من احوال الغيب
فيلحق باحكام الاخرة ولعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة ونظير
هاهنا مناسبات انه من اواني الجنة ومنها انه لا تاكله النار ولا التراب ومنها انه لا يلحقه
الصدى ومنها انه اثقل الجواهر فناسب قلبه عليه الصلاة والسلام لانه من اواني هم
احوال الجنة ولا تاكله النار ولا التراب لان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا
ولا يلحقه الصدى وانه اثقل من كل قلب عدل به وفيه مناسبة اخرى وهي ثقل الوحي
فيه انتهى **قلت** قوله ولعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة
قد جزم هو في اول الصلاة من كتابه فتح الباري بان تحريم الذهب انما وقع بالمدينة
وقال السهيلي وابن دحية ان نظر الى لفظ الذهب ناسب من جهة اذهاب الرجس
عنه ولكونه وقع عند الذهاب الى ربه وان نظر الى معناه فلوضاءته ونقايه وصفاء به
انتهى والمراد بقوله ملي حكمة وايمانا مجازا ويحتمل ان يكون على حقيقته وتجسد المعاني
جايز كما ان سورة البقرة تجي يوم القيامة كانها ظلة والموت في صورة كبش وكذلك
وزن الاعمال وغير ذلك وقال البيضاوي لعل ذلك من باب التمثيل اذ تمثل المعاني
قد وقع كثيرا كما مثلت له صلى الله عليه وسلم الجنة والنار في عرض الحايط وفايدته كشف
المعنوي بالمحسوس وقال العارف بن ابي جمرة فيه دليل على ان الايمان والحكمة جواهر

محسوسات لا معاني لانه عليه الصلاة والسلام قال عن الطست انه اتي به مملوا حكمة
وايمانا ولا يقع الخطاب الا على ما يفهم ويعرف والمعاني ليس لها اجسام حتى تملا وانما يمتلي الانا
بالاجسام والجواهر وهذا نص من الشارع عليه الصلاة والسلام بضد ما ذهب اليه
المتكلمون في قولهم ان الايمان والحكمة اعراض والجمع بين الحديث وما ذهبوا اليه هو
ان حقيقة اعيان المخلوقات التي ليس للحواس اليها ادراك ولا من النبوة اخبار عن
حقيقتها غير محققة وانما هو غلبة ظن لان للعقل بالاجماع من اهل العقل المويدين
بالتوفيق حدا يقف عنده ولا يتسلط فيما عدا ذلك ولا يقدر ان يصل اليه فهذا
وما اشبهه منها لانهم تكلموا على ما ظهر لهم من الاعراض الصادرة عن هذه الجواهر
التي ذكرها الشارع عليه الصلاة والسلام في الحديث ولم يكن للعقل قدرة ان يصل
الى هذه الحقيقة التي اخبر بها عليه الصلاة والسلام فيكون الجمع بينهما ان يقال
ما قاله المتكلمون حق لانه الصادر عن الجواهر وهو الذي يدرك بالعقل والحقيقة
ما ذكره عليه الصلاة والسلام في الحديث ولهذا نظاير كثيرة بين المتكلمين واثار
النبوة ويقع الجمع بينهما على الاسلوب الذي قررناه وما اشبهه ثم مثل بمجي الموت
في هيئة كبش املح ثم بالاذكار والتلاوة ثم قال لان ما ظهر منها هنا معان وتوجد يوم
القيامة جواهر محسوسات لانها توزن ولا يوزن في الميزان الا الجواهر قال وفي
ذلك دليل لاهل الصوفة واصحاب المعاملات والتحقيق القايلين بانهم يرون
قلوبهم وقلوب اخوانهم وايمانهم وايمان اخوانهم باعين بصايرهم جواهر محسوسات فمنهم من
يعاين ايمانه مثل المصباح ومنهم من يعاينه مثل الشمعة ومنهم من يعاينه مثل المشعل وهو
اقواها ويقولون بانه لا يكون المحقق محققا حتى يعاين قلبه بعين بصيرته كما يعاين
كفه بعين بصره فيعرف الزيادة فيه من النقصان **فان قلت** ما الحكمة في شق صدره
الشريف ثم ملي ايمانا وحكمة ولم لم يوجد الله تعالى ذلك فيه من غير ان يفعل به ما فعل
اجاب العارف ابن ابي جمرة بانه عليه الصلاة والسلام لما اعطي كثرة الايمان والحكمة
وقوي التصديق اذ ذاك اعطي برؤية شق البطن والقلب عدم الخوف من جميع
العادات الجارية بالهلاك فحصلت له عليه الصلاة والسلام قوة الايمان من ثلاثة
اوجه بقوة التصديق وبالمشاهدة وعدم الخوف من العادات المهلكات فكمل له
عليه الصلاة والسلام بذلك ما اريد منه من قوة الايمان بالله عز وجل وعدم
الخوف مما سواه ولاجل ما اعطيه مما اشرنا اليه كان عليه الصلاة والسلام في العالمين
اشجعهم واثبتهم واعلاهم حالا ومقالا ففي العلوي كما اخبر عليه الصلاة والسلام
ان جبريل لما وصل معه الى مقامه قال ها انت وربك هذا مقامي لا تعداه فزج
في النور زجة ولم يتوانا ولم يلتفت فكان هناك في الحضرة كما اخبر عنه ربه عز
وجل بقوله ما زاغ البصر وما طغى واما حاله عليه الصلاة والسلام في هذا العالم فكان

اذا

النفوس

اذا احمي الوطيس في الحرب ركض بغلته في نحر العدو وهم شاكين في سلاحهم ويقول انا ابن عبد
المطلب انا النبي لا كذب ثم ان في العناية بتطهير قلبه المقدس وافراغ الايمان والحكمة فيه
اشارة الى مذهب اهل السنة في ان محل العقل ونحوه من اسباب الادراكات كالنظر والفكر
انما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة واما الحكمة في غسل قلبه المقدس بماء
زمزم فقيل لان ماء زمزم يقوي القلب ويسكن الروع قال الحافظ الزين العراقي ولذلك
غسل به قلبه عليه الصلاة والسلام ليلة الاسرا ليقوى على رؤية الملكوت واستدل
شيخ الاسلام البلقيني بغسل قلبه الشريف على انه افضل من ماء الكوثر قال لانه لم يكن
يغسل قلبه المكرم الا بافضل المياه واليه يومي قول العارف ابن ابي جمرة في كتابه بهجة النفوس
واما قوله عليه الصلاة والسلام فغسل صدري فالظاهر ان المراد به القلب كما في الرواية
الاخرى وقد يحتمل ان تحمل كل رواية على ظاهرها ويقع الجمع بان يقال اخبر عليه
الصلاة والسلام مرة بغسل صدره الشريف ولم يتعرض لذكر قلبه واخبر مرة بغسل
قلبه ولم يتعرض لذكر صدره فيكون الغسل قد حصل فيهما معا مبالغة في تنظيف المحل
المقدس ولا شك ان المحل الشريف كان طاهرا مطهرا وقابلا لجميع ما يلقى اليه من الخير
وقد غسل اولا وهو عليه الصلاة والسلام طفل واخرجت من قلبه نزغة الشيطان
وانما كان ذلك اعظاما وتاهبا لما يلقى هنالك وقد جرت الحكمة بذلك في غير ما موضع مثل
الوضوء للصلاة لمن كان متنظفا لان الوضوء في حقه انما هو اعظام وتاهب للوقوف
بين يدي الله تعالى ومناجاته فكذلك غسل جوفه الشريف هنا وقد قال تعالى ومن يعظم
شعاير الله فانها من تقوى القلوب فكان الغسل له عليه الصلاة والسلام من تعظيم
شعاير الله واشارة لامته بالفعل بتعظيم شعاير الله كما نص لهم عليه بالقول واما قوله
ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت
عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السما الدنيا وفي رواية عنده في الصلاة ثم اخذ رف
بيدي فعرج الى السما فظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السما قال العا
ابن ابي جمرة افاد ذلك انهم كانوا يمشون في الهوى وقد جرت العادة بان البشر
لا يمشي في الهوى سيما وكان راكبا على دابة من ذوات الاربع لكن لما ان شاء
القدرة ذلك كان فكما بسط تعالى لهم الارض يمشون عليها كذلك يمشيهم في الهوى
كل ذلك بيد قدرته لا ترتبط قدرته تعالى بعادة جارية وقد سيل عليه
الصلاة والسلام حين اخبر عن الاشقيا الذين يمشون على وجوههم يوم القيامة
كيف يمشون فقال عليه الصلاة والسلام الذي امشاهم في الدنيا قادر ان يمشيهم يوم على اقدامهم
القيامة على وجوههم انتهى وقد استدل بعضهم بهذا الحديث على ان المعراج كان
في ليلة غير ليلة الاسرا الى بيت المقدس لكون الاسرا اليه لم يذكر هنا فاما المعراج
ففي غير هذه الرواية من الاخبار انه لم يكن على البراق بل رقي في المعراج وهو السلم

Copyright King Saud University

كما وقع التصريح به في حديث عند ابن اسحق والبيهقي في الدلايل كما سياتي ان شا الله
تعالى ويمكن ان يقال ما وقع هنا اختصار من الراوي والاتيان بثم المقتضية للتراخي
لا ينافي وقوع الاسرا بين الامرين المذكورين وهما الاطباق والفروج وحاصله ان بعض
الرواة ذكر ما لم يذكر الاخر وثابت البناني قد حفظ الحديث فعن رواية عند مسلم
انه اتى بيت المقدس فصلى فيه ثم عرج الى السما كما سياتي ان شا الله تعالى وقد قيل
في الحكمة في الاسرا به راكبا مع القدرة على طي الارض له الاشارة الى ان ذلك وقع تانيسا
له بالعادة في مقام خرق العادة لان العادة جرت ان الملك اذا استدعى من يختص
به بعث اليه بمركوب سني يحمله عليه في وفادته اليه وفي كلام بعض اهل الاشارة
لما كان صلى الله عليه وسلم ثمرة شجرة الكون ودرة صدفة الوجود وسر معنى
كلمة كن ولم يكن بد من عرض هذه الثمرة بين يدي مثمرها ورفعها الى حضرة قربة
والطواف بها على ندمان حضرته ارسل اليه اعز خدام الملك عليه فلما ورد عليه
نادما واتاه على فراشه نايما فقال قم يا نايم فقد هيئت لك الغنايم قال يا جبريل الى
اين قال يا محمد ارتفع الاين من البين انما انا رسول القدم ارسلت اليك لاكون
من جملة الخدم يا محمد انت مراد الارادة الكل مراد لاجلك وانت مراد لاجله انت صفو
كاس المحبة انت درة هذه الصدفة انت شمس المعارف انت بدر اللطايف
ما مهدت الدار الا لاجلك ما جمل ذلك الجمال الا لوصلك ما روق كاس المحبة الا لشربك
فقال عليه الصلاة والسلام يا جبريل فالكريم يدعوني اليه فما الذي يفعل بي قال
ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال يا جبريل هو الى فما لعيالي واطفالي
قال ولسوف يعطيك ربك فترضى قال يا جبريل الان طاب قلبي ها انا ذاهب
الى ربي ثم قال جبريل يا محمد انا جيت اليك لاكون خادم دولتك وحاجب حاشيتك
وحامل غاشيتك وجي بالمركوب اليك لاظهار كرامتك لان من عادة الملوك
اذا استزاروا حبيبا او استدعوا قريبا وارادوا ظهور اكرامه واحترامه ارسلوا
بعض خدامهم واعز نوابهم لنقل اقدامهم فجيناك على رسم عادة الملوك واداب
السلوك ومن اعتقد انه يوصل اليه بالخطا فقد وقع في الخطا ومن ظن انه
محجوب بالغطا فقد حرم العطا وكون البراق دابة دون البغل وفوق
الحمار ابيض ولم يكن على شكل الفرس اشارة الى ان الركوب كان في سلم وامن لا في
حرب وخوف او لاظهار المعجزة بوقوع الاسراع الشديد بدابة لا توصف بذلك
في العادة وذكره بقوله ابيض باعتبار كونه مركوبا او عطفا على لفظ البراق
واختلف في تسميته بذلك فقيل من البريق وقال القاضي عياض لكونه
ذا لونين يقال شاة برقا اذا كان في خلال صوفها الابيض طاقات سود وقيل من
البرق لانه وصف بسرعة السير ويحتمل ان لا يكون مشتقا ووصفه بانه يضع

خطوة

خطوة عند اقصى طرفه بسكون الرا اي بصره بالقا يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره
وقال ابن المنير يقطع ما انتهى اليه بصره في خطوة واحدة لان بصره الذي في الارض
يقع على السما فبلغ اعلى السموات في سبع خطوات انتهى وفي حديث ابن مسعود عند
ابي يعلى والبزار كما قاله افاده في الفتح اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت
يداه وفي رواية لابن سعد عن الواقدي باسانيده له جناحان قال الحافظ ابن حجر
ولم ارها لغيره وعند الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس في صفة البراق له
خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوايم كالابل واظلاف وذنب كالبقر وكان
صدره ياقوتة حمرا وفي رواية ابن سعد في شرف المصطفى فكان الذي امسك
بركابه جبريل وبزمام البراق ميكاييل وفي رواية معمر عن قتادة عن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به مسرجا ملجما فاستصعب
عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك خلق قط اكرم على الله منه قال فارفض
عرقا اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وصححه ابن حبان وذكر ابن اسحق عن
قتادة انه لما شمس وضع جبريل عليه الصلاة والسلام يده على معرفته وقال
اما تستحي وذكره نحوه لكنه مرسل لانه لم يذكر انسا وفي رواية وثيمة عند ابن اسحق
نعست حتى لصقت بالارض فاستوت عليها وفي رواية للنساي وابن مردويه
من طريق يزيد ابن ابي مالك عن انس نحوه موصولا وزاد وكانت تسخر للانبيا قبله ونحوه في
حديث ابي سعيد عند ابن اسحق وفيه دلالة على ان البراق كان معدا لركوب الانبيا خلافا
لمن نفى ذلك كابن دحية واول قول جبريل فما ركبك اكرم على الله منه اي ما ركبك احد
قط فكيف يركبك اكرم منه فيكون مثل قول امري القيس
على لاحب لا يهتدي بمناره فيفهم ان له منارا لا يهتدى به وليس
المراد الا انه لا منار له البتة فكيف يهتدى به فتامله وقد جزم السهيلي بان البراق
انما استصعب عليه لبعد ركوب الانبيا قبله وقال النووي قال صاحب مختصر
العين وتبعه صاحب التحرير كان الانبيا يركبون البراق ويحتاج الى نقل قال
وهذا يحتاج الى نقل صحيح انتهى وقد تقدم النقل بذلك قال في الفتح ويويده ظاهر
قوله فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبيا انتهى فليتامل فانه ليس فيه فربطته
بالحلقة التي يربطه بها الانبيا وانما قال يربط بها الانبيا وسكت عن ذكر المربوط
ما هو فيحتمل كما قال ابن المنير ان يكون غير البراق ويحتمل ان يريد ارتباط
الانبيا انفسهم بتلك الحلقة اي تمسكهم بها ويكون في جنس العروة الوثقى انتهى
لكن وقع التصريح بذلك في حديث ابي سعيد عند البيهقي فاوثقت دابتي بالحلقة
التي كانت الانبيا تربطها فيه وقد وقع عند ابن اسحق من رواية وثيمة في ذكر
الاسرا فاستصعب البراق وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن ركبت في الفترة

Copyright King Saud University

وفي معازي ابن عابد من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب قال البراق هي الدابة
التي كان يزور ابراهيم عليها اسماعيل وعلى هذا فلا يكون ركوب البراق من خصايصه
صلى الله عليه وسلم نعم فضل ركوبه مسرجا ملجما لم يرو لغيره من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام فان قلت ما وجه استصعاب البراق عليه اجيب بانه تنبيه
على انه لم يذلل قبل ذلك ان قلنا انه لم يركبه احد قبله ولبعد عهد بركوبه ان قلنا انه ركب
قبله ويحتمل ان يكون استصعابه تيها وزهوا بركوبه صلى الله عليه وسلم واراد
جبريل أبمحمد تستصعب استنطاقه بلسان الحال انه لم يقصد الصعوبة وانما تاه
لمكان الرسول عليه الصلاة والسلام منه ولهذا قال فارفض عرقا فكانه اجاب
بلسان الحال متبريا من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب ومثل هذا رجفة
الجبل به حتى قال اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فانها هزة الطرب
لا هزة الغضب وكذلك البراق لما قال له جبريل اسكن فما ركبك احد اكرم على الله
منه فاشفق وخجل من ظاهر الاستصعاب وبتوجه الخطاب نعرق حتى غرق ه
ووقع في حديث حذيفة عند الامام احمد قال أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبراق فلم يزل على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس وهذا لم يسنده
حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه قاله عن اجتهاد ويحتمل ان يكون
قوله هو وجبريل يتعلق بمرافقته في السير لا في الركوب وقال ابن دحية معناه ه
وجبريل قايد او سايق او دليل قال وانما جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت ه
كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يدخل لغيره فيها وقد تعقب الحافظ ابن حجر
التاويل المذكور بان في صحيح ابن حبان من حديث ابن مسعود ان جبريل حمله
على البراق رديفا له وفي رواية الحارث في مسنده اتى بالبراق فركبه خلف جبريل
فسار بهما فهذا صريح في ركوبه معه فالله اعلم انتهى وقد وقع في غير هذه الرواية
بيان ما راه ليلة الاسرا فمن ذلك ما وقع في حديث شداد بن اوس عند البزار
والطبراني وصححه البيهقي في الدلايل انه اول ما اسري مر بارض ذات نخل فقال له
جبريل انزل فصل فصلى فقال صليت بيثرب ثم مر بارض بيضا فقال انزل فصل
فصلى فقال صليت بمدين ثم مر ببيت لحم فقال انزل فصل فنزل فصلى فقال
صليت حيث ولد عيسى وفي حديث انس عند البيهقي في الدلايل لما جا جبريل
بالبراق اليه صلى الله عليه وسلم فكانها احرت اذنيها فقال لها جبريل يا براق مه
فوالله ما ركبك مثله فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو بعجوز على
جنب الطريق فقال ما هذا يا جبريل قال سر يا محمد فسار ما شا الله ان يسير فاذا
هو بشي يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد فقال له جبريل سر وانه
مر بجماعة فسلموا عليه فقالوا السلام عليك يا اول السلام عليك يا اخر السلام عليك

بالحاشر

زهوا

بشيخ

باحاشر فقال جبريل اردد عليهم السلام فرد الحديث وفي آخره فقال له جبريل اما العجوز
الذي رايت جانب الطريق فلم يبق من الدنيا الا ما بقي من عمر تلك العجوز والذي دعاك
ابليس والعجوز الدنيا اما لو اجبتها لاختارت امتك الدنيا على الاخرة واما الذي سلموا
عليك فابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام قال الحافظ عماد الدين بن كثير
في الفاظه نكارة وغرابة وفي رواية انه مر بموسى عليه السلام وهو يصلي في قبره قال
انس ذكر كلمة فقال اشهد انك رسول الله ولا مانع ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
يصلون في قبورهم لانهم احيا عند ربهم يرزقون فهم يتعبدون بما يجدون من
دواعي انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر وسياتي الاشارة لذلك في حجة
الوداع ان شا الله تعالى وفي حديث ابي هريرة عند الطبراني والبزار انه عليه
الصلاة والسلام مر على قوم يزرعون ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان
فقال لجبريل عليه السلام ما هذا قال هولا المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم
الحسنة الى سبعماية ضعف وما انفقوا من شي فهو يخلفه وهو خير الرازقين
ثم اتى على قوم ترضخ روسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك
شي فقال ما هذا يا جبريل قال هولا الذين تتثاقل روسهم عن الصلاة المكتوبة
ثم اتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام يأكلون
الضريع والزقوم ورضف جهنم فقال ما هولا يا جبريل فقال هولا الذين لا يودون
زكاة اموالهم وما ظلمهم الله وما ربك بظلام للعبيد ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم نضيج
في قدر ولحم اخر نيي في قدر خبيث فجعلوا ياكلون من النيي الخبيث ويدعون
النضيج قال جبريل هذا الرجل من امتك تكون عنده المراة الحلال الطيب فياتي
امراة خبيثة فيبيت حتى يصبح والمراة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتاتي
رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح ثم اتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع
حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل فقال هذا الرجل من امتك تكون
عليه امانات الناس لا يقدر على ادايها وهو يريد ان يحمل عليها ثم اتى على قوم تقرض
السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم
من ذلك شي قال ما هذا يا جبريل قال هولا خطبا الفتنة ثم اتى على جحر صغير
يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد ان يرجع من حيث خرج فلا يستطيع ه
فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع
ان يردها ثم اتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا فقال
ما هذا يا جبريل قال هذا صوت الجنة تقول رب اتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي
واستبرقي وحريري وسندسي وعبقريي ولولوي ومرجاني وفضتي وذهبي و
واكوابي وصحافي واباريقي ومراكبي وعسلي ومايي ولبني وخمري فاتني بما وعدتني

بحر

Copyright King Saud University

فقال لك كل مسلم ومسلمة ومومن ومومنة ومن امن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك
بي ولم يتخذ من دوني انداداً ومن خشيني فهو آمن ومن سالني اعطيته ومن اقرضني
جزيته ومن توكل علي كفيته انني انا الله لا اله الا انا لا اخلف الميعاد قد افلح المومنون
وتبارك الله احسن الخالقين قالت رضيت ثم اتى على طوم فسمع صوتا منكرا
ووجد ريحا منتنة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت جهنم تقول رب
اتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي واغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي
وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فاتني بما وعدتني قال لك كل مشرك
ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار لا يومن بيوم الحساب قالت رضيت قال
فسار حتى اتيت بيت المقدس في رواية ابي سعيد وعند البيهقي دعاني داع عن يميني انظرني
اسالك فلم اجبه ثم دعاني اخر عن يساري كذلك فلم اجبه وفيه اذا امراة حاسرة عن
ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى فقالت يا محمد انظرني اسالك فلم التفت
اليها وفيه ان جبريل قال اما الداعي الاول فهو داعي اليهود ولو اجبته لتهودت
امتك واما الثاني فداعي النصارى ولو اجبته لتنصرت امتك واما المراة فالدنيا وفيه
انه صعد الى السما الدنيا وراى فيها رجلا اسمه آدم وانه راى اخونة عليها لحم طيب
ليس عليها احد واخرى عليها لحم منتن عليها ناس ياكلون قال جبريل هولا الذين يتركون
الحلال وياكلون الحرام وفيه انه مر بقوم بطونهم امثال البيوت كلما نهض احدهم خر
وان جبريل قال له هم اكلة الربا وانه مر بقوم مشافرهم كالابل يلتقمون جمرا ليخرج من
اسافلهم وان جبريل قال هولا الذين ياكلون اموال اليتامى وانه مر بنسا تعلقن
بثديهن وانهن الزواني وانه مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيطعمون وانهم الغامزون
اللمازون وفي حديث ابي هريرة عند البزار والحاكم انه صلى ببيت المقدس مع الملايكة
وانه اتي هناك بارواح الانبيا فاثنوا على الله وفيه قول ابراهيم لقد فضلكم محمد وفي
رواية عبد الرحمن بن هشام عن انس ثم بعث ادم فمن دونه فامهم تلك الليلة وفي
حديث ام هاني عند ابي يعلي ونشر لي رهط من الانبيا منهم ابراهيم وموسى وعيسى
وفي رواية ابي سلمة ثم حانت الصلاة فاممتهم اخرجه مسلم وفي حديث ابي امامة عند
الطبراني في الاوسط ثم اقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه
وسلم وفي رواية ثابت البناني عن انس عند مسلم قال فربطته يعني البراق
بالحلقة باسكان اللام على الاشهر التي تربط بها الانبيا بضمير المذكر اعادة على معنى
الحلقة وهو الشي والمراد حلقة باب مسجد بيت المقدس قاله صاحب التحرير
قال عليه الصلاة والسلام ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت
فجاني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل
اخترت الفطرة اي اخترت اللبن الذي عليه بنيت الخلقة وبه نبت اللحم

دخل

ونشر العظم او اخترته لانه الحال الدايم في دين الاسلام بخلاف الخمر فحرام فيما يستقر عليه
الامر وقال النووي المراد بالفطرة هنا الاسلام والاستقامة قال ومعناه والله اعلم
اخترت علامة الاسلام والاستقامة قال وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيبا طاهرا
سايغا للشاربين سليم العاقبة واما الخمر فانها ام الخبايث وجالبة لانواع الشر في
الحال والمال انتهى وقال القرطبي يحتمل ان يكون سبب تسمية اللبن فطرة لكونه
اول شي يدخل في جوف المولود ويشق امعاه والسر في ميل النبي صلى الله عليه وسلم
اليه دون غيره لكونه مالوفا له اولا انتهى واذا كانت الخمر مباحة لانها انما حرمت
بالمدينة والاسرا كان بمكة فاوجه تعيينه عليه الصلاة والسلام لاحد المباحين
وما وجه عد ذلك صوابا وعد الاخر خطا وهما سوا في الاباحة فيحتمل ان يكون
نوو عا **نوو عا** وتعريفا بانها ستحرم وانه لما وافق الصواب في علم الله تعالى ثم
قال له جبريل اصبت الفطرة او اصبت اصاب الله بك كما رويا واذا قلنا بانها
كانت من خمر الجنة فيكون سبب تجنبها صورتها ومضاهاة الخمر المحرمة اي في
علم الله تعالى وذلك ابلغ في الورع ويستفاد منه ان من اتخذ من ما الرمان او
غيره ولو ما قراحا شيا وضاهى به الخمر في الصورة وهياه بالهيات التي يتعاطاها ها
اهل الشهوات من الاجتماعات والالات فقد اتى منكرا وان كان لا يحد عليها
قال ابن المنير وينظر فيما يعمله كثير من فقرا اليمن وغيرهم بمكة المشرفة وجدة
وغيرهما من ما قشر البن ويسمونه بالقهوة وهي اسم من اسما الخمر وفي حديث
ابن عباس عند احمد فلما اتى المسجد الاقصى قام يصلي فلما انصرف جي بقدحين في
احدهما لبن وفي الاخر عسل فاخذ اللبن وفي رواية البزار بثلاثة اواني وان
الثالث كان خمرا وان ذلك وقع ببيت المقدس وان الاول كان ما ولم يذكر العسل
وفي حديث شداد بن اوس فصليت من المسجد حيث شا الله واخذني من العطش
اشد ما اخذني فاتيت باناين احدهما لبن والاخر عسل ثم هداني الله تعالى فاخذت
اللبن فقال شيخ بين يدي يعني جبريل اخذ صاحبك الفطرة وقد كان اتيانه بالاواني
مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ومرة عند وصوله الى سدرة المنتهى ورويته
الانهار الاربعة وممن صرح بانه كان مرتين الحافظ عماد الدين بن كثير وعلى هذا
فيكون تكرار جبريل عليه السلام للتصويب حيث اختار اللبن تاكيدا للتحذير
ما سواه وقد انكر حذيفة ربط البراق بالحلقة فروى احمد والترمذي من
حديث حذيفة قال يحدثون انه ربطه خاف ان يفر منه وقد سخره له عالم
الغيب والشهادة وكذا انكر حذيفة ايضا صلاته عليه الصلاة والسلام
ببيت المقدس وتعقبه البيهقي وابن كثير بان المثبت مقدم على النافي يعني
من اثبت ربط البراق والصلاة في بيت المقدس معه زيادة علم على من نفى ذلك

Copyright King Saud University

فتواولي من قوله بالقبول ووقع في رواية بريدة عند البزار لما كان ليلة اسري
به فاتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد بها
البراق ونحوه للترمذي وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي حتى اتيت بيت
المقدس فاوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الانبيا تربطها فيه فدخلت انا وجبريل
بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين وفي رواية ابن مسعود نحوه وزاد
ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قايم وراكع وساجد ثم اذن موذن
فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يومنا فاخذ بيدي جبريل فقدمني
فصليت بهم وفي حديث ابن مسعود ايضا عند مسلم وحانت الصلاة فاممتهم
وفي حديث ابن عباس عند احمد فلما اتى النبي صلى الله عليه وسلم الاقصى
قام يصلي فاذا النبيون اجمعون يصلون معه وعن ابي سعيد ثم سار حتى اتى
اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة ثم دخل فصلى مع الملايكة فلما
قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم
النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم
الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبيا فاثنوا على ربهم فقال ابراهيم عليه
السلام الحمد لله الذي اتخذني خليلا واعطاني ملكا عظيما وجعلني امة قانتا يوتم
بي وانقذني من النار وجعلها علي بردا وسلاما ثم ان موسى عليه السلام اثنى
على ربه فقال الحمد لله الذي كلمني تكليما واصطفاني وانزل علي التوراة وجعل
هلاك فرعون ونجاة بني اسرايل على يدي وجعل من امتي قوما يهدون بالحق
وبه يعدلون ثم ان داود اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما
وعلمني الزبور والان لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن معي والطير واتاني
الحكمة وفصل الخطاب ثم ان سليمان اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي سخر لي
الرياح وسخر لي الشياطين يعملون ما شيت من محاريب وتماثيل وعلمني منطق
الطير واتاني من كل شي فضلا وسخر لي جنود الشياطين والانس والطير واتاني
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وجعل ملكي ملكا طيبا ليس فيه حساب ثم ان
عيسى عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعلني
مثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل
وجعلني اخلق من الطين كهية الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وجعلني
ابري الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله ورفعني وطهرني واعاذني وامي من
الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيلا قال وان محمدا صلى الله عليه وسلم
اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة
للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شي وجعل

امتي

امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني
وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا افضلكم محمد ثم
ذكر انه عرج به الى السما الدنيا ومن سما الى سما وذكر في الشفا مختصرا من حديث
ابي هريرة ورواه البيهقي من حديث ابي سعيد الخدري وهذا لفظه وفي
ابن ابي حاتم في تفسيره عن انس فلما بلغ بيت المقدس فبلغ المكان الذي يقال
له باب محمد اتى الى الحجر الذي به فغمزه جبريل باصبعه فثقبه ثم ربطها ثم
صعد فلما استويا في صرحة المسجد قال جبريل يا محمد هل سالت ربك ان
يريك الحور العين قال نعم قال فانطلق الى اوليك النسوة فسلم عليهن ثم
قال فسلمت عليهن فرددن علي السلام فقلن خيرات حسان نسا قوم ابرار
نقوا فلم يدرنوا اقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا قال ثم انصرفت فلم البث
الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم اذن موذن واقيمت الصلاة قال فقمنا
صفوفا ننتظر من يومنا فاخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت
بهم فلما انصرفت قال لي جبريل اتدري من صلى خلفك قلت لا قال صلى
خلفك كل نبي بعثه الله قال القاضي عياض يحتمل ان يكون صلى الله عليه
وسلم صلى بالانبيا جميعا في بيت المقدس ثم صعد منهم الى السما من ذكر انه عليه
الصلاة والسلام ويحتمل ان يكون صلى بهم بعد ان هبط من السما فهبطوا ايضا
والاظهر ان صلاته بهم في بيت المقدس كان قبل العروج انتهى وقال ابن كثير
صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده فان في الحديث ما يدل على
ذلك ولا مانع منه انتهى وقد اختلف في هذه الصلاة هل هي فرض او نفل
واذا قلنا انها فرض فاي صلاة هي قال بعضهم الاقرب انها الصبح ويحتمل
ان تكون العشا وانما يتاتى على قول من قال انه صلى بهم قبل عروجه الى السما
واما على قول من قال انه صلى بهم بعد عروجه الى السما واما على قول من
قال انه صلى بهم بعد العروج فيكون الصبح قال ابن كثير ومن الناس من يزعم
انما بهم في السما والذي تظاهرت به الروايات انه ببيت المقدس والظاهر
انه بعد رجوعه اليه لانه لما مر بهم في منازلهم جعل يسال جبريل عنهم
واحدا واحدا وهو يخبره بهم قال وهذا هو اللايق لانه اولا كان مطلوبا
الى الجناب العلوي ليفرض الله عليه وعلى امته ما يشا ثم لما فرغ مما اريد به
اجتمع هو واخوانه من النبيين ثم اظهر شرفه عليهم بتقديمه في الامامة
وفي رواية ابن اسحق انه عليه الصلاة والسلام قال لما فرغت مما كان
في بيت المقدس اتي بالمعراج ولم ار قط شيا احسن منه وهو الذي يمد اليه
الميت عينيه اذا احتضر فاصعدني صاحبي فيه حتى انتهى بي الى باب

تحمل

بلغه

راه

Copyright ... University

من ابواب السما وفي رواية كعب فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب
حتى عرج جبريل وفي شرف المصطفى انه اتي بالمعراج من جنة الفردوس وانه منضد
عن يمينه ملايكة وعن يساره ملايكة وفي رواية ابي سعيد عند البيهقي ثم اتيت
بالمعراج الذي تعرج عليه ارواح بني ادم فلم ير الخلايق احسن من المعراج اما رايت
الميت حين يشق بصره طامحا الى السما فان ذلك عجبه بالمعراج وقد تقدم في حديث
البخاري السابق فانطلق بي جبريل حتى اتى السما الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم ولم يقل جبريل عليه
السلام انا حين قيل له من انما سمى نفسه فقال جبريل لان لفظ انا فيه اشعار
بالعظمة وفي الكلام السابر اول من قال انا ابليس فشقي وايضا فقوله فيه شبهة و
لافتقار الضمير الى العود فهي غير كافية في البيان وعلى هذا فينبغي للمستاذن
اذا قيل له من انت لا يقول انا ويقول فلان وفي رواية للبخاري وسلم فعرج
وهو بفتح العين يعني صعد وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي حتى انتهى الى
باب من ابواب السما يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسماعيل تحت يده
اثنا عشر الف ملك وفي رواية شريك عند البخاري ايضا ثم عرج به الى السما
الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السما الدنيا من هذا قال جبريل قالوا
ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث قال نعم قالوا مرحبا واهلا فيستبشر به اهل
السما لا يعلم اهل السما ما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم على لسان جبريل ووقع
في هذه الرواية انه راى في سما الدنيا النيل والفرات عنصرهما وظاهره
يخالف حديث مالك ابن صعصعة فان فيه بعد ذكر سدرة المنتهى فاذا في اصلها
اربعة انهار ويجمع بينهما بان اصل نبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما في
السما الدنيا ومنها ينزلان الى الارض ووقع في هذه الرواية ايضا ثم مضى به
في سما الدنيا فاذا هو بنهر اخر عليه قصور من لولو وزبرجد وانه الكوثر
وهو مما استشكل من رواية شريك فان الكوثر من الجنة والجنة فوق السما
السابعة ويحتمل ان يكون تقديره ثم مضى في السما الدنيا الى السابعة فاذا هو
بنهر ثم ان في قوله في الحديث افتح دلالة على انه صادف ابواب السما مغلقة والحكمة
في ذلك والله اعلم التنويه بقدره عليه الصلاة والسلام وتحقيق ان السموات
لم تفتح ابوابها الا من اجله ولو وجدها مفتوحة لم يتحقق انها فتحت لاجله فلما
فتحت له تحقق عليه الصلاة والسلام ان الحل مصون وان فتحه له كرامة
وتبجيل واما قوله في الحديث ارسل اليه وفي رواية وقد بعث اليه فيحتمل
ان يكون استفهاما عن الارسال اليه للعروج الى السما وهو الاظهر لقوله
اليه لان اصل بعثته قد اشتهر في الملكوت الاعلى وقيل سالوا تعجبا من نعمة

الله

الله عليه بذلك واستبشارا به وقد علموا ان بشرا لا يترقى هذا الترقي الا
باذن من الله تعالى وان جبريل لا يصعد بمن لم يرسل اليه وقيل ان الله تعالى
اراد اطلاع نبيه على انه معروف عند الملا الاعلى لانهم قالوا ابعث اليه او ارسل
اليه فدل على انهم كانوا يعرفون ان ذلك سيقع له والا لكانوا يقولون
ومن محمد مثلا وكذلك اجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم المجي جا وكلامهم بهذه الصيغة
ادل دليل على ما ذكرناه من معرفتهم بجلالته وتحقيق رسالته ولان هذا اجل
لكونه من جنس الخطاب والترحيب على المعروف من عادة العرب واما قوله من
معك فيشعر بانهم احسوا به عليه الصلاة والسلام والا لكان السوال بلفظ امعك
احد وهذا الاحساس اما بمشاهدة لكون السما شفافة واما بامر معنوي كزيادة
انوار ونحوها قاله الحافظ ابن حجر ولعله اخذه من كلام العارف ابن ابي جمرة
حيث قال في بهجته الثاني ان يكون سوالهم له لما راوا حين راوا اقباله عليهم
من زيادة الانوار وغيرها من الماثر الحسان زيادة على ما يعهدونه منه قال
وهذا هو الاظهر كانهم قالوا من الشخص الذي من اجله هذه الزيادة التي
معك فاخبرهم بما ارادوا وهو تعيين الشخص باسمه حتى عرفوه انتهى وقد
قال بعض العلما في قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى انه راى صورة
ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس المملكة واما قولهم مرحبا به ولنعم
المجي جا فيحتمل ان يكونوا قالوه لما عاينوه من بركاته عليه الصلاة والسلام
التي سبقته للسما مبشرة بقدومه وفيه تقديم وتاخير والتقدير جا فنعم
المجي مجيئه وانما يقل الخازن مرحبا بك بصيغة الخطاب بل قال بصيغة
الغيبة لانه حياه قبل ان يفتح الباب وقبل ان يصدر من النبي صلى الله عليه
وسلم خطاب ويحتمل ان يكون حياه بصيغة الغيبة تعظيما له لان هاء الغيبة
ربما كانت افخم من كاف الخطاب واما قوله في الحديث فاذا رجل قاعد على
يمينه اسودة وعلى يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل
شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال
هذا ادم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم اهل
الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا
نظر عن شماله بكى فالاسودة بوزن ازمنة هي الاشخاص والنسم بالنون
والسين المهملة المفتوحتين جمع نسمة وهي الروح وقد قال القاضي عياض
جا ان ارواح الكفار في سجين وان ارواح المومنين منعمة في الجنة يعني فكيف
تكون مجتمعة في سما الدنيا واجاب بانه يحتمل انها تعرض على ادم اوقاتا فـ
فوافق عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم ويدل على ان كونهم في النار

الخازن لم

بلغ

Copyright King Saud University

انما هو في اوقات دون اوقات قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
واعترض بان ارواح الكفار لا تفتح لها ابواب السما كما هو نص القران والجواب
ما ابداه هو احتمالا ان الجنة كانت في جهة يمين ادم والنار في جهة شماله وكان
يكشف له عنهما ولا يلزم من رواية ادم لها وهو في السما ان تفتح لها ابواب السما
ولا يلجها وفي حديث ابي هريرة عند البزار فاذا نظر عن يمينه استبشر واذا
نظر عن شماله حزن وهذا الوضع لكان المصير اليه اولى من جميع ما تقدم لكن
سنده ضعيف قاله الحافظ ابن حجر واما قوله في الحديث ثم صعد بي حتى اتى
السما الثانية فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل
اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فلما خلص اذا يحيى وعيسى وهما ابنا (خلصنا)
الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح الى قوله ثم صعد بي الى السما السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به
فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه فسلمت
عليه فرد السلام وقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح وهذه الرواية موافقة
لرواية ثابت عن انس عند مسلم انه في السما الاولى ادم والثانية يحيى وعيسى
وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة هارون وفي السادسة ثم
موسى وفي السابعة ابراهيم وخالف ذلك ابن شهاب الزهري في روايته عن
انس عن ابي ذر كما في اول الصلاة من البخاري ايضا انه لم يثبت كيف منازلهم
وقال فيه وابراهيم في السما السادسة وفي رواية شريك عن انس ان ادريس
في الثانية وهارون في الرابعة واخر في الخامسة لم احفظ اسمه وابراهيم في
السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله وسياقه يدل على انه لم
يضبط منازلهم ايضا كما صرح به الزهري ورواية من ضبط اولى ولا سيما في
اتفاق قتادة وثابت وقد وافقهما يزيد بن ابي مالك عن انس الا انه خالف
في ادريس وهارون فقال هارون في الرابعة وادريس في الخامسة ووافقهم
ابو سعيد الا ان في روايته يوسف في الثانية وعيسى ويحيى في الثالثة
والمشهور في الروايات ان الذي في السابعة هو ابراهيم واكد ذلك في حديث
مالك بن صعصعة بانه كان مسندا ظهره الى البيت المعمور ومع التعدد
لا اشكال ومع الاتحاد فقد جمع بان موسى كان حالة العروج في السادسة
وابراهيم في السابعة على ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط
كان موسى في السابعة لانه لم يذكر في القصة ان ابراهيم كلمه في شي مما يتعلق
بما فرض على امته من الصلاة كما كلمه موسى عليه السلام والسما السابعة هي اول

شي

شي انتهى اليه حالة الهبوط فناسب ان يكون موسى عليه السلام بها لانه هو الذي
خاطبه في ذلك كما ثبت في جميع الروايات ويحتمل ان يكون لقي موسى في السادسة
فاصعد معه الى السابعة تفضيلا له على غيره من اجل كلام الله تعالى وظهرت
فايدة ذلك في كلامه مع نبينا فيما يتعلق بامر امته في الصلاة قاله في فتح الباري
وقال ان النووي اشار الى شي من ذلك وفي رواية شريك عن انس في قصة
موسى عليه السلام من اختصاصه بكلام الله تعالى له في الدنيا دون غيره من
البشر لقوله تعالى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ان المراد بالناس
هنا البشر كلهم وانه استحق بذلك ان لا يرفع عليه احد فلما فضل الله تعالى
محمدا عليه الصلاة والسلام بما اعطاه من المقام المحمود وغيره ارتفع على موسى
وغيره بذلك وفي حديث ابي سعيد قال موسى يزعم بنو اسرايل اني اكرم
على الله وهذا اكرم على الله مني زاد الاموي في روايته ولو كان هذا وحده هان
ولكن معه امته وهم افضل الامم عند الله وفي حديث مالك بن صعصعة
فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته
بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي ولم يكن بكا موسى حسدا
معاذ الله وان الحسد في ذلك العالم منزوع من احاد المومنين فكيف بمن
اصطفاه الله تعالى بل كان اسفا على ما فاته من الاجر الذي يترتب عليه
رفع الدرجات بسبب ما وقع من امته من كثرة المخالفة المقتضية
لتنقيص اجورهم المستلزمة من اتبعه في العدد دون من اتبع نبينا
صلى الله عليه وسلم من طول مدتهم بالنسبة لمدة هذه الامة وقال العارف
ابن ابي جمرة قد جعل الله تعالى في قلوب انبيايه عليهم الصلاة والسلام الرافة
والرحمة لاممهم وركبهم على ذلك وقد بكى نبينا صلى الله عليه وسلم فقيل ما يبكيك
قال هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحما والانبيا عليهم الصلاة والسلام
قد اخذوا من رحمة الله اوفر نصيب فكانت الرحمة في قلوبهم لعباد الله
اكثر من غيرهم فلاجل ما كان لموسى عليه السلام من الرحمة واللطف بكاهم
اذ ذاك رحمة منه لامته لان هذا وقت افضال وجود وكرم فرجا ان يكون
وقت القبول والافضال فيرحم الله امته ببركة هذه الساعة فان قال
قايل كيف يكون هذا وامته لا تخلو من قسمين قسم مات على الايمان وقسم مات
على الكفر فالذي مات على الايمان لا بد له من دخول الجنة والذي مات
على الكفر لا يدخل الجنة ابدا فبكاوه لاجل ما ذكر لا يسوغ لان الحكم فيهم قد
مر ونفذ قيل ان الله تعالى قدر رقه وقدر على قسمين فقدر قدرا وقدر ان
ينفذ على كل حال من الاحوال وقدر قدرا وقدر ان لا ينفذ ويكون رفعهم

(هامش: لتنقيص لان لكل نبي مثل اجر كل من تبعه الامة ولهذا كان بكاه)

ع

بسبب ذلك دعا او صدقة او غير ذلك فلاجل ما تركب في موسى عليه السلام من
اللطف والرحمة بالامة طمع لعل ان يكون ما اتفق لامته من القدر الذي هو
قدره الله تعالى وقد رار تفاعه بسبب الدعا والتضرع اليه وهذا اهم
وقت يرجى فيه التعطف والاحسان من الله تعالى لانه وقت اسرى فيه
بالحبيب الكريم ليخلع عليه خلع القرب والفضل الجسيم فطمع الكليم لعل ان يلحق
لامته نصيبا من هذا الخير العظيم وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم ان لله
نفحات فتعرضوا لنفحات الله وهذه نفحة من النفحات فتعرض لها موسى
فكان امر قدر والاسباب لا تؤثر الا بما سبقت القدرة بانها فيه تؤثر وما
كان قضاه قد لا يرده الاسباب حتم قد لزم وفي بكائه عليه الصلاة والسلام
وجه اخر وهو البشارة لنبينا صلى الله عليه وسلم وادخال السرور عليه
وذلك قول موسى عليه السلام الذي هو اكثر الانبيا اتباعا ان الذين يدخلون
الجنة من امة محمد صلى الله عليه وسلم اكثر ممن يدخلها من امتي ولما قوله
موسى عليه السلام لان غلاما ولم يقل غير ذلك من الصيغ فاشارة الى صغر
سنه بالنسبة اليه وفي القاموس والغلام الطار الشارب والكهل ضد
وقال تسمى الرجل المستجمع السن غلاما ما دامت فيه بقية من القوة قال
في فتح الباري ويظهر لي ان موسى عليه السلام اشار الى ما انعم الله به على نبينا
من استمرار القوة في الكهولة الى ان دخل في اول سن الشيخوخة ولم يدخل على
بدنه هرم ولا اعتراه في قوته نقص حتى ان الناس في قدومه المدينة
لما راوه مردفا ابا بكر اطلقوا عليه اسم الشاب وعلى ابي بكر اسم الشيخ مع كونه
عليه الصلاة والسلام في العمر اسن من ابي بكر والله اعلم وقد ذكرت في الهجرة
من المقصد الاول وقد وقع في حديث ابي هريرة عند الطبري في ذكر ابراهيم
فاذا هو برجل اشمط جالس عند باب الجنة على كرسي وفي رواية مسلم
من حديث ثابت عن انس ثم عرج بنا الى السما السابعة فاذا انا بابراهيم
صلى الله عليه وسلم مسند ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله
كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه وفيه فاذا انا بيوسف واذا هو
قد اعطى شطر الحسن وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي وابي هريرة
عند الطبراني فاذا انا برجل احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن
كالقمر ليلة البدر وهذا ظاهره ان يوسف عليه السلام كان احسن من
جميع الناس لكن روى الترمذي من حديث انس ما بعث الله نبيا
الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا
فعلى هذا يحمل حديث المعراج على ان المراد غير النبي صلى الله عليه وسلم

ويؤيده

ويؤيده قول من قال ان المتكلم لا يدخل في عموم خطابه وحمل ابن المنير حديث
الباب على ان المراد ان يوسف اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه
وسلم واما قوله في الحديث عن ادريس ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فيحمل
على اخوة النبوة والاسلام لانها تجمع الوالد والولد وقال ابن المنير وفي طريق شاذة
مرحبا بالابن الصالح وهذه هي القياس لانه جده الاعلى وقيل ان ادريس الذي
لقيه ليس هو الجد المشهور ولكنه الياس فان كان كذلك ارتفع الاشكال فان قلت
لم كان هولاء الانبيا عليهم الصلاة والسلام في السموات دون غيرهم من الانبيا وما وجه
اختصاص كل واحد منهم بسما تخصه ولم كان في السما الثانية مخصوصها اثنان
اجيب عن الاقتصار على هولا دون غيرهم من الانبيا بانهم امروا بملاقات نبينا
صلى الله عليه وسلم فمنهم من ادركه في اول وهلة ومنهم من تاخر فلحقه ومنهم
من فاته وقيل اشارة الى ما سيقع له صلى الله عليه وسلم مع قومه من نظير
ما وقع لكل منهم فاما ادم عليه الصلاة والسلام فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج
الى الجنة من الارض بما سيقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الهجرة الى المدينة
والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراقه ما الفه من الوطن
ثم كان عاقبة كل منهما ان يرجع الى وطنه الذي خرج منه ولعيسى ويحيى
عليهما السلام على ما وقع له اول الهجرة من عداوة اليهود وتماليهم على البغي عليه وارادتهم
السوء به وبيوسف بما وقع له من اخوته على ما وقع لنبينا عليه الصلاة والسلام
من قريش في نصبهم الحرب له وارادتهم اهلاكه وكانت العاقبة له وقد اشار عليه الصلاة
والسلام الى ذلك بيوم الفتح بقوله لقريش اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا فانتم الطلقا اي العتقا وبادريس على
رفيع منزلته عند الله تعالى وبهرون على ان قومه رجعوا الى محبته بعد ان
اذوه وبموسى على ما وقع له من معالجة قومه وقد اشار الى ذلك عليه الصلاة
والسلام بقوله لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر وبابراهيم في استناده
الى البيت الحرام واجاب العارف ابن ابي جمرة عن وجه اختصاص كل واحد منهم
بسما بان الحكمة في كون ادم في السما الدنيا لانه اول الانبيا واول الابا وهو الاصل و
لاجل تانيس النبوة بالابوة واما عيسى فانما كان في السما الثانية لانه اقرب الانبيا
الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينحت شريعة عيسى عليه السلام الا بشريعة محمد
صلى الله عليه وسلم او لانه ينزل في اخر الزمان لامة محمد صلى الله عليه وسلم على شريعته
ويحكم بها ولهذا قال عليه الصلاة والسلام انا اولى الناس بعيسى فكان في الثانية
لاجل هذا المعنى وانما كان يحيى عليه السلام معه هناك لانه ابن خالته وهما
كالشي الواحد فلاجل التزام احدهما بالاخر كانا هناك معا وانما كان يوسف عليه

السلام في السما الثالثة لان على حسنه فلعل امة محمد صلى الله عليه وسلم الجنة فاري
له هناك لكي يكون ذلك بشارة له عليه الصلاة والسلام فيسر بذلك **وانما كان**
ادريس عليه السلام في السما الرابعة لان هناك توفي ولم تكن له تربة في الارض على
ما ذكر **وانما كان هارون** عليه السلام في السما الخامسة لانه ملازم لموسى عليه السلام
لاجل انه اخوه وخليفته في قومه فكان هناك لاجل هذا المعنى وانما لم يكن مع موسى
عليه السلام في السما السادسة لان لموسى مزية وحرمة وهي كونه كليما واختص
باشيا لم يكن لهارون فلاجل هذا المعنى لم يكن معه في السادسة **وانما كان موسى**
عليه الصلاة والسلام في السما السادسة لاجل ما اختص به من الفضايل ولانه
الكليم وهو بعد نبينا صلى الله عليه وسلم **وانما كان ابراهيم** عليه السلام في السما السا
لانه الخليل والاب الاخير فناسب ان يتجدد للنبي صلى الله عليه وسلم بلقيه انس
لتوجهه بعده الى عالم اخر وهو اختراق الحجب وايضا لانه الخليل ولا احد افضل
من الخليل الا الحبيب والحبيب ها هو قد علا ذلك المقام فكان الخليل فوق الكل لاجل
خليليته وفضله وارتفع الحبيب فوق الكل لاجل ما اختص به مما زاد به عليهم قال الله
تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
فحصل لهم الكمال والدرجة الرفيعة وهي درجة الرسالة والنبوة ورفعوا بعضهم
فوق بعض بمقتضى الحكمة ترفيعا للمرفوع دون تنقيص بالمنزول انتهى ملخصا
وقد اختلف في رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم لهولا الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فحمله بعضهم على رؤية ارواحهم الا عيسى لما ثبت انه رفع بجسده وقد قيل في ادريس
ايضا ذلك والذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل الارواح خاصة ويحتمل
الارواح باجسادها **وقيل** يحتمل ان يكون عليه الصلاة والسلام عاين كل واحد
منهم في قبره في الارض على الصورة التي اخبر بها من الموضع الذي ذكر انه عاينه فيه
فيكون الله عز وجل قد اعطاه من القوة في البصر والبصيرة ما ادرك به ذلك
ويشهد له رؤيته عليه السلام الجنة والنار في عرض الحايط وهو محتمل لان
يكون عليه السلام راها في ذلك الموضع او مثل له صورتها في عرض الحايط
والقدرة صالحة لكلاها **وقيل** يحتمل ان يكون الله سبحانه وتعالى لما اراد باسرا
نبينا عليه الصلاة والسلام رفعهم من قبورهم لتلك المواضع اكراما للنبي عليه
السلام وتعظيما حتى يحصل له من قبلهم ما اشرنا اليه من الانس والبشارة وغير ذلك
مما لم يشر اليه ولا نعلمه نحن وكل هذه الوجوه محتملة ولا ترجيح لاحدها على
الاخر اذ القدرة صالحة لكل ذلك انتهى **واما قوله في الحديث** ثم رفعت الى سدرة
المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة
المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل

قال

قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات **وفي** رواية
عند البخاري ايضا فاذا في اصلها اي سدرة المنتهى اربعة انهار **وعند مسلم** يخرج
من اصلها وعنده ايضا من حديث ابي هريرة اربعة انهار من الجنة النيل والفرات
وسيحان وجيحان فيحتمل ان يكون سدرة المنتهى مغروسة في الجنة والانهار
تخرج من اصلها فيصح انها من الجنة **ووقع** في حديث شريك كما عند البخاري
في التوحيد انه راى في سما الدنيا نهرين يطردان فقال له جبريل هما النيل
والفرات وعنصرهما **والجمع** بينهما انه راى هذين النهرين عند سدرة المنتهى
مع نهري الجنة وراهما في السما الدنيا دون نهري الجنة واراد بالعنصر عنصر
انتشارهما بسما الدنيا كذا قاله ابن دحية **وروى** ابن ابي حاتم عن انس انه
عليه الصلاة والسلام بعد ان راى ابراهيم قال ثم انطلق بي على ظهر السما
السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت واللولو والزبرجد وعليه
طير خضر انعم طير رايت قال جبريل هذا الكوثر الذي اعطاك الله فاذا فيه
انية الذهب والفضة تجري على رضراض من الياقوت والزمرد ماه اشد
بياضا من اللبن قال فاخذت من انيته فاغترفت من ذلك فشربت فاذا
هو احلى من العسل واشد رايحة من المسك وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي
فاذا فيها عين تجري يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران احدهما الكوثر
والاخر يقال نهر الرحمة وساتي مزيد لما ذكرها من الكوثر في المقصد الاخير
ان شا الله تعالى **وقد وقع** في حديث ثابت عن انس عند مسلم ثم ذهب
بي الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما
غشيها من امر الله عز وجل ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع
ان ينعتها من حسنها وفيها في حديث ابن مسعود عند مسلم ايضا بيان
سبب تسميتها بسدرة المنتهى ولفظه لما اسري برسول الله صلى
الله عليه وسلم قال انتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السما السادسة واليها
ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها وهو معنى قول ابن ابي جمرة لان اليها ينتهي
الاعمال ومن هناك ينزل الامر وتتلقى الاحكام وعندها تقف الحفظة وغيرهم
لا يتعدونها فكانت منتهى لان اليها ينتهي ما يصعد من السفلي وما ينزل من
العالم العلوي من امر العلي **وقال** النووي لان علم الملايكة ينتهي اليها ولم يجاوزها
احد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعارض قوله في حديث ابن مسعود هذا
انها في السادسة ما دل عليه بقية الاخبار انه وصل اليها بعد ان دخل في
السما السابعة لانه يحمل على ان اصلها في السما السادسة واغصانها وفروعها
في السابعة وليس في السادسة الا اصل ساقها قاله في فتح الباري وجا في

اكثر الانبيا اتباعا

اى تجريان

Copyright ... University

حديث ابي ذر عند البخاري في الصلاة تغشيها الوان ما ادري ماهي وفي حديث
ابن مسعود المذكور عند مسلم قال الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال
فراش من ذهب وفي حديث يزيد بن ابي مالك عن انس جراد من ذهب قال
البيضاوي وذكر الفراش وقع على سبيل التمثيل لان من شان الشجر ان يسقط
عليها الجراد وشبهه وجعلها من الذهب حقيقة والقدرة صالحة لذلك
وفي حديث ابي سعيد وابن عباس تغشاها الملائكة وفي حديث علي على كل ورقة
منها ملك وفي رواية ثابت عن انس عند مسلم فلما غشيها من امر الله ما غشي
تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها وفي رواية حميد عن انس عند
ابن مردويه نحوه لكن قال تحولت ياقوتا ونحو ذلك قال ابن دحية واختيرت
السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة اوصاف ظل ممدود فالظل بمنزلة العمل
والطعم بمنزلة النية والرائحة بمنزلة القول وقال العارف ابن ابي جمرة
وهل الشجرة مغروسة في شيء ام لا يحتمل الوجهين معا لان القدرة صالحة
لكلاهما فكما جعل الله تعالى في هذه الدار الارض مقرا للشجر كذلك يجعل الهوى
لتلك مقرا وكما جعله صلى الله عليه وسلم يمشي في الهوى كما كان يمشي في الارض
ولان القدرة استقرت الارض مع انها على الما فلا مانع من ان تكون الشجرة
في الهوى ويحتمل ان تكون مغروسة بارض وان تكون من تراب الجنة والله
قادر على ما يشاء واما قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث ثم اتيت باناء من خمر واناء
من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة التي انت عليها فيدل
على انه عرض عليه الانية مرتين مرة ببيت المقدس ومرة عند وصوله
الى سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة واما الاختلاف في عدد الانية
وما فيها فيحمل على ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الاخر ومجموعها اربعة اواني
فيها اربعة اشيا من الانهار الاربعة التي راها تخرج من اصل سدرة المنتهى
ووقع في حديث ابي هريرة عند الطبري سدرة المنتهى تخرج من اصلها انهار
من ما غير اسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى
فلعله عرض عليه من كل نهر انا وجا عن كعب ان نهر العسل نهر النيل ونهر
اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الما نهر سيحان ولنهر النيل فضائل
ولطائف افردها بالتاليف غير واحد من الائمة ووقع في بعض الطرق انه صلى
الله عليه وسلم صلى بالانبيا في السموات واما قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث
ثم رفع الى البيت المعمور فمعناه انه اري له ويحتمل ان المراد الرفع والروية
معا لانه قد يكون بينه وبين البيت المعمور عوالم حتى لا يقدر على ادراكه
فرفع اليه وامد في بصره وبصيرته حتى راه وروى الطبري من حديث

سعيد

سعيد بن ابي عروبة عن قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
البيت المعمور مسجد في السما بحذا الكعبة لو خر لخر عليها يدخله سبعون الف
ملك كل يوم اذا خرجوا منه لم يعودوا وفي هذا دليل على عظيم قدرة الله تعالى
وانه لا يعجزها ممكن لان هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم هذا العدد
العظيم منذ خلق الله تعالى الخلق الى الابد ثم طايفة هذا اليوم لا ترجع اليه
ابدا ومع انه قد روي انه ليس في السموات ولا في الارض موضع شبر الا وملك
واضع جبهته هناك ساجدا ثم البحار ما من قطرة الا وبها ملك موكل فاذا كانت
السموات والارض والبحار هكذا فهولا الملايكة الذين يدخلون اين يذهبون
هذا من عظيم القدرة التي لا يشبهها شي وفي هذا دليل على ان الملايكة اكثر المخلوقات لانه
اذا كان سبعون الف ملك كل يوم يصلي في البيت المعمور على ما تقدم ثم لا يعودون
مع ان الملايكة في السموات والارض والبحار وفي حديث ابي هريرة عند ابن مردويه
وابن ابي حاتم ان في السما نهرا يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس
فيه ثم يخرج فينتفض فيخرج عنه سبعون الف قطرة يخلق الله من كل قطرة
ملكا فهم الذين يصلون فيه اي في البيت المعمور ثم لا يعودون اليه واسناده
ضعيف وذكر الامام فخر الدين الرازي عند تفسير قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون
انه روي عن عطا ومقاتل والضحاك عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش
نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه
جبريل عليه السلام كل سحر ويغتسل فيه فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله
ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك
يدخل منهم كل يوم سبعون الفا لا يعودون اليه الى ان تقوم الساعة وقد
روي ان ثم ملايكة يسبحون الله تعالى فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكا
هذا ما عدا الملايكة التي للتعبد وما عدا الملايكة الموكلين بالنبات والارزاق
والحفظة والملك الموكل بتصوير ابن ادم والملايكة الذين ينزلون في
السحاب والملايكة الذين يكتبون الناس يوم الجمعة وخزنة الجنة والملايكة
الذين يتعاقبون والذين يومنون على قراة المصلي والذين يقولون
ربنا ولك الحمد والذين يدعون لمنتظر الصلاة والذين يلعنون من هجرت
فراش زوجها وروي ان في سما الدنيا وهي من ما ودخان ملايكة خلقوا من
ما وريح عليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقولون
سبحان ذي الملك والملكوت وان في السما الثانية ملايكة على الوان شتى رافعين
اصواتهم يقولون سبحان ذي القوة والجبروت وان فيها ملكا نصف
جسده من نار ونصف جسده من ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفي

النار وهو يقول يا من الف بين الثلج والنار الف بين قلوب عبادك وان
في الثالثة وهي من حديد ملائكة ذو اجنحة ووجوه شتى واصوات
شتى رافعوا اصواتهم بالتسبيح يقولون سبحانك انت الحي الذي لا تموت
وهم صفوف قيام كانهم بنيان مرصوص لا يعرف احدهم لون صاحبه
من خشية الله تعالى وان في الرابعة وهي من نحاس ملائكة يضعفون
على ملائكة الثالثة وكذلك كل سما اكثر عددا من السما التي تليها وان ملائكة
السما الرابعة قيام وركوع وسجود على الوان شتى من العبادة ثم يبعث الله
الملك منهم الى امر من اموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه
الذي الى جنبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن
الذي لا اله الا هو وان في الخامسة وهي من فضة ملائكة يزيدون على ملائكة
الاربع سموات وهم سجود وركوع لم يرفعوا ابصارهم الى يوم القيامة فاذا كان
يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك وان في السادسة وهي من ذهب
جند الله الاعظم الكروبيون لا يحصي عددهم الا الله تعالى وعليهم ملك له
سبعون الف ملك جنده وكل ملك منهم جنوده سبعون الف ملك جنودهم كل
ملك وهم الذين يبعثهم الله في اموره الى اهل الدنيا رافعوا اصواتهم بالتسبيح
والتهليل وان في السابعة وهي من ياقوتة حمرا من الملائكة ما يزيدون على
ما تقدم وعليهم ملك مقدم على سبع مائة الف ملك منهم جنود مثل قطر
السما وتراب الثرى والرمل والسهل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق
في السموات والارض ويخلق الله تعالى في كل يوم ما يشا وما يعلم جنود ربك
الا هو وان حملة العرش لكل منهم وجوه شتى واعين شتى في جسد لا يشبه
بعضها بعضا رافعة اصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا يفترون
لو ان الملك منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بريشة من جناحه لا يعلم عددهم
الا الله وحملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت حسن رحيم تقول
اربعة منهم سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك وقد روى الطبري
من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل
على اي شي انت قال على الريح والجنود قال وعلى اي شي ميكائيل قال على
النبات والقطر قال وعلى اي شي ملك الموت قال على قبض الارواح الحديث
وفي اسناده محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى وقد ضعف لسو حفظه ولم يترك
وروى الترمذي من حديث ابي سعيد مرفوعا وزيراي من اهل السما
جبريل وميكائيل الحديث وروى النقاش ان اسرافيل اول من سجد من
الملائكة وانه جوزي بولاية اللوح المحفوظ وفي كتاب العظمة لابي الشيخ

ابن حبان

يتجاوبون بصوت حسن رحيم
سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك ويقول اربعة
قال
بلغ

٢٦٨

ابن حبان من ذلك العجب العجاب وعندي منه الجزء الثاني وقد وقعت في غير رواية
البخاري هنا زيادات فيها ما وقع في رواية ابي سعيد الخدري عند البيهقي في دلائله
ثم صعدت الى السما السابعة فاذا انا بابراهيم الخليل ساند ظهره الى البيت المعمور
كاحسن الرجال ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي واذا انا بامتي شطرين
شطر عليهم ثياب بيض كانها القراطيس وشطر عليهم ثياب رمد قال فدخلت
البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الاخرون الذين
عليهم الثياب الرمد فصليت انا ومن معي في البيت المعمور وفي رواية الطبري
فاذا هو برجل اشمط جالس على باب الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس بيض الوجوه
امثال القراطيس وقوم في الوانهم شي فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص
من الوانهم شي ثم دخلوا نهرا اخر فاغتسلوا فيه وقد خلص الوانهم وصارت مثل
الوان البيض الوجوه فقال من هذا ومن هولا الذين في الوانهم شي وما هذه
الانهار التي دخلوا فيها فجاوا وقد صفت الوانهم قال هذا ابوك ابراهيم اول من شمط
على الارض واما هولا البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم واما هولا النفر الذين
في الوانهم شي فقوم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم واما الانهار
فاولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث وسقاهم ربهم شرابا طهورا وفي رواية
البخاري في الصلاة ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام الحديث
والمستوى المصعد وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة تصويتها حالة الكتابة
والمراد ما تكتبه الملائكة من اقضية الله تعالى والقدر المكتوب قديم وانما الكتابة
حادثة وظاهر الاخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه قبل خلق
السموات والارض وانما هذه الكتابة في صحف الملائكة كالفروع المنتسخة من الاصل
وفيها الاثبات والمحو على ما ذكر في الاثر وذكر ابن القيم ان الاقلام اثنى عشر قلما وانها
متفاوتة في الرتب فاعلاها واجلها قلم القدر السابق الذي كتب الله به
مقادير الخلائق كما في سنن ابي داود عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله تعالى القلم قال له اكتب قال
رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شي حتى تقوم الساعة فهذا القلم اول
الاقلام واجلها وقد قال غير واحد من اهل التفسير انه القلم الذي اقسم الله به
والقلم الثاني قلم الوحي والقلم الثالث قلم التوقيع عن الله ورسوله والرابع قلم
طب الابدان الذي يحفظ به صحتها والخامس قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم
وبه تساس الممالك والسادس قلم الحساب وهو الذي يضبط به الاموال
مستخرجها ومصروفها ومقاديرها وهو قلم الارزاق والسابع قلم الحكم الذي
تثبت به الحقوق وتنفذ به القضايا والثامن قلم الشهادة التي تحفظ به الحقوق

نهرا
به

والتاسع علم التعبير وهو كاتب وحي المنام وتفسيره وتعبيره والعاشر علم تواريخ
العالم ووقائعه والحادي عشر علم اللغة وتفاصيلها والثاني عشر العلم الجامع
وهو علم الرد على المبطلين ودفع شبه المحرفين فبهذه الاقلام التي بها انتظام
مصالح العالم قال ويكفي في جلالة القلم انه لم يكتب كتب الله الا به وانه تعالى اقسم
به في كتابه انتهى ملخصا من اقسام القران وقد وقع في رواية ابي ذر عند مسلم
وغيره من الزيادة ايضا ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها
المسك الحديث والجنابذ بالجيم ثم النون المفتوحتين ثم الف ثم موحدة ثم ذال
معجمة هي القباب ووقع هنا في التفسير من البخاري من حديث قتادة عن
انس لما عرج به صلى الله عليه وسلم قال اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ
واما في كتاب الصلاة من البخاري واذا فيها حبايل اللؤلؤ بالمهملة والموحدة ثم
اخره لام فقال القاضي عياض وغيره هو تصحيف وفي حديث الامام احمد
من رواية حذيفة فتحت لها ابواب السما قال فرايت الجنة والنار وفي حديث
ابي سعيد انه عرضت عليه الجنة وان رمانها كانه الدلا واذا طيرها كانه البخت
وانه عرضت عليه النار فاذا فيها هي لو طرح فيها الحجارة والحديد لاكلتها ووقع
عند مسلم من طريق همام عن قتادة عن انس بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر
حافتاه قباب الدر المجوف واذا طينته مسك اذفر فقال جبريل هذا الكوثر
وفي رواية ابي عبيدة ابن عبد الله بن مسعود عن ابيه ان ابراهيم عليه السلام
قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا بني انك لاق ربك الليلة وان امتك اخر الامم
واضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك في امتك فافعل ووقع في حديث
ابي سعيد الخدري عند البيهقي ثم صعد بي الى السما السابعة قال ثم
رفعت الى سدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها تغطي هذه الامة واذا فيها
عين تجري يقال له السلسبيل فيشق منها نهران احدهما الكوثر والاخر
يقال له نهر الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر ثم رفعت
الى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لمن انت يا جارية قالت لزيد بن حارثة
وفيه واذا رمانها كانه الدلا عظما ثم عرضت على النار فاذا فيها غضب الله
وزجره ونقمته لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتها ثم اغلقت دوني وفي
الطبراني من حديث عايشة لما كان ليلة اسري بي الى السما دخلت
الجنة فوقفت على شجرة من اشجار الجنة لم ار في الجنة شجرة احسن منها
ولا ابيض منها ولا اطيب منها ثمرة فتناولت ثمرة من ثمارها فاكلتها فصارت
نطفة في صلبي فلما هبطت الى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة
وهو حديث ضعيف وفيه التصريح بان الاسرا كان قبل ولادة فاطمة وهي

ولدت

مانع

ولدت قبل النبوة بسبع سنين ولا ريب ان الاسرا كان بعد النبوة وذكر ابو الحسن
ابن غالب فيما تكلم فيه على احاديث الحجب السبعين والسبعماية والسبعين
الف حجاب وعزاها لابي الربيع بن سبع في شفا الصدور من حديث ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بعد ذلك ان ذكر مسندا حديث الاسرا كما ورد في
الامهات اتاني جبريل وكان السفير بي الى ان انتهى الى مقام ثم وقف عند ذلك
فقلت يا جبريل في مثل هذا المقام يترك الخليل خليله فقال ان تجاوزته احترقت
بالنور فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل لك من حاجة الى ربك
قال يا محمد سل الله ان ابسط جناحي على الصراط لامتك حتى يجوزوا عليه
قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم زج بي في النور فخرقت بي سبعين الف حجاب
ليس فيها حجاب يشبه حجابا وانقطع عني حس كل ملك وانسي فلحقني عند ذلك
استيحاش فعند ذلك نادى مناد بلغة ابي بكر قف ان ربك يصلي فبينا انا
اتفكر في ذلك فاقول هل سبقني ابو بكر فاذا النداء من العلي الاعلى ادن يا خير
البرية ادن يا احمد ادن يا محمد ليدن الحبيب فادناني ربي حتى كنت كما قال
تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى قال وسالني ربي فلم استطع ان
اجيبه فوضع يده بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها فاورثني
علم الاولين والاخرين وعلمني علوما شتى فعلم اخذ علي كتمانه اذ علم انه لا يقدر
على حمله احد غيري وعلم خيرني فيه وعلمني القران فكان جبريل عليه السلام
يذكرني به وعلم امرني بتبليغه الى العام والخاص من امتي ولقد عاجلت جبريل
عليه السلام في اية نزل بها فعاتبني ربي وانزل علي ولا تعجل بالقران من قبل
ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما ثم قلت اللهم انه لما لحقني استيحاش
قبل قدومي عليك سمعت مناديا ينادي بلغة تشبه لغة ابي بكر فقال لي قف
فان ربك يصلي فعجبت من هاتين هل سبقني ابو بكر الى هذا المقام وان ربي
لغني عن ان يصلي فقال تعالى انا الغني عن ان اصلي لاحد وانا اقول سبحاني
سبحاني سبقت رحمتي غضبي اقرا يا محمد هو الذي يصلي عليكم وملايكته
ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمومنين رحيما فصلاتي رحمة لك
ولامتك واما امر صاحبك يا محمد فان اخاك موسى كان انسه بالعصا فلما اردنا كلامه
قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي وشغل بذكر العصا عن
عظيم الهيبة وكذلك انت يا محمد لما كان انسك بصاحبك ابي بكر وانك
خلقت وهو من طينة واحدة وهو انيسك في الدنيا والاخرة خلقنا ملكا على
صورته ينادي بلغته ليزول عنك الاستيحاش لئلا يلحقك من عظيم
الهيبة ما يقطعك عن فهم ما يراد منك ثم قال الله تعالى واين حاجة جبريل

عز وجل

بالعصا

Copyright King Saud University

نقلت اللهم انك اعلم فقال يا محمد قد اجبته بما ساله ولكن نحن احبك وصحبك
وفي رواية فتقدمت وجبريل على اثري حتى انتهى بي الى حجاب فراش الذهب
فحرك الحجاب فقيل من هذا قال انا جبريل ومعي محمد صلى الله عليه وسلم قال
الملك الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني فوضعني بين يديه
في اسرع من طرفة عين الى حجاب اللولو فحرك الحجاب فقال الملك من وراء
الحجاب من هذا قال انا فلان صاحب حجاب الذهب وهذا محمد صلى الله
عليه وسلم رسول رب العزة معي فقال الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب
فاحتملني حتى وضعني بين يديه فلم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى
جاوزت سبعين الف حجاب غلظ كل حجاب مسيرة خمسماية عام ثم دلي لي
رفرف اخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس فالتمع بصري ووضعت على ذلك
الرفرف ثم احتملني حتى وصلت الى العرش فابصرت امرا عظيما لا تناله الالسن
ثم تدلى لي قطرة من العرش فوقعت على لساني فما ذاق الذايقون شيا قط
احلا منها للعسل فانباني الله بها نبا الاولين والاخرين ونور قلبي وغشي
نور عرشه بصري فلم ار شيا قط فجعلت ارى بقلبي ولا ارى بعيني ورايت
من خلفي ومن بين كتفي كما رايت امامي الحديث رواه والذي قبله في كتاب
شفا الصدور كما ذكره ابن غالب والعهدة عليه في ذلك وتكثير الحجب لم يرد في
طريق صحيح ولم يصح في ذلك غير ما في مسلم حجابه النور والرفرف البساط وقيل
انه في الاصل ما كان من الديباج وغيره رقيق حسن الصنعة ثم اتسع فيه واعلم
ان ما ذكر في هذا المحل الرفيع من الحجب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق عز وجل
والله سبحانه وتعالى منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدار محسوس فالخلق
كلهم محجوبون عنه تعالى بمعاني الاسما والصفات والافعال وساير المخلوقات
من معاني الانوار والظلمات كل بمقام من الحجب معلوم وحظ من الادراك والمعرفة
مقسوم واقرب الخلق الى الله تعالى الملايكة الحافون والكروبيون وهم محجوبون
بنور المهابة والعظمة والكبريا والجلال والقدس والقيومية محجب الذات
بالصفات وهم في الحجب عنه على طبقات مختلفات كل على مقام معلوم ودرجات
وبالجملة فالمخلوقات كلها ما كانت حجابا عن الخالق فقوم حجبوا برويه النعم
عن المنعم وبروية الاحوال عن المحول وبروية الاسباب عن المسبب
وقوم حجبوا بالعلم عن المعلوم وبالفهم عن المفهوم وبالعقل عن المعقول وذلك
كله من معنى حجاب النعم عن المنعم والواهب عن الوهاب وقوم حجبوا
بالشهوات المباحة وقوم بالشهوات المحرمات والمعاصي والسيات وقوم
حجبوا بالمال والبنون وزينة الحياة الدنيا اللهم لا تحجب قلوبنا عنك في

الدنيا

غلظ الحجاب مسيره خمسماية عام
لا تقدم يا محمد فخضت
حلقات الملك في اسراعي
طرفه عين

الدنيا ولا ابصارنا في الاخرة يا كريم وقد ورد في الصحيح عن انس قال عرج بي جبريل
الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة جل جلاله فتدلى منه حتى كان منه قاب
قوسين الى سدرة المنتهى او ادنى فاوحى الى ما اوحى الحديث وهذا الدنو والتدلي
المذكور في هذا الحديث وغيره من احاديث المعراج غير الدنو والتدلي في قوله
تعالى في سورة النجم ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى وان اتفقا في اللفظ
فان الصحيح ان المراد في الاية جبريل لانه الموصوف بما ذكر من اول السورة الى
قوله ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى هكذا فسره النبي صلى الله عليه
وسلم في الحديث الصحيح قالت عايشة رضي الله عنها سالت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال ذلك جبريل لم اره في صورته التي خلق عليها
الا مرتين ولفظ القران لا يدل على غير ذلك من وجوه احدها انه قال علمه
شديد القوى وهذا جبريل الذي وصفه بالقوة في سورة التكوير الثاني
انه قال ذو مرة اي حسن الخلق وهو الكريم الذي في سورة التكوير الثالث
انه قال فاستوى وهو بالافق الاعلى وهو ناحية السما العليا وهذا استوا
جبريل عليه السلام واما استوا الرب جل جلاله فعلى عرشه الرابع انه قال
ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فهذا دنو جبريل ونزل الى الارض
حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الدنو والتدلي في حديث
المعراج فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان فوق السموات فهناك دنى الجبار
جل جلاله منه وتدلى الخامس انه قال ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى
قطعا هو جبريل وبهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذاك جبريل
السادس ان نسق الضمير في قوله ولقد راه وقوله دنا فتدلى وقوله
فاستوى وقوله وهو بالافق الاعلى واحد فلا يجوز ان يخالف بين المفسرين
من غير دليل السابع انه سبحانه اخبر ان هذا الذي دنا فتدلى كان بالافق
الاعلى وهو افق السما بل تحتها قد نا من الارض فتدلى من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ودنو الرب تبارك وتعالى وتدليه على ما في حديث شريك كان
فوق العرش لا الى الارض ثم نفى سبحانه وتعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم
بقوله سبحانه ما زاغ البصر وما طغى ما يعرض للرايي الذي لا ادب له بين
يدي الملوك والعظما من التفاته يمينا وشمالا ومجاوزة بصره لما بين يديه واخبر
عنه بكمال الادب في ذلك المقام وفي تلك الحضرة اذ لم يلتفت جانبا ولا مد بصره الى غير ما اري
من الايات وما هناك من العجايب بل قام مقام العبد الذي اوجب ادبه اطراقه واقباله
على ما اريه دون التفاته الى غيره ودون تطلعه الى ما لم يره مع ما في ذلك من ثبات
الجاش وسكون القلب وطمانينته وهذا غاية الكمال وقال في مدارج السالكين

صوابه المفسرات بصفة
جمع الحوادث الموسى

Copyright King Saud University

وفي هذه الاية اسرار عجيبة هي من غوامض الادب اللايقة باكمل البشر صلوات
الله وسلامه عليه تواطا هناك بصره وبصيرته وتوافقا وتصادقا فيما شاهده
بصره فالبصيرة مواطية له وما شاهدته بصيرته فهو ايضا حق مشهود بالبصر
فتواطا في حقه اي ما كذب الفواد ما راي بتشديد الذال اي لم يكذب القلب
البصر بل صدقه وواطاه بصحة الفواد والبصر وكون المرئي المشاهد بالبصر
والبصيرة حقا وقرا الجمهور ما كذب الفواد بالتخفيف وهو متعد وما راي مفعوله
اي ما كذب قلبه ما راته عيناه بل واطاه ووافقه فلم اطابقت قلبه لقالبه وظاهره
لباطنه وبصره لبصيرته لم يكذب الفواد البصر ولم يتجاوز البصر حده فيطغى ولم
يمل عن المرئي فيزيغ بل اعتدل البصر على المرئي ما جاوزه ولا مال عنه كما اعتدل
القلب في الاقبال على الله تعالى بكليته والاعراض عما سواه بكليته وللقلب
زيغ وطغيان كما ان للبصر زيغا وطغيانا وكلاهما انتفى عن قلبه وبصره فلم يزغ
قلبه التفاتا عن الله الى غيره ولم يطغ بمجاوزته مقامه الذي اقيم فيه وهذا غاية
الكمال والادب مع الله تعالى الذي لا يلحقه فيه سواه فان عادة النفوس اذا
اقيمت في مقام عال رفيع ان تتطلع الى ما هو اعلا منه وفوقه الا ترى ان موسى عليه
السلام لما اقيم في مقام التكليم والمناجات طلبت نفسه الروية ونبينا صلى الله عليه
وسلم لما اقيم في ذلك المقام وفاه حقه ولم يلتفت بصره ولا قلبه الى غير ما اقيم فيه
ولاجل هذا ما عاقه عايق ولا وقف به مراد حتى جاوز السموات السبع فلم تعقه
ارادة ولم يقف به دون كمال العبودية همة ولهذا كان مركوبه في مسراه
يسبق خطوه الطرف فيضع قدمه عند منتهى طرفه مشاكلا لحال راكبه
وبعد شاوه الذي سبق به العالم اجمع في سيره فكان قدم البراق لا تتخلف
عن موضع نظره كما كان قدمه صلى الله عليه وسلم لا يتاخر عن محل معرفته
فلم يزل صلى الله عليه وسلم في خفارة كمال ادبه مع الله سبحانه وتكميل مرتبة
عبوديته له حتى خرق حجب السموات وجاوز السبع الطباق وجاوز سدرة
المنتهى ووصل الى محل من القرب سبق به الاولين والاخرين فانصبت له
هناك اقسام القرب انصبابا وانقشعت عنه سحايب الحجب ظاهرا وباطنا حجابا
حجابا واقيم مقاما غبطه به الانبيا والمرسلون فاذا كان في المعاد اقيم مقاما من
القرب ثانيا يغبطه به الاولون والاخرون واستقام هناك على صراط مستقيم
من كمال ادبه مع الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فاقامه في هذا العالم على اقوم
صراط على الحق والهدى واقسم بكلامه القديم على ذلك في الذكر الحكيم فقال يس
والقران الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم فاذا كان يوم المعاد اقام على
صراط فسال له السلامة لاتباعه واهل سنته حتى يجوزوا الى جنات النعيم

وذلك

ببصرة ولهذا قرا هشام وابو جعفر ما كذب الفواد ما را

وذلك فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم ثم ان ما ذكر هنا من القرب
والدنو المراد به تاكيد المحبة والقربة ورفع المنزلة والرتبة قال جعفر الصادق لما
قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق تعالى
بغاية اللطف وذلك قوله جل جلاله فاوحى الى عبده ما اوحى اي كان ما كان وجرى
وقال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب للحبيب والطف به الطاف الحبيب للحبيب
واخفى السر ولم يطلع عليه احد ولم يعلم احد ما اوحى الا الذي اوحى وقال غيره في
قوله فاوحى الى عبده ما اوحى ابهمه لعظمه فان الابهام قد يقع للتعظيم فهو مبهم
لا يطلع عليه بل يتعبد بالايمان به وقيل بل هو مفسر بالاخبار الواردة قال
سعيد بن جبير اوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم الم اجدك يتيما فاويتك
الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عايلا فاغنيتك الم نشرح لك صدرك ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى الله تعالى اليه
ان الجنة حرام على الانبيا حتى تدخلها انت وعلى الامم حتى تدخلها امتك ذكره الثعلبي
والقشيري وقيل اوحى اليه خصصتك بحوض الكوثر فكل اهل الجنة اضيافك
بالما ولهم الخمر واللبن والعسل ذكره القشيري وذكر ايضا انه اوحى اليه ما اوحى
الى الرسل لقوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقيل اوحى اليه
الصلوات الخمس ذكره النقاش وفي رواية ابي سعيد الخدري عند البيهقي
ان الله تعالى قال له صلوات الله وسلامه عليه سل فقال انك اتخذت ابراهيم
خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما
والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له
الانس والشياطين وسخرت الرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبري الاكمه والابرص ويحيي الموتى
باذنك واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال ربه
تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن وارسلناك الى الناس
كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت
لك ذكرك فلا اذكر الا ذكرت معي وجعلت امتك خير امة اخرجت للناس وجعلت
امتك امة وسطا وجعلت امتك هم الاولون والاخرون وجعلت امتك لا تجوز
لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلت من امتك اقواما قلوبهم
اناجيلهم وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واولهم يقضى له واعطيتك
سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت
العرش لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك الكوثر واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام والهجرة
والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلتك

Copyright ... University

فانجا وجا نما دفي اسناده ابو جعفر الرازي ضعفه بعضهم وقال ابو زرعة
منهم وقال ابن كثير الاظهر انه سي الحفظ وذكر الفخر الرازي عن والده قال
سمعت ابا القاسم سليمان الانصاري يقول لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى الدرجات
العاليه والمراتب الرفيعة في المعارج اوحي الله تعالى اليه يا محمد بم شرفك قال
يا رب بنسبتي اليك بالعبودية فانزل الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده
سماه تعالى بهذا الاسم لتحققه صلى الله عليه وسلم بالاسم الاعظم واتصافه بجميع
صفاته فلا يصلح هذا الاسم بالحقيقة الا له عليه السلام والاقطاب من بعده
بتبعيته بالحقيقة وان اطلق على غيره مجازا ورحم الله الاديب برهان الدين
القيراطي فلقد اجاد حيث قال

ودعتني بالعبد يوما فقالوا ... قد دعته باشرف الاسما

ولبعض اهل الاشارات كان الله تعالى قال له يا محمد قد اعطيتك نورا تنظر بجمالي
وسمعا تسمع به كلامي يا محمد اني اعرفك بلسان الحال معنى عز وجل اي يا محمد ارسلناك
الى الناس شاهدا ومبشرا ونذيرا والشاهد مطالب بتحقيقة ما يشهد به
فاريك جنتي لتشاهد ما اعددت فيها لاوليائي واريك ناري لتشاهد ما اعددت
فيها لاعدائي ثم اشهدك جلالي واكشف لك عن جمالي لتعلم اني منزه في كمالي عن
الشبيه والنظير والوزير والمشير فراه صلى الله عليه وسلم بالنور الذي قواه
من غير ادراك ولا احاطة فردا صمدا لا في شي ولا من شي ولا قايما بشي ولا على شي
ولا مفتقرا الى شي ليس كمثله شي فلما كلمه شفاها وشاهده كفاحا قيل له يا محمد
لا بد لهذه الخلوة من سر لا يذاع ورمز لا يشاع فاوحى الله الى عبده ما اوحى فكان
سرا من سر لم يقف عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وانشد لسان الحال يقول

بين المحبين سر ليس يفشيه ... قول ولا قلم في الكون يحكيه
سر يمازجه انس يقابله ... نور تحير في بحر من التيه

ولما انتهى الى العرش تمسك العرش باذياله وناداه بلسان حاله يا محمد انت في
صفا وقتك امن من مقتك اشهدك جمال احديته واطلعك على جلال احديته
وانا الظمان اليه اللهفان عليه المتحير فيه لا ادري من اي وجه اتيه جعلني
اعظم خلقه فكنت اعظمهم منه هيبة والتزمهم فيه حيرة واشدهم منه خوفا
يا محمد خلقني فكنت ارعد لهيبة جلاله فكتب على قايمتي لا اله الا الله فازددت
لهيبة اسمه ارتعادا وارتعاشا فكتب محمد رسول الله فسكن لذلك قلقي
وهدا روعي فكان اسمك لقاحا لقلبي وطمانينة لسري فهذه بركة اسمك على
فكيف اذا وقع جميل نظرك الي يا محمد انت المرسل رحمة للعالمين ولا بد لي من
نصيب من هذه الرحمة ونصيبي يا حبيبي ان تشهد لي بالبراة مما نسبه

اهل

اهل الزور الي وتقوله اهل الغرور علي زعموا اني اسع من لا مثل له واحيط بمن لا كيفية
له يا محمد من لا حد لذاته ولا عد لصفاته كيف يكون مفتقرا الي او محمولا علي
اذا كان الرحمن اسمه والاستوا صفته وصفته متصلة بذاته فكيف تتصل
بي او تنفصل عني يا محمد وعزته لست بالقريب منه وصلا ولا بالبعيد عنه
فصلا ولا بالمطيق له حملا اوجدني منه رحمة وفضلا ولو محقني لكان حقا منه
وعدلا يا محمد انا محمول قدرته ومعمول حكمته فاجاب بلسان حال سيدي
زاده الله فضلا وشرفا لديه وادام صلواته وسلامه عليه ايها العرش اليك
عني انا مشغول عنك فلا تكدر علي صفوتي ولا تشوش علي خلوتي فما اعاره
صلى الله عليه وسلم منه طرفا ولا اقراه من مسطوره حرفا اوحي اليه فما زاغ
البصر وما طغى وقد ورد في بعض اخبار الاسرا ما ذكره العلامة ابن مرزوق
في شرحه لبردة البوصيري انه صلى الله عليه وسلم لما كان من ربه تعالى قاب قوسين
قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ
فما انت فاعل بامتي قال انزلت عليهم الرحمة وابدل سياتهم حسنات ومن
دعاني منهم لبيته ومن سالني اعطيته ومن توكل علي كفيته وفي الدنيا
استر على العصاة وفي الاخرة اشفعك فيهم ولولا الحبيب يحب معاتبة
حبيبه لما حاسبت امتك ولما اراد صلى الله عليه الانصراف قال يا رب
لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة امتي قال الله تعالى انا لهم اذا ما عاشوا
وانا لهم اذا ما ماتوا وانا لهم في القبور وانا لهم في النشور واعلم انه قد اختلف
العلما هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه تعالى ليلة الاسرى
فروى البخاري من حديث مسروق قال قلت لعايشة يا امتاه هل
راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدث
بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا
تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد
فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ومن حدثك انه
كتم فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية ولكنه
راى جبريل في صورته مرتين وفي رواية مسلم من حدثك ان محمدا راى ربه
فقد اعظم الفرية وقولها قف شعري اي قام من الفزع الحاصل عندها
من هيبة الله واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك قال النووي
ثم ان عايشة لم تنف الروية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته
وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الاية وقد خالفها غيرها

Copyright King Saud University

من الصحابة والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره فيهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا انتهى
قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني في جزمه بان عايشة لم تنف الروية بحديث
مرفوع تبع فيه ابن خزيمة وهو عجيب فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الذي
شرحه الشيخ فعنده من طريق داود بن ابي هند عن الشعبي عن مسروق في الطريق
المذكورة قال مسروق وكنت متكيا فجلست فقلت الم يقل الله ولقد راه نزلة اخرى
فقالت انا اول من سال عن هذه الاية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا
فقلت يا رسول الله هل رايت ربك فقال لا انما رايت جبريل منهبطا نعم
احتجاج عايشة رضي الله عنها بالاية خالفها فيه ابن عباس فاخرج الترمذي من
طريق الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس قال راي محمد ربه قلت اليس يقول
الله لا تدركه الابصار قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد
راي ربه مرتين وقال القرطبي الابصار في الاية جمع محلى بالالف واللام فيقبل
التخصيص وقد ثبت دليل ذلك سمعا في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يوميذ
لمحجوبون فيكون المراد الكفار بدليل قوله تعالى في الاية الاخرى وجوه يوميذ
ناضرة الى ربها ناظرة واذا جازت في الاخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين
بالنسبة الى المري انتهى وهو استدلال جيد وقال القاضي عياض رويته
الله تعالى جايزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها سوال
موسى عليه السلام قال وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها
اذ كل موجود فرويته جايزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله
تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في الاية انتهى وقد روى ابن ابي حاتم
بسنده عن اسماعيل بن علية في تاويل هذه الاية قال هذا في الدنيا وقال
اخرون لا تدركه الابصار اي جميعها وهذا مخصوص بما ثبت من روية المومنين
في الدار الاخرة وقال اخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموا من هذه الاية
انه لا يرى في الدنيا ولا في الاخرة فخالفوا اهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه
من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اما الكتاب
فقوله تعالى وجوه يوميذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله كلا انهم عن ربهم
يوميذ لمحجوبون قال الامام الشافعي رحمه الله فدل هذا على ان المومنين
لا يحجبون عنه تبارك وتعالى واما السنة فقد تواترت الاخبار عن ابي
سعيد وابي هريرة وانس وجرير وصهيب وبلال وغير واحد من الصحابة
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المومنين يرون الله في الدار الاخرة في العرصات
وفي روضات الجنات جعلنا الله منهم وقيل المنفي في الاية ادراك العقول
قال الحافظ ابن كثير وهو غريب جدا وخلاف ظاهر الاية وقال اخرون لا منافاة

بين

احصل من الراى

بين اثبات الروية ونفي الادراك فان الادراك اخص من الروية ولا يلزم من نفي الاخص انتفا الاعم ثم اختلف
هولا في الادراك المنفي ما هو فقيل معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه الا هو وان راه
المومنين كما ان من راى القمر فانه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته فالمعظم اولى
بذلك وله المثل الاعلى وقال اخرون المراد بالادراك الاحاطة قالوا ولا يلزم من عدم
الاحاطة عدم الروية كما لا يلزم من عدم الروية بالعلم عدم العلم وفي صحيح مسلم
لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك ولا يلزم من هذا عدم الثنا فكذلك
هذا وروى ابن ابي حاتم عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله لا تدركه الابصار قال لو ان الجن والانس والشياطين والملايكة منذ خلقوا
الى ان فنوا صفوا صفا واحدا ما احاطوا بالله ابدا قال ابن كثير غريب لا يعرف الا
من هذا الوجه ولم يروه احد من اصحاب الكتب الستة والله اعلم ومما نسب
لامام الحرمين في لمع الادلة انه قال من اصحابنا من قال ان الرب تعالى يرى ولا يدرك
لان الادراك ينبي عن الاحاطة ودرك الغاية والرب جل جلاله تقدس عن
الغاية والنهاية ثم قال فان عارضوا بقوله تعالى في جواب موسى عليه السلام
لن تراني وزعموا ان لن تفيد النفي على التابيد قلنا هذه الاية اوضح الادلة على
جواز الروية فانها لو كانت مستحيلة لكان معتقد جواز الروية ضالا او كافرا
وكيف يعتقد ما لا يجوز على الله من اصطفاه الله لرسالته واختاره لنبوته
وخصه بكرامته وشرفه بتكليمه وجعله افضل اهل زمانه وايده ببرهانه وكيف
يجوز على الانبيا الريب في امر يتعلق بعلم الغيب فيجب حمل الاية على ان ما اعتقد
موسى عليه السلام جوازه جايز لكن ظن انما اعتقد جوازه ناجز فرجع النفي اليه
والجواب يدل على قضية الخطاب انتهى وقال البيضاوي في هذه الاية دليل
على ان رويته تعالى جايزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبيا محال وخصوصا
ما يقتضي الجهل بالله تعالى رده بقوله لن تراني دون لن ارى انتهى ونقل القاضي
عياض عن ابي بكر الهذلي في الاية ان المراد ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا
وانه من نظر الي مات قال وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين ما معناه ان
رويته تبارك وتعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم
وكونها متغيرة عرضا للافات والفناء فلم يكن لهم قوة على الروية فاذا كان في الاخرة
وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم
قووا بها على الروية قال وقد رايت نحو هذا لمالك ابن انس رحمه الله قال لم
ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الاخرة ورزقوا ابصارا
باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا
من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى واقدره على حمل اعباء الرسالة امتنع

في الجواب الى الانجار ... موسى عليه السلام ربه ... المال فصرف النفي

من شاء ... جوابا لرياء ... عباده

في حقه انتهي والاستثنا في قوله الا من حيث ضعف القوة ينبغي ان يكون منقطعا على
معنى لكن من حيث ضعف القوة والا فضعف القوة فصار الان يكون مانعا اي انه
امتنع من جهة ضعف القوة لا من جهة كونه مستحيلا ويدل على هذا قوله
فاذا قوي الله تعالى من شا من عباده واقدره على حمل اعبا الروية لم يمتنع في حقه
وقد وقع في صحيح مسلم ما يويد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه واعلموا انكم
لن تروا ربكم حتى تموتوا واخرجه ابن خزيمة ايضا من حديث ابي امامة ومن حديث
عبادة بن الصامت وفي تفسير ابن كثير ان في بعض كتب الله المنزلة ان الله
تعالى قال لموسى لما ساله الروية يا موسى انه لن يراني حي الا مات وقد جزم القشيري
في الرسالة بانها لا تجوز في الدنيا على جهة الكرامة وادعى حصول الاجماع عليه
وحكا القاضي عياض امتناعها في الدنيا عن جماعة من المحدثين والفقها والمتكلمين وقال
القشيري ايضا سمعت الامام ابا بكر بن فورك يحكي عن ابي الحسن الاشعري في
ذلك قولين في كتاب الروية الكبير في الدنيا عقلا وقد امتنعت سماعا لكن من
اثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم له ان يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه انتهي
وقد ذهبت عايشة وابن مسعود الى انه عليه الصلاة والسلام لم ير ربه ليلة
الاسرا واختلف عن ابي ذر وذهب جماعة الى اثباتها وحكى عبد الرزاق عن معمر
عن الحسن انه حلف ان محمدا راي ربه واخرج ابن خزيمة عن عروة عن الزبير
اثباتها وبه قال سائر اصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهري وصاحبه حبه
معمر واخرون وهو قول الاشعري وغالب اتباعه ثم اختلفوا هل راه بعينه
او بقلبه وجات عن ابن عباس اخبار مطلقة واخرى مقيدة فيجب حمل مطلقها على
مقيدها فمن ذلك ما اخرجه النساي باسناد صحيح وصححه الحاكم ايضا من طريق عكرمة
عن ابن عباس قال اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والروية لمحمد
ومنها ما اخرجه مسلم من طريق ابي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى ما كذب
الفواد ما راي ولقد راه نزلة اخرى قال راي ربه بفواده مرتين وله من طريق
عطا عن ابن عباس قال راه بقلبه واصرح من ذلك ما اخرجه ابن مردوية
من طريق عطا عن ابن عباس قال لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه
وانما راه بقلبه وعلى هذا فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عايشة بان
يحمل نفيها على روية البصر واثباته على روية القلب لكن روى الطبراني في
الاوسط باسناد رجاله رجال الصحيح خلا جمهور بن منصور الكوفي ثم
وجمهور ابن منصور قد ذكره ابن حبان في الثقات عن ابن عباس انه كان
يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم راي ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفواده
ثم ان المراد بروية الفواد روية القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه

وسلم

وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من اثبت له انه راه بقلبه ان الروية التي
حصلت له خلقت له في قلبه كما تخلق الروية بالعين لغيره والروية لا يشترط
لها شي مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها في العين وروى ابن خزيمة
باسناد قوي عن انس قال راي محمد ربه وفي مسلم من حديث ابي ذر انه سال
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نور اني اراه اي حجابه نور فكيف اراه
ومعناه ان النور منعني من الروية وعند احمد قال رايت نورا ومن المحتمل
ان تكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاعراض والله تعالى يتعالى عن
ذلك وعند ابن خزيمة عنه قال راه بقلبه ولم يره بعينه وبهذا اتبين مراده
في حديث ابي ذر بذكر النور اي النور حال بينه وبين رويته له ببصره
ورجح ابن خزيمة في كتاب التوحيد الى ترجيح الاثبات واطنب في الاستدلال
بما يطول ذكره وحمل ما ورد عن ابن عباس على ان الروية وقعت مرتين
مرة بقلبه ومرة بعينه ومما يعزى للاستاذ عبد العزيز المهدوي انه
صلى الله عليه وسلم لما رجع من سفر الاسرا اخبر العوالم من حيث فلكهم ومراتبهم
وسقى كل واحد منهم من كاسه وعلى قدر عقله فخاطب الكفار ثم اخر العوالم بما راي في الطريق
وما كان في المسجد الاقصى على العيان وما يعرفون لانهم في فلك السما وكذلك في كل سما واخبر عما
شاهد وراى كل ملك وما يليق ان يحدث به اعني الصحابة كل على قدر مرتبته بلا
ضيق ولا مراح الى السما السابعة ولما وصل مقام جبريل تحدث على الافق المبين وعما
فوق الى الدنو والى التدلي الى موضع الايحا عند حضرة اسقاط اسقاط الصور
والخلق فاخبر بذلك بذلك الصحابة فمنهم من قال راي جبريل بالافق المبين وبالافق
الاعلى وصدق ومنهم من قال بروية الفواد والبصيرة وصدق وهي عايشة ومن
معها ومنهم من قال بعيني راسه وراي وصدق فكل اخبر بما حدثه صلى الله عليه
وسلم من مقامه وسقاه من كاسه ما يليق به فاذا صح هذا المعراج عرفت الاسرا
ومقامات الروية والقايلين بذلك واختلافهم وقولهم الجميع الحق انتهي وممن اثبت
الروية لنبينا صلى الله عليه وسلم الامام احمد فروى الخلال في كتاب السنة
عن المروزي قلت لاحمد انهم يقولون ان عايشة قالت من زعم ان محمدا راي
ربه فقد اعظم على الله الفرية فباي معنى يدفع قولها قال بقول النبي صلى
الله عليه وسلم رايت ربي قول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر من قولها وقد تو
انكر صاحب الهدي على من زعم ان احمد قال راي ربه بعيني راسه قال وانما
قال مرة راي محمد ربه وقال مرة بفواده وحكي عن بعض المتاخرين راي
بعيني راسه وهذا من تصرف الحاكي فان تصرفه موجود انتهي وقد رجح القرطبي
في المفهم قول الوقف في هذه المسيلة وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بانه ليس

الاسرا حتي جاوز ... تقوا الاسرا ثم ارتقي [illegible]

Copyright Shading Sang University

في الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به الطايفتان ظواهر متعارضة قابلة للتاويل
قال وليست المسئلة من العمليات فيكتفي فيها بالادلة الظنية وانما هي من المعتقدات
فلا يكتفي فيها الا بالدليل بالادلة الظنية وانما هي من المعتقدات فلا يكتفي فيها
الا بالدليل القطعي والله اعلم واما قوله ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل
يوم ففي رواية ثابت البناني عن انس عند مسلم ففرض الله علي خمسين صلاة كل
يوم وليلة ونحوه في رواية مالك بن صعصعة عند البخاري ايضا ويحتمل ان يقال
ذكر الفرض عليه يستلزم الفرض علي الامة وبالعكس الا ما يستثنى من خصايصه
وفي حديث ثابت عن انس عند مسلم فنزلت الي موسى فقال ما فرض ربك
علي امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الي ربك فاسأله التخفيف فان امتك
لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرايل وخبرتهم قال فرجعت الي ربي فقلت
يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الي موسى فقلت حط عني خمسا فقال
ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الي ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين
ربي وبين موسى حتى قال يا محمد هن خمس صلوات في اليوم والليلة لكل صلاة
عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها
كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيا فان عملها كتبت سيئة واحدة
قال فنزلت حتى انتهيت الي موسى فاخبرته فقال ارجع الي ربك فاسأله التخفيف
فقلت لقد رجعت الي ربي حتى استحييت منه وفي رواية النساي عن انس
فقيل الي اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلي امتك خمسين
صلاة فقم بها انت وامتك وذكر مراجعته مع موسى وفيه فانه فرض علي بني اسرايل
صلاتان فما قاموا بهما وقال في اخره فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك قال فعرفت
انها عزمة من الله فرجعت فقال ارجع فلم ارجع قال قلت لم قال موسى عليه
السلام لنبينا صلى الله عليه وسلم ان امتك لا يطيقون ذلك ولم يقل انك وامتك
لا يطيقون اجيب بان العجز مقصور علي الامة لا يتعداهم الي النبي صلى الله عليه
وسلم فهو لما رزقه الله تعالى من الكمال يطيق ذلك واكثر منه وكيف لا وقد جعلت
قرة عينه في الصلاة قال العارف ابن ابي جمرة والحكمة في تخصيص فرض الصلاة
بليلة الاسرا انه صلى الله عليه وسلم لما عرج به راى في تلك الليلة تعبد الملايكة
وان منهم القايم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد فجمع الله تعالى
له ولامته تلك العبادات كلها في ركعة يصليها العبد بشرايطها من الطمانينة
والاخلاص وقد وقع من موسى عليه السلام من العناية بهذه الامة في امر الصلاة
ما لم يقع لغيره ووقعت الاشارة لذلك في حديث ابي هريرة عند الطبراني
والبزار قال صلى الله عليه وسلم كان موسى اشدهم علي حين مررت وخيرهم لي حين

الجر

القطعيه

رجعت وفي حديث ابي سعيد فاقبلت راجعا فمررت بموسى ونعم الصاحب
كان لكم فسالني كم فرض عليك ربك الحديث قال السهيلي واما اعتنا موسى عليه السلام
بهذه الامة والحاحه علي نبيها ان يشفع لها ويسال التخفيف عنها فلقوله تعالى والله اعلم
حين قضى الله الامر بجانب الغربي وراى صفات محمد صلى الله عليه وسلم في الالواح
وجعل يقول اني اجد في الالواح امة صفتهم كذا اللهم اجعلهم امتي فيقال له تلك
امة محمد وهو حديث مشهور وقد تقدم ذكره في خصايص هذه الامة قال
فكان اشفاقه عليهم واعتناوه بامرهم كما يعتني بالقوم من هو منهم لقوله اجعلني
منهم انتهى وقال القرطبي الحكمة في امر موسى بمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم
في امر الصلوات يحتمل ان يكون لكون امة موسى عليه السلام كلفت من الصلوات
ما لم يكلف به غيرها من الامم قبلها فثقلت عليهم فاشفق موسى علي امة محمد صلى الله
عليه وسلم مثل ذلك ويشير اليه قوله اني قد جربت الناس قبلك انتهى ووقع في
كلام بعض اهل الاشارات لما تمكنت نار المحبة من قلب موسى اضات له انوارها
نور الطور فاسرع اليها ليقتبس فاقتبس فلما نودي من النادي اشتاق الي
المنادي فكان يطوف في بني اسرايل من يحملني رسالة الي ربي ومراده ان تطول
المناجاة مع الحبيب فلما مر عليه نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج رده في
امر الصلوات ليسعد برؤية حبيب الحبيب وقال اخر لما سال موسى عليه
السلام الرؤية ولم تحصل له البغية بقي الشوق يقلقه والامل يعلله فلما تحقق ان
سيدنا محمد الحبيب منح الرؤية وفتح له باب المزية اكثر السوال ليسعد برؤية
من قد راى كما قيل
واستنشق الارواح من نحو ارضكم … لعلي اراكم او ارى من يراكم
واسال من لاقيت عنكم عساكم … تجودون لي بالعطف منكم عساكم
فانتم حياتي ان حييت وان امت … فيا حبذا ان مت عبد هواكم
فانا السر في موسى يردده … ليجتلي حسن ليلى حين يشهده
وقال اخر لما جلس الحبيب في مقام القرب ودارت عليه كوس الحب ثم عاد واهلا
ما كذب الفواد ما راى بين عينيه وسرا فاوحى الي عبده ما اوحى ملي قلبه واذنيه
فلما اجتاز بموسى عليه السلام قال لسان حاله
يا واردا من اهل الحي يخبرني … عن جيرتي شنف الاسماع بالخبر
ناشدتك الله يا راوي حديثهم … حدث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري
واجاب لسان حال نبينا صلى الله عليه وسلم
ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا … سر ارق من النسيم اذا سرا
واباح طرفي نظرة املتها … فغدوت معروفا وكنت منكرا
فلكل قوم يحظون مذهبهم وقد علم كل اناس مشربهم والله تعالى بفضله

Copyright © King Saud University

واحسانه بوالي النجام سحايب عفوه ورضوانه علي العارف الرباني ابي عبد الرحمن
السلمي فلقد اجاد اذ افاد بما افرده من لطايف المعراج حسبما جمعه من كلام اهل الاشارات
باقوام منهاج وقد استدل العلما بقوله في الحديث فهن خمس صلوات كل يوم وليلة
لكل صلاة عشر فتلك خمسون علي عدم فرضية ما زاد علي الصلوات الخمس كالوتر
وعلي دخول النسخ قبل الفعل قال ابن القطان وغيره الاثري انه عز وجل نسخ
الخمسين بالخمس قبل ان يصلي ثم تفضل عليهم بان اكمل لهم الثواب وتعقبه ابن
المنير فقال هذا ذكره طوايف من الاصوليين والشراح وغيرهم وهو مشكل علي
من اثبت النسخ قبل الفعل كالاشاعرة او منعه كالمعتزلة لكونهم اتفقوا جميعا علي
ان النسخ لا يتصور قبل البلاغ فهو مشكل عليهم جميعا انتهي فان اراد قبل البلاغ
لكل احد فممنوع وان اراد قبل البلاغ الي بعض الامة فمسلم لكن قد يقال ليس هو
بالنسبة اليهم نسخا لكن هو كنسخ بالنسبة الي النبي صلى الله عليه وسلم لانه كلف
بذلك قطعا ثم نسخ بعد ان بلغه وقبل ان يفعله فالمسيلة صحيحة التصوير
في حقه صلى الله عليه وسلم ولما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسرا مر في
بعض طريقه بعير لقريش تحمل طعاما فيها جمل يحمل عليه غرارتان غرارة سودا
وغرارة بيضا فلما حاذا بالعير نفرت منهم واستدارت وصرع ذلك البعير
وفي رواية اضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان قال صلى الله عليه وسلم فسلمت عليهم
فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم اتى مكة قبل الصبح واخبر قومه بما راى وقال
لهم ان من اية ما اقول لكم اني مررت بعيركم في مكان كذا وكذا وقد اضلوا بعيرا
لهم فجمعه فلان وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا وكذا ياتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم
جمل ادم عليه مسح اسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرف الناس ينظرون
حتى اذا كان قريبا من نصف النهار اقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه
عليه السلام وفي رواية البيهقي سالوه اية فاخبرهم بقدوم العير يوم الاربعا فلما
كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس ان تغرب فدعا الله تعالى فحبس
الشمس حتى قدموا كما وصف وعن عايشة لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم
الي المسجد الاقصى اصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا امنوا وسعى
رجال من المشركين الي ابي بكر فقالوا هل لك الي صاحبك يزعم انه اسري
به الليلة الي بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لين قال ذلك لقد
صدق قالوا اتصدقه انه ذهب الي بيت المقدس وجا قبل ان يصبح فقال
نعم اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك في خبر السما في غدوة وروحة فلذلك
سمي الصديق رواه الحاكم في المستدرك وابن اسحق وزاد ثم اقبل حتى انتهي
الي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا نبي الله حدثت هولا انك جيت

بيت

بيت المقدس هذه الليلة قال نعم قال يا نبي الله صفه لي فاني قد جيته قال الحسن
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لي حتى نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصفه لابي بكر فيقول ابو بكر صدقت اشهد انك رسول الله كلما وصف
له منه شيا وقول ابي بكر صفه لي لم يكن عن شك فانه صدقه من اول وهلة ولكنه
اراد اظهار صدقه لقومه فانهم كانوا يثقون بابي بكر فاذا طابق خبره عليه السلام
ما كان يعلم ابو بكر وصدقه كان حجة ظاهرة عليهم وفي رواية البخاري فجلى الله لي بيت
المقدس اي كشف الحجب بيني وبينه حتى رايته وفي رواية مسلم فسالوني عن اشيا
لم اثبتها فكربت كربا شديدا لم اكرب مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ما يسالوني
عن شي الا انباتهم به فيحتمل ان يكون حمل الي ان وضع بحيث يراه ثم اعيد وفي حديث
ابن عباس عند احمد والبزار فجي بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع عند دار عقيل
فنعته وانا انظر اليه وهذا ابلغ في المعجزة ولا استحالة فيه فقد احضر عرش
بلقيس في طرفة عين واما ما وقع في حديث ام هاني عند ابن سعد فخيل الي
بيت المقدس وطفقت اخبرهم فان ثبت احتمل ان يكون المراد مثل قربا منه
كما قيل في حديث اريت الجنة والنار ويوول قوله جي بالمسجد جي بمثاله وفي
حديث ام هاني المذكور انهم قالوا له كم للمسجد باب قال ولم اكن عددتها فقال
فجعلت انظر اليه واعدها بابا بابا وعند ابي يعلي ان الذي ساله عن صفة بيت
المقدس هو المطعم ابن عدي والد جبير بن مطعم واشار ابن ابي جمرة الي ان الحكمة
في الاسرا الي بيت المقدس لظهار الحق للمعاند لانه لو عرج به من مكة الي السما لم يجد لمعاندة
الاعدا سبيلا الي البيان والايضاح حيث سالوه عن جزييات من بيت المقدس
كانوا راوها وعلموا انه لم يكن راها قبل ذلك فلما اخبرهم بها حصل التحقق انه اسري
به الي بيت المقدس واذا صح البعض لزم تصحيح الباقي فكان ذلك سببا لقوة
اعيان المومنين وزيادة في شقا من عاند وجحد من الكافرين **المقصد السادس**
**فيما ورد في اي التنزيل من تعظيم قدره ورفعة ذكره وشهادته تعالى له بصدق
نبوته وثبوت بعثته وقسمه تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه الجليل**
ومكانته ووجوب طاعته واتباع سنته واخذه تعالى له الميثاق على ساير النبيين
فضلا ومنة ليومنن به ان ادركوه ولينصرنه والتنويه في الكتب السالفة
كالتوراة والانجيل بانه صاحب الرسالة والتبجيل وغير ذلك اعلم اطلعني الله
واياك على اسرار التنزيل ومنحنا الله بلطفه نصرة تهدينا الي سوا السبيل انه
لا سبيل لنا ان نستوعب الايات الدالة على ذلك وما فيها من التصريح والاشارة
الي علو محله الرفيع ومرتبته ووجوب المبالغة في حفظ الادب معه وكذلك
الايات التي فيها ثناوه تعالى عليه واظهاره عظيم شانه لديه وقسمه تعالى بحياته

Copyright © King Saud University

وندائه بالرسول والنبي ولم يناد باسمه بخلاف غيره من الانبيا ناداهم باسمايهم الي غير ذلك
مايشير الي انافة قدره العلي عنده وانه لا مجد يساوي مجده ومن تامل القران العظيم
وجده طافحا بتعظيم الله تعالي لنبيه صلى الله عليه وسلم ويرحم الله بن الخطيب
الاندلسي حيث قال، مدحتك ايات الكتاب فما عسي، تثني علي علياك نظم مديحي،
واذا كتاب الله اثني مفصحا، كان القصور قصار كل مصحيحي،
ولهذا المقصد اكرمك الله يشتمل علي عشرة انواع **النوع الاول** في ايات تتضمن
تعظيم قدره ورفعة ذكره وجليل رتبته وعلو درجته علي الانبيا وتشريف منزلته
قال الله تعالي تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض منهم من كلم الله قال المفسرون
يعني موسي عليه السلام كلمه بلا واسطة وليس نصا في اختصاص موسي بالكلام
وقد ثبت انه تعالي كلم نبينا ايضا كما مر فان قلت اذا ثبت انه عليه الصلاة والسلام
كلمه ربه وقام به هذا الوصف فلم يشتق له من الكلام اسم كما اشتق منه لموسي
اجيب بان اعتبار المعني قد تكون لتصحيح الاشارة كاسم الفاعل فيطرد بمعني
ان كل من قام به ذلك الوصف ان يشتق له منه اسم كما حققه القاضي عضد الدين
وهذا المخصصه وتحريره كما قاله المولي سعد الدين التفتازاني انتهي قوله ورفع بعضهم
درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفعه الله تعالي من ثلاثة اوجه بالذات في
المعراج وبالسيادة علي جميع البشر وبالمعجزات لانه عليه الصلاة والسلام اوتي من المعجزات
ما لم يؤته نبي قبله قال الزمخشري وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلا قدره ما لا
يخفي لما فيه من الشهادة علي انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس انتهي
وقد بينت هذه الاية وكذلك قوله ولقد فضلنا بعض النبيين علي بعض
ان مراتب الرسل والانبيا متفاوتة خلافا للمعتزلة القايلين بالاية لا فضل لبعضهم
علي بعض وفي هذين الايتين رد عليهم وقال قوم ادم افضل لحق الابوة وتوقف
بعضهم فقال السكوت افضل والمعتمد الذي عليه جماهير السلف والخلف ان
الرسل افضل من الانبيا وكذلك الرسل بعضهم افضل من بعض بشهادة هاتين
الايتين وغيرها قال بعض اهل العلم فيما حكاه القاضي عياض والتفضيل
المراد بهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان يكون اياته ومعجزاته اظهر واشهر
وتكون امته ازكي واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع الي ما خصه
الله تعالي من كرامته واختصاصه من كلام وخلة او روية او ما شا الله من الطافه
وتحفة ولايته واختصاصه انتهي ولا مرية ان ايات نبينا صلى الله عليه وسلم
ومعجزاته اظهر واشهر واكثر وابقي واقوي ومنصبه اعلا ودولته اعظم واوفر
وذاته افضل واظهر وخصوصياته علي جميع الانبيا اشهر من ان تذكر فدرجته
ارفع من درجات جميع الانبيا المرسلين وذاته ازكي وافضل من ساير المخلوقين وتامل

حديث

حديث الشفاعة في المحشر وانتهايها اليه وانفراده هناك بالسودد كما صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد ادم واول من تنشق عنه الارض يوم القيامة رواه ابن ماجة وفي حديث
انس عند الترمذي انا اكرم ولد آدم يوميذ علي ربي ولا فخر لكن هذا لا يدل علي كونه
افضل من آدم بل من اولاده فالاستدلال بذلك علي مطلق افضليته عليه الصلاة
والسلام علي الانبيا كلهم ضعيف واستدل الشيخ سعد التفتازاني لمطلق افضليته
عليه الصلاة والسلام بقوله تعالي كنتم خير امة اخرجت للناس قال لانه لا شك
ان خيرية الامة بحسب كمالهم في الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه
واستدل له الفخر الرازي في المعالم بانه تعالي وصف الانبيا بالاوصاف الحميدة ثم قال
لمحمد صلى الله عليه وسلم اوليك الذين هدي الله فبهداهم اقتده فامره ان يقتدي
باثرهم فيكون اتيانه به واجبا والا فيكون تاركا للامر واذا اتي بجميع ما اتوا به من
الخصال الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم فيكون افضل منهم وبان
دعوته عليه الصلاة والسلام في التوحيد والعبادة وصلت الي اكثر بلاد العالم
بخلاف ساير الانبيا فظهر ان انتفاع اهل الدنيا بدعوته صلى الله عليه وسلم اكمل
من انتفاع ساير الامم بدعوة ساير الانبيا فوجب ان يكون افضل من ساير الانبيا
انتهي **وقد** روي الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من
بني آدم فمن سواه الا تحت لواي **وفي** حديث ابي هريرة مرفوعا عند البخاري انا
سيد الناس يوم القيامة وهذا يدل علي انه افضل من ادم عليه السلام ومن
كل اولاده **وروي** البيهقي في فضايل الصحابة انه ظهر علي بن ابي طالب من البعد
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عايشة الست بسيد
العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب وهذا يدل علي انه افضل الانبيا
بل افضل خلق الله كلهم **وقد** روي هذا الحديث ايضا الحاكم في صحيحه عن
ابن عباس لكن بلفظ انا سيد ولد ادم وعلي سيد العرب وقال انه صحيح ولم يخرجاه
وله شاهد من حديث عروة عن عايشة رضي الله عنها من طريق احمد بن عبيد بن ناصح
حدثنا الحسين بن علوان وهما ضعيفان عن هشام بن عروة عن ابيه به بلفظ
ادعوا الي سيد العرب قالت يعني عايشة يا رسول الله الست سيد العرب فقال وذكره
وكذا اورده من حديث عمر بن موسي الوجيهي وهو ضعيف ايضا عن ابي
الزبير عن جابر مرفوعا ادعوا الي سيد العرب فقالت عايشة الست سيد العرب
وذكره قال شيخنا وكلها ضعيفة بل جنح الذهبي الي الحكم علي ذلك بالوضع انتهي
ولم يقل صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس عجبا وافتخارا علي من دونه حاشاه الله
من ذلك وانما قاله عليه الصلاة والسلام اظهارا للنعمة الله تعالي عليه واعلاما

للامة بقدر امامهم ومتبوعهم عند الله تعالى وعلو منزلته لو به لغرق نعمة
الله عليهم وعليه وكذلك العبد اذا لاحظ ما هو فيه من فيض المدد وشهوده
من عين المنة ومحض الوجود وشهد مع ذلك فقره الى ربه في كل لحظة
وعدم استغنايه عنه طرفة عين نشا له ذلك في قلبه سحايب السرور واذا
انبسطت هذه السحايب في سما قلبه وامتلا افقه بها امطرت عليه وابل
الطرب بما هو فيه من لذيذ السرور فان لم يصبه وابل فطل وحينيذ يجري
على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل الله وبرحمته كما قال
تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فالافتخار على ظاهره م
والافتقار والانكسار في باطنه ولا ينافي احدهما الاخر والى هذا المعنى يشير
قول العارف الرباني سيدي علي الوفي في قصيدته التي اولها من انت مولاه
حاشاه ، علاه ان يتلاشا ، والله يا روح قلبي لا مات من بك عاشا ، قوم لهم انت ساقي
لا يرحون نعطاشا ، لا فض دهر جنا خاله وفاوك راشا ، كل النعيم معهم لمن وهبت
انتعاشا ، ومن بحولك يقوي لم يضعف الدهر حاشا ، عبد له بك عز
فكيف لا يتحاشا ، حاشا وفاوك يرجي من انت مولاه حاشا ، فان قلت
فما الجمع بين هاتين الايتين وبين قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل
الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى
وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون والحديث
الثابت في الصحيحين عن ابي هريرة قال استب رجل من المسلمين ورجل
من اليهود فقال اليهودي في قسمه لا والذي اصطفى موسى على العالمين
فرفع المسلم يده فلطم اليهودي وقال اي خبيث وعلى محمد فجا اليهودي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكى على المسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني
على الانبيا وفي رواية لا تفضلوا بين الانبيا وحديث ابي سعيد الخدري عند
البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا بين الانبيا وحديث ابن عباس
عند البخاري ومسلم مرفوعا ما ينبغي للعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى
فقد كذب اجاب العلما بان قوله عز وجل لا نفرق بين احد منهم يعني في الايمان
بما انزل اليهم والتصديق بهم والايمان بانهم رسل الله وانبياوه والتسوية
بينهم في هذا لا يمنع ان يكون بعضهم افضل من بعض واجابوا عن الاحاديث
باجوبة فقال بعضهم ان يعتقد ان الله فضل بعضهم على بعض على الجملة
وتكليف عن الخوض في تفصيل التفضيل بارايتا فصحيح وان اراد انا لا نذكر
في ذلك ما فهمناه من كتاب الله تعالى وروي لنا من حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال اخر نفضل من رفع الله درجته بخصايص الحظوة

وحديث ابي هريره عند الشيخين ومن قال انا خير من يونس ابن متى

قال ابن [illegible] وان اراد القايل ان تكفوا [illegible] الخوض في تفصيل [illegible] مفضل بما راينا [illegible]

فسبق

والزلفى

والزلفي ولا نخوض في تفضيل بعضهم على بعض في سياسة المنذرين والصبر
على الدين والنهضة في ادا الرسالة والحرص على هدى الضلال فان كلا منهم قد
بذل في ذلك غاية وسعه الذي لا يكلفه الله تعالى اكثر منه وقال اخر ما ذكره
القاضي عياض ان نهيه عليه السلام عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد
ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب قال
الحافظ عماد الدين ابن كثير وفي هذا نظر انتهى ولعل وجه النظر معرفة المتقدم
تاريخا من ذلك ثم رايت في تاريخ ابن كثير ان وجه النظر ان هذا من رواية ابي
سعيد وابي هريرة وما هاجر ابو هريرة الا عام خيبر متاخرا فيبعد انه لم يعلمه
بها الا بعد هذا وقال اخر انما قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي
التكبر والعجب قال القاضي عياض وهذا لا يسلم من اعتراض وقيل لا تفضل
بينهم تفضيلا يودي الى تنقيص بعضهم او البعض منه وقيل منع التفضيل
في حق النبوة والرسالة فان الانبيا عليهم الصلاة والسلام فيها على حد واحد
لا تتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب
واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامر اخر زايدة عليها
ولذلك منهم رسل واولوا عزم انتهى وهذا قريب من قول الثاني وقال ابن
ابي جمرة في حديث يونس يريد بذلك نفي التكليف والتحديد على ما قاله ابن
خطيب الري لانه قد وجدت المفضلة بينهما في عالم الحس لان النبي صلى الله
عليه وسلم اسري به الى فوق السبع الطباق ويونس نزل به الى قعر البحر
وقد قال عليه السلام انا سيد ولد ادم يوم القيامة وقال عليه السلام ادم ومن
دونه تحت لوايي وقد اختص صلى الله عليه وسلم بالشفاعة الكبرى التي لم تكن
لغيره من الانبيا عليهم السلام فهذه الفضيلة وجدت بالضرورة فلا يبقى ان
يكون قوله عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن متى الا بالنسبة الى
القرب من الله سبحانه والبعد فمحمد صلوات الله وسلامه عليه وان اسري
به لفوق السبع الطباق واخترق الحجب ويونس عليه السلام وان نزل به
لقعر البحر فهما بالنسبة الى القرب والبعد من الله سبحانه وتعالى على حد
واحد انتهى وهو مروي عن امام دار الهجرة مالك بن انس وعزي نحوه لامام
الحرمين وقال ابن المنير ان قلت ان يفضل على يونس باعتبار الجهتين بالنسبة
الى الوجود الحق تعالى فقد نصله باعتبار تفاوت الجهتين في تفضيل الحق
فانه تعالى فضل الملا الاعلى على الحضيض الادنا فكيف عليه السلام على يونس
وان لم يكن التفضيل بالمكان فهو بالمكانة بلا اشكال ثم قال قلت لم ينه على
مطلق التفضيل وانما نهى عن تفضيل مقيد بالمكان يفهم منه القرب المكاني

من جهة

٢٧٨

استواهم

Copyright ... University

نعلي هذا يحمل جمعا بين القواعد واختلف هل البشر افضل من الملايكة فقال جمهور اهل
السنة والجماعة خواص بني ادم الانبيا افضل من خواص الملايكة وهم جبريل وميكايل
واسرافيل وعزرايل وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون وخواص
الملايكة افضل من عوام بني ادم قال التفتازاني بالاجماع بل بالضرورة وعوام بني ادم
افضل من عوام الملايكة فالمسجود له افضل من الساجد فاذا ثبت تفضيل العوام
فعوام الملايكة افضل خدم عال الخبر والمخدوم له افضل على الخادم ولان المومنين
ركب فيهم الهوى والعقل مع تسلط الشيطان عليهم بوسوسته والملايكة ركب
فيهم العقل دون الهوى ولا سبيل للشيطان عليهم ولا اساك كما قاله في شرح
العقايد بحصل الفضايل والكمالات العلمية والعملية مع وجود العوايق
والموانع والشهوة والغضب وسنوح الحاجات الضرورية الشاغلة عن
اكتساب الكمالات ولا شك ان العبادة وكسب الكمال مع الشواغل والصوارف اشق
وادخل في الاخلاص فيكون افضل والمراد بعوام بني ادم هنا الصلحا لا الفسقة كما نبه
عليه العلامة كمال الدين ابي شريف المقدسي قال نص البيهقي عليه في الشعب
وعبارته قد تكلم الناس قديما وحديثا في الملايكة والبشر فذهب ذاهبون الى ان
الرسل من البشر افضل من الرسل من الملايكة والاوليا من البشر افضل من الاوليا
من الملايكة انتهى وذهب المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة الى تفضيل
الملايكة وهو اختيار القاضي ابو بكر بن الباقلاني وابي عبد الله الحليمي وتمسكوا
بوجوه الاول ان الملايكة ارواح مجردة كاملة بالفعل مبراة عن مبادي الشرور
والافات كالشهوة والغضب وعن ظلمات الهيولا والصورة قوية الافعال
العجيبة عالمة بالكواين ماضيها واتيها من غير غلط والجواب ان مبنى
ذلك على الاهوال الفلسفية دون الاصول الاسلامية الثاني ان الانبيا
مع كونهم افضل البشر يتعلمون ويستفيدون منهم بدليل قوله تعالى علمه
شديد القوى وقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك ولا شك ان المعلم
افضل من المتعلم والجواب ان التعليم من الله تعالى والملايكة انما هم مبلغون
الثالث انه اطرد في الكتاب والسنة تقديم ذكرهم على ذكر الانبيا وما ذلك
الا لتقدمهم في الشرف والرتبة والجواب ان ذلك لتقدمهم في الوجود
او لان وجودهم اخفا فالايمان بهم اقوى وبالتقدم اولى والرابع قوله
تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملايكة المقربون فان
اهل اللسان يفهمون من ذلك افضلية الملايكة من عيسى اذ القياس
في مثله الترقي من الادنى الى الاعلى يقال لا يستنكف من هذا الامر الوزير
ولا السلطان ولا يقال السلطان ولا الوزير ثم لا قايل بالفضل بين عيسى

عليه

عليه السلام وغيره من الانبيا عليهم السلام والجواب ان النصارى استعظموا المسيح
بحيث ترتفع من ان يكون عبدا لله بل ينبغي ان يكون عبدا من عباد الله بل
ينبغي ان يكون ابنا له لانه مجرد لا اب له وكان يبري الاكمه والابرص ويحيي الموتى بخلاف
ساير العباد من بني ادم فرد عليهم بانه لا يستنكف من ذلك المسيح ولا من هو اعلا منه
في هذا المعنى وهم الملايكة الذين لا اب لهم ولا ام ويقدرون باذن الله على افعال اقوى
واعجب من ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى والترقي والعلو انما هو في امر التجرد واظهار
الاثار الفوقية لا في مطلق الشرف والكمال فلا دلالة على افضلية الملايكة انتهى ثم ان الملايكة
بعضهم افضل من بعض وافضلهم الروح الامين جبريل المزكي من رب العالمين المقول
فيه من ذي العزة انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين
فوصفه بسبع صفات وهو افضل الملايكة الثلاثة الذين هم افضل الملايكة على الاطلاق
وهم ميكايل واسرافيل وعزرايل وكذلك الرسل افضل من الانبيا وكذلك الرسل بعضهم
افضل من بعض ومحمد افضل الانبيا والرسل كما تقدم واول الانبيا ادم واخرهم نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم فاما نبوة ادم فبالكتاب الدال على انه قد امر ونهي مع القطع
بانه لم يكن في زمنه نبي اخر فهو بالوحي لا غير وكذا السنة والاجماع فانكار نبوته على
ما نقل عن البعض يكون كفرا وقد اختلف في عدد الانبيا المرسلين والمشهور في ذلك
ما في حديث ابي ذر عند ابن مردويه في تفسيره قال قلت يا رسول الله كم الرسل منهم
قال ثلثماية وثلاثة عشر جم غفير قلت يا رسول الله من كان اولهم قال ادم ثم قال
يا ابا ذر اربعة سريانيون ادم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس وهو اول من
خط بقلم واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا ابا ذر واول نبي من بني اسرايل
موسى واخرهم عيسى واول النبيين ادم واخرهم نبيك وقد روى هذا الحديث بطوله
الحافظ ابو حاتم بن حبان في كتابه الانواع والتقاسيم وقد رسمه بالصحيح وخالفه ابن الجوزي
فذكره في الموضوعات واتهم به ابراهيم بن هشام قال الحافظ بن كثير ولا شك انه قد
تكلم فيه غير واحد من ايمة الجرح والتعديل من اجل هذا الحديث والله اعلم وروى
ابو يعلى عن ابن عباس مرفوعا كان فيمن خلا من اخواني من الانبيا ثمانية الاف نبي
ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت انا والذي نص الله تعالى على اسمايهم في القران ادم وادريس
ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف وايوب
وشعيب وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان والياس واليسع وزكريا ويحيى
وذو الكفل عند اكثر المفسرين قال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك روى ابن جرير
من حديث ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل عليه السلام
فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله اعلم قال اذا ذكرت
ذكرت معي وذكره الطبراني وصححه ابن حبان وروينا عن الامام الشافعي قال اخبرنا

الخواص على الخواص
ثبت بعضه

ما الانسان

الشرفي

الانبيا قال مائة الف واربعة
وعشرون الف قلت
يا رسول الله كم

وعيسى

ابن عيينة عن ابي نجيح معناه لا اذكر الا ذكرت معي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله قال الامام اث فمعي معي والله اعلم ذكره عند الايمان بالله والاذان قال
ويحتمل ذكره عند تلاوة الكتاب وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية انتهى
وقيل رفعه بالنبوة قاله يحيى ابن ادم وعن ابن عطا جعلتك ذكرا من ذكري وعنه
ايضا جعلته تمام الايمان بذكري معك وعن جعفر ابن محمد الصادق لا يذكرك احد
بالرسالة الا ذكرني بالربوبية قال البيضاوي واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه
في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته انتهى يشير الى قوله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله والله ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله ورسوله واطيعوا
الله ورسوله واطيعوا الله والرسول وقول قتادة رفع الله ذكره في الدنيا
والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله انتهى فهو مذكور معه في الشهادة والتشهد ومقرون ذكره
بذكره في القران والخطب والاذان ويوذن باسمه في موقف القيامة واخرج ابو نعيم
في الحلية عن ابي هريرة رفعه لما نزل ادم عليه السلام بالهند استوحش فنزل
جبريل عليه السلام فناداه بالاذان الله اكبر الله اكبر مرتين اشهد ان لا اله الا الله
مرتين اشهد ان محمدا رسول الله مرتين الحديث وكتب اسمه الشريف على العرش
وعلى كل سما وعلى الجنان وما فيها رواه ابن عساكر واخرج البزار عن ابن عمر مرفوعا
لما عرج بي الى السما ما مررت بسما الا وجدت اسمي فيها مكتوبا محمد رسول الله
وفي الحلية عن ابن عباس رفعه ما في الجنة شجرة عليها ورقة الا مكتوب عليها
لا اله الا الله محمد رسول الله وعزاه الحافظ ابن رجب في كتاب احكام الخواتيم
له لجزي ابي علي الخالدي وقال انه باطل موضوع وشق اسمه الكريم من اسمه تعالى كما
قال حسان
وشق له من اسمه ليجله ، فذو العرش محمود وهذا محمد ،
وسماه من اسمايه الحسنى بنحو سبعين اسما كما بينت ذلك في اسمايه صلوات الله
وسلامه عليه وصلى عليه في ملايكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه فقال
تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما فاخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملا الاعلى بانه يثنى عليه عند
الملايكة المقربين وان الملايكة تصلي عليه ثم امر العالم السفلي بالصلاة والتسليم
عليه فيجتمع الثنا عليه من اهل العالمين العلوي والسفلي جميعا وكتبه
نبيا وادم بين الروح والجسد وختم به النبوة والرسالة واعلن بذكره الكريم في
الاولين والاخرين ونوه بقدره الرفيع حين اخذ الميثاق على جميع النبيين و
وجعل ذكره في فواتح الرسايل وخواتمها وشرف به المصاحف على المنابر وزين
بذكره ارباب الاقلام والمحابر ونشر ذكره في الافاق شرقا وغربا برا وبحرا حتى

في

في السموات السبع وعند المستوى وصرير الاقلام والعرش والكرسي وساير الملايكة المقربين
من الكروبيين والروحانيين والعلويين والسفليين وجعله في قلوب المومنين بحيث
يستطيبون ذكره فترتاح ارواحهم وربما تميل من طرب سماع اسمه اشباحهم
واذا ذكرتكموا اميل كانني ، من طيب ذكركم سقيت الراحا
كانه تعالى يقول املا الوجود كله من اتباعك كلهم يثنون عليك ويصلون عليك
ويحفظون سنتك بل ما من فريضة من فرايض الصلاة الا ومعها سنة فهم يتمسكون
في الفريضة بامري وفي السنة بامرك وجعلت طاعتي طاعتك وبيعتي بيعتك فالقرا
يحفظون الفاظ منشورك والمفسرون يفسرون معاني فرقانك والوعاظ
يبلغون بليغ وعظك والملوك والسلاطين يقفون في خدمتك ويسلمون من
ورا الباب عليك ويمسحون وجوههم بتراب روضتك ويرجون شفاعتك
فشرفك باق الى ابد الابدين والحمد لله رب العالمين وقال تعالى طه ما انزلنا
عليك القران لتشقى اعلم ان للمفسرين في طه قولين احدها انها من حروف التهجي
والثاني انها كلمة مفيدة وعلى القول الاول قيل معناها يا مطمع الشفاعة للامة ويا هادي
الخلق الى الملة وقيل الطا في الحساب بتسعة والها بخمسة فالجملة اربعة عشر
ومعناها يا ايها البدر وهذه الاقوال لا يجب ان يعتمد عليها اذهي كما قاله المحققون
من بدع المفسرين ومثلها قول الواسطي فيما حكاه القاضي عياض في الشفا اراد
يا طاهر يا هادي واما قول من قال انها كلمة مفيدة ففيه وجهان احدها ان معناه
يا رجل وهو مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة
وعكرمة قال سعيد بن جبير بلسان النبطية وقال قتادة بلسان السريانية
وقال عكرمة بلسان الحبشة وقال البيضاوي ان صح ان معناه يا رجل فلعل اصله
يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار انتهى قال الكلبي لو قلت في يا رجل
لم يجب حتى تقول طه وقال السدي معنى طه يا فلان وقال الزمخشري
لعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون اليا طا فقالوا يا طا واختصروا
هذا فاقتصروا على ها واثر الصيغة ظاهرة لا تخفى في البيت المستشهد به
ان السفاهة طه في خلايقكم ، لا قدس الله اخلاق الملاعين
انتهى قال في البحر وكان قد قدم ان طه في لغة عك في معنى يا رجل ثم تخوض وخرج
على عل بما لا يقوله نحوي وهو انهم قلبوا اليا طا وهذا لا يوجد في لسان العرب قلب
يا التي للندا طا وكذلك حذف اسم الاشارة في الندا واقرت ها التي للتنبيه انتهى
وقيل معناه يا انسان وقرئ طه باسكان الها على انه امر له صلى الله عليه وسلم
بان يطا الارض بقدميه وقد روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده
على احدى رجليه فامر ان يطا الارض بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت

عك يا رجل

Copyright to King Saud University

همزته ها قالوا اهياك في اباك وهرقت في ارقت ويجوز ان يكون الاصل من وطي على ترك
الهمزة فيكون اصله طا يا رجل ثم اثبت الهاء فيها للوقف وعلى هذا يحتمل ان يكون اصله
طه طاها والموسد له من الهمزة والها كناية عن الارض لكن يرد ذلك كتبهما على صورة
الحرف واما قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى فذكروا في سبب نزولها اقوالا
احدها ان ابا جهل والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي قالوا يا رسول الله انك لتشقى
حين تركت دين ابائك فقال صلى الله عليه وسلم بل بعثت رحمة للعالمين فانزل الله تعالى
هذه الاية ردا عليهم وتعريفا له صلى الله عليه وسلم بان دين الاسلام والقران هو السلم
الى نيل كل فوز والسبب في ادراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وثانيها
انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك
فان لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة العظيمة
وما بعثت الا بالحنيفية السمحا وروي انه كان اذا قام من الليل ربط صدره بحبل حتى لا ينام
وقال بعضهم كان يسهر طول الليل وتعقب بانه يبعد لانه صلى الله عليه وسلم ان فعل
شيا من ذلك فلا بد وان يكون قد فعله بامر الله تعالى فاذا فعله عن امره فهو من باب
السعادة لا من باب الشقا ثالثها قال بعضهم يحتمل ان يكون المراد لا تشق نفسك
وتعذبها بالاسف على كفرهم اولا فانا عليك القران لتذكر به من امن فمن امن واصلح فلنفسه
ومن كفر فلا يحزنك كفره فما عليك الا البلاغ وهذا كقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا
مومنين ولا يحزنك كفرهم رابعها ان هذه السورة من اوايل ما نزل بمكة وفي ذلك
الوقت كان صلى الله عليه وسلم مقهورا بين اعدايه فكانه تعالى قال لا تظن انك تبقى على
هذه الحالة بل يعلو امرك ويظهر قدرك فانا ما انزلنا عليك القران لتبقى شقيا بل تصير
معظما مكرما زاده الله تعظيما وتكريما وتشريفا قال تعالى انا اعطيناك الكوثر السورة
قال الامام فخر الدين الخطيب في هذه السورة كثير من الفوايد منها انها كالمتممة لما قبلها من
السور وذلك لان الله تعالى جعل سورة والضحى في مدح نبينا صلى الله عليه وسلم
وتفصيل احواله فذكر في اولها ثلاثة اشيا تتعلق بنبوته وهي قوله ما ودعك
ربك وما قلى وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم ختمها بذكر
احوال ثلاثة فيما يتعلق بالدنيا وهي قوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا
اي عن علم الحكم والاحكام فهدى ووجدك عايلا فاغنى ثم ذكر في سورة الم نشرح انه
تعالى شرفه عليه الصلاة والسلام بثلاثة اشيا وهي الم نشرح لك صدرك اي الم نفسح
حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق ووضعنا عنك وزرك اي عناك الثقل الذي
انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وهكذا سورة حتى قال انا اعطيناك الكوثر اي
اعطيناك هذه المناقب المتكاثرة التي كل واحدة منها اعظم من ملك الدنيا بحذافيرها
واذا انعمنا عليك بهذه النعم فاشتغل بطاعتنا ولا تبال بقولهم ثم ان الاشتغال بالعبادة

بلغ

انزلنا

اما

اما ان يكون بالنفس وهو قوله فصل لربك واما بالمال وهو قوله وانحر وتامل قوله
انا اعطيناك كيف ذكره بلفظ الماضي ولم يقل سنعطيك ليدل على هذا ان الاعطا
حصل في الزمان الماضي قال عليه الصلاة والسلام كنت نبيا وادم بين الروح والجسد
ولا شك ان من كان في الزمن الماضي عزيزا مرعي الجانب اشرف ممن سيصير كذلك كانه
تعالى يقول يا محمد قد هيانا اسباب سعادتك قبل دخولك في هذا الوجود فكيف
امرك بعد وجودك واشتغالك بعبودية ربنا ايها العبد الكريم انا لم نعطك هذا
الفضل العظيم لاجل طاعتك وانما اخترناك بمجرد فضلنا واحساننا من غير موجب
واختلف المفسرون في تفسير الكوثر على وجوه منها انه نهر في الجنة وهذا هو
المشهور والمستفيض عند السلف والخلف فروي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا
يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا طينته مسك اذفر رواه البخاري
وقيل الكوثر اولاده لان هذه السورة انما نزلت ردا على من عابه عليه الصلاة والسلام
بعدم الاولاد وعلى هذا فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل
من اهل البيت ثم العالم ممتلي منهم ولم يتفق لنبي من الانبيا غيره وقيل الكوثر الخير الكثير
وقيل النبوة وهي الخير الكثير وقيل علما امته وقيل الاسلام ولا ريب انها من الخير الكثير
فالعلما ورثة الانبيا كما رواه احمد وابو داود والترمذي واما علما امتي كانبيا بني اسرايل
فقال الحافظ ابن حجر ومن قبله الدميري والزركشي انه لا اصل له نعم روى ابو نعيم
في فضل العالم العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه اقرب الناس من درجة
النبوة اهل العلم والجهاد وقيل الكوثر كثرة الاتباع والاشياع وعن بعضهم المراد بالكوثر
العلم وحمله عليه اولى لوجوه احدها ان العلم هو الخير الكثير والثاني اما ان يحمل الكوثر
على نعم الاخرة او على نعم الدنيا قال والاول غير جايز لانه قال انا اعطيناك والجنة
سيعطيها لا انه اعطاها فوجب حمل الكوثر على ما وصل اليه في الدنيا واشرف الامور
الواصلة اليه في الدنيا هو العلم والنبوة فوجب حمل اللفظ على العلم والثالث انه
قال انا اعطيناك الكوثر قال عقبه فصل لربك وانحر والشي الذي يتقدم على العبادة
هو المعرفة ولان الفا في قوله فصل للتعقيب ومعلوم ان الموجب للعبادة ليس الا
العلم وقيل الكوثر الخلق الحسن وعن ابن عباس جمع نعم الله تعالى على نبيه صلى الله
عليه وسلم وبالجملة فليس حمل الاية على بعض هذه النعم اولى من حملها على الباقي
فوجب حملها على الكل وكذا روى ابو سعيد بن جبير لما روى هذا القول عن
ابن عباس قال له بعضهم ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي
في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه قال الامام فخر الدين ابن الخطيب قال بعض
العلما ظاهر قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر يقتضي انه تعالى قد اعطاه ذلك الكوثر

Copyright … University

فيجب ان يكون الاقرب حمله على ما اتاه من النبوة والقران والذكر العظيم والنصر
على الاعدا **واما الحوض** وساير ما اعد له من الثواب فهو وان جاز ان يقال انه داخل
فيه لان ما ثبت بحكم وعد الله فهو كالواقع الا ان الحقيقة ما قدمناه لان ذلك وان
اعد له فلا يصح ان يقال على الحقيقة انه اعطاه الكوثر في حال نزول هذه السورة
بمكة ويحتمل ان يجاب عنه بان من اقر لولده الصغير بشي لم يصح ان يقال اعطاه
ذلك الشي مع ان الصبي في ذلك الحال ليس اهلا للتصرف انتهي **وقد** روينا في صحيح
مسلم من حديث انس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا
اذا اغفا اغفاة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما يضحكك اضحك الله سنك يا رسول
الله قال نزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل
لربك وانحر ان شانيك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم
قال فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة
انيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري
ما احدث بعدك وهذا تفسير صريح منه صلى الله عليه وسلم بان المراد بالكوثر
هنا الحوض فالمصير اليه اولي وهذا هو المشهور كما تقدم فسبحان من اعطاه هذه
الفضايل العظيمة وشرفه بهذه الخصال العميمة وحباه بما افاضه عليه من نعمه
الحسنة **وقد** جرت عادة الله مع انبيايه عليهم الصلاة والسلام ان يناديهم باسمايهم
الاعلام نحو يا ادم اسكن يا نوح اهبط يا موسي انني انا الله يا عيسي بن مريم اذكر نعمتي
عليك واما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فناداه بالوصف الشريف من الانبيا
والارسال فقال يا ايها النبي يا ايها الرسول ولله در القايل

فدعا جميع الرسل كلا باسمه ... ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ولا يخفي على احد ان السيد اذا دعا عبده
بافضل ما وجد لهم من الاوصاف العلية والاخلاق السنية ودعا الاخرين باسمايهم
الاعلام التي لا تشعر بوصف من الاوصاف ولا بخلق من الاخلاق ان منزلة من دعاه
بافضل الاسما والاوصاف اعز عليه واقرب اليه ممن دعاه باسمه العلم وهذا معلوم
بالعرف ان من دعي بافضل اوصافه واخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه
واحترامه انتهي وانظر ما في نحو قوله تعالى واذ قال ربك للملايكة اني جاعل في
الارض خليفة من ذكره الرب تعالي واضافته اليه صلى الله عليه وسلم وما في ذلك
من التنبيه على شرفه واختصاصه بخطابه وما في ذلك من الاشارة اللطيفة
وهي ان المقبل عليه بالخطاب له الحظ الاعظم والقسم الاوفر من الجملة المخبر بها
اذ هو في الحقيقة اعظم خلفايه الا تري الي عموم رسالته ودعايه وجعله افضل
انبيايه ام بهم ليلة اسرايه وجعل ادم فمن دونه يوم القيامة تحت لوايه فهو

التقدم

التقدم في ارضه وسمايه وفي داري تكليفه وجزايه **وبالجملة** فقد نص الكتاب العزيز
من التصريح بجليل رتبته وتعظيم قدره وعلو منصبه ورفعة ذكره ما يقضي
بانه استولي على اقصي درجات التكريم ويكفي اخباره تعالى بالعفو عنه ملاطفة قبل
ذكر العتاب في قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم وتقديم ذكره على الانبيا تعظيما له
مع تاخره عنهم في الزمان في قوله تعالى ومنك ومن نوح وابراهيم وموسي وعيسي بن مريم
واخباره بتمني اهل النار طاعته في قوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وهذا بحر لا ينفد وقطر لا يعد **النوع الثاني** في
اخذ الله تعالى له الميثاق على النبيين فضلا ومنة ليومنن به ان ادركوه ولينصرنه
قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاكم رسول
مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه الاية اخبر تعالى انه اخذ ميثاق كل نبي
بعثه من لدن ادم عليه السلام الي محمد صلى الله عليه وسلم ان يصدق بعضهم
بعضا قاله الحسن وطاوس وقتادة وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من
النبيين واممهم واستغني بذكرهم عن ذكر الامم وعن علي بن ابي طالب وابن عباس
ما بعث الله نبيا من الانبيا الا اخذ عليه الميثاق لين بعث محمد صلى الله عليه
وسلم وهو حي ليومنن به ولينصرنه وما قاله قتادة والحسن وطاوس لا يضاد
ما قاله علي وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه وقيل معناه ان
الانبيا عليهم السلام كانوا ياخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد صلى
الله عليه وسلم ان يومنوا به وان ينصروه **واحتج** لها بان الذين اخذ الله
الميثاق منهم يجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه وكان
الانبيا عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات والميت لا يكون
مكلفا فتعين ان يكون الميثاق ماخوذا على الامم قالوا ويويد هذا انه تعالى حكم
على الذين اخذ عليهم الميثاق انهم لو تولوا لكانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق
بالانبيا وانما يليق بالامم **واجيب** بان يكون المراد من الاية ان الانبيا لو كانوا في الحياة
لوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى لين اشركت
ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى انه لا يشرك ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير
والفرض وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا
منه الوتين وقال في الملايكة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم مع
انه تعالى اخبر عنهم بانهم لا يسبقونه بالقول وانهم يخافون ربهم من فوقهم فكل هذا
ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير واذا ثبت هذه الاية على ان الله تعالى
اوجب على جميع الانبيا ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لو كانوا في الاحيا
وانهم لو تركوا ذلك لصاروا في زمرة الفاسقين فلان يكون الايمان بمحمد صلي

باليمين ثم لا قطعنا
منه صح

Copyright King Saud University

الله عليه وسلم واجبا على اممهم من باب اولى فكان نصرف هذا الميثاق الى الانبيا
اقوى في تحصيل المقصود قال السبكي في هذه الاية دليل انه عليه السلام
على تقدير مجيئهم في زمانه يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة
لجميع الخلق من زمن ادم الى يوم القيامة وتكون الانبيا واممهم كلهم من امته
ويكون قوله عليه السلام وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس في زمانه
الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم ايضا وانما اخذ المواثيق على الانبيا ليعلموا
انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وفي اخذ المواثيق وهي في معنى الاستحلاف
ولذلك دخلت لام القسم في لتومنن به ولتنصرنه لطيفة وهي كانها ايمان
البيعة التي توخذ للخلفا ولعل ايمان الخلفا اخذت من هنا فانظر هذا التعظيم
العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى فاذا عرفت هذا فالنبي محمد
صلى الله عليه وسلم نبي الانبيا ولهذا ظهر ذلك في الاخرة جميع الانبيا تحت لوايه
وفي الدنيا كذلك ليلة الاسرا صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن ادم ونوح
وابراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك
اخذ الله الميثاق عليهم فنبوته عليهم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما امره
يتوقف على اجتماعهم معه فتاخر ذلك الامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما
يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على اهلية الفاعل
فههنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة
وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه
بلا شك ولهذا ياتي عيسى عليه السلام في اخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم على
حاله لا كما يظن بعض الناس انه ياتي واحدا من هذه الامة نعم هو واحد من هذه
الامة لما قلنا من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشريعة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم بالقران والسنة وكل ما فيهما من امر ونهي فهو متعلق
به كما يتعلق بساير الامة وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شي وكذلك لو
بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه او في زمان موسى وابراهيم ونوح وادم
كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم والنبي صلى الله عليه وسلم نبي
عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته اعم واشمل واعظم ومتفق مع
شرايعهم في الاصول لانها لا تختلف وتقدم شريعته صلى الله عليه وسلم فيما
عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص واما على سبيل
النسخ ولا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلى الله عليه وسلم في تلك
الاوقات بالنسبة الى اوليك الامم ما جات به انبياوهم وفي هذا الوقت بالنسبة الى
هذه الامة الشريفة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات وبهذا بان لنا

يعني

يعني حديثين كانا خفيا عنا احدهما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس
كافة كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيامة فبان انه جميع الناس اولهم واخرهم
والثاني قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الروح والجسد كنا نظن انه
بالعلم فبان انه زايد على ذلك وانما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده صلى
الله عليه وسلم وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم
وتاهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تاهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام
على الشروط قد تكون بحسب المحل القابل وقد تكون بحسب الفاعل المتصرف
فههنا التعليق انما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب
والجسد الشريف الذي يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل الاب رجلا في تزويج ابنته اذا
وجدت كفوا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل اهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد
يحصل توقف التصرف على وجود الكفو ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح
في صحة الوكالة واهلية الوكيل انتهى النوع الثالث في وصفه تعالى له عليه السلام
بالشهادة وشهادته له بالرسالة قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم واسماعيل عند
بنا البيت الحرام ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن
ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك
انت العزيز الحكيم فاستجاب الله دعاها وبعث في اهل مكة منهم رسولا بهذه الصفة
من ولد اسماعيل الذي دعا مع ابيه ابراهيم عليهما السلام بهذا الدعا فان قلت
من اين علم ان الرسول هنا المراد منه محمد صلى الله عليه وسلم فالجواب من وجوه
احدها اجماع المفسرين وهو حجة الثاني قوله عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم
وبشارة عيسى قالوا واراد بالدعوة هذه الاية وبشارة عيسى هو ما ذكر في سورة
الصف من قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد الثالث ان ابراهيم
انما دعا هذا الدعا بمكة لذريته الذين كانوا بها وما حولها ولم يبعث الله تعالى
الى من بمكة الا محمدا صلى الله عليه وسلم وقد من الله تعالى على المومنين في
بعث هذا النبي منهم على هذه الصفة فقال تعالى لقد من الله على المومنين
اذ بعث فيهم رسولا منهم من انفسهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة الاية فليس لله منة على المومنين اعظم من ارساله محمدا صلى الله عليه
وسلم يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وانما كانت النعمة على هذه الامة
بارساله اعظم النعم لان النعمة به صلى الله عليه وسلم تمت بها مصالح الدنيا
والاخرة وكمل بسببها دين الله الذي رضيه لعباده وقوله من انفسهم يعني
انه بشر مثلهم وانما امتاز عنهم بالوحي وقرئ في الشواذ انفسهم بفتح الفا يعني من

٢٨٣

Copyright King Saud University

ولا كني

اشرفهم لانه من بني هاشم وسواها هاشم افضل من قريش وقريش افضل العرب والعرب
افضل من غيرهم ثم قيل لفظ المومنين عام ومعناه خاص في العرب لانه ليس حي من
احيا العرب الا وقد ولده وخص المومنين بالذكر لانهم المنتفعون به اكثر فالمنة
عليهم اغلظ **فان قلت** هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط
في صحة الايمان او من فروض الكفاية **اجاب** الشيخ ولي الدين ابن العراقي بانه شرط
في صحة الايمان فلو قال شخص او من برسالة محمد الى جميع الخلق لا ادري لكن هل هو
من البشر او من الملايكة او الجن او لا ادري هل هو من العرب او العجم فلا شك في كفره لتكذيبه
للقران وجحده ما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند
الخاص والعام ولا اعلم في ذلك خلافا فلو كان غبيا لا يعرف ذلك وجب تعليمه اياه فان جحده
بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى **فان قلت** هل هو عليه السلام باق على رسالته الى الان
اجاب المعين النسفي بان الاشعري قال انه عليه السلام الان في حكم الرسالة وحكم
الشي يقوم مقام اصل الشي الا ترى ان العدة تدل على ما كان من احكام النكاح انتهى
وقال غيره ان النبوة والرسالة باقية بعد موته عليه الصلاة والسلام حقيقة
كما يبقى وصف الايمان للمومنين بعد موتهم لان المتصف بالنبوة والرسالة والايمان
هو الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن انتهى **وتعقب** بان الانبيا احيا في
قبورهم فوصف النبوة باق للجسد والروح معا وقال القشيري كلام الله تعالى
لمن اصطفاه ارسلتك فبلغ عني وكلامه تعالى قديم فهو عليه السلام قبل ان
يوجد كان رسولا وفي حالة بوجوده والى الابد رسولا لبقا الكلام وقدمه واستحا له
البطلان على الارسال الذي هو كلام الله تعالى ونقل السبكي في طبقاته عن ابن فورك انه
قال عليه الصلاة والسلام حي في قبره رسول الله ابد الابد على الحقيقة لا المجاز انتهى
وقال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين والمراد بالاميين العرب
تنبيها لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا اميين لا كتاب لهم وليس عندهم
شي من اثار النبوة كما عند اهل الكتاب فمن الله تعالى عليهم بهذا الرسول وبهذا
الكتاب حتى صاروا افضل الامم واعلمهم وعرفوا ضلالة من ضل قبلهم من الامم وفي
كونه عليه السلام منهم **فايدتان** احدهما ان هذا الرسول كان ايضا اميا كامته
المبعوث اليهم لم يقرا كتابا قط ولم يخط بيمينه كما قال تعالى ولا خرج عن ديار قومه
فاقام عند غيرهم حتى تعلم منهم بل لم يزل اميا بين امة امية لا يكتب ولا يقرا حتى
بلغ الاربعين من عمره ثم جا بعد ذلك بهذا الكتاب المبين وهذه الشريعة
الباهرة وهذا الدين القيم الذي اعترف حذاق اهل الارض ونظارها انه لم
يقرع العالم بناموس اعظم منه وفي هذا برهان عظيم على صدقه عليه السلام

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك

الفايدة

الفايدة الثانية التنبيه على ان المبعوث منهم وهم الاميون خصوصا اهل
مكة يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وامانته وعفته وانه نشا بينهم معروفا
بذلك وانه لم يكذب قط فكيف كان يدع الكذب على الناس ثم يفتري الكذب على الله
عز وجل هذا هو الباطل وكذا سال هرقل عن هذه الاوصاف واستدل بها على
صدقه فيما ادعاه من النبوة والرسالة وقد قال الله تعالى خطابا له فانهم لا
يكذبونك **ويروى** ان رجلا قال والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم
ولكنا ان نتبعك نتخطف من ارضنا فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن ابن
عباس وعن مقاتل كان الحرث بن عامر يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في
العلانية فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب **ويروى** ان المشركين
كانوا اذا راوه عليه السلام قالوا انه لنبي وعن علي قال قال ابو جهل للنبي صلى
الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جيت به فانزل الله الاية والمعنى
انهم يردونه مع العلم بصحته اذ الجحد لغة هو الانكار مع العلم فان قلت فالجمع بين
هذا وبين قوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك **اجيب** بانه على طريق الجحد
وهو يختلف باختلاف احوالهم في الجهل فمنهم من وقع منه ذلك لجهله بحيث علم
امن ومنهم من علم وانكر كفرا وعنادا كابي جهل فيكون المراد بقوله فانهم لا يكذبونك
قوما مخصوصين منهم لا كلهم وحينيذ لا تعارض **وروي** ان ابا جهل لقيه صلى
الله عليه وسلم فصافحه فقيل له اتصافحه فقال والله اني لاعلم انه نبي ولكن
متى كنا تبعا لبني عبد مناف فانزل الله الاية رواه ابن ابي حاتم والقران كله مملو
بالايات الدالة على صدق هذا الرسول الكريم وتحقيق رسالته وكيف يليق
بكمال الله ان يقر من يكذب عليه اعظم الكذب ويخبر بخلاف ما الامر عليه ثم
ينصره ذلك ويويده ويعلي كلمته ويرفع شانه ويجيب دعوته ويهلك عدوه
ويظهر على يديه من الايات والبراهين والادلة ما يضعف عن مثله قوى البشر
وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر ساع في الارض بالفساد ومعلوم ان شهادته
سبحانه على كل شي وقدرته على كل شي وحكمته وعزته وكماله المقدس يابى ذلك
كل الابا ومن ظن ذلك به وجوزه عليه فهو من ابعد الخلق عن معرفته ان عرف
منه بعض صفاته لصفة القدرة وصفة المشية والقران كله مملو من هذه
الطريق الخاصة بل خاصة الخاصة الذين يستدلون بالله على افعاله وما
يليق به ان يفعله وما لا يفعله واذا تدبرت القران رايته ينادي على ذلك
ويبديه ويعيده لمن له فهم وقلب واع عن الله تعالى قال الله تعالى
ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
فما منكم من احد عنه حاجزين افتراه سبحانه وتعالى يخبر ان كماله وحكمته

٢٨٤

Copyright King Saud University

بقدرته تأبى ان يقر من يقول بعض الاقاويل بل لابد ان يجعله عبرة لعباده كما جرت
بذلك سنته في المتقولين عليه وقال تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا فان
يشأ الله يختم على قلبك هاهنا انتهى جواب الشرط ثم اخبر خبرا جازما غير معلق انه يمحو الباطل
ويحق الحق وقال تعالى وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء
فاخبر ان من نفى عنه الارسال والكلام لم يقدره حق قدره ولا عرفه كما ينبغي ولا عظمه
كما يستحق فكيف من ظن انه ينصر الكاذب المفتري ويؤيده ويظهر على يديه
الايات والادلة وهذا في القرآن كثير يستدل تعالى بكماله المقدس واوصافه وجلاله
على صدق رسوله وعلى وعده ووعيده ويدعو عباده الى ذلك وقال تعالى لمن
طلب اية تدل على صدق رسوله اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان
في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم
ما في السموات والارض والذين امنوا بالباطل اولئك هم الخاسرون فاخبر سبحانه
ان الكتاب الذي انزله يكفي من كل اية ففيه الحجة والدلالة على انه من الله وان
الله سبحانه ارسل به رسوله وفيه بيان ما يوجب لمن اتبعه السعادة وينجيه
من العذاب ثم قال قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض فاذا
كان سبحانه عالما بجميع الاشيا كانت شهادته اصدق شهادة واعدلها فانها شهادة
بعلم تام محيط بالمشهود به وهو سبحانه وتعالى يذكر علمه عند شهادته وقدرته
وملكه عند مجازاته وحكمته عند خلقه وامره ورحمته عند ذكر ارسال رسله وحلمه
عند ذنوب عباده فتامل ورود اسمائه الحسنى في كتابه وارتباطها بالخلق والامر
والثواب والعقاب انتهى وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا اي شاهدا على اهل الوحدانية وشاهدا على اهل
الدنيا باحوال الاخرة من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهدا في الاخرة باحوال
الدنيا وبالطاعة والمعصية والصلاح والفساد وشاهدا على الخلق يوم القيامة
كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا كانه تعالى يقول يا ايها المشرف من
قبلنا انا ارسلناك شاهدا بوحدانيتنا ومشاهدا كمال فردانيتنا تبشر عبادنا
عنا وتحذرهم مخالفة امرنا وتعلمهم مواضع الخوف منا وداعيا الخلق الينا وسراجا
يستضيئون بك وشمسا تبسط اشعاعك على جميع من صدقك وامن بك
ولا يصل الينا الا من اتبعك وخدمك وقدمك فبشره بفضلنا وطولنا عليهم و
احساننا اليهم ولما كان الله تعالى قد جعله عليه السلام شاهدا على الوحدانية
والشاهد لا يكون مدعيا فان الله تعالى لم يجعل النبي في مسألة الوحدانية مدعيا
لها لان المدعي من يقول شيئا على خلاف الظاهر والوحدانية اظهر من الشمس
والنبي صلى الله عليه وسلم كان ادعى النبوة فجعل الله تعالى نفسه شاهدا له

في

والله يعلم انك لرسوله التلاوة
ما ذكره ليس موافق للتلاوة

في محاذاة كونه شاهدا له تعالى فقال سبحانه والله يشهد انك لرسوله ومن هذا
قوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن
عنده علم الكتاب فاستشهد على رسالته بشهادة الله له وكذلك قوله تعالى قل
اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وقوله لكن الله يشهد بما انزل
اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وقوله والله يعلم انك
لرسوله وقوله محمد رسول الله فهذا كله منه تعالى شهادة لرسوله قد اظهرها
وبينها وبين صحتها غاية البيان بحيث قطع العذر بينه وبين عباده واقام
الحجة عليهم بكونه سبحانه شاهدا لرسوله وقال تعالى هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا اي يظهره ظهورين
ظهورا بالحجة والبيان وظهورا بالنصر والغلبة والتأييد حتى يظهر على مخالفته
ويكون منصورا ومن شهادته تعالى ايضا ما اودعه في قلوب عباده من
التصديق الجازم واليقين الثابت والطمأنينة بكلامه ووحيه فان الله
تعالى فطر القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمأنينة والسكون اليه
ومحبته وفطرها على بغض الكذب والباطل والنفور عنه وعدم السكون
اليه ولو بقيت الفطرة على حالها لما اثرت على الحق سواه ولما سكنت الا اليه
ولا اطمأنت الا به ولا احبت غيره ولهذا ندب الحق سبحانه الى تدبر القرآن فان
كل من تدبره اوجب له علما ضروريا ويقينا جازما انه حق بل احق كل حق و
اصدق كل صدق قال تعالى افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها فلو
رفعت الاقفال عن القلوب لباشرتها حقائق القرآن واستنارت فيها مصابيح
الايمان وعلمت علما ضروريا كسائر الامور الوجدانية كاللذة والالم انه من
عند الله تكلم بها حقا وبلغها رسوله جبريل الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم
فهذا الشاهد في القلب من اعظم الشواهد انتهى ملخصا من مدارج السالكين
وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ففي هذه الاية دلالة على
انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى بني اسرائيل ودليلنا على ابطال قولهم
هذه الاية لان قوله يا ايها الناس خطاب يتناول كل الناس ثم قال اني رسول
الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس وايضا فلانا نعلم
بالتواتر انه كان يدعي انه مبعوث الى الثقلين فاما ان نقول انه كان رسولا
حقا او ما كان كذلك فان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه ووجب الجزم
بكونه صادقا في كل ما يدعيه فلما ثبت بالتواتر وبظاهر هذه الاية انه كان
يدعي كونه مبعوثا الى جميع الثقلين وجب كونه صادقا فاذن ذلك قول من
يقول انه كان مبعوثا الى العرب فقط لا الى بني اسرائيل واذا ثبت هذا

285

Copyright King Saud University

نتغول قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا من الناس من يقول
انه عام دخله التخصيص ومنهم من انكر ذلك اما الاولون فقالوا دخله التخصيص من
وجهين الاول انه رسول الى الناس اذا كانوا من جملة المكلفين فاذا لم يكونوا من
المكلفين لم يكن رسولا اليهم وذلك لانه عليه السلام قال رفع القلم عن ثلاث عن
الصبي حتى يبلغ وعن النايم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق والثاني
انه رسول الى كل من وصله خبر وجوده وخبر معجزاته وشرايعه حتى يمكنه
عند ذلك متابعته اما لو قدرنا حصول قوم في طرف من اطراف الارض لم
يبلغهم خبره وخبر معجزاته وشرايعه حتى لا يمكنهم عند ذلك متابعته فلا
يكونوا مكلفين بالاقرار بنبوته وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم
يموت ولم يومن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار رواه مسلم ومفهومه
ان من لم يسمع به صلى الله عليه وسلم ولم تبلغه دعوة الاسلام فهو معذور على ما تقرر
في الاصول انه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح وفي هذا الحديث نسخ الملل كلها
برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين
لكم على فترة من الرسل الاية يخاطب تعالى اهل الكتاب من اليهود والنصارى
بانه قد ارسل اليهم رسوله محمدا خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ولا رسول بل
هو المعقب لجميعهم وكذا قال تعالى على فترة من الرسل اي بعد مدة متطاولة
ما بين ارساله وعيسى ابن مريم وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة كم هي فقال
النهدي وقتادة في رواية عنه ستماية سنة ورواه البخاري عن سلمان الفارسي
وعن قتادة خمسماية وستون سنة وقال الضحاك اربعماية وبضع وثلاثون
سنة وعن الشعبي فيما ذكره ابن عساكر تسعماية وثلاثة وثلاثون سنة قال
الحافظ عماد الدين ابن كثير والمشهور انها ستماية سنة قال وكانت هي الفترة بين عيسى
ابن مريم اخر انبيا بني اسرايل وبين محمد اخر النبيين من بني ادم على الاطلاق
كما في البخاري من حديث ابي هريرة مرفوعا انا اولى الناس بابن مريم لانه ليس
بيني وبينه نبي وهذا فيه رد على من زعم انه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد
كما حكاه القضاعي وغيره والمقصود ان الله بعث محمدا على فترة من الرسل
وطموس من السبل وتغير الاديان وكثرة عبادة الاوثان والنيران والصلبان
فكانت النعمة به اتم والنفع به اعم وفي حديث عند الامام احمد مرفوعا ان
الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عجمهم وعربهم الا بقايا من بني اسرايل وفي لفظ
مسلم من اهل الكتاب فكان الدين قد التبس على اهل الارض كلهم حتى بعث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهدى به الخلايق واخرجهم الله به من الظلمات

الى

الى النور وتركهم على المحجة البيضا والشريعة الغرا صلوات الله وسلامه عليه
وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم اي عزيز عليه
عنتكم اي اثمكم بالشرك والمعاصي حريص عليكم قال الحسن البصري عزيز عليه ان
تدخلوا النار حريص عليكم ان تدخلوا الجنة ومن حرصه صلى الله عليه وسلم علينا
انه لم يخاطبنا بما يريد ابلاغه الينا وتفهيمنا اياه على قدر منزلته بل على قدر منزلتنا
والى هذا اشار صاحب البردة بقوله

لم يمتحنا بما تعيى العقول به ... حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

اي لم نتحير ولم نشك فيما القاه الينا قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
كان رحمة مع التكليف بما لا يعلم ومن حرصه عليه السلام على هدايتنا كثيرا ما يضرب
المثل بالمحسوس ليحصل الفهم وهذا سنة القران ومن يتتبع الكتاب والسنة راى
من ذلك العجب العجاب ولما ساوى سبحانه وتعالى بين الناس في حرص رسوله
عليه السلام على اسلامهم خص المومنين برافته ورحمته لهم وقال تعالى من انفسكم
ولم يقل من ارواحكم فقيل يحتمل ان يكون مراده منا تجسد له المتنفس لا بروحه
المقدس وبروح الله القايل

اذا رمت مدح المصطفى شفقا به ... تبلد ذهني هيبة لمقامه
فاقطع ليلي ساهر الجفن مطرقا ... هواقبه احلى من لذيذ منامه
اذا قال فيه الله جل جلاله ... رؤوف رحيم في سياق كلامه
فمن ذا يجاري الوحي والوحي معجز ... تخلفنه نثره ونظامه

تنبيه واما قول القاضي عياض بعد ذكره الاية ثم وصفه بعد باوصاف
حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم و
وشدة ما يعنتهم ويضرهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه فهو وان كان الفصل
منه صحيحا ان في ظاهره شي لانه يوهم ان قوله وشدة ما يعنتهم معطوف متعلق
المصدر الذي هو الحرص فيكون مخفوضا ومما يقوي هذا التوهم قوة اعطا الكلام
ان الضمير الاول من قوله وعزته عليهم عايد على النبي صلى الله عليه وسلم
والضمير الثاني عايد على الله عز وجل فلا ينبغي الشدة الا ان تكون معطوفة
على متعلق المصدر فلا يخفى ما في هذا وقد تاوله بعض العلما على حذف مضاف
اي وكراهة شدة ما يعنتهم او نحو ذلك من المضافات والاولى والصواب
ان شا الله ان تكون الشدة معطوفة على نفس المصدر الذي هو الحرص ويكون
قوله وعزته معطوفة على وشدة والضمير فيه راجع الى الموصول وهو ما في
قوله ما يعنتهم والهاء الثانية في عليه عايدة على النبي صلى الله عليه وسلم انتهى
وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يجوز ان يكون رحمة مفعولا

Copyright King Saud University

لهاي لاجل الرحمة ويجوز ان تنصب على الحال مبالغة في ان جعله نفس الرحمة
واما على حذف مضاف اي ذا رحمة او بمعنى راحم قاله السمين وقال ابو بكر ابن طاهر
فيما ذكره القاضي عياض زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة
فكان كونه رحمة وجميع شمايله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شي من رحمته
فهو الناجي في الدارين ومن كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب انتهى وقال
ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد
اخر من كذبه الى الموت او القيامة واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والاخرة
وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني الجن والانس وقيل لجميع الخلق للمومن
رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب
فدل انه عليه السلام كما قيل رحمة تعم المومن والكافر قال الله تعالى وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم وقال عليه السلام انما انا رحمة مهداة رواه الداري
والبيهقي في الشعب من حديث ابي هريرة وقال بعض العارفين الانبيا
خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة ولقد احسن القايل

غنيمة عمر بهجة عيشه * سرور حياة الروح فايدة الدهر
هو النعمة العظمى هو الرحمة التي * تجلى بها الرحمن في السر والجهر

فحياته عليه الصلاة والسلام ونصحه رحمة ودعاؤه واستغفاره رحمة فرزق
من قبله وحرمه من رده فان قلت كيف كان رحمة وقد جا بالسيف واستباحة
الاموال فالجواب من وجهين احدهما انه انما جا بالسيف لمن استكبر وعاند ولم يتفكر
ولم يتدبر ومن اوصاف الله تعالى الرحمن الرحيم ثم هو منتقم من العصاة وقد
قال تعالى وانزلنا من السما ما مباركا ثم قد يكون سببا للفساد وثانيهما ان كل نبي من
الانبيا قبل نبينا اذا كذبه قومه اهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق
وقد اخر الله تعالى عذاب من كذب نبينا الى الموت او الى القيامة لا يقال انه
تعالى قال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقال ليعذب المنافقين لانا نقول تخصيص
العام لا يقدح فيه وفي الشفا للقاضي عياض وحكي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شي قال نعم كنت اخشى العاقبة لثنا
الله تعالى علي بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين
انتهى وهذا يقتضي ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جبريل وهو الذي
عليه الجمهور خلافا لمن زعم ان جبريل افضل واستدل بان الله تعالى وصف
جبريل بسبعة اوصاف من صفات الكمال في قوله وانه لقول رسول كريم
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ووصف محمدا صلى الله عليه
وسلم وما صاحبكم بمجنون ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم مساويا لجبريل في

صفات

صفات الفضل او مقاربا له لكان وصف محمد بمثل ذلك واجيب بانا متفقون
على ان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضايل اخرى سوى ما ذكر في هذه الاية وعدم ذكر
الله تعالى لتلك الفضايل هنا لا يدل على عدمها بالاجماع واذا ثبت ان لمحمد صلى
الله عليه وسلم فضايل اخر زايدة فيكون افضل من جبريل وبالجملة فافراد احد
الشخصين بالوصف لا يدل البتة على انتفا تلك الاوصاف عن الثاني واذا ثبت
بالدليل القراني انه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين والملايكة من جملة العالمين
وجب ان يكون افضل منهم والله اعلم وقال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين هذه الاية نص في انه لا نبي بعده واذا كان لا نبي
بعده فلا رسول بطريق الاولى لان مقام الرسالة اخص من مقام النبوة فان كل
رسول نبي ولا عكس كما قدمنا ذلك في اسمايه الشريفة من الفصل الثاني وبذلك
وردت الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم فروى احمد من حديث ابي بن كعب
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فاحسنها
فاكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون
منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة فانا في النبيين موضع تلك اللبنة
ورواه الترمذي عن شداد عن ابي عامر العقدي وقال حديث حسن
صحيح وفي حديث انس ابن مالك مرفوعا ان الرسالة والنبوة قد انقطعت
فلا رسول بعدي ولا نبي رواه الترمذي وغيره وفي حديث جابر مرفوعا مثلي
ومثل الانبيا كمثل رجل بنى دارا فاكملها واحسنها الا موضع لبنة فكان من دخلها
فنظر اليها قال ما احسنها الا موضع هذه اللبنة وانا موضع اللبنة ختم بي
الانبيا عليهم السلام رواه ابو داود الطيالسي وكذا البخاري ومسلم وفي حديث
ابي سعيد الخدري فجيت انا فاتممت تلك اللبنة رواه مسلم وفي حديث ابي
هريرة عند مسلم وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون فمن تشريف الله
تعالى له صلى الله عليه وسلم ختم الانبيا والمرسلين به واكمال الدين الحنيف
له وقد اخبر في كتابه ورسوله في السنة المتواترة عنه انه لا نبي بعده
ليعلموا ان كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب افاك دجال ضال مضل
ولو تخرق وشعبذ واتى بانواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال
وضلال عند اولي الالباب ولا يقدح في هذا نزول عيسى بن مريم بعده لانه
اذا نزل كان على دين نبينا صلى الله عليه وسلم ومنهاجه مع ان المراد انه اخر
من نبي قال ابو حيان من ذهب الى ان النبوة مكتسبة لا تنقطع او الى ان الولي
افضل من النبي فهو زنديق يجب قتله والله اعلم النوع الرابع في التنويه
به صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بانه صاحب

Copyright King Saud University

الرسالة والانجيل قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وهذا يدل على انه لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا
الكلام من اعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله لان الاصرار على الكذب
والبهتان من اعظم المنفرات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر
الناس عن قبول مقالته فلما قال لهم عليه السلام هذا دل على ان ذلك النعت
كان مذكورا في التوراة والانجيل وذلك من اعظم الدلايل على صحة نبوته لكن اهل
الكتاب كما قال الله تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون ويحرفون الكلم عن مواضعه
والا فهم قاتلهم الله قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا ابناءهم ووجدوه
مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل لكنهم حرفوها وبدلوها ليطفؤا نور الله
بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون فدلايل نبوة نبينا في كتابيهما
بعد تحريفهما طافحة واعلام شرايعه ورسالته فيهما لايحة فكيف يغني عنهم
انكارهم وهذا اسم النبي صلى الله عليه وسلم بالسريانية مشفحا فمشفح محمد بغير
شك واعتباره انهم يقولون شفحا لاها اذا ارادوا ان يقولوا الحمد لله واذا كان
الحمد شفحا فمشفح محمد لان الصفات التي اقروا بها هي وفاق لاحواله وزمانه
ومخرجه ومبعثه وشريعته صلى الله عليه وسلم فليدلونا على من هذه
الصفات له ومن خرت له الامم من بين يديه وانقادت له واستجابت لدعوته
ومن صاحب الجمل الذي هلكت بابل واصنامها به على انا لو لم تات بهذه الانبا
والقصص من كتبهم لم يك فيما اودع الله عز وجل القران دليل على ذلك وفي
تركهم جحد ذلك وانكاره وهو يقرعهم به دليل على اعترافهم له بانه يقول
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة
والانجيل ويقول حكاية عن المسيح اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي
من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ويقول يا اهل الكتاب
لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ويقول الذين اتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وكانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال
هذا نبي قد اظل مولده ويذكرون من صفته ما نجده ونحفي لكتابهم فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا وحرصا على الرياسة ويحتمل انهم كانوا يظنون
انه من بني اسرايل فلما بعثه الله من العرب من نسل اسماعيل عظم ذلك عليهم
واظهروا التكذيب فلعنة الله على الكافرين وقد كان صلى الله عليه وسلم
يدعوهم الى اتباعه ويصل بقهم فكيف يجوز ان يحتج بباطل من الحجج ثم يحيل
ذلك على ما عندهم وما في ايديهم ويقول من علامة نبوتي وصدقي انكم تجدوني
عندكم مكتوبا وانهم لا يجدونه كما ذكر وليس ما يزيدهم عنه بعدا وقد كان

عنا

عنا ان يدعوهم بما ينفرهم ويستميلهم بما يوحشهم وكم اسلم من علماءهم
كعبد الله بن سلام وتميم الداري وكعب وقد وقفوا منه على مثل هذه المعاني وقد روى
ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق محمد بن حمزة بن عبد الله بن سلام عن جده عبد الله
ابن سلام انه لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خرج فلقيه فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال نعم قال ناشدتك بالله الذي
انزل التوراة هل تجد صفتي في كتاب الله قال انسب ربك يا محمد فارتج النبي صلى
الله عليه وسلم فقال له جبريل قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد فقال ابن سلام اشهد انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك
على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا
يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ولكن لن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجة
حتى يقولوا لا اله الا الله يفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وقوله ليس بفظ
ولا غليظ موافق لقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك ولا يعارض قوله واغلظ عليهم لان النفي محمول على طبعه الكريم
الذي جبل عليه والامر محمول على المعالجة او النفي بالنسبة الى المومنين والامر بالنسبة
للكفار والمنافقين كما هو مصرح به في نفس الاية قلوبا غلفا اي مغشاة مغطاة
واحدها اغلف ومنه غلاف السيف وغيره واخرج البيهقي وابو نعيم عن ام الدرداء
امراة ابي الدرداء قالت قلت لكعب كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في التوراة قال كنا نجده موصوفا فيها محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ
ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق واعطي المفاتيح ليبصر الله به اعينا عورا ويسمع به
اذانا صما ويقيم به الالسنة المعوجة حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
يعين المظلوم ويمنعه من ان يستضعف وفي البخاري عن عطاء بن يسار قال
لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله
ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وعند ابن اسحق ولا صخب في الاسواق
ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل
السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا
طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه

والاسلام ملته واحيي اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به
بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به
بين قلوب مختلفة واهوا مشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس
واخرج البيهقي عن ابن عباس قال قدم الجارود فاسلم فقال والذي بعثك بالحق
لقد وجدت وصفك في الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول واخرج ابن سعد قال
لما امر ابراهيم باخراج هاجر حمل على البراق فكان لا يمر بارض عذبة سهلة الا قال
انزل ها هنا يا جبريل فيقول لا حتى اتى مكة فقال جبريل انزل يا ابراهيم قال
حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم ها هنا يخرج النبي الذي من ذرية ابنك اسماعيل
الذي تتم به الكلمة العليا وفي التوراة مما اختاروه بعد التحرف والتحريف والتبديل
ما ذكره ابن ظفر في البشر وابن قتيبة في اعلام النبوة تجلى الله من سينا واشرق من
ساعير واستعلن من جبال فاران فسينا هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى ع
وساعير هو الجبل الذي كلم الله فيه عيسى وظهرت فيه نبوته وجبال فاران
وهو اسم عبراني وليست اللفظة الاولى همزة هي جبال بني هاشم الذي كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في احدها وفيه فاتحة الوحي وهو احد ثلاثة جبال
احدها ابو قبيس والمقابل له قيقعان الى بطن الوادي والثالث الشرقي فاران
ومنفخ الذي يلي قيقعان الى بطن الوادي وهو شعب بني هاشم وفيه مولده
صلى الله عليه وسلم على احد الاقوال قال ابن قتيبة وليس بهذا الغموض لان
مجي الله من سينا انزاله التوراة على موسى عليه السلام بطور سينا ويجب ان
ان يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل وكان المسيح يسكن من ساعير
ارض الخليل بقرية تدعى ناصره وباسمها سمي من اتبعه نصارى وكما وجب ان
يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح فلذلك يجب ان يكون استعلانه من
جبال فاران بانزاله القران على محمد صلى الله عليه وسلم وهي جبال مكة وليس
بين المسلمين واهل الكتاب في ذلك اختلاف في ان فاران هي مكة وان ادعى انها غير
مكة قلنا اليس في التوراة ان الله اسكن هاجر واسماعيل فاران هي مكة دلنا ودلونا
على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي انزل عليه
كتابا بعد المسيح اوليس استعلن وعلن بمعنى واحد وهو ما ظهر وانكشف
فهل يعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه
وفي التوراة ايضا ما ذكره ابن ظفر خطابا لموسى والمراد به الذين اختارهم ع
لميقات ربه الذين اخذتهم الرجفة خصوصا ثم بني اسرائيل عموما والله ربك
يقيم نبيا من اخوتك فاستمع له كالذي سالت ربك في حوريب يوم الاجتماع
حتى قلت لا اعود اسمع صوت الله ربي لئلا اموت فقال الله لي نعم ما قالوا

وساقيم

وساقيم لهم نبيا مثلك من اخوانهم واجعل كلامي في فمه فيقول لهم كل شيء امرته وايما
رجل لم يطع من تكلم باسمي فاني انتقم منه قال وفي هذا الكلام ادلة على نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم فقوله نبيا من اخوتهم وموسى وقومه من بني اسحق واخوتهم بنو اسماعيل
ولو كان هذا النبي الموعود به من بني اسحق لكان من انفسهم لا من اخوتهم واما قوله
نبيا مثلك وقد قال في التوراة لا يقوم في بني اسرائيل احد مثل موسى وفي ترجمة اخرى
مثل موسى لا يقوم في بني اسرائيل ابدا فذهبت اليهود الى ان هذا النبي الموعود به
هو يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفوا لموسى عليه السلام بل كان
خادما له في حياته ومؤكدا الدعوته بعد وفاته فتعين ان يكون المراد به محمد صلى
الله عليه وسلم فانه كفو موسى لانه ماثله في نصب الدعوة والتحدي بالمعجزة
وشرع الاحكام واجرا النسخ على الشرائع السالفة وقوله تعالى اجعل كلامي في فمه
فانه واضح في ان المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم لان معناه اوحي اليه كلامي ع
فينطق به على ما سمعه ولا انزل صحفا ولا الواحا لانه امي لا يحسن ان يقرا المكتوب
وفي الانجيل ما ذكره ابن ظفر بل في الدر المنظوم ان يوحنا في انجيله عن المسيح انه قال
انا اطلب لكم من الاب ان يعطيكم فارقليط اخر يثبت معكم الى الابد روح الحق ع
الذي لن يطيق العالم ان يقبلوه وهو عند ابن ظفر بلفظ ان احببتموني فاحفظوا
وصيتي وانا اطلب الى ربي فيعطيكم فارقليط اخر يكون معكم الدهر كله قال
فهذا تصريح بان الله سيبعث اليهم من يقوم مقامه وينوب في تبليغ رسالة
ربه وسياسة خلقه منابه ويكون شريعته باقية مخلدة ابدا فهل هذا الا محمد
صلى الله عليه وسلم انتهى ولم يذكر تفسير الفارقليط كما افاده ابن ظفر بل سوا
يوحنا دون غيره من نقلة الاناجيل وقد اختلف النصارى في تفسير الفارقليط
فقيل هو الحامد وقيل المخلص فان وافقناهم على انه المخلص افضى بنا الامر الى ان
المخلص رسول ياتي لخلاص العالم وذلك من غرضنا لان كل نبي مخلص لامته من
الكفر ويشهد له قول المسيح في الانجيل اني جئت لخلاص العالم فاذا ثبت ان بلغ
المسيح هو الذي وصف نفسه بانه مخلص العالم وهو الذي سال الاب ان
يعطيهم فارقليط اخر وان تنزلنا معهم على القول بانه الحامد فاي لفظ اقرب
الى احمد ومحمد من هذا قال ابن ظفر وفي الانجيل مما ترجموه ما يدل على الفارقليط
الرسول فانه قال ان هذا الكلام الذي تسمعونه ليس هو لي بل الاب الذي
ارسلني بهذا الكلام لكم واما الفارقليط روح القدس الذي يرسله ابي باسمي فهو ع
يعلمكم كل شي وهو يذكركم كلما قلته لكم فهل بعد هذا بيان اليس هذا صريح
في ان الفارقليط رسول يرسله الله وهو روح القدس وهو يصدق بالمسيح
ويظهر اسمه انه رسول حق من الله وليس باله وهو يعلم الخلق كل شي ويذكرهم

Copyright King Saud University

كما قاله المسيح عليه السلام لهم وكلما امرهم به من توحيد الله **واما قوله** ابي فهذه اللفظة
مبدلة محرفة وليست منكرة الاستعمال عند اهل الكتابين اشارة الي الرب سبحانه وتعالي
لانها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم معلمه الذي يستمد منه العلم **ومن**
المشهور مخاطبة النصارى عظماء دينهم بالآباء الروحانية ولم تزل بنوا اسرائيل وبنوا
عيصوا يقولون نحن ابناء الله لسموهم عن الله تعالي **واما** قوله يرسل ابي باسمي فهو
اشارة الي شهادة المصطفي صلي الله عليه وسلم له بالصدق والرسالة وما تضمنه القرآن
من مدحه عما افتري في امره **وفي** ترجمة اخري للانجيل انه قال الفارقليط اذا جاء العالم
وبخ علي الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم
بالحوادث وهو عند ابن ظفر بل بلفظ فاذا جاء روح الحق ليس ينطق من عنده بل
يتكلم بكلما يسمع ويخبركم بما يأتي وهو يمجدني لانه ياخذ بما هو لي ويخبركم **فقوله** ليس
ينطق من عنده وفي الرواية الاخري ولا يقول من تلقاء نفسه بل يتكلم بكل ما يسمع
من الله الذي ارسله وهذا كما قال تعالي في حقه صلي الله عليه وسلم وما ينطق عن
الهوي ان هو الا وحي يوحي **وقوله** وهو يمجدني فلم يمجده حق تمجيده الا محمد صلي الله
عليه وسلم لانه وصفه بانه رسول الله وبراه وبرا امه عليهما السلام مما نسبه اليهما
وامر امته بذلك قال ابن ظفر فمن ذا الذي وبخ العالم علي كتمان الحق وتحريف الكلم
عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس ومن الذي انذر بالحوادث واخبر بالغيوب
الا محمد صلي الله عليه وسلم ولله در ابي محمد عبد الله الشقراطيسي حيث قال في قصيدته الشهيرة

توراة موسي اتت عنه فصدقها ... انجيل عيسي بحق غير مفتعل
اخبار احبار اهل الكتب قد وردت ... عما راوا ورووا في الاعصر الاول

ويعجبني قول العارف الرباني عبد الله بن النعمان

هذا النبي محمد جاءت به ... توراة موسي للانام تبشر
وكذاك انجيل المسيح موافق ... ذكرا لاحمد معرب ومذكر

ويرحم الله ابن جابر حيث قال

لمبعثه في كل جيل علامة ... علي ما جلته الكتب من امره الجلي
تغابه انجيل عيسي باخره ... كما قد مضت توراة موسي باول

وفي الدلائل للبيهقي عند الحاكم بسند لا باس به عن ابي امامة الباهلي عن هشام
ابن العاص الاموي قال بعثت انا ورجل اخر الي هرقل صاحب الروم ندعوه الي
الاسلام فذكر الحديث وانه ارسل اليهما ليلا قال فدخلنا عليه فدعا بشي كهيئة الربعة
العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها ابواب ففتح واستخرج حريرة سودا
فنشرها فاذا فيها صورة حمرا واذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ار مثل طول
عنقه واذا الضفيرتان احسن ما خلق الله تعالي قال اتعرفون هذا قلنا

لا قال

لا قال هذا آدم عليه السلام ثم فتح بابا اخر فاستخرج حريرة سودا واذا فيها صورة
بيضا احمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال اتعرفون هذا قلنا لا قال
هذا نوح عليه السلام قال ثم فتح بابا اخر واخرج حريرة فاذا فيها صورة بيضا
فاذا فيها والله رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اتعرفون هذا قلنا نعم محمد
رسول الله وبكينا قال والله انه قام قائما ثم جلس وقال انه لهو قلنا نعم انه كانك
تنظر اليه فامسك ساعة ينظر اليها ثم قال اما والله انه لاخر البيوت ولكني عجلته لكم
لانظر ما عندكم الحديث وفيه ذكر صور الانبيا ابراهيم وموسي وعيسي وسليمان
وغيرهم قال فقلنا له من اين لك هذه الصور فقال ان آدم عليه السلام سال ربه
ان يريه الانبيا من ولده فانزل عليه صورهم فكان في خزانة آدم عليه السلام عند
مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها الي دانيال **وفي**
زبور داود عليه السلام في مزمور اربعة واربعين فاضت النعمة من شفتيك من
اجل هذا باركك الله الي الابد تقلد ايها الجبار السيف فان شرايعك وسننك مقرونة
بهيبة يمينك وشالك مسنونة وجميع الامم يخرون تحتك **فهذا** المزمور بنبوة
محمد صلي الله عليه وسلم فالنعمة التي فاضت من شفتيه هي القول الذي يقوله
وهو الكتاب الذي انزل عليه والسنة التي سنها وفي قوله تقلد بسيفك ايها الجبار
دلالة علي انه النبي العربي اذ ليس يتقلد السيوف امة من الامم سوي العرب فكلهم
يتقلدونها علي عواتقهم وفي قوله فان شرايعك وسننك نص صريح انه صاحب
شريعة وسنة وانها تقوم بسيفه **والجبار** الذي يجبر الخلق بالسيف علي الحق ويصرفهم
عن الكفر جبرا **وعن** وهب بن منبه قال قرات في بعض الكتب القديمة قال الله
تبارك وتعالي وعزتي وجلالي لانزلن علي جبال العرب نورا يملا ما بين المشرق والمغرب ولاخرجن
من ولد اسمعيل نبيا عربيا اميا يومن به عدد نجوم السما ونبات الارض كلهم يومن بي
ربا وبه رسولا يكفرون بملل ابايهم ويفرون منها قال موسي سبحانك وتقدست اسماوك
لقد كرمت هذا النبي وشرفته قال الله ياموسي اني انتقم من عدوه في الدنيا والاخرة
واظهر دعوته علي كل دعوة واذل من خالف شريعته بالعدل زينته وللقسط
اخرجته وعزتي لاستنقذن به امما من النار فتحت الدنيا بابراهيم واختمها بمحمد
فمن ادركه ولم يومن به ولم يدخل في شريعته فهو من الله بري ذكره ابن ظفر وغيره

النوع الخامس في ايات تتضمن اقسامه تعالي علي تحقق رسالته وثبوت ما اوحي اليه
من اياته وعلو رتبته الرفيعة ومكانته وهذا النوع اغرك لخصت اكثره من كتاب
اقسام القران للعلامة ابن القيم مع زيادة من فرايد الفوايد **فاعلم** انه تعالي اقسم
بامور علي امور وانما اقسم بنفسه الموصوفة بصفاته او باياته المستلزمة لذاته
وصفاته واقسامه ببعض مخلوقاته دليل علي انه من عظيم اياته ثم انه تعالي تارة

Copyright King Saud University

بذكر جواب القسم وهو الغالب وتارة يحذفه وتارة يقسم على ان القران حق وتارة على
ان الرسول حق وتارة على ان الجزا والوعد والوعيد فالاول كقوله تعالى فلا اقسم
بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم **والثاني** كقوله تعالى يس
والقران الحكيم انك لمن المرسلين **والثالث** كقوله والذاريات ذروا الى قوله وان
الدين لواقع **وهذه** الامور الثلاثة متلازمة فمتى ثبت ان الرسول حق ثبت ان
القران حق وثبت المعاد ومتى ثبت ان القران حق ثبت صدق الرسول الذي
جا به ومتى ثبت ان الوعد والوعيد حق ثبت صدق الرسول الذي جا به وفي
هذا النوع خمسة فصول **الفصل الاول في قسمه تعالى** على ما خصه به من الخلق العظيم
وحباه من الفضل العميم قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك
بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم ن من اسما الحروف كالم
والمص وق واختلف فيها فقيل هي اسما القران وقيل اسما للسور وقيل اسما الله ويدل
عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق كما قيل ولعله اراد
يا منزلها وقيل انه سر استاثر الله بعلمه **وقد** روي عن الخلفا الاربعة وغيرهم من
الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله لم يقصد
بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد وهل المراد بقوله تعالى هنا ن اسم
الحوت وهل المراد به الجنس او البهموت وهو الذي عليه الارض وقيل المراد به الدواة
وهو مروي عن ابن عباس ويكون هنا قسما بالدواة والقلم فان المنفعة بهما بسبب
الكتابة عظيمة فان التفاهم تارة يحصل بالنطق وتارة بالكتابة وقيل ان نون لوح
من نور تكتب فيه الملايكة ما يامرهم به رواه معاوية ابن قرة مرفوعا اقسم تعالى
بالكتاب والسنة وهو القلم الذي احدى اياته واول مخلوقاته الذي جرى به قدره
وشرعه وكتب به الوحي وقيد به الدين واثبتت به الشريعة وحفظت به العلوم
وقامت به مصالح العباد في المعاش واقام في الناس ابلغ خطيب وافصحه وانفعه
لهم وانصحه وواعظا تشفي مواعظه القلوب من السقم وطبيبا يبري باذن باريه
من الانواع الالم على تنزيه نبيه ورسوله محمد المحمود في كل افعاله واقواله مما غمصه
اعداوه الكفرة به وتكذيبهم له بقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون وكيف
يرمى بالجنون من اتى بما عجزت العقلا قاطبة عن معارضته وكلت عن مماثلته
وعرفهم عن الحق ما لا تهتدي اليه عقولهم بحيث اذعنت له عقول العقلا
وخضعت له الالباب الالبا وتلاشت في جنب ما جا به بحيث لم يسعها الا التسليم
والانقياد والاذعان طايعة مختارة فهو الذي كمل عقولها كما يكمل الطفل برضاع
الثدي ثم اخبر تعالى عن كمال حالتي نبيه صلى الله عليه وسلم في دنياه واخرته
فقال وان لك لاجرا غير ممنون اي ثوابا غير منقطع بل هو دايم مستمر ونكر

الاجر

الاجر للتعظيم اي اجرا عظيما لا يدركه الوصف ولا ينال بالتعبير ثم اثنى عليه بما منحه
فقال وانك لعلى خلق عظيم وهذه من اعظم ايات نبوته ورسالته **ولقد** سيلت
عايشة رضي الله تعالى عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه
القران ومن ثم قال ابن عباس وغيره اي على دين عظيم وسمي الدين خلقا لان الخلق
هيية مركبة من علوم صادقة وارادات زاكية واعمال ظاهرة وباطنة موافقة
للعدل والحكمة والمصلحة واقوال مطابقة للحق تصدر تلك الاقوال والاعمال
عن تلك العلوم والارادات تكتسب النفس بها اخلاقا وهي ازكى الاخلاق واشرفها
وافضلها وهذه كانت اخلاقه صلى الله عليه وسلم المقتبسة من القران وارادته واعماله
ما اوجبه وندب اليه القران واعراضه وتركه لما منع منه القران ورغبته فيما
رغب فيه القران وزهده فيما زهد فيه وكراهته لما كرهه ومحبته لما احبه وسعيه
في تنفيذ اوامره فترجمت ام المومنين لكمال معرفتها بالقران وبالرسول وحسن
تعبيرها عن هذا كله بقولها كان خلقه القران وفهم السايل عنها هذا المعنى فاكتفى
به واشتفى ولما وصفه تعالى بانه على خلق عظيم قال فستبصر ويبصرون بايكم
المفتون اي فستري يا محمد وسيرى المشركون كيف عاقبة امرك فانك تصير
معظما في القلوب ويصيرون اذلا مغلوبين وتستولي عليهم بالقتل والنهب ثم
الفصل الثاني في قسمه تعالى على ما انعم به عليه واظهره من قدره العلي لديه ثم
قال الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى السورة اقسم تعالى على
انعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم واكرامه له واعطايه ما يرضيه وذلك يتضمن
لتصديقه له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزايه في الاخرة فهو قسم على النبوة والمعاد
واقسم تعالى بايتين عظيمتين من اياته دالتين على ربوبيته ورحمانيته وحكمته
ورحمته وهما الليل والنهار وفسر بعضهم كما حكاه الامام فخر الدين الضحى بوجهه صلى
الله عليه وسلم والليل بشعره قال ولا استبعاد فيه وتامل مطابقة هذا القسم
وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه
بعد احتباسه عنه حتى قال اعداوه ودع محمدا ربه حتى اقسم بضو النهار بعد
ظلمة الليل على ضو الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه وايضا فان الذي
اقتضت رحمته ان لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدا بل هداهم بضو النهار الى
مصالحهم ومعايشهم لا يتركهم في ظلمة الجهل والغي بل يهديهم بنور الوحي والنبوة الى
مصالح دنياهم واخرتهم فتامل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه وتامل هذه
الجزالة والرونق البادي على هذه الالفاظ والجلالة التي على معانيها ونفى سبحانه
ان يكون ودع نبيه او قلاه والتوديع الترك والقلا البغض اي ما تركك منذ اعتنى
بك ولا ابغضك منذ احبك وحذف الكاف في قلا اكتفا بكاف ودعك ولان روس الايات

Copyright King Saud University

بالبانا وجب اتفاق الفواصل حتى فيها وهذا يعم كل احواله وان كل حالة يرقيه اليها هي خير لمما قبله كما ان الدار الاخرة هي خير له مما قبلها ثم وعده بما يقر به عينه وتفرح به نفسه وينشرح به صدره وهو انه يعطيه فيرضي وهذا يعم ما يعطيه من القران والهدى والنصر والظفر باعدايه يوم بدر وفتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا والغلبة على بني قريظة والنضير وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفايه الراشدين في اقطار الارض من المداين وما قذف في قلوب اعدايه من الرعب ونشر الدعوة ورفع ذكره واعلا كلمته وما يعطيه بعد مماته وما يعطيه في موقف القيامة من الشفاعة والمقام المحمود وما يعطيه في الجنة من الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر وقال ابن عباس يعطيه الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابها المسك وفيها ما يليق بها وبالجملة فقد دلت هذه الاية على انه تعالى يعطيه عليه السلام كلما يرضيه واما ما يغتر به الجهال من انه لا يرضى واحد من امته في النار او لا يرضى ان يدخل احد من امته النار فهو من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم فانه صلوات الله وسلامه عليه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة ثم يحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدا يشفع فيهم كما سياتي في الفصل الاخير ان شا الله تعالى ورسوله عليه السلام اعرف به وبحقه من ان يقول لا ارضي ان يدخل احد امتي النار او ندعه فيها بل ربه تبارك وتعالى ياذن له فيشفع فيمن شا الله ان يشفع فيه ولا يشفع في غير من اذن له ورضيه ثم ذكره سبحانه بنعمه عليه من ايوايه بعد يتمه فقال الم يجدك يتيما فاوى وذهب بعضهم الى ان معنى اليتيم من قولهم درة يتيمة اي الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فاواك اليه واغناك بعد الفقر ثم امره سبحانه ان يقابل هذه النعم الثلاث بما يليق من الشكر فنهاه ان يقهر اليتيم وان ينهر السايل وان يكتم النعمة بل يحدث بها فان من شكر النعمة الحديث بها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها **الفصل الثالث في قسمه تعالى** على تصديقه عليه الصلاة والسلام فيما اتى به من وحيه وكتابه وتنزيهه عن الهوى في خطابه قال الله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى اقسم تعالى بالنجم على تنزيهه رسوله وبرايته مما نسبه اليه اعداوه من الضلالة والغي واختلف المفسرون في المراد بالنجم بتاويل معروفة منها النجم على ظاهره وتكون ال للتعريف العهد في اقوال وللتعريف الجنس في اخر وهي النجوم التي يهتدى بها فقيل الثريا اذا سقطت وغابت وهو مروي عن ابن عباس في رواية علي بن ابي طلحة وعطيه والعوفي اذا اطلقت النجم تريد به الثريا وعن ابن عباس في رواية عكرمة النجوم التي يرمى بها الشياطين اذا سقطت في اثارها عند استراق السمع وهذا قول الحسن وعن السدي الزهرة وعن الحسن النجوم اذا سقطت يوم القيامة وقيل المراد به

النبت الذي لا ساق له وهوى اي سقط على الارض وقيل القران رواه الكلبي عن ابن عباس لانه نزل نجوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول مجاهد ومقاتل والضحاك وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين هو محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى نزل من السما ليلة المعراج واظهر الاقوال كما قاله ابن القيم انها النجوم التي ترمى بها الشياطين ويكون سبحانه قد اقسم بهذه الاية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله تعالى اية وحفظها للوحي من استراق الشياطين على ان ما اتى به رسوله حق وصدق لا سبيل للشياطين ولا طريق له اليه بل قد حرس بالنجم اذا هوى رصدا بين يدي الوحي وحرسا له وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية الظهور وفي المقسم به دليل على المقسم عليه وليس بالبين تسمية القران عند نزوله بالنجم اذا هوى ولا تسمية نزوله هويا ولا عهد في القران بذلك فيحمل هذا اللفظ عليه وليس بالبين ايضا القسم بالنجوم عند انتثارها يوم القيامة بل هذا مما يقسم الرب عليه ويدل عليه باياته فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين ولا سيما منكري البعث فانه سبحانه انما يستدل بما لا يمكن جحده ولا المكابرة فيه ثم انه بين المقسم به والمقسم عليه ما لا يخفى فان قلنا ان المراد النجوم التي هي للاهتدا فالمناسبة ظاهرة وان قلنا ان المراد الثريا فلانه اظهر للنجوم عند الراي لانه لا يشتبه بغيره في السما بل هو ظاهر لكل احد والنبي صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بما منح من الايات البينات لان الثريا اذا ظهرت من المشرق حان ادراك الثمار واذا ظهرت من المغرب قرب اوان الخريف فيقل الامراض والنبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر قل الشرك والامراض القلبية وان قلنا المراد بها القران فهو اشد لا له بمعجزته صلى الله عليه وسلم على صدقه وبراته وانه ما ضل ولا غوى وان قلنا ان المراد النبات فالنبات به ثبات القوى الجسمانية وصلاحها والقوى العقلية اولى بالصلاح وذلك بالرسل وايضاح السبل وتامل كيف قال تعالى وما صاحبكم ولم يقل ما ضل محمد تاكيدا لاقامة الحجة عليهم بانه صاحبهم وهم اعلم الخلق به وبحاله واقواله واعماله وانهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون عليه امرا واحدا قط وقد نبه تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل ام لم يعرفوا رسولهم ثم نزه نطق رسوله صلى الله عليه وسلم ان يصدر عن هوى فقال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولم يقل وما ينطق بالهوى لان نفي نطقه عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوى واذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به فتضمن نفي الامرين نفي الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن النطق نفسه فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال ثم قال تعالى ان هو الا وحي يوحى فاعاد الضمير عايدا الى القران فان نطقه بالقران والسنة وان كلاهما وحي يوحى قال الله تعالى وانزل الله عليك

تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها اذا غاية ... ليس

على المصدر المفهوم من الفعل اي ما نطقه الا وحي وهذا احسن من جعل الضمير

الكتاب والحكمة وهما القرآن والسنة وذكر الاوزاعي عن حسان بن عطية قال كان جبريل
ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياها
ثم اخبر تعالى عن وصف من علمه بالوحي والقرآن بما يعلم انه مضاد لاوصاف الشيطان
معلم الضلال والغواية فقال علمه شديد القوى وهو جبريل اي قواه العلمية
والعملية كلها شديدة ولا شك ان مدح المعلم مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل ولم يصفه
لم يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة وهذا نظير قوله تعالى ذي
قوة عند ذي العرش مكين كما سيأتي البحث فيه ان شاء الله تعالى ثم اخبر سبحانه
وتعالى عن تصديق فؤاده لما رأته عيناه وان القلب صدق العين وليس كمن
راى شيئا على خلاف ما هو به فكذب فؤاده بصره بل ما رآه ببصره صدقه الفؤاد
وعلم انه كذلك وفي قصة الاسراء مزيد لما ذكرته هنا والله الموفق والمعين
وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم
اي لا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم واقسم ولا مزيد للتاكيد وهذا قول
اكثر المفسرين بدليل قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم قال الزمخشري والوجه
ان يقال هي للنفي اي انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له فكانه بادخال حرف النفي يقول
ان اعظامي باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك اقسم سبحانه وتعالى
بالنجوم في احوالها الثلاثة من طلوعها وجريانها وغروبها وبانصرام الليل واقبال
النهار عقيبه من غير فصل فذكر سبحانه حالة ضعف هذا وادباره وحالة قوة
هذا وتنفسه واقباله بطرد ظلمة الليل بتنفسه فكلما تنفس هرب الليل
وادبر النهار بين يديه وذلك من اياته ودلائل ربوبيته ان القرآن قول رسول كريم وهو هنا
جبريل لانه ذكر صفته قطعا بعد ذلك بما يعينه به واما الرسول الكريم في الحاقة فهو محمد صلى الله
عليه وسلم فاضافه الى الرسول الملكي تارة والى البشري اخرى واضافته اليهما اضافة تبليغ
لا اضافة انشاء من عندهما ولفظ الرسول يدل على ذلك فان الرسول هو الذي يبلغ كلام من
ارسله جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم فجبريل تلقاه عن الله ومحمد صلى الله عليه وسلم عن
جبريل وقد وصف الله تعالى رسوله الملكي في هذه السورة بانه كريم يعطي افضل العطايا
وهي العلم والمعرفة والهداية والبر والارشاد وهذا غاية الكرم ذو قوة كما قال في النجم علمه شديد
القوى يمنع بقوته الشياطين ان تدنوا منه وان يزيدوا فيه او ينقصوا منه ويروى
انه رفع قريات قوم لوط الاربع على قوادم جناحه حتى سمع اهل السماء نباح كلابها واصوات
بنيها عند ذي العرش مكين اي متمكن المنزلة وهذه العندية عندية الاكرام والتشريف
والتعظيم مطاع في ملائكة الله المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه امين
على وحي الله ورسالته قد عصمه الله من الخيانة والزلل فهذه خمس صفات تتضمن
تزكية سند القرآن وانه سماع محمد صلى الله عليه وسلم من جبريل وسماع جبريل من رب

العالمين

بلغ

ذكر

العالمين فناهيك بهذا السند علوا وجلالة فقد تولى الله تزكيته بنفسه ثم نزه رسوله
البشري وزكاه مما تقول فيه اعداؤه فقال وما صاحبكم بمجنون وهذا امر يعلمونه
ولا يشكون فيه وان قالوا بالسنتهم خلافه فهم يعلمون انهم كاذبون ثم اخبر عن رؤيته
صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام وهذا يتضمن انه ملك موجود في الخارج يرى
بالعيان ويدرك بالبصر خلافا للقوم فحقيقته عندهم انه خيال موجود في الاذهان
لا في العيان وهذا مما خالفوا فيه جميع الرسل واتباعهم وخرجوا به عن جميع الملل ولهذا
كان تقرير رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل اهم من تقرير رؤيته لربه تبارك
وتعالى فان رؤيته عليه السلام لجبريل هي اصل الايمان الذي لا يتم الا باعتقادها ومن انكرها
كفر قطعا واما رؤيته لربه تعالى فغايتها ان تكون مسألة نزاع لا يكفر جاحدها بالاتفاق
وقد صرح جماعة من الصحابة بانه لم يره فنحن الى تقرير رؤيته لجبريل احوج منا الى تقرير
رؤيته لربه تعالى وان كانت رؤية الرب سبحانه وتعالى اعظم من رؤية جبريل فان
النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها البتة ثم نزه تعالى رسوليه كلاهما صلى الله عليه وسلم
احدهما بطريق اللزوم عما يضاد مقصود الرسالة من الكتمان الذي هو الضن
والبخل والتبديل والتغيير الذي يوجب التهمة فقال وما هو على الغيب بضنين
فان الرسالة لا يتم مقصودها الا بامرين اداؤها من غير كتمان واداؤها على وجهها من
غير زيادة ولا نقصان والقراءتان كالايتين فتضمنت احداهما وهي قراءة الضاد
تنزيهه عن البخل فان الضنين البخيل يقال ضننت به اضن بوزن بخلت ابخل
ومعناه وقال ابن عباس ليس ببخيل بما انزل الله وقال مجاهد لا يضن عليهم بما يعلم
واجمع المفسرون على ان الغيب هاهنا القرآن والوحي قال الفراء يقول تعالى يأتيه
غيب من السماء وهو منفوس فيه فلا يضن به عليكم وهذا معنى حسن جدا فان
عادة النفوس الشح بالشيء النفيس ولا سيما عن من لا يعرف قدره ومع هذا فالرسول
صلى الله عليه وسلم لا يبخل عليكم بالوحي الذي هو انفس شيء واجله وقال ابو علي الفارسي
المعنى يأتيه الغيب فيبينه ويخبر به ويظهره ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده
ويخفيه حتى يأخذ عليه حلوانا واما قراءة من قرأ بظنين بالظاء فمعناه المتهم
يقال ظننت زيدا بمعنى اتهمته وليس هو من الظن الذي هو الشعور والادراك
فان ذلك يتعدى الى مفعولين والمعنى وما هذا الرسول على القرآن بمتهم بل هو
امين فيه لا يزيد فيه ولا ينقص منه وهذا يدل على ان الضمير فيه يرجع الى
محمد صلى الله عليه وسلم لانه قد تقدم وصف الرسول الملكي بالامانة ثم قال وما
صاحبكم بمجنون ثم قال وما هو اي وما صاحبكم بمتهم ولا بخيل فنفى سبحانه عن رسوله
صلى الله عليه وسلم ذلك كله وزكى سند القرآن اعظم تزكية والله يقول الحق
وهو يهدي السبيل وقال تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون

بطريق النطق
والثاني بطريق

٢٤٣

انه لقول رسول كريم الاية اقسم تعالى بالاشيا كلها ما يبصر منها وما لا يبصر وهذا اعم
قسم وقع في القرآن فانه يعم العلويات والسفليات والدنيا والاخرة وما يرى وما لا يرى
ويدخل في ذلك الملايكة كلهم والجن والانس والعرش والكرسي وكل مخلوق وذلك كله من
ايات قدرته وربوبيته ففي ضمن هذا القسم ان كلما يرى وما لا يرى اية ودليل على
صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وانما جا به هو من عند الله تعالى وهو كلامه تعالى
لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن وانه حق ثابت كما ان ساير الموجودات ما يرى منها
وما لا يرى حق كما قال تعالى فورب السما والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون
فكانه سبحانه وتعالى يقول انما في القران حق كما ان ما تشاهدونه من الخلق وما لا
تشاهدونه حق موجود ويكفي الانسان مع جميع ما يبصره وما لا يبصره نفسه
ومبدا خلقه ونشاته وما يشاهد من احواله ظاهرا وباطنا ففي ذلك ابين دلالة
على وحدانية الرب وثبوت صفاته وصدق ما اخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم
ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم تخالط بشاشة الايمان قلبه ثم اقام سبحانه البرهان
القاطع على صدق رسوله وانه لم يتقول عليه فيما قاله وانه لو تقول عليه وافترى
عليه واضل عباده واستباح دما من كذبه وحريمهم واموالهم فكيف يليق باحكم الحاكمين
واقدر القادرين ان يقر على ذلك بل كيف يليق ان يؤيده وينصره ويعليه ويظهره
ويظفره بهم ويسفك دماهم ويستبيح اموالهم واولادهم ونساهم قائلا ان الله امرني
بذلك واباحه لي بل كيف يليق به ان يصدقه بانواع التصديق كلها فيصدقه باقراره
وبالايات المستلزمة لصدقه ثم يصدقه بانواعها كلها على اختلافها فكل اية على انفرادها
مصدقة له ثم يقيم الدلالة القاطعة على ان هذا قوله وكلامه فيشهد له باقراره
وتعلمه فقوله من اعظم المحال وابطل الباطل وابين البهتان ان يجوز على احكم الحاكمين
ان يفعل ذلك والمراد بالرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قد منه لانه
لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعد لو انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون
ما كانوا يصفون جبريل عليه السلام بالسحر والكهانة ومن ذلك قوله تعالى فلا اقسم
بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا
المطهرون قيل المراد بالكتاب المكنون اللوح المحفوظ قال ابن القيم والصحيح انه
الكتاب الذي بايدي الملايكة وهو المذكور في قوله تعالى في صحف مطهرة بايدي
سفرة كرام بررة قال مالك احسن ما سمعت في هذه انها مثل الذي في عبس قال ومن
المفسرين من قال ان المراد ان المصحف لا يمسه الا طاهر والاول ارجح لان الاية سيقت
تنزيها للقرآن ان تنزل به الشياطين وان محله لا تصل اليه كما قال تعالى وما تنزلت به
الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون وايضا فان قوله لا يمسه بالرفع
فهذا خبر لفظا ومعنى ولو كان نهيا لكان مفتوحا ومن حمل الاية على النهي

احتاج

احتاج الى صرف الخبر عن ظاهره الى معنى النهي والاصل في الخبر والنهي حمل كل منهما على
حقيقته وليس هاهنا موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر الى النهي انتهى ملخصا
وهذا الذي قاله ابن القيم قد تمسك به جماعة منهم داود بانه يجوز مس المصحف
للمحدث وقد اجاب ابن الرفعة في الكفاية عن ادلتهم المزخرفة فقال ما نصه
القران لا يصح مسه فعلم ان المراد به الكتاب الذي هو اقرب المذكورين ولا يتوجه
النهي الى اللوح المحفوظ لانه غير منزل ومسه غير ممكن ولا يمكن ان يكون المراد
بالمطهرين الملايكة لانه قد نفى واثبت فكانه قال يمسه المطهرون ولا يمسه
غير المطهرين والسما ليس فيها غير مطهر بالاجماع فعلم انه اراد المطهرين من
الادميين ويبين ذلك ما روي انه عليه الصلاة والسلام قال في كتاب عمرو بن حزم
المروي في الدارقطني وغيره ولا تمس القران الا وانت على طهر ثم قال فان قيل
قد قال الواحدي ان اكثر اهل التفسير على ان المراد اللوح المحفوظ وان المطهرين
الملايكة ثم لو صح ما قلتم لم يكن فيها دليل لان قوله لا يمسه بضم السين ليس بنهي
عن المراد ولو كان نهيا لكان بفتح السين فهو اذا خبر قلنا اما قول اكثر المفسرين
فهو معارض بقول التابعين والمرجع الى الدليل ولما كون المراد بالاية الخبر فجوابه
انا نقول اللفظ لفظ الخبر ومعناه النهي وهو كثير في القرآن قال الله تعالى
لا تضار والدة بولدها والمطلقات يتربصن انتهى واجاب العلامة البساطي
في شرحه لمختصر الشيخ خليل بان يمسه مجزوم وضم السين لاجل الضمير كما صرح
به جماعة وقالوا انه مذهب البصريين ومنهم ابن الحاجب في مشافهته انتهى
وقد ذكر هذه العلامة شهاب الدين احمد بن يوسف بن محمد الحلبي
المشهور بالسمين مع زيادة ايضاح وفوايد في لا هذه وجهان الثاني انها ناهية
والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى
لم يمسسهم سوء ولكنه ادغم ولما ادغم حرك اخره بالضمة لاجل ها ضمير المذكر الغايب
ولم يحفظ سيبويه في نحو هذا الا الضم وفي الحديث انا لم نرده عليك الا انا
حرم وان كان القياس جواز فتحه تخفيفا قال وبهذا الذي ذكرته يظهر فساد
رد من رد بانه لو كان نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم
ما قبل الها في هذا النحو لا سيما على راي سيبويه فانه لا يجيز غيره الفصل
الرابع في تسميه تعالى على تحقيق رسالته قال الله سبحانه وتعالى يس
والقران الحكيم انك لمن المرسلين الاية اعلم ان كل سورة بدا الله تعالى بحروف
التهجي كان في اوايلها الذكر او الكتاب او القران الا نون ثم ان في ذكر هذه الحروف
في اوايل السور امور تدل على انها غير خالية عن الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها الا
ان كشف الله له سر ذلك واختلف المفسرون في معنى يس على اقوال احدها انه يا انسان

بب
قوله انا لم نرده عليك الا انا حرم كذا في نسخة الدال وبعضهم
قال في الحواشي انه كان لحم حمار وحشي
٥١ ع ن

فيهما

مطلب الاختلاف في معنى يس

Copyright ... University

بلغة طي وهذا قول ابن عباس والحسن وعكرمة والضحاك وسعيد بن جبير وقيل بلغة
الحبشية وقيل بلغة كلب وحكى الكلبي انها بالسريانية قال الامام فخر الدين وتقريره
هو ان تصغير انسان انيسين وكانه حذف الصدر منه واخذ العجز وقال ياسين
وعلى هذا يكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى انك لمن
المرسلين وتعقبه ابو حيان بان الذي نقل عن العرب في تصغير انسان انيسيان بيا
بعدها الياء دل على ان اصله انسيان لان التصغير يرد الاشيا الى اصولها ولا نعلم انهم
قالوا في تصغيره انيسين وعلى تقدير انه يصغر كذلك فلا يجوز ذلك الا ان يبنى على
الضم لانه منادى مقبل عليه ومع ذلك فلا يجوز لانه تحقير ويمتنع ذلك في حق
النبوة انتهى قال السمين وهذا الاعتراض الاخير صحيح فقد نصوا على ان
التصغير لا يدخل في الاسما المعظمة شرعا ولذلك يحكى ان ابن قتيبة لما قال في المهيمن
انه مصغر من مومن والاصل مؤيمن فابدلت الهمزة ها قيل له هذا يقرب من الكفر
فليتق الله قائله وقيل معنى ياسين يا محمد قاله ابن الحنفية والضحاك وقيل يا رجل
قاله ابو العالية وقيل هو اسم من اسما القران قاله قتادة وعن ابي بكر الوراق
يا سيد البشر وعن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم
وفيه من تعظيمه وتمجيده ما لا يخفى وعن طلحة عن ابن عباس انه قسم اقسم الله به
وهو من اسمائه وعن كعب اقسم الله به قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام يا محمد
انك لمن المرسلين ثم قال والقران الحكيم انك لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا
لست مرسلا فاقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه من المرسلين بوحيه الى عباده وعلى
طريق مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم
يقسم الله تعالى باحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له صلى الله عليه وسلم الفصل
الخامس في قسمه تعالى بمدة حياته صلى الله عليه وسلم وعصره وبلده قال الله تعالى
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون العمر والعمر واحد ولكنه في القسم يفتح لكثرة الاستعمال
فاذا اقسموا قالوا لعمرك القسم قال النحويون ارتفع قوله لعمرك بالابتدا والخبر
محذوف والمعنى قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دليلا عليه وباب القسم يحذف منه
الفعل نحو تالله لافعلن والمعنى احلف بالله فيحذف احلف لعلم المخاطب بانك حالف
قال الزجاجي من قال لعمر الله كانه حلف ببقا الله ومن ثم قالت المالكية والحنفية
ينعقد بها اليمين لان بقا الله من صفات ذاته وعن مالك لا يعجبني الحلف بذلك
وقال الامام الشافعي واسحق لا يكون يمينا الا بالنية وعن احمد كالمذهبين والراجح
عنه كالشافعي واختلف فيمن المخاطب في الاية على قولين احدهما ان الملائكة
قالت للوط عليه السلام لما وعظ قومه وقال هؤلا بناتي لعمرك انهم لفي سكرتهم
يعمهون اي يتحيرون فكيف يعقلون قولك ويلتفتون الى نصيحتك والثاني

ان

ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه تعالى اقسم بحياته وفي هذا تشريف
عظيم ومقام رفيع وجاه عريض قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرا وما برا نفسا
اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله اقسم بحياة احد غيره قال
الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون رواه ابن جرير ومراده بقوله وما سمعت
الله المتلو في الكتب المنزلة ورواه البغوي في تفسيره بلفظ وما اقسم الله بحياة احد
الا بحياته وما اقسم بحياة احد غيره وذلك يدل على انه اكرم خلق الله تعالى على الله
وعلى هذا فيكون قسمه تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا في قصة
لوط قال القرطبي واذا اقسم الله تعالى بحياة احد غيره وذلك يدل نبيه فانما
اراد بيان التصريح لنا انه يجوز لنا ان نحلف بحياته وقد قال الامام احمد في من اقسم
بالنبي صلى الله عليه وسلم ينعقد به يمينه ويجب الكفارة بالحنث واحتج بكونه صلى
الله عليه وسلم احد ركني الشهادة وقال ابن خويز منداد واستدل من جوز
الحلف به عليه الصلاة والسلام بان ايمان المسلمين جرت من عهده صلى الله عليه
وسلم ان يحلفوا به صلى الله عليه وسلم حتى ان اهل المدينة الى يومنا هذا اذا جاءهم احدهم
صاحبه قال احلف لي بحق ما حواه صاحب هذا القبر وبحق ساكن هذا القبر
يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد
الاية اقسم الله تعالى بالبلد الامين وهو مكة ام القرى وبلده عليه الصلاة والسلام
وقيده بحلوله عليه الصلاة والسلام اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان
بشرف اهله قاله البيضاوي ثم اقسم بالوالد وما ولد وهو فيهما قيل ابراهيم واسماعيل
وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فتتضمن السورة القسم به في موضعين
وقيل المراد به آدم وذريته وهو قول الجمهور من المفسرين وانما اقسم الله تعالى
بهم لانهم اعجب خلق الله على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق واستخراج العلوم
وفيهم الانبيا والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه وكل ما في الارض من مخلوق فخلق
لاجلهم وعلى هذا فقد تضمن القسم اصل المكان واصل السكان فمرجع البلاد الى مكة
ومرجع العباد الى آدم وقوله وانت حل هو من الحلول ضد الظعن فيتضمن اقسامه
تعالى ببلده المشتمل على عبده ورسوله فهو خير البقاع واشتمل على خير العباد
فقد جعل الله تعالى بيته هدى للناس ونبيه اماما وهاديا لهم وذلك من
اعظم نعمه واحسانه الى خلقه وقيل المعنى وانت مستحل قتلك واخراجك من
هذا البلد الامين الذي يامن فيه الطير والوحش وقد استحل فيه قومك
حرمتك وهذا مروي عن شرحبيل بن سعد وعن قتادة وانت حل اي لست باثم
وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت وذلك ان الله تعالى يفتح عليه مكة واحلها
وما فتحت على احد قبله فاحل ما شا وحرم ما شا فقتل ابن خطل وهو متعلق

Copy… ersity

باستار الكعبة وغيره وحرم دار ابي سفيان فان قيل هذه السورة مكية وانت حل
بهذا البلد اخبار عن الحال والواقعة التي ذكرت في اخر مدة بهجرته الي المدينة م
فكيف الجمع بين الامرين اجيب بانه قد يكون اللفظ للحال والمعني مستقبل كقوله
تعالي انك ميت وانهم ميتون وعلي كل حال فهذا متضمن للقسم ببلد رسوله عليه
السلام ولا تخفي ما فيه من زيادة التعظيم وقد روي ان عمر ابن الخطاب رضي الله
عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من
فضيلتك عند الله ان اقسم بحياتك دون ساير الانبيا ولقد بلغ من فضيلتك عنده
ان اقسم بتراب قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد وقال تعالي والعصر ان الانسان
لفي خسر اختلف في تفسير العصر علي اقوال فقيل هو الدهر لانه مشتمل علي الاعاجيب
لانه تحصل فيه السرا والضرا والصحة والسقم وغير ذلك وذكر العصر التي تغضبه
بنقص عمرك فاذا لم يكن في مقابلته كسب صار ذلك عين الخسران ولله در القايل
انا لنفرح بالايام نقطعها ، وكل يوم مضي نقص من الاجل
وفي تفسير الامام فخر الدين والبيضاوي ووافقه عليه العلامة وغيرها انه اقسم
بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم قال الامام الرازي واحتجوا له بقوله صلى الله
عليه وسلم انما مثلكم ومثل من كان قبلكم مثل رجل استاجر اجيرا فقال من يعمل من الفجر
الي الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من الظهر الي العصر بقيراط
فعملت النصاري ثم قال من يعمل لي من العصر الي المغرب بقيراطين فعملتم فغضبت
اليهود والنصاري وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال الله تعالي وهل نقصت
من اجركم شيا قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه من اشا فكنتم اقل عملا واكثر اجرا رواه
البخاري قالوا فهذا الحديث دل علي ان العصر هو عصره الذي هو فيه فيكون
علي هذا اقسم تعالي بزمانه في هذه الاية وبمكانه في قوله وانت حل بهذا البلد م
وبعمره في قوله لعمرك فكانه قال وعصرك وبلدك وعمرك وذلك كله كالظرف
له فاذا وجب تعظيم الظرف فكيف حال المظروف قال ووجه القسم كانه تعالي قال
بالعظم خسرانهم اذا اعرضوا عنك انتهي النوع السادس في وصفه تعالي له عليه
الصلاة والسلام بالنور والسراج المنير اعلم ان الله تعالي قد وصف رسوله صلى
الله عليه وسلم بالنور في قوله تعالي قد جاكم من الله نور وكتاب مبين وقيل
المراد القران ووصفه عليه الصلاة والسلام بالسراج المنير في قوله تعالي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الي الله باذنه وسراجا منيرا والمراد كونه هاديا
مبينا كالسراج يري الطريق ويبين الهدي والرشاد فبانه اقوي وان وانفع
من نور الشمس واذا كان كذلك وجب ان تكون نفسه القدسية اعظم في النورانية
من الشمس فكان الشمس في عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها

فكذا

فكذا نفس النبي صلى الله عليه وسلم تفيد الانوار العقلية لساير الانفس البشرية م
ولذلك وصف الله الشمس بانها سراج حيث قال وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وكما وصف
الله تعالي رسوله بانه نور ووصف نفسه المقدسة بذلك فقال الله نور السموات
والارض فليس منهما نور الا الله ونوره القدسي هو سر الوجود والحياة والجمال
والكمال وهو الذي اشرق علي العالم فاشرق علي العوالم الروحانية وهم الملايكة فصارت
سراجا منيرة يستمد منها من دونها بجود الله ثم سري النور الي عالم النفوس الانسانية
ثم طرحته النفوس علي صفحات الجسوم فليس في الوجود الا نور الله الساري الي الشي
منه بقدر قبوله وسع استعداده وجب تلقيه والنور في الاصل كيفية يدركها
الباصر اولا وبواسطتها ساير المبصرات كالكيفية الفايضة النيرين الشمس والقمر علي
الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعني لا يصح اطلاقه علي الله الا بتقدير مضاف
كقولك زيد كرم بمعني ذو كرم او بمعني منور السموات والارض فانه تعالي نورها بالكواكب
وما يفيض عنها من الانوار وبالملايكة والانبيا من قولهم للرييس الفايق في التدبير
نور القوم لانهم يهتدون به في الامور ويؤيد هذا القول قراة علي بن ابي طالب
وزيد بن علي وغيرهما نور فعلا ماضيا والارض بالنصب وقوله مثل نوره اي مثل
هداه سبحانه وتعالي واضاف النور الي السموات والارض اما دلالة علي سعة اشراقه
وفشو اضاءته حتي تضي له السموات والارض واما لارادة اهل السما والارض وانهم
يستضيون به وعن مقاتل اي مثل الايمان في قلب محمد كمشكاة فيها مصباح م
فالمشكاة نظير صدر عبد الله والزجاجة نظير جسد محمد صلى الله عليه وسلم م
والمصباح نظير الايمان والنبوة في قلب محمد وعن غيره المشكاة نظير ابراهيم والزجاجة ٢٩٩
نظير اسماعيل عليهما السلام والمصباح جسد محمد صلى الله عليه وسلم والشجرة م
النبوة والرسالة وعن ابي سعيد الخراز المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم
والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعل الله في قلب محمد صلى الله عليه وسلم
وعن كعب بن جبير النور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم وعن سهل بن عبد الله
مثل نور محمد اذا كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا وكذا واراد
بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة
توقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله
تعالي يكاد زيتها يضي اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل
كلامه حكي هذا القول الاخير القاضي ابو الفضل اليحصبي والفخر الرازي لكنه
عن كعب الاحبار وعن الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي قال عبد الله
ابن رواحة لو لم تكن فيه ايات مبينة ، كانت بديهته تنبيك بالخبر
لكن التفسير الاول في هذه الاية هو المختار لانه تعالي ذكر قبل هذه الاية ولقد

Copyright ... University

بلغ

انزلنا اليك ايات بينات فاذا كان المراد بقوله مثل نوره مثل هداه كان ذلك مطابقا لما قبله
النوع السابع في ايات تتضمن وجوب طاعته واتباع سنته قال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال تعالى واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال
تعالى قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين قال عياض فجعل
طاعته طاعة رسوله وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد
على مخالفته بسوء العقاب وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله يعني من
اطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا الى الخلق احكام الله فهو في الحقيقة ما اطاع الا الله
وذلك في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا فان
من اعماه الله عن الرشد واضله عن الطريق فان احدا من الخلق لا يقدر على ارشاده
وهذه الاية من اقوى الادلة على ان الرسول معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي
كل ما يبلغه عن الله لانه لو اخطا في شي منها لم تكن طاعته طاعة الله وايضا وجب
ان يكون معصوما في جميع افعاله لانه تعالى امر بمتابعته في قوله تعالى واتبعوه
والمتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير فثبت ان الانقياد له في جميع اقواله وافعاله
الا ما خصه الدليل طاعة له وانقياد لحكم الله تعالى قال الله تعالى ومن يطع الرسول
فقد اطاع الله قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين الاية وهذا عام في المطيعين لله من
اصحاب الرسول ومن بعدهم وعام في المعية في هذه الدار وان كانت فيها معية الابدان
وقد ذكروا في سبب نزول هذه الاية ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد
تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن حاله فقال يا رسول الله ما بي وجع غير اني اذا لم اراك اشتقتك واستوحشت
وحشة عظيمة حتى القاك فذكرت الاخرة بحيث لا اراك هناك لاني ان دخلت الجنة
فانت تكون في درجات النبيين وان انا لم ادخل الجنة فحينئذ لا اراك ابدا فنزلت
هذه الاية وذكر ابن ابي حاتم عن ابي الضحى عن مسروق قال اصحاب محمد يا رسول الله
ما ينبغي لنا ان نفارقك فانك لو قدمت لرفعت فوقنا ولم نرك فانزل الله الاية
وذكر عن عكرمة مرسلا قال اتى فتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ان لنا
منك نظرة في الدنيا ويوم القيامة لا نراك فانك في الجنة في الدرجات العلا فانزل
الله هذه الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت معي في الجنة وذكر
ايضا بها روايات اخرى تاتي ان شاء الله تعالى في فصل محبته عليه السلام لكن
قال المحققون لا ينكر صحة هذه الروايات الا ان سبب نزول هذه الاية يجب
ان يكون شيا اعظم من ذلك وهو الحث على الطاعة والترغيب فيها فانا نعلم ان خصوص

السبب

السبب لا يقدح في عموم اللفظ فهذه الاية عامة في حق جميع المكلفين وهو كل من اطاع الله
واطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية والمراتب الشريفة عنده تعالى ثم ان ظاهر
قوله تعالى ومن يطع الله والرسول انه يكفي الاكتفا بالطاعة الواحدة لان اللفظ
الدال على الصفة يكفي في جانب الثبوت حصول ذلك المسمى مرة واحدة لكن لا بد
ان يحمل على غير ظاهره وان يحمل الطاعة على فعل المامورات وترك جميع المنهيات اذ
لو حملناه على الطاعة الواحدة لدخل فيه الفساق والكفار لانهم قد ياتون بالطاعة
الواحدة قال الرازي قد ثبت في اصول الفقه ان الحكم المذكور عقب الصفة
مشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف واذا ثبت هذا فنقول قوله ومن
يطع الله يكون اي في كونه الاها وطاعة الله في كونه الها هي معرفته والاقرار
بجلالته وعزته وكبريائه وصمديته فصارت هذه الاية تنبيها على امرين عظيمين
في احوال المعاد فالاول ان منشا جميع السعادات يوم القيامة اشراق الروح بانوار
معرفة الله فكل من كانت هذه الانوار في قلبه اكثر وصفاؤها اقوى كان الى السعادة
اقرب والى الفوز بالنجاة اوصل والثاني ان الله تعالى ذكر في الاية السابقة وعد
اهل الطاعة بالاجر العظيم والثواب الجزيل ثم ذكر في هذه الاية وعدهم بكونهم
مع النبيين وليس المراد ان يكون من اطاع الله واطاع الرسول مع النبيين
والصديقين كون الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية في الدرجة
بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل
واحد منهم من روية الاخرين بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا
واذا ارادوا الروية والتلاقي قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية
وقد ثبت وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المرء مع من احب وثبت ايضا انه قال ان بالمدينة
اقواما ما سرتم مسيرا الا وهم معكم حبسهم العذر فالمعية والصحبة الحقيقية انما هي
بالسر والروح لا بمجرد البدن فهي بالقلب لا بالقالب ولهذا كان النجاشي معه صلى الله
عليه وسلم ومن اقرب اليه وهو بين النصارى بارض الحبشة وعبد الله بن ابي من ابعد
الخلق عنه وهو معه في المسجد وذلك ان العبد اذا اراد بقلبه امرا من طاعة او معصية
او شخص من الاشخاص فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه فالارواح تكون مع الرسول
صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية
والمكانية بعد عظيم وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم وهذه الاية الشريفة تسمى اية المحبة قال بعض السلف ادعى
قوم محبة الله فانزل الله اية المحبة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وقال يحببكم
الله اشارة الى دليل المحبة وثمرتها وفايدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول
وفايدتها وثمرتها محبة المرسل لكم فما لم تحصل المتابعة فلا محبة لكم حاصلة ومحبته

ده

٤٩٧

ولننزلنهم منزل الاو
الناس

Copyright ... University

عليه الصلاة

لكم منتفية فجعل سبحانه اتباع رسوله الرسول عليه السلام مشروطا بمحبتهم لله وشرطا
لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون وجود تحقق شرطه فعلم انتفا المحبة عند
انتفا المتابعة فانتفا محبتهم لله لازم لانتفا المتابعة لرسوله وانتفا المتابعة ملزوم
لانتفا محبة الله لهم فيستحيل حينئذ محبتهم لله وثبوت محبة الله بدون المتابعة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ودل على ان المتابعة للرسول هي حب الله ورسوله وطاعة
امره ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما فلا يكون شي
احب اليه من الله ورسوله ومتى كان عنده شي احب اليه منهما فهذا هو الشرك الذي
لا يغفر لصاحبه البتة ولا يهديه الله قال تعالى قل ان كان اباوكم وابناوكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي
القوم الفاسقين فكل من قدم طاعة احد من هولا على طاعة الرسول الله ورسوله

او قول احد منهم
على قول الله ورسوله
او مرضاة احد منهم
على مرضاة الله ورسوله

او خوف احد منهم ورجايه التوكل عليه على خوف الله ورجايه والتوكل عليه او معاملة
احد منهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله احب اليه مما سواهما
وان قاله بلسانه فهو كذب منه واخبار بما ليس هو عليه انتهى ملخصا من كتاب المدارج
وسياتي مزيد لذلك ان شا الله تعالى في مقصد محبته عليه السلام قال تعالى فامنوا
بالله ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون اي الى
الصراط المستقيم فجعل رجا الاهتدا اثر الامرين الايمان بالرسول واتباعه تنبيها
على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلالة فكل ما اتى به الرسول
عليه السلام يجب علينا الا ما خصصه الدليل وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله
والنور الذي انزلنا يعني القران فالايمان به صلى الله عليه وسلم واجب متعين
لا يتم الايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يومن بالله ورسوله
فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وقال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم الاية معناه فوربك كقوله فوربك لنسالنهم اجمعين ولا مزيدة لتاكيد معنى
القسم كما في لئلا يعلم ولا يومنون جواب اقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة سبحانه
لا يومن احد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع اموره ويرضى بجميع
ما حكم به وينقاد له ظاهرا وباطنا سوا كان الحكم بما يوافق اهواهم او يخالفها كما
ورد في الحديث والذي نفسي بيده لا يومن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جيت
به وهذا يدل على ان من لم يرض بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون مومنا
على انه لا بد من حصول الرضى بحكمه في القلب وبان الذي يحكم به عليه السلام
هو الحق والصدق فلا بد من الانقياد باطنا وظاهرا وسياتي مزيد بيان لذلك
ان شا الله تعالى في مقصد محبته عليه الصلاة والسلام ثم ان ظاهر هذه

الاية

الاية تدل على انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه يدل على انه يجب متابعته قوله
وحكمه وانه لا يجوز العدول عنه الى غيره وقوله ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
مشعر بذلك لانه متى خطر بقلبه قياس يقتضي ضد مدلول النص فهناك يحصل
الحرج في النفس فبين تعالى انه لا يكمل ايمانه الا بعد ان يلتفت الى ذلك الحرج ويسلم
الى النص تسليما كليا كما قاله الامام فخر الدين وجوز غيره تخصيص الكتاب والسنة
بالقياس وبه صرح العلامة التاج ابن السبكي في جمع الجوامع **النوع الثامن مما
يتضمن الادب معه صلى الله عليه وسلم** قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله فمن الادب ان لا يتقدم بين يديه بامر ولا نهي ولا اذن
ولا تصرف حتى يامر هو وينهى ويأذن كما امر الله تعالى بذلك في هذه الاية وهذا باق
الى يوم القيامة لم ينسخ فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه
في حياته لا فرق بينهما عند ذي عقل سليم قال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم بشي حتى يقضيه الله على لسانه وقال الضحاك لا تقضوا امرا
دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره لا تامروا حتى يامر ولا تنهوا حتى
ينهى وانظر ادب الصديق رضي الله عنه معه عليه الصلاة والسلام في الصلاة
ان تقدم بين يديه كيف تاخر وقال ما كان لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اورثه مقامه والامامة بعده فكان ذلك
التاخر الى خلفه وقد اوما اليه ان اثبت مكانك سعيا الى قدام بكل خطوة الى
وراء مراحل الى قدام تنقطع فيها اعناق المطي ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم
٢٩٨ ان لا ترفع الاصوات فوق صوته كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض قال
الرازي افاد انه ينبغي ان لا يتكلم المومن عنده صلى الله عليه وسلم كما يتكلم العبد
عند سيده لان العبد داخل في قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض لانه للعموم فلا
ينبغي ان يجهر المومن للنبي صلى الله عليه وسلم كما يجهر العبد للسيد والا كان قد
جهر له كما يجهر بعضكم لبعض قال ويويده ما ذكرناه قوله تعالى النبي اولى بالمومنين
من انفسهم والسيد ليس اولى عند عبده من نفسه حتى لو كان في مخمصة ووجد
العبد ما لو لم ياكله لمات لا يجب عليه بذله لسيده ويجب البذل للنبي صلى
الله عليه وسلم ولو علم العبد ان بموته ينجو سيده لا يلزمه ان يلقي نفسه
في التهلكة لانجا سيده ويجب لانجا النبي صلى الله عليه وسلم وكما ان العضو
الرئيس اولى بالرعاية من غيره لان عند خلل القلب مثلا لا يبقى لليدين والرجلين
استقامة فلو حفظ الانسان نفسه وترك النبي صلى الله عليه وسلم لهلك
هو ايضا بخلاف العبد والسيد انتهى واعلم ان في الرفع والجهر استخفافا قد يودي

Copyright King Saud University

الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وروي ان ابا بكر لما نزلت
هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه
كاخي السرار ما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه
وحكي ان ابا جعفر امير المؤمنين ناظر مالكا في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل
ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح قوما فقال ان الذين
يغضون اصواتهم الاية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية وان
حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر واذا كان رفع الصوت فوق صوته
موجبا لحبوط الاعمال فما الظن برفع الاراء ونتائج الافكار على سنته وما جاء به ومن
الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يجعل دعاؤه كدعا بعضنا بعضا قال تعالى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وفيه قولان للمفسرين احدهما
انكم لا تدعونه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا بل قالوا يا رسول الله يا نبي الله مع
التوقير والتواضع فعلى هذا المصدر مضاف الى مفعوله اي ودعاؤكم الرسول
والثاني ان المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم كدعاء بعضكم بعضا بل لم يكن لكم بد من اجابته ولم يسعكم التخلف عنها البتة
فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة فعلى هذا المصدر
مضاف الى الفاعل اي دعاؤه اياكم وقد تقدم في الخصايص من المقصد الرابع عن
مذهب الشافعي ان الصلاة لا تبطل باجابته صلى الله عليه وسلم ومن الادب معه صلى الله عليه
وسلم انهم اذا كانوا معه على امر جامع من خطبة او جهاد او رباط لم يذهب احد منهم في
حاجة له حتى يستاذنه كما قال تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا
كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه فاذا كان هذا مذهبا مقيدا لحاجة
عارضة لم يوسع لهم فيه الا باذنه فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين اصوله
وفروعه ودقيقه وجليله هل يشرع الذهاب اليه بدون استيذانه فاسئلوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يستشكل قوله
بل يستشكل الاراء لقوله ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الاقيسة وتلقى النصوص
ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال مخالف يسميه اصحابه معقولا نعم هو مجهول
وعن الصواب معزول ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة احد فكل هذا من
قلة الادب معه وهو عين الجراة وراس الادب معه صلى الله عليه وسلم كمال التسليم
له والانقياد لامره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون ان تحمله معارضة
خيال باطل يسميه معقولا او يسميه شبهة او شكا او يقدم عليه اراء الرجال
وزبالات اذهانهم فيوحد التحكيم والتسليم والانقياد والاذعان كما وحد المرسل
بالعبادة والخضوع والذل والانابة والتوكل فهما توحيدان لا نجاة للعبد من

بمنزلة دعا بعضكم بعضا ان شا احاب وان شا ترك بل اذا دعاكم لم تكن تكم

عذاب

عذاب الله الا بهما توحيد المرسل وتوحيد المتابعة فلا تحاكم الى غيره ولا يرضى بحكم غيره
انتهى ملخصا من المدارج والقران مملو بالايات المرشدة الى الادب معه صلى الله عليه وسلم
فلتراجع **النوع الرابع في ايات تتضمن رده تعالى بنفسه المقدسة** على عدوه صلى الله
عليه وسلم ترفيعا لشانه قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك
بمجنون لما قاله المشركون يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون **اجاب** تعالى عنه
عدوه بنفسه من غير واسطة هكذا سنة الاحباب فان الحبيب اذا سمع من يسب
حبيبه تولى بنفسه جوابه فها هنا تولى الحق سبحانه جوابهم بنفسه فنصره
لان نصرته له تعالى اتم من نصرته وارفع لمنزلته ورده ابلغ من رده واثبت من
ديوان مجده فاقسم تعالى بما اقسم به من عظيم اياته على تنزيه رسوله وحبيبه
وخليله مما غمصته اعداؤه الكفرة وتكذيبهم له بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون
وسيعلم اعداؤه المكذبون انهم المفتونون هو او هم وقد علموا والعقلا ذلك في
الدنيا ويزداد علمهم في البرزخ وينكشف ويظهر كل الظهور في الاخرة بحيث
يتساوى الخلق كلهم في العلم به وقال تعالى وما صاحبكم بمجنون ولما راى العاصي
ابن وايل السهمي النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند
باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص
قالوا له من ذا الذي كنت تحدث معه قال ذلك الابتر يعني النبي صلى الله عليه
وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة فرد الله تعالى
عليه وتولى جوابه بقوله ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك هو الذليل
الحقير **ولما قالوا** افترى على الله كذبا قال الله تعالى بل الذين لا يؤمنون بالاخرة
في العذاب والضلال البعيد **ولما قالوا** لست مرسلا اجاب الله تعالى عنه فقال
يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين **ولما قالوا** ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر
مجنون رد الله تعالى عليهم فقال بل جا بالحق وصدق المرسلين فصدقه ثم ذكر
وعيد خصمائه فقال انكم لذائقوا العذاب الاليم **ولما قالوا** ام يقولون شاعر
نتربص به ريب المنون رد الله تعالى عليهم بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي
له ان هو الا ذكر وقران مبين **ولما حكى** الله عنهم قولهم ان هذا الا افك افتراه واعانه
عليه قوم اخرون سماهم الله تعالى كاذبين بقوله فقد جاؤا ظلما وزورا وقال
قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض **ولما قالوا** يلقيه اليه شيطان
قال الله تعالى وما تنزلت به الشياطين الاية ولما تتلى عليهم قالوا اساطير الاولين قال
الله تعالى تكذيبا لهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران لا ياتون بمثله **ولما قال** الوليد بن المغيرة ان هذا الا سحر يؤثر
ان هذا الا قول البشر قال الله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول

الا قالوا ساحر او مجنون تسلية له عليه الصلاة والسلام ولما قالوا محمد قلاه ربه فرد
الله تعالى عليهم بقوله ما ودعك ربك وما قلى ولما قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام
ويمشي في الاسواق قال تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام
ويمشون في الاسواق ولما حسدته اعدا الله اليهود على كثرة النكاح والنكاح الزوجات
وقالوا ما همته الا النكاح رد الله تعالى عليهم عن رسوله ونافح عنه فقال ام يحسدون
الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا
عظيما ولما استبعدوا ان يبعث الله رسولا من البشر بقولهم الذي حكاه الله
تعالى عنهم وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا
رسولا وجهلوا ان التجانس يورث التوانس وان التخالف يورث التباين قال
الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السما
ملكا رسولا اي لو كانوا ملائكة لوجب ان يكون رسولهم من الملائكة لكن لما كان
اهل الارض من البشر وجب ان يكون رسولهم من البشر فما اجل هذه الكرامة
وقد كانت الانبيا انما يدافعون عن انفسهم ويردون على اعدائهم كقول نوح
عليه السلام يا قوم ليس بي ضلالة وقول هود ليس بي سفاهة واشباه ذلك

النوع العاشر في ازالة الشبهات عن ايات وردت في حقه عليه الصلاة والسلام متشابهات

قال الله تعالى ووجدك ضالا فهدى اعلم انه قد اتفق العلما على انه صلى الله
عليه وسلم ما ضل لحظة واحدة قط وهل هو جائز عقلا على الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم قبل النبوة قالت المعتزلة هو غير جائز عقلا لما فيه من التنفير وعند اصحابنا
انه جائز في العقول ثم يكرم الله من اراد بالنبوة الا ان الدليل السمعي قام على هذا الجائز
لم يقع قال الله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى قاله الامام فخر الدين وقال الامام ابو الفضل
اليحصبي في الشفا والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته
والتشكك في شي من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار على الانبيا بتنزيههم عن
هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان على اشراق انوار المعارف
ونفحات الطاف السعادة ولم ينقل احد من الاخبار ان احدا نبئ واصطفي ممن عرف
بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل ثم قال وقد استبان لك بما قررناه
ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة
تنافي العلم بشي من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا
بشي مما قرره من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا وعقلا وشرعا وعصمته
عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله وارسله قصدا او غير قصد
واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة
قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو

والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من
رضا وغضب وجد ومزح فما يجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين فان من
يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه
لا يأمن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجوز ان تضاف اليه
فيهلك من حيث لا يدري ويسقط من هذه الدرك الاسفل من النار اذ ظن
الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار وقد استدل بعض
الايمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم
مطلقا وجمهور الفقها على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من
غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك فلو جوزنا عليهم
الصغائر لم يمكن الاقتدا بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده
من القربة والاباحة والحظر والمعصية انتهى واختلف في تفسير هذه الاية على
وجوه كثيرة احدها وجدك ضالا عن معالم النبوة وهو مروي عن ابن عباس
والحسن والضحاك وشهر بن حوشب ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان اي ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا القران ولا كيف تدعو الخلق الى
الايمان قال السمرقندي وقال بكر القاضي ولا الايمان الذي هو الفرايض والاحكام
فقد كان عليه الصلاة والسلام قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها قبل
فازداد بالتكليف ايمانا وسياتي اخر هذا النوع مزيد لذلك ان شا الله تعالى الثاني من معنى
قوله تعالى ضالا ما روي مرفوعا ما ذكره الامام فخر الدين انه قال عليه الصلاة والسلام ضللت
عن جدي عبد المطلب وانا صبي حتى كاد الجوع يقتلني فهداني الله الثالث يقال ضل الما
في اللبن اذا صار مغمورا فمعنى الاية كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله حتى اظهرت
دينه الرابع ان العرب تسمي الشجرة الفريدة ضالة كانه تعالى يقول كانت تلك البلاد
كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمر الايمان بالله تعالى ومعرفته الا انت فانت شجرة فريدة
في مفازة الجهل الخامس قد يخاطب السيد والمراد قومه اي وجد قومك ضالين فهداهم
بك وبشرعك السادس اي محبا لمعرفتي وهو مروي عن ابن عطا والضال المحب كما قال
تعالى انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا ها هنا في الدين اذ لو قالوا
ذلك في نبي الله لكفروا السابع اي وجدك ناسيا فذكرك وذلك ليلة المعراج نسي ما يجب
ان يقال بسبب الهيبة فهداه تعالى الى كيفية الثنا حتى قال لا احصي ثنا عليك
الثامن اي وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم
التاسع اي وجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه كقوله وانزلنا اليك
الذكر وهذا مروي عن الجنيد العاشر عن علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال ما هممت بشي مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني

Copy… …University

وبين ما اريد ثم ما هممت بعدها بشي حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام من قريش
كان يرعى باعلا مكة لو حفظت غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشاب فخرجت
حتى اتيت اول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فجلست انظر اليهم
وضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس ثم ما هممت بعدها بسو حتى اكرمني
الله برسالته واما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقد احتج بظاهره
جماعة من الفقها والمحدثين والمتكلمين المجوزين للصغاير على الانبيا صلوات الله
وسلامه عليهم وبظواهر كثيرة من القران والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم
كما قال القاضي عياض الى تجويز الكباير وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف ما احتجوا
به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت احتمالات في مقتضاه وجات الاقاويل
فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا
قديما وقامت الدلالة على خطا قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح انتهى
فقد اختلف في هذه الاية فقال اهل اللغة الاصل فيه اذا اثقله الحمل سمع له نقيض
اي صوت كصوت المحامل والرحال وهذا مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اوزاره وقيل المراد منه تخفيف اعبا النبوة التي تثقل الظهر القيام
بامرها وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط
عنه ثقلها بان يسرها عليه حتى تيسرت له وقيل الوزر ما كان يكرهه من تغييرهم
لسنة الخليل عليه السلام وكان لا يقدر على منعهم الا ان قواه الله تعالى وقال له اتبع
ملة ابراهيم وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذي انقض ظهرك لو كان ذلك الذنب
حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا ومن ذلك ما في الحديث انه عليه الصلاة والسلام
حضر وليمة فيها دف ومزامير قبل البعثة فضرب الله على اذنه فما ايقظه الا حر
الشمس من الغد وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا لك
ذلك وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى
انقض اي كاد ينقضه قال القاضي فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام
النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا
وثقلت عليه واشفق منها وقيل انها ذنوب امته صارت كالوزر عليه فامنه الله
تعالى من عذابهم في العاجل بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ووعده الشفاعة
في الاجل واما قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ابن عباس
اي انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان وقال بعضهم اراد غفران ما وقع
وما لم يقع اي انك مغفور لك وقيل المراد ما كان من سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري
واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي
والسلمي عن ابن عطا وقيل المراد امته وقيل المراد بالذنب ترك الاولى كما قيل حسنات

الابرار

الابرار سيات المقربين وترك الاولى ليس بذنب لان الاولى ما يقابله مستحق كان في اباحة الفعل
وقال السبكي قد تاملتها يعني الاية مع ما قبلها وما بعدها فوجدتها لا تحتمل الا وجها واحدا
وهو تشريف النبي صلى الله عليه وسلم من غير ان يكون هناك ذنب ولكنه اريد ان
يستوعب في الاية جميع انواع النعم من الله على عباده الاخروية وجميع النعم الاخروية
شيان سلبية وهي غفران الذنوب وثبوتية وهي لا تتناهى اشار اليها بقوله ويتم
نعمته عليك وجميع النعم الدنيوية شيان دينية اشار اليها بقوله ويهديك صراطا
مستقيما ودنيوية وهي قوله وينصرك الله نصرا عزيزا فانتظم بذلك تعظيم
قدر النبي صلى الله عليه وسلم باتمام انواع نعم الله تعالى عليه المتفرقة في غيره
ولهذا جعل ذلك غاية الفتح المبين الذي عظمه وفخمه باسناده اليه بنون العظمة
وجعله خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بقوله لك وقد سبق الى نحو هذا ابن عطية
فقال انما المعنى التشريف بهذا الحكم ولم تكن ذنوب البتة ثم قال وعلى تقدير الجواز
لا شك ولا ارتياب انه لم يقع منه صلى الله عليه وسلم وكيف يتخيل خلاف ذلك وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى واما الفعل فاجماع الصحابة على اتباعه والتاسي به في كل
ما يفعله من قليل او كثير او صغير او كبير لم يكن عندهم في ذلك توقف ولا بحث حتى
اعماله في السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم او لم يعلم ومن تامل
احوال الصحابة معه صلى الله عليه وسلم استحيا من الله ان يخطر بباله خلاف ذلك انتهى
ومن قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فلا ريب انه صلى
الله عليه وسلم اتقى الخلق والامر بالشي لا يكون الا عند عدم اشتغال المامور بالمامور
به اذ لا يصح ان يقال للجالس اجلس ولا للساكت اسكت ولا يجوز عليه ان لا يبلغ ولا
ان لا يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا ان يطيع الكافرين والمنافقين حاشاه الله من
ذلك وانما امره الله تعالى بتقوى توجب استدامة الحضور واجاب بعضهم
عن هذا ايضا بانه صلى الله عليه وسلم كان يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله
عليه الصلاة والسلام فيما مضى بالنسبة الى ما هو فيه تركا للافضل فكان له في
كل ساعة تقوى تتجدد وقيل المراد دم على التقوى فانه يصح ان يقال للجالس
اجلس ها هنا الى ان اتيك وللساكت قد اصبت فاسكت تسلم اي دم على ما انت
عليه وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته ويدل عليه قوله
تعالى انه كان بما تعملون خبيرا ولم يقل بما تعمل واما قوله فلا تطع المكذبين فاعلم
انه تعالى لما ذكر ما عليه من الكفار في امره صلى الله عليه وسلم ونسبته الى ما نسبوه
اليه مع ما انعم الله به عليه من الكمال في امر الدين والخلق العظيم اتبعه بما يقوي قلبه
ويدعوه الى التشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار
فان هذه السورة من اوايل ما نزل فقال فلا تطع المكذبين والمراد رؤسا الكفار

من اهل مكة وذلك انهم دعوه الي دينهم فنهاه الله ان يطيعهم وهذا من الله تهييج
للتشدد في مخالفتهم واما قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسيل الذين
يقرون الكتاب من قبلك الاية فاعلم ان المفسرين اختلفوا فيمن يخاطب بهذا
فقال قوم المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم وقال اخرون المخاطب به غيره
ولنا من قال بالاول فاختلفوا على وجوه الاول ان الخطاب مع النبي صلى الله عليه
وسلم في الظاهر والمراد غيره كقوله تعالى اذا طلقتم النسا وقوله لين اشركت ليحبطن
عملك ولقوله لعيسى بن مريم عليهما السلام انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله ومثل هذا معتاد فان السلطان اذا كان له امير وكان تحت راية ذلك
الامير جمع فاذا اراد ان يامر الرعية بامر مخصوص فانه لا يوجه خطابه اليهم بل يوجهه
الي ذلك الامير ليكون ذلك اقوى تاثيرا في قلوبهم الثاني قال الفرا علم الله تعالى ان
رسوله صلى الله عليه وسلم غير شاك ولكن هذا كما يقول الرجل لولده ان كنت
ابني فبرني ولعبده ان كنت عبدي فاطعني الثالث انه يقال لضيق الصدر
شاك يقول ان ضقت ذرعا بما تعاني من تعنتهم واذاهم فاصبر واسال الذين
يقرون الكتاب من قبلك كيف صبر الانبيا على اذى قومهم وكيف كان عاقبة امرهم
من النصر فالمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القران
مصدق لما فيه او تهييج الرسول عليه الصلاة والسلام وزيادة تثبيته او يكون
على سبيل الفرض والتقدير لامكان وقوع الشك له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لما نزلت هذه الاية والله لا اشك ولا اسال واما الوجه الثاني وهو ان المخاطب
غيره صلى الله عليه وسلم فتقريره ان الناس كانوا في زمانه عليه الصلاة والسلام
فرقا ثلاثة المصدقون به والكذبون له والمتوقفون في امره الشاكون فيه
فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال فان كنت في شك ايها الانسان مما انزلنا
اليك من الهدى على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم فاسال اهل الكتاب ليدلوك
على صحة نبوته وهذا مثل قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ويا ايها
الناس انك كادح واذا مس الانسان ضر فان المراد بالانسان هنا الجنس لا انسان
بعينه فكذا هنا ولما ذكر الله لهم تعالى ما يزيل ذلك الشك عنهم حذرهم من ان
يلحقوا بالقسم الثاني وهم المكذبون فقال ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله
فتكون من الخاسرين وقوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في انهم لا يعلمون ذلك او يكون المراد قل لمن
امترى بالحق لا تكونن من الممترين وانه صلى الله عليه وسلم مخاطب به غيره وقيل
غير ذلك واما قوله تعالى ولو شا الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين
فقال القاضي عياض لا يلتفت الي قول من قال لا تكونن ممن يجهل ان الله تعالى

لوشا

بلغ

لو شا لجمعهم على الهدى اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على
الانبيا والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين وليس في الاية
دليل على كونه على تلك الصفة التي نهاه عن الكون عليها فامره صلى الله عليه وسلم
بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يخرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة
التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامته عليه الصلاة والسلام
اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي قال ومثله في القران كثير وكذلك
قوله تعالى وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا
وقوله تعالى ان يشا الله يختم على قلبك ولين اشركت ليحبطن عملك وما اشبه
ذلك فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز
عليه هذا والله تعالى ينهاه عما يشا ويامره بما يشا كما قال تعالى ولا تطرد الذين
يدعون ربهم الاية وما طردهم عليه الصلاة والسلام وما كان من الظالمين واما
قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين فليس بمعنى قوله والذين هم عن اياتنا
غافلون وانما المعنى لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تخطر ببالك ولم تقرع
سمعك قط فلم تعلمها الا بوحينا واما قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله الاية فمعناه يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض
عنهم والنزغ ادنى حركة تكون كما قاله الزجاج فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه
غضب على عدوه او رام الشيطان من اغوائه به وخواطر اذاه في وساوسه ما لم
يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ به تعالى منه فيكفي امره ويكون سبب تمام
عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وكذلك
لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة
ولا بعدها بل لا يشك النبي ان ما ياتيه من الله هو الملك ورسوله حقيقة اما بعلم
ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهره لديه كما قد منه في المقصد الاول
عند البعثة لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته واما قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية
فاحسن ما قيل فيها ما عليه جمهور المفسرين ان التمني المراد به هنا التلاوة
والقا القا الشيطان فيها اشتغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى
يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين
من التحريف وسو التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته
قاله القاضي عياض وقد تقدم في المقصد الاول مزيد لكن قال في الشفا
واما قوله عليه الصلاة والسلام حين نام عن الصلاة يوم الوادي ان هذا
واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان

تعالى

Copyright King Saud University

بمقتضى ظاهره نقل بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل
يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان
على بلال الموكل بصلاة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على
سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة
لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد ابن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب
لبيانه وارتفاع اشكاله قال واما قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى الايات
فليس فيها اثبات ذنب عليه الصلاة والسلام بل اعلام الله انه ان ذلك التصدي له
ممن لا يتزكى فان الصواب والاولى كان لو كشف له حال الرجلين لاختار
الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر
كان طاعة لله وتبليغا عنه واستئلافا له كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة
له كما رواه قصه الله عليه من ذلك الاعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده
والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى اي ليس عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام
اي لا يبلغن بك الحرص على اسلامهم ان تعرض عمن اسلم بالاشتغال بدعوتهم ان عليك الا البلاغ
وقد كان ابن ام مكتوم يستحق التاديب والزجر لانه وان فقد بصره كان يسمع مخاطبة الرسول
صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار وكان يعرف بواسطة استماع تلك الكلمات وشدة اهتمامه
عليه الصلاة والسلام بشانهم فكان اقدامه على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام ايذا
له عليه الصلاة والسلام وذلك معصية عظيمة فثبت ان فعل ابن ام مكتوم كان ذنبا
ومعصية وان الذي فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو الواجب المتعين وقد
كان عليه الصلاة والسلام ماذونا له في تاديب اصحابه لكن ابن ام مكتوم بسبب عماه
استحق مزيد الرفق واما قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم الاية فروى ابن ابي
حاتم عن مسعر عن عون قال هل سمعتم بمعاتبة احسن من هذا بدا بالعفو قبل
المعاتبة وكذا قال مورق العجلي وغيره وقال قتادة عاتبه كما تسمعون ثم انزل التي في
سورة النور فرخص له في ان ياذن لهم ان شاء فقال تعالى فاذا استاذنوك لبعض شانهم
فاذن لمن شئت منهم ففوض الامر الى رايه عليه الصلاة والسلام وقال عمرو بن ميمون
اثنان فعلهما الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه
الفدا من الاسرى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون واما قول بعضهم ان هذه الاية تدل
على انه وقع من الرسول ذنب لانه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سابقة
ذنب وقول الاخر لم اذنت لهم استفهام بمعنى الانكار فاعلم انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله
عنك يوجب ذنبا ولم لا يقال ان ذلك يدل على مبالغة الله تعالى في توقيره وتعظيمه
كما يقول الرجل لغيره اذا كان عظيما عنده عفا الله عنك ما صنعت في امري ورضي
عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله الا عرفت حقي فلا يكون غرضه من هذا

الكلام

داخل

الكلام الا زيادة التبجيل والتعظيم قال وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال صلى الله عليه
وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمهم ذلك ونحوه
للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال
ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا واما الجواب عن الثاني فيقال اما ان يكون
صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب ام لا فان قلنا لا امتنع على هذا التقدير ان
يكون قوله لم اذنت لهم انكارا عليه وان قلنا انه قد صدر عنه ذنب وحاشاه الله
من ذلك فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان
يتوجه الانكار عليه فثبت انه على جميع التقادير يمتنع ان يقال ان قوله لم اذنت
لهم يدل على كون الرسول مذنبا وهذا جواب شاف كاف قاطع وعنه يحمل قوله
لم اذنت لهم على ترك الاولى والاكمل بل لم يعد هذا اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب
الى ذلك قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية
وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم
وانه لا حرج عليه في الاذن لهم واما قوله تعالى في اسارى بدر ما كان للنبي ان يكون له
اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة الاية الى قوله
عظيم فروى مسلم في افراده من حديث عمر بن الخطاب قال لما هزم الله المشركين
يوم بدر وقتل منهم سبعون واسر سبعون استشار النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر
وعمر وعليا فقال ابو بكر يا نبي الله هولاء بنو العم والعشيرة والاخوان واني ارى ان
تاخذ منهم الفدية تكون لنا قوة على الكفار وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت والله ما ارى
ما راى ابو بكر ولكن ارى ان تمكنني من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا
من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان اخيه فيضرب عنقه حتى يعلم
الله ان ليس في قلوبنا هوادة للمشركين فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فاخذ منهم الفدا فلما كان من الغد غدوت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا هو قاعد وابو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يا رسول
الله اخبرني ماذا يبكيك انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد تباكيت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من الفدا لقد عرض
علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة فانزل الله تعالى ما كان لنبي ان يكون
له اسرى الى قوله عظيم وقوله حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه
حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله وليس في هذا الزام
ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت

الحفو

الي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي واما قوله تعالي تريدون عرض الدنيا فقيل المراد بالخطاب
من اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد
بهذا النبي صلي الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت
حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنايم عن القتال
حتي خشي عمران يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق فاختلف
المفسرون في معني هذه الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب
احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسري معصية وقيل لولا
ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم علي الغنايم
وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم وهذا كله ينفي الذنب
والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالي فكلوا مما غنمتم حلالا
طيبا وقيل بل كان عليه الصلاة والسلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي قال
جا جبريل عليه السلام الي رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير
اصحابك في الاساري ان شاوا القتل وان شاوا الفدا علي ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم
فقالوا الفدا او يقتل منا وهذا دليل علي انهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم
مال الي ضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا علي ذلك
وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
قال القاضي بكر بن العلا اخبر الله تعالي نبيه صلي الله عليه وسلم في هذه الاية
ان تاويله وافق ما كتب له من احلال الغنايم والفدا وقد كان قبل هذا فادي في سرية
عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب
الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل علي ان فعل النبي
صلي الله عليه وسلم في شان الاساري كان علي تاويل وبصيرة علي ما تقدم قبل مثله
فلم ينكره الله لكن الله تعالي اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته
وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لا علي وجه عتاب
او انكار او تذنيب قاله القاضي عياض واما قوله تعالي ولولا ان ثبتناك لقد
كدت تركن اليهم شيا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات فالمعني
لولا ان ثبتناك لقاربت ان تميل الي اتباع مرادهم لكن ادركتك عصمتنا
فمنعتك ان تقرب فضلا عن ان تركن اليهم وهو صريح في انه صلي الله عليه وسلم
ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها فالعصمة بتوفيق الله وحفظه ولو قاربت
لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي ضعف ما يعذب به في الدارين
بمثل هذا الفعل غيرك لان خطا الخطير اخطر وقد اعاذه الله من الركون
الي اعدايه بذرة من قلبه وما يعزي للحريري مما يويد ذلك قوله

النحوي

النحوي هذا العصر ما هي لفظة ❊ جرت في لساني جرهم وثمود
اذا استعملت في صورة الجحد اثبتت ❊ وان اثبتت قامت مقام جحود
وفسر الاول وهو النفي المثبت بنحو فذبحوها وما كادوا يفعلون وقد فعلوا
والثاني وهو الثبوت المنفي بنحو فذبحوها وما كادوا يفعلون وقد فعلوا والثاني
وهو الثبوت المنفي الي بنحو قوله تعالي لقد تركن فالواو هو صلي الله عليه وسلم
ثبت قلبه ولم يركن واما قوله تعالي ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه
باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فالمعني لو افتري علينا بشي من عند نفسه ثم
لاخذنا بيمينه وقطعنا نياط قلبه واهلكناه وقد اعاذه الله من التقول عليه
فان قلت لا مرية انه يعفي للمحب ولصاحب المحاسن والاحسان العظيم ما لا يعفي
لغيره ويسامح بما لا يسامح به غيره كما قال الشاعر
واذا الحبيب اتي بذنب واحد ❊ جات محاسنه بالف شفيع
ولا شك ان نبينا صلي الله عليه وسلم هو الحبيب الاعظم ذو المحاسن والاحسان
الاكبر فما هذه العقوبة المضاعفة والتهديد الشديد الواردان وقع منه
ما يكره بكم من راكن الي اعدايه ومتقول عليه من قبل نفسه ثم بعتابه كارباب
البدع ونحوهم فالجواب انه لا تنافي بين الامرين فان من كملت عليه نعمة الله ثم
واختصه منها بما لم يختص به غيره واعطاه منها ما لم يعط غيره فحباه بالانعام وخصه
بمزيد القرب والاكرام اقتضت حاله من حفظ مرتبة القرب والولاية والاختصاص
ان تراعي مرتبته من ادني مشوش وقاطع فلشدة الاعتنا به ومزيد تقريبه
واتخاذه لنفسه واصطفايه علي غيره تكون حقوق وليه وسيده عليه اتم
ونعمه عليه اكمل فالمطلوب منه فوق المطلوب من غيره فهو اذا غفل واخل
بمقتضي مرتبته نبه بما لم ينبه عليه البعيد مع كونه يسامح بما لا يسامح
به ذلك ايضا فيجتمع في حقه الامران واذا اردت معرفة اجتماعهما وعدم
تناقضهما فالواقع شاهد بذلك فان الملك يسامح خاصته واولياءه بما لا يسامح به
ذلك ايضا فيجتمع في حقه الامران واذا اردت معرفة اجتماعهما وعدم تناقضهما
فالواقع شاهد بذلك فان الملك يسامح خاصته من ليس في منزلتهم ويواخذهم
بما يواخذ به غيرهم وانت اذا كان لك عبدان او ولدان احدهما احب اليك من
الاخر واقرب الي قلبك واعز عليك عاملته بهذين الامرين واجتمع في حقه العا ملتان
بحسب قربه منك وحبك له وعزته فاذا نظرت الي كمال احسانك اليه واتمام
نعمك عليه اقتضت معاملته بما لا تعامل به من دونه من التنبيه وعدم
الاهمال واذا نظرت الي محبته لك وطاعته وخدمته وكمال عبوديته ونصحه
وهبت له وسامحته وعفوت عنه بما لا تفعله مع غيره فالمعاملتان بحسب

Copyright © King Saud University

مابينك وبينه وقد ظهر اعتبار هذا المعنى في الشرع حيث جعل حد من انعم عليه
بالتزويج اذا تعداه الى الزنا الرجم وحد من لم يعطه هذه النعمة الجلد وكذلك
ضاعف الحد على الحر الذي قد ملكه نفسه واتم عليه نعمته ولم يجعله مملوكا
لغيره وجعل حد العبد المنقوص بالرق الذي لم يحصل له هذه النعمة نصف
ذلك فسبحان من بهرت حكمته في خلقه ؛؛ فلله سر تحت كل لطيفة ؛؛
فاخو البصاير غايص بتعقل ؛؛ انتهى ملخصا واما قوله تعالى ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان على التفصيل الذي شرع لك في القران وقال ابو العالية هو
هو بمعنى الدعوة الى الايمان لانه كان قبل الوحي لا يقدر ان يدعو الى الايمان بالله
وقيل معناه انه ما كان يعرف الايمان حين كان في المهد وقبل البلوغ حكاه الماوردي
والواحدي والقشيري وقيل انه من باب حذف المضاف اي ما كنت تدري اهل
الايمان اي من الذي يومن ابو طالب او العباس او غيرهما وقيل المراد به شرايع
الايمان ومعالمه وهي كلها ايمان وقد سمي الصلاة ايمانا بقوله وما كان الله ليضيع
ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس فيكون اللفظ عاما والمراد الخصوص قاله
ابن قتيبة وابن خزيمة ومما اشتهر في الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان
يوحد الله ويبغض الاوثان ويحج ويعتمر وروى ابو نعيم وابن عساكر عن
علي قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا فهل شربت
خمرا قط قال لا وما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب
ولا الايمان وعن عايشة كانت قريش ومن دان دينها وهم الحمس يقفون
بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الحرم رواه الشيخان وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الجاهلية يقف بعرفات دونهم توفيقا من الله تعالى رواه البيهقي
وابو نعيم في حديث جبير بن مطعم وقد ورد ان العرب لم يزالوا على بقايا من
دين اسماعيل كحج البيت والختان والغسل من الجنابة وكان عليه الصلاة والسلام لا يقرب
الاوثان ويعيبها ولا يعرف شرايع الله التي شرعها لعباده على لسانه فذلك قوله تعالى
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولم يرد الايمان الذي هو الاقرار بالله لان
اباه الذين ماتوا على الشرك كانوا يومنون بالله ويحجون مع شركهم انتهى والله اعلم

الفصل السابع في وجوب محبته واتباع سنته والاهتدا بهديه وطريقته وفرض محبة اله واصحابه وقرابته وعترته وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه وفيه ثلاثة فصول

الاول في وجوب محبته
واتباع سنته والاقتدا بهديه وسيرته صلى الله عليه وسلم اعلم ان المحبة كما
قال صاحب المدارج هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون واليها يشخص
العاملون والى علمها شمر السابقون وعليها يتفانى المحبون وبروح نسيمها
علمها

تروح العابدون فهي قوت القلوب وغذا الارواح وقرة العيون وهي الحياة التي
من حرمها فهو من جملة الاموات والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات والشفا
الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام واللذة التي لم يظفر بها فعيشه كله
هموم والام وهي روح الايمان والاعمال والمقامات والاحوال التي متى خلت الى بلد
لم يكونوا بالغيه الا بشق الانفس وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها ابدا
واصليها وتبوءهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولاها داخليها وهي
مطايا القوم التي سراهم في ظهورها دايما الى الحبيب وطريقهم الاقوم الذي يبلغهم
منازلهم الاولى من قريب تالله لقد ذهب اهلها بشرف الدنيا والاخرة اذ لهم من
معية محبوبهم اوفر نصيب وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلايق بمشيئته
وحكمته البالغة ان المرء مع من احب فيالها نعمة على المحبين سابغة لقد سبق
القوم السعاة وهم على ظهور الفرش نايمون ولقد تقدموا الى مراحل هم في
؛؛ من لي بمثل سيرك المدلل ؛؛ تمشي رويدا وتجي في الاول ؛؛
اجابوا موذن الشوق اذ نادى بهم حي على الفلاح وبذلوا انفسهم في طلب
الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضا والسماح وواصلوا اليه السير بالادلاج و
والغدو والرواح ولقد حمدوا عند مسراهم وانما يحمد القوم السرا عند الصباح وقد
اختلفوا في المحبة وعباراتهم وان كثرت فليس في الحقيقة ترجع الى اختلاف مقال
وانما هي على اختلاف احوال واكثرها ترجع الى ثمرتها دون حقيقتها وقد قال
بعض المحققين المحبة عند اهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد وانما يعرفها
من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه وهذا كقول صاحب مدارج السالكين
تبعا لغيره المحبة لا تحد بحد اوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفا وجفا فحدها
وجودها ولا توصف المحبة بوصف اظهر من المحبة وانما يتكلم الناس في اسبابها
وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها واحكامها فحدودهم ورسومهم دارت
على هذه الستة وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات بحسب الادراك والمقام
والحال وقد وضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة الحا التي هي
من اقصى الحلق والبا الشفهية التي هي نهايته فللحا الابتدا وللبا الانتها وهذا
شان المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداها منه وانتهاها اليه واعطوا
الحب حركة الضم التي هي اشد الحركات واقواها مطابقة لشدة حركة مسماه
وقوتها واعطوا الحب وهو المحبوب حركة الكسر لخفتها عن الضمة وخفة المحبوب
وذكره على قلوبهم والسنتهم فتامل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة
العجيبة بين الالفاظ والمعاني تطلعك على قدر هذه اللغة وان لها شانا ليس
لساير اللغات وهذه بعض رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب اثارها

وشواهدها والكلام على ما يحتاج الى الكلام منها فمنها موافقة الحبيب في المشهد والمغيب
وهذا من موجبها ومقتضاها ومنها محو المحب لصفاته واثبات المحب لصفاته واثبات
المحب لذاته وهذا من احكام الفنا في المحبة وهو ان يمحي صفات المحب ويفنى في صفات
محبوبه وذاته وهذا يستدعي بيانا اتم من هذا لا يدركه الا من افناه وارد المحبة
عنه واخذه منه ومنها استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك
وهو لابي يزيد وهو ايضا من احكامها وموجباتها وشواهدها والمحب الصادق
لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيا منه ولو ناله من محبوبه
ايسر شي لاستكثره واستعظمه ومنها استكثار القليل من جنايتك واستقلال
الكثير من طاعتك وهو قريب من الاول لكنه مخصوص بما من المحب ومنها معانقة
الطاعة ومباينة المخالفة وهو لسهل بن عبد الله وهو ايضا حكم المحبة وموجبها
ومنها ان تهب كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شي وهو لسيدنا ابي عبد الله
القرشي وهو ايضا من موجبات المحبة واحكامها والمراد ان تهب ارادتك
وعزمك وافعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه وتجعلها حبسا في مرضاته
ومحابه ولا تاخذ منها لنفسك الا ما اعطاكه فتاخذ منه له ومنها ان تمحو من
القلب ما سوى المحبوب وكمال المحبة يقتضي ذلك فانه ما دامت في القلب
بقية لغيره ومسكن لغيره فالمحبة مدخولة ومنها ان تغار على المحبوب ان يحبه
مثلك وهو للشبلي ومراده احتقارك لنفسك واستصغارها ان يكون مثلك
يحبه ومنها غض طرف المحب عن ما سوى المحبوب غيره وعن المحبوب هيبة
وهذا يحتاج الى ايضاح اما الاول فظاهر واما الثاني فان غض طرف القلب عن
المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل لكن عند استيلا سلطان المحبة يقع مثل هذا
وذلك من علامات المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم ومنها ميلك الى الشي بكليتك
ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك
بتقصيرك في حبه قال الجنيد سمعت الحارث المحاسبي يقول ذلك ومنها
سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة
لا يوصف عند المشاهدة وانشد بعضهم
ومنها فاسكر القوم دور كاس وكان سكري من الساقي — دور
ومنها سفر القلب في طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره فلا ريب ان من احب
شيا اكثر من ذكره ومنها الميل الى ما يوافق الانسان كحب الصور الجميلة والاصوات
الحسنة وغير ذلك من الملاذ التي لا يخلو كل طبع سليم عن الميل اليها لموافقتها له
او لاستلذاذه بادراكه بحاسة او يكون حبه لذلك لموافقته له من جهة
احسانه اليه وانعامه عليه فقد جبلت القلوب على حب من احسن

على الدوام اما سفر القلب في طلبه فهو الشوق الى لقائه واما لهج اللسان بذكره

اليها

اليها كما رواه ابو نعيم في الحلية وابو الشيخ وغيرهما فاذا كان الانسان يحب من منحه في
دنياه مرة او مرتين فانيا منقطعا او استنقذه من هلكة او مضرة لا تدوم فما بالك
بمن منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الاليم ما لا يفنى ولا يحول واذا — معروف
كان المرء يحب غيره على ما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبي الكريم
والرسول العظيم الجامع لمحاسن الاخلاق والتكريم المانح لنا جوامع المكارم والفضل
العميم ولقد اخرجنا الله به من ظلمات الكفر الى نور الايمان وخلصنا به من نار الجهل
الى جنات المعارف والايقان فهو السبب لبقا مهجنا البقا الابدي في النعيم السرمدي
فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الينا فلا منة وحانه لاحد بعد الله
كالة علينا ولا فضل لبشر كفضله لدينا فكيف ينهض ببعض شكره او يقوم من
واجب حقه بعشار حقه عشره فقد منحنا الله به منح الدنيا والاخرة واسبغ
علينا نعمه باطنة وظاهرة فاستحق ان يكون حظه من محبتنا لا نفسنا واولادنا
واهلينا واموالنا والناس اجمعين بل لو كان في منبت شعرة منا محبة تامة له صلوات
الله وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد روى ابو هريرة
انه صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده
رواه البخاري وقدم الوالد للاكثرية لان كل احد له والد من غير عكس وفي
رواية النسائي تقديم الولد على الوالد وذلك لمزيد الشفقة وزاد في
رواية عبد العزيز بن صهيب عن انس والناس وفي صحيح ابن خزيمة من اهله وماله
بدل من والده وولده وفي ذكر الوالد والولد ادخل في المعنى لانهما اعز على العاقل
من الاهل والمال بل ربما يكونان اعز من نفسك وكذا لم يذكر النفس في حديث ابي هريرة
وذكر الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص قال الخطابي والمراد بالمحبة
هنا حب الاختيار لا حب الطبع وقال النووي فيه تلميح الى قضية النفس الامارة
بالسوء والمطمينة فان من رجح جانب المطمينة كان حبه للنبي صلى الله عليه وسلم
راجحا ومن رجح جانب الامارة كان حكمه بالعكس وفي كلام القاضي عياض ان ذلك شرط في
صحة الايمان لانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال وتعقبه صاحب المفهم
بان ذلك ليس مرادا هنا لان اعتقاد الاعظمية ليس مستلزما للمحبة اذ قد يجد الانسان — فهو لان
اعظام شي مع خلوه من محبته قال فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل
ايمانه والى هذا يومي قول عمر في الحديث الذي رواه البخاري في الايمان والنذور
من حديث عبد الله بن هشام ان عمر بن الخطاب قال للنبي صلى الله عليه وسلم
لانت يا رسول الله احب الي من كل شي الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لن يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي
انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله

عليه وسلم الان يا عمر فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانها كانت حاصلة
لعمر قبل ذلك قطعا وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده حتى
اكون احب اليك من نفسك قال بعض الزهاد تقدير الكلام لا تصدق في حبي حتى
تؤثر رضاي على هواك وان كان فيه الهلاك واما وقوف عمر في اول مرة واستثناؤه
نفسه فلان حب الانسان نفسه طبع وحب غيره اختيار بتوسط الاسباب وانما اراد
عليه السلام منه حب الاختيار اذ لا سبيل الى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه
وعلى هذا فجواب عمر اولا كان بحسب الطبع ثم تامل فعرف بالاستدلال ان النبي صلى الله
عليه وسلم احب اليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من الهلكات في الدنيا والاخرة
فاخبر بما اقتضاه الاختيار فلذلك حصل الجواب بقوله الان يا عمر اي الان عرفت
فنطقت بما يجب واذا كان هذا شان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند الله ورسوله
في محبتنا له ووجوب تقديمها على محبة انفسنا واولادنا ووالدينا والناس اجمعين
فما الظن بمحبة الله تعالى ووجوب تقديمها على محبة ما سواه ومحبة الله تعالى
تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها وافراده سبحانه وتعالى بها فان الواجب
له من ذلك ان يكون احب الى العبد من ولده ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين
جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده احب اليه من ذلك كله والشيء قد يحب من وجه
دون وجه وقد يحب لغيره وليس شيء يحب لذاته من كل وجه الا الله وحده لا يحب ولا   شيى
تصلح الالوهية الا له تعالى والتاله هو المحبة والطاعة والخضوع ومن علامات
الحب المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرض الانسان على نفسه انه لو خير
بين فقد غرض من اغراضه او فقد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ان لو كانت ممكنة
اشد عليه من فقد شيء من اغراضه فقد اتصف بالاحبية المذكورة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن لا فلا قال القرطبي كل من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم
ايمانا صحيحا لا يخلو من وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة غير انهم متفاوتون فمنهم
من اخذ من تلك الرتبة بالحظ الاوفى ومنهم من اخذ بالحظ الادنى كمن كان مستغرقا
في الشهوات محجوبا في الغفلات في اكثر الاوقات لكن كثيرا منهم اذا ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم اشتاق الى رؤيته بحيث يؤثرها على اهله وماله وولده ويبذل نفسه في
الامور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من
هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع اثاره على جميع ما ذكر لما وقر في قلوبهم
من محبته غير ان ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات انتهى فكل مسلم في قلبه محبة
الله ورسوله لا يدخل في الاسلام الا بها والناس متفاوتون في محبته صلى الله عليه وسلم
بحسب الاستحضار ما وصل اليهم من جهته عليه الصلاة والسلام من النفع الشامل
لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك ان حظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى

ام لا ان هذا غمرة المعرفة وهم لها اعلم وقد روى ابن اسحق ما حكاه في الشفا ان امراة من
من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين فقالت
ارونيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل يعني صغيرة ورواه
البيهقي في الدلايل وذكر صاحب اللباب بلفظ لما قيل يوم احد قتل محمد صلى الله
عليه وسلم وكثرت الصوارخ بالمدينة خرجت امراة من الانصار فاستقبلت
باخيها وابنها وزوجها وابيها قتلى لا تدري بايهم استقبلت فلما مرت بواحد منهم
صريعا قالت من هذا قالوا اخوك وابوك وزوجك وابنك قالت فما فعل النبي صلى
الله عليه وسلم فيقولون امامك حتى ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بابي انت وامي يا رسول الله لا ابالي اذا
سلمت من عطب وكذا رواه ابن ابي الدنيا بنحوه في حمراء وقال عمرو بن العاصي
ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي بن ابي طالب
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الينا من اموالنا واولادنا وابائنا وامهاتنا
ومن الماء البارد على الظما ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة
وكسر المثلثة وتشديد النون من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب
انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا بمكانك تضرب عنقه وانك في اهلك
فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني
جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت احدا من الناس يحب احدا كحب اصحاب
محمد محمدا وروي ما ذكر القاضي عياض ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجي فانظر
اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين
واذا دخلتها لا اراك فانزل الله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اولئك رفيقا
فدعا به فقراها عليه قال وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
لا يطرف ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك
فاذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وذكر البغوي
في تفسيره بلفظ نزلت اي الاية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات
يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي من مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك استوحشت
وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع

النبيين واني دخلت الجنة في منزلة ادني من منزلتك واني لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت
هذه الاية وكذا ذكره الواحدي في اسباب النزول وعزاه للكلبي عن ثوبان وقال
قتادة قال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال في الجنة وانت
في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله الاية وذكره ابن ظفر
في ينبوع الحياة بلفظ ان عامر الشعبي قال ان رجلا من الانصار اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال له والله لانت يا رسول الله احب الي من نفسي ومالي وولدي واهلي
ولولا اني اتيك فاراك لرايت ان اموت وبكى الانصاري فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما ابكاك قال بكيت وذكرت انك ستموت ونموت فترفع مع النبيين
ونكون نحن ان دخلنا الجنة دونك فلم يجر النبي صلى الله عليه وسلم عليه يعني انه لم يرجع
اليه بقول فانزل الله الاية قال وذكر مقاتل بن سليمان مثل هذا وقال هو عبد الله
ابن زيد بن عبد ربه الانصاري الذي راى الاذان وذكر ايضا ان عبد الله بن زيد
هذا كان يعمل في جنة له فاتى ابنه فاخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي فقال
اللهم اذهب بصري حتى لا ارى بعد حبيبي محمد احدا فكف بصره واعلم انه لا يمكن
ان يجتمع في القلب حبان فان المحبة الصادقة توحيد المحبوب فليختر المرء لنفسه
احدى المحبتين فانهما لا يجتمعان في القلب والانسان عند محبوبه كاينا ما كان
كما قيل ، انت القتيل باي من احببته ، فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي ،
ولبعض الحكما كما ان العين لا يتسع لعضين فكذلك القلب لا يتسع لحبين ولذلك
لا زم اقبالك على من تهواه اعراضك عن كل شي سواه فمن داهن في المحبة او داجا
فقد عرض لمدى الغيرة اوداجا فمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام بل تقديمه
في الحب على الانفس والاباء والابنا لا يتم الايمان الا بها اذ محبته من محبة الله وقد
حكي عن ابي سعيد الخراز ما ذكره القشيري في رسالته انه قال رايت النبي
صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله اعذرني فان محبة الله تشغلني
عن محبتك فقال لي يا مبارك من احب الله فقد احبني وقيل ان ذلك وقع لامراة
من الانصار مع صلى الله عليه وسلم يقظة ولابن ابي الحجد ،،
،، الا يا محب المصطفى زد صبابة ، وضمخ لسان الذكر منك بطيبه ،،
،، ولا تعبان بالمبطلين فانما ، علامة حب الله حب حبيبه ،،
ولذلك كل حب في الله ولله كما في الصحيحين عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما
يكره ان يقذف في النار تعلق ذوق الايمان بالرضا بالله ربا وعلق وجدان حلاوته
بما هو موقوف عليه ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه احب الاشيا الى العبد وهو

ورسوله

ورسوله ممن رضي بالله ربا رضيه الله عبدا او معنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات
وتحمل المشقات في الدين وايثار ذلك على اغراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل
طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول قاله النووي وقال غيره معناه ان استكمل الايمان علم
ان الله حق ورسوله اكد عليه من حق والده وولده وجميع الناس لان الهدى من
الضلال والخلاص من النار انما كان بالله على لسان رسوله وفي قوله عليه الصلاة والسلام
حلاوة الايمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المومن في الايمان بشي حلو واثبت له
لازم ذلك الشي واضافه اليه وفيه تلميح الى قصة المريض والصحيح لان المريض الصفراوي يجد طعم
العسل مرا والصحيح يذوق حلاوته على ما هي وكلما نقصت الصحة شيا ما نقص الذوق
دونه بقدر ذلك وقال العارف ابن ابي جمرة واختلف في الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة
او معنوية فحملها قوم على المعنى وهم الفقها وحملها قوم على المحسوس وابقوا اللفظ على
ظاهره من غير ان يتاولوه وهم اهل الصفة او قال الصوفية قال والصواب معهم
في ذلك والله اعلم لان ما ذهبوا اليه ابقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تاويل قال
ويشهد الى ما ذهبوا اليه احوال الصحابة والسلف الصالح واهل المعاملات فانه حكي
عنهم انهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال حين صنع به ما صنع من
الرمضا اكراها على الكفر وهو يقول احد احد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان
وكذلك ايضا عند موته اهله يقولون واكرباه وهو يقول واطرباه غدا القى الاحبه
محمدا وصحبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقا وهي حلاوة الايمان ومنها حديث
الصحابي الذي سرق فرسه بليل وهو في الصلاة فراى السارق حين اخذه فلم يقطع
لذلك صلاته فقيل له في ذلك فقال ما كنت فيه الزمن ذلك ولا ذاك الا لحلاوة
الايمان التي وجدها محسوسة في وقته ذلك ومنها حديث الصحابيين الذين
جعلهما صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه من قبل العدو وقد اقبل فراهما فكيل
الجاسوس القوس ورمى الصحابي فاصابه فبقي على صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية
فاصابه فلم يقطع لذلك صلاته ثم رماه ثالثة فاصابه فعند ذلك ايقظ صاحبه
وقال لولا اني خفت على المسلمين ما قطعت صلاتي ولا ذاك الا لشدة ما وجد فيها
من الحلاوة حتى اذهبت عنه ما يجد من الم السلاح قال ومثل هذا حكي عن كثير من
اهل المعاملات انتهى وحديث هذين الصحابيين ذكره البخاري في صحيحه في
باب من لم ير الوضوء الا من المخرجين بلفظ ويذكر عن جابر ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان في غزوة ذات الرقاع فرمي رجل بسهم فنزفه الدم فركع وسجد ومضى في
صلاته وقد وصله ابن اسحق في المغازي قال حدثني صدقة بن يسار عن عقيل عن
جابر عن ابيه مطولا واخرجه احمد وابو داود والدارقطني وصححه ابن خزيمة
وابن حبان والحاكم كلهم من طريق ابن اسحق قال في فتح الباري وشيخه صدقة

تمة وعقيل بفتح العين لا عرف راويا عنه غير صدقة ولهذا لم يجزم به البخاري او لكونه
لم تصره او للخلاف في ابن اسحق واخرجه البيهقي في الدلايل من وجه اخر وسمي احدهما
عباد بن بشر الانصاري وعمار بن ياسر من المهاجرين والسورة الكهف واما قال مما سوا ها
فلم يقل ممن لبعيض من يعقل ومن لا يعقل وفي قوله وان يكون الله ورسوله احب اليه
مما سواهما دليل على انه لا باس بهذه التثنية واما قوله للذي خطب فقال ومن
يعصهما بيس الخطيب انت فليس من هذا لان المراد في الخطب الايضاح واما هنا
فالمراد الايجاز في اللفظ ليحفظ ويدل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم حيث قاله
في موضع اخر قال ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه وقيل انه من الخصايص فيمتنع
من غير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمتنع منه لان غيره اذا جمع اوهم اطلاق التسوية
بخلافه هو فان منصبه لا يتطرق اليه ايهام ذلك والى هذا مال ابن عبد السلام ومن
محاسن الاجوبة في الجمع بين هذا الحديث وقصة الخطيب ان تثنية الضمير هنا
للايمان الى ان المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما فانها وحدها
لاغية اذا لم ترتبط بالاخرى فمن يدعي حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه
ذلك ويشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاوقع
متابعته مكتنفة بين قطري محبة العباد ومحبة الله للعباد واما امر الخطيب
بالافراد فلان كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية اذ العطف في
تقدير التكرير والاصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم ويشير اليه قوله
تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فاعاد اطيعوا في الرسول ولم
يعده في اولي الامر لانهم لا استقلال لهم في الطاعة كاستقلال الرسول انتهى ملخصا
من كلام البيضاوي والطيبي كما حكاه في فتح الباري وفي الصحيح ذاق طعم الايمان من
رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا قال في المدارج فاخبر ان الايمان طعما
وان القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب وقد عبر النبي صلى الله عليه
وسلم عن حقيقة الايمان والاحسان وحصوله للقلب ومباشرته له بالذوق تارة
وبالطعام والشراب اخرى وبوجد الحلاوة تارة كما قال ذاق وقال ثلاث من كن
فيه وجد حلاوة الايمان ولما نهاهم عن الوصال قالوا انك تواصل فقال اني
لست كهيئتكم اني اطعم واسقى وقد غلظ حجاب من ظن ان هذا طعام وشراب
حسي للفم وسياتي تحقيق الكلام ان شاء الله في الصوم من مقصد عباداته عليه
الصلاة والسلام والمقصود ان ذوق حلاوة الايمان امر يجده القلب تكون نسبته
اليه كذوق حلاوة الطعام الى الفم وذوق حلاوة الجماع الى اللذة كما قال عليه
الصلاة والسلام حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وللايمان طعم وحلاوة
يتعلق بهما ذوق ووجد ولا تزول الشبهة والشكوك الا اذا وصل العبد

الي

عز ادراك

٣١٠

بلغ

الى هذه الحال فباشر الايمان قلبه حقيقة المباشرة فيذوق طعمه ويجد حلاوته
وقال العارف الكبير تاج الدين بن عطا الله فيه يعني في هذا الحديث اشارة الى
ان القلوب السليمة من امراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعاني كما تتنعم
النفوس بملذوذات الاطعمة وانما ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا لانه لما رضي
بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه والقى قياده اليه فتوجد لذات العيش وراحة التفويض
ولما رضي بالله ربا كان له الرضى من الله اوجده الله حلاوة ذلك ليعلم ما من به عليه
وليعرف احسان الله عليه ولما سبقت لهذا العبد العناية خرجت له العطايا
من خزاين المنن فلما وصلته امداد الله وانواره عوفي قلبه من الامراض والاسقام
فكان سليم الادراك فادرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه
وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا لانه اذا رضي بالاسلام دينا فقد رضي بما
رضي به المولى ولازم من رضي بمحمد نبيا ان يكون له وليا وان يتادب بادابه ويتخلق
باخلاقه زهدا في الدنيا وخروجا عنها وصفحا عن الجناة وعفوا عمن اسا اليه الى غير
ذلك من تحقيق المتابعة قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا فمن رضي بالله ربا
استسلم له ومن رضي بالاسلام عمل له ومن رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا يكون
واحد منها الا بكلها اذ محال ان يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام دينا او يرضى بالاسلام
دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفا فيه انتهى ملخصا واعلم ان محبة الله
على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال الاوامر والانتها
عن المعاصي والرضى بما يقدره فمن وقع في معصيته من فعل محرم او ترك واجب
فلتقصيره في محبة الله حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال
في المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجا فيقدم
على المعصية والندب ان يواظب على النوافل ويجتنب الوقوع في الشبهات
والمتصف بذلك في عموم الاوقات والاحوال نادر وفي البخاري من حديث ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى انه قال ما تقرب الي عبدي
بمثل اداء ما افترضته عليه وفي رواية بشي احب الي من اداء ما افترضت عليه
ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي
يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولين سالني لاعطينه ولين استعاذني
لاعيذنه وما ترددت عن شي انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المومن
يكره الموت واكره مساته ويستفاد من قوله وما تقرب الي عبدي بشي احب الي
ان اداء الفرايض احب الاعمال الى الله تعالى وعلى هذا فقد استشكل كون النوافل
تنتج المحبة ولا تنتجها الفرايض واجيب بان المراد من النوافل ما كانت مع الفرايض

Copyright King Saud University

مشتملة عليها ومكملة لها وبو بره ان في رواية ابي امامة ابن آدم انك لن تدرك
ما عندي الا باداما افترضته عليك او يجاب بان الاتيان بالنوافل لمحض المحبة
لا لخوف العقاب على الترك بخلاف الفرايض وقال الفاكهاني معنى الحديث انه
اذا ادى الفرايض ودام على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما افضى به ذلك
الى محبة الله تعالى وقد استشكل ايضا كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد
وبصره الى اخره واجيب باجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره في ايثاره امري فهو يحب طاعتي ويوثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح
ومنها ان المعنى ان كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه الا الى ما يرضيني ولا يرى
ببصره الا ما امرته به ومنها ان المعنى كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده
ورجله في المعاونة على عدوه ومنها انه على حذف مضاف كنت حافظ سمعه الذي
يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك الى اخره قاله الفاكهاني
قال ويحتمل معنى اخر ادق من الذي قبله وهو ان يكون بمعنى مسموعه لان المصدر
قد جا بمعنى المفعول مثلا فلان املي بمعنى مأمولي والمعنى انه لا يسمع الا
ذكري ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابي ولا يانس الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجايب ملكوتي
ولا يمد يده الا فيما فيه رضاي ورجله كذلك وقال غيره اتفق العلما ممن يعتد
بقوله على ان هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتاييده واعانته حتى كانه
سبحانه تنزل عنده منزلة الالات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية فبي
يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي قال والاتحادية زعموا انه على حقيقته
وان الحق عين العبد تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وقال الخطابي
عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعا والنجح في الطلب وذلك ان مساعي الانسان كلها
انما تكون بهذه الجوارح المذكورة وعن ابي عثمان الحيري احد ايمة الطريق
قال معناه كنت اسرع الى قضا حوايجه من سمعه في الاسماع وعينه في النظر ويده
في اللمس ورجله في المشي كذا اسنده عنه البيهقي في الزهد وحمله بعض اهل
الزيغ على ما يدعونه من ان العبد اذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى
يصفى من الكدر انه يصير في معنى الحق تعالى عن ذلك وانه يفنى عن
نفسه جملة حتى يشهد ان الله هو الذاكر لنفسه والموحد لنفسه والمحب
لنفسه وان هذه الاسباب والرسوم تصير عدما صرفا على هذه الاوجه كلها لا
متمسك فيه للاتحادية ولا القايلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث
ولين سالني زاد في رواية عبد الواحد عبدي انتهى ملخصا وقال العلامة
ابن القيم تضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حرام على غليظ الطبع كثيف
القلب فهم معناه والمراد به حصر اسباب محبته في امرين اداء فرايضه والتقرب
اليه بالنوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله

فاذا

فاذا صار محبوبا لله اوجبت محبة الله له محبة اخرى منه لله فوق المحبة الاولى و
فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكر والاهتمام لغير محبوبه وملكت عليه روحه
ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الاعلى مالكا
لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلا المحبوب على محبه الصادق في محبته التي
قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان
ابصر ابصر به وان نظر نظر به وان مشى مشى به فهو قلبه ونفسه وانيسه
وصاحبه والبا هنا للمصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار
عنها والعلم بها فالمسئلة حالية لا علمية محضة قال ولما حصلت الموافقة من العبد
لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوايجه ومطالبه فقال ولين
سالني لاعطينه ولين استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني في مرادي في امتثال
اوامري والتقرب الى محابي فانا اوافقه في رغبته ورهبته فيما يسالني ان افعله
به ويستعيذني ان يناله وقوي امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد
الرب سبحانه وتعالى في اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره عبده
المومن ويكره مساته فمن هذه الجهة تقتضي ان لا يميته ولكن مصلحته في اماتته
فانه ما اماته الا ليحييه ولا امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه ولا منعه الا ليعطيه
ولم يخرجه من الجنة في صلب ابيه الا ليعيده اليها على احسن احواله فهذا هو
الحبيب في الحقيقة لا سواه انتهى وقال الخطابي التردد في حق الله غير جايز
والبدا عليه في الامور غير سايغ ولكن له تاويلان احدهما ان العبد قد يشرف على
الهلاك في ايام عمره من الم داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها
ويدفع عنه مكروهها فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد امرا ثم يبدو له
فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من لقايه اذا بلغ الكتاب اجله لان الله تعالى
قد كتب الفنا على خلقه واستاثر بالبقا لنفسه والثاني ان يكون معناه ما رددت
رسلي في شي انا فاعله كترددي اياهم في نفس المومن كما روي في قصة موسى
عليه السلام وما كان من لطمه عين ملك الموت وترددت وتردده اليه مرة بعد
اخرى قال وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به
وشفقته عليه وقال الكلاباذي ما حاصله انه عبر عن صفة الفعل بصفة
الذات يعني باعتبار متعلقها اي عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد
اختلاف احوال العبد من ضعف ونصب الى ان تنتقل محبته في الحياة الى محبته
للموت فيقبض على ذلك قال وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما
عنده والشوق اليه والمحبة للقايه ما يشتاق معه الى الموت فضلا عن ازالة
الكراهة عنه انتهى وبالجملة فلا حياة للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله ولا

عيش الا عيش المحبين الذين قرت اعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمانت
قلوبهم واستانسوا بقربه وتنعموا بمحبته ففي القلب طاقة لا يسدها الا محبة
الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم والام وحسرات قال صاحب
المدارج ولن يصل العبد الى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف
الله ويهتدي اليه بطريق توصله اليه ويخرق ظلمات الطبع باشعة البصيرة
فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الاخرة فينجذب اليها بكليته ويزهد في التعلقات
الفانية ويداب في تصحيح التوبة والقيام بالمامورات الظاهرة والباطنة ثم
وترك المنهيات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة
يكرهها الله تعالى ولا بخطوة فضول لا ينفعه فيصفو لذلك قلبه بذكر ربه
ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه الى فضا الخلوة
بربه وذكره كما قال

واخرج من بين البيوت لعلني … احدث عنك النفس بالسر خاليا

فحينئذ يجمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه
فاذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله
امامه واستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه
فيطالع سيرته ومبادي اموره وكيفية نزول الوحي اليه ويعرف صفاته
واخلاقه وادابه وحركاته وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لاهله
واصحابه الى غير ذلك مما منحه الله تعالى مما ذكرت بعضه حتى يصير كانه معه
من بعض اصحابه فاذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه من
ربه بحيث اذا قرا السورة شاهد قلبه ماذا انزلت فيه وماذا اريد بها وحظه
المختص به منها من الصفات في الاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد في التخلص
منها كما يجتهد في الشفا من المرض المخوف ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام
علامات اعظمها الاقتدا به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتدا بهديه
وسيرته والوقوف على ما احد لنا من شريعته قال الله تعالى ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله فجعل تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم اية محبة
العبد ربه وجعل جزا العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله تعالى
اياه وقد قال الحكيم وهو محمود الوراق كما افاده المحاسبي في كتاب القصد والرجوع

تعصي الاله وانت تظهر حبه … هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته … ان المحب لمن يحب مطيع

وهذه المحبة تنشا من مطالعة العبد منته عليه من نعمه الظاهرة والباطنة
فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن اعظم مطالعة منة الله على
عبده منة تاهله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم

[illegible] الله

واصل

واصل هذا النور يقذفه الله تعالى في قلب العبد فاذا دار ذلك النور اشرقت
له ذاته فراى في نفسه وما اهلت له من الكمالات والمحاسن فعلت به همته
وقويت عزيمته وانقشعت عنه ظلمات نفسه وطبعه لان النور والظلمة لا
يجتمعان الا ويطرد احدهما الاخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والانس
الى الحبيب الاول

نقل فوادك حيث شئت من الهوى … ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يالفه الفتى … وحنينه ابدا لاول منزل

وبحسب هذا الاتباع يوجب المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الامر الا بهما فليس
الشان ان تحب الله بل الشان ان يحبك الله ولا يحبك الا اذا اتبعت حبيبه
ظاهرا وباطنا وصدقته واطعته امرا واجبته دعوة واثرته طوعا وفنيت
عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق وعن طاعة غيره بطاعته
وان لم يكن كذلك فلا تتعن فلست على شي وتامل قوله تعالى فاتبعوني يحببكم
الله اي الشان في ان الله يحبكم لا في انكم تحبونه وهذا لا ينالوه الا باتباع الحبيب
وقال المحاسبي في كتاب القصد والرجوع وعلامة محبة العبد لله عز وجل
اتباع مرضات الله والتمسك بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ذاق
العبد حلاوة الايمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى
٣١١ اللسان ذكر الله تعالى وما والاه واسرعت الجوارح الى طاعة الله فحينئذ يدخل
حب الايمان في القلب كما يدخل حب الما البارد الشديد برده في اليوم الشديد
الحر للظمان الشديد عطشه فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها
بل تبقى الطاعات غذا لقلبه وسرورا له وقرة عين في حقه ونعيما لروحه
يلتذ بها اعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد في اوراد العبادة كلفة وفي الترمذي
عن انس مرفوعا ومن احب سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة وعن ابن عطا من
الزم نفسه اداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام اشرف من مقام متابعة الحبيب
في اوامره وافعاله واخلاقه وقال ابو اسحق الرقي من اقران الجنيد علامة محبة الله ايثار
طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم وعن غيره لا يظهر على احد شي من نور الايمان
الا باتباع السنة ومجانبة البدعة فاما من اعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق
العلم من مشكاة الرسول عليه الصلاة والسلام بدعواه علما لدنيا روحانيا اوتيه
فهو من لدن النفس والشيطان وانما يعرف كون العلم لدنيا روحانيا بموافقته لما
جا به الرسول عن ربه تعالى فالعلم اللدني نوعان لدني رحماني ولدني شيطاني
والمحك هو الوحي ولا وحي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم واما قصة موسى مع
الخضر فالتعلق بها في تجويز الاستغنا عن الوحي بالعلم اللدني الحاد وكفر يخرج عن
الاسلام موجب لاراقة الدم والفرق ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يكن مبعوثا الى

Copyright King Saud University

الخضر لم يكن الخضر مامورا بمتابعته ولو كان مامورا بها لوجب عليه ان يهاجر
الى موسى ويكون معه ولهذا قال له انت موسى بني اسرائيل قال نعم ومحمد صلى الله
عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين فرسالته عامة للجن والانس في كل زمان ولو
كان موسى وعيسى حيين لكانا من اتباعه فمن ادعى انه مع محمد كالخضر مع موسى
او جوز ذلك لاحد من الامة فليجدد اسلامه وليتشهد بشهادة الحق فانه
مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن ان يكون من خاصة اوليا الله تعالى
وانما هو من اوليا الشيطان وخلفايه ونوابه والعلم اللدني والرحماني هو ثمرة العبودية
والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه ازكى الصلاة واتم التسليم وبه يحصل الفهم من الكتاب
والسنة بامر يختص به صاحبه كما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد سئل هل خصكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي دون الناس فقال لا الا فهما يوتيه الله عبدا
في كتابه فهذا هو العلم اللدني الحقيقي فاتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب
ونور البصاير وشفا الصدور ورياض النفوس ولذة الارواح وانس المستوحشين
ودليل المتحيرين ومن علامات محبته ان يرضى مدعيها بما شرعه حتى لا يجد في
نفسه حرجا مما قضى قال الله تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فسلب اسم الايمان عمن
وجد في صدره حرجا من قضايه ولم يسلم له قال شيخ المحققين وامام العارفين
تاج الدين بن عطا الله الشاذلي اذاقنا الله حلاوة شربه في هذه الاية دلالة
على ان الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
على نفسه قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم
التعريف والتسليم والانقياد على كل مومن في كليهما فاحكام التكليف الاوامر
والنواهي المتعلقة باكتساب العباد واحكام التعريف هو ما اورده عليكم من فهم
المراد فتبين من هذا انه لا يحصل لك حقيقة الايمان الا بالامرين الامتثال
لامره والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه لم يكتف بنفي الايمان عن من لم يحكم او حكم
ووجد الحرج في نفسه حتى اقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسول الله صلى الله
عليه وسلم رافة وعناية وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل فلا والرب انما قال
فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففي ذلك تاكيد بالقسم وتاكيد
في القسم علما منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة ووجود
النصرة سوا كان الحق عليها او لها وفي ذلك اظهار لعنايته برسول الله صلى
الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاه قضاه فاوجب على العباد الاستسلام
لحكمه والانقياد لامره ولم يقبل منهم الايمان بالالهية حتى يذعنوا لاحكام رسول
الله صلى الله عليه وسلم لانه كما وصفه به ربه وما ينطق عن الهوى ان

هو

هو الا وحي يوحى فحكمه حكم الله وقضاوه قضا الله كما قال تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله واكد ذلك بقوله يد الله فوق ايديهم وفي الاية اشارة اخرى الى
تعظيم قدره وتفخيم امره صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى وربك فاضافه
نفسه اليه كما قال في الاية الاخرى كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا
فاضاف الحق سبحانه نفسه الى محمد صلى الله عليه وسلم واضاف زكريا اليه ليعلم
العباد فرق ما بين المرتبتين وتفاوت ما بين الرتبتين ثم انه تعالى لم يكتف بالحكم
الظاهر فيكونوا به مومنين بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم
في احكامه صلى الله عليه وسلم سوا كان الحكم بما يوافق اهواهم او يخالفها وانما
تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فعنه يكون الحرج وهو
الضيق والمومنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملا قلوبهم فاتسعت وانشرحت
فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهياة لواردات
احكامه مفوضة له في نقضه وابرامه انتهى وقال سهل بن عبد الله من لم
ير ولاية الرسول عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة
سنته لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من
نفسه وروينا عن سيدنا العارف الكبير ابي عبد الله القرشي انه قال حقيقة المحبة
ان تهب كلك لمن احببت ولا يبقى لك منك شي انتهى فمن اثر هذا النبي الكريم
على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له
خفايا حقايق اسرار السنة ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام نصرة دينه
بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق باخلاقه في الجود والايثار والحلم
والصبر والتواضع وغيرها مما ذكرته من اخلاقه العظيمة وتقدم في كلام العارف
ابن عطا الله مزيد لذلك فربما من جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان
ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين واثر ذلك على اعراض
الدنيا ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم التسلي عند المصايب فان المحب
يجد في لذة المحبة ما ينسيه المصايب ولا يجد من مسها ما يجد غيره حتى كانه
قد اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق بل يقوى سلطان المحبة
حتى يلتذ بكثير من المصايب اعظم من التذاذ الخلي بحظوظه وشهواته والذوق
والوجود شاهد بذلك نكرب المحبة ممزوج بالحلاوة فاذا افتقد تلك الحلاوة
اشتاق الى تلك الكرب كما قيل تشكى المحبون الصبابة ليتني تحملت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذة الحب كلها فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي ومن علامات
محبته عليه الصلاة والسلام كثرة ذكره فمن احب شيا اكثر ذكره ولبعضهم
المحبة دوام الذكر للمحبوب ولا اخر ذكر المحبوب على عدد الانفاس ولغيره

Copyright King Saud University

ذكر

للمحب ثلاث علامات ان يكون كلامه المحبوب وصمته فكرا فيه وعمله طاعة له وقال
المحاسبي علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام لا ينقطعون ولا يملون
ولا يفترون وقد اجمع الحكما على ان من احب شيا اكثر من ذكره فذكر المحبوب هو الغالب
على قلوب المحبين لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا ولو قطعوا عن ذكر
محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون بشي الذ من ذكر المحبوب انتهى فالمحبون
قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات وانقطعت اوهامهم عن
عارض دواعي الشهوات ورغبت الى معادن الذخاير وبغية الطلبات وربما
تزايد وجد المحب وهاج الحنين وباح الانين وتحركت المواجيد وتغير اللون
واستنسلت الجوارح ونحل البدن واقشعر الجلد وربما صاح وربما بكا وربما
شهق وربما اوله وربما سقط

اذا باح دمع المهجور هاجره ... باح المحب بما تخفي ضمايره
ابكيته الحب صب باح مدمعه ... لما جرى بالذي تخفي سرايره
كانما قلبه احفان مقلته ... ودمعه في اماقيه خواطره
يا جيرة الجزع هل من جيرة لفتى ... عليه في حكمه قد جار جايره
اه وكم لي على حطب الهوى حطب ... من الغرام به تعلو منابره
مهفهف ابلج بدر على غصن ... تخفي البدر واذ لاحت بوادره
مطرز الخد بالريحان في ضرج ... موترد اسه تزهو ازاهره
مكمل الخلق ما تحصى خصايصه ... منضر الحسن قد قلت نظايره

وربما زاد الوجد على المحب تقتله اوله نفس من اثمان المحبة بذل الروح فالمفلس
الجبان وسومها بدم المحب يباع وصلهم فالله ما هزلت فيستامها المفلسون
ولا كسدت فينفقها بالنسية المعسرون لقد انست للعرض في سوق من
يزيد فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس فتاخر البطالون وقام المحبون
ينظرون ايهم يصلح ان يكون ثمنا فدارت السلعة بينهم ووقعت بيد اذلة على
المومنين اعزة على الكافرين ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام
تعظيمه عند ذكره واظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع اسمه فكل
من احب شيا خضع له وكان كثير من الصحابة بعده اذا ذكروه خشعوا
واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كان كثير من التابعين ممن بعدهم يفعلون
ذلك محبة وشوقا او تهيبا وتوقيرا قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على
كل مومن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من
حركته وياخذ في هيبته واجلاله بما كان ياخذ به نفسه لو كان
بين يديه ويتادب بما ادبنا الله به وكان ايوب السختياني اذا ذكر النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم بكا حتى نرحمه وكان جعفر بن محمد كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي
صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وكان عبد الرحمن بن القاسم اذا ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم ينظر الى لونه كانه قد نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله بن الزبير اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه
وسلم بكا حتى لا يبقى في عينيه دموع وكان الزهري من اهنى الناس واقربهم فاذا ذكر
عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانك ما عرفته ولا عرفك وكان صفوان بن سليم من
المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكا فلا يزال يبكي حتى
تقوم الناس عنه ويتركوه وكان قتادة اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل
اشار الى ذلك القاضي عياض ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم كثرة الشوق
الى لقائه اذ كل حبيب يحب لقا حبيبه ولبعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وعن
معروف الكرخي المحبة ارتياح الذات لمشاهدة الصفات او مشاهدة اسرار الصفات
فيرى بلوغ السول ولو بمشاهدة الرسول ولهذا كانت الصحابة رضي الله عنهم
اذا اشتد بهم الشوق وازعجتهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستشفوا بمشاهدته وتلذذوا بالجلوس معه والنظر اليه والتبرك به صلى الله
عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان ما كان خالد ياوي الى فراشه الا وهو
يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين
والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل
رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم ولما احتضر بلال نادت امراته واحزناه فقال
واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وصحبه اذا ذاق طعم المحبة اشتاق وتاججت نيران
الحب والطلب في قلبه ويحبس صبره عن محبوبه من اعظم كبايره كما قيل

والصبر يحمد في المواطن كلها ... الا عليك فانه لا يحمد

وعن زيد بن اسلم خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس فراى مصباحا
في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول ... على محمد صلاة الابرار ... صلى عليه الطيبون
قد كنت قواما بكا بالاسحار ... يا ليت شعري والمنايا اطوار ... هل تجمعني وحبيبي الدار
تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي ثم قام الى باب خيمتها فقال السلام عليكم
ثلاث مرات فقال لها اعيدي علي قولك فاعادته بصوت حزين فبكا
وقال لها وعمر لا تنسيه يرحمك الله فقالت وعمر فاغفر له يا غفار وحكي انه
رويت امراة مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك فقالت
غفر لي قيل بماذا قالت بمحبتي النبي صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه
نوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحيي ان نذله بعتابنا بل نجمع بينه
وبين من يحبه ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم حب القران الذي اتى به

وهدايه واهتدي به وتخلق واذا اردت ان تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة
الله ورسوله فانظر محبة القرآن من قلبك والتذاذك بسماعه اعظم من التذاذ اصحاب
الملاهي والغنا والطرب بسماعهم فانه من المعلوم ان من احب محبوبا كان كلامه
وحديثه احب شي اليه كما قيل ان كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي اما تاملت ما فيه
ويروى ان عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام
الله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه قال النبي صلى الله عليه
وسلم لعبد الله بن مسعود اقرا علي قال اقرا عليك وعليك انزل فقال اني احب
ان اسمعه من غيري فاستفتح وقرا سورة النسا حتى بلغ فكيف اذا جينا من كل امة
بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا قال حسبك فرفع راسه فاذا عينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يذرفان من البكا رواه البخاري وهذا يجده من سمع الكتاب
العزيز باذن قلبه قال الله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم
تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال صاحب عوارف المعارف اذاقنا
الله حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من
اهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين
فتفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق
حار وتارة يورث ندما والندم حار فاذا اثار السماع هذه الصفات من صاحب
قلب مملوء ببرد اليقين ابكى وادمع لان الحرارة والبرودة اذا اصطدمتا عصرت
ما فاذا الم السماع بالقلب تارة تخف المامه فيظهر اثره في الجسد ويقشعر منه الجلد
قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وتارة يعظم ويعمه
ويتصوب اثره اي يقصد نحو الدماغ فتندفق منه العين بالدمع وتارة يتصوب
اثره الى الروح فتموج منه الروح موجا يكاد يضيق عنه نطاق القلب فيكون
من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها احوال يجدها اربابها من اصحاب
الاحوال وقد كان عمر رضي الله عنه ربما مر باية من ورده فتخنقه العبرة
ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مريضا
وقد كان الصحابة اذا اجتمعوا وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا موسى ذكرنا
ربنا فيقرا وهم يسمعون فلمحبي السماع القراني من الوجد والذوق واللذة
والحلاوة والسرور اضعاف ما لمحبي السماع الشيطاني فاذا رايت الرجل ذوقه ووجده
وطربه ونشانه في سماع الابيات دون سماع الايات وفي سماع الالحان دون سماع
القران كما قيل تقرا عليك الختمة وانت جامد كالحجر وبيت من الشعر ينشد
تميل كالنشوان فاعلم ان هذا من اقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله
ورسوله ادام الله تعالى لنا حلاوة محبته ولا سلك بنا في غير سبيل سنته

سماع

بمنه

بمنه ورحمته ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبة سنته وقراة
حديثه فان من دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله او من
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تشربها روحه وقلبه ونفسه
ويقول اشم منك نسيما لست اعرفه اظن لميا جرت فيك اردانا
فتغمه تلك الكلمة وتشمله فتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع
الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول لي حبيب خياله نصب عيني وسره في ضميري
ان تذكرته فكلي قلوب او تاملته فكلي عيون
فحينيذ يستنير قلبه ويشرق سره وتتلاطم عليه امواج التحقيق عند ظهور
البراهين ويرتوي برى عطف محبوبه الذي لا شي اروى لقلبه من عطفه
عليه ولا شي اشد للهيبة وحريقه من اعراضه عنه ولهذا كان عذاب
اهل النار باحتجاب ربهم عنهم اشد عليهم من العذاب الجسماني كما ان نعيم اهل
الجنة برويته تعالى وسماع خطابه ورضاه واقباله اعظم من النعيم الجسماني
لا حرمنا الله ذوق حلاوة هذا المشرب ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم
ان يلتذ محبه بذكره الشريف ويضطرب عند سماع اسمه المنيف وقد يوجب
له ذلك سكرا يستغرق قلبه وروحه وسمعه وسبب هذا السكر اللذة
القاهرة للعقل وسبب اللذة ادراك المحبوب عليه الصلاة والسلام فاذا كانت
المحبة قوية وادراك هذا المحبوب قويا كانت اللذة بادراكه تابعة لقوة
هذين الامرين فان كان العقل قويا مستحكما لم يتغير لذلك وان كان ضعيفا
حدث السكر المخرج له عن حكمه وقد حد والسكر بانه سقوط التمالك في الطرب
كانه يبقى في السكران بقية يلتذ بها ويطرب فلا يتمالك صاحبها ولا يقدر ان يفني
معها وقد يكون سبب السكر قوة الفرح بادراك المحبوب بحيث يختلط كلامه
وتتغير افعاله بحيث يزول عقله ويعربد اعظم من عربدة شارب الخمر وربما
قتله سكر هذا الفرح بسبب طبيعي وهو انبساط دم القلب وهلة واحدة انبساطا
غير معتاد والدم هو حامل الحار الغريزي فيبرد القلب بسبب انبساط الدم
عنه فيحدث الموت ومن هذا قول سكران الفرح بوجود راحلته في
المفازة بعد ان استشعر الموت اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة فرحه
وسكرة الفرح فوق سكرة الشراب فتصور في نفسك حال فقير معدم عاشق
للدنيا اشد العشق ظفر بكنز عظيم فاستولى عليه امنا مطمينا كيف تكون
سكرته او من غاب عنه غلامه بماله العظيم مدة سنين حتى اضربه العدم
فقدم عليه من غير انتظار له بماله كله وقد كسب اضعافه ومن اقوى اسبابه
ما نحن فيه سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المعربة

طا

Copyright King Saud University

اذا صادفت محلا قابلا فلا تسال عن سكرة السامع وهذا السكر يحدث عندها من
جهتين احداهما انها في نفسها توجب لذة قوية يغمر منها العقل الثانية انها
تحرك النفس الى نحو محبوبها وجهته فيحصل بتلك الحركة والشوق والطلب
مع التخيل للمحبوب واحضاره في النفس وادنا صورته في القلب واستيلايها على الفكر
لذة عظيمة تغمر العقل فيجتمع لذة الالحان ولذة الاشجان فتسكر الروح سكرا
عجيبا اطيب والذ من سكر الشراب ويحصل به نشاة الذ من نشاة الشراب
وقد ذكر الامام احمد وغيره انه تعالى يقول لداود مجدني بذلك الصوت الذي
كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف وقد اذهبته فيقول انا اردده عليك فيقوم
عند ساق العرش فيمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته استفرغ نعيم اهل الجنة
واعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك
روية وجهه الكريم الذي يغنيهم لذة رويته عن الجنة ونعيمها فامر لا تدركه
العبارة ولا تحيط به الاشارة وهذه صفة لا تلج كل اذن وصيب لا يحيى به كل
ارض وعين لا يشرب منها كل وارد وسماع لا يطرب عليه كل سامع ومايدة لا يجلس
عليها طفيلي اشار اليه في المدارج ثم انصف بهذه العلامات التي ذكرتها فهو كامل
المحبة لله ورسوله ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله عليه
السلام للذي حده في الخمر لما لعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يوتى به فقال صلى الله عليه وسلم
لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله فاخبر انه يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه
وفيه الرد على من زعم ان مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه وثبوت الامر
بالدعا له وفيه انه لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب
المرتكب وان من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله في قلب
العاصي مقيدا بما اذا ندم على وقوع المعصية او اقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب
المذكور بخلاف من لم يقع منه ذلك فانه يخشى بتكرار الذنب ان ينطبع على قلبه حتى
يسلب منه ذلك اسال الله العفو والثبات على محبته وسلوك سنته بمنه ورحمته
تنبيه وقد اختلف العلما ايما ارفع درجة المحبة او درجة الخلة فحكى القاضي عياض
ان بعضهم جعلها سوا فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم
بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالمحبة قال وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج
لقوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا غير ربي لم اتخذه وقد اطلق المحبة
لفاطمة وابنيها واسامة انتهى وهذا هو الظاهر من المعنى الاخص لان المحبة ماخوذة
من معنى الخلة لكن يرد ما روي في قصة الاسرا في مناجاته صلى الله عليه وسلم لربه
تعالى حيث قال له تعالى يا محمد سل فقال يا رب انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت
موسى تكليما فقال له تعالى الم اعطك خيرا من هذا الى قوله واتخذتك حبيبا وما في

معناه

معناه رواه البيهقي بنحوه وهذا يعطي ان درجة المحبة ارفع وقد احتج من قال
بتفضيل مقام المحبة على الخلة بفروق كثيرة ذكر القاضي عياض في الشفا منها نقلا
عن الامام ابي بكر بن فورك عن بعض المتكلمين نبذة ومنها ان الخليل يصل بالواسطة
من قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل اليه
به من قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى ومنها ان الخليل قال لا تخزني والحبيب
قيل له يوم لا يخزي الله النبي ومنها ان الخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب
قيل له يا ايها النبي حسبك الله ومنها ان الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع
من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد
مع
اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وفي كتابي تحفة السا
والقاري بختم صحيح البخاري وجوه اخرى غير ما حكاه القاضي عياض وفي كلها
نظر واضح كما بينته في حاشية الشفا وذلك ان مقتضى الفرق بين الشيئين ان
يكون في حد ذاتهما يعني باعتبار مدلول خليل وحبيب وما حكاه القاضي عياض
وذكرته في التحفة يقتضي تفضيل ذات محمد صلى الله عليه وسلم على ذات ابراهيم
دالمجد ص
عليهما الصلاة والسلام لا يقال باعتبار ثبوت وصف الخلة له فيلزم ذلك لانا نقول
كل منهما ثابت له وصف الخلة والمحبة اذ لا يسلب عن ابراهيم عليه السلام وصف
المحبة لا سيما والخلة اخص من المحبة ولا يسلب عن نبينا صلى الله عليه وسلم وصف
الخلة لا سيما وقد ثبت في حديث ابي هريرة قول الله تعالى اني اتخذتك خليلا
وقد قام الاجماع على فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الانبيا بل هو افضل خلق
الله على الاطلاق واما قوله ان الخليل يصل بالواسطة فلا يفيد غرضا من هذا المقام
الذي هو بصدده وليس المراد به قطعا الا الوصول الى المعرفة اذ الوصول
الى المعرفة الحسي ممتنع على الله تعالى واما قوله والحبيب يصل اليه به فالوصول
٣١٥
الى الله تعالى لا يكون الا به حبيبا كان او خليلا واما قوله الخليل هو الذي تكون
مغفرته في حد الطمع الى اخره فانه لا يصح ان يكون على جهة التفسير للخليل
ولا تعلق له بمعناه وقصارى ما ذكره انه لا يعطي تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم
على ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حد ذاته من غير نظر الى ما جعله علة تعقوليه
في ذلك من وصف المحبة والخلة والحق ان الخلة اعلا واكمل وافضل من المحبة قال ابن
القيم واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة اكمل من الخلة وان ابراهيم خليل الله
ومحمد حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة
قال وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذه خليلا ونفى ان يكون له
خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعايشة ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم وايضا
فانه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين

Copyright © King Saud University

يحب المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة بالخليلين قال وانما هذا من قلة
العلم والفهم عن الله ورسوله انتهى وقال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرحه لبردة
الابوصيري وزعم بعضهم ان المحبة افضل من الخلة وقال محمد حبيب الله وابراهيم
خليل الله وضعف بان الخلة خاصة وهي توحيد الحب والمحبة عامة قال الله
تعالى ان الله يحب التوابين قال وقد صح ان الله اتخذ نبينا خليلا فقال ان تالع
الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا انتهى **الفصل الثاني في حكم الصلاة عليه**
والتسليم من فرضيته وفضيلته وصفته ومحله قال الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي وفضيلته
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال ابو العالية معنى صلاة الله
على نبيه ثناوه عليه عند الملايكة ومعنى صلاة الملايكة عليه الدعا قال
في فتح الباري وهذا اولى الاقوال فيكون معنى صلاة الله تعالى عليه ثناوه
عليه وتعظيمه وصلاة الملايكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى والمراد
طلب الزيادة لا طلب اصل الصلاة وعن ابن عباس ان معنى صلاة الملايكة الدعا
بالبركة وروى ابن ابي حاتم عن مقاتل بن حيان قال صلاة الله مغفرته وصلاة
الملايكة الاستغفار وقال الضحاك بن مزاحم صلاة الله رحمته وفي رواية عنه
مغفرته وصلاة الملايكة الدعا اخرجهما اسماعيل القاضي عنه وكانه يريد الدعا
بالمغفرة ونحوها وقال المبرد الصلاة من الله الرحمة ومن الملايكة رقة تبعث
على استدعا الرحمة وتعقب بان الله غاير بين الصلاة والرحمة في قوله سبحانه اوليك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة ولذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى صلوا
عليه وسلموا تسليما حتى سالوه عن كيفية الصلاة مع تقدم ذكر الرحمة في تعليم
السلام حيث جا بلفظ السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته واقرهم النبي
صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام
وجوز الحليمي ان تكون الصلاة بمعنى السلام عليه وفيه نظر وقيل صلاة الله على
خلقه تكون خاصة وتكون عامة فصلاته على انبيايه هي ما تقدم من الثنا
والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة فهي التي وسعت كل شي وحكى القاضي عياض
عن بكر القشيري انه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الله تشريف
وزيادة تكرمة وعلى من دون النبي رحمة وبهذا يظهر الفرق بين النبي
صلى الله عليه وسلم وبين ساير المومنين حيث قال تعالى في سورة الاحزاب
ان الله وملايكته يصلون على النبي وقال قبل ذلك في السورة المذكورة هو
الذي يصلي عليكم وملايكته ومن المعلوم ان القدر الذي يليق بالنبي صلى الله
عليه وسلم من ذلك ارفع مما يليق بغيره والاجماع منعقد على ان في هذه الاية
من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها وقال الحليمي

في

في الشعب معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهم صل
على محمد اعظم محمدا والمراد تعظيمه في الدنيا باعلاء ذكره واظهار دينه وابقاء شريعته
وفي الاخرة باجزال مثوبته وتشفيعه في امته وابدا فضيلته بالمقام المحمود
وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى صلوا عليه ادعوا ربكم بالصلاة عليه انتهى
ولا يعكر عليه عطف اله وازواجه وذريته عليه فانه لا يمتنع ان يدعى لهم
بالتعظيم اذ تعظيم كل احد بحسب ما يليق به وما تقدم عن ابي العالية اظهر
فانه يحصل به استعمال لفظ الصلاة بالنسبة الى الله والى ملايكته والى
المومنين المامورين بذلك بمعنى واحد ويويده انه لا خلاف في جواز الترحم
على غير الانبيا **واختلف** في جواز الصلاة على غير الانبيا ولو كان معنى قولنا اللهم
صل على محمد ارحم محمدا او ترحم على محمد جاز لغير الانبيا وكذا لو كان بمعنى البركة
وكذا الرحمة لسقط الوجوب في التشهد عند من يوجبه بقول المصلي
في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ويمكن الانفصال
عنه بان ذلك وقع بطريق التعبد فلا بد من الاتيان به ولو سبق الاتيان
بما يدل عليه **فان قلت** في اي وقت وقع الامر بالصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم فالجواب كما قاله ابو ذر الهروي انه وقع في السنة الثانية من الهجرة
وقيل في ليلة الاسرا وقيل ان شهر شعبان شهر الصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم لان اية الصلاة يعني ان الله وملايكته يصلون على النبي نزلت فيه
والله اعلم قال الحليمي والمقصود بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب
٣١٦ الى الله تعالى بامتثال امره تعالى وقضا حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا
رف وتبعه ابن عبد السلام فقال في الباب الثامن من كتابه المسمى بشجرة المعا
ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فان مثلنا لا يشفع
لمثله ولكن الله امرنا بمكافاة من احسن الينا فان عجزنا عنها كافاناه بالدعا
فارشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافاة نبينا الى الصلاة عليه وذكر نحوه عن
الشيخ ابي محمد المرجاني **وقال** ابن العربي فايدة الصلاة عليه ترجع الى
الذي يصلي عليه لدلالة ذلك على نصوح العقيدة وخلوص النية
واظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة صلى
الله عليه وسلم **واختلف** في حكم الصلاة عليه صلوات الله وسلامه عليه
على اقوال احدها انها تجب في الجملة بغير حصر لكن اقل ما يحصل به الاجزا
مرة الثاني يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد قاله القاضي ابو بكر
ابن بكير من المالكية وعبارته كما قاله القاضي عياض افترض الله تعالى على
خلقه ان يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك

لوقت معلوم فالواجب ان يكثر منها ولا يغفل عنها الثالث تجب كلما ذكر قاله
الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعة من الشافعية وقال ابن العربي من
المالكية انه الاحوط وكذا قاله الزمخشري واستدلوا لذلك بحديث من ذكرت
عنده فلم يصل علي فمات فدخل النار فابعده الله اخرجه ابن حبان من حديث
ابي هريرة وحديث رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل علي رواه الترمذي من
حديث ابي هريرة وصححه الحاكم وحديث شقي عبد ذكرت عنده فلم يصل علي اخرجه
الطبراني من حديث جابر لان الدعا بالرغم والابعاد والشقا يقتضي الوعيد والوعيد
على الترك من علامات الوجوب ومن حيث المعنى فان فائدة الامر بالصلاة عليه
مكافاته على احسانه واحسانه مستمر فيتاكد اذا ذكر واستدلوا ايضا بقوله
تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا فلو كان اذا ذكر لا يصلي عليه
كان كاحاد الناس واجاب من لم يوجب ذلك باجوبة منها انه قول لا يعرف
عن احد من الصحابة ولا التابعين فهو قول مخترع ولو كان ذلك على عمومه اذا
اذن وكذا سامعه وللزم القاري اذا مر باية فيها ذكره عليه السلام في القران وللزم لزوم الامودد
الداخل في الاسلام اذا تلفظ بالشهادتين ولكان في ذلك من المشقة والحرج م
ماجات الشريعة المطهرة السمحة بخلافه ولكان الثنا على الله تعالى كلما ذكر احق
بالوجوب ولم يقولوا به وقد اطلق القدوري وغيره من الحنفية ان القول
بوجوب الصلاة كلما ذكر مخالف للاجماع المنعقد قبل قايله لانه لا يحفظ عن احد
من الصحابة انه خاطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليك
ولانه لو كان كذلك لما تفرغ لعبادة اخرى واجابوا عن الاحاديث بانها خرجت
مخرج المبالغة في تاكيد ذلك وطلبه وفي حق من اعتاد ترك الصلاة عليه دينا
وبالجملة فلا دلالة على وجوب تكرر ذلك بتكرر ذكره صلى الله عليه وسلم في المجلس
الواحد انتهى ملخصا والله اعلم الرابع في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا حكاه الزمخشري
الخامس في كل دعا حكاه ايضا السادس ايضا انها من المستحبات وهو قول ابن جرير
الطبري وادعى الاجماع على ذلك واحتج على ذلك مع ورود صيغة الامر بذلك م
بالاتفاق من جميع المتقدمين والمتاخرين من علما الامة على ان ذلك غير مستلزم
فريضتها حتى يكون تاركها عاصيا قال فدل على ان الامر فيه للندب ويحصل
الامتثال لمن قاله ولو كان خارج الصلاة قال في فتح الباري وما ادعاه من الاجماع
معارض بدعوى غيره الاجماع على مشروعية ذلك في الصلاة اما بطريق الوجوب
واما بطريق الندب ولا يعرف عن السلف لذلك مخالف الا ما اخرجه ابن ابي
شيبة والطبري عن ابراهيم النخعي انه كان يرى ان قول المصلي في التشهد
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته يجزي عن الصلاة ومع ذلك فانما ادعى

احز

مرة

اجزا السلام عن الصلاة السابع تجب في العمر في الصلاة او غيرها ككلمة التوحيد قاله ابو بكر
الرازي من الحنفية الثامن تجب في الصلاة من غير تعيين المحل ونقل ذلك عن ابي جعفر
الباقر التاسع تجب في التشهد وهو قول الشعبي واسحق بن راهويه العاشر تجب في
القعود اخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحلل قاله الشافعي ومن تبعه م
واستدل لذلك بما رواه اصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن ابي
مسعود البدري انهم قالوا يا رسول الله اما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك
اذا نحن صلينا في صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد الحديث ومعنى
قولهم اما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان يعلمهم اياه كما يعلمهم
السورة من القران وفيه السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ورواه الشافعي
في مسند ابي هريرة بمثله وقد احتج بهذه الزيادة جماعة من الشافعية منهم ابن
خزيمة والبيهقي لايجاب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بعد التشهد وقبل السلام
وقال الشافعي في الام فرض الله الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع اولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة على النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك اخبرنا ابراهيم بن محمد حدثنا صفوان بن سليم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن
عن ابي هريرة انه قال يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني في الصلاة قال تقولون اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم الحديث اخبرنا ابراهيم بن محمد حدثني
٣١٧ سعد بن اسحق بن كعب بن عجرة عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن كعب بن عجرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على
ابراهيم وال ابراهيم الحديث قال الشافعي فلما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم
التشهد في الصلاة وروي انه علمهم كيف يصلون عليه في الصلاة لم يجز ان يقول التشهد
في الصلاة واجب والصلاة عليه فيه غير واجبة وقد تعقب بعض المخالفين م
هذا الاستدلال من اوجه احدها ضعف ابراهيم بن محمد بن ابي يحيى والكلام فيه مشهور
الثاني على تقدير صحته فقوله في الاول يعني في الصلاة لم يصرح بالقايل يعني الثالث
قوله في الثاني انه كان يقول في الصلاة وان كان ظاهره ان المراد الصلاة المكتوبة
لكنه يحتمل ان يكون المراد بقوله في الصلاة اي في صفة الصلاة عليه وهو احتمال
قوي لان اكثر الطرق عن كعب بن عجرة يدل على ان السؤال وقع عن صفة الصلاة
لا عن محلها الرابع ليس في الحديث ما يدل على تعيين ذلك في التشهد خصوصا
بينه وبين السلام وقد اطنب قوم من متاخري المالكية وغيرهم في التشنيع
على الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة وزعم انه قد تفرد بذلك وحكى الاجماع
على خلافه منهم ابو جعفر الطبري والطحاوي وابن المنذر والخطابي وحكى

Copyright King Saud University

القاضي عياض في الشفا فقال الائمة وقد عاب عليه غير واحد وقالوا ينبغي سكوته
عنها لان مبني كان تاليفه الشفا على كمال المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم
واداء حقوقه والقول بوجوب الصلاة عليه في الصلاة من غرض المبالغة في
تعظيمه وقد استحسن هو القول بطهارة فضلاته مع ان الاكثر على خلافه لكنه
استجاده لما فيه من الزيادة في تعظيمه وكيف ينكر القول بوجوب الصلاة عليه
وهي من جنس الصلاة عليه ومقتضا بلتها واذا شرع السلام فيها على نفس المصلي
وعلى عباد الله الصالحين فكيف لا يجب الصلاة على سيد المرسلين وقد انتصر
جماعة كثيرة من العلماء الاعلام للشافعي كالحافظ عماد الدين بن كثير والعلامة
ابن القيم وشيخ الاسلام والحافظ ابي الفضل بن حجر وتلميذه شيخنا الحافظ وغيرهم
ممن يطول عدهم واستدلوا لذلك بادلة نقلية ونظرية ودفعوا دعوى
الشذوذ فنقلوا القول بالوجوب عن جماعة من الصحابة منهم بن مسعود
وابو مسعود البدري وجابر بن عبد الله ونقل اصحاب الشافعي عن عمر
ابن الخطاب وابنه عبد الله ومن التابعين الشعبي فيما رواه البيهقي كما سياتي
وكذا ابو جعفر الباقر ومقاتل واخرج الحاكم بسند قوي عن ابن مسعود
قال يتشهد الرجل ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه
قال الحافظ ابن حجر وهذا اقوى شي يحتج به للشافعي فان ابن مسعود ذكر ان النبي
صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد في الصلاة وانه قال ثم ليتخير من الدعاء ما شا فلما ثبت
عن ابن مسعود الامر بالصلاة عليه قبل الدعاء دل على انه اطلع على زيادة ذلك بين
التشهد والدعاء واندفعت حجة من تمسك بحديث ابن مسعود في دفع ما ذهب
اليه الشافعي مثل ما ذكره القاضي عياض قال وهذا تشهد ابن مسعود الذي علمه
له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه ذكر الصلاة عليه وفي جزء الحسن بن عرفة
مرفوعا واخرج العمري في عمل يوم وليلة عن ابن عمر بسند جيد قال لا تكون
صلاة الا بقراءة وتشهد وصلاة علي واخرج البيهقي في الخلافيات بسند قوي
عن الشعبي وهو من كبار التابعين قال كنا نعلم التشهد فاذا قال واشهد ان محمدا
عبده ورسوله يحمد ربه ويثني عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم يسال حاجته وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود مرفوعا من صلى صلاة
لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه من
قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله
عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم لكن راويه عن ابي جعفر جابر الجعفي
وهو ضعيف كذا في الشفا وقد وافق الشافعي من فقهاء الامصار احمد في احدى
الروايتين عنه وعمل به اخيرا كما حكاه عنه ابو زرعة الدمشقي فيما ذكره

الحافظ

الحافظ ابن كثير واوجب اسحق بن راهويه الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان
والمشهور عند احمد انها تبطل بتركها عمدا او سهوا وعليه اكثر اصحابه حتى
ان بعض ايمة الحنابلة اوجب ان يقال في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما
علمهم ان يقولوا لما سالوه ذكره ابن كثير ووافق الخرقي اسحق في التقييد بالعمد
دون السهو والخلاف ايضا عند المالكية كما ذكره ابن الحاجب في سنن الصلاة
ثم قال على الصحيح فقال شارحه ابن عبد السلام يريد ان في وجوبها قولين وهو
ظاهر كلام الامام ابن المواز وبه صرح عنه ابن القصار وعبد الوهاب كما في الشفا
بلفظ انه يراها فريضة في الصلاة لقول الشافعي قال وحكى ابو يعلى العبدي المالكي
عن المذهب فيها ثلاثة اقوال في الصلاة الوجوب والسنة والندب ورايت ما عزي
للقاضي عياض لابي بكر بن العربي في سراج المريدين قال ابن المواز والشافعي الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم من فرائض الصلاة وهو الصحيح انتهى وقد يلزم القايل
من الحنفية بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر كالطحاوي ونقله السروجي في شرح الهداية
عن اصحاب المحيط والعقد والتحفة من كتبهم ان يقول بوجوبها في التشهد لتقدم
ذكره صلى الله عليه وسلم في اخر التشهد في قوله واشهد ان محمدا رسول الله لكن
لهم ان يلتزموا ذلك ولا يجعلونه شرطا في صحة الصلاة ولم يخالف الشافعي احد من
اصحابه في ذلك بل قال بعض اصحابنا بوجوب الصلاة على الال كما حكاه البندنيجي
والدارمي ونقله امام الحرمين والغزالي قولا عن الشافعي قال الحافظ ابن كثير
والصحيح انه وجه على ان الجمهور على خلافه وللقول بوجوبه ظهور للحديث
واما مخالفة الخطابي من اصحاب الشافعي فلا يعتد به تقتضي الامر المحمول على
الوجوب اجماعا اولى احواله الصلاة ولا مانع من احتمال كونه مرادا واما قوله
ولا اعلم له فيها قدوة فيقال عليه لا ريب ان الشافعي قدوة يقتدى به والمقام مقام
اجتهاد فلا افتقار له فيه الى غيره واما قوله في الشفا والدليل على انها ليست من
فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه ففيه نظر لانه
ان اراد بالعمل الاعتقاد فيحتاج الى نقل صريح عنهم بان ذلك ليس بواجب
واني يوجد ذلك واما قوله وقد شنع الناس عليه يعني الشافعي هذه المسلة جدا
فلا معنى له واي شناعة في ذلك ولم يخالف فيه نصا ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة
راجحة بل القول بذلك من محاسن مذهبه ولا ريب ان القايل بجواز ترك الصلاة
على افضل خلق الله في الصلاة التي هي راس العبادة المطلوب فيها الخضوع
واستحضار شارعها والثنا عليه اولى بالتشنيع واما نقله الاجماع فقد تقدم
ما فيه واما قوله ان الشافعي اختار تشهد ابن مسعود فلم يقل به احد والشافعي
انما اختار تشهد ابن عباس كما سياتي ان شا الله تعالى في مقصد عباداته

Copyright … University

صلى الله عليه وسلم وقد استدل للوجوب بما اخرجه ابو داود والنساي والترمذي
وصححه وكذا ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث فضالة ابن عبيد قال
سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعوا في صلاته لم يحمد الله تعالى ولم يصل
على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عجل هذا ثم دعاه فقال اذا صلى احدكم فليبدا
بالحمد لله والثنا عليه ثم ليصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شا قلت ومما
يعد من كرامات امامنا الشافعي وسره السار ان القاضي عياض ساق هذا
الحديث بسنده من طريق الترمذي من غير ان يطعن في سنده بعد قوله
فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب
من ذلك في تشهد الصلاة وذلك بعد التشهد وقبل الدعا وهذا الحديث
كما ترى من اعظم الادلة لنا فان قال قايل ليس لكم فيه دلالة قال فيه سمع
رجلا يدعوا في صلاته ولم يقل في تشهده يجاب بانه يلزم على هذا ان القاضي
عياض ساقه في غير محله لانه عقد الفصل كما قدمته لبيان مواطن استحباب
الصلاة ثم قال ومن ذلك في تشهد الصلاة وفي مصابيح البغوي من حديث
فضالة بن عبيد هذا ما يدل على انه كان في التشهد ولفظه قال دخل رجل فقال اللهم اغفر لي
وارحمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجلت ايها المصلي اذا صليت فقعدت
فاحمد الله بما هو اهله وصل علي ثم ادعه وفي قوله عجلت استلواح نوات الكمال
عن الحقيقة المجزية اذ لو كانت مجزية لما حسن اللوم والتعليم بصيغة الامر
فان قال انه في مقام تعليم المستحبات اذ لو كان في الواجبات لامره بالاعادة كما امر
المسي صلاته يجاب بان في قوله هذا اغنية عن الامر بالاعادة لانه حيث علمه
ما هو الواجب علم قطعا انه لم يات به اولا فلم يكن اتيانه فوجب اعادته وهم اهل
الفهم والعرفان فان قال ان قوله فقعدت يحتمل ان يكون عطفا على مقدر تقديره
اذا صليت وفرغت فقعدت للدعا فاحمد الله يجاب بان الاصل عدمه وانما هو
عطف على المذكور اي اذا كنت في الصلاة فقعدت للتشهد فاحمد الله اي اثن
عليه بقولك التحيات لله الى اخره والله اعلم وقال الجرجاني من الحنفية وغيره
لو كانت فرضا للزم تاخير البيان عن وقت الحاجة لانه عليه السلام علمهم التشهد
وقال فليتخير من الدعا ما شا ولم يذكر الصلاة عليه واجيب باحتمال ان لا تكون
فرضت حينيذ فقال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي قد ورد
هذا في الصحيح بلفظ ثم ليتخير ثم للتراخي فدل على انه كان هناك شي بين
التشهد والدعا انتهى وقد اطنب الشيخ ابو امامة بن النقاش في تفسيره
من الانتصار للشافعي في هذه المسالة بما يطول ذكره فالله يثيبه على قصده
الجميل ولما صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فعن عبد الرحمن بن ابي

ليلى

ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج
علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل
على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال
محمد كما باركت على ال ابراهيم انك حميد مجيد رواه البخاري ومسلم والترمذي وابو داود
والنساي فان قلت كيف يطابق قوله اللهم صل على محمد كما صليت على ال ابراهيم اجاب
القاضي عياض بان الال مقحم كما في قوله عليه السلام في ابي موسى انه اعطي مزمارا
من مزامير ال داود ولم يكن له ال مشهور بحسن الصوت وقد روى هذا الحديث
ابن ابي حاتم بلفظ لما انزلت ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما قال قلنا يا رسول الله فكيف الصلاة عليك وسلموا تسليما
قال قلنا يا رسول الله فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صلي على محمد وعلى ال محمد
كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد
كما باركت على ابراهيم وال ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما
باركت على ابراهيم وال ابراهيم انك حميد مجيد وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى يقول
وعلينا معهم وعن ابي حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك
قال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على
محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد رواه الامام احمد وعن
ابي مسعود الانصاري قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد
ابن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك قال
فسكت رسول الله صلى الله عليه حتى تمنينا انه لم يساله ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وبارك
على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في العالمين انك حميد
مجيد والسلام كما قد علمتم رواه مالك ومسلم وغيرهما فان قلت ما موقع التشبيه
في قوله كما صليت على ابراهيم مع ان المقرر ان المشبه دون المشبه به والواقع
هنا عكسه لان محمدا صلى الله عليه وسلم وحده افضل من ال ابراهيم ومن ابراهيم
ولا سيما وقد اضيف اليه ال محمد وقضية كونه افضل ان تكون الصلاة المطلو بة
افضل من كل صلاة حصلت او تحصل لغيره فقد اجاب العلما عنه باجوبة
كثيرة منها انه عليه السلام قال ذلك قبل ان يعلم انه افضل من ابراهيم وقد اخرج
مسلم من حديث انس ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية قال
ذاك ابراهيم وتعقب بانه لو كان كذلك لغير صفة الصلاة عليه بعد ان علم
انه افضل ومنها انه قال ذلك تواضعا وشرع ذلك لامته ليكتسبوا بذلك
الفضيلة ومنها ان التشبيه انما هو لاصل الصلاة باصل الصلاة لا للقدر

٣١٩

Copy... ersity

بالقدر فهو كقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح وهو كقول القايل احسن
الي ولدك كما احسنت الي فلان ويريد بذلك اصل الاحسان لا قدره ومنه قوله
تعالى كما احسن الله اليك ورجح هذا القول القرطبي في المفهم ومنها ان قوله اللهم
صل على محمد مقطوع عن التشبيه فيكون التشبيه متعلقا بقوله وعلى ال محمد
وتعقب بان غير الانبيا لا يمكن ان يساووا الانبيا فكيف يطلب لهم صلاة مثل الصلاة
التي وقعت لابراهيم والانبيا من اله ويمكن الجواب عنه بان المطلوب الثواب
الحاصل لهم لا جميع الصفات التي كانت سببا للثواب وقد نقل العمراني في البيان
عن الشيخ ابي حامد انه نقل هذا الجواب عن نص الشافعي واستبعد ابن القيم
صحة ذلك عن الشافعي لانه مع فصاحته ومعرفته بلسان العرب لا يقول هذا
الكلام المستلزم هذا التركيب الركيك البعيد من كلام العرب كذا قال وتعقبه
الحافظ ابن حجر فقال ليس التركيب المذكور ركيكا بل التقدير اللهم صل على محمد
وصل على ال محمد كما صليت الى اخره فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية
ومنها رفع المقدمة المذكورة اولا وهي ان المشبه به يكون ارفع من المشبه وان ذلك
ليس مطردا بل قد يكون التشبيه بالمثل بل بالدون كما في قوله تعالى مثل نوره
كمشكاة واين يقع نور المشكاة من نوره تعالى ولكن لما كان المراد من المشبه به
ان يكون شيا ظاهرا واضحا للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة وكذا هنا
لما كان تعظيم ابراهيم وال ابراهيم بالصلاة عليهم مشهورا واضحا عند جميع الطوايف
حسن ان يطلب لمحمد وال محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لابراهيم وال ابراهيم
ويويد ذلك ختم الطلب المذكور بقوله في العالمين اي كما اظهرت الصلاة على
ابراهيم وعلى ال ابراهيم في العالمين ولهذا لم يقع في العالمين الا في ذكر ابراهيم
دون ذكر ال محمد على ما وقع في الحديث الذي وردت فيه وهو حديث ابي مسعود
الانصاري الذي ذكرته وهذا معنى قول الطيبي وليس التشبيه المذكور
من باب الحاق الناقص بالكامل لكن من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر وقال
النووي احسن الاجوبة ما نسب الى الشافعي ان التشبيه لاصل الصلاة
باصل الصلاة او للمجموع بالمجموع وقال ابن القيم بعد ان زيف اكثر الاجوبة
الا تشبيه المجموع بالمجموع واحسن منه ان يقال هو صلى الله عليه وسلم
من ال ابراهيم وقد ثبت ذلك عن ابن عباس في تفسير قوله ان الله اصطفى
ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين فال محمد من ال ابراهيم حكاية
فكانه امرنا ان نصلي على محمد وعلى ال محمد خصوصا بقدر ما صلينا عليه مع ابراهيم
وال ابراهيم عموما فيحصل لاله ما يليق بهم ويبقى الباقي كله له وذلك القدر
ازيد مما لغيره من ال ابراهيم وتظهر حينيذ فايدة التشبيه وان المطلوب

له بهذا اللفظ افضل من المطلوب بغيره من الالفاظ وقال الحليمي سبب هذا
التشبيه ان الملايكة قالت في بيت ابراهيم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت
انه حميد مجيد وقد علم ان محمدا وال محمد من اهل بيت ابراهيم فكانه قال اجب
دعا الملايكة الذين قالوا ذلك في محمد وال محمد كما اجبتها عندما قالوها في ال
ابراهيم الموجودين حينيذ ولذلك ختم به الاية وهو قوله انك حميد مجيد ومما
يعزى للعارف الرباني ابي محمد المرجاني انه قال وسر قوله صلى الله عليه وسلم
كما صليت على ابراهيم وكما باركت على ابراهيم ولم يقل كما صليت على موسى لان موسى
عليه السلام كان التجلي له بالجلال لان المحبة والخلة من اثار التجلي بالجمال فلهذا
امرهم صلوات الله وسلامه عليه ان يصلوا عليه كما صلي على ابراهيم ليسلوا له
التجلي بالجمال وهذا لا يقتضي التسوية فيما بينه وبين الخليل صلوات الله
وسلامه عليهما لانه انما امرهم ان يسلوا له التجلي بالوصف الذي تجلى به
للخليل عليه السلام فالذي يقتضيه الحديث المشاركة في الوصف الذي هو
التجلي بالجمال ولا يقتضي التسوية في المقامين ولا في الرتبتين فان الحق سبحانه
يتجلى بالجمال لشخصين بحسب مقاميهما وان اشتركا في وصف التجلي بالجمال
فيتجلى لكل واحد منهما بحسب مقامه عنده ورتبته منه ومكانته فيتجلى
للخليل عليه السلام بالجمال بحسب مقامه ويتجلى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
بالجمال بحسب مقامه فعلى هذا يفهم الحديث انتهى فان قلت ما المراد بال محمد
في هذا الحديث فالجواب ان الراجح انهم من حرمت عليهم الصدقة كما نص عليه
الشافعي واختاره الجمهور ويويده قوله عليه السلام للحسن بن علي انا ال
محمد لا تحل لنا الصدقة وقيل المراد بال محمد ازواجه وذريته وقيل المراد
بهم جميع الامة امة الاجابة حكاه ابو الطيب الطبري عن بعض الشافعية
ورجحه النووي في شرح مسلم وقيده القاضي حسين بالاتقيا منهم وعليه
يحمل كلام من اطلق ويويده ما رواه تمام في فوايده والديلمي عن انس قال
سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ال محمد فقال كل تقي من امة محمد
زاد الديلمي ثم قرا ان اولياوه الا المتقون واسناده ضعيف لكن ورد ما يشهد
لذلك في الصحيحين كحديث ان ال ابي فلان ليسوا باوليا انما ولي الله
وصالح المومنين انتهى ملخصا وقد استدل العلما بتعليمه صلى الله عليه وسلم
لاصحابه هذه الكيفية بعد سوالهم عنها بانها افضل كيفيات الصلاة عليه
لانه لا يختار لنفسه الا الاشرف الافضل ويترتب على ذلك لو حلف ان يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة فطريق البران ياتي بذلك هكذا
صوبه النووي في الروضة بعد ذكر حكاية الرافعي عن ابراهيم المروزي انه

ذكر ان موسى ... الخليل
ابراهيم عليه السلام كان
التجلي له بالجمال

٣٢٧

Copyright © King Saud University

قال بىلا اذا قال كلما ذكره الذاكرون وكلما سهى عن ذكره الغافلون قال النووي ره
وكانه اخذ من كون الشافعي ذكر هذه الكيفية يعني في خطبة الرسالة ولكن بلفظ
غفل بدل سهى وقال الاذرعي ابراهيم المذكور كثير النقل من تعليقة القاضي حسين
ومع ذلك قال القاضي قال في طريق البر ان يقول اللهم صل على محمد كما هو اهله ويستحقه
وكذا نقله البغوي في تعليقه سطا يقال ما في الحديث واضاف اليه اثر الشافعي ره
وما قاله القاضي لكان اشمل ولو قيل يعمد الى جميع ما اشتملت عليه الروايات
الثابتة فيستعمل منها ذكرا يحصل به البر لكان احسنا وعن ابن مسعود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد احدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم انك حميد مجيد رواه الحاكم وقد يستدل بهذا الحديث من ذهب الى جواز
الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو قول الجمهور ويعضده حديث الاعرابي
اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا احدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد
تحجرت واسعا وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منعه قال واجازه محمد
ابن ابي زيد انتهى وسيأتي ما في ذلك من البحث ان شاء الله في الفصل التاسع
عند الكلام على التشهد وعن سلامة الكندي ان عليا كان يعلم الناس هذا الدعاء
وفي لفظ يعلم الناس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم
داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك
ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن
الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا
في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى
قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات
الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك
المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك
بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنات
غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء الناس
بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة
مرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم حديث موقوف رواه
الطبراني لكن قال الحافظ ابن كثير في سنده نظر قال شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي
سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا كذا قال وقوله داحي المدحوات
اي باسط الارضين وكل شيء بسطته ووسعته فقد دحوته وباري المسموكات
اي خالق السموات وكل شيء رفعته واعليته فقد سمكته والدامغ لجيشات

الاباطيل

الاباطيل اي المهلك لما نجم وارتفع منها وفار واصل الدمغ من الدماغ دمغه اصاب
دماغه وجيشات من جاش اذا ارتفع واطلع اشتعل من الصاعقة وهي القوة واورى
قبسا لقابس اي اظهر نورا من الحق لطالبه وآلاء الله نعم الله تصل باهله اي لاهل
ذلك القبس وهو الاسلام والحق اسبابه واهله المؤمنون وبه هديت القلوب
بعد خوضات الفتن والاثم اي هديت بعد الكفر والفتن لموضحات الاعلام
ونائرات والمنيرات الواضحات يقال نار الشيء وانار اذا وضح وشهيدك يوم الدين
يريد الشاهد على امته يوم القيامة وبعيثك نعمة مبعوثك فعيل بمعنى م
مفعول وافسح له اي وسع له وفي عدنك اي في جنتك جنة عدن والمعلول
من العلل وهو الشرب بعد الشرب يريد ان عطاءه متضاعف كانه يعل به عباده اي يعطيهم
عطا بعد عطا واعل على بناء الناس وفي رواية البانين اي ارفع فوق اعمال العاملين
عمله واكرم مثواه اي منزله ونزله رزقه والخطة بضم الخاء المعجمة الامر والقصة
والفصل والقطع وعن عبد الله بن مسعود قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك تعرض عليه قال فقولوا له
علمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم
ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ٣٧١
كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد حديث موقوف رواه ابن ماجة وعن رويفع
ابن ثابت الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على محمد
وقال اللهم انزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي رواه
الطبراني قال ابن كثير واسناده حسن ولم يخرجوه وعن ابي هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت
فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته
كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد رواه ابو داود وعن طاوس سمعت ابن
عباس يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا واعطه سؤاله
في الاخرة والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى رواه اسماعيل القاضي قال ابن كثير
واسناده جيد قوي صحيح واما المواطن التي تشرع فيها الصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم فمنها التشهد الاخير وهي واجبة فيه كما قدمناه وفي وجوبها في التشهد بلغ
الاول قولان اظهرهما المنع لبنائه على التخفيف بل سنة وفي استحباب الصلاة على
الآل في التشهد الاول القولان دون وجوبها في الاخير وان اصحهما المنع بل
هي سنة تابعة واقلها اللهم صل على محمد وكذا صلى الله على محمد واقلها على الآل واله

وقال في الكفاية باعادة علي ومنها خطبة الجمعة وكذا غيرها من الخطب ولا يصح
خطبتا الجمعة الا بها لانها عبادة وذكر الله فيها شرط فوجب ذكر الرسول فيها
كالاذان والصلاة وهذا مذهب الشافعي واحمد ومنها عقب اجابة المؤذن لما رواه
مسلم الامام احمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي واحدة
صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من
عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
واخرجه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي من حديث كعب بن علقمة
وذكره بلفظ الرجا وان كان متحقق الوقوع ادبا وارشادا تعليما لامته وتذكيرا لهم
بالخوف وتفويضا الى الله بحسب مشيئته ولكن الطالب للشيء بين الرجا
والخوف قوله حلت عليه الشفاعة اي وجبت وقيل غشيته ونزلت به
تنبيه قال شيخنا في المقاصد الحسنة حديث الدرجة الرفيعة المدرج فيما
يقال بعد الاذان لم اره في شيء من الروايات واصل الحديث عند احمد والبخاري
والاربعة عن جابر مرفوعا من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة
القائمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له
شفاعتي يوم القيامة قال وكان من زادها اغتر بما وقع في بعض نسخ الشفا
في حديث جابر المشار اليه لكن مع زيادتها في هذه النسخة المعتمدة وعلم عليها كانها
بما يشير الى الشك فيها ولم ارها في سائر نسخ الشفا بل في الشفا عقبه لها فصلا في مكان اخر
ولم يذكر فيه حديثا صحيحا صريحا وهو دليل لغلطها انتهى والله اعلم ومنها اول
الدعا واوسطه واخره لما روى احمد من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملا قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه
فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضا والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول
الدعا واوسطه واخره ومنها وهو من اكدها عقب دعا القنوت لما رواه احمد
واهل السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث ابي الحوراء عن الحسن بن علي
قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن
هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني
شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت تباركت ربنا
وتعاليت وزاد النسائي في سننه وصلى الله على النبي وسياتي في المقصد التاسع
البحث في ذلك ان شا الله تعالى ومنها اثنا تكبيرات العيدين لما روى اسماعيل
القاضي ان ابن مسعود وابا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة
فقال ان هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه فقال عبد الله تبدا فتكبر تكبيرة

تفتتح

تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر
وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تقرا ثم تكبر وتركع
ثم تقوم فتكبر وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل
مثل ذلك ثم تركع فقال حذيفة وابو موسى صدق ابو عبد الرحمن قال ابن كثير
اسناده صحيح ومنها عند دخول المسجد والخروج منه لما رواه احمد عن فاطمة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد ثم قال اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب فضلك ومنها في صلاة الجنازة فان السنة ان يقرا الفاتحة بعد احدى
التكبيرات وبعد الاولى اولى وان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الثانية
ويدعو للميت بعد الثالثة وبعد الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده
وفي ذلك حديث رواه الشافعي والنسائي ومنها عند التلبية لما رواه الشافعي
والدارقطني عن القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق قال كان يؤمر الرجل اذا فرغ من
تلبيته ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال ومنها عند الصفا والمروة
لما روى اسماعيل القاضي عن عمر بن الخطاب انه قال اذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا
وصلوا عند المقام ركعتين ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا
سبع تكبيرات تكبيرا بين حمد وثنا عليه وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسالة
لنفسك وعلى المروة مثل ذلك قال ابن كثير اسناده حسن جيد قوي ومنها عند
الاجتماع والتفرق لما روى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيه الا كان عليهم ترة يوم القيامة فان شا عذبهم وان شا
غفر لهم وروى اسماعيل القاضي عن ابي سعيد قال ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون
على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب ومنها
عند الصباح والمسا لما روى الطبراني من حديث ابي الدردا مرفوعا من صلى علي حين يصبح
عشرا وحين يمسي عشرا ادركته شفاعتي يوم القيامة ومنها عند الوضو لحديث ابن
ماجه عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وضو لمن لم يصل على
النبي صلى الله عليه وسلم ومنها عند طنين الاذن لحديث ابي رافع عند ابن السني مرفوعا
اذا طنت اذن احدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير ومنها عند نسيان
الشي لحديث ابي موسى المديني بسند ضعيف عن انس رفعه اذا نسيتم شيا فصلوا علي
تذكروه ان شا الله تعالى ومنها بعد العطاس كما ذهب اليه ابو موسى المديني وجماعة
ونازعهم في ذلك اخرون وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كالاكل والشرب
والوقاع ونحو ذلك ومنها عند زيارة قبره الشريف لحديث ابي داود عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام

وروي ابن عساكر من صلى عند قبري سمعته وورد الامر بالاكثار منها يوم الجمعة وليلتها
فعن اوس بن اوس الثقفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من افضل ايامكم يوم
الجمعة فيه خلق ادم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة
فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعني
وقد بليت قال ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا رواه احمد وابو داود والنساي
وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني قال الحافظ ابن كثير وقد روي
البيهقي من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه
ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن في اسناده ضعف فان قلت ما الحكمة في خصوصية
الاكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها اجاب ابن القيم بان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سيد الانام ويوم الجمعة سيد الايام فللصلاة عليه مزية ليست
لغيره مع حكمة اخرى وهي ان كل خير نالته امته في الدنيا والاخرة فانما نالته على يده صلى
الله عليه وسلم فجمع الله لامته به بين خيري الدنيا والاخرة واعظم كرامة تحصل لهم فانها
تحصل لهم يوم الجمعة فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد
لهم اذا دخلوا الجنة وهو عيد لهم في الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوا
ولا يرد سايلهم وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده فمن شكره وحمده
واداء القليل من حقه صلى الله عليه وسلم ان نكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم
وليلته واما فضيلة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقد ورد التصريح بها في
احاديث قوية لم يخرج البخاري منها شيا فمنها ما اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله بها عليه عشرا وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فلم يجد احدا يتبعه فاتاه
عمر بمطهرة من خلفه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فتنحى عنه حتى رفع النبي
صلى الله عليه وسلم راسه فقال احسنت يا عمر حين وجدتني ساجدا فتنحيت عني
ان جبريل اتاني فقال من صلى عليك من امتك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات
ورفعه عشر درجات رواه الطبراني قال ابن كثير وقد اختار هذا الحديث
الحافظ الضيا المقدسي في كتابه المستخرج على الصحيحين وعن ابي طلحة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا يا رسول الله
انا لنرى السرور في وجهك فقال انه اتاني الملك فقال يا محمد اما يرضيك ان ربك
عز وجل يقول انه لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم
عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا قال بلى رواه الدارمي واحمد وابن
حبان والحاكم والنساي واللفظ له وعن عامر بن ربيعة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من صلى علي صلاة لم تزل الملايكة تصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد

يسعفهم

من

من ذلك او ليكثر رواه احمد والتخيير بعد الاعلام بما فيه الخيرة في الخير منه على جهة
التحذير من التفريط في تحصيله وهو قريب من معنى التهديد وروى الترمذي
ان ابي بن كعب قال يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال
ما شيت قلت الربع قال ما شيت وان زدت فهو خير لك قلت والنصف قال ما شيت
وان زدت فهو خير لك قلت فالثلثان قال ما شيت وان زدت فهو خير لك قلت
اجعل لك صلاتي كلها قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك ثم قال هذا حديث حسن
فهذا ما يتعلق بالصلاة واما السلام فقال النووي يكره افراد الصلاة عن السلام
واستدل بورودهما معا في الاية يعني قوله تعالى ان الله وملايكته
يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
وتعقبوه بان النبي صلى الله عليه وسلم علم اصحابه التسليم قبل تعليم الصلاة
كما هو مصرح به في قولهم يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك
وقوله عليه الصلاة والسلام بعد ان علمهم الصلاة والسلام كما قد علمتم فافرد التسليم
مدة قبل الصلاة عليه لكن قال في فتح الباري انه يكره ان يفرد الصلاة ولا يسلم
اصلا اما لو صلى في وقت وسلم في وقت اخر فانه يكون ممتثلا وقال ابو محمد الجويني
من اصحابنا السلام بمعنى الصلاة فلا يستعمل في الغايب ولا يفرد به غير الانبيا فلا
يقال علي عليه السلام سوا في هذا الاحيا والاموات واما الحاضر فيخاطب به
فيقال سلام عليك او عليكم او السلام عليك او عليكم وهذا مجمع عليه انتهى وقد
جرت عادة بعض النساخ ان يفردوا عليا وفاطمة رضي الله عنهما بالسلام فيقولوا
عليه او عليها السلام من دون ساير الصحابة في ذلك وهذا وان كان معناه
صحيحا لكن ينبغي ان يساوي بين الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فان هذا من
باب التعظيم والتكريم والشيخان وعثمان اولى بذلك منهما اشار اليه ابن كثير واما
الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم فاختلف فيها واخرج البيهقي بسند واهي
من حديث بريدة رفعه لا تتركن في التشهد الصلاة علي وعلى انبيا الله واخرج
اسماعيل القاضي بسند ضعيف من حديث ابي هريرة صلوا على انبيا الله واخرج
الطبراني من حديث ابن عباس رفعه اذا صليتم علي فصلوا على انبيا الله
فان الله بعثهم كما بعثني وثبت عن ابن عباس اختصاص ذلك بالنبي صلى
الله عليه وسلم اخرجه ابن ابي شيبة من طريق عثمان عن عكرمة عنه قال
ما اعلم الصلاة تنبغي على احد من احد الا على النبي صلى الله عليه وسلم وسنده
صحيح وحكي القول به عن مالك وجا نحوه عن عمر بن عبد العزيز وقال
سفيان يكره ان يصلى الا على نبي وعن بعض شيوخ مذهب مالك لا يجوز ان
يصلى الا على محمد قال وهذا غير معروف عن مالك وانما قال اكره الصلاة على

٣٢٣

Copyright King Saud University

غير الانبيا وما ينبغي لنا ان نتعدي ما امرنا به وخالفه يحيى بن يحيى فقال لا باس
به واحتج بان الصلاة دعا بالرحمة فلا تمتنع الا بنص واجماع واما الصلاة على غير الانبيا
فان كان على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وال محمد ونحوه فهذا
جايز بالاجماع فاما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبيا بالصلاة عليهم فقال قايلون
بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملايكته وبقوله
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وبقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها وصل عليهم وبحديث عبد الله ابن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال
اللهم صل على ال ابي اوفى اخرجه الشيخان وقال الجمهور من العلما لا يجوز افراد
غير الانبيا بالصلاة لان هذا قد صار شعار اللانبيا اذا ذكروا فلا يلحق غيرهم فلا يقال
ابو بكر صلى الله عليه وسلم او قال علي صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا كما لا
يقال قال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا لان هذا من شعار ذكر الله عز وجل
وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعا لهم ولهذا لم يثبت شعار الا ل
ابي اوفى وهذا مسلك حسن وقال اخرون لا يجوز ذلك لان الصلاة على غير الانبيا
قد صار من شعار اهل الاهوا يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في
ذلك ثم اختلف المانعون في ذلك هل هو من باب التحريم او كراهة التنزيه
او خلاف الاولى على ثلاثة اقوال حكاها النووي في كتاب الاذكار ثم قال والصحيح
الذي عليه الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع وقد
نهينا عن شعارهم الفصل الثالث في ذكر محبة اصحابه عليه السلام والصلاة واله وقرابته
واهل بيته وذريته قال الطبري اعلم ان الله تعالى لما اصطفى نبيه صلى الله عليه
وسلم على جميع من سواه وخصه بما خصه به من فضله الباهر وحباه اعلا مرتبة من
انتمى اليه نسبا او نسبة ورفع من انطوى عليه نصرة وصحبة والزم مودة
قرباه كافة بريته وفرض محبة جملة اهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى
قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى ويروى انها لما نزلت قالوا يا رسول
الله من قرابتك هولا قال علي وفاطمة وابناهما وقال تعالى انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقد اختلف في المراد باهل البيت
في هذه الاية فروى ابن ابي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت في نسا
النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عكرمة انه كان ينادي
في السوق انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قال نزلت في نسا
النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن كثير وهذا يعني ان الاية نص في
دخول ازواجه صلى الله عليه وسلم لانهن سبب نزول هذه الاية وسبب

النزول

النزول داخل فيه قولا واحدا اما وحده على قول او مع غيره على الصحيح وقيل المراد
النبي صلى الله عليه وسلم قال عكرمة من شا باهلته انها نزلت في شان النبي صلى الله
عليه وسلم وان كان المراد انهن كن سبب النزول دون غيرهن ففي هذا نظر فانه
قد ورد في ذلك احاديث تدل على ان المراد اعم من ذلك فروى الامام احمد عن
واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جا ومعه علي وحسن وحسين
اخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فادنى عليا وفاطمة واجلسهما بين يديه
واجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه او قال كساه
ثم تلا هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا وقال اللهم هولا اهل بيتي واهل بيتي احق زاد في رواية ابن جرير
فقلت وانا يا رسول الله وانا من اهلك قال وانت من اهلي قال واثلة وانها
من ارجى ما ارتجي وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيتها
اذ جاءت فاطمة ببرمة فيها حريرة فدخلت عليه بها فقال ادعي زوجك
وابنيك قالت فجا علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا ياكلون من
تلك من تلك الحريرة وتحته كسا قالت وانا في الحجرة اصلي فانزل الله عز
وجل هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا قالت فاخذ فضل الكسا فغشاهم به ثم اخرج يده فالوى بها الى السما
ثم قال اللهم هولا اهلي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فادخلت
راسي من البيت فقلت وانا معكم وبقية اسناده ثقات وقوله وخاصتي بالتشديد اي
خاصتي وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه
الاية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا رواه ابن حزم ورواه احمد في المناقب
والطبراني وعن زيد بن ارقم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا
فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني
رسول ربي عز وجل فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب الله عز وجل
فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به وحث فيه ورغب
فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله عز وجل في اهل بيتي ثلاث مرات فقيل لزيد
من اهل بيته اليس نساوه من اهل بيته قال بلى ان نساه من اهل بيته ولكن
اهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قال من هم قال هم ال علي وال جعفر
وال عقيل وال العباس قال كل هولا حرم عليهم الصدقة قال نعم خرجه مسلم
والثقل محركة كما في القاموس كل شي نفيس مصون قال ومنه الحديث اني
تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وهي بكسر المهملة وسكون المثناة

بيتي
يا رسول الله فقال ا...
الاخيه انك الاخير رو...
احمد وفي اسناده من
يسما

Copyright ... University

الفوقية والاخذ بهذا الحديث احري وليس المراد باهل الازواج فقط بل هم مع آله
لا يشك في تدبر القران ان نسا النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في الاية الكريمة فان
سياق الكلام معهن ولهذا قال بعضهم في آلكله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات
الله والحكمة وهذا اختيار ابن عطية بعد ان نقل ان الجمهور على انهم على وفاطمة
والحسن والحسين قال وحجة الجمهور قوله تعالى عنكم ويطهركم بالميم ولو كان للنسا
خاصة لكان عنكن واجيب بان الخطاب بلفظ التذكير وقع على سبيل التغليب
فيكون المراد به كالمراد بالآل في حديث كيفية الصلاة عليه السابق ذكره على
قول من فسره كذلك منه مع غيره قريبا في الفصل السابق والله اعلم ولله در القايل
يا آل بيت رسول الله حبكم ٭ فرض من الله في القران انزله
يكفيكم من عظيم الفخر انكم ٭ من لم يصل عليكم لا صلاة له
واخرج احمد عن ابي سعيد معنى حديث زيد بن ارقم السابق مرفوعا بلفظ اني
اوشك اذا دعي فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل
ممدود من السما الى الارض وعترتي اهل بيتي وان اللطيف الخبير اخبرني انهما لن
يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما وعترة الرجل كما قاله
الجوهري اهله ونسله ورهطه الادنون اي الاقارب وعن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه قال يا ايها الناس ارقبوا محمدا في اهل بيته رواه البخاري
والمراقبة للشي المحافظة عليه يقول احفظوهم فلا توذوهم وقال ابو بكر
الصديق رضي الله عنه كما في البخاري ايضا لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
احب الي من ان اصل من قرابتي وهذا قاله على سبيل الاعتذار لفاطمة عن منعه
اباها ما طلبته منه من تركة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اجري منه على موجب
الايمان لانه عليه الصلاة والسلام شرط الاحبية فيه على النفس والمال والولد
كما ذكرته في الفصل الاول من هذا المقصد ثم انه صلى الله عليه وسلم اثبت لاقاربه
ما اثبت لنفسه من ذلك فقال من احبهم فبحبي احبهم وحثنا على ذلك شفقة
منه علينا صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ولقد احسن القايل
رايت ولاي آل طه فريضة ٭ على رغم اهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث اجرا على الهدى ٭ بتبليغه الا المودة في القربى
وفي الترمذي وقال حسن غريب احبوا الله لما يغذوكم به واحبوني بحب
الله واحبوا اهل بيتي بحبي وفي المناقب لاحمد من ابغض اهل البيت فهو منافق
وروى ابن سعد من صنع الى احد من اهل بيتي معروفا فعجز عن مكافاته
في الدنيا فانا المكافي له في القيامة والمراد بالقرابة من ينتسب الى جده
الاقرب وهو عبد المطلب ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم منهم وراه

من

من ذكر او انثى وهم علي واولاده الحسن والحسين ومحسن وام كلثوم من فاطمة رضي الله
عنها وجعفر واولاده وهم عبد الله وعون ومحمد ويقال انه كان لجعفر ابن ابي
طالب ابن اسمه احمد وعقيل بن ابي طالب وولده مسلم بن عقيل وحمزة بن عبد المطلب
واولاده الذكور يعلي وعمارة وامامة والعباس بن عبد المطلب واولاده الذكور
العشرة وهم الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله والحرث ومعبد وعبد الرحمن
وكثير وعون وتمام وفيه يقول العباس رضي الله تعالى عنه
تموا بتمام فصاروا عشرة ٭ يا رب فاجعلهم كراما بررة
ويقال ان لكل منهم رؤية وكان له من الاناث ام حبيبة وامية وصفية وامهم
من لبابة ام الفضل ومعتب ابن ابي لهب والعباس ابن ابي لهب وكان زوج امنة
بنت العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب واخته ضباعة وكانت
زوج المقداد بن الاسود وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وابناه
المغيرة والحرث وهند بن الحارث هذا رويه وكان يلقب ببته ومن الموحدتين
الثانية تثقيلة وامية واروى وعاتكة وصفية بنات عبد المطلب اسلمت
صفية وصحبت وفي الباقيات خلاف والله اعلم وفي البخاري من حديث
سعيد بن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت مني بمنزلة
هارون من موسى الا انه لا نبي من بعدي وفي لفظ اخر اما ترضى ان تكون مني
بمنزلة هارون من موسى اي نازلا مني بمنزلة هارون من موسى وفيه تشبيه
مبهم بينه بقوله الا انه لا نبي بعدي فعرف ان الاتصال بينهما ليس من
جهة النبوة بل من جهة ما دونها وهو الخلافة ولما كان هارون المشبه به انما
كان خليفة في حياة موسى دل ذلك على تخصيص خلافته على للنبي صلى الله
عليه وسلم بحياته والله اعلم واما ما استدل به من هذا الحديث على استحقاق
علي للخلافة دون غيره من الصحابة فان هارون كان خليفة موسى فاجيب
بان هارون لم يكن خليفة موسى الا في حياته لا بعد موته لانه مات قبل موسى
باتفاق واشار الى ذلك الخطابي واما حديث الترمذي والنساي من كنت
مولاه فعلي مولاه فقال الشافعي يعني بذلك ولا الاسلام لقوله تعالى ذلك
بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقول عمر اصبحت مولى
كل مومن وطرق هذا الحديث كثيرة جدا استوعبها ابن عقدة في كتاب
مفرد وكثير من اسانيدها صحاح وحسان وروي انه صلى الله عليه وسلم
قال من اذى عليا فقد اذاني اخرجه احمد واخرج الملا الذهبي من احب
عليا فقد احبني وقد ذكر النقاش ان قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا نزلت في علي وقال محمد ابن الحنفية لا يبقى

٣٢٥

وابانه ايه وقال ا

معنا الحديث انت منى
بمنزلتى نازل منى منزله
هارون من موسى

سوى الا وهو يحب عليا واهل بيته وقال ابو حيان في البحر ومن الغريب ما انشدنا الامام اللغوي
رضي الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي لزيد بن اسحق النصراني
الرسعني

عدي وتيم لا احاول ذكرهم • بسوء ولكني محب لهاشم
وما يعتريني في علي ورهطه • اذا ذكروا في الله لومة لايم
يقولون ما بال النصارى تحبهم • واهل النهى من اعرب واعاجم
فقلت لهم اني لاحسب حبهم • سرى في قلوب الخلق حتى البهايم

وقالت عايشة رضي الله عنها كانت فاطمة احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها علي احب الرجال اليه رواه الترمذي وفي البخاري ان فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني والبضعة بفتح الموحدة وحكي ضمها وكسرها ايضا وسكون المعجمة اي قطعة لحم واستدل به السهيلي على ان من سبها فانه يكفر وفي الترمذي من حديث اسامة ابن زيد وقال حسن غريب انه صلى الله عليه وسلم قال في حسن وحسين اللهم اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما ويخرجه مسلم من حديث ابي هريرة في الحسن خاصة وزاد ابو حاتم فما كان لحد احب الي من الحسن بعد ما قال صلى الله عليه وسلم ما قال وفي حديث ابي هريرة ايضا عند الحافظ السلفي قال ما رايت الحسن بن علي قط الا فاضت عيناي دموعا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وانا في المسجد فاخذ بيدي واتكى علي حتى جينا سوق قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس في المسجد ثم قال ادع ابني قال فاتى الحسن ابن علي يشتد حتى وقع في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول اللهم اني احبه فاحبه واحب من يحبه ثلاث مرات وفي الترمذي من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان يشمهما ويضمهما اليه وقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة رواه احمد وقال الترمذي كان معي وقال حديث غريب وليس المراد بالمعية هنا المعية من حيث المقام بل من جهة رفع الحجاب ونقدم نحوه في قوله تعالى فاوليك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين في المقصد السادس وفي حديث ابي زهير بن الارقم رجل من الازد انه صلى الله عليه وسلم قال في الحسن من احبني فليحبه فليبلغ الشاهد الغايب وفي البخاري هما ريحانتاي من الدنيا وكان عليه الصلاة والسلام يمص لسان الحسن او شفته رواه احمد عن عقبة ابن الحرث قال رايت ابا بكر وحمل الحسن وهو يقول

بابي شبيه بالنبي • ليس شبيها بعلي

وعلي يضحك وعن محمد بن سيرين عن انس كان يعني الحسين اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البخاري وعنده من رواية الزهري عن انس لم يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي وهذا قد يعارضه قول

علي

علي في صفة النبي صلى الله عليه وسلم لم ار قبله ولا بعده مثله اخرجه الترمذي في الشمايل كما تقدم في المقصد الثالث واجيب بان تحمل النفي على عموم الشبه والاثبات على معظمه وقول انس لم يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي قد يعارض رواية ابن سيرين عنه السابقة كان الحسين يعني بالبا اشبههم بالنبي صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع بان يكون انس قال ما وقع في رواية الزهري في حياة الحسن لانه يوميذ كان اشد شبها بالنبي صلى الله عليه وسلم من اخيه الحسين واما ما وقع في رواية ابن سيرين فكانه بعد ذلك اذ المراد بمن فضل عليه الحسين في الشبه كان من عدى الحسن ويحتمل ان يكون كل منهما كان اشد شبها به في بعض اعضايه فقد روى الترمذي وابن ماجة من طريق هاني بن هاني عن علي قال الحسن اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الراس الى الصدر والحسين اشبه الى النبي صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل من ذلك وقد عد واما كان له شبه بالنبي صلى الله عليه وسلم سوى الحسن والحسين جعفر بن ابي طالب وقد قال عليه الصلاة والسلام له لجعفر اشبهت خلقي وخلقي قال الترمذي حديث حسن صحيح وابنه عبد الله ابن جعفر وقثم ابن العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ومسلم بن عقيل ابن ابي طالب من غير بني هاشم السايب بن يزيد المطلبي الجد الاعلى للامام الشافعي وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف وفتح الراء وكابس بن ربيعة رجل من اهل البصرة وجه اليه معاوية وقبل بين عينيه واقطعه قطيعة وكان انس اذا راه بكى فهولا عشرة نظمهم شيخ الاسلام الحافظ ابو الفضل ابن حجر فقال

شبه النبي لعشر سايب وابي • سفيان والحسنين الطاهرين هما
وجعفر وابنه ثم ابن عامرهم • ومسلم كابس يتلوه مع قثما

وعدهم بعضهم سبعة وعشرين ومن كان يشبه ايضا فاطمة ابنته وابراهيم ولده وولد جعفر عبد الله السابق ذكره واخوه عون وكان يشبه ايضا من اهل البيت غير هولا ابراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب ويحيى بن القاسم ابن محمد بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين ابن علي وكان يقال له الشبيه قال الشريف محمد بن اسعد النسابة في الزورة الانيسة لمشهد السيدة نفيسة انه كان ليحيى هذا موضع خاتم النبوة شامة قدر بيضة الحمام تشبه خاتم النبوة وكان اذا دخل الحمام وراه الناس صلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وازدحموا عليه يقبلون ظهره تبركا وكذا وصف بالشبه القسم بن عبد الله بن محمد ابن عقيل بن ابي طالب وعلي بن علي بن عبادة بن رفاعة الرفاعي شيخ بصري من اتباع التابعين والمراد بالشبه هنا الشبه في البعض والا فتمام حسنه صلى الله عليه وسلم منزه عن الشريك كما قال الابوصيري رحمه الله واجاد

منزه عن شريك في محاسنه

٣٢٦

وقابس

Copyright King Saud University

كما اشرت اليه في اول المقصد الثالث وقد اطلت المقال وانما جرني الى ذلك ذكر
حمل الصديق للحسن على عاتقه المشعر للاكرام من افضل البشر بعد النبيين لاهل
البيت المحمدي وحملهم على الاعناق لا سيما مع قوله رضي الله عنه لقرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي فلما تضمن الحديث ذكر الشيء الكريم
جر في الكلام اليه وهذا وقع لي كثيرا في هذا المجموع بل في غالبه لكنه لا يخلوا عن
فوايد الفوايد وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبد المطلب
مني وانا منه لا تؤذوا العباس فتؤذوني من سب العباس فقد سبني اخرجه البغوي
في معجمه وقال صلى الله عليه وسلم للعباس ايضا والذي نفسي بيده لا يدخل قلب
رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ثم قال ايها الناس من اذى عمي فقد اذاني فانما
عم الرجل صنو ابيه رواه الترمذي وقال حسن صحيح وفي قوله لا يدخل قلب رجل
الايمان حتى يحبكم الاشارة الى الايمان الحقيقي المنجي وهو التصديق القلبي وبين
المحبة والايمان ارتباط من جهة ان المحبة ميل القلب الى المحبوب والايمان هو
التصديق القلبي فيجتمعان في القلب وجعلهما متلازمين فيلزم من نفي احدهما
نفي الاخر ثم علق هذه المحبة بكونها لله ورسوله فلا عبرة لمحبة تكون لغير
ذلك ثم جعل اذاه كاذى نفسه لانه عضوه وعصبه ثم عظم مقامه بتنزيله
منزلة الاب فكما انه يجب على الولد تعظيم والده والقيام بحقوقه فكذا عمه و
قال وان عم الرجل صنو ابيه وهو بكسر الصاد المهملة وسكون النون اي
مثل ابيه قال ابن الاثير واصله ان تطلع نخلتان من عرق واحد يريد ان اصل
العباس واصل ابي واحد انتهى وظلله عليه الصلاة والسلام وبنيه بكسائه ثم
قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه
في ولده رواه الترمذي وقال حسن غريب وبين ابن السدي في روايته ان
بنيه الذين ظللوا بالكسا كانوا ستة الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد
وعبد الرحمن قال وغطاهم بشملة له سودا مخططة بحمرة وقال اللهم ان هولاء
اهل بيتي وعترتي فاسترهم من النار كسترهم بهذه الشملة قال فما بقي في البيت
مدرة ولا باب الا امن وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل بن ابي طالب
اني احبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت اعلم من حب عمي لك قال الطبري
اخرجه ابو عمر والبغوي وروي الدارقطني انه صلى الله عليه وسلم قال
يوم حنين ابو سفيان بن الحرث خير اهلي او من خير اهلي واخرج الحاكم وصححه
عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا اهل البيت
احد الا ادخله النار واعلم انه قد اشتهر استعمال اربعة الفاظ يوصفون
بها الاولى آله عليه الصلاة والسلام والثانية اهل بيته والثالثة ذوو القربى

والرابعة

والرابعة عترته فاما الاولى فذهب قوم الى انهم هم اهل بيته وقال اخرون هم الذين
حرمت عليهم الصدقة وعوضوا عنها خمس الخمس وقال قوم من مكة دان بدينه
وتبعه فيه واما اللفظة الثانية وهي اهل بيته فقيل من ناسبه الى جده الادنى
وقيل من اجتمع معه في رحم وقيل من اتصل به بنسب او سبب واما اللفظة الثالثة
وهي ذو القربى فروى الواحدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال لما نزلت
قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من هولاء
الذين امرنا الله تعالى بمودتهم قال علي وفاطمة وابناهما واما اللفظة الرابعة وهي عترته
فقيل العشيرة وقيل الذرية فاما العشيرة فهي الاهل الادنون واما الذرية فنسل
الرجل فاولاد بنت الرجل ذريته ويدل عليه قوله تعالى ومن ذريته داود الى قوله
وعيسى ولم يتصل عيسى بابراهيم الا من جهة امه مريم فهذه الذرية الطاهرة قد خصوا
بمزايا التشريف وعموا بواسطة السيدة فاطمة بفضل منيف والبسوا رداء الشرف
ومنحوا بمزيد الاكرام والتحف وقد وقع الاصطلاح على اختصاصهم من بين ذوي الشرف
كالعباسيين والجعافرة بالشطفة الخضرا المزيد شرفهم والسبب في ذلك كما قيل ان
المامون اراد ان يجعل الخلافة في بني فاطمة فاتخذ لهم شعار الخضرة والبسهم ثيابا
خضرا لكون السواد شعار العباسيين والبياض شعار سائر المسلمين في جمعهم ونحوها
والاحمر مختلف في كراهته والاصفر شعار اليهود باخرة ثم انثنى عزمه عن ذلك ورد
الخلافة لبني العباس فبقي ذلك شعار الاشراف العلويين من الزهرا لكنهم اختصروا
الثياب الى قطعة من ثوب اخضر توضع على عمايمهم شعارا لهم ثم انقطع ذلك
الى اواخر القرن الثامن قال في حوادث سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة من ابنا
ابنا الغمر وفيها امر السلطان الاشراف ان يمتازوا عن الناس بعصايب خضر على
العمايم ففعل ذلك بمصر والشام وغيرهما وفي ذلك يقول الاديب ابو عبد الله
ابن جابر الاندلسي * جعلوا لابنا الرسول علامة * ان العلامة شان من لم يشهر
* نور النبوة في كريم وجوههم * يغني الشريف عن الطراز الاخضر *

وللاديب شمس الدين الدمشقي

* اطراف تيجان اتت من سندس * خضر باعلام على الاشراف *
* والاشرف السلطان خصهم بها * شرفا ليفرقهم من الاطراف *

والاشرف هو شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن قلاوون واما اصحابه رضوان
الله عليهم فقال الله سبحانه وتعالى محمد رسول الله والذين معه اشدا على
الكفار رحما بينهم الى اخر السورة لما اخبر تعالى ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم
رسوله حقا من غير شك ولا ريب قال محمد رسول الله وهذا مبتدا وخبر
وقال البيضاوي وغيره جملة مبينة للمشهود به يعني قوله تعالى هو الذي

Copyright ... University

ارسل رسوله بالهدى الى قوله وكفى بالله شهيدا قال ويجوز ان يكون رسول الله
صفة ومحمد خبر محذوف انتهى وهذه الاية مشتملة على كل وصف جميل ثم ثنا بالثنا
على اصحابه فقال والذين معه اشدا على الكفار رحما بينهم كما قال تعالى فسوف ياتى
الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين فوصفهم بالشدة
والغلظة على الكفار والرحمة والبر بالاخيار ثم اثنى عليهم بكثرة الاعمال مع الاخلاص
التام فمن نظر اليهم اعجبه سمتهم وهديهم لخلوص نياتهم وحسن اعمالهم قال مالك
بلغني ان النصارى كانوا اذا راوا اصحابه الذين فتحوا يقولون والله لهولا خير
من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فان هذه الامة المحمدية خصوصا الصحابة
لم يزل ذكرهم معظما في الكتب كما قال سبحانه وتعالى هنا ذلك مثلهم في التوراة
ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه اي فراخه فازره اي شده وقواه فاستغلظ
شب وطال فاستوى على سوقه يعجب الزراع قوته وغلظه وحسن منظره
فكذلك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ازروه وايدوه ونصروه فهم معه
كالشطا مع الزرع ليغيظ بهم الكفار ومن هذه الاية انتزع الامام مالك رحمه
الله في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لانهم
يغيظونهم ومن غاظ الصحابة فهو كافر وقد وافقه على ذلك جماعة من
العلما والاحاديث في فضايلهم كثيرة ويكفي ثنا الله تعالى عليهم ورضاه عنهم وقد
وعدهم الله مغفرة واجرا عظيما ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا مبدل
لكلماته وهو السميع العليم ومن في قولهم لبيان الجنس واختلف في تعريفهم فقيل
من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او راه من المسلمين واليه ذهب البخاري
وسبقه اليه شيخه ابن المديني وعبارته كما قال شيخنا من صحب النبي صلى
الله عليه وسلم او راه ولو ساعة من نهار فهو من اصحابه انتهى وهذا هو الراجح
والتقييد بالاسلام يخرج من صحبه او راه من الكفار ولو اتفق اسلامه بعد
موته لكن يرد على التعريف من صحبه او راه مومنا ثم ارتد بعد ذلك ولم يعد
الى الاسلام كعبد الله بن جحش فانه ليس بصحابي اتفاقا وكذلك ابن خطل
وربيعة بن امية بن خلف الجمحي وهو ممن اسلم في الفتح وشهد حجة الوداع
وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ثم لحقه الخذلان والعياذ
بالله في خلافة عمر فلحق بالروم وتنصر بسبب شي اغضبه وقد اخرج له
احمد في مسنده واخراجه له مشكل ولعله لم يقف على قصة ارتداده فينبغي
ان يزاد في التعريف ومات على ذلك فلو ارتد ثم عاد الى الاسلام لكنه لم ير النبي
صلى الله عليه وسلم ثانيا بعد عوده فالصحيح انه معدود من الصحابة
لاطباق المحدثين على عد الاشعث بن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك واخراجهم

احاديثهم

احاديثهم في المسانيد لكن قال الحافظ زين الدين العراقي ان في ذلك نظرا كبيرا
فان الردة محبطة للعمل عند ابي حنيفة ونص عليه الشافعي في الام وان كان الرا
فعي يحكي عنه انها انما تحبط بشرط اتصالها بالموت وحينيذ فالظاهر انها
محبطة للصحبة المتقدمة اما من رجع الى الاسلام في حياته صلى الله عليه وسلم
كعبد الله بن ابي سرح فلا مانع من دخوله في الصحبة بدخوله الثاني في الاسلام
وهل يشترط في الرائي ان يكون بحيث يميز ما راه او يكتفي بحصول مجرد الروية
قال الحافظ ابن حجر محل نظر وعمل من صنف من الصحابة يدل على الثاني فانهم
ذكروا مثل محمد بن ابي بكر الصديق وانما ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه
وسلم بثلاثة اشهر وايام كما ثبت في الصحيح ان امه اسما بنت عميس ولدته
في حجة الوداع قبل ان تدخل مكة وذلك في اواخر ذي القعدة سنة عشر
من الهجرة ومنهم من بالغ فكان لا يعد في الصحابة الا من صحب الصحبة العرفية
وروي عن سعيد بن المسيب انه كان لا يعد في الصحابة الا من اقام
مع النبي صلى الله عليه وسلم سنة فصاعدا او غزا معه غزوة فصاعدا والعمل
على خلاف هذا القول ومنهم من اشترط في ذلك ان يكون حين اجتماعه بالغا
وهو مردود ايضا لانه يخرج مثل الحسن بن علي ونحوه من احداث الصحابة
واما التقييد بالروية فالمراد به عند عدم المانع منها فان كان كابن ام مكتوم الاعمى
فهو صحابي جزما فالاحسن ان يعبر باللقي بدل الروية قال الحافظ زين الدين
العراقي وقولهم من راى النبي صلى الله عليه وسلم هل المراد راه في حال نبوته
او اعم من ذلك حتى يدخل من راه قبل النبوة ومات قبل النبوة على دين
الحنيفية كزيد بن عمرو بن نفيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم انه يبعث
امة وحده وقد ذكره في الصحابة ابو عبد الله ابن منده وكذا لو راه قبل
النبوة ثم غاب عنه وعاش الى بعد زمن البعثة واسلم ثم مات ولم يره ولم ار من
تعرض لذلك ويدل على ان المراد بعد نبوته انهم ترجموا في الصحابة لمن ولد
للنبي صلى الله عليه وسلم كابراهيم وعبد الله ولم يترجموا لمن ولد قبل النبوة
ومات قبلها كالقاسم انتهى وهل يختص جميع ذلك ببني ادم ام يعم غيرهم من العقلا
محل نظر اما الجن فالراجح دخولهم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا
وهم مكلفون فيهم العصاة والطايعون فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في
ذكره في الصحابة وان كان ابن الاثير عاب على ابي موسى فلم يستند في ذلك
الى حجة واما الملايكة فيتوقف عدهم في ذلك على ثبوت البعثة اليهم
فان فيه خلافا بين الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس
بعضهم وهذا كله فيمن راه في قيد الحياة الدنيوية اما من راه بعد موته وقبل دفنه فالراجح

Copyright King Saud University

انه ليس صحابيا والا لعدّ من اتفق انه يرى جسده المكرم وهو في قبره المعظم ولو
في هذه الاعصار وكذلك من كشف له من الاولياء عنه صلى الله عليه وسلم فرآه كذلك
على طريق الكرامة كما قدمت مباحثه في خصوصياته عليه الصلاة والسلام من المقصد
الرابع اذ حجة من اثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه انه مستمر الحياة وهذه الحياة ليست
دنيوية وانما هي اخروية لا يتعلق بها احكام الدنيا واما من رآه في النام وان كان
قد رآه حقا فذلك فيما يرجع الى الامور المعنوية لا الاحكام الدنيوية فلذلك
لا يعد صحابيا ولا يجب عليه ان يعمل بما امره به في تلك الحالة وقد اجمع جمهور
العلماء من السلف والخلف على انهم خير خلق الله وافضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة
المقربين لما روى البخاري من حديث عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وله من حديث عمران
ابن حصين خير امتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري
ذكر بعد قرنه مرتين او ثلاثا قال في فتح الباري والقرن اهل زمان واحد متقارب
اشتركوا في امر من الامور المقصودة ويطلق على مدة من الزمان واختلفوا
في تحديدها من عشرة اعوام الى مائة وعشرين لكن لم ار من صرح بالتسعين ولا
بثمانية وعشرة واما ما عدا ذلك فقد قال به قائل وقال صاحب المحكم هو القدر المتوسط
من اعمار اهل كل زمن وهذا اعدل الاقوال والمراد بقرن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا
الحديث الصحابة وتقدم في اول المقصد الاول حديث بعثت من خير قرون
بني ادم وفي رواية بريدة عند احمد خير هذه الامة القرن الذي بعثت فيهم ثم
ومما ضبط الايمة من الحفاظ اخر من مات من الصحابة على الاطلاق بلا خلاف
ابو الطفيل عامر بن واثلة الليثي كما جزم به مسلم في صحيحه وكان موته سنة
مائة على الصحيح وقيل سنة سبع ومائة وقيل سنة عشر ومائة الذي صححه الذهبي
وهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر على راس مائة سنة لا يبقى
على وجه الارض من هو عليها اليوم احد وفي رواية مسلم ارايتكم ليلتكم هذه فانه
ليس من نفس منفوسة ياتي عليها مائة سنة واما ما ذكر ان عكراش بن ذويب عاش
بعد يوم الجمل مائة سنة فذلك غير صحيح وان صح فمعناه انه استكمل المائة
بعد الجمل لا انه بقي بعدها مائة سنة كما نص عليه الايمة واما ما ذكر من امرتنا
بارتن فان ذلك لا يروج على من له ادنى مسكة من العقل كما قاله الايمة واما اخر
الصحابة موتا بالاضافة الى النواحي فقد افردهم ابن منده واما قوله ثم الذين
يلونهم وهم اتباع التابعين فهم اهل القرن الذين بعدهم وهم التابعون ثم
واقتضى هذا الحديث ان تكون الصحابة افضل من التابعين والتابعين
افضل من اتباع التابعين لكن هل هذه الفضيلة بالنسبة الى المجموع او الافراد

فهم اهل القرن الرابع تبعوهم وهم الذين يلونهم

والذي

والذي ذهب اليه ابن عبد البر هو الاول كما قدمت ذلك في خصايص هذه الامة
من المقصد الرابع واحتج لذلك سوى ما تقدم بحديث مثل امتي مثل المطر لا يدري
اخره خير ام اوله قال الحافظ ابن حجر وهو حديث حسن له طرق وقد يرتقي
بها الى درجة الصحة وقد روى ابن ابي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن
نفير احد التابعين باسناد حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليدركن المسيح اقواما انهم لمثلكم او خير ثلاثا ولن يخزي الله امة انا اولها والمسيح
اخرها وروى ابو داود والترمذي من حديث ابي ثعلبة رفعه ياتي ايام
للعامل فيهن اجر خمسين قيل منهم او منا يا رسول الله قال بل منكم وهو شاهد لحديث
مثل امتي مثل المطر اوله لكن حديث للعامل منهم اجر خمسين منكم لا يدل على
افضلية غير الصحابة على الصحابة لان مجرد زيادة الاجر لا يستلزم الافضلية
المطلقة وايضا الاجر انما يقع تفاضله بالنسبة الى ما يماثله في ذلك العمل فاما
ما فاز به من شاهد النبي صلى الله عليه وسلم من فضيلة المشاهدة فلا يعدله فيها احد
ولا ريب ان من قاتل معه او في زمانه بامره او انفق شيئا من ماله بسببه لا يعدله احد في
الفضل بعده كائنا من كان قال الله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل
اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكذلك من ضبط الشرع المتلقى
عنه وبلغه لمن بعده فتحصل النزاع يتمحض فيمن لم يحصل له الا مجرد المشاهدة وقد
ظهر انه فاز بها لم يقربه من لم يحصل له ذلك وبهذا يمكن تاويل الاحاديث المتقدمة
ثم ان الصحابة على ثلاثة اصناف الاول المهاجرون الثاني الانصار وهم الاوس والخزرج
وحلفاؤهم ومواليهم الثالث من اسلم يوم الفتح وقال ابن الاثير في الجامع والمهاجرون
افضل من الانصار وهذا على سبيل الاجمال واما على سبيل التفصيل فان جماعة من سباق
الانصار هم بعد ذلك متفاوتون وربما تاخر في الاسلام افضل من متقدم عليه مثل
عمر بن الخطاب وبلال بن رباح وقد ذكر العلماء للصحابة ترتيبا على طبقات وممن قسمهم
كذلك الحاكم في علوم الحديث الطبقة الاولى قوم اسلموا بمكة اول البعث وهم سباق
المسلمين مثل خديجة بنت خويلد وعلي بن ابي طالب وابي بكر الصديق وزيد بن
حارثة وبقية العشرة وقد تقدم الخلاف في اول من اسلم في المقصد الاول الطبقة
الثانية اصحاب دار الندوة بعد اسلام عمر بن الخطاب حمل النبي صلى الله عليه
وسلم ومن معه من المسلمين الى دار الندوة فاسلم لذلك جماعة من اهل مكة الطبقة
الثالثة الذين هاجروا الى الحبشة فرارا بدينهم من اذى المشركين اهل مكة منهم
جعفر بن ابي طالب وابو سلمة بن عبد الاسد الطبقة الرابعة اصحاب
العقبة الاولى وهم سباق الانصار الى الاسلام وكانوا ستة اسعد بن زرارة وعوف
ابن مالك ورافع بن مالك بن عجلان وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر بن نابي

الا انها افضل من جماعة من المتاخرين المهاجرين واما سباق المهاجرين افضل من سباق ا

٣٣٠
٣٧٩
Copyright © King Saud University

وجابر بن عبد الله بن رباب وليس بجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام واصحاب
العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشرة وقد تقدم اسما اهل العقبتين
في المقصد الاول الطبقة الخامسة اصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين
من الانصار منهم البرا بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عبادة وسعد
ابن الربيع وعبد الله بن رواحة الطبقة السادسة المهاجرون الذين وصلوا
الي النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته وهو بقبا قبل ان يبني المسجد وينتقل الى
المدينة الطبقة السابعة اهل بدر الكبرى قال صلى الله عليه وسلم في قصة حاطب
ابن ابي بلتعة وما يدريك لعل الله اطلع على هذه العصابة من اهل بدر فقال
اعملوا ما شئتم فقد رواه مسلم الطبقة الثامنة الذين هاجروا بين بدر والحديبية غفر لكم
الطبقة التاسعة اهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة
قال عليه الصلاة والسلام لا يدخل النار ان شا الله من اصحاب الشجرة احد رواه
مسلم الطبقة العاشرة الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح كخالد بن الوليد
وعمرو بن العاص ومثل بعضهم بابي هريرة لكن قال الحافظ العراقي ولا يصح التمثيل
به فانه هاجر قبل الحديبية عقيب خيبر بل في اواخرها الطبقة الحادية عشر
الذين اسلموا يوم الفتح وهم خلق كثير فمنهم من اسلم طايعا ومنهم من اسلم كارها ثم حسن
اسلام بعضهم والله اعلم بهم الطبقة الثانية عشر صبيان ادركوا النبي صلى الله عليه
وسلم ورواه يوم الفتح وبعده في حجة الوداع وغيرها كالسايب بن يزيد ثم انقطعت
الهجرة بعد الفتح على الصحيح من الاقوال واما عدة اصحابه صلى الله عليه وسلم
فمن رام حصر ذلك رام امرا بعيدا ولا يعلم حقيقة ذلك الا الله تعالى لكثرة من اسلم
من اول البعثة الى ان مات النبي صلى الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان والبوادي
وقد روى البخاري ان كعب بن مالك قال في قصة تخلفه عن غزوة تبوك واصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يعني الديوان لكن قد
جا ضبطهم في بعض مشاهده كتبوك وقد ورد انه سار عام الفتح في عشرة الاف من
المقاتلة والى حنين في اثنا عشر الفا والى حجة الوداع في تسعين الفا والى تبوك في سبعين
الفا وقد روي انه قبض عن مائة الف واربعة وعشرين الفا والله اعلم بحقيقة ذلك
ثم ان افضلهم على الاطلاق عند اهل السنة اجماعا ابو بكر ثم عمر رضي الله تعالى
عنهما عن ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان رواه البخاري وفي رواية عبيد الله بن عمر
عن نافع كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بابي بكر احدا ثم عمر ثم عثمان
ثم نترك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلا نفاضل بينهم رواه البخاري ايضا
وقوله لا نعدل بابي بكر اي لا نجعل له مثلا ولابي داود من طريق سالم عن ابن

عمر

عمر كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي افضل امة النبي صلى الله عليه وسلم
بعده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان زاد الطبراني في رواية فيسمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلا ينكره وروى خيثمة بن سليمان في فضايل الصحابة من طريق سهيل بن ابي صالح
عن ابيه عن ابن عمر كنا نقول اذا ذهب ابو بكر وعمر وعثمان استوى الناس فيسمع
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره وفي ذلك تقديم عثمان بعد ابي بكر وعمر واهل
السنة على ان عليا بعد عثمان واهل وذهب بعض السلف على تقديم علي على عثمان
وممن قال به سفيان الثوري وقيل لا يفضل احدهما على الاخر ونقل ذلك عن مالك
في المدونة وتبعه جماعة منهم يحيى ابن القطان وقال ابن معين من قال ابو بكر
وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة ولا شك ان من
اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فضل فهو مذموم وقد ادعى ابن عبد البر ان حديث
الاقتصار على الثلاثة ابي بكر وعمر وعثمان خلاف قول اهل السنة ان عليا افضل
الناس بعد الثلاثة وتعقب بانه لا يلزم من سكوتهم اذ ذاك عن تفضيله عدم
تفضيله فالمقطوع به بين اهل السنة بافضلية ابو بكر ثم عمر ثم اختلفوا فيمن
بعدهما فالجمهور على تقديم عثمان وعن مالك التوقف والمسيلة اجتهادية ومستندها
ان هولا الاربعة اختارهم الله لخلافة نبيه واقامة دينه فمنزلتهم عنده بحسب
ترتيبهم في الخلافة وقال الامام ابو منصور البغدادي اصحابنا مجمعون على ان افضلهم
الخلفا الاربعة ثم الستة تمام العشرة يعني طلحة والزبير وسعد او سعيد او عبد الرحمن
بن عوف وابا عبيدة عامر بن الجراح وقد روى الترمذي عن سعيد بن زيد انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة في الجنة ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان
في الجنة وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح
وسعد بن ابي وقاص فعد هولا التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم ننشدك
الله من العاشر قال نشدتموني بالله سعيد بن زيد في الجنة يعني نفسه وعن
ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه خرج الي المسجد فسال عن النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا وجه ها هنا فخرجت في اثره حتى دخل بير اريس فجلست عند الباب
وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضا فقمت
اليه فاذا هو جالس على بير اريس وتوسط قفها فجلست عند الباب فقلت
لاكونن بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم اليوم فجا ابو بكر فدفع الباب فقلت من هذا
فقال ابو بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت هذا ابو بكر يستاذن فقال ايذن له وبشره بالجنة فاقبلت حتى قلت
لابي بكر ادخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل ابو بكر فجلس
عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في القف ودلى رجليه في البير كما صنع

Copyright ... University

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت اخي يتوضأ
ويلحقني فقلت ان يرد الله بفلان خيرا يريد اخاه يأت به فاذا بانسان يحرك الباب
فقلت من هذا قال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك ثم جئت الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت هذا عمر بن الخطاب يستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة
فقلت ادخل وبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فجلس مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر فرجعت فجلست فقلت
ان يرد الله بفلان خيرا يأت به فجاء انسان فحرك الباب فقلت من هذا فقال عثمان بن عفان
فقلت على رسلك وجئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال ائذن له
وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فجئت فقلت ادخل وبشرك رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه
من الشق الآخر قال شريك قال سعيد بن المسيب فاولتها قبورهم رواه احمد
ومسلم وابو حاتم واخرجه البخاري **واخرج** ابو داود ونحوه عن ابي سلمة عن
نافع عن عبد الحارث الخزاعي قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا
من حوائط المدينة فقال لبلال امسك على الباب فجاء ابو بكر يستأذن فذكر
نحوه قال الطبراني وفي حديث ان نافع بن الحرث هو الذي كان يستأذن وهذا
يدل على تكرار القصة لكن صوب الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر عدم التعدد
وانها عند ابي موسى وهم القول بغيره وانشد لنفسه

لقد بشر الهادي من الصحب زمرة ... بجنات عدن كلهم فضله اشتهر
سعيد زبير سعد طلحة عامر ... ابو بكر عثمان بن عوف علي عمر

ولابن الوليد بن الشحنة

اما عشر رسول الله بشرهم ... بجنة الخلد عمن زانها وعمر
سعد سعيد علي عثمان طلحة ابو ... بكر بن عوف بن جراح الزبير عمر

فان قلت من اعتقد من الخلفاء الاربعة الافضلية على الترتيب المعلوم ولكن
محبته لبعضهم تكون اكثر هل يكون آثما به ام لا **اجاب** شيخ الاسلام الولي بن
العراقي ان المحبة قد تكون لامر ديني وقد تكون لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة
للافضلية فمن كان افضل كانت محبته الدينية له اكثر فمتى اعتقد في واحد
منهم انه افضل ثم احب غيره من جهة الدين اكثر كان تناقضا نعم ان احببنا
غير الافضل اكثر من محبة الافضل لامر دنيوي كقرابة واحسان ونحوه فلا
تناقض في ذلك ولا امتناع فمن اعترف بان افضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله
عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لكنه احب عليا اكثر من ابي بكر مثلا فان كانت
المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك اذ المحبة الدينية لازمة للافضلية

وقد تكون صح

كما قررناه وهذا لم يعترف بافضلية ابي بكر الا بلسانه واما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه
احبه محبة دينية زائدة على محبة ابي بكر وهذا لا يجوز وان كانت المحبة المذكورة
محبة دنيوية لكونه من ذرية علي او لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه والله اعلم
وقد روى الطبراني في الرياض وعزاه للملا في سيرته عن انس مرفوعا ان الله افترض
عليكم حب ابي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن انكر
فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج **واخرج** الحافظ السلفي في مشيخته
من حديث انس مرفوعا حب ابي بكر واجب على امتي **واخرج** الانصاري عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا بكر ليت اني لقيت اخواني فقال ابو بكر يا رسول الله
نحن اخوانك قال لا انتم اصحابي اخواني الذين لم يروني وصدقوا بي واحبوني اني لاحب
الي احدهم من ولده ووالده قالوا يا رسول الله انا نحن اخوانك قال لا انتم اصحابي الا تحب
يا ابا بكر قوما احبوك بحبي اياك قال فاحبهم ما احبوك بحبي اياك فمحبة من احبه الرسول
عليه الصلاة والسلام كال بيته واصحابه رضي الله عنهم علامة على محبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما ان محبته عليه الصلاة والسلام علامة محبة الله تعالى وكذلك عداوة من
عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب وابغض من يبغض قال
الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله فحب
آل بيته صلى الله عليه وسلم واصحابه واولاده وازواجه من الواجبات المتعينات
وبغضهم من الموبقات المهلكات ومن محبتهم وجوب توقيرهم وبرهم والقيام بحقوقهم
والاقتداء بهم بان يمشي على سننهم وادابهم واخلاقهم والعمل باقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال
وحسن الثناء عليهم بان يذكروا باوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد اثنى عليهم الله
تعالى في الكتاب المجيد ومن اثنى عليه الله فهو واجب الثناء والاستغفار لهم قالت عائشة
امروا ان يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم رواه مسلم وغيره
وفائدة المستغفر لهم عائدة عليه قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول
صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره ومما يجب ايضا الامساك عما شجر
بينهم اي وقع بينهم من الاختلاف والاضراب عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة و
وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي
فامسكوا وان يلتمس لهم فيما نقل من ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التأويلات ويخرج
لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك كما هو مشهور في مناقبهم ومعدود في مآثرهم مما
يطول ايراد بعضه وما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات فله محامل وتأويلات
وسبهم والطعن فيهم اذا كان مما يخالف الادلة القطعية كفر كقذف عائشة رضي الله
عنها والا فبدعة وفسق قال عليه الصلاة والسلام يا ايها الناس احفظوني في احبابي
واصهاري واصحابي لا يطالبنكم الله بمظلمة احد منهم فانها ليست مما يوهب رواه

٣٣١

Copyright King Saud University

الخلعي وقال عليه الصلاة والسلام الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي
فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني
فقد اذى الله ومن اذى الله فيوشك ان ياخذه رواه المخلص الذهبي وهذا
الحديث كما قاله بعضهم خرج مخرج الوصية باصحابه على طريق التاكيد والترغيب
في حبهم والترهيب عن بغضهم وفيه اشارة الى ان حبهم من الايمان وبغضهم من الكفر
لانه اذا كان بغضهم بغضا له كان كفرا بلا نزاع الحديث السابق لا يومن احدكم حتى اكون
احب اليه من نفسه وهذا يدل على كمال قربهم منه بتنزيلهم منزلة نفسه حتى كان
اذاهم واقع عليه واصل النبي صلى الله عليه وسلم والغرض الهدف الذي يرمى
به فهو نهي عن رميهم موكد اذ ذلك يتخذ برهم الله منه وما ذاك الا لشدة الحرمة
وروي مرفوعا من سب احدا من اصحابي فاجلدوه اخرجه تمام في فوايده وقال
مالك ابن انس وغيره فما ذكره القاضي عياض من ابغض الصحابة فليس له في المسلمين
حق قال ونزع باية الحشر والذين جاوا من بعدهم الاية المقصد الثاني في طبه
صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض والعاهات وتعبيره الرويا وانبايه بالانبا المغيبات
اعلم انه لا سبيل الى الاحاطة بنقطة من بحار معارفه او قطرة مما افاضه الله عليه من
سحاب عوارفه وانت اذا تاملت ما منحه الله تعالى به من جوامع الكلم وخصه من
بدايع الحكم وحسن سيره وحكم حديثه وانبايه بانبا القرون السالفة والامم البايدة
والشرايع الدايرة كقصص الانبيا مع قومهم وخبر موسى مع الخضر ويوسف
مع اخوته واصحاب الكهف وذي القرنين واشباه ذلك وبدء الخلق واخبار الدار
الاخرة وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى واظهار احوال
الانبيا واممهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه بمكتوب شرايعهم
ومضمنات كتبهم وغير ذلك مما صدقه فيه العلما بها ولم يقدروا على تكذيب
ما ذكر منها بل اذعنوا الى ذلك فضلا عما افاضه من العلم ومحاسن الاداب والشيم
والمواعظ والحكم والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين
الادلة الواضحات الى فنون العلم الذي اتخذ اهلها كلامه فيها قدوة واشاراته
حجة كاللغة والمعاني والبيان والعربية وقوانين الاحكام الشرعية والسياسات
العقلية ومعارف عوارف الحقايق القلبية الى غير ذلك من ضروب العلوم وفنون
المعارف الشاملة لمصالح امته كالطب والعبارة والحساب وغير ذلك مما لا يعد
ولا يحد تحققت بان مجال هذا الباب في حقه عليه الصلاة والسلام ممتد تنقطع
دون نفاذه الادلاء وان بحر علمه وعوارفه ومعارفه زاخر لا تدركه الدلاء وهذا
المقصد اعزك الله يشتمل على ثلاثة فصول الفصل الاول في طبه صلى الله
عليه وسلم لذوي الامراض والعاهات اعلم انه قد ثبت انه صلى الله عليه وسلم

كان

الناس بلغ

لاحد

كان يعود من مرض من اصحابه حتى لقد عاد غلاما كان يخدمه من اهل الكتاب وعاد
عمه وهو مشرك وعرض عليهما الاسلام فاسلم الاول وكان يهوديا كما روى البخاري وابو داود
من حديث انس ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فعاده
صلى الله عليه وسلم فقعد عند راسه فقال اسلم فنظر الى ابيه وهو عنده فقال
اطع ابا القاسم فاسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي انقذه
من النار وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس عند راسه ويسال عن
حاله ويقول كيف تجدك وفي حديث جابر عند البخاري ومسلم والترمذي وابي داود
قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وابو بكر وهما ماشيان
فوجداني اغمي علي فتوضا النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فافقت فاذا
النبي صلى الله عليه وسلم وعند ابي داود فنفخ في وجهي فافقت وفيها انه صلى الله
عليه وسلم قال يا جابر لا اراك ميتا من وجعك هذا وفي حديث ابي موسى عند البخاري
مرفوعا اطعموا الجايع وعودوا المريض وفكوا العاني وعنده من رواية البرا امرنا
صلى الله عليه وسلم بسبع وذكر منها عيادة المريض وعند مسلم خمس تجب للمسلم
على المسلم فذكرها منها قال ابن بطال يحتمل ان يكون الامر على الوجوب بمعنى
الكفاية كاطعام الجايع وفك الاسير ويحتمل ان يكون للندب على التواصل
والالفة وعن الطبري يتاكد في حق من ترجى بركته ويسن في من يراعى حاله ويباح
فيما عدا ذلك وهو فرض كفاية عند الحنفية كما قاله ابو الليث السمرقندي
واستدل بعموم قوله عودوا المريض على مشروعية العيادة في كل مرض لكن
استثنى بعضهم الارمد لكون عايده يرى ما لا يراه الارمد ورد بانه قد جاء في
عيادة الارمد بخصوصها حديث زيد ابن ارقم قال عادني رسول الله صلى
الله عليه وسلم من وجع بعيني رواه ابو داود وصححه الحاكم واما ما اخرجه البيهقي
والطبراني مرفوعا ثلاثة ليس لهم عيادة المريض الرمد والدمل والضرس
فصحح البيهقي انه موقوف على يحيى ابن ابي كثير ويوخذ من اطلاقه ايضا عدم
التقييد بزمان يمضي من ابتدا مرضه وهو قول الجمهور وجزم الغزالي
في الاحيا بانه لا يعاد الا بعد ثلاث واستند الى حديث اخرجه ابن ماجه
عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعود مريضا الا بعد ثلاثة وهذا
حديث ضعيف تفرد به مسلمة بن علي وهو متروك وقال ابو حاتم هو حديث
باطل ولا نطيل بايراد ما ورد في فضل العيادة ويكفي حديث ابي هريرة مما
حسنه الترمذي مرفوعا من عاد مريضا ناداه مناد من السما طبت وطاب
ممشاك وتبوات من الجنة منزلا وهذا لفظ ابن ماجه وفي سنن ابي داود
عن انس مرفوعا من توضا فاحسن الوضوء وعاد اخاه المسلم محتسبا بوعد

من جهنم مسيرة سبعين خريفا وفي حديث ابي سعيد الخدري عند ابن حبان في
صحيحه مرفوعا خمس من عملهن في يوم كتبه الله من اهل الجنة من عاد مريضا
وشهد جنازة وصام يوما وراح الى الجمعة واعتق رقبة وعند احمد عن كعب
مرفوعا من عاد مريضا خاض في الرحمة فاذا جلس عنده استنقع فيها زاد الطبراني
واذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج ولم يكن صلى الله
عليه وسلم يخص يوما من الايام بعيادة المريض ولا وقتا من الاوقات وترك
العيادة يوم السبت مخالف للسنة ابتدعه يهودي طبيب لملك قد
مرض والزمه بملازمته فاراد يوم الجمعة ان يمضي لسبته فمنعه فخاف على
استحلال سبته ومن سفك دمه فقال له ان المريض لا يدخل عليه يوم
السبت فتركه الملك ثم اشيع ذلك وصار كثير من الناس يعتمده ومن الغريب
ما نقله ابن الصلاح عن الفراوي ان العيادة تستحب في الشتا ليلا وفي الصيف
نهارا ولعل الحكمة في ذلك ان المريض يتضرر بطول الليل في الشتا وبطول
النهار في الصيف فيحصل له بالعيادة استرواح وينبغي اجتناب الطبيب
باعد الدين من يهودي او نحوه فانه مقطوع بغشه سيما اذا كان المريض
كبيرا في دينه او علمه خصوصا ان كان هذا العدو يهوديا لان قاعدة دينهم
ان من نصح منهم مسلما فقد خرج عن دينه وان من استعمل السبت فهو مهدر
الدم عندهم حلال لهم سفك دمه ولا ريب ان من خاطر بنفسه يخشى عليه
ان يدخل في عموم النهي فيمن قتل نفسه بشي وقد كثر الضرر في هذا الزمن باهل
الذمة فلا حول ولا قوة الا بالله والله تعالى يرحم القايل

لعن النصارى واليهود فانهم ... بلغوا بمكرهم بنا الامالا
خرجوا اطبا وحسابا لكي ... يتقسموا الارواح والاموالا

ومما كان يفعله عليه الصلاة والسلام ويامر به تطييب نفوس المرضى وتقوية
قلوبهم ففي حديث ابي سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم
على مريض فنفسوا له في اجله فان ذلك يطيب نفسه بريد ان تقول
له لا باس عليك طهور ان شا الله ووجهك الان حسن وما اشبه ذلك
وقد يكون من هذا ان يذكر له الاجور الداخلة عليه في مرضه وان
المرض كفارة فربما اصلح ذلك قلبه وامن خوف زلل ونحوه وقال بعضهم
في هذا الحديث نوع شريف جدا من اشرف انواع العلاج وهو الارشاد
الى ما يطيب نفس العليل من الكلام الذي يقوى به الطبيعة وتنتعش
به القوة وينبعث به الحار الغريزي ويساعده على دفع العلة او تخفيفها
الذي هو غاية تاثير الطبيب وفي تفريح نفس المريض وتطييب قلبه

وادخال

ترك عيادة المريض يوم السبت

وادخال السرور عليه تاثير عجيب في شفا علته وخفتها فان الارواح والقوى
تقوى بذلك فتساعد الطبيعة على دفع الموذي وقد شاهد الناس كثيرا من
المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونه ويعظمونه ورويتهم له ولطفهم بهم
ومكالمتهم اياهم قال في الهدي وكان صلى الله عليه وسلم يسال المريض عن شكواه
وكيف يجده وعما يشتهيه فان اشتهى شيا وعلم انه لا يضره امر له به ويضع يده
على جبهته وربما وضعها بين ثدييه ويدعو له ويصف له ما ينفعه في علته
وربما توضا وصب على المريض من وضوءه كما في حديث جابر المتقدم وربما كان
يقول للمريض لا باس عليك طهور ان شا الله وربما كان يقول كفارة وطهور
وقالت المكان الذي بالم ثم يقول بسم الله رواه ابو يعلى بسند حسن واخرج
الترمذي من حديث ابي امامة بسند لين رفعه تمام عيادة المريض ان يضع
احدكم يده على جبهته فيساله كيف هو وعند ابن السني بلفظ كيف اصبحت
او كيف امسيت واذا علمت هذا فاعلم ان المرض نوعان مرض القلوب ومرض
الابدان فاما طب القلوب ومعالجتها فخاص بما جا به الرسول الكريم صلى الله عليه
وسلم عن ربه تعالى لا سبيل الى حصوله الا من جهته فان صلاح القلوب ان تكون
عارفة بربها وفاطرها وباسمايه وصفاته وافعاله واحكامه وان تكون موثرة
لرضاه ومحابه متجنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولا حياة البتة الا بذلك
ولا سبيل الى تلقي ذلك الا من جهة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واما طب
الاجساد فمنه ما جا في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم ومنه ما جا عن غيره
لانه صلى الله عليه وسلم انما بعث هاديا وداعيا الى الله والى جنته ومعرفا بالله
ومبينا للامة مواقع رضاه وامرا لهم بها ومواقع سخطه وناهيا لهم عنها ومخبرهم
اخبار الانبيا والرسل واحوالهم مع اممهم واخبار تخليق العالم وامر المبدا والمعاد
وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها واسباب ذلك فاما طب الاجساد فجا من تكميل شريعته
ومقصودا لغيره بحيث انما يستعمل للحاجة اليه فاذا قدر الاستغنا عنه كان صرف الهمم
الى علاج القلوب وحفظ صحتها ودفع اسقامها وحميتها مما يفسدها هو المقصود باصلاح
الجسد واصلاح الجسد بدون اصلاح القلب لا ينفع وفساد البدن مع اصلاح القلب مضرته
يسيرة جدا وهذه مضرة زايلة يعقبها المنفعة الدايمة التامة فاذا علمت هذا
فاعلم ان ضرر الذنوب في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها
في الضرر وهل في الدنيا والاخرة شر ودا الا وسببه الذنوب والمعاصي فللمعاصي
من الاثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن والدنيا والاخرة ما لا
يعلمه الا الله فمنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية
تطفي ذلك النور وللامام الشافعي

عائشة كان صلى الله
عليه وسلم اذا عاد مريضا
وضع يده على

الحجم

٣٣٣

Copyright King Saud University

شكوت الى وكيع سوء حفظي ۞ فارشدني الى ترك المعاصي

وقال اعلم بان العلم نور ۞ ونور الله لا يؤتاه عاصي

ومنها حرمان الرزق ففي المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ومنها وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا يوازيها ولا يقارنها لذة اصلا ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده مغلقا دونه او متعسرا عليه ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا ادلهم وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر ثم تقوى هذه الظلمة حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه يراه كل واحد ومنها انها توهن القلب والبدن ومنها حرمان الطاعة وتقصير العمر ومحق البركة ولا تمنع زيادة العمر باسباب كما ينقص باسباب وقيل تاثير المعاصي في محق العمر انما هو بان حقيقة الحياة هي حياة القلب فليس عمر المرء الا اوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعات تزيد في هذه الاوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها بالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه ايام حياته الحقيقية ومنها ان المعصية تورث الذل ومنها انها تفسد العقل فان للعقل نورا والمعصية تطفي نور العقل ومنها انها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة الا بذنب ولا حلت به نقمة الا بذنب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقد احسن القايل

اذا كنت في نعمة فارعها ۞ فان الذنوب تزيل النعم

وحطها بطاعة رب العباد ۞ فرب العباد سريع النقم

ومن عقوباتها انها تجلب مواد هلاك العبد في دنياه واخرته فان الذنوب هي امراض متى استحكمت قتلت ولا بد وكما ان البدن لا يكون صحيحا الا بغذا يحفظ قوته واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الرديه التي متى غلبت عليه افسدته وحمية يمتنع بها من تناول ما يوذيه ويخشى ضرره فكذلك القلب لا تتم حياته الا بغذا من الايمان والاعمال الصالحة تحفظ قوته واستفراغ بالتوبة النصوح تستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الرديه وحمية توجب له حفظ الصحة وتجنب ما يضادها وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى اسم متناول لهذه الامور الثلاثة فما فات منها فات من التقوى بقدره واذا تبين هذا فالذنوب مضادة لهذه الامور الثلاثة فانها تجلب المواد الموذية وتوجب التخليط المضاد للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر الى بدن عليل قد تراكمت عليه الاخلاط ومواد المرض وهو لا يستفرغها ولا يحتمي بها كيف تكون صحته وبقاوه وقد احسن القايل

جسمك

جسمك بالحمية حصنته ۞ مخافة من الم طاري

وكان اولى بك ان تحتمي ۞ عن المعاصي خشية النار

فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمل الحمية باجتناب النواهي واستفرغ التخليط بالتوبة النصوح لم يدع للخير مطلبا ولا للشر مهربا وفي حديث انس الا ادلكم على دايكم ودوايكم الا ان دايكم الذنوب ودواكم الاستغفار فصل اظهر لك ان طب القلوب ومعالجتها لا سبيل الى معرفته الا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي واما طب الاجساد فغالبه يرجع الى التجربة ثم هو نوعان نوع لا يحتاج الى فكر ونظر بل فطر الله على معرفته الحيوانات مثل ما يدفع الجوع والعطش والبرد والتعب وهذا لا يحتاج فيه الى معالجة طبيب ونوع يحتاج الى الفكر والنظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه عن الاعتدال وهو اما الى حرارة او برودة وكل منهما اما الى رطوبة او يبوسة او الى ما يتركب منهما وغالب ما يقاوم الواحد منها بضده والدفع قد يقع من خارج البدن وقد يقع من داخله وهو اعسرها والطريق الى معرفته بتحقيق السبب والعلامة فالطبيب الحاذق هو الذي يسعى في تفريق ما يضر بالبدن جمعه او عكسه وفي تنقيص ما يضر بالبدن زيادته او عكسه ومدار ذلك على ثلاثة اشيا حفظ الصحة والاحتما عن الموذي واستفراغ المادة الفاسدة وقد اشير الى الثلاثة في القران فالاول في قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وذلك ان السفر مظنة النصب وهو من مغيرات الصحة فاذا وقع فيه الصيام ازداد فابيح الفطر وكذا القول في المرض والثاني وهو الحمية من قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فانه استنبط منه جواز التيمم عند خوف استعمال الما البارد وقال تعالى في اية الوضو وان كنتم مرضى او على سفر او جا احد منكم من الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فاباح للمريض العدول عن الما الى التراب حمية له ان يصيب جسده ما يوذيه وهو تنبيه على الحمية عن كل موذ له من داخل او خارج والثالث من قوله تعالى او به اذى من راسه ففدية من صيام فانه اشير بذلك الى جواز حلق الراس الذي منع منه المحرم لاستفراغ الاذى الحاصل من البخار المحتقن في الراس تحت الشعر لانه اذا حلق راسه تفتحت المسام فخرجت تلك الابخرة فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يوذي انحباسه فقد ارشد تعالى عباده الى اصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده وفي الصحيحين من حديث عطا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله دا الا وانزل معه شفا فتداووا وعند احمد من حديث انس ان الله حيث خلق الدا خلق الدوا فتداووا وعند البخاري في الادب المفرد واحمد واصحاب السنن وصححه

Copyright © King Saud University

الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن اسامة بن شريك رفعه تداووا يا عباد الله فان
الله لم يضع داء الا وضع له شفاء الا داء واحدا وهو الهرم وفي لفظ الا السام وهو بمهملة
مخففا الموت يعني الا داء الموت اي المرض الذي قدر على صاحبه الموت فيه واستثني
الهرم في الرواية الاولى اما لانه جعله شبيها بالموت والجامع بينهما نقص الصحة او
لقربه من الموت وافضايه اليه ويحتمل ان يكون منقطعا والتقدير لكن الهرم لا دوا
له ولابي داود عن الدرداء رفعه ان الله جعل لكل داء دوا فتداووا ولا تداووا بحرام وفي
البخاري ان الله تعالى لم يجعل شفاكم فيما حرم عليكم فلا يجوز التداوي بالحرام وروى
مسلم عن جابر مرفوعا لكل داء دوا فاذا اصيب دوا الدا برى باذن الله تعالى وذلك ان
الدوا قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية او الكمية فلا ينجع بل ربما احدث داء
اخر وفي رواية علي عند الحميدي في كتابه المسمى بطب اهل البيت ما من داء الا وله
دوا فاذا كان كذلك بعث الله عز وجل ملكا ومعه ستر فجعله بين الدا والدوا فكلما
شرب المريض من الدوا لم يقع على الدا فاذا اراد الله برءه امر الملك فرفع الستر
ثم يشرب المريض الدوا فينفعه الله تعالى به وفي حديث ابن مسعود رفعه
ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفا علمه من علمه وجهله من جهله رواه ابو نعيم وغيره
وفيه اشارة الى ان بعض الادوية لا يعلمها كل احد واما قوله لكل داء دوا فيجوز ان يكون
على عمومه حتى يتناول الادوا القاتلة والادوا التي لا يمكن طبيب معرفتها او يكون
الله قد جعل لها ادوية تبريها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم اليه سبيلا
لانه لا علم للخلق الا ما علمهم الله ولهذا اعلق صلى الله عليه وسلم الشفا على مصادفة
الدوا للدا وقد يقع لبعض المرضى انه يتداوى من دايه بدوا فيبرا ثم يعتريه
بعد ذلك الدا بعينه فلا ينجع والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات
الدوا فرب مرضين تشابها ويكون احدهما مركبا لا ينجع فيه ما ينجع في الذي
ليس مركبا فيقع الخطا من هنا وقد يكون متحدا لكن يريد الله ان لا ينجع وهنا
تخضع رقاب الاطبا وفي مجموع ما ذكرناه من الاحاديث الاشارة الى اثبات الاسباب
وان ذلك لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالاكل والشرب وكذلك
تجنب المهلكات والدعا بطلب الشفا ودفع المضار وغير ذلك وقد سيل الحارث
ابن اسد المحاسبي في كتاب القصد من تاليفه هل يتداوى المتوكل قال نعم قيل له
من اين ذلك قال من وجود ذلك عند سيد المتوكلين الذي لم يلحقه لاحق
ولا سبقه في التوكل سابق محمد خير البرية صلى الله عليه وسلم قيل فما تقول
في خبر النبي صلى الله عليه وسلم من استرقى واكتوى برى من التوكل قال برى
من توكل المتوكلين الذين ذكرهم في حديث اخر فقال يدخل الجنة من امتي
سبعون الفا بغير حساب واما سواهم من المتوكلين فمباح لهم الدوا والاسترقا فجعل

المحاسبي

الحاسبي التوكل بعضه افضل من بعض وقال في التمهيد انما اراد بقوله برى من
التوكل اذا استرقى الرقا المكروهة في الشريعة او اكتوى وهو متعلق رغبته في
الشفا بوجود الكي وكذلك قوله لا يسترقون الرقا المخالفة للشريعة ولا يكتوون
وقلوبهم معلقة بنفع الكي ومعرضة عن فعل الله تعالى وان الشفا من عنده وانما
اذا فعل ذلك على ما جا في الشريعة وكان ناظرا الى رب الدوا ويتوقع الشفا من
الله تعالى ويقصد بذلك استقامة بدنه اذا صح لبه وانجاب نفسه وكدها في
خدمة ربه فتوكله باق بحاله لا ينقص منه الدوا شيا اسنده لا لا يفعل سيد المتوكلين
اذ عمل بذلك في نفسه وفي غيره انتهى فقد تبين ان التداوي لا ينافي التوكل
بل لا يتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التي نصبها الله تعالى مقتضيات
لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الامر
والحكمة وحكى ابن القيم انه ورد في خبر اسرايلي ان الخليل عليه السلام قال يا رب ممن
الدا قال مني قال فممن الدوا قال مني قال فما بال الطبيب قال رجل
ارسل الدوا على يديه قال وفي قوله صلى الله عليه وسلم لكل داء دوا تقوية لنفس المريض
والطبيب وحث على طلب ذلك الدوا والتفتيش عليه فان المريض اذا استشعرت نفسه
ان لدايه دوا يزيله تعلق قلبه بروح الرجا وقويت نفسه وانبعثت حرارته الغريزية
وكان ذلك سببا لقوة الارواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه
الارواح قويت القوى التي هي حاملة لها فقهرت المرض ودفعته انتهى فان قلت
ما المراد بالانزال في قوله في الاحاديث السابقة الا انزل له دوا وفي الرواية الاخرى شفا
فالجواب انه يحتمل ان يكون عبر بالانزال عن التقدير ويحتمل ان يكون المراد انزل علم
ذلك على لسان الملك للنبي صلى الله عليه وسلم وان نفع طب حذاق الاطبا الذي غايته
ان يكون ماخوذا من قياس او منامات وحدس وتجربة من الوحي الذي يوجبه الله تعالى
الى رسوله صلى الله عليه وسلم بما ينفعه ويضره فنسبة ما عند حذاق الاطبا من الطب
الى هذا الوحي كنسبة ما عندهم من العلوم الى ما جا به صلى الله عليه وسلم بل ههنا من
الادوية التي تشفي من الامراض ما لم يهتد اليها عقول اكابر الاطبا ولم تصل اليها علومهم
وتجربتهم واقيستهم من الادوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله
تعالى والتوكل عليه والانكسار بين يديه والصدقة والصلاة والدعا والتوبة
والاستغفار والاحسان الى الخلق والتفريج عن المكروب فان هذه الادوية قد جربتها
الامم على اختلاف اديانها ومللها فوجدوا لها من التاثير في الشفا ما لم يصل اليه علم اعلم الاطبا
وقد جربت ذلك والله مرات فوجدته يفعل ما لا يفعله الادوية الحسية وكان
علاجه صلى الله عليه وسلم للمريض على ثلاثة انواع احدها بالادوية الالهية الروحانية
والثانية بالادوية الطبيعية والثالثة بالمركب من الامرين ولا ريب ان طب النبي صلى

ويرد من حرارته الغريزية وانبعث له باب الرجا

٣٣٥

Copyright King Saud University

الله عليه وسلم متيقن البرء لصدوره عن الوحي ومشكاة النبوة وطب غيره اكثره حدث
او تجربة وقد يتخلف الشفاء عن بعض من يستعمل طب النبوة وذلك لمانع قام بالمستعمل
من ضعف اعتقاد الشفاء به وتلقيه بالقبول واظهر الامثلة في ذلك القران الذي هو
شفا لما في الصدور ومع ذلك فقد لا يحصل لبعض الناس شفا صدره به لقصوره
في الاعتقاد والتلقي بالقبول بل لا يزيد المنافق الا رجسا الى رجسه ومرضا الى مرضه
فطب النبوة لا يناسب الا الابدان الطيبة كما ان شفا القران الذي هو الشفا
النافع **النوع الاول في طبه صلى الله عليه وسلم بالادوية الالهية** اعلم ان الله
تعالى لم ينزل من السما شفا قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع من ازالة الدا من القرآن
فهو للدا شفا ولصدا القلوب جلا كما قال تعالى وننزل من القران ما هو شفا ورحمة
للمومنين ولفظة من كما قال الامام فخر الدين ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل
من هذا الجنس الذي هو القران شفا من الامراض الروحانية وشفا ايضا من الامراض
الجسمانية اما كونه شفا من الامراض الروحانية فظاهر وذلك لان المرض الروحاني هو
نوعان الاعتقادات الباطلة واشدها افسادا الاعتقادات الفاسدة في الالهيات والنبوات
والمعاد والقضا والقدر والقران مشتمل على دلايل المذهب الحق في هذه المطالب
وابطال المذاهب الباطلة ولما كان اقوى الامراض الروحانية هو الخطا في هذه المطالب
والقران مشتمل على الدلايل الكاشفة عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب
لا جرم كان القران شفا من هذا النوع من المرض الروحاني واما الاخلاق المذمومة فالقران
مشتمل على تفصيلها وتعريفها وما فيها من المفاسد والارشاد الى الاخلاق الفاضلة والاعمال
المحمودة فكان القران شفا من هذا النوع من المرض فثبت ان القران شفا من جميع
الامراض الروحانية واما كونه شفا من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراته يدفع
كثيرا من الامراض واذا اعترف الجمهور من الفلاسفة واصحاب الطلسمات بان لقراة
الرقى المجهولة والعزايم التي لا يفهم منها شي اثارا عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفاسد
افلا تكون قراة القران العظيم المشتمل على ذكر جلال الله تعالى وكبريايه وتعظيم
الملايكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول النفع في الدين والدنيا
ويويد ما ذكرناه بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقران فلا
شفاه الله ونقل عن الشيخ ابي القاسم القشيري رحمه الله ان ولده مرض مرضا شديدا
حتى اشرف منه على الموت واشتد عليه الامر قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في
المنام فشكوت اليه ما بولدي فقال اين انت من ايات الشفا فانتبهت فافكرت
فيها فاذا هي في ستة مواضع في كتاب الله وهي قوله تعالى ويشف صدور قوم مومنين
وشفا لما في الصدور يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفا للناس وننزل من
القران ما هو شفا ورحمة للمومنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين امنوا

هدى

بلغ

المذهب الحق في هذه
المطالب وابطال المذاهب
الباطلة ولما كان اقوى
الامراض الروحانية
هو الخطا في هذه المطالب
والقران يشتمل على
الدلايل

هدى وشفا قال فكتبتها ثم حللتها بالما وسقيته اياها فكانما نشط من عقال او كما قال
وانظر رقية اللديغ بالفاتحة وما فيها من السر البديع والبرهان الرفيع وتامل قوله
عليه السلام في بعض ادعيته وان تجعل القران ربيع قلبي وشفا صدري اي فيكون
له بمنزلة الدوا الذي يستاصل الدا ويعيد البدن الى صحته واعتداله وفي حديث
علي في ابن ماجه مرفوعا خير الدوا القران وههنا امر ينبغي ان يتفطن له نبه عليه
ابن القيم وهو ان الايات والاذكار والادعية التي يستشفى بها ويرقى بها انفسها نافعة
شافية ولكن يستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتاثيره فمتى تخلف الشفا كان
لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل او لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع فيه
الدوا كما يكون ذلك في الادوية والادوا الحسية فان عدم تاثيرها قد يكون لعدم
قبول الطبيعة لذلك الدوا وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضايه اثره فان
الطبيعة اذا اخذت الدوا بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب تلك القبول
وكذلك القلب اذا اخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام وكان الدوا في نفس فعالة وهمة
موثرة اثر في ازالة الدا وكذلك الدعا فانه من اقوى الاسباب في دفع المكروه
وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف اثره عنه اما لضعفه في نفسه بان يكون دعا
لا يحبه الله لما فيه من العدوان واما لضعف القلب وعدم اقباله على الله وجمعيته
عليه وقت الدعا واما لحصول المانع من الاجابة من اكل الحرام والظلم ورين الذنوب
على القلوب واستيلا الغفلة والسهو واللهو وقد روى الحاكم حديث واعلموا
ان الله لا يقبل دعا من قلب غافل لاه ومن انفع الادوية الدعا وهو عدو البلا
يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه اذا نزل وهو سلاح المومن
واذا جمع الدعا حضور القلب والجمعية بالكلية على المطلوب وصادف وقتا من
اوقات الاجابة كثلث الليل الاخير مع الخضوع والانكسار والذل والتضرع
واستقبال القبلة والطهارة ورفع اليدين والبداءة بالحمد والثنا على الله تعالى
والصلاة والتسليم على سيدنا محمد بعد التوبة والاستغفار والصدقة والح في المسالة
واكثر التملق والدعا والتوسل اليه باسمايه وصفاته والتوجه اليه بنبيه صلى الله
عليه وسلم فان هذا الدعا لا يكاد يرد ابدا لا سيما ان دعا بالادعية التي اخبر صلى
الله عليه وسلم انها مظنة الاجابة وانها متضمنة للاسم الاعظم والاختلاف في مشروعية
الفزع الى الله تعالى والالتجا اليه في كل ما ينوب الانسان **واما الرقى** فاعلم ان الرقى
بالمعوذات وغيرها من اسما الله تعالى هو الطب الروحاني واذا كان على لسان
الابرار من الخلق حصل الشفا باذن الله تعالى لكن لما عز هذا النوع نزع الناس
الى الطب الجسماني **وفي** البخاري من حديث عايشة انه صلى الله عليه وسلم
كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات وهي الفلق والناس هو

هي

Copy… ersity

والاخلاص فيكون من باب التغليب والمراد الفلق والناس ومن ذلك كل ما ورد من التعويذ
في القران كقوله تعالى قل اعوذ بك من همزات الشياطين واما ما اخرجه احمد وابوا
داود والنساي من حديث ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره
عشر خصال تذكر منها الرقا الا بالمعوذات ففي سنده عبد الرحمن بن حرملة قال البخاري
لا يصح حديثه وعلى تقدير صحته فهو منسوخ بالاذن في الرقية بالفاتحة واما
حديث ابي سعيد عند النساي كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين
الانسان حتى نزلت المعوذات فاخذ بها وترك ما سواها وحسنه الترمذي فلا يدل
على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين بل على الاولوية ولا سيما مع ثبوت التعوذ
بغيرهما وانما اجتزا بهما لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة
وتفصيلا وقد اجمع العلما على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط ان يكون بكلام الله
تعالى او باسمايه وصفاته وباللسان العربي او بما يعرف معناه من غيره وان يعتقد
ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى واختلفوا في كونها شرطا والراجح
انه لا بد من اعتبارها وفي صحيح مسلم من حديث عوف ابن مالك كنا نرقي في الجاهلية
فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا علي رقاكم لا باس بالرقى اذا لم يكن
فيه شرك وله من حديث جابر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجا آل عمرو
ابن حزم فقالوا يا رسول الله انه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب قال فعرضوا
عليه فقال ما ارى باسا من استطاع ان ينفع اخاه فلينفعه وقد تمسك قوم بهذا
العموم فاجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها لكن دل حديث
عوف انه مهما كان من الرقى يودي الى الشرك يمنع احتياطا والشرط الاخير لا بد
منه وقال قوم لا يجوز الرقية الا من العين واللدغة لحديث عمران بن حصين
لا رقية الا من عين او حمة واجيب بان معنى الحصر فيه انهما اصل ما يحتاج الى الرقية
فيلتحق بالعين جواز رقية من به خبل او مس او نحو ذلك لاشتراكهما في كونهما
ينشآن عن احوال شيطانية من انس او جن ويلتحق بالسم كل ما عرض للبدن من
قرح ونحوه من المواد السمية وقد وقع عند ابي داود من حديث انس مثل حديث
عمران وزاد او دم وفي مسلم من حديث انس ايضا رخص رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الرقى من العين والحمة والنملة وفي حديث اخر والاذن ولابي داود من
حديث الشفا بنت عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا تعلمين هذه يعني
حفصة رقية النملة والنملة قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد وقيل المراد
بالحصر يعني الافضل اي لا رقية انفع كما قيل لا سيف الا ذو الفقار وقال قوم
المنهي عنه من الرقا ما يكون قبل وقوع البلا والماذون فيه ما كان بعد وقوعه
ذكره ابن عبد البر والبيهقي وغيرهما وروى ابو داود وابن ماجة وصححه

فاعوصها على

يمنع ومالا يعقل
معناه لا يومن ان
يودي الى الشرك

الحاكم

الحاكم عن ابن مسعود رفعه ان الرقا والتمايم والتولة شرك والتمايم جمع تميمة وهي
خرزة او قلادة تعلق في الراس كانوا في الجاهلية يعتقدون ان ذلك يدفع الافات
والتولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففا شي كانت المراة تجلب فيه محبة زوجها
وهو ضرب من السحر وانما كان ذلك من الشرك لانهم ارادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند
غير الله ولا يدخل في ذلك ما كان باسما الله وكلامه فقد ثبت في الاحاديث استعمال
ذلك قبل وقوعه كما سياتي ان شا الله تعالى ولا خلاف في مشروعية الفزع الى الله
تعالى والالتجا اليه سبحانه في كل ما وقع وما يتوقع قال بعضهم المنهي عنه من الرقا هو
الذي يستعمله المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له فياتي بامور مشتبهة مركبة
من حق وباطل يجمع الى ذكر الله تعالى واسمايه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة
بهم والتعوذ بمردتهم ويقال ان الحية لعداوتها للانسان بالطبع تصادق الشياطين
لكونهم اعدا بني ادم فاذا عزم على الحية باسما الشياطين اجابت وخرجت من مكانها وكذا
اللديغ اذا رقي بتلك الاسما سالت سمومها من بدن الانسان فلذلك كره من الرقى
ما لم يكن بذكر الله واسمايه خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريا من
شوب الشرك وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله تعالى علما الامة وقال القرطبي الرقا
ثلاثة اقسام احدها ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا
يكون فيه شرك او يودي الى الشرك الثاني ما كان بكلام الله او باسمايه فيجوز فاذا
كان ماثورا فيستحب الثالث ما كان باسما غير الله من ملك او صالح او معظم من
المخلوقات كالعرش قال فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمن
الالتجا الى الله تعالى والتبرك باسمايه فيكون تركه اولى الا ان يتضمن تعظيم المرقي
به فينبغي ان يجتنب كالحلف بغير الله تعالى وقال الربيع سالت الشافعي عن
الرقية فقال لا باس ان ترقي بكتاب الله تعالى وبما يعرف من ذكر الله قلت ايرقي اهل
الكتاب المسلمين قال نعم اذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وبذكر الله انتهى وفي
الموطا ان ابا بكر قال لليهودية التي كانت ترقي عايشة ارقيها بكتاب الله قال
النووي وقال القاضي عياض واختلف قول مالك في رقية اليهودي والنصراني
المسلم وبالجواز قال الشافعي والله اعلم وروى ابن وهب عن مالك كراهية الرقية
بالحديدة والملح وعقد الخيط والذي يكتب خاتم سليمان وقال لم يكن ذلك من امر
الناس القديم رقية الذي يصاب بالعين روى مسلم عن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شي سابق القدر لسبقته العين اي اصابة
العين شي ثابت موجود وهي من جملة ما تحقق كونه قال المازري اخذ الجمهور
بظاهر الحديث وانكره طوايف من المبتدعة لغير معنى لان كل شي ليس محالا في
نفسه ولا يودي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فهو من مجوزات العقول

٣٣٧

Copyright King Saud University

باذا اخبر الشارع بوقوعه لم يكن لا نكاره معنا وهل من فرق بين انكارهم هذا وانكارهم
بما يخبر به من امور الاخرة وقد استشكل بعض الناس هذه الاصابة فقال كيف
تعمل العين من بعد حتى يصل الضرر للمعيون واجيب بان طباع الناس تختلف
فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العاين في الهوى الي بدن المعيون وقد نقل
عن بعض من كان معيانا انه قال اذا رايت شيا يعجبني وجدت حرارة تخرج من
عيني ويقرب ذلك بالمراة الحايض تضع يدها في انا اللبن فيفسد ولو وضعتها
بعد طهرها لم يفسد ومن ذلك ان الصحيح قد ينظر الي العين الرمد افيرمد
وقال المازري زعم بعض الطبايعيين ان العاين ينبعث من عينه قوة سمية
تتصل بالمعين فيهلك او يفسد وهو كاصابة السم من نظر الافعا واشار الي منع
الحصر في ذلك مع تجويزه وان الذي يتمشى على طريقة اهل السنة ان العين انما
تضر عند نظر العاين بعادة اجراها الله تعالى ان يحدث الضرر عند مقابلة
شخص اخر وهل ثم جواهر خفية او لا هو امر محتمل لا يقطع باثباته ولا نفيه ومن
قال من ينتمي الي الاسلام من اصحاب الطبايع بالقطع بان جواهر لطيفة غير مرئية
تنبعث من العاين فتتصل بالمعيون وتتخلل مسام جسمه فيخلق الباري الهلاك
عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السم فقد اخطا بدعوى القطع ولكنه
جايز ان يكون عادة ليست ضرورة ولا طبيعية انتهى وهو كلام سديد وليس المراد
بالتاثير المعنى الذي تذهب اليه الفلاسفة بل ما اجرى الله به العادة من
حصول الضرر للمعيون وقد اخرج البزار بسنده عن جابر رفعه اكثر
من يموت بعد قضا الله وقدره بالنفس قال الرازي يعني العين وقد اجرى
الله العادة بوجود كثير من القوى والخواص في الاجسام والارواح كما يحدث
لمن ينظر اليه من يحتشمه من الخجل فيرى في وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل
ذلك وكذا الاصفرار عند روية من يخافه وكثير من الناس يسقم بمجرد النظر
اليه ويضعف قواه وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الارواح من التاثيرات
ولشدة ارتباطها بالعين وليست هي المؤثرة وانما التاثير للروح والارواح مختلفة
في طبايعها وكيفياتها وخواصها فمنها ما يوثر في البدن بمجرد الروية من غير اتصال به
لشدة خبث تلك الروح وكيفيتها الخبيثة والحاصل ان التاثير بارادة الله تعالى
وخلقه ليس مقصورا على الاتصال الجسماني بل يكون تارة به وتارة بالمقابلة واخرى
بمجرد الروية واخرى بتوجه الروح كالذي يحدث من الادعية والرقى والالتجا
الي الله تعالى وتارة يقع ذلك بالتوهم والتخيل فالذي يخرج من عين العاين
سهم معنوي ان صادف البدن لا وقاية له اثر فيه والا لم ينفذ السهم بل ربما رد على
صاحبه كالسهم الحسي سوا انتهى ملخصا من فتح الباري وغيره قال ابن القيم والغرض

العلاج

العلاج النبوي لهذه العلة من المعوذات والرقا الاكثار من قراة المعوذتين
والفاتحة واية الكرسي ومنها التعوذات النبوية نحو اعوذ بكلمات الله التامات
من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ونحو اعوذ بكلمات الله التامات من كل
شيطان التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرا وبرا ومن شر ما ينزل من
السما ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرا في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن شر
فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن
واذا كان يخشى ضرر عينه واصابتها للمعين فليدفع شرها بقوله اللهم بارك عليه
كما قال صلى الله عليه وسلم لعامر بن ربيعة لما عان سهل ابن حنيف الا بركت عليه
ومما يدفع به اصابة العين قول ما شا الله لا قوة الا بالله ومنها رقية جبريل للنبي
صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم بسم الله ارقيك من كل شي يوذيك من شر كل ذي نفس او عين
حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك وعنده ايضا من حديث عايشة كان جبريل
يرقي النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى بسم الله يبريك ومن كل دا يشفيك ومن شر حاسد
اذا حسد ومن شر كل ذي عين واخرج مسلم من حديث ابن عباس رفعه العين
حق ولو كان شي سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وظاهر الامر
للوجوب وحكى المازري فيه خلافا وصحح الوجوب وقال متى خشي الهلاك
وكان اغتسال العاين مما جرت العادة بالشفاية فانه يتعين وقد تقرر انه يجبر
على بذل الطعام للمضطر وهذا اولى ولم يبين في حديث ابن عباس صفة الاغتسال
قال الحافظ ابن حجر وقد وقعت في حديث سهل ابن حنيف عند احمد والنساي
ان اباه حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج وساروا معه نحو مكة حتى اذا كانوا
بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل ابن حنيف وكان ابيض حسن الجسم والجلد
فنظر اليه عامر بن ربيعة فقال ما رايت كاليوم ولا جلد مخباة فلبط سهل اي
صرع وسقط الى الارض فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تتهمون
من احد قالوا عامر بن ربيعة فدعا عامرا فتغيظ عليه فقال علام يقتل احدكم
اخاه هلا اذا رايت ما يعجبك بركت ثم قال اغتسل له فغسل وجهه ويديه
ومرفقيه وركبتيه واطراف رجليه وداخلة ازاره في قدح ثم صب ذلك الما عليه
رجل من خلفه على راسه وظهره ثم كفى القدح ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس
به باس قال المازري المراد بداخلة ازاره الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الايمن
قال وظن بعضهم انه كناية عن الفرج انتهى وزاد القاضي عياض ان المراد ما يلي جسده
من الازار وقيل اراد موضع الازار من الجسد وقيل اراد وركه لانه معقد الازار
ورايت ما عزي لخط شيخنا الحافظ ابي الخير السخاوي قال ابن بكير عن مالك
انه كناية عن الثوب الذي يلي جلده وقال ابن الاثير في النهاية كان من عادتهم

Copyright King Saud University

ان الانسان اذا اصابته عين من احد جا الي العاين بقدح فيه ما فيدخل كفه فيه
فيتمضمض ثم يمجه في القدح ثم يغسل وجهه فيه ثم يدخل يده اليسري فيصب
علي يده اليمني ثم يدخل اليمني فيصب علي اليسري ثم يدخل يده اليسري فيصب
علي مرفقه الايمن ثم يدخل يده اليمني فيصب علي مرفقه الايسر ثم يدخل يده
اليسري فيصب علي قدمه الايمن ثم يدخل يده اليمني فيصب علي قدمه اليسري
ثم يدخل يده اليسري فيصب علي ركبته اليمني ثم يدخل يده اليمني فيصب علي
ركبته اليسري ثم يغسل داخلة ازاره ولا يوضع القدح بالارض ثم يصب
ذلك الما المستعمل علي راس المصاب بالعين من خلفه صبة واحدة فيبرا باذن
الله تعالي انتهي وقال المازري وهذا المعني مما لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه
من جهة العقل فلا يرد لكونه لا يعقل معناه وقال ابن العربي انه توقيف فيه
مشروع فلنا له قل الله ورسوله اعلم وقد عضدته التجربة المعاينة او متفلسف
فالرد عليه اظهر لان عنده ان الادوية تفعل بقواها وقد تفعل بمعني لا يدرك
ويسمون ما هذا سبيله الخواص قال ابن القيم ومن علاج ذلك والاحتراز منه ستر
محاسن من يخاف عليه العين بما يردها عنه كما ذكره البغوي في كتاب شرح السنة
ان عثمان بن عفان راي صبيا مليحا فقال دسموا نونته لئلا يصيبه العين ثم
قال في تفسيره ومعني دسموا نونته اي سودوا نونته والنونة النقرة التي تكون
في ذقن الصغيرة وذكر عن عبد الله الساجي انه كان في بعض اسفاره للحج او الغزو علي
ناقة فارهة فكان في الرفقة رجل عاين فما نظر الي شي الا اتلفه فقيل لابي عبد الله
احفظ ناقتك من العاين فقال ليس له الي ناقتي سبيل فاخبر العاين بقوله
فتحين غيبة ابي عبد الله فجا الي رحله فنظر الي الناقة فاضطربت وسقطت
فجا ابو عبد الله فاخبر ان العاين قد عانها وهي كما تري فقال دلوني عليه
فوقف عليه فقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت
عين العاين عليه وعلي احب الناس اليه فارجع البصر هل تري من فطور ثم
ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسيا وهو حسير فخرجت حدقتا
العاين وقامت الناقة لا باس بها انتهي وفي حديث هذا الباب من الفوايد ان
العاين اذا عرف يقضي عليه بالاغتسال وان الاغتسال من النشرة النافعة
وان العين تكون مع الاعجاب ولو بغير حسد ولو من الرجل المحب ومن
الرجل الصالح وان الذي يعجبه الشي يبادر الي الدعا للذي يعجبه بالبركة
ويكون ذلك رقية منه وان الاصابة بالعين قد تقتل وقد اختلف في جريان
القصاص بذلك فقال القرطبي لو اتلف العاين شيا ضمنه ولو قتل
فعليه القصاص او الدية اذا تكرر ذلك منه بحيث يصير عادة وهو في

ذلك

ذلك كالساحر عند من لا يقتله كفرا انتهي ولم يتعرض الشافعية للقصاص في ذلك بل
منعوه وقالوا انه لا يقتل غالبا ولا يعد مهلكا وقال النووي في الروضة ولا دية فيه
ولا كفارة لان الحكم انما يترتب علي منضبط عام دون ما يختص ببعض الناس وبعض
الاحوال مما لا انضباط له كيف ولم يقع منه فعل اصلا وانما غايته حسد وتمني لزوال
النعمة وايضا فالذي ينشا عن الاصابة بالعين حصول مكروه لذلك الشخص ولا
يتعين ذلك المكروه في زوال الحياة فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من اثر العين
انتهي قال الحافظ ابن حجر ولا يعكر عليه الا الحكم بقتل الساحر فانه في معناه والفرق
بينهما عسر ونقل ابن بطال عن بعض اهل العلم انه ينبغي للامام منع العاين اذا عرف
بذلك من مداخلة الناس وان يلزم بيته فان كان فقيرا رزقه ما يقوم به فان
ضرره اشد من ضرر المجذوم الذي منعه عمر من مخالطة الناس واشد من ضرر
الثوم الذي منع الشارع اكله من حضور الجماعة قال النووي وهذا القول
صحيح متعين لا يعرف عن غيره تصريح بخلافه ذكر رقيته صلى الله عليه وسلم
التي كان يرقي بها عبد العزيز قال دخلت انا وثابت علي انس بن مالك فقال
ثابت يا ابا حمزة اشتكيت فقال انس الا ارقيك برقية رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال بلي قال قل اللهم رب الناس مذهب الباس اشف انت الشافي لا شافي
الا انت شفا لا يغادر سقما رواه البخاري وقوله اذهب الباس بغير همزة للمواخاة
واصله الهمز وفي قوله لا شافي الا انت اشارة الي ان كل ما يقع من الدوا والتداوي ان
لم يصادف تقدير الله والا فلا ينجع وقوله لا يغادر بالغين المعجمة اي لا يترك وفي
البخاري ايضا عن مسروق عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض
اهله يمسح بيده اليمني ويقول اللهم رب الناس اذهب الباس واشفه وانت
الشافي لا شفا الا شفاوك شفا لا يغادر سقما وقوله يمسح بيده اي علي الوجع وقوله
الا شفاوك بالرفع بدل من موضع لا شفا وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يرقي ويقول امسح الباس رب الناس بيدك الشفا لا كاشف له الا انت
رواه البخاري ايضا وفي صحيح مسلم عن عثمان بن ابي العاصي انه شكي الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ اسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ضع يدك علي الذي يالم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة
الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر وانما كرره ليكون انجع وابلغ كتكرار الدوا
لاخراج المادة ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الفزع والارق المانع من النوم عن
بريدة قال شكي خالد الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما انام الليل
من الارق فقال صلى الله عليه وسلم اذا اويت الي فراشك فقل اللهم رب السموات
السبع وما اظلت ورب الارضين وما اقلت ورب الشياطين وما اضلت كن لي

جار من شر خلقك كلهم جميعا ان يفرط علي احد منهم او يبغي علي عز جارك وجل ثناوك
ولا اله غيرك رواه الترمذي ذكر طبه عليه الصلاة والسلام من حر المصيبة ببرد الرجوع
الي الله تعالي في المسند مرفوعا ما من احد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه
راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبته
واخلف له خيرا منها قال في الهدي النبوي وهذه الكلمة من ابلغ علاج المصاب
وانفعه له في عاجلته واجلته فانها تتضمن اصلين عظيمين اذا تحقق العبد
بمعرفتهما تسلي عن مصيبته احدهما ان العبد واهله وماله ملك لله عز وجل
حقيقة وقد جعله عند العبد عارية فاذا اخذه منه فهو كالمعير ياخذ متاعه
من المستعير والثاني ان مصير العبد ومرجعه الي الله ولا بد ان يخلف الدنيا
وراء ظهره ويجي ربه فردا كما خلقه اول مرة بلا اهل ولا مال ولا عشيرة ولكن
بالحسنات والسيات فاذا كانت هذه بداية العبد ونهايته فكيف يفرح بموجود
او ياسي علي مفقود ففكره في مبدايه ومعاده من اعظم علاج هذا الداء قال
ومن علاجه ان يطفي نار مصيبته ببرد التاسي باهل المصايب وانه لو فتش
العالم لم ير فيه الا مبتلي اما بفوات محبوب او حصول مكروه وان سرور مبتلا
الدنيا احلام نوم او ظل زايل ان اضحكت قليلا ابكت كثيرا وان سرت يوما
اسات دهرا وان متعت قليلا منعت طويلا وما ملات دارا حبرة الا ملاتها عبرة
ولا سرته بيوم سرور الا اخبات له يوم شرور قال ابن مسعود لكل فرحة
ترحة وما ملي بيت فرحا الا ملي ترحا ذكر طبه عليه الصلاة والسلام من داء الهم والكرب
والتوجه الي الرب عن ابن عباس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يقول بدوا
عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا
الله رب السموات ورب العرش الكريم رواه الشيخان وقوله عند الكرب اي
عند حلول الكرب وعند مسلم كان يدعو بهن ويقولهن عند الكرب وعنده
ايضا كان اذا حزبه امر وهو بفتح المهملة والزاي وبالموحدة اي هجم عليه او
غلبه قال الطبري معني قول ابن عباس يدعو انما هو تهليل وتعظيم يحتمل
امرين احدهما ان المراد تقديم ذلك قبل الدعا كما عند عبد بن حميد كان اذا
حزبه امر قال فذكر الذكر الماثور وزاد ثم دعا قال الطبري ويويد هذا
ما روي الاعمش عن ابراهيم قال كان يقال اذا بدا الرجل بالثنا قبل الدعا استجيب
له واذا بدا بالدعا قبل الثنا كان علي الرجا ثانيهما ما اجاب به ابن عيينة
وقد سيل عن الحديث الذي فيه اكثر ما كان يدعو به النبي صلي الله عليه
وسلم بعرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له الحديث وقال سفيان هو
ذكر وليس فيه دعا ولكن قال النبي صلي الله عليه وسلم عن ربه عز وجل

من

من شغله ذكري عن مسلتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين وقال
امية بن الصلت في مدح عبد الله بن جدعان

ءاذكر حاجتي ام قد كفاني ... حياوك ان شيمتك الحيا
اذا اثني عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضك الثنا

فهذا مخلوق حين نسب الي الكريم اكتفي بالثنا عن السوال فكيف بالخالق ثم ان
حديث ابن عباس كما قاله ابن القيم قد اشتمل علي توحيد الالهية والربوبية ووصف
الرب سبحانه بالعظمة والحلم وهاتان الصفتان مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة
والاحسان والتجاوز ووصفه بكمال ربوبيته الشاملة العالم العلوي والسفلي
والعرش الذي هو سقف المخلوقات واعظمها والربوبية التامة تستلزم توحيده
وانه الذي لا تنبغي العبادة والحب والخوف والرجا والاجلال والطاعة الا له وعظمته
المطلقة تستلزم اثبات كل كمال له وسلب كل نقص وتمثيل عنه وحلمه يستلزم
كمال رحمته واحسانه الي خلقه فعلم القلب ومعرفته بذلك توجب محبته واجلاله
وتوحيده فيحصل له من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه الم الكرب والهم
والغم وانت تجد المريض اذا ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوي نفسه كيف تقوي
الطبيعة علي دفع المرض الحسي فحصول هذا الشفا للقلب اولي واحري ثم اذا
قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه الاوصاف التي تضمنها هذا الحديث وجدته
في غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق وخروج القلب منه الي سعة البهجة
والسرور وانما يصدق هذه الامور من اشرقت فيه انوارها وباشر قلبه
حقايقها قال ابن بطال حدثني ابو بكر الرازي قال كنت باصبهان عند ابي نعيم
فقال له شيخ ان ابا بكر بن علي قد سعي به عند السلطان فسجن فرايت النبي صلي
الله عليه وسلم في المنام وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح لا يفتر فقال
لي النبي صلي الله عليه وسلم قل لابي بكر بن علي يدعو بدعا الكرب الذي في صحيح
البخاري حتي يفرج الله عنه قال فاصبحت فاخبرته فدعا به فلم يمكث الا
قليلا حتي اخرج وفي حديث علي عند النساي وصححه الحاكم لقنني رسول الله
صلي الله عليه وسلم هولا الكلمات وامرني ان نزل بي كرب او شدة ان اقولها لا اله
الا الله الكريم العظيم سبحان الله تبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين
وفي لفظ الحليم الكريم في الاول وفي لفظ لا اله الا الله وحده لا شريك له العليم
العلي العظيم لا اله الا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم وفي لفظ لا اله الا الله
الحليم الكريم سبحانه تبارك وتعالي رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين
اخرجها كلها النساي وروي الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم كان اذا اهمه الامر رفع طرفه الي السما فقال سبحان الله العظيم واذا

٣٤٠

Copyright Hong Kong Baptist University

اجتهد في الدعا قال يا حي يا قيوم وعنده ايضا من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا حزبه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث قال العلامة ابن القيم وفي تاثير
قوله يا حي يا قيوم برحمتك استغيث في دفع هذا الدا مناسبة بديعة فان صفة
الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها وصفة القيومية متضمنة
لجميع صفات الافعال ولهذا كان اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا
سيل به اعطى هو اسم الحي القيوم والحياة التامة تضاد جميع الالام والاسقام ولهذا
لما كملت حياة اهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شي من الافات فالتوسل
بصفة الحياة والقيومية له تاثير في ازالة ما يضاد الحياة ويضر بالافعال
فلهذا الاسم الحي القيوم تاثير عظيم خاص في اجابة الدعوات وكشف الكربات
ولهذا كان صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد في الدعا قال يا حي يا قيوم وروي
ابو داود عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال دعوات المكروب اللهم رحمتك ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين
واصلح لي شاني كله لا اله الا انت وفي هذا الدعا كما قاله في زاد المعاد من تحقيق
الرجا لمن الخير كله بيده والاعتماد عليه وحده وتفويض الامر اليه والتضرع
اليه ان يتولى اصلاح شانه ولا يكله الى نفسه والتوسل اليه بتوحيده ماله
تاثير في دفع هذا الدا وكذا قوله في حديث اسما بنت عميس عند ابي داود
ايضا مرفوعا كلمات الكرب الله ربي لا اشرك به شيا وفي مسند الامام احمد من
حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اصاب عبدا هم ولا حزن
فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك
عدل في قضاوك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك
او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القران
العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلا حزني وذهاب همي الا اذهب الله حزنه
وهمه وابدل مكانه فرجا وانما كان هذا الدعا بهذه المنزلة لاشتماله على الاعتراف
بعبودية الداعي وعبودية ابايه وامهاته وان ناصيته بيده يصرفها كيف
يشا واثبات القدر وان احكام الرب تعالى نافذة في عبده ماضية فيه لا انفكاك
ولا حيلة له في دفعها وانه سبحانه وتعالى عدل في هذه الاحكام غير ظالم لعبده
ثم توسله باسما الرب تعالى التي يسمي بها نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا او منها
ما استاثر به في علم الغيب عنده فلم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا فهذه
الوسيلة اعظم الوسايل واحبها الى الله واقربها تحصيلا للمطلوب ثم ساله
ان يجعل القران لقلبه ربيعا كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان وان يجعله
لصدره كالنور الذي هو مادة الحياة وبه يتم معاش العباد وان يجعله شفا

همه

٣٥

همه وغمه فيكون بمنزلة الدوا الذي يستاصل الدا ويعيد البدن الى صحته واعتداله
وان يجعله لحزنه كالجلا الذي يجلو الطبوع والاصدية وغيرها فاذا اصدق العليل
في استعمال هذا الدوا اعقبه شفا تاما وفي سنن ابي داود عن ابي سعيد الخدري
قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فاذا هو برجل من الانصار
يقال له ابو امامة فقال يا ابا امامة مالي اراك في المسجد في غير وقت الصلاة فقال
هموم لزمتني وديون يا رسول الله فقال الا اعلمك كلاما اذا انت قلته اذهب
الله عز وجل همك وقضى دينك قال قلت بلى يا رسول الله قال قل اذا اصبحت
واذا امسيت اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل
واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال
ففعلت ذلك فاذهب الله همي وقضى عني ديني وقد تضمن هذا الحديث
الاستعاذة من ثمانية اشيا كل اثنين منها قرينان مزدوجان فالهم والحزن اخوان
والعجز والكسل اخوان والجبن والبخل اخوان وغلبة الدين وقهر الرجال
اخوان فحصلت الاستعاذة من كل شر وفي سنن ابي داود ايضا عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من
كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وانما كان الاستغفار
له تاثير في دفع الهم والضيق لانه قد اتفق اهل الملل وعقلا كل امة ان المعاصي
والفساد توجبان الهم والغم والحزن وضيق الصدر وامراض القلب واذا
كان هذا تاثير الذنوب والاثام في القلوب فلا دوا لها الا التوبة والاستغفار
وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من كثرت همومه فليكثر من
قول لا حول ولا قوة الا بالله وثبت في الصحيحين انها كنز من كنوز الجنة وفي
الترمذي انها باب من ابواب الجنة وفي بعض الاثار انه ما ينزل ملك من السما
ولا يصعد الا بلا حول ولا قوة الا بالله وروي الطبراني من حديث ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كربني امر الا تمثل لي جبريل فقال
يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن
له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وفي كتاب ابن السني من
حديث ابي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسي وخواتيم سورة
البقرة عند الكرب اغاثه الله عز وجل وعنده ايضا من حديث سعد بن ابي وقاص
قال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج الله عنه كلمة اخي
يونس تنادي في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وعند
الترمذي لم يدع بها رجل مسلم في شي قط الا استجيب له وروي الديلمي في
مسند الفردوس عن جعفر بن محمد يعني الصادق قال حدثني ابي عن جدي

وطلع

(٣٤١

Copyright ... University

انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر دعا بهذا الدعا اللهم احرسني بعينك
التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك علي فلا اهلك وانت
رجاي فكم من نعمة انعمت بها علي قل لك بها شكري وكم من بلية ابتليتني بها
قل لك بها صبري فيامن قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويا من قل عند بليته
صبري فلم يخذلني ويا من راني على الخطايا فلم يفضحني يا ذا المعروف الذي
لا ينقضي ابدا ويا ذا النعما التي لا تحصى عددا اسالك ان تصلي على محمد وعلى
ال محمد وبك ادرا في نحور الاعدا والجبارين اللهم اعني على ديني بالدنيا وعلى
اخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي فيما حظرته
على يا من لا تضره الذنوب ولا ينقصه العفو هب لي ما لا ينفعك واغفر لي
ما لا يضرك انك انت الوهاب اسالك فرجا قريبا وصبرا جميلا ورزقا واسعا
والعافية من البلايا وشكر العافية وفي رواية واسالك الشكر على العافية و
واسالك الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذكر طبه صلى
الله عليه وسلم من دا الفقر عن ابن عمر يا رسول الله ان الدنيا ادبرت عني وتولت
قال فاين انت من صلاة الملايكة وتسبيح الخلايق وبه يرزقون قل عند
طلوع الفجر سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مايه مرة
تاتيك الدنيا صاغرة فولى الرجل فمكث ثم عاد فقال يا رسول الله لقد
اقبلت علي الدنيا فما ادري اين اضعها رواه الخطيب في رواية مالك ذكر
طبه صلى الله عليه وسلم من دا الحريق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفيه
فان قلت ما وجه الحكمة في اطفا الحريق بالتكبير اجاب صاحب زاد المعاد بانه
لما كان الحريق سببه النار وهي مادة الشيطان التي خلق منها وكان فيه
من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله وكان للشيطان اعانة
عليه وتنفيذ له وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد وهاتان هدي
الشيطان واليهما يدعو وبهما يهلك بني ادم فالنار والشيطان كل منهما
يريد العلو في الارض والفساد وكبريا الله تعالى تقمع الشيطان وفعله فلهذا
كان تكبير الله له اثر في اطفا الحريق فان كبريا الله تعالى لا يقوم لها شي
فاذا كبر المسلم ربه اثر تكبيره في خمود النار التي هي مادة الشيطان وقد جربنا
نحن وغيرنا هذا فوجدناه هكذا انتهى وقد جربت ذلك بطيبة في سنة
خمس وتسعين وثمانماية فوجدت له اثرا عظيما لم اجده لغيره وقد شاع
وذاع رؤية طفو حريق طيبة الواقع في ثالث عشر رمضان سنة ست
وثمانين وثمانماية بمعاينة بالتكبير ذكر ما كان عليه الصلاة والسلام يطب

يلخ

به من دا الصرع في الصحيحين ان امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني اصرع
واني انكشف فادع الله لي فقال ان شيت صبرت ولك الجنة وان شيت دعوت الله ان
يعافيك فقالت اصبر فقالت اني انكشف فادع الله ان لا انكشف فدعا لها قال العلامة ابن
القيم الصرع صرعان صرع من الارواح الخبيثة الارضية وصرع من الاخلاط الرديية
والثاني هو الذي يتكلم فيه الاطبا فاما علاج صرع الارواح فيكون بامرين امر من جهة
المصروع يكون بقوة نفسية وصدق توجهه الى فاطر هذه الارواح وبارييها والتعوذ
الصحيح الذي قد تواطى عليه القلب واللسان فان هذا نوع محاربة والمحارب لا يتم
له الانتصاف من عدوه بالسلاح الا بامرين ان يكون السلاح صحيحا في نفسه جيدا وان
يكون الساعد قويا والثاني من جهة المعالج بان يكون فيه هذان الامران ايضا حتى
ان من المعالجين من يكتفي بقوله اخرج منه او يقول بسم الله او يقول لا حول
ولا قوة الا بالله قال وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اخرج عدو الله انا
رسول الله وكان بعضهم يعالج ذلك باية الكرسي ويامر بكثرة قراءة المصروع و
ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين قال ومن حدث له الصرع وله خمسة وعشرون
سنة وخصوصا بسبب دماغي ايس من بريه وكذلك اذا استمر به الى هذا السن قال
فهذه المراة التي جا الحديث انها كانت تصرع وتنكشف يجوز ان يكون صرعها
من هذا النوع فوعدها النبي صلى الله عليه وسلم بصبرها على هذا المرض بالجنة
ولقد جربت الاقسام بالنبي صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى محمد رسول الله والذين
معه الى اخر سورة الفتح في ابنتين صغيرتين صرعتا فشفيتا من الغريب
فضة غزال الحبشية خادمتنا لما صرعت بدرب الحجاز الشريف واستغاثت
به صلى الله عليه وسلم في ذلك فجي الى بصارعها في المنام يامره صلى الله عليه وسلم بعدم
توبخته واقسم لا يعود اليها فاستيقظت وما بها قلبة ومن ثم لم يعد اليها فلله الحمد
ذكر دوايه عليه الصلاة والسلام من دا السحر قال النووي السحر حرام وهو من الكباير بالاجماع
وقد يكون كفرا وقد لا يكون كفرا بل معصية كبيرة فان كان فيه قول او فعل
يقتضي الكفر كفر والا فلا واما تعلمه وتعليمه فحرام واذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر
عزر فاعله واستتيب منه ولا يقتل عندنا وان تاب قبلت توبته مالك
الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته بل يتحتم قتله والمسالة مبنية
على الخلاف في قبول توبة الزنديق لان الساحر عنده كافر كما ذكرناه وعندنا ليس
بكافر وعندنا تقبل توبة المنافق والزنديق قال القاضي عياض وبقول
مالك قال احمد بن حنبل وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين قال
اصحابنا فاذا قتل الساحر بسحره انسانا واعترف انه مات بسحره وانه يقتل
غالبا لزمه القصاص وان قال مات به ولكنه قد يقتل وقد لا يقتل فلا قصاص

وامرين من جهة المعالج
فالاول من جهة المصروع

٣٤٧

Copyright ... University

ويجب الدية والكفارة وتكون الدية في ماله لا على عاقلته لان العاقلة لا تحمل ما ثبت
باعتراف الجاني قال اصحابنا ولا يتصور ثبوت القتل بالسحر بالبينة وانما يتصور
باعتراف الساحر انتهى واختلف في السحر فقيل هو تخييل فقط ولا حقيقة له وهو
اختيار ابو جعفر الاستراباذي من الشافعية وابي بكر الرازي من الحنفية
وطايفة قال النووي والصحيح ان له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة
العلما ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة قال شيخ الاسلام ابو الفضل
العسقلاني لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين او لا فمن قال انه تخييل
فقط منع ذلك والقايلون بان له حقيقة اختلفوا هل له تاثير فقط بحيث
يغير المزاج فيكون نوعا من الامراض او ينتهي الى الاحالة بحيث يصير الجماد حيوانا
مثلا وعكسه فالذي عليه الجمهور هو الاول وقال المازري جمهور العلما على اثبات
السحر ولان العقل لا ينكر ان الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق
او تركيب اجسام او مزج بين قوى على تركيب مخصوص ونظير ذلك ما وقع من
حذاق الاطبا من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده
فيصير بالتركيب نافعا وقيل لا يزيد تاثير السحر على ما ذكر الله في قوله يفرقون به
بين المرء وزوجه لكون المقام مقام تهويل فلو جاز ان يقع به اكثر من ذلك لذكره
قال المازري والصحيح من جهة العقل ان يقع به اكثر من ذلك قال والاية ليست نصا في منع الزيادة
ولو قلنا انها ظاهرة في ذلك ثم قال والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة ان السحر لا يقع الا من فاسق
وان الكرامة لا تظهر على فاسق ونقل نحوه النووي في زيادة الروضة عن المتولي وينبغي
ان يعتبر حال من يقع منه الخارق فان كان متمسكا بالشريعة متجنبا للموبقات فالذي
يظهر على يديه من الخوارق كرامة والا فهو سحر وقال القرطبي السحر حيل صناعية
يتوصل اليها بالاكتساب غير انها لدقتها لا يتوصل اليها الا احاد الناس ومادته الوقوف
على خواص الاشيا والعلم بوجوه تركيبها واوقاتها واكثرها تخيلات بغير حقيقة وايهامات
بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال تعالى عن سحرة فرعون وجاوا بسحر عظيم
مع ان حبالهم وعصيهم لم تخرجوا عن كونها حبالا وعصيا وقال ابو بكر الرازي في الاحكام اخبر
الله تعالى ان الذي ظنه موسى انها تسعى لم يكن سعيا وانما كان تخييلا وذلك ان عصيهم كانت
مجوفة قد مليت زيبقا وكذلك الحبال كانت من ادم محشوة زيبقا وقد حفروا قبل ذلك
اسرابا وجعلوا لها ازجا وملوها نارا فلما طرحت على ذلك الموضع وحمي الزيبق حركها
لان من شان الزيبق اذا اصابته النار ان يطير فلما اثقلته كثافة الحبال والعصي صارت
تتحرك بحركته فظن من راها انها تسعى ولم تكن تسعى حقيقة انتهى قال القرطبي والحق ان
لبعض اصناف السحر تاثيرا في القلوب كالحب والبغض والقا الخير والشر وفي الابدان
بالالم والسقم وانما المنكر ان ينقلب الجماد حيوانا او عكسه بسحر الساحر وقد ثبت في البخاري

يكون بمعانة اقوال
وافعال حتى يتمم
للساحر ما يريده والكرامة
لا تحتاج الى ذلك انما
تقع غالب الاتفاق
واما المعجزة فتمتاز
عن الكرامة بالتحدي
بنقل امام الحرمين
الاجماع على ان السحر

منحديث

من حديث عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى ان كان ليخيل اليه ان
يفعل الشي وما فعله حتى اذا كان ذات ليلة عند عايشة دعا ودعا ثم قال يا عايشة
اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر
عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما بال الرجل قال مطبوب قال من طبه قال
لبيد بن الاعصم قال في اي شي قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال واين
هو قال في بير ذروان فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه
فجا فقال يا عايشة كان ماها نقاعة الحنا وكان روس نخلها روس الشياطين فقلت
يا رسول الله افلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت ان اثور على الناس فيه
شرا فامر بها فدفنت وفي رواية للبخاري ايضا فاتى البير حتى استخرجه فقال
هذه البير التي رايتها قالت عايشة افلا تنشرت قال اما الله فقد شفاني واكره ان اثير
على الناس شرا وفي حديث ابن عباس عند البيهقي في الدلايل بسند ضعيف في
اخر قصة السحر الذي سحر به النبي صلى الله عليه وسلم انهم وجدوا وترا فيه احدى
عشرة عقدة وانزلت سورة الفلق والناس فجعل كلما قرا اية انحلت عقدة واخرجه
ابن سعد بسند اخر منقطع عن ابن عباس ان عليا وعمارا لما بعثهما النبي صلى الله
عليه وسلم لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها احدى عشرة عقدة فذكر نحوه
وفي رواية ذكرها في فتح الباري فنزل رجل فاستخرجه وانه وجد في الطلعة
تمثالا من شمع تمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا فيه ابر مغروزة واذا وتر
فيه احدى عشرة عقدة فنزل جبريل بالمعوذتين فكلما قرا اية انحلت عقدة
وكلما نزع ابرة وجد لها الما ثم يجد بعدها راحة وقد بين الواقدي السنة
التي وقع بها السحر كما اخرجه عنه ابن سعد بسند له الى عمر بن الحكم مرسل
قال لما رجع صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع
جات روسا اليهود الى لبيد بن الاعصم وكان حليفا في بني زريق وكان ساحرا
فقالوا انت اسحرنا وقد سحرنا فلم نصنع شيا ونحن نجعل لك جعلا على ان تسحره
لنا سحرا ينكاه فجعلوا له ثلاثة دنانير ووقع في رواية ابي ضمرة عند الاسماعيلي
فاقام اربعين ليلة وفي رواية وهيب عن هشام عند احمد ستة اشهر ويمكن
الجمع بان يكون الستة اشهر من ابتدا تغير مزاجه والاربعين يوما من
استحكامه وقال السهيلي لم اقف في شي من الاحاديث المشهورة على قدر
المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم فيها في السحر حتى ظفرت به في جامع معمر
عن الزهري انه لبث سنة قال الحافظ ابن حجر وقد وجدناه موصولا
بالاسناد الصحيح فهو المعتمد وقال المازري انكر بعض المبتدعة
هذا الحديث وزعموا انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها قالوا وكلما ادى

٣٤٣

Copyright King Saud University

الي ذلك فهو باطل وزعموا ان تجويزه هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرايع اذ يحتمل
على هذا ان يخيل اليه انه يرى جبريل وليس هو ثم وانه يوحي اليه بشي ولم يوح اليه بشي
قال الماوردي وهذا كله مردود لان الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه
فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل واما ما يتعلق ببعض امور الدنيا التي لم يبعث
لاجلها ولو كانت الرسالة من اجلها فهو في ذلك عرضة لما يعرض للبشر كالامراض فغير
بعيد ان يخيل اليه في امر من امور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في
امور الدين انتهى وقال غيره لا يلزم من انه كان يظن انه فعل الشي ولم يكن فعله ان
يجزم بفعله ذلك وانما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت فلا يبقى على
هذا للملحد حجة وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد بالتخيل المذكور
انه يظهر له من نشاطه ما الفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطي فاذا
دنى من المرأة فتر ذلك كما هو شان المعقود ويكون قوله في الرواية الاخرى
حتى كاد ينكر بصره اي صار كالذي ينكر بصره بحيث انه اذا راى الشي يخيل انه على
غير صفته فاذا تامله عرف حقيقته ويويد جميع ما تقدم انه لم ينقل عنه في خبر
من الاخبار انه قال قولا فكان بخلاف ما اخبر به قال بعضهم وقد سلك النبي صلى
الله عليه وسلم في هذه القصة مسلكي التفويض وتعاطي الاسباب ففي اول
الامر فوض وسلم الامر لربه واحتسب الاجر في صبره على بلائه ثم لما تمادى ذلك
وخشي من تماديه ان يضعفه عن فنون عبادته جنح الى التداوي فقد اخرج
ابو عبيدة من مرسل عبد الرحمن بن ابي ليلى قال احتجم النبي صلى الله عليه وسلم
على راسه يعني حين طب ثم جنح الى الدعا وكل من المقامين غاية في الكمال
وقال ابن القيم من انفع الادوية واقوى ما يوخذ من النشرة مقاومة للسحر الذي
هو من تاثير الارواح الخبيثة بالادوية الالهية من الذكر والدعا والقراة فالقلب
اذا كان ممتليا من الله معمورا بذكره وله ورد من الذكر والدعا والتوجه لا يخل به
كان ذلك من اعظم الاسباب المانعة من اصابة السحر له قال وتاثير السحر هو في
القلوب الضعيفة ولهذا غالب ما يوثر في النسا والصبيان والجهال لان
الارواح الخبيثة انما تتسلط على ارواح تلقاها مستعدة لما يناسبها انتهى
ملخصا ويعكر عليه حديث الباب وجواز السحر على النبي صلى الله عليه وسلم مع عظم مقامه
وصدق توجهه وملازمة ورده ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بان الذي ذكره
محمول على الغالب وانما وقع به صلى الله عليه وسلم لبيان تجويز ذلك عليه واما
ما يعالج به من النشرة المقاومة للسحر فذكر ابن بطال ان في كتب وهب بن منبه
ان ياخذ سبع ورقات من سدر اخضر فيدقه بين حجرين ثم يضرب ذلك بالما

ويقرا

ويقرا فيه اية الكرسي والقلاقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به فانه
يذهب عنه ما كان به وهو جيد للرجل اذا احتبس عن اهله وممن صرح بجواز
النشرة المزني عن الشافعي وابو جعفر الطبري وغيرهما انتهى وقال ابن الحاج
في المدخل كان الشيخ ابو محمد المرجاني اكثر تداويه بالنشرة يعملها لنفسه
ولاولاده ولاصحابه فيجدون على ذلك الشفا واخبر رحمه الله ان النبي
صلى الله عليه وسلم اعطاها له في المنام وقال انه مرة راى النبي صلى الله
عليه وسلم وقال له ما تعلم ما عملت مع اصحابك في هذه النشرة نقلها عنه خادمه
وهي هذه لقد جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم الى
اخر السورة وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين لو انزلنا هذا
القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله الى اخر السورة
وسورة الاخلاص والمعوذتين ثم يكتب اللهم انت المحيي وانت المميت وانت
الخالق وانت البارئ وانت المبلي وانت المعافي وانت الشافي خلقتنا
من ما مهين وجعلتنا في قرار مكين الى قدر معلوم اللهم اسالك باسمايك
الحسنى وصفاتك العليا يا من بيده الابتلا والمعافاة والشفا والدوا اسالك بمعجزات
نبيك محمد صلى الله عليه وسلم خليلك وبركات خليلك ابراهيم عليه السلام وحرمة
كليمك موسى عليه السلام اللهم اشفه ذكر رقوة تنفع لكل شكوى عن ابي الدردا
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشتكى منكم شيا فليقل ربنا
الله الذي في السما تقدس اسمك امرك في السما والارض كما رحمتك في السما فاجعل رحمتك
في الارض واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا انت رب الطيبين انزل رحمة من عندك
وشفا من شفايك على هذا الوجع فيبرا باذن الله رواه ابو داود في سننه
رقيته عليه الصلاة والسلام من الصداع روى الحميدي في الطب عن يونس بن يعقوب
عن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الصداع بسم الله
الرحمن الرحيم بسم الله الكبير واعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن
شر حر النار رواه ابن السني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما واصاب اسما
بنت ابي بكر رضي الله عنهما ورم في راسها فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على ذلك من فوق الثياب فقال بسم الله اذهب عنها سوءه وفحشه بدعوة
نبيك الطيب المبارك المكين عندك بسم الله صنع ذلك ثلاث مرات وامرها
ان تقول ذلك فقالت ثلاثة ايام فذهب الورم رواه الشيخ ابن النعمان بسنده
والبيهقي ذكر رقوة تنفع لكل شكوى روى البيهقي ان عبد الله
ابن رواحة شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم وجع ضرسه فوضع صلى الله عليه وسلم

٣٤٦
Copyright King Saud University

بيده على خده الذي فيه الوجع وقال اللهم اذهب عنه سوء ما يجد وفحشه بدعوة
نبيك المكين المبارك عندك سبع مرات فشفاه الله قبل ان يبرح وروي ان فاطمة
رضي الله عنها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو اما تلقى من ضربان
الضرس فادخل سبابته اليمنى فوضعها على السن الذي تألم فقال بسم الله وبالله
اسالك بعزك وجلالك وقدرتك على كل شيء فان مريم لم تلد غير عيسى من روحك
وكلمتك ان تكشف ما تلقى فاطمة بنت خديجة من الضر كله فسكن ما بها ومن الغريب
ما شاع وذاع عن شيخنا المحب الطبري امام مقام الخليل بمكة ورايته يفعله غير مرة
وضع يده على راس الموجوع ضرسه ويسال عن اسمه واسم امه وعن المدة التي
يريد المألوم ان لا يالمه فيها فيقول سبع سنين او تسع سنين مثلا بالوتر قالوا
فما يرفع يده الا وقد سكن المه ويمكث المدة المذكورة لا يالمه اشيع ذلك واشتهر
ومما جرب ان تكتب على الخد الذي يلي الوجع بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الذي انشاكم
وجعل لكم السمع والابصار والافيدة قليلا ما تشكرون وان شاكيت وله ما سكن في
الليل والنهار وهو السميع العليم رقية لعسر البول روى النسائي عن ابي الدردا
انه اتاه رجل يذكر ان اباه احتبس بوله فاصابه حصاة البول فعلمه رقية سمعها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا الله الذي في السما تقدس اسمك امرك في السما
والارض كما رحمتك في السما فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا
انت رب الطيبين فانزل شفا من شفائك ورحمة من رحمتك على هذا الوجع فيبرا
وامره ان يرقيه بها فرقاه بها فبرى وقد تقدم هذا في رقية الشكوى العامة من
حديث ابي داود رقية الحمى عن انس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على
عايشة وهي موعوكة وهي تسب الحمى فقال لا تسبيها فانها مامورة ولكن ان شيت علمتك
كلمات اذا قلتيهن اذهبها الله عنك قالت فعلمني قال قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي
الدقيق من شدة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت بالله العظيم فلا تصدعي الراس ولا
تنتني الفم ولا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني الى من اتخذ مع الله الها اخر قال فقالتها
فذهبت عنها رواه البيهقي وقد جرب ذلك كما رايته بخط شيخنا ولفظه اللهم ارحم
عظمي الدقيق وجلدي الرقيق واعوذ بك من فورة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت
بالله واليوم الاخر فلا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم ولا تفوري على الفم وانتقلي الى من
يزعم ان مع الله الها اخر فاني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ويكتب
للحمى المثلثة ما ذكره صاحب المقتفى في ثلاث ورقات لطاف بسم الله الرحمن الرحيم فرت
بسم الله مرت بسم الله قلت وياخذ كل يوم ورقة ويجعلها في فمه ويبلعها بما وقد
رخص جماعة من السلف في كتابة بعض القرآن وشربه وجعل ذلك من الشفا الذي

جعله

جعله الله فيه قال ابن الحاج في المدخل وقد كان الشيخ ابو محمد المرجاني لا تزال الاوراق
للحمى وغيرها على باب الزاوية فمن كان به الم اخذ ورقة فاستعملها فيبرا باذن الله عز وجل
وكان المكتوب فيها ازلي لم يزل ولا يزال يزيل الزوال وهو لا يزول ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم وننزل من القرآن ما هو شفا ورحمة للمومنين وقال المروزي
بلغ ابا عبد الله اني حممت فكتب لي من الحمى رقعة فيها بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله
وبالله ومحمد رسول الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم
الاخسرين اللهم رب جبريل وميكاييل واسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب بحولك
وقوتك وجبروتك اله الحق امين ومما جرب للخراج ونقل صاحب زاد المعاد ان
يكتب عليه ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا ومما يكتب لعسر الولادة ما روى الخلال عن عبد الله بن
الامام احمد بن حنبل قال رايت ابي يكتب للمراة اذا عسر عليها ولادتها في جام ابيض
او شي نظيف حديث ابن عباس لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش
العظيم الحمد لله رب العالمين كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة
من نهار بلاغ فهل كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها قال الخلال اخبرنا ابو بكر
المروزي ان ابا عبد الله جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله تكتب لامراة قد عسر
عليها ولدها منذ يومين فقال قل له يجي بجام واسع وزعفران قال ورايته
يكتب لغير واحد وفي المدخل يكتب في انية جديدة اخرج ايها الولد من بطن
ضيق الى سعة هذه الدنيا اخرج بقدرة الذي جعلك في قرار
مكين الى قدر معلوم لو انزلنا هذا القرآن على جبل الى اخر السورة وننزل
من القرآن ما هو شفا ورحمة للمومنين وتشرب منه النفسا وترش منه على وجهها
قال الشيخ المرجاني اخذته عن بعض السادة فما كتبته لاحد الا نجح في وقته
انتهى وروى عن عكرمة عن ابن عباس قال مر عيسى عليه السلام على امراة
وقد اعترض ولدها في بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله لي ان يخلصني مما انا فيه
فقال يا خالق النفس من النفس ويا مخلص النفس من النفس ويا مخرج النفس
من النفس خلصها قال فرمت بولدها فاذا هي قايمة قال فاذا عسر على المراة
ولدها فاكتب لها ومما يكتب ايضا لذلك ويكون في اناء نظيف اذا السما انشقت
واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت وتشرب الحامل منه
وترش على بطنها ومما يكتب للرعاف على جبهة المرعوف وقيل يا ارض ابلعي
ماءك ويا سما اقلعي وغيض الما وقضي الامر ولا يجوز كتابتها بدم الراعف كما يفعله
بعض الجهال فان الدم نجس فلا يجوز ان يكتب به كلام الله ومما يكتب لعرق
النسا بسم الله الرحمن الرحيم اللهم رب كل شي ومليك كل شي وخالق كل شي

Copyright Hamburg State University

انت خلقتني وخلقت الشاني فلا تسلطه علي باذى ولا تسلطني عليه بقطع واشغلني
شغلا لا يغادر سقما لا شافي الا انت **واما حفيظة رمضان** لا اله الا الاول بالله انك سميع
عليم محيط به علمك كهيعص وبالحق انزلناه وبالحق نزل الي اخرها فقال شيخنا
اشتهرت ببلاد اليمن ومكة ومصر والغرب وجملة بلدان انها حفيظة رمضان
تحفظ من الغرق والسرق والحرق وساير الافات وتكتب في اخر جمعة منه
وجمهورهم يكتبها والخطيب على المنبر وبعضهم بعد صلاة العصر وهذه
بدعة لا اصل لها وان وقعت في كلام غير واحد من الاكابر بل اشعر كلام بعضهم
ورودها في حديث ضعيف وكان الحافظ ابن حجر ينكرها جدا حتى وهو قايم
على المنبر في اثنا خطبته حتى يرى من يكتبها انتهى **ذكر ما يقي من كل بلا** عن
ابان بن عثمان عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شي في الارض ولا في السما وهو السميع العليم
ثلاث مرات حين يمسي لم تصبه فجاة بلا حتى يصبح ومن قالها حين يصبح لم تصبه
فجاة بلا حتى يمسي قال فاصاب ابان بن عثمان الفالج فجعل الذي سمع منه الحديث
ينظر اليه فقال ما لك تنظر الي فوالله ما كذبت على عثمان ولا كذب عثمان
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اليوم الذي اصابني فيه ما اصابني غضبت
فنسيت ان اقولها رواه ابو داود ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح **وعنده** فكان
ابان قد اصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر اليه فقال له ابان ما تنظر الي اما ان الحديث
كما حدثتك ولكن لم اقله يوميذ ليمضي الله قدره **ذكر ما يجلب المعافاة من سبعين بلا**
ذكر ابو محمد عبد الله بن محمد المالكي في كتابه اخبار افريقية عن انس ابن مالك مرفوعا
من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عشر مرات برئ
من ذنوبه كيوم ولدته امه وعوفي من سبعين بلا من بلايا الدنيا منها الجنون
والجذام والبرص والريح ويشهد له ما رواه الترمذي عن ابي هريرة قال قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانها من كنز الجنة
قال مكحول فمن قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولا منجا من الله الا اليه
كشف الله عنه سبعين بابا من الضر ادناهن الفقر وروى الطبراني عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة الا بالله كان دوا
من تسعة وتسعين دا ايسرها الهم **ومن ذلك** في الامان من الفقر عن
ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة الا بالله
مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر ابدا رواه الطبراني وابن ابي الدنيا
الطبراني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابطا
عليه رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله **وعن** جعفر بن محمد

عن

ابان ء

اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

٣٤٣

عن ابيه عن جده عن علي بن ابي طالب يرفعه من قال كل يوم وليلة
لا اله الا الله الملك الحق المبين مائة مرة كان له امانا من الفقر وانسا
من وحشة القبر واستفتح به باب الغنا واستقرع به باب الجنة قال بعض
رواته لو رحلتم في هذا الحديث الى الصين ما كان كثيرا ذكره عبد الحق في
كتاب الطب النبوي **ذكر دوا دا الطعام** روى البخاري في تاريخه عن
عبد الله ابن مسعود من قال حين يوضع الطعام بسم الله خير الاسما في الارض
وفي السما لا يضر مع اسمه دا اجعل فيه رحمة وشفا لم يضره ما كان **ذكر دوا ام
الصبيان** عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد له
مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى لم تضره ام الصبيان رواه
ابن السني وذكره عبد الحق في الطب النبوي وام الصبيان هي الريح التي
تعرض لهم فربما يغشى عليهم منها وسر التاذين كما قاله صاحب تحفة الودود
باحكام المولود ان يكون اول ما يقرع سمع المولود كلماته المتضمنة لكبريا
الرب وعظمته والشهادة التي اول ما يدخل بها في الاسلام فكان ذلك كالتلقين
له شعار الاسلام عند دخوله في الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه
منها مع ما في ذلك من فايدة اخرى وهي هروب الشيطان من كلمات
الاذان وهو كان يرصده حتى يولد فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاها فيسمع
الشيطان ما يضعفه ويغيظه اول اوقات تعلقه به **النوع الثاني في طبه صلى الله
عليه وسلم بالادوية الطبيعية** ذكر ما كان صلى الله عليه وسلم يعالج به الصداع
والشقيقة **اعلم** ان الصداع الم في بعض اجزا الراس او كله فما كان منه في احد جانبي
الراس لازما سمي شقيقة بوزن عظيمة وسببه ابخرة مرتفعة او اخلاط حارة
او باردة ترتفع الى الدماغ فان لم تجد منفذا احدثت الصداع فان مال الى احد شقي
الراس احدث الشقيقة وان ملك قلة الراس احدث دا البيضة تشبيها ببيضة
السلاح التي تشتمل على الراس كلها **واسباب الصداع كثيرة** منها ما تقدم ومنها ما يكون
عن ورم في المعدة او عروقها او ريح غليظة فيها او لامتلائها ومنها ما يكون من
الحركة العنيفة كالجماع والقي والاستفراغ والسهر وكثرة الكلام **ومنها** ما يحدث
من الاعراض النفسانية كالهم والحزن والجوع والحمى **ومنها** ما يحدث عند
حادث في الراس كضربة تصيبه او ورم في صفاق الدماغ او حمل شي ثقيل يضغط
الراس وتسخينه بشي خارج عن الاعتدال او تبريده بملاقاة الهوى والما في البرد
واما الشقيقة فهي من شرايين الراس وحدها وتختص بالموضع الاضعف من
الراس وعلاجها بشد العصابة **وقد** اخرج الامام احمد من حديث بريدة انه
صلى الله عليه وسلم كان ربما اخذته الشقيقة فيمكث اليوم واليومين

بلغ

Copyright © King Saud University

لا تحجم وفي الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته وارساه وانه خطب وقد عصب
راسه تعصيب الراس ينفع من الشقيقة وغيرها من اوجاع الراس وفي البخاري من
حديث ابن عباس احتجم صلى الله عليه وسلم وهو محرم في راسه من شقيقة كانت به وقد
جانه مقيدة بانى بعض طرق ابن عباس نفسه نعند ابي داود الطيالسي في مسنده من
حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في وسط راسه وقد قال الاطبا انها نافعة
جدا الورد وانه صلى الله عليه وسلم احتجم ايضا في الاخدعين والكاهل اخرجه الترمذي وحسنه
ابو داود وابن ماجة وصححه الحاكم وقد قال الاطبا الحجامة على الاخدعين تنفع من امراض
الراس والوجه والاذنين والعينين والاسنان والانف وقد ورد من حديث ضعيف
جدا اخرجه ابن عدي من طريق عمر بن رباح عن عبد الله بن طاوس عن ابيه عن
ابن عباس رفعه الحجامة في الراس تنفع من سبع من الجنون والجذام والبرص والنعاس
والصداع ووجع الضرس والعين وعمر متروك رماه الفلاس وغيره بالكذب وروى
ابن ماجة في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صدع غلف راسه بالحنا ويقول
انه نافع باذن الله من الصداع وفي صحته نظر وهو علاج خاص بما اذا كان الصداع من
حرارة ملتهبة ولم يكن من مادة تجب استفراغها واذا كان كذلك نفع فيه الحنا
نفعا ظاهرا قالوا واذا دق وضمدت به الجبهة مع الخل سكن الصداع وهذا لا يختص
بوجع الراس بل يعم الاعضا وفي تاريخ البخاري وسنن ابي داود ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما شكا اليه احد وجعا في راسه الا قال له احتجم ولا شكا وجعا في رجليه
الا قال له اختضب بالحنا وفي الترمذي عن علي بن عبيد الله عن جدته وكانت
تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما كان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم قرحة
ولا نكبة الا امرني ان اضع عليها الحنا ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للرمد وهو ورم حار بلغ
يعرض في الطبقة الملتحمة من العين وهو بياضها وسببه انصباب احد الاخلاط
او بخرة تصعد من المعدة الى الدماغ فان اندفع الى الخياشيم احدث الزكام او الى العين
احدث الرمد او الى اللهاة او المنخرين احدث الخنان بالخا المعجمة والنون او الى
الصدر احدث النزلة او الى القلب احدث الشوصة وان لم يجد ذلك وطلب نفاذا
فلم يجد احدث الصداع كما تقدم وروى انه عليه الصلاة والسلام كان يعالج الرمد
بالسكون والدعة وترك الحركة وفي سنن ابن ماجة عن صهيب قال قدمت
على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال ادن وكل فاخذت تمرا
فاكلت فقال تاكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى انه حمى عليا من الرطب لما
اصابه الرمد وفي البخاري من حديث سعيد بن زيد قال سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول الكماة من المن وماوها شفا للعين والكماة نبات لا ورق

لها

لها ولا ساق يوجد في الارض من غير ان يزرع وروى الطبري من طريق المنكدر
عن جابر قال كثرت الكماة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتنع قوم
من اكلها وقالوا هو جدري الارض فبلغه ذلك فقال ان الكماة ليست جدري
الارض الا ان الكماة من المن واختلف في قوله من المن فقيل الذي انزل الله على
بني اسرائيل وهو الطل الذي يسقط على الشجر فيجمع ويوكل حلوا ومنه
الترنجبيل فكانه يشبه الكماة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوا بغير علاج
وقال الخطابي ليس المراد انها نوع من المن الذي انزل الله على بني اسرائيل فان
الذي انزل على بني اسرائيل كان كالترنجبيل الذي يسقط على الشجر فيجمع ويوكل
وانما المعنى ان الكماة شي ينبت من غير تكلف ببذر ولا سقي وانما اختصت الكماة
بهذه الفضيلة لانها من الحلال المحض الذي ليس فيه في اكتسابه شبهة
ويستنبط منه استعمال الحلال المحض يجلو البصر وقال ابن الجوزي في
المراد بكونها شفا للعين قولان احدهما انه ماوها حقيقة الا ان اصحاب هذا
القول اتفقوا على انها لا تستعمل صرفا في العين لكن اختلفوا كيف يصنع بها
على رايين احدهما انه تخلط في الادوية التي يكتحل بها حكاه ابو عبيد ثانيهما انه
يشق وتوضع على الجمر حتى يغلي ماوها ثم يوخذ الميل فيجعل في ذلك الشق وهو
فاتر فيكتحل بمايها لان النار تلطفه وتذهب فضلاته الردية ويبقى النافع منه
ولا يجعل الميل في مايها وهي باردة يابسة فلا ينجع وقال اخر يجعل الكماة في قدر جديدة
ويصب عليها الما ولا يطرح فيها ملح ثم يوخذ غطا جديد نقي فيجعل على القدر
فما جرى من الغطا من بخار الكماة فذلك الما الذي يكتحل وقال ابن وافد ان ما الكماة
اذا عصر وربي به الاثمد كان من اصلح الاشيا للعين اذا اكتحل به يقوي اجفا
ويزيد الروح الباصر قوة وحدة ويدفع عنها نزول النوازل وقال ايضا اذا
اكتحل بما الكماة وحده بميل من ذهب تبين للفاعل لذلك قوة عجيبة وحدة
في البصر كثيرة وقال ابن القيم اعترف فضلا الاطبا ان ما الكماة يجلو العين منهم
المسبحي وابن سينا وغيرهما قال والذي يزيل الاشكال عن هذا الاختلاف ان
الكماة وغيرها خلقت في الاصل سليمة من المضار ثم عرضت لها الافات بامور
اخرى من مجاورة او امتزاج او غير ذلك من الاسباب التي ارادها الله تعالى فالكماة
في الاصل نافعة لما اختصت به من وصفها بانها من الله وانما عرضت لها المضار
بالمجاورة واستعمال كما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله
ويدفع الله عنه الضرر لنيته والعكس بالعكس والله اعلم ذكر طبه صلى الله
عليه وسلم من العذرة وهي بضم المهملة وسكون الذال المعجمة وجع في الحلق
يعتري الصبيان غالبا وقيل هي قرحة تخرج بين الاذن والحلق او في الخرم الذي

صوابه شبهة الكمئة بالمن

٧٤٣

بلغ

Copyright © King Saud University

بين الانف والحلق وهو الذي يسمي سقوط اللهات وقيل هو اسم اللهات والمراد وجعها سمي
باسمها وقيل هو موضع قريب من اللهات واللهات بفتح اللام اللحمة التي في اقصي الحلق
وفي البخاري من حديث ام قيس بنت محصن الاسدية اسد خزيمة وهي اخت
عكاشة انها اتت رسول الله صلي الله عليه وسلم بابن لها قد اعلقت عليه من العذرة
فقال النبي صلي الله عليه وسلم علي ما تدغرن اولادكن بهذا العلاق عليكم بهذا العود — يعني عمرة
الهندي فان فيه سبعة اشفية منها ذات الجنب يريد الكست وهو العود الهندي قوله
تدغرن خطاب للنسوة وهو بالغين المعجمة والدال المهملة والدغر غمز الحلق
وعن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلي الله عليه وسلم علي عائشة
وعندها صبي يسيل منخراه دما فقال ما هذا فقالوا انه العذرة او وجع في راسه
فقال ويلكن لا تقتلن اولادكن ايما امراة اصاب ولدها عذرة او وجع في راسه
فلتاخذ قسطا هنديا فلتحكه بماء ثم تسعطه اياه فامرت عائشة فصنع ذلك للصبي
فبري الحديث وفي القسط تجفيف يشد اللهاة ويرفعها الي مكانها وكانوا يعالجون
اولادهم بغمز اللهات وبالعلاق وهي شي يعلقونه علي الصبيان فنهاهم صلي الله
عليه وسلم عن ذلك وارشدهم الي ما هو انفع للاطفال واسهل عليهم والسعوط
ما يصب في الانف وقد استشكل معالجتها بالقسط مع كونه حارا والعذرة انما
تعرض في زمن الحر بالصبيان وامزجتهم حارة لا سيما وقطر الحجاز حار واجيب
بان مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم وفي القسط تجفيف للرطوبة وقد
يكون نفعه في هذا الدا بالخاصية وايضا فالادوية الحارة قد تنفع من الامراض
الحارة بالعرض كثيرا بل وبالذات ايضا وقد ذكر ابن سينا في معالجة سقوط اللهات
القسط مع الشب اليماني علي انا لو لم نجد شيا من التوجيهات لكان العجز خارجا عن
القواعد الطبية ذكر طبه صلي الله عليه وسلم لدا استطلاق البطن في الصحيحين عن
المتوكل عن ابي سعيد الخدري ان رجلا اتي النبي صلي الله عليه وسلم فقال ان اخي
يشتكي بطنه وفي رواية استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه فقال
اني سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال صدق الله وكذب بطن اخيك وفي
رواية مسلم فقال له ثلاث مرات ثم جا الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته
فلم يزده الا استطلاقا فقال صدق الله وفي رواية احمد عن يزيد بن هارون
فقال في الرابعة اسقه عسلا قال فاظنه قال فسقاه فبرا فقال رسول
الله صلي الله عليه وسلم في الرابعة صدق الله وكذب بطن اخيك قال
الخطابي وغيره اهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطا يقال كذب سمعك
اي زل فلم يدرك حقيقة ما قيل له فمعني كذب بطنه اي لم يصلح لقبول الشفا
بل زل عنه وقال الامام فخر الدين الرازي لعله صلي الله عليه وسلم في الرابعة

علم

علم بنور الوحي ان ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال مع كونه
عليه الصلاة والسلام كان عالما بانه سيظهر نفعه بعد ذلك كان جاريا مجري الكذب فلهذا
اطلق عليه هذا اللفظ وقد اعترض بعض الملاحدة فقال العسل مسهل فكيف يوصف
لمن وقع به الاسهال واجيب بان ذلك جهل من قايله بل هو كقوله تعالي بل كذبوا بما لم
يحيطوا بعلمه فقد اتفق الاطبا علي ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن و
العادة والغذا والزمان المالوف والتدبير وقوة الطبيعة وعلي ان الاسهال يحدث
من انواع منها الهيضة التي تنشا عن تخمة واتفقوا علي ان علاجها بترك الطبيعة و
فعلها فان احتاجت الي مسهل اعينت ما دام بالعليل قوة فكان هذا الرجل هذا النطلاق — كانه استطلاق بطنه
من تخمة اصابته فوصف له صلي الله عليه وسلم العسل لدفع الفضول المجتمعة في
نواحي المعدة من اخلاط لزجة تمنع استقرار الغذا فيها وللمعدة خمل كخمل المنشفة فاذا
علقت بها الاخلاط اللزجة افسدتها وافسدت الغذا الواصل اليها فكان دواوها بالمعتاد
ما يجلو تلك الاخلاط ولا شي في ذلك مثل العسل لا سيما ان مزج بالما الحار وانما لم يفده في اول
مرة لان الدوا يجب ان يكون له مقدار وكمية بحسب الدا ان قصر عنه لم يدفعه بالكلية
وان جاوزه اوهي القوة واحدث ضررا اخر فكانه شرب منه اولا مقدارا لا يفي بمقاومة
الدا فامره بمعاودة سقيه فلما تكررت الشربات بحسب مادة الدا برا باذن الله تعالي
وفي قوله صلي الله عليه وسلم وكذب بطن اخيك اشارة الي هذا الدوا نافع وان بقا الدا ليس
لقصور الدوا في الشفا ولكن لكثرة المادة الفاسدة فمن ثم امره بمعاودة شرب العسل لاستفراغه — عنه
وقال بعضهم ان العسل تارة يجري سريعا الي العروق وينفذ معه جل الغذا ويدر البول
فيكون قابضا وتارة يبقي في المعدة فيهيجها بلذعه لها حتي يدفع الطعام ويسهل البطن
فيكون مسهلا فانكار وصفه بالمسهل مطلقا قصور من المنكر وقال ابن الجوزي في
وصفه صلي الله عليه وسلم العسل لهذا المسهل اربعة اقوال احدها ان حمل الاية — صوابه فالاطلاق وصفه
علي عمومها في الشفا والي ذلك اشار بقوله صدق الله اي في قوله فيه شفا للناس فلما نبه
علي هذه الحكمة تلقاها بالقبول فشفي باذن الله تعالي الثاني ان الوصف المذكور
علي المالوف من عادتهم من التداوي بالعسل في الامراض كلها الثالث ان الموصوف له
كان ذلك كانت به هيضة كما تقدم تقريره الرابع يحتمل ان يكون امره بطبخ العسل قبل
شربه فانه يعقد البلغم فلعله شربه اولا بغير طبخ انتهي والثاني والرابع ضعيفان ويويد
الاول حديث ابن مسعود عليكم بالشفايين العسل والقران اخرجه ابن ماجه والحاكم
مرفوعا واخرجه ابن ابي شيبة والحاكم موقوفا ورجاله رجال الصحيح واثر علي اذا
اشتكي احدكم فليستوهب من امراته من صداقها فليشتر به ثم يا خذ ما السما فيجمع
هنيا مريا مباركا اخرجه ابن ابي حاتم في التفسير بسند حسن وروينا عنه رضي الله
عنه انه قال اذا اراد احدكم الشفا فليكتب اية من كتاب الله في صحيفة وليغسلها بما

٣٦٨

السنا وليأخذ من امرأته درهما عن طيب نفس منها فليشتر به عسلا فليشرب به فانه شفا قال
الحافظ ابن كثير بعد ان ذكره اي من وجوه قال الله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء وقال
وانزلنا من السما ما مباركا وقال فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيا مريا وقال في العسل
فيه شفا للناس ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من يبس الطبيعة بما يمشيه ويلينه روى
الترمذي وابن ماجه في سننه من حديث اسما بنت عميس قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بماذا كنت تستمشين قالت بالشبرم قال حار جار ثم قالت استمشيت
بالسنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان شيا كان فيه شفا من الموت لكان في السنا قال
ابو عيسى هذا حديث غريب وقد ذكره البخاري في تاريخه الكبير من حديث اسما بنت
عميس مثل ما ذكره الترمذي وذكر ابو محمد الحميدي في كتاب الطب له انه صلى الله عليه وسلم
قال اياكم والشبرم فانه حار جار وعليكم بالسنا فتداووا به فلو دفع الموت شي لدفعه
السنا بالتمر وفي سنن ابن ماجه من حديث وحكى عبد الحق الاشبيلي في كتاب الطب النبوي
له ان المحاسبي ذكر في كتابه المسمى بالمقصد الى الله ان النبي صلى الله عليه وسلم شرب السنا بالتمر
وفي سنن ابن ماجه من حديث ابراهيم بن عبلة قال سمعت عبد الله بن حرام وكان ممن
صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول عليكم بالسنا والسنوت فان فيهما شفا من كل دا الا السام قيل يا رسول الله
ما السام قال الموت قالوا والشبرم قشر عرق شجرة وهو حار يابس في الدرجة الرابعة
وهو من الادوية التي منع الاطبا من استعمالها لخطورها وفرط اسهالها واما السنا فهو
نبت حجازي افضله المكي وهو دوا شريف مامون الغائلة قريب من الاعتدال حار يابس
في الدرجة الاولى يسهل الصفرا والسودا ويقوي جرم القلب وهذه فضيلة شريفة
ومن خاصيته النفع من الوسواس السوداوي قال الرازي السنا والشاهترج يسهلان
الاخلاط المحترقة وينفعان من الجرب والحكة قال والشربة من كل واحد منهما من اربعة
دراهم الى سبعة دراهم واما السنوت فقيل هو العسل وقيل رب عكة السمن يخرج خطوطا
سودا على السمن وقيل حب يشبه الكمون وليس به وقيل هو الكمون الكرماني وقيل انه
الرازيانج وقيل انه الشبث وقيل انه العسل الذي يكون في زقاق السمن قال بعض الاطبا
وهذا اجدر بالمعنى واقرب الى الصواب اي يخلط السنا مدقوقا بالعسل المخالط للسمن
ثم يلعق فيكون اصلح من استعماله مفردا لما في العسل والسمن من اصلاح السنا واعانته على
الاسهال ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للمفؤود وهو الذي اصيب فؤاده فهو يشتكيه كالمطعون
روى ابو داود عن سعد قال مرضت مرضا فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني
فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي وقال لي انك رجل مفؤود فأت
الحرث بن كلدة من ثقيف فانه رجل يتطبب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن من
بنواهن ثم ليلدك بهن الفؤاد وهذا الحديث من الحديث العام الذي اريد به الخاص

يلعق

كاهل

كاهل المدينة ومن جاورهم والتمر لاهل المدينة كالحنطة لغيرهم واللدود ما يسقاه الانسان
من احد جانبي الفم وفي التمر خاصية عجيبة لهذا الدا سيما تمر المدينة ولا سيما العجوة وفي
كونها سبعا خاصية اخرى تدرك بالوحي وفي الصحيحين من تصبح بسبع تمرات عجوة
من تمر العالية لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لذات
الجنب في البخاري مرفوعا عليكم بهذا العود الهندي فان فيه سبعة اشفية
منها ذات الجنب الترمذي من حديث زيد بن ارقم قال صلى الله عليه وسلم تداووا
من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت اعلم ان ذات الجنب ورم حار يعرض في الغشا
المستبطن للاعضا وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة تحتقن بين
الصفاقات والعضل التي في الصدر والاضلاع فتحدث وجعا فالاول هو ذات
الجنب الحقيقي الذي تكلم عليه الاطبا قالوا ويحدث بسببه خمسة اعراض الحمى والسعال
والنخس وضيق النفس والنبض المنشاري ويقال لذات الجنب ايضا وجع الخاصرة
وهو من الامراض المخوفة لانها تحدث بين القلب والكبد وهو من سي الاسقام والمراد
بذات الجنب هنا الثاني لان القسط وهو العود الهندي هو الذي يداوى به الريح
الغليظة وقد حكى الامام ابن القيم عن المسيحي انه قال العود حار يابس قابض يحبس
٣٤٧ البطن ويقوي الاعضا الباطنة ويطرد الريح ويفتح السدد ويذهب فضل الرطوبة
نافع من ذات الجنب جيد للدماغ قال ويجوز ان ينفع من ذات الجنب الحقيقية ايضا
اذا كانت ناشية عن مادة بلغمية ولا سيما في وقت انحطاط العلة ذكر طبه صلى الله عليه
وسلم لداء الاستسقا عن انس قال قدم رهط من عرينة وعكل على النبي صلى الله عليه
وسلم فاجتووا المدينة فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو خرجتم الى ابل
الصدقة فشربتم من البانها وابوالها ففعلوا فلما صحوا عمدوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل
وحاربوا الله ورسوله فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم فاخذوا وقطع
ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم والقاهم في الشمس حتى ماتوا رواه الشيخان واعلم ان الاستسقا
مرض مادي سببه مادة غريبة باردة تتخلل الاعضا فتربو لها اما الاعضا الظاهرة كلها
واما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذا والاخلاط واقسامه ثلاثة لحمي
وهو اصعبها وهو الذي يربو معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية تفشو مع الدم في الاعضا
وزقي وهو الذي يجتمع فيه في البطن الاسفل مادة مائية ردية يسمع لها عند الحركة
خضخضة كالما في الزق وهو اردى انواعه عند اكثر الاطبا وطبلي وهو الذي ينتفخ معه
البطن بمادة ريحية اذا ضربت عليه سمعت له صوتا كصوت الطبل وانما امرهم عليه
الصلاة والسلام بشرب ذلك لان في لبن اللقاح جلا وتليينا وادرارا وتلطيفا وتفتيحا
للسدد اذا كان اكثر رعيها الشيح والقيصوم والبابونج والاقحوان والاذخر وغير ذلك
من الادوية النافعة للاستسقا خصوصا اذا استعمل بحرارته التي يخرج بها من الضرع

Copyright King Saud University

مع بول الفصيل وهو حار كما يخرج من الحيوان فان ذلك مما يزيد في ملوحية اللبن وتقطيعه
الفضول ولطافة البطن والمضعوف المعدة فذكر ابن الحاج في المدخل ان بعض الناس مرض
بمقعدته فراى الشيخ الجليل ابو محمد المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير لهذا
الدوا وهو ان يأخذ كل يوم كل على الريق وزن درهم من الورد المربا ويكون ملتوتا بالمصطكا
بعد دقها ويجعل فيه حبات من الشونيز يفعل ذلك سبعة ايام ففعله فبري ومرض
بعض الناس ببرد المعدة فراى الشيخ المرجاني ايضا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير
بهذا الدوا اوقية ونصف عسل نحل ودرهمين شونيز ومثلها انيسون ونصف اوقية
من النعناع الاخضر ومن القرنفل درهم ومن القرفا نصف درهم وشي من قشر الليمون
مع قليل من الخل ويعقد ذلك على النار فاستعمله فبري وعرض لاخر سلس الريح فراى الشيخ
المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدوا شونيز ثلاثة دراهم ومن خزامي
درهمين ونصف ومن الكمون الابيض ثلاثة دراهم ومثله من السعتر الشامي ومثله من
الفليا ووزن درهم من البلوط وهو ثمر الفواد واوقية من الزيت المرقي يجعل فيه من
العسل النحل ما يعقد به وهو ربع رطل ويوخذ منه غدوة النهار وزن درهمين
على الريق وعند النوم وزن درهم ونصف فاستعمله فبري ثم انه عليه الصلاة والسلام بعد
ذلك قال في النوم لذلك الشخص الذي اخبره بهذا الدوا انه ينفع لادواء هذه الريح وسلس
الريح والمعدة وبرودتها ووجع الفواد والم الحيض والم النفاس وانتفاخ الرياح والزيت
المرقي صفته ان ياخذ شي من الزيت الطيب ويجعله في اناء نظيف ويحركه بعود ويقرا عليه
الاخلاص والمعوذتين ولقد جاكم رسول من انفسكم الى اخر السورة وننزل من القران
ما هو شفا ورحمة للمومنين لو انزلنا هذا القران على جبل الى اخر السورة **وحصل
لاخر قولنج** فراى الشيخ النبي صلى الله عليه وسلم فاشار بهذا الدوا وهو ان ياخذ ثلاثة دراهم
من عسل النحل ووزن درهم ونصف من الزيت المرقي واحدى وعشرين حبة من
الشونيز ويخلط الجميع ثم يفطر عليه ويفعل مثله عند النوم يفعل ذلك حتى يبرى
ويعمل له التلبينة ويشربها بعد ان يفطر على ذلك والتلبينة تعمل من دقيق ونخالة
وبر ياعمل فيه عسل ويكون غداوه مصلوقة الدجاج او لحم الضان ففعله فبري بعد
ان اعيا الاطبا **ومرض اخر بوجع الظهر** فشكى ذلك للشيخ فراى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يشير بهذا الدوا وهو عسل نحل وشونيز ودهن الالية والزيت المرقي ورقيق
البيضة ويخلط ذلك كله ويمده على الموضع ويذر عليه دقيق العدس بعشرة
من الحرمل بعد ما يدق دقا ناعما حتى يعود مثل الدقيق ففعل فبري **وشكى بعض
الناس الدوخة** في راسه فراى الشيخ النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فاشار الى هذا
الدوا قرنفل وزنجبيل وقرفا وجوز طيب وسنبل من كل واحد درهم ونصف شونيز
درهمين يدق الجميع ثم يطبخ ويعقد بعسل النحل فاذا قرب استواه عصر عليه

قليل

قليل ليمون فيكون عسل النحل غالبا عليه ففعل فبري انتهى وهذا وان كان مناما
فقد عضدته التجربة مع ارشاد الشيخ المرجاني لذلك **ذكر طبه عليه الصلاة والسلام
دا عرق النسا** وهو بفتح النون والمهملة المرض الحال بالعرق والاضافة فيه من باب
اضافة الشي الى محله وقيل وسمي بذلك لان المه ينسي ما سواه وهذا العرق يمتد من
مفصل الورك وينتهي الى اخر القدم وراء الكعب **وعن** انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال دوا عرق النسا الية شاة اعرابية تذاب ثم تجزا ثلاثة اجزاء ثم تشرب
على الريق في كل يوم جزا رواه ابن ماجة وهذا الدوا خاص بالعرب واهل الحجاز ومن
جاورهم وهو انفعه لهم لان هذا المرض يحدث عن يبس وقد يحدث من مادة غليظة
لزجة فعلاجها بالاسهال والالية فيها الخاصيتان الانضاج والتليين وهذا المرض يحتاج
علاجه الى هذين الامرين وفي تعيين الشاة الاعرابية قلة فضولها وصغر مقدارها
ولطف جوهرها وخاصية مرعاها لانها ترعى اعشاب البر الحارة كالشيح والقيصوم
ونحوها وهذه اذا تغذى بها الحيوان صار في لحمه من طبعها بعد ان يلطفها تغذيه ويكسبها
مزاجا الطف منها ولا سيما الالية **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الاورام والخرجات بالبطن
والبدن** يذكر عن علي رضي الله عنه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على
رجل يعوده بظهره ورم فقالوا يا رسول الله بهذه مدة قال بطوا عنه قال علي فما
برحت حتى بطت والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم بقطع
العروق والكي** روى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه
وسلم بعث ابي بن كعب طبيبا فقطع له عرقا وكواه عليه **واخرج** مسلم عن جابر لما رمي
سعد بن معاذ في اكحله حسمه النبي صلى الله عليه وسلم **وروى** الطحاوي وصححه الحاكم عن
انس قال كواني ابو طلحة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم **وعند** الترمذي انه صلى
الله عليه وسلم كوى اسعد بن زرارة من الشوكة **وروى** مسلم عن عمران بن حصين
كان يسلم علي اكتويت فتركت ثم تركت الكي فعاد وفي رواية ان الذي كان انقطع عني رجع
حتى
الي يعني تسليم الملائكة **وروى** احمد وابو داود والترمذي عن عمران نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الكي فاكتوينا فما افلحنا ولا انجحنا الحديث وانما يستعمل الكي في
الخلط الباغي الذي لا ينحسم مادته الا به ولهذا وصفه صلى الله عليه وسلم ثم نهى عنه
وانما كرهه لما فيه من الالم الشديد والخطر العظيم ولهذا كانت العرب تقول في
امثلتها اخر الدوا الكي والنهي فيه محمول على الكراهة او على خلاف الاولى لما يقتضيه
مجموع الاحاديث وقيل انه خاص بعمران لانه كان به الباسور وكان موضعه خطرا
فنهاه عن كيه فلما اشتد عليه كواه فلم ينجح وقال ابن قتيبة الكي نوعان كي الصحيح لئلا
يعتل فهذا الذي قيل فيه لم يتوكل من اكتوى لانه يريد ان يدفع القدر والقدر
لا يدافع والثاني كي الجرح اذا نغل والعضو اذا قطع فهو الذي شرع التداوي به فان

٣٥

كان الكي لامر محتمل فهو خلاف الاولى لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار لامر غير محقق
وحاصل الجمع ان الفعل يدل على الجواز وعدم الفعل لا يدل على المنع بل يدل على ان
تركه ارجح من فعله واذا وقع الثنا على تاركه واما المنهي عنه فاما على سبيل الاختيار
والتنزيه واما عن ما لا يتعين طريقا الى الشفا وقال بعضهم انما نهى عنه مع اثباته
الشفا فيه اما لكونهم كانوا يرون انه يحسم الدا بطبعه فكرهه لذلك ولذلك كانوا
يبادرون اليه قبل حصول الدا الظنهم انه يحسم الدا فيتعجل الذي يكتوي التعذيب
بالنار لامر مظنون قال في فتح الباري ولم ار في اثر صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اكتوى
الا ان القرطبي نسبه الى كتاب اداب النفوس للطبري ان النبي صلى الله عليه وسلم
اكتوى وذكره الحليمي بلفظ روي انه اكتوى للجرح الذي اصابه باحد قال الحافظ ابن
حجر والثابت في الصحيح عن غزوة ان فاطمة احرقت حصيرا فحشت به جرحه وليس
هذا الكي المعهود انتهى ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الطاعون قال الخليل
الطاعون الوبا وقال ابن الاثير الطاعون المرض العام والوبا الذي يفسد له الهوا
فتفسد به الامزجة والابدان وقال القاضي ابو بكر بن العربي الطاعون الوجع
الغالب الذي يطفي الروح سمي بذلك لعموم مصابه وسرعة قتله وقال ابو الوليد
الباجي هو مرض يعم الكثير من الناس في جهة من الجهات بخلاف المعتاد من امراض
الناس وقال القاضي عياض اصل الطاعون القروح الخارجة في الجسد والوبا
عموم الامراض فسميت طاعونا لشبهها بها في الهلاك وقال النووي في تهذيبه
هو بثر وورم مولم جدا يخرج مع لهب ويسود ما حوله ويخضر ويحمر حمرة شديدة
بنفسجية كدرة ويحصل معه خفقان وقي ويخرج غالبا في المراق والاباط وقد يخرج
في الايدي والاصابع وساير الجسد وقال ابن سينا الطاعون مادة سمية تحدث
ورما قتالا لا يحدث في المواضع الرخوة والغابن من البدن واغلب ما يكون تحت
الابط او خلف الاذن او عند الارنبة وسببه ورم ردي يستحيل الى جوهر سمي
يفسد العضو ويغير ما يليه ويؤدي الى القلب كيفية ردية فيحدث القي
والغثيان والغشي والخفقان وهو لرداته لا يقبل من الاعضا الا ما كان اضعف
بالطبع واردأه ما يقع في الاعضا الرييسة والاسود منه قل من يسلم منه واسلمه
الاحمر ثم الاصفر والطواعين تكثر عند الوبا في البلاد الموبية ومن ثم اطلق على
الطواعين وبا وبالعكس واما الوبا فهو فساد جواهر الهوا الذي هو مادة الروح
ومدده والحاصل ان حقيقته ورم ينشا عن هيجان الدم وانصباب الدم الى العضو
فيفسده وان غير ذلك من الامراض العامة الناشية عن فساد الهوى يسمى
طاعونا بطريق المجاز لاشتراكهما في عموم المرض به او كثرة الموت والدليل على
ان الطاعون يغاير الوبا ان الطاعون لم يدخل المدينة النبوية وقد قالت

عايشة

عايشة دخلنا المدينة وهي اوبا ارض الله وقال بلال اخرجونا الى ارض الوبا والطا
من طعن الجن وانما لم يتعرض الاطبا لكونه من طعن الجن لانه امر لا يدرك بالعقل
وانما عرف من الشارع فتكلموا في ذلك على ما اقتضته قواعدهم ومما يويد ان الطاعون
انما يكون من طعن الجن وقوعه غالبا في اعدل الفصول في اصح البلاد هوا
واطيبها ما ولانه لو كان بسبب فساد الهوى لدام في الارض لان الهوا يفسد تارة
ويصح اخرى وهذا يذهب احيانا ويجي احيانا على غير قياس ولا تجربة فربما جا سنة على
سنة وربما ابطا سنين وبانه لو كان كذلك لعم الناس والحيوان والموجود بالمشاهدة
انه يصيب الكثير ولا يصيب من هم بجانبهم ممن هو في مثل مزاجهم ولو كان كذلك
لعم جميع البدن وهذا يختص بموضع من الجسد لا يتجاوزه ولان فساد الهوى يقتضي
تغيير الاخلاط وكثرة الاسقام وهذا في الغالب يقتل بلا مرض فدل على انه طعن
الجن كما ثبت في الاحاديث الواردة في ذلك منها حديث احمد والطبراني عن ابي بكر ابن
ابي موسى الاشعري قال سالت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو وخز
اعدايكم من الجن وهو لكم شهادة قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر يقع في الالسنة وهو
في النهاية تبعا للعربي الهروي بلفظ وخز اخوانكم ولم اره بلفظ اخوانكم بعد التتبع
الطويل البالغ في شي من طرق الحديث المسندة لا في الكتب المشهورة ولا في الاجزا المنثورة
وقد عزاه بعضهم لمسند احمد والطبراني او كتاب الطواعين لابن ابي الدنيا ولا وجود
لذلك في واحد منها والله اعلم انتهى وفي الصحيحين من حديث اسامة ابن زيد قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطاعون رجز ارسل على طايفة من
بني اسرايل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع بارض وانتم بها
فلا تخرجوا منها فرارا منه وقد ذكر العلما في النهي عن الخروج حكما منها ان الطاعون
في الغالب يكون عاما في البلد الذي يقع به فاذا وقع فالظاهر مداخلة سببه لمن
بها فلا يفيده الفرار لان المفسدة اذا تعينت حتى لا يقع الانفكاك عنها كان الفرار
عبثا فلا يليق بالعاقل ومنها ان الناس لو تواردوا على الخروج لصار من عجز عنه
بالمرض المذكور او بغيره ضايع المصلحة لفقد من يتعهده حيا وميتا وايضا لو شرع
الخروج فخرج الاقويا لكان في ذلك كسر قلوب الضعفا وقد قالوا ان حكمة الوعيد
في الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب من لم يفر وادخال الرعب عليه بخلافه وقد
جنح الغزالي بين الامرين فقال الهوا لا يضر من حيث ملاقاته ظاهر البدن بل من
حيث دوام الاستنشاق فيصل الى القلب والرية فيوثر في الباطن ولا يظهر على
الظاهر الا بعد التاثر في الباطن فالخارج من البلد الذي يقع به لا يخلص
غالبا ما استحكم به ويتضاف الى ذلك انه لو رخص للاصحا في الخروج لبقي المرضى
لا يجدون من يتعاهدهم فتضيع مصالحهم ومنها ما ذكره بعض الاطبا ان المكان

Copyright King Saud University

الذي يقع به الوبا فتكيف امزجة اهله بهوا تلك البقعة فتالفها وتصير لهم
كالاهوية الصحيحة لغيرهم فلو انتقلوا الى الاماكن الصحيحة لم توافقهم بل
ربما اذا استنشقوا هواها استصحب معه الى القلب من الابخرة الردية
التي حصل تكيف ابدانها بها فافسدته فمنع من الخروج لهذه النكتة ومنها ان الخارج
يقول لو اقمت لاصبت والمقيم يقول لو خرجت لسلمت فيقع في اللو المنهي عنه
وقال العارف ابن ابي جمرة البلا انما يقع به اهل البقعة لا البقعة نفسها فمن
اراد الله تعالى انزال البلا به فهو واقع به لا محالة فاين ما توجه يدركه فارشدنا
الشارع الى عدم النصب وقال ابن القيم جمع صلى الله عليه وسلم للامة في نهيه
عن الدخول الى الارض التي هو بها ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال
التحرز منه فان في الدخول في الارض التي هو بها تعرضا للبلا وموافاة له في
محل سلطانه واعانة الانسان على نفسه وهذا مخالف للشرع والعقل بل تجنب
الدخول الى ارضه من باب الحمية التي ارشد الله تعالى اليها وهي حمية عن الامكنة
والاهوية المودية واما نهيه عن الخروج من بلده ففيه معنيان احدهما حمل
النفوس على الثقة بالله تعالى والتوكل عليه والصبر على اقضيته والرضا والثاني
ما قاله ائمة الطب انه يجب على من كان يحترز من الوبا ان يخرج من بدنه الرطوبات
الفضلية ويقلل الغذا ويميل الى التدبير المجفف من كل وجه والخروج من ارض
الوبا والسفر منها لا يكون الا بحركة شديدة وهي مضرة جدا وهذا كلام افضل
المتاخرين من الاطبا فظاهر المعنى الطبي من الحديث النبوي وما فيه من
علاج القلب والبدن واصلاحهما انتهى ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من السلعة
اخرج البخاري في تاريخه والطبراني والبيهقي عن شرحبيل الجعفي قال اتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكفي سلعة فقلت يا رسول الله هذه ال
السلعة قد اذتني تحول بيني وبين قائم السيف ان اقبض عليه وعنان الدابة
فنفث في كفي ووضع كفه على السلعة فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها عنها وما
ارى اثرها ومسح صلى الله عليه وسلم وجه ابيض بن حمال وكان به القوبا فلم يمس
من ذلك اليوم ومنها اثر رواه البيهقي وعلله البيهقي وغيره ذكر طبه صلى الله
عليه وسلم من الحمى روى البخاري من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الحمى من فيح جهنم فاطفئوها بالما واختلف في نسبتها الى جهنم فقيل حقيقة
واللهب الحاصل في جسم المحموم قطعة من جهنم وقدر الله ظهورها باسباب
تقتضيها ليعتبر العباد بذلك كما ان انواع الفرح واللذة من نعيم الجنة اظهرها
في هذه الدار عبرة ودلالة وقيل بل الخبر ورد مورد التشبيه والمعنى ان حر الحمى
شبيه بحر جهنم تنبيها للنفوس على شدة حر النار وان هذه الحرارة الشديدة

شبيهة

شبيهة بنفيها وهو ما يصيب من قرب منها من حرها قوله فاطفئوها بهمزة قطع ثم
امر بالاطفا وروى الطبراني الحمى حظ المومن من النار وفي رواية نافع عن ابن عمر عند
الشيخين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمى او شدة الحمى من فيح جهنم
فابردوها بالما بهمزة وصل والراء مضمومة على المشهور وحكي كسر الراء وفي رواية
ابن ماجة بالما البارد وفي رواية ابي جمرة بالجيم عند البخاري قال كنت اجالس
ابن عباس بمكة فاخذتني الحمى فاحتبست اياما فقال ما حبسك قلت الحمى قال
ابردوها بما زمزم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها
بالما او بما زمزم شك قال ابن القيم قوله بالما فيه قولان احدهما انه كل ما وهو الصحيح
والثاني انه ما زمزم ثم قال بعد ان روى حديث ابي جمرة هذا وراوي هذا قد
شك فيه ولو جزم به لكان امرا لاهل مكة بما زمزم اذ هو متيسر عندهم ولغيرهم
بما عندهم من الما انتهى وتعقب بانه وقع في رواية احمد عن عفان عن همام
فابردوها بما زمزم ولم يشك وكذا اخرجه النسائي وابن حبان والحاكم قال ابن القيم
واختلف من قال انه على عمومه هل المراد به الصدقة بالما او استعماله على قولين والصحيح
انه استعماله واظن الذي حمل من قال ان المراد به الصدقة به انه اشكل عليه استعمال
الما البارد في الحمى ولم يفهم وجهه مع ان لقوله وجها حسنا وهو ان الجزا من جنس العمل
فكما اخمد لهيب العطش عن الظمان بالما البارد اخمد الله لهيب الحمى عنه جزاء وفاقا
انتهى قال الخطابي وغيره اعترض بعض سخفا الاطبا على هذا الحديث بان قال
اغتسال المحموم بالما خطر يقربه من الهلاك لانه يجمع المسام ويحقن البخار ويعكس
الحرارة التي في داخل الجسم فيكون ذلك سببا للتلف وقد غلط بعض من ينسب الى
العلم فانغمس في الما لما اصابته الحمى فاحتقنت الحرارة في باطن بدنه فاصابته علة
صعبة كادت تهلكه فلما خرج من علته قال قولا سيئا لا يحسن ذكره وانما اوقعه في
ذلك جهله بمعنى الحديث والجواب ان هذا الاشكال صدر عن صدر مرتاب
في صدق الخبر فيقال له اولا من اين حملت الامر على الاغتسال وليس في الحديث
الصحيح بيان الكيفية فضلا عن اختصاصها بالغسل وانما في الحديث الارشاد
الى تبريد الحمى بالما فان اظهر الوجود او اقتضت صناعة الطب ان انغماس كل
محموم في الما او صبه اياه على جميع بدنه يضره فليس هو المراد وانما قصده عليه
الصلاة والسلام استعمال الما على وجه ينفع فليبحث عن ذلك الوجه ليحصل
الانتفاع به وهو كما وقع في امره العاين بالاغتسال واطلق وقد ظهر من الحديث
الاخر انه لم يرد مطلق الاغتسال وانما اراد الاغتسال على كيفية مخصوصة
واولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى ما صنعته اسما بنت الصديق رضي الله
عنها فانها كانت ترش على بدن المحموم شيا من الما بين ثدييه وثوبه فيكون

Copyright King Saud University

ذلك من باب النشرة الماذون فيها والصحابي ولا سيما مثل اسما التي هي من كان يلازم بيت
النبي صلى الله عليه وسلم اعلم بالمراد من غيرها وقد ذكر ابو نعيم وغيره من حديث
انس يرفعه اذا حم احدكم فليرش عليه الما البارد ثلاث ليال من السحر وقال المازري
لا شك ان علم الطب من اكثر العلوم احتياجا الى التفصيل حتى ان المريض يكون الشي
دواه في ساعة فيصير داه في الساعة التي تليها لعارض يعرض له من غضب يحمي
مزاجه مثلا فيتغير علاجه ومثل ذلك كثير فاذا فرض وجود الشفا لشخص بشي
في حالة ما لم يلزم منه وجود الشفا به له او لغيره في ساير الاحوال والاطبا مجمعون
على ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذا المتقدم
والتاثير المالوف وقوة الطباع ويحتمل ان يكون هذا في وقت مخصوص فيكون
من الخواص التي اطلع عليها النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل بالوحي ويضمحل عند
ذلك جميع كلام اهل الطب وجعل ابن القيم خطابه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
خاصا لاهل الحجاز وما والاهم اذا كان اكثر الحميات التي تعرض من نوع الحمى المرضية
العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس قال وهذه ينفعها الما البارد
شربا واغتسالا لان الحمى حرارة غريبة تشتعل في القلب وتنتشر منه بتوسط
الروح والدم في العروق الى جميع البدن وهي قسمان عرضية وهي الحادثة عن
ورم او حركة او اصابة حرارة الشمس او الغيظ الشديد ونحو ذلك ومرضية
وهي ثلاثة انواع وتكون عن مادة ثم منها ما يسخن جميع البدن فان كان مبدا تعلقها
بالروح فهي حمى يوم لا تقلع غالبا في يوم ونهايتها الى ثلاث وان كان تعلقها بالاعضا
الاصلية فهي حمى دق وهي اخطرها وان كان تعلقها بالاخلاط سميت عفنية وهي
تعدد الاخلاط الاربعة اعني صفراوية وسوداوية وبلغمية ودموية وتحت
هذه الانواع المذكورة اصناف كثيرة بسبب الافراد والتركيب انتهى واذا تقرر
هذا فيجوز ان يكون المراد النوع الاول فانها تسكن بالانغماس في الما البارد
وشرب الما المبرد بالثلج وبغيره ولا تحتاج الى علاج اخر وقد قال جالينوس لو ان
شابا خصب اللحم حسن البدن ليس في احشائه ورم استحم بما بارد او سبح فيه
في وقت القيظ عند منتهى الحمى لا نتفع بذلك وقد تكرر في الحديث استعماله
صلى الله عليه وسلم الما البارد في علته كما في الحديث صبوا علي من سبع قرب لم
تحلل اوكيتهن وفي المستدرك وغيره من حديث الحسن عن سمرة يرفعه الحمى قطعة
من النار فابردوها عنكم بالما البارد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حم
دعى بقربة من ما فافرغها على راسه فاغتسل وصححه الحاكم ولكن قال في اسناده
راو ضعيف وعن انس رفعه اذا حم احدكم فليرش عليه من الما البارد من السحر
ثلاث ليال اخرجه الطحاوي وابو نعيم في الطب واخرج الطبراني من حديث

عبد الرحمن

عبد الرحمن بن المرقع رفعه الحمى رايد الموت وهي سجن الله في الارض فبردوا لها
الما في الشنان وصبوه عليكم فيما بين الاذانين المغرب والعشا قال ففعلوه فذهب
عنهم وقد اخرج الترمذي من حديث ثوبان مرفوعا اذا اصاب احدكم الحمى
وهي قطعة من النار فليطفها عنه بالما يستنقع في نهر جار ويستقبل جريته وليقل
بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق رسولك بعد صلاة الصبح قبل طلوع الشمس
ولينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة ايام فان لم يبرا في خمس والا فسبع والا فتسع فانها
لا تكاد تجاوز تسعا باذن الله قال الترمذي غريب وفي سنده سعيد بن زرعة
مختلف فيه ذكر طبه عليه الصلاة والسلام من حكة الجسم وما يولد القمل لما
كانت الحكة لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة رخص صلى الله عليه وسلم
للزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف والزبير في قمص في لبس الحرير
لحكة كانت بهما كما في البخاري عن قتادة ان انسا حدثهم ان النبي صلى الله عليه
وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير في قميص من حرير من حكة كانت
بهما وفي رواية ان عبد الرحمن والزبير شكيا الى النبي صلى الله عليه وسلم
يعني القمل فارخص لهما في الحرير فرايته عليهما في غزاة وفي رواية رخص النبي
صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن ابن عوف والزبير بن العوام في حرير وفي
رواية رخص لحكة كانت بهما ويحتمل ان تكون العلتان باحد الرجلين او ان
الحكة حصلت من القمل فنسبت العلة تارة الى السبب وتارة الى المسبب
قال النووي هذا الحديث صريح في الدلالة لمذهب الشافعي وموافقيه
انه يجوز لبس الحرير للرجل اذا كانت به حكة لما فيه من البرودة وكذا
للقمل وما في معنى ذلك وقال مالك لا يجوز وهذا الحديث حجة عليه انتهى
وتعقب قوله لما فيه من البرودة بانه حار والصواب ان الحكمة فيه
لخاصية فيه لدفع الحكة وقال ابن القيم واذا اتخذ منه ملبوسا كان
معتدل الحرارة في مزاجه مسخنا للبدن وربما برد البدن لتسمينه اياه
وقال الرازي الابريسم اسخن من الكتان وابرد من القطن يربي اللحم وكل
لباس خشن فانه يهزل ويصلب البشرة فلبس الا بارد والاصوف يسخن
ويبقي وملابس الكتان والحرير والقطن تدفي ولا تسخن فثياب الكتان باردة
يابسة وثياب الصوف حارة يابسة وثياب القطن معتدلة الحرارة
وثياب الحرير الين من القطن واقل حرارة منه ولما كانت ثياب الحرير
ليس فيها شي من اليبس والخشونة كغيرها صارت نافعة من الحكة
لان الحكة كما قدمته لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة فلذلك
رخص عليه الصلاة والسلام لهما في لباس الحرير لمداواة الحكة ذكر طبه

٣٥٣

بلغ

الحرير

صلى الله عليه وسلم من السم الذي اصابه بخيبر تقدم في غزوها قصة اليهودية التي
اهدت اليه الشاة المسمومة وقد روي عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن
ابن كعب بن مالك ان امراة يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية
بخيبر فقال ماهذه قالت هذه هدية وحذرت ان تقول من الصدقة فلا يأكل
فاكل النبي صلى الله عليه وسلم واكل اصحابه ثم قال امسكوا ثم قال للمراة هل سممت
هذه الشاة قالت من اخبرك قال هذا العظم لساقها وهو في يده قالت نعم قال
لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان تستريح منك الناس وان كنت نبيا لم يضرك قال
فاحتجم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة على كاهله وقد ذكروا في علاج السم انه يكون
بالاستفراغات وبالادوية التي تعارض فعل السم وتبطله اما بكيفياتها واما بخواصها
فمن عدم الدوا فليبادر الى الدوا الكلي وانفعه الحجامة ولاسيما اذا كان البلد
حارا والزمان حارا فان القوة السمية تسري في الدم فتنبعث في العروق والمجاري
حتى يصل الى القلب والاعضا فاذا بادر المسموم واخرج الدم خرجت معه تلك
الكيفية السمية التي خالطته فان كان استفراغا تاما لم يضره السم بل اما ان
يذهب واما ان يضعف فتقوى عليه الطبيعة فتبطل فعله او يضعفه
ولما احتجم صلى الله عليه وسلم احتجم على الكاهل لانه اقرب الى القلب فخرجت المادة
السمية مع الدم لا خروجا كليا بل بقي اثرها مع ضعفه لما يريد الله تعالى من
تكميل مراتب الفضل كلها له بالشهادة زاده الله فضلا وشرفا النوع الثاني
في طبه عليه الصلاة والسلام بالادوية المركبة من الالهية والطبيعية
ذكر طبه عليه الصلاة والسلام من القرحة والجروح وكل شكوى عن عايشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض بسم الله تربة ارضنا وريقة
بعضنا تشفي سقيمنا وفي رواية كان يقول في الرقية تربة ارضنا وريقة بعضنا
تشفي سقيمنا باذن ربنا رواه البخاري وفي رواية مسلم اذا اشتكى الانسان او كانت
به قرحة او جرح قال باصبعه هكذا ووضع وكيع سفيان سبابته بالارض الحديث
وقوله تشفي سقيمنا ضبط بوجهين بضم اوله على البنا للمجهول وسقيمنا بالرفع
وبفتح اوله على ان الفاعل مقدر وسقيمنا بالنصب على المفعولية قال النووي
معنى الحديث انه اخذ من ريق نفسه على اصبعه السبابة ثم وضعها على
التراب فعلق به شي منه ثم مسح به الموضع العليل او الجرح قايلا الكلام المذكور
في حالة المسح وقال القرطبي زعم بعض علمائنا ان السر فيه ان تراب الارض لبرودته
ويبسه يبري به الموضع الذي به الالم ويمنع انصباب المواد اليه ليبسه
مع منفعته في تجفيف الجراح واندمالها وقال في الريق انه يختص بالتحليل
والانضاج وابرا الجرح والورم ولاسيما من الصايم الجايع وتعقبه القرطبي بان

ذلك

ذلك انما يتم اذا وقعت المعالجة على قوانينها من مراعات مقدار التراب والريق
وملازمة ذلك في اوقاته والا فالنفث ووضع السبابة على الارض انما يعلق بها ما ليس
له بال ولا اثر وانما هذا من باب التبرك باسما الله تعالى واثار رسوله صلى الله
عليه وسلم واما وضع الاصبع بالارض فلعله لخاصية في ذلك او الحكمة لاخفا اثار
القدرة بمباشرة الاسباب المعتادة وقال البيضاوي قد شهدت المباحث الطبية
على ان للريق مدخلا في النضج وتعديل المزاج وتراب الوطن له تاثير في حفظ
المزاج ودفع الضرر فقد ذكر وانه ينبغي للمسافر ان يستصحب تراب ارضه
ان عجز عن استصحاب ماها حتى اذا ورد المياه المختلفة جعل شيا منه في سقايه
ليامن من مضرة ذلك ثم ان الرقا والعزايم لها اثار عجيبة تتقاعد العقول
عن الوصول الى كنهها وقال التوربشتي كان المراد بالتربة الاشارة الى النطفة كانه تضرع
بلسان الحال انك اخترعت الاصل الاول من التراب ثم ابدعته من ما مهين فهين عليك
ان تشفي من كانت هذه نشاته وقال النووي وقيل المراد بارضنا ارض المدينة لبركتها
وبعضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لشرف ريقه فيكون ذلك مخصوصا وفيه نظر
وفي حديث عايشة عن ابي داود والنساي ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ثابت
ابن قيس بن شماس وهو مريض فقال اكشف الباس رب الناس ثم اخذ ترابا من بطحان
فجعله في قدح ثم نفث عليه ثم صبه عليه قال الحافظ ابن حجر هذا الحديث تفرد به
الشخص المرقي ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من لدغة العقرب عن عبد الله بن مسعود
قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي اذ سجد فلدغته عقرب في اصبعه فانصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره ثم دعا بانا
فيه ما وملح فجعل يضع موضع اللدغة في الما والملح ويقرا قل هو الله احد والمعوذتين
حتى سكنت رواه ابن ابي شيبة في مسنده وقال ابن عبد البر رقى النبي صلى الله
عليه وسلم من العقرب بالمعوذتين وكان يمسح الموضع بما فيه ملح وهذا طب مركب
من الطبيعي والالهي فان سورة الاخلاص قد جمعت الاصول الثلاثة التي هي مجامع
التوحيد وفي المعوذتين استعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا ولهذا اوصى صلى
الله عليه وسلم عقبة ابن عامر ان يقراهما عقب كل صلاة رواه الترمذي وفي
هذا سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة الى الصلاة وقال ما تعوذ المتعوذون
بمثلهما واما الما والملح فهو الطب الطبيعي فان في الملح نفعا لكثير من السموم ولاسيما
لدغة العقرب وفيه من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم ويحللها ولما كان
في لسعها قوة نارية تحتاج الى تبريد وجذب استعمل صلى الله عليه وسلم الما والملح
لذلك ذكر الطب من النملة بفتح النون واسكان الميم قروح تخرج في الجنب
وسمي نملة لان صاحبه يحس في مكانه كان نملة تدب عليه وتعضه وفي حديث

٣٥٤

Copyright © King Saud University

مسلم عن انس انه صلى الله عليه وسلم رخص في الرقية من الحمة والعين والنملة **وروى**
الخلال ان الشفا بنت عبد الله كانت ترقي في الجاهلية من النملة فلما هاجرت الى النبي
صلى الله عليه وسلم وكانت قد بايعته بمكة قالت يا رسول الله اني كنت ارقي في الجاهلية
من النملة فاريد ان اعرضها عليك فعرضتها فقالت بسم الله ضلت حتى تعود
من افواهها ولا تضر احدا اللهم اكشف الباس رب الناس قال ترقي بها على عود سبع مرات
وتقصد مكانا نظيفا وتدلكه على حجر بخل خمر حاذق وتطليه على النملة **ذكر طبه
عليه الصلاة والسلام من البثرة** روى النسائي عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم قال عندك ذريرة فقلت نعم فدعا بها فوضعها على بثرة بين اصبعين من
اصابع رجله ثم قال اللهم مطفي الكبير ومكبر الصغير اطفها عني فطفئت **ذكر طبه
صلى الله عليه وسلم من حرق النار** روى النسائي عن محمد بن حاطب قال تناولت قدرا
فاصاب كفي من مائها فاحترق ظهر كفي فانطلقت بي امي الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اذهب الباس رب الناس واحسبه قال واشف وانت الشافي ويتفل **ذكر
طبه صلى الله عليه وسلم بالحمية** وهي قسمان حمية عما يجلب المرض وحمية عما يزيده
فيقف على حاله الاولى حمية الاصحاء والثانية حمية المرضى فان المريض اذا احتمى
وقف مرضه عن التزايد واخذت القوى في دفعه والاصل في الحمية قوله
تعالى وان كنتم مرضى او على سفر الى قوله فتيمموا صعيدا طيبا فحمى المريض
من استعمال الماء لانه يضره كما وقعت الاشارة لذلك في اوائل هذا الفصل
وقد قال بعض افاضل الاطبا راس الطب الحمية والحمية للصحيح عندهم في
المضرة بمنزلة التخليط للمريض والناقه وانفع ما تكون الحمية للناقه من المرض
لان التخليط يوجب الانتكاس والانتكاس اصعب من المرض والفاكهة تضر
بالناقه من المرض لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة عن دفعها لعدم
القوة **وفي سنن** ابن ماجه عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم
وبين يديه خبز وتمر فقال ادن وكل فاخذت تمرا فاكلت فقال اتاكل تمرا وبك
رمد فقلت يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ففيه الاشارة الى الحمية وعدم التخليط وان التمر وان الرمد
يضر به التمر **وعن** ام المنذر بنت قيس الانصارية قالت دخل علي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وهو علي ناقه من مرض ولنا دوالي
معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل منها وقام علي ياكل منها
فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعلي انك ناقه حتى كف قالت
وصنعت شعيرا وسلقا فجئت به فقال صلى الله عليه وسلم من هذا اصب
فانه انفع لك رواه ابن ماجه وانما منعه صلى الله عليه وسلم من اكله من

الدوالي

الدوالي لان الفاكهة نوع ثقل على المعدة ولم يمنعه من السلق والشعير لانه من انفع
الاغذية للناقه ففي ماء الشعير التغذية والتلطيف والتليين وتقوية الطبيعة
فالحمية من اكبر الادوية للناقه قبل التكامل يمنع تزايده وانتشاره قال ابن القيم ومما
ينبغي ان يعلم ان كثيرا مما يحمى عنه العليل والناقه والصحيح اذا اشتدت الشهوة اليه
ومالت اليه الطبيعة فتناول منه الشي اليسير الذي لا تعجز الطبيعة عن هضمه
لم يضره تناوله بل ربما انتفع به فان الطبيعة والمعدة تتلقيانه بالقبول والمحبة
فيصلحان ما يخشى من ضرره وقد يكون انفع من تناول ما تكرهه الطبيعة وتدفعه
من الدواء ولهذا اقر النبي صلى الله عليه وسلم صهيبا وهو ارمد على تناول التمر اليسير
وعلم انها لا تضره ففي الحديث يعني حديث صهيب سر لطيف اذا تناول
ما يشتهيه عن جوع صادق وكان فيه ضرر ما كان انفع واقل ضررا مما لا يشتهيه
عن جوع صادق وان كان نافعا في نفسه فان صدق شهوته ومحبة الطبيعة
له تدفع ضرره وكذلك بالعكس **ذكر حمية المريض من الماء** عن قتادة بن النعمان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله العبد حماه الدنيا كما يظل
احدكم يحمي سقيمه الماء قال الترمذي حديث حسن غريب **وروى** الحميدي مرفوعا
لو ان الناس اقلوا من شرب الماء لاستقامت ابدانهم وللطبراني في الاوسط عن ابي سعيد
مرفوعا من شرب الماء على الريق انتقصت قوته وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهو
ضعيف **ذكر امره صلى الله عليه وسلم بالحمية من الماء المشمس خوف البرص** روى
الدارقطني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لا تغتسلوا بالماء المشمس فانه يورث
البرص وروى الدارقطني هذا المعنى مرفوعا من حديث عامر عن النبي صلى الله عليه
وسلم وهو ضعيف وكذا اخرج العقيلي نحوه عن انس بن مالك وروى الشافعي عن عمر نعلي
هذا يكره استعمال الماء المشمس شرعا خوف البرص لكنهم اشترطوا شروطا ان يكون في
البلاد الحارة والاوقات الحارة دون الباردة وفي الاواني المنطبعة على الاصح دون الخزف
والخشب ونحوها واستثنى النقدان لصفائهما وقال الجويني بالتسوية حكاه ابن
الصلاح ولا يكره المشمس في الحياض والبرك قطعا وان يكون الاستعمال في البدن لا في
الثوب وان يكون مستعملا حال حرارته فلو برد زالت الكراهة في الاصح في الروضة
وصحح في الشرح الصغير عدم الزوال واشترط صاحب التهذيب كما قاله الجيلي
ان يكون راس الاناء منسدا لتحبس الحرارة وفي شرح المهذب انها شرعية يثاب تاركها
وقال في شرح التنبيه ان اعتبرنا القصد فشرعية والا فارشادية واذا قلنا
بالكراهة فكراهة تنزيه لا تمنع صحة الطهارة وقال الطبري ان خاف الاذى
حرم وقال ابن عبد السلام ولم يجد غيره وجب استعماله واختار النووي في الروضة
عدم الكراهة مطلقا وحكاه الروياني في البحر عن النص **ذكر الحمية من طعام**

٣٥٥

Copyright King Saud University

البخل عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طعام البخيل دا وطعام
الاسخيا شفا رواه التنيسي عن مالك في غير الموطا كما ذكره عبد الحق في الاحكام
ذكر الحمية من دا الكسل رواه ابو داود في المراسيل عن يونس عن ربيعة بن ابي
عبد الرحمن انه راه مضطجعا في الشمس قال يونس فنهاني وقال بلغني ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال انها تورث الكسل وتثير الدا الدفين ذكر الحمية من
دا البواسير عن الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا انجا معن احدكم
ويجمعن خلا فانه يكون منه البواسير رواه ابو احمد الحاكم ذكر حماية الشراب
من سم احد جناحي الذباب الثاني المتولد عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا وقع الذباب في انا احدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان في احد جناحيه شفا
وفي الاخرة دا وفي رواية ابي داود فانه يتقي بجناحه الذي فيه الدا فليغمسه
كله وفي رواية الطحاوي فانه يقدم السم ويوخر الشفا وفي قوله كله دفع توهم
المجاز في الاكتفا بالبعض قال شيخ شيخنا لم يقع الي في شي من الطرق تعيين الجناح الذي فيه
الشفا من غيره لكن ذكر بعض العلما انه تامله فوجده يتقي بجناحه الايسر فعرف ان
الايمن هو الذي فيه الشفا واخرج ابو يعلى عن ابن عمر مرفوعا عمر الذباب اربعين
ليلة والذباب كله في النار الا النحل وسنده لا باس به قال الحافظ كونه في النار ليس
تعذيبا له بل ليعذب اهل النار به ويتولد من العفونة ومن عجيب امره
ان رجيعه يقع على الثوب الاسود ابيض وبالعكس واكثر ما يظهر في اماكن
العفونة مبدا خلقه منها ثم من التوالد وهو اكثر الطيور سفادا وربما بقي عامة
اليوم على الانثى ويحكى ان بعض الخلفا سال الشافعي لاي علة خلق الذباب
فقال مذلة للملوك وكانت الحت عليه ذبابة فقال الشافعي سالني ولم يكن
عندي جواب فاستنبطت ذلك من الهيئة الحاصلة فرحمة الله عليه ورضوانه
ذكر امره صلى الله عليه وسلم بالحمية من الوبا النازل في الانا بالليل بتغطيته
عن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا الانا واوكوا السقا فان في السنة
ليلة ينزل فيها وبا لا يمر باناء ليس عليه غطا او سقا ليس عليه وكا الا نزل
فيه ذلك الوبا رواه مسلم في صحيحه قيل وذلك في اواخر شهور السنة الرومية
ذكر حمية الولد من ارضاع الحمقى روى ابو داود في المراسيل باسناد صحيح عن
زياد السهمي قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسترضع الحمقى فان
اللبن يشبه وعند ابن حبيب يعدي وعند القضاعي بسند حسن من حديث
ابن عباس مرفوعا الرضاع يغير الطباع وعن ابن حبيب ايضا مرفوعا انه نهى
عن استرضاع الفاجرة وعن عمر بن الخطاب ان اللبن ينزع لمن يسترضع
واما الحمية من البرد فاشتهر على الالسنة اتقوا البرد فانه قتل ابا الدردا لكن

قال

قال شيخ الحافظ ابن حجر لا اعرفه فان كان واردا فيحتاج الى تاويل فان ابا الدردا
عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرا انتهى واما ما اشتهر ايضا اصل كل دا
البردة فقال شيخنا رواه ابن نعيم والمستغفري معا في الطب النبوي والدار قطني
في العلل كلهم من طريق تمام بن نجيح عن الحسن البصري عن انس رفعه وتمام
ضعفه الدارقطني وغيره ووثقه ابن معين ولابي نعيم ايضا من حديث
ابن المبارك عن السايب بن عبد الله بن علي بن زحر عن ابن عباس مرفوعا
مثله وحديث عمرو بن الحارث عن دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد رفعه
اصل كل دا من البردة وقيل قال الدارقطني عقب حديث انس من علله عباد
ابن منصور عن الحسن من قوله وهو اشبه بالصواب وجعله الزمخشري في الفايق
من كلام ابن مسعود قال الدارقطني في كتاب التصحيف قال اهل اللغة رواه
المحدثون يعني باسكان الرا والصواب البردة يعني بالفتح وهي التخمة لانها تبرد
حرارة الشهوة او لانها ثقيلة على المعدة بطية الذهاب من برد اذا ثبت
وسكن وقد اورد ابو نعيم مضموما لهذه الاحاديث حديث الحارث بن فضيل
عن زياد بن مينا عن ابي هريرة رفعه استدفئوا من الحر والبرد وكذا اورد
المستغفري مع ما عنده منها حديث اصل كل دا البردة فهما ضعيفان في ذلك
شاهد لما حكي عن اللغويين في كون المحدثين رووه بالسكون انتهى الفصل
الثاني في تعبيره صلى الله عليه وسلم الرويا يقال عبرت الرويا بالتخفيف
اذا فسرتها وعبرتها بالتثقيل للمبالغة في ذلك واما الرويا بوزن فعلى وقد
تسهل الهمزة فهي ما يراه الشخص في منامه قال القاضي ابو بكر بن العربي
الرويا ادراكات يخلقها الله تعالى في قلب العبد على يد ملك او شيطان اما
باسمايها اي حقيقتها واما بكناها اي بعباراتها واما تخليطا ذهب القاضي ابو بكر
ابن الطيب الى انها اعتقادات واحتج بان الرائي قد يرى نفسه بهيمة او طايرا مثلا
وليس هذا ادراكا فوجب ان يكون اعتقادا لان الاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقد
قال ابن العربي والاول اولى والذي يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من قبيل المثل
فالادراك انما يتعلق به لا باصل الذات وقال المازري كثر كلام الناس في حقيقة
الرويا وقال فيها غير الاسلاميين اقاويل كثيرة منكرة لانهم حاولوا الوقوف على
حقايق لا تدرك بالعقل ولا يقوم عليها برهان وهم لا يصدقون بالسمع فاضطربت
اقاويلهم فمن ينتمي الى الطب ينسب جميع الرويا الى الاخلاط فيقول من غلب
عليه البلغم راى انه يسبح في الما ونحو ذلك لمناسبة الما طبيعة البلغم ومن غلب
عليه الصفرا راى النيران والصعود في الجو وهكذا الى اخره وهذا وان جوزه
العقل وجاز ان يجري الله العادة به لكنه لم يقم عليه دليل ولا اطردت به

بلغ

Copyright ... University

انه قد اختلف في قدر المدة التي بعد بعثته صلى الله عليه وسلم والثاني انه يبقى حديث
السبعين جزءا بغير معنى وهذا الذي قاله من الانكار في هذه المسئلة سبقه اليه الخطابي
فقال كان بعض اهل العلم يقولون في تاويل هذا العدد قولا لا يكاد يتحقق وذلك انه
عليه الصلاة والسلام اقام بعد الوحي ثلاثا وعشرين سنة وكان يوحى اليه في منامه ستة
اشهر وهو نصف سنة فهو جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة قال الخطابي
وهذا وان كان وجها تحتمله قسمة الحساب والعدد فاول ما يجب على من قاله ان يثبت
ما ادعاه خبرا ولم يسمع فيه اثرا ولا ذكر مدعيه في ذلك خبرا فكانه قاله على سبيل الظن
والظن لا يغني من الحق شيئا وليس كلما خفي علينا علمه يلزمنا حجته كاعداد الركعات
وايام الصيام ورمي الجمار فانا لا نصل من علمها الى امر يوجب حصرها تحت اعدادها
ولم يقدح ذلك في موجب اعتقادنا للزومها وقد ذكروا في المناسبات غير ذلك مما يطول
ذكره وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اصدق الرؤيا بالاسحار رواه
الدارمي وروى مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب واصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا قال
الخطابي في المعالم في قوله اذا اقترب الزمان قولان احدهما ان يكون معناه تقارب
زمان الليل وزمان النهار وهو وقت استوائهما ايام الربيع وذلك وقت اعتدال
الاربع غالبا قال والمعبرون يقولون اصدق الرؤيا ما كان عند اعتدال الليل
والنهار وادراك الثمار والثاني ان اقتراب الزمان انتهاء مدته اذا دنى قيام الساعة
وتعقب الاول بانه يبعده التقييد بالمؤمن فان الوقت الذي تعتدل فيه
الطبايع لا يختص به وجزم ابن بطال بان الثاني هو الصواب واستند الى ما اخرجه
الترمذي من طريق معمر عن ايوب في هذا الحديث بلفظ في اخر الزمان لا تكذب
رؤيا المؤمن وقيل المراد بالزمان المذكور زمان المهدي عند بسط العدل وكثرة
الامن وبسط الخير والرزق فان ذلك الزمان يستقصر لاستلذاذه فتتقارب
اطرافه وقال القرطبي في المفهم المراد والله اعلم باخر الزمان المذكور في حديث
زمان الطايفة الباقية مع عيسى بن مريم عليهما السلام بعد قتله الدجال فاهل
هذا الزمان احسن اهل هذه الامة حالا بعد الصدر الاول
واصدقهم اقوالا فكانت رؤياهم لا تكذب ومن ثم قال عقب هذا واصدقكم
رؤيا اصدقكم حديثا وانما كان كذلك لان من كثر صدقه تنور قلبه وقوي
ادراكه وانتقشت فيه المعاني على وجه الصحة وكذلك من كان غالب احواله
الصدق في يقظته استصحب ذلك في نومه فلا يرى الا صدقا وهذا بخلاف
الكاذب والمخلط فانه يفسد قلبه ويظلم فلا يرى الا تخليطا واضغاثا وقد يندر
المنام احيانا فيرى الصادق ما لا يصح ويرى الكاذب ما يصح ولكن الاغلب الاكثر ما تقدم

ينبغي

انتهى ملخصا وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راى احدكم الرؤيا
يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها وليتحدث بها واذا راى غير ذلك مما يكره فانما هي
من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره رواه البخاري
وفي رواية مسلم والرؤيا السوء من الشيطان فمن راى رؤيا فكره منها شيئا فلينفث عن
يساره وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا يخبر بها احدا فان راى رؤيا حسنة
فليبشر ولا يخبر بها الا من يحب وقوله فليبشر بفتح التحتانية وسكون الموحدة وضم
المعجمة من البشرى وفي حديث ابي رزين عند الترمذي ولا يقصها الا على وادّ
بتشديد الدال اسم فاعل من الود او ذي راي وفي اخرى ولا يحدث بها الا لبيبا
او حبيبا وفي اخرى لا تقص رؤياك الا على عالم او ناصح وفي حديث ابي سعيد عند
مسلم فليحمد الله وليحدث بها وحاصل ما ذكر من ادب الرؤيا الصالحة ثلاثة اشيا
ان يحمد الله عليها وان يستبشر بها وان يتحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره
وحاصل ما ذكر من ادب الرؤيا المكروهة اربعة اشيا ان يتعوذ بالله من شرها
ومن شر الشياطين ويتفل حين ينتبه من نومه ولا يذكرها لاحد اصلا وفي
البخاري من حديث ابي هريرة خامسة وهي الصلاة ولفظه فمن راى شيا يكرهه
فلا يقصه على احد وليقم فليصل لكن لم يصرح البخاري بوصله وصرح به مسلم وزاد
مسلم سادسة وهي التحول من جنبه الذي كان عليه فقال عن جابر رفعه اذا راى
احدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان
ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه قال النووي وينبغي ان يجمع هذه ٣٥٨
الروايات كلها ويعمل بجميع ما تضمنته فان اقتصر على بعضها اجزاه في دفع ضررها
كما صرحت به الاحاديث وتعقبه الحافظ ابن حجر بانه لم ير في شي من الاحاديث
الاقتصار على واحدة قال لكن اشار المهلب الى ان الاستعاذة كافية في دفع شرها
انتهى ولا ريب ان الصلاة تجمع ذلك كله كما قاله القرطبي لانه اذا قام يصلي تحول
عن جنبه ويبصق وينفث عند المضمضة في الوضوء واستعاذ قبل القراءة ثم دعا
الله في اقرب الاحوال اليه فيكفيه الله شرها وذكر بعضهم سابعة وهي قراءة اية
الكرسي ولم يذكر لذلك مستندا فان اخذه من عموم قوله في حديث ابي هريرة
ولا يقربك شيطان فيتجه قال وينبغي ان يقراها في صلاته المذكورة وحكمة
التفل كما قال القاضي عياض امر به طردا للشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة
تحقيرا له واستقذارا وخصت به اليسار لانها محل الاقذار والتثليث للتاكيد
وقد ورد التفل والنفث والبصق قال النووي في الكلام على النفث في الرقية
تبعا للقاضي عياض اختلف في التفل والنفث فقيل هما بمعنى واحد ولا يكونان
الا بريق وقال ابو عبيد يشترط في التفل ريق يسير ولا يكون في النفث

Copy ... King Saud University

وقيل عكسه وسيلت عايشة عن النفث في الرقية فقالت كما ينفث آكل الزبيب لا ريق
معه ولا اعتبار بما يخرج معه من بله بغير قصد قال وقد جا في حديث ابي سعيد في الرقية
بفاتحة الكتاب فجعل يجمع بزاقه قال القاضي عياض وفايدة التفل التبرك بتلك الرطوبة
والهوي والنفث للمباشرة للرقية المقارن للذكر الحسن كما يتبرك بغسالة ما يكتب من
الذكر والاسما قال النووي ايضا واكثر الروايات في الرويا فلينفث وهو النفخ اللطيف
بلا ريق فيكون التفل والبصق محمولين عليه مجازا وتحمله وتعقبه الحافظ ابن حجر
بان المطلوب في الموضعين يختلف لان المطلوب في الرقية التبرك برطوبة الذكر كما تقدم
والمطلوب هنا طرد الشيطان واظهار احتقاره واستقذاره كما نقله هو عن عياض
كما تقدم قال الذي يجمع الثلاثة الحمل على التفل فانه نفخ معه ريق لطيف فبالنظر الى النفخ
قيل له نفث وبالنظر الي الريق قيل له بصق واما قوله فانها لا تضره فمعناه كما قاله
النووي ان الله تعالى جعل ما ذكر سببا للسلامة من المكروه المرتب على الرويا كما جعل
الصدقة وقاية للمال واما التحول فللتفاول بتحول تلك الحال التي كان عليها والحكمة
في قوله في الرويا الحسنة ولا تخبر بها الا من تحب لانه اذا احدث بها من لا يحب قد
يفسرها له بما لا يحب اما بغضا واما حسدا فقد تقع على تلك الصفة او يتعجل لنفسه
من ذلك حزنا ونكدا فامر بترك تحديث من لا يحب بسبب ذلك وقيل روي من حديث
انس مرفوعا الرويا لاول عابر وهو حديث ضعيف فيه يزيد الرقاشي ولكن له
شاهد اخرجه ابو داود والترمذي وابن ماجة بسند حسن وصححه الحاكم عن ابي رزين
العقيلي رفعه الرويا على رجل طاير ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت وعند الدارمي بسند
حسن عن سليمان بن يسار عن عايشة قالت كانت امراة من اهل المدينة لها زوج
تاجر يختلف في التجارة فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي غايب
وتركني حاملا فرايت في المنام ان سارية بيتي انكسرت واني ولدت غلاما اعور
فقال خير يرجع زوجك ان شا الله تعالى صالحا وتلدين غلاما برا فذكرت ذلك
ثلاثا فجات ورسول الله صلى الله عليه وسلم غايب فسالتها فاخبرتني بالمنام فقلت
لها لين صدقت رؤياك ليموتن زوجك او تلدين غلاما فاجرا فقعدت تبكي
فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مه يا عايشه اذا عبرتم للمسلم الرويا فا
عبروها على خير فان الرويا تكون على ما يعبرها صاحبها وعند سعيد بن منصور
من مرسل عطا ابن ابي رباح قال جاءت امراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
اني رايت كان جايزة بيتي انكسرت وكان زوجها غايبا فقال رد الله زوجك عليك
فرجع سالما الحديث قال ابو عبيدة وغيره معنى قوله الرويا لاول عابر
اذا كان العابر الاول عالما فعبر واصاب وجه التعبير والا فهي لمن اصاب بعده
اذ ليس المدار الا على اصابة الصواب في تعبير المنام ليتوصل بذلك الي مراد الله

تعالى

قوله فجات لعاسه

٣٦٠

تعالى فيما ضرب به من المثل فان اصاب فلا ينبغي ان يسال غيره وان لم يصب فيسال الثاني
وعليه ان يخبر بما عنده ويبين ما جهل الاول هكذا قاله وفيه بحث يطول ذكره ومن اداب
المعبر ما اخرجه عبد الرزاق عن معمر انه كتب الى ابي موسى فاذا راي احدكم رويا فقصها
على اخيه فليقل خير لنا وشر لاعدائنا ورجاله ثقات ولكن سنده منقطع وفي حديث
ابن زمل عند الطبراني والبيهقي في الدلايل لما قص على النبي صلى الله عليه وسلم رويا
فقال عليه السلام خير تلقاه وشر تتوقاه وخير لنا وشر على اعدائنا والحمد لله رب
العالمين اقصص روياك الحديث وسنده ضعيف جدا وياتي ان شا الله تعالى ومن
اداب المعبر ان لا يعبرها عند طلوع الشمس ولا عند غروبها ولا عند الزوال ولا في
الليل وان لا يقصها على امراة لكن ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة يقول
هل راى احد الليلة رويا فيقص عليه ما شا الله ان يقص ويعبر لهم ما يقصونه وبوب
عليه البخاري باب تعبير الرويا بعد صلاة الصبح قالوا وفيه اشارة الى ضعف ما اخرجه
عبد الرزاق عن معمر عن سعيد بن عبد الرحمن عن بعض علمايهم قال لا تقصص
روياك على امراة ولا تخبر بها حتى تطلع الشمس وفيه اشارة الى الرد على من قال من
اهل التعبير ان المستحب ان يكون التعبير من بعد طلوع الشمس الى الرابعة ومن
العصر الى قبل الغروب فان الحديث دال على استحباب تعبيرها قبل طلوع الشمس
ولا يخالف قولهم بكراهة تعبيرها في اوقات كراهة الصلاة قال المهلب تعبير الرويا
عند صلاة الصبح اولى من غيره من الاوقات لحفظ صاحبها لها لقرب عهده بها وقل من
يعرض له نسيانها ولحضور ذهن العابر وقلة شغله بالفكرة فيما يتعلق بمعاشه
وليعرف الراي ما يعرض له بسبب روياه فليستبشر بالخير ويحذر من الشر
وليتاهب لذلك فربما كان في الرويا تحذير من معصية فيكف عنها وربما كانت
انذارا لامر فيكون له مترقبا قال فهذه عدة فوايد لتعبير الرويا اول النهار
قال في فتح البارى وذكر ايمة التعبير ان من اداب الراي ان يكون صادق اللهجة وان
ينام على وضو على جنبه الايمن وان يقرا عند نومه والشمس والليل والتين وسورة
الاخلاص والمعوذتين ويقول اللهم اني اعوذ بك من سي الاحلام واستجير بك من
تلاعب الشيطان في اليقظة والمنام اللهم اني اسالك رويا صالحة صادقة نافعة
حافظة غير منسية اللهم اري في منامي ما احب وان لا يقصها على عدو ولا جاهل
اذا علمت هذا فاعلم ان جميع المراي تنحصر في قسمين اضغاث احلام وهي لا تنذر
بشي وهي انواع الاول تلاعب الشيطان ليحزن الراي كان يري انه قطع راسه
وهو يتبعه او راى انه واقع في هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك وروى مسلم
عن جابر جا اعرابي فقال يا رسول الله اني حلمت ان راسي قطع فانا اتبعه فزجره
صلى الله عليه وسلم وقال لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام الثاني ان يري

٣٥٩

[illegible] مسلم

ان بعض الملائكة يامره ان يفعل المحرمات مثلا ونحوه من المحال عقلا الثالث ما يحدث
به نفسه في اليقظة او يتمناه فيراه كما هو في المنام وكذا رؤية ما جرت عادته في اليقظة
او يتمناه فيراه ما يغلب على مزاجه ويقع على المستقبل غالبا وعن الحال كثيرا وعلى
الماضي قليلا القسم الثاني الصادقة وهي رؤيا الانبيا ومن تبعهم من الصالحين وقد
يقع لغيرهم بندور وهي التي تقع في اليقظة على وفق ما وقعت في النوم وقد وقع
لنبينا صلى الله عليه وسلم من الرؤيا الصادقة التي كفلق الصبح ما لا يعد ولا يحد
قالت عايشة اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة
في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح الحديث رواه البخاري وفي رواية
الرؤيا الصالحة وهما بمعنى واحد بالنسبة الى امور الاخرة في حق الانبيا واما بالنسبة
الى امور الدنيا فالصالحة في الاصل اخص فرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم كلها صادقة
وقد تكون صالحة وهو الاكثر وغير صالحة بالنسبة الى الدنيا كما وقع في الرؤيا يوم
احد فانه صلى الله عليه وسلم راى بقرا تذبح وراى في سيفه ثلما فاول البقر ما اصاب
اصحابه يوم احد والثلم الذي في سيفه برجل من اهل بيته يقتل ثم كانت العاقبة
للمتقين وكان بعد ذلك النصر والفتح على الخلق اجمعين واما رؤيا غير الانبيا فبينهما
عموم وخصوص ان فسرنا الصادقة بانها التي لا تحتاج الى تفسير واما ان فسرناها
بانها غير الاضغاث فالصالحة اخص مطلقا وقال الامام نصر بن يعقوب الدينوري
في التعبير القادري الرؤيا الصادقة ما يقع بعينه او ما يعبر في المنام او يخبر به من
لا يكذب والصالحة ما فسر واعلم ان الناس في الرؤيا على ثلاث درجات الانبيا صلوات
الله وسلامه عليهم ورؤياهم كلها صدق وقد يقع فيها ما يحتاج الى تعبير والصالحون
والاغلب على رؤياهم الصدق وقد يقع منها ما لا يحتاج الى تعبير ومن عداهم يقع
في رؤياهم الصدق والاضغاث وهم على ثلاثة اقسام مستورون فالغالب
استوا الحال في حقهم وفسقة والغالب في رؤياهم الاضغاث ويقل فيها الصدق
وكفار ويندر في رؤياهم الصدق جدا ويشير الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
واصدقهم رؤيا اصدقهم حديثا اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة وقد وقعت
الرؤيا الصادقة من بعض الكفار كما في رؤيا صاحبي السجن مع يوسف عليه
السلام ورؤيا ملكهما وغير ذلك وقد روى الامام احمد مرفوعا وصححه ابن حبان
من حديث ابي سعيد اصدق الرؤيا بالاسحار وذكر الامام نصر ابن يعقوب الدينوري
ان الرؤيا اول الليل يبطي تاويلها ومن النصف الثاني يسرع
بتفاوت اجزا الليل وان اسرعها تاويلا رؤيا السحر ولا سيما عند طلوع الفجر وعن
جعفر الصادق اسرعها تاويلا رؤيا القيلولة وعن محمد بن سيرين رؤيا النهار
مثل الليل والنسا كالرجال وعن العبري وابي ان المراة اذا رات ما ليس له اهلا

فهو

فهو لزوجها وكذا حكم العبد لسيده كما ان رؤيا الطفل لابويه ومن مرائيه الكريمة
عليه الصلاة والسلام بشربه اللبن وتعبيره بالعلم كما في حديث ابن عمر عند البخاري
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نايم اتيت بقدح لبن
فشربت منه حتى اني لارى الري يخرج في اظافيري وفي رواية صالح بن كيسان من
اطرافي وهذه الرؤية يحتمل ان تكون بصرية وهو الظاهر ويحتمل ان يكون علمية
ويؤيد الاول ما اخرجه الحاكم والطبراني من طريق ابي بكر بن عبد الله بن عمر عن
ابيه عن جده في هذا الحديث فشربت حتى رايته يجري في عروقي بين الجلد واللحم
على انه يحتمل ايضا قال بعض العارفين الذي خلص اللبن من بين فرث ودم قادر
على ان يخلق المعرفة من بين شك وجهل وهو كما قال لكن اطردت العادة بان العلم بالتعلم
والذي ذكره قد يكون خارقا للعادة فيكون من باب الكرامة وقال العارف ابن ابي جمرة
تاويل النبي صلى الله عليه وسلم اللبن بالعلم اعتبارا بما بين له اول الامر حين اتي بقدح
خمر وقدح لبن فاخذ اللبن فقال له جبريل اخذت الفطرة انتهى وقد جا في بعض
الاحاديث المرفوعة تاويله بالفطرة كما اخرجه البزار من حديث ابي هريرة رفعه
اللبن في المنام فطرة وذكر الدينوري ان اللبن المذكور في هذا يختص بلبن الابل
وانه لشاربه مال حلال وعلم قال ولبن البقر خصب السنة ومال حلال وفطرة ايضا
ولبن الشاة مال وسرور وصحة جسم والبان الوحش شك في الدين والبان السباع
غير محمودة الا ان لبن اللبوة مال مع عداوة لذي امر وفي الحديث ان علم النبي صلى
الله عليه وسلم لا يبلغ احد درجته فيه لانه شرب حتى راى الري يخرج من اطرافه
واما اعطاوه فضلة عمر ففيه اشارة الى ما حصل لعمر من العلم بالله بحيث كان لا ياخذه
في الله لومة لايم ووجه التعبير في الحديث بذلك من جهة اشتراك اللبن
والعلم في كثرة النفع وكونهما سببا للصلاح فاللبن للغذا البدني والعلم المعنوي ومن ذلك
رؤيته صلى الله عليه وسلم القميص وتعبيره بالدين وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما انا نايم رايت الناس يعرضون
علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك ومر علي عمر بن الخطاب
وعليه قميص يجره قالوا فما اولته يا رسول الله قال الدين رواه البخاري وفي
رواية الترمذي الحكيم من طريق اخرى في هذا الحديث فقال ابو بكر على ما تاول
هذا يا رسول الله والثدي بضم المثلثة وكسر الدال وتشديد اليا جمع ثدي بفتح ثم
سكون والمعنى ان القميص قصير جدا بحيث من الحلق الى نحو السرة بل فوقها
وقوله ومنها ما يبلغ دون ذلك يحتمل ان يريد به من جهة السفل وهو الظاهر
فيكون اطول ويحتمل ان يكون دونه من جهة العلو فيكون اقصر ويؤيد
الاول ما في رواية الترمذي الحكيم المذكورة فمنهم من كان قميصه الى سرته ومنهم

Copyright © King Saud University

من كان قميصه الي ركبته ومنهم من كان قميصه الي انصاف ساقيه ويجوز القضب في قوله
الذين والتقل براولته ويجوز الرفع وفي رواية الحكيم المذكور علي الايمان وقد قيل
في وجه تعبير القميص بالدين ان القميص يستر العورة في الدنيا والدين يسترها
في الاخرة ويحجبها عن كل مكروه والاصل فيه قوله تعالي ولباس التقوي ذلك خير
واتفق اهل التعبير علي ان القميص يعبر بالدين وان طوله يدل علي بقا اثار
صاحبه من بعده وقال ابن العربي انما اول النبي صلي الله عليه وسلم القميص
بالدين لان الدين يستر عورة الجهل كما يستر القميص عورة البدن قال واما
غير عمر فالذي كان يبلغ الثدي هو الذي يستر قلبه عن الكفر ولو كان يتعاطي
المعاصي والذي كان يبلغ اسفل من ذلك وفرجه باد هو الذي لم يستر رجله عن
المشي الي المعصية والذي يستر رجله عن المشي الي المعصية هو الذي احتجب
بالتقوي من جميع الوجوه والذي يجر قميصه زاد علي ذلك بالعمل الصالح الخالص
واشار ابن ابي جمرة الي ان المراد بالناس في هذا الحديث المومن لتاويله القميص
بالدين قال والذي يظهر ان المراد خصوص هذه الامة المحمدية بل بعضها
والمراد بالدين العمل بمقتضاه كالحرص علي امتثال الاوامر واجتناب المناهي
وكان لعمر في ذلك المقام العالي قال ويوخذ من الحديث ان كل ما يري في القميص
من حسن او غيره فانه يعبر بدين لابسه قال والنكتة في القميص ان لابسه
اذا اختار نزعه واذا اختار ابقاه فلما البس الله المومنين لباس الايمان واتصفوا
به كان الكامل في ذلك سابغ الثوب ومن لا فلا وقد يكون نقص الثوب بسبب
نقص الايمان وقد يكون بسبب نقص العمل وفي الحديث ان اهل الدين يتفاضلون في الدين بالقلة والكثرة وبالقوة والضعف وهذا من امثلة ما يحمد
في المنام ويذم في اليقظة شرعا اعني جر القميص لما ورد من الوعيد في تطويله
ومن ذلك روياه عليه الصلاة والسلام السوارين الذهب في يده الشريفة
وتعبيرها بالكذابين روي البخاري عن عبيد الله بن عبد الله قال سالت
عبد الله بن عباس عن رويا النبي صلي الله عليه وسلم التي ذكرها فقال ابن عباس
ذكر لي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال بينا انا نايم رايت انه وضع في يدي سواران
من ذهب فقطعتهما وكرهتهما فاذن لي فنفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان
فقال عبد الله احدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والاخر مسيلمة وفي
رواية ابي هريرة عند الشيخين بينا انا نايم اذ اتيت خزاين الارض فوضع في
يدي سواران من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحي الي ان انفخهما فنفختهما
فاولتهما الكذابين الذين انا بينهما صاحب صنعا وصاحب اليمامة قال المهلب
هذه الرويا ليست علي وجهها وانما هي ضرب من المثل وانما اول النبي صلي الله

عليه

عليه وسلم السوارين بالكذابين لان الكذب وضع الشي في غير موضعه فلما راي في ذراعه
سوارين من ذهب وليسا من لبسه لانهما من حلية النسا عرف انه سيظهر من يدعي ما ليس
له وايضا ففي كونهما من ذهب والذهب منهي عن لبسه دليل علي الكذب وايضا فالذهب
مشتق من الذهاب فعلم انه شي يذهب عنه وتاكد ذلك بالاذن له في نفخهما فطارا فعرف
انه لا يثبت لهما امر وان كلامه بالوحي الذي جا به يزيلهما عن موضعهما وقال ابن العربي
كان النبي صلي الله عليه وسلم يتوقع بطلان امر مسيلمة والعنسي فاول الرويا عليهما ليكون
ذلك اخراجا للمنام عليهما فان الرويا اذا عبرت خرجت ويحتمل ان يكون بوحي والمراد
بخزاين الارض التي ذكرها ما فتح علي امته من الغنايم ومن ذخاير كسري وقيصر وغيرهما
ويحتمل معادن الارض التي فيها الذهب والفضة وقال القرطبي انما كبر عليه السواران
لكون الذهب من حلية النسا ومما حرم علي الرجال وفي طيرانهما اشارة الي اضمحلال امرهما
ومناسبة هذا التاويل بهذه الرويا ان اهل صنعا واهل اليمامة كانوا اسلموا فكانوا كالساعدين
للاسلام فلما ظهر فيهما الكذابان وبهرجا علي اهلهما بزخرف اقوالهما ودعاويهما الباطلة انخدع
اكثرهم بذلك فكان البلدين بمنزلة البلدين والسوارين بمنزلة الكذابين وكونهما من
ذهب اشارة الي ما زخرفا والزخرف من اسما الذهب وقال اهل التعبير من راي انه يطير
فان كان الي جهة السما بغير تعريج ناله ضرر فان غاب في السما ولم يرجع مات وان رجع افاق
من مرضه وان كان يطير عرضا سافر ونال رفعة بقدر طيرانه ومن ذلك روياه
عليه الصلاة والسلام المراة السودا الثايرة الراس وتعبيرها بنقل وبا المدينة الي الجحفة
روي البخاري من حديث عبد الله بن عمر ان النبي صلي الله عليه وسلم قال رايت امراة
سودا ثايرة الراس خرجت من المدينة حتي قامت بمهيعة وهي الجحفة فاولت ان وبا
المدينة ينقل اليها وهذا من قسم الرويا المعبرة وهي مما ضرب به المثل ووجه التمثيل انه
شق من اسم السودا السوء والدا فتاول خروجها بما جمع اسمها وتاول من ثوران شعر
راسها ان الذي يسوء ويثير الشر يخرج من المدينة وقال القيرواني من اهل التعبير
كل شي غلبت عليه السودا في اكثر وجوهها فهو مكروه وقال غيره ثوران الراس يوول
بالحمي لانها تثير البدن بالاقشعرار وبارتفاع الراس لا سيما من السودا فانها اكثر استيحاشا
ومن ذلك روياه عليه الصلاة والسلام انه في درع حصينة وبقر تنحر وتعبير ذلك
عن ابي موسي عن النبي صلي الله عليه وسلم قال رايت في المنام اني اهاجر من مكة الي
ارض بها نخل فذهب وهلي الي انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب ورايت فيها
بقرا والله خير فاذا هم النفر من المومنين يوم احد واذا الخير ما جا الله به من الخير
وبعد وثواب الصدق الذي اتانا بعد يوم بدر رواه البخاري ومسلم وروي الامام
احمد وغيره عن جابر ان النبي صلي الله عليه وسلم قال رايت كاني في درع حصينة
ورايت بقرا تنحر فاولت الدرع الحصينة المدينة والبقر بقرا ولهذا الحديث

اللفظة الاخيرة وهي بفتح الموحدة وسكون القاف مصدر بقره يبقره بقرا
ولهذا الحديث سبب جا بيانه في حديث ابن عباس عند احمد ايضا والنساي والطبراني
وصححه الحاكم من طريق ابي الزناد عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس
في قصة احد واشارة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ان لا يبرحوا من المدينة
وايثارهم الخروج لطلب الشهادة ولبسه اللامة وندامتهم على ذلك وقوله صلى الله
عليه وسلم لا ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل وفيه اني رايت اني
في درع حصينة الحديث نحو حديث جابر واتم منه وقد تقدمت الاشارة اليه في
غزاة احد من المقصد الاول والمراد بقوله واذا الخير ما جا الله به من الخير وثواب
الصدق الذي اتانا الله بعد يوم بدر فتح خيبر ثم مكة اي ما جا الله به بعد بدر
الثانية من تثبيت قلوب المومنين قال في فتح الباري وفي هذا السياق اشعار بان
قوله في الخبر والله خير من جملة الرويا قال والذي يظهر لي ان لفظة والله خير لم يتحرر
ايراده وان رواية ابن اسحق هي المحررة وانه راى بقرا وراى خيرا فاول البقر على من
قتل من الصحابة يوم احد واول الخير على ما حصل لهم من ثواب الصدق في القتال
والصبر على الجهاد يوم بدر وبعده الى فتح مكة والمراد بالبعدية على هذا لا تختص
بما بين بدر واحد نبه عليه ابن بطال ومن ذلك رويته صلى الله عليه وسلم انه اتي
برطب وروى مسلم عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رايت
الليلة فيما يرى النايم كانا في دار عقبة بن رافع واتينا برطب من رطب ابن طاب
فاولته ان الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الاخرة وان ديننا قد طاب ومن ذلك
رويته صلى الله عليه وسلم سيفا يهزه وتعبيره ما روي في حديث ابي موسى
المتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال ورايت في رويايي هذه اني هززت سيفا
فانقطع صدره فاذا هو ما اصيب به المومنين يوم احد ثم هززته اخرى فعاد
احسن ما كان فاذا هو ما جا الله به من الفتح واجتماع المومنين رواه الشيخان
وهذه ايضا من ضرب المثل ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصول بالصحابة
عبر عن السيف بهم وبهزه عن امره لهم بالحرب وعن القطع فيه بالقتل فيهم وفي اخبا علم
والفتح وقال اهل التعبير السيف يتصرف على اوجه منها ان من نال سيفا فانه
ينال سلطانا اما ولاية واما وديعة واما زوجة واما ولدا فان سله من غمده
فانثلم سلمت زوجته واصيب ولده فان انكسر الغمد وسلم السيف فبالعكس
وان سلما او عطبا فكذلك وقايم السيف يتعلق بالاب والعصبات ونعله بالام
وذوي الرحم وان جرد السيف واراد قتل شخص فهو لسانه يجرده في خصومة
وربما عبر السيف بالسلطان الجاير وقال بعض اهل التعبير ايضا من راى انه اغمد سيفا
فانه يتزوج او ضرب شخصا بسيف فانه يبسط لسانه فيه ومن راى انه

يقاتل

يقاتل اخر وسيفه اطول من سيفه فانه يغلبه ومن راى سيفا عظيما فهو فتنة ومن
قلد سيفا قلده الله امرا فان كان قصيرا لم يدم امره ومن ذلك رويته عليه الصلاة والسلام
على قليب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نايم رايتني على
قليب وعليها دلو فنزعت منها ما شا الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع منها ذنوبا
او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا فاخذها عمر ابن الخطاب
فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع ابن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن والعبقري
القوم سيدهم وكبيرهم وقويهم وفي رواية فلم يزل ينزع حتى تولى الناس والحوض
يتفجر وفي رواية فاتاني ابو بكر فاخذ الدلو من يدي ليريحني وفي رواية موسى عن
سالم عن ابيه رايت الناس اجتمعوا فقام ابو بكر فنزع ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه
ضعف والله يغفر له ثم قام ابن الخطاب فاستحالت غربا فما رايت من الناس يفري
فريه حتى ضرب الناس بعطن رواه البخاري قال النووي قالوا هذا المنام مثال
جرى للخليفتين من ظهور اثارهما الصالحة وانتفاع الناس بهما وكل ذلك ماخوذ من
النبي صلى الله عليه وسلم لانه صاحب الامر فقام به اكمل مقام وقرر قواعد الدين
ثم خلفه ابو بكر فقاتل اهل الردة وقطع دابرهم ثم خلفه عمر فاتسع الاسلام في زمنه
فشبه امر المسلمين بقليب فيه الما الذي فيه حياتهم وصلاحهم واميرهم المستقي لهم
منها وفي قوله فاخذ الدلو من يدي ليريحني اشارة الى خلافة ابي بكر بعد موته
صلى الله عليه وسلم لان الموت راحة من كد الدنيا وتعبها فقام ابو بكر بتدبير امر
الامة ومعاناة احوالهم واما قوله وفي نزعه ضعف فهو اخبار عن حاله في قصر مدة
ولايته واما ولاية عمر فانها لما طالت كثر انتفاع الناس بها واتسعت دايرة الاسلام
بكثرة الفتوح وتمصير الامصار وتدوين الدواوين وليس في قوله عليه الصلاة
والسلام والله يغفر له تنقيص ولا اشارة الى انه وقع ذنب وانما هي كلمة كانوا يقولونها
وقوله فاستحالت في يده غربا اي تحولت الدلو غربا بفتح المعجمة وسكون
الرا بعدها موحدة اي دلوا عظيما واخرج احمد وابو داود عن سمرة بن جندب
ان رجلا قال يا رسول الله رايت كان دلوا دلي من السما فجا ابو بكر فاخذ بعراقيها
فشرب شربا ضعيفا ثم جا عمر فاخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جا عثمان فاخذ
بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جا علي فانتشطت فانتضح عليه منها شي والعراقي
جمع عرقوة الدلو وهي الخشبة المعروضة على فم الدلو وفيها عرقوتان كالصليب
وقد عرقيت الدلو اذا ركبت العرقوة فيها وانتشطت اي جذبت ورفعت
فهذه نبذة من مراتيه الكريمة صلى الله عليه وسلم مع تعبيرها واما ما اراه
غيره فعبره صلى الله عليه وسلم له مما يختص ويعم من امور الدنيا والاخرة فقد
كان صلى الله عليه وسلم اذا انفتل من صلاة الصبح اقبل على اصحابه فقال من

بلغ

بعض

Copyright King Saud University

راي منكم الليلة رويا فليقصها علي اعبرها له فيقص الناس عليه مرآيهم وروي
البخاري والترمذي عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثر ان يقول لاصحابه هل راي منكم احد رويا فيقص الناس عليه من شا الله ان يقص
وانه قال ذات غداة هل راي احد منكم رويا فقالوا ما منا احد راي شيا قال لكني اتاني
الليلة اثنان وانهما ابتعثاني فقالا لي انطلق فانطلقت فاتينا علي رجل مضطجع
واذا اخر قايم عليه بصخرة واذا هو يهوي بالصخرة لراسه فتثلغ راسه الحديث
وكان عليه الصلاة والسلام يسال اصحابه هل راي منكم الليلة احد رويا ما شا الله
ثم ترك السوال فكان يعبر ثم تقص متبرعا واختلف النقلة في سبب تركه السوال
فقيل سبب ذلك حديث ابي بكرة عند الترمذي وابي داود انه صلى الله عليه وسلم
قال ذات يوم من راي منكم رويا فقال رجل انا يا رسول الله رايت كان ميزانا نزل
من السما فوزنت انت وابو بكر فرجحت انت بابي بكر ووزن ابو بكر وعمر فرجح ابو بكر
ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان فراينا الكراهة في وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم انتهى قالوا فمن حينيذ لم يسال النبي صلى الله عليه وسلم احدا
عن رويا قال بعضهم وسبب كراهته عليه الصلاة والسلام اشارة لستر العواقب
واخفا المراتب فلما كانت هذه الروية كاشفة لمنازلهم مبينة لتفضيل بعضهم على
بعض في التعيين خشي ان يتواتر ويتوالي الي ما هو ابلغ في الكشف من ذلك ولله في
ستر خلقه حكمة بالغة ومشية نافذة وقال ابن قتيبة فيما ذكر ابن المنير سبب
تركه السوال حديث ابن زمل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح قال
صلى الله عليه وسلم وهو ثان رجليه سبحان الله وبحمده واستغفر الله ان الله كان
توابا سبعين مرة ثم يقول سبعاية لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم اكثر من سبعماية
ثم يستقبل الناس بوجهه فيقول هل راي احد منكم شيا قال ابن زمل فقلت
ذات يوم انا يا رسول الله قال خير تلقاه وشر توقاه وخير لنا وشر على اعدائنا والحمد
لله رب العالمين اقصص رویاک قال رايت جميع الناس على طريق رحب لاحب
سهل والناس على الجادة منطلقون فبيناهم كذلك اشفا ذلك الطريق بهم على
مرج لم تر عيني مثله يرف رفيفا يقطر نداه فيه من انواع الكلا فكاني بالرعلة
الاولى حين اشرفوا على المرج كبروا ثم اكبوا رواحلهم في الطريق فلم يظلموه يمينا
ولا شمالا ثم جات الرعلة الثانية من بعدهم وهم اكثر منهم اضعافا فلما اشرفوا على
المرج كبروا ثم اكبوا رواحلهم في الطريق فمنهم المرتع ومنهم الاخذ الضغث
ومضوا على ذلك قال ثم قدم عظم الناس فلما اشرفوا على المرج كبروا وقالوا هذا
خير المنزل فمالوا في المرج يمينا وشمالا فلما رايت ذلك لزمت الطريق حتى اتيت
اقصى المرج فاذا انا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وانت في اعلاها درجة

سبعون

واذا

واذا عن يمينك رجل اقنى ادم اذا هو تكلم يسمو يكاد يفرع الرجال طولا واذا عن يسارك
رجل ربعة تار احمر كثير خيلان الوجه اذا هو تكلم اصغيتم اليه اكراما له واذا امام ذلك
شيخ كانكم تقتدون به واذا امام ذلك ناقة عجفا شارف واذا انت كانك تبعثها يا رسول
الله قال فانتقع لون رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سري عنه فقال اما
ما رايت من الطريق الرحب اللاحب السهل فذلك ما حملتكم عليه من الهدى فانتم عليه
واما المرج الذي رايت فالدنيا وغضارة عيشها لم نتعلق بها ولم تردنا ولم نردها واما الرعلة
الثانية والثالثة وقص كلامه فانا لله وانا اليه راجعون واما انت فعلى طريقة
صالحة فلن تزال عليها حتى تلقاني واما المنبر فالدنيا سبعة الاف سنة انا في اخرها
الفا واما الرجل الطويل الادم فذاك موسى نكرمه بفضل كلام الله اياه واما الرجل الربعة
التار الاحمر فذاك عيسى عليه السلام نكرمه بفضل منزلته من الله واما الشيخ الذي رايت
كانا نقتدي به فذلك ابراهيم صلى الله عليه وسلم واما الناقة العجفا الشارف التي
رايتني ابعثها فهي الساعة علينا اي على الامة تقوم لا نبي بعدي ولا امة بعد امتي
قال الراوي فما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا احدا عن رويا الا ان يجي
الرجل متبرعا فيحدثه بها رواه ابن قتيبة والطبراني والبيهقي في الدلايل وسنده
ضعيف جدا ومن غرايب ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم من التعبير ان زرارة بن عمرو
النخعي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد النخع فقال يا رسول الله اني
رايت في طريقي هذا رويا رايت اتانا تركتها في الحي ولدت جديا اسفع احوى فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك من امة تركتها مصرة حملا قال نعم تركت امة
اظنها قد حملت قال فقد ولدت غلاما وهو ابنك قال فما باله اسفع احوى قال ادن
مني فدنا منه قال هل بك برص تكتمه قال نعم والذي بعثك بالحق ما راه مخلوق ولا علم
به قال فهو ذاك قال ورايت النعمان بن المنذر عليه قرطان ودملجان ومسكتان قال
ذاك ملك العرب عاد الى افضل زيه وبهجته قال ورايت عجوزا شمطا تخرج من الارض
قال تلك بقية الدنيا قال ورايت نارا خرجت من الارض فحالت بيني وبين ابن لي فقال
له عمرو ورايتها تقول لظى لظى بصير واعمى اطعموني اكلكم كلكم اهلكم ومالكم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم تلك فتنة تكون في اخر الزمان قال وما الفتنة يا رسول الله قال يقتل الناس
امامهم ثم يشتجرون اشتجار اطباق الراس وخالف صلى الله عليه وسلم بين اصابعه يحسب
المسيء انه محسن ودم المومن عند المومن احلى من شرب الما فانظر الى هذا التعبير البارز
من مشكاة النبوة المحشو حلاوة الحق المكسو طلاوة الصدق المحلى بانوار الوحي والاسفع
الذي اصابه حسده لون اخر والاحوى الاسود ليس بالشديد والمسكتان السواران
من ذهب واطباق الراس عظامه والاشتجار الاختلاف والاشتباك فان قلت تعبيره
عليه الصلاة والسلام بالسوارين هنا يرجع الى بشرى وعبرهما بالكذابين في ما مر

٣٦٣

Copyright King Saud University

اجيب بان النعمان ابن المنذر كان ملك العرب وكان ملكا من جهة الاكاسرة وكانوا يسورون
الملوك ويحلونهم وكان السواران من زي النعمان لبسا منكرين في حقه وكانا موضعين في
غير موضعهما عرفا واما النبي صلى الله عليه وسلم فنهى عن لباس الذهب لاحاد امته
لحديران يمهه ذلك لانه ليس من اهله زيه فاستدل به على امر يوضع في غير موضعه
ولكن حسنت العاقبة بذهابها ولله الحمد ومن ذلك ما روي عن قيس بن عباد بضم العين
تخفيف الموحدة كنت في حلقة فيها سعد ابن مالك وابن عمر فمر عبد الله بن سلام فقالوا
هذا رجل من اهل الجنة فقلت لهم انهم قالوا كذا وكذا قال سبحان الله ما كان ينبغي لهم ان
يقولوا ما ليس لهم به علم انما رايت كانما عمود وضع في روضة خضرا فنصب فيها وفي
راسها عروة وفي اسفلها منصف والمنصف الوصيف فقال ارقه فرقيته حتى اخذت بالعروة
فقال ارقه فرقيته حتى اخذت بالعروة فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يموت عبد الله وهو اخذ بالعروة الوثقى رواه البخاري وفي رواية خرشة
بينا انا نايم اتاني رجل فقال لي قم فاخذ بيدي فانطلقت معه فاذا انا بجواد بجيم ودال
مشددة جمع جادة وهي الطريق المسلوك عن شمال قال فاخذت لاخذ فيها اي اسير فقال
لا تاخذ فيها فانها طريق اصحاب الشمال وفي رواية النسائي من طريقه فبينا انا امشي اذ
عرض لي طريق عن شمالي فاردت ان اسلكها فقال انك لست من اهلها في رواية ثم
فاذا انا بجبل فقال لي اصعد قال فجعلت اذا اردت
ان اصعد خررت حتى فعلت ذلك مرارا وفي رواية ابن عون فقال تلك الروضة
روضة الاسلام وذلك العمود عمود الاسلام وتلك العروة الوثقى لا تزال متمسكا بالاسلام
حتى تموت وفي رواية خرشة عند النسائي وابن ماجة قال رايت خيرا اما المنهج فالمحشر
واما الجبل فهو منزل الشهدا ازاد ولن تناله وهذا علم من اعلام نبوة نبينا صلى الله عليه
وسلم فان عبد الله بن سلام لم يمت شهيدا وانما مات على فراشه في اول خلافة معاوية بالمدينة
وقولهم انه من اهل الجنة اخذوه من قوله لما ذكر طريق الشمال انك لست من اهلها
وانما قال ما كان ينبغي لهم ان يقولوا ما ليس لهم به علم على سبيل التواضع وكراهية ان يشار
اليه بالاصابع خشية ان يدخله العجب عافانا الله من ساير المكاره وقال القيرواني
الروضة التي لا يعرف نبتها تعبر بالاسلام لنضارتها وحسن بهجتها وتعبر ايضا بكل
مكان فاضل وقد تعبر بالمصحف وكتب العلم والعالم ونحو ذلك انتهى وقال غيره من المعبرين
الحلقة والعروة المجهولة تدل لمن تمسك بها على قوته في دينه واخلاصه فيه ومن
ذلك ما رواه البخاري عن ام العلا وهي امراة من نسايهم بايعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم اريت لعثمان بن مظعون بعد موته في النوم عينا تجري فجئت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذلك عمله يجري له وقد قيل يحتمل ان كان
لعثمان شي من عمله بقي له ثوابه جاريا كالصدقة وانكره مغلطاي وقال لم يكن له شي

من

من الامور الثلاثة التي ذكرها مسلم في حديث ابي هريرة رفعه اذا مات ابن ادم انقطع عمله
الا من ثلاث وتعقبه شيخ الحفاظ ابن حجر بانه كان له ولد صالح شهد بدرا وما بعدها
وهو السايب مات في خلافة ابي بكر ~~صالح شهد بدرا وما بعدها~~ بكر فهو احد الثلاث
قال وكان عثمان من الاغنيا فلا يبعد ان يكون له صدقة استمرت بعد موته وقال
المهلب العين الجارية تحتمل وجوها فان كان ماوها صافيا عبرت بالعمل الصالح
والا فلا وقال غيره العين الجارية عمل جار من صدقة او معروف لحي او ميت وقال
اخر عين الماء نعمة وبركة وخير وبلوغ امنية ان كان صاحبها مستورا فان
كان غير عفيف اصابته مصيبة يبكي لها اهل داره والله اعلم فهذا طرف من
تعبيره عليه الصلاة والسلام يهدي الى غيره مما يشابهه والا فالذي نقل عنه
صلى الله عليه وسلم من غرايب التاويل ولطايف التعبير كما قاله ابن المنير لا يحصر
المعدد انه وانه اذا تاملت ان كل كرامة او نبها واحد من هذه الامة في علم او عمل هي
من اثار معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم وسر تصديقه وبركات نظر يقه وثمرات
الاهتدا بهديه وتوفيقه واستحضرت ما اوتيه الامام محمد بن سيرين من
لطايف التعبير مما شاع وذاع واستلات به الاسماع طبق الارض صدقا وصوابا وعجبا
عجابا بل بحرا عبابا تصفيه بان ما منحه صلى الله عليه وسلم من العلوم والمعارف لا يحيط
به العبارات ولا تدركه حقيقة كنهه الاشارة واذا كان هذا ابن سيرين من
واحد من امته عليه الصلاة والسلام نقل عنه في فن التعبير ما لا يعد لكثرة فكيف
به صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه وافاض علينا من سحايب علومه
ومعارفه وعطف علينا بعواطفه الفصل الثالث في انبايه صلى الله عليه
وسلم بالانبا المغيبات اعلم ان علم الغيب يختص بالله تعالى وما وقع منه على لسان
رسوله صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما بوحي او بالهام والشاهد لهذا
قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ليكون
معجزة له واستدل به على ابطال الكرامات واجيب بتخصيص الرسول بالملك
والاظهار بما يكون بغير توسطه وكرامات الاوليا على المغيبات انما تكون تلقيا عن الملايكة
كاطلاعنا على احوال الاخرة بتوسط الانبيا وفي حديث من انه عليه الصلاة والسلام
قال والله اني لا اعلم الا ما علمني ربي فكلما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من الانبا
المنبية عن الغيوب ليس هو الا من اعلام الله له به اعلاما على ثبوت نبوته
ودلايل على صدق رسالته وقد اشتهر وانتشر امره عليه الصلاة والسلام بين
اصحابه بالاطلاع على الغيوب حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت
فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحا ويشهد لهذا قول ابن رواحة
،، وفينا رسول الله يتلو كتابه ، اذا انشق معروف من الصبح ساطع ،،

٣٦٤

Copyright King Saud University

اذا ما الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات ان ما قال واقع

وقول حسان بن ثابت

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد

فان قال في يوم مقالة غايب تصدق بقها في ضحوة اليوم او غد

وهذا الفصل ينقسم قسمين الاول فيما اخبر عليه الصلاة والسلام مما نطق به القران
العظيم من ذلك قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا اخبارا عن غيب تقضي العادة بخلافه ومن ذلك
قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة
تكون لكم الاية فانه قد كانت لقريش قافلتان احدهما ذات غنيمة دون الاخرى
فاخبر الله تعالى عن ظفرهم واخبرهم بما وعد ولا شك ان الوعد كان قبل اللقاء لان
الوعد بالشي بعد وقوعه غير جايز ومن ذلك قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون
الدبر وهذا اخبار عن المستقبل لان السين بمعنى الاستقبال يعني كفار قريش يوم
بدر وكان عددهم ما بين التسعماية الى الالف وكانوا مستعدين بالمال والسلاح وكان
عدد المسلمين ثلثماية وثلاثة عشر رجلا وليس معهم الا فرسان احدهما للزبير بن العوام
والاخرى للمقداد فهزم الله المشركين ومكن المسلمين من قتل ابطالهم واغتنام اموالهم
ومن ذلك قوله تعالى في كفار قريش سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما
اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا يريد ما قذف الله في قلوبهم من الخوف يوم احد
حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادا ابو سفيان يا محمد موعدنا الموسم
بدر القابل ان شيت فقال عليه افضل الصلاة والسلام ان شا الله وقيل لما رجعوا
وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستاصلوا فالقى الله
الرعب في قلوبهم ومن ذلك قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد
غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر الى قوله لا يخلف الله وعده وسبب نزول
هذه الاية ان كسرى وقيصر تقاتلا فغلب كسرى قيصر فساء المسلمين ذلك
لان الروم اهل كتاب ولتعظيم قيصر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وتمزيق كسرى
كتابه وفرح المشركون به فاخبر تعالى ان الروم بعد ان غلبوا سيغلبون في بضع
سنين والبضع ما بين الثلاث الى العشرة فغلبت الروم اهل فارس يوم الحديبية
واخرجوهم من بلادهم وذلك بعد سبع سنين ومن ذلك قوله تعالى فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا فاخبر انهم لا يتمنون الموت بالقلب
ولا النطق باللسان مع قدرتهم عليه ابدا فاخبر فلم يجد مخبره كما اخبر فلولم
يعلموا ما يلحقهم من الموت لسارعوا الى تكذيبه بالتمني ولو لم يعلموا ذلك لخشي
ان يجيبوا اليه فيقضي عليه بالكذب قال البيضاوي وهذه الجملة اخبار

بالغيب

بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب
فيخفي وروي مرفوعا لو تمنوا الموت لغص كل انسان منهم بريقه فمات مكانه وما
بقي يهودي على وجه الارض ومن ذلك قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الاية هذا وعد
من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بان سيجعل امته خلفا الارض ايمة الناس
والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلن بعد خوفهم من الناس
امنا وحكما فيهم وقد فعل تعالى ذلك ولله الحمد والمنة فانه لم يمت صلى الله عليه
وسلم حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وساير جزيرة العرب وارض اليمن
بكمالها واخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض اطراف الشام وهاداه هرقل
ملك الروم وصاحب مصر والاسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي
ملك الحبشة الذي تملك بعد اصحمة رحمه الله ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالامر بعده خليفته ابو بكر الصديق
رضي الله عنه فلم شعث ما وهى عند موته عليه الصلاة والسلام واخذ جزيرة
العرب ومهدها وبعث الجيوش الاسلامية الى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد ففتحوا
طرفا منها وجيشا اخر صحبة ابي عبيدة الى ارض الشام وجيشا ثالثا صحبة عمرو
ابن العاص الى بلاد مصر ففتح الله للجيش الشامي في ايامه بصرى ودمشق ومخاليفهما
من بلاد حوران وما والاها ثم توفاه الله واختار له ما عنده ومن على الاسلام واهله
بان الهم الصديق ان يستخلف عمر الفاروق فقام في الامر بعده قياما تاما لم يدر الفلك
بعد الانبيا على مثله في قوة سيرته وكمال عدله وتم في ايامه فتح البلاد الشامية
بكمالها وديار مصر الى اخرها واكثر اقليم فارس وكسر كسرى واهانه غاية الهوان
وتقهقر الى اقصى مملكته وقصر قيصر ونزع يده من بلاد الشام فانحاز الى
قسطنطينية وانفق اموالها في سبيل الله كما اخبر بذلك ووعد به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الاسلامية
الى اقصى مشارق الارض ومغاربها ففتحت بلاد الى اقصى ما هنالك اندلس و
قبروان وسبتة مما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق الى اقصى بلاد الصين
وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية وفتحت مداين العراق وخراسان والاهواز وقتل
المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدا وجيء بالخراج من المشارق والمغارب الى
حضرة امير المومنين عثمان بن عفان وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه
للامة على حفظ القران فيما نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله
ورسوله ومن ذلك قوله تعالى ضربت عليهم الذلة والمسكنة فاليهود اذل
الكفار في كل مكان وزمان كما اخبر ومن ذلك قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله

وقوله

لغيبها

Copyright King Saud University

بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وهو ظاهر في العيان بان
دين الاسلام كما اخبر عال على سائر الاديان ومن ذلك قوله اذا جاء نصر الله الى اخرها
فكان كما اخبر دخل الناس في الاسلام افواجا بعده صلى الله عليه وسلم في بلاد العرب
كلها موضع لم يدخله الاسلام الى غير ذلك مما يطول استقصاؤه الفصل الثالث فيما
اخبر عليه الصلاة والسلام من الغيوب سوى ما في القران العزيز فكان كما اخبر به في
حياته وبعد مماته اخرج الطبراني عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة كانما انظر
الى كفي هذه وعن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك
شيئا في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من
نسيه قد علمه اصحابي هولاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يعرف الرجل
وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام
تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي
الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا وقد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته
رواه ابو داود وروى مسلم من حديث ابن مسعود في الدجال فيبعثون عشرة
فوارس طليعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف اسماهم واسما ابايهم
والوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الارض يومئذ فوضح من هذا الخبر وغيره مما
ياتي من الاخبار ويخ من خواطر الابرار الاخيار انه صلى الله عليه وسلم عرفهم بما يقع
في حياته وبعد موته وما قد اخبر وقوعه فلا سبيل الى ترته وقال ابو ذر لقد
تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السما الا ذكر لنا
منه علما ولا شك ان الله تعالى قد اطلعه على ازيد من ذلك والقى عليه علم الاولين
والاخرين واما علم عوالم المعارف الالهية فتلك لا يتناهى عددها واليه صلى
الله عليه وسلم ينتهي مددها ومن ذلك ما رواه الشيخان عن ابي هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي للناس في اليوم الذي مات فيه وخرج به
الى المصلى وصف بهم وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات وفي حديث انس عند احمد
والبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد احدا ومعه ابو بكر
وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال له اثبت احد فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان فكان كما اخبر عليه الصلاة والسلام ومن ذلك ما رواه الشيخان
من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا هلك كسرى فلا كسرى
بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما
في سبيل الله قال النووي قال الشافعي وساير العلما معناه لا يكون كسرى في
العراق ولا قيصر بالشام كما كان في زمنه عليه الصلاة والسلام فاعلمنا صلى الله عليه

وسلم بانقطاع ملكهما من هذين الاقليمين وكان كما قال فاما كسرى فانقطع ملكه
وزال بالكلية من جميع الارض وتمزق ملكه كل ممزق واضمحل بدعوة النبي صلى
الله عليه وسلم واما قيصر فانهزم من الشام ودخل اقصى بلاده فافتتح المسلمون
بلاده واستقرت للمسلمين ولله الحمد انتهى وقد وقع ذلك في خلافة سيدنا عمر بن
الخطاب كما قدمته وقال عليه الصلاة والسلام لسراقة كيف بك اذا البست
سواري كسرى فلما اتي بها عمر البسها اياه وقال الحمد لله الذي سلبها كسرى
والبسها سراقة ومن ذلك اخباره عليه الصلاة والسلام بالمال الذي تركه عمه
العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم كما تقدم
ذلك في غزوة بدر من المقصد الاول واخباره بشان كتاب حاطب الى اهل مكة وبموضع
ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بخطامها في الشجرة ولما رجع المشركون يوم الاحزاب
قال النبي صلى الله عليه وسلم الان نغزوهم ولا يغزونا فلم يغزو رسول الله بعده
وبعث صلى الله عليه وسلم جيشا الى موته وامر عليهم زيد بن حارثة فان اصيب
فجعفر بن ابي طالب فان اصيب فعبد الله بن رواحة فلما التقى المسلمون بموته جلس
النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فكشف له حتى نظر الى معركتهم فقال اخذ الراية
زيد بن حارثة حتى استشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا له ثم اخذ الراية جعفر
ابن ابي طالب حتى استشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا لاخيكم جعفر ثم اخذ الراية
عبد الله ابن رواحة فاستشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا لاخيكم فاخبر اصحابه
بقتلهم في الساعة التي قتلوا فيها وموته دون دمشق بارض البلقا وعن اسما بنت
عميس قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة اليوم الذي قتل فيه
جعفر واصحابه فقال يا اسما اين بنو جعفر فجئت بهم فضمهم وشمهم ثم ذرفت عيناه
بالدموع فبكى فقلت يا رسول الله ابلغك عن جعفر شي قال نعم قتل اليوم رواه
يعقوب الاسفرايني في كتابه دلايل الاعجاز واخرجه ابن اسحق والبغوي ومن
ذلك قوله عليه الصلاة والسلام زويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وكان امتدت في المشارق والمغارب ما بين اقصى
الهند الى اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراه وذلك ما لم امة من
الامم ومن ذلك اعلامه قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على
بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال عليه
الصلاة والسلام ومن ذلك ما رواه الطبراني في الكبير والبزار من حديث ابن عمر
قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد منى فاتاه رجل من الانصار
ورجل من ثقيف فسلما ثم قالا يا رسول الله جينا نسالك فقال ان شيتما اخبرتكما
بما جيتما تسالاني عنه فعلت وان شيتما ان امسك وتسالاني فعلت فقالا اخبرنا

Copyright King Saud University

يا رسول الله فقال جيتني تسالني عن مخرجك من بيتك يوم البيت الحرام وما لك فيه وعن
ركعتيك بعد الطواف وما لك فيهما وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه وعن
وقوفك عشية عرفة وما لك فيه وعن رميك الجمار وما لك فيه وعن نحرك وما لك فيه
مع الاضافة فقال والذي بعثك بالحق لعن هذا جيت اسالك ومن ذلك ما روي عن
واثلة ابن الاسقع قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من اصحابه
يحدثهم فجلست وسط الحلقة فقال بعضهم يا واثلة قم من هذا المجلس فقد نهينا
عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوني واياه فاني اعلم الذي اخرجه من منزله
قلت يا رسول الله الذي اخرجني قال اخرجك من منزلك لتسال عن البر وعن
الشك قال قلت والذي بعثك بالحق ما اخرجني غيره فقال صلى الله عليه وسلم البر
ما استقر في الصدر واطمان اليه القلب والشك ما لم يستقر في الصدر فدع ما يريبك
الى ما لا يريبك وان افتاك المفتون ومن ذلك قوله لفاطمة رضي الله عنها في مرضه
ان اول اهلي لحوقا بي فعاشت بعده ثمانية اشهر وقيل ستة اشهر وقوله عليه الصلاة
والسلام لنسايه اسرعكن بي لحوقا اطولكن يدا فكانت زينب بنت جحش لانها كانت
تعمل بيدها وتتصدق ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لعلي اتدري من اشقى الاخرين
قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك اخرجه احمد في المناقب وعند ابن ابي حاتم الذي
يضربك على هذه واشار الى يافوخه وعند المحاملي قال علي عهد الي رسول الله صلى الله
عليه وسلم لتخضبن هذه من هذه واشار الى لحيته وراسه وعند الضحاك الذي
يضربك على هذه فيسيل منها هذه واخذ بلحيته فضربه عبد الرحمن بن ملجم وعند
الطبراني وابي نعيم من حديث جابر مرفوعا انك مومر مستخلف وانك مقتول
وان هذه مخضوبة من هذه وقال صلى الله عليه وسلم لمعاوية اما انك ستلي امر امتي
بعدي فاذا كان ذلك فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيهم قال معاوية فما زلت ارجوها
حتى قمت مقامي هذا رواه ابن عساكر واخرج ابن عساكر ايضا من حديث عروة
ابن رويم مرفوعا لن يغلب معاوية ابدا وان عليا قال يوم صفين لو ذكرت
هذا الحديث ما قاتلت معاوية ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام يقتل هذا يومئذ
مظلوما واشار الى عثمان رضي الله عنه خرجه البغوي في المصابيح من الحسان والترمذي
وقال حسن غريب وخرجه احمد فكان كما قال عليه الصلاة والسلام فاستشهد
في الدار وبين يديه المصحف فنضح الدم على هذه الاية فسيكفيكهم الله وهو السميع
العليم وفي الشفا عليه الصلاة والسلام قال يقتل عثمان وهو يقرا في المصحف وان الله
عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم
الله انتهى وقد اخرجه الحاكم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يا عثمان تقتل وانت تقرا سورة البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله

لكن

لكن قال الذهبي انه حديث موضوع وقد روى مسلم عن اسامة ابن زيد ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اشرف على اطم من اطام المدينة ثم قال هل ترون ما ارى اني لارى مواقع
الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر فوقعت الفتنة بقتل عثمان وتتابعت الفتن
الى فتنة الحرة وكانت لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين من الهجرة
وجرت فيها وقايع كثيرة موجودة في كتب التواريخ واخرج البيهقي عن الحسن قال
لما كان يوم الحرة قتل اهلي حتى لا يكاد ينفلت منهم احد واخرج ايضا عن مالك بن انس
قال قتل يوم الحرة سبع مائة رجل من حملة القران منهم ثلثماية من الصحابة وذلك
في خلافة يزيد واخرج ايضا عن مغيرة قال انهب مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة ايام
وافتض فيها الف عذرا وقال عليه الصلاة والسلام لابي موسى وهو قاعد على قف بير
اريس لما طرق عثمان الباب ايذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه اشارة
الى ما تقدم من استشهاد يوم الدار بل اصرح من ذلك كله ما رواه احمد عن ابن
عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فمر رجل فقال يقتل فيها يومئذ
ظلما قال فنظرت فاذا هو عثمان واسناده صحيح واخبر عليه الصلاة والسلام بوقعة
الجمل وصفين وقتال عايشة والزبير عليا كما اخرجه الحاكم وصححه والبيهقي عن
ام سلمة قالت ذكر صلى الله عليه وسلم خروج بعض امهات المومنين فضحكت
عايشة فقال انظري يا حميرا الا تكوني انت ثم التفت الى علي ان وليت من امرها
شيا فارفق بها وعن ابن عباس مرفوعا ايتكن صاحبة الجمل الادبب تخرج حتى تنبحها كلاب
الحوأب ويقتل حولها قتلى كثيرة تنجو بعد ما كادت رواه البزار وابو نعيم واخرج
الحاكم وصححه والبيهقي عن ابي الاسود قال شهدت الزبير خرج يريد عليا فقال له
علي انشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله وانت
له ظالم فمضى الزبير منصرفا وفي رواية ابي يعلى والبيهقي فقال الزبير بلى ولكن نسيت
ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الحسن بن علي ان ابني هذا سيد وسيصلح به
بين فيتين عظيمتين من المسلمين رواه البخاري فكان كما قاله عليه الصلاة والسلام
لانه لما قتل علي بن ابي طالب بايع الحسن اكثر من اربعين الفا فبقي سبعة اشهر خليفة
بالعراق وما وراء النهر من خراسان ثم سار الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراءا الجمعان
بموضع يقال له مسكن بناحية الانبار من ارض السواد فعلم ان لن يغلب احد
الفيتين حتى يذهب اكثر الاخرى فكتب الى معاوية يخبره ان يصير الامر اليه
على ان يشترط عليه ان لا يطلب احدا من اهل المدينة والحجاز والعراق بشي مما
كان في ايام معاوية فاجابه معاوية الا عشرة فلم يزل يراجعه حتى بعث اليه برق
ابيض وقال اكتب ما شيت فيه وانا التزمه واصطلحا على ذلك فكان الامر كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سيصلح بين فيتين عظيمتين من المسلمين

بلغ

هذا

فقال

الله

٣٦٧

واخرج الدولابي ان الحسن قال كانت جاج المسلمين العرب بيدي يسالمون
من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغا وجه الله تعالى وحقن دما
المسلمين ومن ذلك اعلامه عليه الصلاة والسلام بقتل الحسين بالطف واخرج
بيده تربة وقال فيها مضجعه رواه البغوي في معجمه من حديث انس بن
مالك بلفظ استاذن ملك القطر ربه ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم فاذن
له وكان في يوم ام سلمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل
احد فبينما هي على الباب اذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ويقبله فقال له الملك اتحبه قال نعم قال
ان امتك ستقتله وان شئت اريك المكان الذي يقتل به فاراه فجا بسهلة او تراب احمر فاخذته
ام سلمة فجعلته في ثوبها قال ثابت كنا نقول انها كربلا واخرجه ابو حاتم في صحيحه
ورواه احمد بنحوه والسهلة بالكسر رمل خشن ليس بالدقاق الناعم وفي رواية الملا
قالت ثم ناولني كفا من تراب احمر وقال ان هذا من تربة الارض التي يقتل بها فمتى صار
دما فاعلمي انه قد قتل قالت ام سلمة فوضعته في قارورة عندي وكنت اقول ان يوما
يتحول فيه دما ليوم عظيم الحديث واستشهد الحسين كما قال عليه الصلاة والسلام
بكربلا من ارض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع ايضا بالطف وقتله سنان
ابن انس النخعي وقيل غيره ولما قتلوه بعثوا راسه الى يزيد فنزلوا اول مرحلة
فجعلوا يشربون بالراس فبينما هم كذلك اذ خرجت عليهم يد من الحائط معها قلم من
حديد فكتبت سطرا بدم ؛ اترجو امة قتلت حسينا ؛ شفاعة جده يوم الحساب ؛
فهربوا وتركوا الراس خرجه منصور بن عمار وذكر ابو نعيم الحافظ في كتاب
دلائل النبوة عن نضرة الازدية انها قالت لما قتل الحسين بن علي امطرت السما
دما فاصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوة دما وكذا روي في احاديث غير هذه وقال
عليه الصلاة والسلام لعمار تقتلك الفئة الباغية رواه البخاري ومسلم فكان كما قال
عليه الصلاة والسلام ومن ذلك ما رواه ابو عمر ابن عبد البر ان عبد الله ابن عمر راى
رجلا مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرفه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايته قال نعم
قال ذاك جبريل اما انك ستفقد بصرك فعمي في اخر عمره ومن قوله صلى الله عليه وسلم
لثابت بن قيس بن شماس تعيش حميدا وتقتل شهيدا رواه الحاكم وصححه والبيهقي
وابو نعيم فقتل يوم مسيلمة الكذاب باليمامة ومن ذلك قوله لعبد الله بن الزبير
ويل لك من الناس وويل للناس منك فكان من امره مع الحجاج ما كان ومن ذلك حديث
ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الدين بدا نبوة ورحمة ثم يكون خلافة
ورحمة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون سلطانا وجبرية وقوله ملكا عضوضا اي
يصيب الرعية فيه عسف وظلم كانهم يعضون فيه عضا وفي حديث سفينة

عند ابي داود والترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة في امتي ثلاثين سنة
ثم ملك بعد ذلك قال سعيد بن جمهان امسك خلافة ابي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان
وخلافة علي فوجدناها ثلاثين سنة فقيل له ان بني امية يزعمون ان الخلافة فيهم فقال
كذب بنو الزرقا بل هم ملوك من شر الملوك واخرج ابو نعيم عن ابن عباس ان ام الفضل
مرت به صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فايتيني به قالت فلما
ولدته اتيته به فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى والباه من ريقه وسماه عبد الله
وقال اذهبي بابي الخلفا فاخبرت العباس فاتاه فذكر له فقال هو ما اخبرتك هذا
ابو الخلفا حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي حتى يكون منهم من يصلي
بعيسى بن مريم واخرج ابو يعلى عن معاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ليظهرن الترك على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم ومن ذلك
اخباره عليه الصلاة والسلام بعالم المدينة اخرج الحاكم وصححه عن ابي هريرة انه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوشك الناس ان يضربوا اكباد الابل فلا يجدوا عالما اعلم من
عالم المدينة قال سفيان بن عيينة نرى هذا العالم مالك بن انس وقال عبد الرزاق
ولم يعرف بهذا الاسم غيره ولا ضربت اكباد الابل الى احد مثل ما ضربت اليه وقال ابو
مصعب كان الناس يزدحمون على باب مالك ويقتتلون عليه من الزحام يعني
لطلب العلم وممن روى عنه من الائمة المشهورين محمد بن شهاب الزهري والسفيا نين
والشافعي والاوزاعي امام اهل الشام والليث بن سعد امام اهل مصر وابو حنيفة
النعمان بن ثابت الامام وصاحباه ابو يوسف ومحمد بن الحسين وعبد الرحمن بن مهدي
شيخ الامام احمد ويحيى بن يحيى شيخ البخاري وابو رجا قتيبة بن سعيد شيخ البخاري
ومسلم وذا النون المصري والفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وابراهيم بن ادهم
كما نقله العلامة عيسى بن مسعود الزواوي في كتابه المنهج السالك الى معرفة
قدر الامام مالك واخباره بعالم قريش عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تسبوا قريشا فان عالمها يملا طباق الارض علما رواه ابو داود الطيالسي
في مسنده وفيه الجارود مجهول لكن له شواهد عن ابي هريرة من تاريخ بغداد للخطيب
وعن علي وابن عباس في المدخل للبيهقي قال الامام احمد وغيره هذا الامام هو الشافعي
لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم قرشي من الصحابة وغيرهم ما انتشر من
علم الشافعي وما كان الامام احمد يذكر حديثا موضوعا يحتج به او يستانس به
لامر يتعلق بالشافعي واما قوله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عالم
قريش الى اخره بصيغة التمريض احتياطا للشك في ضعفه فان اسناده لا يخلو
من ضعف قاله العراقي ردا على الصاغاني في زعمه انه موضوع وقد جمع الحافظ
ابن حجر طرقه في كتاب سماه لذة العيش في طرق حديث الائمة من قريش كما افاده

٣٦٨

Copyright King Saud University

شيئا واخبر عليه الصلاة والسلام بان طايفة من امته لا يزالون ظاهرين على الحق
حتى ياتي امر الله رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة وبان الله يبعث الى هذه الامة
على راس كل ماية سنة من يجدد لها دينها رواه الحاكم من حديث ابي هريرة وبذهاب
الامثل فالامثل رواه الحاكم وصححه بلفظ يذهبون الخير فالخير وبالخوارج رواه الشيخان
من حديث ابي سعيد الخدري بلفظ بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يقسم قسما اذ اتاه ذو الخويصرة فقال يا رسول الله اعدل قال ويلك ومن
يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب
عنقه فقال عليه الصلاة والسلام فقال دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم
وصيامه مع صيامهم يقراون القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم
من الرمية ايتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي المراة او مثل البضعة تدردر
يخرجون على خير فرقة من الناس قال ابو سعيد فاشهد اني سمعت هذا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم واشهد ان علي بن ابي طالب قاتلهم وانا معه وامر بذلك
الرجل فالتمس فوجد فاتي به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم واخبر عليه الصلاة والسلام ايضا بالرافضة اخرجه البيهقي عن علي قال قال رسول الذي نعته
الله صلى الله عليه وسلم تكون في امتي قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام واخبر
ايضا بالقدرية والمرجية وقال هم مجوس هذه الامة رواه الطبراني في الاوسط عن
انس وقد اخبر عليه الصلاة والسلام اصحابه باشيا بين موته وبين الساعة وحذر من
مفاجاتها كما يحذر من حاد عن الطاعة فان الساعة لا تقوم حتى تظهر جملة من الامارات
في العالم فاذا جاءت الطامة الكبرى بطيش منها الجاهل والعالم كما روي من رفع الامانة
والقران واشتهار الخيانة وحسن الاوزان وقلة الرجال وكثرة النسوان الى غير ذلك مما
شهدت بصحته الاخبار وقضى بحقيقته وقوعه الاعتبار وقد تعين ان يذكر
طرف من الاثار الصحاح والحسان فروى البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فيتان عظيمتان يكون بينهما
مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين
كلهم يزعم انه رسول الله وحتى يقبض العلم ويكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر
الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم من يقبض صدقته
وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا ارب لي فيه وحتى يتطاول الناس
في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ليتني مكانه وحتى تطلع الشمس
من مغربها فاذا طلعت وراها الناس اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم
تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما
فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته

فـ

فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة
وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها فهذه ثلاثة عشر علامة جمعها ابو هريرة في حديث
واحد ولم يبق بعد هذا ما ينظر من صحيح العلامات والاشراط وقد ظهر اكثر هذه
العلامات فاما قوله حتى تقتتل فيتان عظيمتان دعواهما واحد فيريد فتنة
معاوية وعلي بصفين قال القاضي ابو بكر بن العربي وهذا اول خطب طرق الاسلام
وتعقبه القرطبي بان اول امر دهم الاسلام موت النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعده
موت عمر لان بموته صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي وكان اول ظهور الشر ارتداد
العرب وغير ذلك وبموت عمر سل سيف الفتنة فقتل عثمان وكان من قضا الله وقدره
ما كان ويكون واما قوله دجالون كذابون قريب من ثلاثين فقد جا عددهم معينا من
حديث حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في امتي دجالون
كذابون سبعة وعشرون منهم اربع نسوة وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي اخرجه
الحافظ ابو نعيم وقال هذا حديث غريب قال القاضي عياض هذا الحديث قد
ظهر فلو عد من تنبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الان ممن اشتهر بذلك لوجد
هذا العدد ومن طالع كتب التواريخ عرف صحة هذا وقوله حتى يقبض العلم فقد قبض
العلم ولم يبق الا رسمه واما الزلازل فوقع منها شي كثير وقد شاهدنا بعضها واما قوله
حتى يكثر فيكم المال فيفيض وحتى يهم رب المال من يقبل صدقته فهذا مما لم يقع وقوله
حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه لما يرى من عظيم البلا ورياسة الجهلا
وخمول العلما وغير ذلك مما ظهر كثير منه وفي حديث ابي هريرة عند الشيخين ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضي
لها اعناق الابل ببصرى وقد خرجت نار عظيمة على قرب مرحلة من المدينة وكان بدوها
زلزلة عظيمة في ليلة الاربعا بعد العشا بثالث جمادى الاخرة سنة اربع وخمسين
وستماية وفي يوم الثلاثا اشتدت حركتها وعظمت رجفتها وتتابعت خطفتها وارتجت
الارض ومن عليها وعجت الاصوات لبارئها ودامت الحركة اثر الحركة حتى ايقن اهل
المدينة بوقوع الهلكة وزلزلوا زلزالا شديدا من جملة ثمانية عشر حركة في يوم واحد
دون ليلته قال القرطبي وكان بالمدينة ببركته صلى الله عليه وسلم نسيم بارد وشوهد
من هذه النار غليان البحر وانتهت الى قريب من قرى اليمن فاحرقتها قال وقال لي بعض كما غليان
اصحابنا ولقد رايتها صاعدة في الهوى من مسيرة خمسة ايام قال وسمعت انها رايت
من مكة ومن جبال بصرى وقال الشيخ قطب الدين القسطلاني اقامت اثنان وخمسون
يوما قال وكان انطفاوها في السابع والعشرين من شهر رجب ليلة الاسرا والمعراج به
صلى الله عليه وسلم وبالجملة فاستيفا الكلام على هذه النار يخرج عن المقصود وقد نبه
عليها القرطبي في التذكرة وافردها بالتاليف الشيخ قطب الدين القسطلاني في كتاب سماه

٣٦٩

Copyright King Saud University

التاسع

جل الايجاز في الاعجاز بنال المجاز فاني فيه من دقايق الحقايق بالعجب العجاب والله الموفق للصواب

الفصل التاسع من لطيفة من عباداته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين فامره تعالى بعبادته حتى ياتيه الموت وهو المراد باليقين وانما سمي الموت باليقين لانه امر متيقن فان قلت ما الفايدة في قوله تعالى حتى ياتيك اليقين وكان قوله واعبد ربك كافيا في الامر في العبادة اجاب القرطبي تبعا لغيره بانه لو قال واعبد ربك مطلقا ثم عبده مرة واحدة كان مطيعا ولما قال حتى ياتيك اليقين اي اعبد ربك في جميع زمان حياتك ولا تخل لحظة من لحظات الحياة من هذه العبادات كما قال العبد الصالح واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وهذا مصير منه الى ان الامر المطلق لا يفيد التكرار وهي مسيلة معروفة في كتب الاصول اختلف فيها وهي هل الامر المطلق يفيد التكرار والمرة الواحدة او لا يفيد شيا منهما على مذاهب الاول انه لا يفيد التكرار ولا ينافيه بل انما يفيد طلب فعل المامور به من غير اشعار بالمرة او المرات لكن المرة ضرورية لاجل تحقيق الامتثال اذ لا يوجد الماهية باقل منها وهذا اختيار الامام مع نقله له عن الاقلين ورجحه الامدي وابن الحاجب وغيرهما الثاني انه يفيد التكرار مطلقا كما ذهب اليه الاستاد ابو اسحق الاسفرايني وابو حاتم القزويني فان عين للتكرار امدا استوعبه والا استوعب زمان العمر لكن بحسب الامكان فلا يستوعب زمان قضا الحاجة والنوم وغيرهما من الضروريات الثالث انه يدل على المرة حكاه الشيخ ابو اسحق في شرح اللمع عن اكثر اصحابنا وابي حنيفة وغيرهم وان علق بشرط او صفة اقتضى التكرار بحسب تكرار المعلق به نحو وان كنتم جنبا فاطهروا والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة انتهى ملخصا من شرح العلامة ابي الحسن الاشموني لنظم جمع الجوامع للعلامة السبكي وقد روى جبير بن نفير مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اوحي الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين رواه البغوي في شرح السنة وابو نعيم في الحلية عن ابي مسلم الخولاني وقد امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الاية باربعة اشيا التسبيح والتحميد والسجود والعبادة واختلف العلما في انه كيف صار الاقبال على مثل هذه الطاعات سببا لزوال ضيق القلب والحزن فحكى الامام فخر الدين الرازي عن بعض المحققين انه قال اذا اشتغل الانسان بمثل هذه الانواع من العبادات انكشفت له اضواء عالم الربوبية ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة واذا صارت حقيرة خف على القلب فقدانها ووجدانها فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجدانها وعند ذلك يزول الحزن والغم قال اهل السنة اذا نزل بالعبد بعض المكاره فزع الى الطاعات كانه يقول يجب علي عبادتك سوا اعطيتني الخيرات او القيتني في المكروهات وقال تعالى بحمد

فاعبده

فاعبده واصطبر لعبادته فامره تعالى عليه الصلاة والسلام بالعبادة والمصابرة على مشاق التكاليف في الانذار والابلاغ فان قلت لم لم يقل واصطبر على عبادته بل قال واصطبر لعبادته فالجواب لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته والمعنى ان العبادة تورد عليك شدايد ومشاق فاثبت لها قاله الفخر الرازي وقال تعالى ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه فاول درجات السير الى الله عبودية الله واخرها التوكل عليه واذا كان العبد لا يزال مسافرا الى ربه لا ينقطع سيره اليه ما دام في قيد الحيا فهو محتاج الى زاد العبادة لا يستغني عنه البتة ولو اتى باعمال الثقلين جميعا وكلما كان العبد الى الله اقرب كان جهاده في الله اعظم قال تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اعظم الخلق اجتهادا وقياما بوظايف العبادة ومحافظة عليها الى ان توفاه الله تعالى وتامل اصحابه رضي الله عنهم فانهم كانوا كلما ازدادوا من القرب ازدادوا اعظم جهادهم واجتهادهم ولا يلتفت الى ما يظنه بعض المنتسبين الى التصوف حيث قال للقرب الحقيقي ينتقل العبد من الاعمال الظاهرة الى الاعمال الباطنة ويريح الجسد والجوارح من كد العمل زاعما بذلك سقوط التكليف عنه وهو لا اعظم كفرا والحادا حيث عطلوا العبودية وظنوا انهم استغنوا عنها بما حصل لهم من الخيالات الباطلة التي هي من اماني النفس وخدع الشيطان فلو وصل العبد من القرب الى اعلى مقام يناله العبد لما سقط عنه من التكليف مثقال ذرة ما دام قادرا عليه وقد اختلف العلما هل كان عليه الصلاة والسلام قبل بعثته متعبدا بشرع من قبله ام لا فقالت جماعة لم يكن متبعا لشي وهو قول الجمهور واحتجوا بانه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يوثر شي من ذلك جملة وذهبت طايفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا والتعليل الاول المستند الى النقل اولى وذهب اخرون الى الوقف في امره عليه الصلاة والسلام وترك قطع الحكم عليه بشي في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل وهذا مذهب الامام ابي المعالي وقال اخرون كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم على التعيين واحجم وجسر بعضهم على التعيين فصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة والاظهر منها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شي من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى عليه السلام اخر الانبيا فلزمت شريعته من جا بعده اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا من كلام القاضي عياض وهو

Copyright King Saud University

كلام حسن بديع لكن قوله فهذه جملة المذاهب فيه نظر لانه بقي عليه منها شي فقد قيل
شريعة آدم ايضا وهو يحكى عن ابن برهان وقيل جميع الشرايع حكاه صاحب المحصول
عن المالكية واما من قال انه عليه الصلاة والسلام كان على شريعة ابراهيم وليس له شرع
هو منفرد به وان المقصود من بعثته صلى الله عليه وسلم احيا شرع ابراهيم وعول
في اثبات مذهبه على قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فهذا
قول ساقط مردود فهذا لا يصدر مثله الا عن سخيف العقل كثيف الطبع وانما المراد
بهذه الاية الاتباع في التوحيد لانه لما وصف ابراهيم عليه السلام في هذه الاية
بانه ما كان من المشركين فلما قال ان اتبع كان المراد ذلك ومثله قوله تعالى اولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم يكن له
شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد
سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية وشرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل
على ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى **فان قيل** النبي صلى الله
عليه وسلم انما نفى الشرك واثبت التوحيد بنا على الدلايل القطعية واذا كان كذلك
لم يكن متابعا لاحد فيمتنع حمل قوله ان اتبع على هذا المعنى فوجب حمله على الشرايع
التي تصح حصول المتابعة فيها **اجاب** الفخر الرازي بانه يحتمل ان يكون المراد
الامر بمتابعته في كيفية الدعوى الى التوحيد وهو ان يدعوا اليه بطريق الرفق
والسهولة وايراد الدلايل مرة بعد اخرى بانواع كثيرة على ما هو الطريقة المالوفة
في القرآن وقد قال صاحب الكشاف لفظة ثم في قوله ثم اوحينا اليك يدل على تعظيم
منزلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله فان اشرف ما اوتي خليل الله من
الكرامة واجل ما اوتي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل
ان هذه اللفظة دلت على تباعد النعت في المرتبة على ساير المدايح التي مدحه الله
بها انتهى ومراده بالمدايح المذكورة في قوله ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك
من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا حسنة
وانه في الاخرة لمن الصالحين وقال ابن العراقي في شرح تقريب الاسانيد وليت شعري
كيف تلك العبادة واي انواعها وعلى اي وجه فعلها يحتاج لذلك لنقل ولا استحضره
الآن انتهى وقال شيخ الاسلام البلقيني في شرح البخاري لم يجي في الاحاديث التي وقفنا عليها
كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام **روى** ابن اسحق وغيره انه عليه الصلاة والسلام
كان يخرج الى حرا في كل عام شهرا من السنة يتنسك فيه وكان من نسك قريش في الجاهلية
ان يطعم الرجل من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى
يطوف بالكعبة وحمل بعضهم التعبد على التفكر قال وعندي ان هذا التعبد يشتمل
على انواع وهي الانعزال عن الناس كما صنع ابراهيم عليه السلام باعتزاله قومه والانقطاع

الى الله

بلغ

الى الله فان انتظار الفرج عبادة كما رواه علي بن ابي طالب مرفوعا وينضم الى ذلك الانكار
وعن بعضهم كانت عبادته عليه الصلاة والسلام في حرا التفكر انتهى **وقد** آن ان اشرع
فيما قصدته على النحو الذي اردته وقد اقتصرت على عباداته صلى الله عليه وسلم على
سبعة انواع **النوع الاول في الطهارة وفيه فصول الاول في ذكر وضوئه صلى
الله عليه وسلم وسواكه ومقدار ما كان يتوضا به** اعلم ان الوضوء بالضم الفعل وبالفتح
الما الذي يتوضا به على المشهور فيهما وهو مشتق من الوضاة وسمي به لان المصلي
يتنظف به فيصير وضيا وقد استنبط بعض العلما كما حكاه في فتح الباري ايجاب
النية في الوضوء من قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم لان التقدير
اذا اردتم القيام الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم لان التقدير اذا اردتم القيام الى الصلاة
فتوضؤوا لاجلها ومثله قوله اذا رايت الامير فقم اي لاجله وقال ابن القيم لم يرو انه صلى
الله عليه وسلم كان يقول في اول وضوئه نويت رفع الحدث ولا غيرها لا هو ولا اصحابه
البتة ولم يرو عنه لا باسناد صحيح ولا ضعيف انتهى **قلت** اما التلفظ بالنية فلا نعلم
انه روي عنه صلى الله عليه وسلم واما كونه اتى بها فقد قال الامام فخر الدين الرازي
في المعالم اعلم انا اذا اردنا في امر من الامور انه هل فعله الرسول صلى الله عليه وسلم
فلنا الى اثباته طرق الاول انا اذا اردنا ان نقول انه عليه الصلاة والسلام توضا
مع النية والترتيب قلنا لا شك ان الوضوء مع النية والترتيب افضل والعلم
الضروري حاصل بان افضل الخلق لم يواظب على ترك الافضل طول عمره فثبت
انه اتى بالوضوء المرتب المنوي ولم يثبت عندنا انه اتى بالوضوء العاري عن النية
والترتيب والشك لا يعارض اليقين فثبت انه اتى بالوضوء المرتب المنوي
فوجب ان يجب علينا مثله والطريق **الثاني** ان نقول لو انه عليه الصلاة والسلام
ترك النية والترتيب وجب علينا تركه للدلايل الدالة على وجوب الاقتدا به
ولما لم يجب علينا تركه ثبت انه ما تركه بل فعله وفي الصحيحين وغيرهما من حديث
عمر مرفوعا انما الاعمال بالنيات وانما لكل امري ما نوى قال البخاري فدخل فيه
الايمان والوضوء والصلاة والزكاة والحج والصوم والاحكام واشار بذكر الوضوء الى
خلاف من لم يشترط فيه النية كما نقل عن الاوزاعي وابي حنيفة وغيرهما وحجتهم
انه ليس عبادة مستقلة بل وسيلة الى عبادة كالصلاة ونوقضوا بالتيمم فانه
وسيلة وقد اشترط الحنفية فيه النية واستدل الجمهور على اشتراط النية في الوضوء
بالادلة الصحيحة المصرحة بوعد الثواب عليه فلا بد من قصد يميزه عن غيره
ليحصل الثواب الموعود به وقوله انما الاعمال بالنيات ليس المراد منه نفي
ذات العمل لانه قد يوجد بغير نية بل المراد نفي احكامها كالصحة والكمال لكن
الحمل على نفي الصحة اولى لانه اشبه بنفي الشي نفسه ولان اللفظ دل على نفي

Copyright © King Saud University

على نفي الذات بالتصريح وعلى نفي الصفات بالتبع فلما منع الدليل نفي الذات بقيت دلالته
على نفي الصفات مستمرة قال ابن دقيق العيد الذين اشترطوا النية قدروا صحة الاعمال
والذين لم يشترطوها قدروا كمال الاعمال ورجح الاول لان الصحة اكثر لزوما للحقيقة من
الكمال فالحمل عليها اولى وفي هذا الكلام ايهام ان بعض العلما لا يري باشتراط النية وليس
الخلاف بينهم في ذلك الا في تفاصيل الوسايل واما المقاصد فلا اختلاف بينهم في اشتراط النية
لها ومن ثم خالف الحنفية في اشتراطها للوضو كما تقدم وخالف الاوزاعي في اشتراطها في
التيمم ايضا نعم بين العلما اختلاف في اقتران النية باول العمل كما هو معروف في مبسوطات
الفقه واما قوله اي البخاري تدخل فيه الايمان فتوجيه دخول النية في الايمان على
طريق البخاري ان الايمان عمل واما الايمان بمعنى التصديق فلا يحتاج الى نية كساير
اعمال القلوب من خشية الله وتعظيمه ومحبته والتقرب اليه لانها متميزة لله
فلا يحتاج الى نية كساير اعمال القلوب من خشية الله وتعظيمه ومحبته والتقرب
اليه يميزها لان النية انما تميز بها العمل لله من العمل لغيره ريا وتميز مراتب
الاعمال كالفرض عن الندب وتميز العبادة عن العادة كالصوم عن الحمية وقوله
ايضا والاحكام اي المعاملات التي يدخل فيها الاحتياج الى المحاكمات فيشمل البيوع
والانكحة والاقارير وغيرها وكل صورة لم يشترط فيها النية فذلك لدليل خاص
وقد ذكر ابن المنير ضابطا لما يشترط فيه النية مما لا يشترط فقال كل عمل لا يظهر له
فايدة عاجلة بل المقصود به طلب الثواب فالنية مشترطة فيه وكل عمل ظهرت
فايدته ناجزة وتعاطته الطبيعة قبل الشريعة لملايمة بينهما فلا يشترط النية فيه
الا لمن قصد بفعله معنى اخر يترتب عليه الثواب قال وانما اختلف العلما في بعض
الصور من جهة تحقيق مناط التفرقة قال واما ما كان من المعاني المحضة كالخوف
والرجا فهذا لا يقال باشتراط النية فيه لانه لا يمكن ان يقع الا منويا ومتى فرضت
النية مفقودة استحالت حقيقته فالنية فيه شرط عقلي واما الاقوال فتحتاج
الى النية في ثلاث مواطن احدها التقرب الى الله تعالى فرارا من الريا والثاني
التمييز عن الالفاظ المحتملة لغير المقصود والثالث قصد الانشا ليخرج سبق اللسان
انتهى ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري وقد اختلف العلما في الوقت الذي وجب فيه
الوضو فقال بعضهم اول ما فرض بالمدينة وتمسك بقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة
فاغسلوا وجوهكم الاية ونقل ابن عبد البر اتفاق اهل السير ان غسل الجنابة فرض
عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة كما افترضت عليه الصلاة وانه لم يصل قط الا بوضو
وقال هذا مما لا يجهله عالم وقال الحاكم في المستدرك اهل السنة لهم حاجة الى دليل الرد على
من زعم ان الوضو لم يكن قبل نزول اية المايدة ثم ساق حديث ابن عباس دخلت
فاطمة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقالت هولا الملا من قريش قد تعاهدوا

ليقتلوك

ليقتلوك فقال ايتوني بوضو فتوضا فقال الحافظ ابن حجر وهذا يصلح ان يكون ردا على
من انكر وجود الوضو قبل الهجرة لا على من انكر وجوبه حينيذ وقد جزم ابن الجهم المالكي بانه
كان قبل الهجرة سند وبا وجزم ابن حزم بانه لم يشرع الا بالمدينة ورد عليه بما اخرجه ابن لهيعة
في المغازي التي يرويها عن ابي الاسود عن عروة ان جبريل عليه السلام علم النبي صلى الله عليه
وسلم الوضو عند نزوله عليه بالوحي وهو مرسل ووصله احمد من طريق ابن لهيعة
ايضا لكن قال عن الزهري عن عروة عن اسامة بن زيد عن ابيه واخرجه ابن ماجة
من رواية رشدين بن سعد عن عقيل عن الزهري نحوه ولكن لم يذكر زيد ابن حارثة في
السند واخرجه الطبراني في الاوسط من طريق الليث عن عقيل موصولا ولو ثبت لكان
على شرط الصحيح لكن المعروف رواية ابن لهيعة وعن انس قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتوضا لكل صلاة قيل له كيف كنتم تصنعون قال يجزي احدنا الوضو
ما لم يحدث رواه البخاري وابو داود والترمذي وعن عثمان رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضا لكل صلاة رواه الدارمي وروى مسلم عن بريدة
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا لكل صلاة فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات
بوضو واحد فقال له عمر فعلت شيا لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر يعني لبيان
الجواز وفي رواية احمد وابي داود من حديث عبد الله بن ابي عامر الغسيل انه صلى الله
عليه وسلم امر بالوضو لكل صلاة طاهرا كان او غير طاهر فلما شق ذلك عليه امر بالسواك
عند كل صلاة ووضع عنه الوضو الا من حدث واختلف العلما في موجب الوضو فقيل
يجب بالحدث وجوبا موسعا وقيل به وبالقيام الى الصلاة معا ورجحه جماعة من الشافعية
وقيل بالقيام الى الصلاة حسب ويدل له ما رواه اصحاب السنن عن ابن عباس مرفوعا
انما امرت بالوضو اذا قمت الى الصلاة وقد تمسك بحديث عبد الله ابن ابي عامر هذا
من قال بوجوب السواك عليه صلى الله عليه وسلم لكن في اسناده محمد بن اسحق وقد
رواه بالعنعنة وهو مدلس والخصايص لا تثبت الا بدليل صحيح واخرج الطبراني
في الاوسط والبيهقي في السنن عن عايشة مرفوعا ثلاث هن علي فرايض وهن لكم سنة
الوتر والسواك وقيام الليل وقد روى احمد في مسنده باسناد حسن من حديث واثلة
ابن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت بالسواك حتى خشيت ان يكتب
علي وقد حكى بعضهم الاجماع انه ليس بواجب علينا لكن حكي عن بعض الشافعية
انه اوجبه للصلاة ونوزع فيه واتفقوا على انه مستحب مطلقا ويتاكد في احوال
منها عند الوضو وارادة الصلاة ومنها عند القيام من النوم لما ثبت في الصحيحين
من حديث حذيفة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك
لكن قد يقال المراد قام من الليل للصلاة فيكون المراد السواك للصلاة او عند الوضو
ومنها قراءة القران كما جزم به الرافعي ومنها تغير الفم سوا فيه تغير الرايحة وتغير

Copyright … University

اللون كصفرة الاسنان كما ذكره الرافعي ومنها دخول المنزل جزم به النووي في زوائد الروضة
لما روى مسلم وابو داود والنسائي وابن ماجة من حديث عايشة انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا دخل بيته بدا بالسواك ومنها ارادة النوم كما ذكره الشيخ ابو حامد في الرونق وروى
فيه ما رواه ابن عدي في الكامل من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك
اذا اخذ مضجعه وفيه حرام بن عثمان متروك ومنها الانصراف من صلاة الليل لما
روى ابن ماجة من حديث ابن عباس باسناد صحيح قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي بالليل ركعتين ثم ينصرف فيستاك ويجزي بكل خشن ولو باصبع غيره الخشنة
وقد جزم النووي في شرح المهذب ودقايق المنهاج انه يجزي بها قطعا قال في شرح تقريب
الاسانيد وما ادري ما وجه التفرقة بين اصبعه واصبع غيره وكونه جزوا منه
لا يظهر منه ما يقتضي منعه بل كونها اصبعه ابلغ في الازالة لانه يتمكن بها اكثر
من تمكن غيره ان يسوكه باصبعه لا جرم قال النووي في شرح المهذب المختار اجزاوه
مطلقا قال وبه قطع القاضي حسين والمحاملي في اللباب والبغوي واختاره في البحر
انتهى وقد اطبق اصحاب الشافعي على استحباب الاراك فروى الطبراني من حديث
ابي خيرة الصباحي وله صحبة قال فيه ثم امر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
باراك فقال استاكوا بهذا وفي مستدرك الحاكم من حديث عايشة في دخول اخيها
عبد الرحمن بن ابي بكر في مرضه صلى الله عليه وسلم ومعه سواك من اراك فاخذته
عايشة فطيبته ثم اعطته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به والحديث في
الصحيحين وليس فيه ذكر الاراك وفي بعض طرق عند البخاري ومعه سواك من
جريد النخل وقد روى ابو نعيم في كتاب السواك من حديث عايشة قالت كان النبي
صلى الله عليه وسلم يستاك عرضا وروى البيهقي ايضا من حديث ربيعة بن اكثم قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك عرضا الحديث قال اصحابنا والمراد بقوله
عرضا عرض الاسنان في طول الفم وهل الاولى ان يباشر المساك بيمينه او بشماله قال
بعضهم بيمينه لحديث كان يعجبه التيمن في ترجله وتنعله وطهوره وسواكه وبناه
بعضهم على انه هل هو من باب التطهير والتطييب او من باب ازالة القاذورات
فان قلنا بالاول استحب ان يكون باليمين وان قلنا بالثاني فبشماله لحديث عايشة
كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه واليسرى لخلايه
وما كان من اذى رواه ابو داود باسناد صحيح قال في شرح تقريب الاسانيد وما استدل
به على انه يستحب باليمين ليس فيه دلالة فان المراد منه بالشق الايمن في الترجل
والبداءة بلبس النعل والبداءة بالاعضاء اليمنى في التطهر والبداءة بالجانب الايمن
في الاستياك واما كونه يفعل ذلك بيمينه فيحتاج الى نقل والظاهر انه من باب
ازالة الاذى كالامتخاط ونحوه فيكون باليسرى وقد صرح بذلك ابو العباس

القرطبي

القرطبي فقال في المفهم حكاية عن مالك انه لا يتسوك في المساجد لانه من باب ازالة
القذر والله اعلم واما مقدار ما كان عليه الصلاة والسلام يتوضا ويغتسل من الماء فعن
انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع الى خمسة امداد ويتوضا
بالمد وفي رواية كان يغتسل بخمسة مكاكيك ويتوضا بمكوك رواه البخاري ومسلم وابو
داود وعنده يتوضا باناء يسع رطلين ويغتسل بالصاع ورواه الترمذي وعنده انه صلى
الله عليه وسلم قال يجزي في الوضوء رطلان من ماء وعن عايشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع ويتوضا بالمد رواه ابو داود وعن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم وميمونة كانا يغتسلان من اناء واحد والصاع خمسة ارطال وثلث
برطل بغداد وهو على ما قاله النووي مائة وثمانية وعشرون درهما واربعة اسباع
درهم وحذر صلى الله عليه وسلم امته من الاسراف فيه ومر بسعد وهو يتوضا
فقال ما هذا السرف يا سعد قال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار رواه
احمد باسناد لين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال صلى الله عليه وسلم
ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الما رواه الترمذي من حديث
ابي بن كعب الفصل الثالث في وضوئه صلى الله عليه وسلم مرة مرة ومرتين مرتين
وثلاثا ثلاثا عن ابن عباس قال توضا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مرة رواه
البخاري وابو داود وغيرهما وهو بيان لمجمل قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا
الاية اذ الامر يفيد طلب ايجاد الحقيقة ولا يتعين العدد فبين الشارع ان المرة
الواحدة للايجاب وما زاد عليها للاستحباب واما حديث ابي بن كعب انه صلى الله عليه
وسلم دعا بما فتوضا مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به ففيه بيان
بالقول والفعل معا لكنه حديث ضعيف اخرجه ابن ماجة وله طرق اخرى كلها
ضعيفة كما قاله في فتح الباري وعن عبد الله بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم توضا مرتين مرتين وقال هو نور على نور ذكره رزين وعن عثمان رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا ثلاثا ثلاثا رواه احمد ومسلم وعنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوءي ووضوء الانبيا
من قبلي ووضوء ابراهيم ذكره رزين وضعفه النووي في شرح مسلم كما حكاه في مشكاة
المصابيح ولم يات في شي من الاحاديث المرفوعة في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم
انه زاد على ثلاث بل روي عنه انه نهى عن الزيادة على الثلاث فعن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا ثلاثا ثلاثا ثم قال من زاد على
هذا او نقص فقد اسا وظلم رواه ابو داود باسناد جيد لكن عد مسلم من جملة ما انكر
على عمرو بن شعيب لان ظاهره ذم النقص من الثلاثة واجيب بانه امر نسبي
والاساءة تتعلق بالنقص والظلم بالزيادة وقيل فيه حذف تقديره من نقص

٣٧٣

Copyright King Saud University

من واحدة ويؤيده ما رواه نعيم بن حماد من طريق المطلب ابن حنطب مرفوعا الوضوء
مرة ومرتين وثلاثا فان نقص من واحدة او زاد على الثلاث فقد اخطا وهو مرسل
رجاله ثقات واجيب عن الحديث ايضا بان الرواة لم يتفقوا على ذكر النقص فيه بل اكثرهم
يقتصر على قوله فمن زاد فقط كذا رواه ابن خزيمة في صحيحه قال الشافعي لا احب
ان يزيد المتوضي على ثلاث فان زاد لم اكرهه اي لم احرمه لان قوله لا احب يقتضي
الكراهة وهذا هو الاصح عند الشافعية انه يكره كراهة تنزيه وحكى الدارمي من
الشافعية عن قوم ان الزيادة على الثلاثة تبطل الوضوء كالزيادة في الصلاة وهو
قياس فاسد وقال احمد واسحق وغيرهما لا يجوز الزيادة على الثلاث وقال ابن المبارك
لا آمن ان ياثم ويلزم من القول بتحريم الزيادة على الثلاث او كراهتها انه لا يندب تجديد
الوضوء على الاطلاق الفصل الثالث في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم عن
عثمان بن عفان رضي الله عنه انه دعا باناء فافرغ على يديه ثلاث مرات فغسلهما ثم
ادخل يمينه في الاناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه ثلاثا الى المرفقين
ثم مسح راسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من توضا نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له
ما تقدم من ذنبه رواه البخاري وقد استدل بعضهم بقوله ثم ادخل يمينه على عدم
اشتراط نية الاغتراف ولا دلالة فيه نفيا ولا اثباتا واما اشتراط نية الاغتراف فليس
في هذا الحديث ما يثبتها ولا ما ينفيها قال الغزالي مجرد الاغتراف لا يصير الماء مستعملا
لان الاستعمال انما يقع في المغترف منه وبهذا قطع البغوي وقد ذكروا في حكمه تاخير غسل
الوجه انه لا اعتبار باوصاف الماء لان اللون يدرك بالبصر والطعم يدرك بالفم والريح
بالانف فقدمت المضمضة والاستنشاق قبل الوجه وهو مفروض احتياطا
للعبادة وقال النووي في قوله نحو وضوئي انما لم يقل عليه الصلاة والسلام مثل لان
حقيقة مماثلته لا يقدر عليها غيره لكن نقلته في فتح الباري بانه ثبت التعبير بها
في رواية البخاري من الرقاق من طريق معاذ بن عبد الرحمن عن حمران عن عثمان
ولفظه من توضا مثل هذا ولمسلم من طريق زيد بن اسلم عن حمران توضا مثل وضوئي
هذا قال وعلى هذا فالتعبير بنحو من تصرف الرواة لانها تطلق على المثلية مجازا
لان مثل وان كانت تقتضي المساواة ظاهرا لكنها تطلق على الغالب فبهذا تلتئم
الروايتان ويكون المتروك بحيث لا يخل بالمقصود انتهى وعن عبد الله بن زيد بن عاصم
الانصاري انه قيل له توضا لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فاكفا منه
على يديه فغسلهما ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده
فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح براسه
فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله

بيان

تعقبه

صلى

صلى الله عليه وسلم وفي رواية فاقبل بهما وادبر بدا بمقدم راسه ثم ذهب بهما الى قفاه
ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذي بدا منه رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود
والترمذي والنسائي وفي رواية لابي داود ثم مسح براسه واذنيه ظاهرهما وباطنهما
وادخل اصابعه في صماخي اذنيه وفي رواية ابي داود والترمذي والنسائي عن عبد خير
ابي عمارة ابن زيد بن خولي بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وتشديد الياء الهمداني من كبار
اصحاب علي بن ابي طالب قال اتانا علي وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور
وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فاتي باناء فيه ماء وطست فافرغ من الاناء على يمينه فغسل
يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثلاثا فمضمض فنثر من الكف الذي ياخذ فيه ثم غسل
وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل يده اليسرى ثلاثا ثم جعل يده في الاناء فمسح
براسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله اليسرى ثلاثا ثم قال من سره
ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا قال ابن القيم والصحيح انه صلى الله
عليه وسلم لم يكرر مسح راسه انتهى وقال النووي والاحاديث الصحيحة فيها المسح
مرة واحدة وفي بعضها الاقتصار على قوله مسح واحتج الشافعي بحديث عثمان رضي الله
عنه في صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم توضا ثلاثا ثلاثا وبالقياس على باقي الاعضاء
انتهى واجيب بانه مجمل تبين في الروايات الصحيحة ان المسح لم يتكرر فيحمل على الغالب
ويخص بالمغسول وبان المسح مبني على التخفيف فلا يقاس على الغسل الذي المراد منه
المبالغة في الاسباغ وبان العدد لو اعتبر في المسح لصار في صورة الغسل اذ حقيقة
الغسل جريان الماء واحتج الشافعية ايضا بما رواه ابو داود في سننه من حديث
عثمان من وجهين صحح احدهما ابن خزيمة انه صلى الله عليه وسلم مسح راسه ثلاثا
وفي رواية ابي داود ايضا والترمذي من حديث الربيع بنت معوذ فغسل كفيه ثلاثا ثلاثا
ووضا وجهه ثلاثا وتمضمض واستنشق مرة ووضا يديه ثلاثا ومسح براسه مرتين بدا
بمؤخر راسه ثم بمقدمه وباذنيه كليهما ظهورهما وبطونهما ووضا رجليه ثلاثا
وقد اجاب العلماء عن احاديث المسح مرة واحدة بان ذلك لبيان الجواز ويؤيده رواية
مرتين هذه وقال ابن السمعاني كما حكاه في فتح الباري اختلاف الرواية يحمل على التعدد
فيكون مسح تارة مرة وتارة ثلاثا فليس في رواية مسح مرة حجة على منع التعدد ويحتج
للتعدد بالقياس على المغسول لان الوضوء طهارة حكمية ولا فرق في الطهارة الحكمية
بين الغسل والمسح قال ومن اقوى الادلة على عدم العدد الحديث المشهور الذي
صححه ابن خزيمة وغيره من طريق عبد الله بن عمرو بن العاصي في صفة الوضوء
بعد ان فرغ من زاد على هذا فقد اساء وظلم فان في رواية سعيد بن منصور
التصريح بانه مسح راسه مرة واحدة فدل على ان الزيادة في مسح الراس على
المرة غير مستحبة ويحمل ما ورد من الاحاديث في تثليث المسح ان صحت على

بقياس

٣٧٤

Copyright King Saud University

على ارادة الاستيعاب بالمسح لانها مسحات مستقلة لجميع الراس جمعا بين الادلة انتهى وفي حديث
عبد الله بن زيد المتقدم عند البخاري الذي ذكرته قيل ثم مسح راسه بيديه فاقبل بهما
وادبر وفي رواية بدا بمقدم راسه حتى ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذي
بدا منه وزاد ابن الطباع بعد قوله ثم مسح راسه كله كما هو في رواية ابن خزيمة وفي
رواية غيره كما قدمته براسه بزيادة الباء موافقة لقوله تعالى وامسحوا برؤسكم
قال البيضاوي الباء في الاية مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت
المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه
قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا
رؤسكم فانه كقوله واغسلوا وجوهكم انتهى وقال الشافعي احتمل قوله تعالى وامسحوا
برؤسكم جميع الراس او بعضه فدلت السنة ان بعضه يجزي والفرق بين قوله تعالى
فامسحوا بوجوهكم في التيمم ان المسح فيه بدل عن الغسل ومسح الراس اصل فافترقا
ولا يرد كون مسح الخف بدلا عن غسل الرجل لان الرخصة فيه ثبتت بالاجماع وقد روي
من حديث عطا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا فحسر العمامة عن راسه
ومسح مقدم راسه وهو مرسل لكنه يجيء من وجه اخر موصولا اخرجه ابو داود
من حديث انس وفي اسناده ابو معقل لا يعرف حاله لكن اعتضد كل من المرسل
والموصول بالاخر وحصلت القوة من الصور المجموعة وهذا مثال لما ذكروه
الشافعي من ان المرسل يعتضد بمرسل اخر او مسند وفي الباب ايضا عن عثمان في
صفة الوضوء قال ومسح مقدم راسه اخرجه سعيد بن منصور وفيه خالد
ابن يزيد بن ابي مالك مختلف فيه وصح عن ابن عمر الاكتفا بمسح بعض الراس قاله ابن المنذر
وغيره ولم يصح عن احد من الصحابة انكار ذلك قاله ابن حزم قال الحافظ ابن حجر وهذا
كله مما يقوى به المرسل المتقدم ذكره انتهى واختلف في القدر الواجب في مسح
الراس فذهب الشافعي في جماعة الى ان الواجب ما يطلق عليه الاسم ولو شعرة
واحدة اخذا باليقين وذهب مالك واحمد وجماعة الى وجوب استيعابه
اخذا بالاحتياط وقال ابو حنيفة في رواية الواجب ربعه لانه عليه الصلاة
والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع والله اعلم وعن طلحة بن مصرف
عن ابيه عن جده قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضا والما
يسيل من وجهه ولحيته على صدره فرايته يفصل بين المضمضة والاستنشاق رواه
ابو داود وعنه ايضا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا فمضمض ثلاثا واستنشق
ثلاثا من كف واحد رواه ابن ماجة وفي حديث مسلم ان عثمان دعا باناء فافرغ على كفيه
ثلاث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء فمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاث
مرات وفي حديث عبد الله بن زيد عند البخاري ثم غسل ومضمض واستنشق من

كف

كف واحدة ثم قال هكذا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النووي وفيه ان السنة
في المضمضة والاستنشاق ان ياخذ الما لهما بيمينه قال وفي الافضل في كيفية المضمضة والاستنشاق
خمسة اوجه الاصح يتمضمض ويستنشق بثلاث غرفات يتمضمض من كل واحدة ثم
يستنشق والثاني يجمع بينهما بغرفة واحدة يتمضمض منها ثلاثا ثم يستنشق ثلاثا
والثالث يجمع ايضا بغرفة ولكن يتمضمض منها ثم يستنشق ثم يتمضمض منها ثم
يستنشق ثم يتمضمض منها ثم يستنشق والرابع يفصل بينهما بغرفتين فيتمضمض
من احداهما ثلاثا ثم يستنشق من الاخرى ثلاثا والخامس يفصل بست غرفات يتمضمض
بثلاث غرفات ثم يستنشق بثلاث غرفات قال والصحيح الاول به جاءت الاحاديث
الصحيحة وقد ذهب الامام احمد وابو ثور الى وجوب الاستنشاق وهو ان يبلغ
الما الى خياشيمه مستدلين بقوله عليه الصلاة والسلام في حديث ابي هريرة اذا
توضا احدكم فليجعل في انفه ماء ثم لينتثر لظاهر الامر وحمله الجمهور مالك والشافعي
واهل الكوفة على الندب لقوله عليه الصلاة والسلام للاعرابي توضا كما امرك الله وليس
في الاية ذكر الاستنشاق والله اعلم وعند ابي داود كان عليه الصلاة والسلام يمسح الماقين
وعن عثمان انه صلى الله عليه وسلم كان يخلل لحيته رواه الترمذي وابن ماجة
وعنده من حديث ابن عمر كان عليه الصلاة والسلام اذا توضا عرك عارضيه بعض
العرك ثم شبك لحيته باصابعه من تحتها وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
توضا اخذ كفا من ما فيدخله تحت حنكه ويخلل به لحيته ويقول بهذا امرني ربي
عز وجل رواه ابو داود وعن ابي رافع كان صلى الله عليه وسلم اذا توضا حرك خاتمه رواه
ابن ماجة والدارقطني وضعف وعن المستورد بن شداد كان صلى الله عليه وسلم اذا
توضا يدلك اصابع رجليه بخنصره رواه الترمذي وابو داود وابن ماجة وعن عايشة
كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه وكانت اليسرى
لخلايه وما كان من اذى وعن المغيرة بن شعبة انه كان مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر وانه ذهب لحاجة له وان مغيرة جعل يصب الما عليه وهو
يتوضا رواه البخاري ومسلم وعن صفوان بن عسال صببت على النبي صلى
الله عليه وسلم الما في السفر والحضر في الوضوء رواه ابن ماجة وفيه التجوز في
استعانة الرجل بغيره في صب الما في الوضوء من غير كراهة وكذا احضار الما من باب
اولى ولا دليل في هذين الحديثين لجواز الاعانة بالمباشرة وقد روى الحاكم في المستدرك
من حديث الربيع بنت معوذ انها قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء
فقال اسكبي فسكبت عليه وهذا اصرح في عدم الكراهة في الحديثين المذكورين
لكونه في الحضر ولكونه بصيغة الطلب والله اعلم وفي الترمذي من حديث
معاذ بن جبل كان صلى الله عليه وسلم اذا توضا مسح وجهه بطرف ثوبه وعن عايشة

كانت له عليه الصلاة والسلام خرقة يتنشف بها بعد الوضو قال الترمذي هذا حديث
ليس بالقايم وابو معاذ الراوي ضعيف عند اهل الحديث وقد احتجم صلى الله عليه
وسلم فصلى ولم يتوضا ولم يزد على غسل محاجمه رواه الدارقطني واكل كتف شاة وصلي
ولم يتوضا رواه البخاري ومسلم وللنساي قال اخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ترك الوضو مما غيرت النار وشرب صلى الله عليه وسلم لبنا ثم تمضمض ولم
يتوضا وصلى رواه ابو داود واتي بالسويق فامر به فثري فاكل ثم قام الي المغرب فتمضمض
رواه البخاري ومالك والنساي وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام من النوم ربما توضا
وربما لم يتوضا لان عينه تنام ولا ينام قلبه كما في البخاري وغيره وفيه دليل علي
النوم ليس حدثا بل مظنة الحدث فلو احدث لعلم بذلك فتكون الخصوصية
شعوره بالوقوع بخلاف غيره قال الخطابي وانما منع قلبه النوم ليعي الوحي الذي
ياتيه في منامه **الفصل الرابع في مسحه صلى الله عليه وسلم علي الخفين** اعلم انه قد
صرح جمع من الحفاظ بان المسح علي الخفين متواتر وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين
منهم العشرة وقال ابن عبد البر لا اعلم انه قد روي عن احد من فقها السلف انكاره الا عن مالك مع ان الروايات الصحيحة عنه مصرحة باثباته وقد اشار
الشافعي في الام الي انكار ذلك علي المالكية والمعروف المستقر عندهم الان قولان الجواز
مطلقا وثانيهما للمسافر دون المقيم وهذا الثاني يقتضي ما في المدونة وبه جزم ابن الحاجب
وقال ابن المنذر اختلف العلما ايهما افضل المسح علي الخفين او نزعهما وغسل الرجلين والذي
اختاره ان المسح افضل لاجل من طعن فيه من اهل البدع من الخوارج والروافض وقال
النووي مذهب اصحابنا ان الغسل افضل لكونه الاصل لكن بشرط ان لا يترك المسح
وقد تمسك من اكتفي بالمسح بقوله تعالي وارجلكم عطفا علي وامسحوا برءوسكم فذهب
الي ظاهرها جماعة من الصحابة والتابعين وحكي عن ابن عباس في رواية ضعيفة
والثابت عنه خلافه وعن عكرمة والشعبي وقتادة الواجب الغسل او المسح وعن بعض
اهل الظاهر يجب الجمع بينهما وحجة الجمهور الاحاديث الصحيحة من فعله صلى الله
عليه وسلم كما سياتي ان شا الله تعالي فانه بيان للمراد واجابوا عن الاية باجوبة منها
انه قري وارجلكم بالنصب عطفا علي ايديكم وقيل معطوف علي محل برءوسكم كقوله تعالي
يا جبال اوبي معه والطير بالنصب وقيل المسح في الاية محمول علي مشروعية المسح
علي الخفين فحملوا قراة الجر علي مسح الخفين وقراة النصب علي غسل الرجلين وجعل
البيضاوي الجر علي الجوار قال ونظيره كثير في القران كقوله تعالي عذاب اليم
وحور عين بالجر في قراة حمزة والكساي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك
وفايدته التنبيه علي انه ينبغي ان يقتصد في صب الما عليها ويغسل غسلا يقرب
من المسح انتهي وعن المغيرة بن شعبة انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

غزوة

تبوك قال فتبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الغايط فحملت معه اداوة قبل
الفجر فلما رجع اخذت اهريق علي يديه من الاداوة فغسل علي يديه ووجهه وعليه
جبة من صوف ذهب يحسر عن ذراعيه فضاق كم الجبة فاخرج يديه من تحت الجبة
والقي الجبة علي منكبيه وغسل ذراعيه ثم مسح بناصيته وعلي العمامة ثم اهويت
لانزع خفيه فقال دعهما فاني ادخلتهما طاهرتين فمسح عليهما ثم ركب وركبت رواه
مسلم وعند الترمذي من حديث المغيرة ايضا انه صلى الله عليه وسلم مسح علي
الخفين علي ظاهرهما وعند ابي داود من حديثه ايضا ومسح عليه الصلاة والسلام علي
الجوربين والنعلين وعنه قال مسح صلى الله عليه وسلم علي الخفين فقلت يا رسول
الله نسيت فقال بل انت نسيت بهذا امرني ربي عز وجل رواه ابو داود واحمد
عن عمرو بن امية الضمري قال رايته عليه الصلاة والسلام مسح علي عمامته وخفيه
رواه البخاري واحمد وقال علي بن ابي طالب جعل صلى الله عليه وسلم المسح علي الخفين
بلغ ثلاثة ايام ولياليهن للمسافر ويوما وليلة للمقيم رواه مسلم **الفصل الخامس في تيممه
صلى الله عليه وسلم** اعلم ان التيمم ثابت بالكتاب والسنة والاجماع وهو من خصايص
هذه الامة واجمعوا علي ان التيمم لا يكون الا في الوجه واليدين سوا كان من حدث
اكبر او حدث اصغر وسوا تيمم عن الاعضا كلها او بعضها واختلف في كيفيته فمذهبنا
ومذهب الاكثرين انه لا بد من ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين الي المرفقين وعن
حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا علي الناس بثلاث جعلت صفوفنا
كصفوف الملايكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الما
رواه مسلم وفي رواية ابي امامة عند البخاري وجعلت الارض كلها لي ولامتي مسجدا
٣٧٦ وطهورا وهذا عام وحديث حذيفة خاص فينبغي ان يحمل العام عليه فيختص الطهور
بالتراب ومنع بعضهم الاستدلال بلفظ التربة علي خصوصية التيمم بالتراب بان قال
تربة كل مكان ما فيه من تراب او غيره واجيب بانه ورد في الحديث بلفظ التراب اخرجه
ابن خزيمة وغيره وفي حديث علي وجعل لي التراب طهورا اخرجه احمد والبيهقي باسناد حسن وعن
عمار قال جا رجل الي عمر بن الخطاب فقال اني اجنبت فلم اصب الما فقال عمار لعمر اما تذكر انا
كنا في سفر انا وانت فاما انت فلم تصل واما انا فتمعكت فصليت فذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال انما كان يكفيك هكذا وضرب النبي صلى الله عليه وسلم بكفيه الارض ونفخ فيهما ثم مسح
بهما وجهه وكفيه رواه البخاري ومسلم واستدل بالنفخ علي استحباب تخفيف التراب
وسقوط استحباب التكرار في التيمم لان التكرار يستلزم عدم التخفيف وعن ابي الجهيم
ابن الحرث بن الصمة قال مررت علي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد
علي حتي قام الي جدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه علي الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد
علي رواه البغوي في شرح السنة وقال حديث حسن وهذا محمول علي ان الجدار كان

Copyright King Saud University

اكبر او حدث اصغر وسوا تيمم عن الاعضا كلها او بعضها واختلف في كيفيته فمذهبنا
ومذهب الاكثرين انه لا بد من ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين الي المرفقين
وعن حذيفة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم فضلنا علي الناس بثلاث جعلت
صفوفنا كصفوف الملايكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا
اذا لم نجد الما رواه مسلم مباحا او مملوكا لانسان كان يعرف رضاه الفصل السادس في غسله
صلي الله عليه وسلم والغسل بضم الغين اسم للاغتسال وقيل ان اريد به الما فهو مضموم
واما المصدر فيجوز فيه الضم والفتح حكاه ابن سيده وغيره وقيل المصدر بالفتح والاغتسال
بالضم وقيل الغسل بالفتح فعل المغتسل وبالضم الما الذي يغتسل به وبالكسر ما يجعل مع الما
كالاشنان وحقيقة الغسل جريان الما علي الاعضا وحقيقة الاغتسال غسل جميع
الاعضا مع تمييزها للعبادة عما للعادة بالنية ووجوب الغسل علي الجنب مستفاد من
قوله تعالي وان كنتم جنبا فاطهروا وقوله تعالي لا تقربوا الصلاة وانتم سكاري حتي
تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتي تغتسلوا ففي الاية الاولي اجمال وهو قوله
فاطهروا وبينه قوله في الاية الثانية حتي تغتسلوا ويؤيده قوله تعالي في الحايض ولا
تقربوهن حتي يطهرن فاذا تطهرن فالمفسر فاغتسلن اتفاقا وعنه كان رسول الله صلي
الله عليه وسلم يطوف علي نسايه بغسل واحد رواه مسلم من حديث انس وعن ابي رافع
طاف صلي الله عليه وسلم ذات يوم علي نسايه يغتسل عند هذه وعند هذه قال قلت له
يا رسول الله الا تجعله غسلا واحدا اخرا قال هذا ازكي واطيب واطهر رواه احمد وابو داود
والنساي وقد اجمع العلما علي انه لا يجب الغسل بين الجماعين واما الوضوء فاستحبه
الجمهور وقال ابو يوسف انه لا يستحب واوجبه ابن حبيب من المالكية واهل الظاهر
لحديث اذا اتي احدكم اهله ثم اراد ان يعود فليتوضا بينهما وضوءا رواه مسلم وحمله بعضهم
علي الوضوء اللغوي فقال المراد به غسل الفرج انتهي وقالت عايشة كان صلي الله
عليه وسلم اذا اغتسل من الجنابة بدا فغسل يديه ثم يتوضا كما يتوضا للصلاة ثم يدخل اصابعه
في الما فيخلل بها اصول الشعر ثم يصب علي راسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الما علي جلده
كله رواه البخاري ويحتمل ان يكون غسلهما للتنظيف مما بهما ويحتمل ان يكون هو الغسل
المشروع عند القيام من النوم ويدل عليه زيادة ابن عيينة في هذا الحديث عن
هشام قبل ان يدخلهما في الانا رواه الشافعي والترمذي وزاد ايضا ثم يغسل فرجه وكذا
لمسلم وابي داود وهي زيادة جليلة لان تقديم غسله يحصل به الامن من مسه في اثنا الغسل
ويحتمل ان يكون الابتدا بالوضوء قبل الغسل سنة مستقلة بحيث يجب غسل اعضا
الوضوء مع بقية الجسد ويحتمل ان يكتفي بغسلها في الوضوء عن اعادته وعلي هذا فيحتاج
الي نية غسل الجنابة في اول عضو وانما قدم اعضا الوضوء تشريفا لها ولتحصل له
صورة الطهارتين الصغري والكبري ونقل ابن بطال الاجماع علي ان الوضوء لا يجب

مع

مع الغسل وهو مردود فقد ذهب جماعة منهم ابو ثور وداود وغيرهما الي ان الغسل لا ينوب
عن الوضوء للمحدث وقوله فيخلل بها اصول الشعر اي شعر راسه ويدل عليه رواية
حماد بن سلمة عن هشام عند البيهقي يخلل بها شق راسه الايمن فيتتبع بها اصول الشعر ثم
يفعل بشق راسه الايسر كذلك وقال القاضي عياض احتج به بعضهم علي تخليل شعر اللحية
في الغسل اما العموم قوله اصول الشعر واما بالقياس علي شعر الراس وفايدة التخليل غير
واجب اتفاقا الا ان كان الشعر ملبدا بشي يحول بين الما وبين الاصول الي اصوله
واختلف في وجوب الدلك فلم يوجبه الاكثر ونقل عن مالك والمزني في وجوبه واحتج
ابن بطال بالاجماع علي وجوب امرار اليد علي اعضا الوضوء عند غسلها فيجب ذلك في
الغسل قياسا لعدم الفرق بينهما وتعقب بان جميع من لم يوجب الدلك اجازوا غمس اليد
في الما للمتوضي من غير امرار فبطل الاجماع وانتفت الملازمة وفي قوله في هذا الحديث
ثلاث غرفات استحباب التثليث في الغسل قال النووي ولا نعلم فيه خلافا الا ما انفرد به
الماوردي فانه قال لا يستحب التكرار في الغسل قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وفيه
لحصت ما ذكرته قلت وكذا قال الشيخ ابو علي السنجي وكذا قال القرطبي وقالت ميمونة
وضعت له صلي الله عليه وسلم ما للغسل فغسل يديه مرتين او ثلاثا ثم افرغ علي شماله
فغسل مذاكيره ثم مسح يده بالارض ثم مضمض واستنشق وغسل وجهه ويديه ثم افاض
علي جسده ثم تحول من مكانه فغسل قدميه رواه البخاري ولم يقيد في هذه الرواية بعدد
فيحمل علي اقل مسمي وهو المرة الواحدة لان الاصل عدم الزيادة عليها وفيه مشروعية المضمضة
والاستنشاق في غسل الجنابة لقوله ثم مضمض واستنشق وتمسك به الحنفية للقول
٣٧٧ بفرضيتهما وتعقب بان الفعل المجرد لا يدل علي الوجوب الا اذا كان بيانا لمجمل تعلق به
الوجوب وليس الامر هنا كذلك وعنها توضا صلي الله عليه وسلم وضوءه للصلاة غير رجليه
وغسل فرجه وما اصابه من الاذي ثم افاض عليه الما ثم نحي رجليه فغسلهما رواه البخاري
وفيه التصريح بتاخير الرجلين في وضوء الغسل الي اخره وهو مخالف لظاهر رواية
عايشة ويمكن الجمع بينهما اما بحمل رواية عايشة علي المجاز واما بحمله علي حالة اخري
وبحسب اختلاف هاتين الحالتين اختلف نظر العلما فذهب الجمهور الي استحباب
تاخير غسل الرجلين وعن مالك ان كان المكان غير نظيف فالمستحب تاخيرهما والا فالتقديم
وعند الشافعية في الافضل قولان قال النووي اصحهما واشهرهما ومختارهما انه
يكمل وضوءه قال ولم يقع في شي من طرق هذا الحديث التنصيص علي مسح الراس في هذا
الوضوء وتمسك به المالكية لقولهم ان وضوء الغسل لا يمسح فيه الراس بل يكتفي عنه
بغسلها وعن جبير بن مطعم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اما انا فافيض علي راسي
ثلاثا واشار بيديه كلتيهما رواه البخاري وفيه عن ابي هريرة قال اقيمت الصلاة وعدلت
الصفوف قياما فخرج الينا رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما قام في مصلاه ذكر انه جنب

Copyright King Saud University

وقال لنا مكانكم ثم رجع فاغتسل ثم خرج الينا وراسه يقطر فكبر فصلينا معه وقوله ذكر
اي تذكر لا انه قال ذلك لفظا وعلم الراوي بذلك من قراين او باعلامه له بعد ذلك
فظاهر قوله فكبر الاكتفا بالاقامة السابقة فيوخذ منه جواز التخلل الكثير بين
الاقامة والدخول في الصلاة وعنده ايضا من حديث ميمونة وضعت للنبي صلى الله
عليه وسلم غسلا فسترته بثوب وصب على يديه فغسلهما ثم صب بيمينه على شماله
فغسل فرجه فضرب بيده الارض فمسحها ثم غسلها فتمضمض واستنشق وغسل
وجهه وذراعيه ثم صب على راسه وافاض على جسده ثم تنحى فغسل قدميه فناولته
ثوبا فلم ياخذه فانطلق وهو ينفض يديه وقد استدل بعضهم بقولها فناولته ثوبا
فلم ياخذه على كراهة التنشيف بعد الغسل ولا حجة فيه لانها واقعة حال يتطرق
اليها الاحتمال فيجوز ان يكون عدم الاخذ لامر اخر لا يتعلق بكراهة التنشيف بل
لامر يتعلق بالخرقة او غير ذلك قال المهلب يحتمل تركه الثوب لابقا بركة بلل الما
وللتواضع او لشي راه في الثوب من حرير او وسخ وقد وقع عند احمد في هذا الحديث
عن الاعمش قال فذكرت ذلك لابراهيم النخعي فقال لا باس بالمنديل وانما رده مخافة ان
يصير عادة وقال التيمي في شرحه في هذا الحديث دليل على انه كان يتنشف ولولا
ذلك لم تاته بالمنديل وقال ابن دقيق العيد نفضه الما بيده يدل على انه لا كراهة
في التنشيف لان كلا منهما ازالة وقال النووي اختلف اصحابنا فيه على خمسة اوجه
اشهرها ان المستحب تركه وقيل مكروه وقيل مباح وقيل مستحب وقيل مكروه في الصيف
مباح في الشتا وفي هذا الحديث جواز نفض اليدين من ما الغسل وكذا ما الوضوء
لكن فيه حديث ضعيف اورده الرافعي وغيره ولفظه لا تنفضوا ايديكم في الوضوء
فانها مراوح الشيطان قال ابن الصلاح لم اجده وتبعه النووي وقالت عايشة
كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضا للصلاة رواه
البخاري وفيه رد على من حمل الوضو على التنظيف وقوله وتوضا للصلاة اي وضوا
كالصلاة اي وضوا شرعيا لا لغويا وليس المراد انه توضا لادا الصلاة والحكمة فيه
انه يخفف الحدث ولا سيما على القول بجواز تفريق الغسل فينويه فيرتفع الحدث
عن تلك الاعضا المخصوصة على الصحيح ويويده ما رواه ابن ابي شيبة بسند رجاله
ثقات عن شداد بن اوس الصحابي قال اذا اجنب احدكم من الليل ثم اراد ان ينام
فليتوضا فانه نصف غسل الجنابة وقيل الحكمة فيه انه احدى الطهارتين فعلى هذا يقوم
التيمم مقامه وقد روى البيهقي باسناد حسن عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا اجنب فاراد ان ينام توضا او تيمم ويحتمل ان يكون التيمم هنا عند عسر
وجود الما وقيل غير ذلك انتهى ملخصا من فتح الباري النوع الثاني في ذكر صلاته
صلى الله عليه وسلم اعلم ان بالصلاة تحصل تحقيق العبودية واداء حق الربوبية

وساير

وساير العبادات وسايل الى تحقيق سر الصلاة وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة ما فرق
على اهل السموات فلله ملايكة في الركوع منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون من الركوع الى
يوم القيامة وهكذا السجود والقيام والقعود واجتمع فيها ايضا من العبودات ما لم يجتمع
في غيرها منها الطهارة والصمت والاستقبال للقبلة والاستفتاح في التكبير والقراءة
والقيام والركوع والسجود والتسبيح في الركوع والدعا في السجود الى غير ذلك فهو مجموع
عبادات عديدة لان الذكر بمجرده عبادة والقراءة بمجردها عبادة وكذا كل فرد فرد
وقد امر الله تعالى نبيه بالصلاة في قوله سبحانه اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة
وقال تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها وفي ذلك كما نبه عليه صاحب كتاب
التنوير امدنا الله بمدده اشارة الى ان في الصلاة تكليفا للنفوس شاقا عليها لانها تاتي
في اوقات ملاذ العباد واشغالهم فتطالبهم بالخروج عن ذلك كله الى القيام بين يديه
والفراغ مما سوى الله تعالى فلذلك قال تعالى واصطبر عليها قال ومما يدل على ان في القيام
بالصلاة تكاليف العبودية وان القيام بها على خلاف ما تقتضيه البشرية قوله تعالى
واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فجعل الصبر والصلاة مقترنين
اشارة الى انه يحتاج في الصلاة الى الصبر على ملازمة اوقاتها وصبر على القيام بمسنوناتها
وواجباتها وصبر يمنع القلوب فيها عن غفلاتها ولذلك قال تعالى بعد ذلك وانها لكبيرة
يفرد الا على الخاشعين فافرد الصلاة بالذكر ولم الصبر اذ لو كان كذلك لقال وانهما لكبيرة فذلك يدل
على ما قلناه ولان الصبر والصلاة مقترنان متلازمان فكان احدهما هو عين الاخر كما قال
تعالى في الاية الاخرى والله ورسوله احق ان يرضوه انتهى ملخصا ثم ان الكلام فيها
٣٧٨ ينقسم الى خمسة القسم الاول في الفرايض وما يتعلق بها وفيه ابواب الاول في الصلوات
الخمس وفيه فصول الاول في فرضها عن انس قال فرضت على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة
اسري به خمسون صلاة ثم نقصت حتى جعلت خمسا ثم نودي يا محمد انه لا يبدل القول
لدي وان لك بهذه الخمس خمسين رواه الترمذي هكذا مختصرا ورواه البخاري ومسلم
في حديث طويل تقدم في مقاصد الاسراء مع ما فيه من المباحث وعن ابن عباس قال فرض
الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة رواه مسلم
وابو داود والنساي وقوله في الخوف ركعة محمول على ان المراد ركعة مع الامام وينفرد بالاخرى
وعن عايشة فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم اتمها في الحضر واقرت صلاة
السفر على الفريضة الاولى رواه البخاري وعنده في كتاب الهجرة من طريق معمر عن
الزهري عن عروة عن عايشة قالت فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر صلى الله عليه
وسلم ففرضت اربعا وتعين في هذه الرواية ان الزيادة في قوله في الحديث الذي قبله وزيد
في صلاة الحضر وقعت بالمدينة وقد اخذ بظاهر هذا الحديث الحنفية وبنوا عليه
ان القصر في السفر عزيمة لا رخصة واحتج مخالفهم بقوله تعالى فليس عليكم جناح

ان تقصروا من الصلاة لان نفي الجناح لا يدل على العزيمة والقصر انما يكون في شي اطول
منه ويدل على انه رخصة ايضا قوله عليه الصلاة والسلام صدقة تصدق الله بها عليكم
فاقبلوا صدقته رواه مسلم واما خبر فرضت الصلاة ركعتين في السفر فمعناه لمن اراد الاقتصار
عليها جمعا بين الاخبار قاله في المجموع **الفصل الثاني في ذكر تعيين الاوقات التي صلى فيها**
صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس عن جابر ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه
مواقيت الصلاة فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت الشمس واتاه حين كان الظل مثل
ظل شخصه فصنع كما صنع فتقدم جبريل ورسول الله خلفه والناس خلف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فصلى العصر ثم اتاه حين وجبت الشمس فتقدم جبريل ورسول الله صلى
الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى المغرب ثم اتاه حين غاب
الشفق فتقدم جبريل ورسول الله خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصلى العشاء ثم اتاه حين انشق الفجر فتقدم جبريل ورسول الله خلفه والناس خلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصلى الغداة ثم اتاه في اليوم الثاني حين كان ظل الرجل مثل
ظل مثله فصنع به كما صنع بالامس فصلى الظهر ثم اتاه حين كان ظل الرجل مثل شخصه فصنع
كما صنع بالامس فصلى العصر ثم اتاه حين وجبت الشمس فصنع كما صنع بالامس فصلى
العشاء ثم اتاه حين امتد الفجر واصبح والنجوم بادية مشتبكة وصنع كما صنع بالامس فصلى
الغداة ثم قال ما بين هاتين الصلاتين وقت رواه النسائي وفي رواية قال خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصلى حين زالت الشمس وكان الفي قدر الشراك ثم صلى العصر
حين كان الفي قدر الشراك وظل الرجل ثم صلى المغرب حين غابت الشمس ثم صلى العشا حين غاب
الشفق ثم صلى الفجر حين طلع الفجر ثم صلى الغداة الظهر حين كان الظل طول الرجل ثم صلى
العصر حين كان ظل الرجل مثليه ثم صلى المغرب حين غابت الشمس ثم صلى العشا الى ثلث
الليل ونصف الليل شك احد رواته ثم صلى الفجر فاسفر **وعن** ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم
امني جبريل عند البيت مرتين فصلى الظهر في الاولى حين كان الفي مثل الشراك ثم صلى
العصر حين كان ظل كل شي مثله ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس وافطر الصايم ثم صلى
العشا حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين برق الفجر وحرم الطعام على الصايم وصلى المرة الثانية
الظهر حين كان ظل كل شي مثله كوقت العصر بالامس ثم صلى العصر حين كان ظل كل
شي مثليه ثم صلى المغرب لوقت الاول ثم صلى العشا الاخرة حين ذهب ثلث الليل
ثم صلى الصبح حين اسفر ثم التفت الي جبريل فقال يا محمد هذا وقت الانبيا من قبلك
والوقت فيما بين هذين الوقتين رواه الترمذي وغيره وقوله صلى بي الظهر حين كان
ظله مثله اي فرغ منها حينئذ كما شرع في العصر في اليوم الاول حينئذ فلا اشتراك
بينهما في وقت ويدل له حديث مسلم وقت الظهر اذا زالت الشمس ما لم يحضر العصر

دوقد

وقوله في حديث جابر فصلى الظهر حين زالت الشمس ويقتضي جواز فعل الظهر اذا زالت الشمس
ولا ينتظر بها وجوبا ولا ندبا مصير الفي مثل الشراك كما اتفق عليه ايمتنا ودلت عليه الاخبار الصحيحة
واما حديث ابن عباس فالمراد انه حين زالت الشمس كان الفي حينئذ مثل الشراك لا انه
اخر الى ان صار مثل الشراك ذكره في المجموع **وقد** بين ابن اسحق في المغازي ان صلاة جبريل
به صلى الله عليه وسلم كانت صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة وهي ليلة الاسرا
ولفظه قال نافع بن جبير وغيره لما اصبح صلى الله عليه وسلم من الليلة التي اسري به لم
يرعه الا جبريل نزل حين زاغت الشمس ولذلك سميت الاولى اي صلاة الظهر فامر
فصيح باصحابه الصلاة جامعة فاجتمعوا فصلى به جبريل وصلى النبي صلى الله عليه وسلم
باصحابه فذكر الحديث وفيه رد على من زعم ان بيان الاوقات انما وقع بعد الهجرة والحق
ان ذلك وقع قبلها ببيان جبريل وبعدها ببيان النبي صلى الله عليه وسلم وانما دعاهم
بقوله الصلاة جامعة لان الاذان لم يكن شرع حينئذ واستدل بهذا الحديث على
جواز الايتمام بان يأتم بغيره ويجاب عنه بما يجاب عن قصة ابي بكر في صلاته خلف النبي صلى الله
عليه وسلم وصلاة الناس خلفه فانه محمول على انه كان مبلغا فقط كما سياتي تقريره ان شا
الله تعالى **وقد** صلى صلى الله عليه وسلم العصر والشمس في حجرة عايشة لم يظهر الفي من حجرتها
رواه البخاري ومسلم **وقال** انس كان صلى الله عليه وسلم يصلي العصر والشمس مرتفعة
وبعض العوالي من المدينة على اربعة اميال رواه البخاري ومسلم وفي ذلك دليل على تعجيله صلى
الله عليه وسلم بصلاة العصر لوصف الشمس بالارتفاع بعد ان تمضي مسافة اربعة اميال والمراد
بالشمس ضوؤها **وعن** سلمة بن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي المغرب اذا غربت الشمس
وتوارت بالحجاب رواه البخاري ومسلم والترمذي **وعن** رافع بن خديج كنا نصلي المغرب معه
صلى الله عليه وسلم فينصرف احدنا وانه ليبصر مواقع نبله رواه البخاري ومسلم **والنبل**
بفتح النون السهام العربية اي يبصر مواقع سهامه اذا رمى بها ومقتضاه المبادرة بالمغرب
اذا كان الحر ابرد بالصلاة واذا كان البرد عجل رواه النسائي من حديث انس **ويوخر** العصر
ما دامت الشمس بيضا نقية رواه ابو داود من رواية علي بن شيبان **وقال** عليه الصلاة
والسلام اذا قدم العشا فابدوا به قبل صلاة المغرب ولا تعجلوا عن عشايكم رواه البخاري
ومسلم **وعن** ابي داود من رواية علي بن شيبان لا توخر الصلاة لطعام ولا غيره **واعتم**
صلى الله عليه وسلم بالعشا ليلة حتى ناداه عمر الصلاة نام النسا والصبيان فخرج صلى الله
عليه وسلم فقال ما ينتظرها من اهل الارض احد غيركم قال ولا يصلي يوميذ الا بالمدينة
وكانوا يصلون فيما بين ان يغيب الشفق الى ثلث الليل الاول زاد في رواية وذلك
قبل ان يفشو الاسلام وفي رواية فخرج وراسه يقطر يقول لولا ان اشق على امتي
او على الناس لامرتهم بالصلاة هذه الساعة رواه البخاري **وفي** رواية ابي داود من
حديث ابي سعيد فلم يخرج حتى مضى نحو من شطر الليل فقال خذوا مقاعدكم فاخذنا

حينئذ فيذهب الذاهب الا العوالي فياتيها والشمس مرتفعة

٣٧٩

في اول وقتها بحيث ان الفراغ منها يقع وانصرفوا فيكون ... صلى الله عليه وسلم

مقاعد ثم قال ان الناس قد صلوا واخذوا مضاجعهم وانكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم
الصلاة ولولا ضعف الضعيف وسقم السقيم لاخرت هذه الصلاة الى شطر الليل
وفي حديث ابي هريرة لولا ان اشق على امتي لامرتهم ان يؤخروا العشا الى ثلث الليل ونصفه
صححه الترمذي فعلى هذا من وجد به قوة على تاخيرها ولم يغلبه النوم ولم يشق على
احد من المامومين فالتاخير في حقه افضل وقد قرر النووي ذلك في شرح مسلم وهو
اختيار كثير من اهل الحديث من الشافعية وغيرهم وقال الطحاوي يستحب الى الثلث
وبه قال مالك واحمد واكثر الصحابة والتابعين وهو قول الشافعي في الجديد وقال
في القديم التعجيل افضل وكذا قال في الاملا وصححه النووي وجماعة وقالوا انه مما يفتى به
عن القديم وتعقب بانه ذكره في الاملا وهو من كتبه الجديدة والمختار من حيث
الدليل افضلية التاخير قاله في فتح الباري الفصل الثالث في ذكر كيفية صلاته
صلى الله عليه وسلم وفيه نوع الاول في صفة افتتاحه صلى الله عليه وسلم روى ابو داود
انه عليه الصلاة والسلام سمع بلالا يقيم الصلاة فلما قال قد قامت الصلاة قال اقامها الله
وادامها وكان صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير رواه من حديث عايشة وروى
البخاري عن ابن عمر قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم افتتح التكبير في الصلاة واستدل
بها على تعيين لفظ التكبير دون غيره من الفاظ التعظيم وهو قول الجمهور ووافقهم
ابو يوسف وعن الحنفية ينعقد بكل لفظ يقصد به التعظيم وقد روى البزار
باسناد صحيح على شرط مسلم عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام الى الصلاة قال
الله اكبر ولاحمد والنسائي من طريق ابن حبان انه سال ابن عمر عن صلاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال الله اكبر كلما وضع ورفع وليعلم ان التكبيرة للاحرام ركن عند الجمهور
وقيل شرط وهو مذهب الحنفية ووجه عند الشافعية وقيل سنة قال ابن المنذر
لم يقل به احد غير الزهري ولم يختلف احد في ايجاب النية في الصلاة قال البخاري في اواخر
الايمان باب ما جا في قوله عليه الصلاة والسلام الاعمال بالنية فدخل فيه الايمان
والوضو والصلاة والزكاة قال ابن القيم في الهدي النبوي كان صلى الله عليه وسلم
اذا قام الى الصلاة قال الله اكبر ولم يقل شيا قبلها ولا تلفظ بالنية ولا قال اصلي صلاة
كذا مستقبل القبلة اربع ركعات اماما او ماموما ولا اداء ولا قضا ولا فرض الوقت قال
وهذه عشر بدع لم ينقل عنه احد قط باسناد صحيح ولا ضعيف ولا مسند ولا مرسل لفظة
واحدة البتة ولا عن احد من الصحابة ولا استحسنه احد من التابعين ولا الايمة
الاربعة وقول الشافعي في الصلاة انها ليست كالصيام فلا يدخل احد فيها الا بذكر
تكبيرة الاحرام ليس الا وكيف يستحب الشافعي امرا لم يفعله صلى الله عليه وسلم
في صلاة واحدة ولا احد من الصحابة انتهى وعبارة الشافعي في كتاب المناسك
ولو نوى الاحرام بقلبه ولم يلب اجزاه وليس كالصلاة لان في اولها نطقا واجبا

هذا

هذا ايضا وقد قال الشيخ ابو علي السنجي في شرح التلخيص وابن الرفعة في المطلب والزركشي
في الديباج وغيرهم انما اراد الشافعي بذلك تكبيرة الاحرام فقط انتهى وبالجملة فلم ينقل احد انه
عليه الصلاة والسلام تلفظ بالنية ولا علم احدا من اصحابه التلفظ بها ولا اقره على ذلك
بل المنقول عنه في السنن انه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم
وفي الصحيحين انه عليه الصلاة والسلام لما علم المسيء صلاته قال له اذا قمت الى الصلاة
فكبر ثم اقرا بما تيسر معك من القرآن فلم يامره بالتلفظ بشي قبل التكبير نعم اختلف العلما في
التلفظ بها فقال قايلون هو بدعة لانه لم ينقل فعله وقال آخرون هو مستحب لانه
عون على استحضار النية القلبية وعبادة اللسان كما انه عبودية للقلب والافعال
المنوية عبودية للقلب والافعال المنوية عبودية الجوارح وبنحو ذلك اجاب الشيخ
تقي الدين السبكي والحافظ عماد الدين بن كثير واطنب ابن القيم في غير الهدي في رد
الاستحباب واكثر من الاستدلال له بما في ذكره طول يخرجنا عن المقصود لا سيما والذي
استقر عليه اصحابنا استحباب النطق بها وقاسه بعضهم على ما في الصحيحين من حديث
انس انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا يقول لبيك عمرة وحجا
البخاري من حديث عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو بوادي
العقيق اتاني الليلة آت من ربي فقال صل في هذا الوادي المبارك وقال عمرة في حجة
وهذا تصريح باللفظ والحكم كما يثبت بالنص يثبت بالقياس لكن تعقب هذا بانه
عليه الصلاة والسلام قال ذلك في ابتدا احرامه تعليما للصحابة ما يهلون به ويقصدونه
من النسك وامتثالا للامر الذي جاءه من ربه تعالى في ذلك الوادي ولقد صلى عليه
الصلاة والسلام اكثر من ثلاثين الف صلاة فلم ينقل عنه انه قال نويت اصلي صلاة كذا وكذا
وتركه سنة كما ان فعله سنة فليس لنا ان نسوي بين ما فعله وتركه فناتي من القول
في الموضع الذي تركه بنظير ما اتى به في الموضع الذي فعله والفرق بين الحج والصلاة
اظهر من ان يقاس احدهما على الاخر انتهى ما قاله هذا المتعقب فليتامل وكان صلى الله
عليه وسلم اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم يكبر فاذا اراد ان يركع
فعل مثل ذلك فاذا رفع راسه من الركوع فعل مثل ذلك وفي رواية واذا رفع راسه من
الركوع رفعهما كذلك ايضا وقال سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد وفي اخرى نحوه وقال
ولا يفعل ذلك حين يسجد ولا حين يرفع من السجود رواه البخاري ومسلم وعند ابي
داود من حديث علقمة كان صلى الله عليه وسلم اذا قام من سجدتين كبر ورفع يديه
حتى يحاذي بهما منكبيه كما صنع حين افتتح وهو قطعة من حديث رواه ايضا الترمذي
وكان يكبر في كل خفض ورفع رواه مالك قال النووي اجمعت الامة على استحباب رفع
اليدين عند تكبيرة الاحرام واختلفوا فيما سواها فقال الشافعي واحمد وجمهور
العلما من الصحابة يستحب ايضا رفعهما عند الركوع وعند الرفع منه وهو رواية

فقال

عن مالك والشافعي قول انه يستحب رفعها في موضع رابع وهو اذا قام من التشهد
الاول وهذا القول هو الصواب فقد صح فيه حديث ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم
انه كان يفعله رواه البخاري وكان صلى الله عليه وسلم يضع يده اليمنى على اليسرى
رواه ابو داود ومذهب الشافعي والاكثرين ان المصلي اذا وضع يديه حطهما تحت
صدره فوق سرته وقال ابو حنيفة وبعض اصحاب الشافعي تحت سرته وكان عليه
الصلاة والسلام يسكت بين التكبير والقراءة اسكاتة فقال له ابو هريرة بابي انت وامي
اسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول قال اقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت
بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم
اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد رواه البخاري ومسلم وعن علي كان صلى الله عليه وسلم
اذا قام الى الصلاة وفي رواية اذا افتتح الصلاة كبر ثم قال وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب
العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين اللهم انت الملك لا اله الا انت انت
ربي وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا انه لا يغفر
الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني
سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر
ليس اليك انا بك واليك تباركت وتعاليت استغفرك واتوب اليك الحديث
رواه مسلم وعن عايشة كان صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم
وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك رواه الترمذي وابو داود وعن جبير
ابن مطعم انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال الله اكبر كبيرا الله
اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا اعوذ بالله من الشيطان من
نفخه ونفثه وهمزه قال ابن عمر نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة رواه ابو داود
وعن محمد بن مسلمة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام يصلي تطوعا
قال الله اكبر وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
وذكر الحديث مثل حديث جابر الا انه قال وانا من المسلمين ثم قال اللهم انت الملك
لا اله الا انت سبحانك وبحمدك ثم يقرا رواه النسائي الفرع الثاني في ذكر قراته صلى الله
عليه وسلم البسملة في اول الفاتحة روى ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم رواه ابو داود وقال الترمذي ليس اسناده
بذلك ورواه الحاكم عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر
ببسم الله الرحمن الرحيم قال صحيح وفي صحيح ابن خزيمة عن ام سلمة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قرا البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدها اية لكنه من رواية عمر
ابن هارون البلخي وفيه ضعف عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة عنها وروى الحافظ ابو بكر

احمد

احمد بن موسى بن مردويه في تفسيره عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحمد لله رب العالمين سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم احداهن وهي السبع المثاني
والقران العظيم ام الكتاب ورواه الدارقطني ايضا عن ابي هريرة مرفوعا نحوه او مثله
وقال كلهم ثقات وروى البيهقي عن علي وابن عباس وابي هريرة انهم فسروا قوله سبعا
من المثاني بالفاتحة وان البسملة هي الاية السابعة منها وعن شعبة عن قتادة عن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر كانوا يفتتحون القران بالحمد لله رب
العالمين رواه البخاري اي كانوا يفتتحون بالفاتحة وفي رواية مسلم فلم اسمع احدا
منهم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم كذا اخرجه مسلم وغيره لكنه حديث معلول اعله
الحفاظ كما هو في كتب علوم الحديث وفي شرح الالفية العراقي لشيخنا الحافظ ابي الخير
السخاوي امتع الله بوجوده في باب المعلل ما نصه وعلته المتن القادحة فيه كحديث
نفي قراءة البسملة في الصلاة المروي عن انس اذ ظن راو من رواته حين سمع قول
انس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكانوا
يستفتحون بالحمد لله رب العالمين نفي البسملة فنقله مصرحا بما ظنه وقال لا يذكرون
بسم الله الرحمن الرحيم في اول قراءة ولا في اخرها وفي لفظ فلم يكونوا يفتتحون القراءة ببسم
الله وصار بمقتضى ذلك حديثا مرفوعا والراوي لذلك مخطئ في ظنه ولذا قال الشافعي
رحمه الله في الام ونقله عنه الترمذي في جامعه المعنى انهم يبدون بقراءة ام القران
قبل ما يقرا بعدها لا انهم يتركون البسملة اصلا ويتايد بثبوت تسمية ام القران بجملة
الحمد لله رب العالمين في صحيح البخاري وكذا بحديث قتادة قال سئل انس كيف كانت
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم
الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم اخرجه البخاري في صحيحه وكذا صححه الدارقطني والحازمي
وقال انه لا علة له لان الظاهر كما اشار اليه ابو شامة ان قتادة لما سال انسا عن الاستفتاح
في الصلاة باي سورة واجابه بالحمد لله ساله عن كيفية قراءته فيها وكانه لم ير ابهام السايل
مانعا من تعيينه بقتادة خصوصا وهو السايل اولا وقد اخرج ابن خزيمة في الصحيحين
وصححه الدارقطني ان ابا سلمة سعيد بن زيد سال انسا اكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يستفتح بالحمد لله او ببسم الله فقال لا احفظ فيه شيئا قال وهذا ما يتايد به خطا
النافي ولكن قد روي هذا الحديث عن انس جماعة منهم حميد وقتادة والتحقيق ان
المعلل رواية حميد خاصة اذ رفعها وهم من الوليد بن مسلم عن مالك وصلت فيه
وراء ابي بكر وعمر وعثمان فكلهم كان لا يقرا بسم الله لا ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم وكذا
الذي عند سائر حفاظ اصحاب حميد عنه انما هو في الوقف خاصة وبه صرح ابن
معين عن ابن ابي عدي حيث قال ان حميدا كان اذا رواه عن انس لم يرفعه واذا قال
فيه عن قتادة عن انس رفعه واما رواية قتادة وهي من رواية الوليد بن مسلم

عنه بل ومن بعض ا[illegible] حميد ايضا عنه ما [illegible] في ساير الموطات عن مالك

٣٨١

Copyright © King Saud University

وغيره عن الاوزاعي ان قتادة كتب اليه يخبره ان انسا حدثه قال صليت فذكره بلفظ
لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول قراءة ولا في اخرها فلم يتفق اصحابه عنه على هذا
اللفظ بل اكثرهم لا ذكر عندهم للنفي فيه وجماعة منهم بلفظ فلم يكونوا يجهرون ببسم
الله ومن اختلف عليه فيه من اصحابه شعبة فجماعة منهم غندر لا ذكر عندهم فيه
للنفي وابو داود الطيالسي فقط حيث اخرج من طريق غير واحد بلفظ فلم يكونوا
يفتتحون القراءة ببسم الله وهي موافقة للاوزاعي وابو عمر الدوري وكذا الطيالسي
وعندي ايضا بلفظ فلم اسمع احدا منهم يقرا بسم الله بل كذا اختلف قتادة من اصحاب
انس فاسحق ابن ابي طلحة وثابت البناني باختلاف عليهما ومالك ابن دينار ثلاثتهم
عن انس بدون نفي واسحق ايضا ومنصور بن زادان وابو قلابة وابو نعامة كلهم
عنه باللفظ الثاني للجهر خاصة ولفظ اسحق منهم يفتتحون القراءة بالحمد لله رب
العالمين فيما يجهر فيه وحينئذ فطريق الجمع بين هذه الروايات كما قال شيخنا يعني
شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله يمكن حمل نفي القراءة على نفي السماع ونفي السماع على نفي
الجهر ويؤيده ان لفظ رواية منصور ابن زادان فلم يسمعنا قراءة بسم الله واصرح منه
رواية الحسن عن انس كما عند ابن خزيمة كانوا يسرون ببسم الله وبهذا الجمع زالت دعوى
الاضطراب كما انه ظهر ان الاوزاعي الذي رواه عن قتادة مكاتبة مع كون قتادة ولد
اكمه وكاتبه مجهول لعدم تسميته لم ينفرد به وحينئذ فيجاب عن قول انس لا
احفظه لان المثبت مقدم على النافي خصوصا وقد تضمن النفي عدم استحضار
انس رضي الله عنه لامر تنبت بحضرته وبامكان نسيانه عن سوال ابي مسلمة له وقد
تذكره له بعد فانه يثبت ان قتادة سأله ايقرأ الرجل في الصلاة ببسم الله فقال صليت
وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلم اسمع احدا منهم يقرأ بسم الله
ويحتاج اذا استقر محصل حديث انس عن نفي الجهر الى دليل له وان لم يكن من ماحثنا
وقد ذكر له الشارح دليلا وارشد شيخنا يعني الحافظ ابن حجر لما يؤخذ منه ذلك بل قال
ان قول نعيم المجمر صليت وراء ابي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بام القران
حتى بلغ ولا الضالين وقال الناس امين وكان كلما سجد واذا قام من الجلوس في الاثنين
يقول الله اكبر ويقول اذا سلم والذي نفسي بيده اني لاشبهكم صلاة برسول الله
صلى الله عليه وسلم اصح حديث ورد فيه ولا علة له وممن صححه ابن خزيمة وابن
حبان بعد رواه النسائي والحاكم وقد بوب عليه النسائي الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم
ولكن تعقب الاستدلال به باحتمال ان يكون ابو هريرة اراد بقوله اشبهكم في
معظم الصلاة لا في جميع اجزائها لا سيما وقد رواه عنه جماعة غير نعيم بدون ذكر
البسملة واجيب بان نعيما ثقة فزيادته مقبولة والخبر ظاهر في جميع الاجزاء فيحمل
على عمومه حتى يثبت دليل يخصصه ومع ذلك فيطرقه احتمال ان يكون سماع نعيم

لها

لها عن ابي هريرة حال مخافتته لقربه منه وقد قال الامام فخر الدين الرازي في
تصنيف له في الفاتحة وروى الشافعي باسناده ان معاوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ
بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض الى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون
والانصار يا معاوية اسرقت الصلاة اين بسم الله الرحمن الرحيم اين التكبير عند الركوع
والسجود فاعاد الصلاة مع التسمية والتكبير ثم قال الشافعي وكان معاوية سلطانا عظيم
القوة شديد الشوكة فلولا ان الجهر بالتسمية والتكبير كان كالامر المقرر عند كل
الصحابة من المهاجرين والانصار لما قدروا على اظهار الانكار عليه بسبب تركه
انتهى وهو حديث حسن اخرجه الحاكم في صحيحه والدارقطني وقال ان رجاله
ثقات ثم قال الامام بعد وقد بينا ان هذا يقتضي الانكار المتقدم يدل على ان الجهر
بهذه الكلمة كالامر المتواتر فيما بينهم وكذا قال الترمذي عقب ايراده بعد ان
ترجم بالجهر بالبسملة حديث معتمر بن سليمان عن اسماعيل بن حماد عن ابي سليمان عن ابي
خالد الوالبي الكوفي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة
ببسم الله الرحمن الرحيم ووافقه على تخريجه الدارقطني وابو داود وضعفه بل وقال
الترمذي ليس اسناده بذلك والبيهقي في المعرفة واستشهد له بحديث سالم
الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم بعد بها صوته الحديث وهو عند الحاكم في مستدركه ايضا
ما نصه وقد قال بهذا عدة من اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابو
هريرة وابن عمر وابن الزبير ومن بعدهم من التابعين رأوا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم
وبه يقول الشافعي انتهى وقيل لبعض العارفين بما ذا ترى ظهر اسم الامام الشافعي
وعلى ذكره فقال ارى ذلك لاظهار بسم الله في البسملة لكل صلاة انتهى وقال الشيخ
ابو امامة بن النقاش والذي يروم تحقيق هذه المسئلة ينبغي ان يعرف ان هذه
المسئلة بعلم القراءات اشبه وذلك لان من القراء الذين صحت قراءتهم فتواترت عن النبي
صلى الله عليه وسلم من كان يقرأ بها اية من الفاتحة وهم عاصم وحمزة والكسائي وابن
كثير وغيرهم من الصحابة والتابعين ومنهم من لا يعدها اية من الفاتحة كابن عامر
وابي عمرو ونافع في رواية عنه وحكم قراءتها في الصلاة حكم قراءتها خارجها فمن قرأ
على قراءة من جعلها من ام القرآن لزمه فرضا ان يقرأ بها ومن قرأ على قراءة من لم يرها
من ام القرآن فهو مخير بين القراءة والترك وحينئذ فالخلاف فيها كالخلاف في حرف من
حروف القرآن وكلا القولين صحيح ثابت لا مطعن على مثبته ولا على منفيه
ولا ريب ان النبي صلى الله عليه وسلم تارة قرأها وتارة لم يقرأها هذا هو الانصاف
ثم قال والمتيقن الذي يجب المصير اليه ان كلا من العملين ثابت لانه لا يختلف
اثنان من اهل الاسلام ان هذه القراءات السبع كلها حق مقطوع بها من الله

مطلب لم ظهر اسم الامام الشافعي لقوله بالجهر بالبسملة

٣٨٧

Copyright King Saud University

وليست هذه اول كلمة ولا اول حرف اختلف في اثباته وحذفه وقل سورة من القرآن
ليس ذلك كلفظ هو في سورة الحديد وهو الغني الحميد ولفظ من في سورة التوبة
في قوله تعالي جنات تجري من تحتها الانهار والفات غديدة و واوات وهات
كذلك وكل هذا من نتيجة كون القرآن علي سبعة احرف وهذا هو الذي بين لك علي بطلان
قول من لم يجعلها من الفاتحة لموضع اختلاف الناس فيها وقوله ان الاختلاف لا يثبت معه قران
فما ادري ما هذا الظن وهذا الذي ذكرناه هو الذي تبرئك من تلك النقض براءة من الجانبين
ثم قال ولا ريب ان الواقع من النبي صلي الله عليه وسلم كلي الامرين من الجهر والاسرار فجهر
واسر الا ان اسراره كان اكثر من جهره وقد صح في الجهر احاديث لا مطعن فيها للمنصف نحو
ثلاثة احاديث كما انه قد صح في الاسرار فيها احاديث لا مطعن فيها للعاري من العصبية ولا
يلتفت لمن يقول ان الواقع من النبي صلي الله عليه وسلم كان الجهر فقط انتهي **مقول** لبعض
العارفين بما ادري كظهر اسم الامام الشافعي وغلب ذكره فقال اري ذلك باظهار اسم الله
في البسملة لكل صلاة انتهي **الفرع الثالث في ذكر قراءته صلي الله عليه وسلم الفاتحة وقوله**
امين بعدها كان صلي الله عليه وسلم اذا قرا غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال
امين ومد بها صوته وفي رواية وخفض بها صوته رواه الترمذي وفي رواية ابي داود
رفع بها صوته وفي رواية له جهر بامين وقال ابن شهاب وكان صلي الله عليه وسلم اذا
قال ولا الضالين جهر بامين اخرجه السراج ولابن حبان من رواية الزبيدي عن ابن
شهاب كان اذا فرغ من قراءة ام القران رفع صوته وقال امين وللحميدي من طريق
سعيد المقبري عن ابي هريرة نحوه بلفظ اذا قال الامام ولا الضالين ولابي داود وصححه
ابن حبان من حديث وائل بن حجر نحو رواية الزبيدي وفيه رد علي من اوما الي النسخ
فقال انما كان صلي الله عليه وسلم يجهر بامين في ابتدا الاسلام ليعلمهم فان وائل بن حجر انما
اسلم في اواخر الامر **الفرع الرابع في ذكر قراءته صلي الله عليه وسلم بعد الفاتحة في صلاة الغداة**
عن ابي برزة كان صلي الله عليه وسلم يقرا في كل صلاة الغداة ما بين الستين الي المائة
رواه النسائي وعن عمرو بن حريث انه سمع النبي صلي الله عليه وسلم يقرا في الفجر اذا
الشمس كورت **وعن** جابر بن سمرة كان النبي صلي الله عليه وسلم يقرا في الفجر بق والقران
المجيد ونحوها وكانت قراءته بعد تخفيفا رواه مسلم **وعن** عبد الله بن السايب قال
صلي رسول الله صلي الله عليه وسلم الصبح بمكة فاستفتح سورة المومنون حتي جاوز
ذكر موسي وهارون او ذكر عيسي شك الراوي او اختلف عليه اخذت النبي صلي الله
عليه وسلم سعلة فركع الحديث رواه مسلم قال النووي فيه جواز قطع القراءة وجواز
القراءة ببعض السورة وكرهه مالك انتهي وتعقب بان الذي كرهه مالك ان
يقتصر علي بعض السورة مختارا والمستدل به ظاهر في انه كان للضرورة فلا يرد
عليه وكذا يرد علي من استدل به علي انه لا يكره قراءة بعض الاية اخذا من قوله

حتي

وايل اذا عسعسا
رواه مسلم وفي رواية
السابع والى الفجر

حتي جاء ذكر موسي وهارون او ذكر عيسي لان كلا من الموضعين يقع في وسط آية نعم الكراهة
لا تثبت الا بدليل وادلة الجواز كثيرة وفي حديث زيد بن ثابت انه صلي الله عليه وسلم
قرا الاعراف في الركعتين وام ابو بكر الصحابة في صلاة الصبح بسورة البقرة قراها في
الركعتين وهذا اجماع منهم وقرا في الصبح اذا زلزلت في الركعتين كلتيهما قال الراوي فلا
ادري انسي ام قرا ذلك عمدا رواه ابو داود وكان صلي الله عليه وسلم يقرا في صبح الجمعة
الم تنزيل السجدة وهل اتي علي الانسان حين من الدهر رواه البخاري ومسلم وابو داود
والترمذي والنسائي من حديث ابي هريرة وانما كان يقراهما كاملتين وقراءة بعضهما
خلاف السنة وانما كان يقرا بهما لما اشتملتا عليه من ذكر المبدا او المعاد وخلق ادم ودخول
الجنة والنار واحوال يوم القيامة لان ذلك كان ويقع يوم الجمعة ذكره ابن دحية
في العلم المشهور وقرره تقريرا حسنا كما افاده ابن حجر قال وقد ورد في حديث
ابن مسعود التصريح بمداومته صلي الله عليه وسلم علي قراءتهما في صبح الجمعة
اخرجه الطبراني ولفظه يديم ذلك واصله في ابن ماجه لكن بدون هذه الزيادة
ورجاله ثقات لكن صوب ابو حاتم ارساله قال وكان ابن دقيق العيد لم يقف عليه
فقال في الكلام علي حديث الباب ليس في الحديث ما يقتضي فعل ذلك دائما اقتضاء
قويا وهو كما قال بالنسبة لحديث الباب فان الصيغة ليست نصا في المداومة
لكن الزيادة المذكورة نصا في ذلك ولهذه الزيادة شاهد من حديث ابن عباس
عند الطبراني بلفظ كل جمعة اخرجه الطبراني في الكبير واما تعيين السورة للركعة
فورد من حديث علي عند الطبراني بلفظ كان رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقرا في الركعة الاولي من صلاة الصبح يوم الجمعة الم تنزيل وفي الركعة الثانية هل
اتي علي الانسان وقد اختلف تعليل المالكية للكراهة قراءة السجدة في الصلاة فقيل
لكونها تشتمل علي زيادة سجود في الفرض قال القرطبي وهو تعليل فاسد بشهادة هذا
الحديث وقيل لخشية التخليط علي المصلين ومن ثم فرق بعضهم بين الجهرية والسرية
لان الجهرية يؤمن معها التخليط لكن صح من حديث ابن عمر انه صلي الله عليه وسلم قرا
سورة فيها سجدة في صلاة الظهر فسجد بهم فيها رواه ابو داود والحاكم فبطل
التفرقة ومنهم من علل الكراهة بخشية اعتقاد العوام انها فرض قال ابن دقيق
العيد اما القول بالكراهة مطلقا فيأباها الحديث لكن اذا انتهي الحال الي وقوع
هذه المفسدة فينبغي ان تترك احيانا لتندفع فان المستحب قد يترك لدفع
المفسدة المتوقعة وهو يحصل في بعض الاوقات انتهي **وقال** صاحب المحيط من
الحنفية يستحب قراءتها في صبح يوم الجمعة بشرط ان يقرا غير ذلك احيانا لئلا
يظن الجاهل انه لا يجزي غيره قال ولم ار في شيء من الطرق التصريح بانه صلي الله
عليه وسلم سجد لما قرا سورة الم تنزيل في هذا المحل الا في كتاب الشريعة لابي داود

٣٨٣

Copyright King Saud University

من طريق اخرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غدوت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة في صلاة الفجر يقرا سورة فيها سجدة فسجد الحديث وفي اسناده من ينظر في حاله انتهى وعن علي عند الطبراني في المعجم الاوسط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد في الصبح يوم الجمعة في الم تنزيل وهذه الزيادة حسنة تدفع ثم احتمال ان يكون قرا السورة ولم يسجد

الفرع الخامس في ذكر قرائته صلى الله عليه وسلم في صلاتي الظهر والعصر عن ابي قتادة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في الظهر في الاوليين بام الكتاب وسورتين وفي الركعتين الاخريين بام الكتاب ويسمعنا الاية احيانا ويطول في الركعة الاولى ما لا يطيل في الركعة الثانية وهكذا في العصر وهكذا في الصبح رواه البخاري ومسلم قال الشيخ تقي الدين السبكي كان السبب في تطويله الاولى على الثانية ان النشاط في الاولى يكون اكثر فناسب التخفيف في الثانية حذرا من الملل انتهى وروى عبد الرزاق عن معمر عن يحيى اخر هذا الحديث فظننا انه يريد بذلك ان يدرك الناس الركعة الاولى وعن ابي سعيد الخدري قال كنا نحزر اي نقدر قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهر والعصر فحزرنا قيامه في الركعتين الاوليين من الظهر قدر الم تنزيل السجدة وفي رواية في كل ركعة قدر ثلاثين اية وحزرنا قيامه في الاخريين قدر النصف من ذلك وحزرنا في الركعتين الاوليين من العصر على قدر قيامه في الاخريين من الظهر وفي الاخريين من العصر على النصف رواه مسلم وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم يقرا في الظهر بالليل اذا يغشى وفي رواية بسبح اسم ربك الاعلى وفي العصر نحو ذلك الحديث رواه مسلم وعنه كان يقرا في الظهر والعصر بالسماء ذات البروج والسماء والطارق رواه ابو داود والترمذي وعن البرا كنا نصلي خلفه صلى الله عليه وسلم الظهر فنسمع منه الاية بعد الايات من لقمان والذاريات رواه النسائي قال ابن دقيق العيد فيه دليل على جواز الاكتفا بظاهر الحال والاخبار دون التوقف عن اليقين لان الطريق الى العلم بقراءة السورة في السرية لا يكون الا بسماع كلها وانما يفيد يقين ذلك لو كان في الجهرية وكانه ماخوذ من سماع بعضها مع قيام القرينة على قراءة باقيها ويحتمل ان يكون الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخبرهم عقب الصلاة دايما او غالبا بقراءة السورتين وهو بعيد جدا انتهى وعن انس قرا صلى الله عليه وسلم في الظهر بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية رواه النسائي وعن ابي سعيد كانت صلاة الظهر تقام فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته ثم ياتي اهله فيتوضا ويدرك النبي صلى الله عليه وسلم رواه مسلم

الفرع السادس في ذكر قرائته صلى الله عليه وسلم في صلاة المغرب عن ام الفضل بنت الحارث قالت سمعته صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالمرسلات عرفا رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود والترمذي والنسائي وفي

رواية

رواية ابي داود انها اخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرح عقيل في روايته عن ابن شهاب انها اخر صلاة صلى الله عليه وسلم ولفظه ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله اورده البخاري في باب الوفاة وعنده في باب انما جعل الامام ليؤتم به من حديث عايشة ان الصلاة التي صلاها النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه في مرض موته كانت الظهر وجمع بينهما بان الصلاة التي حكتها عايشة كانت في المسجد والتي حكتها ام الفضل كانت في بيته كما رواه النسائي لكن يعكر عليه رواية ابن اسحق عن ابن شهاب في هذا الحديث بلفظ خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب راسه في مرضه فصلى المغرب الحديث رواه الترمذي ويمكن حمل قولها خرج الينا اي من مكانه الذي كان راقدا فيه الى من في البيت فصلى فتلتئم الروايات وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور رواه البخاري ومسلم زاد البخاري في الجهاد وكان اي جبير بن مطعم جاء في اسارى بدر زاد الاسماعيلي وهو يوميذ مشرك وللبخاري في المغازي وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وللطبراني فاخذني من قراءته الكرب ولسعيد بن منصور فكانما صدع قلبي وفي قوله سمعته صلى الله عليه وسلم دليل على الجهر بها والله اعلم وعن مروان بن الحكم قال لي زيد بن ثابت مالك تقرا في المغرب بقصار المفصل وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا بطولى الطوليين رواه البخاري زاد ابو داود قلت وما طولى الطوليين قال الاعراف وفي رواية النسائي من حديث عايشة انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب بسورة الاعراف فرقها في ركعتين وعن عبد الله بن عتبة قرا صلى الله عليه وسلم بحم الدخان رواه النسائي وهذه الاحاديث في القراءة مختلفة المقادير لان الاعراف من السبع الطوال والطور من طوال المفصل والمرسلات من اوساطه قال الحافظ ابن حجر ولم ار حديثا مرفوعا فيه التنصيص على القراءة فيها بشي من قصار المفصل الا حديثا في ابن ماجة عن ابن عمر نص فيه على الكافرون والاخلاص ومثله لابن حبان عن جابر بن سمرة واما حديث ابن عمر فظاهر اسناده الصحة الا انه معلول قال الدارقطني اخطا بعض رواته فيه واما حديث جابر بن سمرة ففيه سعيد بن سماك وهو متروك والمحفوظ انه قرا بهما في الركعتين بعد المغرب واعتمد بعض اصحابنا وغيرهم حديث سليمان بن يسار عن ابي هريرة قال ما رايت احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من فلان قال سليمان فكان يقرا في الصبح بطوال المفصل وفي المغرب بقصار المفصل رواه النسائي وصححه ابن خزيمة وهذا يشعر بالمواظبة على ذلك لكن في الاستدلال به نظر نعم حديث رافع انهم كانوا ينتضلون بعد صلاة

في صلاة المغرب

المغرب يدل على تخفيف القراة فيها وطريق الجمع بين هذه الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم
كان احيانا يطيل القراة في المغرب اما لبيان الجواز واما لعلمه بعدم المشقة على الماموين
وليس في حديث جبير دليل على ان ذلك تكرر منه واما حديث زيد بن ثابت ففيه
اشعار بذلك لكونه انكر على مروان المواظبة على القراة بقصار المفصل ولو كان
مروان يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم واظب على ذلك لاحتج به على زيد لكن
لم يرد زيد فيما يظهر المواظبة على القراة بالطول وانما اراد منه ان يتعاهد ذلك
كما راه من النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث ام الفضل اشعار بانه صلى الله عليه
وسلم كان يقرا في الصبح باطول من المرسلات لكونه كان في حال شدة مرضه وهو
مظنة التخفيف وهو يرد على ابي داود ادعا نسخ التطويل لانه روى عقب
حديث زيد بن ثابت من طريق عروة انه كان يقرا في ابن خزيمة في صحيحه
هذا من الاختلاف المباح فجايز للمصلي ان يقرا في المغرب وفي الصلوات كلها بما احب
الا انه اذا كان اماما استحب له ان تخفف القراة انتهى والراجح عند النووي فعلى
ان المفصل من الحجرات الى اخر القران والله اعلم الفرع السابع في ذكر ما كان صلى الله
عليه وسلم يقرا في صلاة العشا عن البرا كان صلى الله عليه وسلم يقرا في العشا
والتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا او قراة منه صلى الله عليه وسلم
رواه البخاري ومسلم وكان صلى الله عليه وسلم اذا اتى على اية عذاب وقف وتعوذ
رواه الترمذي من حديث حذيفة وكان اذا قرا سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان
ربي الاعلى رواه احمد وابو داود من رواية ابن عباس وقال صلى الله عليه وسلم من
قرا منكم والتين والزيتون فانتهى الى اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على
ذلك من الشاهدين وكان صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير والقراة ومن
قرا لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى
فليقل بلى ومن قرا والمرسلات فبلغ فباي حديث بعده يومنون فليقل امنا
بالله رواه ابو داود والترمذي الى قوله وانا على ذلك من الشاهدين وكان
صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير والقراة اسكاتة وعنها ساله ابو هريرة
ويسكت بعد الفاتحة ويسكت ثالثة بعد قراة السورة وهي سكتة لطيفة جدا
حتى يترادّ اليه النفس ولم يكن يصل القراة بالركوع واما السكتة الاولى فانه كان
يجعلها بقدر الاستفتاح واما الثانية فلاجل قراة الماموم الفاتحة فينبغي تطويلها
بقدرها ذكره في زاد المعاد وعن سمرة بن جندب سكتتان احفظهما عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل في صلاته واذا فرغ من القراة ثم قال بعد ذلك
واذا قرا ولا الضالين قال وكان يعجبه اذا فرغ من القراة ان يسكت حتى يترادّ
اليه نفسه رواه الترمذي الفرع الثامن في ذكر صفة ركوعه صلى الله عليه وسلم

صواته في المغرب
المغرب بالقصار قال
وهذا يدل على نسخ حديث
زيد ولم يبين وجه
الدلالة وكيف دعوا
دعوا النسخ وام الفضل
تقول ان اخر صلاة
صلاها بهم قرا بالمر
قال ابن حماد

عن ابي حميد الساعدي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة رفع
يديه حتى يحاذي بهما منكبيه فذكر الحديث الى ان قال ثم يكبر ويرفع يديه حتى
يحاذي بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه ثم يعتدل فلا يصوب
راسه ولا يقنع رواه ابو داود والدارمي الفرع التاسع في ذكر مقدار ركوعه صلى
الله عليه وسلم عن جبير قال سمعت انس بن مالك يقول ما صليت ورا احد بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا
الفتى يعني عمر بن عبد العزيز قال فحزرنا ركوعه عشر تسبيحات وسجوده عشر
تسبيحات رواه ابو داود وعن البرا كان ركوع النبي صلى الله عليه وسلم وسجوده
وبين السجدتين واذا رفع من الركوع ما خلا القيام والقعود قريبا من السوا رواه
البخاري ومسلم قال النووي هذا الحديث محمول على بعض الاحوال والا فقد ثبت
في الحديث تطويل القيام فانه كان يقرا في الصبح بالستين الى المائة وفي الظهر بالم
السجدة وانه كانت تقام الصلاة فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته
ثم يرجع الى اهله فيتوضا ثم ياتي المسجد فيدرك الركعة الاولى وانه قرا سورة
المومنون حتى بلغ ذكر موسى وهارون وانه قرا في المغرب بالطور والمرسلات
وفي البخاري بالاعراف فكل هذا يدل على انه كانت له في اطالة القيام احوال بحسب
الاوقات وهذا الحديث الذي نحن فيه جرى في بعض الاوقات انتهى وقال ابن القيم
مراد البرا انه صلاته صلى الله عليه وسلم كانت معتدلة فكان اذا اطال القيام
والركوع والسجود واذا خفف خفف الركوع والسجود وتارة يجعل الركوع والسجود
بقدر القيام ويهديه عليه الصلاة والسلام الغالب تعديل الصلاة وتناسبها الفرع
العاشر في ذكر ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم في الركوع والرفع منه عن عايشة
كان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي
يتاول القران رواه البخاري ومسلم ومعنى يتاول القران يعمل بما امر به في قوله تعالى
فسبح باسم ربك العظيم واستغفره انه كان توابا فكان صلى الله عليه وسلم يقول
هذا الكلام البديع في الجزالة المستوفي ما امر به في الاية وعنها كان صلى الله عليه
وسلم يقول في ركوعه سبوح قدوس رب الملايكة والروح رواه البخاري وعن حذيفة
انه كان صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده
سبحان ربي الاعلى وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع ظهره من الركوع قال سمع
الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شيت من شي
بعد رواه مسلم قال النووي بندا يعني المصلي بقوله سمع الله لمن حمده حين
الشروع في الرفع من الركوع ويمده حتى ينتصب قايما ثم يشرع في ذكر الاعتدال وهو
ربنا لك الحمد الى اخره قال وهذا الحديث دلالة للشافعي فطا بقة انه يستحب

لكل مصل من امام ومأموم ومنفرد ان يجمع بين سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد في حالة
استوايه وانتصابه في الاعتدال لانه ثبت انه صلى الله عليه وسلم فعلهما جميعا
وقد قال عليه الصلاة والسلام صلوا كما رايتموني اصلي رواه البخاري انتهى وقال
ابن القيم كان عليه الصلاة والسلام اذا استوى قايما قال ربنا ولك الحمد وربما قال
ربنا لك الحمد وربما قال اللهم ربنا لك الحمد صح عنه ذلك كله واما الجمع بين اللهم
والواو فلم يصح انتهى قلت وقع في صحيح البخاري من حديث ابي هريرة في رواية
الاصيلي مرفوعا اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد فجمع
بين اللهم والواو وهو يرد على ابن القيم كما ترى وقال الشيخ تقي الدين السبكي في شرح
العمدة كان اثبات الواو دال على معنى زايد لانه يكون التقدير ربنا استجب او
ما قارب ذلك ولك الحمد فيكون الكلام مشتملا على معنى الدعا ومعنى الخبر واذا قيل
باسقاط الواو دل على احد هذين انتهى وقال ابن العراقي اسقاط الواو وحكاه عن الشافعي
ابن قدامة وقال لان الواو للعطف وليس هنا شي يعطف عليه وعن مالك واحمد
في ذلك خلاف وقال النووي لاها جات به روايات كثيرة والمختار انه على وجه الجواز
وان الامرين جايزان ولا ترجيح لاحدهما على الاخر انتهى وعن ابي سعيد الخدري كان صلى
الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع قال اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء
الارض وملء ما شيت من شي بعد اهل الثنا والمجد احق ما قال العبد وكلنا لك
عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد رواه مسلم
قوله ملء السموات وملء الارض اي حمدا لو كان اجساما لملات السموات والارض ومعنى سمع
الله لمن حمده اي اجاب يعني ان من حمد الله تعالى متعرضا لثوابه استجاب الله له فاعطاه
ما تعرض له فانا اقول ربنا لك الحمد ليحصل ذلك وقوله اهل منصوب على الندا وقوله
وكلنا لك عبد بالواو يعني احق قول العبد لا مانع لما اعطيت الى اخره واعترض بينهما قوله
وقوله وكلنا لك عبد ومثل هذا الاعتراض قوله تعالى قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم
بما وضعت وليس الذكر كالانثى على قراة من قرا وضعت بفتح العين واسكان التا والجد
بفتح الجيم الغنى اي لا ينفع ذا الغنا منك غناه وانما ينفعه الايمان والطاعة وفي
رواية ابن ابي اوفى عند مسلم كان صلى الله عليه وسلم يقول بعد قوله من شي اللهم طهرني
بالثلج والبرد والما البارد النوع الحادي عشر في ذكر صفة سجوده صلى الله عليه وسلم
وما يقول فيه صلى الله عليه وسلم اذا انتهى من ذكر قيامه عن الركوع يكبر ويخر ساجدا
ولا يرفع يديه وقد روي انه عليه الصلاة والسلام كان يرفع يديه ايضا وصححه بعض
الحفاظ كابن حزم والذي غره ان الراوي غلط من قوله كان يكبر في كل خفض ورفع الى
قوله كان يرفع يديه في كل خفض ورفع وهو ثقة ولم يفطن لسبب غلطه ووهم فصححه
نبه عليه في زاد المعاد وكان عليه الصلاة والسلام يضع ركبتيه قبل يديه رواه ابو داود

الثلج

ج

ثم جبهته وانفه وقال امرت ان اسجد على سبعة اعظم الجبهة واليدين والركبتين واطراف
القدمين رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس قال النووي فينبغي للساجد ان يسجد
على هذه الاعضا كلها وان يسجد على الجبهة والانف جميعا فاما الجبهة فيجب وضعها
مكشوفة على الارض ويكفي بعضها والانف مستحب فلو تركه جاز ولو اقتصر عليه
وترك الجبهة لم يجز هذا مذهب الشافعي ومالك والاكثرين وقال ابو حنيفة
عليهما معا لظاهر الحديث قال الاكثرون بل ظاهر الحديث انهما في حكم عضو واحد
لانه قال فيه سبعة فلو جعلا عضوين صارت ثمانية وكان عليه الصلاة والسلام
اذا سجد فرج بين يديه حتى يبدو بياض ابطيه رواه الشيخان وقالت ميمونة
جافى بين يديه حتى لو شات بهيمة ان تمر بين يديه لمرت رواه مسلم ولم يذكر
عنه صلى الله عليه وسلم انه سجد على كور عمامته ولم يثبت عنه ذلك في حديث
صحيح ولا حسن ولكن روى عبد الرزاق في المصنف عن ابي هريرة قال كان صلى الله
عليه وسلم يسجد على كور عمامته وهو من رواية عبد الله بن محرز وهو متروك
وذكر ابو داود في المراسيل انه صلى الله عليه وسلم راى رجلا يصلي فسجد بجبينه
وقد اعتم على جبهته فحسر صلى الله عليه وسلم عن جبهته وكان صلى الله عليه وسلم
يقول في سجوده اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله اوله واخره وعلانيته وسره
رواه مسلم من حديث ابي هريرة وقوله دقه وجله بكسر اولهما اي قليله وكثيره
وعن عايشة قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته
فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في السجود وهما منصوبتان وهو يقول
اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي
ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك رواه مسلم قال الخطابي في هذا الحديث معنى
لطيف وذلك انه عليه الصلاة والسلام استعاذ بالله وساله ان يجيره برضاه من
سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضى والسخط ضدان متقابلان وكذلك المعافاة
والمعاقبة فلما صار الى ذكر ما لا ضد له وهو الله تعالى استعاذ به منه لا غير ومعناه
الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثنا عليه وقوله
لا احصي ثنا عليك اي لا اطيقه ولا اتي عليه وقيل لا احيط به وقال مالك
لا احصي نعمتك واحسانك والثنا بها عليك وان اجتهدت في الثنا عليك
وقوله انت كما اثنيت على نفسك اعتراف بالعجز عن تفصيل الثنا فانه لا يقدر
على بلوغ حقيقته ورد الثنا الى الجملة اي دون التفصيل والاحصا والتعيين
فوكل ذلك الى الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شي جملة وتفصيلا وكما انه لا نهاية
لصفاته لا نهاية للثنا عليه لان الثنا تابع للمثنى عليه فكل شي اثني به عليه
وان كثر وطال وبالغ فيه فقدر الله اعظم وسلطانه اعز وصفاته اكثر واكبر

٣٨٦

Copyright King Saud University

وفضله واحسانه اوسع واسبغ انتهي وهاهنا فايده ذكرها بعض المحققين في نهيه صلي
الله عليه وسلم عن قراة القران في الركوع والسجود وهي ان القران اشرف الكلام وحالتا
الركوع والسجود حالتا ذل وانخضاع من العبد فمن الادب مع كلام الله تعالي ان لا يقرا في
هاتين الحالتين ويكون حالة القيام والانتصاب اولي به والله اعلم روي ابو داود انه
صلي الله عليه وسلم سجد علي الما والطين وكان صلي الله عليه وسلم يرفع راسه من السجود
مكبرا غير رافع يديه ثم يرفع منه راسه قبل يديه ثم يجلس علي رجله اليسري وينصب
اليمني وكان عليه الصلاة والسلام يجلس للاستراحة جلسة لطيفة بحيث تسكن جوارحه
سكونا بينا ثم يقوم الي الركعة الثانية كما في صحيح البخاري وغيره قال النووي ومن هنا
استحبابها عقب السجدة الثانية في كل ركعة يقوم عنها ولا يستحب في سجود التلاوة
في الصلاة وكان عليه الصلاة والسلام يقول بين السجدتين اللهم اغفر لي وارحمني واهدني
وعافني وارزقني رواه ابو داود والدارمي من حديث ابن عباس الفرع الثاني عشر في
ذكر صفة جلوسه صلي الله عليه وسلم للتشهد وكان صلي الله عليه وسلم اذا جلس
للتشهد يفرش رجله اليسري وينصب اليمني رواه مسلم قال النووي معناه يجلس
مفترشا وفيه حجة لابي حنيفة ومن وافقه ان الجلوس في الصلاة يكون مفترشا في
سوائه جميع الجلسات وعند مالك يسن متوركا بان يخرج رجله اليسري من تحته
ويفضي بوركه الي الارض وقال الشافعي رحمه الله السنة ان يجلس كل الجلسات
مفترشا الا الجلسة التي يعقبها السلام والجلسات عند الشافعي اربع الجلوس بين
السجدتين وجلسة الاستراحة كل ركعة يعقبها قيام والجلسة للتشهد الاول
والجلسة للتشهد الاخير والجميع يسن مفترشا الا الاخيرة ولو كان علي المصلي سجود
سهو فالاصح ان يجلس مفترشا في تشهده فاذا سجد سجدتي السهو تورك ثم سلم
هذا تفصيل مذهب الشافعي واحتج ابو حنيفة باطلاق حديث عايشة هذا
واحتج الشافعي بحديث ابي حميد الساعدي في صحيح البخاري وفيه التصريح
بالافتراش في الجلوس الاول والتورك في اخر الصلاة وحمل حديث عايشة علي هذا
الجلوس في غير التشهد الاخير ليجمع بين الاحاديث انتهي فليتامل مع قول ابن
القيم في الهدي انه لم ينقل احد عنه صلي الله عليه وسلم ان هذا كان صفة جلوسه
وفي التشهد الاول ولا اعلم احدا قال به انتهي وقال ابو حميد الساعدي في عشرة
من اصحابه صلي الله عليه وسلم انا اعلمكم بصلاة رسول الله صلي الله عليه وسلم
قالوا فاعرض فذكر الحديث الي ان قال حتي اذا كان السجدة التي فيها التسليم اخرج
رجله اليسري وقعد متوركا علي شقه الايسر ثم سلم قالوا صدقت هكذا كان يصلي
رواه ابو داود والدارمي وفي رواية لابي داود فاذا قعد في الركعتين قعد علي بطن
قدمه اليسري ونصب اليمني واذا كان في الرابعة افضي بوركه اليسري الي

الارض

الارض واخرج قدميه من ناحية واحدة الحديث وكان عليه الصلاة والسلام اذا قعد
في التشهد وضع يده اليسري علي ركبته اليسري ووضع يده اليمني علي ركبته اليمني
وعقد ثلاثا وخمسين واشار بالسبابة وفي رواية مسلم وضع يديه علي ركبتيه ثم
ورفع اصبعه اليمني التي تلي الابهام ويدعو بها ويده اليسري علي ركبتيه باسطها
عليها وعند ابي داود من حديث وايل ابن حجر مد مرفقه اليمني علي فخذه اليمني
وقبض ثنتين وحلق حلقة ثم رفع اصبعه فرايته يحركها ويدعو وفي حديث
ابن الزبير عنده ايضا كان يشير بها ولا يحركها الحديث وكان صلي الله عليه وسلم
يستقبل باصابعه القبلة في رفع يديه في ركوعه وفي سجوده وفي التشهد ويستقبل
باصابع رجليه القبلة في سجوده الفرع الثالث عشر في ذكر تشهده صلي الله
عليه وسلم كان صلي الله عليه وسلم يتشهد دايما في هذه الجلسة ويعلم اصحابه ان
يقولوا التحيات المباركات الصلوات الطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلي عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا عبده ورسوله رواه مسلم من رواية ابن عباس وهو الذي اختاره
الشافعي بزيادة المباركات لا تشهد ابن مسعود وان قاله القاضي عياض رحمه
الله تعالي وعبارة الشافعي فيما اخرجه البيهقي بسنده الي الربيع بن سليمان
انا للشافعي جوابا لمن ساله بعد ذكر حديث ابن عباس فانا نري الرواية اختلفت
فيه عن النبي صلي الله عليه وسلم فروي ابن مسعود خلاف هذا فساق الكلام
الي ان قال فلما رايته واسعا وسمعته يعني حديث ابن عباس صحيحا ورايته اكثر
لفظا من غيره يعني من المرفوعات اخذت به غير معنف لمن اخذ بغيره هذا اخر
كلامه وليس فيه تصريح بالافضلية والعلم عند الله وقال ابو حنيفة واحمد
وجمهور الفقها واهل الحديث تشهد ابن مسعود افضل لانه عند المحدثين اشد
صحة وقال مالك رحمه الله تشهد عمر بن الخطاب الموقوف عليه افضل لانه علمه
للناس علي المنبر ولم ينازعه احد فدل علي تفضيله ومذهب الشافعي ان التشهد
الاول سنة والثاني واجب وجمهور المحدثين انهما واجبان وقال احمد الاول
واجب يجوز تركه بالسجود والثاني ركن تبطل الصلاة بتركه وقال ابو حنيفة
ومالك وجمهور الفقها هما سنتان وعن مالك رواية بوجوب الاخير وقد كان
عليه الصلاة والسلام ياتي بالتشهدين وفي الغيلانيات عن القاسم ابن محمد قال
علمتني عايشة قالت هذا تشهد رسول الله صلي الله عليه وسلم التحيات لله
والصلوات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلي عباد
الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله وهو مثل
حديث ابن مسعود سوا رواه البيهقي باسناد جيد قال النووي وفي هذا

بلغ

٣٨٧

واسعا

Copyright King Saud University

فائدة حسنة وهي ان تشهده عليه الصلاة والسلام بلفظ تشهدنا انتهى قال الحافظ
ابن حجر وكانه يشير الى رد ما وقع في الرافعي انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في التشهد
واشهد اني رسول الله وتعقبوه بانه لم يرو كذلك صريحا نعم في البخاري من حديث
سلمة بن الاكوع قال خفت ازواد القوم فذكر الحديث وفيه فقال صلى الله عليه
وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله ومن لطائف التشهد ما قاله البيضاوي
وعلمهم ان يفردوه صلى الله عليه وسلم بالذكر لشرفه ومزيد حقه عليهم فان قيل
كيف يشرع هذا اللفظ وهو خطاب بشر مع كونه منهيا عنه في الصلاة فالجواب
ان ذلك من خصايصه صلى الله عليه وسلم فان قلت ما الحكمة في العدول عن
الغيبة الى الخطاب في قوله عليك ايها النبي مع ان لفظ الغيبة هو الذي
يقتضيه السياق وكان يقول السلام على النبي فينتقل من تحية الله الى تحية
النبي ثم الى تحية النفس ثم الى الصالحين اجاب الطيبي بما محصله نحن نتبع لفظ
الرسول بعينه الذي علمه لصحابه ويحتمل ان يقال على طريق اهل المعرفة بالله ان المصلين
لما استفتحوا باب الملكوت لله بالتحيات اذن لهم بالدخول في حرم الحي الذي علمه
لا يموت فقرت اعينهم بالمناجات فنبهوا على ان ذلك بواسطة نبي الرحمة
وبركة متابعته فالتفتوا فاذا الحبيب في حرم الحبيب حاضر فاقبلوا عليه قائلين
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته انتهى وقال الترمذي الحكيم في قوله
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين من اراد ان يحظى بهذا السلام الذي يسلمه
الخلق في صلاتهم فليكن عبدا صالحا والا حرم هذا الفضل العظيم وقال القفال
في فتاويه ترك الصلاة يضر جميع المسلمين لان المصلي يقول اللهم اغفر لي وللمؤمنين
والمؤمنات ولا بد ان يقول في التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
فيكون مقصرا بخدمة الله وفي حق رسوله وفي نفسه وفي حق كافة المسلمين
ولذلك عظمت المعصية بتركها واستنبط منه السبكي ان في الصلاة حقا
للعباد مع حق الله وان من تركها اخل بجميع حق المؤمنين من مضى ومن يجي الى
يوم القيامة لوجوب قوله فيها السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين انتهى
وتقدم الكلام على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بعد التشهد
الاخير وما في ذلك من المباحث في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وعند
الطبراني مرفوعا عن سهل بن سعد لا صلاة لمن لم يصل على نبيه وكذا عند
ابن ماجة والدارقطني وعن ابن مسعود الانصاري عند الدارقطني من
صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه وعن ابن مسعود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد احدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على
محمد وعلى ال محمد وارحم محمدا وال محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم

وعلي

وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد رواه الحاكم واغتر قوم بتصحيحه فوهموا فانه من
رواية يحيى بن ابي السباق وهو مجهول عن رجل منهم وبالغ ابن العربي في انكار ذلك
فقال حذار مما ذكره ابن ابي زيد من زيادة وترحم فانه قريب من البدعة لانه
صلى الله عليه وسلم علمهم كيفية الصلاة بالوحي ففي الزيادة على ذلك استدراك
عليه انتهى قال الحافظ ابن حجر وابن ابي زيد ذكر ذلك في الرسالة في صفة
التشهد لما ذكر ما يستحب في التشهد ومنه اللهم صل على محمد وال محمد فزاد وترحم
على محمد وال محمد وبارك على محمد وال محمد الى اخره فان كان انكاره لكونه لم يصح
فمسلم والا فدعوى من ادعى انه لا يقال وارحم محمدا مردود لثبوت ذلك في عدة
احاديث اصحها في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال ثم
وجدت لابن ابي زيد مستندا فاخرج الطبري في تهذيبه من طريق حنظلة
ابن علي عن ابي هريرة من قال اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال
ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم وترحم
على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم شهدت له يوم القيامة
وشفعت له ورجال سنده رجال الصحيح الا سعيد بن سليمان مولى سعيد
ابن العاصي الراوي له عن حنظلة بن علي فانه مجهول وهذا كله فيما يقول
مضموما الى السلام او الصلاة وقد وافق ابن العربي الصيدلاني من الشافعية
على المنع ونقل القاضي عياض عن الجمهور الجواز مطلقا وقال القرطبي في
المفهم انه الصحيح لورود الاحاديث به وخالفه غيره ففي الذخيرة من كتب الحنفية
عن محمد يكره ذلك لايهامه النقص لان الرحمة غالبا انما تكون لفعل ما يلام عليه
وجزم ابن عبد البر بمنعه فقال لا يجوز لاحد اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان
يقول رحمه الله لانه عليه الصلاة والسلام قال من صلى علي ولم يقل من ترحم علي
ولا من دعا لي وان كان معنى الصلاة الرحمة ولكنه خص بهذا اللفظ تعظيما له فلا
يعدل الى غيره انتهى واخرج ابو العباس السراج عن ابي هريرة انهم قالوا يا رسول
الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وبارك على محمد
وعلى ال محمد كما صليت وباركت على ابراهيم وال ابراهيم انك حميد مجيد وفي حديث
بريدة رفعه اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى ال محمد كما
جعلتها على ابراهيم وعلى ال ابراهيم ووقع في حديث ابن مسعود عند ابي داود
والنسائي على محمد النبي الامي وفي حديث ابي سعيد على محمد عبدك ورسولك
كما صليت على ابراهيم ولم يذكر ال محمد ولا ال ابراهيم وعند ابي داود من حديث
ابي هريرة اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته
ووقع في اخر حديث ابن مسعود في العالمين انك حميد مجيد قال النووي في

٣٨٨

شرح المهذب ينبغي ان يجمع ما في الاحاديث الصحيحة فيقول اللهم صل على محمد النبي
الامي وعلى ال محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك
مثله وزاد في اخره في العالمين وقال في الاذكار مثله وزاد عبدك ورسولك بعد
قوله محمد في صل ولم يزدهما في وبارك وقال في التحقيق والفتاوى مثله الا انه
اسقط النبي الامي وقد تعقبه الاسنوي فقال لم يستوعب ما ثبت في الاحاديث
مع اختلاف كلامه وقال الاذرعي لم يسبق الى ما قاله والذي يظهر ان الافضل لمن
تشهد ان ياتي باكمل الروايات ويقول كلما ثبت هذا مرة وهذا مرة واما التلفيق
فانه يستلزم احداث صفة في التشهد لم ترد مجموعة في حديث واحد وسبقه
الى ذلك ابن القيم وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعو في الصلاة اللهم اني اعوذ بك
من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة
الممات اللهم واعوذ بك من المأثم والمغرم فقال له قايل ما اكثر ما تستعيذ من المغرم
فقال ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فاخلف رواه البخاري ومسلم من رواية
عايشة قال ابن دقيق العيد فتنة المحيا ما يعرض للانسان مدة حياته من الافتتان
بالدنيا والشهوات والجهالات واعظمها والعياذ بالله امر الخاتمة عند الموت وفتنة
الممات يجوز ان يراد بها الفتنة عند الموت اضيف لقربها منه ويجوز ان يكون
اراد به فتنة القبر ولا يكون مع هذا الوجه متكررا مع قوله عذاب القبر لان
العذاب مرتب على الفتنة والسبب غير المسبب وروى الحكيم الترمذي في
نوادر الاصول عن سفيان الثوري ان الميت اذا سئل من ربك تراءى له الشيطان
فيشير الى نفسه اي انا ربك فلهذا ورد سوال التثبيت له حين يسيل وقد
استشكل دعاوه صلى الله عليه وسلم بما ذكر مع انه مغفور له ما تقدم وما تاخر
واجيب باجوبة منها انه قصد التعليم لامته ومنها ان المراد السوال منه لامته
فيكون المعنى هنا اعوذ بك لامتي ومنها سلوك طريق التواضع واظهار العبودية
والتزام خوف الله واعظامه والافتقار اليه وامتثال امره في الرغبة اليه ولا
يمتنع تكرر الطلب مع تحقق الاجابة لان في ذلك تحصيل الحسنات ورفع
الدرجات وفيه تحريض لامته على ملازمة ذلك لانه اذا كان مع تحقق المغفرة
لا يترك التضرع فمن لم يتحقق ذلك احرى بالملازمة واما الاستعاذة من فتنة
الدجال مع تحققه انه لا يدركه فلا اشكال فيه على الوجهين الاولين وقيل على الثالث
يحتمل ان يكون ذلك قبل ان يتحقق عدم ادراكه ويدل عليه قوله في الحديث الاخر عند مسلم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه الحديث والله اعلم وعن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد التشهد اللهم اني اعوذ بك
من عذاب جهنم واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة الدجال

الاعور

الاعور واعوذ بك من فتنة المحيا والممات رواه ابو داود وعن علي ابن ابي طالب
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ما بين التشهد والتسليم اللهم اغفر لي ما قدمت
وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما اسرفت وما انت اعلم به مني انت المقدم
وانت الموخر لا اله الا انت رواه مسلم وغيره وفي رواية له واذا سلم قال اللهم
اغفر لي ما قدمت وما اخرت الى اخره ويجمع بينهما بحمل الرواية الثانية على ارادة
السلام لان مخرج الطريقين واحد واورده ابن حبان بلفظ كان اذا فرغ من الصلاة
وسلم وهذا ظاهر في انه بعد السلام ويحتمل انه كان يقول ذلك قبل السلام وبعده
وسياتي الجواب عما استشكل في دعايه عليه الصلاة والسلام بهذا الدعا في ادعيته
صلى الله عليه وسلم ان شا الله تعالى وحاصل ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من المواضع
التي كان يدعو بها في داخل صلاته ستة مواطن الاول عقب تكبيرة الاحرام
كما في حديث ابي هريرة في الصحيحين اللهم باعد بيني وبين خطاياي الحديث ونحوه
الثاني في الركوع كما في حديث عايشة عند الشيخين كان يكثر ان يقول في ركوعه
وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي الثالث في الاعتدال من الركوع كما في
حديث ابن ابي اوفى عند مسلم انه كان يقول بعد قوله من شي بعد اللهم طهرني
بالثلج والبرد والما البارد الرابع السجود وهو اكثر ما كان يدعو فيه وامر به الخامس
بين السجدتين اللهم اغفر لي الى اخره السادس في التشهد وكان ايضا يدعو في
القنوت في حال القراة اذا مر باية رحمة سال واذا مر باية عذاب استعاذ وتقدم
كل ذلك والله الموفق الفرع الرابع عشر في ذكر تسليمه عليه الصلاة والسلام
من الصلاة وكان صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن شماله حتى يرى بياض خده
رواه مسلم والنسايي من حديث عامر بن ربيعة عن ابيه وفي حديث ابن مسعود
كان يسلم عن يمينه وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله وبركاته رواه الترمذي
وزاد ابو داود حتى يرى بياض خده وفي رواية النساي حتى يرى بياض خده
من ها هنا وبياض خده من ها هنا الحديث وهذا كان فعله الراتب رواه عنه
خمسة عشر صحابيا وهم عبد الله بن مسعود وسعد بن ابي وقاص وسهل بن سعد
ووايل بن حجر وابو موسى الاشعري وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وعبد الله
ابن عمر وجابر بن سمرة والبرا بن عازب وابو مالك الاشعري وطلق بن علي
واوس بن اوس وابو ثور وعدي بن عمر وهذا مذهب الشافعي وابو حنيفة
واحمد والجمهور ومذهب مالك في طايفة المشروع تسليمة ودليل من هنا
ما تقدم واما ما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة تلقا
وجهه فلم يثبت من وجه صحيح واجود ما في ذلك حديث عايشة انه صلى
الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة السلام عليكم يرفع به صوته حتى

Copyright © King Saud University

يوقظنا وهو حديث معلول وهو في السنن لكنه في قيام الليل والذي رواه عنه التسليمتين
ما شهد وا في الفرض والنفل وحديث عايشة ليس هو صريحا في الاقتصار على تسليمة
واحدة بل اخبرت انه كان يسلم تسليمة يوقظنا بها ولم تنف الاخرى بل سكتت عنها
وليس سكوتها عنها مقدما على رواية من حفظها وضبطها وهم اكثر عددا واحاديثهم
اصح والله اعلم واختلف في التسليم فقال مالك والشافعي واحمد وجمهور العلما انه فرض
لا تصح الصلاة الا به وقال ابو حنيفة والثوري والاوزاعي سنة لو ترك صحت صلاته
وقال ابو حنيفة لو فعل منافيا للصلاة من حدث او غيره في اخرها صحت صلاته واحتج
بانه عليه الصلاة والسلام لم يعلمه الاعرابي حين علمه واجبات الصلاة واحتج الجمهور
بحديث ابي داود مفتاح الصلاة الطهور وتحليلها التسليم وكان صلى الله عليه وسلم
اذا قام في الصلاة طاطا راسه رواه احمد وكان لا يجاوز بصره اشارته وكان قد
جعل الله قرة عينه في الصلاة كما قال وجعلت قرة عيني في الصلاة رواه النسائي
ولم يكن يشغله عليه الصلاة والسلام ما هو فيه عن مراعاة احوال المومنين مع
كمال اقباله وقربه من ربه وحضور قلبه بين يديه وكان يدخل في الصلاة يريد
اطالتها فيسمع بكا الصبي فيتجوز في صلاته مخافة ان يشق على امه رواه البخاري وابو
داود والنسائي وكان يوم الناس وهو حامل امامة بنت ابي العاص بن الربيع على
عاتقه رواه مسلم وغيره قال النووي وهذا يدل لمذهب الشافعي رحمه الله ومن
وافقه انه يجوز حمل الصبي والصبية وغيرهما من الحيوان في صلاة الفرض والنفل
وللامام والماموم والمنفرد وحمله اصحاب مالك رحمه الله على النافلة ومنعوا جواز
ذلك في الفريضة وهذا التاويل فاسد لان قوله يوم الناس صريح او كالصريح في انه
كان في الفرض وادعى بعض المالكية انه منسوخ وبعضهم انه خاص به صلى الله عليه
وسلم وبعضهم انه كان لضرورة وكلها مردودة ولا دليل عليها ولا ضرورة اليها بل الحديث
صحيح صريح في جواز ذلك وليس فيه ما يخالف الشرع لان الادمي طاهر وما في جوفه
من النجاسة معفو عنها لكونه في معدته وثياب الاطفال واجسادهم على الطهارة
ودلايل الشرع متظاهرة على هذا والافعال في الصلاة لا تبطلها اذا قلت او تفرقت
وفعله عليه الصلاة والسلام للجواز وتنبيها على هذه القواعد التي ذكرتها وهذا
يرد ما ادعاه ابو سليمان الخطابي ان هذا الفعل يشبه ان يكون بغير تعمد لحملها
في الصلاة لكنها كانت تتعلق به عليه الصلاة والسلام فلم يدفعها فاذا قام بقيت
معه قال ولا يتوهم انه حملها ووضعها مرة بعد اخرى لانه عمل كثير ويشغل القلب
واذا كان علم الخميصة شغله فكيف لا يشغله هذا هذا كلام الخطابي وهو باطل ودعوى
مجردة ومما يرده قوله في صحيح مسلم فاذا قام حملها واذا رفع من السجود اعادها وقوله
في رواية غير مسلم خرج حاملا امامة وصلى وذكر الحديث واما قضية الخميصة

فانها

فانها تشغل القلب بلا فايدة وحمل امامة لا نسلم انه يشغل القلب وان شغله فيترتب
عليه فوايد وبيان قواعد مما ذكره وغيره فاحتمل ذلك الشغل لهذه الفوايد بخلاف
الخميصة والصواب الذي لا يعدل عنه ان الحديث كان للبيان والتنبيه على هذه
القواعد فهو جايز لنا وشرع مستمر الى يوم الدين والله اعلم انتهى وكان صلى الله عليه
وسلم يصلي فيجي الحسن والحسين فيركب على ظهره فيطيل السجدة كراهية ان يلقيه
عن ظهره وكان يرد السلام بالاشارة على من يسلم عليه وهو في الصلاة قال جابر بعثني
رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فادركته وهو يصلي فسلمت عليه فاشار الي رواه
مسلم وقال عبد الله بن مسعود لما قدمت من الحبشة اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يصلي فسلمت عليه فاوما براسه رواه البيهقي وكان يصلي وعايشة معترضة
بينه وبين القبلة فاذا سجد غمزها بيده فقبضت رجليها واذا قام بسطتهما رواه
البخاري وكان عليه الصلاة والسلام لا يلتفت في صلاته وروى البخاري عن عايشة
قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة قال هو اختلاس
يختلسه الشيطان من صلاة العبد وروى ابو داود من حديث سهل بن الحنظلية
انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين من يحرسنا الليلة قال انس بن ابي مرثد الغنوي
انا يا رسول الله قال اركب فركب فرسا له فقال استقبل هذا الشعب حتى تكون
في اعلاه فلما اصبحنا ثوب بالصلاة فجعل صلى الله عليه وسلم وهو يصلي يلتفت الى
الشعب حتى اذا قضى الصلاة قال ابشروا قد جا فارسكم وهذا الالتفات من الاشتغال
بالجهاد في الصلاة وهو يدخل في مداخل العبادات كصلاة الخوف وقريب منه قول عمر
رضي الله عنه اني لاجهز الجيش وانا في الصلاة فهذا جمع بين الصلاة و[illegible] ونظيره
التفكر في معاني القران واستخراج كنوز العلم منه وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فعرض
له الشيطان ليقطع عليه صلاته فاخذه وخنقه حتى سال لعابه على يديه رواه
وروى مطرف ابن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل يعني يبكي وفي رواية ولصدره ازيز كازيز
الرحا من البكا رواه احمد ولم يكن صلى الله عليه وسلم يغمض عينيه في صلاته وعن
انس قال كان قرام لعايشة سترت به جانب بيتها فقال صلى الله عليه وسلم
اميطي عنا قرامك هذا فانه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي رواه البخاري ولو
كان يغمض لما عرضت له في صلاته وقد اختلف الفقها في كراهيته والحق ان يقال
ان كان تفتيح العين لا يخل بالخشوع فهو افضل وان كان يحول بينه وبين الخشوع كان
يكون في قبلته زخرفة او غيرها مما يشغل قلبه فلا يكره التغميض قطعا بل ينبغي ان
يكون مستحبا في هذه الحالة   كانت صلاته صلى الله عليه وسلم متوسطة عارية
عن الغلو كالوسوسة في عقد النية ورفع الصوت بها والجهر بالاذكار والدعوات

قال اسد

٣٩٠

Copyright King Saud University

التي شرعت سرا وتطويل ما السنة تخفيفه كالتشهد الاول الي غير ذلك مما يفعله
كثير من ابتلي بدا الوسوسة عافانا الله منها وهي نوع من الجنون وصاحبها
بلا ريب مبتدع مستنبط في افعاله واقواله شيا لم يفعله النبي صلي الله عليه وسلم
ولا احد من الصحابة وقد قال عليه الصلاة والسلام ان خير الهدي هدي محمد صلي
الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعنه ايضا واياكم ومحدثات الامور فان كل
محدثه بدعه وكل بدعة ضلاله وكل ضلالة في النار وربما نسب الي امام الحرمين
الوسوسه نقص في العقل او جهل باحكام الشرع ومن غرايب ما يقع لهولا الموسوسين
ان بعضهم يشتغل بتكرير الطهارة حتي تفوته الجماعه وربما فاته الوقت ومنهم
من يشتغل في النيه حتي تفوته التكبيرة الاولي وربما تفوته ركعة واكثر ومنهم
من يحلف ان لا يزيد علي هذه التكبيرة ثم يكذب ومن العجايب ان بعضهم يتوسوس
في حال قيامه حتي يركع الامام فاذا اخشي فوات الركوع كبر سريعا وادركه فمن لم يحصل
له النيه في القيام الطويل حال فراغ باله كيف حصلت له في الوقت الضيق مع شغل
باله بفوات الركعه ومنهم من يكثر التلفظ بالتكبير حتي يشوش علي غيره من المامومين
ولا ريب ان ذلك مكروه ومنهم من يزعج اعضاه ويحني جبهته ويقيم عروق عينيه
ويصرخ بالتكبير كانه يكبر علي العدو ومنهم من يغسل عضوه غسلا يشاهده ببصره
ويكبر ويقرا بلسانه ويسمع باذنه ويعلمه بقلبه ومع ذلك يصدق الشيطان في
انكاره بيقين نفسه ويجحد ما راه ببصره وسمعه باذنه وقد سال رجل ابا الوفا بن عقيل
فقال اني اكبر واقول ما كبرت واغسل العضو في الوضوء واقول ما غسلته فقال ابن عقيل
دع الصلاة فانها لا تجب لا عليه فقال له كيف ذلك فقال لان النبي صلي الله عليه وسلم
رفع القلم عن المجنون حتي يفيق ومن يكبر ثم يقول ما كبرت فليس بعاقل والمجنون
لا تجب عليه الصلاة فمن اراد التخلص من هذه البلية فليتبع سنة نبيه صلي
الله عليه وسلم السنية ويقتدي بملته الحنفية فان غلبه الامر وضاقت عليه
المسالك فليتضرع الي الله ويبتهل اليه في كشف ذلك الفرع الخامس عشر في

ذكر قنوته صلي الله عليه وسلم اعلم ان القنوت يطلق علي القيام والسكوت ودوام العبادة
والدعا والتسبيح والخضوع قال تعالي وله من في السموات والارض كل له قانتون وقال
تعالي امن هو قانت انا الليل ساجدا وقايما الايه وقال تعالي وصدقت بكلمات
ربها وكتبه وكانت من القانتين والمراد به هنا الدعا في الصلاة في محل مخصوص
من القيام وعن انس قال بعث النبي صلي الله عليه وسلم سبعين رجلا يقال
لهم القرا فعرض لهم حيان من سليم رعل وذكوان عند بير يقال له بير معونة
فقتلوهم فدعا عليهم النبي صلي الله عليه وسلم شهرا في صلاة الغداة وذلك بدو
القنوت وما كنا نقنت قال عبد العزيز بن صهيب فسال رجل انسا عن

القنوت

بلغ

القنوت ابعد الركوع ام عند الفراغ من القراة قال بل عند الفراغ من القراة وفي
اخري قنت شهرا بعد الركوع في صلاة الصبح يدعوا علي رعل وذكوان ويقول عصية
عصت الله ورسوله وفي اخري بعث صلي الله عليه وسلم سرية يقال لهم القرا فاصيبوا
فما رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم وجد علي شي ما وجد عليهم فقنت شهرا في صلاة
الفجر هذه رواية البخاري ومسلم وللبخاري كان القنوت في المغرب والفجر وفي رواية
ابي داود والنساي قنت في صلاة الصبح بعد الركوع وفي اخري قنت شهرا ثم تركه
وفي اخري للنساي قنت شهرا يلعن رعلا وذكوان ولحيان وعن ابن عباس قنت صلي
الله عليه وسلم شهرا متتابعا في الظهر والعصر والمغرب والعشا وصلاة الصبح في
دبر كل صلاة اذا قال سمع الله لمن حمده من الركعة الاخرة يدعوا علي احيا من سليم علي
رعل وذكوان وعصية ويومن من خلفه رواه ابو داود وعن ابن عمر انه سمع رسول
الله صلي الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الاخرة من الفجر يقول
اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فانزل
الله عليه ليس لك من الامر شي الي قوله فانهم ظالمون رواه البخاري وعن ابي هريرة
لما رفع صلي الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد ابن الوليد
وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك علي
مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وفي رواية في صلاة الفجر وفي رواية ثم بلغنا
انه ترك ذلك لما انزل الله تعالي عليه ليس لك من الامر شي الايه رواه البخاري ومسلم
وعن البرا ان صلي الله عليه وسلم يقنت في الصبح والمغرب رواه مسلم والترمذي ولابي
داود في صلاة الصبح ولم يذكر المغرب وعن ابي مالك الاشجعي قال قلت لابي يا ابه انك قد
صليت خلف رسول الله صلي الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان وعلي ابن ابي طالب
ها هنا بالكوفة خمس سنين اكانوا يقنتون قال اي بني محدث قال اصل الحديث رواه الترمذي
وعن سعيد بن جبير قال اشهد اني سمعت ابن عباس يقول ان القنوت في صلاة
الفجر بدعة رواه الدارقطني قال بعض العلما الصواب انه صلي الله عليه وسلم
قنت وترك وكان تركه للقنوت اكثر من فعله فانما قنت عند النوازل للدعا
لقوم والدعا علي اخرين ثم تركه لما قدم من دعا لهم وخلصوا من الاسر واسلم من
دعا عليهم فجاوا تايبين وكان قنوته لعارض فلما زال العارض ترك القنوت ولم يكن
مختصا بالفجر بل كان يقنت في صلاة الفجر والمغرب ذكره البخاري في صحيحه عن انس
وذكره مسلم عن البرا وصح عن ابي هريرة انه قال والله اني لاقربكم صلاة برسول
الله صلي الله عليه وسلم انه كان يقنت في الركعة الاخرة من الصبح بعد ما يقول سمع
الله لمن حمده قال ابن ابي فديك ولا ريب ان رسول الله صلي الله عليه وسلم فعل ذلك
ثم تركه فهذا رد علي القايل بكراهة القنوت في الفجر مطلقا عند النوازل وغيرها

٣٩١

يوسف

اى بديني محدث

Copyright King Saud University

الحديث

ويقولون هو منسوخ وفعله بدعة واهل متوسطون بين هولا ومن استحبه
ويقولون فعله سنة وتركه سنة ولا ينكرون علي من داوم عليه ولا يكرهون
فعله ولا يرونه بدعة ولا فاعله مخالفا للسنة من قنت ومن ترك فقد احسن
انتهي ومذهب الشافعي رحمه الله ان القنوت مشروع في صلاة الصبح دايما في
الاعتدال من ثانية الصبح لما رواه انس ما زال رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقنت في الفجر حتي فارق الدنيا رواه احمد وغيره قال ابن الصلاح قد حكم بصحته
غير واحد من الحفاظ منهم الحاكم والبيهقي وابو عبد الله محمد بن علي البلخي وفي
البيهقي العمل بمقتضاه عن الخلفا الاربعة وقال بعضهم اجمعوا انه صلي الله عليه
وسلم قنت في الصبح ثم اختلفوا هل ترك فيتمسك بما اجمعوا عليه حتي يثبت
ما اختلفوا فيه انتهي واما حديث ابن ابي فديك عن عبد الله بن سعيد بن ابي
سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم
اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الثانية من صلاة الصبح يرفع يديه ويدعوا
بهذا الدعا اللهم اهدني فيمن هديت الي اخره فقال ابن القيم في زاد المعاد لا يبين
الاحتجاج به لو كان صحيحا او حسنا ولكن لا يحتج بعبد الله هذا وان كان الحاكم صحح
حديثه في القنوت انتهي وهذا الحديث رواه الحاكم وصححه ورد عليه كما قاله
ابن القيم وقد اتفقوا علي ضعف عبد الله بن سعيد وعن ابن عباس كان صلي الله
عليه وسلم يقنت في صلاة الصبح وفي وتر الليل بهولا الكلمات اللهم اهدني فيمن
هديت اخرجه محمد بن نصر في كتاب قيام الليل والصحيح انه لا يتعين فيه
دعا مخصوص بل يحصل بكل دعا وفيه وجه انه لا يحصل الا بالدعا المشهور
وهو اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت
وبارك لي فيما اعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضي عليك وانه
لا يذل من واليت تباركت وتعاليت رواه ابو داود والترمذي والنساي
من حديث الحسن بن علي قال علمني رسول الله صلي الله عليه وسلم كلمات
اقولهن في الوتر فذكره واسناده صحيح قال البيهقي فقد صح ان تعليم هذا الدعا
وقع لقنوت صلاة الصبح ولقنوت الوتر انتهي وقوله فانك تقضي بالفا
والواو في وانه لا يذل وربنا قبل وتعاليت الا ان الفا لم تقع في رواية ابي
داود وزاد البيهقي بعد قوله انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت
وزاد ابن ابي عاصم في كتاب التوبة نستغفرك اللهم ونتوب اليك ويسن الصلاة
علي رسول الله صلي الله عليه وسلم في اخره لان النساي قد رواه من حديث
الحسن بسند صحيح او حسن كما قاله في شرح المهذب ولفظه اي النساي وصلي
الله علي النبي وجزم في الاذكار باستحباب الصلاة علي الال والسلام وخالفه صاحب

الاقليد

الاقليد فقال اما ما وقع في كتب اصحابنا من زيادة وسلم وما يعتاده الايمة الان من ذكر
الال والازواج والاصحاب فكل ذلك لا اصل له قلت عبارة النووي في الاذكار
ويستحب ان يقول عقب هذا الدعا اللهم صل علي محمد وعلي ال محمد وسلم فقد جا
في رواية النساي باسناد حسن وصلي الله علي النبي انتهي وتعقب بان لفظ
البغوي خلاف الدليل ويزيد عليه ذكر الال والتسليم نعم وقعت الزيادة عند
الرافعي والروياني معروفة لحديث الحسن بن علي عند النساي لكنها ليست
عنده في رواية احد من الرواة عنه علي ان لفظ وصلي الله علي النبي زايد علي
رواية الترمذي وهي زيادة غريبة غير ثابتة لاجل عبد الله بن علي احد
رواته لانه غير معروف وعلي تقدير ان يكون هو عبد الله بن علي بن الحسن
ابن علي فهو منقطع لانه لم يسمع من جده الحسن بن علي فقد تبين انه ليس من شرط
الحسن لانقطاعه او جهالة راويه ولم تنجبر الزيادة بمجيها من وجه اخر فحينيذ
فقد تبين شذوذها علي ما لا يخفي نعم اصل الحديث الي اخره وتعاليت حسن
لاعتضاده برواية الترمذي وغيره بخلاف الزيادة اذ لم تجي في غيره وحيث
سنا الصلاة علي الال علي ما جزم به النووي فينبغي عدها في القنوت ايضا
قال في المجموع عن البغوي ويكره اطالة القنوت كالتشهد الاول وهو ظاهر
علي ما صححه فيه وفي تحقيقه في باب سجود السهو من ان الاعتدال ركن طويل
اما علي ما صححه تبعا في صلاة الجماعة من انه قصير وهو ما في المنهاج والروضة فقد
يقال القياس البطلان لان تطويل الركن القصير عمدا مبطل ويجاب بحمل ذلك
علي غير محل القنوت اذ البغوي نفسه القايل بكراهة الاطالة قايل بان تطويل
الركن القصير مبطل عمده ويسن للمنفرد والامام برضي المحصورين الجمع في قنوت الوتر
بين القنوت السابق وبين قنوت عمر وهو اللهم انا نستعينك الي اخره والاولي تاخيره
عن القنوت السابق ويسن رفع يديه رواه البيهقي باسناد جيد قال في المجموع
وفي سن مسح وجهه بهما وجهان اشهرهما نعم واصحهما لا قال البيهقي ولا احفظ في
مسحه هنا عن احد من السلف شيا وان روي عن بعضهم في الدعا خارج الصلاة
ومسح غير الصدر كالصدر يكره وقال النووي في الاذكار اختلف اصحابنا في رفع
اليدين في القنوت ومسح الوجه بها علي ثلاثة اوجه اصحها يستحب رفعهما ولا
يمسح الوجه والثاني يرفع ويمسحه والثالث لا يرفع يمسح ولا يرفع واتفقوا علي انه
لا يمسح غير الوجه من الصدر ونحوه بل قالوا ذلك مكروه انتهي ويجهر به الامام
دون المنفرد بالقنوت وان كانت الصلاة سرية للاتباع رواه البخاري قال
الماوردي وليكن جهره به دون جهره بالقراءة فان سمعه الماموم امن كما كانت
الصحابة يومنون خلفه صلي الله عليه وسلم في ذلك رواه ابو داود باسناد

Copyright ... University

جيمن ويوافقه في الثناء سرا او يسكت لانه ثناء وذكر لا يليق به التأمين والدعاء بشمل
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثبوه من فيما صرح به الطبري وان لم يسمع المأموم
قنوت الامام قنت معه سرا كبقية الاذكار والدعوات ولا قنوت لغير وتر وصبح
الا النازلة من خوف او قحط او وبا او جراد او نحوها فيستحب ان يقنت في مكتوبة
غير الصبح لا منذورة وصلاة جنازة ونافلة وفي البخاري من حديث ابي هريرة انه
صلى الله عليه وسلم جهر بالقنوت في النازلة انتهى ملخصا في شرح البهجة لشيخ الاسلام
ابي يحيى زكريا الانصاري مع زيادة من غيره والله اعلم الفصل الرابع في ذكر سجوده
صلى الله عليه وسلم للسهو في الصلاة اعلم ان السهو هو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب
الى غيره قاله الازهري وفرق بعضهم فيما حكاه القاضي عياض بين السهو والنسيان
من حيث المعنى وزعم ان السهو جائز في الصلاة على الانبيا عليهم الصلاة والسلام بخلاف
النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل فكان صلى الله عليه وسلم
يسهو في الصلاة ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها
لا غفلة عنها انتهى قال ابن كيكلدي وهو ضعيف من جهة الحديث ومن حيث
اللغة اما من جهة الحديث فلما ثبت في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر
انسى كما تنسون واما من حيث اللغة فقول الازهري الماضي ونحوه قول الجوهري
وغيره وقال في النهاية السهو في الشيء تركه عن غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو
فرق حسن دقيق وبه يظهر الفرق بين السهو الذي وقع من النبي صلى الله عليه وسلم
غير مرة والسهو عن الصلاة الذي ذم الله فاعله وقيل كان سهوه صلى الله عليه وسلم
من اتمام نعم الله على امته واكمال دينهم ليقتدوا به فيما يشرعه لهم عند السهو وهذا
معنى الحديث المنقطع الذي في الموطا الآتي التنبيه عليه ان شاء الله تعالى انما
انسى او أنسّى لأسن فكان صلى الله عليه وسلم ينسى فيترتب على سهوه احكام
شرعية تجري على سهو امته الى يوم القيامة واختلفوا في حكمه فقال الشافعية
مسنون كله وعن المالكية السجود للنقص واجب دون الزيادة وعن الحنابلة
التفصيل بين الواجبات يجب لتركها سهوا وبين السنن القولية فلا يجب وكذا
يجب اذا سها بزيادة فعل او قول يبطلها عمده وعن الحنفية واجب كله وحجتهم
قوله عليه الصلاة والسلام في حديث ابن مسعود عند البخاري ليسجد سجدتين
والامر للوجوب وقد ثبت من فعله عليه الصلاة والسلام وافعاله في الصلاة
محمولة على البيان وبيان الواجب واجب لاسيما مع قوله عليه الصلاة والسلام صلوا
كما رأيتموني اصلي انتهى وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم السجود على قسمين
الاول السجود قبل التسليم فعن الاعرج عن عبد الله بن بحينة انه قال
صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من بعض الصلوات ثم قام فلم

يجلس

يجلس فقام الناس معه فلما قضى صلاته ونظرنا تسليمه كبر قبل التسليم فسجد سجدتين
وهو جالس ثم سلم رواه البخاري وفي رواية له عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن بحينة
ايضا انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام من اثنتين من الظهر لم يجلس
بينهما فلما قضى صلاته سجد سجدتين ثم سلم بعد ذلك وفي رواية ايضا عن الاعرج
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام في صلاة الظهر وعليه جلوس فلما اتم
صلاته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل ان يسلم وسجدهما الناس
معه مكان ما نسي من الجلوس رواه مسلم ايضا وزاد الضحاك عن الاعرج عن
ابن خزيمة بعد قوله ثم قام فلم يجلس فسبحوا به وهو يصلي [illegible]
براسه رواه البيهقي يصلي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة فاذا سجد
غمزها بيده فقبضت رجليها واذا قام بسطتهما رواه البخاري عليه الصلاة
والسلام لا يلتفت في صلاته البخاري عن عائشة قالت سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة قال هو اختلاس يختلسه الشيطان
من صلاة العبد ابو داود من حديث سهل بن الحنظلية انه صلى الله عليه
وسلم قال يوم حنين من يحرسنا الليلة قال انس بن ابي مرثد الغنوي انا يا رسول
الله قال اركب فركب فرسا له فقال استقبل هذا الشعب حتى تكون في اعلاه
فلما اصبحنا ثوب في الصلاة فجعل صلى الله عليه وسلم وهو يصلي يلتفت الى الشعب
٣٩٣ حتى اذا قضى الصلاة قال ابشروا فقد جاء فارسكم فهذا الالتفات من الاشتغال
بالجهاد في الصلاة وهو يدخل في مراحل العبادات كصلاة الخوف وقريب منه
قول عمر رضي الله عنه اني لاجهز الجيش وانا في الصلاة فهذا جمع بين الصلاة
والجهاد ونظيره التفكر في معاني القران واستخراج كنوز العلم منه صلى الله
عليه وسلم يصلي تعرض له الشيطان ليقطع عليه صلاته فاخذه وخنقه حتى
سال لعابه على يديه رواه مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه
قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل يعني يبكي
وفي رواية ولصدره ازيز كازيز الرحى من البكاء رواه احمد صلى الله عليه وسلم
يغمض عينيه في صلاته انس قال كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها
فقال صلى الله عليه وسلم اميطي عنا قرامك هذا فانه لا تزال تصاوير تعرض لي
في صلاتي رواه البخاري ولو كان يغمض لما عرضت له في صلاته اختلف الفقها
تعقيد في كراهيته والمختار ان يقال ان كان تفتيح العين لا يخل بالخشوع فمضى حتى فرغ من
صلاته وفي رواية الترمذي قام في الظهر وعليه جلوس فلما اتم صلاته سجد سجدتين
يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل ان يسلم وفي هذا مشروعية سجود السهو وانه
سجدتان فلو اقتصر على سجدة واحدة ساهيا لم يلزمه شيء او عامدا ابطلت صلاته

Copyright ... University

لانه تعمد الاتيان بسجدة زايدة ليست مشروعة وانه يكبر لها كما يكبر في غيرها من
السجود واستدل به على ان سجود السهو قبل السلام ولا حجة فيه في كونه جميعه كذلك
نعم يرد على من زعم ان جميعه بعد السلام كالحنفية واستدل به ايضا على ان الماموم
يسجد مع الامام اذا سهى الامام وان لم يسه الماموم وان سجد السهو لا تشهد بعده
وان محله اخر الصلاة فلو سجد للسهو قبل ان يتشهد ساهيا اعاد عند من يوجب
التشهد الاخير وهو الجمهور وفيه ان من سهى عن التشهد الاول حتى قام
الى الركعة ثم ذكر لا يرجع فقد سبحوا به صلى الله عليه وسلم كما في رواية ابن خزيمة
فلم يرجع فلو تعمد المصلي الرجوع بعد تلبسه بالركن بطلت صلاته عند الشافعي
القسم الثاني السجود بعد التسليم عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال صلى بنا النبي صلى الله
عليه وسلم الظهر او العصر فسلم فقال له ذو اليدين الصلاة يا رسول الله انقصت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه احق ما يقول قالوا نعم فصلى ركعتين
اخراوين ثم سجد سجدتين قال سعد ورايت عروة بن الزبير صلى المغرب ركعتين
فسلم وتكلم ثم صلى ما بقي وسجد سجدتين وقال هكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم
رواه البخاري وقوله صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر في ان ابا هريرة
حضر القصة وحمله الطحاوي على المجاز فقال ان المراد به صلى بالمسلمين وسبب
ذلك قول الزهري ان صاحب القصة استشهد ببدر فان مقتضاه ان تكون
القصة وقعت قبل بدر وهي قبل اسلام ابي هريرة باكثر من خمس سنين لكن
اتفق ايمة الحديث كما نقله ابن عبد البر وغيره على ان الزهري وهم في ذلك
وسببه انه جعل القصة لذي الشمالين وذو الشمالين هو الذي قتل ببدر
وهو خزاعي واسمه عمير واما ذو اليدين فتاخر بعد النبي صلى الله عليه وسلم
كما اخرجه الطبراني وغيره وهو سلمي واسمه الخرباق كما سياتي قالوا وقع عند الزهري بلفظ
فقام ذو الشمالين وهو يعرف انه قتل ببدر فقال لاجل ذلك ان القصة وقعت قبل
بدر وقد جوز بعض الايمة ان تكون القصة وقعت لكل من ذي الشمالين وذي
اليدين وان ابا هريرة روى الحديثين فارسل احدهما وهو قصة ذي الشمالين
وشاهد الاخرى وهو قصة ذي اليدين وهذا محتمل في طريق الجمع وروى البخاري
ايضا عن ابن سيرين عن ابي هريرة قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم احدى صلاتي العشا
قال محمد بن سيرين واكثر ظني العصر ركعتين ثم سلم ثم قام الى خشبة في مقدم
المسجد فوضع يده عليها وفيهم ابو بكر وعمر فهابا ان يكلماه وخرج سرعان الناس
فقالوا اقصرت الصلاة ورجل يدعوه النبي صلى الله عليه وسلم ذا اليدين
فقال انسيت ام قصرت فقال لم انس ولم تقصر فقال بلى قد نسيت فصلى
ركعتين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده او اطول ثم رفع راسه وكبر وعن عمران بن

الحصين

بمدة لانه حدث
بعد الحديث بعد
النبي صلى الله عليه وسلم

الحصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العصر فسلم في ثلاث ركعات
ثم دخل منزله فقام اليه رجل يقال له الخرباق وكان في يده طول فقال يا رسول
الله فذكر صنيعه وخرج غضبانا يجر رداءه حتى انتهى الى الناس فقال اصدق هذا
قالوا نعم فصلى ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم رواه مسلم وهو من افراده لم يروه
البخاري ورواه احمد وابو داود والخرباق بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء بعدها
موحدة واخره قاف هو اسم ذي اليدين كما ذكر اليه الاكثر وطول يديه يمكن ان
يحمل على الحقيقة او كناية عن طولها بالعمل والبذل قال الحافظ ابن حجر الظاهر
في نظري توحد حديث ابي هريرة وان كان قد جنح ابن خزيمة ومن تبعه الى
تعدد هذه القصة والحامل لهم على ذلك اختلاف الواقع في السياقين ففي حديث
ابي هريرة ان السلام وقع في اثنتين وانه صلى الله عليه وسلم قام الى خشبة من المسجد
وفي حديث عمران هذا انه سلم من ثلاث وانه دخل منزله فلما فرغ من الصلاة فاما
الاول فقد حكى ابن كنكلدي العلاي ان بعض شيوخه حمله على ان المراد به انه
سلم في ابتدا الركعة الثالثة واستبعده ولكن طريق الجمع يكتفي فيها بادنى مناسبة
وليس بابعد من دعوى تعدد القصة فانه يلزم منه كون ذي اليدين في كل
مرة استفهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك واستفهم النبي صلى الله عليه وسلم
الصحابة على صحة قوله واما الثاني فلعل الراوي لما راه تقدم من مكانه الى جهة
الخشبة ظن انه دخل منزله لكون الخشبة كانت في جهة منزله فان كان كذلك
والا فرواية ابي هريرة ارجح لموافقة ابن عمر له على سياقه كما اخرجه الشافعي
وابو داود وابن ماجه وابن خزيمة انتهى وعن معاوية ابن حديج بضم الحاء المهملة
اخره جيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوما فانصرف وقد بقي من الصلاة
ركعة فادركه رجل فقال نسيت من الصلاة ركعة فرجع فدخل المسجد فامر بلالا
فاقام الصلاة فصلى بالناس ركعة فاخبرت بذلك الناس فقالوا تعرف الرجل
قلت لا الا ان اراه فمر بي فقلت هو هذا فقالوا هذا طلحة بن عبيد الله رواه
ابو داود والبيهقي في سننهما وابن خزيمة في صحيحه وعين الصلاة المغرب
وقال ابن خزيمة وهذه القصة غير قصة ذي اليدين لان المعلم للنبي صلى الله
عليه وسلم في هذه القصة طلحة بن عبد الله ومخبره في تلك القصة ذو
اليدين انما كان في الظهر او العصر وفي هذه القصة انما كان السهو في المغرب
لا في الظهر ولا في العصر وعن محمد بن سيرين عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم انصرف من اثنتين فقال له ذو اليدين اقصرت الصلاة
ام نسيت يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق ذو اليدين
فقال الناس نعم فقام صلى الله عليه وسلم فصلى اثنتين اخريين ثم سلم ثم كبر فسجد

الجواب محذوف تقديره
فالامر ظاهر

١٣٩٥٤

Copyright King Saud University

مثل سجوده او اطول ثم رفع وفي رواية سلمة بن علقمة قلت لمحمد يعني ابن سيرين
في سجدتي السهو تشهد فقال ليس في حديث ابي هريرة رواه البخاري ومسلم ومالك
وابو داود والترمذي والنسائي قال الحافظ ابن حجر لم يقع في غير هذه الرواية لفظ
القيام وقد استشكل انه صلى الله عليه وسلم كان قايما واجيب بان المراد بقوله فقام اي
اعتدل لانه كان مستندا الى الخشبة كما مر وقد يفهم من قول محمد بن سيرين عن
التشهد ليس في حديث ابي هريرة انه ورد في حديث غيره وهو كذلك فقد رواه ابو
داود والترمذي وابن حبان والحاكم من طريق اشعث بن عبد الملك عن محمد بن سيرين
عن التشهد ليس في حديث ابي هريرة انه ورد في حديث غيره وهو كذلك فقد رواه
ابو داود والترمذي وابن حبان والحاكم من طريق اشعث بن عبد الملك عن محمد بن سيرين
عن خالد الحذاء عن ابي قلابة عن ابي المهلب عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه
وسلم صلى بهم فسهى فسجد سجدتين ثم تشهد ثم سلم قال الترمذي حسن غريب وقال
الحاكم صحيح على شرطهما وقال ابن حبان ما روى ابن سيرين عن خالد غير هذا الحديث وضعفه
البيهقي وابن عبد البر وغيرهما ووهموا رواية اشعث لمخالفته غيره من الحفاظ عن ابن
سيرين فزيادة اشعث شاذة لكن قد ورد في التشهد في سجود السهو عن ابن مسعود
عن ابي داود والنسائي وعن المغيرة عند البيهقي وفي اسنادهما ضعف فقد يقال ان
الاحاديث الثلاثة في التشهد باجتماعها ترتقي الى درجة الحسن قال العلائي وليس
ذلك ببعيد وقد صح ذلك عن ابن مسعود من قوله اخرجه ابن ابي شيبة انتهى ملخصا
من فتح الباري وفي رواية ابي سفيان عن ابي هريرة عند مسلم صلى لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسلم من ركعتين فقام ذو اليدين فقال اقصرت الصلاة يا رسول
الله ام نسيت فقال رسول الله كل ذلك لم يكن فقال قد كان بعض ذلك يا رسول الله
وفي رواية ابي داود من طريق حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن ابن سيرين في
هذا الحديث قال فكبر ثم كبر وسجد للسهو وهذا يؤيد من قال لا بد من تكبيرة الاحرام
في سجود السهو بعد السلام والجمهور على الاكتفاء بتكبيرة السجود وهو ظاهر غالب
الاحاديث وقال ابو داود لم يقل احد كبر ثم كبر الا حماد بن زيد فاشار الى شذوذ
هذه الرواية ويحتمل ان تكون الخشبة المذكورة في هذا الحديث الجذع الذي
كان عليه الصلاة والسلام يستند اليه قبل اتخاذ المنبر وانما وقع الاستفهام هل
قصرت لان الزمان كان زمان النسخ وقوله فقال لم انس ولم تقصر صريح في نفي
النسيان ونفي النقص وفيه تفسير للمراد بقوله في رواية ابي سفيان المتقدمة
كل ذلك لم يكن وتاييد لما قاله اصحاب المعاني ان لفظ كل اذا تقدم وعقبها النفي
كانت نفيا لكل فرد لا للمجموع بخلاف ما اذا تاخرت كان يقول لم يكن كل ذلك ولهذا
اجاب ذو اليدين في رواية ابي سفيان بقوله بلى قد نسيت لانه لما نفى الامرين

وكان مقررا عند الصحابة ان السهو غير جائز عليه في الامور البلاغية جزم بوقوع
النسيان لا القصر وهو حجة لمن قال ان السهو جائز على الانبياء فيما طريقه التشريع
وان كان القاضي عياض نقل الاجماع على عدم جواز دخول السهو في الاقوال التبليغية
وخص الخلاف في الافعال لكنهم تعقبوه نعم اتفق من جوز ذلك على انه لا يقر عليه
بل يقع له بيان ذلك اما متصلا بالفعل او بعده كما وقع في هذا الحديث من قوله
لم انس ولم تقصر ثم بين انه نسي ومعنى قوله لم انس اي في اعتقادي لا في نفس
الامر ويستفاد منه ان الاعتقاد عند فقد اليقين يقوم مقام اليقين وفايدة
السهو في مثل ذلك بيان الحكم الشرعي اذا وقع مثله لغيره واما من منع السهو
مطلقا فاجابوا عن هذا الحديث باجوبة فقيل قوله لم انس نفيا للنسيان ولا
يلزم منه نفي السهو وهذا قول من فرق بينهما وقد تقدم تضعيفه ويكفي
فيه قوله في هذه الرواية بلى قد نسيت واقره على ذلك وقيل قوله لم انس على
ظاهره وحقيقته وكان يتعمد ما يقع منه من ذلك ليقع التشريع منه
بالفعل لكونه ابلغ من القول وتعقب بحديث ابن مسعود عند البخاري
ومسلم ولم يلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فزاد ونقص شك بعض الرواة
والصحيح انه زاد فلما سلم قيل له يا رسول الله احدث في الصلاة شي قال وما ذلك
قالوا صليت كذا وكذا قال فثنى رجليه واستقبل القبلة وسجد سجدتين ثم سلم
فلما اقبل علينا بوجهه قال انه لو حدث في الصلاة شي لنباتكم به ولكن انما انا بشر مثلكم
انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني واذا شك احدكم في صلاته فليتحر الصواب
فليتم عليه ثم يسلم ثم يسجد سجدتين ففيه اثبات العلة قبل الحكم بقوله انما انا بشر
٣٩٥ مثلكم ولم يكتف باثبات وصف النسيان حتى دفع قول من عساه يقول ليس
نسيانه كنسياننا فقال كما تنسون وبهذا الحديث ايضا يرد قول من قال معنى
قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه حيث قال اني لا انسى ولكن انسى
لاسن وانكار اللفظ الذي انكره على غيره حيث قال بيسما لاحدكم ان يقول نسيت
اية كذا وكذا وقد تعقبوا هذا ايضا بان حديث اني لا انسى لا اصل له فانه من
بلاغات مالك التي لم توجد موصولة بعد البحث الشديد وهي اربعة قاله ابن
عبد البر واما الاخر فلا يلزم من ذم اضافة نسيان الاية ذم اضافة نسيان كل شي فان
الفرق بينهما واضح جدا وقيل ان قوله لم انس راجع الى السلام اي سلمت قصدا
بانيا على ما في اعتقادي انني صليت اربعا وهذا جيد وكان ذا اليدين فهم العموم
فقال بلى قد نسيت وكان هذا القول اوقع شكا احتاج معه الى استثبات
الحاضرين وبهذا التقرير يندفع ايراد من استشكل كون ذي اليدين عدلا
ولم يقبل خبره بمفرده فسبب التوقف فيه كونه اخبر عن امر متعلق بفعل

المسبوق مغايرا لما في اعتقاده وبهذا يجاب من قال ان من اخبر بامر حسي بحضرة
جمع لا يخفى عليهم ولا يجوز عليهم التواطي ولا حامل لهم على السكوت عنه ثم لم يكذبوه
انه لا يقطع بصدقه فان سبب عدم القطع كون خبره معارضا باعتقاد المسبوق
خلاف ما اخبر به ومنه ان الثقة اذا انفرد بزيادة خبر وكان المجلس متحدا او امتنع
في العادة غفلتهم عن ذلك انه لا يقبل خبره ومنه جواز البنا على الصلاة لمن اتى
بالمنافي سهوا وقال سحنون انما يبني من سلم من ركعتين كما في قصة ذي اليدين
لان ذلك وقع على غير القياس فيقتصر به على مورد النص والزم بقصر ذلك
على احدى صلاتي العشي فيمنعه مثلا في الصبح والذين قالوا بجواز البنا مطلقا
قيدوه بما اذا لم يطل الفصل ومنه ان الكلام سهوا لا يقطع الصلاة خلافا للحنفية
واستدل به على ان تعمد الكلام لمصلحة الصلاة لا يبطلها وتعقب بانه صلى الله
عليه وسلم لم يتكلم الا ناسيا واما قول ذي اليدين له بلى قد نسيت وقول الصحابة
له صدق ذو اليدين فانهم تكلموا معتقدين للنسخ في وقت يمكن وقوعه فيه
فتكلموا ظنا انهم ليسوا في صلاة كذا قيل وهو فاسد لانهم تكلموا بعد قوله عليه
الصلاة والسلام لم تقصر واجيب بانهم لم ينطقوا وانما اوموا كما عند ابي داود في
رواية ساق مسلم اسنادها وهذا اعتمده الخطابي وقال حمل القول على الاشارة
مجاز سايغ بخلاف عكسه فينبغي رد الروايات التي فيها التصريح بالقول الى هذه
وهو قوي اقوى من قول غيره يحمل على ان بعضهم قال بالنطق وبعضهم بالاشارة
لكن يبقى قول ذي اليدين بل قد نسيت ويجاب عنه وعن البقية على تقدير
ترجيح انهم نطقوا بان كلامهم كان جوابا للنبي صلى الله عليه وسلم وجوابه لا يقطع
الصلاة وتعقب بانه لا يلزم من وجوب الاجابة عدم قطع الصلاة واجيب
بانه ثبت في التشهد وهو خطاب بقولهم السلام عليك ايها النبي ولم تفسد الصلاة
والظاهر ان ذلك من خصايصه وعن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلى الظهر خمسا فسجد سجدتين بعد ما سلم رواه البخاري ومسلم وابو داود
والترمذي والنساي بهذا اللفظ الا ان مسلما لم يقل فيه بعد ما سلم وعبد الله
هذا هو ابن مسعود ففي هذه الاحاديث السجود بعد السلام وقد اختلف في ذلك
فقال مالك والمزني وابو ثور من الشافعية بالتفرقة اذا كان السهو بالنقصان
او بالزيادة ففي الاول يسجد قبل السلام وفي الزيادة يسجد بعد وزعم ابن عبد البر
انه اولى من قول غيره للجمع بين الخبرين قال وهو موافق للنظر لانه في النقص
جبر فينبغي ان يكون من اصل الصلاة وفي الزيادة ترغيم للشيطان فيكون
خارجها وقال ابن دقيق العيد لا شك ان الجمع اولى من الترجيح وادعا النسخ
ويترجح الجمع المذكور بالمناسبة المذكورة واذا كانت المناسبة ظاهرة وكان

الجمع

الحكم على وفقها ثبت الحكم في جميع محالها فلا يخصص الا بنص وتعقب بان كون السجود في
الزيادة ترغيما للشيطان فقط ممنوع بل هو جبر ايضا لما وقع من الخلل فانه وان
كان زيادة فهو نقص في المعنى وقال الخطابي لم يرجع من فرق بين الزيادة والنقصان
الى فرق صحيح وايضا فقصة ذي اليدين وقع فيها السجود اقوى المذاهب
قول مالك ثم احمد فقد قال غيره بل طريق احمد اقوى لانه قال يستعمل كل حديث
فيما يرد فيه وما لم يرد فيه شي يسجد قبل السلام قال ولولا ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم في ذلك لرايت كله قبل السلام لانه من شان الصلاة فيفعله
قبل التسليم وعند امامنا الشافعي سجود السهو كله قبل السلام وعند الحنفية كله
بعد السلام واعتمد الحنفية على حديث ابن مسعود هذا وتعقب بانه لم يعلم
بزيادة الركعة الا بعد السلام حين سالوه هل زيد في الصلاة وقد اتفق العلما
في هذه الصورة على ان سجود السهو بعد السلام لتعذره قبله لعدم علمه
بالسهو وانما تابعه الصحابة لتجويزهم الزيادة في الصلاة لانه كان زمان توقع
النسخ واجاب بعضهم بما وقع في حديث ابن مسعود من الزيادة وهي اذا شك
احدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين واجيب
بانه معارض بحديث ابي سعيد عند مسلم ولفظه اذا شك احدكم في صلاته
فلم يدر كم صلى فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل ان
يسلم وبه تمسك الشافعية وجمع بعضهم بينهما بحمل الصورتين على حالتين ورجح
البيهقي طريقة التخيير في سجود السهو قبل السلام او بعده ونقل الماوردي
الاجماع على الجواز وانما الخلاف في الافضل وكذا اطلق النووي وتعقب بان امام
الحرمين نقل في النهاية الخلاف في الاجزا عن المذهب واستبعد القول بالجواز
ويمكن ان يقال الاجماع الذي نقله الماوردي والنووي قبل هذه الاراء في المذا هب
المذكورة والله اعلم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ولو سها سهوين فاكثر كفاه
عند الشافعي ومالك وابي حنيفة واحمد سجدتان للجميع والجمهور انه يسجد للسهو
في التطوع كالفرض **الفصل الخامس فيما كان صلى الله عليه وسلم يقوله بعد
انصرافه من الصلاة وجلوسه بعدها وسرعة انفتاله بعدها** عن ثوبان كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام
ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام رواه مسلم ولم يمكث مستقبل القبلة الا
مقدار ما يقول ذلك وقد ثبت انه كان اذا صلى اقبل على اصحابه فيحمل ما ورد من
الدعا بعد الصلاة على انه كان يقوله بعد ان يقبل على اصحابه بوجهه الشريف
فقد كان عليه الصلاة والسلام يسرع الانفتال الى المامومين وكان ينفتل عن
يمينه وعن شماله وقال ابن مسعود رايته صلى الله عليه وسلم كثيرا ينصرف

وهي عن نقصان وا
قول السهو

٣٩٦

بلغ

Copyright ... University

عن يساره رواه الشيخان وقال انس اكثر ما رايته صلى الله عليه وسلم ينصرف عن
يمينه رواه مسلم وقالت ام سلمة كان اذا سلم مكث في مكانه يسيرا قالت فنرى
والله اعلم لكي ينصرف النسا قبل ان يدركهن الرجال رواه البخاري وقالت عايشة
كان لا يقعد الا مقدار ما يقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال
والاكرام رواه مسلم وهذا الحديث يتمسك به من قال ان الدعا بعد الصلاة لا يشرع
والجواب ان المراد بالنفي المذكور نفي استمراره عليه الصلاة والسلام جالسا على
هيئته قبل السلام الا بقدر ان يقول ما ذكر وكان يقول لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي
لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد رواه الشيخان من حديث المغيرة ابن شعبة
وكان يقول باعلا صوته لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
كل شي قدير لا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه له النعمة وله الفضل
وله الثنا الحسن الجميل لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رواه مسلم
من حديث عبد الله بن الزبير وعن سعد انه كان يعلم بنيه هولا الكلمات و
ويقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بهن دبر الصلاة اللهم اني اعوذ
بك من الجبن واعوذ بك من البخل واعوذ بك من ارذل العمر واعوذ بك من فتنة
الدنيا وعذاب القبر رواه البخاري وعن زيد بن ارقم كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة اللهم ربنا ورب كل شي انا شهيد انك الرب وحدك
لا شريك لك اللهم ربنا ورب كل شي انا شهيد ان محمدا عبدك ورسولك اللهم ربنا ورب
كل شي انا شهيد ان العباد كلهم اخوة اللهم ربنا ورب كل شي اجعلني مخلصا لك واهلي
في كل ساعة من الدنيا والاخرة يا ذا الجلال والاكرام اسمع واستجب الله الاكبر الاكبر
الله نور السموات والارض الله الاكبر حسبي الله ونعم الوكيل الله الاكبر الاكبر رواه
ابو داود واحمد ورايت في كتاب الهدي لابن القيم واما الدعا بعد السلام من الصلاة
مستقبل القبلة سوا المنفرد والامام والماموم فلم يكن ذلك من هدي النبي صلى الله عليه
وسلم اصلا ولا روي عنه باسناد صحيح ولا حسن وخصص بعضهم ذلك بصلاتي الفجر
والعصر ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا الخلفا بعده ولا ارشد اليه امته
وانما هو استحسان رآه من رآه عوضا من السنة بعدها قال وعامة الادعية
المتعلقة بالصلاة انما فعلها فيها وامر بها فيها قال وهذا هو الاليق بحال المصلي
فانه مقبل على ربه يناجيه فاذا سلم منها انقطعت المناجاة وانتهى موقفه وقربه
فكيف يترك سواله في حال مناجاته والقرب منه وهو مقبل عليه ثم يسال
اذا انصرف عنه ثم قال لكن الاذكار الواردة بعد المكتوبة يستحب لمن اتى بها
ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان يفرغ منها ويدعو بما شا ويكون

دعاءه

دعاءه عقب هذه العبادة الثانية وهي الذكر لا لكونه دبر المكتوبة انتهى وقد
كان في خاطري من دعواه النفي وهي الذكر لا لكونه مطلقا شي لما سيأتي ثم رايت
شيخ شيخنا امام الحفاظ ابي الفضل ابن حجر تعقبه فقال وما ادعاه من النفي
مطلقا مردود فقد ثبت عن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له
يا معاذ والله اني لاحبك فلا تدع دبر كل صلاة ان تقول اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن
عبادتك اخرجه ابو داود والنساي وحديث زيد بن ارقم والنساي وحديث صهيب
رفعه كان يقول اذا انصرف من الصلاة اللهم اصلح لي ديني اخرجه النساي وصححه
ابن حبان وغير ذلك قال فان قيل المراد بدبر الصلاة قرب اخرها وهو التشهد
قلنا قد ورد الامر بالذكر دبر الصلاة والمراد به بعد السلام اجماعا فكذا هذا حتى
يثبت ما يخالفه وقد اخرج الترمذي من حديث ابي امامة قيل يا رسول الله
اي الدعا اسمع قال جوف الليل الاخير ودبر الصلاة المكتوبات وقال حسن
واخرج الطبري من رواية جعفر بن محمد الصادق قال الدعا بعد المكتوبة افضل
من الدعا بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة قال وفهم كثير من الحنابلة
ان مراد ابن القيم نفي الدعا بعد الصلاة مطلقا وليس كذلك فان حاصل كلامه انه
نفاه بقيد استمرار استقبال المصلي القبلة وايراده عقب الصلاة واما اذا
انفتل بوجهه او قدم الاذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الاتيان بالدعا حينئذ
انتهى وكان عليه الصلاة والسلام حين تقام الصلاة في المسجد اذا راهم قليلا جلس
واذا راهم جماعة صلى رواه ابو داود وقال ابن مسعود البدري كان صلى الله
عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم
ليليني منكم اولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم رواه البخاري ومسلم وقال انس
سقط صلى الله عليه وسلم عن فرس فجحش شقه الايمن فدخلنا عليه نعوده ف
حضرت الصلاة فصلى بنا قاعدا فصلينا وراه قعودا فلما قضى الصلاة قال انما
جعل الامام ليؤتم به فاذا ركع فاركعوا حتى قال واذا صلى قاعدا فصلوا قعودا
اجمعين زاد بعض الرواة واذا صلى قائما فصلوا قياما رواه البخاري ومسلم
قال الحميدي ومعاني ساير الروايات متقاربة وزاد البخاري ومسلم قوله اذا
صلى جالسا فصلوا جلوسا هو في مرضه القديم وقد صلى في مرضه الذي مات فيه
جالسا والناس خلفه قياما لم يامرهم بالقعود وانما يوخذ بالاخر فالاخر من امره صلى
الله عليه وسلم انتهى وقال الشافعي وابو حنيفة وجمهور السلف لا يجوز للقادر
على القيام ان يصلي خلف القاعد الا قائما واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم في مرض موته
صلى بعد هذا قاعدا وابو بكر والناس خلفه قياما وان كان بعض العلماء زعم ان ابا بكر
رضي الله عنه كان هو الامام والنبي صلى الله عليه وسلم مقتد به لكن الصواب

Copyright King Saud University

انه صلى الله عليه وسلم كان هو الامام **الباب الثاني في ذكر صلاته صلى الله
عليه وسلم الجمعة** عن انس بن مالك قال اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم
بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه فقال هذه
الجمعة فضلت بها انت وامتك والناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم
فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها عبد مومن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو
عندنا يوم المزيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل وما يوم المزيد
فقال ان ربك اتخذ في الفردوس واديا افيح فيه كثيب من مسك فاذا كان يوم
الجمعة انزل الله ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين
وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزمرد عليها الشهدا
والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله انا ربكم قد
صدقتكم وعدي فسلوني اعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت
عنكم ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم ربهم فيه من الخير
وفيه استوى ربك على العرش رواه الشافعي في مسنده وروى مسلم من حديث
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس
يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة
الا في يوم الجمعة **وروى** البيهقي في الدعوات من حديث انس كان صلى الله عليه
وسلم اذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان وكان
يقول ليلة الجمعة اغر ويوم الجمعة يوم ازهر وليوم الجمعة من الخواص ما يبلغ كيل
العشرين ذكرها ابن القيم في الهدي النبوي لا اطيل بذكرها سيما وليست من
غرضي وهو افضل ايام الاسبوع كما ان يوم عرفة افضل ايام العام وكذلك ليلة القدر
وليلة الجمعة ولهذا كان لوقفة الجمعة يوم عرفة مزية على ساير الايام وقال
ابو امامة بن النقاش يوم الجمعة افضل ايام الاسبوع ويوم النحر افضل ايام العام
قال وغير هذا الابيا قابله من اعتراض يحتاج الى دفعه انتهى **وعن** ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نحن الاخرون السابقون يوم القيامة
بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا
فيه فهدانا الله له فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد رواه
البخاري **وفي** رواية ابن عيينة عن ابي الزناد عند مسلم نحن الاخرون ونحن
السابقون اي الاخرون زمانا والاولون منزلة والمراد باليوم يوم الجمعة
وقوله بيد بفتح الموحدة واسكان المثناة من تحته وفتح الدال المهملة اي
غير **واذا** عرف هذا فقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه اي على
نبيهم موسى حيث امرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان

اختلاق

اختلاق على نبيهم في ذلك اليوم لاجله **فان قيل** هل في العقل وجه يدل على ان يوم
الجمعة افضل من السبت والاحد وذلك لان الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم
في ستة ايام وبدا الخلق والتكوين في يوم الاحد وفي يوم الجمعة فكان الفراغ يوم ١ اهل
السبت فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الاعمال فعينوا السبت لهذا
المعنى وقالت النصارى مبدا الخلق والتكوين في يوم الاحد فنجعل هذا عيدا
لنا فهذان اليومان معقولان فما الوجه في جعل يوم الجمعة عيدا **فالجواب**
ان يوم الجمعة هو يوم الكمال والتمام وحصول الكمال والتمام يوجب الفرح
الكامل والسرور العظيم فجعل يوم الجمعة يوم العيد اولى من هذا الوجه
والله اعلم قال ابن بطال وليس المراد في الحديث انه فرض عليهم يوم الجمعة
بعينه فتركوه لانه لا يجوز لاحد ان يترك ما فرض الله تعالى عليه وهو
مومن وانما يدل والله اعلم انه فرض عليهم يوم من الجمعة وكل الى اختيارهم
ليقيموا فيه شريعتهم فاختلفوا فيه ولم يهتدوا ليوم الجمعة كذا قال لكن
قد روى ابن ابي حاتم عن السدي التصريح بانه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه
فتركوه لانه لا يجوز لاحد ان يترك ما فرض الله تعالى عليه وهو مومن وانما يدل
والله اعلم انه فرض عليهم يوم من الجمعة وكل الى اختيارهم ليقيموا فيه
شريعتهم فاختلفوا فيه ولم يهتدوا ليوم الجمعة كذا قال لكن قد روى
ابن ابي حاتم عن السدي التصريح بانه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فابوا
ولفظه ان الله فرض على اليهود الجمعة فابوا وقالوا يا موسى اجعل لنا يوم ٣٩٨
السبت فجعل عليهم وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم في قوله تعالى
ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وهم القائلون سمعنا وعصينا ويحتمل قوله فهدانا
الله بان نص لنا عليه وان يراد الهداية اليه بالاجتهاد ويشهد للثاني ما رواه عبد
الرزاق باسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدمها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ان ينزل الجمعة فقالت الانصار ان لليهود
يوما يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل لنا يوما
نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلي ونشكره فجعلوه يوم العروبة واجتمعوا
الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وانزل الله تعالى بعد ذلك اذا نودي
للصلاة من يوم الجمعة وهذا وان كان مرسلا فله شاهد باسناد حسن اخرجه
احمد وابو داود وابن ماجه وصححه ابن خزيمة من حديث كعب بن مالك قال
كان اول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
اسعد بن زرارة فمرسل ابن سيرين يدل على ان اولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة
بالاجتهاد ولا يمنع ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم علمه بالوحي وهو بمكة فلم يتمكن

Copyright King Saud University

من المشيتا ولذلك جمع بهم اول ما قدم المدينة انتهى وقال ابن اسحق لما قدم عليه
الصلاة والسلام المدينة اقام بقبا في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثا
ويوم الاربعا ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة فادركته الجمعة
في بني سالم فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي فكانت اول جمعة صلاها
بالمدينة وذلك قبل تاسيس مسجده وكان صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة حين تميل
الشمس رواه البخاري من حديث انس وفي رواية اذا اشتد البرد بكر بالصلاة
واذا اشتد الحر ابرد بالصلاة يعني الجمعة وفي رواية سهل بن سعد عن البخاري
ومسلم كنا نصلي معه صلى الله عليه وسلم الجمعة ونقيل بعد الجمعة ثم اعلم ان
الخطبة شرط في انعقاد الجمعة لا تصح الا بها وقال سعيد بن جبير هي بمنزلة
الركعتين من صلاة الظهر فاذا تركها وصلى الجمعة فقد ترك ركعتين من صلاة الظهر
ولم يكن يوذن في زمانه صلى الله عليه وسلم على المنابر وبين يديه وانما كان بلال
يوذن وحده بين يديه صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر كما صرح به ايمة
الحنفية والمالكية والشافعية وغيرهم وعبارة البرهان المرغيناني من الحنفية
في هدايته واذا صعد الامام المنبر جلس واذن الموذن بين يدي المنبر بذلك
جرى التوارث ولم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هذا الاذان
وعبارة ابن الحاجب من المالكية ويحرم البيع عند اذان جلوس الخطبة وهو
المعهود فلما كان عثمان وكثروا امر باذان قبله على الزوراء ثم نقله هشام الى المسجد
وجعل الاخر بين يديه انتهى ونحوه قال عبد الحق في تهذيب الطالب
واما قوله ابن ابي زيد في رسالته وهذا الاذان الثاني احدثه بنو امية فقال
شارحوه الفاكهاني وغيره يعني الثاني في الاحداث وهو الاول في الفعل قال
وكان بعض شيوخنا يقول الاول هو الثاني والثاني هو الاول ومنشاوه ما
ما تقدم انتهى وعبارة الزركشي كغيره من الشافعية ويجلس الامام على المستراح
ليستريح من تعب الصعود ثم يوذن الموذن بعد جلوسه فان التاذين كان
حين يجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن قبله اذان فلما كان زمن
عثمان وكثر الناس امرهم بالتاذين ثانيا ثم يبدا بالجلوس الى فراغ الموذن انتهى
وعن السايب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على
المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر
الناس زاد النداء الثالث على الزوراء رواه البخاري وقال الزوراء موضع
بالسوق بالمدينة وفي رواية له ايضا التاذين الثاني يوم الجمعة امر به
عثمان حين كثر اهل المسجد وهو يفسر بما فسر به قول ابن ابي زيد هو
السابق وعند ابن خزيمة كان الاذان على عهد رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم وابي بكر وعمر اذانين يوم الجمعة قال ابن خزيمة قوله اذانين يريد الاذان والاقامة
تغليبا او لاشتراكهما في الاعلام وللنساي كان بلال يوذن اذا جلس النبي صلى الله عليه
وسلم المنبر فاذا نزل اقام وفي رواية وكيع عن ابن ابي ذيب فامر عثمان بالاذان الاول
ونحوه للامام الشافعي من هذا الوجه قال في فتح الباري ولا منافاة بينهما لانه باعتبار
كونه مزيدا يسمى ثالثا وباعتبار كونه مقدما على الاذان والاقامة يسمى اولا واما
قوله في رواية البخاري التاذين الثاني فمتوجه بالنظر الى الاذان الحقيقي لا الاقامة
وقال الشيخ خليل في التوضيح واختلف النقل هل كان يوذن بين يديه عليه
الصلاة والسلام او على المنار الذي نقله اصحابنا انه كان على المنار نقله ابن القاسم
عن مالك في مجموعه ونقل ابن عبد البر في كافيه عن مالك ان الاذان بين يدي
الامام ليس من الامر القديم وقال غيره هو اصل الاذان في الجمعة ولذلك نقل
صاحب تقريب الطالب والمازري في الاسئلة ان هذا اشتبه على بعض
اصحابنا وانكر ان يكون الاذان يوم الجمعة بين يدي الامام كان في زمنه عليه
الصلاة والسلام وابي بكر وعمر وان ذلك حدث في زمان هشام قال وهذا قول
من قل علمه ثم استشهد بحديث السايب بن يزيد المروي في البخاري السابق
ثم قال وقد رفع الاشكال فيه ابن اسحق عن الزهري عن السايب بن يزيد
قال كان يوذن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم
الجمعة وابو بكر وعمر انتهى والحكمة في جعل الاذان في هذا المحل ليعرف الناس
بجلوس الامام على المنبر فينصتون له اذا خطب قاله المهلب قال في فتح
الباري وفيه نظر فان سياق محمد بن اسحق عند الطبراني وغيره في هذا الحديث
ان بلالا كان يوذن على باب المسجد فالظاهر انه كان لمطلق الاعلام لا لخصوص
الانصات والذي يظهر ان الناس اخذوا بفعل عثمان في جميع البلاد اذ ذاك
لكونه كان حينيذ خليفة مطاع الامر لكن ذكر الفاكهي ان اول من احدث
الاذان الاول بمكة الحجاج وبالبصرة زياد وفي تفسير جويبر عن الضحاك عن
معاذ ان عمر امر موذنين ان يوذنا للناس الجمعة خارجا من المسجد حتى يسمع
الناس وامر ان يوذن بين يديه كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
وابي بكر ثم قال عمر نحن ابتدعناه لكثرة المسلمين وهذا منقطع بين مكحول
ومعاذ ولا يثبت وقد تواترت الاخبار ان عثمان هو الذي زاده فهو المعتمد
وقد روى عبد الرزاق ما يقوي هذا الاثر عن ابن جريج قال قال سليمان
ابن موسى اول من زاد الاذان بالمدينة عثمان فقال عطا كلا انما كان يدعو
الناس ولا يوذن غير اذان واحد انتهى لكن عطا لم يدرك عثمان بن عفان ثم
فرواية من اثبت ذلك عنه مقدمة على انكاره ويمكن الجمع بان الذي كان في

Copyright King Saud University

زمن عمر ابن الخطاب استمر على عهد عثمان ثم راى ان يجعله اذانا وان يكون على مكان
عال ففعل ذلك فنسب اليه لكونه بالفاظ الاذان وترك ما كان يفعله عمر لكونه مجرد
اعلام وروي ابن ابي شيبة عن ابن عمر قال الاذان الاول يوم الجمعة بدعة فيحتمل ان
يكون ذلك على سبيل الانكار وان يكون اراد انه لم يكن في زمنه عليه الصلاة والسلام
يسمى بدعة لكن منها ما يكون حسنا ومنها ما يكون غير ذلك ثم ان فعل عثمان رضي
الله كان اجماعا سكوتيا لانهم لم ينكروا عليه انتهى واول جمعة جمعها النبي صلى
الله عليه وسلم باصحابه كما قدمناه في حديث الهجرة في بني سالم في بطن واد لهم فخطبهم
وهي اول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله احمده واستعينه واستغفره
واستهديه واومن به ولا اكفره واعادي من يكفر به واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق
والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس
وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم
بتقوى الله فانه خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الاخرة وان يامره بتقوى
الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة
من ربه عون وصدق على ما تبتغون من الاخرة ومن يصل الذي بينه وبين الله
من امره من السر والعلانية لا ينوي به الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره
وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود
لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد وهو
الذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدي
وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم واجله في السر والعلانية فانه
من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما
وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وسخطه وان تقوى الله تبيض
الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله
قد علمكم كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا
كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم
وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول
ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين
الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون
عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم
ذكر هذه الخطبة القرطبي في تفسيره وغيره وقد كان صلى الله عليه وسلم

يخطب

يخطب متوكيا على قوس او عصى وفي ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
خطب في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصا وعن ابي داود باسناد
حسن انه صلى الله عليه وسلم قام متوكيا على قوس او عصى قالوا والحكمة في التوكي على
نحو السيف الاشارة الى ان هذا الدين قام بالسلاح ولهذا قبضه باليسرى كعادة
من يريد الجهاد به ونازع فيه العلامة ابن القيم في الهدي النبوي او قال ان
الدين لم يقم الا بالقران والوحي كذا قال والله اعلم وكان صلى الله عليه وسلم يخطب
قائما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائما رواه مسلم من رواية جابر بن سمرة وفي رواية له
كانت له صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرا القران ويذكر الناس وفي
حديث ابن عمر عند ابي داود كان عليه الصلاة والسلام يخطب خطبتين كان يجلس
اذا صعد المنبر حتى يفرغ المؤذن ثم يقوم فيخطب ثم يجلس فلا يتكلم ثم يقوم فيخطب
قال ابن المنذر الذي عليه اهل العلم من علماء الامصار الخطبة قائما ونقل غيره
عن ابي حنيفة ان القيام في الخطبة سنة وليس بواجب وعن مالك رواية انه واجب
فان تركه اساء وصحت الخطبة وعند الباقين ان القيام شرط يشترط للقادر كالصلاة
واستدلوا بحديث جابر بن سمرة وبمواظبته صلى الله عليه وسلم على القيام وبمشروعية
الجلوس بين الخطبتين فلو كان القعود مشروعا في الخطبتين ما احتيج الى الفصل
بالجلوس ولان الذي نقل عنه الجلوس وهو معاوية كان معذورا فعند ابن ابي
شيبة من طريق الشعبي ان معاوية خطب قاعدا لما كثر شحم بطنه واستدل
الشافعي بوجوب الجلوس بين الخطبتين بما تقدم وبمواظبة النبي صلى الله عليه
وسلم على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقول بعد الثناء اما بعد كما قاله البخاري
وكان صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه
حتى كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت انا والساعة كهاتين
ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب
الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول
انا اولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا او ضياعا فالي
وعلي رواه مسلم والنسائي من حديث جابر وفي رواية كانت خطبته صلى
الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه ثم يقول على اثر ذلك وقد علا
صوته وذكر نحوه وفي اخرى كان يخطب الناس يحمد الله ويثني عليه بما هو
اهله ثم يقول من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وخير الحديث
كتاب الله ثم ذكر نحو ما تقدم وعن ام هشام بنت حارثة بن النعمان قالت ما اخذت
ق والقران المجيد الا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل جمعة
على المنبر اذا خطب الناس رواه مسلم وعن الحكم بن حزن الكلبي قال قدمت

الى النبي صلى الله عليه وسلم سابع سبعة او تاسع تسعة فلبثنا عنده اياما شهدنا
فيها الجمعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكيا على قوس او قال على عصى
فحمد الله واثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات ثم قال يا ايها الناس انكم
لن تفعلوا ولن تطيقوا كل ما امرتكم به ولكن سددوا وابشروا رواه احمد وابو داود
وعن يعلى بن امية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا على المنبر ونادوا
يا مالك ليقض علينا ربك رواه البخاري ومسلم وعن ابي الدردا قال خطبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقال توبوا الى الله قبل ان تموتوا وبادروا
بالاعمال الصالحة قبل ان تشتغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا واكثروا
الصدقة ترزقوا وامروا بالمعروف تخصبوا وانهوا عن المنكر تنصروا وايها الناس
ان اكيسكم ذكرا للموت واكرمكم احسنكم استعدادا له الا وان من علامات العقل التجافي اكثركم
في دار الغرور والانابة الى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتاهب ليوم
النشور رواه ابن ماجة من حديث جابر بن عبد الله مختصرا بنحوه
وفي مراسيل ابي داود عن الزهري قال كان صدر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم
الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من
يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله
ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى نسال الله ربنا ان يجعلنا ممن
يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه وعنه ايضا عنهم
قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا خطب كل ما هو آت
قريب لا بعد لما هو آت يريد الله امرا ويريد الناس امرا ما شا الله كان ولو كره الناس ولا
مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما ابعد الله لا يكون شي الا باذن الله عز وجل وقال
جابر كان صلى الله عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة يقول بعد ان يحمد الله ويصلي على
انبيايه ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم
ان العبد المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله قاض فيه وبين
اجل قد بقي لا يدري ما الله صانع فيه فلياخذ العبد من نفسه لنفسه ومن
دنياه لاخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات والذي نفسي بيده
ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار الا الجنة والنار اقول قولي هذا
واستغفر الله لي ولكم وعن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال
الا ان الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر الا ان الاخرة اجل صادق يقضي
فيها ملك قادر الا وان الخير كله بحذافيره في الجنة الا وان الشر كله بحذافيره
في النار الا فاعملوا وانتم من الله على حذر واعلموا انكم معروضون على اعمالكم فمن
يعمل

يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره رواه الشافعي وعند
ابو نعيم في الحلية نحوه واختلف هل يجب الانصات ويمنع من جميع انواع الكلام
حال الخطبة ام لا وعن الشافعي في المسيلة قولان مشهوران وبناها بعض الاصحاب
على الخلاف في ان الخطبتين بدلا عن الركعتين ام لا فعلى الاول يحرم لا على الثاني والثاني
هو الارجح عندهم فمن ثم اطلق من اطلق منهم اباحة الكلام حتى شنع من شنع
عليهم من المخالفين وعن احمد ايضا روايتان وعنهما ايضا التفرقة بين من يسمع
الخطبة وبين من لا يسمعها واغرب ابن عبد البر فنقل الاجماع على وجوب الانصات
على من سمعها الا عن قليل من التابعين ودخل ابو سليك الغطفاني وهو صلى الله
عليه وسلم يخطب فقال له صلى الله عليه وسلم اصليت قال لا قال قم فاركع ركعتين
رواه البخاري ومسلم وابو داود واستدل به على ان الخطبة لا تمنع الداخل من
صلاة تحية المسجد وتعقب بانها واقعة عين لا عموم لها فيحتمل اختصاصها بسليك
ويدل عليه قوله في حديث ابي سعيد عند اهل السنن جا رجل والنبي صلى الله عليه
وسلم يخطب في هيئة بذة فقال له اصليت قال لا قال صل ركعتين وحض
الناس على الصدقة الحديث فامره بان يصلي ليراه بعض الناس وهو قائم فيتصدق
عليه ويرده ايضا ما يويد الخصوصية وهو ما اخرجه ابن حبان وهو قوله صلى
الله عليه وسلم لسليك في آخر الحديث لا تعودن لمثلها ومما يضعف الاستدلال
به على جواز التحية في تلك الحالة انهم اطلقوا ان التحية تفوت بالجلوس فهذا
ما اعتل به من طعن في الاستدلال بهذه القصة على جواز التحية وكله
مردود لان الاصل عدم الخصوصية والتعليل بكونه عليه الصلاة والسلام
قصد التصدق عليه لا يمنع القول بجواز التحية فان المانعين منها لا يجوزون
التطوع لعلة التصدق قال ابن المنير لو ساغ ذلك لساغ مثله في التطوع عند
طلوع الشمس وسائر الاوقات المكروهة ولا قائل به ومما يدل على ان امره
بالصلاة لم ينحصر في قصد التصدق معاودته عليه الصلاة والسلام بامره
بالصلاة في الجمعة الثانية بعد ان حصل له في الجمعة الاولى ثوبين تدخل بهما في الثانية
فتصدق باحدهما فنهاه صلى الله عليه وسلم عن ذلك اخرجه النسائي وابن
خزيمة من حديث ابي سعيد ايضا ولاحمد وابن حبان انه كرر امره بالصلاة
ثلاث مرات في ثلاث جمع فدل على ان قصد التصدق عليه جزء علة لا علة
كاملة واما اطلاق من اطلق ان التحية تفوت بالجلوس فقد حكى النووي
في شرح مسلم عن المحققين ان ذلك في حق العامد العالم اما الجاهل والناسي
فلا وحال هذا الداخل محمولة في الاولى على احدهما وفي المرتين الاخريين
على النسيان والحامل للمانعين على التاويل المذكور انهم زعموا ان ظاهر

Copyright King Saud University

معارض للامر بالانصات والاستماع للخطبة وقد اجاب الحافظ ابن حجر عن ذلك
وغيره من ادلة المانعين بما يطول ذكره ثم قال وهذه الاجوبة التي قدمناها
تندفع من اصلها بعموم قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي قتادة اذا دخل
احدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين متفق عليه قال وورد اخص منه
في حال الخطبة ففي رواية شعبة عن عمرو بن دينار سمعت جابر بن عبد الله يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب اذا جا احدكم والامام يخطب او قد
خرج فليصل ركعتين متفق عليه ولمسلم من طريق ابي سفيان عن جابر انه قال
ذلك في قصة سليك ولفظه بعد قوله فاركعهما وتجوز ثم قال اذا جا احدكم يوم
الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما قال النووي هذا نص لا
يتطرق اليه التاويل ولا اظن عالما يبلغه هذا اللفظ ويعتقده صحيحا فيخالفه
وقال العارف ابو محمد بن ابي جمرة هذا الذي اخرجه مسلم نص في الباب لا يحتمل
التاويل وقد قال قوم انما امره صلى الله عليه وسلم بسنة الجمعة التي قبلها و
مستندهم قوله عليه الصلاة والسلام في قصة سليك عند ابن ماجة اصليت
ركعتين قبل ان تجي لان ظاهره قبل ان تجي من البيت ولهذا قال الاوزاعي ان كان
صلى في البيت قبل ان يجي فلا يصلي اذا دخل المسجد وتعقب بان المانع من صلاة التحية
لا يجيز التنفل حال الخطبة مطلقا ويحتمل ان يكون معنى قوله قبل ان تجي اي الى الموضع
الذي انت به الان وفائدة الاستفهام احتمال ان يكون صلاها في موخر المسجد
ثم تقدم ليقرب من سماع الخطبة ويؤيده ان في رواية مسلم اصليت الركعتين
بالالف واللام وهي للعهد ولا عهد هناك اقرب من تحية المسجد واما سنة الجمعة
التي قبلها فياتي الكلام فيها ان شا الله تعالى وكانت صلاته صلى الله عليه وسلم
قصدا وخطبته قصدا رواه مسلم والترمذي من رواية جابر بن سمرة زاد في
رواية ابي داود يقرا بايات من القران ويذكر الناس وله في اخرى كان لا يطيل
الموعظة يوم الجمعة انما هو كلمات يسيرات وعن عمرو بن حريث انه صلى
الله عليه وسلم خطب وعليه عمامة سودا قد ارخى طرفها بين كتفيه رواه مسلم
قال ابن القيم في الهدي وكان عليه الصلاة والسلام اذا اجتمع الناس خرج اليهم
وحده من غير شاويش يصيح بين يديه ولا لبس طيلسان ولا طرحة ولا سواد فاذا
دخل المسجد سلم عليهم فاذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ثم جلس
وياخذ بلال في الاذان فاذا فرغ منه قام صلى الله عليه وسلم فخطب من غير فصل
بين الاذان والخطبة لا براي خبر ولا غيره ولم يكن ياخذ بيده سيفا ولا غيره وانما
كان يعتمد على قوس او عصى قبل ان يتخذ المنبر وكان يامر الناس بالدنو منه ويامرهم
بالانصات انتهى وينظر في قوله ولم يكن ياخذ بيده سيفا ولا غيره وانما كان

يعتمد

يعتمد على قوس او عصا قبل ان يتخذ المنبر وكان صلى الله عليه وسلم يقرا بسورة الجمعة
في الركعة الاولى واذا جاك المنافقون في الثانية رواه مسلم والترمذي وابو داود
والحكمة في قراته صلى الله عليه وسلم بسورة الجمعة اشتمالها على وجوب الجمعة وغير ذلك
ما فيها من القواعد والحث على التوكل والذكر وغير ذلك بما فيها من القواعد لانهم كانوا
يجتمعون في مجلس اكثر من اجتماعهم وفي حديث النعمان بن بشير عند مسلم وكان يقرا
في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية وقد اختلف
في العدد الذي تنعقد بهم الجمعة وللعلماء فيه خمسة عشر قولا احدها يصح من الواحد
نقله ابن حزم الثاني اثنان كالجماعة وهو قول النخعي واهل الظاهر الثالث اثنان
مع الامام عند ابي يوسف ومحمد والليث الرابع ثلاثة معه عند ابي حنيفة وسفيان
الثوري الخامس سبعة عند عكرمة السادس تسعة عند ربيعة السابع
اثنا عشر عند ربيعة ايضا في رواية الثامن مثله غير الامام عند اسحق التاسع
عشرون في رواية ابن حبيب عن مالك العاشر ثلاثون كذلك الحادي عشر
اربعون بالامام عند امامنا الشافعي واشترط كونهم احرارا بالغين عقلا مقيمين
لا يظعنون صيفا ولا شتا الا لحاجة وان يكونوا حاضرين من اول الخطبة الى
ان تقام الجمعة وحجة الشافعي ما رواه الدارقطني وابن ماجة والبيهقي في الدلايل
عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قايد ابي حين ذهب بصره فاذا خرجت
به الى الجمعة فسمع الاذان صلى على ابي امامة واستغفر له قال فمكثت لذلك حينا
لا يسمع الاذان في الجمعة الا فعل ذلك فقلت له يا ابت استغفارك لابي امامة كلما
سمعت اذان الجمعة ما هو قال يا بني هو اول من جمع بالمدينة قال قلت له كم كنتم
يومئذ قال اربعون رجلا وقال جابر بن عبد الله مضت السنة ان في كل ثلاثة
اماما وفي كل اربعين فما فوق ذلك جمعة خرجه الدارقطني وروى البيهقي عن
ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا اربعين رجلا قال شيخ الاسلام
زكريا الانصاري نفع الله بوجوده قال في المجموع قال اصحابنا وجه الدلالة ان
الامة اجمعوا على اشتراط العدد والاصل الظهر فلا تصح الجمعة الا بعدد ثبت
فيه توقيف وقد ثبت جوازها باربعين وثبت صلوا كما رايتموني اصلي ولم يثبت
صلاته لها باقل من ذلك فلا تجوز باقل منه قال واما خبر انفضاضهم فلم يبق الا اثنا عشر
فليس فيه انه ابتداها باثني عشر بل يحتمل عودهم او عود غيرهم مع سماعهم اركان
الخطبة وفي مسلم انفضوا في الخطبة وفي رواية البخاري انفضوا في الصلاة وهي
محمولة على الخطبة جمعا بين الاخبار انتهى الثاني عشر اربعون غير الامام عند الشافعي
ايضا وبه قال عمر بن عبد العزيز وطايفة الثالث عشر خمسون عند احمد
في رواية وحكيت عن عمر بن عبد العزيز وطايفة الرابع عشر ثمانون حكاه م

وقراة سورة المنافقين لتوبيخ حاضريها منهم وتنبيههم على التوبة وغير ذلك

Copyright ... University

بلغ

المازري الخامس عشر جمع كثير بغير حصر ولعل هذا الاخير ارجحها من حيث الدليل قاله
في فتح الباري الباب الثالث في ذكر تهجده صلوات الله وسلامه عليه قال الله تعالى
له عليه الصلاة والسلام ومن الليل فتهجد به اي بالقران والمراد منه الصلاة المشتملة
على القران والهجود في اللغة النوم وعن ابي عبيدة الهاجد النائم والهاجد المصلي بالليل
وعن الازهري الهاجد النائم وقال المازني التهجد الصلاة بعد الرقاد ثم صلاة اخرى
بعد رقدة ثم صلاة اخرى بعد رقدة قال وهكذا كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقوله نافلة لك اي عبادة زايدة في فرايضك ويمكن نصره هذا القول بان
قوله فتهجد امر وصيغة الامر للوجوب فوجب كون هذا التهجد واجبا وروى
الطبري عن ابن عباس ان النافلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه امر بقيام
الليل وكتب عليه دون امته واسناده ضعيف وقيل معناه زيادة لك خالصة
لان تطوع غيره يكفر ما على صاحبه من ذنب وتطوعه هو صلى الله عليه وسلم يقع
خالصا لكونه لا ذنب عليه فكل طاعة ياتي بها صلى الله عليه وسلم سوى المكتوبة
انما تكون لزيادة الدرجات وكثرة الحسنات ولهذا سمي نافلة بخلاف الامة فان لهم
ذنوبا يحتاجون الى الكفارات فهذه الطاعات يحتاجون اليها لتكفير الذنوب
والسيات وروى مسلم من طريق سعد بن هشام عن عايشة قالت ان الله افترض
قيام الليل في اول هذه السورة يعني يا ايها المزمل فقام النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه حتى انزل الله في اخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد
فريضة وروى محمد بن نصر في قيام الليل من طريق سماك عن عباس شاهد الحديث
عايشة في ان بين الايجاب والنسخ سنة وحكى الشافعي عن بعض اهل العلم ان اخر
السورة نسخ افتراض قيام الليل الا ما تيسر منه ثم نسخ فرض ذلك بالصلوات الخمس
وروى محمد بن نصر من حديث جابر ان نسخ قيام الليل وقع لما توجهوا مع ابي عبيدة
في جيش الخبط وكان ذلك بعد الهجرة لكن في اسناده علي بن زيد بن جدعان وهو
ضعيف ثم وجوب قيام الليل قد نسخ في حقنا وهل نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم
اكثر الاصحاب لا والصحيح نعم ونقله الشيخ ابو حامد عن النص وقالت عايشة قام صلى
الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وفي رواية حتى تفطرت قدماه فقالت له لم
تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون
عبدا شكورا قالت فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسا فاذا اراد ان يركع قام فقرا ثم ركع رواه
البخاري ومسلم والفا في قوله افلا اكون للسببية وهي عن محذوف تقديره اترك
تهجدي فلا اكون عبدا والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف اتركه
قال ابن بطال في هذا الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة في العبادة وان
اضر ذلك ببدنه لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن

يعلم بذلك فضلا عمن لم يامن انه استحق النار انتهى ومحل ذلك كما قال الحافظ ابن حجر
في فتح الباري ما لم يفض ذلك الى الملال لان حال النبي صلى الله عليه وسلم كانت اكمل
الاحوال فكان لا يمل من عبادة ربه وان اضر ذلك ببدنه بل صح انه عليه الصلاة والسلام
قال وجعلت قرة عيني في الصلاة كما اخرجه النسائي من حديث انس فاما غيره صلى الله
عليه وسلم فاذا خشي الملل ينبغي له ان لا يكد نفسه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم
خذوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا انتهى لكن ربما دست النفس
او الشيطان على المجتهد في العبادة بمثل ما ذكر خصوصا اذا كبر فيقول قد ضعفت
وكبرت فابق على نفسك لئلا ينقطع عملك بالكلية ~~وما ترك سيد المرسلين~~ وهذا
وان كان ظاهره جميلا لكن فيه دسايس فانه ان اطاعه فقد يكون استدراجا يؤول
به الى ترك العمل شيا فشيا الى ان ينقطع بالكلية وما ترك سيد المرسلين المغفور
له شيا من عمله بعد كبره نعم كان يصلي بعض ورده جالسا بعد ان كان يقوم حتى
تنفطر قدماه فكيف بمن اثقلت ظهره الاوزار ولا يامن عذاب النار ان يغفل حال
شبيبته ويتوانا عند ظهور شيبته فينبغي للانسان ان يستعد قبل حلول
شيبه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك فان من شاب فقد لاح صبح سواد
ليل شعره وقد قال تعالى منذرا لمن يدخل في الصباح ان موعدهم الصبح اليس الصبح
بقريب فكيف يقرب من دخل في الصباح وظهر كوكب نهاره في افق راسه ولاح قال
القرطبي ظن من ساله صلى الله عليه وسلم عن سبب تحمله المشقة في العبادة انه
انما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له
لا يحتاج الى ذلك فافادهم ان هناك طريقا اخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة ع
وايصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيا فيتعين كثير الشكر على ذلك والشكر
الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمي شكورا ومن ثم قال الله
تعالى وقليل من عبادي الشكور وفيه ما كان النبي صلى الله عليه وسلم عليه
من الاجتهاد في العبادة والخشية من ربه قال العلماء انما الزم الانبيا انفسهم بشدة
الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه ابتداهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم
في عبادته ليؤدوا بعض شكره مع ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العباد والله
اعلم انتهى ذكر سياق صلاته صلى الله عليه وسلم بالليل عن شريح ابن هاني سالت
عايشة رضي الله عنها ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشا قط فدخل
بيتي الا صلى اربع ركعات او ست ركعات رواه ابو داود وكان يقوم اذا سمع الصا رخ
رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة وهو يصرخ في النصف الثاني وقالت كان
عليه الصلاة والسلام ينام اول الليل ويقوم اخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا
اذن المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضا وخرج رواه الشيخان

Copyright King Saud University

وقالت ايضا كان عليه الصلاة والسلام ربما اغتسل في اول الليل وربما اغتسل في اخره وربما
اوتر في اول الليل وربما اوتر في اخره وربما جهر بالقراءة وربما خفت وقالت ام سلمة كان
يصلي فينام قدر ما صلي حتي يصبح رواه ابو داود والترمذي والنساي وفي رواية
للنساي كان يصلي العتمة ثم يسبح ثم يصلي بعدها ما شا من الليل ثم ينصرف فيرقد
مثل ما صلي ثم يستيقظ من نومه ذلك فيصلي مثل ما نام وصلاته تلك الاخرة تكون
الي الصبح وعن انس قال ما كنا نشا ان نري رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل
مصليا الا رايناه ولا نشا ان نراه نايما الا رايناه رواه النساي وكان اذا استيقظ
من الليل قال لا اله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك لذنبي واسالك رحمتك
اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك انت
الوهاب رواه ابو داود من حديث عايشة وعنها كان عليه الصلاة والسلام
اذا ذهب من الليل كبر عشرا وحمد الله عشرا وقال سبحان الملك القدوس
عشرا واستغفر عشرا وهلل عشرا ثم قال اللهم اني اعوذ بك من ضيق الدنيا
ومن ضيق يوم القيامة عشرا ثم يفتتح الصلاة رواه ابو داود وقد روي حديث
قيامه بالليل ووتره عايشة وابن عباس قال ابن القيم واذا اختلف ابن عباس وعايشة في شي
من امر قيامه عليه الصلاة والسلام بالليل فالقول قول عايشة لكونها اعلم الخلق
بقيامه بالليل انتهى فاما حديث ابن عباس فرواه البخاري ومسلم بلفظ بت عند خالتي
ميمونة ليلة والنبي صلى الله عليه وسلم عندها فتحدث صلى الله عليه وسلم مع اهله
ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخر او بعضه قعد ينظر الي السما فقرا ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار حتي ختم السورة ثم قام الي القربة فاطلق
شناقها ثم صب في الجفنة ثم توضا وضوا حسنا بين الوضوين لم يكثر وقد بلغ
فقام يصلي فقمت فتوضات فقمت عن يساره فاخذ باذني فادارني عن يمينه فتتامت
صلاته ثلاث عشرة ركعة ثم اضطجع فنام حتي نفخ وكان اذا نام نفخ فاذنه بلال بالصلاة
فصلي ولم يتوضا وكان دعاوه اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي
نورا وعن يميني نورا وعن يساري نورا وفوقي نورا وتحتي نورا وامامي نورا
واجعل لي نورا وزاد بعضهم وفي لساني نورا وذكر عصبي ولحمي ودمي وشعري
وبشري وفي رواية فصلي ركعتين خفيفتين قلت قرا فيهما بام الكتاب في كل
ركعة ثم سلم ثم صلي احدي عشرة ركعة بالوتر ثم نام فاتاه بلال فقال الصلاة
يا رسول الله فقام فركع ركعتين ثم صلي للناس وفي رواية فقام فصلي ثلاث عشرة
ركعة منها ركعتا الفجر حزرت قيامه في كل ركعة بقدر يا ايها المزمل وفي رواية فصلي
ركعتين ركعتين حتي صلي ثماني ركعات ثم اوتر بخمس لم يجلس بينهن وفي رواية
النساي انه صلي احدى عشرة ركعة بالوتر ثم نام حتي استثقل فرايته ينفخ فاتاه

وقال سبحان ... وبحمده صح

بلال الحديث وفي اخري له فتوضا واستاك وهو يقرا هذه الاية حتي فرغ منها ان
في خلق السموات والارض ثم صلي ركعتين ثم نام ثم قام فتوضا واستاك وصلي ركعتين
واوتر ولمسلم فاستيقظ فتسوك وتوضا وهو يقول ان في خلق السموات والارض
حتي ختم السورة ثم قام فصلي ركعتين اطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام
حتي نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضا ويقرا
هولا الايات ثم اوتر بثلاث واما حديث عايشة فعن سعد بن هشام قال انطلقت
الي عايشة فقلت يا ام المومنين انبيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت الست تقرا القران قلت بلي قالت فان كان خلقه القران قلت يا ام المومنين
انبيني عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كنا نعد له صلى الله عليه وسلم
سواكه وطهوره فيبعثه الله متي شا ان يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضا ويصلي تسع
ركعات لا يجلس فيها الا في الثامنة فيذكر اسم الله ويحمده ويدعو ثم يسلم تسليما يسمعنا
ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد فتلك احدي عشرة ركعة يا بني فلما اسن واخذ
اللحم اوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه في الاول فتلك تسع يا بني رواه مسلم وللنساي
كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شا ان يبعثه من الليل فيستاك ويصلي تسع
ركعات لا يجلس فيهن الا عند الثامنة ويحمد الله تعالي ويصلي علي نبيه ويدعو بينهن
ولا يسلم ثم يصلي التاسعة ويقعد ويحمد الله ويصلي علي نبيه ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي
ركعتين وهو قاعد زاد في اخري فتلك احدي عشرة ركعة يا بني فلما اسن صلى الله
عليه وسلم واخذ اللحم اوتر بسبع ثم صلي ركعتين وهو جالس بعد ما سلم فتلك تسع اي بني
وفي رواية له يصلي ست ركعات يخيل الي انه سوي بينهن في القراءة والركوع والسجود
ثم يوتر بركعة ثم يصلي ركعتين وهو جالس ثم يضع جنبه وعن عايشة كان يصلي الله
عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين رواه مسلم واحمد وعنها
كان عليه الصلاة والسلام اذا قام من الليل يصلي فيما بين ان يفرغ من صلاته العشا
الي الفجر احدي عشرة ركعة ويسلم من كل ركعتين ويوتر بواحدة فيسجد السجدة
من ذلك قدر ما يقرا احدكم خمسين اية قبل ان يرفع راسه فاذا سكت المؤذن من
صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع علي شقه الايمن
حتي ياتيه المؤذن للاقامة رواه ابو داود وعنها قالت كان يصلي ثلاث عشرة ركعة
يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس في شي الا في اخرها رواه البخاري ومسلم وفي البخاري عن
مسروق سالت عايشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبع
وتسع واحدي عشرة سوي ركعتي الفجر وعنه ايضا عن القاسم بن محمد عنها كان
صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة منها الوتر وركعتا الفجر قال
القرطبي استشكلت روايات عايشة علي كثير من اهل العلم حتي نسب بعضهم

تسعط ولا

Copyright King ... University

حديثها الى الاضطراب وهذا انما يتم لو كان الراوي عنها واحدا واخبرت عن وقت
واحد والصواب ان كل شيء ذكرته من ذلك محمول على اوقات متعددة واحوال
مختلفة بحسب النشاط وبيان الجواز انتهى فاما ما اجابت به مسروقا فمرادها
ان ذلك وقع منه في اوقات مختلفة فتارة كان يصلي سبعا وتارة تسعا وتارة احدى
عشرة واما حديث القاسم فمحمول على ان ذلك كان غالب احواله قيل والحكمة في
عدم الزيادة على احدى عشرة ان التهجد والوتر مختص بصلاة الليل وفرايض
النهار الظهر وهي اربع والعصر وهي اربع والمغرب وهي ثلاث وتر النهار
فناسب ان تكون صلاة الليل كصلاة النهار في العدد جملة وتفصيلا واما مناسبة
ثلاث عشرة فبضم صلاة الصبح لكونها نهارية الى ما بعدها انتهى وعن زيد بن خالد
الجهني انه قال لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة قال فصلى
ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين
قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة رواه مسلم وقوله ثم صلى ركعتين وهما دون
اللتين قبلهما اربع مرات كذا في صحيح مسلم وموطا مالك وسنن ابي داود وجامع الاصول
لابن الاثير تنبيه كان قيامه عليه الصلاة والسلام بالليل انواعا احدها ست ركعات
يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بثلاث كما في حديث ابن عباس عند مسلم ثانيها انه كان
يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين ثم يتم ورده احدى عشرة ركعة يسلم من كل
ركعتين ثم يوتر ~~بثلاث كما في حديث~~ بركعة رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة
ثالثها ثلاث عشرة كذلك رواه مسلم من حديث زيد بن خالد الجهني رابعها
ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بخمس سردا متوالية لا يجلس
الا في اخرهن رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس خامسها تسع ركعات
لا يجلس فيها الا في الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم فيصلي
التاسعة ثم يقعد ويحمده ويدعوه ثم يسلم ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم قاعدا
رواه مسلم من حديث عايشة سادسها كان يصلي مثنى مثنى ثم يوتر بثلاث
لا يفصل بينهن رواه احمد عنها سابعها ما رواه النسائي عن حذيفة انه صلى
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فركع فقال في ركوعه سبحان ربي
العظيم مثل ما كان قائما ثم جلس يقول رب اغفر لي فصلى الاربع ركعات حتى
جاء بلال يدعوه الى الغداة رواه ابو داود ولفظه انه راى النبي صلى الله عليه
وسلم يصلي من الليل فكان يقول الله اكبر ثلاثا ذا الملكوت والجبروت والكبرياء
والعظمة ثم استفتح فقرا البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحوا من قيامه وكان
يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم ثم رفع راسه من الركوع فكان قيامه
نحوا من ركوعه يقول لربي الحمد ثم سجد فكان سجوده نحوا من قيامه

فكان

سبعا كالتسع ثم
يصلي بعدها ركعتين
جالسا رواه مسلم ايضا
من حديثها سابعها
يصلي

في ركوعه

فكان يقول في سجوده سبحان ربي الاعلى ثم رفع راسه من السجود وكان يقعد فيما
بين السجدتين نحوا من سجوده وكان يقول رب اغفر لي رب اغفر لي فصلى اربع
ركعات قرا فيهن البقرة وال عمران والنساء والمائدة او الانعام شك شعبة
البخاري ومسلم بلفظ صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح
البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت
يركع بها ثم افتتح النساء فقراها ثم افتتح ال عمران فقراها يقرا مترسلا اذا مر باية
فيها تسبيح سبح واذا مر بسؤال سال واذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول
سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحوا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده زاد في
رواية ربنا لك الحمد ثم قام قياما طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربي
الاعلى فكان سجوده قريبا من قيامه وزاد النسائي لا يمر باية تخويف او تعظيم
لله عز وجل الا ذكره تنبيه كانت هيئة صلاته عليه الصلاة والسلام ثلاثة
احدها انه كان اكثر صلاته قائما فعن حفصة قالت ما رايته صلى الله عليه وسلم
صلى في سبحته قاعدا حتى كان قبل وفاته بعام فكان يصلي في سبحته قاعدا الحديث
رواه احمد ومسلم والنسائي وصححه الترمذي الثاني كان يصلي قاعدا ويركع قاعدا
رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عايشة بلفظ واذا قرا وهو قاعد
ركع وسجد وهو قاعد الثالث كان يقرا قاعدا فاذا بقي يسير من قراءته قام فركع
قائما رواه مسلم من حديث عايشة ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يصلي جالسا ويقرا وهو جالس فاذا بقي من قراءته قدر ما يكون ثلاثين او اربعين
اية قام فقراها وهو قائم ثم ركع ثم سجد ثم يفعل في الركعة الثانية مثل ذلك وعن عايشة
كان صلى الله عليه وسلم يصلي متربعا رواه الدارقطني وكان صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين
بعد الوتر جالسا تارة وتارة يقرا فيهما وهو جالس فاذا اراد ان يركع قام فركع رواه ابن ماجه
وعن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس
يقرا فيهما اذا زلزلت والكافرون رواه احمد واختلف في هاتين الركعتين فانكرهما مالك
وكذا النووي في المجموع وقال احمد لا افعله ولا امنعه انتهى والصواب انه انما فعلهما بيانا
لجواز الصلاة بعد الوتر ولفظه كان لا يتعبد دواما ولا كثيرة هنا وغلط من ظنهما
سنة راتبة فانه صلى الله عليه وسلم ما داوم عليهما ولا تشبه السنة بالفرض حتى يكون
للوتر صلاة بعده واما قيامه عليه الصلاة والسلام ليلة النصف من شعبان
فعن عايشة رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى
فاطال السجود حتى ظننت انه قد قبض فلما رايت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك
فرجعت فلما رفع راسه من السجود وفرغ من صلاته قال يا عايشة او يا حميراء اظننت
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد خاس بك قلت لا والله يا رسول الله ولكني ظننت انك قبضت

Copyright © King Saud University

لطول سجودك فقال اتدرين اي ليلة هذه قلت الله ورسوله اعلم قال هذه ليلة
النصف من شعبان ان الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر
للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر اهل الحقد كما هم رواه البيهقي من طريق العلا
ابن الحارث عنها وقال هذا مرسل جيد يعني ان العلا لم يسمع من عايشة وقد ورد
في ليلة النصف من شعبان احاديث كثيرة لكن ضعفها الاكثرون وصحح ابن حبان بعضها
وخرجه في صحيحه ومن امثلها ما نبه عليه الحافظ بن رجب حديث عايشة قالت
فقدت النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت فاذا هو بالبقيع رافع راسه الى السما فقال
اكنت تخافين ان يحيف الله عليك ورسوله فقلت يا رسول الله ظننت انك اتيت
بعض نسائك فقال ان الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سما الدنيا فيغفر لاكثر
من عدد شعر غنم كلب رواه احمد وقال الترمذي ان البخاري ضعفه وفي سنن ابن
ماجه ضعفه باسناد ضعيف عن علي مرفوعا اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا
ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى سما الدنيا فيقول
الا من مستغفر فاغفر له الا مسترزق فارزقه الا مبتلي فاعافيه الا كذا الا كذا حتى يطلع
الفجر وقد كان التابعون من اهل الشام كخالد بن معدان ومكحول يجتهدون ليلة النصف
في العبادة وعنهم اخذ الناس تعظيمها ويقال انه بلغهم في ذلك اثار اسرايلية فلما
اشتهر ذلك عنهم اختلف الناس فمنهم من قبله منهم وقد انكر ذلك اكثر العلما من
اهل الحجاز منهم عطا وابن ابي مليكة ونقله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن فقها اهل
المدينة وهو قول اصحاب مالك وغيرهم وقالوا ذلك كله بدعة واختلف علما اهل
الشام في صفة احيايها على قولين احدهما انه يستحب احياوها جماعة في المساجد وكان
خالد بن معدان ولقمن بن عامر يلبسون فيها احسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون
ويقومون في المسجد ليلتهم تلك ووافقهم اسحق بن راهويه على ذلك وقال في قيامها
في المسجد جماعة ليس ذلك ببدعة نقله عنه حرب الكرماني في مسايله والثاني انه
يكره الاجتماع لها في المساجد للصلاة والقصص والدعا ولا يكره ان يصلي الرجل فيها
لخاصة نفسه وهذا قول الاوزاعي امام اهل الشام وفقيههم وعالمهم ولا يعرف للامام
احمد كلام في ليلة النصف من شعبان ويخرج في استحباب قيامها عنه روايتان من
الروايتين عنه في قيام ليلتي العيد فانه في رواية لا يستحب جماعة لانه لم ينقل
عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه فعلها واستحبها في رواية لفعل عبد الرحمن
ابن زيد الاسود لذلك وهو من التابعين وكذلك قيام الليلة النصف لم يثبت فيها
شي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه انما ثبت عن طايفة من التابعين
من اعيان فقها اهل الشام انتهى ملخصا من اللطايف واما قوله تعالى في سورة
الدخان انا انزلناه في ليلة مباركة فالمراد بها انزاله تعالى القران في ليلة القدر كما قال

تعالى

تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تعالى شهر رمضان الذي
انزل فيه القران قال الحافظ ابن كثير ومن قال انها ليلة النصف من شعبان كما روي
عن عكرمة فقد ابعد النجعة فان نص القران انها في رمضان واما الحديث الذي رواه
عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري قال اخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة
ابن الاخنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقطع الاجال من شعبان الى
شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد اخرج اسمه في الموتى فهو حديث مرسل ومثله
لا يعارض به النصوص انتهى واما قيامه صلى الله عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان
وهو الذي سمي بالتراويح جمع ترويحة وهي المرة الواحدة وسميت بذلك لانهم اول ما اجتمعوا
عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمتين فعن عايشة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا دخل العشر الاواخر من رمضان احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر
رواه البخاري ومسلم وابو داود والنساي ولمسلم قالت كان صلى الله عليه وسلم يجتهد
في رمضان ما لا يجتهد في غيره وفي رواية الترمذي كان يجتهد في العشر الاواخر ما لا
يجتهد في غيره وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد فصلى بصلاته ناس
ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة فلم يخرج اليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما اصبح قال قد رايت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج اليكم الا اني
خشيت ان تفرض عليكم وذلك في رمضان رواه البخاري وابو داود وفي رواية للبخاري
ومسلم انه صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلاته
فاصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع اكثر منهم فخرج عليه الصلاة والسلام في الليلة
الثانية فصلوا بصلاته فلما كان في الليلة الثالثة عجز المسجد عن اهله فلم يخرج اليهم
صلى الله عليه وسلم فطفق رجال منهم يقولون الصلاة فلم يخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فطفق
رجال منهم يقولون حتى خرج لصلاة الفجر فلما قضى الفجر اقبل على الناس ثم تشهد فقال
اما بعد فانه لم يخف علي شانكم الليلة ولكني خشيت ان تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا
عنها وفي رواية بنحوه ومعناه مختصرا قال وذلك في رمضان قال في فتح الباري
ظاهر هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم توقع ترتب افتراض الصلاة بالليل جماعة
على وجود المواظبة عليها وفي ذلك اشكال وقد بناه بعض المالكية على قاعدتهم في
ان الشروع يلزم وفيه نظر واجاب المحب الطبري انه يحتمل ان يكون الله عز
وجل اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلاة معهم افترضتها عليهم فاحب
التخفيف عنهم وقيل خشي ان يظن احد من الامة من مداومته عليها الوجوب
قال القرطبي اي يظنونه فرضا فيجب على من ظن ذلك كما اذا ظن المجتهد حل شي او
تحريمه فانه يجب عليه العمل به وقد استشكل الخطابي اصل هذه الخشية مع
ما ثبت في حديث الاسرا من ان الله تعالى قال هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول

محل الكتابة
فكثر الناس ثم اجتمعوا

Copy ng ersity

لدي ناداامين التنويل كيف يقع الخوف من الزيادة وهذا ايلافع في صدر الاجوبة المنقلة
ناجاب عنه الخطابي بان صلاة الليل كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم وافعاله
الشرعية يجب على الامة الاقتدا به فيها يعني عند المواظبة فترك الخروج اليهم
لئلا يدخل ذلك في الواجب من طريق الامر بالاقتدا به لا من طريق انشا فرض جديد
زايد على الخمس وهذا كما يوجب المرء على نفسه صلاة نذر فتجب عليه ولا يلزم من ذلك
زيادة فرض في اصل الشرع قال وفيه احتمال اخر وهو ان الله تعالى فرض الصلاة
خمسين ثم حط معظمها بشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم فاذا عادت الامة
فيما استوهب لها والتزمت ما استعفا لهم نبيهم عليه الصلاة والسلام منه لم يستنكر
ان يثبت ذلك فرضا عليهم قال الحافظ ابن حجر وقد تلقى هذين الجوابين عن الخطابي
جماعة كابن الجوزي وهو مبني على ان قيام الليل كان واجبا على النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى وجوب الاقتدا بافعاله وفي كل من الامرين نزاع ثم اجاب بثلاثة اجوبة
احدها انه يحتمل ان يكون المخوف افتراض قيام الليل بمعنى جعل التهجد في المسجد
جماعة شرطا في صحة التنفل بالليل قال ويومي اليه قوله في حديث زيد بن ثابت
حتى خشيت ان يكتب عليكم ولو كتب عليكم ما قمتم به فصلوا ايها الناس في بيوتكم
فمنعهم من التجميع في المسجد اشفاقا عليهم من اشتراطه وامن مع اذنه في المواظبة
على ذلك في بيوتهم من افتراضه عليهم وثانيها ان يكون المخوف افتراض قيام الليل
على الكفاية لا على الاعيان فلا يكون ذلك زايدا على الخمس بل هو نظير ما ذهب
اليه قوم في العيد ونحوها ثالثها يحتمل ان يكون المخوف افتراض قيام رمضان خاصة
فقد وقع في حديث الباب ان ذلك كان في رمضان وفي حديث سفيان بن حسين
خشيت ان يفرض عليكم قيام هذا الشهر قال فعلى هذا يرتفع الاشكال لان قيام
رمضان لا يتكرر كل يوم في السنة فلا يكون ذلك قدرا زايدا على الخمس واقوى
هذه الاوجه الثلاثة في نظري الاول وعن النعمان بن بشير قال قمنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين الى ثلث الليل الاول
ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين الى نصف الليل ثم قمنا معه ليلة سبع وعشرين حتى
ظننا ان لا ندرك الفلاح وكانوا يسمونه السحور رواه النسائي واختلف العلماء هل
الافضل في صلاة التراويح ان تصلى جماعة في المسجد او في البيوت فرادى فقال
الشافعي وجمهور اصحابه وابو حنيفة وبعض المالكية وغيرهم الافضل صلاتها
جماعة كما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه والصحابة واستمر عمل المسلمين عليه
لانه من الشعاير الظاهرة فاشبه صلاة العيد فان قلت قد ذكرت ان الحافظ ابن
حجر حمل قوله عليه الصلاة والسلام اني خشيت ان تفرض عليكم على التجميع في
المسجد وقال انه اقوى الاوجه فالجواب انه صلى الله عليه وسلم لما مات حصل

الامن

الامن من ذلك ورجح عمر التجميع لما في الاختلاف من افتراق الكلمة ولان الاجتماع على واحد انشط
لكثير من المصلين وقال مالك وابو يوسف وبعض الشافعية وغيرهم الافضل صلاتها
فرادى في البيوت لقوله عليه الصلاة والسلام افضل صلاة المرء في بيته الا المكتوبة
قالوا وانما فعلها صلى الله عليه وسلم في المسجد لبيان الجواز ولانه كان معتكفا واما
عدد الركعات التي كان صلى الله عليه وسلم يصليها في رمضان فعن ابي سلمة انه
سال عايشة كيف كان صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما كان
يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن
وطولهن ثم يصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عايشة
فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر قال يا عايشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي
رواه البخاري ومسلم واما ما رواه ابن ابي شيبة من حديث ابن عباس كان صلى
الله عليه وسلم يصلي في رمضان عشرين ركعة والوتر فاسناده ضعيف وقد
عارضه حديث عايشة هذا وهي اعلم بحال النبي صلى الله عليه وسلم ليلا من
غيرها وقد كان الامر من زمنه صلى الله عليه وسلم استمر على ان كل واحد يقوم
في رمضان في بيته منفردا حتى انقضى صدر من خلافة عمر وفي البخاري ان عمر
خرج ليلة الى المسجد فاذا الناس اوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي
الرجل فيصلي بصلاته الرهط قال عمر اني لو جمعت هولا على قاري واحد لكان
اجمع ثم عزم فجمعهم على ابي بن كعب ثم خرج ليلة اخرى والناس يصلون بصلاة قاريهم
قال عمر نعمت البدعة هذه والتي تنامون عنها افضل من التي تقومون يريد
اخر الليل وكان الناس يقومون اوله وانما اختار ابيا لانه كان اقراهم كما قال عمر وروى
سعيد بن منصور من طريق عروة ان عمر جمع الناس على ابي بن كعب فكان يصلي
بالرجال وكان تميم الداري يصلي بالنساء وفي الموطا امر عمر ابي بن كعب وتميم الداري
ان يقوما للناس في رمضان وروى البيهقي باسناد صحيح ان الناس كانوا يقومون
على عهد عمر ابن الخطاب في شهر رمضان عشرين ركعة قال الحليمي والسر
في كونها عشرين ركعة ان الرواتب في غير رمضان عشر ركعات فضوعفت
لانه وقت جد وتشمير وفي الموطا بثلاث وعشرين وجمع البيهقي بينهما بانهم
كانوا يوترون بثلاث وفي الموطا عن محمد بن يوسف ان السايب بن يزيد انها
احدى عشرة وعند عبد العزيز احدى وعشرين والجمع بين هذه الروايات
ممكن باختلاف الاحوال ويحتمل ان ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراة وتخفيفها
فحيث يطيل القراة تقل الركعات وبالعكس وقد روى محمد بن نصر من طريق
داود بن قيس قال ادركت الناس في امارة ابان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز
يعني بالمدينة يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث وقال مالك

هو الامر القديم عندنا وعن الزعفراني عن الشافعي رايت الناس يقومون بالمدينة
بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين وليس في شي من ذلك ضيق وعنه قال
ان اطالوا القيام واقلوا السجود فحسن وان اكثروا السجود واخفوا القراة فحسن
والاول احب الي انتهى وهل يجوز لغير اهل المدينة صلاتها ستا وثلاثين قال النووي
قال الشافعي لا يجوز ذلك لان لاهلها شرفا بهجرته صلى الله عليه وسلم ومدفنه
ويخالفه قول الحليمي ومن اقتدى باهل المدينة فقام بست وثلاثين فحسن
ايضا وينبغي ان يسلم من كل ركعتين فلو صلى اربعا بتسليمة واحدة جاز والفرق
ان التراويح بمشروعية الجماعة اشبهت الفرايض قاله النووي في فتاويه
وصرح به في الروضة وقد كان صلى الله عليه وسلم يطيل القراة في قيام رمضان
بالليل اكثر من غيره وقد صلى معه حذيفة ليلة في رمضان قال فقرا بالبقرة ثم
النسا ثم ال عمران لا يمر باية تخويف الا وقف وسال قال فما صلى الركعتين حتى
جاءه بلال فاذنه بالصلاة اخرجه احمد واخرجه النساي وعنده ايضا انه ما صلى
الا اربع ركعات وكان الشافعي في رمضان ستون ختمة يقراوها في غير الصلاة
الباب في صلاته صلى الله عليه وسلم الوتر قد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه اوتر
بخمس لم يجلس الا في اخرها لكن احاديث الفصل اثبت واكثر طرقا واحتج بعض
الحنفية لما ذهبوا اليه من تعيين الوصل والاقتصار على ثلاث بان الصحابة
اجمعوا على ان الوتر ثلاث موصولة حسن جايز واختلفوا فيما زاد ونقص قال
فاخذنا بما اجمعوا عليه وتركنا ما اختلفوا فيه وتعقبه محمد بن نصر المروزي
بما رواه من طريق عراك ابن مالك عن ابي هريرة مرفوعا وموقوفا لا توتروا
بثلاث تشبهوا بصلاة المغرب وقد صححه الحاكم وعن سليمان بن يسار انه كره
الثلاث في الوتر وقال لا يشبه التطوع الفريضة انتهى لكن قد روى الحاكم من
حديث عايشة انه كان صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث لا يقعد الا في اخرهن
وروى النساي من حديث ابي ابن كعب نحوه ولفظه يوتر بسبح اسم ربك الاعلى
وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ولا يسلم الا في اخرهن ويبين في عدة طرق
ان السور الثلاث بثلاث ركعات والجمع بين هذا وبين ما تقدم من النهي عن
التشبيه بصلاة المغرب ان يحمل النهي على صلاة الثلاث بتشهدين وقد فعله
السلف ايضا وروى محمد بن نصر من طريق الحسن ان عمر كان ينهض في الثالثة
من الوتر بالتكبير ومن طريق المسور بن مخرمة ان عمر اوتر بثلاث لم يسلم الا في اخرهن
ومن طريق ابن طاوس عن ابيه انه كان يوتر بثلاث لا يقعد بينهن وكان
ابن عمر يسلم من الركعة والركعتين في الوتر حتى يامر ببعض حاجته وهذا ظاهره
انه كان يصلي الوتر موصولا فان عرضت له حاجة فصل ثم بنى على ما مضى وفي

هذا

هذا رد على من قال لا يصح الوتر الا مفصولا واصرح من ذلك ما روى الطحاوي من طريق سالم
ابن عبد الله بن عمر عن ابيه انه كان يفصل بين شفعه ووتره بتسليمة واخبرنا
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله واسناده قوي وقد استدل بعضهم على تعين
الفصل بانه صلى الله عليه وسلم امر به وفعله واما الوصل فورد من فعله فقط
وقد حمل المخالف من الحنفية كلما ورد من الثلاث على الوصل مع ان كثيرا من الاحاديث
ظاهر في الفصل كحديث عايشة يسلم من كل ركعتين فانه يدخل فيه الركعتان
اللتان قبل الاخيرة فهو كالنص في موضع النزاع وحمل الطحاوي هذا ومثله على
ان الركعة مضمومة الى الركعتين قبلها ولا يتمسك في دعوى ذلك الا بالنهي
عن البتيراء مع احتمال ان يكون المراد بالبتيراء ان يوتر بواحدة فرده ليس قبلها
شي وهو اعم من ان يكون مع الوصل والفصل وقد اختلف السلف في امرين احدهما في مشروعية
ركعتين بعد الوتر عن جلوس والثاني فيمن اوتر ثم اراد ان يتنفل في الليل هل يكتفي بوتره
الاول ويتنفل ما شا او يشفع وتره بركعة ثم يتنفل ثم اذا فعل هل يحتاج الى وتر اخر ام لا
فاما الاول فوقع عند مسلم من طريق ابي سلمة عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان
يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس وقد ذهب اليه بعض اهل العلم وجعلوا الامر
في قوله اجعلوا اخر صلاتكم بالليل وترا مختصا بمن اوتر اخر الليل واجاب من لم يقل
بذلك بان الركعتين المذكورتين هما ركعتا الفجر وحمله النووي على انه صلى الله عليه
وسلم فعله لبيان جواز التنفل بعد الوتر وجواز التنفل جالسا واما الثاني فذهب
الاكثر الى انه يصلي شفعا ما اراد ولا ينقض وتره عملا بقوله عليه الصلاة والسلام
لا وتران في ليلة وهو حديث حسن اخرجه النساي وابن خزيمة من حديث
طلق بن علي وانما يصح نقض الوتر عند من يقول بمشروعية التنفل بركعة
واحدة غير الوتر واختلف السلف ايضا في مشروعية قضا الوتر فنفاه الاكثر
وفي مسلم وغيره عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نام من الليل من وجع او
غيره فلم يقم من الليل صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة وقال محمد بن نصر لم
نجد عن النبي صلى الله عليه وسلم في شي من الاخبار انه قضى الوتر ولا امر بقضايه
وعن عطا والاوزاعي يقضي ولو طلعت الشمس الى الغروب وهو وجه عند
الشافعية حكاه النووي في شرح مسلم وعن سعيد بن جبير يقضي من القابلة
وعن الشافعية يقضي مطلقا وقالت عايشة اوتر صلى الله عليه وسلم من كل
الليل من اوله واوسطه واخره انتهى وتره الى السحر رواه البخاري ومسلم وابو
داود والترمذي والنساي والمراد باوله بعد صلاة العشا ويحتمل ان يكون اختلاف
وقت الوتر باختلاف الاحوال فحيث اوتر اوله لعله كان وجعا وحيث اوتر
في وسطه لعله كان مسافرا واما وتره في اخره فكان غالب احواله لما عرف من

Copy… University

مواظبته على الصلاة اخر الليل والسحر قبيل الصبح وحكى الماوردي انه السدس الاخير وقبل اوله الفجر الاول وفي رواية طلحة بن نافع عن ابن عباس عند ابن خزيمة فلما انفجر الفجر قام صلى الله عليه وسلم فاوتر بركعة قال ابن خزيمة والمراد به الفجر الاول وروى احمد من حديث معاذ مرفوعا زادني ربي صلاة وهي الوتر وقتها من العشا الى طلوع الفجر وفي اسناده ضعف وكذا في حديث خارجة بن حذافة في السنن وهو الذي احتج به من قال بوجوب الوتر وليس صريحا في الوجوب واما حديث بريدة رفعه الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا واعاد ذلك ثلاثا ففي سنده ابو المنيب وفيه ضعف وعلى تقدير قبوله يحتاج من احتج به الى ان يثبت لفظة حق بمعنى واجب وقد عرف الشارع وان لفظ واجب بمعنى ما ثبت من طريق الاحاد والله اعلم وقد كان صلى الله عليه وسلم يصلي وعايشة راقدة معترضة على فراشه فاذا اراد ان يوتر ايقظها فتوتركما في البخاري وهذا يدل على استحباب جعل الوتر اخر الليل سوا المتهجد وغيره ومحله اذا وثق ان يستيقظ بنفسه او بايقاظ غيره واستدل به على وجوب الوتر لكونه عليه الصلاة والسلام سلك به مسلك الواجب حيث لم يدعها نايمة للوتر وابقاها للتهجد وتعقب بانه لا يلزم من ذلك الوجوب نعم يدل على تاكيد امر الوتر وانه فوق غيره من النوافل الليلية وفيه استحباب ايقاظ النايم لادراك الصلاة ولا يختص ذلك بالمفروضة ولا بخشية خروج الوقت بل يشرع ذلك لادراك الجماعة وادراك اول الوقت وغير ذلك من المندوبات قال القرطبي ولا يبعد ان يقال انه واجب في الواجب مندوب في المندوب لان النايم وان لم يكن مكلفا لكن مانعه سريع الزوال فهو كالغافل وتنبيه الغافل واجب والله اعلم وعن علي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث يقرا فيهن بتسع سور من المفصل يقرا في كل ركعة بثلاث سور اخرهن قل هو الله احد رواه الترمذي وعن ابن عباس كان يقرا في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد في كل ركعة ركعة وعن عايشة كان يقرا في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية بقل يا ايها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين رواه ابو داود والترمذي ولابي داود وكان اذا سلم قال سبحان الملك القدوس وعند النساي ثلاثا يطيل في اخرهن وفي رواية يرفع صوته بالثالثة وعن علي كان عليه الصلاة والسلام يقول في اخر وتره اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثنا عليك كما اثنيت على نفسك رواه ابو داود والترمذي والنساي وابن ماجة قال ابن تيمية سنة الفجر تجري مجرى بداية العمل والوتر خاتمته وقد

كان

كان عليه الصلاة والسلام يقرا في سنة الفجر وفي الوتر بسورتي الاخلاص وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل وتوحيد المعرفة والارادة وتوحيد الاعتقاد فسورة قل هو الله احد متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب اثباته للرب تعالى من الاحدية والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص ونفي الولد والوالد لد والكفو المتضمن لنفي الشبيه والمثيل والنظير فتضمنت اثبات كل كمال ونفي كل نقص عنه ونفي كل شبيه وهذه هي مجامع التوحيد العلمي والاعتقادي فلذلك كانت تعدل ثلث القران فان القران مداره على الخبر والانشا ثلاثة امر ونهي واباحة والخبر نوعان خبر عن الخالق تعالى واسمايه وصفاته واحكامه وخبر عن خلقه فاخلصت سورة الاخلاص للخبر عنه وعن اسمايه وصفاته فعدلت ثلث القران وخلصت قاريها المومن بها من الشرك العلمي كما خلصته سورة قل يا ايها الكافرون من الشرك العملي قاله ابن القيم واما القنوت في الركعة الاخيرة من الوتر في النصف الاخير من رمضان فقال النووي في الاذكار باستحبابه ولم يذكر لذلك دليلا وقد اخرج ابو داود باسنادين رجالهما ثقات لكن احدهما منقطع وفي الاخر راولم يسم ان عمر لما جمع الناس على ابي بن كعب كان لا يقنت الا في النصف الاخير وعن الحسن بن علي قال علمني جدي كلمات اقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيته وقني شر ما قضيت انك تقضي ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وهذا لفظ رواية شريك رواه الطبراني وغيره

الباب الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الضحى اختلف الرواة هل صلاها النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فمنهم المثبت ومنهم النافي فمن العلما من رجح رواية المثبت على النافي جريا على القاعدة المعروفة لانها تتضمن زيادة علم خفيت على النافين قالوا وقد يجوز ان يذهب علم مثل هذا على كثير من الناس ويوجد عند الاقل ومنهم من رجح رواية النافي بقرينة ولم يعتد برواية الليث اما لضعفها او صرفها كما سياتي عن صلاة الضحى قال الحاكم وفي الباب عن ابي سعيد وابي ذر الغفاري وزيد بن ارقم وابي هريرة وبريدة الاسلمي وابي الدردا وعبد الله بن ابي اوفى وعتبان بن مالك وعتبة بن عبد السلمي ونعيم بن همام الغطفاني وابي امامة الباهلي وعايشة بنت ابي بكر وام هاني وام سلمة كلهم شهدوا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى انتهى واما حديث ابي سعيد فاخرجه الحاكم والترمذي عن عطية العوفي عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها وقال الترمذي حسن غريب قال النووي عطية ضعيف فلعله اعتضد واما حديث

Copyright ... University

ابن ابي ذر الغفاري فرواه مسلم بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان واما حديث زيد
ابن ارقم فرواه مسلم بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يترك صلاة
الضحى في سفر ولا غيره واسناده ضعيف فيه يوسف بن خالد السمين ضعيف
جدا واما حديث بريدة الاسلمي فرواه واما حديث
ابي الدردا فرواه واما حديث بن ابي اوفى فرواه ابن عدي
والحاكم بلفظ قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ركعتين يوم
بشر براس ابي جهل قال بعض العلما الناقين لرواية المثبتين هذا الحديث
ان كان صحيحا فهو صلاة شكر ونعت وقت الضحى لشكره يوم فتح مكة واما حديث
عتبان بن مالك فرواه احمد من رواية محمود بن الربيع عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم صلى في بيته سبحة الضحى واما حديث عبيد بن عبد فرواه
واما حديث نعيم بن همام فرواه واما حديث عايشة فرواه مسلم
واحمد وابن ماجة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى اربعا
ويزيد ما شا الله وعن عبد الله بن شقيق قالت سالت رسول الله عايشة
هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى قالت لا الا ان يجي من مغيبه
واما حديث ام هاني فرواه البخاري ومسلم قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم
دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم ار صلاة قط اخف منها
غير انه يتم الركوع والسجود قالت في رواية اخرى وذلك ضحى ولمسلم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلى في بيتها عام الفتح ثماني ركعات في ثوب واحد قد
خالف بين طرفيه وللنسائي انها ذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته
يغتسل وفاطمة تستره بثوب فسلمت فقال من هذه قلت ام هاني فلما فرغ من
غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفا في ثوب واحد ولابي داود ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الفتح صلى سبحة الضحى ثماني ركعات سلم من كل ركعتين وقد استدل
بحديث البخاري ومسلم على استحباب تخفيف صلاة الضحى وفيه نظر لاحتمال ان يكون
السبب فيه التفرغ لمهمات الفتح لكثرة شغله به وقد ثبت من فعله صلى الله عليه
وسلم انه صلى الضحى فطول فيها اخرجه ابن ابي شيبة من حديث حذيفة واما
حديث ام سلمة فرواه الحاكم من طريق اسحق بن بشر الكاهلي قالت كان صلى الله
عليه وسلم يصلي صلاة الضحى ثنتي عشرة ركعة قلت وروي عن بن جبير بن مطعم
عن ابيه انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى رواه الحاكم ايضا وعن انس
ابن مالك قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في السفر الضحى رواه
النسائي في تعبيه الكبرى واحمد وابو يعلى واسناده جيد وعن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي من الضحى الا يومين يوم يقدم مكة وعن ابي

بكرة

عائشة ونعماه رواه
احمد وصححه ابن خزيمة
والحاكم وعن علي رضي
الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
كان يصلي من الضحى

بكرة عند ابن عدي في الكامل من رواية عمرو بن عبيد عن الحسن عن ابي بكرة
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى فجا الحسن وهو غلام فلما سجد ركب
ظهره الحديث وعمرو بن عبيد متروك وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه
وسلم صلى الضحى ست ركعات رواه الحاكم قال الشيخ ولي الدين بن العراقي وقد ورد
فيها احاديث كثيرة صحيحة مشهورة حتى قال محمد بن جرير الطبري انها بلغت
حد التواتر وقال ابن العربي وهي كانت صلاة الانبيا قبل محمد صلوات الله وسلامه
عليه قال الله تعالى مخبرا عن داود انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق
فابقى الله تعالى من دين ذلك في دين محمد العصر وتسبيح صلاة الاشراق واحتج
القايلون بالنفي بحديث عايشة ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل
وهو يحب ان يعمل به خشية ان يعمل به الناس فيفرض عليهم وما سبح رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى قط واني لاسبحها رواه البخاري ومسلم ومالك وابو
داود وبحديث مورق العجلي قال قلت لابن عمر اتصلي الضحى قال لا قلت فعمر قال
لا قلت فابو بكر قال لا قلت فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لا اخاله رواه البخاري
وقوله لا اخاله اي لا اظنه وهو بكسر الهمزة وبفتح الضاد والخاء المعجمة وبقول
الشعبي سمعت ابن عمر يقول ما ابتدع المسلمون افضل من صلاة الضحى وروي
عن مجاهد قال دخلت انا وعروة بن الزبير المسجد فاذا ابن عمر جالس عند حجرة عايشة
واذا الناس في المسجد يصلون صلاة الضحى فسالناه عن صلاتهم فقال بدعة وروى
ابن ابي شيبة باسناد صحيح عن الحكم بن الاعرج قال سالت ابن عمر عن صلاة الضحى
فقال بدعة ونعمت البدعة وروى عبد الرزاق باسناد صحيح عن سالم عن ابيه
قال لقد قتل عثمان وما احد يسبحها وما احدث الناس شيا احب الي منها وقد جمع
العلما بين هذه الاحاديث بانه صلى الله عليه وسلم كان لا يداوم على صلاة الضحى مخافة
ان تفرض على امته فيعجزوا عنها وكان يفعلها كما صرحت بها عايشة كما تقدم وكما
ذكرته ام هاني وغيرها وقول عايشة ما رايته صلاها لا يخالف قولها كان يصليها
لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يكون عندها في وقت الضحى الا في النادر من الاوقات
لانه قد يكون مسافرا وقد يكون حاضرا وفي الحضر قد يكون في المسجد وقد يكون
في بيت من بيوت زوجاته وغيرها وما راته صلاها في تلك الاوقات النادرة
فقالت ما رايته وعلمت بغير رؤية انه كان يصليها باخباره صلى الله عليه وسلم
او باخبار غيره فروت ذلك وقول ابن عمر لا اخاله فتوقف وكان سبب توقفه
انه بلغه عن غيره انه صلاها ولم يثق بذلك عمن ذكره واما قوله انها بدعة فمحمول
على انه لم تبلغه الاحاديث المذكورة او اراد انه صلى الله عليه وسلم لم يداوم
عليها او ان اظهارها في المساجد ونحوها بدعة وانما سنة النافلة في البيوت

Copyright Sultan Qaboos University

والله اعلم وبالجملة فليس في احاديث ابن عمر هذا ما يرفع مشروعية صلاة الضحى لان نفيه
محمول على عدم رؤيته لا على عدم الوقوع في نفس الامر والذي نفاه صفة مخصوصة
كما قدمناه وقد روى ابن ابي شيبة عن ابن مسعود انه راى قوما يصلونها فانكر عليهم
وقال ان كان ولا بد ففي بيوتكم وذهب اخرون الى استحباب فعلها غبا فيصلي في
بعض الايام دون بعض وكان ابن عباس يصليها يوما ويدعها عشرة ايام وذهب
اخرون الى انها انما تفعل بسبب من الاسباب وانه عليه الصلاة والسلام انما
صلاها يوم الفتح من اجل الفتح وكان الامرا يسمونها صلاة الفتح متمسكين بما قاله
القاضي عياض وغيره ان حديث ام هاني ليس بظاهر في انه عليه الصلاة والسلام قصد
سنة الضحى وانما فيه انها اخبرت عن وقت صلاته فقط قال وقد قيل انها كانت
قضاء عما شغل عنه تلك الليلة من حزبه فيها وتعقبه النووي بان الصواب
صحة الاستدلال به لما رواه ابو داود من طريق كريب عن ام هاني انه صلى الله
عليه وسلم صلى سبحة الضحى ولمسلم في كتاب الطهارة من طريق ابي مرة عن ام هاني
في قصة اغتساله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ثم صلى ثماني ركعات سبحة الضحى
وروى ابن عبد البر في التمهيد من طريق عكرمة بن خالد عن ام هاني قالت
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فصلى ثماني ركعات فقلت ما هذه الصلاة
قال هذه صلاة الضحى واستدل به على ان اكثر الضحى ثماني ركعات واستبعده السبكي
ووجه بان الاصل في العبادة التوقف وهذا اكثر ما ورد من فعله عليه الصلاة والسلام
وقد ورد من فعله دون ذلك كحديث ابن ابي اوفى انه عليه الصلاة والسلام صلى الضحى
ركعتين اخرجه ابن عدي واما ما ورد في قوله عليه الصلاة والسلام ففيه زيادة
على ذلك كحديث انس مرفوعا من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا في
الجنة اخرجه الترمذي واستغربه وليس في اسناده من اطلق عليه الضعف
ومن ثم قال الروياني اكثرها ثنتي عشرة وقال النووي في شرح المهذب فيه حديث
ضعيف كانه يشير الى حديث انس لكن اذا ضم اليه حديث ابي الدرداء رفعه وفيه
من صلى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة رواه الطبراني وحديث ابي
ذر عند البزار وفي اسناده ضعيف ايضا قوي وصلح للاحتجاج ونقل الترمذي
عن احمد ان اصح شيء ورد في الباب حديث ام هاني وهو كما قال ولهذا قال النووي
في الروضة افضلها ثمان واكثرها ثنتي عشرة ففرق بين الاكثر والافضل واجاب
القايلون بانها لا تفعل الا لسبب عن قول ابي هريرة المروي في البخاري اوصاني
خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث لا ادعهن حتى اموت بصوم ثلاثة ايام من كل شهر
وصلاة الضحى الحديث بانه قد روي ان ابا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على
الصلاة فامره بالضحى بدلا عن قيام الليل ولهذا امره ان لا ينام الا على وتر ولم يامر

بذلك

بذلك ابا بكر ولا عمر ولا ساير الصحابة انتهى قال الحافظ ابن حجر وهذه الوصية لابي
هريرة قد ورد مثلها لابي الدرداء فيما رواه مسلم ولابي ذر فيما رواه النساي قال والحكمة
في الوصية على المحافظة على ذلك تمرين النفس على جنس الصلاة والصيام ليدخل في
الواجب منها بانشراح ولينجبر ما لعله يقع فيه من نقص ومن فوايد صلاة الضحى انها تجزي
عن الصدقة التي تصبح على مفاصل الانسان ثلاثمائة وستون مفصلا كما اخرجه مسلم
من حديث ابي ذر قال فيه ويجزي من ذلك ركعتا الضحى وقد ذكر اصحابنا الشافعية
انها افضل التطوع بعد الرواتب لكن النووي في شرح المهذب قدم عليها صلاة التراويح
فجعلها في الفضل بين الرواتب والضحى وحكى الحافظ ابو الفضل العراقي في شرح الترمذي
انه اشتهر بين العوام ان من صلى الضحى ثم قطعها يعمى فصار كثير من الناس يتركها اصلا
لذلك وليس لما قالوا اصل بل الظاهر انه مما القاه الشيطان على السنة العوام ليحرمهم
الخير الكثير لا سيما ما وقع في حديث ابي ذر واقتصر في الوصية للثلاثة المذكورين على
الثلاثة المذكورة في الحديث لان الصلاة والصيام اشرف العبادات البدنية ولم يكن
المذكورون من اصحاب الاموال فكان يجزيهم من الصدقة على السلامى كما في الحديث
والله اعلم وروى الحاكم من طريق ابي الخير عن عقبة بن عامر قال امرنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان نصلي الضحى بسور منها والشمس وضحاها والضحى ومناسبة ذلك
ظاهرة جدا والله اعلم تنبيه قال شيخ الاسلام الحافظ ابو الفضل ابن حجر قول
عايشة في الصحيح ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح سبحة الضحى يدل على
ضعف ما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان صلاة الضحى كانت واجبة عليه وقد عدها
جماعة من العلما من خصايصه صلى الله عليه وسلم ولم يثبت ذلك في خبر صحيح وقول
الماوردي في الحاوي انه صلى الله عليه وسلم واظب عليها بعد يوم الفتح الى ان مات
يعكر عليه ما رواه مسلم من حديث ام هاني انه لم يصلها قبل ولا بعد ولا يقال ان نفي
ام هاني لذلك يلزم منه العدم لانا نقول يحتاج من اثبته الى دليل ولو وجد لم يكن
حجة لان عايشة ذكرت انه كان اذا عمل عملا اثبته فلا يستلزم المواظبة على هذا الوجوب
عليه انتهى قال ابن العربي في عارضة الاحوذي انا ابو الحسن الازدي انا ابو طاهر
انا علي نا ابو العباس عبد الله بن عبد الرحمن العسكري نا الحسين نا
ابو غسان نا قيس عن جابر عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كتب علي النحر ولم يكتب عليكم وامرت بصلاة الضحى ولم تومروا بها
رواه الدارقطني القسم الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم النوافل واحكامها وفيه
بابان الاول في النوافل المقرونة بالاوقات وفيه فصلان الاول في رواتب الصلوات
الخمس والجمعة وفيه فروع الاول في احاديث جامعة لرواتب مشتركة عن نافع
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها

Copyright ... University

ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد صلاة العشا ركعتين وكان لا يصلي بعد
الجمعة حتي ينصرف فيصلي في بيته ركعتين قال واخبرتني حفصة ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم كان اذا سكت المؤذن من الاذان لصلاة الصبح وبدا الصبح
صلي ركعتين خفيفتين قبل ان تقام الصلاة رواه البخاري فهذه عشر ركعات لان
الركعتين بعد الجمعة لا يجتمعان مع الركعتين بعد الظهر الا لعارض بان يصلي الجمعة
وسنتها التي بعدها ثم تبين له فسادها فيصلي الظهر ويصلي بعدها سنتها كما نبه عليه
الشيخ ولي الدين العراقي واختلف في كان هل تدل على التكرار وصحح ابن الحاجب انها تقتضيه ثم
قال وهذا استفدناه من قولهم كان حاتم يقري الضيف وصحح الامام فخر الدين في
المحصول انها لا تقتضيه لا لغة ولا عرفا وقال النووي في شرح مسلم انه المختار الذي عليه
الاكثرون والمحققون من الاصوليين وذكر ابن دقيق العيد انها تقتضيه عرفا
فعلي هذا افاد الحديث دلالة علي تكرر فعل هذه النوافل من النبي صلي الله عليه وسلم
وانه كان هذا دابه وعادته وعن عايشة كان صلي الله عليه وسلم يصلي في بيته قبل
الظهر اربعا ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين وكان يصلي بالناس المغرب
ثم يدخل فيصلي ركعتين ثم يصلي بالناس العشا ويدخل بيتي فيصلي ركعتين وفي اخره
وكان اذا طلع الفجر صلي ركعتين الحديث رواه مسلم فهذه ثنتي عشرة ركعة وعنها
كان صلي الله عليه وسلم لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين قبل الغداة وفي رواية لم
يكن يتركهما سرا ولا علانية في سفر ولا حضر ركعتان قبل الصبح وركعتان بعد العصر
رواه البخاري ومسلم الثاني في ركعتي الفجر قالت عايشة لم يكن صلي الله عليه وسلم
علي شي من النوافل اشد تعاهدا منه علي ركعتي الفجر رواه البخاري ومسلم
وابو داود والترمذي ولمسلم لهما احب الي من الدنيا جميعا وكان يصليهما اذا اسكت المؤذن
بعد ان يستنير الفجر ويخففهما رواه الشيخان وهذا لفظ النسايي واختلف في حكمة تخفيفهما
فقيل ليبادر الي صلاة الصبح في اول الوقت وبه جزم القرطبي وقيل يستفتح صلاة
النهار بركعتين خفيفتين كما كان يصنع في صلاة الليل ليدخل في الفرض او ما
شابهه في الفضل بنشاط واستعداد تام وقد ذهب بعضهم الي اطالة القراة فيهما
وهو قول اكثر الحنفية ونقل عن الشعبي واورد البيهقي فيه حديثا مرفوعا من
مرسل سعيد بن جبير وفي سنده راو لم يسم وخص بعضهم ذلك بمن فاته شي من
قراته في صلاة الليل فيستدركها في ركعتي الفجر واخرجه ابن ابي شيبة بسند صحيح
عن الحسن البصري وكان كثيرا ما يقرا في الاولي منهما قولوا امنا بالله وما انزل الينا
الاية التي في البقرة وفي الاخرة قل يا اهل الكتاب تعالوا الي كلمة سوا بيننا وبينكم الي
قوله اشهدوا بانا مسلمون رواه مسلم وابو داود والنسايي من رواية ابن عباس
وفي رواية ابي داود من حديث ابي هريرة قولوا امنا بالله وما انزل الينا في الركعة

الاولي

الاولي وبهذه الاية ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين
او انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم قال ابو داود شك
الراوي وقال ابو هريرة قرا في ركعتي الفجر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد
رواه مسلم وابو داود والترمذي وقد روي ابن ماجة باسناد قوي عن عبد الله
ابن شقيق عن عايشة قالت كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يصلي ركعتين
قبل الفجر وكان يقول نعم السورتان يقرا بهما في ركعتي الفجر قل يا ايها الكافرون وقل
هو الله احد ولابن ابي شيبة من طريق ابن سيرين عن عايشة كان يقرا فيهما بهما وللترمذي
والنسايي من حديث ابن عمر رمقت النبي صلي الله عليه وسلم شهرا فكان يقرا بهما وقد
استدل بعضهم بهذا علي الجهر بالقراة في ركعتي الفجر ولا حجة فيه لاحتمال ان يكون ذلك
عرف بقراته بعض السورة ويدل علي ذلك ان في رواية ابن سيرين المذكورة
يسر فيهما القراة وصححه ابن عبد البر واستدل بعضهم ايضا بهذه الاحاديث ثم
المذكورة علي انه لا يتعين الفاتحة لانه لم يذكرها مع سورة الاخلاص واجيب
بانه ترك ذكر الفاتحة لوضوح الامر فيها انتهي وكان عليه الصلاة والسلام اذا صلي
ركعتي الفجر اضطجع علي شقه الايمن رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة لانه عليه
الصلاة والسلام كان يحب التيامن وقد قيل الحكمة فيه ان القلب من جهة اليسار
فلو اضطجع عليه لاستغرق نوما لكونه ابلغ في الراحة بخلاف اليمين فيكون
القلب معلقا فلا يستغرق وهذا انما يصح بالنسبة الي غيره عليه الصلاة والسلام كما لا
يخفي واما ما روي عن ابن عمر راي رجلا يصلي ركعتي الفجر ثم اضطجع فقال ما حملك
علي ما صنعت قال اردت ان افصل بين صلاتي فقال له واي فصل افضل من السلام
قال فانها سنة قال بل بدعة رواه ابن الاثير في جامعه عن رزين وكذا ما روي
من انكار ابن مسعود ومن قول ابراهيم النخعي انها ضجعة الشيطان كما اخرجها
ابن ابي شيبة فهو محمول علي انه لم يبلغهم الامر بفعله وارجح الاقوال مشروعيته
للفصل لكن لم يداوم عليه الصلاة والسلام عليه وكذا احتج الايمة علي عدم الوجوب
وحملوا الامر الوارد بذلك عند ابي داود وغيره علي الاستحباب وفايدة ذلك الراحة
والنشاط لصلاة الصبح وعلي هذا فلا يستحب ذلك الا للمتهجد وبه جزم ابن العربي
ويشهد لهذا ما اخرجه عبد الرزاق ان عايشة كانت تقول ان النبي صلي الله عليه
وسلم لم يضطجع لسنة ولكنه كان يداب ليلته فيستريح وفي اسناده راو لم يسم وقيل
ان فايدتها الفصل بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح وعلي هذا فلا اختصاص ومن
ثم قال الشافعي ان السنة تتادي بكل ما يحصل به الفصل من مشي وكلام وغيره
حكاه البيهقي وقال النووي المختار انها سنة لظاهر حديث ابي هريرة ثم
وقد قال ابو هريرة راوي الحديث ان الفصل بالمشي الي المسجد لا يكفي وافرط

الصواب بانهم لم
فعله

اي كما رسنه

ابن حزم فقال يجب على كل احد وجعله شرطا لصحة صلاة الصبح فرد عليه العلما
بعده حتى طعن ابن تيمية في صحة الحديث لتفرد عبد الواحد بن زياد به وفي
حفظه مقال والحق انه يقوم به الحجة وذهب بعض السلف الى استحبابها في
البيت دون المسجد وهو محكي عن ابن عمر وقواه بعض شيوخنا بانه لم ينقل
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فعله في المسجد اخرجه ابن ابي شيبة وقال
عليه الصلاة والسلام من لم يصل ركعتين الفجر فليصلهما بعد ما تطلع الشمس
رواه الترمذي من رواية ابي هريرة الثالث في راتبة الظهر عن ابن عمر صليت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها رواه
البخاري ومسلم والترمذي وعن عايشة كان عليه الصلاة والسلام لا يدع اربعا
قبل الظهر وركعتين قبل صلاة الغداة رواه البخاري ايضا فاما ان يقال انه صلى الله عليه
وسلم كان اذا صلى في بيته صلى اربعا واذا صلى في المسجد صلى ركعتين وهذا الظهر واما
ان يقال كان يفعل هذا وهذا فحكى كل من عايشة وابن عمر ما شاهده والحديثان صحيحان
لا طعن في واحد منهما وقال ابو جعفر الطبري الاربع كانت في كثير من احواله
والركعتان في قليلها انتهى وقيل يقال ان الاربع التي قبل الظهر لم تكن سنة الظهر بل هي
صلاة مستقلة كان يصليها بعد الزوال وروى البزار من حديث ثوبان انه صلى
الله عليه وسلم كان يحب ان يصلي بعد نصف النهار فقالت عايشة يا رسول الله
اراك تحب الصلاة هذه الساعة قال تفتح فيها ابواب السما وينظر الله تعالى الى خلقه
بالرحمة وهي صلاة كان يحافظ عليها ادم ونوح وابرهيم وموسى وعيسى وعن
عبد الله بن السايب كان صلى الله عليه وسلم يصلي اربعا بعد ان تزول الشمس قبل الظهر
وقال انها ساعة تفتح لها ابواب السما واحب ان يصعد لي فيها عمل صالح رواه الترمذي
وروى الترمذي ايضا حديث اربع قبل الظهر وبعد الزوال تحسب مثلهن في السحر وما
من شي الا وهو يسبح الله تعالى تلك الساعة ثم قرا تتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمايل
سجدا لله وهم داخرون فهذه والله اعلم هي الاربعة التي ارادت عايشة انه كان لا
يدعهن واما سنة الظهر فالركعتان التي قال ابن عمر ويوضح هذا ان ساير الصلوات
سنتها ركعتان وعلى هذا فتكون هذه الاربعة وردا مستقلا سببه انتصاف النهار
وزوال الشمس وسر هذا والله اعلم ان انتصاف النهار مقابل لانتصاف الليل وابواب السما
تفتح بعد زوال الشمس ويحصل النزول الالهي بعد انتصاف الليل فهما وقتا قرب
رحمة هذا فيه تفتح ابواب السما وهذا ينزل فيه الرب تبارك وتعالى عن حركة الاجسام
الرابع في سنة العصر عن علي كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر ركعتين رواه
ابو داود وعن علي ايضا كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر اربع ركعات يفصل
بينهن بالتسليم على الملايكة المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمومنين رواه الترمذي

وروي

وروي مرفوعا ايضا حديث رحم الله امرا صلى قبل العصر اربعا وقالت عايشة
ما كان صلى الله عليه وسلم ياتيني في يومي بعد العصر الا صلى ركعتين وفي رواية
ما ترك ركعتين بعد العصر عندي قط رواه البخاري ومسلم ولمسلم ان ابا سلمة
سالها عن السجدتين اللتين كان يصليهما بعد العصر ثم اثبتهما وكان اذا صلى
صلاة اثبتها يعني داوم عليها ولابي داود قالت كان يصلي بعد العصر ركعتين
وينهى عنها ويواصل وينهى عن الوصال وقال ابن عباس انما صلى عليه الصلاة
والسلام ركعتين بعد العصر لانه اشتغل بقسمة مال اتاه عن الركعتين اللتين
بعد الظهر فقضاهما بعد العصر ثم لم يعد لهما رواه الترمذي وقالت ام سلمة سمعته
صلى الله عليه وسلم ينهى عنها في راتبة يصليها حين صلى العصر ثم سالته عنها
فقال انه اتاني اناس من عبد القيس بالاسلام فشغلوني عن الركعتين بعد الظهر
فهما هاتان الحديث وفيه ان ابن عباس قال كنت اضرب مع عمر ابن الخطاب
الناس عنها قال ابن القيم قضا السنن الرواتب في اوقات النهي عام له ولامته واما
المداومة على تلك الركعتين في وقت النهي فخاص به قال وقد عد هذا من خصا
انتهى والدليل عليه رواية عايشة كان يصلي ركعتين بعد العصر وينهى عنها
ويواصل وينهى عن الوصال لكن قال البيهقي الذي اختص به صلى الله عليه وسلم
المداومة على ذلك لا اصل القضا واما رواية ابن عباس عند الترمذي انه انما
صلاها بعد العصر لانه اشتغل بقسمة مال اتاه فهو من رواية جرير عن عطا
وقد سمع منه بعد اختلاطه وان صح فهو شاهد لحديث ام سلمة لكن ظاهر قوله ثم لم
يعد معارض لحديث عايشة المذكور في هذا الباب فيحمل النفي على علم الراوي
فانه لم يطلع على ذلك والمثبت مقدم على النافي وكذا ما رواه النسايي من طريق
ابي سلمة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في بيتها بعد العصر
ركعتين مرة واحدة الحديث وفي رواية عنها لم اره يصليهما قبل ولا بعد فيجمع بين الحديثين
بانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يصليهما الا في بيته فلذلك لم يره ابن عباس ولا ام سلمة
ويشير الى ذلك قول عايشة في رواية وكان لا يصليهما في المسجد مخافة ان تثقل على امته
ومراد عايشة بقولها ما كان في يومي بعد العصر الا صلى ركعتين من الوقت الذي
شغل عن الركعتين بعد الظهر فصلاهما ولم ترد انه كان يصلي بعد العصر من اول
ما فرضت الصلوات مثلا الى اخر عمره والله اعلم الخامس في راتبة المغرب عن
ابن مسعود قال ما احصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الركعتين
بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد
رواه الترمذي وعن ابن عباس قال كان صلى الله عليه وسلم يطيل القراة في المغرب
حتى يتفرق اهل المسجد رواه ابو داود وكان اصحابه عليه الصلاة والسلام يصلون

فقالت كان يصلي
قبل العصر ثم انه شغل
عنهما وصلاهما
بعد العصر ظ

بيته

Copyright ... University

ركعتين قبل المغرب قبل ان يخرج عليهم عليه الصلاة والسلام رواه البخاري ومسلم وابو داود
من حديث انس وفي رواية ابي داود قال انس رانا صلي الله عليه وسلم فلم يامرنا ولم
ينهنا وقال عقبة كنا نفعله علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم رواه البخاري ومسلم
وظاهره ان الركعتين بعد الغروب وقبل صلاة المغرب كان امرا اقر اصحابه عليه
وعملوا به وهذا يدل علي استحباب واما كونه عليه الصلاة والسلام لم يصليهما
فلا ينفي الاستحباب بل يدل علي انهما ليسا من الرواتب والي استحبابهما ذهب
احمد واسحق واصحاب الحديث وعن ابن عمر ما رايت احدا يصليهما علي عهده
صلي الله عليه وسلم وعن الخلفا الاربعة وجماعة من الصحابة انهم كانوا لا يصلونهما
وادعي بعض المالكية نسخهما وتعقب بان دعوي النسخ لا دليل عليها ورواية
المثبت وهو انس مقدم علي رواية النافي وهو ابن عمر وعن سعيد بن المسيب
انه كان يقول حق علي كل مومن اذا اذن المؤذن ان يركع ركعتين وعن مالك قول
آخر باستحبابهما وهو عند الشافعية وجه رجحه النووي ومن تبعه وقال في
شرح مسلم قول من قال ان فعلها يودي الي تاخير المغرب عن اول وقتها خيال
فاسد منابذ للسنة ومع ذلك فزمنها يسير لا تتاخر به الصلاة عن اول وقتها
ومجموع الادلة يرشد الي استحباب تخفيفهما وقال صلي الله عليه وسلم صلوا قبل المغرب ركعتين
لمن شاء خشية ان يتخذها الناس سنة رواه ابو داود قال المحب الطبري لم يرد
نفي استحبابها لانه لا يمكن ان يامر بما لا يستحب بل هذا الحديث من ادل الادلة
علي استحبابها ومعني قوله سنة اي شريعة وطريقة لازمة وكان المراد انحطاط
مرتبتهما عن رواتب الفرايض ولهذا لم يعدهما اكثر الشافعية في الرواتب واستدركها
بعضهم وتعقب بانه لم يثبت انه صلي الله عليه وسلم واظب عليهما وقال عليه الصلاة
والسلام في الصلاة بعد المغرب هذه صلاة البيوت رواه ابو داود والنسائي من
حديث كعب بن عجرة وعنه عليه الصلاة والسلام من صلي بعد المغرب ركعتين
قبل ان يتكلم رفعت صلاته في عليين رواه رزين السادس في راتبة العشا
قالت عايشة ما صلي رسول الله صلي الله عليه وسلم العشا قط فدخل بيتي
الا صلي اربع ركعات او ست ركعات رواه ابو داود وفي مسلم قالت عايشة ثم يصلي
بالناس العشا ثم يدخل بيتي فيصلي ركعتين وكذا في حديث ابن عمر عند الشيخين
ونقل ما اول هذا القسم والله اعلم الفرع السابع في راتبة الجمعة عن نافع عن
عبد الله بن عمر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها
ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد العشا ركعتين وكان لا يصلي بعد
الجمعة حتي ينصرف فيصلي ركعتين رواه البخاري ولم يذكر شيا في الصلاة قبل
صلاة الجمعة قال ابن المنير كما حكاه فتح الباري كانه يقول الاصل استوا الظهر

والجمعة

الجمعة حتي يدل دليل علي خلافه لان الجمعة بدل الظهر وقال ابن بطال انما اعاد ابن عمر
ذكر الجمعة بعد ذكر الظهر من اجل انه كان صلي الله عليه وسلم يصلي سنة الجمعة في بيته
بخلاف الظهر قال والحكمة فيه ان الجمعة لما كانت بدل الظهر واقتصر فيها علي
ركعتين ترك التنفل بعدها في المسجد خشية ان يظن انها التي حذفت انتهي وعلي
هذا فينبغي ان لا يتنفل قبلها ركعتين متصلتين بها في المسجد لهذا المعني وقد
روي ابو داود وابن حبان من طريق ايوب عن نافع قال كان ابن عمر يطيل الصلاة
قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته ويحدث ان النبي صلي الله عليه وسلم
كان يفعل ذلك وقد احتج به النووي في الخلاصة علي اثبات سنة الجمعة التي قبلها
وتعقب بان قوله كان يفعل ذلك عايد علي قوله ويصلي بعد الجمعة ركعتين في
بيته ويدل عليه رواية الليث عن نافع عن عبد الله انه كان اذا صلي
الجمعة انصرف فسجد سجدتين في بيته ثم قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم
يفعل ذلك رواه مسلم واما قوله كان يطيل الصلاة قبل الجمعة فان كان المراد بعد
دخول الوقت فلا يصح ان يكون مرفوعا لانه عليه الصلاة والسلام كان يخرج
اذا زالت الشمس فيشتغل بالخطبة ثم بصلاة الجمعة وان كان المراد قبل دخول
الوقت فذلك مطلق نافلة لا صلاة راتبة فلا حجة فيه لسنة الجمعة التي قبلها
بل هو تنفل مطلق وقد انكر جماعة كون الجمعة لها سنة قبلها وبالغوا في الانكار
ومنهم الامام شهاب الدين ابو شامة لانه لم يكن يوذن للجمعة الا بين يديه عليه
الصلاة والسلام وهو علي المنبر فلم يكن يصليها وكذلك الصحابة لانه اذا خرج
الامام انقطعت الصلاة قال ابن العراقي ولم ار في كلام الفقها من الحنفية والمالكية
استحباب سنة الجمعة قبلها انتهي وقد ورد في سنة الجمعة التي قبلها احاديث
اخري ضعيفة منها عن ابي هريرة رواه البزار ولفظه كان يصلي قبل الجمعة
اربعا وبعدها اربعا واقوي ما يتمسك به في مشروعية الركعتين قبل الجمعة عموم
ما صححه ابن حبان من حديث عبد الله بن الزبير مرفوعا ما من صلاة مفروضة
الا وبين يديها ركعتان قاله في فتح الباري وعن عطا قال كان ابن عمر اذا صلي الجمعة
بمكة تقدم فصلي ركعتين ثم يتقدم فيصلي اربعا واذا كان بالمدينة صلي الجمعة ثم
رجع الي بيته فصلي ركعتين ولم يصل في المسجد فقيل له فقال كان رسول
الله صلي الله عليه وسلم يفعله رواه ابو داود وفي رواية الترمذي قال رايت
ابن عمر صلي بعد الجمعة ركعتين ثم صلي بعد ذلك اربعا وعن ابن عمر ايضا قال
كان صلي الله عليه وسلم يصلي بعد الجمعة ركعتين رواه النسائي وفي رواية كان
يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته وفي اخري ان ابن عمر كان يصلي بعد الجمعة
ركعتين يطيل فيهما ويقول كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يفعله وتقدم

حديث دخول سليك الغطفاني يوم الجمعة وهو صلى الله عليه وسلم يخطب
وقوله صلى الله عليه وسلم اصليت قال لا قال قم فاركع ركعتين مع ما فيه من
المباحث في صلاة الجمعة الفصل الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم العيدين
وفيه فروع الاول في عدد الركعات عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج يوم عيد فصلى ركعتين لم يصل قبلها ولا بعدها ثم اتى النسا وبلال
معه فامرهن بالصدقة فجعلت المراة تتصدق بخرصها وسخابها وفي رواية خرج
في يوم اضحى او فطر وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفطر ركعتين
الحديث رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنساي الفرع الثاني في عدد
التكبير عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر في الفطر والاضحى
في الاولى سبع تكبيرات وفي الثانية خمس تكبيرات زاد في رواية سوى تكبيرتي
الاحرام والركوع رواه ابو داود وعن كثير بن عبد الله عن ابيه عن جده ان النبي
صلى الله عليه وسلم كبر في العيدين في الاولى سبعا قبل القراة وفي الاخرى خمسا
قبل القراة رواه الترمذي وابن ماجة والدارمي الفرع الثالث في الوقت والمكان
عن ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والاضحى
الى المصلى فاول شي يبدا به الصلاة الحديث رواه البخاري ومسلم وفي هذا
دليل لمن قال باستحباب الخروج لصلاة العيد الى المصلى وانه افضل من صلاتها
في المسجد لمواظبته صلى الله عليه وسلم على ذلك مع فضل مسجده وعلى هذا
عمل الناس في الامصار واما اهل مكة فلا يصلونها الا في المسجد في الزمن الاول
ولاصحابنا الشافعية وجهان احدهما الصحرا افضل لهذا الحديث والثاني وهو
الاصح عند اكثرهم المسجد افضل الا ان يضيق قالوا وانما صلى اهل مكة في
المسجد لسعته وانما خرج النبي صلى الله عليه وسلم لضيق المسجد فدل على ان
المسجد افضل اذا اتسع والمراد بالمصلى المذكور الذي على باب المدينة الشرقي
قال ابن القيم ولم يصل العيد بمسجده الا مرة واحدة اصابهم مطر فصلى بهم العيد
في المسجد ان ثبت الحديث وهو في سنن ابي داود وابن ماجة انتهى ولفظ ابي داود
عن ابي هريرة قال اصابنا مطر في يوم فطر فصلى بنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المسجد زاد رزين ولم يخرج بنا الى المصلى الفرع الرابع في الاذان
والاقامة عن جابر بن سمرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
العيدين غير مرة ولا مرتين بغير اذان ولا اقامة رواه مسلم وابو داود
والترمذي وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العيدين
بلا اذان ولا اقامة رواه ابو داود الفرع الخامس في قراته صلى الله عليه وسلم
في صلاة العيدين عن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقرا

يقرا في الاضحى والفطر بقاف والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر رواه مسلم
ومالك وابو داود والترمذي وعن النعمان بن بشير قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم يقرا في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية
وربما اجتمعا في يوم واحد فقرا بهما رواه مسلم ومالك وابو داود والترمذي والنساي
الفرع السادس في خطبته صلى الله عليه وسلم وتقديمه صلاة العيد بن عليها عن
ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر يصلون العيدين قبل
الخطبة رواه البخاري ومسلم والترمذي والنساي وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم
خرج يوم الفطر فبدا بالصلاة قبل الخطبة وفي رواية قام فبدا بالصلاة ثم خطب
الناس فلما فرغ نزل فاتى النسا فذكرهن وهو يتوكا على يد بلال باسط ثوبه
تلقي فيه النسا صدقة وفي اخرى قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
العيد فبدا بالصلاة قبل الخطبة بلا اذان ولا اقامة ثم قام متوكيا على بلال فامر
بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى اتى النسا فوعظهن
وذكرهن فقال تصدقن فان اكثركن حطب جهنم فقامت امراة من وسط النسا
سفعا الخدين فقالت لم يا رسول الله قال لانكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير
قال فجعلن يتصدقن من حليهن ويلقين في ثوب بلال من اقراطهن وخواتيمهن
رواه البخاري ومسلم وفي رواية ابي سعيد الخدري عند البخاري فاول شي يبدا به
الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم
ويوصيهم ويامرهم فان كان يريد ان يقطع بعثا قطعه او يامر بشي امر به ثم
ينصرف فقال ابو سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان
وهو امير المدينة في اضحى او فطر فلما اتينا المصلى اذا منبر بناه كثير بن الصلت
فاذا مروان يريد ان يرتقيه فقلت له غيرتم والله الحديث ولابن خزيمة خطب
عليه الصلاة والسلام يوم عيد على رجليه وهذا يشعر بانه لم يكن في المصلى
في زمانه عليه الصلاة والسلام منبر ويدل على ذلك قول ابي سعيد فلم يزل
الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان ومقتضاه ان اول من اتخذه مروان
ووقع في المدونة للامام مالك ان اول من خطب الناس في المصلى على منبر عثمان
ابن عفان كلمهم على منبر من طين بناه كثير بن الصلت لكنه معضل وما في الصحيحين
اصح فقد رواه مسلم من طريق داود بن قيس نحو رواية البخاري ويحتمل
ان يكون عثمان فعل ذلك مرة ثم تركه حتى اعاده مروان ولم يطلع على ذلك
ابو سعيد قاله شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله تعالى الفرع السابع في اكله صلى الله
عليه وسلم يوم الفطر قبل خروجه الى صلاة العيد عن انس قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى ياكل تمرات رواه البخاري وقال

415

Copyright King Saud University

قال مرجا بن رجا حدثني عبيد الله حدثني انس عن النبي صلى الله عليه وسلم بالكلمن
وترا رواه الحاكم من رواية عتبة بن حميد عنه بلفظ ما خرج يوم فطر حتى ياكل
تمرات ثلاثا او خمسا او سبعا او اقل من ذلك او اكثر وترا قال المهلب الحكمة في الاكل
قبل الصلاة ان لا يظن ظان لزوم الصوم حتى يصلي العيد فكانه اراد سد هذه
الذريعة وقال غيره لما وقع وجوب الفطر عقب وجوب الصوم استحب
تعجيل الفطر مبادرة الى امتثال امر الله تعالى ويشعر بذلك اقتصاره على القليل
من ذلك ولو كان لغير الامتثال لاكل قدر الشبع اشار الى ذلك ابن ابي جمرة وقيل
لان الشيطان الذي يحبس في رمضان لا يطلق الا بعد صلاة العيد فاستحب
تعجيل الفطر بدارا الى السلامة من وسوسته والحكمة في استحباب التمر لما في الحلو
من تقوية البصر الذي يضعفه الصوم ولان الحلو مما يوافق الايمان ويعبر
به في المنام ويرق القلب ومن ثم استحب بعض التابعين ان يفطر على الحلو مطلقا
كالعسل رواه ابن ابي شيبة عن معاوية بن قرة وابن سيرين وغيرهما وفي
الترمذي والحاكم من حديث بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ولا يطعم يوم الاضحى حتى يصلي ونحوه عند البزار
عن جابر بن سمرة وروى الطبراني والدارقطني من حديث ابن عباس قال من
السنة ان لا يخرج يوم الفطر حتى يخرج الصدقة ويطعم شيا قبل ان يخرج وفي
كل من اسانيد الثلاثة مقال وقد اخذ اكثر الفقها بما دلت عليه قال ابن المنير
وقع اكله صلى الله عليه وسلم في كل من العيدين في الوقت المشروع لاخراج
صدقتها الخاصة بهما فاخراج صدقة الفطر قبل الغدو الى المصلى واخراج
صدقة الاضحية بعد ذبحها فاجتمعا في جهة وافترقا في اخرى وقال الشافعي
في الام بلغنا عن الزهري قال ما ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيد
ولا جنازة قط وفي الترمذي عن علي قال من السنة ان تخرج الى العيد ماشيا
وفي ابن ماجة عن سعد القرظ انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى العيد
ماشيا وفيه عن ابي رافع نحوه واسانيد الثلاثة ضعاف وعن ابي هريرة قال
كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج يوم العيد في طريق رجع في غيره رواه الترمذي
وقد اختلف في معنى ذلك على اقوال كثيرة قال الحافظ ابن حجر اجتمع لي منها اكثر
من عشرين وقد لخصتها وبينت الواهي منها فقيل ان ذلك انه فعل ذلك لتشهد
له الطريقان وقيل سكانهما من الجن والانس وقيل ليسوي بينهما في مزية الفضل
بمروره او في التبرك به او ليشم رائحة المسك من الطريق التي يمر بها لانه كان
معروفا بذلك وقيل لان طريقه الى المصلى كانت على اليمين فلو رجع منها لرجع
على جهة وجه الشمال فرجع من غيرها وهذا يحتاج الى دليل وقيل لاظهار شرايع

الاسلام

الاسلام وقيل لاظهار ذكر الله وقيل ليغيظ المنافقين واليهود وقيل حذرا ان كيدهم
الطايفتين او احدهما وقيل ليعمهم بالسرور به او التبرك بمروره والانتفاع به في قضا
حوايجهم في الاستفتا او التعلم والاقتدا والاسترشاد والسلام عليهم او غير ذلك وقيل
ليزور اقاربه الاحيا والاموات وقيل ليصل رحمه وقيل ليتفال بتغيير الحال الى
المغفرة والرضى وقيل كان يتصدق في ذهابه فاذا رجع لم يبق معه شي فيرجع في
طريق اخرى لئلا يرد من يساله وهذا ضعيف جدا مع احتياجه الى الدليل وقيل
فعل ذلك لتخفيف الزحام وهذا رجحه الشيخ ابو حامد وقيل كان طريقه التي يتوجه
منها ابعد من التي يرجع فيها فاراد تكثير الاجر بتكثير الخطا في الذهاب واما في الرجوع
فيسرع الى منزله وهذا اختيار الرافعي وتعقب بانه يحتاج الى دليل وبان اجر الخطا
في الرجوع ايضا كما ثبت في حديث ابي بن كعب عند الترمذي وغيره وقيل لان الملايكة
تقف في الطرقات فاراد ان يشهد له فريقان منهم وقال ابن ابي جمرة هو في معنى
قول يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد فاشار الى انه فعل ذلك حذر اصابة
416 العين انتهى وكان صلى الله عليه وسلم يخرج الابكار والعواتق وذوات الخدور
والحيض في العيدين فاما الحيض فيعتزلن المصلى ويشهدن دعوة المسلمين قالت
احداهن يا رسول الله احدانا ان لم يكن لها جلباب قال فلتعرها اختها من جلابيبها
رواه البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له ولا دلالة فيه على وجوب صلاة
العيد لان من جملة من امر بذلك من ليس بمكلف فظهر ان القصد منه اظهار شعار
الاسلام بالمبالغة في الاجتماع ولتعم الجميع البركة وفيه استحباب خروج النسا الى شهود
العيد سوا كن شوابا ام ذوات هيات ام لا لكن نص الشافعي في الام يقتضي استثنا
ذوات الهيات قال واحب شهود العجايز وغير ذوات الهيات الصلاة واما شهودهن
الاعياد اشد استحبابا وادعى بعضهم النسخ فيه قال الطحاوي وامره عليه الصلاة والسلام
بخروج الحيض وذوات الخدور الى العيد يحتمل ان يكون في اول الاسلام والمسلمون
قليل فاريد التكثير بحضورهن ارهابا للعدو واما اليوم فلا يحتاج الى ذلك وتعقب
بان النسخ لا يثبت بالاحتمال وقد صرح في حديث ام عطية بعلة الحكم وهي شهودهن
الخير ودعوة المسلمين ورجا بركة ذلك اليوم وطهرته وقد افتت به ام عطية
بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمدة ولم يثبت عن احد من الصحابة مخالفتها في ذلك
واما قول عايشة لو راى النبي صلى الله عليه وسلم ما احدث النسا لمنعهن المساجد
فلا يعارض ذلك لندوره ان سلمنا ان فيه دلالة على انها افتت بخلافه مع ان الدلالة
فيه بان عايشة افتت بالمنع ليست صريحة وفي قول الطحاوي ارهابا للعدو
نظر لان الاستنصار بالنسا والتكثر بهن في الحرب دال على الضعف والاولى ان
يخص ذلك بمن يومن عليها وبها الفتنة ولا يترتب على حضورها محذور ولا تزاحم

الرجال في الطرق ولا في الجامع قاله في فتح الباري وكان عليه الصلاة والسلام يخرج الطنزة
يوم الفطر يركزها فيصلي اليها رواه النسائي وغيره واذا علمت هذا فاعلم ان للمومنين
في هذه الدنيا ثلاثة اعياد عيد يتكرر في كل اسبوع وعيدان ياتيان في كل عام مرة
مرة من غير تكرار في السنة فاما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الاسبوع
وهو مترتب على اكمال الصلوات المكتوبات فيه فشرع لهم عيدا واما العيدان
اللذان لا يتكرران في كل عام وانما ياتي كل واحد منهما في العام مرة واحدة فاحدهما عيد
الفطر من صوم رمضان وهو مترتب على اكمال صيام رمضان وهو الركن الثالث
من اركان الاسلام ومبانيه فاذا اكمل المسلمون صيام شهر رمضان المفروض عليهم واستوجبوا
من الله المغفرة والعتق من النار فان صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنب واخره
واخر معتق من النار يعتق فيه من النار من استحقها بذنوبه فشرع الله تعالى
لهم عقب صيامهم عيدا يجتمعون فيه على شكر الله تعالى وذكره وتكبيره على ما هداهم
له وشرع لهم في ذلك العيد الصلاة والصدقة وهو يوم الجوائز يستوفي فيه
الصايمون اجر صيامهم ويرجعون بالمغفرة والعيد الثاني عيد النحر وهو اكبر
العيدين وافضلهما وهو مترتب على اكمال الحج بيوم عرفة فان الوقوف بعرفة
ركن الحج الاعظم ويوم عرفة هو يوم العتق من النار فيعتق فيه من النار من وقف
بعرفة ومن لم يقف بها من اهل الامصار من المسلمين فلذلك صار اليوم الذي يليه
عيدا لجميع المسلمين في جميع امصارهم من شهد الموسم معهم ومن لم يشهده لاشتراكهم
في العتق والمغفرة يوم عرفة وشرع للجميع التقرب اليه تعالى بالنسك باراقة
دما ضحاياهم فيكون ذلك اليوم شكرا منهم لهذه النعم والصلاة والنحر الذي يجتمع
في عيد النحر افضل من الصلاة والصدقة في عيد الفطر ولهذا امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يجعل شكره لربه على اعطائه الكوثر ان يصلي لربه وينحر وقد ضحى
صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر رواه البخاري
من حديث انس قال ورايته واضعا قدمه على صفاحهما يقول بسم الله والله اكبر وعن
عايشة انه صلى الله عليه وسلم امر بكبش يطا في سواد ويبرك في سواد فاتي به ليضحي
به قال يا عايشة هلمي المدية ثم قال اشحذيها بحجر ففعلت ثم اخذها واخذ الكبش
فاضجعه ثم ذبحه قال بسم الله اللهم تقبل من محمد وال محمد ومن امة محمد ثم ضحى به
رواه مسلم وعن جابر ذبح النبي صلى الله عليه وسلم يوم الذبح كبشين اقرنين املحين
موجوين فلما وجههما قال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض على
ملة ابراهيم حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب
العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وامته
بسم الله والله اكبر ثم ذبح رواه ابو داود وابن ماجة والدارمي وفي رواية لاحمد والترمذي

ذبح

ذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر اللهم هذا عني وعن من لم يضح من امتي فهذه اعياد
المسلمين في الدنيا وكلها عند اكمال طاعات مولاهم الملك الوهاب وحيازتهم لما وعدهم
من جزيل الاجر والثواب فليس العيد لمن لبس الجديد انما العيد لمن طاعته تزيد
وليس العيد لمن تجمل باللباس والمركوب انما العيد لمن غفرت له الذنوب في ليلة العيد
تفرق خلع العتق والمغفرة على العبيد فمن ناله منها شيء فهو له عيد والا فهو
مطرود بعيد واما المومنون في الجنة فهي ايام زيارتهم ربهم عز وجل فيزورونه
ويكرمهم غاية الكرامة ويتجلى لهم فينظرون اليه فما اعطاهم شيئا هو احب اليهم من
ذلك وهو الزيادة فليس للمحب عيد سوى قرب محبوبه ان يوما جامعا شملي بهم
بلغ ذاك عيد ليس لي عيد سواه **الباب الثاني في النوافل المقرونة بالاسباب**
وفيه اربعة فصول **الفصل الاول** في صلاته صلى الله عليه وسلم الكسوف **الكسوف**
لغة التغير الى السواد يقال كسفت الشمس اذا اسودت وذهب شعاعها **عن**
قبيصة بن المخارق قال كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج فزعا يجر ثوبه وانا معه يوميذ بالمدينة فصلى ركعتين فاطال فيهما القيام ثم انصرف
وانجلت فقال انما هذه الايات يخوف الله بها عباده فاذا رايتموها فصلوا رواه
ابو داود والنسائي وفي قوله عليه الصلاة والسلام يخوف الله بها عباده رد على
ما يزعم اهل الهيئة ان الكسوف امر عادي لا يتاخر ولا يتقدم اذ لو كان كما يقولون
لم يكن في ذلك تخويف وقد رد عليهم ابن العربي وغيره بما في حديث ابي موسى
عند البخاري حيث قال فيه فقام فزعا يخشى ان تكون الساعة قالوا فلو كان
الكسوف بالحساب لم يقع الفزع ولو كان بالحساب لم يكن للامر بالعتق والصدقة
٤١٧ والصلاة معنى كما في حديث اسماء عند البخاري لقد امر النبي صلى الله عليه وسلم
بالعتاقة في كسوف الشمس وكما عنده ايضا من حديث عايشة مرفوعا فاذا رايتم
ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا فان ظاهر الاحاديث ان ذلك يفيد
التخويف وان كل ما ذكر من انواع الطاعة يرجى ان يدفع به ما يخشى من اثر ذلك
الكسوف **ومما** نقض به ابن العربي وغيره ايضا انهم يزعمون ان الشمس لا تنكسف
على الحقيقة وانما يحول القمر بينها وبين اهل الارض عند اجتماعهما في العقدتين
فقال هم يزعمون ان الشمس اضعاف القمر في الجرم فكيف يحجب الصغير الكبير
وكيف اذا قابله ام كيف يظلم الكثير بالقليل لاسيما وهو من جنسه وتحجب الارض نور
الشمس **وقد** وقع في حديث النعمان بن بشير وغيره للكسوف سبب اخر غير ما يزعم
اهل الهيئة وهو ما اخرجه احمد والنسائي وابن ماجة وصححه ابن خزيمة
والحاكم بلفظ ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته ولكنهما ايتان من
ايات الله وان الله اذا تجلى لشيء من خلقه خشع له **وقد** استشكل الغزالي هذه

الزيادة وقال انها لم تثبت فيجب تكذيبه بابطالها قال ولو صحت لكان تاويلها اهون من
مكابرة امور قطعية لا تصادم اصلا من اصول الشريعة قال ابن بزيزة وهذا عجب
منه كيف يسلم دعوى الفلاسفة ويزعم انها لا تصادم الشريعة مع انها مبنية على
ان العالم كري الشكل وظاهر الشرع يعطي خلاف ذلك والثابت من قواعد الشرع
ان الكسوف اثر الارادة القديمة وفعل الفاعل المختار فيخلق في هذين الجرمين
النور متى شا والظلمة متى شا من غير توقيف على سبب او ربط باقتران والحديث
الذي رده الغزالي قد اثبته غير واحد من اهل العلم وهو ثابت من حيث م
المعنى ايضا لان النورية والاضاة من عالم الجمال الحسي فاذا تجلت صفة الجلال انطمست
الانوار لهيبته ويويده قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا انتهى ويويد هذا
الحديث ما رويناه عن طاوس انه نظر الى الشمس وقد انكسفت فبكى حتى كاد ان يموت
وقال هي لخوف الله منا وقال ابن دقيق العيد ربما يعتقد بعضهم ان الذي يذكره اهل
الحساب ينافي قوله يخوف الله بها عباده وليس بشي لان لله افعالا على حسب العادة
وافعالا خارجة عن ذلك وقدرته حاكمة على كل سبب يقتطع ما يشا من الاسباب م
والمسببات بعضها عن بعض واذا ثبت ذلك فالعلما بالله لقوة اعتقادهم في عموم
قدرته على خرق العادة وانه يفعل ما يشا اذا وقع شي غريب حدث عندهم م
الخوف بقوة ذلك الاعتقاد وذلك لا يمنع ان يكون هناك اسباب تجري عليها
العادة الى ان يشا الله خرقها وحاصله ان الذي يذكره اهل الحساب ان كان حقا في
نفس الامر لا ينافي كون ذلك مخوفا لعباد الله قاله في فتح الباري وعن ابن عباس قال
انخسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام قياما طويلا
دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الاول ثم رفع فقام قياما طويلا
وهو دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الاول ثم سجد ثم
انصرف وقد تجلت الشمس فقال ان الشمس والقمر آيتان من ايات الله لا يخسفان
لموت احد ولا لحياته فاذا رايتم ذلك فاذكروا الله فقالوا يا رسول الله رايناك تناولت
شيا في مقامك هذا ثم رايناك تكعكعت قال اني رايت الجنة فتناولت منها
عنقودا ولو اصبته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا ورايت النار فلم ار منظرا كاليوم
قط افظع ورايت اكثر اهلها النسا قالوا بم يا رسول الله قال بكفرهن قيل يكفرن
بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو احسنت الى احداهن الدهر كله ثم
رات منك شيا قالت ما رايت منك خيرا قط رواه البخاري ومسلم وقوله وقوله
ورايت الجنة والنار قال القاضي عياض يحتمل انه راها روية عين كشف الله
عنها وازال الحجب بينه وبينها كما فرج له عن المسجد الاقصى حين وصفه
ويكون قوله عليه الصلاة والسلام في عرض هذا الحائط كما في رواية في جهته

وتاجته

روية

وتاجته ويحتمل ان يكون علم وعرض وحي باطلاعه وتعريفه من امورها مفصلا ما لم
يعرفه قبل ذلك اليوم قال القاضي والاول اولى واشبه بالفاظ الحديث لما فيه من
الامور الدالة على روية العين تناول العنقود وتاخره مخافة ان يصيبه لفح
النار ايضا واستشكل قوله ولو اصبته مع قوله تناولت واجيب بحمل التناول
على تكلف الاخذ وقيل المراد تناولت لنفسي ولم اخذه لكم حكاه الكرماني قال الحا
ابن حجر وليس بجيد وقيل المراد بقوله اخذت وضعت يدي عليه بحيث كنت
قادرا على تحويله لكن لم يقدر لي قطفه ولو اصبته اي لو تمكنت من قطفه م
ويدل عليه قوله في حديث عقبة بن عامر عند ابن خزيمة اهوى بيده
ليتناول شيا وفي حديث اسما عند البخاري حتى لو اجترات عليه وكانه لم يوذن
له في ذلك فلم يجتري عليه قال ابن بطال لم ياخذ العنقود لانه من طعام الجنة
وهو لا يفنى والدنيا فانية لا يجوز ان ياكل فيها ما لا يفنى انتهى وفي حديث
اسما بنت ابي بكر عند البخاري ومسلم ومالك والنساي قال ما من شي كنت لم اره
الا رايته في مقامي هذا حتى الجنة والنار ولقد اوحي الي انكم تفتنون في قبوركم
مثل او قريبا لا ادري اي ذلك قالت اسما من فتنة المسيح الدجال يقال ما علمك
بهذا الرجل فاما المومن او الموقن لا ادري اي ذلك قالت اسما فيقول هو محمد رسول
الله جانا بالبينات والهدى فاجبنا واتبعنا هو محمد ثلاثا فيقال نم صالحا قد علمنا
ان كنت لموقنا واما المنافق او المرتاب لا ادري اي ذلك قالت اسما فيقول لا ادري
سمعت الناس يقولون شيا فقلته وفي رواية فرايت امراة تخدشها هرة ربطتها
حتى ماتت جوعا وعطشا وفي رواية عمرو بن مالك يجر قصبه في النار وكان اول
من غير دين ابراهيم وراى فيها سارق الحاج يعذب قوله قصبه بضم القاف
وسكون الصاد اي امعاه وفي رواية عايشة ثم قال يا محمد والله ما من احد اغير
من الله من ان يزني عبده او تزني امته والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا الا هل بلغت اي لو تعلمون من عظم انتقام الله من اهل الجرايم وشدة عقابه
عقابه واهوال القيامة ما اعلم وما بعدها كما علمت وترون النار كما رايت في
مقامي هذا او في غيره لبكيتم كثيرا ولقل ضحككم لتفكركم فيما علمتموه وفي حديث
عايشة عند البخاري فخرج الى المسجد فصف الناس وراه فكبر فاقترا رسول الله
صلى الله عليه قراة طويلة ثم كبر فركع ركوعا طويلا ثم قال سمع الله لمن حمده فقام
ولم يسجد وقرا قراة طويلة وهي ادنى من القراة الاولى وزاد في رواية ربنا لك
الحمد واستدل به على استحباب الذكر المشروع في الاعتدال في اول القيام
الثاني من الركعة الاولى واستشكله بعض متاخري الشافعية من جهة كونه
قيام قراة لا قيام اعتدال بدليل اتفاق العلما ممن قال بزيادة الركوع في كل ركعة على

لا حقيقة

نظ

Copyright King Saud University

قراءة الفاتحة فيه وان كان محمد ابن مسلمة المالكي خالف فيه والجواب ان صلاة
الكسوف جاءت على صفة مخصوصة فلا مدخل للقياس فيها بل كل ما ثبت انه صلى
الله عليه وسلم فعله فيها كان مشروعا لانها اصل برأسها وبهذا المعنى رد الجمهور
الجمهور على من قاسها على صلاة النافلة حتى منع من زيادة الركوع فيها فصلاة
الكسوف اشبه شي بصلاة العيد ونحوها مما يجمع فيه من مطلق النوافل فامتازت
صلاة الجنازة بترك الركوع والسجود وصلاة العيد بزيادة التكبيرات وصلاة
الخوف بزيادة الركوع فالاخذ به جامع بين العمل بالنص والقياس بخلاف من لم
يعمل به وقد تبين ان لصلاة الكسوف هيئة تخصها من التطويل الزايد على العادة
في القيام وغيره ومن زيادة ركوع في كل ركعة وقد وردت زيادة في ذلك من طرق
اخرى فعند مسلم من وجه اخر عن عايشة واخر عن جابر ان في كل ركعة ثلاث
ركوعات وعنده من وجه اخر عن ابن عباس ان في كل ركعة اربع ركوعات ولابي
داود من حديث ابي بن كعب والبزار من حديث علي ان في كل ركعة خمس ركوعات
ولا يخلوا اسناد منها عن علة ونقل ابن القيم في الهدي عن الشافعي واحمد والبخاري
انهم كانوا يعدون الزيادة على الركوعين في كل ركعة غلطا من بعض الرواة فان
اكثر طرق الحديث يمكن رد بعضها الى بعض ويجمعها ان ذلك كان يوم مات ابراهيم
عليه السلام واذا اتحدت القصة تعين الاخذ بالراجح وجمع بعضهم بين هذه
الاحاديث بتعدد الواقعة فان الكسوف وقع مرارا فيكون كل من هذه الاوجه
جايزا وقال ابن خزيمة وابن المنذر والخطابي وغيرهم من الشافعية يجوز العمل
بجميع ما ثبت من ذلك وهو من الاختلاف المباح وقواه النووي في شرح مسلم وابدى
بعضهم ان حكمة الزيادة في الركوع والنقص كان بحسب سرعة الانجلا وبطيه
فحين وقع الانجلا في اول ركوع اقتصر على مثل النافلة وحين ابطا زاد ركوعا وحين
زاد في الابطا زاد ثالثا وهكذا الى غاية ما ورد في ذلك وتعقبه النووي وغيره
بان ابطا الانجلا وعدمه لا يعلم في اول الحال ولا في الركعة الاولى وقد اتفقت الروايات
على ان عدد الركوع في الركعتين سوا وهذا يدل على انه مقصود في نفسه منوي من
اول الحال انتهى ملخصا من فتح الباري وعند الامام احمد انه لما سلم حمد الله واثنى عليه
وشهد ان لا اله الا الله واشهد انه عبد الله ورسوله ثم قال ايها الناس انشدكم بالله
ان كنتم تعلمون اني قصرت عن شي من تبليغ رسالات ربي لما اخبرتموني ذلك فقام رجل
فقال انك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لامتك وقضيت الذي عليك ثم قال وايم
الله لقد رايت منذ قمت اصلي ما انتم لاقوه من امر دنياكم واخرتكم وانه والله لا تقوم السا
حتى يخرج ثلاثون كذابا اخرهم الاعور الدجال من تبعه لم ينفعه صالح من عمله
وفي البخاري وقالت عايشة واسما خطب النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في

الخطبة

الخطبة فيه فاستحبها الشافعي واسحق واكثر اهل الحديث وقال ابن قدامة لم يبلغنا
عن احمد ذلك وقال صاحب الهداية من الحنفية ليس في الكسوف خطبة لانه
لم ينقل وتعقب بان الاحاديث ثبتت فيه وهي ذات كثرة والمشهور عند المالكية
ان لا خطبة لها مع ان مالكا روى الحديث وفيه ذكر الخطبة واجاب بعضهم بانه صلى
الله عليه وسلم لم يقصد بها الخطبة بخصوصها وانما اراد ان يبين لهم الرد على من
يعتقد ان الكسوف لموت بعض الناس وتعقب بما في الاحاديث الصحيحة من التصريح
بالخطبة وحكاية شرايطها من الحمد والثنا والموعظة وغير ذلك مما تضمنته الاحاديث
فلم يقتصر على الاعلام بسبب الكسوف والاصل مشروعية الاتباع والخصايص لا
تثبت الا بدليل انتهى وعن المغيرة بن شعبة عند البخاري كسفت الشمس على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابراهيم فقال الناس كسفت الشمس
لموت ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله
لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتموهم فصلوا وادعوا الله وابراهيم هو ابن النبي
صلى الله عليه وسلم وقد ذكر جمهور اهل السير انه مات في السنة العاشرة من الهجرة
فقيل في ربيع الاول وقيل في رمضان وقيل في ذي الحجة والاكثر على انها وقعت في عاشر
الشهر وقيل في رابعه وقيل في رابع عشره ولا يصح شي منها على قول ذي الحجة لان
النبي صلى الله عليه وسلم كان اذ ذاك بمكة في الحج وقد ثبت انه شهد وفاته وكانت
بالمدينة بلا خلاف نعم قيل انه مات في سنة تسع فان ثبت فيصح وجزم النووي بانها
كانت سنة الحديبية فلعل ذلك كان في اواخر ذي القعدة حين رجع منها وفي هذا
الحديث ابطال ما كان الجاهلية يعتقدونه من تاثير الكواكب في الارض قال الخطابي
كانوا في الجاهلية يعتقدون ان الكسوف يوجب حدوث تغير في الارض من موت
او ضرر فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم انه اعتقاد باطل وان الشمس والقمر خلقان
مسخران لله ليس لهما سلطان في غيرهما ولا قدرة للدفع عن انفسهما وعن عبد الله بن عمرو
قال لما كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نودي ان الصلاة
جامعة رواه البخاري وقوله ان بفتح الهمزة وتخفيف النون وهي المفسرة وفي
رواية له ولمسلم في حديث عايشة بعث صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي الصلاة
جامعة قال ابن دقيق العيد هذا الحديث حجة لمن استحب ذلك وقد اجمعوا على
انه لا يؤذن له ولا يقام وروى ابن حبان انه صلى الله عليه وسلم صلى في كسوف الشمس
والقمر ركعتين مثل صلاتكم واخرجه الدارقطني ايضا وفيه رد على من اطلق كابن رشد
انه صلى الله عليه وسلم لم يصل في كسوف القمر ومنهم من اول قوله صلى الله عليه وسلم
اي امرنا بالصلاة جمعا بين الروايتين وقال ابن القيم في الهدي لم ينقل انه صلى الله
عليه وسلم صلى في كسوف القمر في جماعة لكن حكى ابن حبان في السيرة له ان القمر خسف

في السنة الخامسة فصلي النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الكسوف فكانت اول
صلاة كسوف في الاسلام وهذا ان ثبت انتفى التاويل المذكور وقد جزم به مغلطاي
في سيرته المختصرة وتبعه الحافظ زين الدين العراقي في نظمها البخاري من حديث
عايشة جهر النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الخسوف بقراته فاذا فرغ من قراته
كبر فركع فاذا رفع من الركعة قال سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ثم تعاود القراة في
صلاة الكسوف اربع ركعات في ركعتين في اربع سجدات واستدل به على الجهر فيها
بالنهار وحمله جماعة ممن لم يرد ذلك على كسوف القمر قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد لان
الاسماعيلي روى هذا الحديث من وجه اخر عن الوليد بلفظ كسفت الشمس في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مسند ابي داود والطيالسي انه صلى الله عليه
وسلم جهر بالقراة في صلاة الكسوف وقد ورد الجهر فيها عن علي مرفوعا وموقوفا اخرجه
ابن خزيمة وغيره وقال به صاحبا ابي حنيفة واحمد واسحق وابن خزيمة وابن المنذر
وغيرهما من محدثي الشافعية وابن العربي من المالكية وقال الطبري يخير بين
الجهر والاسرار وقال الايمة الثلاثة يسر في الشمس ويجهر في القمر واحتج الشافعي
بقول ابن عباس قرا نحوا من سورة البقرة لانه لو جهر لم يحتج الى التقدير وقد روى
الشافعي تعليقا عن ابن عباس انه صلى بجنب النبي صلى الله عليه وسلم في الكسوف فلم
يسمع منه حرفا ووصله البيهقي في ثلاثة طرق اسانيدها واهية وعلى تقدير
صحتها فمثبت الجهر معه قدر زائد فالاخذ به اولى قال ابن العربي الجهر عندي اولى
لانها صلاة جامعة ينادي لها وتخطب فاشبهت العيد والاستسقا انتهى ملخصا
والله اعلم الفصل الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الاستسقا اعلم ان الاستسقا
طلب السقيا من الله تعالى عند الحاجة اليها كما تقول استعطى اي طلب العطا ولم
يخالف احد من العلما في سنة الصلاة في الاستسقا الا ابو حنيفة محتجا باحاديث
الاستسقا التي ليس فيها صلاة واحتج الجمهور بالاحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما
انه صلى الله عليه وسلم صلى الاستسقا ركعتين واما الاحاديث التي ليس فيها الصلاة
فبعضها محمول على نسيان الراوي وبعضها كان في الخطبة للجمعة ويعقبه صلاة الجمعة
فاكتفى بها ولو لم يصل اصلا كان بيانا لجواز الاستسقا بالدعا بلا صلاة ولا خلاف في جوازه
وتكون الاحاديث المثبتة للصلاة مقدمة لان فيها زيادة علم ولا معارضة بينهما
والاستسقا انواع الاول الاستسقا بصلاة ركعتين وخطبتين ويتاهب قبله
بصدقة وصيام وتوبة واقبال على الخير ومجانبة الشر ونحو ذلك من طاعة الله تعالى
قال ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متبذلا متواضعا متخشعا
متضرعا حتى اتى المصلى فرقى المنبر فلم يخطب خطبتكم هذه ولكن لم يزل في الدعا
والتضرع والتكبير ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيد رواه الترمذي وغيره وفي

بلغ

حديث

حديث عبد الله بن زيد المازني قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذا
المصلى يستسقي ثم استقبل الكعبة وقلب رداه ثم صلى رواه البخاري ومسلم رواية
خرج بالناس الى المصلى يستسقي فصلى بهم ركعتين جهر فيهما بالقراة واستقبل يدعوا
ورفع يديه وحول رداه حين استقبل القبلة وفي رواية قال وحول رداه وجعل
عطافه الايمن على عاتقه الايسر وجعل عطافه الايسر على عاتقه الايمن ثم دعى الله
قال الحافظ ابن حجر ولم اقف على شي من طرق حديث عبد الله بن زيد على سبب ذلك
ولا على صفته صلى الله عليه وسلم حال الذهاب الى المصلى ولا على وقت ذهابه وقد
وقع ذلك في حديث عايشة عند ابي داود وابن حبان قالت شكى الناس الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر فامر بمنبر فوضع له في المصلى ووعد الناس يوما
يخرجون فيه فخرج حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر وحمد الله ثم قال
انكم شكوتم جدب دياركم واستيخار المطر عن ابان زمانه عنكم وقد امركم الله ان تدعوه
ووعدكم ان يستجيب لكم ثم قال الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
الذي لا اله الا هو يفعل ما يريد اللهم انت الله لا اله الا انت الغني ونحن الفقرا انزل
علينا الغيث واجعل ما انزلت لنا قوة وبلاغا الى حين ثم رفع يديه حتى بدى بياض
ابطيه ثم حول الى الناس ظهره وقلب او حول رداه وهو رافع يديه ثم اقبل على الناس ونزل
فصلى ركعتين فانشا الله سحابا فرعدت وبرقت ثم امطرت باذن الله فلم يات مسجده
حتى سالت السيول فلما راى سرعتهم الى الكن ضحك حتى بدت نواجذه فقال اشهد
ان الله على كل شي قدير واني عبد الله ورسوله وقد حكى ابن المنذر الاختلاف في وقتها والراجح
انه لا وقت لها معين وان كان اكثر احكامها كالعيد لكنها تخالفه بانها لا تختص بيوم معين
~~وان كان اكثر احكامها~~ وهل تصنع بالليل استنبط بعضهم من كونه صلى الله عليه وسلم جهر
بالقراة فيها بالنهار انها نهارية كالعيد والا فلو كانت تصلى بالليل لاسر فيها بالنهار
وجهر بالليل كمطلق النوافل ونقل ابن قدامة الاجماع على انها لا تصلى في وقت الكراهة
وافاد ابن حبان ان خروجه صلى الله عليه وسلم الى المصلى للاستسقا كان في شهر رمضان
سنة ست من الهجرة وذكر الواقدي ان طول ردايه صلى الله عليه وسلم كان ستة
اذرع في ثلاثة اذرع وطول ازاره اربعة اذرع وشبرين في ذراعين وشبر كان يلبسهما
في الجمعة والعيدين وقد روى ابو داود عن عباد استسقى صلى الله عليه وسلم وعليه
خميصة سودا فاراد ان ياخذ باسفلها فيجعله اعلاها فلما ثقلت عليه قلبها على عاتقه
وقد استحب الشافعي في الجديد فعل ما هم به صلى الله عليه وسلم من تنكيس الردا مع
التحويل الموصوف وزعم القرطبي تبعا لغيره ان الشافعي اختار في الجديد تنكيس
الردا لا تحويله والذي في الام ما ذكرته والجمهور على استحباب التحويل فقط ولا ريب
ان الذي استحبه الشافعي احوط وعن ابي حنيفة وبعض المالكية لا يستحب شي من

القبالة

ذلك واستحب الجمهور ان يحول الناس بتحويل الامام ويشهد له ما رواه احمد من طريق
اخرى عن عباد في هذا الحديث بلفظ وحول الناس معه وقال الليث وابو يوسف
يحول الامام وحده واستثنى ابن الماجشون النساء فقال لا يستحب في حقهن واختلف
في حكمة هذا التحويل فجزم المهلب بانه للتفاول بتحويل الحال عما هي عليه وتعقبه
ابن العربي بان من شرط الفال ان لا يقصد اليه قال وانما التحويل امارة بينه وبين
ربه قيل له حول رداك ليتحول حالك وتعقب بان الذي جزم به يحتاج الى نقل والذي
رده ورد فيه حديث رجاله ثقات اخرجه الدارقطني والحاكم من طريق جعفر
ابن محمد بن علي عن ابيه عن جابر ورجح الدارقطني ارساله وعلى كل حال فهو اولى
من القول بالظن واستدل بقوله في حديث عايشة ثم صلى ركعتين بعد قوله فقعد
على المنبر على الخطبة في الاستسقا قبل الصلاة وهو مقتضى حديث ابن عباس لكن م انه
وقع عند احمد في حديث عبد الله بن زيد التصريح بانه بدا بالصلاة قبل الخطبة
وكذا في حديث ابي هريرة عن ابن ماجه حيث قال فصلى بنا ركعتين بغير اذان ولا
اقامة والمرجح عند الشافعية والمالكية الثاني ولم يقع في شي من طرق حديث عبد الله
ابن زيد صفة الصلاة المذكورة ولا ما يقرا فيها وقد اخرج الدارقطني من حديث
ابن عباس انه يكبر فيها سبعا وخمسا كالعيد وانه يقرا فيها بسبح وهل اتاك وفي
اسناده مقال لكن اصله في السنن بلفظ ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيدين فاخذ
بظاهره الشافعي فقال يكبر فيها **الثاني استسقاوه عليه الصلاة والسلام** في خطبة
الجمعة **عن** انس ان رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب نحو دار القضاء ورسول
الله صلى الله عليه وسلم قايم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما
ثم قال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا قال فرفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم اغثنا اللهم اغثنا قال انس ولا والله
ما نرى في السما من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال فطلعت
من وراية سحابة مثل الترس فلما توسطت السما انتشرت ثم امطرت قال فلا
والله ما راينا الشمس سبتا قال ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول
الله صلى الله عليه وسلم قايم يخطب فاستقبله قايما فقال يا رسول الله هلكت الاموال
وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الاكام والظراب وبطون الاودية ومنابت
الشجر قال فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس قال شريك فسالت انس ابن مالك
اهو الرجل الاول قال لا ادري رواه مسلم **وفي** رواية قال له فما يشير بيده الى
ناحية الا انفرجت حتى رايت المدينة في مثل الجوبة وسال وادي قناة شهرا
ولم يجي احد من ناحية الا اخبر بجود **وقوله** يغيثنا بفتح اوله يقال غاث الله البلاد

بغيثها

بغيثها اذا ارسل عليها المطر **وقوله** من باب كان نحو دار القضاء هي دار عمر بن الخطاب
وسميت بذلك لانها بيعت في قضاء دينه **وقوله** هلكت الاموال وفي رواية كريمة
وابي ذر عن الكشميهني المواشي وهو المراد بقوله بالاموال هنا وفي رواية البخاري
هلك الكراع بضم الكاف وهو يطلق على الخيل وغيرها وفي البخاري ايضا هلكت
الماشية هلك العيال هلك الناس وهو من ذكر العام بعد الخاص والمراد بهلاكهم عدم
وجود ما يعيشون به من الاقوات المفقودة بحبس المطر وانقطعت السبل لان الابل
ضعفت لقلة القوة عن السفر ولكونها لا تجد في طريقها من الكلا ما يقيم اودها والاكام
بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد جمع اكمة بفتحات التراب المجتمع وقيل الجبل الصغير وقيل
ما ارتفع من الارض والظراب بكسر المعجمة جمع ظرب الجبل المنبسط ليس بالعالي
وقوله الجوبة بفتح الجيم وسكون الواو وفتح الموحدة هي الحفرة المستديرة الواسعة
والمراد بها هنا الفرجة في السحاب والجود المطر الغزير **وقوله** قناة شهرا اي جرى
فيه المطر من الماء شهرا **وفي** هذا دليل على عظم معجزته عليه الصلاة والسلام وهو
ان سخرت السحاب له كلما اشار اليها امتثلت بالاشارة دون كلام لان كلامه عليه الصلاة
والسلام ~~وهو ان سخرت السحاب له كلما اشار اليه~~ مناجاة للحق تعالى السحاب
فبالاشارة فهو لا الامر لها بالطاعة له عليه الصلاة والسلام لما كان ذلك لانها ايضا
لا جا مامورة حيث تشير وقد رماها بقيم وابن تقي ويرحم الله الشقراطسي فلقد احسن
حيث قال
دعوت للخلق عام المحل مبتهلا ، افديك بالخلق من داع ومبتهل
صعدت كفيك اذ كف الغمام فما ، صوبت الا بصوب الواكف الهطل
اراق بالارض ثجاصوب ريقته ، فحل بالروض نسج رايق الحلل
زهر من النور حلت روض ارضهم ، زهرا من النور صافي النبت مكتمل
من كل غصن نضير مورق خضر ، وكل نور نضيد مونق خضل
تحية احيت الاحيا من مضر ، بعد المضرة تروي السبل بالسبل
دامت على الارض سبعا غير مقلعة ، لولا دعاوك بالاقلاع لم تزل
وقوله في الحديث سبتا اي من السبت الى السبت وقوله ثم دخل رجل الظاهر
انه غير الاول لان النكرة اذا تكررت دلت على التعدد **وفي** رواية ابن اسحق فقام
ذلك الرجل او غيره وفي رواية فتقشعت عن المدينة فجعلت تمطر حواليها
وما تمطر بالمدينة قطرة فنظرت الى المدينة وانها لفي مثل الاكليل وهو بكسر الهمزة
وسكون الكاف كل شي دار من جوانبه واشتهر لما يوضع على الراس فيحيط به وهو بها
من ملابس الملوك كالتاج **وفي** رواية له ايضا فالف الله بين السحاب ومكثنا حتى م
رايت الرجل الشديد تهمه نفسه ان ياتي اهله وفي رواية له ايضا فرايت السحاب
يتمزق كانه الملاحف تطوى والملا بضم الميم والقصر وقد يمد جمع ملاة وهي ثوب

٤٥١

Copyright ... University

معروف واستدل بهذا الحديث على جواز الاستسقا بغير صلاة مخصوصة وعلى ان الاستسقا ليس فيه صلاة فاما الاول فقال به الشافعي واما الثاني فقال به ابو حنيفة وتعقب بان الذي وقع في هذه القصة مجرد دعا لا ينافي مشروعية الصلاة لها وقد ثبتت في واقعة اخرى كما تقدم والله اعلم **الثالث استسقاوه صلى الله عليه وسلم على منبر المدينة** روى البيهقي في الدلايل من طريق يزيد بن عبيد السلمي قال لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك اتاه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلا وفيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس وهو اصغرهم فنزلوا في دار رملة بنت الحارث من الانصار وقدموا على ابل عجاف وهم مسنتون فاتوا مقرين بالاسلام فسالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقالوا يا رسول الله اسنتت بلادنا واجدب جنابنا وعريت عيالنا وهلكت مواشينا فادع ربك ان يغيثنا وتشفع لنا الى ربك ويشفع ربك اليك فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك انا شفعت الى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العظيم وسع كرسيه السموات والارض وهو يئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليضحك من شفقكم وقرب غياثكم فقال الاعرابي او يضحك ربنا يا رسول الله قال نعم فقال الاعرابي لن نعدم يا رسول الله من رب يضحك خيرا فضحك صلى الله عليه وسلم من قوله فقام صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وتكلم بكلمات ورفع يديه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرفع يديه في شي من الدعا الا في الاستسقا فرفع يديه حتى رأى بياض ابطيه وكان مما حفظ من دعايه اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير اجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعدا فقام ابو لبابة ابن عبد المنذر فقال يا رسول الله ان التمر في المرابد ثلاث مرات فقال عليه الصلاة والسلام اللهم اسقنا حتى يقوم ابو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره قال فلا والله ما في السما من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السما انتشرت وهم ينظرون ثم امطرت فوالله ما راوا الشمس سبعا وقام ابو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه فقال الرجل يا رسول الله يعني الذي ساله ان يستسقي لهم هلكت الاموال وانقطعت السبل فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه مدا حتى رؤي بياض ابطيه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا على الاكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب والاطيط صوت الاقتاب يعني ان الكرسي ليعجز عن حمله وعظمته اذ كان معلوما ان اطيط الرحل بالراكب انما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله وهذا مثل لعظمته تعالى وجلاله وان لم يكن اطيط

وانما

وانما هو كلام تقريب اريد به تقرير عظمة الله تعالى **وقوله** طبقا بفتح الطا والموحدة اي مالئا للارض مغطيا لها يقال غيث طبق اي عام **والمربد** موضع يجفف فيه التمر وثعلبه ثقبه الذي يسيل منه ما المطر **وعن** انس بن مالك قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتيناك وما لنا صبي يغط ولا بعير يئط اي ما لنا بعير اصلا لان البعير لا بد ان يئط وانشد

وثعلبه ثقبه

اتيناك والعذرا يدمى لبانها * وقد شغلت ام الصبي عن الطفل

والقى بكفيه الفتى لاستكانة * من الجوع ضعفا ما يمر وما يحلي

ولا شي مما ياكل الناس عندنا * سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل

وليس لنا الا اليك فرارنا * واين فرار الناس الا الى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السما ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريا مريعا غدقا طبقا نافعا غير ضار عاجلا غير رايث تملا به الضرع وتنبت به الزرع وتحيي به الارض بعد موتها قال فما رد صلى الله عليه وسلم يديه الى نحره حتى التقت السما بابراقها وجا اهل البطانة يضجون الغرق فقال عليه الصلاة والسلام حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى احدق بها كالاكليل وضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در ابي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي يا رسول الله كانك تريد قوله

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

يطيف به الهلاك من ال هاشم * فهم عنده في نعمة وفواضل

أهل

كذبتم وبيت الله يبزى محمد * ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن ابنائنا والحلايل

فقال اجل رواه البيهقي **وقوله** يدمى لبانها اي يدمى صدرها لامتهانها نفسها في الخدمة حيث لا تجد ما تعطيه من يخدمها من الجدب وشدة الزمان واصل اللبان من الفرس موضع اللبب ثم استعير للناس **وقوله** ما يمر وما يحلي اي ما ينطق بخير ولا شر من الجوع والضعف **وقوله** سوى الحنظل العامي نسبة الى العام لانه يتخذ في عام الجدب كما قالوا للجدب السنة والعلهز بالكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة قاله الجوهري والفسل الرذل **قال** السهيلي فان قلت كيف قال ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه ولم يره قط استسقى وانما كان ذلك منه بعد الهجرة **واجاب** بما حاصله ان ابا طالب اشار الى ما وقع في زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبي صلى الله عليه وسلم معه وهو غلام انتهى **وقال** الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يكون ابو طالب مدحه بذلك لما راى من مخايل ذلك فيه وان لم يشاهد ذلك انتهى

قلت وقد اخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت
قريش يا اباطالب اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابو طالب
ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتما وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب
فالصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام وما في السما قزعة فاقبل السحاب من هاهنا وها هنا
واغدق واغدودق وانفجر له الوادي واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول
ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه انتهى الرابع استسقاوه صلى الله عليه
وسلم بالدعا من غير صلاة عن ابن مسعود ان قريشا ابطوا عن الاسلام فدعا عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام
فجاء ابو سفيان فقال يا محمد جيت تامر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع
الله فقرا فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين ثم عادوا الى كفرهم فذلك قوله يوم
نبطش البطشة الكبرى يوم بدر زاد اسباط عن منصور فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا وشكا الناس كثرة
المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة عن راسه فسقوا الناس
حولهم رواه البخاري وافاد الدمياطي ان ابتدا الدعا على قريش كان عقب
طرحهم على ظهره سلا الجزور وكان ذلك بمكة قبل الهجرة وقد دعى النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك بالمدينة في القنوت كما في حديث ابي هريرة عند البخاري ولا يلزم من
ذلك اتحاد هذه القصص اذ لا مانع ان يدعوا بذلك عليهم مرارا والظاهر ان مجي
ابي سفيان كان قبل الهجرة لقول ابن مسعود ثم عادوا فذلك قوله يوم نبطش
البطشة الكبرى يوم بدر ولم ينقل ان ابا سفيان قدم المدينة قبل بدر وعلى هذا
فيحتمل ان يكون ابو طالب كان حاضرا ذلك فلذلك قال وابيض يستسقى الغمام
بوجهه لكن ورد ما يدل على ان القصة وقعت بالمدينة فان لم يحمل على التعدد
والا فهو مشكل وفي الدلايل للبيهقي عن كعب بن مرة او مرة بن كعب قال دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على مضر فاتاه ابو سفيان فقال ادع الله لقومك فقد
هلكوا وقد رواه احمد وابن ماجة عن كعب بن مرة ولم يشك فابهم ابا سفيان قال
جاء رجل فقال استسق الله لمضر قال يا رسول الله استنصرت الله فنصرك
ودعوت الله فاجابك فرفع يديه فقال اللهم اسقنا غيثا مغيثا الحديث فظهر
ان هذا الرجل المبهم المقول له انك لجري هو ابي سفيان لكن يظهر ان قايل قال يا رسول
الله استنصرت الله الى اخره هو كعب بن مرة راوي هذا الحديث لما اخرجه
احمد والحاكم عن ابي بن كعب قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر واعطاك
فاتيته فقلت يا رسول الله ان الله قد نصرك واعطاك واستجاب لك وان قومك
قد هلكوا وعلى هذا فكان ابو سفيان وكعبا حضرا جميعا فكلمه ابو سفيان

بشي

بشي وكعب بشي فدل ذلك على اتحاد قصتهما وقد ثبت في هذا ما ثبت في تلك من قوله
انك لجري ومن قوله اللهم حوالينا ولا علينا وسياق كعب ابن مرة يشعر بان ذلك وقع
بالمدينة لقوله استنصرت الله فنصرك ولا يلزم من هذا اتحاد هذه القصة مع قصة
انس السابقة فهي واقعة اخرى لان في رواية انس فلم ينزل عن المنبر حتى مطروا
وفي هذه فما كان الا جمعة او نحوها حتى مطروا والسايل في هذه القصة غير السايل
في تلك فهما قصتان وقع في كل منهما طلب الدعا بالاستسقا ثم طلب الدعا بالاستصحا
وان ثبت ان كعب بن مرة اسلم قبل الهجرة حمل قوله استنصرت الله فنصرك على
النصر باجابة دعايه عليهم وزال الاشكال المتقدم والله اعلم انتهى ملخصا من
فتح الباري الخامس استسقاوه صلى الله عليه وسلم عند احجار الزيت قريبا من
الزورا وهي خارج باب المسجد الذي يدعى باب السلام نحو قذفة بحجر ينعطف على يمين
الخارج من المسجد عن عمير مولى ابي اللحم انه راى النبي صلى الله عليه وسلم استسقى
رافعا يديه قبل وجهه لا يجاوز بهما راسه رواه ابو داود والترمذي السادس
استسقاوه عليه الصلاة والسلام في بعض غزواته لما سبقه المشركون الى
الما فاصاب المسلمين العطش فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض
المنافقين لو كان نبيا لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اوقد قالوها عسى ربكم ان يسقيكم ثم بسط يديه
ودعا فما رد يديه من دعايه حتى اظلهم السحاب وامطروا الى ان سال الوادي
فشرب الناس وارتووا فصل روى ابو الجوزا قال قحط اهل المدينة قحطا
شديدا فشكوا الى عايشة فقالت انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا
منه كوى الى السما حتى لا يكون بينه وبين السما سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت
العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق وروى ابن ابي شيبة
باسناد صحيح من رواية ابي صالح السمان عن مالك الدار قال اصاب الناس قحطا
زمن عمر فجا رجل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لامتك
فانهم قد هلكوا فاتى الرجل في المنام فقيل له ايت عمر وفي رواية عبد الرزاق ان عمر
استسقى بالمصلى فقال للعباس قم فاستسق وذكر الزبير بن بكار ان عمر بن الخطاب
استسقى بالناس عام الرمادة بفتح الرا وتخفيف الميم وسمي به لما حصل من شدة الجدب
فاغبرت الارض جدا من عدم المطر وذكر ابن عساكر في كتاب الاستسقا ان العباس لما
استسقى ذلك اليوم قال اللهم ان عندك سحابا وعندك ما فانشر السحاب ثم انزل
منه الما ثم انزله علينا واشدد به الاصل واطل به الفرع وادر به الضرع اللهم
نستشفع اليك عمن لا منطق له من بهايمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعة بالغة
طبقا اللهم لا نرغب الا اليك وحدك لا شريك لك اللهم نشكو اليك كل ساغب وعدم

Copyright ... University

كل عادم وجوع كل جايع وعري كل عار وخوف كل خايف وفي رواية الزبير بن بكار ان
العباس لما استسقي به عمر قال اللهم انه لم ينزل بلا الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة
وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا
اليك بالتوبة فاسقنا الغيث فارخت السما مثل الجبال حتي اخصبت الارض وعاش
الناس ايضا خطب الناس فقال عمر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يري
للعباس ما يري الولد للوالد فاقتدوا ايها الناس برسول الله صلي الله عليه وسلم
في عمه العباس فاتخذوه وسيلة الي الله وفيه فما برحوا حتي سقوا وفي ذلك يقول
العباس بن عتبة بن ابي لهب

بعمي سقي الله الحجاز واهله ، عشية يستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا ، اليه فما ان رام حتي اتي المطر
ومنا رسول الله فينا تراثه ، فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

القسم الثالث في ذكر صلاته صلي الله عليه وسلم في السفر وفيه فصول اول في
قصره صلي الله عليه وسلم الصلاة فيه واحكامه وفيه فرعان الاول في كونه
عليه الصلاة والسلام يقصر الصلاة نقدم هل القصر رخصة او عزيمة وما استدل
به لكل من القولين في اوايل هذا المقصد وعن انس بن مالك قال صليت الظهر مع رسول
الله صلي الله عليه وسلم بالمدينة اربعا وخرج يريد مكة فصلي بذي الحليفة
العصر ركعتين رواه البخاري ومسلم وهذا الحديث مما احتج به اهل الظاهر في جواز
القصر في طويل السفر وقصيره فان بين المدينة وذي الحليفة ستة اميال
ويقال سبعة وقال الجمهور لا يجوز القصر الا في سفر يبلغ مرحلتين وقال ابو
حنيفة وطايفة شرطه ثلاث مراحل واعتمد في ذلك اثارا عن الصحابة واما هذا
الحديث فلا دلالة فيه لاهل الظاهر لان المراد انه صلي الله عليه وسلم حين سافر
الي مكة في حجة الوداع صلي الظهر بالمدينة اربعا ثم سافر فادركته العصر وهو
مسافر بذي الحليفة فصلاها ركعتين وليس المراد ان ذي الحليفة غاية
سفره فلا دلالة فيه قطعا والاحاديث المطلقة مع ظاهر القران متعاضدان
علي جواز القصر من حين يخرج من البلد فانه حينيذ يسمي مسافرا وطويل السفر
ثمانية واربعون ميلا هاشمية وهي ستة عشر فرسخا وهي اربعة برد والميل
من الارض منتهي مد البصر لان البصر يميل عنه علي وجه الارض حتي يفني
ادراكه وبذلك جزم الجوهري وقيل حده ان ينظر الي الشخص في ارض مصطحبة
فلا يدري اهو رجل ام امراة او هو ذاهب او اتي قال النووي الميل ستة الاف
ذراع والذراع اربعة وعشرون اصبعا معترضة وقد حرره غيره بذراع
الحديد المستعمل الان بمصر والحجاز في هذه الاعصار فوجده ينقص عن
ذراع الحديد بقدر الثمن فعلي هذا فالميل بذراع الحديد خمسة الاف ذراع ومايتان

بلغ

وخمسون

وخمسون ذراعا وهذه فايدة جليلة قل من تنبه لها وروي البيهقي عن عطا ان ابن
عمر وابن عباس كانا يصليان ركعتين اي يقصران في اربعة برد فما فوقها وذكره
البخاري في صحيحه تعليقا بصيغة الجزم ورواه بعضهم عن صحيح ابن
خزيمة مرفوعا من رواية ابن عباس وقد كان فرض الصلاة ركعتين فلما هاجر عليه
الصلاة والسلام فرضت اربعا رواه البخاري من حديث عايشة لكن يعارضه
حديث ابن عباس فرضت الصلاة في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين رواه مسلم
وجمع بينهما بما يطول ذكره ثم بعد ان استقر فرض الرباعية خفف منها في
السفر عند نزول قوله تعالي فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ثم
ويويده ما ذكره ابن الاثير في شرح المسند ان قصر الصلاة كان في السنة الرابعة
من الهجرة وقيل كان قصر الصلاة في ربيع الاخر من السنة الثانية ذكره الدولابي
وقيل بعد الهجرة باربعين يوما الفرع الثاني في القصر مع الاقامة عن انس
قال خرجنا مع النبي صلي الله عليه وسلم من المدينة الي مكة فكان يصلي ركعتين
ركعتين حتي رجعنا الي المدينة قيل له اقمتم بمكة شيا قال اقمنا بها عشرا رواه
البخاري ومسلم مختصرا قال اقمنا مع النبي صلي الله عليه وسلم عشرة نقصر الصلاة
وعن ابن عباس اقام النبي صلي الله عليه وسلم تسعة عشر يقصر الصلاة فنحن اذا سافرنا
تسعة عشر قصرنا وان زدنا اتممنا رواه البخاري وفي رواية ابي داود انه صلي الله عليه
وسلم اقام سبعة عشر بمكة يقصر الصلاة قال ابن عباس فلو اقام اكثر اتم والرواية الاولي
بتقديم التا علي السين والثانية بتقديم السين علي الموحدة ولابي داود من حديث عمران
ابن حصين غزوت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم الفتح فاقام بمكة ثماني عشرة ليلة
لا يصلي الا ركعتين وله من طريق ابن اسحق عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس اقام
صلي الله عليه وسلم بمكة عام الفتح خمس عشرة يقصر الصلاة وجمع البيهقي بين هذا
الاختلاف بان من قال تسعة عشرة عد يومي الدخول والخروج ومن قال سبعة عشر
حذفهما واما رواية خمس عشرة فضعفها النووي في الخلاصة وليس بجيد لان رواتها
ثقات ولم ينفرد بها ابن اسحق فقد اخرجها النسايي من رواية عراك بن مالك عن
عبيد الله كذلك فاذا ثبت انها صحيحة فليحمل علي ان الراوي ظن ان رواية الاصل
سبعة عشرة فحذف منها يومي الدخول والخروج فذكر انها خمس عشرة واقتضي
ذلك ان رواية تسعة عشرة ارجح الروايات واخذ الشافعي بحديث عمران بن حصين
لكن محله عنده فيمن لم يزمع الاقامة فانه اذا مضت عليه المدة المذكورة وجب
عليه الاتمام فان ازمع الاقامة في اول الحال علي اربعة ايام اتم علي خلاف بين الصحابة
في دخول يومي الدخول والخروج ولا معارضة بين حديث ابن عباس وحديث
انس لان حديث ابن عباس كان في فتح مكة وحديث انس كان في حجة الوداع ثم

Copyright ... University

وفي حديث ابن عباس قدم صلى الله عليه وسلم واصحابه يعني مكة بصبح اربعة
ولا شك انه خرج من مكة صبح الرابع عشر فتكون هذه الاقامة بمكة وضواحيها
عشرة ايام بلياليها كما قال انس ويكون مدة اقامته اربعة ايام سوى لانه قدم في
اليوم الرابع وخرج منها في اليوم الثامن فصلى الظهر في منا ومن ثم قال الشافعي
ان المسافر اذا اقام ببلده قصر اربعة ايام فالمدة التي في حديث ابن عباس يسوغ
الاستدلال بها على من لم ينو الاقامة بل كان مترددا متى تهيأ له فراغ حاجته
يرحل والمدة التي في حديث انس يستدل بها على من نوى الاقامة لانه صلى الله
عليه وسلم في ايام الحج كان جازما بالاقامة تلك المدة ووجه الدلالة من حديث
ابن عباس لما كان الاصل في المقيم الاتمام فلما لم يجي عنه صلى الله عليه وسلم انه
اقام في حال السفر اكثر من تلك المدة جعلها غاية للقصر والله اعلم الفصل
الثاني وفيه فرعان ايضا الاول في جمعه صلى الله عليه وسلم عن انس قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ارتحل قبل ان تزيغ الشمس اخر الظهر الى وقت العصر
ثم نزل فجمع بينهما فان زاغت الشمس قبل ان يرتحل صلى الظهر ثم ركب وفي رواية
انه كان اذا اراد ان يجمع بين صلاتين في السفر اخر الظهر حتى يدخل اول وقت
العصر وفي اخرى كان اذا عجل عليه السير يوخر الظهر الى اول وقت العصر
فيجمع بينهما ويوخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء رواه البخاري ومسلم
وابو داود وفي رواية للبخاري كان يجمع هاتين الصلاتين في السفر يعني المغرب
والعشاء وفي حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يجمع بين صلاتي الظهر و
العصر اذا كان على ظهر سير ويجمع بين المغرب والعشاء رواه البخاري ولمسلم
جمع بين الصلاة في سفرة سافرها في غزوة تبوك فجمع بين الظهر والعصر والمغرب
والعشاء وله ولمالك وابي داود والنسائي انهم خرجوا معه صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك يجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء واخر الظهر يوما ثم خرج
فصلى الظهر والعصر جميعا ودخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعا وفي رواية ابي
داود والترمذي من حديث معاذ بن جبل كان في غزوة تبوك اذا زاغت الشمس
قبل ان يرتحل جمع بين الظهر والعصر فان رحل قبل ان تزيغ الشمس اخر الظهر حتى
ينزل للعصر وفي المغرب مثل ذلك ان غابت الشمس قبل ان يرتحل جمع بين المغرب
والعشاء وان ارتحل قبل ان تغيب الشمس اخر المغرب حتى ينزل للعشاء ثم يجمع بينهما
الفرع الثاني في جمعه صلى الله عليه وسلم بجمع ومزدلفة عن ابن عمر انه صلى الله
عليه وسلم صلى المغرب والعشاء بالمزدلفة جميعا رواه البخاري ومسلم ومالك و
ابو داود زاد البخاري في رواية كل واحدة منهما باقامة ولم يسبح بينهما ولمسلم
جمع بين المغرب والعشاء بجمع وصلى المغرب ثلاث ركعات وصلى العشاء ركعتين وفي

حديث

حديث ابي ايوب الانصاري عند البخاري ومسلم جمع في حجة الوداع بين المغرب
والعشاء في المزدلفة وفي رواية ابن عباس عند النسائي صلى المغرب والعشاء باقامة
واحدة وفي رواية جعفر بن محمد عن ابيه عند ابي داود صلى الظهر والعصر
باذان واحد بعرفة ولم يسبح بينهما وباقامتين وصلى المغرب والعشاء بجمع باذان
واحد واقامتين ولم يسبح بينهما الفصل الثالث في صلاته صلى الله عليه وسلم
النوافل في السفر عن ابن عمر قال سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر
وعمر وعثمان فكانوا يصلون الظهر ركعتين ركعتين ولا يصلي قبلها ولا بعدها
وقال ابن عمر لو كنت مصليا قبلها او بعدها لاتممتها رواه الترمذي وفي رواية
صحبت النبي صلى الله عليه وسلم فلم اره يسبح في السفر اي يتنفل الرواتب التي
قبل الفرايض وبعدها وهو مستفاد من قوله في الرواية الاخرى فكان لا يزيد في
السفر على الركعتين قال ابن دقيق العيد وهذا اللفظ يحتمل ان يريد لا يزيد
على عدد ركعات الفرض فيكون كناية عن نفي الاتمام والمراد به الاخبار عن المداومة
على القصر ويحتمل ان يريد لا يزيد نفلا ويمكن ان يريد ما هو اعم من ذلك وفي رواية
مسلم صحبت ابن عمر في طريق مكة فصلى لنا الظهر ركعتين ثم اقبل واقبلنا معه
حتى جا رحله فجلس وجلسنا معه فحانت منه التفاتة فراى ناسا قياما فقال
ما يصنع هولا قلت يسبحون قال لو كنت مسبحا لاتممت قال النووي اجابوا
عن قول ابن عمر هذا بان الفريضة متحتمة فلو شرعت تامة لتحتم اتمامها واما
النافلة فهو الى خيرة المصلي فطريق الرفق به ان تكون مشروعة ويخير فيها
انتهى وتعقب بان مراد ابن عمر بقوله لو كنت مسبحا لاتممت يعني انه لو كان مخيرا
بين الاتمام وصلاة الراتبة لكان الاتمام احب اليه لكنه فهم من القصر التخفيف فلذلك
كان لا يصلي الراتبة ولا يتم وفي البخاري من حديث ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم
يوتر على راحلته ويوب عليه باب الوتر في السفر واشار به الى الرد على من قال
انه لا يسن الوتر في السفر وهو منقول عن الضحاك واما قول ابن عمر لو كنت
مسبحا في السفر لاتممت كما اخرجه مسلم فانما اراد به راتبة المكتوبة لا النافلة المقصودة
كالوتر وذلك بين من سياق الحديث المذكور وعند الترمذي من وجه اخر بلفظ لو
كنت مصليا قبلها او بعدها لاتممت واما حديث عايشة عند البخاري انه صلى الله
عليه وسلم كان لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتان بعدها فليس بصريح في فعله ذلك
في السفر ولعلها اخبرت عن اكثر احواله وهو الاقامة والرجال اعلم بسفره من النسا
واجاب النووي تبعا للعبيره بالفظه لعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الرواتب
في رحله ولا يراه ابن عمر او لعله تركها في بعض الاوقات لبيان الجواز انتهى وفي رواية
الترمذي من حديث ابن عمر قال صليت معه في الحضر الظهر اربعا وبعدها ركعتين

Copyright King Saud University

وصليت معه في السفر الظهر ركعتين وبعدها ركعتين والعصر ركعتين ولم
يصل بعدها شيئا والمغرب في الحضر والسفر سوا ثلاث ركعات لا ينقص في حضر ولا
سفر وهي وتر النهار وبعدها ركعتين في حديث ابي قتادة عند مسلم في قصة النوم
عن صلاة الصبح انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين قبل الصبح ثم صلى الصبح كما كان
يصلي ويقول صاحب الهدي انه لم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى سنة
صلاة قبلها ولا بعدها في السفر الا ما كان في سنة الفجر يرد على اطلاقه ما قدمناه في
رواية الترمذي من حديث ابن عمر وما رواه ابي داود والترمذي من حديث
البرا ابن عازب قال سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سفرا
فلم اره ترك ركعتين اذا زاغت الشمس قبل الظهر وكانه لم يثبت عنده ذلك لكن هو
الترمذي استغربه ونقل عن البخاري انه راه حسنا وقد حمله بعض العلما
على سنة الزوال لا على الراتبة قبل الظهر **الفصل الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم
التطوع في السفر على** الدابة **عن** ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
سبحته حيثما توجهت به ناقته وفي رواية يصلي وهو مقبل من مكة الى المدينة
حيث كان وجهه وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله وفي رواية صلى الله عليه
وسلم يصلي على حمار وهو موجه الى خيبر وفي رواية انه كان يوتر على البعير رواه مسلم
وقد اخذ بهذه الاحاديث فقها الامصار في جواز التنفل على الراحلة في السفر
حيث توجهت الا ان احمد وابا ثور كان يستحبان ان يستقبل القبلة بالتكبير حال
ابتدا الصلاة والحجة لذلك ما في حديث انس عند ابي داود انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا اراد ان يتطوع في السفر استقبل بناقته القبلة ثم صلى حيث توجهت ركابه
وذهب الجمهور الى جواز التنفل على الدابة سوا كان السفر طويلا او قصيرا
الا مالكا فخصه بالسفر الطويل وحجته ان هذه الاحاديث انما وردت في اسفاره
صلى الله عليه وسلم ولم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه سافر سفرا قصيرا فصنع
ذلك وحجة الجمهور مطلق الاخبار في ذلك وقوله يصلي على حمار قال النووي
قال الدارقطني وغيره هذا غلط من عمرو ابن يحيى المازني وانما المعروف من
صلاته عليه الصلاة والسلام على راحلته او بعير والصواب ان الصلاة على الحمار
من فعل انس كما ذكره مسلم ثم قال وفي تغليط راويه نظر لانه ثقة نقل شيئا محتملا
فلعله كان الحمار مرة والبعير مرة او مرات لكن قد يقال انه شاذ مخالف رواية
الجمهور والشاذ مردود **وعن** يعلى ابن مرة عن ابيه عن جده انهم كانوا مع النبي
صلى الله عليه وسلم في مسير فانتهوا الى مضيق فحضرت الصلاة فمطروا السما
من فوقهم والبلة من اسفل منهم فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على
راحلته فصلى بهم يومي ايما فجعل السجود اخفض من الركوع رواه البيهقي

القسم

القسم الرابع في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف عن جابر قال اقبلنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بذات الرقاع قال اذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها
للنبي صلى الله عليه وسلم فجا رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم
معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال من يمنعك مني قال الله فتهدده
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فغمد السيف وعلقه فاقيمت الصلاة فصلى بطايفة
ركعتين ثم تاخروا وصلى بالطايفة الاخرى ركعتين فكان للنبي صلى الله عليه وسلم
اربع ركعات وللقوم ركعتان رواه البخاري ومسلم ولمسلم فصففنا صفين خلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا
جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود
والصف الذي يليه فقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف المؤخر ثم تقدم الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه
وسلم وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف
الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في
نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر
الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا ولمسلم
والبخاري ايضا من حديث يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبي صلى
الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طايفة صفت معه وطايفة تجاه
وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قايما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا فصفوا
وجاه العدو وجات الطايفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم
ثبت جالسا واتموا لانفسهم ثم سلم بهم قال مالك وذلك احسن ما سمعت في صلاة الخوف
وما ذهب اليه مالك من ترجيح هذه الكيفية وافقه الشافعي واحمد على ترجيحها
لسلامتها من كثرة المخالفة ولكونها احوط لامر الحرب **وعن** سالم بن عبد الله بن عمر
عن ابيه قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فوازينا العدو
فصاففنا لهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا فقامت طايفة معه
واقبلت طايفة على العدو وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وسجد
سجدتين ثم انصرفوا مكان الطايفة التي لم تصل فجاوا فركع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بهم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم فقام كل واحد فركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين
وفي حديث جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس صلاة العصر في الخوف
ببطن نخل فصلى بطايفة ركعتين ثم سلم ثم جاءت طايفة اخرى فصلى بهم ركعتين
ثم سلم رواه البغوي في شرح السنة **وعنه** انه صلى الله عليه وسلم نزل بين ضجنان
وعسفان فقال المشركون لهاؤلا صلاة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم وهي
العصر فاجمعوا امركم فتميلوا عليهم ميلة واحدة وان جبريل اتى النبي صلى الله

Copyright King Saud University

عليه وسلم فامره ان يقسم اصحابه شطرين فيصلي بهم وتقوم طايفة اخرى وراهم و
وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فتكون لهم ركعة ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان
رواه الترمذي والنسائي قال ابن حزم وقد صح فيها يعني صلاة الخوف اربعة عشر
وجها وبينها في جزء مفرد وقال ابن العربي في القبس جاء فيها روايات كثيرة اصحها ستة
عشر رواية مختلفة ولم يبينها ايضا وقد بينها الحافظ زين الدين العراقي في شرح
الترمذي وزاد وجها اخر فصارت سبعة عشر وجها لكن يمكن ان تتداخل وقال
صاحب الهدي اصولها ست صفات وبلغها بعضهم اكثر وهولا كلما راوا اختلاف
الرواة في قصة جعلوا ذلك وجوها من فعله صلى الله عليه وسلم وانما هو من اختلاف
الرواة انتهى وهذا هو المعتمد واليه اشار الحافظ العراقي بقوله يمكن تداخلها
وقد حكى ابن القصار المالكي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلاها عشر مرات وقال
ابن العربي اربعا وعشرين وقال الخطابي صلاها عليه الصلاة والسلام في
ايام مختلفة باشكال متباينة يتحرى فيها ما هو الاحوط للصلاة والابلغ للحراسة
فهي على اختلاف صورها متفقة المعنى انتهى وفي كتب الفقه تفاصيل لها كثيرة
وفروع يطول ذكرها حكاه في فتح الباري **القسم الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه**
وسلم على الجنازة وفيه فروع اربعة **الاول** في عدد التكبيرات عن ابي هريرة انه صلى
الله عليه وسلم نعى النجاشي اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم
وكبر عليه اربع تكبيرات رواه البخاري ومسلم وعند الترمذي من حديث ابي هريرة
انه صلى الله عليه وسلم كبر على جنازة ذكرها حكاه في فتح الباري فرفع يديه مع
اول تكبيرة ووضع اليمنى على اليسرى **الفرع الثاني في القراءة والدعاء** نقل ابن المنذر
عن ابن مسعود والحسن بن علي وابن الزبير والمسور بن مخرمة مشروعية
قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة وبه قال الشافعي واحمد واسحق ونقل عن ابي
هريرة وابن عمر ليس فيها قراءة وهو قول مالك والكوفيين وروى عبد الرزاق
والنسائي باسناد صحيح عن ابي امامة بن سهل بن حنيف قال السنة في الصلاة
على الجنازة ان يكبر ثم يقرا بام القران ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخلص
الدعا للميت ولا يقرا الا في الاولى وفي البخاري عن سعد عن طلحة قال صليت
خلف ابن عباس على جنازة فقرا فاتحة الكتاب وقد وقع التصريح بذلك في حديث جابر
عند الشافعي بلفظ وقرا بام القران بعد التكبيرة الاولى كما ذكره الحافظ زين الدين
العراقي في شرح الترمذي وعن ابن عباس قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جنازة فقرا بفاتحة الكتاب رواه الترمذي وقال لا يصح هذا والصحيح عن ابن
عباس قوله من السنة وهذا مصير منه الى الفرق بين الصيغتين ولعله اراد الفرق
بالنسبة الى الجنازة والاحتمال وعن عوف ابن مالك صلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم على جنازة فحفظنا من دعائه اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله
ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من
الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه و
وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار قال عوف حتى تمنيت
ان اكون ذلك الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن واثلة بن الاسقع
قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل من المسلمين فسمعته يقول
اللهم ان فلان ابن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار
وانت اهل الوفا والحق اللهم اغفر له وارحمه انك انت الغفور الرحيم رواه ابو
داود وعن ابي هريرة قال كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى على الجنازة قال اللهم اغفر
لحينا وميتنا وشاهدنا وغايبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وانثانا اللهم من احييته
منا فاحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان اللهم لا تحرمنا اجره و
ولا تفتنا بعده رواه احمد وابو داود والترمذي وعنه سمعته صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم انت ربها وانت خلقتها هديتها الى الاسلام وانت قبضت روحها وانت اعلم
بسرها وعلانيتها جيناك شفعا فاغفر لها رواه ابو داود **الفرع الثالث في صلاته**
صلى الله عليه وسلم على القبر عن ابي هريرة ان امراة سودا كانت تقم المسجد ففقدها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال عنها فقالوا ماتت قال افلا اذنتموني
قال فكانهم صغروا امرها فقال دلوني على قبرها فدلوه فصلى عليها رواه البخاري
ومسلم زاد ابن حبان فقال في رواية حماد بن سلمة عن ثابت ان هذه القبور مملوة
ظلمة على اهلها وان الله ينورها بصلاتي عليهم واشار الى ان بعض المخالفين احتج
بهذه الزيادة على ان ذلك من خصايصه صلى الله عليه وسلم ثم ساق من طريق
خارجة بن زيد بن ثابت عن عمه يزيد بن ثابت نحو هذه القصة وفيها ثم اتى و
القبر فصففنا خلفه وكبر عليه اربعا قال ابن حبان في ترك انكاره عليه الصلاة
والسلام على من صلى معه على القبر بيان جواز ذلك لغيره وانه ليس من خصايصه
وتعقب بان الذي يقع بالتبعية لا ينهض دليلا للاصالة وعن عقبة بن عامر
انه صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على اهل احد صلاته على الميت ثم انصرف
وفي رواية صلى على قتلى احد بعد ثماني سنين كالمودع للاحيا والاموات رواه ابو
داود والنسائي وقد رواه الشيخان ايضا بلفظ خرج يوما فصلى على اهل احد و
كصلاته على الميت ثم انصرف الى المنبر فقال اني فرط لكم الحديث وفيه الصلاة
على الشهدا اي حرب الكفار وقد اختلف العلما في هذه المسيلة فذهب مالك و
والشافعي واحمد واسحق والجمهور على انه لا يصلى عليهم وذهب ابو حنيفة
الى الصلاة عليهم كغيرهم وبه قال المزني وهو رواية عن احمد اختارها الخلال

Copyright King Saud University

وحجة الجمهور انه عليه الصلاة والسلام لم يصل على قتلى احد كما رواه البخاري
في صحيحه عن جابر واما هذه الصلاة فالمراد بها الدعا وليس المراد بها صلاة
الجنازة المعهودة قال النووي اي دعا لهم بدعا صلاة الميت وان هذه الصلاة
مخصوصة بشهدا احد فانه لم يصل عليهم قبل دفنهم كما هو المعهود من صلاة
الجنازة وانما صلى عليهم في القبور بعد ثمان سنين والحنفيه يمنعون الصلاة
على القبر مطلقا ولو كانت الصلاة عليهم واجبة لما تركها في الاول ثم ان الشافعية
اختلفوا في معنى قولهم لا يصلى على الشهيد فقال الاكثر معناه تحريم الصلاة عليه
وهو الصحيح عندهم وقال اخرون معناه لا تجب الصلاة عليهم لكن تجوز
وذكر ابن قدامة ان كلام احمد في الرواية التي قال فيها يصلى عليهم يشير الى
انها مستحبة غير واجبة الفرع الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم على الغايب
عن جابر انه صلى الله عليه وسلم قال توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلم
فصلوا عليه قال فصففنا فصلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن رواه البخاري
ومسلم وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي اليوم الذي مات فيه
وخرج بهم الى المصلى فصفهم وكبر اربع تكبيرات رواه الشيخان ايضا وعند البخاري
من طريق ابن عيينة عن ابن جريج فقوموا فصلوا على اخيكم اصحمه وبهذا
الحديث استدل من منع الصلاة على الميت في المسجد وهو قول الحنفية
والمالكية لكن قال ابو يوسف ان اعد مسجد للصلاة على الموتى لم يكن في الصلاة
فيه عليهم باس قال النووي ولا حجة فيه لان الممتنع عند الحنفية ادخال
الميت المسجد لا مجرد الصلاة عليه حتى لو كان الميت خارج المسجد جازت
الصلاة عليه لمن هو داخله وقال ابن بزيزة وغيره استدل به بعض المالكية
وهو باطل لانه ليس فيه صيغة نهي ولاحتمال ان يكون خرج بهم الى المصلى
لامر غير المعنى المذكور وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام صلى على سهيل
ابن بيضا في المسجد فكيف يترك هذا الصريح لامر محتمل بل الظاهر انه
انما خرج بالمسلمين الى المصلى بقصد تكثير الجمع الذين يصلون عليه ولاشاعة
كونه مات على الاسلام فقد كان بعض الناس لم يدر بكونه اسلم فقد روى
ابن ابي حاتم في التفسير والدارقطني في الافراد والبزار كلهم عن انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما صلى على النجاشي قال بعض اصحابه صلى على علج من
الحبشة فنزلت وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم الاية
وله شاهد من حديث ابي سعيد عند الطبراني في معجمه الكبير وزاد فيه ان الذي
طعن بذلك كان منافقا وقد قال البخاري باب الصلاة على الجنايز بالمصلى والمسجد
وروى حديث ابن عمر ان اليهود جاوا الى النبي صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامراة

بلغ

إنما

عة

زنيا

زنيا فامر بهما فرجما قريبا من موضع الجنايز عند المسجد وحكى ابن بطال عن ابن حبيب
ان مصلى الجنايز بالمدينة كان لاصقا بالمسجد النبوي من ناحية المشرق انتهى فان
ثبت ما قال والا فيحتمل ان يكون المراد بالمسجد هنا المصلى المتخذ للعيدين والاستسقا
لانه لم يكن عند المسجد النبوي مكان مهيا للرجم ودل حديث ابن عمر المذكور على انه
كان للجنايز مكان معد للصلاة عليها فقد يستفاد منه ما وقع من الصلاة على بعض
الجنايز في المسجد كان لامر عارض او لبيان الجواز واستدل به على مشروعية الصلاة
على الجنايز في المسجد ويقويه حديث عايشة ما صلى صلى الله عليه وسلم على سهيل
ابن بيضا الا في المسجد اخرجه مسلم وبه قال الجمهور وحمل المانعون الصلاة على
سهيل بانه كان خارج المسجد والمصلون داخله وذلك جايز اتفاقا وفيه نظر
لان عايشة استدلت بذلك لما انكروا عليها امرها بالمرور بجنازة سعد على حجرتها
لتصلي عليه وقد سلم لها الصحابة ذلك فدل على انها حفظت ما نسوه وقد روى
ابن ابي شيبة وغيره ان عمر صلى على ابي بكر في المسجد زاد في رواية ووضعت
الجنازة في المسجد تجاه المنبر وهذا يقتضي الاجماع على جواز ذلك وقد استدل
ايضا بحديث قصة النجاشي على مشروعية الصلاة على الميت الغايب عن البلد
وبذلك قال الشافعي واحمد وجمهور السلف حتى قال ابن حزم لم يات عن احد
من الصحابة منعه وعن الحنفية والمالكية لا يشرع ذلك وعن بعض اهل العلم
انما يجوز ذلك في اليوم الذي يموت فيه الميت او ما قرب منه لا اذا طالت المدة حكاه ابن عبد
البر وقال ابن حبان انما يجوز ذلك لمن في جهة القبلة فلو كان بلد الميت مستدبر
القبلة مثلا لم يجز قال المحب الطبري لم ار ذلك لغيره وقد اعتذر من لم يقل
بالصلاة على الغايب في قصة النجاشي بامور منها انه كان بارض لم يصل عليه بها
احد فتعينت الصلاة عليه لذلك ومن ثم قال الخطابي لا يصلى على الغايب الا اذا
وقع موته بارض ليس بها من يصلي عليه واستحسنه الروياني من الشافعية ومنها
قول بعضهم كشف له صلى الله عليه وسلم عنه حتى راه وعبر عنه القاضي عياض
في الشفا بقوله ورفع له النجاشي حتى صلى عليه فتكون صلاته عليه كصلاة الامام
على ميت راه ولم يره الماموم ولا خلاف في جوازها قال ابن دقيق العيد وهذا
يحتاج الى نقل ولا يثبت بالاحتمال وتعقبه بعض الحنفية بان الاحتمال كاف في
مثل هذا وكان مستند هذا القايل ما ذكره الواحدي في اسبابه بغير اسناد عن
ابن عباس قال كشف للنبي صلى الله عليه وسلم عن سرير النجاشي حتى راه وصلى
عليه ولابن حبان من حديث عمران بن حصين فقام وصفوا خلفه وهم
لا يظنون ان الجنازة الا بين يديه ومن الاعتذارات ايضا ان ذلك خاص بالنجاشي
لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم صلى على ميت غايب غيره قاله المهلب

وان صهيب صلى على عمر في المسجد

طالت ح

شي

وكانه لم يثبت عنده قصة معاوية بن معاوية الليثي واستدل من قال بتخصيص
النجاشي بذلك الى ما تقدم من اشاعة انه مات مسلما او استيلاف قلوب الملوك
الذين اسلموا في حياته قال النووي لو فتح هذا الباب انسد كثير من ظواهر الشرع
مع انه لو كان شي مما ذكروه لتوفرت الدواعي على نقله وقال ابن العربي قال المالكية
ليس ذلك الا لمحمد وما عمل به محمد تعمل به امته يعني لان الاصل عدم الخصوصية
قالوا وطويت له الارض واحضرت الجنازة بين يديه قلنا ان ربنا عليه لقادر
وان نبينا لاهل لذلك ولكن لا تقولوا الا ما رويتم ولا تخترعوا حديثا من عند انفسكم
ولا تحدثوا الا بالثابتات ودعوا الضعاف فانها سبيل الى اتلاف ما ليس له تلاف
وقال الكرماني قولهم رفع الحجاب عنه ممنوع ولين سلمنا فكان غايبا عن الصحابة
الذين صلوا عليه مع النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا من فتح الباري النوع
الثالث في ذكر سيرته صلى الله عليه وسلم في الزكاة وهي لغة النما والتطهير والمال
ينمى بها من حيث لا يرى وهي مطهرة لمؤديها من الذنوب وقيل ينمى اجرها
عند الله تعالى وسميت في الشرع زكاة لوجود المعنى اللغوي فيها وقيل لانها
تزكي صاحبها وتشهد بصحة ايمانه وهي قيد النعمة وسميت الصدقة صدقة
لانها دليل لتصديق صاحبها وصحة ايمانه بظاهره وباطنه وقد فهم من
شرعه صلى الله عليه وسلم ان الزكاة وجبت للمواساة وان المواساة لا تكون
الا في مال له بال وهو النصاب ثم جعلها صلى الله عليه وسلم في الاموال النامية
وهي اربعة اصناف الذهب والفضة اللذان بهما قوام العالم والثاني الزروع
والثمار والثالث بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والرابع اموال التجارة
على اختلاف انواعها وحد صلى الله عليه وسلم نصاب كل صنف بما يحتمل المواساة
فنصاب الفضة خمس اواق وهي مايتا درهم بنص الحديث والاجماع واما الذهب
فعشرون مثقالا واما الزروع والثمار فخمسة اوسق واما الغنم فاربعون شاة
والبقر ثلاثون بقرة والابل خمس ورتب صلى الله عليه وسلم مقدار الواجب
بحسب المؤنة والتعب في المال فاعلاها واقلها تعبا الركاز وفيه الخمس لعدم
التعب فيه ولم يعتبر له حولا بل اوجب فيه الخمس متى ظفر به ويليه
الزرع والثمار فان سقي بما السما ونحوه ففيه العشر والا فنصفه ويليه
الذهب والفضة والتجارة وفيها ربع العشر لانه يحتاج الى العمل فيه جميع
السنة ويليه الماشية فانه تدخلها الاوقاص بخلاف الانواع السابقة ولما
كان نصاب الابل لا يحتمل المواساة من جنسه اوجب فيها شاة فاذا صارت
الخمس خمسا وعشرين احتمل نصابها واحدا فكان هو الواجب ثم انه قدر
سن هذا الواجب في الزيادة والنقصان بحسب كثرة الابل وقلتها وفي كتابه

بجا

البابا صح

تلافوا لليس له

يعني

صلى الله عليه وسلم الذي كتبه في الصدقة ولم يخرجه الى عماله حتى قبض في خمس
من الابل شاة وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلاث شياه وفي عشرين اربع
شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلاثين فان زادت واحدة ففيها
ابنة لبون الى خمس واربعين فان زادت واحدة ففيها حقة الى ستين
فان زادت واحدة ففيها جذعة الى خمس وسبعين فان زادت واحدة ففيها
ابنتا لبون الى تسعين فان زادت واحدة ففيها حقتان الى عشرين ومايه
فاذا كانت الابل اكثر من ذلك ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين ابنة لبون
وفي الغنم في كل اربعين شاة شاة الى عشرين ومايه فاذا زادت واحدة فشاتان
الى المايتين فاذا زادت على المايتين ففيها ثلاث شياه الى ثلاث مايه فان
كانت الغنم اكثر من ذلك ففي كل مايه شاة شاة ثم ليس فيها شي حتى تبلغ المايه
رواه ابو داود والترمذي من حديث سالم بن عبد الله بن عمر وفرض صلى الله
عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من تمر او صاعا من شعير على العبد والحر والذكر
والانثى والصغير والكبير من المسلمين وامر بها ان تودى قبل خروج الناس
الى الصلاة رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر وفي رواية ابي داود من
حديث ابن عباس فرض صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصايم من
اللغو والرفث وطعمة للمساكين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي
ولا غيره حتى حكم فيها فجزاها ثمانية اجزا رواه ابو داود من حديث زياد بن الحارث
الصداي وهذه الثمانية الاجزا يجمعها صنفان من الناس احدهما من ياخذ
لحاجته فياخذ بحسب الحاجة وضعفها وكثرتها وقلتها وهم الفقرا
والمساكين وفي الرقاب وابن السبيل والثاني من ياخذ لمنفعته وهم العاملون
عليها والمولفة قلوبهم والغارمون عليها لاصلاح ذات البين والغزاة في سبيل
الله فان لم يكن الاخذ محتاجا ولا فيه منفعة للمسلمين فلا سهم له في الزكاة واعلم
ان الانبيا لا تجب الزكاة عليهم لانهم لا ملك لهم مع الله حتى تجب عليهم الزكاة وانما
تجب عليك زكاة ما انت له مالك انما كانوا يشهدون ما في ايديهم من ودايع
الله لهم يبذلونه في اوانه ويمنعونه في غير محله ولان الزكاة انما هي طهرة
لما عساه ان يكون ممن وجبت عليه لقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها والانبيا عليهم الصلاة والسلام مبرون من الدنس
لوجود العصمة ولهذا لم يوجب ابو حنيفة على الصبيان زكاة لعدم
دنس المخالفة والمخالفة لا تكون الا بعد جريان التكليف وذلك بعد
البلوغ واذا كان اهل المعرفة بالله الشاهدون لاحديته لا يشهدون
لهم مع الله ملكا كما هو مشهور من حكاياتهم فما ظنك بالانبيا والرسل واهل

٤٢٩

التوحيد والمعرفة انما عرفوا من بحارهم واقتبسوا من انوارهم انتهى ملخصا من
كتاب التنوير للعارف الكبير ابي الفضل بن عطا الله الشاذلي اذاقنا الله حلاوة
مشربه تنبيه ما حكي ان الشافعي واحمد بن حنبل كانا جالسين اذ اقبل شيبان الراعي
فقال احمد بن حنبل للشافعي اريد ان اساله هذا المشار اليه في هذا الزمن فقال
الشافعي لا تفعل فقال لا بد من ذلك فقال يا شيبان ما تقول فيمن نسي اربع سجدات
من اربع ركعات فقال يا احمد هذا قلب غافل عن الله تعالى يجب ان يودب حتى
لا يعود الى مثل ذلك قال فخر احمد مغشيا عليه ثم افاق فقال ما تقول فيمن له
اربعون شاة ما زكاتها فقال على مذهبنا او على مذهبكم فقال وهما مذهبان
قال نعم اما على مذهبكم ففي الاربعين شاة شاة واما على مذهبنا فالعبد لا يملك
مع سيده شيا فقد نقل شيخنا في المقاصد الحسنة عن ابن تيمية ان ذلك
باطل باتفاق اهل المعرفة لان الشافعي واحمد لم يدركا شيبان الراعي والله
اعلم انتهى وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقة فقال اللهم صل على
آل ابي اوفى فلان واتاه ابو اوفى بصدقة فقال اللهم صل على آل فلان واتاه ابو
اوفى بصدقة فقال اللهم صل على آل ابي اوفى رواه البخاري ومسلم واختلف
في اول وقت فرض الزكاة فذهب الاكثرون الى انه وقع بعد الهجرة وقيل
كان في السنة الثانية قبل فرض رمضان اشار اليه النووي في باب السير
من الروضة وجزم ابن الاثير في التاريخ بان ذلك كان في التاسعة وفيه نظر
لما في حديث ضمام بن ثعلبة وحديث وفد عبد القيس ومخاطبة ابي سفيان
مع هرقل وكان في اول السابعة وقال فيها يامر بالزكاة وقوى بعضهم ما ذهب
اليه ابن الاثير بما وقع في قصة ثعلبة بن حاطب المطولة ففيها لما انزلت
اية الصدقة بعث النبي صلى الله عليه وسلم غلاما فقال ما هذه الا جزية او
اخت الجزية والجزية انما وجبت في التاسعة فتكون الزكاة في التاسعة لكنه
حديث ضعيف لا يحتج بمثله وادعى ابن خزيمة في صحيحه ان فرضها كان قبل
الهجرة واحتج بما اخرجه من حديث ام سلمة في قصة هجرتهم الى الحبشة
وفيها ان جعفر بن ابي طالب قال للنجاشي في جملة ما اخبره به عن الرجل الذي
يامر بالصلاة والزكاة والصيام انتهى وفي الاستدلال بذلك نظر لان الصلوات
الخمس لم تكن فرضت بعد ولا صيام رمضان فيحتمل ان يكون مراجعة جعفر
لم تكن في اول ما قدم على النجاشي وانما اخبره بذلك بعد مدة قد وقع فيها
ما ذكر من فريضة الصلاة والصيام وبلغ ذلك جعفرا فقال يامر بالصلاة يعني يامر
امته وهو بعيد جدا واولى ما حمل عليه حديث ام سلمة هذا ان سلم من
قدح في اسناده ان المراد بقول جعفر يامر بالصلاة والزكاة والصيام اي في

الجملة لا يلزم

ولا يلزم من ذلك ان يكون المراد بالصلاة الصلوات الخمس ولا بالصيام صيام
شهر رمضان ولا بالزكاة هذه الزكاة المخصوصة ذات النصاب والحول و
الله اعلم ومما يدل على ان فرض الزكاة كان قبل التاسعة حديث انس في قصة
ضمام بن ثعلبة وقوله انشدك الله الله امرك ان تاخذ هذه الصدقة من
اغنيائنا فتقسمها على فقرائنا وكان قدوم ضمام سنة خمس وانما الذي وقع في
التاسعة بعث العمال لاخذ الصدقات وذلك يستدعي تقدم فريضة الزكاة
قبل ذلك ومما يدل على ان فرض الزكاة وقع بعد الهجرة اتفاقهم على ان صيام رمضان
انما فرض بعد الهجرة لان الاية الدالة على فرضيته مدنية بلا خلاف وثبت عند احمد
وابن خزيمة والنسائي وابن ماجة والحاكم من حديث قيس بن سعد بن عبادة
قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر قبل ان تنزل الزكاة ثم نزلت
فريضة فلم يامرنا ولم ينهنا ونحن نفعله اسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح
الا ابا عمار الراوي عن قيس عن سعد وقد وثقه احمد وابن معين وهو دال
على ان فرض صدقة الفطر كان قبل فرض الزكاة فيقتضي وقوعها بعد فرض
رمضان قاله الحافظ ابو الفضل ابن حجر رحمه الله وكان صلى الله عليه وسلم يقبل
الهدية ويثيب عليها رواه البخاري من حديث عائشة وكان اذا اتي بطعام سال
عنه اهدية ام صدقة فان قيل صدقة قال لاصحابه كلوا ولم ياكل وان قيل هدية
ضرب بيده واكل معهم رواه البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة وقال عليه
الصلاة والسلام لعائشة عندكم شي فقالت لا الا شي بعثت به الينا نسيبة من
الشاة التي بعثت اليها من الصدقة قال انها بلغت محلها رواه البخاري ومسلم
وقوله محلها بكسر الحا اي زال عنها حكم الصدقة وصارت حلالا لنا واتي بلحم تصدق
به على بريرة فقال هو عليها صدقة ولنا هدية رواه البخاري ومسلم وابو داود
والنسائي وفي حديث عائشة عند البخاري ومسلم دخل صلى الله عليه وسلم
وعلى النار برمة تفور فدعا بالغدا فاتي بخبز وادم من ادم البيت فقال الم ار
برمة على النار تفور قالوا بلى يا رسول الله لكنه لحم تصدق به على بريرة
واهدت الينا منه وانت لا تاكل الصدقة فقال هو صدقة عليها وهدية لنا

النوع الرابع في ذكر صيامه صلى الله عليه وسلم اعلم ان المقصود من الصيام امساك
النفس عن خسيس عاداتها وحبسها عن شهواتها وفطامها عن مالوفاتها
فهو لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الابرار والمقربين وهو لرب
العالمين من بين سائر اعمال العاملين كما قال الله تعالى في الحديث الالهي الذي
رواه مسلم كل عمل ابن ادم له الا الصيام فهو لي وانا اجزي به فاضافه تعالى اليه
اضافة تشريف وتكريم كما قال تعالى ناقة الله مع ان العالم كله له سبحانه

انه لم يعبد غيره به لم يعظم الكفار في عصر من الاعصار معبودا لهم بالصيام وان
كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود وغيرهما قال في شرح تقريب الاسانيد
يا اعترض بما يقع من عبادة النجوم واصحاب الهياكل والاستخدامات فانهم
يتعبدون لها بالصيام واجيب بانهم لا يعتقدون انها فعالة بانفسها وقيل لان
الصوم يبعد من الريا لخفايه بخلاف الصلاة والحج والغزو وغير ذلك من العبادات
الظاهرات قال في فتح الباري معنى النفي في قولهم لا ريا في الصوم انه لا يدخل
الريا بفعله وان كان قد يدخله الريا بالقول كمن يصوم ثم يخبر بانه صايم
فقد يدخل الريا من هذه الحيثية فدخول الريا في الصوم انما يقع من جهة
الاخبار بخلاف بقية الاعمال فان الريا يدخلها بمجرد فعلها انتهى وعن شداد
ابن اوس مرفوعا من صام يرائي فقد اشرك رواه البيهقي وقيل لانه ليس للصايم
ونفسه فيه حظ وقيل لان الاستغنا عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات
الرب تعالى فلما تقرب الصايم اليه بما يوافق صفاته اضافه اليه قال القرطبي
معناه ان اعمال العباد مناسبة لاحوالهم الا الصيام فانه مناسب لصفة من صفات
الحق كانه تعالى يقول ان الصايم يتقرب الي بامر هو متعلق بصفة من صفاتي
او لكون ذلك صفة من صفات الملايكة او لانه تعالى هو المنفرد بعلم مقدار
ثوابه وتضعيف حسناته بخلاف غيره من العبادات فقد اظهر سبحانه و
بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها ولذا قال في بقية الحديث وانا اجزي به وقد
علم بان الكريم اذا اخبر بانه يتولى بنفسه الجزا اقتضى ذلك سعة العطا وانما
جوزي الصايم هذا الجزا لانه ترك شهوته وطعامه وشرابه من اجل معبوده
والمراد بالشهوة في الحديث شهوة الجماع لعطفها على الطعام والشراب ويحتمل
ان يكون من العام بعد الخاص لكن وقع في رواية عند ابن خزيمة يدع لذته
من اجلي ويدع زوجته من اجلي واصرح منه ما روي من الطعام والشراب
والجماع من اجلي وللصلم تاثير عجيب في حفظ الاعضا الظاهرة وقوى الجوارح
الباطنة وحميتها عن التخليط الجالب للمواد الفاسدة واستفراغ المواد الرديه
المانعة لهمن صحتها فهو من اكبر العون على التقوى كما اشار اليه تعالى
كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وقال عليه الصلاة
والسلام كما في البخاري الصوم جنة وهي بضم الجيم الوقاية والستر اي ستر
من النار وبه جزم ابن عبد البر وفي النهاية انه يقي صاحبه ما يؤذيه من
الشهوات وقال القاضي عياض من الاثام وقد اتفقوا على ان المراد بالصيام
هنا صيام من سلم صيامه من المعاصي قولا وفعلا واختلف هل الصوم افضل
ام الصلاة فقيل الصوم افضل الاعمال البدنية لحديث النسائي عن ابي امامة

قال

قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني بامر اخذه عنك قال
عليك بالصوم فانه لا عدل له والمشهور تفضيل الصلاة وهو مذهب الشافعي
وغيره لقوله عليه الصلاة والسلام واعلموا ان خير اعمالكم الصلاة رواه ابو داود وغيره
ثم ان الكلام في صيامه صلى الله عليه وسلم على قسمين القسم الاول في صيامه صلى الله عليه
وسلم شهر رمضان وفيه فصول الاول فيما كان صلى الله عليه وسلم يخص به رمضان في العبادات
وتضاعف جوده عليه الصلاة والسلام فيه اعلم ان رمضان مشتق من الرمض وهو
شدة الحر لان العرب لما اراد وان يضعوا اسما الشهور وافق ان الشهر المذكور شديد
الحر فسموه بذلك كما سمي الربيعين لموافقتهما زمن الربيع او لانه يرمض الذنوب اي يحرقها
وهو ضعيف لان التسمية به ثابتة قبل الشرع ورمضان افضل الاشهر كما حكاه الاسنوي
عن قواعد الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال النووي وقولهم انه من اسما الله تعالى ليس
بصحيح وانه كان قد جا فيه اثر ضعيف واسما الله تعالى توقيفية لا تثبت الا بدليل صحيح
انتهى وقد اختلف السلف هل فرض صيام قبل رمضان او لا فالجمهور وهو المشهور عند
الشافعية انه لم يجب قط صوم قبل صوم رمضان وفيه وجه وهو قول الحنفية
اول ما فرض عاشورا فلما نزل رمضان نسخ وسياتي ادلة الفريقين في الكلام على صوم
عاشورا ان شا الله تعالى وقد كان فرض رمضان في السنة الثانية من الهجرة كما تقدم
فتوفي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضانات ولما كان شهر
رمضان موسم الخيرات ومنبع الجود والبركات لان نعم الله تعالى فيه تزيد على غيره من
الشهور كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر فيه من العبادات وانواع
القربات الجامعة لوجوه السعادات من الصدقة والاحسان والصلاة والذكر
والاعتكاف ويخص به من العبادات بما لا يخص به غيره من الشهور وكان جوده صلى
الله عليه وسلم يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور كما ان جود ربه تعالى يتضاعف
فيه ايضا فان الله تعالى جبله على ما يحبه من الاخلاق الكريمة وفي حديث ابن عباس
عند الشيخين قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس واجود ما يكون في رمضان
حتى يلقاه جبريل فيدارسه القران فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل
اجود بالخير من الريح المرسلة فمجموع ما ذكر في هذا الحديث من الوقت وهو شهر رمضان
والمنزول وهو القران والنازل به وهو جبريل والمذاكرة وهي مدارسة القران حصل
له عليه الصلاة والسلام المزيد في الجود والمرسلة المطلقة يعني انه في الاسراع بالجود
اسرع من الريح وعبر بالمرسلة اشارة الى دوام هبوبها بالرحمة والى عموم النفع
بجوده صلى الله عليه وسلم كما يعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه ووقع عند الامام
احمد في اخر هذا الحديث لا يسال شيا الا اعطاه وتقدم في ذكر سخايه صلى الله عليه وسلم
عليه مزيد لذلك وقد كان ابتدا نزول القران في شهر رمضان وكذا نزوله الى سما

٤٣١

عف

Copyright King Saud University

الدنيا جملة واحدة كان في رمضان كما ثبت في حديث ابن عباس فكان جبريل عليه الصلاة
والسلام يتعاهده صلى الله عليه وسلم في كل سنة فيعارضه بما نزل عليه من رمضان
فلما كان العام الذي توفي فيه صلى الله عليه وسلم عارضه به مرتين كما في الصحيح عن
فاطمة رضي الله عنها قال في فتح الباري وفي معارضة جبريل النبي صلى الله عليه وسلم
بالقران في شهر رمضان حكمتان احداهما تعاهده والاخرى تبقية ما لم ينسخ منه
ورفع ما نسخ فكان رمضان ظرفا لانزاله جملة وتفصيلا وعرضا واحكاما وفي المسند عن
واثلة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت صحف ابراهيم في اول
ليلة من شهر رمضان وانزل الانجيل لثلاث عشرة من شهر رمضان وانزل التوراة
لست من رمضان وانزل القران لاربع وعشرين خلت من رمضان وقد دل الحديث
على استحباب مدارسة القران في رمضان والاجتماع عليه وعرض القران على من
هو احفظ منه وفي حديث ان المدارسة بينه صلى الله عليه وسلم وبين جبريل
كانت ليلا وهو يدل على استحباب الاكثار من تلاوة القران في رمضان ليلا لان
الليل ينقطع فيه الشواغل ويجتمع فيه الهم ويتواطؤ فيه القلب واللسان
على التدبر وقد كان صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان كما اخرجه
الامام احمد والنسائي عن ابي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر
اصحابه بقدوم رمضان يقول قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك كتب الله
عليكم صيامه تفتح فيه ابواب السما وتغلق فيه ابواب الجحيم وتغل فيه
الشياطين فيه ليلة خير من الف شهر من حرم خيرها فقد حرم قال بعض العلما
هذا الحديث اصل في تهنية الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان وروي انه صلى
الله عليه وسلم كان يدعوا ببلوغ رمضان فكان اذا دخل شهر رجب وشعبان
وبلغنا رمضان رواه الطبراني وغيره من حديث انس وكان عليه الصلاة والسلام
اذا راى هلال رمضان قال هلال رشد وخير هلال رشد وخير امنت بالذي خلقك
رواه النسائي من حديث انس وروي انه عليه الصلاة والسلام كان يقول اذا دخل
شهر رمضان اللهم سلمني من رمضان وسلم رمضان لي وسلمه مني اي سلمني منه حتى
لا يصيبني فيه ما يحول بيني وبين صومه من مرض او غيره وسلمه لي حتى لا يغم
هلاله علي في اوله او اخره فيلتبس علي الصوم والفطر وسلمه مني اي تعصمني من
المعاصي فيه وهذا منه عليه الصلاة والسلام تشريع لامته **الفصل الثاني في**
صيامه عليه الصلاة والسلام برؤية الهلال عن عايشة كان صلى الله عليه وسلم يتحفظ من
شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم لروية رمضان فان غم عليه عد
ثلاثين يوما ثم صام رواه ابو داود **وقال** صلى الله عليه وسلم اذا رايتموه فصوموا
واذا رايتموه فافطروا فان غم عليكم فاقدروا له رواه مسلم قوله فان غم عليكم

اي

اي حال بينكم وبينه غيم فاقدروا له من التقدير اي قدروا له تمام العدد ثلاثين
يوما **ويؤيده** قوله في الرواية السابقة فان غم عليه صلى الله عليه وسلم عد ثلاثين
وهو مفسر لاقدروا له ولهذا لم يجتمعا في رواية ويؤيده رواية فاقدروا له ثلاثين
قال المازري حمل جمهور الفقها قوله عليه الصلاة والسلام اقدروا له على ان
المراد اكمال العدة ثلاثين كما فسره في حديث اخر قالوا ولا يجوز ان يكون المراد
حساب المنجمين لان الناس لو كلفوا به لضاق عليهم لانه لا يعرفه الا افراد والشرع
انما يعرف الناس بما يعرفه جماهيرهم انتهى وهذا مذهبنا ومذهب مالك وابي حنيفة
وجمهور السلف والخلف وفيه دليل لانه لا يجوز صوم يوم الشك ولا يوم الثلاثين
من شعبان عن رمضان اذا كانت ليلة الثلاثين ليلة غيم **وقال** الامام احمد بن حنبل
في طايفة اقدروا له تحت السحاب فيجوزون صوم ليلة الغيم عن رمضان
بل قال احمد بوجوبه وقال ابن سريج وجماعة منهم مطرف بن عبد الله وابن
قتيبة واخرون معناه اقدروه بحسب المنازل **الفصل الثالث في صومه صلى**
الله عليه وسلم بشهادة العدل الواحد عن ابن عمر قال تراءى الناس الهلال فاخبرت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رايته فصام وامر الناس بصيامه رواه ابو داود
٤٣٧ وصححه ابن حبان **وعن** ابن عباس قال جا اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني رايت هلال رمضان فقال اتشهد ان لا اله الا الله قال نعم قال اتشهد
ان محمدا رسول الله قال نعم قال يا بلال اذن في الناس فليصوموا رواه ابو داود
والترمذي والنسائي والمراد في قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق
اذا رايتموه روية بعض المسلمين ولا يشترط روية كل انسان بل يكفي جميع الناس
روية عدل على الاصح في مذهبنا وهذا في الصوم واما الفطر فلا يجوز بشهادة
عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلما الا ابا ثور فجوزه بعدل قال
الاسنوي اذا قلنا بالواحد في الصوم فلا خلاف انه لا يتعدى الى غيره فلا يقع به
الطلاق والعتق المعلقين بدخول رمضان ولا يحل به الدين المؤجل ولا يتم
به حول الزكاة كذا اطلقه الرافعي هنا نقلا عن البغوي واقره وتبعه عليه
في الروضة وصورته فيما اذا سبق التعليق على الشهادة فان سبقت الشهادة
اولا وحكم الحاكم بدخول رمضان ثم جرى التعليق فان الطلاق والعتق يقعان
كذا نقله القاضي حسين في تعليقه عن ابن سريج وقال الرافعي في الباب الثاني
من كتاب الشهادات انه القياس انتهى **الفصل الرابع فيما كان يفعله صلى الله** بلغ
عليه وسلم وهو صايم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم
وهو صايم رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي واعلم ان الجمهور على
عدم الفطر بالحجامة مطلقا **وعن علي وعطا** والاوزاعي واحمد واسحق وابي ثور

Copyright King Saud University

يفطر الحاجم والمحجوم فاوجبوا عليهما القضا وشذ عطا فاوجب الكفارة ايضا وقال
بقول احمد من الشافعية ابن خزيمة وابن المنذر وابن حبان ونقل الترمذي
عن الزعفراني ان الشافعي علق القول به على صحة الحديث قال الترمذي كان
الشافعي يقول ذلك ببغداد واما بمصر فمال الى الرخصة انتهى وقال
الشافعي في اختلاف الحديث بعد ان اخرج حديث شداد كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في زمان الفتح فراى رجلا يحتجم لثمان عشرة خلت من رمضان
فقال وهو آخذ بيدي افطر الحاجم والمحجوم ثم ساق حديث ابن عباس انه
صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صايم قال وحديث ابن عباس امثلهما اسنادا فان
توقى احد الحجامة كان احب الي والقياس مع حديث ابن عباس والذي احفظ
عن الصحابة والتابعين وعامة اهل العلم انه لا يفطر احد بالحجامة واول
بعضهم حديث افطر الحاجم والمحجوم ان المراد به انهما سيفطران كقوله تعالى
اني اراني اعصر خمرا اي ما يؤول اليه ولا يخفى بعد هذا التاويل وقال البغوي
في شرح السنة معناه ان تعرضا للافطار اما الحاجم فلانه لا يامن من وصول شي من
الدم الى جوفه عند مصه واما المحجوم فلانه لا يامن من ضعف قوته بخروج
الدم فيؤول امره الى ان يفطر وقيل معنى افطر فعلا مكروها وهو الحجامة
فصارا كانهما غير متلبسين بالعبادة وقال ابن حزم صح حديث افطر الحاجم
والمحجوم بلا ريب لكن وجدنا من حديث ابي سعيد ارخص النبي صلى الله عليه وسلم
في الحجامة للصايم واسناده صحيح فوجب الاخذ به لان الرخصة انما تكون بعد العزيمة
فدل على نسخ الفطر بالحجامة سوا كان حاجما او محجوما انتهى والحديث المذكور
اخرجه النسايي وابن خزيمة والدارقطني ورجاله ثقات ولكن اختلف في رفعه
ووقفه وله شاهد من حديث انس عند الدارقطني ولفظه اول ما كرهت
الحجامة للصايم ان جعفر بن ابي طالب احتجم وهو صايم فمر به رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال افطر هذان ثم ارخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
في الحجامة للصايم وكان انس يحتجم وهو صايم وكلهم من رجال البخاري الا ان
المتن ما ينكر لان فيه ان ذلك كان في الفتح وجعفر كان قتل قبل ذلك ومن احسن
ما ورد في ذلك ما رواه عبد الرزاق وابو داود عن عبد الرحمن بن ابي ليلى
عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نهى النبي صلى الله
عليه وسلم عن الحجامة للصايم وعن المواصلة ولم يحرمهما ابقا على اصحابه
واسناده صحيح والجهالة بالصحابي لا تضر ورواه ابن ابي شيبة عن وكيع عن
الثوري بلفظ عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا انما نهى النبي صلى
الله عليه وسلم عن الحجامة للصايم وكرهها للضعف اي لئلا يضعف انتهى

ملخصا

ملخصا من فتح الباري والله اعلم وقالت عايشة كان صلى الله عليه وسلم يقبل بعض ازوا حبه
وهو صايم ثم ضحكت رواه البخاري ومسلم وابو داود قالت وكان املككم لاربه
اي لحاجته يعني انه كان غالبا لهواه قال ابن الاثير اكثر المحدثين يروونه بفتح
الهمزة والرا يعنون به الحاجة وبعضهم يروونه بكسر الهمزة وسكون الرا
وله تاويلان احدهما انه الحاجة يقال فيها الارب والإرب والاربة والمأربة والثاني
اردت به العضو وعنت به من الاعضا الذكر خاصة انتهى ومذهب الشافعي
والاصحاب ان القبلة ليست محرمة على من لم تحرك شهوته لكن الاولى تركها واما
من حركت شهوته فهو حرام في حقه على الاصح عن اصحابنا وقوله فضحكت قيل
يحتمل ضحكها التعجب ممن خالف في هذا وقيل تعجب من نفسها اذ حدثت بمثل
هذا مما يستحيى من ذكر النسا مثله للرجال ولكنها الجاتها الضرورة في تبليغ
العلم الى ذكر ذلك وقد يكون خجلا لاخبارها عن نفسها بذلك او تنبيها على انها
صاحبة القصة ليكون ذلك ابلغ في الثقة بها او سرورا بمكانها من النبي
صلى الله عليه وسلم ومحبته لها وروى ابن ابي شيبة عن شريك عن هشام
في هذا الحديث فضحكت فظننا انها هي وروى النسايي عنها قالت اهوى
الى النبي صلى الله عليه وسلم ليقبلني اني صايمة فقال وانا صايم فقبلني وقد
روى ابو داود عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها ويمص
لسانها يعني وهو صايم واسناده ضعيف ولو صح فهو محمول على انه لم يبتلع
ريقه الذي خالط ريقها وكان عليه الصلاة والسلام يكتحل بالاثمد وهو صايم
رواه البيهقي من رواية محمد ابن عبد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده
ثم قال ان محمدا هذا ليس بالقوي ونقه الحاكم واخرج له في مستدركه وقالت
ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصبح جنبا من جماع لا حلم ثم لا يفطر ولا يقضي
رواه البخاري ومسلم وقال القرطبي في هذا فايدتان احداهما انه كان يجامع
في رمضان ويوخر الغسل الى بعد طلوع الفجر بيانا للجواز الثانية ان ذلك
كان من جماع لا من احتلام لانه كان لا يحتلم اذ الاحتلام من الشيطان وهو معصوم
منه وقال غيره في قولها من غير احتلام اشارة الى جواز الاحتلام عليه
والا لما كان للاستثنا معنى ورد بان الاحتلام يطلق على الانزال وقد يقع
الانزال بغير روية شي في المنام واردت بالتقييد بالجماع المبالغة في الرد
على من زعم ان فاعل ذلك عمدا مفطر انتهى وقال عامر بن ربيعة رايته
صلى الله عليه وسلم يتسوك وهو صايم ما لا اعد ولا احصي رواه ابو داود
والترمذي الفصل الخامس في وقت افطاره عليه الصلاة والسلام عن عبد الله
ابن ابي اوفى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في شهر رمضان

فقلت

ش الشيطان وهو معصوم منه واجيب بان الاحتلام ...

فلما غابت الشمس قال يا بلال انزل فاجدح لنا قال يا رسول الله ان عليك نهارا قال انزل فاجدح لنا قال فنزل فجدح فاتي به فشرب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال بيده اذا غابت الشمس من هاهنا وجا الليل من هاهنا فقد افطر الصايم رواه البخاري ومسلم والجدح بجيم ثم حا مهملة خلط الشي بغيره والمراد خلط السويق بالما وتحريكه حتى يستوي ومعنى الحديث انه صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا صياما فلما غربت الشمس امره عليه الصلاة والسلام بالجدح ليفطر وافراى المخاطب اثار الضيا والحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس وظن ان الفطر لا يحصل الا بعد ذهاب ذلك واحتمل عنده انه صلى الله عليه وسلم لم يرها فاراد تذكيره واعلامه بذلك **ويويد** هذا قوله ان عليك نهارا التوهمه ان ذلك الضو من النهار الذي يجب صومه ومعنى قوله في الرواية الاخرى لو امسيت وتكريره المراجعة لغلبة اعتقاده على ان ذلك نهار يحرم الاكل فيه مع تجويزه انه عليه الصلاة والسلام لم ينظر الى ذلك الضو نظرا تاما فقصد زيادة الاعلام ببقا الضو والله اعلم قاله النووي

الفصل السادس فيما كان صلى الله عليه وسلم يفطر عليه عن انس كان صلى الله عليه وسلم يفطر قبل ان يصلي على رطبات فان لم يجد رطبا فتمرات فان لم يجد تمرات حسا حسوات من ما رواه ابو داود **وانما** يخص عليه الصلاة والسلام الفطر بما ذكر لان اعطا الطبيعة الشي الحلو مع خلو المعدة ادعى الى قبوله وانتفاع القوى به لا سيما قوة البصر واما الما فان الكبد يحصل لها بالصوم نوع يبس فاذا رطب بالما كمل انتفاعها بالغذا بعده ولهذا كان الاولى بالظمان الجايع ان يبدا بشرب قليل من الما ثم ياكل بعده قاله ابن القيم

الفصل السابع فيما كان يقوله صلى الله عليه وسلم عند الافطار عن معاذ بن زهرة بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا افطر قال اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت وهو حديث مرسل ومعاذ هذا ذكره البخاري في التابعين لكن قال معاذ ابو زهرة وتبعه ابن ابي حاتم وابن حبان في الثقات وذكره يحيى بن يونس الشيرازي في الصحابة وغلطه جعفر المستغفري قال الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يكون الحديث موصولا ولو كان معاذ تابعيا لاحتمال ان يكون الذي بلغه له صحابيا قال وبهذا الاعتبار اورده ابو داود في السنن وبالاعتبار الاخر اورده في المراسيل **وخرج** ابن السني والطبراني في المعجم الكبير بسند واهي جدا عن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا افطر قال اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت فتقبل مني انك انت السميع العليم **وعن** ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم اذا افطر قال ذهب الظما وابتلت العروق وثبت الاجر ان شا الله رواه ابو داود زاد رزين

الحمد لله

الحمد لله الذي اعانني فصمت ورزقني فافطرت **الفصل الثامن في وصاله صلى الله عليه وسلم** عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الوصال قالوا انك تواصل قال اني لست كهيئتكم اني اطعم واسقى رواه البخاري ومسلم وللبخاري انه صلى الله عليه وسلم واصل فواصل الناس فشق عليهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يواصلوا قالوا انك تواصل قال لست كهيئتكم اني اظل اطعم واسقى **وفي** رواية انس واصل صلى الله عليه وسلم في اخر شهر رمضان فواصل ناس من المسلمين فبلغه ذلك فقال لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم انكم لستم مثلي او قال لست مثلكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني **وفي** رواية لا تواصلوا قالوا انك تواصل قال لست كاحد منكم اني اطعم واسقى رواه البخاري ومسلم والمتعمقون هم المتشددون في الامر المتجاوزون الحدود في قول او فعل **وفي** رواية سعيد بن منصور وابن ابي شيبة من مرسل الحسن اني ابيت يطعمني ربي ويسقين **وعن** عايشة قالت نهاهم صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم فقالوا انك تواصل فقال اني لست كهيئتكم اني يطعمني ربي ويسقيني رواه البخاري ومسلم الا ان البخاري قال نهى ولم يقل نهاهم **وعن** ابي هريرة قال نهى صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم فلما ابوا ان ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم يوما ثم راوا الهلال فقال لو تاخر لزدتكم كالتنكيل لهم حين ابوا ابوا ان ينتهوا رواه البخاري **والوصال** هو عبارة عن صوم يومين فصاعدا من غير اكل وشرب بينهما **قال** شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر وقد اختلف في معنى قوله يطعمني ربي ويسقيني فقيل هو على حقيقته وانه صلى الله عليه وسلم كان يوتى بطعام وشراب من عند الله كرامة له في ليالي صيامه **وتعقب** بانه لو كان كذلك لم يكن مواصلا وبان قوله اظل يدل على وقوع ذلك بالنهار فلو كان الاكل والشراب حقيقة لم يكن صايما **واجيب** بان الراجح من الروايات لفظ ابيت دون اظل وعلى تقدير ثبوتها فهي محمولة على مطلق الكون لا على حقيقة اللفظ لان المتحدث عنه هو الامساك ليلا لا نهارا واكثر الروايات انما هو ابيت فكان بعض الرواة عبر عنها باظل نظرا الى اشتراكهما في مطلق الكون يقولون كثيرا اضحى فلان كذا ولا يريدون تخصيص ذلك بوقت الصبح ومنه قوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا فان المراد به مطلق الوقت ولا اختصاص لذلك بنهار دون ليل وليس حمل الطعام والشراب على المجاز باولى من حمل لفظ اظل على المجاز وعلى التنزل فلا يضر شي من ذلك لان ما يوتى به الرسول على سبيل الكرامة من طعام الجنة وشرابها لا يجري عليه احكام المكلفين فيه كما غسل صدره الشريف من طست الذهب مع ان استعمال اواني الذهب الدنيوية محرمة **وقال** ابن المنير

أبو

٤٣٤

Copyright [illegible] University

الذي يفطر شرعا انما هو الطعام المعتاد واما الخارق للعادة كالمحضر من الجنة فعلى غير
هذا المعنى وليس تعاطيه من جنس الاعمال وانما هو من جنس الثواب كاكل اهل
الجنة في الجنة والكرامة لا تبطل العادة وقال غيره لا مانع من حمل الطعام والشراب
على حقيقتهما واكله وشربه في الليل لا يقطع وصاله خصوصية له بذلك فكانه
قال لما قيل له انك تواصل قال اني لست في ذلك كهيئتكم اي على صفتكم في ان من
اكل منكم او شرب انقطع وصاله بل انما يطعمني ربي ويسقيني ولا ينقطع بذلك
مواصلتي فطعامي وشرابي على غير طعامكم وشرابكم صورة ومعنى وقال الجمهور
هو مجاز عن لازم الطعام والشراب وهو القوة فكانه قال يعطيني قوة الاكل
والشارب ويفيض على ما يسد مسد الطعام والشراب ويقوي على انواع
الطاعة من غير ضعف في القوة او المعنى ان الله يخلق فيه من الشبع والري ما يغنيه
عن الطعام والشراب ولا يحس بجوع ولا عطش والفرق بينه وبين الاول انه
على الاول يعطى القوة من غير شبع بل مع الجوع والظما وعلى الثاني يعطى القوة مع
الشبع والري ورجح الاول بان الثاني ينافي حال الصائم وتفوت المقصود من
الصوم والوصال لان الجوع هو روح هذه العبادة بخصوصها قال القرطبي
ويبعده ايضا النظر الى حاله عليه الصلاة والسلام فانه كان يجوع اكثر مما يشبع
ويربط على بطنه الحجر انتهى ويحتمل كما قاله ابن القيم في الهدي وابن رجب في
اللطايف ان يكون المراد به ما يغذيه الله به من معارفه وما يفيض على قلبه
من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه وتنعمه بحبه والشوق اليه وتوابع
ذلك من الاحوال التي هي غذاء القلوب ونعيم الارواح وقوة العين وبهجة
النفوس فللروح والقلب بها اعظم غذا واجله وانفعه وقد يغني هذا الغذا
عن غذا الاجسام مدة من الزمان كما قيل

لها احاديث من ذكراك تشغلها ... عن الشراب وتلهيها عن الزاد
اذا اشتكت من كلال السير اوعدها ... روح القدوم فتحيا عند ميعاد

ومن له ادنى تجربة وشوق يعلم استغنا الجسم بغذا القلب والروح عن كثير
من الغذا الحيواني ولا سيما الفرحان الظافر بمطلوبه الذي قرت عينه
بمحبوبه وتنعم بقربه والرضى عنه والطاف محبوبه مكرم له غاية الاكرام
مع الحب التام افليس هذا من اعظم غذا لهذا المحب فكيف بالحبيب الذي لا شي
اعظم منه ولا اجل ولا اجمل ولا اكمل ولا اعظم احسانا افليس هذا المحب عند
حبيبه يطعمه ويسقيه ليلا ونهارا ولهذا قال اني اظل عند ربي يطعمني
ويسقيني انتهى وحكى النووي في شرح المهذب كما قاله في شرح تقريب
الاسانيد ان معناه ان محبته تشغلني عن الطعام والشراب قال والحب

البالغ

البالغ يشغل عنهما انتهى فان قلت لم اتى باسم الرب دون اسم الذات المقدسة في قوله
يطعمني ربي دون ان يقول يطعمني الله اجيب لان التجلي باسم الربوبية اقرب
الى العباد من الالهية لانه على عظمة لا طاقة للبشر بها وتجلي الربوبية اقرب الى العباد
من الالهية لانه تجلي عظمة لا طاقة للبشر بها وتجلي الربوبية تجلي رحمة وشفقة
وقد اختلف الناس في الوصال لنا هل هو جايز ام محرم ام مكروه فقالت طايفة
انه جايز ان قدر عليه وهذا يروى عن عبد الله بن الزبير وغيره من السلف
وكان ابن الزبير يواصل الايام وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح انه كان يواصل
خمسة عشر يوما وذكر معه من الصحابة ايضا اخت ابي سعيد ومن التابعين
عبد الرحمن ابن ابي نعم وعامر بن عبد الله بن الزبير وابراهيم بن يزيد التيمي
وابا الجوزا كما نقله ابو نعيم في الحلية ومن حجتهم انه عليه الصلاة والسلام
واصل باصحابه بعد النهي فلو كان النهي للتحريم لما اقرهم على فعله فعلم انما اراد
بالنهي الرحمة لهم والتخفيف عنهم كما صرحت به عايشة في حديثها فمن لم يشق
عليه ولم يقصد موافقة اهل الكتاب ولا رغب عن السنة وتعجيل الفطر
لم يمنع من الوصال ومن ادلة الجواز ايضا اقدام الصحابة عليه بعد النهي
فدل على انهم فهموا ان النهي للتنزيه لا للتحريم والا لما اقدموا عليه وقال الاكثرون لا يجوز
الوصال وبه قال مالك وابو حنيفة ونص الشافعي واصحابه على كراهته ولهم في
هذه الكراهة وجهان اصحهما انها كراهة تحريم والثاني انها للتنزيه واختار ابن وهب
واحمد ابن حنبل واسحق جواز الوصال الى السحر لحديث ابي سعيد عند البخاري
عنه صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا فايكم اراد ان يواصل فليواصل الى السحر
وهذا الوصال لا يترتب عليه شي مما يترتب على غيره لانه في الحقيقة بمنزلة
عشايه الا انه يوخره لان الصايم له في اليوم والليلة اكلة فاذا اكلها في السحر كان
قد نقلها من اول الليل الى اخره وكان اخف لجسمه في قيام الليل ولا يخفى ان محل ذلك
ما لم يشق على الصايم والا فلا يكون قربة وقد صرح في الحديث بان الوصال من خصايصه
صلى الله عليه وسلم فقال اني لست كهيئتكم وفي الصحيحين من حديث عمر
ابن الخطاب قال صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وغربت الشمس
فقد افطر الصايم قالوا فجعله مفطرا حكما بدخول وقت الفطر وان لم يفطر
وذلك يحيل الوصال شرعا واحتج الجمهور للتحريم بعموم النهي في قوله صلى الله عليه وسلم
لا تواصلوا واجابوا عن قوله رحمة بانه لا يمنع ذلك كونه منهيا عنه للتحريم وسبب
تحريمه الشفقة عليهم لئلا يتكلفوا ما يشق عليهم واما الوصال بهم يوما ثم يوما فاحتمل
للمصلحة في تاكيد زجرهم وبيان الحكمة في نهيهم والمفسدة المترتبة على الوصال
وهي الملل من العبادة والتعرض للتقصير في بعض وظايف الدين من اتمام الصلاة

٤٣٥

Copyright King Saud University

بخشوعها واذكارها وسائر الوظائف المشروعة في نهاره وليله ولجابوا ايضا بقوله
عليه الصلاة والسلام اذا اقبل الليل من هاهنا وادبر النهار من هاهنا فقد افطر الصايم
اذ لم يجعل الليل محلا سوى الفطر فالصوم فيه مخالف لوضعه وروى الطبراني
في الاوسط من حديث ابي ذر ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد قبل
وصالك ولا يحل لاحد بعدك ولكن اسناده ليس بصحيح ولا حجة فيه الفصل
التاسع في سحوره صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة عن رجل من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر فقال انها بركة
اعطاكم الله اياها فلا تدعوه رواه النساي وعن العرباض بن سارية قال دعاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السحور في رمضان قال هلم الى الغدا المبارك
رواه ابو داود والنساي وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ٣
عند السحور يا انس اني اريد الصيام فاطعمني شيا فاتيته بتمر وانا فيه ما
وذلك بعد ما اذن بلال قال يا انس انظر رجلا ياكل معي فدعوت زيد بن
ثابت فجا فقال اني اربت شربة سويق وانا اريد الصيام فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانا اريد الصيام فتسحر معه فقال فصلى ركعتين ثم قام خرج الى
الصلاة رواه النساي وعن ذر بن حبيش قلنا لحذيفة اي ساعة تسحرت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو النهار الا ان الشمس لم تطلع رواه النساي
ايضا وعن زيد بن ثابت قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا
الى الصلاة قال انس بن مالك قلت كم كان قدر ما بينهما قال قدر خمسين اية
متوسطة لا طويلة ولا قصيرة قال ابن ابي جمرة كان صلى الله عليه وسلم
ينظر ما هو الارفق بامته فيفعله لانه لو لم يتسحر لا تبعوه فشق على بعضهم
ولو تسحر في جوف الليل لشق ايضا على بعضهم ممن يغلب عليه النوم فقد يفضي
الى ترك الصبح او يحتاج الى المجاهدة بالسهر وقال القرطبي فيه دلالة على
ان الفراغ من السحور كان قبل طلوع الفجر فهو معارض لقول حذيفة
هو النهار الا ان الشمس لم تطلع انتهى واجاب في فتح الباري بان لا معارضة
بل يحمل على اختلاف الحال فليس في رواية واحد منهما ما يشعر بالمواظبة الفصل
العاشر في افطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان في السفر وصومه عن جابر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح الى مكة في رمضان فصام حتى بلغ
كراع الغميم وصام الناس ثم دعا بقدح من ما فرفعه حتى نظر الناس ثم شرب
فقيل له بعد ذلك ان بعض الناس قد صام فقال اولئك العصاة اولئك
العصاة زاد في رواية فقيل له ان الناس قد شق عليهم الصيام وانما ينظرون
فيما فعلت فدعا بقدح بعد العصر رواه مسلم وعن ابن عباس قال سافرنا

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بانا
من ما فشرب نهارا ليراه الناس وافطر حتى قدم مكة وكان ابن عباس يقول صام رسول
الله صلى الله عليه في السفر وافطر فمن شا صام ومن شا افطر رواه البخاري ومسلم
ولمسلم ان ابن عباس كان لا يعيب على من صام ولا على من افطر فقد صام رسول الله صلى الله
عليه وسلم في السفر وافطر قال النووي رحمه الله اختلف العلما في صوم رمضان
في السفر والفطر فقال بعض العلما اهل الظاهر لا يصح صوم رمضان في السفر
فان صامه لم ينعقد ويجب قضاوه لظاهر الاية والحديث ليس من البر الصيام في السفر
وفي الحديث الاخر اولئك العصاة وقال جماهير العلما وجميع اهل الفتوى يجوز صومه
في السفر وينعقد ويجزيه واختلفوا في ان الصوم افضل ام الفطر ام هما سوا فقال
مالك وابو حنيفة والشافعي والاكثرون الصوم افضل لمن اطاقه بلا مشقة
ظاهرة ولا ضرر فان تضرر به فالفطر افضل واحتجوا بصومه صلى الله عليه وسلم
ولانه يحصل به براة الذمة في الحال وقال سعيد بن المسيب والاوزاعي واحمد
واسحق وغيرهم الفطر افضل مطلقا وحكاه بعض اصحابنا قولا للشافعي وهو غريب
واحتجوا بما سبق لاهل الظاهر وبقوله صلى الله عليه وسلم هي رخصة من الله فمن
اخذ بها فحسن ومن احب ان يصوم فلا جناح عليه وظاهره ترجيح الفطر واجاب
الاكثرون بان هذا كله فيمن يخاف ضررا او يجد مشقة كما هو صريح في الاحاديث
واعتمدوا حديث ابي سعيد الخدري قال كنا نغزو مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في رمضان فمنا الصايم ومنا المفطر ولا يجد الصايم على المفطر ولا المفطر
على الصايم يرون ان من وجد قوة فصام فان ذلك حسن ويرون ان من ضعف
فافطر فان ذلك حسن وهذا صريح في ترجيح مذهب الاكثرين وهو تفضيل
الصوم لمن اطاقه بلا ضرر ولا مشقة ظاهرة وقال بعض العلما الفطر والصوم
سوا لتعادل الاحاديث والصحيح قول الاكثرين والله اعلم القسم الثاني في صومه صلى
الله عليه وسلم غير شهر رمضان وفيه فصول الفصل الاول في سرده عليه
الصلاة والسلام صوم ايام من الشهر وفطره اياما عن اسامة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يسرد الصوم فيقال لا يفطر ويفطر فيقال لا يصوم رواه
النساي وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر من الشهر حتى نظن
انه لا يصوم منه ثم يصوم حتى نظن انه لا يفطر منه شيا وكان لا تشا ان تراه من
الليل مصليا الا رايته ولا نايما الا رايته وفي رواية ما كنت احب ان اراه من الشهر
صايما الا رايته ولا مفطرا الا رايته ولا من الليل قايما الا رايته ولا نايما الا رايته
رواه البخاري ولمسلم كان يصوم حتى يقال قد صام ويفطر حتى يقال افطر افطر
وعن ابن عباس قال ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا غير رمضان
وكان يصوم حتى يقول القايل لا والله لا يفطر ويفطر حتى يقول القايل

لا والله لا يصوم رواه البخاري ومسلم والنسائي وزاد ماصام شهرا متتابعا غير
رمضان منذ قدم المدينة ففي هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يصم الدهر ولا قام
الليل كله وكانه ترك ذلك لئلا يقتدي به فيشق على الامة وان كان قد اعطي
من القوة مالو التزم ذلك لاقتدر عليه لكنه سلك من العبادة الطريقة الوسطى
فصام وافطر وقام ونام **الفصل الثاني في صومه صلى الله عليه وسلم عاشورا** وهو
بالمد على المشهور واختلف في تعيينه فعن الحكم بن الاعرج قال انتهيت الى ابن عباس
وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت له اخبرني عن صوم عاشورا فقال
اذا رايت هلال المحرم فاعدد واصبح يوم التاسع صايما قلت هكذا كان محمد
صلى الله عليه وسلم يصومه قال نعم رواه مسلم قال النووي هذا تصريح من
ابن عباس بان مذهبه ان عاشورا هو اليوم التاسع من المحرم ويتاوله على انه
ماخوذ من اظماء الابل فان العرب تسمي اليوم الخامس من ايام الورد ربعا وكذا باقي
الايام على هذه النسبة فيكون التاسع عشرا انتهى لكن قال ابن المنير قوله اذا
اصبحت من تاسعه فاصبح يشعر بانه اراد العاشر لانه لا يصبح صايما بعد ان
اصبح صايما تاسعه الا اذا نوى الصوم من الليلة المقبلة وهي الليلة العاشرة
انتهى وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف الى ان عاشورا هو اليوم العاشر من
المحرم وممن قال ذلك سعيد ابن المسيب والحسن البصري ومالك واحمد واسحق وخلايق
وهذا ظاهر الاحاديث ومقتضى اللفظ واما تقدير اخذه من الاظماء فبعيد ثم ان
حديث ابن عباس يرد عليه يعني قوله ان النبي صلى الله عليه وسلم صام يوم عاشورا
فقالوا انه يا رسول الله يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال صلى الله عليه وسلم
فاذا كان العام المقبل ان شا الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يات العام المقبل حتى توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا تصريح بان الذي كان يصومه ليس هو التاسع
فتعين كونه العاشر قاله النووي وقال القرطبي عاشورا معدول عن عاشرة للمبالغة
والتعظيم وهو في الاصل صفة الليلة العاشرة لانه ماخوذ من العشر الذي هو اسم
للعقد واليوم يضاف اليها فاذا قيل يوم عاشورا فكانه قال يوم الليلة العاشرة الا انهم
لما عدلوا به عن الصفة غلبت عليه الاسمية فاستغنوا عن الموصوف فحذفوا
الليلة وعلى هذا فيوم عاشورا هو العاشر وهذا قول الخليل وغيره وقال ابن
المنير الاكثر على ان عاشورا هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم وهو مقتضى الاشتقاق
والتسمية وقال ابن القيم من تامل مجموع روايات ابن عباس تبين له زوال الاشكال
وتبعه عليه ابن عباس فانه لم يجعل يوم عاشورا اليوم التاسع بل قال للسائل
صم اليوم التاسع واكتفى بمعرفة السائل ان يوم عاشورا هو اليوم العاشر الذي
يعده الناس يوم عاشورا فارشد السائل الى صيام التاسع معه واخبر ان رسول الله

صلى

ربعا

ومن

قوله يعني لا حاجه له فتامل

ووسعة علم

صلى الله عليه وسلم كان يصوم كذلك فاما ان يكون فعل ذلك وهو الاولى واما ان يكون
حمل فعله على الامر به وعزمه عليه في المستقبل وهو الذي روى امرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بصيام يوم عاشورا يوم العاشر وكل هذه الاثار عنه يصدق بعضها
بعضا انتهى فليتامل وعن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة كان يوم عاشورا
تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في
الجاهلية فلما قدم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشورا
فمن شا صامه ومن شا تركه رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود والترمذي
واستفيد من هذه الرواية تعيين الوقت الذي وقع الامر فيه بصيام عاشورا
وهو اول قدومه المدينة ولا شك ان قدومه عليه الصلاة والسلام كان في ربيع
الاول فحينيذ كان الامر بذلك في اول السنة الثانية وفي السنة الثانية فرض
شهر رمضان فعلى هذا لم يقع الامر بصوم عاشورا الا في سنة واحدة ثم فوض الامر
في صومه الى راي المتطوع فعلى تقدير صحة قول من يدعي انه كان قد فرض
فقد نسخ فرضه بهذه الاحاديث الصحيحة واما صيام قريش لعاشورا فلعلهم
تلقوه من الشرع السالف ولذا كانوا يعظمونه بكسوة الكعبة فيه وروي عن عكرمة
انه سيل عن ذلك فقال اذنبت قريش ذنبا في الجاهلية فعظم في صدورهم فقيل
لهم صوموا عاشورا يكفر ذلك قاله في فتح الباري وعن ابن عمر ان الجاهلية كانوا
يصومون يوم عاشورا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان عاشورا
يوم من ايام الله فمن شا صامه رواه البخاري ومسلم وابو داود وفي رواية وكان
عبد الله لا يصومه الا ان يوافق صومه وعن سلمة بن الاكوع بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا من اسلم يوم عاشورا فامره ان يوذن في الناس من كان لم يصم فليصم
ومن كان اكل فليتم صيامه الى الليل رواه مسلم قال النووي اختلفوا في حكم صوم
عاشورا في اول الاسلام حين شرع صومه قبل صوم رمضان فقال ابو حنيفة
كان واجبا واختلف اصحاب الشافعي فيه على وجهين اشهرهما عندهم انه لم يزل
سنة من حين شرع ولم يكن واجبا قط في هذه الامة ولكنه كان متاكد الاستحباب
فلما نزل صوم رمضان صار مستحبا دون ذلك الاستحباب والثاني كان واجبا كقول
ابي حنيفة وتظهر فايدة الخلاف في اشتراط نية الصوم الواجب من الليل فابو
حنيفة لا يشترطها ويقول كان الناس مفطرين اول يوم عاشورا ثم امروا بصيامه
بنية من النهار ولم يامروا بقضايه بعد صومه واصحاب الشافعي يقولون
كان مستحبا فصح بنية من النهار ويتمسك ابو حنيفة بقوله امر بصيامه والامر
للوجوب وبقوله فلما فرض شهر رمضان قال من شا صامه ومن شا تركه ويحتج
الشافعية بقوله هذا يوم عاشورا ولم يكتب الله عليكم صيامه والشافعية

اهل ٤٣٧

Copyright King Saud University

يقولون ايضا معني قوله في حديث ام سلمة فامره ان يوذن في الناس من كان لم يصم
فليصم الي اخره ان من كان نوي الصوم فليتم صومه ومن كان لم ينو الصوم ولم
ياكل او اكل فليمسك بقية يومه لحرمة اليوم واحتج ابو حنيفة بهذا الحديث
لمذهبه ان صوم الفرض تجب نيته في النهار ولا يشترط تبييتها قال لانهم
نووا في النهار واجزاهم واجاب الجمهور عن هذا الحديث بان المراد امساك
بقية النهار لا حقيقة الصوم والدليل على هذا انهم اكلوا ثم امروا بالاتمام وقد
وافق ابو حنيفة وغيره على ان شرط اجزاء النية في النهار في الفرض والنفل
ان لا يتقدمها مفسد للصوم من اكل وغيره انتهى وقال الحافظ شيخ الاسلام
ابو الفضل بن حجر يوخذ من مجموع الاحاديث انه كان واجبا لثبوت الامر بصومه
ثم تاكيد الامر بذلك ثم زيادة التاكيد بالنداء العام ثم زيادته بامر من اكل بالامساك
ثم زيادته بامر الامهات ان لا يرضعن فيه الاطفال وبقول ابن مسعود الثابت
في مسلم لما فرض رمضان ترك عاشورا مع العلم بانه ما ترك استحبابه بل هو
باق فدل على ان المتروك وجوبه واما قول بعضهم المتروك تاكد استحبابه
والباقي مطلق استحبابه فلا يخفى ضعفه بل تاكد استحبابه باق ولا سيما مع استمرار
الاهتمام به حتى في عام وفاته صلى الله عليه وسلم حيث قال لئن عشت لاصومن
التاسع والعاشر ولترغيبه في صومه وانه يكفر السنة فاي تاكيد ابلغ من هذا
انتهى وعن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فراي
اليهود تصوم عاشورا فقال ما هذا قالوا يوم صالح نجا الله فيه موسى وبني
اسرائيل من عدوهم فصامه فقال انا احق بموسى منكم فصامه وامر بصيامه
وفي رواية فقال لهم ما هذا اليوم الذي تصومونه قالوا هذا يوم عظيم
نجا الله فيه موسى واغرق فيه فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن
نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق واولى بموسى منكم
فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر بصيامه وفي اخرى نحن نصومه
تعظيما له رواه البخاري ومسلم وابو داود وقد اجاب صاحب زاد المعاد وغيره
عما استشكله بعضهم في هذا الحديث وقال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما قدم المدينة في شهر ربيع الاول فكيف يقول ابن عباس انه قدم
المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشورا وبانه ليس في الحديث ان يوم
قدومه وجدهم يصومونه فانه انما قدم يوم الاثنين في ربيع الاول
ثاني عشره ولكن اول علمه بذلك وقوع القصة في اليوم الذي كان بعد قدومه
المدينة لم يكن وهو بمكة وقال في الفتح غايته ان في الكلام حذفا تقديره
قدم عليه الصلاة والسلام المدينة فاقام الي يوم عاشورا فوجد اليهود

فيه

فيه صياما ويحتمل ان اوليك اليهود كانوا يحسبون يوم عاشورا بحسابهم اليوم
الذي قدم فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وهذا التاويل مما يترجح به اولوية
المسلمين واحقيتهم بموسى لاجلالهم اليوم المذكور وهداية المسلمين له ولكن سياق
الحديث يدفع هذا التاويل والاعتماد على التاويل الاول انتهى وقد استشكل
ايضا رجوعه عليه الصلاة والسلام الي خبر اليهود وهو غير مقبول واجاب
المازري بانه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم اوحي اليه بصدقهم فيما قالوه او
تواتر عنده النقل بذلك حتى حصل له العلم بذلك قال القاضي عياض
زاد المازري قد روي مسلم ان قريشا كانت تصومه فلما قدم المدينة
صامه فلم يحدث له بقول حكم يحتاج الي الكلام عليه وانما هي صفة حال وجواب
سوال فقوله صامه ليس فيه ابتداء صومه حينئذ ولو كان هذا لحملناه على
انه اخبر به من اسلم من علمائهم كابن سلام وغيره قال وقد قال بعضهم يحتمل
انه صلى الله عليه وسلم كان يصومه بمكة ثم ترك صيامه حتى علم ما عند اهل
الكتاب منه فصامه قال وما ذكرناه اولى بلفظ الحديث قال النووي ه
المختار قول المازري ومختصر ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يصومه
كما يصومه قريش في مكة ثم قدم المدينة فوجد اليهود يصومونه
فصامه ايضا بوحي او تواتر او اجتهاد لا بمجرد اخبار احادهم انتهى وقال
القرطبي لعل قريشا كانوا يستندون في صومه الي شرع من مضى كابراهيم
وصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون بحكم الموافقة لهم كما
في الحج واذن الله له في صيامه على انه فعل خير فلما هاجر ووجد اليهود يصومونه
وسالهم وصامه وامر بصيامه احتمل ان يكون استيلافا لليهود كما استالفهم
باستقبال قبلتهم ويحتمل غير ذلك وعلى كل حال فلم يصمه اقتداء بهم فانه كان
يصومه قبل ذلك وكان ذلك في الوقت الذي يحب فيه موافقة اهل الكتاب
فيما لم ينه عنه ولا سيما اذا كان فيه ما يخالف اهل الاوثان فلما فتحت
مكة واشتهر اهل الاسلام احب مخالفة اهل الكتاب ايضا كما في حديث ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشورا وامر بصيا مه
قالوا يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود والنصاري فقال صلى الله عليه
وسلم فاذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم ياتي العام
المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لئن بقيت
الي قابل لاصومن التاسع رواه مسلم وهذا دليل الشافعي واصحابه واحمد
واسحق القائلين باستحباب صوم التاسع والعاشر جميعا لانه صلى الله
عليه وسلم صام العاشر ونوي صوم التاسع قال النووي قال بعض العلما

امر

Copyright ... University

ولعل السبب في صوم التاسع مع العاشر ان لا يتشبه باليهود في افراد العاشر
الحديث اشارة الى هذا وقيل للاحتياط في تحصيل عاشورا والاول اولى انتهى وفي رواية
البزار من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم عاشورا
صوموه وخالفوا اليهود صوموا قبله يوما وبعده يوما ولاحمد نحوه فمن
مراتب صومه ثلاثة ان يصام وحده واكملها ان يصام يوما قبله ويوما بعده
ويلي ذلك ان يصام التاسع والعاشر وعليه اكثر الاحاديث وقال بعضهم قد ظهر
ان القصد مخالفة اهل الكتاب في هذه العبادة وذلك يحصل باحد امرين اما بنقل
العاشر الى التاسع واما بصيامهما معا والله اعلم وفي البخاري من حديث ابي موسى
قال كان يوم عاشورا تعده اليهود عيدا قال النبي صلى الله عليه وسلم صوموه
انتم وهذا ظاهره ان الباعث على الامر بصومه محبة مخالفة اليهود حتى يصام
ما يفطرون فيه لان يوم العيد لا يصام وحديث ابن عباس يدل على ان الباعث
على صيامه موافقتهم على السبب وهو شكر الله تعالى على نجاة موسى لكن
لا يلزم من تعظيمهم له واعتقادهم بانه عيد انهم كانوا يصومونه وقد ورد
ذلك صريحا في حديث مسلم كان اهل خيبر يصومونه وقد ورد ذلك صريحا في
حديث مسلم كان اهل خيبر يصومونه يوم عاشورا يتخذونه عيدا ويلبسون
نساءهم فيه حليهم وشارتهم وهو بالشين المعجمة اي هيئتهم الحسنة وتحصل ما ورد
في صيامه صلى الله عليه وسلم عاشورا اربعة احوال احدها انه كان يصومه
بمكة ولا يامر الناس بصيامه كما تقدم في حديث عايشة عند الشيخين وغيرهما
كان عاشورا يوما يصومه قريش في الجاهلية وكان صلى الله عليه وسلم يصومه
فلما قدم المدينة وراى صيام اهل الكتاب له وصامه الحديث الثانية انه صلى
الله عليه وسلم لما قدم المدينة وراى صيام اهل الكتاب له وتعظيمهم له وكان
يحب موافقتهم فيما لم يومر به صامه وامر الناس بصيامه واكد الامر بصيامه
والحث عليه حتى كانوا يصومونه اطفالهم كما تقدم في حديث ابن عباس
عند الشيخين الثالثة انه لما فرض صيام شهر رمضان ترك صيامه صلى
الله عليه وسلم وقال ان عاشورا يوم من ايام الله فمن شا صامه ومن شا تركه
ويشهد له حديث عايشة السابق الحالة الرابعة انه صلى الله عليه وسلم عزم
في اخر عمره انه لا يصومه مفردا بل يضم اليه يوما اخر مخالفة لاهل الكتاب
في صيامه كما قدمناه وقد روى مسلم من حديث ابي قتادة مرفوعا ان صوم
عاشورا يكفر سنة وان صيام يوم عرفة يكفر سنتين وظاهره ان صيام
يوم عرفة افضل من صيام يوم عاشورا وقد قيل الحكمة في ذلك ان يوم
عاشورا منسوب الى موسى ويوم عرفة منسوب الى النبي صلى الله عليه

فلعله من جملة تعظيمهم في شريعتهم انهم يصومونه

وسلم

وسلم فلذلك كان افضل والله اعلم واما ما روي من وسع على عياله في يوم
عاشورا وسع الله عليه السنة كلها رواه الطبراني والبيهقي في الشعب
وفي فضايل الاوقات وابو الشيخ عن ابن مسعود والاولان فقط عن ابي سعيد
والثاني فقط في الشعب عن جابر وابي هريرة وقال ان اسانيده كلها ضعيفة
ولكن اذا ضم بعضها الى بعض افاد قوة بل قال العراقي في اماليه لحديث
ابي هريرة طرق صحح بعضها ابن ناصر الحافظ واورده ابن الجوزي في
الموضوعات من طريق سليمان ابن ابي عبد الله عنه وقال سليمان مجهول
وسليمان ذكره ابن حبان في الثقات والحديث حسن على رايه قاله وله طرق
عن جابر على شرط مسلم اخرجها ابن عبد البر في الاستذكار من رواية ابي الزبير
عنه وهي اصح طرقه ورواه هو والدارقطني بسند جيد عن عمر موقوفا عليه
والبيهقي في الشعب من جهة محمد بن المنتشر قال كان يقال وذكره الفصل
الثالث في صيامه صلى الله عليه وسلم شعبان عن عايشة رضي الله عنها ما رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان وما رايته في
شهر اكثر منه صياما في شعبان رواه البخاري ومسلم وفي اخرى لهما لم يكن
يصوم شهرا اكثر من شعبان فانه كان يصومه كله وفي رواية الترمذي
كان يصومه الا قليلا بل كان يصومه الا قليلا كله وفي رواية ابي داود وكان
احب الشهور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصومه شعبان ثم
يصله برمضان وللنسائي كان يصوم شعبان او عامة شعبان وفي اخرى لها
كان يصوم شعبان الا قليلا وفي اخرى لها ايضا كان يصوم شعبان كله قال
الحافظ ابن حجر اي يصوم معظمه ونقل الترمذي عن ابن المبارك انه قال
جايز في كلام العرب اذا صام اكثر الشهر كله ويقال قام فلان ليلته اجمع ولعله
قد تعشى واشتغل ببعض امره قال الترمذي كان ابن المبارك جمع بين
الحديثين بذلك وحاصله ان الرواية الاولى مفسرة للثانية ومخصصة
لها وان المراد بالكل الاكثر وهو مجاز قليل الاستعمال واستبعده الطيبي قال
يحمل على انه كان يصوم شعبان كله تارة ويصوم معظمه اخرى لئلا يتوهم
انه واجب كله كرمضان وقال ابن المنير اما ان يحمل قول عايشة على المبالغة
والمراد الاكثر واما ان يجمع بان قولها الثاني متاخر عن قولها الاول فاخبرت عن
اول امره انه كان يصوم اكثر شعبان واخبرت ثانيا عن اخر امره انه كان
يصومه كله انتهى ولا يخفى تكلفه والاول هو الصواب واختلف في الكيفية في اثار صلى
الله عليه وسلم من صوم شعبان فقيل كان يشتغل عن صيام الثلاثة ايام
من كل شهر لسفر او غيره فيجتمع فيقضيها في شعبان اشار الى ذلك ابن

٤٢٩

وفي حديث ضعيف اخرجه الطبراني في الاوسط من طريق ابن ابي ليلى عن اخيه
عيسى عن ابيه عن عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة ايام
من كل شهر فربما اخر ذلك حتى يجتمع عليه صوم السنة فيصوم شعبان وابن
ابي ليلى ضعيف وقيل كان يضع الحديث وقيل كان يصنع ذلك لتعظيم رمضان
وورد فيه حديث اخرجه الترمذي من طريق صدقة بن موسى عن ثابت
عن انس قال سيل النبي صلى الله عليه وسلم اي الصوم افضل بعد رمضان قال
شعبان لتعظيم رمضان قال الترمذي حديث غريب وصدقة عندهم ليس
بذاك القوي لكن يعارضه ما روى مسلم من حديث ابي هريرة مرفوعا افضل
الصوم بعد رمضان صوم المحرم والاولى في ذلك ما جا في حديث اصح مما روي
اخرجه النساي وابو داود واخرجه ابن خزيمة عن اسامة بن زيد قال
قلت يا رسول الله لم ارك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم شعبان قال ذاك
شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر يرفع فيه الاعمال
الى رب العالمين فاحب ان يرفع عملي وانا صايم فبين صلى الله عليه وسلم وجه
صيامه لشعبان دون غيره من الشهور بقوله انه شهر يغفل الناس عنه
بين رجب ورمضان يشير الى انه لما اكتنفه شهران عظيمان الشهر الحرام وشهر
الصيام اشتغل الناس بهما فصار مغفولا عنه وكثير من الناس يظن ان صيام
رجب افضل من صيامه لانه شهر حرام وليس كذلك وفي احيا الوقت المغفول
عنه بالطاعة فوايد منها ان يكون اخفا واخفا النوافل واسرارها افضل
لا سيما الصيام فانه سر بين العبد وربه ومنها انه اشق على النفوس لان النفوس
تتاسى بما تشاهد من احوال بني الجنس فاذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم
سهلت الطاعات واذا كثرت الغفلات واهلها تاسى بهم عموم الناس فيشق
على النفوس المستيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدي بهم وقد روي في صيامه
صلى الله عليه وسلم شعبان معنى اخر وهو انه تنسخ فيه الاجال فروي باسناد
فيه ضعف عن عايشة قالت كان اكثر صيام النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان
فقلت يا رسول الله اري اكثر صيامك في شعبان قال ان هذا الشهر يكتب
فيه لملك الموت من يقبض فانا احب ان لا ينسخ اسمي الا وانا صايم وقد روي
مرسلا وقيل انه اصح وقد قيل في صوم شعبان معنى اخر وهو ان صيامه
كالتمرين على صيام رمضان ليلا يدخل في صيامه على مشقة وكلفة بل
يكون قد تمرن على الصيام واعتاده ووجد بصيام شعبان قبل رمضان
حلاوة الصوم ولذته فيدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط واعلم انه
لا تعارض بين هذا وبين النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم او يومين

وكذا

وكذا ما جا في النهي عن صوم نصف شعبان الثاني فان الجمع بينهما ظاهر بان
يحمل النهي على من لم يدخل تلك الايام في صيام اعتاده واجاب النووي عن كونه
عليه الصلاة والسلام لم يكثر الصوم في المحرم مع قوله ان افضل الصيام ما يقع
فيه بانه يحتمل ان يكون ما علم ذلك الا في اخر عمره ولم يتمكن من كثرة الصوم
في المحرم او اتفق له فيه من الاعذار كالسفر ما منعه من كثرة الصوم في المحرم واما
شهر رجب بخصوصه وقد قال بعض الشافعية انه افضل من ساير الشهور
وضعفه النووي وغيره فلم يعلم انه صح انه صلى الله عليه وسلم انه صامه بل
روي عنه من حديث ابن عباس ما صحح وقفه انه نهى عن صيامه ذكر ابن
ماجة في سنن ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الى الصوم
من الاشهر الحرم ورجب احدها في حديث مجيبة الباهلية عن ابيها وعمها انه
صلى الله عليه وسلم قال له صم من المحرم واترك قالها ثلاثا وفي رواية مسلم عن
عثمان بن حكيم الانصاري قال سالت سعيد بن جبير عن صوم رجب ونحن
يوميذ في رجب فقال سمعت ابن عباس يقول كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصوم حتى يقول لا يفطر ويفطر حتى يقول لا يصوم والظاهر ان
مراد سعيد بهذا الاستدلال على انه لا نهي عنه ولا ندب فيه بعينه بل له
حكم باقي الشهور وفي اللطايف روي عن الكتاني ثنا تمام الرازي ثنا القاضي
يوسف ثنا محمد بن اسحق السراج حدثنا يوسف بن موسى ثنا حجاج بن منهال
ثنا حماد بن سلمة ثنا حبيب المعلم عن عطا ان عروة قال لعبد الله بن عمر هل
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم في رجب قال نعم ويشرفه قالها ثلاثا
اخرجه ابو داود وغيره وعن ابي قلابة قال ان في الجنة قصرا لصوام رجب
قال البيهقي ابو قلابة من كبار التابعين لا يقوله الا عن بلاغ والله اعلم الفصل
الرابع في صومه صلى الله عليه وسلم عشر ذي الحجة والمراد بها الايام التسعة
من اول ذي الحجة عن هنيدة بن خالد عن امراته عن بعض ازواج النبي صلى
الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي
الحجة رواه ابو داود وعن عايشة قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
صايما في العشر قط رواه مسلم والترمذي وهذا يوهم كراهة صوم العشر
وليس فيها كراهة بل هي مستحبة استحبابا شديدا لا سيما يوم التاسع منها
وهو يوم عرفة وقد ثبت في صحيح البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال ما من
ايام العمل الصالح فيها افضل منه في هذه يعني العشر الاول من الحجة واستدل
به على فضل الصيام عشر ذي الحجة لاندراج الصوم في العمل واستشكل
بتحريم الصوم يوم العيد واجيب بانه محمول على الغالب والله اعلم ويتناول

قولها يعني عايشة لم يصم العشر انه لم يصمه لعارض من مرض او سفر او غيرهما
او انه لم تره صايما فيه ولا يلزم من ذلك عدم صيامه في نفس الامر ويدل عليه
حديث هنيدة بن خالد الذي ذكرته قال الحافظ ابن حجر وقد وقع في رواية
القاسم بن ابي ايوب ما من عمل ازكى عند الله ولا اعظم اجرا من خير يعمله في عشر
الاضحى وفي حديث جابر في صحيحي ابي عونة وابن حبان ما من ايام افضل عند الله
من ايام عشر ذي الحجة فقد ثبتت الفضيلة لايام عشر الحجة على غيرها من
ايام ~~افضل عند الله~~ السنة ويظهر فايدة ذلك فيمن نذر الصيام او علق عملا
من الاعمال بافضل الايام فلو افرد يوما منها تعين يوم عرفة لانه على الصحيح
افضل ايام العشر المذكور فان اراد افضل ايام الاسبوع تعين يوم الجمعة جمعا
بين الحديث السابق وبين حديث ابي هريرة مرفوعا خير يوم طلعت عليه
الشمس يوم الجمعة رواه مسلم اشار الى ذلك كله النووي في شرحه وقال
الداودي لم يرد عنه عليه الصلاة والسلام ان هذه الايام خير من يوم الجمعة
يعني فلزم تفضيل الشي على نفسه وتعقب بان المراد كل يوم من ايام العشر
افضل من غيره من ايام السنة سوا كان يوم الجمعة ام لا ويوم الجمعة فيه فضل
من يوم الجمعة في غيره لاجتماع الفضلين فيه والذي يظهر ان السبب في
امتياز عشر ذي الحجة امكان اجتماع امهات العبادة فيه وهي الصلاة والصيام
والصدقة والحج ولا يتاتى ذلك في غيرها وعلى هذا هل يختص الفضل بالحاج او
يعم المقيم فيه احتمال انتهى وقال ابو امامة بن النقاش فان قلت ايما افضل عشر ذي
الحجة او العشر الاواخر من رمضان فالجواب ان ايام عشر ذي الحجة افضل لاشتمالها على
اليوم الذي ما روي الشيطان في يوم غير يوم بدر ادحر ولا اغيظ ولا احقر منه
وهو يوم عرفة ولكونه يكفر صيام سنتين ولاشتماله على اعظم الايام عند الله
حرمة وهو يوم النحر الذي سماه الله تعالى يوم الحج الاكبر وليالي عشر رمضان افضل
لاشتمالها على ليلة هي خير من الف شهر ومن تامل هذا الجواب وجده كافيا شافيا
اشار اليها الفاضل المفضل في قوله ما من ايام العمل فيهن احب الى الله من عشر ذي
الحجة الحديث فتامل قوله ما من ايام دون ان يقول ما من عشر ونحوه ومن اجاب
بغير هذا التفضيل لم يدل بحجة صحيحة صريحة فقط الفصل الخامس في صومه
صلى الله عليه وسلم عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرى صيام يوم
الاثنين والخميس رواه الترمذي والنسائي وعن ابي قتادة قال سيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه انزل علي
رواه مسلم وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال تعرض الاعمال على الله
تعالى يوم الاثنين والخميس فاحب ان يعرض عملي وانا صايم رواه الترمذي وعن

بلغ

اسامة

اسامة بن زيد قلت يا رسول الله انك تصوم حتى لا تكاد تفطر وتفطر حتى لا تكاد تصوم
الا يومين ان دخلا في صيامك والا صمتهما قال اي يومين قلت يوم الاثنين والخميس
قال ذانك يومان تعرض فيهما الاعمال على رب العالمين فاحب ان يعرض عملي وانا
صايم رواه النسائي وروى عن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ما يلفظ من
قول الا لديه رقيب عتيد قال تكتب كلما تكلم به من خير وشر حتى انه ليكتب
قوله اكلت وشربت وذهبت وجيت ورايت حتى اذا كان يوم الخميس عرض
قوله وعمله فاقر منه ما كان فيه من خير وشر والقى سايره وهذا عرض خاص
في هذين اليومين غير العرض العام كل يوم فان ذلك عرض خاص دايم بكرة وعشيا
ويدل على ذلك ما في صحيح مسلم عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض
ويرفع يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل الحديث وعن ام سلمة
كان صلى الله عليه وسلم يصوم في كل شهر ثلاثة ايام الاثنين والخميس من هذه الجمعة
والاثنين من المقبلة وفي لفظ اول اثنين من الشهر ثم الخميس الذي يليه رواه
النسائي وعن عايشة كان يصوم من الشهر السبت والاحد ومن الشهر الاخر
الثلاثا والاربعا والخميس رواه الترمذي وعن كريب مولى ابن عباس قال ارسلني
ابن عباس وناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ام سلمة اسالها اي
الايام كان النبي صلى الله عليه وسلم اكثرها صياما قالت السبت والاحد ويقول
انهما عيدا المشركين وانا احب ان اخالفهم رواه احمد والنسائي وفيه محمد بن
عمر ولا يعرف حاله ويرويه عنه ابنه عبد الله بن محمد بن عمر ولا يعرف
حاله ايضا وعن عبد الله بن بسر عن اخته الصما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم فان لم يجد احدكم الا لحا عنبة
او عود شجرة فليمضغه رواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجة والدارمي
قال بعضهم لا تعارض بينه وبين حديث ام سلمة فان النهي عن صومه انما
هو عن افراده وعلى ذلك ترجم ابو داود فقال باب النهي ان يخص يوم السبت
بالصوم وحديث صيامه انما هو مع يوم الاحد قالوا ونظيره هذا انه نهي عن
افراد يوم الجمعة بالصوم الا ان يصوم قبله او يوما بعده قال النووي واما قول مالك
في الموطا لم اسمع احدا من اهل العلم والفقه ومن يقتدي به ينهى عن صيامه
يوم الجمعة وصيامه حسن فقد رايت بعض اهل العلم يصومه واراه كان
يتحراه فهذا الذي قاله هو الذي راه وقد راى غيره خلاف ما راى هو والسنة
مقدمة على ما راه هو وغيره وقد ثبت النهي عن صومه يوم الجمعة فتعين
القول به ومالك معذور فانه لم يبلغه قال الداودي من اصحاب مالك لم

٤٤١

يبلغ مالك هذا الحديث ولو بلغه لم يخالفه قالوا واستحباب الفطر يوم الجمعة لكونه
اعون له على وظايف العبادات المشروعة في الجمعة وادابها بنشاط وانشراح لها والتذاذ
بها من غير ملل ولا سامة كالحاج بعرفة فان قلت لو كان كذلك لم يزل النهي والكراهة
بصوم يوم عرفة قبله او بعده لبقا المعنى والجواب انه يحصل له بفضيلة
الصوم الذي قبله او بعده ما يجبر ما قد يحصل من فتور او تقصير في وظايف يوم
الجمعة بسبب صومه والله اعلم

الفصل السادس في صومه صلى الله عليه وسلم الايام البيض وهي التي يكون فيها القمر من اول الليل الى اخره

وهي
ثلاثة عشر واربع عشرة وخمس عشرة وليس في الشهر يوم ابيض كله الا هذه
الايام لان ليلها ابيض ونهارها ابيض فيصح قول من قال الايام البيض على الوصف
واليوم الكامل هو النهار بليلته وفيه رد لقول الجواليقي من قال الايام البيض
على الوصف واليوم الكامل بليلته فجعل الوصف صفة الايام فقد اخطا والله اعلم
عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر ايام البيض في
حضر ولا سفر رواه النسايي وعن حفصة اربع لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
يدعهن صيام عاشورا والعشر وايام البيض من كل شهر وركعتي الفجر رواه احمد
وعن معاذة العدوية انها سالت عايشة اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من
كل شهر ثلاثة ايام قالت نعم فقلت لها من اي ايام الشهر كان يصوم قالت لم يكن
يبالي من اي ايام الشهر يصوم رواه مسلم قال بعضهم لعله صلى الله عليه وسلم لم يواظب
على ثلاثة معينة لئلا يظن تعيينها قال وقد جعل الله تعالى صيام هذه الثلاثة
ايام من الشهر بمنزلة صيام الدهر لان الحسنة بعشر امثالها وقد روى اصحاب
السنن وصححه ابن خزيمة من حديث ابن مسعود كان النبي صلى الله عليه وسلم
يصوم ثلاثة ايام من غرة كل شهر وقد تحصل ان صيامه صلى الله عليه وسلم
في الشهر على وجه الاول انه كان يصوم اول اثنين من الشهر ثم الخميس الذي
يليه رواه النسايي والثاني كان يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين
ومن الشهر الاخر الثلاثا والاربعا والخميس رواه الترمذي الثالث ايام البيض
ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر الرابع انه كان يصوم ثلاثة غير
معينة كما رويته معاذة عن عايشة عند مسلم الخامس انه كان يصوم ثلاثة
من اول الشهر واختاره جماعة منهم الحسن وهو ما رواه اصحاب السنن من
حديث ابن مسعود قال القاضي عياض واختار النخعي ثلاثة ايام من اخر
الشهر لتكون كفارة لما مضى واختار اخرون اول يوم من الشهر والعاشر
والعشرين وقيل انه صام مالك بن انس وقال ابن شعبان من المالكية اول
يوم من الشهر والحادي عشر والحادي والعشرين ونقل ذلك عن ابي الدردا

وهو

وهو موافق لما رواه النسايي من حديث عبد الله بن عمرو صم من كل عشرة ايام يوما
وحكى الاسنوي عن الماوردي انه يستحب ايضا صوم الايام السود وهي التاسع السابع
والعشرون والثلاثون واليومان بعده ويترجح البيض لكونها وسط الشهر ووسط الشي
اعدله ولان الكسوف غالبا يقع فيها وقد ورد الامر بمزيد العبادة اذا وقع فاذا
اتفق الكسوف صادف الذي يعتاد صيام البيض صايما فيتهيا له ان يجمع بين
انواع العبادات من الصيام والصلاة والصدقة بخلاف من لم يصمها فانه
لا يتهيا له استدراك صيامها ورجح بعضهم صيام الثلاثة في اول الشهر لان المرء
لا يدري ما يعرض له من الموانع والله اعلم

النوع الخامس في ذكر اعتكافه صلى الله عليه وسلم واجتهاده في العشر الاخير من رمضان وتحريه ليلة القدر

اعلم ان
الاعتكاف في اللغة الحبس والمكث واللزوم وفي الشرع المكث في المسجد من شخص
مخصوص بصفة مخصوصة ومقصوده وروحه عكوف القلب على الله
وجمعيته عليه والفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه فيصير انسه بالله
بدلا عن انسه بالخلق ليكون ذلك انسه يوم الوحشة في القبر حين لا انيس له
وليس بواجب اجماعا الا على من نذره وكذا من شرع فيه فقطعه عامدا عند قوم
واختلف في اشتراط الصوم له ومذهب الشافعي انه ليس بشرط لصحة الاعتكاف
بل يصح اعتكاف المفطر وقال مالك وابو حنيفة والاكثرون يشترط الصوم
فلا يصح اعتكاف المفطر واحتج الشافعي باعتكافه صلى الله عليه وسلم في العشر ٤٤٤
الاول من شوال رواه البخاري ومسلم وبحديث عمر انه قال يا رسول الله اني
نذرت ان اعتكف ليلة في الجاهلية فقال اوف بنذرك رواه البخاري ومسلم والليل
ليس محلا للصوم فدل على انه ليس بشرط لصحة الاعتكاف واتفق العلما على
مشروطية المسجد للاعتكاف الا محمد بن عمر بن لبابة المالكي فاجازه في كل مكان
واجاز الحنفية للمراة ان تعتكف في مسجد بيتها وهو المكان المعد للصلاة فيه
وفيه قول قديم للشافعي وذهب ابو حنيفة واحمد الى اختصاصه بالمسجد
التي تقام فيه الصلوات وخصه ابو يوسف بالواجب منه واما النفل ففي كل
مسجد وقال الجمهور بعمومه في كل مسجد الا لمن تلزمه الجمعة فاستحب له
الشافعي في الجامع وشرطه مالك لان الاعتكاف عنده ينقطع بالجمعة ويجب
بالشروع عند مالك وخصه طايفة من السلف كالزهري بالجامع مطلقا
واوما اليه الشافعي وخصه ابن اليماني بالمساجد الثلاثة وعطا بمسجدي مكة والمدينة
وابن المسيب بمسجد المدينة واتفقوا على لا حد لاكثره واختلفوا في اقله فمن
شرط فيه الصيام قال اقله يوم ومنهم من قال يصح مع شرط الصيام في دون
اليوم حكاه ابن قدامة وعن مالك يشترط عشرة ايام وعنه يوم او يومان

Copyright © King Saud University

ومن لم يشترط الصوم قالوا اقله ما ينطلق عليه اسم لبث ولا يشترط القعود واتفقوا
علي نسائه بالجماع وقد كان سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم يعتكف العشر
الاواخر من رمضان رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة وعن ابي هريرة كان
رسول الله صلي الله عليه وسلم يعتكف كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام
الذي قبض فيه رواه البخاري وعن ابي سعيد الخدري انه صلي الله عليه وسلم
اعتكف العشر الاول من رمضان ثم اعتكف العشر الاوسط في قبة تركية ثم اطلع
راسه فقال اني اعتكفت العشر الاولي التمس هذه الليلة يعني ليلة القدر ثم
اعتكفت العشر الاوسط ثم اتيت فقيل لي انها في العشر الاواخر فمن اعتكف
معي فليعتكف العشر الاواخر فقد رايت هذه الليلة ثم انسيتها وقد رايتني اسجد
في ما وطين من صبيحتها فالتمسوها في العشر الاواخر والتمسوها في كل وتر قال
فمطرت السما تلك الليلة وكان المسجد علي عريش فوكف المسجد فبصرت عيناي
رسول الله صلي الله عليه وسلم وعلي جبهته اثر الما والطين من صبيحة احدي
وعشرين رواه الشيخان وفي حديث عبادة بن الصامت انه صلي الله عليه وسلم
خرج يخبر بليلة القدر فتلاحا فلان وفلان فرفعت وعسي ان يكون خيرا لكم فالتمسو
في التاسعة والسابعة والخامسة رواه البخاري ولمسلم من حديث عبد الله
ابن انيس انه صلي الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني
في صبيحتها اسجد في ما وطين قال فمطرت ليلة ثلاث وعشرين فصلي بنا وان
اثر الما والطين في جبهته وانفه وفي سنن ابي داود عن ابن مسعود مرفوعا
اطلبوها ليلة سبع عشرة وخرج الطبراني مرفوعا من حديث ابي هريرة
التمسوا ليلة القدر في ليلة سبع عشرة او تسع عشرة او احدي وعشرين
او ثلاث وعشرين او خمس وعشرين او سبع وعشرين او تسع وعشرين
وقد اختلف العلما في ليلة القدر اختلافا كثيرا وافردها بعضهم بالتاليف وقد
جمع الحافظ ابو الفضل بن حجر من كلام العلما في ذلك اكثر من اربعين قولا كساعة
الجمعة ومذهب الشافعي انحصارها في العشر الاخير كما نص عليه الشافعي
فيما حكاه عنه الاسنوي وعن المحاملي انها تلتمس في جميع الشهر وتبعه عليه
الشيخ ابو اسحق في التنبيه فقال وتطلب ليلة القدر في جميع شهر رمضان ثم
الغزالي في كتبه وتردد صاحب التقريب في جواز كونها في النصف الاخير كذا نقله
عنه الامام وضعفه وحكاه ابن الملقن في شرح العمدة وفي المفهم للقرطبي حكاية
قول انها ليلة النصف من شعبان ودليل الاول حديث ابي سعيد الذي قدمناه
وميل الشافعي انها ليلة الحادي والعشرين او الثالث والعشرين اما الحادي
والعشرين فلقوله عليه الصلاة والسلام في حديث ابي سعيد فقد رايت هذه

الليلة

الليلة وقد رايتني اسجد في ما وطين من صبيحتها فبصرت عيناي رسول الله صلي
الله عليه وسلم وعلي جبهته اثر الما والطين من صبيحة احدي وعشرين واما
الثالث والعشرون فلحديث عبد الله بن انيس المتقدم ايضا وجزم جماعة
من الشافعية بانها ليلة الحادي والعشرين لكن قال السبكي انه ليس مجزوما به
عندهم لاتفاقهم علي عدم حنث من علق يوم العشرين عتق عبده ليلة القدر
انه لا يعتق تلك الليلة بل بانقضا الشهر علي الصحيح بنا علي انها في العشر الاخير
وعن ابن خزيمة من اصحابنا انها تنتقل في كل سنة الي ليلة من ليالي العشر
وحاصله قولان ووجه واختار النووي في الفتاوي وشرح المهذب راي ابن
خزيمة وجزم ابن حبيب من المالكية ونقله الجمهور وحكاه صاحب العده
من الشافعية ورجحه ان ليلة القدر خاصة بهذه الامة ولم تكن في الامم قبلهم
وهو معترض بحديث ابي ذر عند النساي حيث قال فيه قلت يا رسول الله
اتكون مع الانبيا فاذا ماتوا رفعت قال بل هي باقية وعمدتهم قول مالك في
الموطا بلغني ان رسول الله صلي الله عليه وسلم تقاصر اعمار امته عن اعمار الامم
الماضية فاعطاه الله ليلة القدر وهذا يحتمل التاويل فلا يدفع الصريح في
حديث ابي ذر كما قاله الحافظان ابن كثير في تفسيره وابن حجر في فتح الباري
قال وقد ظهر لليلة القدر علامات منها في صحيح مسلم عن ابي بن كعب ان
الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها ولابن خزيمة من حديث ابن عباس مرفوعا
ليلة القدر لا حارة ولا باردة تصبح الشمس يومها حمرا ضعيفة ولاحمد في
حديث عبادة بن الصامت مرفوعا انها صافية كان فيها قمرا ساطعا ساكنة
صاحية لا حر فيها ولا برد ولا يحل للكوكب يرمي به فيها وان من اماراتها ان
الشمس في صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر
لا يحل للشيطان ان يخرج معها حينئذ وروي البيهقي في فضايل الاوقات
ان المياه المالحة تعذب في تلك الليلة وقد كان صلي الله عليه وسلم يجتهد
في العشر الاخير من رمضان ما لا يجتهد في غيره رواه مسلم من حديث
عايشة وفي البخاري عنها كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا دخل
العشر شد ميزره واحيا ليله وايقظ اهله وجزم عبد الرزاق بان شد
ميزره هو اعتزاله النسا وحكاه الثوري وقال الخطابي يحتمل ان يراد به
التشمير والاعتزال معا ويحتمل ان يراد به الحقيقة والمجاز فيكون المراد
شد ميزره حقيقة فلم يحله واعتزل النسا وشمر للعبادة وقوله واحيا
ليله اي سهره فاحياه بالطاعة واحيا نفسه بسهره فيه لان النوم اخو الموت
واضافه الي الليل اتساعا لان النايم اذا حيي باليقظة حيي ليله بحياته وهو نحو

اي ربع العلم

Copyright King Saud University

قوله لا تجعلوا بيوتكم قبورا اي لا تناموا فتكونوا كالاموات فتكون بيوتكم كالقبور
فقد كان عليه الصلاة والسلام يخص العشر الاخير باعمال لا يعملها في بقية الشهر
فمنها احيا الليل فيحتمل ان المراد احيا الليل كله ويشهد له حديث عايشة
من وجه ضعيف واحيا الليل كله وفي المسند عنها ايضا قالت كان صلي الله
عليه وسلم يخلط العشرين بصلاة ونوم فاذا كان العشر شمر وشد الميزر
وفي حديث ضعيف عن انس عند ابي نعيم كان صلي الله عليه وسلم اذا دخل
شهر رمضان قام ونام فاذا كان اربعا وعشرين لم يذق غمضا ويحتمل ان يريد
باحيا الليل احيا غالبه وقد قال الشافعي في القديم من شهد العشا والصبح في
جماعة ليلة القدر فقد اخذ بحظ منها وروي في حديث مرفوع عن ابي هريرة
من صلي العشا الاخرة في جماعة في رمضان فقد ادرك ليلة القدر رواه ابوا
الشيخ ومنها انه كان يوقظ اهله للصلاة في ليالي العشر دون غيره من الليالي
ومنها تاخير الفطر الي السحور ففي حديث انس وعايشة انه صلي الله عليه وسلم
اذا كان رمضان قام ونام فاذا دخل العشر شد الميزر واجتنب النسا واغتسل
بين الاذانين وجعل العشا سحورا اخرجه ابن ابي عاصم ولفظ حديث انس كان
اذا دخل العشر الاخر من رمضان طوي فراشه واعتزل النسا وجعل عشاه
سحورا واسناد الاول مقارب والثاني فيه حفص بن غياث وقال فيه ابن
عدي انه من انكر ما لقيت له لكن يشهد له حديث الوصال المخرج في الصحيح
كان منه ومنها اغتساله عليه الصلاة والسلام بين العشاين المغرب
والعشا روي من حديث علي وفي اسناده ضعف النوع السادس في ذكر
حجه وعمرته صلي الله عليه وسلم اعلم ان الحج حلول بحضرة المعبود
ووقوف بساحة الجود ومشاهدة لذلك المشهد العلي الرحماني والمام بمعهد
العهد الرباني ولا يخفي ان نفس الكون بتلك الاماكن شرف وعلو وان التردد
في تلك المواطن فخار وسمو فان الحالة المحترمة لم تزل تفرغ علي الحال فيها
من سجال وصفها بفيض غامر وحسبك في هذا ما يحكي عن مجنون بني عامر

راي المجنون في البيدا كلبا ... فجر عليه للاحسان ذيلا
فلاموه علي ما كان منه ... وقالوا لم منحت الكلب نيلا
فقال دعوا الملام فان عيني ... راته مرة في حي ليلا

فينبغي للعبد ان يهتم بامر الحج ويبادر اليه وينهض فاتر عزمه انهاضا يحثه
عليه ولا يتوانا في غسل ادران سيات العمر يصابون المغفرة ولا يتكاسل
عن البدار فيعرضه للفوات بركوب عميا المخاطرة روي ابن عباس انه
صلي الله عليه وسلم قال من اراد الحج فليتعجل رواه ابو داود وفي حديث

علي

علي بن ابي طالب انه صلي الله عليه وسلم قال من ملك راحلة وزادا يبلغه الي بيت الله
الحرام فلم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا الحديث رواه الترمذي وخطب
عليه الصلاة والسلام فقال ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا رواه مسلم والنساي
من حديث ابي هريرة وفي رواية النساي من حديث ابن عباس مرفوعا ان الله كتب
عليكم الحج فقال الاقرع بن حابس النبي كل عام يا رسول الله فقال لو قلت نعم لوجبت
الحديث فوجوب الحج معلوم من الدين بالضرورة وقد اجمعوا علي انه لا يتكرر الا
لعارض كالنذر واختلفوا اهل هو علي الفور او التراخي فقال الشافعي وابو يوسف
وطايفة هو علي التراخي الي ان ينتهي الي حال يظن فواته لو اخره عنها وقال
مالك وابو حنيفة واخرون هو علي الفور واختلفوا ايضا في وقت ابتدا فرضه
فقيل قبل الهجرة وهو شاذ وقيل بعدها ثم اختلف في سنته فالجمهور علي انها سنة
ست لانه نزل فيها قوله تعالي واتموا الحج والعمرة لله وهذا ينبني علي ان المراد بالاتمام
ابتدا الفرض ويويده قراة علقمة ومسروق وابراهيم النخعي بلفظ واقيموا
رواه الطبراني باسانيد صحيحة عنهم وقيل المراد بالاتمام الاكمال بعد الشروع
وهذا يقتضي تقدم فرضه قبل ذلك وقد وقع في قصة ضمام ذكر الامر بالحج وكان
قدومه علي ما ذكر الواقدي سنة خمس وهذا يدل ان ثبت علي تقدمه علي سنة
خمس او وقوعه فيها قالت طايفة انه تاخر نزول فرضه الي التاسعة والعاشرة
واحتجوا بان صدر سورة ال عمران نزل عام الوفود وفيه قدم وفد نجران علي
رسول الله صلي الله عليه وسلم وصالحهم علي ادا الجزية والجزية نزلت عام تبوك
سنة تسع وفيها نزل صدر سورة ال عمران وناظر اهل الكتاب ودعاهم الي
التوحيد ويدل عليه ان اهل مكة وجدوا في انفسهم بما فاتهم من التجارة من
المشركين الي ان انزل الله تعالي يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس الاية
فاعاضهم الله من ذلك بالجزية ونزول هذه الايات والمناداة بها انما كان في سنة تسع
وبعث الصديق يوذن بذلك في مكة في موسم الحج واردفه بعلي وفي الترمذي من
حديث جابر ان النبي صلي الله عليه وسلم حج ثلاث حجج قبل ان يهاجر وحجة بعد
ما هاجر معها عمرة فساق ثلاثا وستين بدنة ثم جا علي من اليمن ببقيتها فيها جمل
في انفه برة من فضة فنحرها الحديث وعن ابن عباس حج صلي الله عليه وسلم حجج
ثلاث قبل ان يهاجر ثلاث حجج اخرجه ابن ماجه والحاكم وهو مبني علي عدد وفود
الانصار الي العقبة بمني بعد الحج وهذا لا يقتضي نفي الحج قبل ذلك وقد اخرج
الحاكم بسند صحيح الي الثوري ان النبي صلي الله عليه وسلم حج قبل ان يهاجر
حججا وقال ابن الجوزي حج حججا لا يعلم عددها وقال ابن الاثير كان عليه الصلاة
والسلام يحج كل سنة قبل ان يهاجر وقال جابر في حديثه الطويل كما في رواية مسلم

Copyright © King Saud University

مكث صلى الله عليه وسلم تسع سنين لم يحج ثم اذن في العاشرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس ان ياتم برسول الله صلى الله عليه وسلم
ويعمل مثل عمله فخرجنا معه فاتينا ذا الحليفة فولدت اسما بنت عميس محمد بن ابي
بكر فارسلت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اصنع قال اغتسلي واستثفري
بثوب واحرمي فصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ثم ركب القصوي
حتي اذا استوت به ناقته علي البيدا نظرت مد بصري بين يديه من راكب وماش
وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا وعليه ينزل القران وهو يعرف تاويله وما عمل من
شي عملنا به وفي رواية عند النساي قال جابر خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم لخمس بقين من ذي القعدة وخرجنا معه حتى اذا اتي ذا الحليفة الحديث
وكان خروجه عليه الصلاة والسلام من المدينة بين الظهر والعصر فنزل
بذي الحليفة فصلي بها العصر ركعتين ثم بات بها وصلي بها المغرب والعشا
والصبح والظهر وكان نساوه كلهن معه فطاف عليهن كلهن تلك الليلة ثم اغتسل غسلا
ثانيا لاحرامه غير غسل الجماع الاول وفي الترمذي عن خارجة بن زيد عن ابيه
تجرد صلى الله عليه وسلم لاهلاله واغتسل وفي الصحيحين ان عايشة طيبته
بذريرة وفي رواية قالت كاني انظر الي وبيض الطيب في مفارقه عليه الصلاة
والسلام وهو محرم وفي رواية قالت طيبته عند احرامه طيبا لا يشبه طيبكم
يعني ليس له بقا وهذا يدل علي استحباب التطيب عند ارادة الاحرام وانه
لا باس باستدامته بعد الاحرام ولا يضر بقا لونه ورايحته وانما يحرم في الاحرام
ابتداوه وهذا مذهب الشافعي وابي حنيفة وابي يوسف واحمد بن حنبل
وحكاه الخطابي عن اكثر الصحابة وحكاه النووي عن جمهور العلما من السلف
والخلف وذهب مالك الي منع التطيب قبل الاحرام بما تبقي رايحته بعده لكنه
قال ان فعل فقد اسا ولا فدية عليه وعن عايشة قالت كان صلى الله عليه وسلم
اذا اراد ان يحرم غسل راسه بخطمي واشنان رواه الدارقطني وفي حديث انس
عند ابي داود والترمذي انه صلى الله عليه وسلم صلي الظهر ثم ركب راحلته
فلما علي جبل البيدا اهل وفي رواية عن ابن عمر عند البخاري ومسلم وغيرهما
ما اهل الا من عند المسجد يعني مسجد ذي الحليفة وفي رواية ما اهل الا من عند
الشجرة حين قام به بعيره وفي رواية حين وضع رجله في الغرز واستوت
به راحلته قايما اهل من عند مسجد ذي الحليفة وفي رواية جابر عند ابي
داود والترمذي انه صلى الله عليه وسلم لما اراد الحج اذن في الناس فاجتمعوا
له فلما اتي البيدا احرم وفي حديث ابن جبير عند ابي داود قال قلت لابن عباس

عجبت

عجبت لاختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهلال رسول الله حين
اوجب فقال اني لاعلم الناس بذلك انها انما كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
حجة واحدة فمن هناك اختلفوا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجا فلما
صلي في مسجده بذي الحليفة ركعتيه اوجبه في مجلسه فاهل بالحج حين فرغ من
ركعتيه فسمع ذلك منه اقوام فحفظته عنه ثم ركب فلما استقلت به ناقته
اهل وادرك ذلك منه اقوام وذلك ان الناس انما كانوا ياتون اليه ارسالا فسمعوه
حين استقلت به ناقته ثم مضي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما علي شرف البيدا
وايم الله لقد اوجب في مصلاه واهل حين استقلت بها ناقته واهل حين علا
علي شرف البيدا قال سعيد بن جبير فمن اخذ بقول عبد الله بن عباس اهل
في مصلاه اذا فرغ من ركعتيه وهو مذهب ابي حنيفة والصحيح من مذهب
الشافعي ان الافضل ان يحرم اذا انبعثت به راحلته قال ابن القيم ولم ينقل
انه صلى الله عليه وسلم صلي للاحرام ركعتين غير فرض الظهر انتهي قلت ثبت
في الصحيحين عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يركع بذي الحليفة
ركعتين ثم اذا استوت به الناقة قايمة عند مسجد ذي الحليفة اهل قال
النووي فيه استحباب صلاة ركعتين عند ارادة الاحرام ويصليهما قبل
الاحرام ويكونان نافلة هذا مذهبنا ومذهب العلما كافة الا ما حكاه القاضي
وغيره عن الحسن البصري انه يستحب كونهما بعد صلاة فرض قال لانه
روي ان هاتين الركعتين كانتا صلاة الصبح والصواب ما قاله الجمهور
وهو ظاهر الحديث وقد اختلفت روايات الصحابة في حجه صلى الله عليه
وسلم حجة الوداع هل كان مفردا او قارنا او متمتعا وروي كل منها في
البخاري ومسلم وغيرهما واختلف الناس في ذلك علي ستة اقوال احدها انه حج
مفردا لم يعتمر معه الثاني حج متمتعا تمتعا حل منه ثم احرم بعده بالحج كما قاله
القاضي ابو يعلي وغيره الثالث انه حج متمتعا تمتعا لم يحل فيه لاجل سوق
الرابع الهدي ولم يكن قارنا الخامس انه حج قارنا طاف له طوافين وسعي له سعيين الخامس
انه حج حجا مفردا اعتمر بعده من التنعيم السادس انه صلى الله عليه وسلم
حج قارنا بالحج والعمرة ولم يحل حتي حل منهما جميعا وطاف لهما طوافا واحدا
وسعيا واحدا او ساق الهدي واختلفوا ايضا في احرامه علي ستة اقوال
احدها انه لبي بالعمرة وحدها واستمر عليها الثاني انه لبي بالحج وحده واستمر
عليه الثالث انه لبي بالحج مفردا ثم ادخل عليه العمرة الرابع انه لبي بالعمرة
وحدها ثم ادخل عليها الحج الخامس انه احرم احراما مطلقا لم يعين فيه نسكا
ثم عينه بعد احرامه السادس لبي بالحج والعمرة معا وقد نبه الطبري ابو جعفر

Copyright King Saud University

الطحاوي الحنفي في الكلام على ذلك فانه تكلم عليه في زيادة على الف ورقة كما ذكره
عنه جماعة من العلما وبينه ابن حزم في حجة الوداع بيانا شافيا ومهذب المحب
الطبري تمهيدا بالغا واشار اليه القاضي عياض والنووي في شرحيهما لمسلم ونقحه
الحافظ ابن حجر مستوفيا لكثير من مباحثه استيفا كافيا والذي ذهب اليه الشافعي
في جماعة انه صلى الله عليه وسلم حج حجا مفردا لم يعتمر معه واحتج بما في الصحيحين
ان عايشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فمنا من
اهل بعمرة ومنا من اهل بحج وعمرة ومنا من اهل بالحج وحده واهل رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالحج فهذا التقسيم والتنويع صريح في اهلاله بالحج وحده ولمسلم
عنها انه صلى الله عليه وسلم اهل بالحج وحده ولمسلم ايضا عن ابن عباس اهل رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالحج ولابن ماجة عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
افرد الحج وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم افرد الحج رواه البخاري قالوا وهولاء لهم
قربة في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو احسن الصحابة سيا قا لرواية
حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة
الى اخرها فهو اضبط لها من غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان اخذ بخطام ناقته
صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وانكر على من رجح قول انس على قوله وقال كان
انس يدخل على النسا وهن مكشفات الروس واني كنت تحت ناقته صلى الله
عليه وسلم يمسني لعابها اسمعه يلبي بالحج واما عايشة فقربها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم معروف وكذا اطلاعها على باطن امره وظاهره وفعله في خلوته
وعلانيته مع كثرة فهمها وعظم فطنتها واما ابن عباس فمحله من العلم والفقه في
الدين والفهم الثاقب معروف مع كثرة بحثه وتحفظ احوال رسول الله صلى الله
عليه النبي لم يحفظها غيره واخذه اياها من كبار الصحابة واحتجوا ايضا بان
الخلفا الراشدين واظبوا على الافراد مع انهم الايمة الاعلام وقادة الاسلام والمقتدي
بهم فكيف يظن بهم المواظبة على ترك الافضل وبانه لم ينقل عن احد منهم كراهة
الافراد وقد نقل عنهم كراهته التمتع والجمع بينهما حتى فعله علي رضي الله عنه
لبيان الجواز وبان الافراد لا يجب فيه دم بالاجماع بخلاف التمتع والقران وذهب
النووي الى ان الصواب انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا ويويده انه صلى الله
عليه وسلم انه لم يعتمر في تلك السنة بعد الحج قال ولا شك ان القران افضل
من الافراد الذي لا يعتمر في سنته عندنا ولم يقل احد ان الحج وحده افضل من
القران انتهي وقد صرح القاضي حسين والمتولي بترجيح الافراد ولو لم يعتمر
في تلك السنة قال الحافظ ابو الفضل بن حجر ويترجح رواية من روى القران
بامور منها ان معه زيادة علم على من روى الافراد والتمتع وبان من روى الافراد

والتمتع

والتمتع اختلف عليه في ذلك واشهر من روى عنه الافراد عايشة وقد ثبت عنها
انه اعتمر مع حجته وابن عمر وقد ثبت عنه انه صلى الله عليه وسلم بدا بالعمرة
ثم اهل بالحج وجابر وقد روى عنه انه اعتمر مع حجته ايضا وبان القران رواه
عنه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة لم يختلف عليهم فيه وبانه لم يقع
في شي من الروايات النقل عنه من لفظه انه قال افردت ولا تمتعت بل صح
عنه انه قال لولا ان معي الهدي لاحللت وايضا فان من روى القران لا يحتمل
حديثه التاويل الا بتعسف بخلاف من روى الافراد فانه محمول على اول
الحال وينتفي التعارض ويويده ان من جا عنه الافراد جا عنه صورة القران
ومن روى عنه التمتع فانه محمول على سفر واحد للنسكين ويويده ان من جا
عنه التمتع لما وصفه بصورة القران لانهم اتفقوا على انه لم يحل من عمرته حتى
اتم عمل جميع الحج وهذه احدى صورة القران وايضا فان رواية القران جات عن
بضعة عشر صحابيا انتهي وعدهم ابن القيم سبعة عشر عايشة ام المومنين صحابيا صح
وعبد الله بن عباس وعمر بن الخطاب وعلي ابن ابي طالب وعثمان ابن عفان باقراره
لعلي وعمران بن الحصين والبرا بن عازب وحفصة ام المومنين وابو قتادة وابن
ابي اوفى وابو طلحة والهرماس بن زياد وام سلمة وانس بن مالك وسعد بن ابي
وقاص وجابر وابن عمر فهولاء سبعة عشر صحابيا منهم من روى فعله ومنهم
من روى لفظ احرامه ومنهم من روى خبره عن نفسه ومنهم من روى امره به
فان قيل كيف تجعلون منهم ابن عمر وجابر وعايشة وابن عباس وعايشة تقول
اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج وفي لفظ افرد الحج والاول في الصحيحين
والثاني في مسلم وهذا ابن عمر يقول لبى بالحج وحده رواه البخاري وابن ماجة
قيل ان كانت الاحاديث عن هولا تعارضت وتساقطت وان احاديث
الباقين لم تتعارض فهذا ان احاديث من ذكرت لا حجة فيها على القران ولا على
الافراد فالموجب للعدول عن احاديث الباقين مع صراحتها وصحتها فكيف
واحاديثهم يصدق بعضها بعضا ولا تعارض بينها انتهي وهذا يقتضي رفع
الشك عن ذلك والمصير الى انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا ومقتضي ذلك
ان يكون القران افضل من الافراد والتمتع وهو قول جماعة من الصحابة
والتابعين وبه قال ابو حنيفة واسحق بن راهويه واختاره من الشافعية
المزني وابن المنذر وابو اسحق المروزي ومن المتاخرين الشيخ تقي الدين السبكي
وبحث مع النووي في اختياره انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا وان الافراد
مع ذلك افضل مستندا الى انه صلى الله عليه وسلم اختار الافراد اولا ثم
ادخل عليه العمرة لبيان الجواز الاعتمار في اشهر الحج لكونهم كانوا يعتقدونه

Copyright King Saud University

من افجر الفجور وتعقب بان البيان قد سبق منه صلى الله عليه وسلم في عمره الثلاث فانه
احرم بكل منها في ذي القعدة عمرة الحديبية التي صد عن البيت فيها وعمرة القضية
وعمرة الجعرانة ولو كان اراد باعتماره مع حجته بيان الجواز فقط مع ان الافضل
خلافه لاكتفي في ذلك بامره اصحابه ان يفسخوا حجهم الي العمرة انتهى ومذهب
الشافعي ومالك وكثيرين ان افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران فان قلت اذا
كان الراجح انه عليه الصلاة والسلام كان قارنا فلم رجح المالكية والشافعية الافراد
علي القران فقد اجاب عن ذلك النووي في شرح المهذب بان ترجيح الافراد
لانه عليه الصلاة والسلام اختاره اولا وانما ادخل عليه العمرة لمصلحة بيان جواز
الاعتمار في اشهر الحج وكانت العرب تعتقده من افجر الفجور كما ذكرته
وقد ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم الي ان التمتع افضل
وهذا مذهب احمد لكونه صلى الله عليه وسلم تمناه فقال لولا اني سقت
الهدي لاحللت ولا يتمنى الا الافضل واجيب بانه انما تمناه تطييبا لقلوب
اصحابه لحزنهم علي فوات موافقته والا فالافضل ما اختاره الله تعالى له واستمر
عليه صلى الله عليه وسلم واما القايلون بانه صلى الله عليه وسلم لبى بالعمرة
واستمر عليها فحجتهم حديث ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر قال تمتع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الي الحج وقال ابن شهاب عن
عروة ان عايشة اخبرته عن النبي صلى الله عليه وسلم في تمتعه بالعمرة الي الحج
فتمتع الناس معه بمثل الذي اخبرني سالم عن ابن عمر وقال ابن عباس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عمرة استمتعنا بها وقال سعد ابن ابي
وقاص في المتعة صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه
واجيب بان التمتع عندهم يتناول القران ويدل له ما في الصحيحين عن
سعيد بن المسيب اجتمع علي وعثمان بعسفان فكان عثمان ينهى
عن المتعة فقال علي ما تريد الي امر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
تنهي عنه فقال عثمان دعنا منك فقال اني لا استطيع ان ادعك فلما راي
علي ذلك اهل بهما جميعا فهذا يبين ان من جمع بينهما كان متمتعا عندهم
وان هذا هو الذي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقه عثمان
علي انه صلى الله عليه وسلم فعله لكن كان النزاع بينهما هل ذلك الافضل
في حقنا ام لا فقد اتفق علي وعثمان علي انه عليه الصلاة والسلام تمتع وان
المراد بالتمتع عندهم القران وايضا فانه عليه الصلاة والسلام قد تمتع تمتع
قران باعتبار ترفهه بترك احد السفرين انتهى ملخصا من فتح الباري عن احمد
ان من ساق الهدي فالقران له افضل ليوافق فعل النبي صلى الله عليه وسلم

ومن

ومن لم يسق الهدي فالتمتع له افضل ليوافق ما تمناه وامر به اصحابه واما من قال
انه صلى الله عليه وسلم حج مفردا ثم اعتمر عقبه من التنعيم او غيره فهو غلط لم
يقله احد من الصحابة ولا التابعين ولا الايمة الاربعة ولا احد من اهل الحديث
قاله ابن تيمية واما من قال انه حج متمتعا حل فيه من احرامه ثم احرم يوم
التروية بالحج مع سوق الهدي فحجته حديث معاوية انه صلى الله عليه وسلم
قصر عن راسه بمشقص على المروة وحديثه في الصحيحين ولا يمكن ان يكون
هذا في غير حجة الوداع لان معاوية اسلم بعد الفتح وكان صلى الله عليه وسلم
زمن الفتح لم يكن محرما ولا يمكن ان يكون في عمرة الجعرانة لوجهين احدهما
انه في بعض الفاظ الصحيح وذلك في حجته الثاني ان رواية النسائي باسناد
صحيح وذلك في ايام العشر وهذا انما كان في حجته وهذا انما انكره الناس علي معاوية
وغلطوا فيه واصابه فيه ما اصاب ابن عمر في قوله انه اعتمر في رجب كما سياتي
وساير الاحاديث الصحيحة كلها تدل علي انه صلى الله عليه وسلم لم يحل من احرامه
الي يوم النحر وبذلك اخبر عن نفسه بقوله لولا ان معي الهدي لاحللت وقوله
اني سقت الهدي وقرنت فلا احل حتى انحر وهذا اخبر عن نفسه لا يدخله
الوهم ولا الغلط بخلاف خبر غيره عنه قاله في زاد المعاد واما اختلاف الروايات
عنه صلى الله عليه وسلم في اهلاله هل هو بالحج او بالعمرة او القران والجمع بينهما
فكل تاول بما يناسب مذهبه الذي قد منه قال البغوي والذي ذكره الشافعي
في كتاب اختلاف الاحاديث كلاما موجزه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع فكل كان ياخذ منه امر نسكه ويصدر
عن تعليمه فاضيف الكل اليه علي معنى انه امر بها واذن فيها ويجوز في لغة
العرب اضافة الفعل الي الامر به كما يجوز اضافته الي الفاعل له كما يقال
بنا فلان دارا ويريد انه امر ببنايها كما روي انه عليه الصلاة والسلام رجم ماعزا
وانما امر برجمه ثم احتج بانه عليه الصلاة والسلام كان افرد الحج وقال الخطابي
نحوه وقال النووي كان صلى الله عليه وسلم اولا مفردا ثم احرم بالعمرة بعد
ذلك وادخلها علي الحج فصار قارنا فمن روى الافراد فهو الاصل يعني حمله
علي ما اهل به اول الحال ومن روي القران اراد ما استقر عليه امره ومن
روى التمتع اراد به التمتع اللغوي والارتفاق فقد ارتفق بالقران كارتفاق
التمتع وزيادة وهو الاقتصار علي فعل واحد وقال غيره ارادا التمتع ما امر
به غيره قالوا وبهذا الجمع ينتظم الاحاديث كلها ويزول عنها الاضطراب
والتناقض وقالت فاطمة طايفة انما احرم صلى الله عليه وسلم قارنا واحتجوا
باحاديث تزيد علي العشرين منها حديث انس في صحيح مسلم سمعت رسول

المتقصص كما
منبر مصل حديقى

٤٤٧

ويصدر

الله صلى الله عليه وسلم اهل بهما لبيك عمرة وحجا ورواه عن انس ستة عشر نفسا
من الثقات كلهم متفقون عن انس ان لفظ النبي صلى الله عليه وسلم كان اهلالا
بحج وعمرة معا واما من قال انه عليه الصلاة والسلام اهل بالعمرة وادخل عليها
الحج فحجته ما في البخاري من حديث ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدي من ذي
الحليفة وبدا صلى الله عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج فقد تقدم في
الاحاديث الكثيرة الصريحة انه صلى الله عليه وسلم بدا بالاهلال بالحج
ثم ادخل عليه العمرة وهذا عكسه والمشكل في هذا الحديث قوله بدا فاهل
بالعمرة ثم اهل بالحج واجيب عنه بان المراد به صورة الاهلال اي لما ادخل
العمرة على الحج لبى بهما فقال لبيك بعمرة وحج معا ومذهب الشافعي انه
لو ادخل الحج على العمرة قبل الطواف صح وصار قارنا فلو احرم بالحج ثم ادخل عليه
العمرة ففيه قولان للشافعي اصحهما لا يصح احرامه بالعمرة لان الحج اقوى
منها لاختصاصه بالوقوف والرمي والضعيف لا يدخل على القوي انتهى
وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته
فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين رواه مسلم
وابو داود وفي رواية الترمذي قلد نعلين واشعر الهدي في الشق الايمن
بذي الحليفة واماط عنه الدم وفي رواية لابي داود بمعناه وقال سلت
الدم بيده وفي اخرى باصبعه وعند النسائي اشعر بدنه من الجانب
الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين وكان حجه صلى الله عليه وسلم
على رحل رث يساوي اربعة دراهم رواه الترمذي في الشمائل وابن ماجة
من حديث انس والطبراني في الاوسط من حديث ابن عباس وعن اسماء بنت
ابي بكر قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجا حتى اذا كنا
بالعرج نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلنا فجلست عائشة الى
جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلست الى جنب ابي بكر وكانت
زمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمالة ابي بكر واحدة مع غلام لابي بكر
فجلس ابو بكر ينتظر ان يطلع عليه فطلع عليه وليس معه بعيره فقال
له ابو بكر اين بعيرك قال اضللته البارحة قال ابو بكر بعير واحد تضله
وطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ويقول انظروا
الى هذا المحرم ما يصنع وما يزيد على ذلك ويتبسم رواه ابو داود وخرج معه
صلى الله عليه وسلم اصحابه لا يعرفون الا الحج كما قالت عائشة فبين لهم
عليه الصلاة والسلام وجوه الاحرام وجوز لهم الاعتمار في اشهر الحج فقال

من

من احب ان يهل بعمرة فليهل ومن احب ان يهل بحج فليهل رواه البخاري ولاحمد من
شاء فليهل بعمرة فلما بلغ صلى الله عليه وسلم الابواء وودان اهدى له الصعب بن
ابن جثامة حمارا وحشيا فرده عليه فلما راى ما في وجهه قال انا لم نرده عليك الا
انا حرم رواه البخاري ومسلم وله في رواية حمار وحش يقطر دما وفي رواية
شق حمار وحش وفي رواية عضوا من لحم صيد ورواه ابو داود وابن حبان من
طريق عطاء عن ابن عباس انه قال يا زيد بن ارقم هل علمت ان رسول الله
فذكره واتفقت الروايات كلها انه رده عليه الا ما رواه ابن وهب والبيهقي
من طريقه باسناد حسن من طريق عمرو بن امية ان الصعب اهدى للنبي
صلى الله عليه وسلم عجز حمار وحش وهو بالجحفة فاكل منه واكل القوم قال
البيهقي ان كان هذا محفوظا فلعله رد الحي وقبل اللحم قال في فتح الباري
وفي هذا الجمع نظر وان كانت الطرق محفوظة فلعله رده حيا لكونه صيد
لاجله ورد اللحم تارة لذلك وقبله تارة اخرى حيث علم انه لم يصده لاجله
وقد قال الشافعي في الام ان كان الصعب اهدى حمارا حيا فليس للمحرم ان
يذبح حمار وحش وان كان اهدى له لحما فقد يحتمل ان يكون علم انه صيد
له فرده عليه ونقل الترمذي عن الشافعي انه رده لظنه انه صيد
الصيو من اجله فتركه على وجه التنزه ويحتمل ان يحمل القبول المذكور في حديث
عمرو بن امية على وقت اخر وهو حال رجوعه صلى الله عليه وسلم
من مكة ويؤيده انه جازم فيه بوقوع ذلك في الجحفة وفي غيرها من
الروايات بالابواء او بودان وقال القرطبي يحتمل ان يكون الصعب احضر
الحمار مذبوحا لا حيا ومن قال لحم حمار اراد ما قدمه للنبي صلى الله عليه وسلم
اهداه قال ويحتمل ان يكون من حمارا اطلق واراد بعضه مجازا قال ويحتمل انه احياه
له فلما رده عليه ذكاه واتاه بعضو منه ظانا انه انما رده عليه لمعنى يختص
بجملته فاعلمه بامتناعه ان حكم الجزء حكم الكل والجمع مهما امكن اولى من توهيم
بعض الرواة قال النووي قال الشافعي واخرون ويحرم تملك الصيد بالبيع
والهبة ونحوهما وفي ملكه اياه بالارث خلاف واما لحم الصيد فان صاده او
صيد له فهو حرام سواء صيد له باذنه او بغير اذنه وان صاده حلال لنفسه
ولم يقصد المحرم ثم اهدى من لحمه للمحرم او باعه لم يحرم عليه هذا مذهبنا
وبه قال مالك واحمد وابو داود وقال ابو حنيفة لا يحرم عليه ما صيد
له بغير اعانة منه وقالت طائفة لا يحل له لحم الصيد اصلا سواء صاده او
صاده غيره له قصده او لم يقصده فيحرم مطلقا حكاه القاضي عياض
عن علي وابن عمر وابن عباس لقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم

Copyright © King Saud University

حريا قالوا والمراد بالصبير المصير ولظاهر حديث الصعب بن جثامه فانه
صلي الله عليه وسلم رده وعلل رده بانه محرم ولم يقل بانك صدته لنا واحتج الشافعي
وموافقوه بحديث ابي قتادة وهو حلال قال للمحرمين هو حلال فكلوه وفي الرواية
الاخري قال فهل معكم منه شي قالوا معنا رجله فاخذها رسول الله صلي الله عليه وسلم
فاكلها ولما مر صلي الله عليه وسلم بوادي عسفان قال يا ابا بكر اي واد هذا قال
وادي عسفان قال لقد مر به هود وصالح علي بكرتين احمرين خطمهما الليف
وازرهم العبا واردتهم النمار يلبون يحجون البيت العتيق رواه احمد وفي رواية
مسلم من حديث ابن عباس لما مر بوادي الازرق قال كاني انظر الي موسي من
الثنية واضعا اصبعيه في اذنيه مارا بهذا الوادي وله جوار الي الله بالتلبية
ووادي الازرق خلف امج بفتح الهمزة والميم والجيم قرية ذات مزارع بينه
وبين مكة ميل واحد ولم يعين في رواية البخاري الوادي ولفظه اما موسي
كاني انظر اليه اذا انحدر من الوادي يلبي قال المهلب هذا وهم من بعض
رواته لانه لم يات في اثر ولا خبر ان موسي حي وانه سيحج وانما اتي ذلك عن عيسي
عليه الصلاة والسلام فاشتبه علي الراوي ويدل عليه قوله في الحديث الاخر
ليهلن ابن مريم بفج الروحا انتهي وهو تغليط للثقات بمجرد التوهم وقد
ذكر البخاري الحديث في اللباس من صحيحه بزيادة ذكر ابراهيم فيه فيقال
ان الراوي غلط فزاده وفي رواية مسلم المتقدمة ذكر يونس افيقال ابن
الراوي الاخر غلط فزاد يونس وتعقب ايضا بان توهيم المهلب للراوي
وهم منه والا فاي فرق بين موسي وعيسي لانه لم يثبت ان عيسي منذ رفع
نزل الي الارض وانما ثبت سينزل واجيب بان المهلب اراد ان عيسي لما
ثبت انه سينزل كان المحقق فقال كاني انظر اليه ولهذا استدل المهلب
بحديث ابي هريرة الذي فيه ليهلن ابن مريم بالحج وقد اختلف في معني قوله
كاني انظر اليه فقيل ان ذلك رويا منام تقدمت له فاخبر عنها لما حج عند
ما تذكر ذلك ورويا الانبيا وحي وقيل هو علي الحقيقة لان الانبيا احيا عند
ربهم يرزقون فلا مانع ان يحجوا في هذه الحالة كما في صحيح مسلم عن انس انه
راي موسي عليه الصلاة والسلام قايما في قبره يصلي قال القرطبي حببت
اليهم العبادة فهم يتعبدون بما يجدونه من دواعي انفسهم لا بما يلزمون
به كما يلهم اهل الجنة الذكر ويويده ان عمل الاخرة ذكر ودعا لقوله تعالي
دعواهم فيها سبحانك اللهم الاية لكن تمام هذا التوجيه ان يقال المنظور
اليه هي ارواحهم فلعلها مثلت له صلي الله عليه وسلم في الدنيا كما مثلت
ليلة الاسرا واما اجسادهم فهي في القبور قال ابن المنير وغيره يجعل الله

لروحه

المذكور في صحيح
مسلم بانه صلى الله عليه
وسلم قال في الصيد
الذي صاده ابو
قتادة صح

لروحه مثالا فيري في اليقظة كما يري في النوم وقيل كانه مثلت احوالهم التي
كانت في الحياة الدنيا كيف تعبدوا وكيف حجوا وكيف لبوا ولهذا قال كاني
وقيل كانه اخبر بالوحي عن ذلك فلشدة قطعه به قال كاني انظر اليه انتهي
وقد ذكرت في مقصد الاسرا من ذلك ما يكفي والله الموفق ولما نزل صلي الله
عليه وسلم بسرف خرج الي اصحابه فقال من لم يكن معه هدي فاحب
ان يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه الهدي فلا وحاضت عايشة فدخل
عليها صلي الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك يا هنتاه قالت سمعت
قولك لاصحابك فمنعت العمرة قال وما شانك قالت لا اصلي قال فلا يضر
انما انت امرة من بنات ادم كتب الله عليك ما كتب عليهن فكوني في حجك
فعسي الله ان يرزقكيها رواه البخاري ومسلم وابو داود والنساي وفي رواية
قالت خرجنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم لا نذكر الا الحج حتي جينا
سرف فطمثت فدخل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وانا ابكي فقال
ما يبكيك فقلت والله لوددت اني لم اكن خرجت العام فقال مالك لعلك
نفست قلت نعم قال هذا شي كتبه الله علي بنات ادم افعلي ما يفعل الحاج
غير ان لا تطوفي بالبيت حتي تطهري الحديث وقد اختلف فيما احرمت به عايشة
كما اختلف هل كانت متمتعة ام مفردة واذا كانت متمتعة فقيل انها كانت اولا
احرمت بالحج وهو ظاهر هذا الحديث وفي حجة الوداع من المغازي عند البخاري
من طريق هشام بن عروة عن ابيه قالت وكنت فيمن اهل بعمرة وزاد احمد من
وجه اخر عن الزهري ولم اسق هديا وفي رواية الاسود عنها قالت خرجنا
مع رسول الله صلي الله عليه وسلم نلبي لا نذكر حجا ولا عمرة ويحتمل في الجميع ان يقال
اهلت عايشة بالحج مفردة كما صنع غيرها من الصحابة ثم امر النبي صلي الله عليه
وسلم ان يفسخوا الحج الي العمرة ففعلت عايشة ما صنعوا فصارت متمتعة
ثم لما دخلت مكة وهي حايض لم تقدر علي الطواف لاجل الحيض امرها ان تحرم
بالحج وقال القاضي عياض واختلف في الكلام علي حديث عايشة فقال مالك ليس
العمل علي حديث عروة عن عايشة عندنا قديما ولا حديثا قال ابن عبد البر
يريد ليس العمل به في رفض العمرة وجعلها حجا بخلاف جعل الحج عمرة فانه وقع
للصحابة واختلف في جوازه من بعدهم لكن اجاب جماعة من العلما عن ذلك
باحتمال ان يكون معني قوله ارفضي عمرتك اي اتركي التحلل منها وادخلي عليها
الحج فتصير قارنة ويويده قوله في رواية لمسلم وامسكي عن العمرة اي
عن اعمالها وانما قالت عايشة وارجع بحج لاعتقادها ان افراد العمرة بالعمل
افضل كما وقع لغيرها من امهات المومنين واستبعد هذا التاويل لقولها

بلغ

في رواية عطا عنها فارجع انا بحجة ليس معها عمرة اخرجه احمد وهو يقوي قول
الكوفيين ان عايشة تركت العمرة وحجت مفردة تمسكوا في ذلك بقوله لها دعي
عمرتك وفي رواية اقضي عمرتك ونحو ذلك واستدلوا به على ان للمراة اذا اهلت
بالعمرة متمتعة فحاضت قبل ان تطوف ان تترك العمرة وتهل بالحج مفردا كما صنعت
عايشة لكن في رواية عطا عنها ضعف والرافع للاشكال في ذلك ما رواه مسلم
من حديث جابر ان عايشة اهلت بعمرة حتى اذا كانت بسرف حاضت فقال لها
النبي صلى الله عليه وسلم اهلي بالحج حتى اذا كانت بسرف طهرت طافت بالكعبة
وسعت فقال قد احللت من حجك وعمرتك قالت يا رسول الله اني اجد في نفسي
اني لم اطف بالبيت حتى حججت قال فاعمرها من التنعيم ولمسلم من طريق طاوس
عنها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم طوافك يسعك لحجك وعمرتك فهذا
صريح في انها كانت قارنة لقوله قد حللت من حجك وعمرتك وانما اعمرها من
التنعيم تطييبا لقلبها لكونها لم تطف بالبيت لما دخلت معتمرة وقد وقع في
رواية مسلم وكان صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا اذا هويت الشي تابعها عليه
ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من كان معه هدي فليهلل بالحج مع العمرة
ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا وانما قال لهم هذا القول بعد احرامهم بالحج وفي منتهى
سفرهم ودنوهم من مكة بسرف كما جا في رواية جابر ويحتمل تكرار الامر بذلك
في الموضعين وان العزيمة كانت اخرا حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة وفي
رواية قالت عايشة فمنا من اهل بعمرة ومنا من اهل بحج حتى قدمنا مكة فقال
صلى الله عليه وسلم من احرم بعمرة ولم يهد فليحلل ومن احرم بعمرة واهدى
فلا يحل حتى ينحر هديه ومن احرم بحج فليتم حجه وهذا الحديث ظاهر في
الدلالة لابي حنيفة واحمد وموافقيهما في ان المعتمر المتمتع اذا كان معه
الهدي لا يتحلل من عمرته حتى ينحر هديه يوم النحر ومذهب مالك و
الشافعي انه اذا طاف وسعى وحلق حل من عمرته وحل له كل شي في الحال سوا
كان ساق هديا ام لا واحتجوا بالقياس على من لم يسق الهدي وبانه تحلل من
نسكه فوجب ان يحل له كل شي كما لو تحلل المحرم بالحج واجابوا عن هذه الرواية
بانها مختصرة من الرواية التي ذكرها مسلم عن عايشة قالت خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فاهللنا بعمرة ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كان معه هدي فليهلل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى
يحل منهما جميعا فهذه الرواية مفسرة للمحذوف من الرواية التي احتج بها
ابو حنيفة وتقديرها ومن احرم بعمرة فليهلل بالحج ولا يحل حتى ينحر هديه
ولا بد من هذا التاويل لان القصة واحدة والراوي واحد فيتعين الجمع بين

عائشه او بعد
طوافه بالبيت

الروايتين على ما ذكر والله اعلم ولما بلغ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا طوى
بضم الطا وفتحها وقيدها الاصيلي بالكسر عند ابار الزاهر بات بها بين الثنيتين
فلما اصبح صلى الغداة ثم اغتسل رواه البخاري وللنساي كان عليه الصلاة والسلام
ينزل بذي طوى يبيت به يصلي صلاة الصبح حتى يقدم الى مكة فصلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك على اكمة خشنة غليظة ليس في المسجد
الذي بني ثم ولكن من اسفل ذلك على اكمة خشنة غليظة وفي الصحيحين
انه صلى الله عليه وسلم دخلها من اعلاها وفي حديث ابن عمر في الصحيح كان
صلى الله عليه وسلم يدخل من الثنية العليا يعني اعلا مكة من كدا بفتح الكاف
والمد قال ابو عبيد لا يصرف وهذه الثنية التي ينزل منها الى المعلا مقبرة
مكة وهي التي يقال لها الحجون بفتح الحا المهملة وضم الجيم لم يقع انه صلى الله
عليه وسلم دخل مكة ليلا الا في عمرة الجعرانة فانه صلى الله عليه وسلم احرم من
الجعرانة ودخل مكة ليلا فقضى امر العمرة ثم رجع ليلا فاصبح بالجعرانة
كما رواه اصحاب السنن الثلاثة من حديث محرش الكعبي وعن عطا قال
ان شيتم فادخلوا ليلا انكم لستم كرسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اماما
فاحب ان يدخلها نهارا ليراه الناس رواه النسائي ثم دخل عليه الصلاة والسلام
مكة لاربع خلون من ذي الحجة ودخل المسجد الحرام ضحى من باب بني عبد
مناف وهو باب بني شيبة والمعنى فيه ان باب الكعبة في جهة ذلك الباب
والبيوت يوتى من ابوابها وايضا فلان جهة باب الكعبة اشرف الجهات
الاربع كما قاله ابن عبد السلام في القواعد وكان عليه الصلاة والسلام اذا راى
البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وبرا رواه الثوري عن ابي سعيد الشامي
عن مكحول وروى الطبراني عن حذيفة ابن اسيد كان عليه الصلاة والسلام
اذا نظر البيت قال اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا ومهابة
وزد من شرفه وعظمه ممن حجه واعتمره تعظيما وتشريفا وبرا ومهابة ولم
يركع عليه الصلاة والسلام تحية المسجد انما بدا بالطواف لانه تحية البيت
كما صرح به كثير من اصحابنا وليس بتحية المسجد ثم استلم صلى الله عليه وسلم
الحجر الاسود وفي رواية جابر عند البخاري استلم الركن والاستلام افتعال
من السلام اي التحية قاله الازهري وقيل من السلام بالكسر اي الحجارة
والمعنى انه يومي بعصاه الى الركن حتى يصيبه وكانت منحنية
الراس وهي المراد بقوله في الحديث بالمحجن واعلم ان للبيت اربعة اركان
الاول له فضيلتان كون الحجر الاسود فيه وكونه على قواعد ابراهيم
وللثاني الثانية فقط وليس للاخرين شي منهما فلذلك يقبل الاول

٤٥٠

قد دخلوا ليلا

قال اللهم زد هذا
البيت ...
... به

Copyright King Saud University

وسلم الثاني ثلاثا فقط ولا يقبل للاحرار ولا يستلمان وروي الشافعي عن ابن عمر
قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه
طويلا وكان اذا استلم الركن قال بسم الله والله اكبر رواه الطبراني وهل كان صلى
الله عليه وسلم طائفا على بعيره ام على قدميه نفي مسلم عن عائشة طاف عليه
الصلاة والسلام في حجة الوداع على بعيره وفيه عن ابي الطفيل رايته عليه
الصلاة والسلام يطوف البيت على بعيره وقد اختلف في علة ذلك فروى
ابو داود من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قدم مكة وهو يشتكي
فطاف على راحلته وفي حديث جابر عند مسلم انه صلى الله عليه وسلم طاف
راكبا ليراه الناس وليسالوه فيحتمل ان يكون فعل ذلك للامرين قال ابن
بطال فيه جواز دخول الدواب التي يوكل لحمها المسجد اذا احتيج الى ذلك
لان بولها لا ينجسه بخلاف غيرها من الدواب وتعقب بانه ليس في الحديث
دلالة على عدم الجواز مع الحاجة بل ذلك داير مع التلويث وعدمه فحيث
يخشى التلويث يمتنع الدخول وقد قيل ان ناقته عليه الصلاة والسلام
كانت منوقة اي مدربة معلمة فيومن معها ما يحذر من التلويث قال
بعضهم وهذا كان والله اعلم في طواف الافاضة لا في طواف القدوم فان جابرا
حكى عنه الرمل في الثلاثة الاول وذلك لا يكون الا مع المشي ولم يقل احد رملت
به راحلته وانما قالوا رمل اي بنفسه وقال الشافعي اما سبعه الذي
طاف لمقدمه فعلى قدميه انتهى فلما استلم صلى الله عليه وسلم الحجر مضى
على يمينه فرمل ثلاثا ومشى اربعا وكان ابتدا الرمل في عمرة القضية لما
قدم صلى الله عليه وسلم واصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب فقال المشركون
انه يقدم عليكم غدا قوم قد وهنتهم الحمى ولقوا منها شدة فجلسوا مما يلي الحجر
وامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يرملوا ثلاثة اشواط ويمشوا ما بين الركنين
ليرى المشركين جلدهم فقال المشركون هولا الذين زعمتم ان الحمى قد
وهنتهم هولا اجلد من كذا وكذا رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن
عباس ولما كان في حجة الوداع رمل صلى الله عليه وسلم واصحابه فكان سنة
مستقلة قال الطبري قد ثبت انه عليه الصلاة والسلام رمل ولا مشرك
يوميذ بمكة يعني في حجة الوداع فعلم انه من مناسك الحج الا ان تاركه ليس
تاركا لعمل بل لهيئة مخصوصة فكان كرفع الصوت بالتلبية فمن لبى
خافضا صوته لم يكن تاركا للتلبية بل لصفتها فلا شي عليه انتهى فلو
ترك الرمل في الثلاث لم يقضه في الاربع لان هيئتها السكينة فلا يتغير والله
اعلم ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من طوافه اتى المقام فقرا واتخذوا من

مقام

٤٥١

مقام ابراهيم مصلى فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت فقرا فيهما بقل
يايها الكافرون وقل هو الله احد ثم رجع الى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب
الى الصفا فلما دنى من الصفا قرا ان الصفا والمروة من شعاير الله ابدا بما
بدا الله به فبدا بالصفا فرقا عليه حتى راى البيت واستقبل
القبلة فوحد الله وكبره وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شي قدير لا اله الا الله انجز وعده ونصر عبده وهزم — وحده
الاحزاب وحده ثم دعا بين ذلك قال هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة
حتى اذا انصبت قدماه في بطن الوادي رمل حتى اذا صعدنا مشى حتى اتى المروة
حديث ابي الطفيل عند مسلم وابي داود قال قلت لابن عباس اخبرني عن
الطواف بين الصفا والمروة راكبا اسنة هو فان قومك يزعمون انه سنة
قال صدقوا وكذبوا قلت وما قولك صدقوا وكذبوا قال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون هذا محمد هذا محمد حتى خرج
العواتق من البيوت قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب
الناس بين يديه فلما كثر عليه ركب والمشي والسعي افضل هذا لفظ رواية
مسلم وفي اول ذكر الرمل في طواف البيت وعند ابي داود ان قريشا قالت زمن
الحديبية دعوا محمدا واصحابه حتى يموتوا موت النغف فلما صالحوه على
ان يجيئوا العام المقبل فيقيموا ثلاثة ايام فقدم عليه الصلاة والسلام فقال
لاصحابه ارملوا بالبيت وفيه طاف صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة
على بعير لان الناس كانوا لا يدفعون عنه صلى الله عليه وسلم ولا يضربون
عنه فطاف على بعير ليسمعوا كلامه وليروا مكانه ولا تناله ايديهم الحديث
وكان صلى الله عليه وسلم اذا وصل الى المروة رقي عليها واستقبل البيت
وكبر الله ووحده وفعل كما فعل على الصفا حتى اذا كان اخر طوافه على المروة
قال لو اني استقبلت من امري ما استدبرت لم اسق الهدي واجعلها
عمرة فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة
ابن جعشم فقال يا رسول الله العامنا هذا ام لابد فشبك صلى الله عليه
وسلم اصابعه واحدة في اخرى وقال دخلت العمرة في الحج هكذا مرتين
لا بل لابد ابد وهذا معنى فسخ الحج الى العمرة قال النووي وقد اختلف
في هذا الفسخ هل هو خاص للصحابة تلك السنة خاصة ام باق لهم ولغيرهم
الى يوم القيامة فقال احمد وطايفة من اهل الظاهر ليس خاصا
بل هو باق الى يوم القيامة فقال احمد وطايفة فيجوز لكل من احرم
بالحج ليس معه هدي ان يقلب احرامه عمرة ويتحلل باعمالها وقال

Copyright ... University

مالك والشافعي وابو حنيفة وجماهير العلما من السلف والخلف فهو مختص في تلك
السنة لا يجوز بعدها وانما امروا به تلك السنة ليخالفوا ما كانت عليه الجاهلية
من تحريم العمرة في اشهر الحج ومما يستدل به للجماهير حديث ابي ذر في مسلم كانت
المتعة في الحج لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة يعني فسخ الحج الى العمرة وفي
النساي عن الحرث ابن بلال عن ابيه قال قلت يا رسول الله ارايت فسخ الحج
الى العمرة لنا خاصة ام للناس عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل لنا خاصة قال واما الذي في حديث سراقة العامنا هذا ام للابد فقال لا بل للابد
ابد فمعناه جواز الاعتمار في اشهر الحج والقران كما سبق تفسيره فالحاصل
من مجموع طرق الاحاديث ان العمرة في اشهر الحج جايز الى يوم القيامة وكذلك
القران وان فسخ الحج الى العمرة مختص بتلك السنة والله اعلم انتهى وفي رواية
للنساي ايضا لا تصلح المتعتان الا لنا خاصة يعني متعة النسا ومتعة الحج
ومتعة الشافعي نكاح المراة الى اجل كان ذلك مباحا ثم نسخ يوم خيبر ثم ابيح
يوم فتح مكة ثم نسخ في ايام الفتح واستمر تحريمه الى يوم القيامة وقد كان فيه
خلاف في العصر الاول ثم ارتفع واجمعوا على تحريمه وكان صلى الله عليه وسلم
مدة مقامه بمنزله الذي نزل فيه بالمسلمين بظاهر مكة يقصر الصلاة
فيه وكانت مدة اقامته بمكة قبل الخروج الى منا اربعة ايام ملفقة لانه
قدم في الرابع وخرج في الثامن فصلى بها احدى وعشرين صلاة من اول
ظهر الرابع الى اخر عصر الثامن ومن يوم دخوله عليه الصلاة والسلام
مكة وخروجه يوم النفر الثاني من منا الى الابطح عشرة ايام سوا وقدم علي من
اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بما اهللت فقال بما اهل
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لولا ان معي الهدي لاحللت رواه
الشيخان من حديث انس وفي حديث البرا عند الترمذي والنساي دخل
علي على فاطمة رضي الله عنها فوجدها قد نضحت البيت بنضوح فتعصب
فقالت ما لك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر اصحابه فاحلوا قال
قلت لها اني اهللت باهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فقال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف صنعت وقال له انحر من البدن سبعا
وستين او ستا وستين وامسك لنفسك ثلاثا وثلاثين او اربعا وثلاثين
وامسك من كل بدنة منها بضعة وفي رواية جابر عند مسلم فوجد فاطمة
ممن حل ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت فانكر ذلك عليها فقالت ابي امرني
بهذا فقال صدقت صدقت ماذا قلت حين فرضت الحج قال قلت اللهم اني
اهل بما اهل به رسولك قال فان معي الهدي فلا تحل قال فكان جماعة

الهدي

الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي اتى به النبي صلى الله عليه وسلم
مايه فحل الناس كلهم وقصروا الا النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه بالمسلمين
الى منا وقد احرم بالحج من مكان احل منهم وصلى بها صلى الله عليه وسلم يعني الظهر
والعصر والمغرب والعشا والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس
وامر بقبة من شعر فضربت له بنمرة فسار على طريق ضب ولا تشك
قريش الا انه واقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة كما كانت قريش تصنع في
الجاهلية وكانت الحمس وهم من قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة
ويقولون نحن قطين الله اي جيران بيته فلا نخرج من حرمه وكان
الناس كلهم يبلغون عرفات وذلك قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض
الناس وعن جبير بن مطعم قال اضللت حمارا في الجاهلية فوجدته بعرفة
فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفات مع الناس فلما اسلمت
عرفت ان الله وفقه لذلك وفي رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الجاهلية يقف مع الناس بعرفة على جمل له ثم يصبح مع قومه بالمزدلفة
فيقف معهم ويدفع اذا دفعوا الحديث ولما بلغ صلى الله عليه وسلم عرفة
وجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى اذا زاغت الشمس امر
بالقصوى فرحلت له فركب فاتى بطن الوادي فخطب الناس وقال
ان دماكم واموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم
هذا الا كل شي من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودما الجاهلية
موضوعة وان اول دم اضع من دمايها دم ابن ربيعة بن الحارث كان
مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع واول
ربا اضع ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله فاتقوا الله
في النسا فانكم اخذتموهن بامان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم
عليهن ان لا يوطين فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن
ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم
ما لن تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله وسنته وانتم تسيلون عني فما
انتم قايلون قالوا نشهد انك قد بلغت واديت ونصحت فقال باصبعه
السبابة يرفعها الى السما وينكتها الى الناس اللهم اشهد ثلاث مرات ثم اذن
بلال ثم اقام فصلى الظهر ثم اقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيا وهذا الجمع المذكور
مختص بالمسافرين عند الجمهور وعند مالك والاوزاعي وهو وجه
للشافعية ان الجمع بعرفة جمع للنسك فيجوز لكل احد قال الاسنوي
فلا يجوز الا للمسافر بلا خلاف قال الشافعي والاصحاب اذا خرج الحاج يوم

ومن كان معه هد[…]
فلما كان يوم التروية[…]
وكان يوم الخميس فحـ[…]
وكان صلى الله عليه و[…]

بلغ

قوله جبل بردي بالحا المهملة والجيم قرره شيخنا اللقاني

التروية ونوو الذهاب الي اوطانهم عند فراغ مناسكهم كان لهم القصر من حين م
خروجهم ولما فرغ صلي الله عليه وسلم من صلاته ركب حتي اتي الموقف فجعل
بطن ناقته القصوي الي الصخرات وجعل جبل المشاة بين يديه واستقبل
القبلة وكان اكثر دعايه صلي الله عليه وسلم يوم عرفة في الموقف اللهم لك الحمد
كالذي تقول وخيرا مما نقول اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك
مآبي ولك رب تراثي اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة م
الصدر وشتات الامر اللهم اني اعوذ بك من شر ما تجي به الريح رواه الترمذي
من حديث علي وفي رواية ذكرها رزين كان اكثر دعايه عليه الصلاة والسلام
يوم عرفة بعد قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له اللهم لك الحمد كالذي
نقول اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي وعليك يا رب
تراثي اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ومن وسوسة الصدر ومن شتات
الامر ومن شر كل ذي شر وفي الترمذي افضل الدعا يوم عرفة وافضل ما قلت
انا والنبيون لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علي كل
شي قدير وكان من دعايه في عرفة ايضا كما في الطبراني الصغير من حديث
ابن عباس اللهم انك تسمع كلامي وتري مكاني وتعلم سري وعلانيتي لا يخفي م
عليك شي من امري انا البايس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق
المقر المعترف بذنوبه اسالك مسالة المسكين وابتهل اليك ابتهال
المذنب الذليل وادعوك دعا الخايف الضرير من خضعت لك رقبته
وفاضت لك عيناه وذل جسده ورغم انفه لك اللهم لا تجعلني بدعايك رب
شقيا وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسؤلين ويا خير المعطين واتاه صلي الله
عليه وسلم ناس من اهل نجد وهو بعرفة فسالوه كيف الحج فامر مناديا
ينادي الحج عرفة من جا ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحج ايام مني
ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه رواه الترمذي وفي رواية لجابر
عند ابي داود قال صلي الله عليه وسلم بعرفة وقفت هاهنا وعرفة
كلها موقف وهناك انزل عليه اليوم اكملت لكم دينكم الاية كما في الصحيحين
من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهناك سقط رجل من م
المسلمين عن راحلته وهو محرم فمات فامر صلي الله عليه وسلم ان يكفن
في ثوبيه ولا يمس بطيب وان يغسل بما وسدر ولا يغطي راسه
ولا وجهه واخبر ان الله يبعثه يوم القيامة يلبي رواه البخاري
ومسلم اي يبعث علي هيئته التي مات عليها واستدل بذلك علي بقا
احرامه خلافا للمالكية والحنفية قال النووي يتاول هذا الحديث

علي

علي ان النهي عن تغطية وجهه ليس لكون المحرم لا يجوز له تغطية وجهه
بل هو صيانة للراس فانهم لو غطوا وجهه لم يومن ان يغطوا راسه انتهي قال
الحافظ بن حجر وكان وقوع المحرم المذكور عند الصخرات من عرفة والله اعلم م
ولما غربت الشمس بحيث ذهبت الصفرة قليلا حين غاب القرص افاض
صلي الله عليه وسلم من عرفة واردف اسامة خلفه وقد شنق للقصوي الزمام
حتي ان راسها ليصيب مورك رحلها ويقول بيده ايها الناس السكينة السكينة
كلما اتي جبلا من الجبال ارخي لها قليلا حتي تصعد وافاض من طريق المازمين
وفي رواية ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام سمع وراه زجرا شديدا وضربا
بالابل وراه فاشار بسوطه وقال ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس
بايجاف الخيل والابل فما رايتها رافعة يديها عادية حتي اتي جمعا وفي رواية
اسامة بن زيد عند الشيخين كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال
هشام والنص فوق العنق واخرج الطبراني في المعجم عن سالم بن عبد الله
عن ابيه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم افاض من عرفات وهو يقول
اليك تعدو قلقا وضينها مخالفا دين النصاري دينها قال في النهاية
والحديث مشهور بابن عمر من قوله والقلق الانزعاج والوضين بالصاد
المعجمة حزام الرحل ولما كان في اثنا الطريق نزل رسول الله صلي الله عليه
وسلم فبال وتوضا وضوا خفيفا فقال له اسامة الصلاة يا رسول الله
فقال الصلاة امامك فركب حتي اتي مزدلفة وهي المسمي بجمع بفتح الجيم وسكون
الميم وسميت لان ادم اجتمع فيها مع حوا فازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة
انما سميت جمعا لانه يجمع فيها بين صلاتين وقيل لان الناس يجتمعون فيها
ويزدلفون الي الله اي يتقربون اليه بالوقوف فيها انتهي فصلي رسول
الله صلي الله عليه وسلم بها المغرب والعشا كل واحدة منهما باقامة ولا صلي
اثر كل واحدة منهما وفي رواية فاقام المغرب ثم اناخ الناس في منازلهم ولم
يحلوا حتي اقام العشا الاخرة فصلي ثم حلوا وترك عليه الصلاة والسلام
قيام الليل تلك الليلة ونام حتي اصبح لما تقدم له من الاعمال بعرفة من
الوقوف من الزوال الي بعد الغروب واجتهاده عليه الصلاة والسلام
في الدعا وسيره بعد الغروب الي المزدلفة واقتصر فيها علي صلاة المغرب
والعشا قصرا او رفق بنفسه ليلته مع كونه عليه الصلاة والسلام كان يقوم الليل
حتي تورمت قدماه ولكنه اراح نفسه الشريفة في عرفة ولما هو بصدده
يوم النحر من كونه نحر بيده المباركة ثلاثا وستين بدنة وذهب الي مكة م
لطواف الافاضة ورجع الي مني كما نبه عليه في شرح تقريب الاسانيد وعن

قال الحافظ ابن حجر وكان وقوع المحرم المذكور عند الصخرات من عرفة ...
مبين

بالاضاع يعني بالاسـ...
وفي رواية ابي داود ...
من عرفة وعليه السكينة ...
اسامة فقال ايها النا...
عليكم بالسكينة فان البر...

٤٥٢

Copyright King Saud University

ابن عباس بن مرداس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لامته عشية عرفة
بالمغفرة فاجيب اني قد غفرت لهم ما خلا الظالم فاني اخذ للمظلوم منه قال اي
رب ان شئت اعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشيته فلما
اصبح بالمزدلفة اعاد الدعا فاجيب الى ما سال قال فضحك صلى الله عليه وسلم
او قال تبسم فقال ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بابي انت وامي ان هذه الساعة
ما كنت تضحك فيها فما الذي اضحكك اضحك الله سنك قال ان عدو الله ابليس
لما علم ان الله قد استجاب دعاي وغفر لامتي اخذ التراب فجعل يحثو على راسه
ويدعوا بالويل والثبور فاضحكني ما رايت من جزعه رواه ابن ماجه بعد
ورواه ابو داود من الوجه الذي رواه ابن ماجه ولم يضعفه وقد جاء في بعض
الروايات عن عبر العباس ما يبين ان المراد من الامة من وقف بعرفة وقال
الطبري انه محمول بالنسبة الى الظالم على من تاب وعجز عن وفايها وقيل
رواه البيهقي بنحو رواية ابن ماجه ثم قال وله شواهد كثيرة فان صح بشواهده
ففيه الحجة وان لم يصح فقد قال الله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
وظلم بعضهم بعضا دون الشرك انتهى وقال الترمذي في الحديث الصحيح
من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وهو مخصوص
بالمعاصي المتعلقة بحقوق الله تعالى خاصة دون العباد ولا يسقط انفسها
فمن كان عليه صلاة او كفارة ونحوها من حقوق الله تعالى لا تسقط عنه
لانها حقوق لا ذنوب انما الذنب تاخيرها فنفس التاخير يسقط بالحج
لا هي نفسها فلو اخرها بعده تجدد اثم اخر فالحج المبرور يسقط اثم المخالفة
لا الحقوق وقال ابن تيمية من اعتقد ان الحج يسقط ما وجب عليه من
الحقوق كالصلاة يستتاب والا قتل ولا يسقط حق الادمي بالحج اجماعا
والله اعلم انتهى واستاذنت سودة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
جمع وكانت ثقيلة فاذن لها ان تدفع قبل حطمة الناس قالت عايشة فلان
اكون استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استاذنت سودة احب الي من
مفروح به رواه البخاري وفي رواية ابي داود والنساي ارسل صلى الله عليه
وسلم بام سلمة ليلة النحر فرمت الجمرة قبل الفجر ثم مضت فافاضت وكان ذلك
اليوم الذي يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني عندها وعند
مسلم بعث ام حبيبة من جمع بليل وفي رواية البخاري ومسلم والنساي عن
ابن عباس قال ارسلني صلى الله عليه وسلم مع ضعفة اهله فصلينا
الصبح بمنى ورمينا الجمرة وفي الموطا والصحيحين والنساي عن اسما انها نزلت
ليلة جمع عند المزدلفة فقامت تصلي ساعة ثم قالت يا بني هل غاب

القمر

القمر قلت لا ثم صلت ساعة ثم قالت هل غاب القمر فقلت نعم قالت فارتحلوا فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اذن للظعن بالضم للنسا في الهوادج وقد
اختلف السلف في ترك المبيت بالمزدلفة فقال علقمة والنخعي والشعبي
من تركه فاته الحج وقال عطا والزهري وقتادة والشافعي والكوفيون
واسحق عليه دم ومن بات بها لم يجز له الدفع قبل النصف وقال مالك
ان مر بها فلم ينزل فعليه دم وان نزل فلا دم عليه متى دفع انتهى ولما
طلع الفجر صلى النبي صلى الله عليه وسلم الفجر حين تبين الصبح باذان
واقامة وفي سنن البيهقي والنساي باسناد صحيح على شرط مسلم انه صلى
الله عليه وسلم قال للفضل بن العباس غداة يوم النحر التقط لي حصا
فالتقط له حصيات مثل حصى الخذف وهو بالمعجمتين ولم يكسرها كما
يفعل من لا علم عنده وفي رواية للنساي قال عليه الصلاة والسلام لابن
عباس غداة النحر وهو عليه الصلاة والسلام على راحلته هات التقط
لي فلقط حصيات من حصى الخذف فلما وضعهن في يده قال بامثال
هولا واياكم والغلو في الدين وانما هلك من قبلكم بالغلو في الدين قال
العلما وفي هذا الحديث دليل على استحباب اخذ الحصيات بالنهار و
هو راي البغوي قال ويكون ذلك بعد صلاة الصبح ونص عليه
الشافعي في الام والاملا لكن الجمهور كما قال الرافعي على استحباب الاخذ
بالليل لفراغهم فيه وهل يستحب ان يلتقط جميع ما يرمي به في الحج وبه
جزم في التنبيه واقره عليه النووي في تصحيحه لكن الاكثرون كما قال
الرافعي على استحباب الاخذ ليوم النحر خاصة ونص عليه الشافعي ايضا
قال في شرح المهذب والاحتياط ان يزيد فربما سقط منه شي انتهى
ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم القصوى حتى اتى المشعر الحرام ثم
رقي عليه فاستقبل القبلة فحمد الله وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا
حتى اسفر جدا فدفع قبل ان تطلع الشمس وفي رواية غير جابر وكان
المشركون لا ينفرون حتى تطلع الشمس وان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كره ذلك فنفر قبل طلوع الشمس وفي حديث علي عند الطبري
لما اصبح صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة غدا فوقف على قزح واردف الفضل
ثم قال هذا الموقف وكل المزدلفة موقف حتى اذا اسفر دفع وفي رواية
جابر واردف صلى الله عليه وسلم الفضل بن العباس وكان احسن الشعر ابيض وسيم
فلما دفع صلى الله عليه وسلم مرت ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن فوضع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق

Copyright King Saud University

الاخر ينظر بحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده من الشق الاخر ينظر
وفي رواية كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاته امراة خثعمية
تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل صلى الله عليه وسلم يصرف
وجه الفضل الى الشق الاخر فقالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في
الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة افاحج عنه قال
نعم وذلك في حجة الوداع رواه الشيخان وغيرهما وقد روي ايضا من حديث
جابر عبد الله بن عباس لكن رجح البخاري رواية الفضل لانه كان رديف
النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ وكان عبد الله بن العباس تقدم الى منى مع
الضعفة فكان الفضل حدث اخاه بما شاهده في تلك الحالة ويحتمل
ان يكون سوال الخثعمية وقع بعد رمي جمرة العقبة بحضره عبد الله
ابن عباس فنقله تارة عن اخيه لكونه صاحب القصة وتارة عما شاهده
ويويده ما في الترمذي ان السوال المذكور وقع عند النحر بعد الفراغ
من الرمي وان العباس كان شاهدا وفيه انه عليه الصلاة والسلام لوى عنق
الفضل فقال العباس يا رسول الله لويت عنق ابن عمك قال رايت شابا
وشابة فلم امن عليهما الشيطان وظاهر هذا ان العباس كان حاضرا لذلك
فلا مانع ان يكون ابنه عبد الله ايضا كان معه وفي هذا الحديث دلالة على
جواز النيابة في الحج عمن لا يستطيع من الاحياء خلافا لمالك في ذلك ولمن قال
لا يحج عن احد مطلقا كابن عمر ونقل ابن المنذر وغيره الاجماع على انه لا يجوز
ان يستنيب من يقدر على الحج بنفسه في الحج الواجب واما النفل فيجوز عند
ابي حنيفة خلافا للشافعي وعند احمد روايتان انتهى وفي رواية بن عباس
ان اسامة قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة
ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه
وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة رواه الشيخان وغيرهما وفي رواية جابر
فلما اتى عليه الصلاة والسلام بطن محسر حرك ناقته واسرع السير قيل
قال الاسنوي سببه ان النصارى كانت تقف فيه كما قاله الرافعي او
العرب كما قاله في الوسيط فامرنا بمخالفتهم قال فظهر لي فيه معنى اخر
وهو انه مكان نزل فيه العذاب على اصحاب الفيل القاصدين هدم
البيت فاستحب فيه الاسراع لما ثبت في الصحيح امره المار على ديار ثمود
ونحوهم بذلك على غيره وهذه كانت عادته صلى الله عليه وسلم في المواضع
التي نزل فيها باس الله باعدائه وسمي وادي محسر لان الفيل حسر اي اعيي
وانقطع عن الذهاب انتهى ثم سلك صلى الله عليه وسلم الطريق الوسطى

التي

التي تخرج الى الجمرة الكبرى حتى اتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات
يكبر مع كل حصاة رمى من بطن الوادي وجعل البيت عن يساره ومنى عن
يمينه واستقبل الجمرة وكان رميه صلى الله عليه وسلم يوم النحر كما قاله جابر صح
في رواية مسلم والترمذي وابو داود والنسائي وفي رواية ام الحصين
عند ابي داود رايت اسامة وبلالا احدهما اخذ بخطام ناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والاخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة
العقبة وفي رواية النسائي ثم خطب فحمد الله واثنى عليه وذكر قولا كثيرا
وعند احمد رايته عليه الصلاة والسلام يرمي الجمرة من بطن الوادي
وهو راكب يكبر مع كل حصاة ورجل من خلفه يستره فسالت عن الرجل
فقالوا الفضل بن العباس وازدحم الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا ايها الناس لا يقتل بعضكم بعضا واذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف
وفي هذا دليل على جواز استظلال المحرم بالمحمل ونحوه وقد مر انه عليه
الصلاة والسلام ضربت له قبة من شعر بنمرة وفي رواية جابر عند مسلم وابي
داود قال رايته صلى الله عليه وسلم يرمي على راحلته يوم النحر وهو
يقول خذوا عني مناسككم لا ادري لعلي لا احج بعد حجتي هذه وفي رواية
قدامة عند الترمذي رايته يرمي الجمار على ناقة ليس ضرب
ولا طرد ولا اليك اليك انتهى ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى المنحر فنحر ثلاثا وستين
بدنة ثم اعطى عليا فنحر ما غبر واشركه في هديه ثم امر من كل بدنة ببضعة
فجعلت في قدر فطبخت فاكلا من لحمها وشربا من مرقها وفي رواية جابر عند
مسلم نحر عليه الصلاة والسلام عن نسائه بقرة وقالت عائشة نحر صلى الله
عليه وسلم عن ال محمد في حجة الوداع بقرة واحدة رواه ابو داود ثم اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله بمنى ثم قال للحلاق خذ واشار الى
جانبه الايمن ثم الايسر ثم جعل يعطيه الناس وفي رواية انه قال للحلاق
خذ واشار الى جانبه الايمن ثم الايسر ثم جعل يعطيه الناس وفي رواية
انه قال للحلاق ها واشار بيده الى الجانب الايمن فقسم شعره بين من يليه
ثم اشار الى الحلاق الى الجانب الايسر فحلق واعطاه ام سليم وفي اخرى فبدا
بالشق الايمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم قال بالايسر
فصنع مثل ذلك ثم قال ها هنا ابو طلحة فدفعه اليه وفي اخرى رمى
جمرة العقبة ثم انصرف الى البدن فنحرها والحجام جالس وقال بيده
عن راسه فحلق الشق الايمن فقسمه بين من يليه ثم قال احلق الشق
الاخر فقال اين ابو طلحة فاعطاه اليه رواه الشيخان وعند الامام احمد

وان الحلاق اسم ابو معمر

Copyright ... University

استدعي الحلاق فقال له وهو قائم علي راسه بالموس ونظر في وجهه وقال يا معمر
امكنك رسول الله من شحمة اذنه وفي يدك الموس قال فقلت له اما والله يا رسول
الله ان ذلك لمن نعم الله علي ومنه قال اجل وقال البخاري وزعموا ان الذي
حلق للنبي صلى الله عليه وسلم معمر بن عبد الله بن نضلة بن عوف انتهى وهو
عند ابن خزيمة في صحيحه وعند الامام احمد وقلم صلى الله عليه وسلم اظفاره
وقسمها بين الناس وعنده ايضا من حديث محمد بن زيد ان اباه حدثه انه شهد
النبي صلى الله عليه وسلم عند المنحر ورجل من قريش وهو يقسم اضاحي فلم يصبه
شيء ولا صاحبه فحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه في ثوبه فاعطاه
فقسم منه على رجال وقلم اظفاره فاعطاه صاحبه وكان يخضب بالحنا والكتم
وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اغفر للمحلقين
قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين
قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال وللمقصرين رواه البخاري وليس فيه تعيين
هل قاله صلى الله عليه وسلم في الحديبية او في حجة الوداع قالوا ولم يقع في شيء
من طرقه التصريح بسماعه لذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ولو وقع لـ
لقطعنا بانه كان في حجة الوداع لانه شهدها ولم يشهد الحديبية وقد وقع
تعيين الحديبية من حديث جابر عند ابي قرة في السنن ومن طريقه الطبراني
في الاوسط من حديث المسور بن مخرمة عند ابن اسحق في المغازي وورد
تعيين حجة الوداع من حديث ابي مريم السلولي عند احمد وابن ابي شيبة
ومن حديث ام الحصين عند مسلم ومن حديث قارب بن الاسود الثقفي
عند احمد وابن ابي شيبة ومن حديث ام عمارة عند الحارث فالاحاديث
التي فيها تعيين حجة الوداع اكثر عددا واصح اسنادا ولهذا قال النووي
عقب احاديث ابن عمر وابي هريرة وام الحصين هذه الاحاديث تدل على ان
هذه الواقعة كانت في حجة الوداع قال وهو الصحيح المشهور وقيل كان
في الحديبية وجزم امام الحرمين في النهاية ان ذلك كان في الحديبية ثم قال
النووي ولا يبعد ان يكون وقع في الموضعين انتهى وكذا قال ابن دقيق
العيد انه الاقرب قال في فتح الباري بل هو المتيقن لتظافر الروايات
بذلك في الموضعين الا ان السبب في الموضعين مختلف فالذي في الحديبية
كان بسبب توقف من توقف من الصحابة عن الاحلال لما دخل عليهم من
الحزن لكونهم منعوا من الوصول الى البيت مع اقتدارهم في انفسهم على ذلك
فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم وصالح قريشا على ان يرجع في العام المقبل فلما
امرهم بالاحلال توقفوا واشارت ام سلمة ان يحل هو صلى الله عليه وسلم قبلهم

فنعل

فنعل تبعوه فحلق بعض وقصر بعض فكان من بادر الى الحلق اسرع الى
امتثال الامر ممن اقتصر على التقصير وقد وقع التصريح بهذا السبب في
حديث ابن عباس فان اخره عند ابن ماجة وغيره انهم قالوا يا رسول الله ما بال
المحلقين ظاهرت لهم بالترحم قال لانهم لم يشكوا واما السبب في تكرير الدعا للمحلقين
في حجة الوداع فقال ابن الاثير في النهاية كان اكثر من حج معه صلى الله عليه
وسلم لم يسق الهدي فلما امرهم ان ينسكوا الحج الى العمرة ولم يتحللوا منها ويحلقوا
رؤوسهم شق عليهم ثم لما لم يكن لهم بد من الطاعة كان التقصير في انفسهم
اخف من الحلق ففعله اكثرهم فرجح صلى الله عليه وسلم فعل من حلق لكونه
ابين في امتثال الامر انتهى قال الحافظ ابن حجر وفيما قاله نظر وان تابعه
عليه غير واحد لان المتمتع يستحب في حقه ان يقصر في العمرة ويحلق
في الحج اذا كان ما بين النسكين متقاربا وقد كان ذلك في حقهم كذلك والاولى
ما قاله الخطابي وغيره ان عادة العرب انها كانت تحب توفير الشعور
والتزين بها وكان الحلق فيهم قليلا وربما كانوا يرونه من الشهرة ومن فعل
الاعاجم فلذلك كرهوا الحلق واقتصروا على التقصير انتهى وفي رواية
عبد الله بن عمرو بن العاصي وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة
الوداع بمنى للناس يسالونه فجا رجل فقال يا رسول الله لم اشعر فحلقت
قبل ان انحر قال اذبح ولا حرج ثم جا رجل اخر فقال يا رسول الله لم اشعر فنحرت
قبل ان ارمي فقال ارم ولا حرج قال فما سئل عن شيء قدم ولا اخر الا قال افعل
ولا حرج رواه مسلم وفي رواية حلقت قبل ان ارمي وفي رواية وقف صلى الله
عليه وسلم على راحلته فطفق ناس يسالونه فيقول القايل منهم يا رسول
الله اني لم اكن اشعر ان الرمي قبل النحر فنحرت قبل الرمي فقال صلى الله عليه
وسلم فارم ولا حرج قال فما سمعته يسال يوميذ عن امر ما ينسى المرء ويجهل
من تقديم بعض الامور قبل بعض واشباهها الا قال صلى الله عليه وسلم
افعلوا ذلك ولا حرج وفي رواية انه عليه الصلاة والسلام بينما هو قائم يخطب
يوم النحر فقام اليه رجل فقال ما كنت احسب ان كذا قبل كذا وفي رواية
حلقت قبل ان انحر نحرت قبل ان ارمي واشباه ذلك وفي رواية حلقت
قبل ان اذبح ذبحت قبل ان ارمي ومن المعروف ان الترتيب اولى وذلك
ان وظايف يوم النحر اربعة اشيا رمي جمرة العقبة ثم نحر الهدي او ذبحه
ثم الحلق او التقصير ثم طواف الافاضة ثم السعي بعده وقد تقدم انه صلى
الله عليه وسلم رمى جمرة العقبة ثم نحر ثم حلق وقد اجمع العلما على مطلوبية
هذا الترتيب واجمعوا ايضا على جواز تقديم بعضها على بعض الا انهم

يتقسموا

صح

قبل كذا صح

٤٥٦

Copyright King Saud University

اختلفوا في وجوب الدم في بعض المواضع ومذهب الشافعي وجمهور السلف
والعلماء وفقهاء الحديث الجواز وعدم وجوب الدم لقوله عليه الصلاة والسلام
للسايل لا حرج فهو ظاهر في رفع الاثم والفدية معا لان اسم الضيق يشملهما
وقال الطحاوي ظاهر الحديث يدل على التوسعة في تقديم بعض هذه الاشيا
على بعض الا انه يحتمل ان يكون قوله لا حرج اي لا اثم في ذلك الفعل وهو كذلك
لمن كان ناسيا او جاهلا واما من يتعمد المخالفة فتجب عليه الفدية وتعقب
بان وجوب الفدية يحتاج الى دليل ولو كان واجبا لبينه صلى الله عليه وسلم
حينيذ لانه وقت الحاجة فلا يجوز تاخيره وتمسك الامام احمد بقوله في
الحديث لم اشعر وبما في رواية يونس عند مسلم وصالح عند احمد فما سمعته
يوميذ يسال عن امر مما ينسى المرا ويجهل من تقديم بعض الامور قبل بعضها
الا قال افعل ولا حرج فانه ان كان ناسيا او جاهلا فلا شي عليه وان كان عالما
فلا قال ابن دقيق العيد ما قاله احمد قوي من جهة ان الدليل دل على وجوب
اتباع الرسول في الحج لقوله خذوا عني مناسككم وهذه الاحاديث المرخصة
في تقديم ما وقع عنه تاخيره قد قرنت بقول السايل لم اشعر فيختص الحكم
بهذه الحالة وتبقى حالة العمد على اصل وجوب الاتباع في الحج انتهى وعن
ابي بكرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر قال ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثني عشر شهرا
منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
مضر الذي بين جمادى وشعبان وقال اي شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم
فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس ذي الحجة قلنا بلى قال
اي بلد هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير
اسمه قال اليس البلدة قلنا بلى قال فاي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم
فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس يوم النحر قلنا بلى قال
فان دماكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا
وستلقون ربكم فيسلكم عن اعمالكم الا فلا ترجعوا بعدي كفارا ضلالا يضرب في شهركم هذا
بعضكم رقاب بعض الا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد فليبلغ الشاهد
الغايب فرب مبلغ اوعى من سامع رواه الشيخان وفي رواية للبخاري فودع
الناس ووقع في طريق ضعيفة عند البيهقي من حديث ابن عمر سبب
ذلك ولفظه انزلت اذا جاء نصر الله والفتح على رسول الله صلى الله عليه
وسلم في وسط ايام التشريق وعرف انه الوداع فامر براحلته القصوى
فرحلت له فركب ووقف بالعقبة واجتمع اليه الناس فقال يا ايها الناس

فذكر

فذكر الحديث وفيه دلالة مشروعية الخطبة يوم النحر بمنى وبه اخذ الشافعي
ومن تبعه وخالف ذلك المالكية والحنفية قالوا خطب الحج ثلاثة سابع ذي
الحجة ويوم عرفة بها وثاني يوم النحر بمنى ووافقهم الشافعي الا انه قال بدل
ثاني النحر ثالثه لانه اول النفر وزاد خطبة رابعة وهي يوم النحر قال
وبالناس حاجة اليها ليعلموا اعمال ذلك اليوم من الرمي والذبح والحلق
والطواف وتعقبه الطحاوي بان الخطبة المذكورة ليست من متعلقات
الحج لانه لم يذكر فيها شيا من امور الحج وانما ذكر فيها وصايا عامة ولم ينقل احد
انه علمهم فيها شيا من الذي يتعلق بيوم النحر فعلمنا انها لم تقصد لاجل الحج
وقال ابن بطال انما فعل ذلك من اجل تبليغ ما ذكره لكثرة الجمع الذي
اجتمع من اقاصي الدنيا فظن الذي راه انه خطب قال واما ما ذكره الشافعي
ان بالناس حاجة الى تعليمهم اسباب التحلل المذكور فليس بمتعين لان
الامام يمكنه ان يعلمهم اياها يوم عرفة انتهى واجيب بانه صلى الله عليه وسلم
نبه في الخطبة المذكورة على تعظيم يوم عرفة وعلى تعظيم ذي الحجة وعلى
تعظيم البلد الحرام وقد جزم الصحابة المذكورون بتسميتها خطبة فلا
يلتفت لتاويل غيرهم وما ذكره من امكان تعليم ما ذكر يوم عرفة يعكر عليه
في كونه يرى مشروعية الخطبة ثاني يوم النحر وكان يمكن ان يعلموا
ذلك يوم عرفة بل يمكن ان يعلموا يوم التروية جميع ما ياتي به من
اعمال الحج لكن لما كان في كل يوم اعمال ليست في غيره شرع تجديد التعليم
بحسب تجدد الاسباب واما قول الطحاوي انه لم ينقل انه علمهم شيا
من اسباب التحلل فلا ينفي وقوع ذلك او شي منه في نفس الامر بل قد
ثبت في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص انه شهد النبي صلى الله
عليه وسلم يخطب يوم النحر وذكر فيه السوال عن تقديم بعض المناسك
على بعض فكيف ساغ للطحاوي هذا النفي المطلق انتهى وقد روى
ابو داود والنسايي عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي قال خطبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى ففتحت اسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول
ونحن في منازلنا فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار فوضع اصبعيه
السبابتين ثم قال بحصى الخذف ثم امر المهاجرين فنزلوا في مقدم
المسجد وامر الانصار ان ينزلوا من وراء المسجد قال ثم نزل الناس بعد وفي
رواية عن عبد الرحمن بن معاذ عن رجل من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم بمنى ونزلهم منازلهم
فقال لينزل المهاجرون هاهنا واشار الى ميمنة القبلة والانصار

٤٥٧

Copyright King Saud University

ها هنا واشار الى ميسرة القبلة ثم قال لينزل الناس حولهم وعن ابن ابي نجيح عن ابيه
عن رجلين من بني بكر قالا راينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بين
اوسط ايام التشريق ونحن عند راحلته وهي خطبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم التي خطب بمنى رواه ابو داود وعن رافع ابن عمرو المزني قال
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع
الضحى على بغلة شهباء وعلي يعبر عنه والناس بين قائم وقاعد رواه ابو داود
ايضا وعن ربيعة بن عبد الرحمن بن حصين قال حدثتني جدتي
سراء بنت نبهان وكانت ربة بيت في الجاهلية قالت خطبنا النبي صلى
الله عليه وسلم يوم الرؤوس فقال اي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم
قال اليس اوسط ايام التشريق وفي رواية انه خطب اوسط ايام التشريق
رواه ابو داود ايضا ثم ركب صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فافاض الى
البيت فطاف طواف الافاضة وهو طواف الزيارة والركن والصدر وفي
البخاري ويذكر عن ابي حسان عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يزور البيت ايام منى واتى صلى الله عليه وسلم زمزم وبني عبد المطلب
يسقون عليها فقال انزعوا بني عبد المطلب فلولا ان يغلبكم الناس على
سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه وفي رواية ابن عباس
فشرب وهو قائم وفي رواية بخلف عكرمة ما كان يومئذ الا على بعير لكن لم
يعين فيها حجة الوداع ولا غيرها انما التعيين في رواية جابر عند مسلم
واختلف اين صلى صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ ففي رواية جابر عند
مسلم انه عليه الصلاة والسلام صلى بمكة وكذلك قالت عائشة وفي حديث
ابن عمر في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم افاض يوم النحر ثم رجع فصلى
الظهر بمنى فرجح ابن حزم في كتاب حجة الوداع له قول عائشة وجابر
وتبعه على ذلك جماعة لانهما اثنان وهما اولى من الواحد ولان عائشة اخص
الناس به ولها من القرب والاختصاص ما ليس لغيرها ولان سياق جابر
لحجه صلى الله عليه وسلم من اولها الى اخرها اتم سياق واحفظ للقصة وضبطها
حتى ضبط جزئياتها حتى امرا لا يتعلق بالمناسك وهو نزوله صلى الله عليه
وسلم في الطريق فبال عند الشعب وتوضأ وضوءا خفيفا فمن ضبط هذا
القدر فهو بضبط مكان صلاته الظهر يوم النحر اولى وايضا فان حجة
الوداع كانت في اذار وهو تساوي الليل والنهار وقد دفع من مزدلفة
قبل طلوع الشمس الى منى وخطب بها الناس ونحر بدنه وقسمها وطبخ له
من لحمها واكل منه ورمى الجمرة وحلق راسه وتطيب ثم افاض وطاف وشرب

هنوا به بنوا

قوله حجة الوداع كانت
في اذار وهو تساوى
الليل والنهار

من بات

من بات زمزم ووقف عليهم وهم يسقون وهذه اعمال يظهر منها انه لا يقضي في
مقدار لا يمكن الرجوع الى منى بحيث يدرك الظهر في فصل اذار ورجحت طائفة
اخرى قول ابن عمر لانه لا يحفظ عنه في حجته صلى الله عليه وسلم انه صلى الفرض
بمكة بل انما كان يصلي بمنزله بالمسلمين مدة مقامه فان حديث ابن عمر متفق عليه
وحديث جابر من افراد مسلم فحديث ابن عمر اصح منه فان رواته احفظ واشهر
وبان حديث عائشة قد اضطرب في وقت طوافه فروي عنها انه طاف نهارا
وفي رواية عنها انه اخر الطواف الى الليل وفي رواية عنها انه افاض من اخر يومه
فلم تضبط فيه وقت الافاضة ولا مكان الصلاة وايضا فان حديث ابن عمر اصح
منه بلا نزاع لان حديث عائشة من رواية محمد بن اسحق عن عبد الرحمن
ابن القاسم وابن اسحق يختلف في الاحتجاج به ولم يصرح بالسماع بل عنعنه فلا
يقدم على حديث عبد الله بن عمر انتهى ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى منى فمكث
بها ليالي ايام التشريق يرمي الجمرة اذا زالت الشمس كل جمرة بسبع حصيات
يكبر مع كل حصاة ويقف عند الاولى والثانية فيطيل القيام ويتضرع ويرمي
الثالثة فلا يقف عندها ابو داود من حديث عائشة وعن ابن عمر عند الترمذي
كان صلى الله عليه وسلم اذا رمى الجمار مشى اليها ذاهبا وراجعا وفي رواية ابي داود
وكان يستقبل القبلة في الجمرتين الدنيا والوسطى ويرمي جمرة العقبة من
بطن الوادي الحديث واستاذنه صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب
ان يبيت بمكة ليالي منى من اجل السقاية فاذن له رواه البخاري من حديث
ابن عمر وفي رواية الاسماعيلي رخص للعباس ان يبيت بمكة ليالي منى من اجل
سقايته وفيه دليل على وجوب المبيت بمنى وانه من مناسك الحج لان
التعبير بالرخصة يقتضي ان يقابلها العزيمة وان الاذن وقع للعلة المذكورة
واذا لم توجد او ما في معناها لم يحصل الاذن وبالوجوب قال الجمهور وفي قول
الشافعي وهو رواية عن احمد وهو مذهب الحنفية انه سنة ووجوب الدم
بتركه مبني على هذا الخلاف ولا يحصل المبيت الا بمعظم الليل وهل يختص الاذن
بالسقاية وبالعباس الصحيح العموم والعلة في ذلك اعداد الماء للشاربين وحرم
الشافعي بالحاق من له مال يخاف ضياعه او امر يخاف فوته او مريض يتعهده
باهل السقاية كما جزم الجمهور بالحاق الرعاء خاصة وهو قول احمد قال ومن
ترك المبيت بغير عذر وجب عليه دم عن كل ليلة ثم افاض صلى الله عليه
وسلم بعد ظهر يوم الثلاثاء بعد ان اكمل ايام التشريق ولم يتعجل في يومين
الى المحصب وهو الابطح وحده ما بين الجبلين الى المقبرة وهو خيف بني
كنانة فوجد ابا رافع قد ضرب قبته هناك وكان على ثقله قال ابو رافع

٤٥٨

Copyright ... University

لما مر في صلى الله عليه وسلم ان انزل الابطح حين خرج من منى ولكني جيت فضربت
فيه قبته فجا فنزل رواه مسلم وفيه وفي البخاري عن انس انه عليه الصلاة
والسلام صلى الظهر والعصر يوم النفر بالابطح وفيهما من حديث ابي هريرة انه
صلى الله عليه وسلم قال من الغد يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف
بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعني بذلك المحصب وذلك ان قريشا
وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى
يسلموا اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس ليس التحصيب بشي انما
هو منزلة نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ليس التحصيب من امر
المناسك الذي يلزم فعله لكن لما نزل صلى الله عليه وسلم به كان النزول
به مستحبا اتباعا له لتقريره على ذلك وقد فعله الخلفا بعده كما في مسلم وعن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشا ثم رقد
رقدة بالمحصب ثم ركب الى البيت فطاف به رواه البخاري وهذا هو طواف
الوداع ومذهب الشافعي انه واجب يلزم بتركه دم على الصحيح وهو قول
اكثر العلما وقال مالك وداود وهو سنة لا شي بتركه واختلفوا في المرأة اذا حاضت
بعد ما طافت طواف الافاضة هل عليها طواف الوداع ام لا وكان ابن عباس
يرخص لها ان تنفر اذا حاضت وكان ابن عمر يقول في اول امره انها لا تنفر ثم
قال في اخر امره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لهن رواه الشيخان
وعن عائشة ان صفية بنت حيي حاضت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم احابستنا هي قالوا انها قد افاضت قال فلا اذن ومعنى قوله
احابستنا هي اي مانعتنا من التوجه من مكة في الوقت الذي اردنا التوجه
فيه ظنا منه صلى الله عليه وسلم انها ما طافت طواف الافاضة وانما قال ذلك
لانه كان لا يتركها ويتوجه ولا يامرها بالتوجه معه وهي باقية على احرامها
فيحتاج الى ان تقيم حتى تطهر وتطوف وتحل الحل الثاني وفي رواية فحاضت
صفية فاراد النبي صلى الله عليه وسلم منها ما يريد الرجل من اهله فقلت
يا رسول الله انها حائض قال احابستنا هي الحديث وهذا مشكل لانه صلى
الله عليه وسلم ان كان علم انها طافت طواف الافاضة فكيف يقول احابستنا
هي وان كان ما علم فكيف يريد وقاعها قبل التحلل الثاني ويجاب عنه بانه
صلى الله عليه وسلم ما اراد ذلك منها الا بعد ان استاذنه نساوه في طواف
الافاضة فاذن لهن فكان بانيا على انها قد حلت فلما قيل له انها حائض جوز
ان يكون وقع لها قبل ذلك حتى منعها من طواف الافاضة فاستفهم عن
ذلك فاعلمته عائشة انها طافت معهن فزال عنه ما خشيه من ذلك

انتهى

٢٤٦٠

انتهى وقالت عائشة يا رسول الله ينطلقون بحج وعمرة وانطلق بحج فامر
عبد الرحمن بن ابي بكر ان يخرج معها الى التنعيم فاعتمرت بعد الحج رواه الشيخان
وفي رواية لمسلم انها وقفت المواقف كلها حتى اذا طهرت طافت بالكعبة
والصفا والمروة ثم قال لها يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حللت
من حجك وعمرتك جميعا فقالت يا رسول الله اني اجد في نفسي اني لم اطف
بالبيت حين حججت قال فاذهب بها يا عبد الرحمن فاعمرها من التنعيم
وذلك ليلة الحصبة زاد في رواية وكان صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا اذا
هويت شيا تابعها عليه وقد كانت عائشة قارنة لانها كانت قد اهلت
بالعمرة فحاضت فامرها فادخلت عليها الحج وصارت قارنة واخبرها ان
طوافها بالبيت وبين الصفا والمروة قد وقع عن حجها وعمرتها فوجدت في
نفسها اذ يرجع صواحباتها بحج وعمرة مستقلين فانهن كن متمتعات
ولم يحضن ولم يقرن وترجع هي بعمرة في ضمن حجتها فامر اخاها ان يعمرها
من التنعيم تطييبا لقلبها ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة
فخرج من كدا بضم الكاف مقصورا وهو عند باب شبيكة بقرب شعب
الشاميين من ناحية قعيقعان واختلف في المعنى الذي لاجله خالف صلى
الله عليه وسلم بين طريقيه فقيل ليتبرك به كل من في طريقيه وقيل
الحكمة في ذلك المناسبة لجهة العلو عند الدخول لما فيه من تعظيم المكان
وعكسه الاشارة الى فراقه وقيل لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما دخل
مكة دخل منها وقيل غير ذلك وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابن عباس انه
صلى الله عليه وسلم لقي ركبا بالروحا فقال من القوم فقالوا المسلمون
يا رسول الله فرفعت امراة صبيا لها من محفة فقالت يا رسول الله الهذا
حج قال نعم ولك اجر ولما وصل صلى الله عليه وسلم لذي الحليفة بات بها فلما
رأى المدينة كبر ثلاثا وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك (ولا عبرة بالترتيب:)
بعضهم ان نزوله لم يكن قصدا وانما كان اتفاقا حكاه القاضي اسمعيل في احكامه
عن محمد بن الحسن وتعقبه والصحيح انه كان قصدا لئلا يدخل المدينة
ليلا فلما رأى المدينة كبر ثلاثا وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شي قدير ايبون تايبون عابدون ساجدون لربنا
حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دخل
الى المدينة نهارا من طريق المعرس بفتح الرا المشددة وبالمهملتين وهو
مكان معروف وكل من المعرس والشجرة التي بات بها صلى الله عليه وسلم
في ذهابه الى مكة على ستة اميال من المدينة انتهى ملخصا من فتح الباري
وغيره والله اعلم واما عمره صلى الله عليه وسلم العمرة في اللغة الزيارة ومذهب

٤٥٩

Copyright ... University

الشافعي واحمد وغيرهما انها واجبة كالحج والمشهور عن المالكية انها تطوع وهو قول
الحنفية وقد اعتمر صلى الله عليه وسلم اربع عمر ففي الصحيحين وسنن الترمذي
وابي داود عن قتادة قال سالت انسا كم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال حج حجة واحدة واعتمر اربع عمر عمرة من ذي القعدة وعمرة الحديبية وعمرة
مع حجته وعمرة الجعرانة اذ قسم غنيمة حنين وهذا لفظ رواية الترمذي
وقال حسن صحيح وفي رواية الصحيحين اعتمر اربع عمر كلها في ذي القعدة الا
التي مع حجته عمرة الحديبية او زمن الحديبية في ذي القعدة وعمرة من
العام المقبل في ذي القعدة وعمرة في حجته وعن محرش الكعبي انه صلى الله
عليه وسلم خرج من الجعرانة ليلا معتمرا فدخل مكة ليلا فقضى عمرته ثم خرج
من ليلته فاصبح بالجعرانة كبائت فلما زالت الشمس من الغد خرج في بطن
سرف حتى جامع الطريق طريق ببطن سرف من اجل ذلك خفيت عمرته
على الناس رواه الترمذي وقال حديث غريب وعن ابن عمر قال اعتمر النبي
صلى الله عليه وسلم قبل ان يحج رواه ابو داود وعن عروة ابن الزبير قال
كنت انا وابن عمر مستندين الى حجرة عايشة وانا لنسمع صوتها بالسواك
تستن قال فقلت يا ابا عبد الرحمن اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب
قال نعم فقلت لعايشة اي امتاه الا تسمعين ما يقول ابو عبد الرحمن
قالت وما يقول قلت يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب فقالت
يغفر الله لابي عبد الرحمن لعمري ما اعتمر في رجب وما اعتمر من عمرة
الا وانا معه وابن عمر يسمع ما قال لا ولا نعم سكت وفي رواية ابي داود
عن عروة عن عايشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرتين
في ذي القعدة وعمرة في شوال وفي رواية له عن مجاهد قال سيل ابن
عمر كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمرتين فبلغ عايشة فقالت
لقد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاثا سوى التي قرنها بحجة
الوداع وقد ذكرت الاختلاف فيما كان عليه الصلاة والسلام محرما به في حجة
الوداع والجمع فيما اختلف فيه من ذلك والمشهور عن عايشة انه عليه
الصلاة والسلام كان مفردا وحديثها هذا يشعر بانه كان قارنا وكذا ابن
عمر قد انكر على انس لكونه قال انه عليه الصلاة والسلام كان قارنا مع ان
حديثه هذا المتقدم يدل على انه كان قارنا لانه لم ينقل انه عليه
الصلاة والسلام اعتمر مع حجته ولم يكن متمتعا لانه عليه الصلاة والسلام
اعتذر عن ذلك بكونه ساق الهدي واحتاج بعضهم الى تاويل ما وقع
عن عايشة وابن عمر هنا فقال انما يجوز نسبة العمرة الرابعة اليه

صلى

صلى الله عليه وسلم باعتبار انه امر الناس بها وعملت بحضرته لا انه صلى الله عليه
وسلم اعتمرها بنفسه وانت اذا تاملت ما تقدم من اقوال الايمة في حجته صلى
الله عليه وسلم مع الجمع استغنيت عن هذا التاويل المتعسف قال بعض العلما
المحققين وفي عدهم عمرة الحديبية التي صد عنها صلى الله عليه وسلم
ما يدل على انها عمرة تامة وفيه اشارة الى صحة قول الجمهور انه لا يجب
القضا على من صد عن البيت خلافا للحنفية ولو كانت عمرة القضية
بدلا عن عمرة الحديبية لكانتا واحدة وانما سميت عمرة القضية والقضا
لان النبي صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا فيها لا انها وقعت قضا عن العمرة
التي صد عنها اذ لو كان كذلك لكانت عمرة واحدة واما حديث ابي
داود عن عايشة انه اعتمر في شوال فان كان محفوظا فلعله يريد عمرة
الجعرانة حين خرج في شوال ولكن انما احرم في القعدة وانكر ابن القيم ان
يكون صلى الله عليه وسلم اعتمر في رمضان نعم قد اخرج الدارقطني من
طريق العلا بن زهير عن عبد الرحمن ابن الاسود بن يزيد عن ابيه
عن عايشة قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة في
رمضان فافطر وصمت وقصر واتممت وقال ان اسناده حسن لكن
يمكن حمله على ان قولها في رمضان متعلق بقولها خرجت ويكون المراد
سفر فتح مكة فانه كان في رمضان واعتمر عليه الصلاة والسلام في تلك
السنة من الجعرانة لكن في ذي القعدة كما تقدم واما قول ابن القيم في
الهدي ايضا ولم يكن في عمره صلى الله عليه وسلم عمرة واحدة خارجا من
مكة كما يفعله كثير من الناس اليوم وانما كانت عمره كلها داخلا الى مكة
وقد اقام بمكة بعد الوحي بثلاث عشرة سنة لم ينقل عنه احد انه اعتمر
خارجا من مكة في تلك المدة اصلا فالعمرة التي فعلها وشرعها هي عمرة
الداخل الى مكة لا عمرة من كان بها فيخرج الى الحل ليعتمر ولم يفعل هذا
على عهده احد قط الا عايشة وحدها انتهي يقال عليه بعد ان
فعلته عايشة بامره فقد دل على مشروعيته وروى الفاكهي
وغيره من طريق محمد بن سيرين قال بلغنا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقت لاهل مكة التنعيم ومن طريق عطا قال من اراد
العمرة ممن هو من اهل مكة او غيرها فليخرج الى التنعيم او الى الجعرانة
فليحرم منها فثبت بذلك ان ميقات العمرة الحل وان التنعيم وغيره
في ذلك سوا النوع السابع من عبادته عليه الصلاة والسلام في نبذة
من ادعيته وذكره وقراته اختلف هل الدعا افضل ام تركه والاستسلام

Copyright © King Saud University

للقضا افضل فقال الجمهور الدعا افضل وهو من اعظم العبادة ويؤيده
ما اخرجه الترمذي من حديث انس رفعه الدعا مخ العبادة وقد تواترت
الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم بالترغيب في الدعا والحث عليه واخرج
الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم عنه صلى الله عليه وسلم من لم يسئل الله
يغضب عليه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني لا احمل هم الاجابة
ولكن هم الدعا فاذا الهمت الدعا علمت ان الاجابة معه وفي هذا يقول القائل

لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه ** من جود كفك ما عودتني الطلبا

فالله سبحانه يحب بذلك عبيده بين يديه وسوالهم اياه وطلبهم حوايجهم
منه وشكواهم منه اليه وعياذتهم به منه وفرارهم منه اليه كما قيل

قالوا اتشكوا اليه ** ما ليس يخفى عليه ** فقلت ربي يرضى ** ذل العبيد اليه

وقالت طايفة الافضل ترك الدعا والاستسلام للقضا واجابوا عن
قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم بان اخرها دل على ان المراد
بالدعا هو العبادة قال الشيخ تقي الدين السبكي الاولى حمل الدعا في الاية
على ظاهره واما قوله بعد ذلك عن عبادتي فوجه الربط ان الدعا اخص
من العبادة فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعا وعلى هذا قالوا
عيد انما هو في حق من ترك الدعا استكبارا ومن فعل ذلك كفر واما من تركه
لمقصد من المقاصد فلا يتوجه اليه الوعيد المذكور وان كنا نرى ان
ملازمة الدعا والاستكثار منه ارجح من الترك لكثرة الادلة الواردة فيه
وقال القشيري في الرسالة اختلف اي الامرين اولى الدعا او السكوت
والرضا فقيل الدعا وهو الذي ينبغي ترجيحه لكثرة الادلة ولما فيه من
اظهار الخضوع والافتقار وقيل السكوت والرضى اولى لما في التسليم
من الفضل انتهى وشبهتهم ان الداعي لا يعرف ما قدر له فدعاوه ان كان
على وفق القدرة فهو تحصيل الحاصل وان كان على خلافه فهو معاند
واجيب بانه اذا اعتقد انه لا يقع الا ما قدر الله تعالى كان اذعانا لا معاندة
وفايدة الدعا تحصيل الثواب بامتثال الامر ولاحتمال ان يكون المدعو
به موقوفا على الدعا لان الله تعالى خلق الاسباب ومسبباتها انتهى وقد
ارشد صلى الله عليه وسلم امته لكيفية الدعا فقال اذا صلى احدكم فليبدا
بحمد الله والثنا عليه وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شا
رواه الترمذي من حديث فضالة بن عبيد وقال عليه الصلاة والسلام
في رجل يدعو اوجب ان ختم بامين رواه ابو داود وقال لا يقل احدكم
اللهم اغفر لي ان شيت اللهم ارحمني ان شيت ولكن ليعزم على المسألة.

فان

فان الله لا مكره له رواه البخاري وغيره ومعنى الامر بالعزم الجد فيه وان
يجزم بوقوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشية الله تعالى وان كان مامورا
في جميع ما يريد فعله ان يعلقه بمشيئة الله تعالى وقيل معنى العزم
ان يحسن الظن بالله في الاجابة فانه يدعو كريما وقد قال ابن عيينة
لا يمنعن احد الدعا ما يعلم من نفسه يعني من التقصير فان الله تعالى
قد اجاب دعا شر خلقه وهو ابليس حين قال انظرني الى يوم يبعثون
وقال عليه الصلاة والسلام يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت
فلم يستجب لي رواه الشيخان وغيرهما وكان عليه الصلاة والسلام
يستحب الجوامع من الدعا ويدع ما سوى ذلك رواه ابو داود من
حديث عايشة والجوامع التي تجمع الاغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة
او تجمع الثنا على الله تعالى وآداب المسألة وكان صلى الله عليه وسلم
يقول في دعايه اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة امري واصلح لي دنياي
التي فيها معاشي واصلح لي اخرتي التي اليها معادي واجعل الحياة زيادة
لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر رواه مسلم من حديث
ابي هريرة وكان يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني
وزدني علما الحمد لله على كل حال واعوذ بالله من حال اهل النار رواه
الترمذي من حديث ابي هريرة وكان يقول اللهم متعني بسمعي وبصري
واجعلهما الوارث مني وانصرني على من ظلمني وخذ منه بثاري رواه
الترمذي من حديث ابي هريرة ايضا وكان اكثر دعايه ربنا آتنا
في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار رواه الشيخان
من حديث انس وكان يقول رب اعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر
علي وامكر لي ولا تمكر علي واهدني وانصرني على من بغى علي رب اجعلني
لك شاكرا لك ذاكرا لك راهبا لك مطواعا لك مخبتا اليك اواها منيبا رب
تقبل توبتي واغسل حوبتي واجب دعوتي وثبت حجتي وسدد
لساني واهد قلبي واسلل سخيمة صدري رواه الترمذي وكان
يقول اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت
وبك خاصمت اللهم اعوذ بعزتك لا اله الا انت ان تضلني انت الحي
لا تموت والجن والانس يموتون رواه الشيخان عن ابن عباس وكان
يقول اللهم اني اسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى رواه مسلم
والترمذي من حديث ابن مسعود وكان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي
وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي

Copyright King ... University

وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت
وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت الموخر وانت
علي كل شي قدير رواه الشيخان من حديث ابي موسي وكان اكثر دعايه
يا مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك رواه الترمذي من حديث ام سلمة
وكان يقول اللهم عافني في جسدي وعافني في سمعي وبصري واجعلهما
الوارث مني لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش الكريم والحمد لله
رب العالمين رواه الترمذي وكان يقول اللهم اغسل خطاياي بما الثلج والبرد
ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس رواه النساي
وكان يقول اللهم اني اسالك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين
واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون رواه في الموطا وكان
يدعوا اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عني
الدين واغنني من الفقر ومتعني بسمعي وبصري وقوتي وتوفني في سبيلك
رواه في الموطا وكان صلي الله عليه وسلم يتعوذ فيقول اللهم اني اعوذ بك من
العجز والكسل والجبن والهرم والبخل واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك
من فتنة المحيا والممات رواه الشيخان من حديث انس وفي رواية ابي داود اللهم
~~والنساي من حديث انس وكان~~ يقول اني اعوذ بك من الهم والحزن وضلع الدين
وغلبة الرجال وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من ~~شر ما علمت~~ الجذام والبرص
والجنون ومن سيي الاسقام رواه ابو داود والنساي من حديث انس وكان يقول
اللهم اني اعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم اعمل رواه مسلم من حديث عايشة وكان
يقول اللهم اني اعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعا لا يسمع ومن نفس
لا تشبع ومن علم لا ينفع اعوذ بك من هذه الاربع رواه الترمذي والنساي
من حديث ابن عمرو بن العاصي وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من زوال
نعمتك وتحول عافيتك وفجاة نقمتك وجميع سخطك رواه مسلم وابو داود
من حديث ابن عمرو بن العاصي ايضا وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من
الفقر والقلة والذلة واعوذ بك من ان اظلم او اظلم رواه ابو داود من حديث
ابي هريرة ايضا وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من الجوع فانه بيس
الضجيع واعوذ بك من الخيانة فانها بيست البطانة رواه ابو داود
والنساي من حديث ابي هريرة ايضا وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من
غلبة وغلبة العدو وشماتة الاعدا رواه النساي وكان يقول اللهم اني اعوذ (الدين صح)
بك من الهدم والهرم واعوذ بك من التردي ومن الغرق والحرق والهرم
واعوذ بك ان يتخبطني الشيطان عند الموت واعوذ بك ان اموت

في

في سبيلك مدبرا واعوذ بك ان اموت لديغا رواه ابو داود والنساي من حديث
ابي اليسر وكان يتعوذ من عين الجن والانس فلما نزلت المعوذتان اخذ بهما وترك (بالغ)
ما سوي ذلك رواه النساي وكان اذا خاف قوما قال اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ
بك من شرورهم رواه ابو داود وكان يعوذ الحسن والحسين ويقول ان اباكما
كان يعوذ بها واسحق اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن (اسماعيل)
كل عين لامة رواه البخاري والترمذي وقد استشكل صدور هذه الادعية
ونحوها منه صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالي ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر ووجوب عصمته واجيب بانه امتثل ما امره الله به من تسبيحه
وسواله المغفرة في قوله تعالي اذا جا نصر الله والفتح ويحتمل ان يكون سواله
ذلك لامته وللتشريع والله اعلم وكان عليه الصلاة والسلام يقول عند الكرب وهو
ما يهم الانسان ما يلحقه بنفسه ويحزنه ويغمه يدعوا لا اله الا الله العظيم الحليم
لا اله الا الله رب السموات والارضين رب العرش العظيم رواه البخاري وفي
رواية لا اله الا الله العظيم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب
السموات والارضين ورب العرش الكريم قال الطيبي صدر هذا الثنا بذكر
الرب ليناسب كشف الكرب لانه مقتضي التربية ومنه التهليل المشتمل
علي التوحيد وهذا اصل لتنزيهات الجلالية والعظمة التي تدل علي تمام
القدرة والحلم الذي يدل علي العلم اذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم وهما
اصل الاوصاف الاكرامية انتهي وكان عليه الصلاة والسلام اذا اهمه امر رفع
راسه الي السما وقال سبحان الله العظيم رواه الترمذي من حديث ابي هريرة
وكان عليه الصلاة والسلام اذا كربه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث
رواه ابو داود من حديث انس وقال عليه الصلاة والسلام ما كربني امر الا تمثل
لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت علي الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ
ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا رواه الطبراني
عن ابي هريرة وتقدم في المقصد الثامن مزيد لذلك وكان صلى الله عليه
وسلم يقول في الضالة اللهم راد الضالة وهادي الضالة انت تهدي من
الضلالة اردد علي ضالتي بعزتك وسلطانك فانها من عطايك وفضلك
رواه الطبراني عن ابي هريرة في الصغير من حديث ابن عمر وكان صلى الله
عليه وسلم يدعوا هكذا باطن كفيه وظاهرهما رواه ابو داود عن انس
وقال ابو موسي الاشعري كما عند البخاري دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه حتى رايت
يديه في شي من دعايه الا في الاستسقا وهو حديث صحيح ويجمع بينه
وبين ما تقدم بان الرفع في الاستسقا يخالف غيره اما بالمبالغة الي ان

بياض ابطيه وعنده ا
من حديث ابن عمر رفع ص
عليه وسلم يديه فقال اللهم
ابرا اليك مما صنع خالد لكن حديث
حديث انس لم يكن النبي صلى الله عليه
يرفعوا ..

Copyright King Saud University

تصير اليدان في حذو الوجه مثلا في الدعا الي حذو المنكبين ولا يعكر علي ذلك انه
ثبت في كل منهما حتي يري بياض ابطيه بل يجمع ان يكون روية البياض في الاستسقا
ابلغ منها في غيره واما ان الكفين في الاستسقا يليان الارض وفي الدعا يليان السما
قال الحافظ عبد العظيم المنذري وبعد ثبت الجمع فجانب الاثبات ارجح انتهي
وروي الامام احمد والحاكم وابو داود انه صلي الله عليه وسلم كان يرفع يديه
اذا دعا حذو منكبيه وفي رواية ابن ماجة وبسطهما وهذا يقتضي ان يكونا
متفرقتين مبسوطتين لا كهيئة الاغتراف قال الحافظ بن حجر غالب
الاحاديث التي وردت في رفع اليدين في الدعا انما المراد بها مد اليدين وبسطهما
عند الدعا وروي ابن عباس كان صلي الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل
بطونهما مما يلي وجهه رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف وهل يمسح بهما
وجهه اما في القنوت في الصلاة فالاصح لا لعدم وروده فيه قال البيهقي
لا احفظ فيه عن احد من السلف شيا وان روي عن بعضهم في الدعا خارج
الصلاة وقد روي فيه عن النبي صلي الله عليه وسلم خبر ضعيف مستعمل
عند بعضهم خارجها فاما فيها فعمل لم يثبت فيه خبر ولا اثر ولا قياس والاولي
ان لا يفعله وقد دعا صلي الله عليه وسلم لانس فقال اللهم اكثر ماله وولده
وبارك له فيما اعطيته رواه البخاري وفي الادب المفرد له عن انس قال
قالت ام سليم وهي ام انس خويدمك الا تدعو له فقال اللهم اكثر ماله وولده
واطل حياته واغفر له وفي الصحيح ان انسا كان في الهجرة ابن تسع سنين
وكانت وفاته سنة احدي وتسعين فيما قيل وقيل سنة ثلاث ولهماية
وثلاث سنين قال خليفة وهو المعتمد واكثر ما قيل في سنه انه بلغ مايه
سنة وسبع سنين واقل ما قيل فيه بلغ تسعا وتسعين سنة واما كثرة
ولده فروي مسلم عن انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليتعادون
علي نحو المايه وورد في حديث رواه الشيخان ان انسا قال اخبرتني ابنتي
امينة اي بضم الهمزة وفتح الميم وسكون المثناة التحتية بعدها نون
انه دفن من صلبي الي مقدم الحجاج البصرة مايه وعشرون وقال ابن قتيبة
في المعارف كان بالبصرة ثلاث ما ماتوا حتي راي كل واحد منهم من ولده
مايه ذكر لصلبه ابو بكرة وخليفة بدر وزاد غيره رابعا وهو المهلب
ابن ابي صفرة واخرج ابن سعد عن انس قال دعا لي النبي صلي الله عليه
وسلم اللهم اكثر ماله وولده واطل عمره واغفر له فقد دفنت من صلبي مايه
واثنين وان ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ولقد بقيت حتي سئمت الحياة وانا
وارجو الرابعة واخرج الترمذي عن ابي العالية في ذكر انس وكان له بستان

ياتي

يأتي في كل سنة الفاكهة مرتين وكان فيه ريحان يفوح منه ريح المسك ورجاله
ثقات ودعا عليه الصلاة والسلام لمالك ابن ربيعة السلولي ان يبارك له
في ولده فولد له ثمانون ذكر رواه ابن عساكر وارسل عليه الصلاة والسلام
الي علي يوم خيبر وكان ارمد فتفل في عينيه وقال اللهم اذهب عنه الحر
والبرد فما وجد حرا ولا بردا منذ ذلك اليوم ولا رمدت عيناه وبعث
صلي الله عليه وسلم عليا الي اليمن قاضيا فقال يا رسول الله لا علم لي بالقضا
فقال ادن مني فدنا منه فضرب بيده علي صدره وقال اللهم اهد قلبه
وثبت لسانه قال علي والله ما شككت في قضا بين اثنين رواه ابو داود وغيره
ودعا صلي الله عليه وسلم عليا في مرض فقال اللهم اشفه اللهم عافه ثم قال قم قال
علي فما عاد لي ذلك الوجع بعد رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابو نعيم ومرض
ابو طالب فعاده النبي صلي الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي ادع ربك الذي
تعبد ان يعافيني فقال اللهم اشف عمي فقام ابو طالب كانما نشط من عقال
قال يا ابن اخي ان ربك الذي تعبد ليطيعك قال وانت يا عماه لئن اطعت
الله ليطيعنك رواه ابن عدي والبيهقي وابو نعيم من حديث انس
وتفرد به الهيثم وهو ضعيف ودعا عليه الصلاة والسلام لابن عباس
اللهم فقهه في الدين اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التاويل رواه البغوي
وابن سعد وفي رواية البخاري اللهم علمه الكتاب وكان عالما بالكتاب حبر
الامة بحر العلم رئيس المفسرين ترجمان القران وكونه في الدرجة
العليا والمحل الاقصي لا يخفي وقال النابغة الجعدي لما قال

ولا خير في حلم اذا لم يكن له … بوادر تحمي صفوه ان تكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له … حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

لا يفضض الله فاك اي لا يسقط الله اسنانك وتقديره لا يسقط الله
اسنان فيك فحذف المضاف قال فاتي عليه اكثر من مايه سنة وكان من
احسن الناس ثغرا رواه البيهقي وقال فيه فلقد رايته ولقد اتي
عليه نيف ومايه سنة وما ذهب له سن وفي رواية ابن ابي اسامة
وكان من احسن الناس ثغرا واذا سقطت له سن نبتت له اخري وعند
ابن السكن فرايت اسنان النابغة ابيض من البرد لدعوته صلي الله
عليه وسلم وسقاه عليه الصلاة والسلام عمرو بن اخطب ماء في قدح
فوار بزل اي فيه شعرة بيضا رواه واخرج البيهقي عن انس
ان يهوديا اخذ من لحية النبي صلي الله عليه وسلم فقال
اللهم جمله فاسودت لحيته بعد ان كانت بيضا وقال عبد الرزاق

فاخذها فقال اللهم
فلبث ثلاث وستين سنة ما في لحيته وراسه شعرة بيضا
رواه الامام احمد من طريق
... قال ... رايته ابن
اربع وتسعين ... ليس في لحيته شعرة بيضا
وصححه ابن حبان والحاكم

Copyright King Saud University

انا معمر عن قتادة قال حلب يهودي للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة فقال
اللهم جمله فاسود شعره حتى صار اسود سوادا من كذا وكذا قال معمر
وسمعت غير قتادة يذكر انه عاش تسعين سنة لم يشب اخرجه ابن ابي
شيبة وابو داود في المراسيل والبيهقي وقال مرسل شاهد لما قبله وقال
عليه الصلاة والسلام لابن الحمق الخزاعي وقد سقاه عليه الصلاة والسلام
اللهم متعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضا رواه ابو نعيم
وغيره وجاءته فاطمة وقد علاها الصفرة من الجوع فنظر اليها صلى الله
عليه وسلم ووضع يده على صدرها قال اللهم مشبع الجاعة لا تجع فاطمة بنت
بنت محمد قال عمران بن الحصين فنظرت اليها وقد علاها الدم على الصفرة
في وجهها ولقيتها بعد فقالت ما جعت يا عمران ذكره يعقوب ابن سليمان
الاسفرايني في دلايل الاعجاز ودعا عليه الصلاة والسلام لعروة بن جعد
البارقي اللهم بارك له في صفقة يمينه قال فما اشتريت قط شيا الا ربحت
فيه وقال لجرير وكان لا يثبت على الخيل وضرب في صدره اللهم ثبته
واجعله هاديا مهديا قال فما وقعت عن فرس بعد وقال لسعد ابن ابي
وقاص اللهم اجب دعوته فكان مجاب الدعوة رواه البيهقي والطبراني
في الاوسط ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة رواه الشيخان عن انس
زاد البيهقي من وجه اخر قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت
ان اصيب تحته ذهبا او فضة الحديث قال القاضي عياض وقد فتح
الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفوس حتى مجلت فيه الايدي
واخذت كل زوجة ثمانون الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل
صولحت احداهن لانه طلقها في مرض موته على ثمانين الفا واوصى
بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة
اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق بعير فيها سبعماية بعير وردت
عليه تحمل من كل شي فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها
وذكر الطبري معزا للصفوة عن الزهري انه تصدق بشطر ماله
اربعة الاف ثم تصدق باربعين الف دينار ثم حمل على خمسماية فرس
في سبيل الله ثم حمل على الف وخمسماية راحلة في سبيل الله وكان عامة
ماله من التجارة ودعا على مضر فاقحطوا حتى اكلوا العلهز وهو الدم
بالوبر حتى استعطفته قريش ولما تلا عليه الصلاة والسلام والنجم اذا
هوى قال عتبة بن ابي لهب كفرت برب النجم فقال اللهم سلط عليه
كلبا من كلابك فخرج عتبة مع اصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا

بالشام

بالشام راي الاسد فجعلت فرايصه ترعد فقيل له من اي شي ترعد فوالله
ما نحن وانت في هذا الا سوا فقال ان محمدا دعا علي ولا والله ما اظلت هذه
السماء من ذي لهجة اصدق من محمد ثم وضعوا العشا فلم يدخل يده فيه حتى
جا النوم فاحاطوا به واحاطوا انفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا فجا
الاسد يستنشق رووسهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغمه ضغمة وهو يقول
الم اقل لكم ان محمدا اصدق الناس ومات ذكره يعقوب الاسفرايني وتقدم في ذكر
اولاده عليه الصلاة والسلام قصة بنحو هذه وعن مازن الطاي وكان بارض عمان قلت
يا رسول الله اني امرو مولع بالطرب وشرب الخمر والنسا والحت علينا السنون فاذهبن
الاموال واهزلن الذراري والرجال وليس لي ولد فادع الله ان يذهب عني ما اجد
وياتيني بالحيا ويهب لي ولدا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ابدله بالطرب قراءة
القران وبالحرام الحلال واته الحيا وهب له ولدا قال مازن فاذهب الله عني كل ما كنت
اجد واخصبت عمان وتزوجت اربع حراير ووهب الله لي حيان بن مازن رواه
البيهقي ولما نزل عليه الصلاة والسلام بتبوك صلى الى نخلة فمر رجل بينه وبينها
فقال صلى الله عليه وسلم قطع صلاتنا قطع الله اثره فما قعد رواه ابو داود والبيهقي
لكن سنده ضعيف واكل عنده رجل بشماله فقال كل بيمينك قال لا استطيع قال
لا استطعت فما رفعها الى فيه بعد والرجل بسر بضم الموحدة وسكون المهملة
ابن عير بفتح المهملة وسكون المثناة التحتية وطلب معاوية فقيل له انه
ياكل فقال في الثانية لا اشبع الله بطنه فما شبع بطنه ابدا رواه البيهقي من
حديث ابن عباس وكان معاوية رديفه يوما فقال يا معاوية ما يليني منك قال
بطني قال اللهم املاه علما وحلما رواه البخاري في تاريخه وقال لابن نزوان اللهم اطل
شقاه وبقاه فادركه شيخا كبيرا شقيا يتمنى الموت وكم له صلى الله عليه وسلم
من دعوات مستجابات وقد افرد القاضي عياض بابا في الشفا ذكر فيه طرفا
منها وكذا الامام يوسف بن يعقوب الاسفرايني في كتابه دلايل الاعجاز فكم
اجابه الله تعالى الى مسوله واحياه من شجرة دعايه ثمرة سوله واما حديث
ابي هريرة عند البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة
مستجابة يدعو بها واريد ان اختبي دعوتي شفاعة لامتي في الاخرة فقد
استشكل ظاهره بما ذكرته وبما وقع لنبينا ولكثير من الانبيا صلى الله عليهم وسلم
من الدعوات المجابة فان ظاهره ان لكل نبي دعوة مستجابة فقط واجيب
بان المراد بالاجابة في الدعوة المذكورة القطع بها وما عدا ذلك من دعواتهم
فهم على رجا الاجابة في الدعوة وقيل معنى قوله لكل نبي دعوة اي افضل
دعواته ولهم دعوات اخرى وقيل لكل نبي منهم دعوة عامة مستجابة

في امته اما باهلاكهم واما بنجاتهم واما الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها
ما لا يستجاب وقيل لكل منهم دعوة تخصه لدنياه او لنفسه كقول نوح رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقول زكريا فهب لي من لدنك وليا
يرثني وقول سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي واما قول
الكرماني في شرحه على البخاري فان قلت هل جاز الاستجاب دعا النبي صلى الله
عليه وسلم قلت لكل نبي دعوة مستجابة واجابة الباقي في مشيئة الله تعالى
فقال العيني هذا السوال لا يعجبني فان فيه بشاعة وانا لا اشك ان جميع دعوات
النبي صلى الله عليه وسلم مستجابة وقوله لكل نبي دعوة مستجابة لا ينفي ذلك
لانه ليس بمحصور انتهى ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم دعا الشي فلم يستجبه
وفي هذا الحديث بيان فضيلة نبينا صلى الله عليه وسلم على ساير الانبيا حيث
اثر امته على نفسه وهل بيته بدعوته المجابة ولم يجعلها دعا عليهم
بالهلاك كما وقع لغيره صلوات الله وسلامه عليهم وظاهر الحديث يقتضي
انه عليه الصلاة والسلام اخر الدعا والشفاعة ليوم القيامة فذلك اليوم
يدعو ويشفع ويحتمل ان يكون الموخر ليوم القيامة ثمرة تلك الدعوة
ونفعها واما طلبها فحصل من النبي صلى الله عليه وسلم من الزمن وقد امر الله
النبي صلى الله عليه وسلم بالترقي في مراتب التوحيد بقوله فاعلم انه لا اله الا الله
فانه ليس امر يتحصل ذلك العلم لانه عالم بذلك ولا بالثبات لانه معصوم
فتعين ان يكون للترقي في مراتبه ومقاماته اشار الى ان العلم به تعالى
والسير اليه لا نهاية له ابدا لجميع العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية في
العلم المنتظم في سلك تحقيقها ومستمر من افنان طوايا ولذا اكتفى بتعليمه له
صلى الله عليه وسلم في الاية فالشان كله في تصحيح التوحيد وتجريده وتكميله
وقد قال تعالى له عليه الصلاة والسلام واذكر اسم ربك واذكر ربك في نفسك
تضرعا وخفية لانه لا بد في اول السلوك من الذكر باللسان مدة ثم يزول الاسم
ويبقى المسمى فالدرجة الاولى هي المرادة بقوله واذكر ربك وفي استيفاء
مباحث ذلك طول يخرج عن الغرض وقد تقدم جملة من اذكاره عليه الصلاة
والسلام مفرقة في الوضو والصلاة والحج وغير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم
يستغفر الله ويتوب اليه في اليوم والليلة اكثر من سبعين مرة كما رواه
عنه ابو هريرة عند البخاري وظاهره انه يطلب المغفرة ويعزم على التوبة
ويحتمل ان يكون المراد انه صلى الله عليه وسلم يقول هذا اللفظ بعينه ويرجح
الثاني ما اخرجه النساي بسند جيد من طريق مجاهد عن ابن عمر انه سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم

واتوب

واتوب اليه في المجلس قبل ان يقوم مائة مرة وله من رواية محمد بن سوقة عن نافع
عن ابن عمر [illegible] النعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس رب اغفر لي
وتب علي انك انت التواب الرحيم الغفور مائة مرة ويحتمل ان يريد بقوله في
حديث ابي هريرة اكثر من سبعين مرة المبالغة ويحتمل ان يريد العدد بعينه
ولفظ اكثر مبهم فيمكن ان يفسر بحديث ابن عمر المذكور وانه يبلغ المائة معمر عن
الزهري بلفظ اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة لكن خالف اصحاب الزهري
في ذلك نعم اخرج النساي ايضا من رواية محمد بن عمرو عن ابي سلمة بلفظ
اني لاستغفر الله واتوب اليه كل يوم مائة مرة واخرج النساي من طريق عطا
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الناس فقال يا ايها الناس
توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة واستغفاره عليه الصلاة والسلام
تشريع لامته او من ذنوبهم وقيل غير ذلك وتقدم ما ينتظم في سلك ذلك
فان قلت ما الكيفية استغفاره عليه الصلاة والسلام فالجواب انه ورد في
حديث شداد بن اوس عند البخاري رفعه سيد الاستغفار ان تقول اللهم
انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر ما صنعت وابوء لك بنعمتك علي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب
الا انت من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل ان يمسي فهو من اهل
الجنة فتعين ان هذه الكيفية هي الافضل وهو صلى الله عليه وسلم لا يترك
الافضل واما قراته عليه الصلاة والسلام وصفتها فكانت مدا يمد ببسم الله
ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم رواه البخاري عن انس ونعتتها ام سلمة قراة مفسرة
حرفا حرفا رواه ابو داود والنساي والترمذي وقالت ايضا كان عليه الصلاة
والسلام يقطع قراته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف
رواه الترمذي وقالت حفصة كان يرتل السورة حتى تكون اطول من اطول
منها رواه مسلم وقال البرا كان يقرا في العشا والتين والزيتون فما سمعت احدا
احسن صوتا او قراة منه صلى الله عليه وسلم رواه الشيخان فقد كانت قراته
عليه الصلاة والسلام ترتيلا لا هذا ولا عجلة بل قراته مفسرة حرفا حرفا وكان يقطع
قراته اية اية وكان يمد عند حروف المد وكان يتغنى بقراته ويرجع صوته بها
احيانا كما رجع يوم الفتح في قراة انا فتحنا لك فتحا مبينا وحكى عبد الله بن مغفل
ترجيعه ثلاث مرات ذكره البخاري واذا جمعت هذا الحديث الى قوله
زينوا القران باصواتكم وقوله ليس منا من لم يتغن بالقران وقوله ما اذن
الله لشي كاذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقران اي ما سمع الله لشي
كاستماعه لنبي يتغنى بالقران ان يتلوه يجهر به يقال منه اذن ياذن اذنا

وقد وقع في طريق اخرى الى ابي هريرة من رواه

وابوء لك بذنبي

٤٦٥

بالتجريد علمت ان هذا الترجيع منه عليه الصلا[illegible] كان اختياريا لا اضطراريا
لهز الناقة له فان هذا لو كان لاجل هز الناقة لما كان د[illegible] الاختيار فلم يكن
عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختيارا ليتاسي به و[illegible] ابن
هز الراحلة له حتى ينقطع صوته ثم يقول كان يرجع في قراء[illegible]
الترجيع الى فعله ولو كان من هز الراحلة لم يكن فعله فعل يسمى ترجيعا وقد
استمع عليه الصلاة والسلام ليلة لقراة ابي موسى الاشعري فلما اخبره بذلك قال
لو كنت اعلم انك تسمعه لحبرته لك تحبيرا اي حسنته وزينته بصوتي تزيينا
وهذا الحديث يرد على من قال ان قوله زينوا القران باصواتكم من باب
المقلوب اي زينوا اصواتكم بالقرآن فان القلب لا وجه له قال ابن الاثير
ويؤيد ذلك باسد الاشبه فيه حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لكل شي حلية وحلية القران حسن الصوت والله اعلم وقد
اختلف العلما في هذه المسيلة اختلافا كثيرا يطول ذكره وفصل النزاع في ذلك
ان يقال ان التطريب والتغني على وجهين احدهما ما اختصته الطبيعة
وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم بل اذا خلي في ذلك وطبعه واسترسلت
طبيعته جات بذلك التطريب والتلحين فهذا جايز وان اعانته طبيعته
على فضل تزيين وتحسين كما قال ابو موسى للنبي صلى الله عليه وسلم لو علمت
انك تسمع لحبرته لك تحبيرا والحزين من هاجه الطرب والحب والشوق
لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراة ولكن النفوس تقبله وتستحليه
وتستملحه لموافقة الطبع وعدم التكلف والتصنع فهو مطبوع لا مطبع وكلف
لا متكلف فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويسمعونه وهو التغني المحمود الذي
يتاثر به التالي والسامع والوجه الثاني ما كان من ذلك صناعة من الصنايع
ليس في الطباع السماحة به بل لا يحصل الا بتكلف وتصنع وتمرن كما يتعلم اصوات
الغنا بانواع الالحان البسيطة والتركيبة على ايقاعات مخصوصة واوزان مخترعة
لا تحصل الا بالتعلم والتكلف فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها وانكروا
القراة بها وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره
وكل من له علم باحوال السلف يعلم قطعا بانهم برا من القراة بالحان الموسيقا
المكلفة التي هي ايقاعات وحركات مرويه معدودة محدودة وانهم اتقى
الله من ان يقرا بها ويسوغوها ويعلم قطعا انهم كانوا لا يقرون بالتحزين
والتطريب ويحسنون اصواتهم بالقرآن ويقرونه شجا تارة وتطربا اخرى
وهذا امر في الطباع ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له بل
ارشد اليه وندب اليه صلى الله عليه وسلم واخبر عن استماع الله لمن قراه

وقال

وقال انس [illegible] القرآن وليس المراد الاستغنا به عن غيره كما
ظنه [illegible] يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى والمعروف
في كلا[illegible] هو الغنا الذي حسن الصوت بالترجيع قال الشاعر
[illegible] كنت قايله ... ان الغنا لهذا الشعر مضمار ...
وروى [illegible] شيبة عن عقبة بن عامر مرفوعا تعلموا القران وغنوا به واكتبوه
الحديث والله اعلم وقد صح انه صلى الله عليه وسلم سمع ابا موسى الاشعري
يقرا فقال لقد اوتي هذا احد مزامير ال داود يعني من مزامير
داود نفسه كما ذكره اهل المعاني وفي طريق اخرى كما تقدم ان ابا موسى قال
يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا قال ابن المنير فهذا يدل
على انه كان يستطيع ان يتلو اشجى من المزامير عند المبالغة في التحبير لانه قد
تلى مثلها وما بلغ الحد فكيف لو بلغ حد استطاعته وقد كان داود عليه
الصلاة والسلام اذا اراد ان يتكلم على بني اسرايل يجوع سبعة ايام لا ياكل ولا
يشرب ولا ياتي النسا ثم يامر سليمان فينادي في الضواحي والنواحي والاكام
والاودية والجبال ان داود يجلس يوم كذا ثم تخرج له منبر الى الصحرا فيجلس
عليه وسليمان قايم على راسه فتاتي الانس والجن والطير والوحش والهوام
والعذارى والمخدرات يسمعون الذكر فياخذ في الثنا على الله بما هو اهله
فتموت طايفة من المستمعين ثم ياخذ في النياحة على المذنبين فتموت
طايفة فاذا استحر الموت بالخلق قال له سليمان يا نبي الله قد استحر الموت
بالناس وقد مزقت المستمعين كل ممزق فيخر داود مغشيا عليه فيحمل
على سريره الى بيته وينادي منادي سليمان من كان له مع داود قريب
او حميم فليخرج لا فتقاده فكانت المراة تاتي بالسرير فتنفق على زوجها او ابنها
او اخيها فيرحل به المدينة فاذا افاق داود في اليوم الثاني قال لسليمان
ما فعل عباد بني اسرايل فيقول له سليمان فلمات فلان وفلان وهلم جرا
فيضع يده داود على راسه وينوح ويقول يا رب داود اغضبان انت على داود
حتى انه لم يمت فيمن مات خوفا منك وشوقا اليك فلا يزال ذلك دابه
الى المجلس الاخر واقام داود عليه السلام على ذلك ما شا الله تعالى ولا يظن
ما ذكرته من حال بني اسرايل انهم في ذلك اعلا من هذه الامة واما المزامير
فحسبك ما ذكر من حال ابي موسى الاشعري رضي الله عنه واما الموت
من الموعظة شوقا او خوفا فلنا فيه طريقان احدهما ان تقول ان القوة
التي اوتيتها هذه الامة بمقام الاحوال الوارد عليها فيما يمسك الحياة ولا يفنى
القوة الجسمانية بل القوة الروحانية والتاييدات الالهية فلفرط قوة

466

Copyright King Saud University

هذه الامة ان شاء الله تعالى يقارب سلفها [illegible] حال سماع الموعظة هو
وحال عدم سماعها لتوالي الذكر واطوار اليقين و[illegible] لكشف
الغطا ما ازددت يقينا فيما نشك قوة السلف عند [illegible] فهو
الذي فرق بينهم وبين من قبلهم الا ترى ان داود و[illegible] الصلاة
والسلام وهما اصحاب المزامير لم يتفق لهما الموت كما اتفق [illegible] وما
ذلك من تقصيرهما في الخوف والشوق ولكن من القوة الربانية التي امدها
بهما ولا خلاف بان داود عليه الصلاة والسلام وان لم يمت من الذكر افضل ممن
مات من امته واما نواحه على كونه لم يمت فذلك من التواضع الذي يزيده
شوقا لا من التقصير على احاد امته بل لارتفاعه عنهم درجات وزلفى
والى هذه القوة الالهية اشار ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقد رأى
اناسا يبكي من الموعظة فقال هكذا كنا حتى قست القلوب عبر عن القوة
بالقسوة تواضعا ومرتبته بحمد الله محفوظة ومنزلته مرفوعة والطريق
الثاني ان نقول قد روي ما لا يحصى كثيره عن هذه الامة بمثل ما اتفق
في مجلس داود عليه الصلاة والسلام من موت المستمعين للذكر في مجلس
السماع قديما وحديثا ولابي اسحق الثعلبي جزء في قتلى القرآن رويناه وعندي
من ذلك جملة ارجو ان اوردتها بل قد روي عن كثير من المريدين انهم ماتوا بمجرد
النظر الى المشايخ كما حكي ان مريدا لابي تراب النخشبي كان يتجلى له الحق جل
وتعالى في كل يوم مرات فقال له ابو تراب لو رايت ابا يزيد لرايت امرا
عظيما فلما رحل المريد مع شيخه ابي تراب النخشبي لابي يزيد ووقع بصر المريد
عليه وقع ميتا فقال له ابو تراب نظرة منك قتلته وقد كان يدعي روية الحق
فقال له ابو يزيد قد كان صاحبك صادقا وكان الحق يتجلى له على قدر مقامه
فلما راني تجلى له تعالى على قدر ما راى فلم يطق ذلك واصطلاح اهل الطريق في التجلي
معروف وحاصله رتبة من المعرفة تجليه عليه ولم يكونوا يعنون بالتجلي
روية البصر التي قيل بها عليه الصلاة والسلام على خصوصيته لن تراني والتي
قيل بها على العموم لا تدركه الابصار واذا فهمت ان مرادهم الذي اثبتوه
غير المعنى الذي حصل منه الناس غير الياس من الدنيا وعند الخواص به في
الاخرى فلا صبر بعد ذلك عليه ولا طريق لسوء الظن باليوم الي كما والله
متولي السرائر انتهى ملخصا واذا علمت هذا فاعلم ان السماع في طريق القوم
معروف وفي الجواذب الى المحبة معدود وموصوف وقد نقل اباحته ابو طالب
في القوت عن جماعة من الصحابة كعبد الله ابن جعفر وابن الزبير والمغيرة
ابن شعبة ومعاوية وكذا عند الجنيد والسري وذي النون واحتج له

الغزالي

العقلي [illegible] خصوصا في اوقات السرور والمباحة تأكيدا
[illegible] يوم غايب ووليمة وعقيقة وحفظ قران وختم درس
او [illegible] الصحيحين من حديث عايشة ان ابا بكر دخل عليها
وعندها [illegible] ايام منى تدففان وتضربان ورسول الله صلى الله عليه وسلم
متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف عليه الصلاة والسلام عن وجهه
وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد وفي رواية دخل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغنا بعاث بضم الموحدة والعين المهملة اخره
مثلثة اسم حصن للاوس وبالمعجمة تصحيف اي ينشدان الاشعار التي قيلت
يوم بعاث وهو حرب كان بين الانصار فاضطجع على الفراش وحول وجهه
فدخل ابو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاقبل عليه صلى الله عليه وسلم وقال دعهما وتعقب بان في الحديث
الاخر عند البخاري عن عايشة وليستا بمغنيتين نفت عنهما من طريق
المعنى ما اثبته لهما باللفظ لان الغنا يطلق على رفع الصوت وعلى الترنم
وعلى الحداء ولا يسمى فاعله مغنيا وانما يسمى بذلك من ينشد بتمطيط وتكسير
وتهييج وتشويق لما فيه تعريض بالفواحش او تصريح قال القرطبي قولها
يعني عايشة ليستا بمغنيتين اي ليستا ممن يعرف الغنا كما يعرفه المغنيات
المعروفات بذلك قال وهذا منها تحرز عن الغنا المعتاد عند المشتهرين به
وهو الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن وهذا اذا كان في شعر فيه وصف محاسن
النسا والخمر وغيرهما من الامور المحرمة لا يختلف في تحريمه لكن النفوس
الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب الى الخير حتى لقد ظهرت في كثير
منهم فعلات حتى لقد ظهرت في كثير منهم فعلات المجانين والصبيان حتى
رقصوا بحركات متطابقة وتقطيعات متلاحقة وانتهى التواقح بقوم
منهم الى ان جعلوها من باب القرب وصالح الاعمال وان ذلك يثمر سني الاحوال
وعلى هذا التحقيق من اثار الزندقة انتهى والحق ان السماع اذا وقع بصوت
حسن بشعر متضمن للصفات العلية والنعوت النبوية المحمدية عريا
عن الالات المحرمة والحظوظ الخسيسة الغبية والشبه واثار كامن المحبة
الشريفة العلية وضبط السامع نفسه ما امكنه مع العلم بما يجب لله ورسوله
بحيث لا يرفع صوته بالبكا ولا يظهر التواجد وهو يقدر على ضبط نفسه
ما امكنه مع العلم بما يجب لله ورسوله ويستحيل ان ينزل ما يسمعه على
ما لا يليق كان من الحسن في غاية ولتمام تزكية النفس ثمانية نعم تركه والاشتغال
بما هو اعلى اسلم لخوف الشبه وللخروج من الخلاف الا نادرا وقد نقل الامام الشافعي

٤٦٧

ومالك وابو حنيفة وجماعة من العلما الغلظ بد[illegible]
ماكان منه تهييج شيطاني واذا كان النظر في السماع
لم يجز ان يحكم منه مطلقا باباحة ولا تحريم لاختلاف
طرق النغمات محكمة حكم ما في القلب وهو لمن لقي [illegible] الكامن
في النفوس من الازل لحين خاطبنا الحق تعالى بقوله الست بربكم فما
كان في القلب من رغبة ووجد وحقيقة فهو من حلاوة ذاك الخطاب
والاعضا كلها ناطقة بذكره مستطيبة لاسمه فالسماع من اكبر مصايد
النفوس واذا اقترن بالحانه المناسبة وكان الشعر متضمنا الذكر المحبوب
الحق برز الكامن وذاعت الاسرار سيما في ارباب البدايات وقد شوهد
تاثير السماع حتى في الحيوانات الغير الناطقة من الطيور والبهايم فقد شوهد
نزول الطيور من الاغصان على اولى النغمات الفايقة والالحان الرايقة وهذا
الجمل مع بلادة طبعه يتاثر بالحدا تاثيرا تستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر
لقوة نشاطه في سماعه المسافة الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره
ويولهه فتراه اذا طالت عليه البوادي واعياه الاعيا تحت الحمل اذا سمع
منادي الحدا يمد عنقه ويصغي الى الحادي ويسرع في سيره وربما اتلف
نفسه من شدة السير وثقل الحمل وهو لا يشعر بذلك لنشاطه وقد حكي
ما ذكره في الاحيا عن ابي بكر الدينوري ان عبدا اسود قتل جمالا كثيرة بطيب
نغمته اذا حداها وكانت محملة احمالا ثقيلة فقطعت مسيرة ثلاثة ايام
في ليلة واحدة وانحدا على جمل غيرها بحضرته فهام الجمل وقطع حباله
وحصل له ما غيبه عن حسه حتى خر لوجهه فما تاثير السماع بمحسوس
ومن لم يحركه فهو فاسد المزاج بعيد الفلاح زايد في غلظ الطبع وكثافته
على الجمال واذا كانت هذه البهايم تتاثر بالنغمات فتاثير النفوس الانسانية اولى

نعم لولاك ما ذكر العقيق ... ولا حانت له الفلوات نوق
نعم اسعى اليك على جفوني ... تدانى الحي او بعد الطريق
اذا كانت تحن لك المطايا ... فماذا يفعل الصب المشوق

فزبدة السماع تلطيف السر ومن ثم وضع العارف الكبير سيدي علي الوفودي
خزينة المشهور علم الالحان والاوزان اللطيفة تنشيطا لقلوب المريدين
وترويحا لاسرار السالكين فان النفوس كما قدمناه لها حظ من الالحان
فاذا اقبلت هذه الواردات السنية الفايضة من الموارد السنوية المحمدية
بهذه النغمات الفايقة والاوزان الرايقة تشربتها العروق واخذ كل
عضو نصيبه من ذلك المدد الوفي المحمدي فاغرت شجرة خطاب

الازل

الازل بما سقينه من موارد هذه اللطايف عوارف المعارف **تنبيه** زعم بعضهم
ان السماع ادعى للوجد من التلاوة واظهر تاثيرا واحتج عن ذلك ان جلال القران
لا تحمله القوى البشرية المحدثة ولا تحمله صفاتها المخلوقة ولو كشف للقلوب
ذرة من معناه لدهشت وتصدعت وتحيرت والالحان مناسبة للطبايع
بنسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته بنسبة الحظوظ واذا
علقت الاشجان والاصوات بما في الابيات من الاشارات واللطايف شاكل بعضها
بعضا فكان اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب بمشاكلة المخلوق قاله ابو نصر السراج

الفصل العاشر في اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته الى حضرة قدسه لديه صلى الله عليه وسلم وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله في الاخرة بفضايل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم وعلى الدرجات وتشريفه بخصايص الزلفى في مشهد مشاهد الانبيا والمرسلين وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود وانفراده بالسودد في مجمع جامع الاولين والاخرين وترقيه في جنة عدن ارفع مدارج السعادة وتعاليه في يوم المزيد اعلى معالي الحسنى وزيادة

وفيه ثلاثة فصول **الفصل الاول** اعلم وصلني
الله واياك بحبل تاييده واوصلنا بلطفه الى مقام توفيقه وتسديده ان هذا
الفصل مضمونه يسكب المدامع من الاجفان ويجلب الفجايع لاثارة الاحزان
ويلهب نيران الموجدة على اكباد ذوي الايمان **ولما** كان الموت مكروها بالطبع
لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبي من الانبيا حتى يخير واول
ما اعلم النبي صلى الله عليه وسلم من انقضا عمره باقتراب اجله بنزول سورة
اذا جا نصر الله والفتح فان المراد من هذه السورة انك يا محمد اذا فتح الله عليك
البلاد ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم اليه افواجا فقد اقترب اجلك
فتهيا للقاينا بالتحميد والاستغفار فانه قد حصل منك مقصود ما امرت به
من ادا الرسالة والتبليغ وما عندنا لك خير من الدنيا فاستعد للنقلة الينا
وقد قيل ان هذه السورة اخر سورة نزلت يوم النحر وهو صلى الله عليه وسلم
بمنى في حجة الوداع وقيل عاش بعدها احد وثمانون يوما **وعند** ابن ابي حاتم
من حديث ابن عباس عاش بعدها تسع ليال **وعن** مقاتل سبعا وعن بعضهم
ثلاثا **ولابي** يعلى من حديث ابن عمر نزلت هذه السورة في اوسط ايام التشريق
في حجة الوداع فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه الوداع وفي حديث
ابن عباس عند الدارمي لما نزلت اذا جا نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاطمة وقال نعيت الي نفسي فبكت قال لا تبكي فانك
اول اهلي لحوقا بي فضحكت الحديث **وروى** الطبراني من طريق عكرمة

مطلب
نزول سورة الفتح ايام التشريق
في حجة الوداع وانها [illegible]
وانه عاش بعد حجة الوداع احد
وثمانين يوما كما نقله الرافعي وفي
الروضة ثلاثة اشهر او احد وتسعين وقول
[illegible] الحافظ ابن حجر عن قول
[illegible] ان سورة الفتح نزلت
في ايام التشريق في حجة
الوداع [illegible]
على الاستقبال [illegible]
تضعف ما نقله [illegible]
فالشرط لم [illegible] الفتح لان مجي
[illegible] حتى جمل [illegible]
الشرط [illegible]
[illegible]
[illegible]

عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جا نصر الله والفتح نُعيت الي رسول الله صلي الله
عليه وسلم نفسه فاخذ باشد ما كان قط اجتهادا في امر الاخرة وللطبراني ايضا
من حديث جابر لما نزلت هذه السورة قال النبي صلي الله عليه وسلم لجبريل
نُعيت الي نفسي فقال له جبريل وللاخرة خير لك من الاولي وروي في
حديث ذكره ابن رجب في اللطايف انه تعبد حتي صار كالشن البالي وكان عليه
الصلاة والسلام يعرض القران كل عام علي جبريل مرة فعرضه ذلك العام مرتين
وكان يعتكف العشر الاواخر من رمضان كل عام فاعتكف في ذلك العام عشرين
واكثر من الذكر والاستغفار وقالت ام سلمة كان صلي الله عليه وسلم في اخر
امره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجي الا قال سبحان الله وبحمده استغفر
الله واتوب اليه فقلت له انك تدعو بدعاء لم تكن تدعوا به قبل اليوم
فقال ان ربي اخبرني اني سارى علما في امتي وامرني اذا رايته ان اسبح بحمده
واستغفره ثم تلي هذه السورة واخرج ابن مردويه من طريق مسروق
عن عايشة نحوه وروي الشيخان من حديث عقبة بن عامر قال صلي
رسول الله صلي الله عليه وسلم علي قتلي احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحيا
والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين ايديكم فرط وانا عليكم شهيد واني موعدكم
الحوض واني لانظر اليه وانا في مقامي هذا اني قد اعطيت مفاتيح خزاين
الارض واني لست اخشي عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخشي عليكم الدنيا
ان تنافسوا فيها وزاد بعضهم فتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم وعن
ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلي الله عليه وسلم جلس علي المنبر فقال
ان عبدا خيره الله ان يوتيه زهرة الدنيا ما شا وبين ما عنده فاختار ما عنده
فبكي ابو بكر رضي الله عنه وقال يا رسول الله فديناك بابائنا وامهاتنا قال
فعجبنا وقال الناس انظروا الي هذا الشيخ يخبر رسول الله عن عبد خيره
الله بين ان يوتيه زهرة الدنيا ما شا وبين ما عند الله وهو يقول فديناك
بابائنا وامهاتنا قال فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم هو المخير وكان
ابو بكر اعلمنا به فقال النبي صلي الله عليه وسلم ان امن الناس علي في صحبته
وماله ابو بكر ولو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا
ولكن اخوة الاسلام لا يبقي في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة ابي بكر رضي
الله عنه رواه البخاري ومسلم ولمسلم من حديث جندب سمعت النبي صلي الله
عليه وسلم يقول قبل ان يموت بخمس ليال وكان ابا بكر رضي الله عنه فهم
الزمن الذي اشار به النبي صلي الله عليه وسلم من قرينة ذكره ذلك في مرض
موته فاستشعر منه انه اراد نفسه فلذلك بكي وما زال صلي الله عليه وسلم

يعرض

مطلب
عرض صلى الله عليه وسلم القران على جبريل مرتين عام موته

مطلب
صعوده المنبر وخطبته

مطلب
سبب بكا ابي بكر في قوله الا خوخة ابي بكر

يعرض باقتراب اجله في اخر عمره فانه لما خطب في حجة الوداع فلما رجع
عليه الصلاة والسلام من حجته الي المدينة جمع الناس بما يدعي خم في طريقه
بين مكة والمدينة فخطبهم وقال ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان
ياتيني رسول ربي فاجيب ثم حض علي التمسك بكتاب الله ووصي باهل
بيته قال الحافظ ابن رجب وكان ابتدا مرضه عليه الصلاة والسلام في
اواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما في المشهور
وكانت خطبته التي خطب بها المذكورة في حديث ابي سعيد الذي قدمته
في ابتدا مرضه الذي مات فيه فانه خرج كما رواه الدارمي وهو معصوب
الراس بخرقة حتي اهوي الي المنبر فاستوي عليه فقال والذي نفسي
بيده اني لانظر الي الحوض من مقامي هذا ثم قال ان عبدا عرضت عليه
الدنيا الي اخره ثم هبط عنه فما رؤي عليه حتي الساعة فلما عرض صلي
الله عليه وسلم علي المنبر باختياره اللقا علي البقا ولم يصرح خفي المعني علي
كثير ممن سمع ولم يفهم المقصود غير صاحبه الخصيص به ثاني اثنين اذ هما
في الغار وكان اعلم الامة بمقاصد الرسول صلي الله عليه وسلم فلما فهم
المقصود من هذه الاشارة بكي وقال بل نفديك باموالنا وانفسنا واولادنا
فسكن الرسول صلي الله عليه وسلم جزعه واخذ في مدحه والثنا عليه علي
المنبر ليعلم الناس كلهم فضله فلا يقع عليه اختلاف في خلافته فقال ان امن
الناس علي في صحبته وماله ابو بكر رضي الله عنه ثم قال صلي الله عليه وسلم
لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام
لما كان صلي الله عليه وسلم لا يصلح له ان يخالل مخلوقا فان الخليل من جرت
محبته خلاله منه مجري الروح ولا يصلح هذا البشر كما قيل

قد تخللت مسلك الروح مني ۞ وبذا سمي الخليل خليلا

اثبت له اخوة الاسلام ثم قال صلي الله عليه وسلم لا يبقي في المسجد خوخة
الا سدت الا خوخة ابي بكر اشارة الي ان ابا بكر هو الامام بعده فان الامام
يحتاج الي سكني المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح
المسلمين المصلين ثم اكد هذا المعني بامره صريحا ان يصلي بالناس ابو بكر
فروجع في ذلك وهو يقول مروا ابا بكر ان يصلي بالناس فولاه امامة الصلاة
وكذا قالت الصحابة عند بيعة ابي بكر رضي الله عنه رضيه رسول الله
صلي الله عليه وسلم لديننا افلا نرضاه لدنيانا وكان ابتدا مرض رسول الله
صلي الله عليه وسلم في بيت ميمونة كما ثبت في رواية معمر عن الزهري وفي
سيرة ابي معشر كان في بيت زينب بنت جحش وفي سيرة سليمان التيمي

مطلب
ابتدا مرضه شهر صفر او اواخر
[illegible]

مطلب
خطبه التي خطبها قبل وفاته بخمس كذا في فتح الباري ملخصا

مطلب
لم يفهم قوله صلى الله عليه وسلم ان عبدا [illegible] الا ابو بكر

مطلب
امره صلى الله عليه وسلم بسد جميع الخوخ الا خوخة ابي بكر [illegible] في ذلك ولحوا غيره وان ذلك لكونه اماما [illegible] ومن شان الامام [illegible]

Copyright © King Saud University

كان في بيت ريحانة والاول هو المعتمد وذكر الخطابي انه ابتدا به يوم الاثنين وقيل
يوم السبت وقال الحاكم ابو احمد يوم الاربعا واختلف في مدة مرضه فالاكثر انها
ثلاثة عشر يوما وقيل اربعة عشر وقيل اثنا عشر وذكرها في الروضة و
صدر بالثاني وقيل عشرة ايام وبه جزم سليمان التيمي في مغازيه واخرجه
البيهقي باسناد صحيح وفي البخاري قالت عايشة لما ثقل رسول الله صلى
الله عليه وسلم واشتد وجعه استاذن ازواجه ان يمرض في بيتي فاذن له
فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في الارض بين العباس بن عبد المطلب
وبين رجل آخر قال عبيد الله فاخبرت عبد الله بالذي قالت عايشة
فقال لي عبد الله بن عباس هل تدري من الرجل الاخر الذي لم تسم عايشة
قال قلت لا قال ابن عباس هو علي بن ابي طالب الحديث وفي رواية مسلم
عن عايشة تخرج بين الفضل بن العباس ورجل اخر وفي اخرى رجلين
احدهما اسامة وعند الدارقطني اسامة والفضل وعند ابن حبان في اخرى
بريرة ونوبة بضم النون وسكون الواو ثم موحدة قيل وهو اسم امة وقيل عبد
وعند ابي سعيد من وجه اخر الفضل وثوبان وجمعوا بين هذه الروايات
على تقدير ثبوتها بان خروجه تعدد فيتعدد من اتكا عليه وعن عايشة
رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال لنسايه اني لا استطيع ان ادور
في بيوتكن فان شيتن اذنتن لي رواه احمد وفي رواية هشام بن عروة عن
عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اين انا غدا اين انا غدا يريد يوم عايشة
وذكر ابن سعد باسناد صحيح عن الزهري ان فاطمة هي التي خاطبت امهات
المومنين بذلك فقالت لهن انه يشق عليه الاختلاف وفي رواية ابن
ابي مليكة عن عايشة ان دخوله عليه الصلاة والسلام بيتها كان يوم الاثنين
وموته يوم الاثنين الذي يليه وفي مرسل ابي جعفر عند ابن ابي شيبة
انه صلى الله عليه وسلم قال اين اكون انا غدا كررها فعرفن ازواجه
انما يريد عايشة فقلن يا رسول الله قد وهبنا ايامنا لاختنا عايشة وفي
رواية هشام بن عروة عن ابيه عند الاسماعيلي كان يقول اين انا حرصا
على بيت عايشة فلما كان يومي اذن له نساوه ان يمرض في بيتي وعن عايشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة بالبقيع وانا اجد صداعا
في راسي وانا اقول وا راساه قال بل انا وا راساه ثم قال ما ضرك لو مت قبلي و
غسلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك فقالت لكاني بك والله لو
فعلت ذلك لقد رجعت الى بيتي فاعرست فيه ببعض نسايك فتبسم
صلى الله عليه وسلم ثم بدا في وجعه الذي مات فيه رواه احمد والنسايي

وفي

مطلب
الاختلاف في ابتدا مرضه في
البيت من من الازواج

مطلب
الرجل المبهم في حديث عايشة
هو علي بن ابي طالب

مطلب
الخلاف في استيذان النساء
هل ذكره صلى الله عليه وسلم ام
جنبه فاطمة الزهرا

مطلب
قول عايشة وا راساه وان سعد
لم يكن اصلها الا بعد كلام
وتحمله في جواز تلك اللفظ
وان ذلك جايز ذكره لغير تضجر
لا على سبيل الشكوى كما في

وفي رواية البخاري قالت عايشة وا راساه فقال صلى الله عليه وسلم ذاك لو كان
وانا حي فاستغفر لك وادعو لك فقالت عايشة وا ثكلياه والله اني لاظنك تحب
موتي فلو كان ذلك لظللت اخر يومك معرسا ببعض ازواجك فقال صلى
الله عليه وسلم بل انا وا راساه لقد هممت او اردت ان ارسل الى ابي بكر وابنه فاعهد
ان يقول القايلون او يتمنى المتمنون ثم قلت يابى الله او يدفع المومنون او
يدفع الله ويابى المومنون وقوله بل انا وا راساه اضراب يعني دعي ذكر
ما تجدينه من وجع راسك واشتغلي بي فان قلت قد اتفقوا على كراهة
شكوى العبد ربه وروي احمد في الزهد عن طاوس انه قال انين المريض
شكوى وجزم ابو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية ان تاوه
المريض مكروه قلت تعقبه النووي فقال هذا ضعيف او باطل فان
المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود وهذا لم يثبت فيه ذلك ثم احتج بحديث
عايشة هذا ثم قال فلعلهم ارادوا بالكراهة خلاف الاولى فانه لا شك ان اشتغاله
بالذكر اولى انتهى قال في فتح الباري ولعلهم اخذوه بالمعنى من كون كثرة
الشكوى تدل على ضعف اليقين وتشعر بالتسخط للقضا وتورث شماتة
الاعدا واما اخبار المريض صديقه او طبيبه عن حاله فلا باس به اتفاقا
فليس ذكر الوجع شكاية فكم من ساكت وهو ساخط وكم من شاك وهو
راض فالمعول في ذلك على عمل القلب لا على نطق اللسان وقد تبين كما
نبه عليه في اللطايف ان اول مرضه عليه الصلاة والسلام كان صداع
الراس والظاهر انه كان مع حمى فان الحمى اشتدت به في مرضه فكان يجلس
في مخضب ويصب عليه الما من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن يتبرد بذلك
وفي البخاري قالت عايشة لما دخل بيتي واشتد وجعه قال اهريقوا على
من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن لعلي اعهد الى الناس فاجلسناه في مخضب
لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب
حتى طفق يشير الينا بيده ان قد فعلتن الحديث وقد قيل في الحكمة في هذا
العدد ان له خاصية في دفع ضرر السم والسحر وسياتي ان شا الله تعالى
انه عليه الصلاة والسلام قال هذا اوان انقطاع ابهري من ذلك السم و
تمسك بعض من انكر نجاسة سور الكلب وزعم ان الامر بالغسل منه
سبعا انما هو لدفع السمية التي في ريقه وكانت عليه صلوات الله وسلامه
عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها فقيل
له في ذلك فقال انا كذلك يشدد علينا البلا ويضاعف لنا الاجر رواه
ابن ماجه وابن ابي الدنيا والحاكم وقال صحيح الاسناد كلهم من رواية ابي سعيد

مطلب
قال جماعة من الشافعية ان
تاوه المريض مكروه ورده
النووي وتعقبه وقال باطل

٤٧١

مطلب
السبع قرب وحكمها

الخدري وقالت عايشة ما رايت احدا كان اشد عليه الوجع من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن عبد الله قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك
فقلت يا رسول الله انك توعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك
رجلان منكم قلت ذلك ان لك لاجرين قال اجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه
اذا شوكة فما فوقها الا كفر الله به سياته كما تحط الشجرة ورقها رواه البخاري
والوعك بفتح الواو وسكون العين المهملة وقد تفتح الحمى وقيل الم الحمى
وقيل ارعادها الموعك وتحريكها اياه وعن الاصمعي الوعك الحر فان كان
محفوظا فلعل الحمى سميت وعكا لحرارتها قال ابو هريرة ما من وجع يصيبني
احب الي من الحمى انها تدخل في كل مفصل من ابن ادم وان الله يعطي كل مفصل
قسطا من الاجر واخرج النساي وصححه الحاكم من حديث فاطمة بنت اليمان اخت
حذيفة قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم نعوده فاذا سقا يقطر عليه من
شدة الحمى فقال ان من اشد الناس بلا الانبيا ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
وفي حديث عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان بين يديه علبة او ركوة
فيها ما فجعل يدخل يديه في الما فيمسح بها وجهه ويقول لا اله الا الله ان
للموت سكرات الحديث رواه البخاري وروي ايضا عن عروة انه صلى الله
عليه وسلم قال ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت
انقطاع ابهري من ذلك السم وفي رواية ما زالت اكلة خيبر تعادني
والاكلة بالضم اللقمة التي اكل من الشاة وبعض الرواة بفتح الالف وهو خطا
لانه عليه الصلاة والسلام لم ياكل منها الا لقمة واحدة قاله ابن الاثير ومعنى
الحديث انه نقض عليه سم الشاة التي اهدتها له اليهودية فكان ذلك
يثور عليه احيانا والابهر عرق مستبطن بالصلب يتصل بالقلب اذا
انقطع مات صاحبه وقد كان ابن مسعود وغيره يرون انه صلى الله عليه
وسلم مات شهيدا من السم وعند البخاري ايضا قالت ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان اذا اشتكى وجعه الذي مات فيه طفقت انفث عليه
بالمعوذات التي كان ينفث وامسح بيد النبي رجا بركتها ولمسلم فلما مرض
مرضه الذي مات فيه جعلت انفث عليه وامسح بيدي نفسه لانها
كانت اعظم بركة من يدي واطلقت على السور الثلاث المعوذات تغليبا
وفي البخاري عن عايشة دخل عبد الرحمن بن ابي بكر على النبي صلى الله عليه
وسلم وانا مسندته الى صدري ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن
به فامده رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فاخذت السواك فقضمته
ونفضته وطيبته ثم دفعته الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستن فما

رايته

مطلب
ضبط لفظ الوعك بفتح
فسكون

في نسخة

مطلب
موته صلى الله عليه وسلم بالسم شهيدا

اذ
نفث على نفسه بالمعو
بالمعوذات ومسح بيده
فلما اشتكى

رايته استن استنانا قط احسن منه الحديث قوله فابده بتشديد
الدال المهملة اي مد نظره اليه وقولها فقضمته بكسر الضاد المعجمة
اي لطوله ولازالة المكان الذي تسوك به عبد الرحمن ثم طيبته اي
لينته بالما وفي رواية ايضا قالت ان من نعم الله تعالى علي ان الله جمع بين
ريقي وريقه عند موته دخل عبد الرحمن وبيده سواك وانا مسندة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك فقلت
اخذه لك فاشار براسه ان نعم وفي رواية مر عبد الرحمن وفي يده جريدة رطبة
فنظر اليه صلى الله عليه وسلم فظننت ان له بها حاجة فاخذتها فمضغت راسها
ونفضتها ودفعتها اليه فاستن بها كاحسن ما كان مستنا ثم ناولنيها فسقطت
يده او سقطت من يده فجمع الله بين ريقي وريقه في اخر يوم من الدنيا
واول يوم من الاخرة وفي حديث خرجه العقيلي انه صلى الله عليه وسلم قال
لها في مرضه ايتيني بسواك رطب فامضغيه ثم ايتيني به امضغه لكي
يختلط ريقي بريقك لكي تهون علي عند الموت قال الحسن لما كرهت
الانبيا الموت هون الله عليهم ذلك بلقا الله وبكلما احبوا من تحفة او كرامة
حتى ان نفس احدهم لتنزع من بين جنبيه وهو يحب لذلك لما قد مثل له
وفي المسند عن عايشة ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انه ليهون
علي لاني رايت بياض كف عايشة في الجنة وخرجه ابن سعد وغيره مرسلا انه
صلى الله عليه وسلم قال لقد رايتها في الجنة حتى ليهون علي بذلك موتي
كاني ارى كفيها يعني عايشة فقد كان عليه الصلاة والسلام يحب عايشة
حبا شديدا حتى لا يكاد يصبر عنها فمثلت له بين يديه في الجنة ليهون عليه
موته فان العيش انما يطيب باجتماع الاحبة وقد ساله صلى الله عليه وسلم
رجل فقال اي الناس احب اليك فقال عايشة فقال من الرجال قال
ابوها ولهذا قال لها في ابتدا مرضه لما قالت له وا راساه وددت
ان ذلك كان وانا حي فاصلي عليك وادفنك فعظم ذلك عليها وظنت انه
يحب فراقها وانما كان عليه الصلاة والسلام يريد تعجيلها بين يديه ليقرب
اجتماعهما وروي انه كان عنده صلى الله عليه وسلم في مرضه سبعة دنانير فكان
يامرهم بالصدقة بها ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه فدعا بها فوضعها في كفه
وقال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه ثم تصدق بها كلها رواه البيهقي
انظر اذا كان هذا سيد المرسلين وحبيب رب العالمين المغفور له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر فكيف حال من لقي الله وعنده دما المسلمين واموالهم
المحرمة وما ظنه بربه تعالى وفي البخاري من طريق عروة عن عايشة

مطلب
ضبط لفظ ابده بتشديد
الدال المهملة وموضعه
ويقال بالميم بدل البا وان
فقضمته بكسر الضاد المعجمة

٤٧١

Copyright ... University

مطلب
مسارته صلى الله عليه وسلم مع سيدتنا فاطمة رضي

رضي الله عنها قالت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة في شكواه الذي قبض
منه فسارها بشي فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت فسالناها عن ذلك فقالت
سارني النبي صلى الله عليه وسلم انه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكت
ثم سارني فاخبرني اني اول اهله يتبعه فضحكت وفي رواية مسروق عن
عايشة اقبلت فاطمة تمشي كان مشيتها مشية النبي صلى الله عليه وسلم فقال
مرحبا بابنتي ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله ثم سارها ولابي داود والترمذي
والنساي وابن حبان والحاكم من طريق عايشة بنت طلحة عن عايشة
قالت ما رايت احدا اشبه سمتا وهديا ودلا برسول الله صلى الله عليه وسلم
في قيامها وقعودها من فاطمة وكانت اذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم
قام اليها وقبلها واجلسها في مجلسه وكان اذا دخل عليها فعلت ذلك فلما مرض
دخلت عليه فاكبت عليه تقبله واتفقت الروايات على ان الذي
سارها به اولا فبكت هو اعلامه اياها بانه ميت من مرضه ذلك واختلفوا
فيما سارها به فضحكت ففي رواية عروة انه اخباره اياها بانها اول اهله
لحوقا به وفي رواية مسروق انه اخباره اياها انها سيدة نسا اهل الجنة
وجعل كونها اول اهله لحوقا به مضموما الى الاول وهو الراجح فان حديث
مسروق يشتمل على زيادات ليست من حديث عروة وهو من الثقات
الضابطين فمما زاده مسروق قول عايشة فقلت ما رايت كاليوم فرحا
اقرب من حزن فسالتها عن ذلك فقالت اسر الي ان جبريل كان يعارضني القران
كل سنة مرة وانه عارضني العام مرتين ولا اراه الا احضر اجلي وانك اول اهل
بيتي لحوقا بي وفي رواية عايشة بنت طلحة من الزيادة ان عايشة لما رات
بكاها وضحكها قالت ان كنت لاظن ان هذه المراة من افضل النسا فاذا هي من النسا
ويحتمل تعدد القصة وفي رواية عن عروة الجزم انه ميت من وجعه ذلك بخلاف
رواية مسروق رضي الله عنه ففيها انه ظن ذلك بطريق الاستنباط مما ذكره من معارضة
القران وقد يقال لا منافاة بين الخبرين الا بالزيادة ولا يمتنع ان يكون اخباره
بكونها اول اهله لحوقا به سببا لبكايها وضحكها معا باعتبارين فذكر كل من
الروايتين ما لم يذكره الاخر وقد روى النساي من طريق ابي سلمة عن عايشة
في سبب البكا انه ميت وفي سبب الضحك الامرين الاخيرين ولابن سعد من رواية
ابي سلمة عنها ان سبب البكا موته وسبب الضحك لحاقها به وعند الطبراني من وجه اخر
عن عايشة انه قال لفاطمة ان جبريل اخبرني انه ليس امراة من نسا المومنين اعظم
ذرية منك فلا تكوني ادنى امراة منهن صبرا وفي الحديث اخباره صلى الله
عليه وسلم بما سيقع فوقع كما قال صلى الله عليه وسلم فانهم اتفقوا على ان فاطمة رضي الله

عنها

عنها كانت اول من مات من اهل بيته النبي صلى الله عليه وسلم بعده حتى من
ازواجه عليه الصلاة والسلام وقد كان عليه الصلاة والسلام من شدة وجعه
يغمى عليه في مرضه ثم يفيق واغمي عليه مرة فظنوا ان وجعه ذات الجنب
فلدوه فجعل يشير اليهم ان لا يلدوه فقالوا كراهية المريض للدوا فقال

مطلب
امره صلى الله عليه وسلم ان يلدوا وذلك [illegible] ذات الجنب الا العباس

لا يبقى احد في البيت الا لد وانظر الى العباس فانه لم يشهدكم رواه البخاري
واللدود هو ما يجعل في جانب الفم من الدوا فاما ما يصب في الحلق فيقال
له الوجور وفي الطبراني من حديث العباس انهم اذابوا قسطا بزيت
ولدوه به وفي قوله لا يبقى احد في البيت الا لد الى اخره مشروعية
القصاص فيما يصاب به الانسان وفيه نظر لان الجميع لم يتعاطوا ذلك
وانما فعل بهم ذلك عقوبة لهم لتركهم امتثال نهيه عما نهاهم عنه قال
ابن العربي اراد ان لا ياتوا يوم القيامة عليهم حقه فيقعوا في خطيئة
عظيمة وتعقب بانه كان يمكن العفو ولانه كان لا ينتقم لنفسه ثم
والذي يظهر انه اراد بذلك تاديبهم لئلا يعودوا فكان ذلك تاديبا
لا اقتصاصا ولا انتقاما قيل وانما كره اللدود مع انه كان يتداوى لانه
تحقق انه يموت في مرضه ومن تحقق ذلك كره له التداوي قال
٤٧٤ الحافظ بن حجر رحمه الله وفيه نظر والذي يظهر ان ذلك قبل التخيير
والتحقق وانما انكر التداوي لانه كان غير ملايم لدايه لانهم ظنوا ان به
ذات الجنب فداووه بما يلايمها ولم يكن فيه ذلك كما هو ظاهر في سياق
الخبر وعند ابن سعد قال كانت تاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخاصرة فاشتدت به فاغمي عليه فلددناه فلما افاق قال كنتم ترون ان
الله سلط على ذات الجنب ما كان الله ليجعل لها علي سلطانا والله لا يبقى

مطلب
كلامهم في ذات الجنب وان ذلك ضعيف والجمع بينه وبين ما قبله

احد في البيت الا لد فما بقي احد في البيت الا لد ولددنا ميمونة وهي
صايمة وروى ابو يعلى بسند ضعيف فيه ابن لهيعة من وجه اخر
عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم مات من ذات الجنب وجمع بينهما
بان ذات الجنب تطلق بازا مرضين احدهما ورم حار يعرض في الغشا
المستبطن والاخر ريح محتقن بين الاضلاع فالاول هو المنفي هنا وقد
وقع في رواية الحاكم في المستدرك ذات الجنب من الشيطان والثاني هو
الذي اثبت هنا وليس فيه محذور كالاول وفي حديث ابن عباس عند

مطلب
قوله صلى الله عليه وسلم للرجال حضروه حين حضر هلموا اكتب لكم كتابا الخ

البخاري لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال
بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القران

حسبنا كتاب الله فاختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قوموا نكتب لكم كتابا
لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما اكثروا اللغو والاختلاف قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قوموا قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول ان الرزية
كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لهم ذلك
الكتاب لاختلافهم ولغطهم قال المازري لما جاز للصحابة الاختلاف في هذا
الكتاب مع صريح امره لهم بذلك لان الاوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب
فكانه ظهر منه قرينة دلت على ان الامر ليس على التحتم بل على الاختيار فاختلف
اجتهادهم وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من القراين بانه صلى الله عليه
وسلم قال ذلك عن غير قصد جازم وقال النووي اتفق العلما على ان
قول عمر حسبنا كتاب الله من قوة فقهه ودقيق نظره لانه خشي ان يكتب
امورا ربما عجزوا عنها فيستحق العقوبة لكونها منصوصة واراد ان لا ينسد
باب الاجتهاد على العلما وفي تركه صلى الله عليه وسلم الانكار على عمر اشارة
الى تصويبه واشار بقوله حسبنا كتاب الله الى قوله تعالى ما فرطنا
في الكتاب من شي ولا يعارض ذلك قول ابن عباس ان الرزية الى اخره لان
عمر كان افقه منه قطعا ولا يقال ان ابن عباس لم يكتف بالقران مع انه
حبر القران واعلم الناس بتفسيره وتاويله ولكنه اسف على ما فاته من البيان
بالتنصيص عليه بكونه اولى من الاستنباط والله اعلم ولما اشتد به صلى
الله عليه وسلم وجعه قال مروا ابا بكر فليصل بالناس فعاودته مثل مقالتها
فقال انكن صواحب يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس رواه الشيخان وابو حاتم
واللفظ له وفي رواية ان ابا بكر رجل اسيف وفي حديث عروة عن عايشة عن
البخاري فمر عمر فليصل بالناس قال قلت لحفصة قولي له ان ابا بكر اذا
قام في مقامك لم يسمع الناس من البكا فمر عمر فليصل بالناس ففعلت
حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه انكن لانتن صواحب
يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت حفصة لعايشة ما كنت لاصيب
منك خيرا والاسيف بوزن فعيل وهو بمعنى فاعل من الاسف وهو شدة
الحزن والمراد به رقيق القلب ولابن حبان من رواية عاصم عن شقيق
عن مسروق عن عايشة في هذا الحديث قال عاصم والاسيف الرقيق
الرحيم وصواحب جمع صاحبة والمراد بهن مثل صواحب يوسف في اظهار خلاف ما في
الباطن ثم ان هذا الخطاب وان كان بلفظ الجمع فالمراد به واحدة وهي عايشة زوجه
المشابهة بهما في ذلك ان زليخا استدعت النسوة واظهرت لهن الاكرام بالضيافة
ومرادها زيادة على ذلك وهو ان ينظرن الى حسن يوسف ويعذرنها في

محبته وان عايشة اظهرت ان سبب ارادتها صرف الامامة عن ابيها لكونه
لا يسمع المامومين القراة لبكايه ومرادها زيادة على ذلك وهو الا يتشام الناس
به وقد صرحت هي لذلك كما عند البخاري في باب وفاته عليه الصلاة والسلام
فقالت لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته الا انه لم يقع في قلبي ان يحب الناس
بعده رجلا قام مقامه ابدا والا كنت ارى انه لن يقوم احد مقامه الا تشام
الناس به ونقل الدمياطي ان الصديق صلى بالناس سبع عشرة صلاة
وقد ذكر الفاكهاني في الفجر المنير ما عزاه لسيف بن عمر التميمي في كتاب الفتوح ان
الانصار لما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا اطافوا بالمسجد
فدخل العباس فاعلمه عليه الصلاة والسلام بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل
فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي ابن ابي طالب لذلك فخرج صلى الله عليه
وسلم متوكيا على علي والفضل والعباس امامه والنبي صلى الله عليه وسلم
معصوب الراس تخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر
وثار الناس اليه فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس بلغني انكم تخافون
من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث اليه فاخلد فيكم الا اني لاحق
بربي وانكم لاحقون به فاوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصي المهاجرين
فيما بينهم فان الله تعالى يقول والعصر ان الانسان لفي خسر الى اخرها
وان الامور تجري باذن الله ولا يحملكم استبطا امر على استعجاله فان الله
عز وجل لا يعجل بعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه
فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم
بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم
الم يشاطروكم في الثمار الم يوسعوا لكم في الدنيا الم يوثروكم على انفسهم
وبهم الخصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز
عن مسيئهم الا ولا تستاثروا عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا
وان موعدكم الحوض الا فمن احب ان يرده علي غدا فليكفف يده ولسانه
الا فيما ينبغي ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس
بر بهم ايمتهم واذا فجر الناس عقوهم وفي حديث انس عند البخاري قال
مر ابو بكر والعباس بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون
فقالا ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا وقد عصب
راسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله
واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي اي موضع
سري ارادانهم بطانته وموضع امانته والذين يعتمد عليهم في اموره

مطلب
قول عمر رضي الله عنه حسبنا كتاب الله

مطلب
خروجه صلى الله عليه وسلم من بيته
بسبب بكى الانصار وانه خطب

فدخل احدهما على النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك
فخرج النبي صلى الله عليه وسلم

باستعار الكرش والعيبة لذلك لان المجتر يجمع علفه في كرشه والرجل يجمع ثيابه في عيبته وقيل اراد بالكرش الجماعة اي جماعتي وصحابتي يقال غلبة كرش من الناس اي جماعة قاله في النهاية وذكر الواحدي بسند وصله بعبد الله بن مسعود قال نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عايشة فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله اواكم الله اوصيكم بتقوى الله واستخلف عليكم واحذركم الله اني لكم نذير مبين ان لا تعلوا على الله في بلاده وعباده فانه قال لي ولكم تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين قلنا يا رسول الله متى اجلك قال دنى الفراق والمنقلب الى الله والى جنة الماوى قلنا يا رسول الله من يغسلك قال رجال اهل بيتي الادنى فالادنى قلنا يا رسول الله فيم نكفنك قال في ثيابي هذه وان شئتم في ثياب مصرية وحلة يمانية قلنا يا رسول الله من يصلي عليك قال اذا انتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي جبريل ثم ميكايل ثم اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملايكة ثم ادخلوا علي افواجا فصلوا علي فوجا فصلوا علي وسلموا تسليما ولا يبدا بالصلاة علي رجال اهل بيتي ثم نساؤهم ثم انتم واقرؤوا السلام على من غاب من اصحابي ومن تبعني على ديني من يومي هذا الى يوم القيامة قلنا يا رسول الله من يدخلك قبرك قال اهلي مع ملايكة ربي وكذا رواه الطبراني في الدعاء وهو واه جدا وقالت عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيي او يخير فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه فلما افاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا فعرفت انه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح وفي رواية انها اصغت اليه قبل ان يموت وهو مسند الى ظهره يقول اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الاعلى على رواية البخاري من طريق الزهري عن عروة وما فهمته عايشة من قوله عليه الصلاة والسلام اللهم الرفيق الاعلى انه خير يطريقهم انتهى رضي الله عنه من قوله عليه الصلاة والسلام ان عبدا خيره الله ما بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده ان العبد المراد هو النبي صلى الله عليه وسلم حتى بكى كما تقدم ذكره الحافظ ابن حجر وعند احمد من طريق المطلب بن عبد المطلب بن عبد الله عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ما من نبي يقبض الا يرى الثواب ثم يخير ولاحمد ايضا من حديث مويهبة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

اوتيت

مطلب
امر من له امر بسم اصحابه ... الادنى فالادنى ...

مطلب
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لي وارحمني

مطلب
... حديث مويهبة

اوتيت مفاتيح خزاين الارض والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة وعند عبد الرزاق من مرسل طاوس رفعه خيرت بين ان ابقى حتى ارى ما يفتح على امتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل وفي رواية ابي بردة ابن ابي موسى عن ابيه عند النسائي وصححه ابن حبان فقال اسال الله الرفيق الاعلى الاسعد مع جبريل وميكايل واسرافيل وظاهره ان الرفيق المكان الذي تحصل المرافقة فيه مع المذكورين وقال ابن الاثير في النهاية جماعة الانبيا يسكنون اعلا عليين وقيل المراد به الله تعالى يقال الله رفيق بعباده من الرفق والرافة انتهى وقيل المراد به حضرة القدس وقال السهيلي الحكمة في اختتام كلامه صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب حتى يستفاد منها الرخصة لغيره انه لا يشترط ان يكون الذكر باللسان لان بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره اذا كان قلبه عامرا بالذكر انتهى ملخصا قال الحافظ ابن رجب وقد يروى ما يدل على انه قبض ثم راى مقعده من الجنة ثم ردت اليه نفسه ثم خير ففي المسند قالت يعني عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي الا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد اليه فيخير بين ان ترد اليه الى ان يلحق فكنت قد حفظت ذلك فاني لمسندته الى صدري فنظرت اليه حتى مالت عنقه فقلت قضى قالت فعرفت الذي قال فنظرت اليه حين ارتفع ونظر فقلت اذن والله لا يختارنا فقال مع الرفيق الاعلى في الجنة مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اوليك رفيقا وفي البخاري من حديث عروة عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا او يخير فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عايشة غشي عليه فلما افاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم في الرفيق الاعلى ونبه السهيلي على ان النكتة في هذه الكلمة بالافراد الاشارة الى ان اهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد وفي صحيح ابن حبان عنها قالت اغمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجري فجعلت امسحه وادعو له بالشفا فلما افاق قال اسال الله الرفيق الاعلى مع جبريل وميكايل واسرافيل ولما احتضر صلى الله عليه وسلم واشتد به الامر قالت عايشة ما رايت الوجع على احد اشد منه على النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان عنده قدح من ما فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالما ويقول اللهم اعني على سكرات الموت وفي رواية فجعل يقول لا اله الا الله ان للموت سكرات ثم قال

فاخبره لقاء ربي والجنة

مطلب
ما المراد بالرفيق الاعلى ... اللهم الرفيق الاعلى

٤٧٤

مطلب
لما احتضر ...

Copyright King Saud University

بعض العلما فيه ان ذلك من شدة الالم والاوجاع لرفعة منزلته وقال الشيخ ابو محمد
المرجاني تلك السكرات سكرات الطرب الا ترى الى قول بلال حين قال له اهله
وهو في السياق واكرباه ففتح عينيه وقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا
وصحبه فاذا كان هذا طربه في هذا الحال تلقا محبوبه وهو النبي صلى الله
عليه وسلم وحزبه فما بالك بلقا النبي صلى الله عليه وسلم لربه تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهذا موضع تقصر العبارة عن وصف بحمه
وفي حديث مرسل ذكره الحافظ ابن رجب انه عليه الصلاة والسلام قال
اللهم انك تاخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل فاعني عليه
وهونه علي وعند الامام احمد والترمذي من طريق القاسم عنها قالت رايته
وعنده قدح فيه ما وهو يموت فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالما ثم
يقول اللهم اعني على سكرات الموت ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضي الله
عنها واكرب اباه فقال لا كرب على ابيك بعد اليوم ان كربه كان شفقة على
امته والواقع انها باقية الى يوم القيامة لا مبعوث الى ما جا بعده واعمالهم
تعرض عليه وانما الكلام على ظاهره وان المراد بالكرب ما كان يجده عليه الصلاة
والسلام مما يصيب جسده من الالام كالبشر ليتضاعف له الاجر انتهى وروي
ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة انه حضر من ابيك ما الله تارك
منه احد الموافاة القيمة وفي البخاري من حديث انس بن مالك ان
المسلمين بيناهم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وابو بكر يصلي بهم لم يفجاهم
الا ورسول الله قد كشف ستر حجرة عايشة فنظر اليهم وهم في صفوف الصلاة
ثم تبسم يضحك فنكص ابو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يريد ان يخرج الى الصلاة قال انس وهم المسلمون ان يفتتنوا
في صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار اليهم بيده صلى الله عليه
وسلم ان اتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر وفي رواية ابي اليمان عن شعيب
عند البخاري في الصلاة فتوفي من يومه وفي رواية ابي معمر عنده ايضا
وكلها في حديث انس لم يخرج الينا صلى الله عليه وسلم ثلاثا فاقيمت الصلاة
فذهب ابو بكر يتقدم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه
فلما وضح لنا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظرا قط كان
اعجب الينا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا قال
فاوما رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر ان يتقدم وارخى الحجاب
الحديث رواه الشيخان وعنه ان ابا بكر كان يصلي بهم في وجع النبي صلى الله
عليه وسلم الذي توفي فيه حتى اذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة

كشف

قوله القصب العظم

مطلب
قول فاطمة واكرب اباه وان المراد
بالكرب ما كان يجده من مصيب
جسده من الالام كالبشر
ليتضاعف له الاجر واقول
ومن لكرغاب عن حكم اجرا
الالام اصل على الانبيا فالك
د عبد الرحمن بن محمد حجازي الواعظ
صلى الله عليه وسلم

مطلب
اشارته صلى الله عليه وسلم لهم باتمام
صلاتهم وامره او مي الى ابي بكر
ان يتقدم وارخى الحجاب فدل انه
اخر عهدهم ولا اول منه وانه النفس

مطلب
رد الحافظ في فتح الباري كلام
البيهقي ان اخر صلاة صلاها
رسول الله الصبح يوم موته خلف ابي بكر

كشف رسول الله ستر الحجرة فنظرنا اليه وهو قايم كان وجهه ورقة مصحف ثم
تبسم صلى الله عليه وسلم ضاحكا الحديث رواه مسلم وقد جزم موسى بن عقبة
عن ابن شهاب بانه صلى الله عليه وسلم مات حين زاغت الشمس وكذا لابي
الاسود عن عروة وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال لما بقي من اجل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل فقال يا محمد ان الله قد ارسلني
اليك اكراما لك وتفضيلا لك وخاصة لك يسالك عما هو اعلم به منك يقول
كيف تجدك فقال اجدني يا جبريل مغموما واجدني يا جبريل مكروبا ثم اتاه في
اليوم الثاني فقال له مثل ذلك ثم استاذن فيه ملك الموت فقال جبريل
يا محمد هذا ملك الموت يستاذن عليك ولم يستاذن على ادمي قبلك ولا يستاذن
على ادمي بعدك قال ايذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال
يا رسول الله ان الله عز وجل ارسلني اليك وامرني ان اطيعك في كل ما تامرني ان
امرتني ان اقبض روحك قبضتها وان امرتني ان اتركها فقال جبريل يا احمد
ان الله قد اشتاق الى لقايك قال صلى الله عليه وسلم فامض يا ملك الموت
الى ما امرت به فقال جبريل يا رسول الله هذا اخر موطي من الارض انما
كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه فلما توفي صلى الله عليه وسلم وجات
التعزية سمعوا صوتا من ناحية البيت السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله
وبركاته كل نفس ذايقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة ان
في الله عزا من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فايت فبالله فثقوا
واياه فارجوا فانما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فقال علي اتدرون من هذا هو الخضر عليه السلام رواه البيهقي في دلايل
النبوة وفي تخريج احاديث الاحيا للحافظ العراقي وذكر التعزية المذكورة
عن ابن عمر بما ذكره في الاحيا وان النووي انكر وجود الحديث المذكور
في كتب الحديث وقال انما ذكره الاصحاب ثم قال العراقي قد رواه الحاكم
في المستدرك من حديث انس ولم يصححه ولا يصح رواه ابن ابي الدنيا عن
انس ايضا قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع اصحابه
حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين في ازار ورداء يتخطا
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اخذ بعضادتي باب البيت على
فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل على اصحابه فقال ان في الله عزا
من كل مصيبة وعوضا من كل فايت الحديث وفيه ثم ذهب الرجل فقال ابو بكر
علي بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا احدا فقال ابو بكر لعل هذا الخضر
جا يعزينا رواه ابن ابي الدنيا ايضا من حديث علي بن ابي طالب وفيه محمد

مطلب
استيذان ملك الموت صلى
الله عليه وسلم ان يقبض روحه او
يتركها

مطلب
تعزية الخضر عليه السلام الصحابة على
ما قاله علي بن ابي طالب

ابن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده علي
والمعروف عن علي بن الحسين مرسلا من غير ذكر علي كما رواه الشافعي في الام
وليس فيه ذكر للخضر عليه الصلاة والسلام قال البيهقي وقوله ان الله اشتاق
الى لقائك معناه قد اراد لقاك بان يردك من دنياك الى معادك زيادة في
قربك وكرامتك انتهى واخرج الطبري من حديث ابن عباس قال جاء ملك
الموت الى النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه وراسه في حجر علي فاستاذن
فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال له علي ارجع فانا مشاغيل عنك
فقال صلى الله عليه وسلم هذا ملك الموت ادخل راشدا فلما دخل قال ان
ربك يقرئك السلام قال فبلغني ان ملك الموت لم يسلم على اهل بيت قبله ولا
يسلم بعده وقالت عايشة توفي صلى الله عليه وسلم في بيتي في يومي وبين
سحري ونحري وفي رواية بين حاقنتي وذاقنتي رواه البخاري والحاقنة بالحاء المهملة
والقاف والنون اسفل من الذقن والذاقنة طرف الحلقوم والسحر بفتح السين
وسكون الحاء المهملتين هو الصدر والنحر بفتح النون وسكون الحاء المهملة والمراد
انه صلى الله عليه وسلم توفي وراسه بين حنكها وصدرها وهذا لا يعارضه ما اخرجه
الحاكم وابن سعد من طرق انه صلى الله عليه وسلم مات وراسه في حجر علي لان طرقه
كما قاله الحافظ ابن حجر لا تخلوا عن شيعي فلا يلتفت لذلك والله اعلم قال السهيلي
وجدت في بعض كتب الواقدي ان اول كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم
وهو مسترضع عند حليمة الله اكبر واخر كلمة تكلم بها الرفيق الاعلى وروى
الحاكم من حديث انس اخر ما تكلم به صلى الله عليه وسلم جلال ربي الرفيع ولما
توفي صلى الله عليه وسلم كان ابو بكر غايبا بالسنح يعني العالية عند زوجته بنت
خارجة وكان عليه الصلاة والسلام قد اذن له في الذهاب اليها فسل عمر بن الخطاب
سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول انما
ارسل اليه كما ارسل الى موسى صلى الله عليه وسلم فلبث عن قومه اربعين ليلة
والله اني لارجوا ان تقطع ايدي رجال وارجلهم فاقبل ابو بكر من السنح حين بلغه
الخبر الى بيت عايشة فدخل فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجثا يقبله ويبكي ويقول توفي والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول
الله ما اطيبك حيا وميتا ذكره الطبري في الرياض وقالت عايشة اقبل ابو بكر
على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل
على عايشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى ببرد حبرة فكشف
عن وجهه واكب عليه فقبله ثم بكا ثم قال بابي انت وامي لا يجمع الله عليك موتتين
اما الموتة التي كتبت عليك فقد متها رواه البخاري واختلف في قول ابي بكر رضي

الله

مطلب
قول عايشة توفي رسول الله في بيتي في يومي من سحري ونحري وحاقنتي وذاقنتي

مطلب
ضبط السنح بضم المهملة وسكون النون وضمها العالية حاء مهملة مسكن زوجة ابي بكر

الله عنه لا يجمع الله عليك موتتين فقيل هو على حقيقته واشار بذلك الى الرد على
من زعم انه سيحيى فيقطع ايدي رجال لانه لو صح ذلك للزم ان يموت موتة اخرى
فاخبر انه اكرم على الله من ان يجمع عليه موتتين كما جمعهما على غيره كالذين خرجوا
من ديارهم وهم الوف وكالذي مر على قرية وهذا اوضح الاجوبة واسلمها وقيل
اراد لا يموت موتة اخرى في القبر كغيره اذ يحيى فيسال ثم يموت وهذا جواب
الداودي وقيل لا يجمع الله موت نفسك وموت شريعتك وقيل كنى
بالموت الثاني عن الكرب اي لا يلقى بعد كرب هذا الموت كربا اخر قاله في فتح الباري
وعنها ان عمر قام يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال بابي انت وامي طبت حيا وميتا والذي
نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين ابدا ثم خرج فقال ايها الحالف على رسلك فلما
تكلم ابو بكر جلس عمر فحمد الله ابو بكر واثنى عليه وقال الا من كان يعبد محمدا فان
محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وقال انك ميت وانهم ميتون
وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية قال فنشج الناس يبكون
رواه البخاري يقال نشج الباكي اذا غص بالبكا في حلقه من غير انتحاب وعن سالم
ابن عبيد الاشجعي قال لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اجزع الناس
كلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاخذ بقايم سيفه وقال لا اسمع احدا يقول
مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا قال فقال الناس
يا سالم اطلب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجت الى المسجد فاذا
بابي بكر فلما رايته اجهشت بالبكا فقال يا سالم امات رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت ان هذا عمر بن الخطاب يقول لا اسمع احدا يقول مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا قال فاقبل ابو بكر حتى دخل على النبي
صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فرفع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه
واستنشا الريح ثم سجاه والتفت الينا فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل الاية وقال انك ميت وانهم ميتون يا ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا
قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال عمر فوالله لكاني لم اتل هذه
الايات قط خرجه الحافظ ابو احمد حمزة بن الحارث كما ذكره الطبري في الرياض له
وقال خرج الترمذي معناه بتمامه واستنشا الريح شمها اي شم ريح الموت وعند
احمد عن عايشة قالت سجيت النبي صلى الله عليه وسلم ثوبا فجا عمر والمغيرة بن شعبة
فاستاذنا فاذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر عمر اليه فقال واغشياه ثم قاما
فقال المغيرة يا عمر مات قال كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت
حتى يفني الله المنافقين ثم جا ابو بكر فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال انا لله وانا

مطلب
تفسير قول ابي بكر والله لا يجمع الله عليك موتتين في بعض الروايات

مطلب
قول ابي بكر والله لا يذيقك الله الموتتين ابدا وانه صح وخطب الناس الخ

٤٧٦

مطلب
تحقيق عمر والمغيرة لما سجت رسول الله ثوبا وان المغيرة قال يا عمر مات فقال له عمر كذبت الخ

Copyright King Saud University

اليه راجعون مات رسول الله وفي حديث ابن عباس عند البخاري ان ابا بكر خرج
وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فابى عمر ان يجلس فاقبل الناس اليه
وتركوا عمر فقال ابو بكر اما بعد من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان
يعبد الله فان الله حي لا يموت قال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من
قبله الرسل قال والله لكان الناس لم يعلموا ان الله انزل الاية حتى تلاها ابو بكر
فتلقاها الناس منه كلهم فما اسمع بشرا من الناس الا يتلوها وفي حديث ابن عمر
عند ابن ابي شيبة ان ابا بكر مر بعمر وهو يقول ما مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين قال وكانوا اظهروا الاستبشار
ورفعوا رؤوسهم فقال ايها الرجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات الم
تسمع الله تعالى يقول انك ميت وانهم ميتون وقال وما جعلنا لبشر من
قبلك الخلد ثم اتى المنبر الحديث قال القرطبي ابو عبد الله المفسر وفي هذا
ادل دليل على شجاعة الصديق فان الشجاعة حدها ثبوت القلب عند
حلول المصايب ولا مصيبة اعظم من موت النبي صلى الله عليه وسلم فظهرت
عنده شجاعته وعلمه قال الناس لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضطرب
الامر فكشفه الصديق بهذه الاية فرجع عمر عن مقالته التي قالها كما ذكره الوايلي
ابو نصر عبد الله في كتابه الابانة عن انس بن مالك انه سمع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه حين بويع ابو بكر رضي الله عنه في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم واستوى على منبره عليه الصلاة والسلام تشهد ثم قال اما بعد
فاني قلت لكم امس مقالة وانها لم تكن كما قلت واني والله ما وجدت المقالة التي
قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد عهده الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكني كنت ارجو ان يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا اي
يكون اخرنا موتا او كما قال فاختار الله عز وجل لرسوله الذي عنده على الذي عندكم
وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسوله فخذوا به تهتدوا لما هدي
له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو نصر المقالة التي قالها ثم رجع عنها
هي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت ولن يموت حتى يقطع ايدي وارجل
وكان ذلك لعظيم ما ورد عليه وخشي الفتنة وظهور المنافقين فلما شاهد
قوة يقين الصديق الاكبر وتفوهه بقول الله عز وجل كل نفس ذائقة
الموت وقوله انك ميت وانهم ميتون وخرج الناس يتلونها في سكك
المدينة كانها لم تنزل قط الا ذلك اليوم انتهى وقال ابن المنير لما مات صلى
الله عليه وسلم طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من اقعد فلم يطق
القيام ومنهم من اخرس فلم يطق الكلام ومنهم من اضني وكان عمر ممن خبل

وكان

مطلب كلام عمر ما مات رسول الله وما يموت حتى يقتل الله المنافقين

مطلب في شجاعة الصديق وان القرطبي قال في هذا ادل دليل على شجاعة ابي بكر

مطلب المقالة التي رجع عنها عمر

مطلب اختلاف احوال الصحابة لما تحققوا موته فمنهم من اقعد فلم يطق القيام الخ

وكان عثمان ممن اخرس يذهب ويجاء ولا يستطيع كلاما وكان علي ممن اقعد فلم
يستطع حراكا وكان ممن اضني عبد الله بن انيس فمات كمدا وكان اثبتهم ابو بكر
رضي الله عنه جاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع
فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فاكب عليه وكشف الثوب عن وجهه
وقال طبت حيا وميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبيا
فعظمت على المصيبة وجللت عن البكا ولو ان موتك كان اختيارا لجدنا لموتك
بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك ووقع في حديث ابن عباس
وعايشة عند البخاري ان ابا بكر قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما مات كما
قدمناه وكذا في رواية غيره وفي رواية يزيد بن بابنوس عنها عند احمد انه
اتاه من قبل راسه فحدر فاه فقبل وجهه ثم قال وانبياه ثم رفع راسه ثم
حدر فاه وقبل جبهته ثم قال واصفياه ثم رفع راسه فحدر فاه وقبل جبهته
وقال واخليلاه وعند ابن ابي شيبة عن ابن عمر فوضع فاه على جبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقبله ويبكي ويقول بابي انت وامي طبت حيا
وميتا وعن عايشة ان ابا بكر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع
فاه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه وقال وانبياه واخليلاه واصفياه
اخرجه ابن عرفة العبدي كما ذكره الطبري قال ولا تضاد بين هذا على
تقدير صحته وبين ما تقدم مما تضمن ثباته بان يكون قد قال ذلك من
غير انزعاج ولا قلق خافضا بها صوته ثم التفت اليهم وقال لهم ما قاله
واخرج البيهقي وابو نعيم من طريق الواقدي عن شيوخه انهم شكوا في
موته صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم قد مات وقال بعضهم لم يمت فوضعت
اسما بنت عميس يدها بين كتفيه عليه الصلاة والسلام فقالت قد توفي قد
رفع الخاتم من بين كتفيه فكان هذا الذي قد عرف به موته واخرجه
ابن سعد عن الواقدي ايضا ولما توفي عليه الصلاة والسلام قالت فاطمة
يا ابتاه من الى جبريل ننعاه رواه البخاري قال الحافظ ابن حجر رحمه الله
وقيل الى جبريل ننعاه جزم بذلك سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان
قال والاول متوجه فلا معنى لتغليط الرواة بالظن وزاد الطبراني
يا ابتاه من ربه ما ادناه وقد عاشت فاطمة رضي الله عنها بعده صلى الله
عليه وسلم ستة اشهر فاضحكت تلك المدة وحق لها ذلك
على مثل ليلى يقتل المرء نفسه   وان كان من ليلى على الهجر طاويا
واخرج ابو نعيم عن علي قال لما قبض صلى الله عليه وسلم صعد ملك الموت
باكيا الى السما والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتا من السما ينادي وامحمداه

مطلب دليل شجاعة ابي بكر على سائر الصحابة رضي الله عنهم وتقدمه في سائر المواطن

٤٧٧

مطلب وضع اسما بنت عميس يدها بين كتفيه فلم تجد خاتم النبوة فتحققت موته

مطلب عاشت فاطمة بعد ابيها صلى الله عليه وسلم ستة اشهر

Copyright King Saud University

الحديث كل المصايب تهون عند هذه المصيبة وفي سنن ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه ايها الناس ان احدا من الناس او من المومنين اصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فان احدا من امتي لن يصاب بمصيبة بعدي اشد عليه من مصيبتي وقال ابو الجوزا كان الرجل من اهل المدينة اذا اصابته مصيبة جا اخوه فصافحه ويقول يا عبد الله اتق الله فان في رسول الله اسوة حسنة ويعجبني قول القايل

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بان المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فانها ... نوب تنوب اليوم وتكشف في غد
واذا اتتك مصيبة تشجى بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمد

تذكرت لما فرق الدهر بيننا ... فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها ان المنايا سبيلنا ... فمن لم يمت في يومه مات في غد

كادت الجمادات تتصدع من الم فراقه صلى الله عليه وسلم فكيف بقلوب المومنين ولما فقده الجذع الذي كان يخطب اليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه وصاح الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكا وقال هذه خشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتم احق ان تشتاقوا اليه وروي ان بلالا لما كان يوذن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقبل دفنه فاذا قال اشهد ان محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكا والنحيب فلما دفن ترك بلال الاذان

ما امر عيش من فارق الاحباب ... خصوصا من كانت رويته حياة الالباب
لو ذاق طعم الفراق رضوى لكان من وجده يميد ... قد حملوني عذاب شوق يعجز عن حمله الحديد

قد كانت وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا اختلاف وقد كان دخوله المدينة في هجرته حين اشتد الضحى ودفن يوم الثلاثا وقيل ليلة الاربعا وعند ابن سعد في الطبقات عن علي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثا وعنده ايضا عن عكرمة توفي يوم الاثنين فحبس بقية يومه وليلته ومن الغد حتى دفن من الليل وعنده ايضا عن عثمان ابن محمد الاخنسي توفي يوم الاثنين حتى زاغت الشمس ودفن يوم الاربعا وروي ايضا عن ابن عباس بن سهل عن ابيه عن جده توفي يوم الاثنين فمكث يوم الاثنين والثلاثا حتى دفن يوم الاربعا ورثته عمته صفية فكان منها قولها

الا يا رسول الله كنت رجانا ... وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما ابكي النبي لفقده ... ولكنني اخشى من الهجر اتيا

مطلب وفاته يوم الاثنين ودفنه يوم الثلاثا او يوم الاربعا والله اعلم

كان

49

كان على قلبي لذكر محمد ... على جدث امسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله امي وخالتي ... وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو ان رب الناس ابقى نبينا ... سعدنا ولكن امره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية ... وادخلت جنات من العدن راضيا
ارى حسنا ايتمته وتركته ... يبكي ويدعو جده اليوم نائيا

ورثاه ابو سفيان بن الحارث فقال

ارقت فبت ليلي لا يزول ... وليل اخي المصيبة فيه طول
واسعدني البكا وذاك فيما ... اصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت ... عشية قيل قد قبض الرسول
واضحت ارضنا مما عراها ... يكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبريل
وذاك احق ما سالت عليه ... نفوس الناس او كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فما نخشى ضلالا ... علينا والرسول لنا دليل
افاطم ان جزعت فذاك عذر ... وان لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر ابيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول

ورثاه الصديق بقوله

لما رايت نبينا متجندلا ... ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه ... والعظم مني ما حييت كسير
اعتيق ويحك ان حبك قد ثوى ... فالصبر عنك لما بقيت يسير
يا ليتني من قبل مهلك صاحبي ... غيبت في جدث علي صخور
فلتحدثن بدايع من بعده ... يعيى بهن جوانح وصدور

ورثاه الصديق ايضا بقوله

ودعنا الوحي اذ وليت عنا ... فودعنا من الله الكلام
سوى ما قد تركت لنا رهينا ... تضمنه القراطيس الكرام

ولقد احسن حسان بقوله يرثيه عليه الصلاة والسلام

كنت السواد لناظري ... فعمي عليك الناظر
من شا بعدك فليمت ... فعليك كنت احاذر

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه موته صلى الله عليه وسلم بقول ابي بكر الصديق ورجع الى قوله قال وهو يبكي بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن

الوحي

الكرام

Copyright King Saud University

الجذع لفراقك حتي جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولي بالحنين عليك حين
فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل
طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول
الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك اخر الانبيا وذكرك في اولهم فقال تعالي
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الايه بابي انت وامي يا رسول
الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك
وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا
الخبر ذكره ابو العباس القصار في شرحه لبردة الابوصيري ونقله عنه
الرشاطي في كتابه اقتباس الانوار والتماس الازهار وذكره ابن الحاج في المدخل
وساقه بتمامه والقاضي عياض في الشفا لكنه ذكر بعضه ويقع في كثير من
نسخ الشفا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكي به
النبي صلي الله عليه وسلم بتشديد الكاف من بكا والصواب فيها التخفيف
لان هذا الكلام انما سمع من عمر رضي الله عنه بعد موته صلي الله عليه وسلم
كما تقدم ونبهت عليه في حاشية الشفا والله اعلم ويويد هذا قوله في الخبر
نفسه بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك ما لم يتبع
نوحا في كثرة سنه وطول عمره فلقد امن بك الكثير وما امن معه الا القليل
واخرج ابن عساكر عن ابي ذويب الهذلي قال بلغنا ان النبي صلي الله عليه
وسلم عليل فاوجس اهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتي اذا كان قريب السحر
نمت فهتف هاتف وهو يقول

خطب اجل اناخ بالاسلام ، بين النخيل ومقعد الاطام ،
قبض النبي محمد فعيوننا ، تبدي الدموع عليه بالتسجام ،

فوثبت من نومي فزعا فنظرت الي السما فلم ار الا سعد الذابح فعلمت ان النبي
صلي الله عليه وسلم قبض او هو ميت فقدمت المدينة ولاهلها ضجيج
بالبكا كضجيج الحجيج اذا اهلوا بالاحرام فقلت مه فقيل قبض رسول
الله صلي الله عليه وسلم ومن عجيب ما اتفق ما روي عن عايشة انها لما
ارادوا غسل النبي صلي الله عليه وسلم قالوا لا ندري انجرد رسول الله صلي
الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا ام نغسله عليه ثيابه فلما
اختلفوا القي الله عليهم النوم حتي ما منهم من رجل الا وذقنه في صدره
ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو اغسلوا النبي صلي الله
عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا فغسلوه وعليه قميصه يصبون
الما فوق القميص ويدلكونه بالقميص رواه البيهقي في دلايل النبوة

كان

وروي

وروي ابن ماجة بسند جيد يرفعه اذا انا مت فاغسلوني بسبع قرب
من بيري بير غرس قال في النهاية بفتح الغين المعجمة وسكون الرا والسين
المهملة روي ابن النجار انه عليه الصلاة والسلام قال رايت الليلة
اني اصبحت علي بير من الجنة فاصبح علي بير غرس فتوضا منها وبزق فيها
وغسل صلي الله عليه وسلم ثلاث غسلات الاولي بالما القراح والثانية بالما
والسدر والثالثة بالما والكافور وغسله علي والعباس وابنه الفضل يعينانه
وقثم واسامة وشقران مولاه صلي الله عليه وسلم يصبون الما واعينهم معصوبة
من ورا الستر لحديث علي لا يغسلني الا انت فانه لا يري احد عورتي الا طمست
عيناه رواه البزار والبيهقي واخرج البيهقي عن الشعبي قال غسل علي
النبي صلي الله عليه وسلم فكان يقول وهو يغسله صلي الله عليه وسلم
بابي انت وامي طبت حيا وميتا واخرج ابو داود وصححه الحاكم عن علي قال
غسلته صلي الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم ار شيا
وكان طيبا حيا وميتا وفي رواية ابن سعد وسطعت ريح طيبة لم يجدوا
مثلها ثم اعتصر قميصه وحنطوا مساجده ومفاصله ووضوا منه ذراعيه
ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عودا ندا وذكر ابن الجوزي انه
روي عن جعفر بن محمد قال كان الما يستنقع في جفون النبي صلي الله
عليه وسلم فكان علي يحسوه واما ما روي ان عليا لما غسله عليه الصلاة
والسلام امتص ما في محاجر عينيه فشربه وانه قد ورث بذلك علم الاولين
والاخرين فقال النووي ليس بصحيح وفي حديث عروة عن عايشة قال
كفن رسول الله صلي الله عليه وسلم في ثلاثة اثواب بيض سحولية اخرجه
النساي من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة واتفق
عليه الايمة الستة من طريق هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة بزيادة
من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة وليس قوله من كرسف عند الترمذي
ولا ابن ماجة زاد مسلم اما الحلة فانما شبه علي الناس فيها انها اشتريت له
ليكفن فيها فتركت الحلة وكفن في ثلاثة اثواب بيض سحولية فاخذها
عبد الله بن ابي بكر فقال لاحبسنها حتي اكفن فيها نفسي ثم قال لو رضيها
الله عز وجل لنبيه لكفنه فيها فباعها فتصدق بثمنها وفي رواية لم
ادرج رسول الله صلي الله عليه وسلم في حلة يمنية كانت لعبد الله بن ابي بكر
ثم نزع عنه وذكر الحديث وفي رواية اصحاب السنن الاربعة فذكر
لعايشة قولهم في ثوبين وبرد حبرة فقالت قد اتي بالبرد ولكنهم ردوه
ولم يكفنوه فيه وقال الترمذي حسن صحيح وفي رواية البيهقي في ثلاثة

نه

٤٧٩

اثواب سحولية جدد والسحولية بفتح السين وضمها قال النووي والفتح اشهر
وهو رواية الاكثرين وفي النهاية تبعا للهروي فالفتح منسوب الى السحول
وهو القصار لانه يسحلها اي يغسلها او الى سحول وهي قرية باليمن واما الضم فهو
جمع سحل وهو الثوب الابيض النقي ولا يكون الا من قطن وفيه شذوذ لانه نسب
الى الجمع وقيل ان اسم القرية بالضم ايضا والكرسف بضم الكاف واسكان الرا وضم السين
المهملتين والفا القطن وقال الترمذي روي في كفن النبي صلى الله عليه
وسلم روايات مختلفة وحديث عايشة اصح الاحاديث في ذلك والعمل عليه
عند اكثر اهل العلم من الصحابة وغيرهم وقال البيهقي في الخلافيات قال
ابو عبد الله يعني الحاكم تواترت الاخبار عن علي بن ابي طالب وابن عباس وعايشة
وابن عمر وجابر وعبد الله بن المغفل في تكفين النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة
اثواب ليس فيها قميص ولا عمامة وعن عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن الحنفية
عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في سبعة اثواب وقد روى
هذا الحديث احمد في مسنده وذكر ابن حزم ان الوهم فيه من ابن عقيل او ممن
بعده وقد اختلف في معنى قوله ليس فيها قميص ولا عمامة فالصحيح ان
معناه انه ليس في الكفن قميص ولا عمامة اصلا والثاني ان معناه انه كفن
في ثلاثة اثواب خارج عن القميص والعمامة قال الشيخ تقي الدين بن دقيق
العيد والاول اظهر في المراد وذكر النووي في شرح مسلم ان الاول تفسير
الشافعي وجمهور العلما قال وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر الحديث
وقال ان الثاني ضعيف فلم يثبت انه صلى الله عليه وسلم كفن في قميص و
عمامة ثم الاتفاق مالك والشافعي واحمد يستحب ان تكون الثلاثة لفايف
ليس فيها قميص ولا عمامة واختلفوا في زيادة القميص والعمامة او غيرهما
على اللفايف الثلاثة لتصير خمسة فذكر الحنابلة انه مكروه وقال الشافعية
انه جايز غير مستحب وقال المالكية انه يستحب للرجال والنسا وهو في
حق النسا اكد قالوا والزيادة الى السبعة غير مكروهة وما زاد عليها سرف
وقال الحنفية ان الاثواب الثلاثة ازار وقميص ولفافة وقد اجمع المسلمون
على وجوبه وهو فرض كفاية فيجب في ماله فان لم يكن له مال فعلى من
تلزمه نفقته واختلف اصحابنا في المتزوجة اذا كان لها مال هل يجب
تكفينها من مالها او على زوجها فذهب الى الاول الرافعي في شرح الصغير
والمحرر والنووي في المنهاج وذهب الى الثاني الرافعي في الشرح الكبير
والنووي في الروضة وشرح المهذب وقال فيه تبعا للغزالي وجوب
الكفن على الزوج بشرط اعسار المراة وانكروه عليه انتهى ومتى كانت
معسرة

معسرة فتكفينها على زوجها قطعا ثم ان الواجب ثوب واحد وهو حق الله تعالى
لا تنفذ وصية الميت باسقاطه بخلاف الثاني والثالث فانه حق للميت تنفذ
وصيته باسقاطها وفي هذا الحديث ايضا دلالة على ان القميص الذي غسل
فيه النبي صلى الله عليه وسلم نزع عنه عند تكفينه قال النووي في شرح مسلم
وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره لانه لو ابقي مع رطوبته لافسد
الاكفان قال واما الحديث الذي في سنن ابي داود عن ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم كفن في ثلاثة اثواب الحلة ثوبان وقميصه الذي توفي فيه
فحديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به لان يزيد بن زياد احد رواته مجمع على
ضعفه لا سيما وقد خالف برواية الثقات وفي حديث ابن عباس عند ابن
ماجة لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثا وضع على سريره في بيته
ثم دخل الناس عليه صلى الله عليه وسلم ارسالا يصلون عليه حتى اذا فرغوا ادخل
النسا حتى اذا فرغن ادخل الصبيان ولم يوم الناس على رسول الله صلى الله عليه
وسلم احد وفي رواية ان اول من صلى عليه الملايكة افواجا ثم اهل بيته ثم الناس
فوجا فوجا ثم نساوه اخرا وروي انه لما صلى اهل بيته لم يدر الناس ما يقولون
فسالوا ابن مسعود فامرهم ان يسالوا عليا فقال لهم قولوا ان الله وملايكته
يصلون على النبي الاية لبيك اللهم ربنا وسعديك صلوات الله البر الرحيم و
والملايكة المقربين والنبيين والصديقين والشهدا والصالحين وما سبح لك من شي
يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين
ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير
وعليه السلام ذكره الشيخ زين الدين العراقي في كتابه تحقيق النصرة قالوا
اين تدفنونه فقال ابو بكر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما هلك نبي قط الا يدفن حيث تقبض روحه وقال علي وانا
ايضا سمعته وحفر ابو طلحة لحد رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضع
فراشه حيث قبض وقد اختلف فيمن ادخله قبره واصح ما روي انه نزل
في قبره عمه العباس وعلي وقثم بن العباس والفضل بن العباس وكان اخر الناس
عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس وروي انه بني في قبره
تسع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطا بها فرشها شقران
في القبر وقال والله لا يلبسها احد بعدك قال النووي وقد نص الشافعي
وجميع اصحابه وغيرهم من العلما على كراهة وضع قطيفة او مضربة او مخدة
ونحو ذلك تحت الميت في القبر وشذ البغوي من اصحابنا فقال في كتابه
التهذيب لا باس بذلك لهذا الحديث والصواب كراهة ذلك كما قاله

Copyright King Saud University

الجمهور واجابوا عن هذا الحديث بان شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه
احد من الصحابة ولا علموا بذلك وانما فعله شقران لما ذكرناه عنه من كراهيته
ان يلبسها احد بعد النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وفي كتاب تحقيق النصرة
قال ابن عبد البر ثم اخرجت يعني القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات
التسع حكاه ابن زبالة ولما دفن صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة رضي الله عنها
فقالت كيف طابت انفسكم ان تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب
واخذت من تراب القبر الشريف فوضعته على عينيها وانشات تقول

ماذا على من شم تربة احمد ۞ ان لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصايب لو انها ۞ صبت على الايام عدن لياليا

قال رزين ورش قبره صلى الله عليه وسلم رشه بلال بن رباح بقربة بدا
من قبل راسه حكاه ابن عساكر وجعل عليه من حصباء العرصة حمرا وبيضا
ورفع قبره من الارض قدر شبر وفي حديث عايشة عند البخاري قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى
اتخذوا قبور انبيايهم مساجد لولا ذلك ابرز قبره غير انه خشي او خشي ان يتخذ مسجدا
كذا في رواية ابي عوانة عن هلال او خشي على الشك في رواية الضميمة يمكن
ان تفسر بانها هي التي منعت من ابرازه والها ضمير الشان وكانها ارادت نفسها
ومن وافقها على ذلك وهذا يقتضي انهم فعلوا باجتهاد بخلاف رواية الفتح فانها
تقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي امرهم بذلك وقوله لابرز قبره
اي لكشف قبره صلى الله عليه وسلم ولم يتخذ عليه الحايل والمراد الدفن خارج
بيته وهذا قالته عايشة رضي الله عنها قبل ان يوسع المسجد ولهذا لما وسع
المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتاتى لاحد ان يصلي الى جهة
القبر الكريم مع استقبال القبلة وفي البخاري ايضا من حديث ابي بكر بن عياش
عن سفيان التمار انه حدثه انه راى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنما اي
مرتفعا زاد ابو نعيم في المستخرج وقبر ابي بكر وعمر كذلك واستدل به على
ان المستحب تسنيم القبور وهو قول ابي حنيفة ومالك واحمد والمزني
وكثير من الشافعية وادعى القاضي حسين اتفاق الاصحاب عليه وتعقب
بان جماعة من قدماء الشافعية استحبوا التسطيح كما نص عليه الشافعي وبه
جزم الماوردي واخرون وقول سفيان التمار لا حجة فيه كما قال البيهقي
لاحتمال ان قبره صلى الله عليه وسلم في الاول لم يكن مسنما فقد روى ابو داود
والحاكم من طريق القسم بن محمد بن ابي بكر قال دخلت على عايشة فقلت
يا امه اكشفي لي عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم فكشفت لي عن ثلاثة

قبور

قبور لا مشرفة ولا لاطية مبطوحة ببطحا العرصة الحمرا زاد الحاكم فرايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقدما وابا بكر راسه بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم وعمر
راسه عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كان في خلافة معاوية فكانها كانت
في الاول مسطحة ثم لما بنا جدار القبر في امارة عمر بن عبد العزيز على المدينة من
قبل الوليد بن عبد الملك صيروها مرتفعة وقد روى ابو بكر الاجري في
كتاب صفة قبر النبي صلى الله عليه وسلم من طريق اسحق بن عيسى بن بنت
داود بن ابي هند عن غنيم بن بسطام المديني قال رايت قبر النبي صلى الله
عليه وسلم في امارة عمر بن عبد العزيز فرايته مرتفعا نحوا من اربع اصابع ورايت
قبر ابي بكر وراء قبره ورايت قبر عمر وراء قبر ابي بكر اسفل منه ثم الاختلاف في
ذلك في ايهما افضل لا في اصل الجواز ورجح المزني التسنيم من حيث المعنى بان
المسطح يشبه ما يصنع للجلوس بخلاف المسنم ويرجح التسطيح ما رواه مسلم
من حديث فضالة بن عبيد انه امر بقبر فسوي ثم قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يامر بتسويتها وعن هشام بن عروة عن ابيه لما سقط
عليهم الحايط يعني حايط حجرة النبي صلى الله عليه وسلم في زمان بن عبد الملك
اخذوا في بنائه فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا انها قدم النبي صلى الله عليه وسلم فما
وجدوا احدا يعلم ذلك حتى قال لهم عروة والله ما هي قدم النبي صلى الله عليه
وسلم ما هي الا قدم عمر رواه البخاري ايضا والسبب في ذلك ما رواه الاجري من
طريق شعيب بن اسحق عن هشام بن عروة قال اخبرني ابي قال كان الناس
يصلون الى القبر الشريف فامر عمر بن عبد العزيز فاتاه عروة فقال هذا
ساق عمر وركبته فسري عن عمر بن عبد العزيز فاتاه عروة فقال وروى
الاجري قال رجا ابن حيوة قبر ابي بكر عند وسط النبي صلى الله عليه وسلم
وعمر خلف ابي بكر راسه عند وسطه وهذا ظاهر يخالف حديث القاسم فان
امكن الجمع والا فحديث القاسم اصح واما ما اخرجه ابو يعلى من وجه اخر عن
عايشة ابو بكر عن يمينه وعمر عن يساره فسنده ضعيف انتهى ملخصا من
فتح الباري وقد اختلف اهل السير وغيرهم في صفة القبور المقدسة على
سبع روايات اوردها ابن عساكر في تحفة الزاير ونقل اهل السير عن سعيد
ابن المسيب قال بقي في البيت موضع قبر في السهوة الشريفة يدفن فيه
عيسى بن مريم عليهما السلام ويكون قبره الرابع وفي المنتظم لابن الجوزي عن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم الى الارض فيتزوج
ويولد له ويمكث خمسا واربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري فاقوم
انا وعيسى بن مريم من قبر واحد بين ابي بكر وعمر كذا ذكره في تحقيق النصرة

حتى لا يصلي اليه احد فلما هدم بدا قدم بساق وركبة عمر ابن عبد العزيز

Copyright King Saud University

والله اعلم فان قلت تقدم انه عليه الصلاة والسلام توفي في يوم الاثنين ودفن
يوم الاربعا فلم اخر دفنه عليه الصلاة والسلام وقد قال عليه الصلاة والسلام لاهل
بيت اخر وادفن بينهم عجلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه فالجواب لما ذكر من عدم
اتفاقهم على موته اولانهم كانوا لا يعلمون حيث يدفن عنده حتى قال العالم
الاكبر صديق الامة يقول ما دفن نبي الاحيث يموت ذكره ابن ماجة والموطا
كما تقدم وفي رواية الترمذي ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يحب ان يدفن
فيه ادفنوه في موضع فراشه ولانهم اشتغلوا في الخلاف الذي وقع بين
المهاجرين والانصار في البيعة فنظروا فيها حتى استقر الامر في الخلافة ه
ونظمها فبايعوا ابابكر ثم بايعوه بالغد بيعة اخرى على ملائهم وكشف الله
به الكربة من اهل الردة ثم رجعوا بعد ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم
فنظروا في دفنه فغسلوه وكفنوه ولما قبض صلى الله عليه وسلم تزينت
الجنان ليوم قدوم روحه الكريمة كزينة المدينة بيوم قدوم الملك اذا كان
عرش الرحمن قد اهتز لموت بعض اتباعه فرحا واستبشارا لقدوم روحه
فكيف بقدوم روح الارواح ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة
بحرابهم فرحا بقدومه كما رواه ابو داود من حديث انس وفي رواية الدارمي
قال انس ما رايت يوما كان احسن ولا اضوا من يوم دخل علينا فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما رايت يوما كان اقبح ولا اظلم من يوم مات فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية الترمذي لما كان اليوم الذي
دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضا منها كل شي فلما كان
اليوم الذي مات فيه اظلم منها كل شي وما نفضنا ايدينا عن التراب وانا لفي
دفنه حتى انكرنا قلوبنا ومن اياته عليه الصلاة والسلام بعد موته ما ذكر من
حزن حماره عليه حتى تردا في بئر وكذا ناقته فانها لم تاكل ولا تشرب حتى
ماتت ومن ذلك ظهور ما اخبر به انه كاين بعد موته مما لا نهاية له ولا
عد يحصيه ما ذكرت بعضه في الفصل الثامن وفي حديث ابي موسى
عند مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا اراد بامة خيرا قبض نبيها
قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا اراد هلكة امة عذبها ونبيها
حي فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا امره وانما
كان قبض النبي صل الله عليه وسلم قبل امته خيرا لانهم اذا قبضوا قبله
انقطعت اعمالهم واذا اراد الله بهم خيرا جعل خيرهم مسلمهم ابقاهم محافظين
على ما امروا به من العبادات وحسن المعاملات اسلا بعد نسل واعقابا
بعد عقب **الفصل الثاني في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف** اعلم

ان

ان زيارة قبره الشريف من اعظم القربات وارجا الطاعات والسبيل الى اعلا الدرجات
ومن اعتقد غير هذا انخلع من ربقة الاسلام وخالف الله ورسوله وجماعة
العلما الاعلام وقد اطلق بعض المالكية وهو ابو عمران الفارسي كما ذكره في المدخل
من تهذيب الطالب لعبد الحق انها واجبة قال ولعله اراد وجوب السنن
المؤكدة وقال القاضي عياض انها سنة من سنن المرسلين مجمع عليها وفضيلة
مرغب فيها وروى الدارقطني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من زار قبري وجبت له شفاعتي ورواه عبد
الحق في احكامه الوسطى وفي الصغرى وسكت عنه وسكوته عن
الحديث فيها دليل على صحته وفي المعجم الكبير للطبراني ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من جاءني زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتي كان حقا علي ان
اكون له شفيعا يوم القيامة وصححه ابن السكن وروى عنه صلى الله عليه
وسلم من وجد سعة ولم يغد الي فقد جفاني ذكره ابن فرحون في مناسكه
والغزالي في الاحيا ولم يخرجه العراقي بل اشار الى ما اخرجه ابن النجار في
تاريخ المدينة مما هو في معناه عن انس ما من احد من امتي له سعة ثم لم
يزرني الا وليس له عذر ولابن عدي في الكامل وابن حبان في الضعفا والدار قطني
في العلل وغرايب مالك واخرين كلهم عن ابن عمر مرفوعا من حج ولم يزرني
فقد جفاني ولا يصح وعلى تقدير ثبوته فليتامل قوله فقد جفاني فانه
ظاهر في حرمة ترك الزيارة لان الجفا اذى والاذى حرام بالاجماع فتجب
الزيارة اذ ازالة الجفا واجبة وهي بالزيارة فالزيارة واجبة حينئذ وبالجملة
فمن تمكن من زيارته ولم يزره فقد جفاه وليس من حقه علينا ذلك
وعن حاطب ان رسول الله صل الله عليه وسلم قال من زارني بعد موتي
فكانما زارني في حياتي ومن مات باحد الحرمين بعث من الامنين رواه
البيهقي عن رجل من آل حاطب لم يسمه عن حاطب وعن عمر رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زار قبري
او قال من زارني كنت له شفيعا او شهيدا رواه البيهقي وغيره عن رجل
من ال عمر لم يسمه عن عمر وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من زارني محتسبا الى المدينة كان في جواري يوم القيامة
رواه البيهقي ايضا قال العلامة زين الدين بن الحسين المراغي وينبغي
لكل مسلم اعتقاد كون زيارته صل الله عليه وسلم قربة للاحاديث الواردة
في ذلك ولقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله
واستغفر لهم الرسول الاية لان تعظيمه صلى الله عليه وسلم لا ينقطع بموته

Copyright ... University

ولا يقال ان استغفار الرسول لهم انما هو في حال حياته وليست الزيارة كذلك كما
اجاب به بعض ايمة المحققين ان الاية دلت على تعليق وجدان الله تعالى تو
توابا رحيما بثلاثة امور المجي واستغفارهم واستغفار الرسول لهم وقد حصل
استغفار الرسول لجميع المومنين لانه صلى الله عليه وسلم قد استغفر للجميع قال الله
تعالى واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات فاذا وجد مجيهم واستغفارهم
تكملت الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته وقد اجمع المسلمون
على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي واوجبها الظاهرية فزيارته صلى
الله عليه وسلم مطلوبة بالعموم والخصوص لما سبق ولان زيارة القبور تعظيم
وتعظيمه صلى الله عليه وسلم واجب ولهذا قال بعض العلما لا فرق في زيارته
صلى الله عليه وسلم بين الرجال والنسا وان كان محل الاجماع على استحباب زيارة
القبور للرجال وفي النسا خلاف الاشهر في مذهب الشافعي الكراهة قال ابن
حبيب من المالكية ولا تدع زيارة قبره صلى الله عليه وسلم في مسجده فان فيه
من الرغبة ما لا غنا بك ولا باحد عنه وينبغي لمن نوى الزيارة ان ينوي مع ذلك
زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه لانه احد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال
الا اليها وهو افضلها عند مالك وليس لشد الرحال الى غير المساجد الثلاثة
فضل لان الشرع لم يجي به ولهذا الامر لا يدخله قياس لان شرف البقعة انما
يعرف بالنص الصريح عليه وقد ورد النص في هذه دون غيرها وقد صح
ان عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد للسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
فالسفر اليه قربة لعموم الادلة ومن نذر الزيارة وجبت عليه كما جزم به
ابن كج من اصحابنا وعبارته اذا واحدا انتهى ولو نذر اتيان المسجد الاقصى
للصلاة لزمه ذلك على الاصح عندنا وبه قال المالكية والحنابلة لكنه يخرج
عنه بالصلاة في المسجد الحرام وصحح النووي ايضا انه يخرج عنه بالصلاة
في مسجد المدينة قال ونص عليه الشافعي في البويطي وبه قال الحنفية والحنا
وللشيخ تقي الدين بن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شد الرحل للزيارة
النبوية المحمدية وانه ليس من القرب بل بضد ذلك ورد عليه الشيخ تقي الدين
السبكي في شفا السقام فشفا صدور المومنين وحكى الشيخ ولي الدين العراقي
ان والده كان معادلا للشيخ زين الدين العراقي عبد الرحمن بن رجب الدمشقي
في التوجه الى بلد الخليل عليه السلام فلما دنى من البلد قال نويت الصلاة
في مسجد الخليل ليحترز عن شد الرحال لزيارته على طريقة شيخ الحنابلة ابن
تيمية قال فقلت نويت زيارة قبر الخليل عليه السلام ثم قلت له اما انت
فقد خالفت النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة

مساجد

مساجد وقد شددت الرحل الى مسجد رابع واما انا فاتبعت النبي صلى الله عليه
وسلم لانه قال زوروا القبور افقال الا قبور الانبيا قال فبهت وينبغي لمن
اراد الزيارة ان يكثر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه فاذا وقع بصره على
معالم المدينة الشريفة وما تعرف به فليزدد الصلاة عليه والتسليم وليسال
الله ان ينفعه بزيارته ويسعده بها في الدارين وليغتسل وليلبس انظف
من ثيابه وليترجل ماشيا باكيا لما راى لما راى وفد عبد القيس رسول الله
صلى الله عليه وسلم القوا انفسهم عن رواحلهم ولم ينيخوها وسارعوا اليه
ولم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه وروينا ما ذكره القاضي
عياض في الشفا ان ابا الفضل الجوهري لما ورد الى المدينة زائرا وقرب
من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما راينا رسم من لم يدع لنا ... فوادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وانبيت ان العلامة ابا عبد الله بن رشيد قال لما قدمنا المدينة سنة اربع
وثمانين وستمائة كان معي رفيقي الوزير ابو عبد الله بن ابي القسم بن الحكيم وكان
ارمد فلما دخلنا ذا الحليفة او نحوها نزلنا عن الاكوار وقوي الشوق لقرب
المزار نزل وبادر الى المشي على قدميه احتسابا لتلك الاثار واعظاما لمن
حل تلك الديار فاحس بالشفا فانشد لنفسه في وصف الحال

ولما راينا من ربوع حبيبنا ... بيثرب اعلاما اثرن لنا الحبا
وبالترب منها اذ كحلنا جفوننا ... شفينا فلا باسا نخاف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها ... ومن بعدها عنا ادلت لنا القربا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ... لمن حل فيها ان نلم به ركبا
نسح سجال الدمع في عرصاته ... ونلثم من حب لواطئه التربا
وان بقاي دونه لخسارة ... ولو ان كفي تملا الشرق والغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه ... يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا
وزلات مثلي لا تعدد كثرة ... وبعدي عن المختار اعظمها ذنبا

فلما كنت سائر القصد الزيارة في ربيع الاخر سنة اثنين وتسعين وثمانمائة
ولاح لنا عند الصباح جبل مفرح الارواح المبشر لقرب المزار من اشرف الديار
تسابق الزوار اليه وتعالوا بالصعود اليه استعجالا لمشاهدة تلك الاثار
فبرقت لوامع الانوار النبوية وهبت عرف نسمات المعارف المحمدية
فطبنا وغبنا اذ شهدنا اعلام ديار اشرف اشرف البرية

الا يا برق يغتدي ويروح ... ام النور من ارض الحجاز يلوح

٤٨٣

Copyright ... University

وريح الصبا هبت بطيب عرفها ... ام الروض في وجه الصباح يفوح
اذا ريح ذاك الحي هبت فانها ... حياة لمن يغدو والهوى بروح
ترفق بنا يا حادي العيس والنقى ... فلنو ربين الواردين وضوح
ا هذه الا ديار محمد ... وذاك سناها يفتدي ويبوح
والا فما للركب ملح اشتياقهم ... تكل من الشوق الشديد يصيح
وانت مطايا الركب حتى كانها ... حمام على قضب الاراك تنوح
وقد مدت الاعناق شوقا وطرفها ... الى النور من تلك الديار تلوح
رات دار من تهوى فزاد اشتياقها ... وبل معها في الوجنتين سفوح
اذا العيس باحت بالغرام ولم تطق ... جفافا للصب لبس ينوح

ولما قربنا من المدينة واعلامها وتدانينا من معاينة ربوعها الكريمة واكامها وانتشقنا عرف لطايف ازهارها وبدت لنواظرنا بوارق انوارها وترادفت وارادت المنح والعطايا ونزل القوم عن المطايا فانشدت متمثلا

اتيتك زايرا ووددت اني ... جعلت سواد عيني امتطيه
ومالي لا اسير على المآقي ... الى قبر رسول الله فيه

ولما وقع بصري على القبر الشريف والمسجد المنيف فاضت من الفرح سوابق العبرات حتى اصابت بعض الثرى والجدرات

ايها المغرم المشوق هنيئا ... ما انالوك من لذيذ التلاق
قل لعينيك تهملان سرورا ... طالما اسعداك يوم الفراق
واجمع الوجد والسرور ابتهاجا ... وجميع الاشجان والاشواق
وامر العين ان تفيض انهمالا ... وتوالي بدمعها المهراق
هذه دارهم وانت محب ... ما بقا الدموع في الاماق

وكان ما كان مما لست اذكره ... فظن خيرا ولا تسال عن الخبر

ويستحب صلاة ركعتين قبل الزيارة قيل وهذا اذا لم يكن مروره من جهة وجهه الشريف عليه الصلاة والسلام فان كان استحب الزيارة قبل التحية قال في تحقيق النصرة وهو استدراك حسن قال بعض شيوخنا وفي منسك ابن فرحون فان قلت المسجد انما يشرف باضافته اليه صلى الله عليه وسلم فينبغي البداة بالوقوف عنده صلى الله عليه وسلم قلت قال ابن حبيب في اول كتاب الصلاة حدثني مطرف عن مالك عن يحيى بن سعيد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قدمت من سفر فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم عليه وهو بفنا المسجد فقال ادخلت المسجد فصليت فيه قلت لا قال فاذهب فادخل المسجد وصل فيه ثم سلم علي وقد خص بعضهم

في

في تقديم الزيارة على الصلاة وقال ابن الحاج وكل ذلك واسع ولعل هذا الحديث لم يبلغهم والله اعلم انتهى وينبغي للزاير ان يستحضر من الخشوع ما امكنه ولكن مقتصدا في سلامه بين الجهر والاسرار وفي البخاري ان عمر رضي الله عنه قال لرجلين من اهل الطايف لو كنتما من اهل البلد لاوجعتكما ضربا ترفعان اصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيا ولا ميتا وروي عن عايشة رضي الله عنها انها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فترسل اليهم لا توذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وما عمل علي ابن ابي طالب رضي الله عنه مصراعي داره الا بالمناصع توقيا لذلك نقله ابن زبالة فيجب الادب معه كما في حياته وينبغي للزاير ان يتقدم الى القبر الشريف من جهة القبلة وان جا من جهة رجلي الصاحبين فهو ابلغ في الادب من الاتيان من جهة راسه الكريم ويستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه صلى الله عليه وسلم بان يقابل المسمار الفضة المضروب في الرخام الذي في الجدار ولا عبرة بالقنديل الكبير اليوم لان هناك عدة قناديل وقد روي ان مالكا لما ساله ابو جعفر المنصور العباسي يا ابا عبد الله استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعوا ام استقبل القبلة وادعوا فقال له مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه الصلاة والسلام الى الله عز وجل يوم القيامة وينبغي ان يقف عند محاذاته اربعة اذرع ويلازم الادب والخشوع والتواضع غاض البصر في مقام الهيبة كما كان يفعل بين يديه في حياته ويستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه بسلامه كما هو في حال حياته اذ لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لامته ومعرفته باحوالهم ونياتهم وعزايمهم وخواطرهم وذلك عنده جلي لا خفا به فان قلت هذه الصفات مختصة بالله تعالى فالجواب ان من انتقل الى عالم البرزخ من المومنين يعلم احوال الاحيا غالبا وقد وقع كثير من ذلك كما هو مسطور في مظنة ذلك من الكتب وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب ليس من يوم الا ويعرض على النبي صلى الله عليه وسلم اعمال امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم واعمالهم فلذلك يشهد عليهم ويمثل الزاير وجهه الكريم عليه الصلاة والسلام في ذهنه ويحضر قلبه جلال رتبته وعلو منزلته وعظيم حرمته وان اكابر الصحابة ما كانوا يخاطبونه الا كاخي السرار تعظيما

تسمع

تلوح

٤٨٤

Copyright King Saud University

لما عظم الله من شانه وقد روي ابن النجار ان امراة سالت عايشة رضي الله عنها
ان اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته فبكت حتى ماتت
وحكي عن ابي الفضايل الحموي احد خدام الحجرة المقدسة انه شاهد شخصا
من الزوار الشيوخ اتى باب مقصورة الحجرة الشريفة فطاطا راسه نحو القبة
فحركوه فاذا هو ميت وكان ممن شهد جنازته ثم يقول الزاير بحضور قلب
وغض طرف وصوت وسكون جوارح واطراق السلام عليك يا رسول الله
السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا خيرة الله السلام
عليك يا صفوة الله السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين السلام عليك
يا قايد الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الطيبين السلام عليك وعلى
ازواجك الطاهرات امهات المومنين السلام عليك وعلى اصحابك اجمعين
السلام عليك وعلى ساير الانبيا وساير عباد الله الصالحين جزاك الله يا رسول
الله افضل ما جزى نبيا ورسولا عن امته وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون
وغفل عن ذكرك الغافلون اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك عبده ورسوله
وامينه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت
الامة وجاهدت في الله حق جهاده ومن ضاق وقته عن ذلك او عن حفظه
فليقل ما تيسر منه او ما يحصل به الغرض وفي التحفة ان ابن عمر وغيره من
السلف كانوا يقتصرون ويوجزون هذا جدا بغير مالك بن انس امام
دار الهجرة وناهيك به خبرة بهذا الشان من رواية ابن وهب عنه يقول
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وعن نافع عن ابن عمر انه كان اذا قدم
من سفر دخل المسجد ثم اتى القبر المقدس فقال السلام عليك يا رسول الله
السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا ابتاه وينبغي ان يدعوا ولا يتكلف السجع
فانه قد يودي الى الاخلال بالخشوع وقد حكى جماعة منهم الامام ابو نصر بن
الصباغ في الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي واسمه محمد بن عبيد الله بن عمر
ابن معاوية بن عمرو بن عتبة بن ابي سفيان صخر بن حرب وتوفي في سنة ثمان
وعشرين ومايتين وذكرها ابن النجار وابن عساكر وابن الجوزي في مثير الغرام
الساكن عن محمد بن حرب الهلالي قال اتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فزرته
وجلست بحذايه فجا اعرابي فزاره ثم قال يا خيرة الرسل ان الله انزل
عليك كتابا صادقا فيه ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جيتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا
بك الى ربي وانشا يقول يا خير من دفنت بالقاع اعظمه فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفدا لقبر انت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ووقف

ووقف اعرابي على قبره الشريف وقال اللهم انك امرت بعتق العبيد وهذا حبيبك
وانا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا تسال
العتق لك وحدك هلا سالت لجميع الخلايق اذهب فقد اعتقناك من النار
ان الملوك اذا شابت عبيدهم في رقهم عتقوهم عتق احرار
وانت يا سيدي اولى بذا كرما قد شبت في الرق فاعتقني من النار
وعن الحسن البصري قال وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال
يا رب انا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خايبين فنودي يا هذا ما اذناك في زيارة
قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع انت ومن معك من الزوار مغفورا لكم وقال
ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملايكته يصلون على النبي وقال
صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان
ولم تسقط له حاجة قال الشيخ زين الدين المراغي وغيره والاولى ان ينادي
يا رسول الله وان كانت الرواية يا محمد انتهى وقد نبهت على ذلك مع مزيد
بيان في كتاب لوامع الابرار في الادعية والاذكار فان اوصاه احد بابلاغ السلام
الى النبي صلى الله عليه وسلم فليقل السلام عليك يا رسول الله من فلان ثم ينتقل
عن يمينه قدر ذراع فيسلم على ابي بكر رضي الله عنه لان راسه بحذا منكب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما جزم به رزين وغيره وعليه الاكثر فيقول
السلام عليك يا خليفة سيد المرسلين السلام عليك يا من ايد الله به يوم الردة الدين
جزاك الله عن المسلمين خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا به ثم ينتقل عن يمينه
قدر ذراع فيسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول السلام عليك يا امير
المومنين السلام عليك يا من ايد الله به الدين جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا
اللهم ارض عنه وارض عنا به ثم يرجع الى موقفه الاول قبالة وجه سيدنا
رسول الله بعد السلام على سيدنا ابي بكر وعمر فيحمد الله تعالى ويمجده ويصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم ويكثر الدعا والتضرع ويجدد التوبة في حضرته
الكريمة ويسال الله تعالى بجاهه ان يجعلها توبة نصوحا ويكثر من الصلاة
والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرته الشريفة حيث يسمعه
ويرد عليه وقد روى ابو داود من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال ما من مسلم يسلم علي الا رد الله الي روحي حتى ارد عليه السلام وعند ابن
ابي شيبة من حديث ابي هريرة مرفوعا من صلى علي عند قبري سمعته ومن
صلى علي غايبا بلغته وعن سليمان بن سحيم ما ذكره القاضي عياض في الشفا قال
رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هولا الذين ياتونك

Copyright King Saud University

تسلمون عليك افتقه سلامهم قال نعم وارد عليهم ولا شك ان حياة الانبيا عليهم
الصلاة والسلام ثابتة معلومة مستمرة ونبينا صلى الله عليه وسلم افضلهم
واذا كان كذلك فينبغي ان تكون حياته اكمل واتم من حياة سايرهم فان قال
سقيم الطبع وردي الفهم لو كانت حياته صلى الله عليه مستمرة ثابتة لما كان
لرد روحه معنى كما قال الا رد الله علي روحي يجاب عن ذلك من وجوه احدها
ان هذا اعلام بثبوت وصف الحياة دايما لثبوت رد السلام دايما فوصف الحياة
لازم لرد السلام اللازم واللازم يجب وجوده عند ملزومه ثابت دايما وهذا
من نفاثات سحر البيان في اثبات المقصود باكمل انواع البلاغه واكمل فنون
البراعة التي هي قطرة من بحار بلاغته العظمى ومنها ان ذلك عبارة عن اقبال
خاص والتفات روحاني يحصل من الحضرة النبويه الى عالم الدنيا وقوالب
الاجساد الترابيه وتنزل الى دايرة البشرية حتى تحصل عند ذلك رد
السلام وهذا الاقبال يكون عاما شاملا حتى لو كان المسلمون في كل لمحة
اكثر من الف الف الف لوسعهم ذلك الاقبال النبوي والالتفات الروحاني
ولقد رايت من ذلك ما لا استطيع ان اعبر عنه ولقد احسن من سيل كيف
يرد النبي صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه في مشارق الارض ومغاربها
في ان واحد وانشد قول ابي الطيب

كالشمس في وسط السما ونورها ... يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

ولا ريب ان حاله صلى الله عليه وسلم في البرزخ افضل واكمل من حال الملايكة
هذا سيدنا عزرايل عليه السلام يقبض مائة الف روح في وقت واحد
ولا يشغله قبض عن قبض وهو مع ذلك مشغول بعبادة الله تعالى مقبل
على التسبيح والتقديس فنبينا صلى الله عليه وسلم حي يصلي ويعبد ربه
ويشاهده لا يزال في حضرة اقترابه متلذذا بسماع خطابه وقد تقدم الجواب
عن قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون في اواخر الخصايص من المقصد الرابع
وقد روى الدارمي عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كان ايام الحرة لم
يوذن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبرح سعيد بن المسيب من
المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى
الله عليه وسلم وذكره ابن النجار وابن زبالة بلفظ قال سعيد يعني ابن
المسيب فلما حضرت سمعت الاذان في القبر فصليت ركعتين ثم سمعت
الاقامة فصليت الظهر ثم مضى ذلك الاذان والاقامة في القبر المقدس
لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال يعني ليالي ايام الحرة وقد روى غيره
من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الانبيا احيا في قبورهم

يصلون

يصلون وفي رواية ان الانبيا لا يتركون في قبورهم بعد اربعين ليلة ولكنهم يصلون
بين يدي الله حتى ينفخ في الصور وله شواهد في الصحيح منها قوله صلى الله عليه
وسلم مررت بموسى وهو قايم يصلي وفي حديث ابي ذر في قصة المعراج انه لقي
الانبيا في السموات وكلموه وقد ذكرت مزيد بيان لذلك في حجة الوداع من مقصد وكلمهم
عباداته وفي ذكر الخصايص الكريمة من مقصد معجزاته وفي مقصد الاسرا والمعراج
وهذه الصلوات والحج الصادر من الانبيا ليس على سبيل التكليف انما هو على سبيل
التلذذ ويحتمل ان يكونوا في البرزخ ينسحب عليهم حكم الدنيا في استكثارهم من
الاعمال وزيادة الاجور من غير خطاب بتكليف وبالله التوفيق واذا ثبت بشهادة
قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون
حياة الشهيد ثبتت للنبي صلى الله عليه وسلم بطريق الاولى والذي عليه جمهور
العلما ان الشهدا احيا حقيقة وهل ذلك للروح فقط او للجسد معها بمعنى عدم
البلا لجسده فيه قولان وقد صح عن جابر ان اباه وعمرو بن الجموح وكانا ممن استشهد
باحد ودفنا في قبر واحد حتى حفر السيل قبرهما فوجدا لم يتغيرا وكان احدهما انجرح
فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن جرحه ثم ارسلت
فرجعت كما كانت وكان بين ذلك وبين ست واربعين وروي عنه عليه
الصلاة والسلام انه قال في شهدا احد والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد يوم الى
القيامة الا ردوا عليه رواه البيهقي عن ابي هريرة وقد قال ابن شهاب
بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزاهرة
واليوم الازهر فانهما يوديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبيا رواه ابو داود
وابن ماجة ونقل ابن زبالة عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من كلمه روح القدس لم يوذن للارض ان تاكل من لحمه وقد ثبت ان نبينا صلى الله
عليه وسلم مات شهيدا لاكله يوم خيبر من شاة مسمومة سما قاتلا من ساعته
حتى مات منه بشر بن البرا وصار بقاؤه صلى الله عليه وسلم معجزة فكان به الم
السم يتعاهده الى ان مات به وكذا قال في مرض موته ما زالت اكلة خيبر
تعاودني حتى كان الان قطعت ابهري والابهران عرقان يخرجان من القلب
يتشعب منهما الشرايين كما ذكره في الصحاح قال العلما فجمع الله له بذلك بين
النبوة والشهادة انتهى وقد اختلف في محل الوقوف للدعا عند الشافعية
انه قبالة وجهه صلى الله عليه وسلم كما ذكرته وقال ابن فرحون من المالكية
اختلف اصحابنا في محل الوقوف للدعا ففي الشفا قال مالك في رواية ابن وهب
اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يقف للدعا ووجهه الى القبر الشريف لا الى
القبلة وقد سال الخليفة مالكا فقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو

او استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه
وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى الله يوم القيامة وقال
مالك في المبسوط لا ارى ان يقف عند القبر يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن
فرحون ولعل ذلك اختلاف قول وانما امر المنصور بذلك لانه تعلم ما يدعو
وتعلم اداب الدعا بين يديه صلى الله عليه وسلم فامن عليه من سوء الادب
فاناه بذلك وافتى العامة ان يسلموا وينصرفوا الا يدعوا تلقا وجهه الكريم
ويتوسلوا به في حضرته الى الله العظيم فيما لا ينبغي الدعا به او فيما يكره او يحرم
فمقاصد الناس وسرائرهم مختلفة واكثرهم لا يقوم باداب الدعا ولا يعرفها فلذلك
امرهم مالك بالسلام والانصراف انتهى ورايت ما نسب للشيخ تقي الدين ابن تيمية
في منسكه ولا يدعوا هناك مستقبل القبلة الحجرة ولا يصلي اليها ولا يقبلها فان
هو اكله منفي عنه باتفاق الايمة ومالك من اعظم الايمة كراهية لذلك هو
والحكاية المروية عنه انه امر المنصور ان يستقبل القبر وقت الدعا كذب
على مالك كذا قال فالله اعلم انتهى واما قول الابوصيري في بردة المديح

لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه ۞ طوبى لمنتشق منه وملتثم

فقال شارحها العلامة بن مرزوق وغيره كانه اشارة الى النوعين المستعملين
في الطيب لانه اما يستعمل بالشم واليه اشار بقوله لمنتشق واما بالتضمخ
واليه اشار بملتثم قال واقل ذلك بتعفير جبهته وانفه بتربته حال السجود
في مسجده عليه الصلاة والسلام فليس المراد به تقبيل القبر الشريف فانه
مكروه ونقل الزركشي عن السيرافي ان طوبى الطيب وكذا قال ابن مرزوق
طوبى فعلى من الطيب وهذا مبني على ان المراد ان تربته افضل انواع
الطيب باعتبار الحقيقة الحسية وذلك اما لانه كذلك في نفس الامر ادركه من
ادركه ام لا واما باعتبار اعتقاد المومن في ذلك فان المومن لا يعدل بشم رايحة
تربته عليه الصلاة والسلام شيا من الطيب فان قلت لو كان المراد الحقيقة
الحسية لادرك ذلك كل احد والجواب لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراكه لكل
احد بل حتى يوجد الشرايط وتنتفي الموانع وعدم الادراك لا يدل على عدم
المدارك وانتفا الدليل لا يدل على انتفا المدلول فالمزكوم لا يدرك رايحة المسك
مع ان الرايحة قايمة بالمسك ولم يزل احوال القبر من الامور الاخروية لا جرم
لا يدركها من الاحيا الا من كشف له العظام من الاوليا المقربين لان متاع الاخرة
باق ومن في الدنيا فان والفاني لا يجتمع بالباقي للتضاد ولا ريب عند من
له ادنى تعلق بشريعة الاسلام ان قبره روضة من رياض الجنة بل
افضلها واذا كان القبر كما ذكرناه وقد حوى جسمه الشريف عليه الصلاة

والسلام

والسلام الذي هو اطيب الطيب فلا مرية انه لا طيب يعدل تراب قبره المقدس
ويرحم الله ابا العباس احمد بن محمد العريف حيث يقول في قصيدته التي اولها

اذا ما حدي الحادي باخال يثرب ۞ تك المطايا نوق خدي تعبق
ثم قال فاعبق الريحان الا وترابها ۞ اجل من الريحان طيبا واعبق
وله ايضا راحت ركايبهم تبدي روايحها ۞ طيبا فما طيب ذاك الوفد اشباحا
نسيم قبر المصطفى لهم ۞ روض اذا نشروا من ذكره فاحا
ولله در القايل فاح الصعيد بجسمه فكانه ۞ روض ينم بعرفه المتاريج
ما جسمه ما يعبر بالثرى ۞ والروح منه كالصباح الابلج

وقال ابن بطال في قوله عليه الصلاة والسلام المدينة تنصع طيبها هو مثل
ضربه للمومن الساكن فيها الصابر على لاوايها مع افتراق الاهل والتزام الخايف
الجهد وكلما تابع نفسه من الله والتزم هذا الامر بان صدقه وتضع ايمانه ويقوي
اغتباطه بسكنى المدينة وبقربه من رسوله كما يتضوع ريح الطيب منها
ويزيد عبقا على ساير البلاد خصوصية خص الله بها بلدة رسوله عليه
الصلاة والسلام الذي اختار تربتها لمباشرة جسده الطيب المطهر وقد جا في
الحديث ان المومن من يقبر في التربة التي خلق منها فكانت بهذا تربة المدينة
افضل التراب كما انه عليه الصلاة والسلام افضل البشر الذي خلق منها فكانت
بهذا تربة المدينة فلهذا والله اعلم يتضاعف ريح الطيب فيها على ساير البلدان
انتهى وينبغي للزاير ان يكثر من الدعا والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل
به صلى الله عليه وسلم فجدير بمن استشفع به ان يشفعه الله والله اعلم ان
الاستغاثة هي طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث به ان
يحصل له الغوث منه فلا فرق بين ان يعبر بلفظ الاستغاثة او التوسل
او التشفع او التجوه لانها من الجاه والوجاهة ومعناه علو القدر والمنزلة
وقد يتوسل بصاحب الجاه الى من هو اعلا منه ثم ان كلا من الاستغاثة
والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره في تحقيق
النصرة ومصباح الظلام واقع في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في مدة
حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات
القيامة فاما الحالة الاولى فحسبك ما قدمته في الفصل الاول من استشفاع
ادم عليه السلام به لما اخرج من الجنة وقول الله تعالى له يا ادم لو تشفعت
الينا بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك وفي حديث عمر بن الخطاب
عند الحاكم والبيهقي وغيرهما واذا سال النبي بحقه غفرت لك ويرحم الله ابن جابر حيث قال

به قد اجاب الله ادم اذ دعي ۞ ونجي في بطن السفينة نوح

٤٢٧

Copyright ... University

وماضرت النار الخليل لنوره ، ومن اجله نال الفدا ذبيح ،،

واما التوسل به بعد خلقه في مدة حياته فمن ذلك الاستغاثة به عليه الصلاة
والسلام عند القحط وعدم الامطار وذلك الاستغاثة من الجوع ونحو ذلك
ماذكرته في مقصد المعجزات ومقصد العبادات في الاستسقا ومن ذلك
استغاثة ذوي العاهات به وحسبك مارواه النساي والترمذي عن
عثمان بن حنيف ان رجلا ضريرا اتاه صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان
يعافيني قال فامره ان يتوضا فيحسن وضوءه ويدعوا بهذا الدعا اللهم اني
اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي
في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في وصححه البيهقي وزاد فقام وقد ابصر واما
التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد موته في البرزخ فهو اكثر من ان يحصى
او يدرك باستقصي وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام
للشيخ ابي عبد الله بن النعمان طرف من ذلك ولقد كان يحصل لي دا اعيا
دوا الاطبا واقمت به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن
والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين وثمان مايه بمكة زادها
الله شرفا ومن علي بالعود اليها في عافية بلا محنة فبينا انا نايم اذا جا رجل معه
قرطاس فيه هذا دوا لدا احمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد
الاذن الشريف النبوي ثم استيقظت فلم اجد بي والله شيا مما كنت احده
وحصل الشفا ببركة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ووقع لي ايضا في
سنة خمس وثمانين وثمانمايه بطريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة
لقصد مصر ان صرعت خادمتنا غزال الحبشية واستمر بها اياما
فاستشفعت به صلى الله عليه وسلم في ذلك فاتاني ات في منامي ومعه
الجني الصارع لها فقال لقد ارسله لك النبي صلى الله عليه وسلم فعاتبته
وحلفته ان لا يعود اليها ابدا ثم استيقظت وليس بها قلبه كانما نشطت
من عقال ولازالت في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة في سنة اربع
وتسعين وثمان مايه والحمد لله رب العالمين واما التوسل به صلى الله عليه
وسلم في عرصات القيامة فمما قام عليه الاجماع وتواترت به الاخبار في حديث
الشفاعة فعليك ايها الطالب ادراك السعادة الموصل لحسن الحال
في حضرة الغيب والشهادة بالتعلق باذيال عطفه وكرمه والتطفل على
موايد نعمه والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره المنيف فهو الوسيلة
الى نيل المعالي واقتناص المرام والمفزع يوم الجزع لكافة الرسل الكرام واجعله
امامك فيما نزل من النوازل وامامك فيما تحاول من القرب والمنازل فانك

نظفر

نظفر من المراد باقصاه وتدرك رضى من احاط بكل شي علما واحصاه واجتهد ما دمت
بطيبة الطيبة حسب طاقتك في تحصيل انواع القربات ولازم قرع ابواب
السعادات باظافير الطلبات وارق في مدارج العبادات ولج في سرادق المرادات

تمتع ان ظفرت بنيل قرب ، وحصل ما استطعت من ادخاري ،
فها انا قد ابحت لكم عطايي ، وها قد صرت عندي في جواري ،
فخذ ما شيت من كرم وجود ، ونل ما شيت من نعم غزار ،
فقد وسعت ابواب التداني ، وقد قربت للزوار داري ،
فمتع ناظريك فها جمالي ، تجلى للقلوب بلا استتار ،

ولازم الصلوات مكتوبة ونافلة في مسجده المكرم خصوصا بالروضة النبوية
انها روضة من رياض الجنة كما رواه البخاري قال ابن ابي جمرة معناه تنقل
تلك البقعة بعينها في الجنة فتكون روضة من رياض الجنة ويحتمل ان
يكون المراد ان العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة قال والاظهر
الجمع بين الوجهين معا يعني احتمال كونها تنقل الى الجنة وكون العمل
فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة قال ولكل وجه منهما دليل يعضده
ويقويه من جهة النظر والقياس اما الدليل على ان العمل فيها يوجب روضة
فلانه اذا كانت الصلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام بالف فيما سواه من
المساجد فلهذه البقعة زيادة على غيره واما كونها بعينها في الجنة وكونه
المنبر ايضا على الحوض كما اخبر عليه الصلاة والسلام بان الجذع في الجنة ثم
والجذع في البقعة نفسها فما العلة التي اوجبت للجذع الجنة هي في البقعة
سوا على ما اذكره بعد ان شا الله تعالى والذي اخبر بهذا اخبر بهذا فينبغي
الحمل على اكمل الوجوه وهو الجمع بينهما لانه قد تقرر من قواعد الشرع ان
البقعة المباركة ما فايدة بركتها لنا والاخبار بها لنا الا لتعميرها بالطاعات
فان الثواب فيها اكثر وكذلك الايام المباركة ايضا تعلى هذا يكون الموضع
روضة من رياض الجنة الان ويعود روضة كما كان في موضعه ويكون
العامل بالعمل فيه روضة في الجنة وهو الاظهر لوجهين احدهما العلو منزلته
عليه الصلاة والسلام وليا خص الخليل عليه السلام بالحجر من الجنة خص
الحبيب عليه الصلاة والسلام بالروضة من الجنة وهنا بحث لم جعلت
هذه البقعة من بين ساير البقع روضة من رياض الجنة فان قلنا هو
تعبد فلا بحث وان قلنا الحكمة فحينيذ يحتاج الى البحث والاظهر انها الحكمة
وهي انه قد سبق في العلم الرباني ما ظهر ان الله عز وجل فضله على جميع خلقه
وان كل ما كان منه بنسبة ما من جميع المخلوقات يكون له تفضيل على جنسه

٤٨٨

Copyright ... University

كما استقرى في كل اموره من بدو ظهوره عليه الصلاة والسلام الى حين وفاته في الجاهلية والاسلام فيما ماكان من شان امه وما نالها من بركته مع الجاهلية الجهلا حسب ما هو مذكور معلوم ومثل ذلك حليمة السعدية وحتى الاتان وحتى البقعة التي تجعل الاتان يدها عليها تخضر من حينها وما هو من ذلك كله معلوم وكان مشيه عليه الصلاة والسلام حيث ما مشى ظهرت البركات مع ذلك كله وحيث وضع عليه الصلاة والسلام يده المباركة ظهر في ذلك كله من الخيرات والبركات حسا ومعنا كما هو منقول معروف ولما ثبتت القدرة انه عليه الصلاة والسلام لابد له من بيت ولا بد له من منبر وانه بالضرورة يكثر تردده عليه الصلاة والسلام بين المنبر والبيت فالحرمة التي اعطى اذا كان من مشية واحدة بمباشرة او بواسطة حيوان او غيره تظهر البركة ولا تكيف مع كثرة تردده عليه الصلاة والسلام في البقعة الواحدة مرارا في اليوم الواحد طول عمره من وقت هجرته الى حين وفاته لم يبق لها من الترفيع بالنسبة الى عالمها اعلاما وصفنا وهو انها كانت من الجنة وتعود اليها وهي الان مثلها وللعامل فيها مثلها فلو كانت مرتبة يمكن ان يكون ارفع من هذه في هذه الدار لكان لهذا المحل مرتبة ما ذكرناه في حبسها فان احتج محتج لانه لوان يقول ينبغي ان يكون ذلك للمدينة بكمالها لانه عليه الصلاة والسلام كان يطوها بقدمه مرارا فالجواب انه قد حصل للمدينة تفضيل لم يحصل لغيرها من ذلك ان يزايد شفا كما اخبر عليه الصلاة والسلام مع ما شركت فيه البقعة المكرمة من منعها من الدجال وتلك الفتن العظام وانه صلى الله عليه وسلم اول ما يشفع لاهلها يوم القيامة وان ما كان بها من الوبا والحما رفع عنها وانه بورك في طعامها وشرابها واشياء كثيرة فكان التفضيل لها بنسبة ما اشرنا اليه اولا بان تردده عليه الصلاة والسلام في المسجد نفسه اكثر ما في المدينة نفسها وتردده عليه الصلاة والسلام فيما بين المنبر والبيت اكثر ما سواه من ساير المساجد فالبحث تاكد بالاعتراض لانه جاءت البركة متناسبة لتكرار تلك الخطوات المباركة والقرب من تلك النسمة المرتفعة لا خفا فيه الا على ملحد اعمى البصيرة فالمدينة ارفع المدن والمسجد ارفع المساجد والبقعة ارفع البقع قضية معلومة وحجة ظاهرة موجودة انتهى وقال الخطابي المراد من هذا الحديث الترغيب في سكنى المدينة وان من لازم ذكر الله في مسجدها الت به الى روضة الجنة وسقي يوم القيامة من الحوض انتهى وتقدم في الخصايص من مقصد المعجزات مزيد لذلك وعند مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد

الحرام

الحرام وقد اختلف العلما في المراد بهذا الاستثنا على حسب اختلافهم في مكة والمدينة ايهما افضل فذهب سفيان بن عيينة والشافعي واحمد في اصح الروايتين عنه وابن وهب ومطرف وابن حبيب الثلاثة من المالكية وحكاه الساجي عن عطا ابن ابي رباح والمكيين والكوفيين وحكاه ابن عبد البر عن عمر وعلي وابن مسعود وابي الدردا وجابر وابن الزبير وقتادة وجماهير العلما ان مكة افضل من المدينة وان مسجد مكة افضل من مسجد المدينة لان الامكنة تشرف بفضل العبادة فيها على غيرها بما تكون العبادة فيها مرجوحة وقد حكى ابن عبد البر انه روي عن مالك ما يدل على ان مكة افضل الارض كلها قال ولكن المشهور عن اصحابه في مذهبه تفضيل المدينة انتهى وقال مالك المدينة ومسجدها افضل ومما احتج به اصحابنا لتفضيل مكة حديث عبد الله بن الحمرا انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته يقول والله انك لخير ارض الله واحبها الى الله ولولا اني اخرجت منك ما خرجت قال الترمذي حسن صحيح وقال ابن عبد البر هذا اصح الاثار عنه صلى الله عليه وسلم قال وهذا قاطع ومحل الخلاف انتهى فعند الشافعي والجمهور معناه اي الحديث الا المسجد الحرام فان الصلاة فيه افضل من الصلاة في مسجدي وعند مالك ومن وافقه الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجدي تفضله بدون الالف وعن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام افضل من مائة صلاة في هذا رواه احمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه وزاد يعني في مسجد المدينة والبزار ولفظه صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام فانه يزيد عليه مائة قال السبكي واسناده صحيح ومما يستدل به المالكية ما ذكره ابن حبيب في الواضحة انه صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي كالف صلاة فيما سواه وجمعة في مسجدي كالف جمعة فيما سواه ورمضان في مسجدي كالف رمضان فيما سواه ومذهب عمر بن الخطاب وبعض الصحابة واكثر المدنيين كما قاله القاضي عياض ان المدينة افضل وهو احد الروايتين عن احمد واجمعوا على ان الموضع الذي ضم اعضاه الشريفة صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة كما قاله ابن عساكر والباجي والقاضي عياض بل نقل التاج السبكي كما ذكره السيد السمهودي في فضايل المدينة عن ابن عقيل الحنبلي انها افضل من العرش وصرح الفاكهاني في تفضيلها على السموات ولفظه واقول انا وافضل

Copyright King Saud University

من بقاع السموات والارض ايضا قال ولم ار من تعرض لذلك والذي اعتقده لو ان ذلك
عرض علي علما الامة لم يختلفوا فيه وقد جا ان السموات شرفت بمواطي قدميه
بل لو قال قايل ان جميع بقاع الارض افضل من جميع بقاع السما لشرفها لكونه صلي
الله عليه وسلم حالا فيها لم يبعد بل هو عندي الظاهر المتيقن انتهي وحكاه بعضهم
عن الاكثرين لخلق الانبيا منها ودفنهم فيها لكن قال النووي الجمهور علي تفضيل
السما علي الارض اي ما عدا ما ضم الاعضا الشريفة وقد استشكل ما ذكر من الاجماع علي
افضلية ما ضم اعضاه الشريفة علي جميع بقاع الارض ويؤيده ما قاله الشيخ عز الدين
ابن عبد السلام في تفضيل بعض الاماكن علي بعض من ان الاماكن والازمان كلها
متساوية ويفضلان بما يقع فيهما لا بصفات قايمة بهما قال ويرجع تفضيلهما
الي ما ينيل العباد منهما من فضله وكرمه والتفضيل الذي فيهما ان الله تعالي يجود
علي عباده بتفضيل اجر العاملين فيهما لكن تعقبه الشيخ تقي الدين السبكي بما
حاصله ان الذي قاله لا ينفي ان يكون التفضيل لامر اخر فيهما وان لم يكن عمل
لان قبر رسول الله صلي الله عليه وسلم ينزل عليه من الرحمة والرضوان
والملايكة وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول عن ادراكه وليس
ذلك لمكان غيره فكيف لا يكون افضل وليس محل عمل لنا لانه ليس مسجدا
ولا له حكم المسجد بل هو مستحق للنبي صلي الله عليه وسلم وايضا فقد تكون
الاعمال مضاعفة فيه باعتبار ان النبي صلي الله عليه وسلم حي كما تقرر وان
اعماله مضاعفة اكثر من كل احد فلا يختص التضعيف باعمالنا نحن قال ومن
فهم هذا انشرح صدره لما قاله القاضي من تفضيل ما ضم اعضاه الشريفة
صلي الله عليه وسلم باعتبارين احدهما ما قيل ان كل احد يدفن في الموضع الذي
خلق منه والثاني تنزل الرحمة والبركات عليه واقبال الله تعالي ولا نسلم
ان الفضل للمكان لذاته ولكن لاجل من حل فيه صلي الله عليه وسلم انتهي وقد
روي ابو يعلي عن ابي بكر انه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول لا يقبض النبي الا في احب الامكنة اليه ولا شك ان احبها اليه احبها
الي ربه تعالي لان حبه تابع لحب ربه جل وعلا وما كان احب الي الله فكيف
لا يكون افضل وقد قال عليه الصلاة والسلام اللهم ان ابراهيم قد دعاك لمكة
واني ادعوك للمدينة بمثل ما دعا ابراهيم لمكة ومثله معه ولا ريب ان دعا
النبي صلي الله عليه وسلم افضل من دعا ابراهيم لان فضل الدعا علي قدر فضل
الداعي وصح انه صلي الله عليه وسلم قال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة
او اشد وفي رواية بل اشد وقد اجيبت دعوته حتي كان يحرك دابته اذا
راها من حبها وروي الحاكم انه صلي الله عليه وسلم قال اللهم انك اخرجتني

من

من احب البقاع الي فاسكني في احب البقاع اليك اي في موضع تقبيره كذلك
فيجتمع فيه الحبان قيل ضعفه ابن عبد البر ولو سلمت صحته فالمراد احب
اليك بعد مكة لحديث ان مكة خير بلاد الله وفي رواية احب ارض الله
الي الله ولزيادة التضعيف بمسجد مكة وتعقبه العلامة السيد السمهودي
بان ما ذكر لا يقتضي صرفه عن ظاهره اذ المقصد به الدعا له ان هجرته بان
يصيرها الله كذلك وحديث ان مكة خير بلاد الله محمول علي ابتدا الامر
قبل ثبوت الفضل للمدينة واظهار الدين وافتتاح البلاد منها حتي مكة فقد انا
لها ما اتيح مالم يكن لغيرها من البلاد فظهر اجابة دعوته وصيرورتها احب
مطلقا بعد ولهذا افترض الله تعالي علي نبيه صلي الله عليه وسلم الاقامة
بها وحث هو صلي الله عليه وسلم علي الاقتدا به في سكناها والموت بها فكيف
لا يكون افضل قال واما مزيد المضاعفة فاسباب التفضيل لا تنحصر
في ذلك فالصلوات الخمس بمني للمتوجه لعرفة افضل منها بمسجد مكة وان
انتفت عنها المضاعفة اذ في الاتباع ما يربو عليها ومن هنا شمول المضاعفة
للنفل مع تفضيله بالمنزل ولهذا قال عمر رضي الله عنه بمزيد المضاعفة
لمسجد مكة مع قوله بتفضيل المدينة ولم يصب من اخذ من قوله بمزيد
المضاعفة تفضيل مكة اذ غايته ان للمفضول مزية ليست للفاضل مع
ان دعاه صلي الله عليه وسلم بمزيد تضعيف البركة بالمدينة علي مكة شامل
للامور الدينية ايضا وقد يبارك في العدد القليل فيربو نفعه علي الكثير
ولهذا استدل به علي تفضيل المدينة وان اريد من حديث المضاعفة الكعبة
فقط فالجواب ان الكلام فيما عداها فلا يرد شيا مما جا في فضلها ولا ما بمكة من
مواضع النسك لتعلقه بها وكذا قال عمر رضي الله عنه لعبد الله المخزومي
انت القايل لمكة خير من المدينة فقال عبد الله هي حرم الله وامنه وفيها
بيته فقال عمر لا اقول في حرم الله وبيته شيا ثم كرر عمر قوله الاول فاعاد
جوابه فاعاد له لا اقول في حرم الله وبيته شيا فاشر علي عبد الله فانصرف
وقد عوضت المدينة عن العمرة ما صح في اتيان مسجد قبا وعن الحج ما جا في فضل
الزيارة والمسجد والاقامة بعد النبوة بالمدينة وان كانت اقل من مكة علي القول
به فقد كانت سببا لاعزاز الدين واظهاره ونزول اكثر الفرايض واكمال
الدين حتي كثر تردد جبريل عليه الصلاة والسلام بها ثم استقر بها صلي الله
عليه وسلم الي قيام الساعة ولهذا قيل لمالك ايما احب اليك المقام هنا
يعني المدينة او مكة فقال هاهنا وكيف لا اختار المدينة وما بها طريق
الا سلك عليها رسول الله صلي الله عليه وسلم وجبريل ينزل عليه من رب

Copyright King Saud University

العالمين في اقل من سلعة وروي الطبراني حديث المدينة خير من مكة وفي رواية له
للجبري افضل من مكة وفيه محمد بن عبد الرحمن الرداد ذكره ابن حبان في الثقات وقال
كان يخطي وقال ابو زرعة لين وقال ابن عدي روايته ليست محفوظة وقال
ابو حاتم ليس بقوي وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم امرت بقرية تاكل القري يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس
كما ينفي الكير خبث الحديد اي امرني الله بالهجرة اليها ان كان قاله عليه الصلاة
والسلام بمكة او بسكناها ان كان قاله بالمدينة وقال القاضي عبد الوهاب
لا معني لقوله تاكل القري الا رجوع فضلها عليها اي علي القري وزيادتها علي غيرها
وقال ابن المنير يحتمل ان يكون المراد بذلك غلبة فضلها علي فضل غيرها اي ان
الفضائل تضمحل في جنب عظم فضلها حتي تكون عدما وهذا ابلغ من تسمية
مكة ام القري لان الامومة لا ينمحي معها ما هي له ام لكن يكون لها حق الامومة
انتهي ويحتمل ان يكون المراد غلبة اهلها علي القري والاقرب حملها عليهما
اذ هو ابلغ في الغرض المسوق له انتهي ما قاله السيد السمهودي وقد اطلت
في الاحتجاج لتفضيل المدينة علي مكة وان كان مذهب امامنا الشافعي رحمه الله
بفضل مكة لان هوي كل نفس اين حل حبيبها

علي ربع العامرية وقفة ٭ لتملي علي الشوق والدمع كاتب

ومن مذهبي حب الديار لاهلها ٭ وللناس فيما يعشقون مذاهب

علي ان للقلم في ارجاء المدينة مجالا واسعا ومقاما لا جامعا لكن الرغبة في الاختصار تفضيل
تطوي اطراف بساطه والرهبة في الاكثار تصرف عن تطويله وافراطه وقد
استنبط العارف بن ابي جمرة من قوله عليه الصلاة والسلام المروي في البخاري
ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة التساوي بين فضل مكة والمدينة
قاله وظاهر هذا الحديث يعطي التسوية بينهما في الفضل لان جميع الارض يطؤها
الدجال الا هذين البلدين فدل علي تسويتهما في الفضل قال ويؤكد ذلك ايضا
من وجوه النظر لانه ان كان تحصنت المدينة بمدفنه عليه الصلاة والسلام واقامته
بها ومسجده فقد حصنت مكة بمسقطه عليه الصلاة والسلام بها ومبعثه منها
وهي قبلته تطلع شمس ذاته المباركة مكة ومغربها المدينة واقامته بعد النبوة علي
المشهور من الاقاويل بمكة مثل اقامته عليه الصلاة والسلام واقامته بها هـ
بالمدينة عشر سنين في كل واحدة منهما كذا قاله وانت اذا تاملت قوله عليه
الصلاة والسلام فيما رواه مسلم من حديث سعد يأتي علي الناس زمان يدعو الرجل
ابن عمه وقريبه هلم الي الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده
لا يخرج احد رغبة عنها الا اخلف الله فيها خيرا منه ظهر لك ان فيه اشعارا بذم

الخروج

الخروج من المدينة بل نقل الشيخ محب الدين الطبري عن قوم انه عام ابدا
مطلقا وقال انه ظاهر اللفظ وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال لا يصبر علي لاواء المدينة وشدتها احد من امتي
الا كنت له شفيعا يوم القيامة او شهيدا وفيه عن سعيد مولي المهري
انه جاء الي سعيد الخدري ليالي الحرة فاستشاره في الجلاء من المدينة وشكي
اليه اسعارها وكثرة عياله واخبره انه لا صبر له علي جهد المدينة ولاوائها فقال
ويحك لا امرك بذلك اني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لا يصبر
احد علي لاوائها الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيامة واللاواء الشدة
والجوع واو في قوله الا كنت له شفيعا او شهيدا الاظهر انها ليست للشك لان
هذا الحديث رواه جابر بن عبد الله وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وابو
سعيد وابو هريرة واسماء بنت عميس وصفية بنت ابي عبيد عنه صلي الله
عليه وسلم بهذا اللفظ ويبعد اتفاق جميعهم او رواتهم علي الشك وتطابقهم
فيه علي صيغة واحدة بل الاظهر انه قاله عليه الصلاة والسلام ويكون
او للتقسيم ويكون شهيدا لبعض اهل المدينة وشفيعا لباقيهم اما شفيعا للعا صين
وشهيدا للمطيعين واما شهيدا لمن مات في حياته وشفيعا لمن مات بعده
او غير ذلك وهذه خصوصية زائدة علي الشفاعة للمذنبين او للعالمين في
القيامة علي شهادته علي جميع الامم فيكون لتخصيصهم بهذا كله علو مرتبته
او زيادة منزلته وحظوته وا ذا قلنا او للشك فان كانت اللفظة الصحيحة
شهيدا اندفع الاعتراض لانها زائدة علي الشفاعة المدخرة لغيرهم وان كانت
اللفظة الصحيحة شفيعا فاختصاص اهل المدينة بهذا مع ما جاء من عمومها
وادخارها لجميع الامة ان هذه شفاعة اخري لغير العامة وتكون هذه
الشفاعة لاهل المدينة بزيادة الدرجات وتخفيف الحساب او بما شاء الله
من ذلك او باكرامهم يوم القيامة بانواع الكرامات ككونهم علي منابر او في ظل العرش
والاسراع بهم الي الجنة او غير ذلك من خصوص الكرامات التي لا يتحمل المشقات
من يحب ان يتمتع بسبب اهل الارض والسموات وينال ما وعده به من جزيل
المثوبات وجسيم الهبات والجار وعده الصادق بشفاعته وشهادته
وبلوغ قصده في الحياة والممات وكم عسي تكون شدة المدينة ولاواها التي
تستمر مشقتها ويتلوها لو تاملت يا هذا الوجدت في البلاد ما هو في الشدة
وضيق العيش مثلها او اشق منها واهلها مقيمون فيها وربما يوجد فيهم
من هو قادر علي الانتقال فلا ينتقل ويقوي علي الرحلة فلا يرحل ويؤثر
وطنه مع امكان الارتحال والقدرة علي الانتقال علي ان المدينة مع شظف

Copyright King Saud University

العيش بها في غالب الاحيان فقد وسع الله فيها على بعض السكان حتى من هو
اضحا بنا من غير اهلها ممن استوطنها وحسن فيها حاله وتنعم بها باله دون ساير
البلدان فان الله من على المرء مثل ذلك هنالك والا فالصبر للمومن اولى فمن وفقه
الله تعالى صبر في اقامته بها ولو على احر من الجمر فيتجرع مرارة غصتها ليتجلى
عروس منصتها ويلقى من زار من لاواها لبو في بذلك من مصايب الدنيا وبلاها
وقد روى البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الايمان ليارز الى المدينة كما تارز الحية الى جحرها اي ينقبض وينضم
وتلتجي مع انها اصل في انتشاره فكل مومن له من نفسه سايق اليها في جميع الازمان
لحبه في ساكنها صلى الله عليه وسلم فاكرم بسكانها ولو فيل في بعضهم ما قيل فقد تم
حظوا بشرف المجاورة بهذا الحبيب الخليل فقد ثبت لهم حق الجوار وان عظمت
اساتهم فلا يسلب عنهم اسم الجار وقد عم عليه الصلاة والسلام في قوله ما زال
جبريل يوصيني بالجار ولم يخص جارا دون جار وكل ما احتج به المحتج من رمي بعض
عوامها السنية بالابتداع وترك الاتباع فانه اذا ثبت ذلك في شخص منهم
فلا يترك الكرامة ولا ينقص احترامه فانه لا يخرج عن حكم الجار ولو جار ولا
يزول عنه شرف مساكنته في الدار كيفما دار بل يرجى ان يختم له بالحسنى ويمنح بهذا
القرب الصوري قرب المعنى فيا ساكني اكناف طيبة كلكم الى القلب من اجل الحبيب حبيب
ولله در ابن جابر حيث قال

فلا تتحرك ساكن منكم الى ... سواها وان جار الزمان ولو شفا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما ... وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلفا
فبشراكم نلتم عناية ربكم ... فها انتم في بحر نعمته غرفا
تزورون رسول الله في كل ساعة ... ومن زاره فهو السعيد به حقا
متى جيتم لا يغلق الباب دونكم ... وباب ذوي الاحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع شكواكم ويكشف ضركم ... ولا يمنع الاحسان حرا ولا رقا
بطيبة مثواكم واكرم مرسل ... يلاحظكم فالدهر يجري لكم وفقا
وكم نعمة لله فيها عليكم ... فشكرا ونعم الله بالشكر تستبقى
امنتم من الدجال فيها وحولها ... ملايكة يحمون من دونها الطرقا
كذاك من الطاعون انتم بمامن ... فوجه الليالي لا تزال لكم طلقا
فلا تنظروا الا لوجه حبيبكم ... وان جانت الدنيا ومرت فلا فرقا
حياة وموتا تحت رحماه انتم ... وحشرا فتستر الجاه فوقكم ملقا
فيا راحلا عنها لدنيا يريدها ... اتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
اتخرج عن حوز النبي وحرزه ... الى غيره تسفيه منك وحمقا

حقا
فيا ويحكم يا اهل طيبة قد
القرب من خير الورى حذتم السبقا

بين

لين سرت تبغي من كريم اعانة ... فاكرم من خير البرية ما تلقى
هو الرزق مقسوم فليس بزايد ... ولو سرت حتى كدت تخترق الافقا
فكم قاعد قد وسع الله رزقه ... ومن رحل قد ضاق بين الورى رزقا
فعش في حمى خير الانام ومت به ... اذا كنت في الدارين تطلب ان ترقى
اذا قمت ما بين قبر ومنبر ... بطيبة فاعرف اين منزلك الارقا
لقد اسعد الرحمن جار محمد ... ومن جار في ترحاله فهو لا اشقى

وقد روى الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من استطاع منكم ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت
بها ورواه الطبراني في الكبير من حديث سبيعة الاسلمية وفي البخاري من حديث ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة المسيح الدجال ولا الطاعون
وفيه عن ابي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة
رعب المسيح الدجال لها يوميذ سبعة ابواب على كل باب ملكان قال في فتح الباري
وقد استشكل عدم دخول الطاعون المدينة مع كونه شهادة وكيف قرن بالدجال
ومدحت المدينة بعدم دخولهما واجيب بان كون الطاعون شهادة ليس المراد
بوصفه بذلك ذاته وانما المراد ان ذلك يترتب عليه وينشا عنه لكونه سببه
فاذا استحضر ما تقدم في المقصد الثامن من انه طعن الجن حسن مدح المدينة بعدم
دخوله اياها فان فيه اشارة الى ان كفار الجن وشياطينهم ممنوعين من دخول
المدينة ومن اتفق دخوله فيها لا يتمكن من طعن احد منهم وقد اجاب القرطبي
في المفهم عن ذلك فقال المعنى لا يدخلها من الطاعون مثل الذي وقع في غيرها
كطاعون عمواس والجارف وهذا الذي قاله يقتضي انه دخلها في الجملة وليس
كذلك فقد جزم ابن قتيبة في المعارف وتبعه جمع منهم الشيخ محي الدين النووي
في الاذكار بان الطاعون لم يدخل المدينة اصلا ولا مكة ايضا لكن نقل جماعة
انه دخل مكة في الطاعون العام الذي كان في سنة تسع واربعين وسبعماية بخلاف
المدينة فلم يذكر احد انه وقع الطاعون بها اصلا واجاب بعضهم بانه عليه الصلاة
والسلام عوضهم عن الطاعون بالحمى لان الطاعون ياتي مرة بعد مرة والحمى تتكرر
في كل حين فيتعادلان في الاجر ويتم المراد من عدم دخول الطاعون قال الحافظ ابن حجر
ويظهر لي جواب اخر بعد استحضار الذي اخرجه احمد من رواية ابي عسيب
بمهملتين اخره موحدة بوزن عظيم رفعه اتاني جبريل بالحمى والطاعون
فامسكت الحمى بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشام وهو ان الحكمة في ذلك
انه صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة كان في قلة من اصحابه عددا ومددا
وكانت المدينة وبية كما في حديث عايشة ثم خير صلى الله عليه وسلم في امرين

٤٩٢

Copyright © King Saud University

يحصل بكل منها الاجر الجزيل فاختار الحمى حينئذ لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون
ثم لما احتاج الامر الى جهاد الكفار واذن له في القتال كانت قضية استمرار الحمى
بالمدينة تضعف اجساد الذين يحتاجون الى التقوية لاجل الجهاد فدعا
بنقل الحمى من المدينة الى الجحفة فعادت المدينة اصح بلاد الله بعد ان كانت
بخلاف ذلك ثم كانوا من حينئذ من فاتته الشهادة بالطاعون ربما حصلت
له بالقتل في سبيل الله ومن فاته ذلك حصلت له الحمى التي هي حظ المومن
من النار ثم استمر ذلك بالمدينة تمييزا لها عن غيرها لتحقق اجابة دعوته
وظهور هذه المعجزة العظيمة بتصديق خبره في هذه المدة المتطاولة
وكان منع دخول الطاعون من خصايصها ولوازم دعايه صلى الله عليه
وسلم بالصحة وقال بعضهم هذا من المعجزات المحمدية لان الاطبا من اولهم
الى اخرهم عجزوا ان يدفعوا الطاعون عن بلد بل عن قرية وقد امتنع الطاعون
عن المدينة هذه الدهور الطويلة انتهى ملخصا والله اعلم ومن خصايص المدينة
ان غبارها شفا من الجذام والبرص بل من كل دا رواه رزين العبدري في جامعه
من حديث سعد وزاد في حديث ابن عمر وعجوتها شفا من السم ونقل البغوي
عن ابن عباس في قوله تعالى لنبوينهم في الدنيا حسنة انها المدينة وذكر
ابن النجار تعليقا عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كل البلاد افتتحت
بالسيف وافتتحت المدينة بالقران وروى الطبراني في الاوسط باسناد
لا باس به عن ابي هريرة يرفعه المدينة قبة الاسلام ودار الايمان وارض
الهجرة ومثوى الحلال والحرام وبالجملة فكل المدينة ترابها وطرقها وفجاجها
ودورها وما حولها قد شملته بركته صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتبركون
بدخوله منازلهم ويدعونه اليها والى الصلاة في بيوتهم ولذلك امتنع مالك
رحمه الله من ركوب دابة في المدينة وقال لا اطا بحافر دابة في عراص كان
صلى الله عليه وسلم يمشي فيها بقدميه صلى الله عليه وسلم وينبغي ان ياتي
مسجد قبا للصلاة فيه والزيارة فقد كان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا
وماشيا رواه مسلم وفي رواية له ياتيه كل سبت فيصلي فيه ركعتين وعنده
ايضا ان ابن عمر كان ياتيه كل سبت ويقول رايت النبي صلى الله عليه وسلم
ياتيه كل سبت وعند الترمذي وابن ماجه والبيهقي من حديث اسيد
ابن ظهير الانصاري يرفعه صلاة في مسجد قبا كعمرة وقال الترمذي
حسن غريب وقال المنذري لا يعرف لاسيد حديث صحيح غير هذا ورواه
احمد وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف بلفظ من تطهر في بيته ثم اتى
مسجد قبا فصلى فيه صلاة كان له كاجر عمرة وصححه الحاكم وينبغي ايضا

بعد زيارته صلى الله عليه وسلم ان يقصد المزارات التي بالمدينة الشريفة
والاثار المباركة والمساجد التي صلى فيها عليه الصلاة والسلام التماسا لبركته
ويخرج الى البقيع لزيارة من فيه فان اكثر الصحابة ممن توفي بالمدينة في
حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته مدفون بالبقيع وكذلك سادات اهل
البيت والتابعين وروي عن مالك انه قال مات بالمدينة من الصحابة عشرة
الاف وكذلك امهات المومنين سوى خديجة فانها بمكة وميمونة فانها بسرف
وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج اخر الليل الى البقيع فيقول السلام عليكم
دار قوم مومنين رواه مسلم قال ابن الحاج في المدخل وقد فرق علماونا بين
الافاقي والمقيم في التنفل بالطواف والصلاة فقالوا الطواف في حق الافاقي افضل
والتنفل في حق المقيم افضل قال قال وما نحن بسبيله من باب اولى فمن
كان مقيما خرج الى زيارة اهل البقيع ومن كان مسافرا فليغتنم مشاهدته عليه
الصلاة والسلام وحكي عن العارف ابن ابي جمرة انه لما دخل المسجد النبوي لم يجلس
الا الجلوس في الصلاة وانه لم يزل واقفا بين يديه صلوات الله وسلامه عليه
وكان قد خطر له ان يذهب الى البقيع فقال الى اين اذهب هذا باب الله
المفتوح للسايلين والطالبين والمنكسرين وروى ابن النجار مرفوعا مقبرتان
مضيئتان لاهل السما كما تضي الشمس والقمر لاهل الدنيا بقيع الغرقد ومقبرة
بعسقلان وعن كعب الاحبار قال نجدها في التوراة يعني مقبرة المدينة
كقبة محفوفة بالنخيل موكل بها ملايكة كلما امتلات اخذوا اطرافها في الجنة
واخرج ابو حاتم من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا
اول من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتي البقيع فيحشرون معي ثم انتظر
اهل مكة حتى يحشرون بين الحرمين **الفصل الثالث في تفضيله عليه الصلاة والسلام
في الاخرة بفضايل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم وعلو الدرجات وتخصيصه بالشفاعة
والمقام المحمود المغبوط عليه من الاولين والاخرين وانفراده بالسودد في مجمع جامع
الانبيا والمرسلين وترقيه في جنة عدن ارفع مدارج السعادة وتعاليه يوم
المزيد في اعلا معالي الحسنى وزيادة** اعلم ان الله تعالى كما فضل نبينا محمدا صلى
الله عليه وسلم في البدء بان جعله اول الانبيا في الخلق واولهم في الاجابة في
عالم الذر يوم الست بربكم فضله بختم كمال الفضايل في العود فجعله اول من
تنشق عنه الارض واول شافع واول مشفع واول من يوذن له بالسجود
واول من ينظر الى رب العالمين والخلق محجوبون عن رويته اذ ذاك
واول الانبيا يقضي بين امته واولهم اجازة على الصراط بامته واول داخل
الجنة وامته اول الامم دخولا اليها وزاده من لطايف التحف ونفايس الطرف

Copyright King Saud University

ما لا يحد ولا يعد فمن ذلك انه يبعث راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود ولوا الحمد تحته
آدم فمن دونه واختصاصه ايضا بالسجود لله تعالى امام العرش وما يفتحه الله عليه
في سجوده من التحميد والثنا عليه ما لم يفتحه لاحد قبله ولا يفتحه لاحد بعده زيادة
في كرامته وقربه وكلام الله تعالى له يا محمد ارفع راسك قل يسمع وسل تعط واشفع
تشفع ولا كرامة فوق هذا الا النظر اليه تعالى ومن ذلك تكراره في الشفاعة
سجوده ثانية وثالثة وتجديد الثنا عليه والتحميد بما يفتح الله عليه من
ذلك وكلام الله تعالى له في كل سجدة يا محمد ارفع راسك وقل تسمع واشفع تشفع
فعل المدل على ربه الكريم عليه الرفيع عنده المحب ذلك منه تشريفا له وتكريما
وتبجيلا وتعظيما ومن ذلك قيامه عن يمين العرش ليس لاحد من الخلايق يقوم
ذلك المقام غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون وشهادته بين الانبيا واممهم
واتيانهم اليه يسالون الشفاعة ليريحهم من غمهم وعرقهم وطول وقوفهم
وشفاعته في اقوام قد امر بهم الى النار وسقط الحوض الذي ليس في الموقف
اكثر اوان منه وان المومنين كلهم لا يدخلون الجنة الا بشفاعته ومنها انه يشفع
في رفع درجات اقوام لا تبلغها اعمالهم وهو صاحب الوسيلة التي هي اعلا منزلة في
الجنة الى غير ذلك مما بوبه به تعالى جلالة وتعظيما وتبجيلا وتكريما على روس
الاشهاد من الاولين والاخرين والملايكة اجمعين ذلك فضل الله يوتيه من يشا
والله ذو الفضل العظيم فاما تفضيله صلى الله عليه وسلم باولية انشقاق القبر
المقدس عنه فروى مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة وانا اول من ينشق عنه القبر واول شافع
واول مشفع وفي حديث ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه الا
تحت لوايي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر رواه الترمذي وعن ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر
ثم آتي اهل البقيع فيحشرون ثم انتظر اهل مكة حتى احشر بين الحرمين قال
الترمذي حسن صحيح ورواه ابو حاتم وقال حتى يحشر وتقدم وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصعق الناس حين يصعقون فاكون
اول من قام فاذا موسى آخذ بالعرش فما ادري اكان فيمن صعق وفي رواية
فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري اكان موسى
فيمن صعق فافاق قبلي او كان ممن استثنى الله رواه البخاري والمراد بالصعق
غشي يلحق من يسمع صوتا او راى شيا ففزع منه ولم يبين في هذه الرواية
من النظر يقين محل الافاقة من اي الصعقتين ووقع في رواية الشعبي عن ابي

هريرة

هريرة في تفسير سورة الزمر اي اول من يرفع راسه بعد النفخة الاخيرة والمراد
بقوله ممن استثنى الله قوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شا
الله وقد استشكل كون جميع الخلق يصعقون مع ان الموتى لا احساس لهم فقيل
المراد الذين يصعقون هم الاحيا واما الموتى فهم في الاستثنا في قوله الا من شا الله
اي الا من سبق له الموت قبل ذلك فانه لا يصعق والى هذا جنح القرطبي ولا يعارضه
ما ورد في الحديث ان موسى ممن استثنى الله لان الانبيا احيا عند الله وقال القاضي
عياض يحتمل ان يكون المراد صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السما والارض وتعقبه
القرطبي بانه صرح صلى الله عليه وسلم بانه يخرج من قبره فيلقى موسى وهو متعلق
بالعرش وهذا انما هو عند نفخة البعث انتهى ووقع في رواية ابي سلمة عند ابن
مردويه انا اول من تنشق عنه الارض يوم القيمة فانفض التراب عن راسي
فاتي قايمة العرش فاجد موسى قايما عندها فلا ادري انفض التراب عن راسه
قبلي او كان ممن استثنى واختلف في المستثنى من هو على عشرة اقوال فقيل
الملايكة وقيل الانبيا وبه قال البيهقي في تاويل الحديث في تجويزه بان يكون
موسى ممن استثنى الله قال ووجهه عندي انهم احيا كالشهدا فاذا نفخ
في الصور الاولى صعقوا ثم لا يكون ذلك موتا في جميع احوالهم الا في ذهاب
الاستشعار وقيل الشهدا واختاره الحليمي قال وهو مروي عن ابن عباس
قال الله تعالى يقول احيا عند ربهم يرزقون وضعف غيره من الاقوال
وقال ابو العباس القرطبي صاحب المفهم الصحيح انه لم يات في تعيينهم
خبر صحيح والكل محتمل وتعقبه تلميذه في التذكرة فقال قد ورد حديث
ابي هريرة بانهم الشهدا وهو الصحيح وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سال جبريل عليه السلام عن هذه الاية من الذين لم يشا الله
ان يصعقوا قال هم شهدا الله صححه الحاكم وقيل هم حملة العرش وجبريل وميكايل
وملك الموت ثم يموتون واخرهم ملك الموت وقيل هم الحور العين والولدان
في الجنة وتعقب بان حملة العرش ليسوا سكان السموات والارض لان
العرش فوق السموات كلها وبان جبريل وميكايل وملك الموت من
الصافين المسبحين ولان الحور العين والولدان في الجنة وهي فوق السموات
ودون العرش وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقا فلا شك انها بمعزل عما خلقه
الله للفنا ثم انه ورد في الاخبار بان الله تعالى يميت حملة العرش وملك
الموت وميكايل ثم يحييهم واما اهل الجنة فلم يات عنهم خبر والاظهر انها
دار خلود فالذي يدخلها لا يموت فيها ابدا مع كونه قابلا للموت فالذي
خلق فيها اولى ان لا يموت فيها ابدا فان قلت كل شي هالك الا وجهه بل

علي ان الجنة نفسها تفني ثم تعاد ليوم الجزا وتموت الحور العين ثم يحيون اجيب
بانه يحتمل ان يكون معني قوله كل شي هالك اي انه قابل للهلاك فيهلك ان اراد
الله به ذلك الا هو سبحانه فانه قديم والقديم لا يمكن أن يفني انتهي ملخصا من
تذكرة القرطبي ويويد القول بعدم موت الحور قولهن نحن الخالدات
فلا نموت كما في الحديث المراد من قولهن الخلود الكاين بعد القيمة ولا يقال ولا يقال
لانه لا خصوصية فيه والاوصاف المشتركة لا يتباهي بها والله اعلم وفي كتاب
العظمة لابي الشيخ ابن حبان من طريق وهب ابن منبه من قوله خلق
الله الصور من لولوة بيضا في صفا الزجاجة ثم قال للعرش خذ الصور
فتعلق به ثم قال كن فكان اسرافيل فامره ان ياخذ الصور فاخذه وبه
ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة فذكر الحديث وفيه ثم تجتمع
الارواح كلها في الصور ثم يامر الله اسرافيل فينفخ فيه فتدخل كل روح في
جسدها فعلي هذا فالنفخ يقع في الصور اولا ثم يصل النفخ بالروح الي الصور
وهي الاجساد فاضافة النفخ الي الصور الذي هو القرن حقيقة والي
الصور التي هي الاجساد مجاز وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن
عمرو رفعه ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغي ليتا ورفع ليتا
ثم يرسل الله مطرا كانه الطل فتنبت منه اجساد الناس ثم ينفخ فيه اخري
فاذا هم قيام ينظرون والليت بكسر اللام وبالمثناة التحتية ثم الفوقية صفحة
العنق وهما ليتان واصغي امال واخرج البيهقي بسند قوي عن ابن مسعود
موقوفا ثم يقوم ملك الصور بين السما والارض فينفخ فيه والصور قرن
فلا يبقي لله خلق في السموات والارض الا مات الا ما شا ربك ثم يكون بين النفختين
ما شا الله ان يكون واخرج ابن المبارك في الرقائق من مرسل الحسن بين
النفختين اربعين سنة الاولي يميت الله بها كل حي والاخري يحيي الله بها
كل ميت ونحوه عند ابن مردويه من حديث ابن عباس وهو ضعيف
وعن انس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا
اذا بعثوا وانا قايدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا مستشفعهم
اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا الكرامة والمفاتيح يوميذ بيدي
ولوا الحمد يوميذ بيدي وانا اكرم ولد ادم علي ربي يطوف علي الف خادم
كانهم بيض مكنون او لولو منثور رواه الدارمي وقال الترمذي
حديث غريب ولم يقل وانا امامهم لان دار الاخرة ليست دار تكليف
وفي حديث رواه صاحب كتاب حادي الارواح ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادي بالاذان

وفي

وفي كتاب ذخاير العقبي للطبري ما عزاه لتخريج الحافظ السلفي من حديث
ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال تبعث الانبيا علي الدواب
ويحشر صالح علي ناقته ويحشر ابنا فاطمة علي ناقتي العضبا والقصوي
واحشر انا علي البراق خطوها عند اقصي طرفها ويحشر بلال علي ناقة من
نوق الجنة واخرجه الطبراني والحاكم بلفظ يحشر الانبيا علي الدواب
وابعث علي البراق ويبعث بلال علي ناقة من نوق الجنة ينادي بالاذان
محضا وبالشهادة حقا حتي اذا قال اشهد ان محمدا رسول الله شهد له
المومنون من الاولين والاخرين وعند ابن زنجويه في فضايل الاعمال
عن كثير بن مرة الحضرمي قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم تبعث
ناقة ثمود لصالح فيركبها من عند قبره حتي توافي به المحشر وانا علي البراق
اختصصت به من دون الانبيا يوميذ ويبعث بلال علي ناقة من نوق
الجنة ينادي علي ظهرها بالاذان حقا فاذا سمعت الانبيا واممها اشهد ان
محمدا رسول الله قالوا ونحن نشهد علي ذلك وذكر الشيخ زين الراعي ما عزاه
لابن النجار في تاريخ المدينة عن كعب الاحبار والقرطبي وابن ابي الدنيا
عن كعب انه دخل علي عايشة رضي الله عنها فذكروا رسول الله صلي الله
عليه وسلم فقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملايكة حتي
يحفون بالقبر ويضربون باجنحتهم ويصلون علي النبي صلي الله عليه
وسلم حتي اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك يحفون بالقبر
يضربون باجنحتهم ويصلون علي النبي صلي الله عليه وسلم سبعون الفا بالليل وسبعون
الفا بالنهار حتي اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين الفا من الملايكة يوقرونه
صلي الله عليه وسلم وفي نوادر الاصول للحكيم الترمذي من حديث ابن عمر قال
خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم ويمينه علي ابي بكر وشماله علي عمر فقال هكذا
نبعث يوم القيامة وعن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال فاكسي
حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام
غيري رواه الترمذي وفي رواية كعب حلة خضرا وفي البخاري
من حديث ابن عباس عنه صلي الله عليه وسلم تحشرون حفاة عراة غرلا
كما بدانا اول خلق نعيده وان اول الخلايق يكسي يوم القيامة ابراهيم واخرجه
البيهقي وزاد واول من يكسي من الجنة ابراهيم يكسي حلة من الجنة ويوتي
بكرسي فيطرح عن يمين العرش ثم يوتي بي فاكسي حلة من الجنة لا يقوم لها
البشر وفيه انه يجلس علي الكرسي عن يمين العرش ولا يلزم من تخصيص
ابراهيم عليه السلام بانه اول من يكسي ان يكون افضل من نبينا صلي الله عليه وسلم

٤٩٥

على انه يحتمل ان يكون نبينا عليه السلام خرج من قبره في ثيابه التي مات فيها
والحلة التي يكساها يومئذ حلة الكرامة بقرينة اجلاسه عند ساق العرش
فتكون اولية ابراهيم في الكسوة بالنسبة لبقية الخلق واجاب الحليمي بانه
يكسى ابراهيم اولا ثم يكسى نبينا عليهما الصلاة والسلام على ظاهر الخبر لكن حلة نبينا
اعلا واكمل لتجبر نفاستها ما فات من الاولية وفي حديث ابي سعيد عند ابي داود
وصححه ابن حبان انه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها
وعند الحارث ابن ابي اسامة واحمد ابن منيع فانهم يبعثون في اكفانهم ويتزاورون
في اكفانهم ويجمع بينه وبين ما في البخاري بان بعضهم يحشر عاريا وبعضهم كاسيا
او يحشرون كلهم عراة ثم يكسا الانبيا واول من يكسى ابراهيم عليه السلام او يخرجون
من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتدا الحشر فيحشرون
عراة ثم يكون اول من يكسى ابراهيم وحمل بعضهم حديث ابي سعيد على الشهدا
فيكون ابو سعيد سمعه في الشهدا فحمله على العموم واما ما رواه الطبري
في الرياض النضرة وعزاه للامام احمد في المناقب عن محدوج بن زيد الذهلي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي اما علمت يا علي انه اول من يدعى به يوم القيا
مة بي فاقوم عن يمين العرش في ظله فاكسى حلة خضرا من حلل الجنة ثم يدعى
بالنبيين بعضهم على اثر بعض فيقومون سماطين عن يمين العرش ويكسون
حللا خضرا من حلل الجنة الا وان امتي اول الامم يحاسبون يوم القيامة ثم ابشر
فاول من يدعى بك فيدفع لك لواي وهو لوا الحمد تسير به بين السماطين ادم
وجميع خلق الله تعالى يستظلون بظل لواي يوم القيامة وطوله مسيرة
الف سنة وسنانه ياقوتة حمرا قضبته فضة بيضا زجه درة
خضرا له ثلاث ذوايب من نور ذوابة في المشرق وذوابة في المغرب والثالثة
في وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة اسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم الثاني الحمد
لله رب العالمين الثالث لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل سطر الف سنة
وعرضه مسيرة الف سنة فتسير باللوا والحسن عن يمينك والحسين عن شمالك
حتى تقف بيني وبين ابراهيم عليه السلام في ظل العرش ثم تكسى حلة من الجنة ثم
والسماطان من الناس والنخل الجانبان ورواه ابن سبع في الخصايص بلفظ قال
سال عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لوا الحمد ما صفته قال
طوله مسيرة الحديث فقال الحافظ قطب الدين الحلبي كما نقله عنه المحب الطبري
ابن الهايم انه موضوع بين الوضع قال والله اعلم بحقيقة لوا الحمد وفي
حديث ابي سعيد عند الترمذي بسند حسن قال قال رسول الله صلى الله
عليه

بلغ

عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي
ادم فمن سواه الا تحت لوايي الحديث واللوا الراية وفي عرفهم لا يمسكها الا صاحب
الجيش ورئيسه ويحتمل ان يكون بيد غيره باذنه ويكون تابعه له بحركة
بحركته يميل معه حيث مال لانه يمسكها بيده اذ هذه الحالة اشرف وفي
استعمال العرب عند الحرب انما يمسكها صاحبها ولا يمنعه ذلك من القتال
بها بل يقاتل بها ممسكا لها اشد القتال ولذا لا يليق بامساكها كل احد بل مثل علي
رضي الله عنه لاعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله
وانما اضاف اللوا الى الحمد الذي هو الثنا على الله بما هو اهله لان ذلك هو منصبه
في ذلك الموقف دون غيره من الانبيا وقد اختلف في هيئة حشر الناس ففي البخاري
من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس على
ثلاث طرايق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على
بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت
معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا رواه
الشيخان وقد مال الحليمي الى ان هذا الحشر يكون عند الخروج من القبور
وجزم به الغزالي وقيل انهم يخرجون من القبور بالوصف المذكور في حديث
ابن عباس عند الشيخين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم تحشرون
حفاة عراة غرلا ثم قرا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ثم
تفترق حالهم من ثم الى الموقف كما في حديث ابي هريرة ويحشر الكافر على وجهه قال رجل
يا رسول الله كيف يحشر على وجهه قال اليس الذي امشاه على الرجلين في الدنيا
قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة اخرجه الشيخان وفي حديث
ابي ذر عند النسايي مرفوعا ان الناس يحشرون ثلاثة افواج فوجا راكبين
طاعمين كاسين وفوجا تسحبهم الملايكة على وجوههم وفوجا يمشون ويسعون
وفي حديث سهل بن سعد مرفوعا يحشر الناس يوم القيامة على ارض
بيضا عفرا كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد رواه الشيخان وفي حديث
عقبة بن عامر عند الحاكم رفعه تدنو الشمس من الارض يوم القيامة
فيعرق الناس فمنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من
يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ منكبه ومنهم من يبلغ فاه
واشار بيده فالجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه
وله شاهد عند مسلم من حديث المقداد بن الاسود وليس بتمامه وفيه
تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون
الناس على قدر اعمالهم في العرق وهذا ظاهر في انهم يستوون في وصول

بلغ

Copyright © King Saud University

العرق اليهم ويتفاوتون في حصوله فيهم فان قلت الشمس محلها السما وقد قال
الله تعالى يوم نطوي السما كطي السجل للكتب والالف واللام في السما للجنس بدليل
والسموات مطويات بيمينه فما طريق الجمع فالجواب يجوز ان يقام بنفسها
دانية من الناس في المحشر ليقوي هوله وكربه عافانا الله من كل بلي مكروه
وقال ابن ابي جمرة ظاهر الحديث يقتضي تعميم الناس بذلك ولكن دلت
الاحاديث الاخرى على انه مخصوص بالبعض وهم الاكثر ويستثني الانبيا
والشهدا ومن شا الله فاشدهم الكفار ثم اصحاب الكباير ثم من بعدهم واخرج
ابو يعلى وصححه ابن حبان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم
يقوم الناس لرب العالمين قال مقدار نصف يوم من خمسين الف سنة
يهون على المومنين كتدلي الشمس الى ان تغرب واخرج احمد وابن حبان
نحوه من حديث ابي سعيد والبيهقي في البعث عن ابي هريرة يحشر الناس
قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السما فيلجمهم العرق من شدة الكرب
وفي البخاري من حديث ابي هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم يعرق الناس
يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا ويلجمهم العرق
حتى يبلغ اذانهم وعند البيهقي من حديث ابن مسعود اذا حشر الناس قاموا
اربعين عاما شاخصة ابصارهم الى السما لا يكلمهم الله والشمس على روسهم حتى
يلجم العرق كل بر منهم وفاجر وفي حديث ابي سعيد عند احمد انه يخفف
الوقوف على المومن حتى يكون كصلاة مكتوبة وسنده حسن وللطبراني
من حديث ابن عمرو يكون ذلك اليوم اقصر على المومن من ساعة من نهار
وجا عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ان الذي يلجمه العرق الكافر اخرجه
البيهقي في البعث بسند حسن عنه قال يشتد كرب الناس ذلك اليوم
حتى يلجم الكافر العرق فقيل له فاين المومنون قال على كراسي من ذهب ويظلل
عليهم الغمام وبسند قوي عن ابي موسى قال الشمس فوق روس الناس يوم
القيامة واعمالهم تظلهم واخرج ابن المبارك في الزهد وابن ابي شيبة في المصنف
واللفظ له بسند جيد عن سلمان قال تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر
سنين ثم تدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون حتى
يرشح العرق في الارض قامة ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل زاد ابن المبارك
في روايته ولا يضر حرها يوميذ مومنا ولا مومنة قال القرطبي المراد من
يكون كامل الايمان لما يدل عليه حديث المقداد وغيره انهم يتفاوتون
في ذلك بحسب اعمالهم وفي رواية عند ابي يعلى وصححها ابن حبان ان الرجل
ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول يا رب ارحني ولو الى النار وهو

كالصريح

كالصريح في ان ذلك كله في الموقف ومن تامل الحالة المذكورة عرف عظم الهول فيها
وذلك ان النار تحف بارض الموقف وتدني الشمس من الروس قدر ميل فكيف تكون
حرارة تلك الارض وما ذا يرويها من العرق مع ان كل احد لا يجد الا قدر موضع
قدميه فكيف يكون حال هولا في عرقهم مع تنوعهم فيه ان هذا لما يبهر
العقول ويدل على عظم القدرة ويقتضي الايمان بامور الاخرة وان ليس
للعقل فيه مجال ولا تعترض على ذلك بعقل ولا قياس ولا عادة وانما يوخذ
بالقبول فتامل رحمك الله شدة هذا الازدحام والانضمام والاتساق والالتفاف
والاجتماع الانس والجان ومن يجمع معهم من ساير اصناف الحيوان وانضغاطهم
وتدافعهم واختلاطهم وقرب الشمس منهم وما يزاد في حرها ويضاعف في وهجها
ولا ظل الا ظل عرش ربك بما قد منه مع ما انضاف الى ذلك من حر الناس
لتزاحم الناس واحتراق القلوب لما غشيها من الكرب ولا ريب ان هذا موجب
لحصول العطش في ذلك اليوم وكثرة الالتهاب والما اعز موجود واعظم
مفقود فلا منهل مورود الا حوض صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم وزاده
فضلا وشرفا لديه ولا مشرب الا منه سواه ولا تبرد الاكباد الا به فالشربة منه
كما ورد برد [illegible] الظمان تشفي من الصدا وتذهب بكل دا فلا يظما شاربها ولا يسقم
بعدها ابدا وفي حديث انس عند البزار من شرب منه اي من الحوض شربة
لم يظما ابدا ومن لم يشرب منه لم يرو ابدا وزاد في حديث ابي امامة عند احمد
وابن حبان ولم يسود وجهه ابدا وفي حديث ثوبان عند الترمذي وصححه
الحاكم اكثر الناس عليه ورودا فقرا المهاجرين وفي حديث عبد الله بن عمرو
ابن العاصي عند الشيخين حوضي مسيرة شهر ماوه ابيض من اللبن وريحه
اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السما من شرب منه لم يظما ابدا قال القرطبي
في التذكرة ذهب صاحب القوت وغيره الى ان الحوض يكون بعد الصراط
وذهب اخرون الى العكس والصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم له حوضين
احدهما في الموقف قبل الصراط والاخر داخل الجنة وكل منهما يسمى كوثرا وتعقبه
الشيخ ابن حجر بان الكوثر نهر داخل الجنة وماوه يصب في الحوض ويطلق على الحوض
كوثر لكونه يمد منه فغاية ما يوخذ من كلام القرطبي ان الحوض يكون قبل
الصراط لان الناس يردون من الموقف عطاشا فيرد المومن الحوض ويتساقط
الكفار في النار بعد ان يقولون ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كانها سراب فيقال
الا تردون فيظنونها ما فيتساقطون فيها وفي حديث ابي داود مما رواه مسلم
ان الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة وهو حجة على القرطبي لا له لان
الصراط جسر جهنم وهو بين الموقف والجنة والمومنون يمرون عليه

Copyright King Saud University

لدخول الجنة فلو كان الحوض دونه لحالت النار بينه وبين الما الذي يصب من الكوثر
في الحوض وظاهر الحديث ان الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الما من النهر
الذي داخلها وقال القاضي عياض ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم من شرب
منه لم يظما بعدها ابدا يدل على ان الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة
من النار لان ظاهر حال من لا يظما ان لا يعذب بالنار ولكن يحتمل ان من
قدر عليه التعذيب منهم ان لا يعذب فيها بالظما بل بغيره وعن انس قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشفع لي يوم القيامة فقال انا
فاعل ان شا الله قلت فاين اطلبك قال اول ما تطلبني على الصراط قلت فان لم
القك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فان لم القك عند الميزان
قال فاطلبني عند الحوض فاني لا اخطي هذه الثلاث مواطن رواه الترمذي
وقال حسن غريب وفي حديث ابن مسعود عند احمد ثم اوتى فيكسوني فالبسها
فاقوم عن يمين العرش مقاما لا يقومه احد فيغبطني به الاولون والاخرون
قال ويفتح لهم من الكوثر الى الحوض الحديث وقد بين في حديث عمرو بن
العاص عند البخاري ان الحوض مسيرة شهر وزاد في رواية مسلم من هذا
الوجه وزواياه سوا وهذه الزيادة كما قاله في فتح الباري تدفع تاويل من
جمع بين مختلف الاحاديث في تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض
والطول وفي حديث ابي سعيد عند ابن ماجة رفعه ان لي حوضا ما بين
الكعبة وبيت المقدس وفي حديث ابي بردة عند الطبراني وابن حبان
في صحيحه ما بين ناحيتي حوضي كما بين ايلة وصنعا مسيرة شهر عرضه
كطوله وفي حديث انس عند الشيخين كما بين صنعا والمدينة وفي حديث
عتبة بن عبد السلمي عند ابن حبان في صحيحه ما بين صنعا الى بصرى وفي
حديث ابي امامة عند الطبراني ما بين عدن وعمان بضم المهملة وتخفيف
الميم وقال ابن الاثير في النهاية في حديث الحوض عرضه من مقامي الى عمان
هي بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من ارض البلقا فاما
بالضم والتخفيف فهو موضع عند البحرين انتهى وهذه المسافة كلها
متقاربة وظن بعضهم انه وقع اضطراب في ذلك وليس كذلك واجاب
النووي عن ذلك بانه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكبيرة
فالاكثر ثابت بالحديث فلا معارضة وحاصله يشير الى انه اخبر اولا بالمسافة
اليسيرة ثم اعلم بالمسافة الطويلة فاخبر بها كان الله تفضل عليه باتساعه شيا
بعد شي فيكون الاعتماد على ما يدل على اطولها مسافة فان قلت هل لكل
نبي من الانبيا غير نبينا صلى الله عليه وسلم حوض هناك يقوم عليه كنبينا

والجواب

والجواب انه اشتهر اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بالحوض قال القرطبي في
المفهم مما يجب على كل مكلف ان يعلمه ويصدق به ان الله تعالى قد خص نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الاحاديث الصحيحة الشهيرة التي
يحصل بمجموعها العلم القطعي اذ روى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من الصحابة نيف على
الثلاثين منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك كما صح نقله
واشتهرت رواته ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين امثالهم ومن بعدهم اضعاف
اضعافهم وهلم جرا واجتمع على اثباته السلف واهل السنة من الخلف انتهى لكن اخرج الترمذي
من حديث سمرة رفعه ان لكل نبي حوضا واشار الى انه اختلف في وصله وارساله وان
المرسل اصح والمرسل اخرجه ابن ابي الدنيا بسند صحيح عن الحسن قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وهو قايم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من امته الا
وانهم يتباهون ايهم اكثر تبعا واني لارجو ان اكون اكثرهم تبعا واخرجه الطبراني من وجه
اخر عن سمرة موصولا مرفوعا مثله وفي سنده لين واخرج ابن ابي الدنيا ايضا من حديث
ابي سعيد رفعه وكل نبي يدعو امته ولكل نبي حوض فمنهم من ياتيه الفيام ومنهم من ياتيه
العصبة ومنهم من ياتيه الواحد ومنهم من ياتيه الاثنان ومنهم من لا ياتيه احد واني لاكثر الانبيا
تبعا يوم القيامة وفي اسناده لين فان ثبت فالمختص بنبينا الكوثر الذي يصب من مايه
في حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الامتنان عليه به في سورة انا اعطيناك الكوثر انتهى
ملخصا من فتح الباري والفيام كما في الصحاح الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه والعامة
تقول فيام بلا همز وفي رواية مسلم من حديث ابي هريرة رفعه قال ترد على امتي الحوض وانا
اذود الناس عنه كما يذود الرجل عن ابله قالوا يا رسول الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست
لاحد غيركم تردون علي غرا محجلين من اثار الوضو قالوا والحكمة في الذود المذكور انه
صلى الله عليه وسلم يريد ان يرشد كل احد الى حوض نبيه كما تقدم ان لكل نبي حوضا فيكون
هذا من جملة انصافه عليه الصلاة والسلام ورعاية اخوانه من النبيين لا انه يطردهم بخلا عليهم
بالما ويحتمل ان يكون يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض والله اعلم وفي حديث انس انه صلى الله
عليه وسلم قال للحوض اربعة اركان الاول بيد ابي بكر الصديق والثاني بيد عمر الفاروق
والثالث بيد عثمان ذي النورين والرابع بيد علي ابن ابي طالب فمن كان محبا لابي بكر مبغضا
لعمر لا يسقيه ابو بكر ومن كان محبا لعلي مبغضا لعثمان لا يسقيه علي رواه ابو سعيد
في شرف النبوة والغيلاني **واما تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة والمقام المحمود** فقد قال
الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله واجب
قال اهل المعاني لان لفظه عسى تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شي ثم حرمه كان عارا
والله تعالى اكرم من ان يطمع احدا في شي ثم لا يعطيه ذلك وقد اختلف في تفسير المقام
المحمود على اقوال احدها انه الشفاعة قال الواحدي اجمع المفسرون على انه مقام الشفاعة

كما قال صلى الله عليه وسلم في هذه الاية هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وقال الامام
ابن الخطيب اللفظ يشعر بذلك لان الانسان انما يصير محمودا اذا حمده حامد والحمد انما
يكون على الانعام فهذا المقام المحمود يجب ان يكون مقاما انعم فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم على قوم فحمدوه على ذلك الانعام وذلك الانعام لا يجوز ان يكون هو تبليغ
الدين وتعليم الشرع لان ذلك كان حاصلا في الحال وقوله عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا يدل على انه يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل
ومن المعلوم ان حمد الانسان على سعيه في التخلص من العقاب اعظم من سعيه في زيادة
من الثواب لا حاجة به اليها لان احتياج الانسان في دفع الالام العظيمة عن النفس فوق
احتياجه الى تحصيل المنافع الزائدة التي لا حاجة الى تحصيلها واذا ثبت هذا وجب ان
يكون المراد من قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون
وينصب قوله مقاما على الظرفية اي وابعثه يوم القيامة فاقمه مقاما محمودا هو
الشفاعة في اسقاط العذاب على ما هو مذهب اهل السنة ولما ثبت ان لفظ الاية
مشعر بهذا المعنى اشعارا قويا ثم وردت الاخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى كما في
البخاري من حديث ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال
هو الشفاعة وفيه ايضا عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس يصيرون
يوم القيامة جثى كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي فذلك
المقام المحمود فاذا ثبت هذا فيجب حمل اللفظ عليه قال ومما يؤكد هذا الدعا المشهور
وابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون وينصب قوله مقاما على الظرفية
اي وابعثه يوم القيامة فاقمه مقاما محمودا او على انه مفعول به وضمن معنى ابعثه معنى
اقمه ويجوز ان يكون حالا بعد حال اي ابعثه ذا مقام قال الطيبي
وانما نكره لانه افخم واجزل اي مقاما محمودا بكل لسان وقول النووي
ان الرواية ثبتت بالتنكير وانه كان حكاية للفظ القران متعقب بانه
جا في هذه الرواية بعينها بالتعريف عند النسائي وقال ابن الجوزي
الاكثر على ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة وادعى الامام فخر الدين
الاتفاق عليه القول الثاني قال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد
واحد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول
لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت
وعبدك بين يديك وبك واليك ولا منجا منك الا اليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا هو المراد من قوله
سبحانه وتعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا رواه الطبراني
وقال ابن منده حديث مجمع على صحة اسناده وثقة

رجاله قال الرازي والقول الاول اولى لان سعيه في الشفاعة يفيد اقدام
الناس على حمده فيصير محمودا واما ما ذكر من الدعا فلا يفيد الا الثواب اما الحمد
فلا فان قيل لم لا يجوز ان يقال انه تعالى يحمده على هذا القول فالجواب ان
الحمد في اللغة مختص بالثنا المذكور في مقابلة الانعام فقط فان ورد لفظ الحمد
في غير هذا المعنى فعلى سبيل المجاز القول الثالث مقام تحمد عاقبته قال الامام
فخر الدين وهذا ايضا ضعيف للوجه الذي ذكرناه القول الرابع قيل هو اجلاسه
عليه الصلاة والسلام على العرش وقيل على الكرسي روي ابن مسعود انه قال يقعد
الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم على الكرسي وعن مجاهد انه قال يجلسه معه على العرش
وهذا قول رذل موحش فظيع ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير
ويدل عليه وجوه الاول ان البعث ضد الاجلاس يقال بعثت البارك والقاعد
فانبعث ويقال بعث الله الميت اذا اقامه من قبره فتفسير البعث بالاجلاس
تفسير الضد بالضد وهو فاسد والثاني يوجب انه تعالى لو كان جالسا على العرش
بحيث يجلس عنده محمد صلى الله عليه وسلم لكان محدودا متناهيا ومن كان
كذلك فهو محدث تعالى الله علوا كبيرا والثالث انه تعالى قال مقاما محمودا
ولم يقل مقعدا والمقام موضع القيام لا موضع القعود والرابع اذا قيل ان السلطان
بعث فلانا فهم منه انه ارسله الى قوم لاصلاح مهماتهم ولا يفهم منه انه اجلسه مع
نفسه فثبت ان هذا القول ساقط لا يميل اليه الا قليل العقل عديم الدين
انتهى وتعقب القول الثاني بانه تعالى يجلس على الكرسي كما اخبر جل وعلا عن
نفسه المقدسة بلا كيف وليس اقعاد محمد صلى الله عليه وسلم على العرش موجبا
له صفة الربوبية او مخرجا له عن صفة العبودية بل هو رفع لمحله وتشريفا
له على خلقه واما قوله معه فهو بمنزلة قوله تعالى ان الذين عند ربك
ورب ابن لي عندك بيتا في الجنة فكل هذا ونحوه عائد على الرتبة والمنزلة
والحظوة والدرجة الرفيعة لا الى المكان وقال شيخ الاسلام ابو الفضل العسقلاني
قول مجاهد يجلسه معه على العرش ليس بمدفوع لا من جهة النقل ولا من
جهة النظر وقال ابن عطية هو كذلك اذا حمل على ما يليق به قال وبالغ
الواحدي في رد هذا القول ونقل النقاش عن ابي داود صاحب السنن
انه قال من انكر هذا فهو متهم وقد جا عن ابن مسعود عند الثعلبي وعن
ابن عباس عند ابي الشيخ قال ان محمدا يوم القيامة يجلس على كرسي الرب
بين يدي الرب فيحتمل ان يكون الاضافة اضافة تشريف وعلى هذا يحمل
ما جا عن مجاهد وغيره ويحتمل ان يكون المقام المحمود الشفاعة كما هو المشهور
وان يكون الاجلاس هي المنزلة المعبر عنها بالوسيلة كذا قال قاله بعضهم

Copy… University

ويحتمل ان يكون الاجلاس علامة الاذن في الشفاعة واختلف في فاعل الحمد من
قوله تعالى محمودا فالاكثر على ان المراد اهل الموقف وقيل النبي صلى الله عليه وسلم
اي انه يحمد عاقبة ذلك المقام بتهجده في الليل والاول ارجح لما ثبت من
حديث ابن عمر بلفظ مقاما محمودا يحمده اهل الجمع كلهم ويجوز ان يحمل على اعم
من ذلك اي مقاما يحمده القايم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل ما يجلب
الحمد من انواع الكرامات واستحسن هذا ابو حيان وايده بانه نكرة فدل
على انه ليس المراد مقاما مخصوصا انتهى فان قلت اذا قلنا بالمشهور ان المراد
بالمقام المحمود الشفاعة فاي شفاعة هي فالجواب ان الشفاعة التي وردت
في الاحاديث في المقام المحمود نوعان النوع الاول العامة في فصل القضا
والثاني في الشفاعة في اخراج المذنبين من النار لكن الذي يتجه رد هذه
الاقوال كلها الى الشفاعة العظمى العامة فان اعطاه لوا الحمد وثناه على ربه
وكلامه بين يديه وجلوسه على كرسيه كل ذلك صفات للمقام المحمود الذي
يشفع فيه ليقضي بين الخلق واما شفاعته في اخراج المذنبين من النار فمن توابع
ذلك وقد انكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة في اخراج من ادخل من المذنبين
وتمسكوا بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقوله تعالى ما للظالمين من
حميم ولا شفيع يطاع واجاب اهل السنة بان هذه الايات في الكفار قال القاضي
عياض مذهب اهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا لصريح قوله
تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا وقوله لا يشفعون
الا لمن ارتضى وكقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا المفسر بها عند الاكثرين
كما قدمته وقد جات الاثار التي بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الاخرة لمذنبي
المومنين وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى
امتي من بعدي وسفك بعضهم دما بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم فبلغني
فسالت الله ان يوتيني شفاعة لامتي في الاخرة وفي رواية انس فجعلت دعوتي
لامتي وهذا من مزيد شفقته علينا وحسن تصرفه حيث جعل دعوته المجابة
في اهم اوقات حاجاتنا فجزاه الله عنا افضل الجزا وعن ابي هريرة قلت يا رسول
الله ماذا ورد عليك في الشفاعة قال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق
لسانه قلبه وعن ابي زرعة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون بم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين
في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو الشمس فيبلغ الناس
من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس الا ترون الى ما انتم
فيه الى ما بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس

ابوكم

ابوكم ادم فياتونه فيقولون يا ادم انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك
من روحه وامر الملايكة فسجدوا لك واسكنك الجنة الا تشفع لنا الى ربك
الا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فقال ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولا يغضب بعده مثله وانه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي نفسي
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فياتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح
انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه
الا ترى الى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب مثله ولا يغضب بعده مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوت
بها على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فياتون
ابراهيم عليه السلام فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع
لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي غضب غضبا لم يغضب
قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلاث كذبات نفسي
نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فياتون موسى فيقولون
يا موسى انت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس الا ترى
ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولن يغضب بعده مثله واني قد قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي
نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فياتون عيسى عليه الصلاة
والسلام فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه
وكلمت الناس في المهد الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فيقول عيسى
ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله
ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فياتون
محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبيا وقد غفر
الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فانطلق
فاتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثنا عليه
شيا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل تعط واشفع تشفع فارفع
راسي فاقول امتي يا رب امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب
عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركا الناس فيما سوى ذلك
من الابواب الحديث رواه البخاري ومسلم قال في فتح الباري وقد استشكل
قولهم لنوح انت اول الرسل من اهل الارض فان ادم نبي مرسل وكذا
شيث وادريس وهم قبل نوح ومحصل الاجوبة عن ذلك ان الاولية مقيدة
بقولهم اهل الارض لان ادم ومن ذكر معه لم يرسلوا الى اهل الارض وان

Copyright King Saud University

بلغ

الثلاثة كانوا انبيا ولم يكونوا رسلا والى هذا احتج ابن بطال في حق ادم وتعقبه
القاضي عياض بما صححه ابن حبان من حديث ابي ذر فانه كالصريح في انه كان مرسلا
وفيه التصريح بانزال الصحف على شيث وهو من علامات الارسال ومن
الاجوبة ان رسالة ادم كانت الى بنيه وهم موحدون ليعلمهم شريعته ونوح
رسالته كانت الى قوم كفار يدعوهم الى التوحيد وذكر الغزالي في كشف علوم
الاخرة ان بين اتيان اهل الموقف ادم واتيانهم نوحا الف سنة وكذا بين
كل نبي ونبي الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر ولم اقف لذلك
على اصل قال ولقد اكثر في هذا الكتاب من ايراد احاديث لا اصول لها فلا يغتر
بشي منها ووقع في رواية حذيفة ان الخليل عليه السلام قال لست بصاحب
ذاك انما كنت خليلا من وراء وراء بفتح الهمزة بلا تنوين ويجوز البنا على الضم
للقطع على الاضافة نحو من قبل ومن بعد واختاره ابو البقا قال الاخفش يقال لقيته
من ورا اذا اضفت قال اذا انا لم اومن عليك ولم يكن لقاوك الا من وراءُ وراءُ
ويجوز فيهما النصب والتنوين جوازا جيدا قاله ابو عبد الله الابي ومعناه
لم اكن في التقريب والادلال بمنزلة الحبيب وقيل مراده ان الفضل الذي
اعطيته كان بسفارة جبريل ولكن ايتوا موسى الذي كلمه الله بلا واسطة
وكرر وراء اشارة الى نبينا صلى الله عليه وسلم لانه حصلت له الروية والسماع
بلا واسطة فكانه قال انا من ورا موسى الذي هو من ورا محمد وسبق مزيد لذلك
في الخصايص واما ما ذكره من الكلمات الثلاث فقال البيضاوي الحق انها انما كانت في معاريض
الكلام لكن لما كانت صورتها صورة الكذب اشفق منها استقصارا لنفسه عن
الشفاعة لان من كان اعرف بالله واقرب اليه منزلة كان اعظم خوفا واما قوله عن عيسى
انه لم يذكر ذنبا فوقع في حديث ابن عباس عند احمد والنسايي اني اتخذت الها
من دون الله وفي حديث النضر بن انس عن ابيه حدثني نبي الله صلى الله
عليه وسلم قال اني لقايم انتظر امتي عند الصراط اذ جا عيسى فقال يا محمد
هذه الانبيا قد جاتك يسالون لتدعو الله ان يفرق جميع الامم الى حيث يشا لغم
ما هم فيه فافادت هذه الرواية تعيين موقف النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ
وان هذا الذي وصف من كلام اهل الموقف كله يقع عند نصب الصراط بعد
تساقط الكفار في النار وان عيسى هو الذي خاطب نبينا صلى الله عليه وسلم
وان جميع الانبيا يسالون في ذلك وفي حديث سلمان عند ابن ابي شيبة ياتون
محمدا فيقولون يا نبي الله انت فتح الله بك وختم وغفر لك ما تقدم وما تاخر وجيت
في هذا اليوم وترى ما نحن فيه فقم فاشفع لنا الى ربنا فيقول انا صاحبكم فيجوس
الناس حتى ينتهي الى باب الجنة فان قلت ما الحكمة في انتقاله صلى الله عليه

وسلم

وسلم من مكانه الى الجنة اجيب بان ارض الموقف لما كانت مقام عرض وحساب
كانت مكان مخافة واشفاق ومقام الشافع يناسب ان يكون في مقام اكرام وفي حديث
ابي بن كعب عند ابي يعلى رفعه فاسجد له سجدة يرضى بها عني وفي حديث
ابي بكر الصديق فينطلق اليه جبريل فيخر ساجدا قدر جمعة فيقال يا محمد
ارفع راسك وفي رواية النضر بن انس فاوحى الله الى جبريل ان اذهب الى
محمد فقل ارفع راسك وعلى هذا فالمعنى يقول لي على لسان جبريل والظاهر انه
صلى الله عليه وسلم يلهم التحميد قبل سجوده وبعده وفيه ويكون في كل مكان
ما يليق به فانه ورد في رواية فاقوم بين يديه فيلهمني بمحامد لا اقدر
عليها ثم اخر ساجدا وفي رواية البخاري فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمني
وفي رواية ابي هريرة عند الشيخين فاتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح
الله علي من محامده وحسن الثنا عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي ثم قال يا محمد
ارفع راسك الحديث وفي رواية البخاري من حديث قتادة عن انس ثم
اشفع فيحد لي حدا ثم اخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال الطيبي اي يبين
لي كل طور من اطوار الشفاعة حدا اقف عنده فلا اتعداه مثل ان يقول شفعتك
فيمن اخل بالجماعة ثم فيمن اخل بالصلاة ثم فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنا وهكذا
في هذا الاسلوب والذي يدل عليه سياق الاخبار المراد به تفضيل مراتب
المخرجين في الاعمال الصالحة كما وقع عند احمد عن يحيى القطان عن سعيد
ابن عروبة وفي رواية ثابت عند احمد فاقول اي رب امتي امتي فيقول
اخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة وفي حديث سلمان فيشفع فيمن كان
في قلبه مثقال حبة من حنطة ثم شعيرة ثم حبة خردل فذلك المقام المحمود
وفي رواية ابي سعيد عند مسلم ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير
قال القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين واما قوله في رواية انس عند البخاري
فاخرجهم من النار فقال الداودي كان راوي هذا الحديث ركب شيا على غير
اصله وذلك ان في اول الحديث ذكر الشفاعة في الاراحة من كرب الموقف
وفي اخره ذكر الشفاعة في الاخراج من النار يعني وذلك انما يكون بعد التحول
من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار
ثم يقع بعد ذلك الشفاعة في الاخراج وهو اشكال قوي وقد اجاب عنه
النووي ومن قبله القاضي عياض بانه قد وقع في حديث حذيفة وابي
هريرة فياتون محمدا فيقوم ويوذن له في الشفاعة وترسل معه الامانة
والرحم فيقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا اي يقفان في ناحيتي الصراط
قال القاضي عياض فبهذا يتصل الكلام لان الشفاعة التي لجا الناس

اليه فهذا هي لاراحة الناس من كرب الموقف ثم تجي الشفاعة في الاخراج انتهى والمعنى
في قيام الامانة والرحم انهما لعظم شانهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان
للامين والخائن وللواصل والقاطع فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل وقد
وقع في حديث ابي هريرة بعد ذكر الجمع في الموقف الامر باتباع كل امة ما كانت
تعبد ثم يميز بين المنافقين من المومنين ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط
والمرور عليه فكان الامر باتباع كل امة ما كانت تعبد هو اول فصل القضا
والاراحة من كرب الموقف وبهذا اجتمع متون الاحاديث وتترتب معانيها
انتهى وظهر انه صلى الله عليه وسلم اول ما يشفع ليقضي بين الخلق وان
الشفاعة فيمن يخرج من النار وفيمن سقط يقع بعد ذلك وان العرض والميزان
وتطاير الصحف تقع في هذا الموطن ثم ينادي لتتبع كل امة ما كانت تعبد
فيسقط الكفار في النار ثم يميز بين المومنين والمنافقين بالامتحان ثم
بالسجود عند كشف الساق ثم يوذن في نصب الصراط والمرور عليه فيطفا
نور المنافقين فيسقطون في النار ايضا ويمر المومنون عليه الى الجنة
فمن العصاة من يسقط ويوقف بعض من نجا عند القنطرة للمقاصصة بينهم
ثم يدخلون الجنة وقد قال النووي ومن قبله القاضي عياض الشفاعات
خمس الاولى في الاراحة من هول الموقف الثانية في ادخال قوم الجنة بغير حساب
الثالثة في ادخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب ان لا يعذبوا الرابعة في
اخراج من ادخل النار من العصاة الخامسة في رفع الدرجات انتهى فاما
الاولى وهي التي لاراحة الناس من هول الموقف فيدل عليها حديث ابي
هريرة وغيره المتقدم وحديث انس عند البخاري ولفظه يجمع الله الناس
يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا حتى يريحنا من مكاننا فياتون
ادم فيقولون انت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر
الملايكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته
ايتوا نوحا وذكر انبيا بهم الانبيا واحدا واحدا الى ان قال فياتوني فاستاذن على
ربي واذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شا الله ثم يقال لي ارفع راسك
سل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمني الحديث
واما الثانية وهي ادخال قوم الجنة بغير حساب فيدل عليها ما في اخر حديث
ابي هريرة عند البخاري ومسلم الذي تقدمه فارفع راسي فاقول يا رب
امتي يا رب امتي فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب
الايمن من ابواب الجنة قال ابو حامد والسبعون الالف الذين يدخلون
الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ميزان ولا ياخذون صحفا وانما هي براة مكتوبة

لا اله

لا اله الا الله محمد رسول الله هذه براة فلان ابن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا شقا
بعدها ابدا فما مر عليه شي اسر من ذلك المقام واما الثالثة وهي ادخال قوم حوسبوا
ان لا يعذبوا فيدل على ذلك قوله في حديث حذيفة عند مسلم ونبيكم على الصراط
يقول رب سلم الرابعة وهي في اخراج من ادخل النار من العصاة فدلايلها كثيرة
وقد روى البخاري عن عمران بن حصين مرفوعا يخرج قوم من النار بشفاعة
محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين واما الخامسة وهي رفع الدرجات
فقال النووي في الروضة انها من خصايصه صلى الله عليه وسلم ولم يذكر لذلك
مستند ا فالله اعلم وقد ذكر القاضي عياض شفاعة سادسة وهي شفاعته صلى
الله عليه وسلم لعمه ابي طالب في تخفيف العذاب لما ثبت في الصحيحين ان
العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك
ويغضب لك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته
الى ضحضاح وفي الصحيحين ايضا من طريق ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم
قال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ
كعبيه يغلي منه دماغه وزاد بعضهم سابعة وهي الشفاعة لاهل المدينة
لحديث سعد رفعه لا يثبت احد على لاوايها الا كنت له شهيدا او شفيعا
يوم القيامة وتعقبه الحافظ ابن حجر بان متعلقها لا يخرج عن واحد من الخمس
الاول وبانه لو عد مثل ذلك لعد حديث عبد الملك بن عباد سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول اول من اشفع له اهل المدينة ثم اهل مكة ثم اهل
الطايف رواه البزار واخرى لمن زار قبره الشريف واخرى لمن اجاب الموذن
ثم صلى عليه وسلم واخرى في التجاوز عن تقصير الصلحا لكن قال الحافظ ابن حجر
انها مندرجة في الخامسة وزاد القرطبي انه اول شافع في دخول امته الجنة قبل
الناس ويدل عليه ما رواه
وزاد في فتح الباري اخرى فيمن
استوت حسناته وسياته ان يدخل الجنة لما اخرجه الطبراني عن ابن عباس
قال السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد برحمة الله والظالم لنفسه
واصحاب الاعراف يدخلون بشفاعته صلى الله عليه وسلم وارجح الاقوال
في اصحاب الاعراف انهم قوم استوت حسناتهم وسياتهم وشفاعة اخرى
وهي شفاعة فيمن قال لا اله الا الله ولم يعمل خيرا قط لرواية الحسن عن انس
فاقول يا رب ايذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي
وكبريايي وعظمتي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله فالوارد على الخمسة اربعة
وما عداها لا يرد كما لا ترد الشفاعة في التخفيف عن صاحب القبرين وغير
ذلك لكونه من جملة احوال الدنيا انتهى فان قلت فاي شفاعة ادخرها

صلى الله عليه وسلم لامته اما الاولى فلا تختص بهم بل هي لاراحة الجمع كلهم وهي المقام
المحمود كما تقدم وكذلك باقي الشفاعات الظاهر انه تشاركهم فيها بقية الامم
والجواب انه يحتمل ان المراد الشفاعة العظمى التي للاراحة من هول الموقف
وهي وان كانت غير مختصة بهذه الامة لكن هم الاصل فيها وغيرهم تبع لهم
ولهذا كان اللفظ المنقول عنه صلى الله عليه وسلم فيها انه قال يا رب امتي
امتي قد عام فيه فاجيب وكان غيرهم تبعا لهم في ذلك ويحتمل ان تكون
الشفاعة الثانية وهي التي في ادخال قوم الجنة بغير حساب وهي المختصة
بهذه الامة فان الحديث الوارد فيها يدخل من امتي الجنة سبعون الفا
الحديث ولم ينقل ذلك في بقية الامم ويحتمل ان يكون المراد مطلق الشفاعة
المشتركة بين الشفاعات الخمس وكون غير هذه الامة يشاركونهم فيها
او في بعضها لا ينافي ان يكون عليه الصلاة والسلام اخر دعوته شفاعة
لامته فلعله لا يشفع لغيرهم من الامم بل يشفع لهم انبياؤهم ويحتمل ان تكون
الشفاعة لغيرهم تبعا كما تقدم مثله في الشفاعة العظمى والله اعلم وعن بريدة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لارجو ان اشفع يوم القيامة
عدد ما على الارض من شجرة ومدرة رواه احمد وعن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال نحن اخر الامم واول من يحاسب يقال اين الامة
الامية ونبيها فنحن الاخرون الاولون رواه ابن ماجة وفي حديث ابن
عباس عند ابي داود الطيالسي مرفوعا فاذا اراد ان يقضي بين خلقه
نادا امة احمد وامته فنقوم وتتبعني امتي غرا محجلين من اثار الطهور
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون الاولون واول من يحاسب
وتفرج لنا الامم عن طريقنا وتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون انبيا
كلها وقد صح ان اول ما يقضى بين الناس في الدما وفي البخاري عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه انه قال انا اول من يجثوا يوم القيامة بين يدي
الرحمن للخصومة يريد قصته في مبارزته هو وصاحباه الثلاثة من
كفار قريش قال ابو ذر وفيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم
الاية وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول
قدما عبد يوم القيامة حتى يسال عن اربع عن عمره فيما افناه وعن علمه
فيما عمل فيه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما
ابلاه رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي البخاري من حديث
عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من نوقش الحساب عذب
وروى البزار عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج

لابن

لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين ديوان فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه
وديوان فيه النعم من الله عليه فيقول الله لاصغر نعمه خذي ثمنك من عمله الصالح
فتستوعب عمله الصالح وتقول وعزتك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم
وقد ذهب العمل الصالح فاذا اراد الله ان يرحم عبدا قال يا عبدي قد ضاعفت
حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك احسبه قال ووهبت لك نعمي وروى الامام
بسند حسن عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليختصمن
كل شي يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحا وعن انس بينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس اذ رايناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال له عمر ما اضحكك
يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال
احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله كيف تصنع باخيك ولم يبق من
حسناته شي قال يا رب فليحمل من اوزاري وفاضت عينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس ان يحمل عنهم من اوزارهم فقال
الله للطالب ارفع بصرك فانظر فقال يا رب ارى مداين من ذهب وفضة مكللة
باللولو لاي نبي هذا او لاي صديق هذا او لاي شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن
قال يا رب ومن يملك ذلك قال انت تملكه قال بماذا قال بعفوك عن اخيك
قال يا رب فاني قد عفوت عنه قال الله تعالى فخذ بيد اخيك وادخله الجنة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم
فان الله يصلح بين المسلمين رواه الحاكم والبيهقي في البعث كلاهما عن عباد بن
شيبة الحبطي عن سعد بن انس عنه فقال الحاكم صحيح الاسناد كذا قال وقد
نقل لو ان رجلا له ثواب سبعين نبيا وله خصم بنصف دانق لم يدخل الجنة
حتى يرضى خصمه وقيل يوخذ بدانق سبعمائة صلاة مقبولة فتعطى للخصم
ذكره القشيري في التحبير ثم بعد انقضا الحساب يكون وزن الاعمال لان
الوزن للجزا فينبغي ان يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال
والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزا بحسبها وقد ذكر الله تعالى الميزان
في كتابه بلفظ الجمع وجات السنة بلفظ الافراد والجمع فقيل ان صورة
الافراد محمولة على ان المراد الجنس جمعا بين الكلامين وقال بعضهم يحتمل
ان يكون تعددها بتعدد الاعمال فتكون هنا موازين للعامل الواحد
يوزن بكل ميزان منها صنف من اعماله وذهبت طايفة الى انه ميزان
واحد يوزن به للجميع وانما ورد في الاية بصيغة الجمع للتفخيم وليس المراد
حقيقة العدد وهو نظير قوله كذبت قوم نوح المرسلين والمراد به
رسول واحد وهذا هو المعتمد وعليه الاكثرون واختلف في كيفية وضع

Copyright ... University

الميزان والذي جاء في اكثر الاخبار ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار
العرش ثم يوتى بالميزان فينصب بين يدي الله تعالى فتوضع كفة
الحسنات مقابل الجنة وكفة السيات مقابل النار ذكره الترمذي الحكيم في نوادر
الاصول واختلف ايضا في الموزون نفسه فقال بعضهم توزن الاعمال نفسها
وهي وان كانت اعراضا الا انها تجسم يوم القيامة وقيل الموزون صحايف الاعمال
ويدل له حديث البطاقة المشهور وقد رواه الترمذي من حديث عبد الله
ابن عمرو بن العاصي يرفعه بلفظ ان الله يستخلص رجلا من امتي على روس
الخلايق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مثل مد
البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب
فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم
عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله
فيقول احضر وزنك فيقول ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال انك
لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت
البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شي فان قلت ان شان الميزان ان توضع في كفته
شي وفي الاخرى ضده ثم توضع الحسنات في كفة والسيات في كفة والذي يقابل
شهادة التوحيد الكفر ويستحيل ان ياتي عبد واحد بالكفر والايمان معا حتى
يوضع الايمان في كفة والكفر في اخرى اجاب الترمذي الحكيم بانه ليس المراد
وضع شهادة التوحيد في كفة الميزان وان المراد وضع الحسنة المترتبة على
النطق بهذه الكلمة مع ساير الحسنات ويدل لما قاله قوله عليه الصلاة والسلام
بلى ان لك عندنا حسنة ولم يقل لك عندنا ايمانا وقد سيل عليه الصلاة والسلام
عن لا اله الا الله امن الحسنات هي فقال من اعظم الحسنات اخرجه البيهقي
وغيره ويجوز كما قاله القرطبي في التذكرة ان تكون هذه الكلمة هي اخر كلامه
في الدنيا كما في حديث معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان
اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وفي التحبير للقشيري قيل لبعضهم في المنام
ما فعل الله بك قال وزنت حسناتي فرجحت السيات على الحسنات فسقطت
صرة في كفة الحسنات فرجحت فحلت الصرة فاذا فيها كف تراب القيته في قبر مسلم
وفي الخبر اذا خفت حسنات المومن اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة
كالانملة فيلقيها في كفة الميزان التي فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك
العبد المومن للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي ما احسن وجهك وما احسن
خلقك فمن انت فيقول انا نبيك محمد وهذه صلاتك علي وقد وفيتك اياها
احوج ما تكون اليها ذكره القشيري في تفسيره وذكر الغزالي انه يوتى برجل

يوم

يوم القيامة فما يجد حسنة ترجح بها ميزانه وقد اعتدلت بالسوية فيقول الله
تعالى له رحمة منه اذهب في الناس فالتمس من يعطيك حسنة ادخلك
بها الجنة فما يجد احدا يكلمه في ذلك الامر الا قال له انا احوج لذلك منك فييأس
فيقول له رجل لقد لقيت الله فما وجدت في صحيفتي الا حسنة واحدة وما
اظنها تغني عني شيا خذها هبة فينطلق بها فرحا مسرورا فيقول الله له
ما بالك وهو اعلم فيقول يا رب اتفق من امري كيت وكيت قال فينادي
الله تعالى بصاحبه الذي وهبه الحسنة فيقول له تعالى كرمي اوسع من
كرمك خذ بيد اخيك وانطلقا الى الجنة وكذا تستوي كفتا الميزان لرجل فيقول
الله تعالى كرمي اوسع من كرمك خذ بيد اخيك وانطلقا الى الجنة وكذا تستوي
كفتا الميزان لرجل فيقول الله تعالى له لست من اهل الجنة ولا من اهل النار
فياتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة الميزان فيها مكتوب اف فترجح على
الحسنات لانها كلمة عقوق فيومر به الى النار قال فيطلب الرجل ان يرد
الى الله تعالى فيقول الله تعالى ردوه فيقول له ايها العبد العاق لاي شي
تطلب الرد الي فيقول الهي اني ساير الى النار وكنت عاقا لابي وهو ساير الى
النار مثلي فضعف علي عذابي وانقذه منها قال فيضحك الله تعالى ويقول
عققته في الدنيا وبررته في الاخرة خذ بيد ابيك وانطلقا الى الجنة ثم
وقد روي حذيفة ان صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام
وهو الذي يزن الاعمال يوم القيامة واختلف ايضا في كيفية الرجحان ثم
والنقص فقال بعضهم ان الراجح من الموزون في الاخرة يصعد عكس ما في
الدنيا واستشهد في ذلك بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب الاية
قال الزركشي وهو غريب مصادم لقوله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو
في عيشة راضية وهل توزن الاعمال كلها ام خواتيمها حكي عن وهب
ابن منبه انه قال يوزن من الاعمال خواتيمها واستدل بقوله عليه الصلاة
والسلام انما الاعمال بخواتيمها وذكر الحافظ ابو نعيم عن نافع عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قضى لاخيه المومن حاجة كنت واقفا
عند ميزانه فان رجح والا شفعت له وقال بعض اهل العلم فيما حكاه القرطبي
في التذكرة ولن يجوز احد الصراط حتى يسال على سبع قناطر فاما القنطرة
الاولى فيسال عن الايمان بالله وهي شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها مخلصا
جاز ثم يسال في القنطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسال
في القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فان جاء به تاما جاز ثم يسال
في القنطرة الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسال في الخامسة عن

بلغ

الحج والعمرة فان جاب بها نامين جاز ثم يسال في الخامسة السادسة عن الغسل والوضوء
فاذا اجاب بها نامين جاز ثم يسال في السابعة وليس في القناطر اصعب منها فيسال
عن ظلامات الناس وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ويضرب
الصراط بين ظهراني جهنم فاكون انا وامتي اول من يجوز ولا يتكلم يومئذ الا
الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك
السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى فتخطف الناس باعمالهم فمنهم
من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو الحديث رواه البخاري وفي حديث
حذيفة وابي هريرة عند مسلم ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم
حتى تعجز اعمال العباد حتى ياتي الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا قال وفي
حافتي الصراط كلاليب معلقة مامورة تاخذ من امرت به فمخدوش ناج ومكردس
في النار وهذه الكلاليب هي الشهوات المشار اليها في الحديث حفت النار بالشهوات
فالشهوات موضوعة على جوانبها فمن اقتحم الشهوة سقط في النار قال
ابن العربي ويوخذ من قوله فمخدوش الى اخره ان المارين على الصراط
ثلاثة اصناف ناج بلا خدش وهالك من اول زهلة ومتوسط بينهما نصاب ثم ينجو
وفي حديث المغيرة عند الترمذي شعار المومنين على الصراط رب سلم رب سلم
ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المومنين ان ينطقوا به بل تنطق به الرسل
يدعون للمومنين بالسلامة فيسمى ذلك شعارا لهم وفي حديث ابن مسعود
فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين
ايديهم الحديث وفيه فيمرون على قدر نورهم منهم من يمر كطرفة العين
ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب
ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر
الذي يعطى نوره على ظهر قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخر يد
وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك
حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها وقال الحمد لله الذي اعطاني ما لم يعط
احدا اذ نجاني منها بعد اذ رايتها الحديث رواه ابن ابي الدنيا والطبراني وروى
مسلم قال ابو سعيد بلغني ان الصراط احد من السيف وادق من الشعر
ولابن المبارك من مرسل عبيد بن عمير ان الصراط مثل السيف وبجنبيه
كلاليب انه ليوخذ بالكلوب الواحد اكثر من ربيعة ومضر واخرجه ابن
ابي الدنيا من هذا الوجه وفيه والملائكة على جنبيه يقولون رب سلم وعن
الفضيل بن عياض بلغنا ان الصراط مسيرة خمسة عشر الف سنة خمسة الاف
صعود وخمسة الاف هبوط وخمسة الاف مستوي ادق من الشعر واحد

من

من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه الا ضامر مهزول من خشية الله ذكره
ابن عساكر في ترجمته قال في فتح الباري وهذا معضل لا يثبت قال وعن سعيد
ابن ابي هلال بلغنا ان الصراط ادق من الشعرة على بعض الناس وعلى بعض
الناس مثل الوادي الواسع اخرجه ابن المبارك وهو مرسل او معضل وقد ذهب
بعضهم الى ان المراد من قوله تعالى وان منكم الا واردها الجواز على الصراط لانه
ممدود على النار وروى بن عساكر وابن مسعود وكعب الاحبار انهم قالوا الورود
المرور على الصراط وقيل الورود الدخول وعن ابي سمية قال اختلفنا في الورود
قال بعضنا لا يدخلها مومن وقال بعضنا يدخلها جميعا ثم ينجي الله الذين
اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فقلنا انا اختلفنا في الورود فقال يردونها
جميعا فقلت انا اختلفنا في ذلك فقال بعضنا لا يدخلها مومن وقال بعضنا
يدخلها جميعا فاهوى باصبعيه الى اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها
فتكون على المومنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار او قال لجهنم
ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين رواه احمد والبيهقي
باسناد حسن واخرج ابن الجوزي كما ذكره القرطبي في التذكرة رفعه الزالون على
الصراط كثير واكثر من يزل عنه النساء قال واذا صار الناس على طرفي الصراط نادى
ملك من تحت العرش يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص
منكم وظالم فيا لها من ساعة ما اعظم خوفها واشد حرها يتقدم فيها من كان في الدنيا
ضعيفا مهينا ويتاخر عنها من كان عظيما مكينا ثم يوذن لجميعهم بعد ذلك في
الجواز على الصراط على قدر اعمالهم فاذا عصف الصراط بامة محمد صلى الله عليه
وسلم نادوا وا محمداه وا محمداه فيبادر عليه الصلاة والسلام من شدة اشفاقه
عليهم وجبريل اخذ بحجزته فينادي صلى الله عليه وسلم رافعا صوته امتي
امتي لا اسالك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره
ينادون رب سلم وقد عظمت الاهوال واشتدت الاوجال والعصاة يتساقطون
على اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والاغلال وينادونهم اما
نهيتم عن كسب الاوزار اما انذرتم كل الانذار اما جاءكم النذير المختار ذكره ابن
الجوزي في كتابه روضة المشتاق وقد جاء في حديث ابي هريرة عنه صلى
الله عليه وسلم قال من احسن الصدقة في الدنيا جاز على الصراط رواه ابو نعيم
وفي الحديث من يكن المسجد بيته ضمن الله له بالروح والرحمة والجواز على
الصراط الى الجنة وروى القرطبي عن ابن المبارك عن عبد الله بن سلام اذا كان
يوم القيامة جمع الله الانبياء نبيا نبيا وامة امة ويضرب الجسر على جهنم

نطون

وينادي ابن احد وامته فيقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتبعه امته برها
وفاجرها حتى اذا كان على الصراط طمس الله ابصار اعدايه فيتهافتون في النار
يمينا وشمالا وينجي النبي صلى الله عليه وسلم فتتلقاه الملايكة فيدلونهم على الطريق
على يمينك وعلى شمالك حتى ينتهي الى ربه فيوضع له كرسي عن يمين العرش
ثم يتبعه عيسى عليه الصلاة والسلام على مثل سبيله وتتبعه امته برها وفاجرها
حتى اذا كانوا على الصراط طمس الله ابصار اعدايهم فيتهافتون في النار يمينا وشمالا
واعلم ان في الاخرة صراطين احدهما مجاز لاهل المحشر كلهم الا من دخل الجنة بغير
حساب او يلتقطه عنق النار فاذا خلص من خلص من الصراط الاكبر حبسوا على
صراط اخر لهم ولا يرجع الى النار احد من هولا ان شا الله تعالى لانهم قد عبروا الصراط
الاول المضروب على متن جهنم وقد روى البخاري من حديث ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من
النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم
كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي
نفس محمد بيده لاحدهم اهدى في الجنة بمنزله منه بمنزله كان في الدنيا واما
تفضيله صلى الله عليه وسلم بانه اول من يقرع باب الجنة واول من يدخلها ‏ بلغ
ففي صحيح مسلم من حديث المختار ابن فلفل عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا اكثر الناس تبعا يوم القيامة وانا اول من يقرع باب الجنة وفيه
ايضا من حديث انس قال صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح
فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك
ورواه الطبراني وزاد فيه قال فيقوم الخازن ويقول لا افتح لاحد قبلك ولا اقوم لاحد
بعدك فقيامه له صلى الله عليه وسلم خاصة فيه اظهار لمزيته ومرتبته وانه
لا يقوم في خدمة احد بعده بل خزنة الجنة يقومون في خدمته وهو كالملك
عليهم وقد اقامه الله تعالى في خدمة عبده ورسوله محمد صلى الله عليه
وسلم وروى سهل بن ابي صالح عن زياد المهدي عن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من ياخذ بحلقة الجنة ولا فخر وهو في مسند
الفردوس لكن من حديث ابن عباس وعن ابي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لوا الحمد يوم
القيامة ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه الا تحت لوايي وانا اول من تنشق
عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فياتون ادم فذكر
الحديث الى ان قال فياتوني فانطلق معهم قال ابن جدعان قال انس كاني
انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها

فيقال

فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي فيرحبون فيقولون مرحبا فاخر
ساجدا فيلهمني الله من الثنا والحمد فيقال ارفع راسك الحديث رواه الترمذي
وقال حسن وفي حديث سلمان فياخذ بحلقة الباب وهي ذهب فيقرع الباب
فيقال من هذا فيقول محمد فيفتح وفي حديث الصور ان المومنين اذا انتهوا
الى باب الجنة تشاوروا فيمن يستاذن لهم في الدخول فيقصدون ادم ثم
نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد صلى الله عليه وسلم كما فعلوا عند العرصات
عند استشفاعهم الى الله عز وجل في فصل القضا ليظهر شرف نبينا صلى الله
عليه وسلم كما فعلوا على ساير البشر كلهم في المواطن كلها وروى ابو هريرة مرفوعا
انا اول من يفتح له باب الجنة الا ان امراة تبادرني فاقول لها ما لك وما انت
فتقول انا امراة قعدت على ايتامي رواه ابو يعلى ورواته لا باس بهم
وقال المنذري اسناده حسن ان شا الله وقوله تبادرني اي لتدخل معي او
تدخل في اثري ويشهد له حديث انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال
باصبعيه السبابة والوسطى رواه البخاري من حديث سهل بن سعد
قال ابن بطال حق على من سمع هذا الحديث ان يعمل به ليكون رفيق النبي صلى
الله عليه وسلم في الجنة ولا منزلة في الجنة افضل من ذلك انتهى ويحتمل ان يكون
المراد قرب المنزلة حالة دخول الجنة كما في الحديث قبله ووجه التشبيه ان النبي
صلى الله عليه وسلم من شانه ان يبعث الى قوم لا يعقلون امر دينهم فيكون كافلا لهم
ومرشدا وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل امر دينه بل ولا دنياه ويعلمه
ويحسن ادبه وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم وهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال
بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا وقال اخر ماذا باعجب
من كلام موسى كلمه تكليما وقال اخر فعيسى روح الله وقال اخر وادم اصطفاه الله
فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو
كذلك وموسى كليم الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه
الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لوا الحمد يوم القيامة ولا
فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلقة الجنة فيفتح
الله لي فيدخلنيها ومعي فقرا المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين ولا فخر رواه
الترمذي وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وقايدهم اذا وفدوا
وشافعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لوا الحمد بيدي ومفاتيح الجنة
يوميذ بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم

Copyright King Saud University

اللولو المكنون رواه الترمذي والبيهقي واللفظ له وعن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون الاولون يوم القيامة ونحن اول من يدخل
الجنة رواه مسلم وعنه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن الاخرون
الاولون يوم القيامة نحن اول الناس دخولا الجنة فهذه الامة اسبق الامم
خروجا من الارض واسبقهم الى اعلا مكان في الموقف واسبقهم الى ظل العرش واسبقهم
الى فصل القضا واسبقهم الى الجواز على الصراط واسبقهم الى دخول الجنة وهي
اكثر اهل الجنة روى عبد الله بن الامام احمد من حديث ابي هريرة لما نزلت
هذه الاية ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قال صلى الله عليه وسلم انتم ثلث اهل
الجنة قال الطبراني تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري وفي حديث بهز (انتم نصف اهل الجنة)
ابن حكيم رفعه اهل الجنة عشرون ومائة صف انتم منها ثمانون وعن عمر (انتم ثلثا اهل الجنة)
ابن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبيا
كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي قال الدارقطني غريب عن
الزهري فان قلت ما تقول في الحديث الذي صححه الترمذي من حديث
بريدة بن الخصيب قال اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا
وقال يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلت الجنة قط الا سمعت خشخشتك
امامي الحديث اجاب عنه ابن القيم بان تقدم بلال بين يديه صلى الله عليه
وسلم انما هو لانه كان يدعوا الى الله اولا بالاذان ويتقدم اذانه بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم فيتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم قال
وقد روي في حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيامة
وبلال بين يديه بالاذان فتقدمه بين يديه كرامة له صلى الله عليه وسلم
واظهار الشرفه وفضيلته لا سبقا من بلال له وروى ابن ابي شيبة من
حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل
فاخذ بيدي فاراني باب الجنة الذي تدخل منه امتي فقال ابو بكر يا رسول
الله وددت اني كنت معك حتى انظر اليه فقال صلى الله عليه وسلم اما انك
يا ابا بكر اول من يدخل من امتي فقد دل هذا الحديث على ان لهذه الامة
بابا مختصا يدخلون منه الجنة دون ساير الامم فان قلت من اي ابواب
الجنة يدخل النبي صلى الله عليه وسلم والجواب انه قد ذكر الترمذي
الحكيم ابواب الجنة كما نقله عنه القرطبي في التذكرة فذكر باب محمد صلى
الله عليه وسلم قال وهو باب الرحمة وهو باب التوبة فان قلت كم عدة
ابواب الجنة فاعلم ان في حديث ابي هريرة عند الشيخين مرفوعا من
انفق زوجين في سبيل الله دعي من ابواب الجنة يا عبد الله هذا خير

ثمن

ثمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل الجهاد دعي من
باب الجهاد ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل
الصيام دعي من باب الريان وروى الترمذي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله
عنه مرفوعا ما منكم من احد يتوضا فيسبغ الوضوء ثم قال اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له من ابواب الجنة الثمانية بزيادة من قال
القرطبي وهذا يدل على ان ابواب اكثر من ثمانية قال وانتهى عددها الى ثلاثة
عشر بابا كذا قال فان قلت اي الجنان يسكنها النبي صلى الله عليه وسلم فاعلم
منحني الله واياك التمتع بذاته المقدسة في الحضرة الفردوسية ان الله تعالى قد اتخذ
من الجنان دارا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده فهي سيدة
الجنان والله يختار من كل نوع اعلاه وافضله كما اختار من الملائكة جبريل ومن
البشر محمدا صلى الله عليه وسلم وربك يخلق ما يشا ويختار وفي الطبراني من
حديث ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى في اخر ثلاث
ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره
فيمحو ما يشا ويثبت ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن
لا يكون معه فيها احد الا الانبيا والشهدا والصديقون وفيها ما لم يره احد ولا خطر
على قلب بشر ثم يهبط اخر ساعة من الليل فيقول الا مستغفر يستغفرني فاغفر
له الا سايل يسالني فاعطيه الا داع يدعوني فاستجيب له حتى يطلع الفجر وفي حديث
انه اري جنة عدن ومنازل المرسلين فيها واري منازله فوق منازلهم وروى ابو الشيخ
عن شمر بن عطية قال خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خمس مرات فيقول
ازدادي طيبا لاوليائي ازدادي حسنا لاوليائي فتامل هذه العناية كيف جعل الجنة (الجنة)
التي غرسها بيده لمن خلقه بيده ولافضل ذريته اعتنا وتشريفا واظهارا لفضل ما خلقه
بيده وشرفه وتمييزه بذلك عن غيره فجنة عدن اعلا الجنان وسيدتها وروى
الدارمي عن عبد الله بن الحرث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله
ثلاثة اشيا بيده خلق ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال
وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث وفيه ابو معشر نجيح بن عبد الرحمن
تكلم فيه وروى الدارمي ايضا عن عبد الله بن عمر خلق الله اربعة اشيا بيده العرش والقلم
وعدنا وادم عليه السلام ثم قال لساير الخلق كن فكان وعنه ايضا عن ميسرة قال ان
الله لم يمس شيا من خلقه غير ثلاث خلق ادم بيده وكتب التورية بيده وغرس جنة عدن بيده
فجنة عدن اعلا الجنان وسيدتها وهي قصبة الجنة وفيها الكثيب الذي تنفخ فيه
الرويح وعليها سور وثمانية اسوار بين كل سور جنة فالتي تلي جنة عدن من الجنان جنة
الفردوس واصله البستان وهي اوسط الجنان التي دون جنة عدن وافضلها جنة

٥٠٧

Copyright King Saud University

النعيم ثم جنة الماوي وهي التي ياوي اليها جبريل والملايكه وعن مقاتل تاوي
اليها ارواح الشهدا ثم دار السلام لانها دار السلامة من كل مكروه ثم
دار المقامه واعلم ان للجنة اسما عديدة باعتبار صفاتها ومسماها واحد
باعتبار ذاتها فهي مترادفة من هذا الوجه ومختلفه باعتبار صفاتها فاسم
الجنة هو الاسم العام المتناول لتلك الذوات وما اشتملت عليه من انواع السرور
وقرة العين هذه اللفظة مشتقه من الستر ومنه سمي البستان جنه لانه يستر
داخله بالاشجار والجنات كثيرة جدا كما قال صلى الله عليه وسلم لام حارثه لما قتل
ببدر وقد قالت يا رسول الله الا تحدثني عن حارثة فان كان في الجنة صبرت
وان كان غير ذلك اجتهدت في البكا عليه يا ام حارثة انها جنان في الجنة
وان ابنك قد اصاب الفردوس الاعلى وقال تعالى ولمن خاف
مقام ربه جنتان فذكرهما ثم قال ومن دونهما جنتان فهذه اربع
وقال عليه السلام جنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وجنتان من فضة
انيتهما وما فيهما رواه الشيخان من حديث ابي موسى الاشعري وقد قسم بعضهم
الجنان بالنسبة الى الداخلين فيها ثلاثه جنة اختصاص الهي وهي التي يدخلها
الاطفال الذين لم يبلغوا الحلم ومن اهلها اهل الفترات ومن لم تصل اليه دعوة
رسول الجنة الثانيه جنة ميراث ينالها كل من دخل الجنة من المومنين وهي
الاماكن التي كانت معينه لاهل النار لو دخلوها والجنه الثالثه جنة الاعمال
وهي التي ينزل فيها الناس باعمالهم فمن كان افضل من غيره في وجوه التفاضل
كان له في الجنة اكثر وسوا كان الفاضل دون المفضول او لم يكن غير انه
فضله في هذا المقام لهذه الحالة فما من عمل من الاعمال الا وله جنة ويقع التفاضل
فيها بين اصحابها بحسب ما يقتضي احوالهم قال صلى الله عليه وسلم يا بلال بم
سبقتني الى الجنة الحديث فعلم انها كانت جنة مخصوصة فما من
فريضه ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم الا وله جنة
مخصوصة ونعيم خاص يناله من دخلها وقد يجمع الواحد من
الناس في الزمان الواحد اعمالا من العبادات فيوجر في الزمان
الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس له ذلك فقد
تبين انه ينال المنازل والدرجات في الجنات بالاعمال
واما الدخول فلا يكون الا برحمة الله تعالى كما في البخاري ومسلم
من حديث عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لن يدخل
الجنة احد عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا
الا ان يتغمدني الله برحمته اي يلبسنيها ويسترني بها ماخوذ من غمد السيف وهو غلافه وعند

النعيم — من

الامام

الامام احمد باسناد حسن من حديث ابي سعيد الخدري لن يدخل الجنة احد الا برحمة
الله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقال بيده
فوق راسه يعني ان الجنة انما تدخل برحمة الله وليس عمل العبد مستقلا بدخولها
وان كان سببا ولهذا اثبت الله دخولها بالاعمال في قوله تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها
بما كنتم تعملون ونفى صلى الله عليه وسلم دخولها بالاعمال في قوله لن يدخل احد منكم
الجنة بعمله ولا تنافي بين الامرين لما ذكره سفيان وغيره قال كانوا يقولون النجاة
من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمة الله واقتسام المنازل والدرجات
بالاعمال ويدل له حديث ابي هريرة ان اهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل
اعمالهم رواه الترمذي قال ابن بطال يحمل الاية على ان الجنة تنال المنازل فيها
بالاعمال فان درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الاعمال ويحمل الحديث
على دخول الجنة والخلود فيها ثم اورد على هذا الجواب قوله تعالى سلام عليكم
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فصرح بان دخول الجنة ايضا بالاعمال واجاب
بانه لفظ مجمل بينه الحديث والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها
بما كنتم تعملون وليس المراد بذلك اصل الدخول ثم قال ويجوز ان يكون
الحديث مفسر الاية والتقدير ادخلوا بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم
وتفضله عليكم لان اقتسام منازل الجنة برحمته وكذا اصل دخول الجنة
برحمته حيث الهم العاملين ما نالوا به ذلك ولا يخلو شي من مجازاته لعباده
من رحمته وفضله وقد تفضل الله عليهم ابتدا بايجادهم ثم برزقهم ثم بتعليمهم
واشار الى نحوه القاضي عياض فقال وان من رحمة الله توفيقه للعمل هداية
للطاعة وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله وانما هو بفضل الله
ورحمته وقال غيره لا تنافي بين ما في الاية والحديث لان الباء التي اثبتت
الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره وان
لم يكن مستقلا بحصوله والباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون
فيها احد العوضين مقابلا للاخر نحو اشتريت منه بكذا فاخبر ان دخول
الجنة ليس في مقابلة عمل احد وانه لولا رحمة الله بعبده لما ادخله الجنة
لان العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب بمجرده دخول الجنة ولا يكون عوضا
لها لانه ولو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله بل جميع العمل لا يوازي
نعمة واحدة فلو طالبه بحقه لبقيت عليه من الشكر على تلك النعمة بقية
لم يقم بها فلذلك لو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم
ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا من اعمالهم كما في حديث ابي ابن كعب عند ابي
داود وابن ماجة وهذا فصل الخطاب مع الجبرية النفاة للحكمة والتعليل

القايلين بان القيام بالعبادة ليس الا لمجرد الامر من غير ان يكون سببا للسعادة ومعاشي
ولا معاد ولا لنجاة المعتقدين ان النار ليست سببا للاحراق ولا الما سببا للارواء والتبريد
والقدرية الذين ينفون نوعا من الحكمة والتعليل القايلين بان العبادات شرعت
اثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم وانها بمنزلة استيفا الاجير اجرته محتجين
بان الله تعالى يجعلها عوضا كما في قوله تعالى ادخلوا الجنة بما تعملون وبقوله
عليه الصلاة والسلام حاكيا عن ربه تعالى يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم
اياها وهولا الطايفتان متقابلتان اشد التقابل وبينهما اعظم التباين فالجبرية
لم تجعل للاعمال ارتباطا بالجزا البتة والقدرية جعلت ذلك كله بمحض الاعمال وثمنا
لها والطايفتان جايرتان منحرفتان عن الصراط المستقيم الذي فطر الله عليه
عباده وجات به رسله ونزلت به كتبه وهو ان للاعمال اسبابا موصلة الى
الثواب والعقاب مقتضيان لهما كاقتضا سابر الاسباب لمسبباتها وان
الاعمال الصالحة من توفيق الله تعالى ومنه وصدقته على عبده ان
اعانه عليها وحببها اليه وزينها في قلبه وكره اليه اضدادها ومع هذا
فليست ثمنا لجزايه وثوابه بل غايتها ان تكون شكرا له تعالى ان قبلها
ولهذا انفى عليه الصلاة والسلام دخول الجنة بالعمل ردا على القدرية
القايلين بان الجزا بمحض الاعمال وثمنا لها واثبت سبحانه وتعالى دخول
الجنة بالعمل ردا على الجبرية الذين يجعلون الاعمال ارتباطا بالجزا فتبين
انه لا تنافي بينهما اذا تقارد النفي والاثبات ليس على معنى واحد فالمنفي
استحقاقها بمجرد الاعمال وكون الاعمال ثمنا وعوضا لها ردا على القدرية
والمثبت الدخول بسبب العمل ردا على الجبرية والله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم وقال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر يحمل الحديث
على ان العمل من حيث هو عمل لا يستفيد منه العامل دخول الجنة
ما لم يكن مقبولا واذا كان كذلك فامر القبول الى الله تعالى وانما يحصل
برحمة الله تعالى لمن يقبل منه وعلى هذا فمعنى قوله ادخلوا الجنة بما كنتم
تعملون اي تعملون من العمل المقبول ولا يضر هذا ان تكون الباء للمصاحبة
او الالصاق او المقابلة ولا يلزم من ذلك ان تكون سببية قاله
ثم رايت النووي جزم بان ظاهر الايات ان دخول الجنة بسبب الاعمال
والجمع بينها وبين الحديث ان التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها
وقبولها انما هو برحمة الله وفضله فيصح انه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد
الحديث ويصح انه دخل بسبب العمل وهو من رحمة الله تعالى انتهى وروى
الدارقطني عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم الرجل انا
لشرار امتي فقالوا كيف انت لخيارها قال اما خيارها فيدخلون الجنة باعمالهم واما
شرار

شرار امتي فيدخلون الجنة بشفاعتي ذكره عبد الحق في العاقبة واما تفضله
صلى الله عليه وسلم في الجنة بالكوثر وهو على وزن فوعل من الكثرة سمي به هذا
النهر العظيم لكثرة مايه وانيته وعظم قدره وخيره فقد نقل المفسرون في
تفسير الكوثر اقوالا تزيد على العشرة ذكرت كثيرا منها في المقصد السادس من
هذا الكتاب واولاها قول ابن عباس انه الخير الكثير لعمومه لكن ثبت تخصيصه
بالنهر من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فلا معدل عنه فقد روى مسلم
وابو داود والنسائي من طريق محمد بن فضيل وعلي ابن مسهر كلاهما عن
المختار بن فلفل عن انس واللفظ لمسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين اظهرنا في المسجد اذ اغفى اغفاة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك
يا رسول الله قال انزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر ان شانيك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر
قلنا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي عز وجل الحديث لكن فيه
اطلاق الكوثر على الحوض وقد جا صريحا من حديث البخاري ان الكوثر هو
النهر الذي يصب عند البخاري وعند احمد ويفتح نهر الكوثر الى الحوض
وعند مسلم يغت فيه يعني الحوض ميزابان يمدانه من الجنة احدهما
من ذهب والاخر من ورق وقوله يغت بالغين المعجمة اي يصب وفي
البخاري من حديث قتادة عن انس قال لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم
الى السما قال اتيت على نهر حافتاه قباب اللولو مجوف فقلت ما هذا
يا جبريل قال هذا الكوثر ورواه ابن جرير عن شريك بن ابي نمر قال
سمعت انس بن مالك يحدثنا قال لما اسري بالنبي
صلى الله عليه وسلم مضى به جبريل فاذا هو بنهر عليه قصر من لولو وزبرجد
فذهب يشم ترابه فاذا هو مسك قال يا جبريل ما هذا النهر قال هو
الكوثر الذي خبا لك ربك ورواه احمد عن انس ان رجلا قال يا رسول
ما الكوثر قال نهر في الجنة اعطانيه ربي لهو اشد بياضا من اللبن واحلا
من العسل وعن ابي عبيدة عن عايشة قال سالتها عن قوله تعالى انا
اعطيناك الكوثر قالت نهر اعطيه نبيكم شاطياه عليه در مجوف انيته
عدد النجوم رواه البخاري وقوله شاطياه اي حافتاه وقوله در مجوف
اي القباب التي على جوانبه ورواه النسائي بلفظ قالت نهر من بطنان
الجنة قلت وما بطنان الجنة قالت وسطها حافتاه قصور اللولو والياقوت
ترابه المسك وحصباوه اللولو والياقوت وبطنان بضم الموحدة وسكون
المهملة بعدها نون ووسط بفتح المهملة والمراد به اعلاها اي ارفعها

Copyright © King Saud University

فتدلوا المراد اعد لها وعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر
في الجنة حافتاه من ذهب والماء يجري على اللؤلؤ وماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى
من العسل رواه احمد وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح وروي عن ابن
عباس في قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال هو نهر في الجنة عمقه سبعون
الف فرسخ ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل شاطئاه اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت خص الله به نبيه قبل الانبياء رواه ابن ابي الدنيا موقوفا وعن
انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال نهر في الجنة
اعطانيه الله يعني في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
فيه طير اعناقها كاعناق البخت واعناق الجزر قال عمر انها لناعمة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلها انعم منها رواه الترمذي وقال حسن
والجزر بضم الجيم والزاي جمع جزور وهو البعير قال الحافظ ابن كثير قد
تواتر يعني حديث الكوثر من طريق تفيد القطع عند كثير من ائمة الحديث
وكذلك احاديث الحوض قال وهكذا روي عن انس وابي العالية ومجاهد
وغير واحد من السلف ان الكوثر نهر في الجنة واما تفضيله في الجنة بالوسيلة
والدرجة الرفيعة والفضيلة فروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو
ابن العاصي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا
الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا
هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة قال الحافظ عماد الدين بن كثير الوسيله
علم على اعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة
وهي اقرب امكنة الجنة الى العرش وقال غيره الوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب
يقال توسلت اي تقربت ويطلق على المنزلة العلية كما قال في هذا الحديث
فانها منزلة في الجنة على انه يمكن ردها الى الاول فان الواصل الى تلك المنزلة قريب
من الله فتكون كالقربة التي يتوسل بها ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعظم الخلق عبودية لربه واعلمهم به واشدهم له خشية واعظمهم له محبة كانت
منزلته اقرب المنازل الى الله تعالى وهي اعلى درجة في الجنة وامر صلى الله عليه
وسلم امته ان يسالوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى وزيادة الايمان وايضا
فان الله تعالى قدرها له باسباب منها دعاء امته له بها بما نالوه على يده من
الهدى والايمان واما الفضيلة فهي المرتبة الزائدة على سائر الخلق ويحتمل
ان تكون منزلة اخرى او تفسيرا للوسيلة وعن ابي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها

درجه

درجة فسلوا الله لي الوسيلة رواه في المسند وذكره ابن ابي الدنيا قال
درجة في الجنة اعلاها فسلوا الله ان يؤتينيها على رؤوس الخلائق وروى ابن
مردويه عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سالتم الله فسلوا لي الوسيلة
قالوا يا رسول الله من يسكن معك قال علي وفاطمة والحسن والحسين لكن قال
الحافظ عماد الدين بن كثير انه حديث غريب منكر من هذا الوجه وعند ابن
ابي حاتم من حديث علي ايضا انه قال على منبر الكوفة ايها الناس ان في الجنة
لؤلؤتين احداهما بيضاء والاخرى صفراء اما الصفراء فانها الى بطنان العرش والمقام
المحمود من اللؤلؤة البيضاء سبعون الف غرفة كل بيت منها ثلاثة اميال وغرفها
وابوابها واسرتها وسكانها من عرق واحد واسمها الوسيلة هي لمحمد صلى الله عليه
وسلم واهل بيته والصفراء مثل ذلك هي لابراهيم عليه السلام واهل بيته وهو
اثر غريب كما نبه عليه الحافظ ابن كثير ايضا وعن ابن عباس في قوله تعالى
ولسوف يعطيك ربك فترضى قال اعطاه الله تعالى في الجنة الف قصر في كل
قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم رواه ابن جرير وابن ابي حاتم من طريقه ومثل
هذا لا يقال الا عن توقيف فهو في حكم المرفوع **خاتمة** عن عائشة قالت
جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انك لاحب الي من
نفسي وانك لاحب الي من اهلي واحب الي من ولدي واني لاكون في البيت
فاذكرك فما اصبر حتى اتيك فانظر اليك فاذا ذكرت موتي وموتك عرفت
انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين واني اذا دخلت الجنة خشيت ان
لا اراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه
الاية ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا رواه ابو نعيم وقال
الحافظ ابو عبد الله المقدسي لا اعلم باسناد هذا الحديث باسا كذا نقله في
حادي الارواح وذكره البغوي في معالم التنزيل بلفظ نزلت يعني الاية في
ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قليل الصبر فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن
في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله
ما بي وجع ولا مرض غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك
ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة
في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية
وكذا ذكر ابن ظفر في ينبوع الحياة لكن قال ان الرجل هو عبد الله بن زيد
الانصاري الذي راى الاذان وليس المراد ان يكون من اطاع الله واطاع الرسول

Copyright ... University

مع النبيين والصديقين كون الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية
في الدرجة بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث
يتمكن كل واحد منهم من روية الاخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم
بعضا واذا اراد الروية والتلاقي قدر واعلى ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية
وقد ثبت في الصحيحين من حديث انس ان رجلا قال يا رسول الله متى الساعة
قال وما اعددت لها قال لا شي الا اني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت
قال انس فما فرحنا بشي كفرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت
قال انس فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وارجو ان اكون
معهم بحبي اياهم وفي الحديث الالهي الذي رواه حذيفة كما عند الطبراني
بسند غريب انه تعالى قال ما تقرب الي عبدي بمثل ادا ما افترضت عليه
ولا يزال يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث وفيه من الزيادة على حديث
البخاري ويكون من اوليائي واصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين
والشهدا في الجنة فلله درها من كرامة بالغة ونعمة على المحبين سابغة فالمحب
يرقى في درجات الجنات على اهل المقامات بحيث ينظر اليه كما ينظر الى الكوكب
الغابر في افق السما لعلو درجته وقرب منزلته من حبيبه ومعيته معه
وان المرء مع من احبه ولكل عمل جزا وجزا المحبة المحبة والوصول والقرب
من المحبوب رويت امراة مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله
بك قالت غفر لي قيل لها بماذا قالت بمحبتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وشهوتي النظر اليه نوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحي ان نذله بعتابنا
بل نجمع بينه وبين من يحبه وانظر قوله تعالى طوبى لهم وحسن ماب وان طوبى
اسم شجرة في الجنة غرسها الله بيده تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى
من ورا سور الجنة وان اصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي دار كل مومن
منها غصن فما من جنة من الجنان الا وفيها من شجرة طوبى ليكون سر كل نعيم
ونصيب كل ولي من سره عليه الصلاة والسلام وانه صلى الله عليه وسلم في
الجنة فلا ولي يتنعم في جنته الا والرسول يتنعم بنعمته لان الولي ما وصل الى
ما وصل اليه من التنعيم الا باتباعه لنبيه صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر
النبوة تابعا له في تنعمه وكذا ابليس في النار فلا عذاب لاحد من اهلها الا وابليس
لعنه الله سر تعذيبه ومشارك فيه وفي البحر لابي حيان عند تفسير قوله
تعالى عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا قيل هي عين في دار رسول الله
صلى الله عليه وسلم تفجر الى دور الانبيا والمومنين واذا علمت هذا فاعلم ان
اعظم نعيم الجنة واكمله التمتع بالنظر الى وجه الرب تبارك وتعالى ورسوله صلى الله

عليه

عليه وسلم وقرة العين بالقرب من الله ورسوله مع الفوز بكرامة الرضوان التي هي
اكبر الجنان وما فيها كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر ولا ريب ان الامر اجل مما يخطر
ببال احد ويدور في خيال ولا سيما عند فوز المحبين في روضة الانس وحضيرة القدس
بمعية محبوبهم الذي هو غاية مطلوبهم فاي نعيم واي لذة واي قرة عين واي
فوز يداني تلك المعية ولذتها وقرة العين بها وهل فوق نعيم قرة العين
بمعية الله ورسوله نعيم فلا شي والله اجل ولا اكمل ولا اجمل ولا احلى ولا اعلى ولا اغلا
من حضرة يجتمع فيها المحب باحبابه في مشهد مشاهد الاكرام حيث يتجلى لهم
حبيبهم ومعبودهم الاله الخلق جل جلاله خلف حجاب في اسمه الجميل اللطيف فتنفهق
عليهم انوار يسري في ذواتهم فيبهتون من جمال الله وتشرق ذواتهم بنور ذلك
الجمال الاقدس بحضرة الرسول الارسي ويقول لهم الحق جل جلاله السلام عليكم يا
عبادي ومرحبا بكم اهل ودادي انتم المومنون لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
انتم اوليائي وجيراني واحبابي انا الله الجواد الغني وهذه داري قد اسكنتكموها
وجنتي قد ابحتكموها وهذه يدي مبسوطة ممتدة عليكم وانا ربكم انظر اليكم
لا اصرف نظري عنكم انا لكم جليس وانيس فارفعوا الي حوائجكم فيقولون ربنا
حاجتنا اليك النظر الى وجهك الكريم والرضا عنا فيقول لهم جل جلاله هذا
وجهي فانظروا اليه وابشروا فاني عنكم راض ثم يرفع الحجاب ويتجلى لهم فيخرون
سجدا فيقول لهم ارفعوا رووسكم فليس هذا موضع سجود يا عبادي يا دعوتكم
لتستمتعوا بمشاهدتي يا عبادي قد رضيت عنكم فلا اسخط عليكم ابدا فما
من كلمة وما احبها اليهم الذ ولا اشهى من بشرى فعندها يقولون الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن واحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب
ان ربنا لغفور شكور وهذا يدل على ان جميع العبادات تزول في الجنة
الا عبادة الشكر والحمد والتسبيح والتهليل والذي يدل عليه الحديث
الصحيح انهم يلهمون ذلك كما يلهم النفس كما في مسلم من حديث جابر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ياكل اهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون
ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشا ورشحا كرشح المسك يلهمون
التسبيح والحمد كما يلهمون النفس يعني تسبيحهم وتحميدهم يجري مع
انفاس فليس عن تكليف والزام وانما هو عن تيسير والهام ووجه التشبيه
ان نفس الانسان لا بد له منه ولا كلفة ولا مشقة في فعله فكذلك يكون
ذكر الله تعالى على السنة اهل الجنة وسر ذلك ان قلوبهم قد تنورت بمعرفته
وابصارهم قد تمتعت برويته وقد غمرتهم سوابغ نعمه وامتلات افيدتهم
بمحبته واتخاللته فالسنتهم ملازمة لذكره وقد اخبر الله تعالى عن شانهم

Copyright © King Saud University

٥١٧

في ذلك بقوله تعالى في كتابه العزيز وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشا فنعم اجر العاملين وقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين قال جامعه ومولفه احمد بن الخطيب القسطلاني عامله الله بما يليق بكرمه فهذا اخر ما جرى به قلم المدد من هذه المواهب اللدنية وسطرته يد الفيض من المنح المحمدية وذلك وان كثر لقليل في جنب شرفه الشامخ ويسير مما كرمه الله به من مواهب فضله الراسخ ولو تتبعنا ما منحه الله به من مواهبه وشرفه به من مناقبه لما وسعت بعضه الدفاتر وكلت دون مرماه الاقلام وجفت المحابر وضاقت عن جمعه الكتب وعجزت عن حمله النجب وهذا تفنين واصفيه بفني الزمان وبقيه ما لم يوصف والى الله تعالى اتضرع ان يجعله خالصا لوجهه الكريم مخلصا من شوائب الريا ودواعي التعظيم وان ينفعني به والمسلمين والمسلمات امين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا دايما ابدا الى يوم الدين امين امين امين والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ابدع ما صنع على اكمل نظام وعلى من شرع له صدره افضل الصلاة والسلام اما بعد فان انفس ما يقصد ويطلب وافضل ما يجتهد في تحصيله ويرغب واجدر ما سهرت العيون في اكتسابه وافضل ما اتجره متجر ليوم حسابه واحق ما تنفق في اكتسابه الاعمار والبق ما تنفا فسى فيه ذوو الاقدار العلم الشريف الذي قرن الله تعالى ذكره بذكر اهله وخصهم بمزيد فضله وجزيل اجره لا سيما ما تعلق به صلى الله عليه وسلم فانه اولى ما توجهت اليه عزايم ذوي الهمم واحق ما صرفت الفاظه بجوامع الكلم وكان من اعظم ما صنف في ذلك المواهب اللدنية لعلامة زمانه بلا نزاع وخاتمة الحفاظ والمحققين بلا دفاع شيخ الاسلام احمد القسطلاني قدس الله روحه ونور ضريحه وقد قراها علي عزيز مصره وفريد عصره من صرف اوقاته في الخيرات وبذل همته في تحصيل العلم والكمالات ذو القدر الشريف السلطاني والطراز المنيف الخاقاني الامير عابدي بيك لا زال محفوفا بعناية الله ملحوظا بلطفه العام وقد اجزته ان يقراها بشرطه المعتبر عند اهله المقرر على ما اجازه من الله من المعروف وقد تلقيتها وغيرها من كتب الحديث عن مشايخنا العظام وهم كثير منهم العلامة شيخ الاسلام خاتمة المحققين الشيخ ابراهيم الاخلالي ومنهم شيخ الاسلام ... طور زمانه

King Saud University 1957
Copyright © King Saud University